

الشواهد الشعرية في كتاب

«دلائل الإعجاز»

للشيخ عبد القاهر الجرجاني

توثيق وتحليل ونقد

تأليف

الدكتورة نجاة أحمد الظهار

الجزء الأول

الشواهد الشعرية في كتاب

«تلايد الإعجاز»

بسم الله الرحمن الرحيم

حَقُوقُ الطَّبِيعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبَعَةُ الْأُولَى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

أصل هذا الكتاب رسالة أُعِدَّتْ لتبيل درجة الدكتوراه في البلاغة العربية
من كلية اللغة العربية (جامعة أم القرى بمكة المكرمة)
إشراف: الأستاذ الدكتور علي محمد حسن العماري
وكانت لجنة المناقشة مكونة من:
د. عبد الفتاح لاشين.
د. علي البدري.
ونوقشت الرسالة في ١٣/١٠/١٤٠٨ هـ الموافق ٢٨/٥/١٩٨٨ م
وحصلت على درجة دكتوراه بتقدير ممتاز.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

[طه: ١١٤]

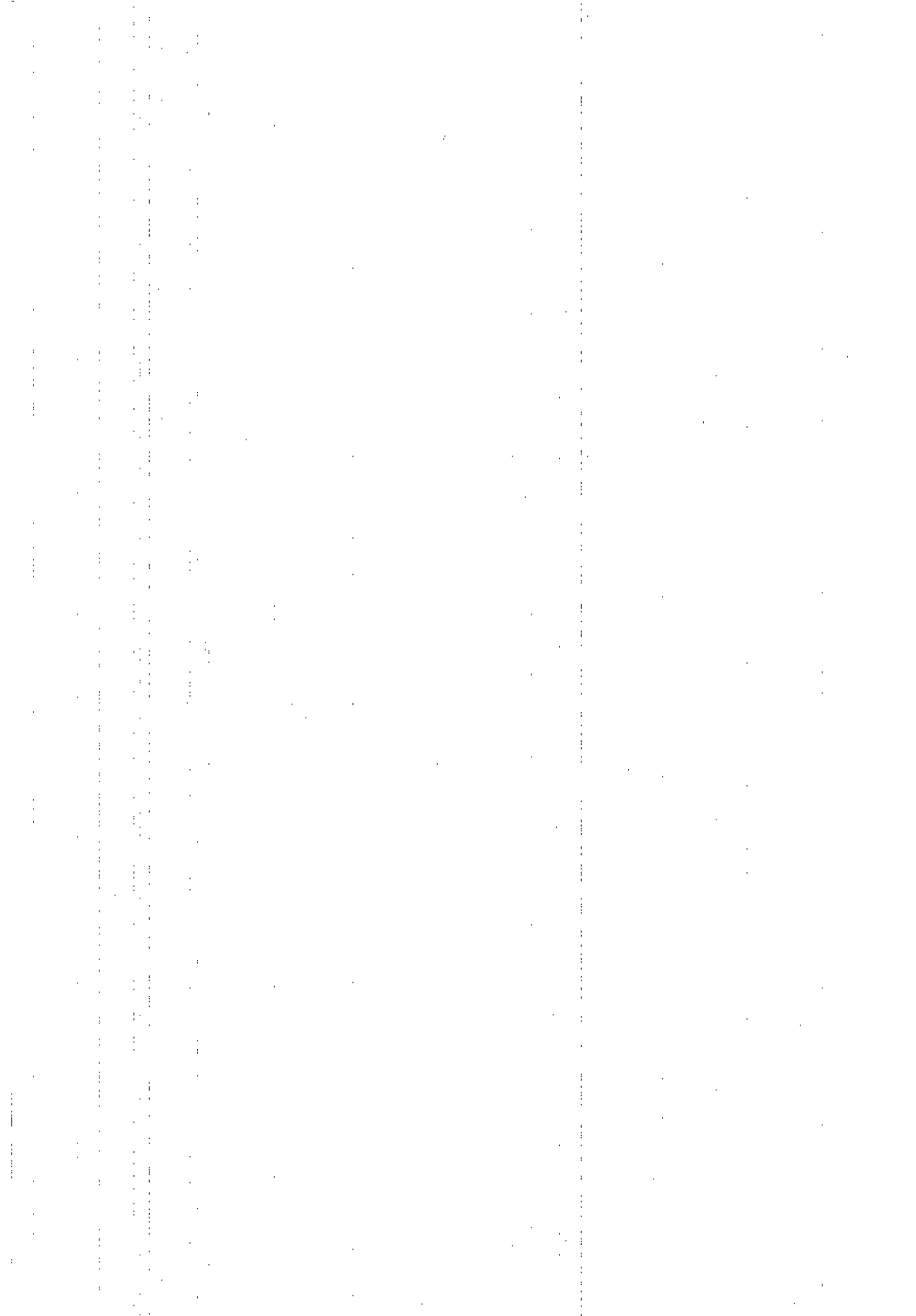
صدق الله العظيم

الإهداء

إلى من غرس في نفسي حب العلم.. ومهد لي دروبه
وعلمني أن لذة الحياة الحقيقية في العلم وبخاصة ما كان
مستمداً من الشريعة الغراء، أو ذا صلة بها.. فسبقه الأجل
قبل أن يتحقق أمله ويرى ثمرة جهده.. رحمه الله وجعل
الجنة مثواه.

إلى من وقفت عمرها على تهيئة سبل الراحة والهدوء
لي، فمكنتني من ورود منهل العلم والعرفان.. إلى منبع
الحنان، وفيض العطاء بلا امتنان..

إلى والديّ الحبيبين أهدي أجر هذا العمل.



شكر وتقدير

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكر له أن وفقني لإتمام هذا العمل المتواضع.. وأصلي وأسلم على من أوتي جوامع الكلم: النبي الأمي الذي أرسل رحمة للعالمين، فجزاه الله عن أمته خير الجزاء.

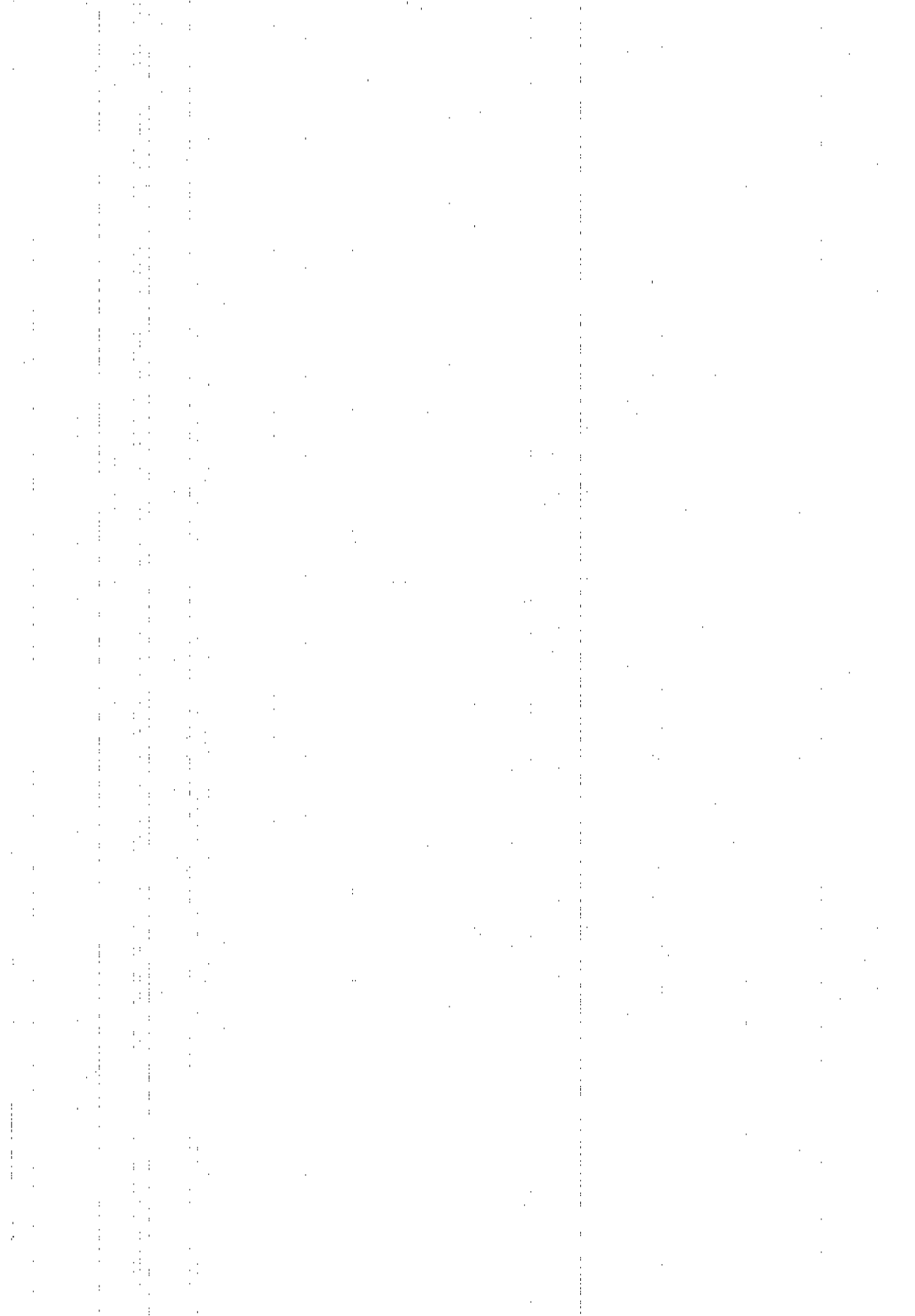
ثم أتقدم بالشكر والتقدير إلى والدي الكريمين اللذين غرسا في أعماقي حب العلم، وأنارا لي دروبه، وفتحا لي أبواب النجاح.

وإلى استاذي المشرف الذي رباني فكراً ومنحني خالص نصحه وسديد توجيهاته فكان — وبحق — نغم المربي ونغم الموجه.

وإلى أساتذتي الأفاضل الذين قدّموا لي كل نقد بناء، وتوجيه صادق هادف.

وإلى كل من أولاني رعايته وسعى في تقديم العون لي من قريب أو بعيد.

نجاح



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم النبي الأمي،
أفصح الثقلين لساناً، وأعذبهم بياناً، وعلى آله وصحبه الأبرار وعلى الأئمة
الاطهار الذين جندوا أوقاتهم وأنفسهم لحماية أي القرآن، فوضّحوا غريبه، وبيّنوا
مشكله، وفتّقوا أكمّام بيانه وعجائبه وبعد:

فإنَّ عِلْمَ البلاغة مِنْ أَجَلِّ العلوم وأشرفها، فبالبلاغة كان تحدّي الثقلين
﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(١).

وهو أرسخ العلوم أصلاً وأبسقها فرعاً، وأحلاها جنى، وأعذبها ورداً،
وأكرمها نتاجاً، وأنورها سراجاً^(٢)؛ لأنه قام على أساس شريف، وهو دراسة
إعجاز القرآن، لذا كان لعلماء العرب جهودهم المشكورة في الارتقاء بهذا العلم
فألّفوا فيه ما ألّفوا من الكتب العظيمة القيمة إلا أنّ أهمّ كتابين وأعظم رافدين في
هذا العلم هما كتابا الشيخ عبد القاهر «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز» فهما
يُمثِلان مَرَحَلَةَ النُّضْجِ النَّقْدِيِّ والبلاغي عند العرب، وكلُّ ما ألّف بعدهما من
مؤلّفات في البلاغة أَسْتَقَى - ولا شك - مِنْ هَذَيْنِ الرَّافِذَيْنِ بطريق مباشر أو غير
مباشر.

ولَمْ تَخْرُجْ البلاغة بعد ذلك عن الصورة التي رسمها الشيخ فكتابُ

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٢) الدلائل - رضا: ٤ - خفاجي - ٥٥ - ٥٦ - شاکر: ٥.

المفتاح وكتاب الإيضاح اللذان اتكأ عليهما المتأخرون لم تختلف أفكار مؤلفيهما كثيراً عن أفكار الشيخ إلا في التقسيم والتبويب والتعريفات وبعض المسائل الجزئية ثم تلا هذين الكتابين كتب حفلة بالأفكار الفلسفية، ومالت نحو الشروح المعقدة، فبعثت بذلك عن خطة الشيخ التي رسمها، إذ أنه كان يهدف إلى الطريقة التحليلية التدوقية في البلاغة، ولو أنهم ساروا على منواله هذا، وانتهجوا نهجاً لارتقت نظرية الشيخ، وطرحت ثمارها وآتت أكلها وبارتقاها يظهر تطور الفكر العربي البلاغي والنقدي وهكذا وجدت في نفسي رغبة دفينية تلح علي أن أقف وجهاً لوجه أمام بلاغة الشيخ وفكره بدلاً من أخذها عن طريق وسيط «المفتاح - والإيضاح».

وقد قيض الله لي إتمام دراستي العليا، فقربت قليلاً من نهج الشيخ إلا أن زادي من هذه الدراسة لم يكن يسعني للقيام برحلتني الشاقة إلى فكر الشيخ المتمعم الأصل فاثرت في مرحلة الماجستير أن أختار موضوعاً من موضوعات البلاغة أسير فيه على خطة الشيخ التحليلية، فيكون لي درساً عملياً، وخطوة أولى تجرؤني على الاطلاع على فكر الشيخ اطلاعاً جدياً من خلال كتابيه فكان موضوعي آنذاك «القصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم» وكانت طريقتي فيه طريقة تحليلية مما دفعني إلى الاطلاع المباشر على طريقة الشيخ التحليلية في كتابيه «الدلائل والأسرار» ومن خلال اطلاعي هذا لمست فيهما اعتماد الشيخ على الشواهد الشعرية اعتماداً كبيراً، أكثر من اعتماده على الشواهد القرآنية، وقلة استشاده بالأحاديث النبوية مما كان له أثر كبير في نفسي، فرأيت، أو هكذا بدا لي أن دراسة هذه الشواهد الشعرية دراسة تحليلية نقدية تعيد بلاغة عبد القاهر أو أكثر آرائه البلاغية في ثوب جديد ربما كان موفقاً رائعاً مع ما تظهره من تأريخ لتطور القول في هذه الشواهد سواء عند العلماء والنقاد الذين سبقوا عبد القاهر، أو عاصروه، أو جاءوا بعده.

وقد تأملت هذه الشواهد، فكان مما وضع عندي:

١ - أن منها شواهد لم يحكم عليها عبد القاهر بجودة ولا براءة فعملي أن أحكم عليها مع بيان سر الحكم.

٢ - ومنها ما حَكَمَ عليه عبدُ القاهرِ بأحدِ هذينِ، ولكنْ لم يُبينْ سرَّ حُكْمِهِ
فَقُلْتُ لَعَلِّي أَصِلُ إِلَى هَذَا السَّرِّ.

٣ - ومنها ما حَكَمَ عليه، وَبَيَّنَ سرَّ الحكمِ، واكتفى بالظواهرِ النحويةِ،
فَرَأَيْتُ أَنَّ هَذِهِ الظَّوَاهِرَ غَيْرُ كَافِيَةٍ وَغَيْرِ مَقْنَعَةٍ، فَرَأَيْتُ أَنَّ أَخْطُو خَطْوَةً إِلَى الْأَمَامِ
فَأَبِينُ الْأَسْرَارَ الْبَلَاغِيَّةَ الَّتِي تَكْمُنُ فِي هَذِهِ الظَّوَاهِرِ.

٤ - ومنها ما حَلَّلَهُ عبدُ القاهرِ، وَحَكَمَ عليه، فَرَأَيْتُ أَنَّ أَنْظَرَ فِي هَذَا
التَّحْلِيلِ وَفِي هَذَا الْحُكْمِ.

٥ - ومنها ما اسْتَحْسَنَهُ الشَّيْخُ، وَرَأَيْتُ أَوْ رَأَى غَيْرِي مِنَ النَّقَادِ أَنَّهُ غَيْرُ
حَسَنِ فَرَأَيْتُ أَنَّ أَتَعَرَّفَ عَلَى مَصْدَرِ الْإِسْتِحْسَانِ عِنْدَ عَبْدِ الْقَاهِرِ، وَأَبِينُ رَأْيِي فِي
الْحُكْمِ عَلَيْهَا بَعْدَ الْحُسْنِ وَفِي كُلِّ ذَلِكَ اسْتَعْنْتُ بِمَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ وَالنَّقَادُ قَبْلَ
عَبْدِ الْقَاهِرِ وَمَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ وَالنَّقَادُ بَعْدَهُ إِنْ كَانَ وَرَدَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الشُّوَاهِدِ فِيمَا
أَلْفَ قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ.

٦ - رَأَيْتُ الشَّيْخَ عَبْدَ الْقَاهِرِ يَمِيلُ كَثِيرًا عَلَى الْأَرِيحِيَّةِ وَالذَّوْقِ، فَرَأَيْتُ أَنَّ
أَفْرَدَ هَذَا الْمَوْضُوعَ بِبَحْثٍ أَبِينُ فِيهِ مَكَانَ الذَّوْقِ فِي الْحُكْمِ عَلَى النُّصُوصِ،
وَتَطَوَّرَ الْبَحْثُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ، وَهَلِ الذَّوْقُ يُعَلَّلُ أَوْ لَا يُعَلَّلُ، وَهَلْ يَكْفِي فِي
الْحُكْمِ عَلَى النَّصِّ الْإِحَالَةُ عَلَى الذَّوْقِ كَمَا يَفْعَلُهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَاهِرِ كَثِيرًا؟

٧ - كَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الشُّوَاهِدِ لَمْ يَنْسِبُهُ الشَّيْخُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ أَبْدَلَ جُهْدِي فِي
نَسْبَتِهِ. وَتَبِعْتُ ذَلِكَ أَنَّ أُتْرَجِمَ فِي الْهُوَامِشِ لِمُعْظَمِ الشُّعْرَاءِ تَرَاجِمٌ مُوجِزَةٌ.

كما تَرَجِمْتُ لكَثِيرٍ مِنَ الْأَعْلَامِ، وَخَاصَّةً مَنْ قِيلَتْ فِيهِ الْقَصِيدَةُ الَّتِي مِنْهَا
الشَّاهِدُ. كَذَلِكَ حَاوَلْتُ ذِكْرَ مَنَاسِبَةِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي مِنْهَا الشَّاهِدُ فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ - لَا
شَكَّ - يَسَاعِدُ عَلَى فَهْمِ الشَّاهِدِ وَتَحْلِيلِهِ.

٨ - كما حَاوَلْتُ إِرجَاعَ هَذِهِ الشُّوَاهِدِ إِلَى مِظَانِهَا، وَتَوْثِيقَ كُلِّ شَاهِدٍ،
فَاسْتَعْنْتُ بِكَثِيرٍ مِنَ الدَّوَاوِينِ الشَّعْرِيَّةِ، وَكُتِبَ الْأَدَبُ وَالْبَلَاغَةُ وَالنَّقْدُ، وَالنَّحْوُ
وَالْعُرُوضُ وَالتَّفْسِيرُ.

٩ - وأحياناً يذكرُ عبدُ القاهرِ بيتاً مفرداً، وربما اكتفى بشرطِ بيتٍ وإدراكُ السرِّ البلاغي فيه يتوقفُ على وصلِ البيتِ، أو الشرطِ بما قبله، أو بما بعده، فرأيتُ أن أصلَ هذه النصوص بما لا بدُّ منه لتحليلها وبيانِ سرِّ بلاغتها.

١٠ - أما بالنسبةِ لبابِ السرقات، وما وردَ فيه من شواهد وموازناتٍ سكتَ الشيخُ عن تحليلِ معظمها، فقد حاولتُ، واجتهدتُ على قدرِ علمي واستطاعتي تحليلَ تلك الشواهدِ والموازنةِ بينها آملَةً أن أكونَ قد أصبتُ فيها بعضَ الإصابتِ، ولا يذهب عن أحدٍ مدى الصعوبةِ والمشقةِ التي يتكبدها المتصدّي لهذا العمل.

وقد واجهتني بالفعل صعوباتٌ شتى:

* أولها: كثرةُ شواهدِ الشيخِ الشعرية، مما استنفذَ مِنِّي وقتاً وجهداً واضطرني إلى إطالةِ البحثِ، فقد وصلَ عددُ الشواهدِ بعد إسقاطِ المكررات: «اثنين وثمانين وثلاثمائة - غير أبيات المدخل وعددها أربعة عشر بيتاً».

وذلك بعد أن جعلتُ كلَّ بيتين أو ثلاثة عَقَدَ بينها الشيخُ الموازنةَ شاهداً واحداً إذ أن عددَ الأبياتِ الشعريةِ الواردةِ في كتابِ الشيخ - بعد إسقاطِ المكررات - يبلغ: «ستين وأربعمائة، هذا مع إضافة أبيات المدخل».

* وثاني هذه الصعوبات هي كيفيةُ تقسيمِ فصولِ البحثِ إذ أنه من المعلوم أن كتابَ الدلائل ينقصُ التقسيمُ والتبويبُ والتنظيمُ كما قال عبد القاهر نفسه: «وليس يتأتى لي أن أعلمك من أول الأمر في ذلك آخره، وأن أسمي لك الفصول التي في نيتي أن أحررها بمشيئة الله عز وجل، حتى تكون على علم بها قبل موردها عليك فاعمل على أن ههنا فصولاً يجيء بعضها في إثر بعض»^(١).

يضاف إلى ذلك أن بعضَ الشواهدِ كان يُكررها الشيخ في فصولٍ عدَّةٍ من البحثِ، ويستشهدُ بها على أكثرِ من مسألةٍ ومما اضطرني إلى السيرِ على خطِّه الشيخ وترتيبه حتى يسهل على قارئ هذا البحث الرجوع لكل شاهد في بابه ومعرفة موضعه دون عناء.

(١) الدلائل شاكر: ٤٢.

* وثالثها: تشعبُ البحثِ وتفرُّعُهُ مما اضطرني إلى الرجوعِ والاطلاعِ على أكثرِ المؤلفاتِ التي سبقت الشيخَ عبدَ القاهر في البلاغة، أو في النقد، أو في الأدب، وعلى أكثرِ المؤلفاتِ التي عاصرته، أو كُتبتَ بعده في هذه الفنون.

* ورابعها: أنَّ مُعظَمَ الكتبِ التي رَجَعْتُ إليها لم تُكُنْ مفهرسةً، مما اضطرني إلى فهرستِ الكثيرِ منها حتى أستطيعَ أن أقبَّ على موضعِ الشاهدِ.

وأنا أدركُ أنَّ هذه الدراسة تحتاجُ إلى جهودٍ كبيرةٍ وإلى التذرع بالصبر، وسعة الصدر، ولكن ثقتي وأملِّي كبيرٌ في فضلِ الله تعالى، وفي عونهِ وتسديده، وهو سبحانه الموفقُ والمستعانُ.

هذا هو منهجي الذي سرتُ عليه، أمَّا عن خُطَّةِ البحثِ فتتكوَّنُ من مقدمة، وتمهيدٍ وبابين، وخاتمةٍ.

وتتضمن المقدمة:

* سرُّ اختياري لهذا الموضوع.

* أهمية البحث.

* ظاهرة كثرةِ استشهادِ الشيخِ بالشعر، وقلةِ استشهادِهِ بالآياتِ القرآنية، وقلةِ استشهادِهِ بالحديثِ النبوي الشريف.

ويتضمن التمهيدُ:

أ - دراسة موجزةً عن الإمامِ عبد القاهر.

ب - دراسة موجزةً عن كتابِ دلائل الإعجاز.

ج - معنى كلمة شاهدٍ في اللغة والاصطلاح.

د - بعض الدراساتِ التي قامتْ حولَ الشواهدِ قديمها وحديثها.

أما الباب الأول وعنوانه: «شواهدُ دلائل الإعجاز» فيتضمن خمسة عشر فصلاً:

الفصل الأول:

أ - أبيات المدخل.

ب - شواهدُ تحقيقِ القولِ في البلاغةِ والفصاحةِ.

الفصل الثاني:

أ - شواهدُ الكنايةِ والاستعارةِ والتمثيلِ.

ب - القولُ في نظمِ الكلامِ ومكانِ النحوِ منه.

الفصل الثالث: شواهدُ النظمِ.

الفصلُ الرابعُ: شواهدُ التقديمِ والتأخيرِ.

الفصلُ الخامسُ: شواهدُ القولِ في الحذفِ.

الفصلُ السادسُ: شواهدُ الفروقِ في الخبرِ.

الفصلُ السابعُ: شواهدُ الفروقِ في الحالِ.

الفصلُ الثامنُ: شواهدُ الفصلِ والوصلِ.

الفصلُ التاسعُ: شواهدُ بابِ اللفظِ والنَّظمِ.

أ - شواهدُ أمورٍ شتى في أمرِ اللفظِ والنَّظمِ.

ب - شواهدُ الكنايةِ والاستعارةِ والتمثيلِ.

ج - شواهدُ إنَّ ومواقعِها.

د - شواهدُ كاذَ.

هـ - شواهدُ كُلِّ.

و - شواهدُ المجازِ الحُكميِّ.

ز - شواهدُ الكنايةِ.

ح - عودُ إلى شواهدِ إنَّ ومواقعِها.

الفصلُ العاشرُ: شواهدُ القصْرِ والاختصاصِ.

أ - إنَّما ومواقعِها.

ب - ما وإلاَّ.

ج - عودٌ إلى مباحثٍ إنَّمَا.

الفصلُ الحادي عشر:

أ - فصلٌ في بابِ اللفظِ والنظمِ.

ب - شواهدُ تحريرِ القولِ في الإعجازِ والفصاحةِ والبلاغةِ.

الفصلُ الثاني عشر: شواهدُ الأخذِ والسُرقةِ.

أ - الموازنةُ بينَ المعنى المتحدِّ واللفظِ المتعددِ.

ب - الموازنةُ بينَ الشعرينِ والإجادةُ فيهما من الجانبينِ.

ج - وصفُ الشعرِ والإدلالُ به.

الفصلُ الثالث عشر:

أ - عودٌ إلى الاحتجاجِ على بطلانِ مذهبِ اللفظِ.

ب - شواهدُ الخبرِ وما يتحققُ به الإسنادُ.

الفصلُ الرابع عشر: شواهدُ إدراكِ البلاغةِ بالذوقِ وإحساسِ النفسِ.

الفصلُ الخامس عشر: فصولٌ ملحقةٌ بالكتابِ.

البابُ الثاني: «قضايا بلاغية ونقدية في الكتاب».

ويتضمن ثلاثة فصول:

الفصلُ الأول: قضيةُ الإعجازِ وصلَةُ هذهِ الشواهدِ بِهَا.

الفصلُ الثاني: قضيةُ النقدِ الأدبيِ وأثرُ عبدِ القاهرِ فيها.

الفصلُ الثالث: قضيةُ الذوقِ.

وأخيراً الخاتمة وتتضمن النتائج والتوصيات التي خرجتُ بها من البحثِ.

وقد ذيلتُ البحثَ بفهارس عديدة:

فهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث، وفهرس الأبيات الشواهد،

وفهرس الأشعار غير الشواهد، وفهرس الشعراء، وفهرس الأعلام، وفهرس المصطلحات البلاغية، وفهرس الأمثال، وفهرس اللغة، وفهرس الأماكن والبقاع، وفهرس القبائل والدول، وفهرس الأديان والملل، وفهرس الحيوانات، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وذلك إيماناً مِنِّي بأهمية هذه الفهارس ودورها الفعّال في مساعدة الباحث على كشف كثير من المسائل مما يضيء طريق البحث أمامه.

هذا خلاصة جهدي المتواضع أضعه بين أيدي أساتذتي الأفاضل طامعة منهم في كل توجيه صادق، ونقد بناء، فإن كنت فيه على شيء من التوفيق، فهذا بفضل الله وتوفيقه الذي ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١) وإن كنت قد قصرت فالتقصير من طبيعة البشر.

وفي الختام أقدم جزيل شكري ووافر امتناني لكل من مدّ لي يد العون من قريب، أو بعيد، وأخص بالشكر استاذي المشرف الدكتور «علي محمد حسن العماري» الذي تلمذت على يده ما يقرب من تسع سنوات وإني لحظية فخورة بهذه التلمذة التي جعلتني أنهل من بحر معرفته الواسع، وفيض علمه الأصيل ممّا كان له أثر كبير في تسديدي وتقويمي وإصلاح ما أعوج من فكري.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء اللجنة الأجلاء الذين نظروا في بحثي هذا بعين التقويم والتسديد.

ولا يفوتني أن أشكر جامعة أم القرى التي ربتني ثقافياً وعلمياً وهبّت لي، ولطلاب العلم سبيل التحصيل والمعرفة.

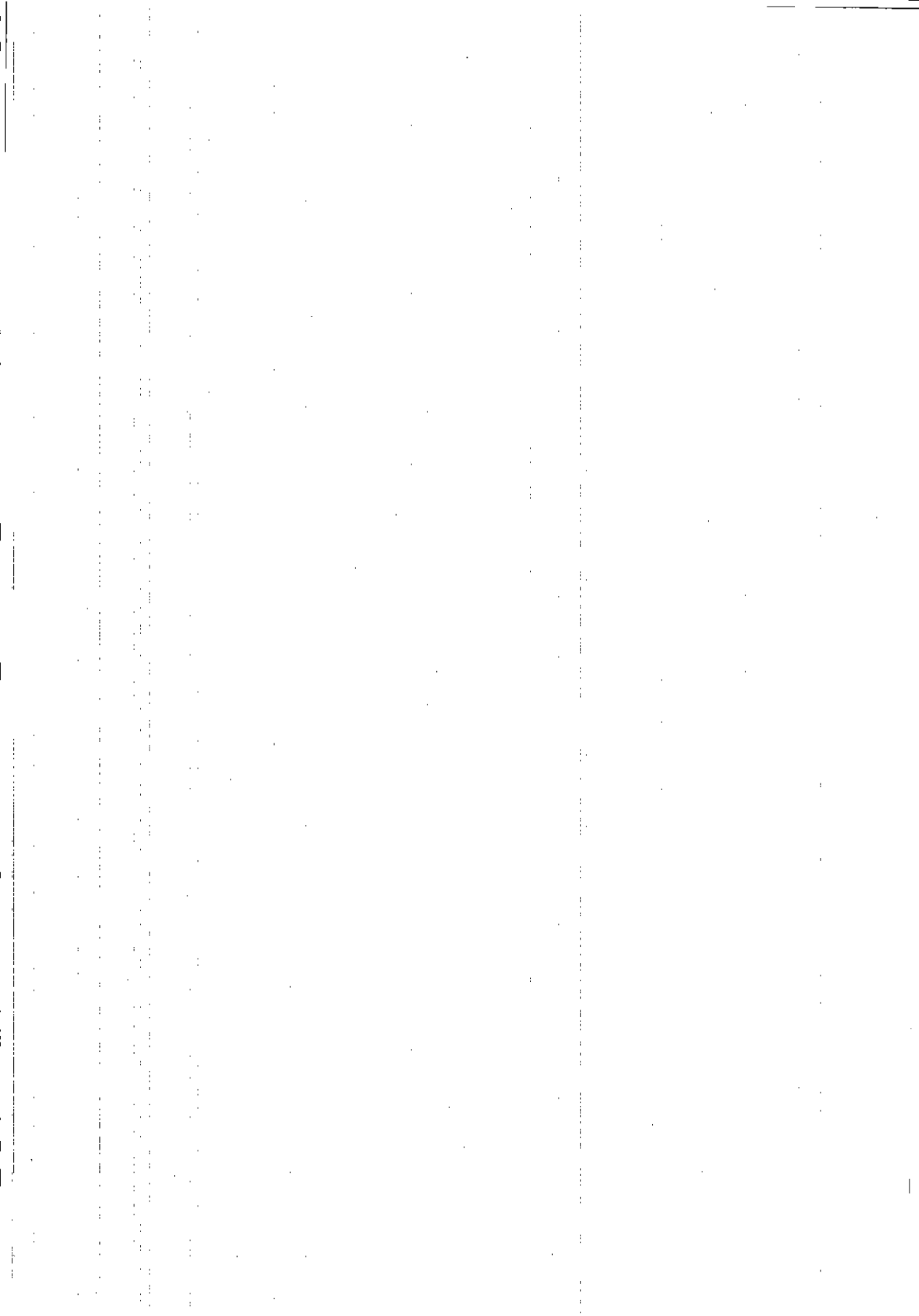
وفقني الله وإياكم لما فيه الخير والمنفعة

* * *

(١) سورة العلق: الآية ٥.

التمهيد

- أ — دراسة موجزة عن الإمام عبد القاهر.
- ب — دراسة موجزة عن كتاب دلائل الإعجاز.
- ج — معنى كلمة شاهد في اللغة والأدب.
- د — بعض الدراسات التي قامت حول الشواهد قديمها وحديثها.



أ - دراسة موجزة عن الإمام عبد القاهر

إنَّ علم البلاغة من أهم العلوم وأجلّها، فهو علم نهض من أجل خدمة القرآن؛ وذلك عن طريق دراسة إعجازه، وهذا بلا شك من أشرف الدراسات وأعظمها قدراً، وأرفعها منزلة.

قال الشيخ عبد القاهر منوهاً بفضل هذا العلم:

«ثم إنَّكَ لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً، وأسبق فرعاً، وأحلى جنىً، وأعذب وزداً، وأكرم إنتاجاً، وأنور سراجاً من علم البيان الذي لولاه لم تر لساناً يحوِّك الوشي، ويصوغ الحلي، ويلفظ الدرر، وينفث السحر، ويقرئ^(١) الشهد، ويريك بدائع من الزهر، وتجنيك الحلو اليناع من الثمر، والذي لولا تحقيقه بالعلوم، وعنايته بها، وتصويره إيّاها، لبقيت كامنّة، مستورة، ولما استبنت لها يد الدهر صورة، ولا استمر السرار بأهلتها، وأستولى الخفاء على جمليتها إلى فوائد لا يدركها الإحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء»^(٢).

ومن هذا المنطلق كان لا بد من إلقاء الضوء على أهم شخصية حملت مشعل الدراسات البلاغية، فأنارت دروبها، ومهدت طرقها، وذللت صعابها.

وسأتحدث في هذه العجالة عن نسبة الشيخ عبد القاهر، ومكان وزمن نشأته، ثم أتحدث عن أبرز ما يميز حياته وهي الناحية العلمية، ثم أضعه في ميزان القدماء، ومعاصريه، والمحدثين، لتبرز مكانته، وتثبت في العلم ريادته،

(١) أي يجمع الشهد.

(٢) الدلائل رضا: ٤ - ٥، خفاجي: ٥٥ - ٥٦، شاكر: ٥ - ٦.

لعلي أكون بهذه الدراسة الموجزة قد أضأت بعض الجوانب المهمة في شخصية الشيخ.

الإمام عبد القاهر الجرجاني^(١):

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، وقيل سنة أربع وسبعين وأربعمائة من الهجرة^(٢).

لم يذكر المؤرخون سنة مولده، ولم يتحدثوا عن عمره، كما لم يتحدثوا عن أسرته، وعن حياته الاجتماعية، وهذا يدل على أن حياة الشيخ كانت هادئة لم تطرقها أحداث مهمة تلفت انتباه المؤرخين، ولعل أبرز ما في حياته شغفه بالعلم والتحصيل.

وكل ما يمكن أن يقال عنه: أنه نحوي مشهور متكلم على مذهب الأشعري، فقيه على مذهب الشافعي، كان شيخاً ورعاً تقياً، يُروى أن لصاً دخل عليه وهو في الصلاة فأخذ جميع ما في البيت، وهو ينظر إليه ولم يقطع صلاته^(٣).

(١) انظر ترجمته في:

دمية القصر للباخري: ١٢/٢ - ١٥، نزهة الألباء للأنباري: ٣٦٣، إنباه الرواة للقفطي: ١٨٨/٢ - ١٨٩، العبر في خبر من غبر للذهبي: ٣/٣٣٠، فوات الوفيات للكتبي: ٣٦٩/٢، مرآة الجنان لليافعي: ١٠١/٣، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٢٤٢/٣، طبقات الشافعية للأسنوي: ٤٩١/٢ - ٤٩٢، طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة: ٢٧١/١ - ٢٧٢، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: ١٠٨/٥، بغية الوعاة للسيوطي: ١٠٦/٢، طبقات المفسرين للداودي: ٣٣٦/١، روضات الجنات للموسوي: ٩٠/٥، مفتاح السعادة لطاش كبري زاده: ١٥٧/١، كشف الظنون لحاجي خليفة: ٨٣/١ - ١٢٠، ٢١٢، ٦٠٢، ٦٠٣، ١١٦٩/٢، ١١٧٩. شذرات الذهب لابن المعاد: ٣/٣٤٠، ٣٤١، هدية العارفين للبغدادلي: ٦٠٦/١ (م من كشف الظنون)، الأعلام للزركلي: ٤٨/٤، معجم المؤلفين: ٣١٠/٥.

(٢) انظر هذا الاختلاف في:

العبر في خبر من غبر: ٢/٣٣٠، طبقات الشافعية للسبكي: ٢٤٢/٣.

(٣) انظر: طبقات الشافعية للسبكي: ٢٤٢/٣، طبقات الشافعية للأسنوي: ٤٩١/٢ - ٤٩٢،

شذرات الذهب: ٣/٣٤٠.

ونستطيع أن نضيف دليلاً آخر على ورعه وتقواه، وعمق إيمانه، وحسن توكله على مولاه. من مقدمة كتابه الدلائل حيث قال:

«الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين، نحمده على عظيم نعمائه، وجميل بلائه، ونستكفيه نوائب الزمان، ونوازل الحداث، ونرغب إليه في التوفيق والعصمة، ونبرأ إليه من الحول والقوة، ونسأله يقيناً يملأ الصدر، ويعمر القلب، ويستولي على النفس حتى يكفها إذا نزعته ويردها إذا تطلعت، وثقة بأنه عز وجل الوزر، والكاليء والراعي، والحافظ، وأن الخير والشر بيده، وأن النعم كلها من عنده، وأن لا سلطان لأحد مع سلطان، نوجه رغباتنا إليه، ونخلص نياتنا في التوكل عليه»^(١).

ولد الشيخ في مدينة جرجان، وهي مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان^(٢)، وعاش في عصر الدولة الزيارية وهي إحدى الدول التي انفصلت عن الدولة العباسية، وانتهى حكمها سنة ٤٣٣ هـ في عهد «أنوشروان بن منوچهر بن قابوس بن وشمكير» وانتقل الحكم إلى يد «طغرل بك»^(٣) فأصبحت في يد السلاجقة، وتوفي الشيخ وهي ما تزال في أيديهم.

وفي ظل هذه الدول عاش الشيخ عبد القاهر بعيداً عن الاضطرابات السياسية قاصراً نفسه على الدرس والتحصيل، فأخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن الحسين الفارسي^(٤) الذي كان من كبار أئمة العربية، ولم يأخذ

(١) الدلائل رضا: ٢، خفاجي: ٥٣، شاکر: ٣.

(٢) معجم البلدان: ١١٩/٢.

(٣) الكامل في التاريخ: ٣٠/٨، وانظر محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: «الدولة العباسية»: ٤١٦، ٣٩٤.

(٤) هو أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث الفارسي النحوي، وهو ابن أخت النحوي المشهور «أبو علي الفارسي» أخذ عن خاله علم العربية، وطوف الأفاق، وكان خاله قد أوفده على صاحب بن عباد بالري، فارتضاه وأكرم مشواه، ووُزر للأمير غرسيستان ثم اختص بالأمير إسماعيل بن سبكتكن بغزنه ووُزر له إلى أن استوطن جرجان، وقرأ عليه أهلها، ومنهم عبد القاهر الجرجاني، وتوفي محمد بن الحسين سنة ٤٢١ هـ. =

عن غيره مجالسة؛ لأنه لم يخرج عن بلده إلا أن ياقوت الحموي يرى أنه درس على يد القاضي الجرجاني^(١) وجالسه، قال:

«وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه، واغتترف من بحره، وكان إذا ذكره في كتبه تبخّخ به، وشَمَخَ بَأَنفِهِ بالانتماء إليه»^(٢).

وقد شك الدكتور أحمد بدوي فيما رواه ياقوت الحموي وحجته في ذلك أن القاضي الجرجاني توفي سنة (٣٩٢ هـ) فمتى يكون عبد القاهر قد أخذ عنه؟

وهذا يتطلب أن يكون الشيخ عبد القاهر قد ولد قبل وفاة القاضي الجرجاني بخمس عشرة سنة على الأقل، وبذلك يكون الشيخ قد بلغ من العمر ما يقرب التسعين، والدكتور أحمد بدوي يشك أن يكون الشيخ عبد القاهر قد توفي في هذه السن.

ويبدو لي أن الاعتماد على تاريخ وفاة القاضي الذي ذكره الدكتور أحمد بدوي ليس بالحجة القوية؛ لأنه من المحتمل أن يكون الشيخ قد توفي في هذه السن، ولكن قد تقوى الحجة لو أنه أخذ بأرجح الأقوال في أن وفاة القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني كانت سنة (٣٦٦ هـ)^(٣).

انظر ترجمته:

نزهة الألباء: ٣٤٣ - ٣٦٣، معجم الأدباء: ١٨/١٨٦ - ١٨٨، بغية الوعاة: ٩٤/١، مفتاح السعادة: ١٥٦/١، ١٥٧.

(١) هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني قاضي الرّي في أيام صاحب بن عباد، وكان أديباً أريباً كاملاً - له رسائل مدونة وأشعار مفتنة، وكان جيد الخط مليحاً يُشَبَّه بخط ابن مُقَلَّة. توفي سنة ٣٦٦ هـ، وقبل ٣٩٢ هـ. انظر ترجمته:

معجم الأدباء: ١٤/١٤ - ٣٥.

(٢) معجم الأدباء: ١٦/١٤.

(٣) هذا ما رجحه ابن خلكان في وفيات الأعيان قال: «وذكر الحاكم أبو عبد الله بن البَيْع في «تاريخ النيسابوريين» أنه توفي في سلخ صفر سنة ست وستين وثلاثمائة بنيسابور وعمره ست وسبعون سنة، رحمه الله تعالى، وقال غيره: إنه كان حسن السيرة في قضائه صدوقاً، وَرَدَّ =

ونقل الدكتور أحمد مطلوب في كتابه: «عبد القاهر الجرجاني» نصاً عن الخوانساري صاحب «روضات الجنات» فهم منه أن الشيخ عبد القاهر قد تلمذ في النحو وغيره على يد ابن جني، والصاحب بن عباد، ورد قول الخوانساري محتجاً بأن ابن جني توفي سنة (٣٩٢ هـ)، والصاحب بن عباد توفي سنة (٣٨٥ هـ).

قال:

«وذكر الخوانساري أن عبد القاهر درس النحو على شيخين آخرين في قراءة النحو» ثم قال بعد أن نقل عن بغية الوعاة أنه أخذ عن ابن أخت أبي علي الفارسي:

«وهو غريب؛ لأن هذا الأحقر مع قلة بضاعته في هذه الصناعة قد اطلع على شيخين آخرين له في قراءة النحو وغيره: أحدهما ابن جني المشهور، والثاني الصاحب بن عباد الوزير^(١). وهذا غير صحيح؛ لأن ابن جني توفي سنة (٣٩٢ هـ) ومات الصاحب بن عباد سنة (٣٨٥ هـ) وقد تكون دراسة عبد القاهر لكتبهما لا عليهما^(٢).

ويظهر لي أن الخوانساري يقصد بالأحقر وقليل البضاعة والذي قرأ على ابن جني والصاحب بن عباد هو محمد بن الحسين الفارسي ابن أخت أبي علي الفارسي وأستاذ الشيخ عبد القاهر، وليس المقصود أن الشيخ عبد القاهر هو الذي قرأ على ابن جني والصاحب بن عباد كما فهم الدكتور مطلوب.

والذي يرجح ما ذهبت إليه ما ذكر في ترجمة ابن أخت أبي علي الفارسي

به أخوه محمد نيسابور في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وهو صغير غير بالغ وسمعا من سائر الشيوخ، ومات بالري، وهو قاضي القضاة في سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وحمل تابوته إلى جرجان، ودفن بها، ونُقِلَ الحاكم أثبت وأصح.

انظر: وفيات الأعيان: ٢٨١/٣.

(١) روضات الجنات: ٩٠/٥.

(٢) عبد القاهر الجرجاني: ١٥.

من أن خاله أوفده على الصاحب بن عباد وهو في الري فأكرمه وأحسن وفادته .
فالثابت إذاً أنه أخذ عن ابن أخت أبي علي الفارسي مدرسةً، ثم اعتمد
بعد ذلك على شغفه وحبه للاطلاع، فدرس كتب من سبقوه ووعاها، وتأثر بها
ونقل عنها. مثل سيويه، والجاحظ، والمبرد، وابن جني، والآمدي، والفاضي
الجرجاني .

وكان لإقامة الشيخ بجرجان، وعدم خروجه منها، وعكوفه على كتب العلم
أن ذاع ذكره وارتفع قدره فشدَّت إليه الرحال من كل مكان. قال القفطي:
«وقرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء، وتصدر بجرجان، وحُثَّت إليه
الرَّحَال وصنَّف التصانيف الجليلة»^(١).

فكان من أشهر تلاميذه: علي بن أبي زيد الفصيح^(٢)، وأحمد بن عبد الله
المهابادي الضرير صاحب شرح كتاب اللمع لابن جني^(٣).

ومن تلاميذه أيضاً: أبو نصر أحمد بن إبراهيم بن محمد الشجري^(٤).
وأكثر مصنفات الشيخ كانت في علم النحو فله:

١ - كتاب المغني:

وهو عبارة عن شرح لكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، ويقع في نحو
ثلاثين مجلداً^(٥).

(١) إنباء الرواة: ١٨٨/٢ .

(٢) شذرات الذهب: ٣٤٠/٣ .

(٣) معجم الأدباء: ٢١٩/٣، بغية الوعاة: ٣٢٠، روضات الجنات: ٩٠/٥، الأعلام: ١٥٨/١ .

(٤) إنباء الرواة: ١٩٠/٢ .

(٥) نزهة الألباء: ٣٦٣، العير في خبر من غير: ٣٣٠/٢، فوات الوفيات ٣٦٩/٢، طبقات
الشافعية للسبكي: ٢٤٢/٣، بغية الوعاة: ١٠٦/٢، مرآة الجنان: ١٠١/٣، مفتاح
السعادة: ١٥٧/١، طبقات المفسرين للداودي: ٣٣٦/١، روضات الجنات: ٩٠/٥ =

٢ - كتاب المقتصد:

وهو ملخص لكتابه المغني، ويقع في ثلاثة مجلدات^(١)، وذكر الحاجي خليفة أنه مجلد واحد^(٢). وقد عاب القفطي هذا المؤلف فقال: «وهو مقتصد من مثله على ما سُمّاه، لم يأت في «الإيضاح» بشيء له مقدار»^(٣).

٣ - كتاب التكملة:

وهو كالاستدراك لبعض المسائل التي لم يذكرها صاحب الإيضاح. وهذا المؤلف لم ينسب إليه إلا الوزير القفطي. وأطلق عليه الزركلي اسم «التتمة»^(٤).

٤ - كتاب الإيجاز:

وهو مختصر الإيضاح^(٥).

٥ - العوامل المائة:

وهو كتاب مختصر، مشهور متداول كما قال عنه صاحب كشف الظنون؛ ولشهرته هذه حظي بعناية الشارحين، شرحه حاجي بابا الطوسي والمولى أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبري زاده، ونظمه بالتركية محمد بن أحمد

= كشف الظنون: ٢١٢/١، شذرات الذهب: ٣٤٠/٣، هدية العارفين: ٦٠٦/١، معجم المؤلفين: ٣١٠/٥.

(١) إنباه الرواة: ١٨٨/٢، فوات الوفيات: ٣٦٩/٢، طبقات الشافعية للسبكي: ٢٤٢/٣، بغية الوعاة: ١٠٦/٢، نزهة الألباء: ٣٦٣، طبقات المفسرين: ٣٣٦/١، معجم المؤلفين: ٣١٠/٥.

(٢) كشف الظنون: ٢١٢/١.

(٣) إنباه الرواة: ١٨٨/٢.

(٤) الأعلام: ٤٩/٤.

(٥) كشف الظنون: ٢١٢/١، هدية العارفين: ٦٠٩/١.

الداعي المعروف بصوفي زاده الأدرنوي، المتوفى سنة ١٠٢٤ هـ وترجمه أيضاً
كمال الدين المدرس^(١).

٦ - الجمل:

وهو عبارة عن شرح لكتابه العوامل، ويسمى الجرجانية^(٢).

وقد طبع عدة طبعات، وشرح عدة شروح منها:

«المرتجل» لمحمد بن عبد الله الخشاب (٥٦٧ هـ)، وشرح السيد
البطليوسي (٥٢١ هـ) وشرح أبي عبد الله البلنسي (٥٨٦ هـ)، وشرح أبي الحسن
الحضرمي النحوي (٦٠٩ هـ)، وشرح أحمد الشريشي (٦١٦ هـ) وشرح محمد
علي الغرناطي (٧١٥ هـ)^(٣).

٧ - التلخيص: وهو شرح لكتابه الجمل^(٤).

وله في علم الصرف:

٨ - كتاب العمدة في التصريف^(٥).

٩ - وله كتاب في العروض^(٦).

«وهو قصيدة تتضمن قواعد الأوزان الشعرية وقد طبعت في ذيل كتاب
الإقناع في العروض، وتخريج القوافي» للصاحب بن عباد سنة ١٣٧٩ هـ في
بغداد بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين^(٧).

(١) كشف الظنون: ١١٧٩/٢، وهناك شروح كثيرة انظرها في كشف الظنون، نزهة الألباء:

٣٦٣.

(٢) إنباه الرواة: ١٨٩/٢.

(٣) كشف الظنون: ٦٠٢/١ - ٦٠٣.

(٤) نزهة الألباء: ٣٦٣، فوات الوفيات: ٣٦٩/٢.

(٥) بغية الرواة: ١٠٦/٢، شذرات الذهب: ٣٤٠/٣، معجم المؤلفين: ٣١٠/٥.

(٦) فوات الوفيات: ٣٦٩/٢.

(٧) عبد القاهر الجرجاني، أحمد مطلوب: ٤٥.

أما في الدراسات القرآنية فله:

١٠ - كتاب «شرح الفاتحة» ويقع في مجلد واحد^(١).

١١ - درج الدرر في تفسير الآي والسور^(٢).

١٢ - المعتضد:

وهو شرح لكتاب إعجاز القرآن للواسطي أطلق عليه السيوطي^(٣) اسم إعجاز القرآن الكبير^(٤).

١٣ - كتاب إعجاز القرآن الصغير: وهو شرح لكتاب الواسطي^(٥).

وهما كتابان مفقودان لم يعثر عليهما بعد.

١٤ - الرسالة الشافية:

وهي رسالة في إعجاز القرآن مطبوعة ضمن كتاب «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن» وأطلق عليه ابن شاکر الكتبي اسم «إعجاز القرآن»^(٦).

وله في البلاغة:

١٥ - دلائل الإعجاز.

١٦ - أسرار البلاغة.

(١) فوات الوفيات: ٣٦٩/٢، طبقات الشافعية للسبكي: ٢٤٢/٣، شذرات الذهب: ٣٤٠/٣،

معجم المؤلفين: ٣١٠/٥.

(٢) هدية العارفين: ٦٠٦/١.

(٣) هو محمد بن يزيد الواسطي عالم متكلم من علماء المعتزلة عاش في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة، وتوفي سنة ٣٠٦ هـ، وقبل (٣٠٧ هـ) اشتهر بكتابي: الإمالة، وإعجاز القرآن، انظر ترجمته:

الفهرست لابن النديم: ٢٤٥، شذرات الذهب: ٢٩٩/٢، كشف الظنون: ١٢٠/١.

(٤) بغية الوعاة: ١٠٦/٢.

(٥) نزهة الألباء: ٣٦٣، طبقات الشافعية للسبكي: ٢٤٢/٣، بغية الوعاة: ١٠٦/٢.

(٦) فوات الوفيات: ٣٦٩/٢.

وهما من أعظم مصنفاته وأكبرها فائدة قال عنها طاش كبري زاده: «من جملة مصنفاته دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة في علمي المعاني والبيان، وهما الآية الكبرى واليد البيضاء في العلمين المذكورين، وإليهما ينتهي علم من تأخر في ذينك العلمين»^(١).

وله كتب متفرقة في الأدب:

١٧ - المختار من دواوين المتنبي والبحري وأبي تمام.

وقد اعتنى بنسخه وتصحيحه، والتعليق عليه الأستاذ «عبد العزيز الميمني» ونشره ضمن كتاب الطرائف الأدبية^(٢).

ورأى أنه سار فيه على مذهب أستاذه القاضي الجرجاني؛ وذلك في تقديم البحري على أبي تمام^(٣).

١٨ - وذكر البديعي في الصبح المنبي أن لعبد القاهر كتاباً في شرح ديوان المتنبي^(٤).

١٩ - مختار الاختيار: في فوائد معيار النظار في المعاني والبيان والبديع والقوافي. والذي نبه لهذا الكتاب إسماعيل باشا البغدادي^(٥).

٢٠ - التذكرة:

وأشار إليه القفطي حيث قال:

«وله مسائل مشورة أثبتها في مجلد، هو «التذكرة» له لم يستوف القول حق الاستيفاء في المسائل التي سطرها»^(٦).

(١) مفتاح السعادة: ١٥٧/١ - ١٥٨.

(٢) الطرائف الأدبية: ٢٠١.

(٣) المرجع السابق: ٢٠٠.

(٤) الصبح المنبي عن حيشة المتنبي: ٣٦٨.

(٥) هدية العارفين: ٦٠٦/١.

(٦) إنباه الرواة: ١٨٩/٢.

٢١ - المفتاح:

ولم يذكر المترجمون غير اسمه^(١).

هذا هو تراثه العلمي المتين الذي ورثه للعلماء من بعده، وهو بحق تراث زاخر بالفوائد الجمة.

أما عن أدب الشيخ وكتاباتهِ الشعرية، فهي لا تعد شيئاً بجانب ذلك التراث الضخم. إنما هي محاولات قام بها الشيخ للتعبير عن بعض ما يعتور في نفسه من إحساس بالتشاؤم والضييق، وهي محاولات ينقصها الخيال الفني البارِع.

ومن هذه الأبيات:

هَذَا زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ (م) سِوَى النَّذَالَةِ وَالْجَهَالَةِ
لَمْ يَرْقَ فِيهِ صَاعِدٌ إِلَّا وَسُلْمُهُ النَّذَالَةُ^(٢)

وهذان البيتان يُظهران فلسفة الشيخ في الحياة، وهي فلسفة متشائمة تدل على ضيق الشيخ، وتبرمه من ذلك الزمن المليء بالنذالة والجهالة، وعدم تقدير العلم والعلماء والحفاوة بهما، وتدل أيضاً على عفة نفسه وسموها، وترفعها عن الوصول إلى العُلا بغير طريق الشرف.

ومن هذه الأبيات أيضاً:

كَبُرَ عَلَى الْعِلْمِ يَا خَلِيلِي وَمِلُّ إِلَى الْجَهْلِ مَيْلَ هَائِمٍ
وَعِشْ جَمَاراً تَعِيشُ سَعِيداً فَالْسَّعْدُ فِي طَالِعِ الْبَهَائِمِ^(٣)

وأنا أشك في نسبة هذين البيتين للشيخ؛ وذلك لأن شخصيته الورعة، وشخصيته العلمية الجادة تأبى عليه التلفظ بمثل هذه الألفاظ، فهو لم يدرس

(١) فوات الوفيات: ٣٦٩/٢، طبقات الشافعية للسبكي: ٢٤٢/٣، شذرات الذهب: ٣٤٠/٣.

(٢) دمية القصر: ١٣.

(٣) فوات الوفيات: ٦١٣/١، طبقات الشافعية للسبكي: ١٥٠/٥، مفتاح السعادة: ١٥٨/١.

العلم للكسب المادي حتى يضيق كل هذا الضيق، وهو رجل علم وتعلم سقّه من أمر الجهل في أول كتابه لذا يبعد أن تكون هذه أبياته، أو لعله قالهما في أيام الشباب.

وهكذا نرى أن للشيخ عبد القاهر مكانة علمية لا يمكن الغرض منها ومن أحسن شهادة من معاصره الباخريزي الذي أثنى عليه الشناء الحسن فقال عنه:

«اتفقت على إمامته الألسنة وتجملت بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة، وأثنى عليه طيب العناصر، وثبتت به عقود العناصر، فهو فردٌ في علمه الغزير، لا بل هو العلم الفرد في الأئمة المشاهير، وقد أفادني الشيخ أبو عامر مما ألقاه بحر الفضل على لسانه، ما نطق لسان الدهر باستحسانه، ولست فيما فاتني من كريم مُشاهدته واشتبار لذيد الشهد من مذاكرته، أيام أسعدتني الأيام منه بدنو الدار، ولف أطناب الخيمتين قُربُ الجوار إلا كمن ودّع الماء والخضرة وتدرع الشعثة والغبرة، وواصل الغربة وفارق الوطن...»^(١).

كما أشاد السكاكي في كتابه المفتاح بفضل عبد القاهر، فقال عند حديثه عن الاستعارة:

«... ومدار ترديد الإمام عبد القاهر قدّس الله روحه لهذا النوع بين اللغوي تارة، وبين العقلي أخرى على هذين الوجهين جزاء الله أفضل الجزاء، فهو الذي لا يزال ينور القلوب في مستودعات لطائف نظره لا يألو تعليمًا وإرشاداً»^(٢).

كما أشاد بفضل عبد القاهر عن الذوق فقال:

«وها هو الإمام عبد القاهر قدّس الله روحه في دلائل الإعجاز كم يعيد هذا»^(٣).

واعتبره صاحب الطراز واضح علم البلاغة، ومؤسسها الأول قال في فاتحة كتابه:

(١) دمية القصر: ١٢/٢.

(٢) المفتاح: ١٥٧.

(٣) المفتاح: ٧٤.

«وأول من أسس من هذا العلم قواعده، وأوضح براهينه، وأظهر فوائده، ورَتَّبَ أفانيه، الشيخ العالم النحرير عَلمَ المحققين عبد القاهر الجرجاني، فلقد فكَّ قيد الغرائب بالتقييد. وهُدًى من سُور المشكلات بالتسوير المشيد. وفتح أزهاره من أكامها. وفَتَّقَ أزراره بعد استغلافاها، واستبهاها، فجزاهُ الله عن الإسلام أفضل الجزاء. وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والجزاء. وله من المصنفات فيه كتابان، أحدهما لَقَبُهُ «بدلائل الإعجاز» والآخر لَقَبُهُ «بأسرار البلاغة»^(١).

ولقد تطرق الدارسون قديماً^(٢)، وحديثاً لهذه الشخصية الكبيرة الفذة، إلا أنَّ أهم ما يميز الدراستين أنَّ القدماء أبرزوها شخصية نحوية، ولم يشر معظمهم إلى مكانتها البلاغية، وكانت دراستهم موجزة متشابهة. ومما يستغرب له إغفال ياقوت الحموي للشيخ في كتابه معجم البلدان، فهو لم يذكره حين ذكر جرجان، وكذلك أغفله في كتابه معجم الأدباء، فلم يتطرق إلى ترجمته إنما أشار إلى اسمه عند ترجمة أحمد بن عبد الله الضرير تلميذ عبد القاهر^(٣).

كذلك أهمله ابن خلدون فلم يذكره في مقدمته الشهيرة، وكذلك لم يترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان.

أما الدراسات الحديثة فأبرزت شخصية الشيخ شخصية بلاغية نقدية فذة وامتازت دراستهم بالتفصيل والتعمق، وهذا يدل على أنَّ لهذه الشخصية قدماً راسخة في كلا المجالين النحوي والبلاغي. فمن الدراسات الحديثة التي أفردت الشيخ بالدراسة:

١ - عبد القاهر والبلاغة العربية للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، وهو من القطع الصغير ويقع في اثنتين وأربعين ومائة صفحة.

(١) الطراز: ٤/١.

(٢) لقد ذكرت الكتب التي ترجمت له قديماً في هامش الصفحة الأولى من ترجمة الشيخ. انظر ص: ٢٠.

(٣) معجم الأدباء: ٢١٩/٣.

- ٢ - عبد القاهر الجرجاني للدكتور أحمد أحمد بدوي «ضمن سلسلة أعلام العرب» وهو من الحجم الصغير، ويقع في تسع وعشرين وأربعمائة صفحة.
 - ٣ - عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده للدكتور أحمد مطلوب وهو من الحجم المتوسط، ويقع في سبع وأربعين وثلاثمائة صفحة.
 - ٤ - تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني للدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة، وهو من القطع المتوسط، ويقع في أربع وستين وستمائة صفحة.
 - ٥ - النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني «دراسة مقارنة» للدكتور أحمد عبد السيد الصاوي، وهو من القطع المتوسط ويقع في ست عشرة وأربعمائة صفحة.
 - ٦ - التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر للدكتور عبد الفتاح لاشين وهو من القطع المتوسط ويقع في إحدى وستين ومائتي صفحة.
 - ٧ - مفهوم الجمال عند عبد القاهر الجرجاني للدكتور أحمد عبد السيد الصاوي وهو من القطع المتوسط، ويقع في ثلاث وتسعين صفحة.
 - ٨ - نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني للدكتور وليد محمد مراد.
 - ٩ - نظرية العلاقات بين عبد القاهر والنقد الغربي للأستاذ محمد نايل.
 - ١٠ - نظرية عبد القاهر في النظم للدكتور درويش الجندي.
 - ١١ - النظم في دلائل الإعجاز للدكتور مصطفى ناصف وهو ضمن حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس يناير سنة ١٩٥٥ م.
 - ١٢ - المقاييس الجمالية عند عبد القاهر الجرجاني وهو رسالة ماجستير لسيد حجاب، وهو في جامعة الأزهر كلية اللغة العربية.
- أما عن الكتب التي أفردت له بعض الفصول فهي كثيرة نذكر منها:

١٣ - قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث للدكتور محمد زكي العشماوي ذكره تحت عنوان: «نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني» من ص: (٣٧٢ - ٣٠٢) ثم ذكره عند حديثه عن منهج الأمدي في الموازنة بعنوان: «عبد القاهر والسرقة الشعرية».

١٤ - أثر النحاة في البحث البلاغي للدكتور عبد القادر حسين. وقد أفرد له الباب الرابع من الكتاب، تحت عنوان: «البلاغة في القرن الخامس الهجري» وذلك من ص: (٤٠٩ - ٣٥٨). هذا عدا كثير من الإشارات المتكررة في كل موضع من الكتاب تقريباً.

١٥ - من الوجهة النفسية للدكتور محمد خلف الله أحمد. تحدث عن الشيخ من ص: (٣٢ - ٣٣) تحت عنوان: «عبد القاهر الجرجاني ونظريته النفسية»، ثم أفرد له الفصل الرابع بعنوان: «المتزع النفسي في بحث أسرار البلاغة» من ص: (٩٩ - ١٥٤).

١٦ - البلاغة تطور وتاريخ للدكتور شوقي ضيف تحدث عنه في الفصل الثالث تحت عنوان: «ازدهار الدراسات البلاغية» من ص: (١٦٠ - ٢١٩).

١٧ - في الميزان الجديد للدكتور محمد مندور. تحدث عن الشيخ من ص: (١٧٣ - ١٨٨) تحت العناوين التالية: «نظرية عبد القاهر الجرجاني». «النظم عند الجرجاني». «الذوق عند الجرجاني».

١٨ - مقالات في تاريخ النقد العربي للدكتور «داود سلوم» أفرد له الفصل السادس تحت عنوان: «عبد القاهر الجرجاني وكتابه دلائل الإعجاز» من ص: (٣٧٤ - ٣٨٧).

١٩ - «البلاغة عند السكاكي» للدكتور أحمد مطلوب ذكره في الفصل الأول تحت عنوان: «أثر عبد القاهر» من ص: (٢٠٧ - ٢٣٣).

٢٠ - «من قضايا النقد والبلاغة» للدكتور: توفيق الفييل أفرد له الفصل الثاني

تحت عنوان: «التصوير الفني» من ص: (٦٩ - ١١٤) ثم ذكره من ص: (٢٠٨ - ٢١٥).

٢١ - «النقد الأدبي الحديث» للدكتور محمد غنيمي هلال ذكره في الفصل السادس تحت عنوان: «اللفظ والمعنى» من ص: (٢٦٨ - ٢٩١).

٢٢ - «نظرية المعنى في النقد العربي» للدكتور مصطفى ناصف، ذكره في الفصل الأول تحت عنوان: «نظام الكلمات» من ص (١٠ - ٣٥)، ثم ذكره في الفصل الثاني تحت عنوان: «الصورة العادية والصورة المنمقة» من ص: (٤٣ - ٥٢) ومن ص: (٥٩ - ٦٥) إلى غير ذلك من الإشارات المتناثرة في ثنايا الكتاب.

٢٣ - «تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية» للدكتور: مهدي صالح السامرائي ذكره في الفصل الثاني تحت عنوان: «نظرية عبد القاهر في وجهها العلمي» من ص: (٩٢ - ١٠٧). وذكره في فصل المجاز من ص: (١٢١ - ١٢٤ - ١٣٦). ثم ذكره في الفصل الثالث عند حديثه عن التعليل من ص: (١٦١ - ١٦٢) ثم أفرد به بالحديث في الفصل الثالث من الباب الثاني تحت عنوان: «الإعجاز البياني في نظرية عبد القاهر» من ص: (٢٤٩ - ٢٥٧).

٢٤ - «دراسات في النقد الأدبي» للدكتور: وليد قصاب ذكره عند حديثه عن «فكرة النظم وأثرها في حل مشكلات النقد العربي» من ص: (٧١ - ٨٤).

٢٥ - «من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم» للدكتور: عثمان موافي، أشار إليه في الفصل الرابع عند حديثه عن اللغة وارتباط الألفاظ بعضها ببعض من ص: (١٠١ - ١١٩).

٢٦ - «أساليب بلاغية» للدكتور أحمد مطلوب، ذكره في الفصل الأول تحت

عنوان: «الفصاحة والبلاغة»، وتحدث عنه من ص: (٣١ - ٣٧)، ثم ذكره ص: ٥٧ هذا مع الإشارات المتفرقة في الكتاب.

٢٧ - «النقد المنهجي عند العرب» للدكتور محمد مندور، ذكره في الفصل السابع وعنوانه: «تحول النقد إلى بلاغة» وتحدث عنه من ص: (٣٣٢ - ٣٣٩).

٢٨ - «آراء الجاحظ البلاغية وتأثيرها في البلاغيين العرب حتى القرن الخامس الهجري» للدكتور أحمد أحمد فشل، ذكره في الفصل الثاني من الباب الثالث عند ذكره قضية اللفظ والمعنى.

٢٩ - «التفكير البلاغي عند العرب» للدكتور حمادي صمود ذكر الشيخ في موضعين:

١ - في الفصل الأول من القسم الأول من ص: ٨٠ - ٨٣ عند حديثه عن المؤثرات الأجنبية، وتكلم عن مدى تأثير الشيخ بالبلاغة الأجنبية.

٢ - في القسم الثالث تحت عنوان: «أهم قضايا التفكير البلاغي إلى القرن السادس» تحدث عن نظرية النظم في الدلائل والأسرار من ص: (٤٩٧ - ٥٢٩). هذا إلى جانب كثير من الكتب التي لا يمكن حصرها في هذا الموضع وهي مثبتة في ثنايا الكتاب.

ب - دراسة موجزة عن كتاب دلائل الإعجاز

لقد أثرت أن أضيف إلى خطة البحث هذا المبحث، لأنني وجدت أن الآراء قد تضاربت في طريقة ومنهج كتاب الدلائل، وأيهما أسبق الدلائل أو الأسرار، كما أن بعض الألسن أخذت تدين أصالته، فرأيت أنه من الضروري أن أنظر لهذا الموضوع، لا سيما أنني أعيش هذا الكتاب، وأعالج موضوعاته من حيث الشواهد، فكل ما قيل فيه من آراء، ودار حوله من نقاش يمس موضوعي أيّ مساس.

وسأتوخى في هذه الدراسة الإيجاز الذي يلقي الضوء على الحقائق. لقد حاول كثير من المحدثين البحث عن أي الكتابين أسبق في التأليف، ولم يصلوا في ذلك إلى نتيجة حتمية إذ أن الشيخ عبد القاهر لم يُصرِّح في كتابيه بأسبقية أحد الكتابين فليس هناك دليل قاطع يحتج به.

وممن رأى الدلائل أسبق:

الدكتور شوقي ضيف^(١)، محمد خلف الله أحمد^(٢)، أحمد مطلوب^(٣)، أحمد أحمد بدوي^(٤)، وحجتهم في ذلك أن موضوع الدلائل موضوع ذو أهمية

(١) البلاغة تطور وتاريخ: ١٩٠ - ١٩١ - ٢٠٤.

(٢) من الوجهة النفسية: ١٠١.

(٣) عبد القاهر، أحمد مطلوب: ٣٣.

(٤) عبد القاهر أحمد أحمد بدوي: ٦٦.

كبيرة عند المؤلف، فقد عُني فيه بالدلالة على إعجاز القرآن، وكان هذا شغله الشاغل، فهو كتاب عام في النظرية الأدبية ومدى اتصالها بإعجاز القرآن الكريم.

أما كتاب الأسرار فهو بحث خاص في البيان، وهو أدق وأوضح من الدلائل، كما أنه يحتوي على آراء نفسية لم تعرف طريقها في الدلائل، وهذا يدل على تطور الفكر عند الشيخ.

وممن ذهب إلى أن الأسرار أسبق:

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي^(١)، حفني محمد شرف الذي قطع وجزم بأن دلائل الإعجاز أُلّف بعد أسرار البلاغة^(٢).

وحجة هذا الفريق:

أن في الدلائل إشارات من ألفاظ وجُمْل تُحِيل على كتاب سابق في البلاغة قد يكون هو كتاب «الأسرار» إلى غير ذلك من الحجج التي لا يمكن القطع والجزم عن طريقها بأسبقية أحد الكتابين.

وللدكتور الفاضل: «علي محمد العماري» أدلة يرى أنها تكاد تكون حاسمة في أن «أسرار البلاغة» كان سابقاً للدلائل.

ومن هذه الأدلة أن الشيخ عبد القاهر روى عن الأمدي - في الأسرار - أنه وازن بين بيتين أحدهما للبحثري وهو:

فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ تَبِيرٍ وَمِنْ وَرِقٍ وَحَاكَ مَا حَاكَ مِنْ وَشْيٍ وَدِيَّاجٍ

والآخر لأبي تمام، وهو:

إِذَا الْغَيْثُ غَادَى نَسَجَهُ خِلْتُ أَنَّهُ خَلْتُ حَقْبَ حَرَسٍ لَهُ وَهُوَ حَائِكُ

وقوله في بيت البحثري: «صوغ الغيث، وحوكة النبات ليس باستعارة، بل

(١) عبد القاهر والبلاغة العربية، محمد عبد المنعم خفاجي: ٣٥.

دلائل الإعجاز، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي: ٥، ٦.

(٢) مقدمة بديع القرآن: ٢٧.

هو حقيقة، وقوله في بيت أبي تمام: «إن لفظة حائك خاصة في غاية الركافة، إذا أخرج على ما أخرجه عليه أبو تمام في قوله...

وهذا قبيح جداً، والذي قاله البحري «وَحَاكَ مَا حَاكَ» حسن مستعمل، فانظر ما بين الكلامين لتعلم ما بين الرجلين.

قال الشيخ عبد القاهر:

«قد كتبت هذا الفصل على وجهه، والمقصود منه أن تطلق الاستعارة على الصُّوغِ والحَوَكِ، وقد جعلاً فعلاً للربيع، واستدلّاه على ذلك بامتناع أن يقال: وكأنه صائح، وكأنه حائك، اعلم أن هذا الاستدلال كأحسن ما يكون، إلا أن الفائدة تتم بأن تبين جهته، ومن أين كان كذلك»^(١).

ثم يبين الشيخ عبد القاهر جهة استدلال الأمدي، ومعنى ذلك أنه مؤمن بقوله بل معجب به غاية الإعجاب.

ثم نراه في الدلائل يذكر نفس الفصل، ولكنه يخطيء «الأمدي» بل يعجب من نفسه أنه ظل زمنًا يعتقد صحة ما قاله هذا الناقد.

قال عبد القاهر:

«ومن ذلك أنك ترى من العلماء من قد تأول في الشيء تأويلاً، وقضى فيه بأمر، فتمتعده اتباعاً له، ولا ترتاب أنه على ما قضى وتأول، وتبقى على ذلك الاعتقاد الزمان الطويل، ثم يلوح لك ما تعلم به أن الأمر على خلاف ما قدّر»^(٢).

ثم يذكر البيتين، وقول الأمدي فيهما على نحو ما في الأسرار، ثم يذكر ما ذهب إليه الأمدي، ويعقب عليه بوجهة نظره الجديدة المخالفة للأمدي، فعبد القاهر كان يعتقد رأي الأمدي ولا يرتاب في قضائه بالنسبة لبيت أبي تمام،

(١) أسرار البلاغة: - هـ، ريتز، ٣٥٢ - ٣٥٣.

(٢) الدلائل: رضا: ٤٢٥، ٣٤٦، خفاجي: ٥٠٣، شاعر: ٥٥٣.

وقد مضى عليه في ذلك الاعتقاد الزمان الطويل، ثم تبين له أن الأمدى وقع في سهو حين قضى بما قضى به.

ومعنى ذلك أن عبد القاهر ألف الأسرار أولاً، ثم مضى على ذلك زمن طويل انتهى فيه من تأليف الدلائل، فمن العجيب أن القصة ذكرت في آخر كل من الكتابين^(١).

ومن الأدلة التي أشار إليها الدكتور العماري أن في الدلائل ما يشعر بأن الشيخ ألف الكتاب في زمن متأخر من حياته، فهو يقول في «المدخل»:
«وقد دخلت بأخرة في كلام^(٢) من أصغى إليه وتدبره تدبر ذي دين، وفتوة دعاه إلى النظر في الكتاب الذي وضعناه، وبعثه على طلب ما دَوَّنَاهُ»^(٣).
ويقول في آخره:

«وإنك لتنظر في البيت دهرًا طويلاً، وتفسره، ولا ترى أن فيه شيئاً لم تعلمه، ثم يبدو لك فيه أمر خفي لم تكن قد علمته، مثال ذلك بيت المتنبي:
عَجَباً لَهُ حَفِظَ الْعَيْنَانِ بِأَنْمُلٍ مَّا حَفِظُهَا الْإِشْيَاءُ مِنْ عَادَاتِهَا
مضى الدهر الطويل ونحن نقرؤه فلا ننكر منه شيئاً ولا يقع لنا أن فيه خطأ، ثم بان بأخرة أنه قد أخطأ»^(٤).

فيستنبط الدكتور العماري أن الدهر الطويل، والزمان الطويل، وإدراكه الشيء بأخرة، كل ذلك يدل على أن عبد القاهر ألف الدلائل في زمن متأخر ربما كان في آخر حياته.

ومما يرجح الدكتور أنه دليل على أسبقية الأسرار قول الشيخ في الدلائل:

«وأما المجاز فقد عول الناس في حده على حديث النقل وأن كل لفظ نقل

(١) قضية اللفظ والمعنى - مخطوطة بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر: ١١١ - ١١٢.

(٢) في الدلائل تحقيق شاكر: «وقد وصلت بأخرة إلى كلام».

(٣) الدلائل، رضا: غ، خفاجي: ٤٥، شاكر: ٣ - ٤.

(٤) الدلائل، رضا: ٤٢٤، خفاجي: ٥٠٢، شاكر: ٥٥١.

عن موضعه فهو مجاز، والكلام في ذلك يطول، وقد ذكرت ما هو الصحيح من ذلك في موضع آخر^(١).

وقد ذكر الأستاذ رشيد رضا في هامش الكتاب:

«لعله يريد بالموضع الآخر كتاب «أسرار البلاغة»^(٢).

وقد أيد الدكتور العماري ما ذهب إليه الأستاذ رشيد رضا ورجحه بدليلين:

الأول: لأنه لم يتقدم في الدلائل، على هذه الكلمة ذكر المجاز، وقد قال: «ذكرت»، فدل على أنه ذكره في كتاب آخر.

الثاني: أنه حقيقة ذكر حديث نقل المجاز في «الأسرار» وأطال فيه، وصحح أنه مجاز لغوي.

ومن الأدلة المرجحة - أيضاً - أن عبد القاهر، وهو يُعَلِّي من شأن النحو، قال «وضربوا له المثل بالملح - كما عرفت»^(٣).

وكأنه يشير إلى عرضه هذا المثل في «الأسرار» والإطالة في شرحه، وتصحيح وجه الشبه فيه^(٤)، والتعبير بالفعل الماضي يرجح هذه الإشارة.

ولو كان يريد بـ «عرفت» كلام العرب لعبير بالمضارع وقال: «كما - تعرف»، لأن هذا المقام - حينئذ - له^(٥).

هذا عن أسبقية أحد الكتابين - ولقد أطلت الحديث عن أدلة الدكتور العماري - لعلها تضيء جانباً جديداً في هذا الموضوع.

أما عن موضوع الدلائل: فهو قائم على إثبات نظرية النظم للإرشاد إلى

(١) الدلائل، رضا: ٥٣.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) الدلائل، رضا: ٦، خفاجي: ٥٩، شاکر: ٨.

(٤) الأسرار: - هـ، ريتز: - ٦٥.

(٥) قضية اللفظ والمعنى: ٤٢٣ - ٢٤٤.

إعجاز القرآن، فالبلاغة ليست في اللفظ في حال انفراده وأنقطاعه عما يليه، بل البلاغة تكمن في تلك العلاقات التي تربط كل لفظة بالتي تليها بحيث يأخذ بعض الألفاظ برقاب بعض، وتكون كل لفظة سبباً في التي تليها.

وليس النظم عنده هو ضم الشيء إلى الشيء على أي حال وكيفما اتفق بل النظم في ترتيب الألفاظ بحسب ترتيب المعاني في النفس مع توخي معاني النحو.

وسار الشيخ في كتابه الدلائل يبرهن ويدلل على صحة ما ذهب إليه. وساقه حماسه لهذه الفكرة إلى التكرار، وعدم تنسيق أبواب الكتاب.

أما عن منهج الشيخ، وتناوله للموضوعات وأسلوبه في الكتابة فقد تضاربت الآراء، ووجهات النظر في ذلك، فمن قائل بأنه نهج أسلوب المتكلمين والفلاسفة، ومن قائل بأن أسلوبه أدبي محض لا تعقيد فيه - وسأرجى التفصيل في هذا الموضوع إلى الفصل الثالث «الذوق» من الباب الثاني.

أما عن مصادر الشيخ، فقد اختلف الباحثون في منبعها، هل هي ذات جذور عربية أصيلة، أو أنه استقاها من روافد أجنبية.

وهذه النقطة يصعب عليّ تتبعها في هذه العجالة، لأنها تحتاج إلى بحث متقصٍ يتبع آراء عبد القاهر مع مقارنتها بآراء كل من سبقوه، ومقارنتها أيضاً بالكتب المترجمة في عصره. وهذا بحث قائم بذاته.

ولكنني أستطيع أن أشير إلى ما رآه الباحثون في هذا المضمار.

فمنهم من يجزم بتأثره بالثقافة اليونانية في كثير من أفكاره، وزعيم هذا الرأي الدكتور طه حسين الذي رأى أن الشيخ عبد القاهر قد استطاع أن يوفق بين البلاغتين العربية واليونانية، وأنه متأثر في كتابه أسرار البلاغة بما عربه ابن سينا في «العبرة» في كتاب الخطابة لأرسطو، واعترف بأنه شارح جيد لبلاغة أرسطو، ورأى كذلك أنه قد تأثر بأرسطو في فصل الحقيقة والمجاز المرسل، أما المجاز العقلي فنراه يسلم بأنه من ابتكار عبد القاهر.

قال في المقدمة التي قدم بها كتاب نقد النثر^(١) عند تحقيقه:

«... لم يكن عبد القاهر الجرجاني عندما وضع في القرن الخامس كتاب «أسرار البلاغة» المعتبر غرة كتب البيان العربي إلا فيلسوفاً يجيد شرح أرسطو والتعليق عليه»^(٢).

وقال في موضع آخر:

«على أن مجهود ابن سينا لم يكن ليذهب عبثاً، لقد عرب كتاب «الخطابة» إذا صح هذا التعبير، وجعله في متناول الفكر العربي، وبذلك هيا أسباب التوفيق بين البيانيين للذين عاشا متجاورين دون أن يتلاقيا ويتألفا. وقد تحقق هذا التوفيق في القرن الخامس على يد عبد القاهر الجرجاني الذي سبق ذكره. صنف عبد القاهر كتابين يعتبران بحق أنفس ما كتب في البيان العربي. هما «أسرار البلاغة» و«دلائل الاعجاز» فعندما نقرأ أولهما نكاد نجزم بأن المؤلف قرأ الفصل الذي عقده ابن سينا «للعبرة» وأنه فكر فيه كثيراً، وحاول أن يدرسه دراسة نقد وتمحيص... فمجاز أرسطو هذا هو ما يسميه عبد القاهر «مجازاً مرسلًا»^(٣) وأما المجاز الذي يقوم على التشبيه، والذي يسميه أرسطو «صورة» فيسميه عبد القاهر «استعارة» وهو لفظ كان القدماء يطلقونه على المجاز بكافة أنواعه... أما «المجاز العقلي» فهو من ابتكار عبد القاهر...»^(٤).

(١) طبع هذا الكتاب قديماً باسم نقد النثر ثم عرف بعد ذلك باسم «البرهان في وجوه البيان» وهو ليس لقدامة بل لابن وهب.

(٢) مقدمة نقد انثر - سابقاً - تمهيد في البيان العربي: ١٤.

(٣) في الحقيقة إن عبد القاهر لم يسم المجاز مجازاً مرسلًا، ولكن الذي حصل أنه وُجد في أواخر كتابه أسرار البلاغة تحقيق «رشيد رضا» فصلاً تحت عنوان «هذا كلام في ذكر المجاز وفي بيان معناه وحقيقته وفيه بيان المنقول والمشارك والمجاز المرسل وعلاقته» وهذا العنوان يوحي بأن عبد القاهر هو الذي وضع هذا المصطلح إذ لم توجد هذه أن محقق الكتاب هو الذي سماه لما رآه مناسباً للمضمون.

(٤) نقد النثر - سابقاً - : ٣٨ - ٣٩.

وكذلك رأى الأستاذ محمد خلف الله أن عبد القاهر تأثر بأرسطو في المنزع
النفساني العام وفي بعض الأسرار التي اهتدى إليها. قال:

«... إن عبد القاهر تأثر - على نحو ما - بالبحوث الإغريقية المترجمة،
وانتفع بها انتفاعاً ظاهراً في دراسته لآثار البلاغة، وهذا التأثير أظهر ما يكون في
النواحي التفرعية والتحقيقية... ولكنه بادٍ أيضاً في المنزع النفساني العام عند
عبد القاهر، وفي بعض الأسرار التي اهتدى إليها في كتابه»^(١).

وبعد أن أثبت هذا التأثير حاول أن يثبت أصالة الشيخ عبد القاهر، وأن هذا
التأثر لا ينفي عنه صفة العالم المبتكر^(٢).

وممن جزم بهذا التأثير أيضاً الدكتور أحمد مطلوب، فبعد أن قلب آراء
الباحثين في تأثر عبد القاهر بأرسطو قال:

«لقد حاولنا أن نربط بين عبد القاهر وسابقه، وقد اتضح أنه أفاد مما كتب
العرب، وأنه لا بد قد اطلع على ما كتب ابن سينا في الخطابة، ولكن ليس
معنى ذلك أنه صدر فيما كتب عن أرسطو، لأن الفرق بين الرجلين عظيم»^(٣).

وممن ذهب إلى هذا الرأي الأستاذ أمين الخولي^(٤) الذي استدل على هذا
التأثر بإشارة عبد القاهر إلى أهل الخطابة ونقد الشعر.

قلت: وقد ذكر الشيخ عبد القاهر أهل الخطابة ونقد الشعر في موضعين:
الأول عند حديثه عن المجاز، حيث قال:

«ولهذا الموضع تحقيق لا يتم إلا بأن يوضع له فصل مفرد، والمقصود الآن
غير ذلك، لأن قصدي في هذا الفصل أن أبين أن المجاز أعم من الاستعارة،
وأن الصحيح من القضية في ذلك أن كل استعارة مجاز، وليس كل مجاز

(١) من الوجهة النفسية: ١٥٢.

(٢) المرجع السابق نفسه الصفحة.

(٣) عبد القاهر الجرجاني، أحمد مطلوب: ٣٠٥.

(٤) مناهج تجديد: ١٥٤ - ١٥٥.

استعارة، وذلك أننا نرى كلام العارفين بهذا الشأن، أعني علم الخطابة، ونقد الشعر، والذين وضعوا الكتب في أقسام البديع^(١).

فقوله الأخير: «والذين وضعوا الكتب في أقسام البديع»، وهو يريد به العارفين بهذا الشأن يدل دلالة قاطعة على أنه لا يريد فلاسفة اليونان، لأنه لا يُعرف أن هؤلاء وضعوا الكتب في أقسام البديع.

والموضع الثاني عندما تحدث عن صنيع ابن دريد، وكلامه عن الاستعارة حيث قال: «فالوجه في هذا الذي رأوه من إطلاق الاستعارة على ما هو تشبيه كما هو شرط أهل العلم بالشعر، وعلى ما ليس من التشبيه في شيء»^(٢).

وفي الرد على الأستاذ أمين الخولي ومن سار في أثره يقول الدكتور حمادي صمود: «فأمين الخولي، ومن لفّ لفه حاول لإثبات التأثير، الوقوف في مؤلفات الرجل - يعني عبد القاهر - على الدليل المادي، فرأى أن إشارته مرتين متتاليتين إلى «أهل الخطابة ونقد الشعر» دليل على أنه ينسب الطريقة البلاغية لأهل الخطابة «ويعتبرهم العارفين بهذا الشأن»، وليس في هذه الإشارة ما يدل على أن المعنى كتاب أرسطو.

والقصد من السياقين المذكورين التفريق بين منهجين في دراسة الاستعارة، منهج الأدباء والعالمين بالشعر، ومنهج اللغويين، مع أننا لا نعدم في التراث السابق واللاحق عند الحديث عن أصناف المتعاملين مع النص الأدبي إشارات من هذا القبيل^(٣).

ثم ذكر الدكتور حمادي صمود في الهامش أن المبرد في «الكامل» استعمل في موضعين قوله: «العلم بجواهر الكلام»^(٤).

(١) أسرار البلاغة - هـ، ريتز - ٣٦٨.

(٢) المصدر السابق: ٣٦٩.

(٣) التفكير البلاغي عند العرب: ٨١.

(٤) الكامل - مكتبة المعارف -: ٢١/١، ١٠٦.

وكذلك ذكر الأمدي في الموازنة: «أهل المعاني ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام»^(١).

أضف إلى ذلك قول قدامة:

«والغلو عندي أجود المذهبين، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً، وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: «أحسن الشعر أكذبه».

وكذا يرى فلاسفة اليونان في الشعر على مذهب لغتهم»^(٢).

ويبدو لي أن المراد بأهل الفهم في هذا الكلام هم غير فلاسفة اليونان بدليلين:

الأول: عطف فلاسفة اليونان عليهم، والعطف يقتضي المغايرة.

الثاني: أن الثعالبي ذكر في بعض كتبه^(٣) أن أول من قال: «أحسن الشعر أكذبه» هو حجر بن عمرو الكندي والد أمريء القيس، ولعل هذا ما عناه قدامة بقوله: «بعضهم».

ومن استند إلى رأي الخولي - السابق - الدكتور شكري عياد^(٤)، والدكتور شوقي ضيف^(٥).

أما الدكتور أحمد بدوي فإني أراه شديد التحفظ عند الإدلاء برأيه، فهو لم يصرح بنفي هذا التأثير نفيّاً قاطعاً، فعبارته التي صاغ بها رأيه، وقوله: بأنه يقف موقف الشاك لا يوضح رأيه تماماً، ثم إن قوله بأن صمت عبد القاهر يثير فيه

(١) الموازنة: محمد محيي الدين عبد الحميد: ١٠.

(٢) نقد الشعر: ٢٦.

(٣) ذكر ذلك في كتابه «الإعجاز والإيجاز»: ٦٣.

(٤) كتاب أرسطو طاليس في الشعر: ٢٤١.

(٥) البلاغة تطور وتاريخ: ١٩١.

الريب في أن الشيخ قد نقل نقلاً مباشراً، يُفهم منه أنه لا يمانع في أن الشيخ نقل من أرسطو نقلاً غير مباشر، قال:

«إن صمت عبد القاهر عن الحديث عن آراء أرسطو يثير في الريب في أن صاحب الدلائل والأسرار قد نقل نقلاً مباشراً عن الفيلسوف الإغريقي، فإنه حتى في فكرة النظم التي وقف عليها كتابه دلائل الإعجاز قد نقل عن العلماء ما يؤيدها، كما نقل عن العلماء كثيراً مما يؤيد أفكاره التي كتبها في أسرار البلاغة فإذا كان قد نقل عن أرسطو، فلم يكن الفيلسوف اليوناني بمن يستر عبد القاهر الأخذ عنه، ولذلك أقف في ريبة من أمر دراسة عبد القاهر للثقافة الإغريقية المرتبطة بالبلاغة والنقد الأدبي»^(١).

أما الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي فإنه يرى أن الشيخ عبد القاهر قد تأثر بطريق غير مباشر ببلاغة اليونان قال:

«ويظهر في الأسرار والدلائل أثر بلاغة اليونان المترجمة في الخطابة والشعر لأرسطو الذين ترجمهما ابن سينا في الشفاء، وترجمهما غيره، وقد اقتبس عبد القاهر من هذه الترجمات وتأثر بها»^(٢).

أما عن تأثيره بمن سبقه من النقاد العرب، فهذا أمر لم يرفضه أحد من الدارسين؛ لأن عبد القاهر نفسه قد صرح بهذا الأخذ، وذلك بذكر أسمائهم في كثير من المواضع، فنراه يصرح بأخذه من سيوبه (ت: ١٨٠ هـ) في باب التقديم والتأخير، وباب الحذف^(٣)، كما تأثر بالجاحظ (ت: ٢٥٥ هـ) ونقل عنه كثيراً من آرائه وأقواله، ووافقه في بعضها ورد عليه البعض الآخر، ونقل كلامه في اللفظ والمعنى، وأخذ ببعض شواهد^(٤).

(١) عبد القاهر الجرجاني، أحمد بدوي: ٣١٢.

(٢) عبد القاهر والبلاغة العربية، محمد عبد المنعم خفاجي: ٤٦.

(٣) الدلائل، رضا: ٨٤، ١١١، ١١٢، ٢٤٧.

(٤) الدلائل، رضا: ٤٦، ٧٦، ١٩٧، ٢٢٦، ٢٤٥، ٣٨٩.

ونقل عن ابن قتيبة (ت: ٢٧٦ هـ) تقسيمه الشعر إلى أربعة أضرب^(١)، ولكنه لم يصرح بهذا النقل.

كما تأثر الشيخ عبد القاهر بالقاضي الجرجاني صاحب الوساطة في مواضع كثيرة من كتابه، وأخذ عنه بعض شواهد، وقد تأثر به أيضاً في باب السرقات، وقوله بأن المعاني المشتركة المتفقة في الغرض وعموم الدلالة لا تعد سرقة^(٢)، وكذلك نقل عبد القاهر عن الأمدي (ت: ٣٧٠ هـ) كلمة في بيتي الطائيين، واستدل بهما في الأسرار^(٣)، ثم نقدهما في الدلائل^(٤).

أما نظرية النظم التي بنى عليها كتابه الدلائل فقد أشار إليه كثير من العلماء الذين سبقوا الشيخ من أمثال:

عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (ت: ٣٠٦ هـ) في كتابه «إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه» وهو كتاب مفقود لم يعثر عليه بعد، وخاصة أن الشيخ اهتم به اهتماماً خاصاً فشرحه مرتين^(٥).

وممن أشار إلى قضية النظم أبو الحسن علي بن عيسى السرماني (ت: ٣٨٦ هـ)^(٦) وأبو سليمان الخطابي (ت: ٣٨٨ هـ)^(٧)، والباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ)^(٨) كما تأثر الشيخ بما كتبه القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادي (ت: ٤١٥ هـ) في كتابه «المغني في أبواب التوحيد والعدل»^(٩).

(١) الدلائل، رضا: ٢٧٩، وانظر الشعر والشعراء: ٧٠/١ - ٧٥.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٩٠، الأسرار: هـ ريتـ: ٣١٣ - ٣١٤، الوساطة: ٢٠٥.

(٣) الأسرار: هـ ريتـ: ٣٥٢.

(٤) الدلائل، رضا: ٤٢٥.

(٥) أثر القرآن في تطور النقد العربي: ٢٣٤.

(٦) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: «النكت في إعجاز القرآن»: ١٠٧.

(٧) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن «بيان إعجاز القرآن»: ٢٩.

(٨) إعجاز القرآن للباقلاني: ١٦٨ وما بعدها.

(٩) المغني: ١٦/١٩٩.

واستبعد الدكتور مهدي السامرائي تأثر الشيخ عبد القاهر بالقاضي عبد الجبار بل ذهب إلى أبعد من ذلك فرأى أن القاضي عبد الجبار لم يرم إلى النظم، ولم يقصده، بل هو يدفعه ويأباه، يقول بعد أن عرض عدة نصوص من كتاب المغني:

«يبدو من مجموعة هذه النصوص أن القاضي عبد الجبار لا يعول على النظم وهو يدفعه ويأباه بكل ما يستطيع، وهو في ذلك يهدف إلى تقويض فكرة النظم التي فشت في بيئة الأشاعرة، إن أساس نظرية عبد القاهر مستمدة من بيئة الأشاعرة، وإن الإمام عبد القاهر وسع مدلولها وأثراها بمواهبه العقلية»^(١).

فهو إذاً يرى أن هناك فرقاً وبنواً شاسعاً بين نظرة عبد القاهر للنظم وبين نظرة القاضي عبد الجبار، فنظرية عبد القاهر تنطلق من مبدأ الكلام النفسي - المعاني - الذي يؤكد الأشاعرة، أما القاضي عبد الجبار فينطلق من مبدأ الألفاظ الذي يؤكد المعتزلة^(٢).

ويرفض الدكتور عبد القادر حسين فكرة تأثر عبد القاهر المطلق بالجاحظ، أو الأمدي أو الجرجاني بحجة أنه أشار إليهم في غير موضع من كتابه، أو لأنه نسج على منوال القاضي الجرجاني، أو أنه تأثر بالخطابي، لأنه سبقه إلى الحديث عن النظم أو أنه تأثر بالواسطي؛ لأنه شرح إعجاز القرآن قبله.

فإن كان القصد أنه انتفع بجهودهم، وأنهم كانوا أشعة أضاءت له الطريق، فهذا أمر لا يتطرق إليه الشك، فما من نظرية تُخلق من العدم، أو تُبنى في الهواء، أما إن كان المراد أنه تأثر بهم تأثراً واضحاً، فهذا رأي مردود؛ لأن ما أتى به السابقون هو مجرد إشارات بسيطة، وأضواء خافتة لا تحدد المعالم، فلا تعتبر عملاً مدروساً^(٣).

(١) تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية: ٩٨،

(٢) المرجع السابق: ٩٦.

(٣) أثر النحاة في البحث البلاغي: ٣٦٦ - ٣٦٧.

وأياً ما كان فإن العلماء يأخذ بعضهم عن بعض، والثقافات تتفاعل، وتبقى لكل عالم أصالته.

فإن ما ذهب إليه الدكتور عبد القادر حسين أمر صحيح يحفظ للشيخ مكانته، ويعطيه حقه، وينصفه ممن قد يطعن في أصالته البلاغية بنفي صفة الابتكار عنه، وينظر إليه على أنه مجرد عارض مجيد لأراء علماء العربية والبيان قبله.

ج - معنى كلمة شاهد في اللغة والاصطلاح

لما كان موضوع هذا البحث دراسة الشواهد كان من الضروري أن أوضح ما المقصود بكلمة شاهد؟ وأبين معناها في اللغة والاصطلاح.

ومن المعلوم أن الاستشهاد بالشواهد الشعرية نهج سار عليه علماء العربية في جميع فروعها، لتسليمهم بأهميته في ترسيخ القواعد وتوضيحها، والاحتجاج لصحة المفردات والتراكيب.

وهنا يطراً علينا سؤال:

ما الفرق بين الشاهد النحوي والشاهد البلاغي؟

وفي هذا البحث أوضحت بعض الفروق التي ظهرت لي من خلال دراستي لأقوال العلماء فيما يصح الاستشهاد به.

معنى الشاهد في اللغة:

الشاهد مصدره شهادة، وهي الخبر القاطع.

- وَشَهِدَ كَعْلِمَ وَكَرْمَ - يقال: شَهِدَ الرجل على كذا، وربما يقال: شَهِدَ الرجل بسكون الهاء للتخفيف، وورد هذا عن الأخفش، وقولهم أَشْهَدُ بكذا أي أَحْلِفُ، وَشَهِدَ بكذا يتعدى بالباء؛ لأنه بمعنى أخبر به.

وتأتي الشهادة أيضاً بمعنى البيان والوضوح، قال أبو عبيدة: معنى

شَهِدَ اللهُ^(١) قَضَى اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. وَحَقِيقَتُهُ عَلِيمٌ اللهُ وَبَيَّنَّ اللهُ؛ لِأَنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْعَالَمُ الَّذِي يَبِينُ مَا عِلْمُهُ، وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ:

شَهِدَ اللهُ بَيَّنَّ اللهُ وَأَظْهَرَ، وَشَهِدَ الشَّاهِدَ عِنْدَ الْحَاكِمِ أَيْ بَيَّنَّ مَا يَعْلَمُهُ وَأَظْهَرَهُ^(٢).

وَمِنْ هَذَا التَّعْرِيفِ اللَّغَوِيِّ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ الشَّاهِدَ الْبَلَاغِي فِي الْإِصْطِلَاحِ هُوَ كُلُّ مَا يَسْتَشْهَدُ بِهِ الْبَلَاغِيُّونَ مِنْ آيَاتِ قُرْآنِيَّةٍ، وَأَحَادِيثِ نَبَوِيَّةٍ، وَأَقْوَالِ نَثَرِيَّةٍ أَوْ شَعْرِيَّةٍ لِتَوْضِيحِ، وَبَيَانِ قَاعِدَةِ بَلَاغِيَّةٍ.

وَمِمَّا تَجَدَّرُ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ أَنْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الشَّاهِدِ النَّحْوِيِّ، وَالشَّاهِدِ الْبَلَاغِيِّ.

فَالشَّاهِدُ النَّحْوِيُّ يُؤْتِنِي بِهِ لَا مِنْ أَجْلِ تَوْضِيحِ، وَبَيَانِ قَاعِدَةٍ مَا، بَلْ لِلتَّقْعِيدِ وَالِاحْتِجَاجِ عَلَى قَاعِدَةٍ مِنَ الْقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ إِطْرَاداً أَوْ شَذَوِذاً.

وَهُنَاكَ فَرْقٌ آخَرُ:

وَهُوَ أَنَّ الشَّاهِدَ النَّحْوِيَّ مُحَدَّدٌ بِزَمْنٍ مُعَيَّنٍ، فَلَيْسَ كُلُّ الشُّعْرَاءِ يُحْتَجُّ بِأَشْعَارِهِمْ. فَالْقَائِلُونَ لِلشُّعْرِ أَرْبَعُ طَبَقَاتٍ^(٣):

الطَّبَقَةُ الْأُولَى:

الْجَاهِلِيُّونَ: وَهُمْ الَّذِينَ لَمْ يَدْرِكُوا الْإِسْلَامَ كَامِرِيَّ الْقَيْسِ وَالْأَعَشَى.

(١) مُشِيرًا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، آيَةِ (١٨): ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ...﴾.

(٢) انْظُرْ: الصَّحَاحُ: «شَهِدَ»: ٤٩٤/٢، لِسَانُ الْعَرَبِ: «شَهِدَ»: ٢٣٩/٢، مَخْتَارُ الصَّحَاحِ: بَابُ الشَّيْنِ: ٣٤٩، الْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ: «شَهِدَ» ٣٤٩/١، الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ: «شَهِدَ»: ٣٥٩/١، ٣٦٠، تَاجُ الْعُرُوسِ: «شَهِدَ»: ٣٩١/٢.

(٣) انْظُرْ هَذَا التَّقْسِيمَ فِي: الْعُمْدَةُ: ١١٣/١، الْمَزْمَرُ: ٤٨٩/٢، الْخَزَانَةُ لِلْبَغْدَادِيِّ: «تَحْقِيقُ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ»: ٥/١، ٦.

الطبقة الثانية:

المخضرمون: وهم الذين قضوا فترة من حياتهم في الجاهلية، ثم أدركوا الإسلام كلبيد وحسان.

الطبقة الثالثة:

المتقدمون: ويقال لهم الإسلاميون، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير، والفرزدق.

الطبقة الرابعة:

المولّدون: ويقال لهم المُحدّثون، وهم من بعد الطبقة الثالثة إلى زماننا هذا كبشار بن برد وأبي نواس.

فالطبقة الأولى والثانية يستشهد بشعرهما في جميع علوم الأدب من لغة وصرف ونحو، ومعانٍ وبيانٍ وبديعٍ وغيرها. وذلك بإجماع العلماء.

أما الثالثة وهي طبقة الإسلاميين فقد اختلف العلماء في الاستشهاد بكلامها، والصحيح صحة الاستشهاد به.

وكان أبو عمرو بن العلاء^(١)، وعبد الله بن أبي إسحاق^(٢)، والحسن البصري^(٣)،

(١) هو أبو عمرو زَبَّان بن العلاء المازني من القراء السبعة وإمام البصرة في اللغة والنحو (ت: ١٥٤ هـ) انظر ترجمته:

نزهة الألباء: ٣٠ - ٣٥، إنباه الرواة: ١٣١/٤ - ١٣٩، النجوم الزاهرة: ٢٢/٢، بغية الوعاة: ٢٣١/٢، ٢٣٢، المزهر: ٤١٨/٢، شذرات الذهب: ٢٣٧/١، مراتب النحويين: ٣٣.

(٢) هو أبو بحر عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، كان قيمياً بالعربية والقراءة، إماماً فيهما. (ت: ١١٧ هـ، وقيل ١٢٧ هـ).

انظر: نزهة الألباء: ١٨ - ٢٠، إنباه الرواة: ١٠٤/٢، بغية الوعاة: ٤٠/٢، أخبار النحويين البصريين: ٤٢ - ٤٥، طبقات النحويين واللغويين: ٣١.

(٣) هو الحسن بن يسار البصري التابعي الأنصاري، إمام أهل البصرة في القراءة (ت: ١١٠ هـ).

وعبدالله بن شبرمة^(١)، يلحنون الفرزدق والكُميت، وذا الرُّمّة، وأضرابهم، وكانوا يعدونهم من المولدين، لأنهم كانوا في عصرهم، والمعاصرة حجاب^(٢).

قال ابن رشيّق في العمدة:

«كل قديم من الشعراء فهو مُحدّثٌ في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول:

لقد أحسن هذا المولد حتى هممتُ أن أمر صبياننا بروايته، - يعني بذلك شعر جرير والفرزدق -، فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين.

قال الأصمعي: جلست إليه ثمانى حجج فما سمعته يحتج بيت إسلامي^(٣).

الطبقة الرابعة: والصحيح عدم الاستشهاد بكلامها مطلقاً. قال السيوطي: «أن يكون النقل عَمَّنْ قوله حجة في أصل اللغة، كالعرب العاربة، مثل قحطان ومعدّ وعدنان، فأما إذا نقلوا عَمَّنْ بعدهم بعد فساد لسانهم، واختلاف المولّدين فلا»^(٤).

وذهب بعضهم إلى إمكانية الاستشهاد بكلام من يوثق به منهم^(٥)، وهذا

= وستأتي ترجمته فيما بعد:

انظر: المعارف لابن قتيبة: ٤٤٠/٤٤١، غاية النهاية: ٢٣٥/١، أسماء التابعين للدارقطني رقم (١٨٨): ١٠١/١.

(١) هو عبدالله بن شبرمة الضبي، قاضي الكوفة، وشاعرها (ت: ١٤٤ هـ).

انظر: أسماء التابعين رقم (٦٠٤): ١٣٤/٢.

(٢) خزانة الأدب للبغدادي: - تحقيق عبد السلام هارون -: ٦/١.

(٣) العمدة: ٩٠/١، وانظر: المزهر للسيوطي: ٤٨٨/٢.

(٤) المزهر: ٥٨/١.

(٥) خزانة الأدب للبغدادي: «تحقيق عبد السلام هارون»: ٦/١.

الرأي الأخير اختاره الزمخشري^(١)، وتبعه المحقق الرضي^(٢).

فقد استشهد الزمخشري في كشفه ببعض أبيات لأبي تمام، وذلك عند تفسيره أوائل سورة البقرة^(٣).

قال:

«هو وإن كان مُحدثاً، لا يُستشهد بشعره في اللغة، فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى إلى قول العلماء:

«والدليل عليه بيت الحماسة» فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه»^(٤).

واعترض عليه بأن قبول الرواية مبني على الضبط والوثوق، واعتبار القول مبني على معرفة أوضاع اللغة العربية وقوانينها.

(١) هو أبو القاسم جارا لله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة. من كتبه: «المحاجة بالمسائل النحوية» «المفرد والمركب» وهو صاحب تفسير الكشف المشهور، كان معتزلي الاعتقاد متظاهراً به ولد سنة ٤٦٧ هـ بزمخشّر، وتوفي سنة ٥٣٨ هـ - بجرجانية خوارزم.

انظر: نزهة الألباء: ٣٩١ - ٣٩٢، إنباء الرواة: ٢٦٥/٣، وفيات الأعيان ١٦٨/٥، ١٧٣، بغية الوعاة: ٢٧٩/٢، إيضاح المكنون: ٦٧/١/٣، ٨٦/٢/٤.

(٢) هو محمد بن الحسن نجم الملة والدين الإستراباذي صاحب كتاب شرح الكافية، وكتاب الشافية - لابن الحاجب - (ت: ٦٨٦ هـ).

انظر: بغية الوعاة: ٥٦٧/١، مقدمة خزنة الأدب للبغدادي - دار صادر - ١٢/١، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: ٢٠٧.

(٣) استشهد الزمخشري في تفسيره بأقوال أبي تمام في المواضع التالية: ٢٠٥/١، ٢٢٠/١، ٢٦٣/١.

(٤) الكشف: ٢٢٠/١، وذلك عند تفسيره للآية رقم (٢٠) من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾. استشهد بيت أبي تمام:

هُمَا أَظْلَمَا حَالِي ثُمْتُ أَجْلِيَا ظَلَامِيهِمَا عَنْ وَجْهِ أَمْرَدٍ أَشْيَبِ
استشهد به على أن «أظلم» قد يكون متعدياً متفولاً من ظلم الليل، ثم ذكر بعد ذلك قوله: «وهو وإن كان مُحدثاً لا يستشهد بشعره...».

ومن الواضح أن إتقان الرواية لا يوجب إتقان الدراية^(١).

جاء في الاقتراح للسيوطي:

«أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة العربية، وفي الكشف ما يقتضي تخصيص ذلك بغير أئمة اللغة ورواتها، فإنه استشهد على مسألة بقول حبيب بن أوس»^(٢).

وكذلك قال الزركشي:

«ووقع في كلام الزمخشري وغيره الاستشهاد بشعر أبي تمام، بل في الإيضاح للفارسي ووجه بأن الاستشهاد بتقرير النقلة كلامهم، وأنه لم يخرج عن قوانين العرب»^(٣).

وكذلك احتج الأخفش^(٤)، وسيبويه^(٥) بشعر بشار بن برد^(٦) - وهو أول

(١) خزانة الأدب للبغدادى - تحقيق عبد السلام هارون - ٥/١ - ٧.

(٢) الاقتراح: ٣٧.

(٣) المزهر: ٥٨/١.

(٤) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري، وهو المعروف بالأخفش الأوسط، والأخفش أسن من شيوخه سيبويه، فقد ولد قبله، ومات بعده، واختلف في سنة وفاته ف قيل أنها سنة (٢١٠ هـ أو ٢١١ هـ أو ٢١٥ هـ أو ٢٢١ هـ. انظر ترجمته:

المعارف: ٥٤٥ - ٥٤٦، بغية الوعاة: ٥٩٠/١، المزهر: ٤٦٣/٢، طبقات النحويين واللغويين: ٧٢ - ٧٤.

(٥) هو عمرو بن عثمان بن قنبر، فارسي الأصل ينتمي بالولاء إلى الحارث بن كعب بن أدد وهو إمام النحاة. ت: ١٦١ هـ.

انظر ترجمته:

المعارف: ٥٤٤، نزهة الألباء: ٥٤، مراتب النحويين: ١٠٦.

(٦) هو بشار بن برد بن بهمن ولد ونشأ بالبصرة «٩٦ هـ - ١٦٨ هـ».

انظر ترجمته:

الأغاني: ١٣٥/٣ - ٢٥٠، مقدمة شرح ديوانه للطاهر بن عاشور: ٨/١ - ٤٩.

الشعراء المحدثين - تقريباً إليه لأنه كان قد هجاهما لتركهما الاحتجاج بشعره^(١)،
ونقل ثعلب^(٢) عن الأصمعي^(٣) أنه قال:

«ختم الشعر بإبراهيم^(٤) بن هرمة وهو آخر الحجج».

فالشاهد النحوي إذاً يرتبط بزمن معين، وهو زمن الجاهليين، والمخضرمين
والإسلاميين، أما زمن المولّدين والمحدثين، فقد اختلف فيه، والصحيح عدم
الاستشهاد بهم.

أما الشاهد البياني، فلا يرتبط بزمن معين بل يصح الاستشهاد بكلام
المولّدين، وغيرهم من المتأخرين إلى آخر الزمان.

قال ابن جني:

«يستشهد بشعر العرب المولّدين في المعاني كما يستشهد بشعر العرب في
الألفاظ»^(٥).

(١) الموشح: ٢٢٤، الاقتراح: ٣٨.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن سيار المشهور بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة
٢٠٠ هـ - ٢٩١ هـ.

انظر ترجمته:

نزهة الألباء: ١٧٣ - ١٧٤، إنباه الرواة: ١٣٨/١، مراتب النحويين: ١٥١، بغية الوعاة:
٣٩٦/١، المزهري: ٤٦٤/٢.

(٣) هو عبد الملك بن قريب بن باهلة من ولد أصمغ وهو من أشهر الرواة العرب ولد سنة
٢٢٣ هـ وعُمّر نيفاً وتسعين سنة.

انظر ترجمته:

المعارف: ٤٥٣ - ٥٤٤.

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن هرمة القرشي «ت: ١٧٦ هـ». انظر ترجمته:

طبقات ابن المعتز: ٢٠، الشعر والشعراء: ٧٥٧، الأغاني: ٣٦٧/٤، وستأتي ترجمته فيما
يعد.

(٥) العملة: ٩٠، الاقتراح: ٣٨.

(٦) العملة: ٢٣٦/٢، المزهري: ٥٩/١.

وأيد ابن رشيقي ابن جني فيما ذكره، وعلل صحة الاستشهاد بكلام المحدثين في علوم البلاغة، بأن علوم البلاغة تعتمد على المعاني والمولدون قد حضروا الحواضر، وتفتنوا في المشارب، والمطاعم، فأتسع الخيال، وتولدت المعاني.

قال ابن رشيقي:

«قال أبو الفتح عثمان بن جني: المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ، والذي ذكره أبو الفتح صحيح بين؛ لأن المعاني إنما اتسعت لاتساع الناس في الدنيا، وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض، فمضروا الأمصار، وحضروا الحواضر، وتألقوا في المطاعم والملابس، وعرفوا بالعيان عاقبة ما دلتهم عليه بداهة العقول من فضل التشبيه وغيره... ومن هنا حكى عن ابن الرومي أن لائماً لأمه فقال:

لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه؟ قال: أنشدني شيئاً من قوله الذي استعجزتني في مثله، فأنشده في صفة الهلال:

فَانْظُرْ^(١) إِلَيْهِ كَزَوْرَقٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ أَثْقَلَتْهُ حُمُولَةٌ مِنْ عُنْبُرٍ^(٢)

فقال: زدني، فأنشده:

كَأَنَّ أَذْرِيُونَهَا^(٣) وَالشَّمْسُ فِيهِ كَالِيَةِ
مَذَاهِنُ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بَقَايَا غَالِيَةِ^(٤)

ولقد استشهد ابن جني بشعر المولدين في كتابيه الخصائص والمنصف:

انظر: الخصائص: ٢٤/١، ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٤٠، المنصف: ١٩٨/٢.

(١) رواية الديوان: «وانظر».

(٢) ديوان ابن المعتز: ٢٤٧.

(٣) أَذْرِيُونَهَا: الأذريون: زهر أصفر في وسطه خمل أسود تعريب أَذْرُكُونٌ وأصل معناه شبه النار، وأذريون لغة فيه بالفارسية.

معجم الألفاظ الفارسية - آدي شير: ٨.

(٤) لم أجده في ديوانه.

فصاح واغوثاه، يا الله، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ذلك إنما يصف ماعون بيته، لأنه ابن الخلفاء، وأنا أي شيء أصف؟...^(١).

وكذلك ذكر الحموي في خزانته أن الاستشهاد بأشعار المحدثين في البديع لا نقص فيه ثم استشهد على ذلك برأي ابن جني وابن رشيق السابقين. قال:

«وهنا بحث لطيف، وهو أن الاستشهاد بكلام المولدين، وغيرهم من المتأخرين ليس فيه نقص، لأن البديع أحد علوم الأدب الستة؛ وذلك أنك إذا نظرت في الكلام العربي إما أن تبحث عن المعنى الذي وضع له اللفظ، وهو علم اللغة، وإما أن تبحث عن ذات اللفظ بحسب ما يعتريه، وهو علم التصريف وإما أن تبحث عن المعنى الذي يفهم من الكلام المركب بحسب اختلاف أواخر الكلم، وهو علم العربية، وإما أن تبحث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحسب الوضع اللغوي وهو علم المعاني، وإما أن تبحث عن طرق دلالة الكلام إيضاحاً، وخفاء بحسب الدلالة العقلية، وهو علم البيان، وإما أن تبحث عن وجوه تحسين الكلام، وهو علم البديع، فالعلوم الثلاثة الأول يستشهد عليها بكلام العرب نظماً ونثراً؛ لأن المعبر فيها ضبط ألفاظهم، والعلوم الثلاثة الأخيرة يستشهد عليها بكلام العرب وغيرهم؛ لأنها راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب، وغيرهم إذا كان الرجوع إلى العقل...»^(٢) ثم ذكر رأي ابن جني، وابن رشيق المشار إليهما سابقاً.

(١) العمدة - دار بيروت - ٢٣٦/٢ - ٢٣٧.

(٢) خزانة الأدب للحموي: ٥.

د- بعض الدراسات التي قامت حول الشواهد قديمها وحديثها

إن دراسة الشاهد أمر ضروري في ترسيخ الأصول والقواعد، وهذه الدراسة تجعل الدارس يقف على كل جوانب القضية وملابساتها مما يساعد على فهمهما وثباتها في الأذهان.

وقد تفضّل العلماء قديماً إلى أهمية دراسة الشواهد - وبخاصة علماء النحو الذين عكفوا على أهم الكتب النحوية يشرحونها تارة، ويدرسون شواهدا تارة أخرى، ومن أهم الكتب التي عكفوا عليها كتاب سيبويه الذي بلغت شروح أبياته ما يقرب من أربعة عشر شرحاً، فممن قام بشرح أبياته:

- ١ - أبو العباس المبرد (ت: ٢٨٥ هـ).
- ٢ - أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١٠ هـ أو ٣١٦ هـ).
- ٣ - أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨ هـ).
- ٤ - محمد بن علي الملقب بمبرمان النحوي البصري (ت: ٣٤٥ هـ).
- ٥ - أبو سعيد السيرافي (ت: ٣٦٨ هـ).
- ٦ - هارون بن موسى القرطبي (ت: ٤٠١ هـ).
- ٧ - أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإسكافي (ت: ٤٢١ هـ).
- ٨ - الأعلام الشتتمري (ت: ٤٧٦ هـ).
- ٩ - جارا الله أبو القاسم محمود الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ).
- ١٠ - ابن هشام محمد بن أحمد اللخمي (ت: ٥٧٠ هـ).
- ١١ - أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت: ٦١٦ هـ).
- ١٢ - محمد بن علي الشلوبين الصغير (ت: ٦٦٠ هـ).

١٣ - عفيف الدين ربيع بن محمد بن منصور الكوفي (ت: ٦٨٢ هـ).

١٤ - أبو بكر محمد بن علي المراغي^(١).

وقد اطلعت على اثنين منها وهما:

١ - شرح أبيات سيويه لأبي جعفر النحاس (ت: ٣٣٨ هـ) شرح فيه ثلاثة وأربعين وسبعمائة شاهد منها سبعون غير موجودة في كتاب سيويه.

٢ - شرح أبيات سيويه لأبي سعيد السيرافي، ويبلغ عدد شواهد سبعة وعشرين وستمائة شاهد. وقد توصل إلى معرفة الشاعر في تسعة وعشرين ومائة موضع، وصحح النسبة عند سيويه في واحد وثلاثين موضعاً. ودراسة الشواهد في هذين الكتابين فيها بعض أوجه القصور منها عدم الاهتمام بالناحية العروضية، عدم الترجمة للشاعر، عدم الاهتمام بالأبيات السابقة، واللاحقة، والتي تساعد على تصور معنى البيت، شرح الأبيات شرحاً موجزاً مختصراً.

وهناك كثير من الكتب التي اهتمت بشرح الشواهد النحوية في غير كتاب سيويه منها:

١ - شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك، (٦٠٠ هـ - ٦٧٢ هـ).

٢ - شرح الشواهد للعيني (٧٩٢ هـ - ٨٥٥ هـ).

٣ - شرح شواهد المغني لجلال الدين السيوطي (٨٤٩ هـ - ٩١١ هـ).
ويبلغ عدد شواهد الكتاب تسعة وسبعين وثمانمائة شاهد.

٤ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ هـ - ١٠٩٣ هـ). ولقد سار في كتابه الخزانة على منهج جعله أعلى وأضحى موسوعة عربية في علوم اللغة العربية، وآدابها إلى كونه كتاب تراجم

(١) كشف الظنون: ١٤٢٧/٢، ١٤٢٨، وانظر كذلك: مقدمة محقق كتاب «شرح أبيات سيويه» لابن السيرافي - تحقيق محمد علي سلطاني -.

يضم ترجمة الكثير من الشخصيات، كما جمع كثيراً من النصوص النادرة، وحفظ فيه كثيراً من أسماء المؤلفات الضائعة.

٥ - شرح شواهد الشافية لابن الحاجب لعبد القادر بن عمر البغدادي . وعدد شواهد تسعة وأربعون ومائتي شاهد . وإن ذكر هو أنها مائة وستة وتسعون بيتاً، وهو كتاب مختصر في شرح الشواهد، نهج فيه نهجاً مماثلاً للخزانة مع انتفاعه بالإحالة إلى ما سبق تفصيل له في الخزانة .

٦ - شرح شواهد ابن عقيل، للشيخ عبد المنعم عوض الجرجاوي (ت: ١١٩٥ هـ) . اهتم الشيخ الجرجاوي أكثر ما اهتم بإعراب الشاهد، ونسبته إلى قائله ما أمكن .

٧ - فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل . للعلامة محمد قطة العدوي (ت: ١٢٨١ هـ) . وهو موجود على هامش شرح الشيخ عبد المنعم الجرجاوي على شواهد ابن عقيل .

هذا عرض سريع للكتب التي ألفت في شرح الأبيات النحوية، والذي ساقني لهذا العرض ما لاحظته من اهتمام علماء النحو بهذا الجانب من الدراسة، على عكس علماء البلاغة، فلم تحظ الشواهد البلاغية عندهم بذلك الاهتمام، حيث لم يتعرض لدراساتها إلا القليل منهم - على حسب علمي -، ولا أعلم السر في اهتمامهم بشرح أبيات الإيضاح، والتلخيص، والمطول، وانصرافهم عن الكتاب الأم «الدلائل» والذي هو المصدر الأساسي لجميع من كتب بعده، وأن معظم الشواهد التي جاءت في الكتب اللاحقة مستقاة منه، وهو كتاب لا يقل أهمية في البلاغة عن كتاب سيويه في النحو.؟!

وفيما يلي عرض لبعض الدراسات التي اهتمت بالشواهد البلاغية مع دراسة موجزة لمنهج كل دراسة .

١ - شرح أبيات الإيضاح:

لفخر الدين الخوارزمي^(١). وهو مخطوط في المكتبة الأزهرية تحت رقم (٤٣) بلاغة وهناك نسخة أخرى في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٢ م كما توجد نسخة ثالثة في تركيا في مكتبة فيض الله «ملت» باستانبول تحت رقم ١٨١٦.

ويبلغ عدد شواهد المخطوط خمسة وعشرين وستمائة شاهد.

أما عن منهجه في تناول الشواهد فهو كالآتي:

١ - كان يكتفي بنسبة البيت من غير تعريف بقائله. كما أنه لم يهتم بنسبة جميع الشواهد إلى قائلها.

٢ - شرح المفردات معتمداً في أغلب الأحيان على أساس البلاغة، والصحاح.

٣ - شرح الأبيات شرحاً مجملًا، وكثيراً ما يكتفي بشرح المرزوقي للشاهد. إن كان قد ورد في الحماسة - وأحياناً يستغني بشرح المفردات عن شرح البيت.

٤ - يلجأ أحياناً إلى الإحالة على الإيضاح إن كان هناك تفصيل للبيت.

٥ - كثيراً ما يأتي بأبيات المفتاح التي تناسب الموضوع.

٦ - نادراً ما يورد الأبيات التي قبل الشاهد وبعده.

٧ - لم يهتم بالمعارف العروضية.

٨ - لم يورد خلاف العلماء في الشاهد إن كان هناك خلاف دائر بينهم.

٩ - لا يذكر موضع الشاهد البلاغي.

٢ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص:

للشيخ: عبد الرحيم بن أحمد العباسي (٨٦٧ هـ - ٩٦٣ هـ)^(٢).

(١) لم أقف على ترجمته.

(٢) هو عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد أبو الفتح العباسي عالم بالأدب من المشتغلين =

حققه وعلق حواشيه وصنع فهارسه: محمد محيي الدين عبد الحميد، وهو يقع في أربعة أجزاء، والكتاب يحوي أربعة وعشرين ومائتي شاهد.

أما منهجه في معالجة الشاهد فهو:

- ١ - إيراد الشاهد ونسبته إلى قائله مع الترجمة للشاعر ترجمة موجزة.
- ٢ - الاهتمام بالوزن العروضي.
- ٣ - ذكر موضع الشاهد البلاغي.
- ٤ - إيراد مطلع القصيدة في الكثير الغالب، وأحياناً يلجأ إلى ذكرها بكاملها، وأحياناً يذكر المشهور من أبياتها.
- ٥ - وضع بيت الشاهد ضمن إطار من الأبيات السابقة، واللاحقة التي تزيد المعنى وضوحاً.
- ٦ - ذكر ما يناسب كل شاهد من النظائر الأدبية كلما أمكن ذلك.

وقد وضع هو منهجه فقال:

«... وسلكت فيه منهج الاختصار، ومدرج الاختصار ونصيت^(١) على أبحر تلك الشواهد العروضية، ووضعت في كل شاهد منها ما يناسبه من نظائره الأدبية، وذكرت ترجمة قائله إلا ما لم اطلع عليه بعد التفتيش في كتب الأدب والتحرّي والاستقصاء في الطلب، ومزجت فيه الجذّ بالهزل، والحزن بالسهل، وسميته بـ «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص»^(٢).

ثم يذكر أن فيه كثيراً من الفضول الذي قد يمل إلا أنه اعتذر لنفسه بأن هذا الفضول فيه فوائد فريدة. فقال:

بالحديث، ولد بمصر ورحل إلى القسطنطينية مرتين وتوفي بها من كتبه: «نظم الوشاح على شواهد تلخيص المفتاح». انظر ترجمته:

الشقائق النعمانية: ٢٤٦ - ٢٤٧، معاهد التنصيص: ٢٧٤/٤، وفيه نسبة كما كتبه هو، كشف الظنون: ٤٧٧/١، هدية العارفين: ٥٦٣/١، الأعلام: ٣٤٥/٣.

(١) أصله: «نصت».

(٢) معاهد التنصيص: ٢/١ - ٣.

«... وهو وإن كان من جنس الفضول الذي ربما يستمل، أو هو بقول الحسود داخل في قسم المهمل فهو أمنية كان الخاطر يتمناها، وحاجة في نفس يعقوب قضائها، على أنه لا يخلو من فائدة فريدة، ونكتة عن مواطنها شريفة، ودرة مستخرجة من قاع البحور، وشذرة تزين بها قلائد النحور»^(١).

٣ - شواهد المطول المسمي:

«عقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر» لحسين بن شهاب الدين العاملي (١٠١٢ هـ - ١٠٧٦ هـ)^(٢).

وهو مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت رقم (٥٤٦) ١١١٥٤، ويقع في ثلاثة وثمانين لوحة، تشتمل كل صفحة على ثلاثة وعشرين سطراً ما عدا الصفحة الأولى فتشمل خمسة عشر سطراً.

وفي جامعة أم القرى جزء من مخطوط مجهول المؤلف تحت عنوان: «شرح شواهد كتاب في البلاغة» مخطوط (ق: ١ - ١٢) رقم ١٣٠٥.

وهي اثنا عشرة لوحة تحوي كل لوحة اثنين وثلاثين سطراً، ويبدو أنها جزء من المخطوط الأم لشواهد المطول لحسين بن شهاب الدين العاملي، وذلك بمقارنتها بمخطوط المكتبة الأزهرية.

ويبلغ عدد الشواهد فيه بعد إسقاط المكررات أحد عشر وستمائة شاهد،

(١) معاهد التنصيص: ٣/١.

(٢) هو حسين بن شهاب الدين بن حسين بن جاندار البقاعي الكركي العاملي، وعرفه الحر العاملي في كتابه «أمل الأمل» بالحكيم العاملي وقال في نسبه هو: «حسين بن شهاب الدين بن حسين بن محمد بن حسين بن حيدر العاملي الكركي الحكيم» كان شاعراً أديباً من الشعراء العلماء، وكان متكلماً حكيماً، وكان شعره جيداً سكن أصفهان، وانتقل إلى حيدر آباد، وأقام فيها إلى أن توفي (١٠٧٦ هـ). من كتبه: «شرح نهج البلاغة»، «هدية الأبرار في أصول الدين».

انظر ترجمته:

أمل الأمل: ٧٠/١ - ٧٤، هدية العارفين: ٣٢٣/١، الأعلام: ٢٣٥/٢.

منها في المطول ثمانية وتسعون وخمسمائة شاهد، والباقي مع بعض ما فيه في غيره.

وقد أشار المؤلف إلى ذلك فقال:

«... وأعلم أن المذكور في الشرحين والحاشية الشريفة صريحاً، وإشارة من الأبيات التامة، والمصاريح المفردة يبلغ بعد إسقاط المكررات ستمائة وأحد عشر، منها في المطول خمس مائة وثمانين وتسعون، والباقي مع بعض ما فيه في غيره، والله أعلم»^(١).

أما عن منهج المخطوط في تناول الشاهد، فيمكن تلخيصه في النقاط التالية:

- ١ - الاهتمام بنسبة الشواهد إلى قائلها مع إيراد الاختلافات في ذلك إن وردت.
- ٢ - ذكر بعض الأبيات السابقة واللاحقة لبيت الشاهد إن توقف فهم المعنى عليها.
- ٣ - ذكر عروض الشاهد.
- ٤ - إعراب الشاهد.
- ٥ - شرح المفردات.
- ٦ - شرح الشاهد شرحاً أدبياً.
- ٧ - بيان موضع الشاهد.
- ٨ - استخلاص ما يرد في الشاهد من وجوه بلاغية أخرى.

ولقد أشار المؤلف إلى منهجه هذا في مقدمة المخطوط فقال:

«اعلم أنني التزمت في كثير من الأبيات أن أذكر الشاهد أولاً، وبعده اسم ناظمه وعروضه، وما قبله وما بعده، إن توقف فهمه عليه، ثم أذكر اللغة والإعراب والمعنى ومحل الشاهد، ثم أشير إلى بعض ما فيه من البلاغة، ليكون

(١) عقود الدرر في أبيات المطول والمختصر، لوحة ٨٢ ب - ٨٣ أ.

تخريجاً للمبتدي، وتذكرة للمنتهي، ولم ألتزم ذلك في كُلِّ الأبيات خوفاً من الإكثار والتكلف حتى لا أكون كحاطب ليل وطالب رَجُلٍ وخَيْلٍ، وربما خالفت الشَّرَاحَ في بعض الأماكن مصرحاً بالخلاف تارة، ومقتصراً على ما اخترته أخرى، إذ ليس شأني شين أحد، بل بيان الصُّواب، فتأمل الكلامين؛ ليظهر لك الحق بلا مِين، وعلى الله سبحانه الاعتماد، ومنه طلب السداد»^(١).

وهذا مخطوط قيم في الشواهد يخدم علم البلاغة خدمة جليلة؛ لذا أنوي - بإذن الله تعالى - تحقيقه مستقبلاً هو ومخطوط شرح أبيات الإيضاح - السابق الذكر - ليستفيد منهما طلاب العلم - أسأل الله العون والثبات.

٤ - القول الجيد في:

«شرح أبيات التلخيص وشرحه وحاشية السيد» لمحمد ذهني (١٢٦٢ هـ - ١٣٢٩ هـ)^(٢).

وهو مطبوع بإستانبول سنة ١٣٠٤ هـ، ومكتوب باللغة التركية ذات حروف عربية. عدد شواهده التي أوردها ستة وعشرون وستمائة شاهد، ويتلخص منهجه في النقاط التالية:

١ - نسبة الشاهد لقائله مع الإشارة إلى مناسبة القصيدة.

٢ - الاهتمام بالناحية العروضية.

٣ - الإتيان بمطلع القصيدة.

٤ - إيراد أبيات قبل وبعد الشاهد.

(١) عقود الدرر: لوحة: ٣ أ.

(٢) هو محمد ذهني بن محمد رشيد الرومي الإستانبولي فقيه حنفي، أديب بالعربية، رومي

«تركي» من أهل إستانبول كان من أعضاء مجلس المعارف العثماني ومن المدرسين

بالمكتب السلطاني، له كتب منها:

«الألغاز الفقيه - ط» و«الحقائق - ط» في الحديث.

انظر ترجمته:

هدية العارفين: ٤٠٠/٦، الأعلام: ١٢٣/٥.

٥ - الاهتمام بإعراب البيت وشرح مفرداته، وهو كتاب يميل إلى الاختصار والإيجاز.

وهناك كتاب في شرح شواهد التلخيص أشار إليه البغدادي في هدية العارفين - لم يقع تحت يدي - واسمه:

«شرح أبيات تلخيص المفتاح» للسيوطي^(١).

معجم شواهد العربية:

للأستاذ: عبد السلام هارون.

وهم معجم لا يختص بشواهد البلاغة فقط، بل يهتم بشواهد العربية عامة من نحو وصرف وبلاغة، وقد آثرت ذكره لتطرقه لشواهد البلاغة.

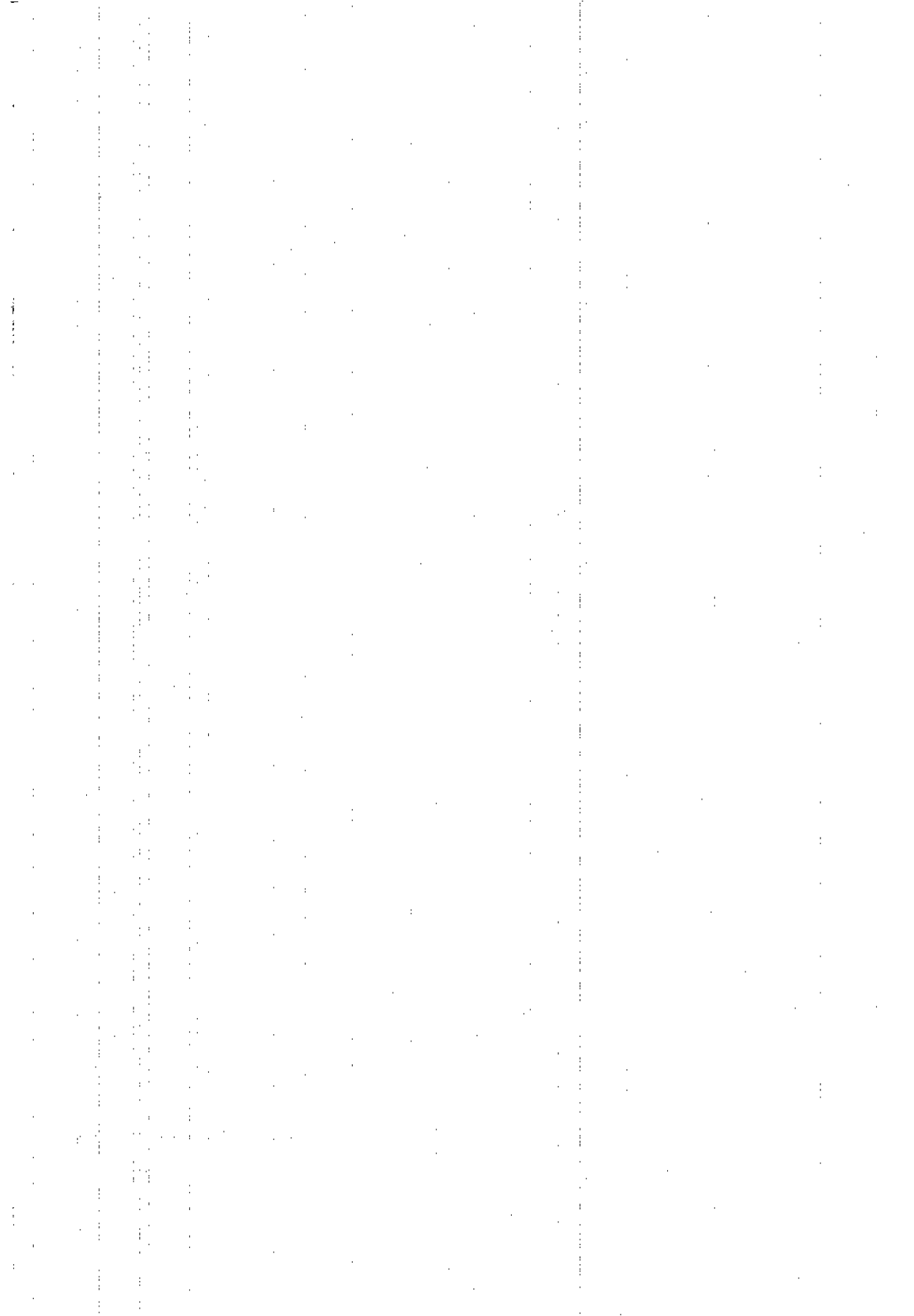
وهو كتاب يقع في مجلد واحد، رتب صاحبه الشواهد على الحروف الأبجدية ويقتصر عمله على:

١ - نسبة الشاهد ما أمكن.

٢ - الاهتمام بالناحية العروضية.

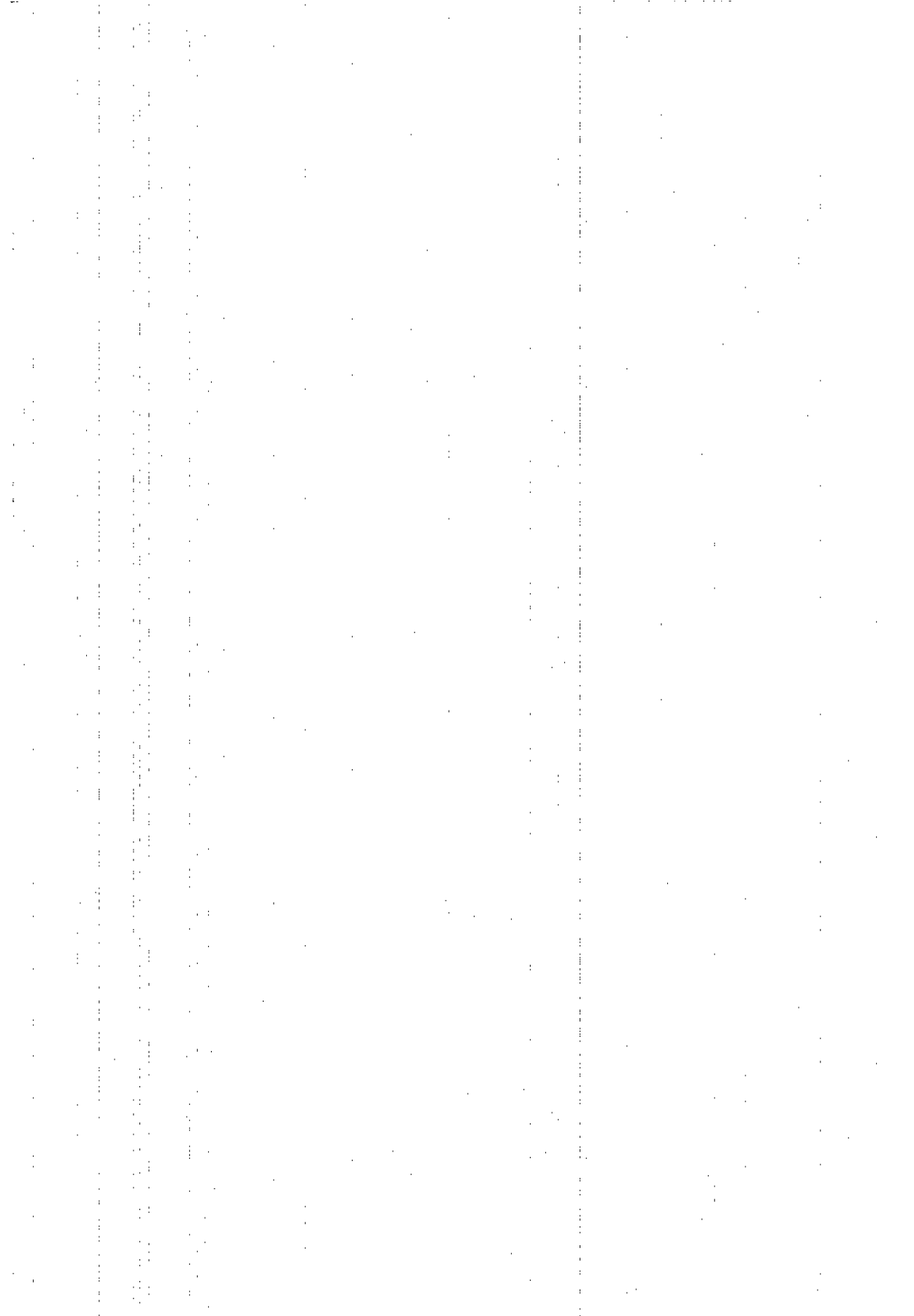
توثيق الشاهد من كتب العربية.

(١) هدية العارفين: ٥٤٠/٥.



الباب الأول

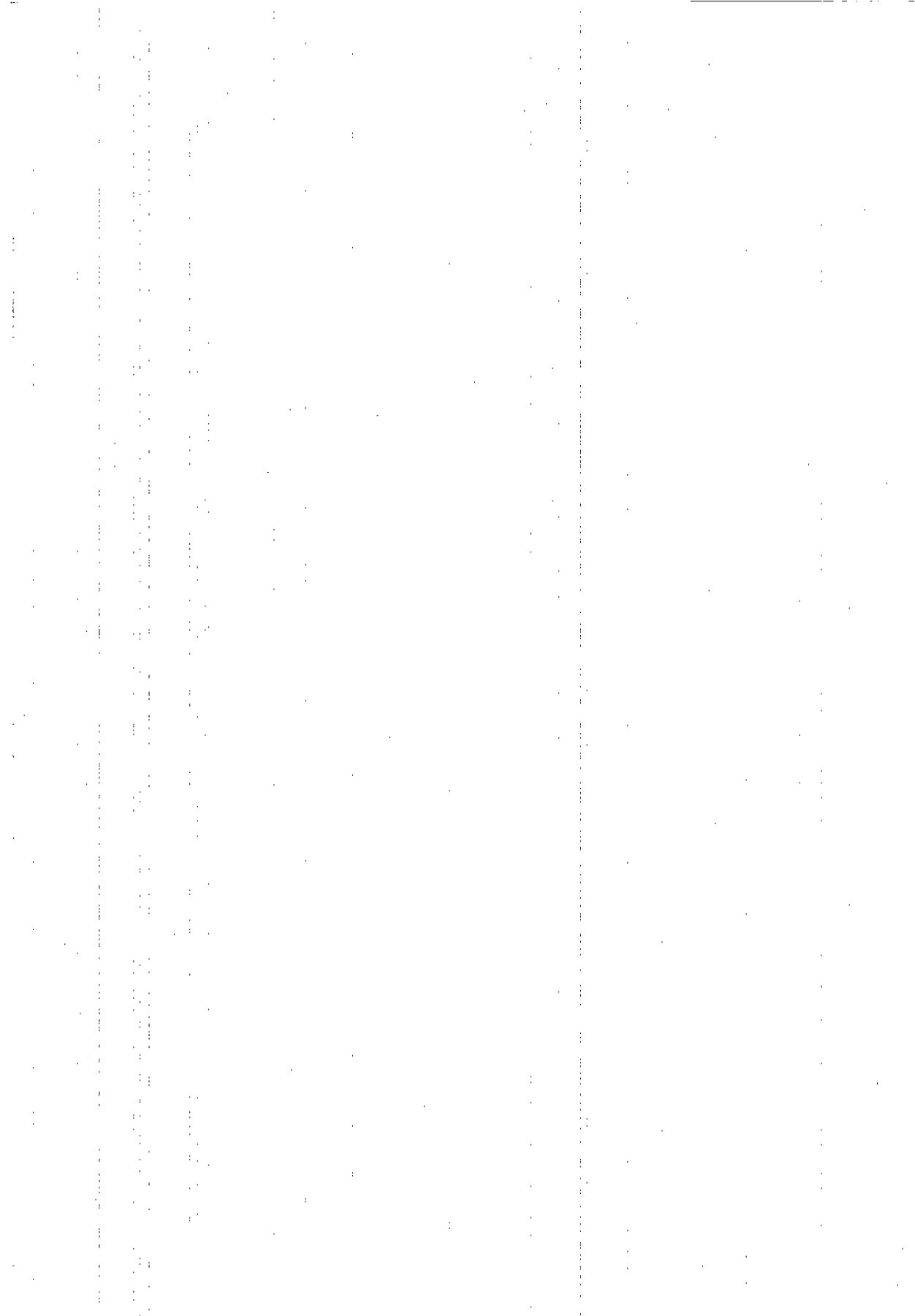
شواهد دلائل الإعجاز



الفصل الأول

أ — أبيات المدخل.

ب — شواهد تحقيق القول في البلاغة والفصاحة.



أبيات المدخل

لقد آثرت أن أطلق على هذا الفصل عنوان:
أبيات المدخل

لأن الشيخ لم يسمه تمهيداً ولا مقدمة. وأطلقت لفظ «أبيات» بدلاً من «شواهد» على الأشعار الواردة فيه، إذ الشاهد يرتبط في الأذهان بالقاعدة، والشيخ أتى بهذه الأبيات ليس لتوضيح قاعدة بلاغية، وإنما ساقها في معرض دفاعه عن الشعر والنحو، إذ هما لبنتان أساسيتان في توضيح فكرة النظم التي بنى عليها الكتاب ويبلغ عدد أبيات هذا الفصل: أربعة عشر بيتاً.

الكلام في الشعر

البيت الأول^(١):

(الكامل)

الْيَوْمَ عِنْدَكَ ذُلُّهَا وَحَدِيثُهَا وَغَدًا لِيَغْيِرَكَ كَفُّهَا وَالْمِعْصَمُ^(٢)

لم يذكر الشيخ قائله، وإنما ذكر أن الحسن البصري^(٣) كان يتمثل به، وكان من أوجع الأبيات عنده.

(١) الدلائل، رضا: ١٠، خفاجي: ٦٥، شاکر: ١٣.

(٢) انظر البيت في:

أمالى المرتضى: ١٦٠/١، بهجة المجالس وأنس المجالس: ٥٢/٣، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٤٩/٣.

(٣) لم أعثر على قائله فيما اطلعت عليه من مصادر.

والبيت من أبيات في مزمة النساء، وقبله:

إِنَّ النِّسَاءَ وَإِنْ دُكِرْنَ بِعِفَّةٍ فِيمَا يُظَاهَرُ فِي الْأُمُورِ وَتُكْتَمُ
لَحْمٌ أَطَافَ بِهِ سَبَاعُ جُوعٍ مَالًا يُذَادُ فَإِنَّهُ يُتَقَسَّمُ
لَا تَأْمَنُ أَنتَى حَيَاتِكَ^(١) وَأَعْلَمُ أَنَّ النِّسَاءَ وَمَالَهُنَّ مُقَسَّمُ

وبعدها البيت وبعده:

كَالْحَاثِرِ تَسْكُنُهُ وَتُصْبِحُ^(٢) غَايِبًا وَيَحُلُّ بَعْدَكَ فِيهِ مَنْ لَا تَعْلَمُ

ذكر الشيخ البيت في الرد على من زعم أن قول الشعر مرفوض برمته، وأن رواية الشعر أيًا كان فعل مذموم، وعمل مردود ينتقص من قدر قائله، ويحط من مكانة راويه، فرد هذا الزعم محتجاً بأن الراوي هو مجرد حاكٍ، وليس على الحاكمي وزر إن لم يقصد بروايته نصرة الباطل، واحتج لذلك بأن الله سبحانه وتعالى قد حكى كلام الكفار في كتابه الكريم.

وها هو ذا الحسن البصري - وهو رجل مشهود له بالتقوى والوقار والزهد - قد تمثل بهذا البيت من الشعر، فاستعان بالباطل في الحق، فقد نقله من غرضه الذي جاء به الشاعر إلى غرض آخر هو أحق به وأكرم له عن العباد الصالحين،

(١) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء النساك، ولد بالمدينة (٢١ هـ)، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة، وعظمت هيئته في قلوب العامة والخاصة، توفي (١١٠ هـ).

انظر ترجمته:

تهذيب التهذيب: ٢٥٧/٢ - ٢٧٦، وفيات الأعيان: ٦٩/٢، ميزان الاعتدال: ٥٢٧/١، حلية الأولياء: ١٣١/٢ - ١٦١، أمالي المرتضي: ١٥٢/١ - ١٥٧.

(٢) رواية بهجة المجالس: «حبك بودها».

(٣) رواية شرح ديوان الحماسة للتبريزي: «وترحل».

ذكر البيت الأول والثالث والرابع والخامس في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١٤٩/٣، وذكر البيت الثالث والرابع في بهجة المجالس: ٥٢/٣، وذكر البيت الرابع في أمالي المرتضي: ١٦٠/١.

فالبيت في الأصل من الأبيات الحكيمة التي جاءت في مذمة بعض النساء اللواتي لا يؤمن جانبهن، إلا أن الحسن البصري جاء به للوعظ والإرشاد، فبه ذُكر الإنسان بقضية الموت، ومفارقة الأحبة، وأنه لا وَفِيَّ لابن آدم غير عمله الصالح.

وتذكير الإنسان بمفارقة زوجه وما يجده من متعة في دلها وحديثها، وأنها قد تكون بعد وفاته لغيره من أشد الأمور إيلاًماً للنفس، والغرض من إثارة هذا الألم حث النفس على ترك ملاهي الدنيا، وعدم الاغترار بمفاتها الزائلة، والعمل الصادق للأخرة. فلو أن في رواية الشعر حرجاً لكان الحسن البصري أبعد الناس عنه. قال الشيخ:

«هذا وراوي الشعر حاكٍ، وليس على الحاكي عَيْبٌ، ولا عليه تَبِعَةٌ، إذا هو لم يَقْصِدْ بحكايته أن يَنْصُرَ باطلاً، أو يسوءَ مُسْلِماً، وقد حكى الله تعالى كلامَ الكفار. فانظر إلى الغَرَضَ الذي له رُويَ الشعر، ومن أجله أريد، وله دُؤْنٌ، تعلم أنك قد رُغِيتَ عن المنهج، وأنتك مُسيءٌ في هذه العداوة، وهي العصبية منك على الشعر. وقد استشهد العلماء لغريب القرآن وإعراجه بالأبيات فيها الفُحْش، وفيها ذُكر الفعل القبيح، ثم لم يَعْبهُم ذلك، إذ كانوا لم يَقْصِدُوا إلى ذلك الفحش ولم يُريدوه، ولم يَرَوْوا الشعر من أجله»^(١).

البيت الثاني^(٢):

(الطويل)

قول عُمارة بن الوليد^(٣):

- (١) الدلائل، رضا: ١٠، خفاجي: ٦٥، شاعر: ١٢.
(٢) الدلائل، رضا: ١١، خفاجي: ٦٦ - ٦٧، شاعر: ١٣ - ١٤.
(٣) هو عُمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وهو أحد أزواد الركب وهم:
مسافرين أبي عمرو، وزمعة بن الأسود، وأبو أمية بن المغيرة، وعُمارة بن الوليد. يقال له الوحيد، وكان أزواد الركب لا يَمُرُّ عليهم أحد إلا قَرَّوه، وأحسنوا ضيافته، وزودوه ما يحتاج إليه.

انظر ترجمته:

الأغاني: ١٢٢/١٨ - ١٢٦، الدلائل، رضا: ١١، خفاجي: ٦٦، شاعر: ١٤.

أَسْرَكَ لَمَّا صُرِّعَ الْقَوْمُ نَشْوَةً^(١) خُرُوجِي^(٢) مِنْهَا سَالِمًا غَيْرَ غَارِمٍ
بَرِيئاً^(٣) كَأَنِّي قَبْلُ^(٤) لَمْ أَكُ مِنْهُمْ^(٥) وَلَيْسَ الْخِدَاعُ مُرْتَضًى فِي التَّنَادُمِ^(٦)

وقبل البيتين:

وَلَسْنَا^(٧) بِشَرْبِ أُمِّ عَمْرٍو^(٨) إِذَا ائْتَشَوْا ثِيَابُ النَّدَامَى عِنْدَهُمْ^(٩) كَالْغَنَائِمِ
وَلَكُنَّا يَا أُمَّ عَمْرٍو نَدِيمُنَا بِمَنْزِلَةِ الرِّيَّانِ لَيْسَ^(١٠) بِعَائِمِ^(١١)

والكلام فيه كسابقه، فالمتمثل هنا بالشعر هو عمر بن الخطاب، وهو ثاني الخلفاء الراشدين، وقد عُرف بتقواه، وورعه، وخوفه من الله، ولم يمنعه هذا من التمثيل بقول عمارة بن الوليد، وهو رجل صاحب خمر مغرم بها، وأبياته هذه مبنية على ذكر الخمر وتعاطيها، والانتشاء بها.

فهو هنا يخاطب زوجه التي عاتبته في شرب الخمر^(١٢) قائلاً لها:

هل يسرك ويرضيك إذا تنادم القوم وانتشوا أن لا أشاركهم في هذا

(١) رواية معجم الشعراء: «وانتشوا».

(٢) رواية الأغاني، «أن أخرج منها».

(٣) رواية الأغاني ومعجم الشعراء: «خليّاً».

(٤) رواية معجم الشعراء: «من تصافي».

(٥) رواية الأغاني: «كأنني لم أكن كنت فيهم».

(٦) ذكر محقق الأغاني أنه جاء في إحدى مخطوطاته: «مرتضى في الترانم».

(٧) رواية معجم الشعراء: «ولست».

(٨) ذكر محقق الأغاني أنه ذكر في إحدى مخطوطاته: «أم عوف».

(٩) رواية معجم الشعراء: «بينهم».

(١٠) رواية معجم الشعراء «يعارم»، وعائِم من العِيمة وهي شهوة اللبن، عام الرجل إلى اللبن يَعامُ وَيَعِيمُ عَيْماً وَعَيْمةً: اشتهاه، والعِيمة شدة الشهوة للبن حتى لا يصبر عنه، فإذا انتهى الرجل اللبن قيل قد انتهى فلان اللبن فإذا أفرطت شهوته جداً قيل عام إلى اللبن.

(١١) انظر الأبيات في: الأغاني: ١٢٣/١٨، معجم الشعراء للمرزباني: ٢٤٦.

(١٢) انظر القصة: الدلائل، رضا: ١١، خفاجي: ٦٦، شاکر: ١٤.

الانتشاء، وقد كنت من قبل واحداً منهم، فإني إن فعلت ذلك، فأنا مخادع،
وخداع الأحبة والأصحاب أمر مذموم غير مرتضى.

فعمربن الخطاب تمثل بهذه الأبيات تنبيهاً لزيد بن حارثة، الذي أراد أن
يأخذ أجود الحلل لابن زوجه، محمد بن حاطب، دون صحبه - إلى أن خداع
الأحبة والأصحاب أمر قبيح، فشبه حالة زيد هذه بحالة الشاعر مع صحبه.

جاء في الدلائل: أتيَ عمر رضوان الله عليه بحلل من اليمن، فأتاه
محمد بن جعفر بن أبي طالب، ومحمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن
طلحة بن عبيد الله، ومحمد بن حاطب، فدخل عليه زيد بن ثابت رضي الله عنه،
فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء المحمدون بالباب يطلبون الكسوة، فقال: إذن
لهم يا غلام، فدعا بحلل، فأخذ زيد أجودها حلة، وقال هذه لمحمد بن حاطب،
وكانت أمه عنده، وهو من بني لؤي، فقال عمر رضي الله عنه: أَيَهَاتَ أَيَهَاتَ!
وتمثل بشعر عمارة بن الوليد...»^(١).

(الكامل)

البيت الثالث^(٢):

قول أبي تمام^(٣):

وَاللَّهِ^(٤) قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ^(٥)

(١) المصدر السابق، رضا: ١٠، خفاجي: ٦٥، شاکر: ١٣.

(٢) الدلائل، رضا: ١١، خفاجي: ٦٧، شاکر: ١٤.

(٣) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، ولد في قرية جاسم وهي من قرى دمشق، ونشأ
بمصر، وكان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد ولد سنة
(١٨٨ هـ)، وتوفي سنة (٢٣١ هـ) وقيل ٢٣٢ هـ وقيل ٢٢٨ هـ، وقيل ٢٢٩ هـ.

انظر ترجمته:

طبقات ابن المعتز: ٢٨٢ - ٢٨٦، نزهة الألباء: ١٢٣ - ١٢٤، وفيات الأعيان: ١١/٢ -
٢٦، تاريخ بغداد: ٢٤٨/٨ - ٢٥٤، تهذيب ابن عساكر: ٢١/٤ - ٣٠، الأعلام:
١٦٥/٢.

(٤) رواية تحرير التحبير ووفيات الأعيان، والمنصف في نقد الشعر: «فالله».

(٥) انظر البيت في: ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ٢/٢٥٠.

والبيت من قصيدة يمدح بها أحمد بن المعتصم^(١)، ومطلعها:
ما في^(٢) وقوفك ساعة من باسٍ نقضي ذمام الأربع الأذراسِ

وقبل البيت:

أبليت هذا المجد أبعد غاية فيه وأكرم شيمة ونحاس^(٣)
إقدام عمرو^(٤) في سماحة حاتم^(٥) في حلم أخنف^(٦) في ذكاء إياس^(٧)

= ديوان أبي تمام - دار صعب -: ١٥٢، البيان والتبيين: ٧٩/٤، الموشح: ٢٩٣، أخبار أبي تمام للصولي: ٢٣١، المنصف في نقد الشعر: ١٥٧، العمدة: ١٩٢/١، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٩٢/١، تحرير التحيير: ٥٠٧/٢، شرح شافية ابن الحاجب: ٢٩٧/٤، وفيات الأعيان: ١٥/٢.

(١) جاء في شرح شافية ابن الحاجب أنه مدح بها أحمد بن المأمون بن هارون الرشيد، وذكر ابن خلكان قصة لهذا الشاهد ذكر فيها أنه مدح به الخليفة، وأنكر ابن خلكان ذلك، وأورد أنه مدح به أحمد بن المعتصم، أو أحمد بن المأمون، قال:

«إن هذه القصيدة ما هي في أحد من الخلفاء، بل مدح بها أحمد بن المعتصم، وقيل أحمد بن المأمون، ولم يل واحد منهما الخلافة» الوفيات: ١٦/٢.

(٢) ذكر محقق ديوان أبي تمام بشرح الخطيب أنه روى في إحدى مخطوطات الكتاب: «هل في وقوفي».

(٣) النحاس: بضم النون وكسرهما الطيعية والأصل. اللسان «نحس»: ٢٢٧/٦.

(٤) يقصد بعمرو هنا عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي، فارس اليمن، وفد على المدينة سنة (٩ هـ) في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، ثم عادوا إلى اليمن، ولما توفي النبي ﷺ ارتد عمرو ثم رجع إلى الإسلام، وشهد اليرموك والقادسية، وكان شجاعاً ألباً.

انظر ترجمته:

المبهم: ٢٠، الشعر والشعراء: ٣٧٩/١ - ٣٨٣، الأغاني: ٢٠٨/١٥ - ٢٢٩، المؤلف والمختلف: ١٥٦، معجم الشعراء للمرزباني: ٢٠٨، سبط الألي: ٦٣، ٦٤، الإصابة:

١٨/٣، رقم (٥٩٧٢) خزنة البغدادي: ٤٤٤/٢، ٤٤٦.

(٥) ويقصد بحاتم هنا حاتماً الطائي، وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي القحطاني أبو عدي، فارس، شاعر، جواد، جاهلي يضرب به المثل في الجود، كان من أهل نجد، زار الشام، وتزوج ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض جبل طيء.

انظر ترجمته:

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلًا شَرُوداً فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

وبعدها البيت وبعده:

إِنْ تَحْوِ خَصْلَ الْمَجْدِ فِي أَنْفِ الصَّبَا يَابْنَ الْخَلِيفَةِ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ
فَلَرُبَّ نَارٍ مِنْكُمْ قَدْ أُنتِجَتْ فِي اللَّيْلِ مِنْ قَبَسٍ مِنَ الْأَقْبَاسِ

والبيت ذكره الشيخ؛ ليوضح أن الشعر وإن كان خسيساً، فقد يتوصل به إلى معنى شريف، فالله سبحانه وتعالى قد شبه نوره العظيم بما هو أقل منه، إذ كان المشبه من أبلغ ما يعرفه الناس ضوءاً، فقال تعالى:

﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلِكَ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ . . . (١).

الشعر والشعراء: ١/٢٤٧، تهذيب ابن عساكر: ٣/٤٢٤ - ٤٣٢، الخزانة للبغدادي - مكتبة

الخانجي -: ٣/١٢٧، الأعلام: ٢/١٥١، المجلس الصالح: ١/٣٢٠ - ٣٢١.

(٦) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرِّي السعدي المنقري التميمي (٣ ق - ٧٢ هـ) أحد العظماء الدهاء، يضرب به المثل في الحلم، ولد في البصرة، وأدرك النبي - ﷺ - ولم يره، كان صديقاً لمصعب بن الزبير.

انظر ترجمته:

نهاي الأرب: ٦/٥٠، الأعلام: ١/٢٧٦ - ٢٧٧.

(٧) ويقصد بإياس هنا إياس بن معاوية بن قرة المزني أبو وائلة، قاضي البصرة وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء، يضرب المثل بذكائه. قال الجاحظ «إياس من مفاخر مضر ومن مقدمي القضاة، كان صادق الحدس نقاباً عجيب الفراسة، ملهماً، وجيهاً عند الخلفاء، توفي بواسط (١٢٢ هـ).

انظر في ترجمته في:

البيان والتبيين: ١/٩٨، ١٠١، ٢٧٥ - ١٩٥/٢ - ٣١٥/٤، وفیات الأعيان: ١/٢٤٧،

٢٥٠، ثمار القلوب: ١/٩٢، ميزان الاعتدال: ١/٢٨٣، حلية الأولياء: ٣/١٢٣، ١٢٥،

المجلس الصالح: ١/٥٥٢، كتاب الأذكياء: ٦٤/٦٥، الأعلام: ٢/٣٣.

(١) سورة النور: الآية ٣٥.

قال الشيخ عبد القاهر:

«فإذن رُبُّ هزلٍ صار أداةً في جدِّ وكلامٍ جرى في باطلٍ ثمَّ استعِين به على حقٍّ، كما أنه رُبُّ شيءٍ خسيسٍ تُوَصَّلُ به إلى شريفٍ، بأن ضُربَ مثلاً فيه، وجعل مثلاً له»^(١).

والبيت أورده المرزباني، وابن رشيق شاهداً على سرعة البديهة^(٢)، فيحكى أن أبا تمام كان ينشد أحمد بن المعتصم قصيدته هذه، فلما بلغ إلى قوله:

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي جِلْمٍ أَحْنَفَ فِي ذِكَاةٍ إِيَّاسٍ
قال له الكندي - وهو أحد فلاسفة العرب، وكان حاضراً، وأراد الطعن عليه - الأمير فوق ما وصفت، فأطرق أبو تمام قليلاً، ثم زاد في القصيدة بيتين لم يكونا فيها، وهي قوله:

لَا تُتَكَبَّرُوا صُرُورِي لَهُ البيت^(٣)

وعلق ابن رشيق على بديهة أبي تمام فقال:

«... فهذا أيضاً وما شاكله هو البديهة، وإن أعجب ما كان البديهة، من أبي تمام، لأنه رجل متصنع لا يحب أن يكون هذا في طبعه، وقد قيل: إن الكندي لما خرج أبو تمام قال:

هذا الفتى قليل العمر؛ لأنه ينحت من قلبه، وسيموت قريباً، فكان كذلك»^(٤).

(١) الدلائل، رضا: ١١، خفاجي: ٦٧، شاکر: ١٤.

(٢) البديهة: هي أن يفكر الشاعر يسيراً، ويكتب سريعاً إن حضرت آله، إلا أنه غير بطيء ولا متراخ، فإن أطال حتى يفرط أو قام من مجلسه لم يعد بديهاً.
انظر: العمدة: ١٩٢/١.

(٣) انظر: الموشح: ٢٩٣، العمدة: ١٩٢/١.

(٤) العمدة: «باب في البديهة والارتجال»: ١٩٢/١.

ذكر ابن وكيع أن بيت أبي تمام أفضل من قول المتنبي:
تمثلوا حاتمًا ولَوْ عَقَلُوا لَكُنْتُ فِي الْجُودِ غَايَةَ الْمَثَلِ

وذلك لأن المتنبي اقتصر في التشبيه على حاتم في معنى واحد من المدح.
ورأى أن أبا تمام أشعر منه؛ لأنه أتى في ذلك بأربع صفات حيث ذكر أن
الممدوح يساوي من فوقه، ثم لم يَرْضَ بذلك حتى استدرك ذلك بأن قال:
لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلُ لِنُورِهِ

وعلق ابن وكيع على بيتي أبي تمام بقوله:

فهذا كلام فائق، ومعنى رائق يقع كلام أبي الطيب معه بعيداً، ورجحانه لا
خفاء به»^(١).

(الكامل)

البيت الرابع^(٢):

قول كعب بن مالك^(٣):

(١) المنصف في نقد الشعر: ١٥٧.

(٢) الدلائل، رضا: ١٤، خفاجي: ٧٠، شاکر: ١٧.

(٣) نسبه في العقد الفريد لحسان بن ثابت. جاء في العقد:
«قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت: لقد شكر الله لك قولك حيث تقول:
رَزَعَمْتُ سَخِينَةً أَنْ سَتَغْلِبُ رَبُّهَا...».

انظر: العقد: دار الفكر: ١١١/٦.

وجاء في طبقات فحول الشعراء أن هذا القول وجهه النبي ﷺ لكعب بن مالك، وليس
لحسان، وذكر البيت غير منسوب في: التمثيل والمحاضرة، وذكر في بقية المراجع
لكعب بن مالك.

فالراجع أن البيت لكعب وهو:

كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري السلمي الخزرجي، صحابي من أكابر الشعراء
من أهل المدينة اشتهر في الجاهلية، وكان في الإسلام من شعراء النبي ﷺ، وشهد أكثر
الوقائع ثم كان من أصحاب عثمان، وأنجده يوم الثورة، وحرَّضَ الأنصار على نصرته، ولما
قتل عثمان قعد عن نصرته علي، وعمي في آخر عمره، وعاش سبعاً وسبعين سنة.

زَعَمَتْ سَخِينَةُ^(١) أَنَّ سَتَغْلِبُ^(٢) رَبَّهَا وَلَيُعْلَبَنَّ^(٣) مُغَالِبُ^(٤) الْغَلَابِ

والبيت لكعب بن مالك يرد فيها على عبد الله بن الزُّبَيْرِ الذي قال يوم الخندق:

انظر ترجمته:

الأغاني: ٢٢٦/١٦ - ٢٤٠، الاستيعاب «ضمن الإصابة»: ٢٧٤/٣، الإصابة: ٢٨٥/٣ رقم (٧٤٣٥)، نكت الهميان: ٢٣١ - ٢٣٣، معجم الشعراء: ٣٤٢، خزائن البغدادى - الخانجي -: ٤١٧/١ - ٤١٨، الأعلام: ٢٢٨.

(١) كان هذا الاسم مما سميت به قریشاً قديماً، ذكروا أن قصياً كان إذا ذبحت ذبيحة أو نحيزة بمكة أتى بعجزها، فصنع منه خزيرة، وهو لحم يطبخ ببر فيطعمه الناس، فسميت قریش بها سخينة، وقيل: إن العرب كانوا إذا أَسْتَوُوا أكلوا العلهز، وهو الوبر والدم، وتأكل قریش الخزيرة والفتة، فنفست عليهم ذلك فلقبوه: سخينة، ولم تكن قریش تكره هذا اللقب، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره ورسول الله - ﷺ - منهم، وَلَتَرْكُهُ أَدْباً مع النبي ﷺ إذ كان قرشياً، ولقد استنشد عبد الملك بن مروان ما قاله الهوازني في قریش: يَأْشُرُهُ مَا شَذَذْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةٍ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ فقال: ما زاد هذا على أن استثنى، ولم يكره سماع التلقب بسخينة، فدل هذا على أن هذا اللقب لم يكن مكروهاً عندهم، ولا كان فيه تعبير لهم بشيء. الروض الأنف: ٣٠٠/٣.

وجاء في اللسان أن السخينة طعام يصنع من الدقيق دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء، وكانت تأكل منها في شدة الدهر وغلاء السعر، وعجف المال، أو هي دقيق يُلقى على ماء أو لبن فيطبخ، ثم يؤكل بتمر أو يُحسى، وقيل إنها تعمل من دقيق وسمن، وكانت قریش تكثر من أكلها فعيّرت بها حتى سُمُو سَخِينَةً. اللسان: «سخن»: ٢٠٦/١٣ وهذا هو الظاهر من بيت كعب، فهو يقصد التهكم من أن تزعم هذه التي تأكل السخينة أن تغلب ربها، وقوله «زعمت» يدل على الاستصغار والتحقير.

(٢) رواية الديوان والسيرة: خزائن البغدادى:

جَاءَتْ سَخِينَةُ كَيْ تَغَالِبَ رَبَّهَا فَلَيُعْلَبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَابِ
ورواية اللسان:

(هَمَّتْ سَخِينَةُ أَنْ تُغَالِبَ رَبَّهَا)

(٣) غَلَبَهُ يَغْلِبُهُ غَلْبًا، وَغَلَبَةً وَمَغْلَبًا وَمَغْلَبَةً: قهره. اللسان «غلب»: ٦٥١/١.

(٤) انظر البيت في:

حَتَّى الدِّيَارِ مَعَارِفَ رَسْمِهَا طُولُ الْبِلَى وَتَرَاوُحُ الْأَحْقَابِ
فَكَأَنَّمَا كَتَبَ الْيَهُودُ رُسُومَهَا إِلَّا الْكَيْفَ وَمَعْقِدَ الْأَطْنَابِ^(١)

فأجابه حسان، ثم أجابه كعب بن مالك، فقال:
أَبْقَى لَنَا حَدَثُ الْحُرُوبِ بَقِيَّةٌ مِنْ خَيْرِ نَحْلَةٍ رَبَّنَا الْوَهَابِ^(٢)

وقبل البيت:
وَمَوَاعِظُ مِنْ رَبَّنَا نُهْدَى بِهَا بِلِسَانٍ أَزْهَرَ طَيِّبِ الْأَنْوَابِ
عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَهَيْنَا ذِكْرَهَا مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ
حِكْمًا يَرَاهَا الْمُجْرِمُونَ بِزَعْمِهِمْ حَرَجًا وَيَفْقَهُهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ^(٣)

وبعدها البيت وهو آخر بيت في القصيدة.

والبيت ساقه الشيخ ليثبت أن الرسول ﷺ كان يطلب من أصحابه قول الشعر وسماعه، فهو هنا قد استشهد أبا بكر قول كعب في مذمة كفار قريش، إذ أن بيت كعب هذا فيه انتصار للإسلام، وانتقاص من قدر كفار قريش فهو يتحكم بقريش التي زعمت أنها تستطيع مغالبة ربها، والانتصار عليه بمعاداة نبيه، وإنكار كتابه، فرد كعب على هذا الزعم بروح إسلامية قوية تولد عنها أسلوب قوي مؤكد، فأتى بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة «وَلْيُغْلَبَنَّ» واختار من صفات المولى عز وجل صفة «الغَلَاب» على صيغة المبالغة زيادة في التوكيد، وإلقاء الرهبة في القلوب.

= ديوان كعب بن مالك: ١٨٢، السيرة النبوية لابن هشام: ١٦١/٣، طبقات فحول الشعراء: ٢٢٢/١، العقد الفريد، «دار الفكر»: ١١١/٦، نثر الدر الأبي لمصور الأبي: ١٣٧/٢، التمثيل والمحاضرة: ٨، الاستيعاب - ضمن الإصابة - ٢٧٤/٣، الروض الأنف: ٣٠٠/٣، لسان العرب: «غلب»: (٦٥١/١)، خزنة الأدب البغدادي - مكتبة الخانجي -: ٤١٧/١.

(١) شعر عبد الله بن الزُّبَيْرِي: ٢٩.

(٢) ديوانه: ١٧٨.

(٣) انظر الأبيات في: ديوانه: ١٨١، السيرة النبوية: ١٦٠/٣، ١٦١.

البيت الخامس^(١):

(الطويل)

قول أبي طالب^(٢):

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ^(٣) الْيَتَامَى عِصْمَةٌ^(٤) لِلْأَرَامِلِ
يُطِيفُ بِهِ^(٥) الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ^(٦) وَقَوَائِلِ^(٧)

(١) الدلائل، رضا: ١٤، خفاجي: ٧٠، شاکر: ١٨.

(٢) أبو طالب هو عم الرسول ﷺ اسمه عبد مناف وقيل شيبه بن عبد المطلب بن هاشم، قال ابن عساکر في تاريخه قيل إنه: أسلم ولكن لا يصح إسلامه. مات في السنة العاشرة من البعثة، وكان عمره بضعا وثمانين سنة. وأخرج الزبير بن بكار وابن عساکر عن إسحاق بن عيسى قال: سمعت بعض المشيخة يقول: لم يكن أحد يسود في الجاهلية إلا بمال، إلا أبو طالب وعتبة بن ربيعة، وكان أبو طالب شقيقاً على النبي ﷺ كفله بعد وفاة جده عبد المطلب، وكان من مشركي قريش، وكان أبو طالب شاعراً جيد الكلام، ومن أبرع ما قال قصيدته التي منها البيت. ومن الغريب ما ذكره ابن عساکر حيث ذكر أن أبا طالب مات ولم يعقب وقد ذكر هو نفسه ص: ٢٥٨ أن أبا طالب كان يحب الرسول ﷺ أكثر من أولاده؟ والصحيح أنه عقب أولاداً منهم:
علي بن أبي طالب، وعقيل، وأم طالب، وطالب الذي كني به أبو طالب، وغيرهم.
انظر ترجمته:

تهذيب تاريخ ابن عساکر: ٢٨٥/١ - ٢٩١، إنسان العيون: ١٢٥/١، الإصابة: ١١٥/٤، خزانة الأدب للبغدادي: ٧٥/٢، من الضائع من معجم الشعراء للمزني: ٧٩.

(٣) رواية طبقات فحول الشعراء: «ربيع اليتامى»، ومعنى ثمال اليتامى: المتولى أمرهم القائم به.

(٤) عصمة للأرامل: أي منعة لهن يمنعهن ويحفظهن.

المصباح المنير «العين مع الصاد وما يثلثهما»: ٦٤/٢.

(٥) رواية السيرة: «يلوذ به الهلاك من آل هاشم».

(٦) الهلاك: جمع هالك وهو الفقير المعدم. اللسان «هلك»: ٥٠٤/١٠.

(٧) رواية السيرة: «في رحمة».

(٨) انظر البيتين في:

السيرة النبوية لابن هشام: ٢٤٨/١، طبقات فحول الشعراء: ٢٤٤/١، دلائل النبوة:

٢٢٣/١، حماسة ابن الشجري: ١٨، الإصابة: ١١٥/٤، مغني اللبيب: ١٣٥/١، شرح

شواهد المغني: ٣٩٦/١، خزانة الأدب للبغدادي: - الخانجي: ٦٧/٢.

والبيتان من قصيدة^(١) قالها في معاداة خصومه^(٢).

ومطلعها:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وَدَّ مِنْهُمْ وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ

وقبل البيت:

وَمَا تَرَكُ قَوْمٍ لَا أَبَا لَكَ سَيِّدًا يَحُوطُ الذَّمَّارَ غَيْرَ ذَرْبٍ مُوَائِلِ

ولقد امتدح ابن سلام هذه القصيدة، ورأى أنها أبرع ما قال.

قال ابن سلام:

«وكان أبو طالب شاعراً جيِّدَ الكلام أبرع ما قال قصيدته التي مدح فيها

النبي ﷺ»^(٣).

(الطويل)

البيت السادس^(٤):

قول أبي طالب:

(١) ذكر ابن سلام أن هذه القصيدة قد زيد فيها وطولت حتى لا يُعرف منها ما قال: «وقد زيد فيها وطُوت. ورأيتُ في كتاب يوسف بن سعدٍ صاحبنا مُنْذُ أكثر من مائة سنة: وقد علمتُ أن قد زاد الناس فيها، ولا أدري أين منهاها؟ وسألني الأصمعيُّ عنها، فقلتُ صحيحةً جيدةً، قال: أتدري أين منهاها؟ قلت: لا.

طبقات ابن سلام: ٣٤٤/١ - ٣٤٥.

(٢) ذكر ابن هشام في سيرته:

«فلما خشي أبو طالب دهماً العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوِّذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد فيها لأشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مُسلم رسول الله ﷺ، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه».

السيرة: ٣٤٥/١.

(٣) طبقات ابن سلام: ٣٤٤/١.

(٤) الدلائل، رضا: ١٥، خفاجي: ٧١، شاکر: ١٨.

كَذَّبْتُمْ^(١) وَبَيَّتَ اللَّهُ إِنَّ جَدَّ مَا أَرَى تَلْتَلِسْنَ أَسْيَافُنَا بِالْأَنَامِلِ^(٢)
وَيَنْهَضُ قَوْمٌ فِي^(٣) الدُّرُوعِ إِلَيْهِمْ^(٤) نُهُوضَ الرُّوَايَا^(٥) فِي طَرِيقِ^(٦) حُلَاحِلِ^(٧)

البيتان من قصيدته المشار إليها في البيت السابق.

الآيات بحسب ترتيب السيرة مع ذكر ما قبل البيتين وما بعدهما:
كَذَّبْتُمْ وَبَيَّتَ اللَّهُ نَبِيَّ مُحَمَّدًا وَلَمَّا نَطَاعِنُ دُونَهُ وَنَضِصِلُ
وَنُسَلِّمُهُ حَتَّى نَصْرَعُ حَوْلَهُ وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ
وَيَنْهَضُ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ نُهُوضَ الرُّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاصِلِ
وَحَتَّى تَرَى ذَا الضَّغْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ مِنَ الطُّعْنِ فَعَلَ الْأَنْكَبِ الْمُتَحَامِلِ
وَإِنَّمَا لَعَمْرُ اللَّهِ إِنَّ جَدَّ مَا أَرَى تَلْتَلِسْنَ أَسْيَافُنَا بِالْأَنَامِلِ

(١) رواية السيرة: «وإنما لعمر الله».

والبيت الذي فيه كذبتكم هو قوله:

«كذبتكم وبيت الله نترك مكة».

وقوله: «كذبتكم وبيت الله نبي محمد».

(٢) رواية السيرة: «بالأمائل».

والبيت الذي فيه بالأنامل هو قوله:

وقد حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظُنُّ يَعْضُضُونَ غَيْظًا خَلَقْنَا بِالْأَنَامِلِ

(٣) رواية السيرة وخزانة الأدب: «في الحديد».

(٤) رواية السيرة: «إليكم».

(٥) الرُّوَايَا: جمع رواية وهو ما يستقي عليه من بغير وغيره. اللسان «روي»: ٣٤٦/١٤.

(٦) رواية السيرة: «تحت ذات الصلاصل»، والصلاصل: بقية الماء. اللسان «صلل»:

٣٨٤/١١.

والبيت الذي فيه كلمة حلاحل:

وَسَاطِئُ كَانَتْ فِي لُؤْيٍ بَنِ غَالِبٍ نَفَاهُمْ إِلَيْنَا كُلُّ صَفَرٍ حُلَاحِلِ

(٧) انظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٢٤٧/١، خزانة الأدب للبغدادى - الخانجي: ٦٣/٢ -

٦٤.

بِكْفِي فَتَى مِثْلَ الشُّهَابِ سَمِيدَع^(١) أَخِي ثِقَةٍ حَامِي الْحَقِيقَةِ بَاسِلِ

أورد الشيخ عبد القاهر قول أبي طالب الأول:
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ

وقول الثاني:

كَذَبْتُمْ وَبَيَّتَ اللَّهُ إِنَّ جَدَّ مَا أَرَى

مثالاً على استنشاد النبي ﷺ للشعر فالقول الأول استنشده حين استسقى فسقي، والثاني استنشده حين نظر في يوم بدر إلى القتلى مُصْرَعِينَ فقال لأبي بكر لو أن أبا طالب حيُّ لعلم أن أسيفنا قد أخذت بالأنامل.

البيت السابع^(٢): (السريع)

قول الأعشى^(٣):

- (١) السَّمِيدَع: بالفتح: الكريم، السيد الجميل الجسيم الموطأ الأكناف، وقيل هو الشجاع، ولا يقال سُميدع بالضم. اللسان «سمع - سمدع»: ١٦٨/٨.
- (٢) الدلائل، رضا: ١٦، خفاجي: ٧١، شاکر: ١٩.
- (٣) الأعشى (٧٠٠ هـ) هو ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، كنيته أبو بصير، ويعرف بأعشى قيس، ويقال له أيضاً الأعشى الكبير، وأعشى بكر بن وائل، ولد وتوفي في قرية منفوحة باليمامة، وهو من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، كان كثير الوفود على ملوك العرب والفرس، غزير الشعر لم يعرف أحد قبله أكثر شعراً منه، وكان يغني بشعره فسمي «صناجة العرب»، أدرك الإسلام ولم يسلم. انظر ترجمته:

جمهرة أشعار العرب: ١١٩ - ١٢٨، طبقات فحول الشعراء: ٦٥/١، الشعر والشعراء: ٢٦٣ - ٢٧٣، الأغاني: ١٠٨/٩ - ١٢٩، المؤلف والمختلف: ١٢، معجم الشعراء للمرزباني: ٤٠١، النقائض: ٤٧٨/١، ٤٤٤/٢، معاهد التنصيص: ١٩٦/١ - ٢٠٢، خزائن البغدادى «دار صادر»: ٨٤/١ - ٨٦، شعراء النصرانية: ٣٥٧/١ - ٣٩٩، الأعلام: ٣٤١/٧.

عَلَقَمُ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرِ النَّاقِضِ الْأَوْتَارِ^(١) وَالْوَاتِرِ^(٢)

وهو من قصيدة قالها في هجاء علقمة بن علاثة^(٤)، ويمدح عامر بن الطفيل^(٥) في المنافرة التي جرت بينهما وأولها:
شَأْنُكَ مِنْ قَتْلَةِ أَطْلَالُهَا بِالشُّطِّ فَالْوَتِرِ إِلَى حَاجِرِ

(١) الأوتار: جمع وَتْر وهو الثَّار. اللسان «وتر»: ٢٧٤/٥.

(٢) الواتر: الغالب الذي يترك ثأره في الأعداء ولا يستطيعون الأخذ به. اللسان «وتر»: ٢٧٤/٥.

(٣) انظر البيت في: ديوانه - شرح وتعليق: محمد محمد حسين: ١٩١ قصيدة رقم ١٨، ديوانه - دار بيروت -: ٩٣، العمدة: ٥٣/١، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦٦/١، شرح شواهد المغني: ٩٠٦/٣.

(٤) هو علقمة بن علاثة بن عوف الكلابي العامري، وهو صحابي جليل من بني عامر بن صعصعة، كان في الجاهلية من أشرف قومه، وقد على قيصر، ثم أسلم وارتد في أيام أبي بكر، فأنصرف إلى الشام، فبعث إليه أبو بكر القعقاع بن عمرو، ففر علقمة منه، ثم عاد إلى الإسلام، وولاه عمر بن الخطاب حوران فنزلها إلى أن مات، ولقد كان جواداً كريماً، روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً، توفي سنة (٢٠ هـ). انظر ترجمته:

الإصابة: ٤٩٦/٣ رقم (٥٦٧٧)، الأعلام: ٢٤٧/٤ - ٢٤٨.

(٥) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري من بني عامر بن صعصعة ولد سنة (٧٠) قبل الهجرة، وتوفي سنة (١١ هـ)، وكان فارس قومه، وأحد فتاك العرب وشعرائهم، وكنيته أبو علي، ولد ونشأ بنجد، أدرك الإسلام شيخاً، ووفد على الرسول ﷺ في المدينة بعد فتح مكة، وكان يريد الغدر به، فدعاه الرسول ﷺ إلى الإسلام، فطلب من الرسول أن يجعل الأمر له من بعده، فردّه فعاد حنقاً، ومات في طريقه قبل أن يبلغ قومه مصاباً بالطاعون في عنقه، وكان أعور أصيبت عينه في إحدى الوقائع، عقيماً لا يولد له، وهو ابن عم لبيد الشاعر، وله ديوان شعر من رواية أبي بكر الأنباري. انظر ترجمته:

الشعر والشعراء: ٣٤١/١، معجم الشعراء للمرزباني: ١٥٤ - ٢٢٢، الإصابة: ١٢٥/٣ (٦٥٥٨)، خزانة الأدب للبغدادي: تحقيق عبد السلام هارون - ٨٠/٣، الأعلام: ٢٥٢/٣.

وقبل البيت:
دَعَهَا فَقَدْ أُعْذِرَتْ فِي حُبِّهَا وَادْكُرْ خَنَا عُلْقَمَةَ الْفَاجِرِ

وبعده الشاهد وبعده:
وَاللَّائِسِ الْخَيْلِ بِخَيْلٍ إِذَا نَارَ غُبَارِ الْكَبَّةِ^(١) الثَّائِرِ
مُذَتْ بَنِي الْأَخْوَصِ لَمْ تَعُدْهُمْ وَعَامِرُ سَادَ بَنِي عَامِرِ

والبيت جاء به الشيخ دليلاً على أن الرسول ﷺ لم ينه أصحابه عن قول الشعر وإنشاده، وإنما أراد تعليمهم المبادئ والقيم الفاضلة التي لا بد أن يتحلوا بها حتى في قولهم الشعر، فللشعر أخلاق ومثل وآداب يجب الالتزام بها حتى في باب الهجاء الذي يجد الشاعر فيه متنفساً للنيل ممن يريد، فالرسول ﷺ نهى أصحابه عن إنشاد الشعر الذي فيه نيل وطعن فيمن كان كريم الأخلاق، وإن كان مشركاً، فعلقمة بن عُلَاثة الذي هجاه الأعشى، وحط من قدره - بقوله: إنك يا علقمة لا يمكن أن تقاس بعامر، فأنت لا تدانيه منزلة وشرفاً فهو الأخذ ثاره من الخصم لا يتركه أبداً، وهو التارك الثار فيهم لا يستطيعون الأخذ به -، كان كريم الخلق حيث أحسن القول في النبي ﷺ حين ذكر عند قيصر. جاء في الدلائل:

«... كُنَّا يَوْمًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ: أَنْشِدْنِي قَصِيدَةً مِنْ شِعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَضَعَ عَنَّا آثَامَهَا فِي شِعْرِهَا وَرَوَايَتِهَا، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً لِلْأَعَشَى هَجَا بِهَا عُلْقَمَةَ بْنَ عُلَاثَةَ...»

فقال النبي ﷺ:

يا حَسَّانُ لَا تَعُدْ تَنْشِدُنِي هَذِهِ الْقَصِيدَةَ بَعْدَ مَجْلِسِكَ هَذَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَنْهَانِي عَنْ رَجُلٍ مُشْرِكٍ مُقِيمٍ عِنْدَ قَيْصَرَ؟

فقال النبي ﷺ:

يَا حَسَّانُ أَشْكُرُ النَّاسَ لِلنَّاسِ أَشْكُرُهُمُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ قَيْصَرَ سَأَلَ أَبَا

(١) الدفعة والجماعة من الخيل. اللسان «كعب»: ٦٩٦/١.

سفيان بن حرب عني فتناول مني وفي خبر آخر فَشَعْتُ^(١) مني، وانه سأل هذا عني فأحسن القول، فشكره رسول الله ﷺ على ذلك^(٢).

البيت الثامن^(٣):

(الكامل)

ارْفَعْ^(٤) ضَعِيفَكَ لَا يَحْرُ^(٥) بِكَ ضَعْفُهُ يَوْمًا فَتُذَرِكُهُ الْعَوَاقِبُ^(٦) قَدْ نَمَى^(٧)
يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ^(٨) مَنْ أَثْنَى^(٩) عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ^(١٠) فَقَدْ^(١١) جَزَعَى^(١٢)

والبيتان ذكرهما الشيخ من غير نسبة وهما لغريض اليهودي^(١٣)

(١) أي عاب وانتقص. اللسان «شعث»: ١٦١/٢.

(٢) الدلائل، رضا: ١٦، خفاجي: ٧١-٧٢، شاکر: ١٩.

(٣) الدلائل، رضا: ١٦، خفاجي، ٧٢، شاکر: ١٩.

(٤) رواية الطبراني: «ادفع».

(٥) أي لا يثنيك ويرجعك ضعفه عن تقديم المساعدة له.

(٦) رواية العقد الفريد، «فتذركه عواقب ما جنى».

(٧) رواية ابن عساکر: «مَا جَنَّا».

(٨) رواية العقد الفريد: «فإن» بالفاء بدل الواو.

(٩) رواية الوحشيات: «يُثْنِي».

(١٠) رواية مجموعة المعاني: «بما صنعت».

(١١) رواية عيون الأخبار والعقد الفريد والطبراني: «كمن جَزَى».

(١٢) انظر البيتين في: الوحشيات: ١١٠، عيون الأخبار: ١٦٢/٨/٣، العقد الفريد: ١٩٢/١،

الأغاني: ١١٤/٣ - ١١٧ - ١١٨، سمط اللآلئ: ٢٠٦/١، المعجم الصغير للطبراني:

١٦٣/١، تاريخ ابن عساکر: ٣٩٠/٥، مجموعة المعاني: ١٢٨.

(١٣) والبيت في الوحشيات ورد منسوباً لسعية بن غريض اليهودي، وفي العقد الفريد وتاريخ ابن

عساکر لزهير بن جَنَاب وهو شاعر جاهلي من سادات كلب، وفي الأغاني والسمط ذكر أنهما

لورقة بن نوفل، وجاء في الأغاني: «الشعر لغريض اليهودي، وهو السموأل بن عَادِيَاء، وقيل

إنه لابنه سعية بن غريض، وقيل إنه لزيد بن عمرو بن نفيل، وقيل إنه لورقة بن نوفل، وقيل

إنه لزهير بن جَنَاب، وقيل إنه لعامر بن المجنون الجرَمي الذي يقال له مَذْرُجُ الرِّيح،

والصحيح أنه لغريض أو لابنه».

انظر: الأغاني: ١١٥/٣.

وغريض اليهودي من ولد الكاهن بن هارون بن عمران، وذكر في الوحشيات أنه رجل من =

والبيتان من قصيدة أولها:
وَإِذَا رَأَيْتَ مُغْمَرًا فَتَعَلَّمَنَّ أَنْ سَوْفَ تُدْرِكُهُ الْخُطُوبُ فَيُتْلَى^(١)

وقبل البيتين:

إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا أَرَدْتُ إِخَاءَهُ لَمْ تُلَفِّ حَبْلِي وَاهِباً رَثَّ الْقَوَى
أَرَعَى أَمَانَتَهُ وَأَحْفَظُ عَنْدَهُ عِنْدِي وَيَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ مَا أَتَى^(٢)

والبيتان ساقهما الشيخ مثلاً على أن الرسول ﷺ كان يهيب بالمسلم أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة، وأنه كان يحب سماع الأبيات التي تحت على مكارم الأخلاق وتنطوي على معاني سامية. فكان كثيراً ما يطلب من عائشة رضي الله عنها إنشاده هذين البيتين لما فيهما من الحث على رفع الضعيف، والأخذ بيده، ومساعدته، وعدم التقاعس عن نصرته لضعفه وقلة حيلته، فقد تدور الأيام ويعلو شأنه، ويرتفع قدره، فينال المساعد منه الشكر والجزاء، فإن من شكر واعترف بالجميل، فقد وفى وجزى، فأشكر الناس للناس أشكرهم الله.

والبيتان دليل على حرصه ﷺ على أن يعلم نساءه التمثل بالشعر الجيد الذي يُقَوِّمُ الأخلاق، ويربي النفس.

جاء في الدلائل:

«ومن المعروف في ذلك خبر عائشة رضوان الله عليها أنها قالت:

كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يقول: «أبياتك».

= أهل وادي القرى، يهودي، وذكر في الأغاني أنه السموأل، والمذكور في ترجمة السموأل أنه السموأل بن غريض بن عادي بن حباء، وبعضهم يقول هو السموأل بن عادي من غير ذكر غريض - وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء المشهور بالوفاء، وقيل: بل هو ولد الكاهن بن هارون بن عمران، وكان هذا الحصن لجده عادي احتفر فيه بئراً رؤية عذبة.
انظر: الوحشيات: ١١٠، الأغاني: ١١٧/٢٢ - ١١٥/٣.

(١) ذكر في الأغاني أن أول القصيدة:
رَحَلْتُ قَتِيلَةً عَيْرَهَا قَبْلَ الضَّحَى وَإِخَالَ أَنْ شَحَطْتُ بِجَارَتِكَ النَّوَى

(٢) الوحشيات: ١١٠.

فأقول:

ارفع ضعيفك لا يحُر

قالت فيقول عليه السلام: «يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبده: صنع إليك عبدي معروفاً فهل شكرته عليه؟ فيقول: يا رب علمت أنه منك فشكرتك عليه. قال فيقول الله عز وجل: لم تشكرني إذا لم تشكر من أجرته على يده»^(١).

البيت التاسع^(٢):

(الطويل)

وهو لقيس بن مَعْدَانَ الْكَلْبِيِّ^(٣):

فَحَالِفٌ وَلَا^(٤) وَاللَّهِ تَهْطُ تَلْعَةً^(٥) مَنِ الْأَرْضِ إِلَّا أَنْتَ لِلذَّلِّ عَارِفُ
أَلَا مَنْ رَأَى الْعَبْدَيْنِ^(٦) أَوْ ذَكَرَا لَهُ عَدِيٌّ وَتَيْمٌ^(٧) تَبَغْيِي مَنْ تُحَالِفُ^(٨) (٩)

(١) الدلائل، رضا: ١٧، خفاجي: ٧٢، شاكر: ٢٠.

(٢) الدلائل، رضا: ١٧، خفاجي: ٧٣، شاكر: ٢٠.

لم أقف عليه بهذا اللفظ، جاء في مسند الإمام أحمد: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل».

انظر: مسند الإمام أحمد: ٢/٢٥٨، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٨٨، ٤٦١، ٤٩٢، ٣٢/٣.

(٣) ذكر البيتان في طبعة رشيد رضا وطبعة خفاجي غير منسوبين، وذكرنا منسوبين لقيس بن مَعْدَانَ الْكَلْبِيِّ في طبعة شاكر. ولم أقف لقيس هذا على ترجمة.

(٤) رواية فرحة الأديب والمخصص: «فلا والله».

(٥) التلعة من الأضداد يقال لما انحدر من الأرض ولما ارتفع منها. اللسان «تلع»: ٣٦/٨.

(٦) رواية فرحة الأديب: «إذ ذُكِرَا لَهُ».

(٧) عدي وتيم ابنا عبد مناة بن أد بن طابخة. جمهرة أنساب العرب: ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠، الأعلام: ٩٥/٢، ٢٢١/٤.

(٨) ويريد بحالف «الحي» لذلك ذُكِرَ وأُفِرِدَ.

(٩) ذكر البيتان في شرح أبيات سيويه للسيرافي: ١٣٣/٢ مع جعل البيت الأول هو الثاني، والثاني هو الأول.

وذكر البيت الثاني فقط في: الكتاب: ١٠٥/٣، شرح أبيات سيويه للنحاس: ٢٢٩، رقم

(٦٢٧)، المخصص: ١٧/٥، ٦٤، ٦٥، فرحة الأديب: ٧٧.

وقيل هو للقيط بن زُرارة^(١).

وذكر الأسود الغندجاني بيتاً ثالثاً هو:

وَضَبَّةٌ عَبْدٌ ثَالِثٌ لَا أَخَالَهُ كَمَا زَيْفَ النَّمِيِّ بِالكِفِّ صَارِفُ^(٢)

والبيتان ذكرهما الشيخ ليبين أن الرسول ﷺ كان خبيراً بالشعر عالماً بدقيق معانيه، فحين أنشدت سودة^(٣) الشطر الأخير من البيت الثاني ظنت عائشة وحفصة رضي الله عنهما أنها عرّضت بهما، وجرى بينهما كلام، فبلغ الرسول ﷺ ذلك، فدخل عليهن، وقال: «يا ويلكن ليس في عديكن ولا تيمكن قيل هذا وإنما قيل هذا في عدي تميم وتيم تميم»^(٤).

فالبيتان فيهما انتقاص من قدر وهيبة وشجاعة عدي وتيم فالمعنى: حالف من تعز وتفتخر بحلفه، وإلا عرفت الذل والضميم حيث توجهت من الأرض، وعدي وتيم ابنا عبد مائة بن أد جعلهما بمنزلة العبدین لا بتغائهما من يحالفهما،

(١) نسب البيتان في شرح أبيات سيويه للسيرافي، والمخصص، وفرحة الأديب للقيط بن زُرارة، ووردا في الكتاب لسيويه، وشرح أبيات سيويه للنحاس من غير نسبة. ولقيط هو: لقيط بن زُرارة بن عَدَس من تميم وكنيته أبو دَخَنُوس وأبو نهشل وهو شاعر جاهلي فارس مقدم من أشرف تميم قتل يوم جيلة عام مولد النبي ﷺ، وكان يرأس قومه. انظر ترجمته:

الشعر والشعراء: ٧١٤/٢، المؤلف والمختلف: ١٧٥.

(٢) فرحة الأديب: ٧٧.

(٣) هي أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس من لؤي، من قريش، كانت في الجاهلية زوجة السكران بن عمرو بن عبد شمس، وأسلمت ثم أسلم زوجها، وهاجرا معاً إلى الحبشة في الهجرة الثانية، ثم عادا إلى مكة وتوفي السكران، فتزوجها النبي ﷺ بعد السيدة خديجة، وتوفيت في المدينة المنورة في آخر زمان عمر بن الخطاب. انظر ترجمتها:

الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥٢/٨ - ٥٧، الإصابة: ٣٣٠/٤ رقم (٦٠٦)، الأعلام: ١٤٥/٣.

(٤) الدلائل، رضا: ١٧، خفاجي: ٧٣، شاکر: ٢٠.

وأفرد «تبتغي»، لأنه رجع إلى جملة القبيلة، فعدي وتيم تبتغي من يعاهدها،
ويناصرها ويعينها إن قصدتها قوم^(١).

البيت العاشر^(٢):

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ هَلَّا نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ الدَّارِ^(٣)
والصحيح:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ هَلَّا سَأَلْتَ^(٤) عَنْ آلِ عَبْدِ مَنَافٍ^(٥)

والبيت ذكره الشيخ من غير عزو، وهو لمطروود بن كعب الخزاعي^(٦)، في
رثاء عبد المطلب، وبني عبد مناف^(٧).

(١) شرح أبيات سيبويه للسيرافي: ١٣٣/٢.

(٢) الدلائل، رضا: ١٧، خفاجي: ٧٣، شاعر: ٣١.

(٣) سمط اللاليء: ٥٤٧/١.

(٤) رواية أمالي المرتضى: «الأنزلت» ورواية معجم الشعراء: «هلاً حلت».

(٥) انظر البيت في: السيرة النبوية لابن هشام: ١٦٣/١، أمالي القاضي: ٢٤١/١، الروض
الأنف: ٢٠٣/١، أمالي المرتضى: ٢٦٨/٢، ٨/٢، معجم الشعراء للمريزاني: ٣٧٥،
سمط اللاليء: ٥٤٧، أنباء نجباء الأبناء: ٦٣، اللسان: باب الفاء فصل الجيم
(١١٣/٩).

(٦) مطروود بن كعب الخزاعي شاعر جاهلي فحل لجأ إلى عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
لجناية كانت منه فحماء، وأحسن إليه، فأكثر مدحه ومدح أهله، ويقال أنه صاحب هذه
الآيات.

وينسب بعض أبيات هذه القصيدة لعبد الله بن الزبيري كما في اللسان، وهو قوله:
كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَغَلَّقَتْ فَالْمَحْ خَالِصَهَا لِعَبْدِ مَنَافٍ
اللسان «مع»: ٥٨٩/٢.

انظر ترجمة مطروود في:

معجم الشعراء للمريزاني: ٣٧٥، أنباء نجباء الأبناء: ٦٣ - ٦٥، الأعلام: ٢٥١/٧.

(٧) هذا ما جاء في سيرة ابن هشام:

«رثاء مطروود الخزاعي لعبد المطلب. قال ابن إسحاق: وقال مطروود بن كعب الخزاعي
يبكي عبد المطلب وبني عبد مناف». ١٦٣/١ وكذلك جاء في اللسان أنه في رثاء
عبد المطلب. ١١٣/٩.

وبعد البيت:
هَبَّتْكَ أُمُّكَ لَوْ حَلَلْتَ^(١) بِدَارِهِمْ^(٢) ضَمِنُوكَ^(٣) مِنْ جُرْمٍ^(٤) وَمِنْ إِقْرَافٍ^(٥)
الْخَالِطِينَ غَنِيَهُمْ بِفَقِيرِهِمْ حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي^(٦)

والبيت كسابقه ساقه الشيخ مثلاً على خبرته ﷺ ومعرفته بالشعر، فحين
سمع الرجل يروي البيت على غير وجهه سأل أبا بكر سؤال المستنكر لِمَا سَمِعَ
طالباً منه تصحيح البيت، وإزالة ما لَحِقَهُ من خطأ في الرواية.

قال الشيخ:

«وروى الزبير بن بكار قال: مرَّ رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر رضي الله عنه
برجل يقول في بعض أزقة مكة:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلُهُ هَلَّا نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ الدَّارِ

فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر، أهكذا قال الشاعر؟ قال: لا يا رسول الله،
ولكنه قال:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلُهُ هَلَّا سَأَلْتَ عَنْ آلِ عَبْدِ مَنْافٍ

فقال الرسول ﷺ: هكذا كنا نسمعها»^(٧).

البيت الحادي عشر^(٨): (الطويل)

(١) رواية أمالي القالي وأنباء نجباء الأبناء «لو نزلت».

(٢) رواية أنباء نجباء الأبناء: «إليهم».

(٣) رواية أمالي القالي: منعوك.

(٤) رواية أمالي القالي: «من عدم» ورواية أنباء نجباء الأبناء «من جوع».

(٥) رواية إحدى روايات أمالي القالي: «ومن اقتار».

(٦) رواية أمالي المرتضى «الخالطون»، وذكر المرتضى في أماليه أبياتاً عدة قبل هذا البيت.

(٧) الدلائل، رضا: ١٧، خفاجي: ٧٣، شاکر: ٢١.

(٨) الدلائل، رضا: ١٨، خفاجي: ٧٤، شاکر: ٢١.

وانظر الخبر في: أمالي القالي: ٢٤١/١.

والهاء في قوله «نسمعها» يعود إلى الرواية، والظاهر «نسمعه» عوداً على البيت.

قول النابغة الجعدي^(١):

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُونَا^(٢) وَإِنَّا لَنَرْجُو^(٣) فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا
وَلَا^(٤) خَيْرَ فِي جِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ^(٥) بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْدَرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا^(٦)

والآيات من قصيدة مطلعها:

(١) هو الصحابي قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة وقد اختلف في اسمه فقيل (قيس) وقيل «حيان»، وهو شاعر مشهور عاش في الجاهلية والإسلام وحسن إسلامه، وقيل إنه عُمَرُ مائتين وعشرين سنة، ومات بأصبهان، وهو أحد نُعَاتِ الخيل، وهو الذي دعا له الرسول ﷺ بأن لا يفضض الله فاه، فبلغ عشرين ومائة سنة لم تسقط له سن. انظر ترجمته:

الاستيعاب: ١٢٩٧/٣، ١٥١٤/٤ - ١٥٢١، الإصابة: ٥٠٨/٣، رقم (٨٦٤١)، طبقات فحول الشعراء: ١٢٣ - ١٢٥، معجم الشعراء: ٣٢١.

(٢) رواية الديوان ورسائل الجاحظ والصناعتين وشرح الأشموني:
«بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَاوْنَا»
ورواية جهمرة أشعار العرب:
«بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدًا وَجُودًا وَسُودًا»
ورواية عيار الشعر:

«بَلَّغْنَا السَّمَاءَ نَجْدَةً وَتَكْرُمًا»

(٣) رواية رسائل الجاحظ: «وَإِنَّا لَنَبْغِي».

(٤) رواية معجم الشعراء: «فَلَا خَيْرَ».

(٥) رواية الاستيعاب: «إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ» بالياء وليس بالتاء.

(٦) انظر الآيات في: ديوان النابغة الجعدي: ٧٣، جهمرة أشعار العرب: ٢٨٠ - ٢٨١،

رسائل الجاحظ: ٣٦٣/١ - ٣٦٤، عيون الأخيار: ٢٨٥/١، عيار الشعر: ٥١، معجم

الشعراء للمرزباني: ٣٢١، الصناعتين: ٣٩٤ «البيت الأول فقط»، بهجة المجالس:

٦٠٨/٢، البيتان الثاني والثالث، الاستيعاب - تحقيق البيجاوي -: ١٥١٤/٤ - ١٥٢١،

العمدة: ٥٣/١، سمط اللآلئ: ٧٧٢/٢، نهاية الأرب: ٥٦/٦، شرح الأشموني مع

الشواهد للعيني: ١٣٢/٢، خزانة الأدب للبغدادى - دار صادر -: ٥١٣/١ - ٥١٤، الإبانة

عن سرقات المتنبي: ١٩٦.

خَلِيلِيْ عُوْجَا سَاعَةً وَتَهَجَّرَا وَلَوْ مَا عَلَيَّ مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ أَوْ ذَرَا
وقبل الأبيات:

أَتَيْتُ رَسُوْلَ اللهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى وَتَلُو كِتَاباً كَالْمَجْرَةِ نَيْرًا^(١)
وبعده الأبيات:

والأبيات ذكرها الشيخ مثلاً على استحسان الرسول ﷺ وارتياحه للجيد من الشعر، فحين أنشد النابغة البيت الأول قال له النبي ﷺ: «أين المظهر يا أبا ليلى»، فقال النابغة: الجنة يا رسول الله، فقال: «أجل إن شاء الله»، ولما أنشده البيتين الآخرين استحسناهما ﷺ بقوله: «أجدت»، ثم دعا له بقوله: «لا يفضض الله فاك»^(٢).

الأبيات الثانية عشرة^(٣) (البسيط)

وأنشد كعب بن زهير^(٤):

(١) جاء في جمهرة العرب قبل البيت الأول:
وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا نُعَوِّدُ خَيْلَنَا إِذَا مَا التَّقِينَا أَنْ نَجِيْدَ وَتَنْفُرَا
وَمَا كَانَ مَعْرُوفاً لَّنَا أَنْ نَرُدَّهَا صَحَاخَا وَلَا مُسْتَنْكِرَا أَنْ نُعَقِّرَا

وبعده:

وَكُلُّ مَعَدٍّ قَدْ أَخْلَتْ سَيْوْفُنَا جَوَائِبَ بَحْرِ فِي غَوَارِبِ أَخْضَرَا
ثم ذكر بعده عدة أبيات ثم أتى بالبيتين الآخرين وقبلهما:
وَحَيَّ أَبِي بَكْرٍ وَلَا حَيَّ مِثْلَهُمْ إِذَا بَلَغَ الْأَمْرُ الْعِمَاسَ الْمَدْمَرَا
وبعده البيتان بعدهما:

إِذَا افْتَحَرَ الْأَزْدِيُّ يَوْمًا فَقُلْ لَهُ تَأَخَّرَ فَلَمْ يَجْعَلْ لَكَ اللَّهَ مَفْخَرَا
(٢) الدلائل، رضا: ١٨، خفاجي: ٧٤، شاعر: ٢٢.

(٣) الدلائل، رضا: ١٩، خفاجي: ٧٥، شاعر: ٢٢ - ٢٣.

(٤) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرب، وهو شاعر مجيد من أهل نجد، وكان ممن اشتهر في الجاهلية، ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ، وشبب بسماء المسلمين فأهדר النبي ﷺ دمه، فأسلم وطلب الأمان من الرسول ﷺ وأنشد بين يديه لاميته المشهورة التي مطلعها:

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ
وَمَا سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلَتْ^(٢)
تَجَلَّوْا عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ^(٤) إِذَا ابْتَسَمَتْ
سَحَّ السُّقَاةُ عَلَيْهَا مَاءٌ مَحْنِيَّةٌ
وَيَلْمُهَا^(٨) خُلَّةٌ لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ
إِنْ الرُّسُولَ لَسَيِّفٌ^(٩) يُسْتَضَاءُ بِهِ
فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشِفَ
لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ

مَتَّيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَ^(١) مَعْلُولُ
إِلَّا أَغْنَى^(٣) غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ^(٥) بِالرَّاحِ مَعْلُولُ^(٦)
مِنْ مَاءٍ أَبْطَحَ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ^(٧)
مَوْعُودَهَا أَوْلُوا أَنَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ
مُهَنْدٌ مِنْ سَيْوِفِ اللَّهِ مَسْلُولُ
يَسْطِنُ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُؤْلُوا
عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مَيْلٌ مَعَارِزِلُ
وَمَا بِهِمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

«بانَتْ سعاد...» فخلع عليه الرسول ﷺ برده. توفي سنة ٢٦ هـ.

انظر ترجمته:

طبقات فحول الشعراء: ٩٩/١ - ١٠٣، الشعر والشعراء: ١٦٠ - ١٦٢، سمط اللآلي:

١٦٠ - ١٦٢، عيون الأثر: ٢٠٨/٢ - ٢١٥، خزانة الأدب للبغدادي: - دار صادر:-

١١/٤ - ١٢.

(١) رواية الديوان: «لم يجز مكبول».

(٢) رواية الديوان: «إذ رحلوا».

(٣) الأغن: الذي في صوته غنة. اللسان «غن»: ١٣/٣١٤.

وغضيض الطرف: فاطر الطرف. اللسان «غضض»: ٧/١٩٧.

(٤) العوارض: الأسنان وهي ما بين الشية والضرس، والظلم ماء الأسنان. اللسان «عرض»:

٧/١٨٠.

(٥) منهل: النهل أول الشرب. اللسان «نهل»: ١١/٦٨٠ - ٦٨١.

(٦) والعلل: الشرب الثاني. اللسان «علل»: ١١/٤٦٧.

(٧) رواية الديوان:

شَجَّتْ بِذِي شَيْمٍ مِنْ مَاءٍ مَحْنِيَّةٍ صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ
بداية الديوان:

يَا وَيَحَهَا خُلَّةٌ لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ مَا وَعَدَتْ أَوْ لَوْ أَنَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ

(٩) رواية جمهرة أشعار العرب، وعيون الأثر، والسيرة لابن هشام، وشرح شواهد المغني

«النور».

ثُمَّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالَ لُبُوسُهُمْ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ^(١)

والأبيات ساقها الشيخ لإثبات استحسانه ﷺ وارتياحه للشعر الجيد، فقد بلغ من استحسانه لهذه الأبيات أن ألقى على كعب برده.

كما أن في إشارته ﷺ إلى خلق أصحابه بأن اسمعوا دليل على سلامة هذه الأبيات وحسنها.

جاء في الدلائل:

«... روي أن كعباً وأخاه بُجيراً خرجا إلى رسول الله ﷺ حتى بلغا أبرق العزاف فقال كعب لبجير: القَ هذا الرجل، وأنا مقيم ههنا، فانظر ما يقول، وقدم بجير على رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام فأسلم، وبلغ ذلك كعباً فقال في ذلك شعراً، فأهدر النبي ﷺ دمه، فكتب إليه بُجير يأمره أن يسلم، ويقبل إلى النبي ﷺ ويقول: إن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قَبِلَ منه رسول الله ﷺ وأسقط ما كان قبل ذلك، فقدم كعب وأنشد النبي ﷺ قصيدته المعروفة...» فأشار رسول الله ﷺ إلى الحلق أن اسمعوا. قال وكان رسول الله ﷺ يكون من أصحابه مكان المائدة من القوم يتحلقون حلقة دون حلقة، فيلتفت إلى هؤلاء وإلى هؤلاء^(٢).

(١) وبعض هذه الأبيات في: شرح ديوان كعب للسكري: ٦ - ٢٥، جمهرة أشعار العرب: ٢٨٢ - ٢٨٧، طبقات فحول الشعراء: ٩٩/١ - ١٠٣، الشعر والشعراء: ١٦٠ - ١٦٢، مجالس ثعلب: ٣٤٢/٨/٢، المصون: ١٩٥ - ١٩٧، سمط اللآليء: ٤٢١، أراجيز العرب: ٥٠، حماسة ابن الشجري: ٩٧، عيون الأثر: ٢٠٨/٢ - ٢١٥، السيرة لابن هشام: ١٠٩/٤ - ١١٦، مغني اللبيب: ٤١١/٢ - ٤٣٨، شرح قصيدة كعب بن زهير: ٢٣ - ٢٨. شرح شواهد المغني: ٥٢٥/٢، خزانة الأدب للبغدادى: - دار صادر: ١١/٤ - ١٢.

(٢) الدلائل، رضا: ١٨ - ١٩، خفاجي: ٧٤ - ٧٦، شاکر: ٢٢ - ٢٣.

الكلام في النحو:

البيت الثالث عشر^(١):

(الوافر)

وَالْأَفَاعِلُ مَا بَقِينَا^(٢) فِي شِقَاقِ^(٣)

ذكره الشيخ من غير عزو، وهو لبشر بن أبي خازم الأسدي^(٤)، من قصيدة

مطلعها:

أَهَمَّتْ مِنْكَ سَلَمَى بِأَنْطِلَاقٍ وَلَيْسَ وَصَالٌ غَانِيَةً بِبَاقِي^(٥)

وقبله:

فَإِذْ جُرْزَتْ^(٦) نَوَاصِي آلِ بَدْرِ فَأَدْوَهَا وَأَسْرِي فِي الْوِثَاقِ^(٧)

(١) الدلائل، رضا: ٢٦، خفاجي: ٨٣، شاکر: ٣٢.

وانظر الخبر في:

طبقات فحول الشعراء: ٩٩-١٠٣، الشعر والشعراء: ١٦٠/١-١٦٢، عيون الأثر:

٢٠٨-٢١٢، السيرة لابن هشام: ١٠٧/٤-١١٨، خزانة الأدب للبغدادی- مكتبة

الخانجي: -١٢/٤.

(٢) رواية الديوان ومعاني القرآن للفراء: «ما حِينَا».

(٣) انظر البيت في:

ديوانه: ١٦٥، الكتاب: ١٥٦/٢، شرح الكافية: ٥١٣/١، شرح المفصل ٦٩/٨/٢،

الإنصاف: ١٩٠، شرح التصريح على التوضيح: ٢٨٨/١، معاني القرآن: ٣١١/١، غير

منسوب - خزانة الأدب للبغدادی - دار صادر: ٣١٥/٤.

(٤) هو شاعر من بني أسد جاهلي قديم، شهد حرب أسد وطيء وشهد هو وابنه نوفل بن بشر

الحلف بينهما، وكان بشر في أول أمره يهجو أوس بن حارثة الطائي، فأسرته بنو تيهان من

طيء فركب أوس إليهم فاستوبه منهم، وكان قد نذر ليحرقه إن قُدر عليه، فوهبه له،

فقال له أمه سَعْدَى: قبح الله رأيك أكرم الرجل وخلّ عنه، فإنه لا يمحو ما قال غير لسانه

ففعّل، فجعل بشر مكان كل قصيدة هجاء قصيدة مدح، وقد جعله ابن سلام في الطبقة

الثانية من فحول الشعراء الجاهليين.

انظر: الشعر والشعراء: ٢٧٧/١، طبقات فحول الشعراء: ٩٧/١.

(٥) ديوانه: ١٦١، خزانة الأدب - دار صادر: -٣١٦/٤.

(٦) رواية خزانة الأدب: «فَإِذْ جُرْزَتْ».

(٧) ديوانه: ١٦٥.

والبيت أورده الشيخ في معرض رده على من زهد في النحو، واحتقره، وصغر أمره، وتهاون به، فهو علم يحتاجه العلماء لفهم آيات القرآن الكريم، فكلمة «الصابئون» من قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

جاءت مرفوعة، ولا يمكن معرفة وجه الرفع فيها إلا عن طريق علم النحو، فهو علم يخدم القرآن أولاً وأخيراً، فوجه الرفع فيها أنها عطفت على محل الذين آمنوا قبل استكمال الخبر، وهو قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وساق الشيخ البيت الشعري الذي نحن بصدد تنظيراً لوجه الرفع في الآية، فالبيت فيه عطف «أنتم» وهو ضمير مرفوع على محل ضمير المتكلم المعظم نفسه، أو المشارك لغيره قبل استكمال الخبر.

وأصل الكلام: وإلاً فاعلموا أنا بغاة وأنتم بغاة.
وحذف خبر الثاني لدلالة الأول عليه^(٢).

البيت الرابع عشر^(٣): (الطويل)

يَقُولُونَ أَقْوَالًا وَلَا يَعْلَمُونَهَا^(٤) وَلَوْ قِيلَ^(٥) هَاتُوا حَقُّوْا لَمْ يُحَقِّقُوا^(٦)

(١) سورة المائدة: الآية ٦٩.

(٢) شرح التصريح على التوضيح: ٢٢٧/١ - ٢٢٨، وانظر: الكتاب: ١٥٦/٢، خزانة البغدادي - دار صادر: ٣١٥/٤.

(٣) الدلائل، رضا: ٣٣، خفاجي: ٩٠، شاکر: ٤٠.

(٤) رواية الديوان والأغاني ومعجم البلدان: «بظن وشبهة».

ورواية زهر الآداب: «بظن وتهمة»، ورواية العقد الفريد: «ولا يحكمونها»، ورواية الحيوان: «ولا يعرفونها».

(٥) رواية الديوان: «فإن قيل»، ورواية الشعر والشعراء: «وإن قيل».

(٦) انظر البيت في:

ديوان أبي الأسود: ١١٨، الحيوان: ١١٦/٣، عيون الأخبار: ٥٩/١، الشعر والشعراء: =

ذكره الشيخ من غير نسبة وهو لأبي الأسود الدؤلي^(١).

وينسب أيضاً لأنس بن أنيس الدؤلي^(٢)، والبيت أحد أبيات قيلت في حارثة بن بدر الغداني^(٣) حين وُلِّي كورة «سُرُق» من أعمال الأهواز، وأول الأبيات:

أَحَارِبِنْ بَدْرٍ قَدْ وَلِيَتْ وَلَايَةً^(٤) فَكُنْ جُرْذَا فِيهَا تَخُونُ وَتَسْرِقُ

٧٤٢/٢، الكامل - المعارف: ١٨٥/١، العقد الفريد: ٣٧٤/٢، الأغاني: ٤٠٦/٨،

أمالي المرتضى: ٣٨٥/١، زهر الآداب: ٩٨٦/٤، معجم البلدان: ٢١٤/٣.

(١) نُسب البيت لأبي الأسود الدؤلي في:

ديوانه، العقد الفريد، الأغاني، زهر الآداب، معجم البلدان، ونُسب في بقية المراجع لأنس بن أبي أناس.

وأبو الأسود هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل، وقيل هو ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان (اق هـ - ٦٩ هـ) يعد من شعراء الطبقة الأولى من تابعي البصرة، ويعد أيضاً من المحدثين والبخلاء، والمفاليح، والعُرج، وهو يعد من أول النحويين لأنه أول من عمل في النحو كتاباً، وقد أمره زياد بن أبيه بتنقيط المصحف فنقطه، أخذ حدود النحو من علي بن أبي طالب وشهد معه صفين وولي البصرة، توفي سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة. انظر ترجمته:

طبقات ابن سعد: ٩٩/٧، المعارف: ٤٣٤ - ٤٣٥، الشعر والشعراء: ٧٣٣/٢، الأغاني:

٢٩٧/١٢ - ٣٣٤، الأنساب للسمعاني: ٣٦٤/٥ - ٣٦٧، معجم الأدباء: ١٢: ٣٤ - ٣٨،

نزهة الألباء: ١٨ - ٢٤، إنباه الرواة: ٤٨/١ - ٥٨، النجوم الزاهرة: ١٨٤/١، تهذيب

التهذيب: ٣٧/٥، بغية الوعاة: ٢٢/٢ - ٢٣، المزهرة: ٣٩٧/٢، ٤١٨، ٤٦١، الإصابة:

٢٣٢/٢ - ٢٣٣ رقم (٤٣٢٩)، والضائع من معجم الشعراء للمرزباني: ٨٣.

(٢) هو أنس بن أبي أناس ويقال: «إياس» ويقال: «أنيس» بن زُنيَم الكِنَاني الدؤلي، وهو من

رَهط أبي الأسود الدؤلي، وكان أعور، وأبوه أبو أناس شاعر شريف، وأخو أنس سارية بن زُنيَم الذي قال له عمر بن الخطاب يا سارية الجبل الجبل.

انظر: الإصابة: ٨٢/١ - ٨٣، الخزانة: ١١٩/٣ - ١٢٢.

(٣) وكان حارثة ذا بيان وجهارة وأدب، وكان شاعراً عالماً بالأخبار، والأنساب، وكان منهوماً في الشراب.

انظر: الأغاني: ٣٨٤/٨ - ٤٢٥، زهر الآداب: ٩٨٥/٤.

(٤) رواية الشعر والشعراء والكامل والأغاني وأمالي المرتضى «إمارة».

وقبل البيت:

فَلَا^(١) تَحْقِرَنَّ يَا حَارِ شَيْئاً تُصِيبُهُ^(٢) فَحَظُّكَ مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقَيْنِ سُرْقُ
فَإِنْ^(٣) جَمِيعَ النَّاسِ إِمَّا مُكَذَّبُ يَقُولُ بِمَا يَهْوَى وَإِمَّا مُصَدِّقُ

وبعد البيت:

وَلَا تَعْجِزَنَّ فَالْعَجْزُ أَحَبُّ مَرَكِبٍ فَمَا كُلُّ مَذْفُوعٍ إِلَى الرِّزْقِ يُرْزَقُ
وَبَارِزُ^(٤) تَمِيمًا بِالْغِنَى إِنْ لِلْغِنَى لِسَانًا بِهِ الْمَرْءُ^(٥) الْهَيُوبَةُ يَنْطِقُ

وقد أورده الشيخ في معرض حديثه عن إعجاز القرآن، وأنه من المحتم على المرء أن يبحث عن أسرار الإعجاز ويبحث عن الطرق والخصائص التي تكشف له هذه الأسرار، فإن اكتفى بظاهر الكلام من غير فحص ولا تمحيص، كان كمن يردد القول، وهو يجهل المراد به، فلو طلب منه الدليل والحجة على ما يقول عجز عن ذلك.

قال الشيخ:

-
- (١) رواية الحيوان، وعيون الأخبار، والكامل، والأغاني، وأمالى المرتضى «وَلَا تَحْقِرَنَّ».
- (٢) رواية الحيوان «مَلَكْتُهُ»، ورواية الشعر والشعراء: «أَصَبْتُهُ»، ورواية الكامل وأمالى المرتضى: «وَجَدْتُهُ».
- وروى البيت في العقد الفريد: «فَدَغَ غَنَكُ مَا قَالُوا وَلَا تَكْتَرِثْ بِهِمْ».
- ورواية زهر الآداب: «وَلَا تَدْعَنَّ لِلنَّاسِ شَيْئاً تُصِيبُهُ».
- (٣) رواية العقد: «وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَثْنَانِ إِمَّا مُكَذَّبُ».
- ورواية زهر الآداب: «فَمَا النَّاسُ إِلَّا قَائِلٌ فَمُكَذَّبُ».
- (٤) رواية الحيوان والشعر والشعراء والكامل والعقد: «وَبَارِ». ورواية عيون الأخبار «وَبَارِ».
- ورواية الأغاني: «وَكَاثِرُ».
- وهذا البيت ذكره بعد قوله: «أَحَارِبِينَ بَذِرَ قَدْ وَلَيْتُ...» وذكروا خمسة أبيات فقط ولم يذكروا قوله - ما عدا الأغاني -:
- «وَلَا تَعْجِزَنَّ فَالْعَجْزُ أَحَبُّ مَرَكِبٍ...»
- (٥) رواية الأغاني: «بِهِ يَسْطُو الْعَيْيُ»، ورواية أمالى المرتضى: «الْعَيْيُ».

«... فبنا أن ننظر أيُّ أشبه بالفتى في عقله ودينه، وأزيد له في علمه وبقينه، أن يقلد في ذلك، ويحفظ متن الدليل وظاهر لفظه، ولا يبحث عن تفسير المزايا والخصائص ما هي؟ ومن أين كثرت الكثرة العظيمة، واتسعت الاتساع المجاوز لوسع الخلق وطاقة البشر؟ وكيف يكون أن تظهر في ألفاظ محصورة، وكلم معدودة معلومة، بأن يؤتى ببعضها في إثر بعض، لطائف لا يحصرها العدد، ولا ينتهي بها الأمد؟ أم أن يبحث عن ذلك كله، ويستقصي النظر في جميعه، ويتبعه شيئاً فشيئاً، ويستقصيه باباً فباباً، حتى يعرف كلاً منه بشاهده ودليله، ويعلمه بتفسيره وتأويله، ويوثق بتصويره وتمثيله، ولا يكون كمن قيل فيه:

يَقُولُونَ أَقْوَالاً وَلَا يَعْلَمُونَهَا وَلَوْ قِيلَ هَاتُوا حَقُّوْا لَمْ يُحَقِّقُوا»^(١)

(١) الدلائل، رضا: ٣٣، خفاجي: ٩٠، شاكر: ٤٠.

ب - شواهد تحقيق القول في الفصاحة والبلاغة

الشاهد الأول^(١):

(الطويل)

تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجَعْتُ^(٢) مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا^(٣) وَأَخْدَعًا^(٤)(٥)

لم يذكر الإمام عبد القاهر قائل هذا البيت، وإنما ذكر أن البيت من أبيات

(١) الدلائل، رضا: ٣٨، خفاجي: ٩٦، شاکر: ٤٧.

(٢) رواية الأشباه والنظائر:

«تشكيت للإصغاء ليتاً وأخدعاً»، وذكر المحقق أنه جاء في نسخة «تنكبت» وأن الرواية «رجعت من الإصغاء».

(٣) اللبت بالكسر: صفحة العنق: وقيل اللبتان صفحتا العنق، وقيل أدنى صفحتي العنق من الرأس عليهما ينحدر القرطان. اللسان «ليت»: ٨٧/٢.

(٤) الأخدع: عرق في موضع المحجمتين، وهما أخدعان. والأخدعان: عرقان خفيان في موضع الحجامة من العنق. اللسان «خدع»: ٦٦/٨.

(٥) وفي رواية الأغاني التي ذكر فيها أن مطلع القصيدة: أمن ذكر دار بالرقاشين أصبحت بها عاصفات الصيف بدءاً ورجعاً لم يذكر ضمن الأبيات بيت الشاهد، وكذلك في بهجة المجالس ذكر بعض أبيات القصيدة دون ذكر بيت الشاهد. ٨٢٦/٢، وكذلك العقد الفريد ذكر ثلاثة أبيات لم تتضمن بيت الشاهد، انظر البيت في:

الحماسة - تحقيق عبد الرحيم عسيلان -: ٤/٢ رقم ٤٦٠، الأمالي لليزيدي: ١٤٩، الأمالي لأبي علي القالي: ١٩٠/١ - ١٩١، الأغاني - دار الكتب -: ٢٠٨٥/٦، الأشباه والنظائر: ٢٨/٢، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٢١٦/٣، سمط اللالي: ٤٦٢/١، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١١٤، المثل السائر: ٣٨٤/١، الطرائف الأدبية: ٧٦، ٧٧.

الحماسة، ووجدت - فيما رجعت إليه من مصادر - أن البيت - في المشهور -
للصمة بن عبد الله القشيري^(١).

والشاهد من قصيدة مطلعها:

حَنَنْتَ إِلَى رِيَا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ رِيَا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا^(٢)

وقبل الشاهد:

(١) لقد نسبت بعض أبيات قصيدة الصمة إلى قيس بن ذريح، وللمجنون، ونسبت في وفيات الأعيان: ٤١٣/٥، وفي مصارع العشاق: ٣٧٨ لابن الطثرية، ونسبت بعض الأبيات في العقد الفريد لابن الدمينية.

جاء في الأغاني: «وهذه الأبيات التي أولها» حننت إلى ريا «تروى لقيس بن ذريح في أخباره، وشعره بأسانيد قد ذكرت في مواضعها، ويروى بعضها للمجنون في أخباره بأسانيد قد ذكرت أيضاً في أخباره...» ٢٠٨٥/٦ - ٢٠٨٦.

وجاء في بهجة المجالس: «ومنها من ينسبها إلى قيس بن ذريح، وللمجنون أيضاً تنسب، والأكثر أنها للصمة: ٨٢٦/١/٢.

والصمة القشيري هو الصمة بن عبد الله بن طفيل بن مرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب، شاعر غزل، وهو شاعر إسلامي بدوي مقل من شعراء الدولة الأموية، ولجده مروة بن هبيرة صحبة بالنبي ﷺ، وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه ﷺ، وتوفي الصمة في بلاد طبرستان، وقد ذكر التبريزي أنه كان أعور.
انظر ترجمته:

الأغاني: ١/٦ - ٩، المؤلف والمختلف: ١٤٤ - ١٤٥، جمهرة أنساب العرب: ٢٨٩، سمط اللآلي: ٤٦١/١، ٤٦٢، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١١٢/٣ - ١١٤.

(٢) ذكر صاحب الطرائف الأدبية أن أول القصيدة:

أَرَبْتُ بِهَا الْأَرْوَاحَ حَتَّى تَنْسَفَتْ مَعَارِفُهَا إِلَّا الصَّفِيحَ الْمَوْضِعَا

انظر الطرائف: ٧٧، وذكر الزبيدي في أماليه: ١٤٩، أن مطلع القصيدة:

أَمِنْ أَجْلِ دَارِ بِالسَّرْقَاشِينَ أَصْبَحَتْ بِهَا بَارِحَاتُ الصَّيْفِ بَدْءاً وَرُجْعَا

وكذلك ذكر في الأغاني في إحدى الروايات (٢٠٨٧/٦) أن مطلع القصيدة:

أَمِنْ ذَكَرِ دَارِ بِالسَّرْقَاشِينَ أَصْبَحَتْ بِهَا عَاصِفَاتُ الصَّيْفِ بَدْءاً وَرُجْعَا

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ^(١) أَعْرَضَ^(٢) دُونَنَا
بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى^(٤) فَلَمَّا زَجَرْتُهَا
وَحَالَتَ^(٣) بَنَاتُ الشُّوقِ يَحْنِنُ نَزْعًا
عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْجِلْمِ أَسْبَلْنَا مَعًا

وبعد الشاهد^(٥):

- (١) البشر: جبل في أطراف نجد من جهة الشام. معجم البلدان: بشر: ٤٢٧/١.
(٢) وفي الأغاني: ٥/٦: «وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبِشْرَ قَدْ حَالَ بَيْنَنَا».
(٣) رواية الأغاني: «وجالت» وكذلك رواية الأمالي.
(٤) ذكر في الأغاني روايتين «بكت عيني اليمنى. بكت عيني اليسرى» وذكر في أمالي اليزيدي: ١٤٩، ومعاني أبيات الحماسة: ١٦٣، وبهجة المجالس: ٨٢٦/٢/١، وشرح الحماسة للتبريزي: ١١٤/٣، «بكت عيني اليسرى»، قال البكري قال ابن القزاز العين اليسرى أضعف وأقل إمساكاً من اليمنى، ولذلك صارت أسرع بالدمع، وكذلك الميامن أقوى من المياسر في كل شيء إلا في اللبس خاصة، فإن اليد اليسرى فيه أقوى حاسةً، والقول الصحيح الصادع في معناه أن الصمة قاتل البيت كان أعور العين اليمنى والدليل على عوره قوله:

تَوَاهَسَ أَصْحَابِي حَدِيثاً لَقِيْتُهُ خَفِياً وَأَعْضَادُ الْمَطِيِّ حَوَانِ
كَأَنَّ قَدْزِي بِالْعَيْنِ قَدْ مُرِجَتْ بِهِ وَمَا حَاجَةُ الْآخَرَى إِلَى الْمَرْجَانِ
عَذَرْتُكَ يَا عَيْنِي الصَّحِيحَةَ بِالْبُكََا فَمَا أَوْلَعَ الْعَوْرَاءَ بِالْهَمْلَانِ
التواهس: السرار، وأراد أن أصحابه تآروا بشيء.

انظر هامش سمط اللالي: ٤٦٢/١.

- (٥) ذكر صاحب الطرائف الأدبية أن القصيدة ستون بيتاً، وذكر فيها أبياتاً لم تذكرها المراجع الأخرى، وذكر قبل الشاهد:

وَمِرْبٌ بَدَتْ لِي فِيهِ بَيْضُ نَوَاهِدُ إِذَا سُمْتُهِنَّ الْوُضْلَ أُمْسِينَ قُطْعَا
وذكر بعد الشاهد:

فَإِنْ كُنْتُمْ تَرْجُونَ أَنْ يَذْهَبَ الْهَوَى يَقِينَا وَتَسْرُوَ بِالشَّرَابِ فَنَنْقَعَا
وفي الأمالي لليزيدي ذكر قبل الشاهد:

لَمَفْتَصَبٍ قَدْ عَزَّهُ الْقَوْمُ أَمْرُهُ يُسِرُّ حَيَاءً غَبْرَةً أَنْ تَطْلُعَا
وذكر البكري بيتين بعد الشاهد، وأشاد بحسنهما، وأنه لا ينبغي أن يحذفاً لجودتهما، وانتظام الكلام بهما وهي:

أَلَا بِأَخِيلِي اللَّذَانِ تَسَوَّصَا بِلُومِي إِلَّا أَنْ أَطِيعَ وَأَسْمَعَا
قَفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى وَقُلْ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَعَا

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحِمَى^(١) ثُمَّ أَثْنِي عَلَى كَبِيدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصْدَعَا

ومناسبة القصيدة التي منها البيت أن الصمة هوى ابنة عم له يقال لها العامرية^(٢) بنت غطيف بن حبيب بن قرة^(٣) بن هبيرة، فخطبها من أبيها، فرفض أن يزوجه إياها، وزوجها من عامر بن بشر بن براء، فلما بنى بها زوجها وجد الصمة بها وجداً شديداً فزوجه أهله امرأة منهم يقال لها جبرة بنت وحشي بن الطفيل، فمكث معها مدة قصيرة ثم رحل إلى الشام^(٤).

ولقد شرح المرزوقي بيت الشاهد بقوله:

«يقول: أخذت في مسيري لما أبصرت حال نفسي في تأثير الصباة فيها ملتفتاً إلى ما خلفته من الحي وأرض نجد، حتى وجدتي وجع الليت - وهو عرق فيها - لطول أصغائي، ودوام التفاتي كل ذلك تحسراً في إثر الفاتت من أحبابي وديارها، وتذكراً لطيب أوقاتي معهم فيها، وقد قيل فيه: إن من رموزهم أن من خرج من بلد، فالتفت وراءه رجع إلى ذلك البلد، وأنشد فيه أبيات منها قوله: عَيْلَ صَبْرِي بِالشُّعْلِيَّةِ لَمَّا طَالَ لَيْلِي وَقَلْنِي قُرْنَائِي كُلَّمَا سَارَتْ الْمَطَايَا بَنَامِي لَا تَنْفُسْتُ وَالتَّفْتُ وَرَائِي قالوا التفت لكي يقضى له الرجوع، لكونه عاشقاً»^(٥).

ويبدو لي أن هذا الشرح لم يبرز لنا عاطفة الشاعر على حقيقتها، ولم

(١) الحمى: موضع فيه ماء وكلاً يُمنع منه الناس، ويقال: أحمت المكان إذا جعلته حمى. اللسان «حما»: ١٩٩/١٤.

(٢) وفي الأمازي لليزيدي أن اسمها «زَيَّا» وهو الاسم المذكور في مطلع القصيدة، ولعل العامرية لقب لها.

(٣) يروى في معجم الشعراء: «مُرَّة».

(٤) انظر: الأغاني: ٢/٦، وذكرت القصة في شرح الحماسة للتبريزي برواية أخرى ربما تكون مكتملة لهذه الرواية: ١١٣/٣، وكذلك في الأمازي لليزيدي: ١٤٨ - ١٤٩، وكذلك رواية أخرى في الأغاني: ٧/٦.

(٥) شرح الحماسة للمرزوقي: ١٢١٨/٣ - ١٢١٩.

يكشف لنا عن ذلك الشوق الذي يعصف في جنبات نفسه، وإني لألمح وراء هذا البيت معانيَ غزيرة وأسراراً لطيفة، فالقصيدة من بدايتها يشيع فيها الحنين الصادق، والتألم المحرق من كثرة الشوق، وبيت الشاهد صور لنا لونا من ألوان هذا الحنين، الذي يضطرم في نفس المحب، وقد نجح الشاعر في تصوير هذا الإحساس تصويراً حركياً دقيقاً، فهو عندما رأى جبل «البشر» قد اعترض طريقه ازداد إحساسه بآلم الفراق، وصاحت نوازع الشوق توقظ كوامن إحساسه وتفرع ما تبقى في نفسه من الصبر، حتى أن عينه العوراء قد خرجت عن نطاق العُرف والعادة، فأخذت تشارك أختها الصحيحة في البكاء، وأخذ الحنين يُسير أعضاء جسمه، فأخذ أخدعه يتلفت ويطلب التلفت من غير أن يشعر فلما طال تلفتة استيقظ على ألم في ليته وأخدعه.. فقلوه: «حتى وجدتي» يُظهر أنه أثناء تلفتة لم يكن يشعر بوخز ألم التلفت لشدة وجده، وأن تلفتة هذا جاء تبعاً لشعوره، ورغماً عن إرادته، فقد كان مسلوب الإرادة يتحكم فيه شوقه وحنينه.

ولقد كان الشاعر دقيقاً في انتقاء عباراته، انظر كيف اختار لفظ «تلفت» بدلاً من «التفت»؛ وذلك لأن التلفت يدل على كثرة واستمرار الحركة، فهو أعمق دلالة على الشوق. جاء في اللسان:

«لَفَتَ وَجْهَهُ عَنِ الْقَوْمِ: صَرَفَهُ، وَالتَّفَتَ التَّفَاتًا، وَالتَّلَفْتُ أَكْثَرَ مِنْهُ.
وَتَلَفْتُ إِلَى الشَّيْءِ وَالتَّفْتُ إِلَيْهِ: صَرَفَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ»^(١).

ثم إنه قال: «حتى وجدتي وجعت من الإصغاء»^(٢) ولم يقل من التلفت وهي اللفظة التي ابتدأ بها البيت، ولعل السر في ذلك أن الشاعر يريد أن يقول

(١) اللسان: «لفت»: ٢٨٤/٢.

(٢) صَغَا إِلَيْهِ يَصْنِي وَيَصْنُو صَغَوًا وَصَغَوًا وَصَغَا: مَالًا، وَكَذَلِكَ صَغَى بِالْكَسْرِ يَصْنِي صَغًى وَصَغِيًا.

قال ابن السكيت: صَغَيْتُ إِلَى الشَّيْءِ أَصْنِي صَغِيًا إِذَا مَلْتَ.
وَأَصْنَتِ النَّاقَةُ تُصْنِي إِذَا أَمَالَتْ رَأْسَهَا إِلَى الرَّجُلِ كَأَنَّهَا تَسْمَعُ شَيْئًا حِينَ يَشُدُّ عَلَيْهَا الرَّجُلُ. اللسان: «صغا»: ٤٦٠/١٤ - ٤٦١.

إنه كان لا ينظر النظرة العابرة، يدير وجهه، ثم يعود بسرعة إلى حالته الطبيعية، وإنما كان يتلفت ثم يَظَلُّ على هذا الوضع زمناً طويلاً يتسمع فيه بأذنه، ويصغي بقلبه، علّه يسمع خبراً من الحي، أو يرد عليه ما يهديء من لوعته، ويخفف من حنينه وشوقه، وهذا الوضع هو الذي ينشأ عنه الوجد الشديد.

وكان الإصغاء عنده يكون بالقلب، فهو أشد من التلفت دلالة على التلهف والحنين، فلفظ «الإصغاء» في هذا الموقف كان له وَحْيٌ خاص، فقد دلَّ على التطور الشعوري عند الشاعر، وأنه قد بلغ مداه.

وقد ورد معنى الإصغاء هذا في قول الشاعر:

مَنْ لِي بِإِنْسَانٍ إِذَا أَغْضَبْتُهُ وَجَهَلْتُ كَانَ الْجِلْمُ رَدَّ جَوَابِهِ
وَإِذَا صَبَوْتُ إِلَى الْمَدَامِ شَرِبْتُ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَرَوَيْتُ مِنْ آدَابِهِ
وَتَرَاهُ يُصْغِي لِلْحَدِيثِ بِسَمْعِهِ وَيَقْلِبُهُ وَلَعْلَهُ أَذْرَى بِهِ^(١)

وقد ورد لفظ الإصغاء في القرآن مع «القلب» قال تعالى: ﴿وَلْيَصْغَى إِلَيْهِ أَفِئَّةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾^(٢).

أي ولتَمِيلَ إليه^(٣).

وقال تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾^(٤).

وإذا صح هذا كان معنى الصمة هذا مصدراً لمعنى الشريف الرضي الذي أعجب به النقاد في قوله:

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى دِيَارِهِمْ وَطُلُوتُهَا بِيَدِ الْبَلَى نَهَبُ
فَوَقَفْتُ حَتَّى ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ يَضُوى وَلَجٌ بِعَذْلِي السَّرْكَبُ

(١) لم أقف على قائله.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١١٣.

(٣) اللسان: «لفت»: ٢٨٤/٢.

(٤) سورة التحريم: الآية ٤.

وَتَلَفْتُ عَيْنِي فَمُذْ خَفِيَتْ عَنْهَا الطُّلُولُ تَلَفْتُ الْقَلْبُ^(١)
فتلفت القلب هذا - وهو معنى رائع حقاً - هو الإصغاء بالقلب في بيت
الصمة.

الشاهد الثاني^(٢):
(الطويل)

بيت البحري^(٣):
وَإِنِّي وَإِنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الْغِنَى^(٤) وَأَعْتَقْتُ مِنْ رِقٍّ^(٥) الْمَطَامِعِ أَخْذَعِي^(٦)^(٧)
وهو من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان^(٨)، ومطلعها:

- (١) ديوانه: دار صادر: ١٨١/١.
- (٢) الدلائل، رضا: ٣٨، خفاجي: ٩٦، شاکر: ٤٧.
- (٣) هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة (٢٠٦ هـ - ٢٨٤ هـ)، شاعر كبير، يقال لشعره «سلاسل الذهب» وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي، وأبو تمام والبحري، ولد بمنج، ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل، ثم عاد إلى الشام وتوفي بمنج، له كتاب «الحماسة».
- انظر ترجمته:
- أخبار البحري للصولي، الأغاني: ٣٧/٢١ - ٥٣، تاريخ بغداد: ٤٧٦/١٣ - ٤٨١، معجم الأدباء: ٢٤٨/١٩ - ٢٥٨، عبر الذهبي: ٤٠٩/١، وفيات الأعيان: ٢١/٦ - ٣٦، الشذرات: ١٨٦/٢، الأعلام: ١٢١/٨، سير أعلام النبلاء: ٤٨٦/١٣.
- (٤) رواية الديوان: «شرف العلى» «ورواية الغنى» هي الأنسب لما بعدها - وأعتقت من رِقِّ المطامع» فالشاعر يتحدث عن العطاء والنوال الذي يكون بهما الإنسان غنياً.
- (٥) رواية الموازنة وإعجاز القرآن للباقلاني: «من دُلَّ».
- (٦) الأخدع: عرق بالعنق، وهنا أراد العنق كله، فاستعمل الجزء في الكل.
- (٧) انظر البيت في:
- ديوانه: ١٠٦/١، الموازنة: ٢٣٩، إعجاز القرآن للباقلاني: ٢٣٦، المثل السائر: ٣٨٤/١.

- (٨) هو الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج، أبو محمد (١٠٠ - ٢٤٧ هـ) فارسي الأصل من أبناء الملوك اتخذته المتوكل أخاً له واستوزره وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه، وكان =

سُقِيَتِ الْغَوَادِي مِنْ طُلُولٍ وَأَزْبَعِ وَحْيِيَتْ مِنْ دَارٍ لِأَسْمَاءَ بَلَقَعَ^(١)
وقبل الشاهد:

لَكَ الْخَيْرُ إِنِّي لَأَحِقُّ بِكَ فَاتَّبِدْ عَلَيَّ وَإِنِّي قَائِلٌ لَكَ فَاسْمَعْ
مَكَانِي مِنْ نَعْمَاكَ غَيْرُ مُؤَخَّرٍ وَحَظِّي مِنْ جَدْوَاكَ غَيْرُ مُضَيِّعٍ^(٢)
وبعد الشاهد:

فَمَا أَنَا بِالْمَغْضُوضِ^(٣) عَمَّا أَتَيْتَهُ إِلَيَّ وَلَا الْمَوْضُوعِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِي^(٤)
جاء بيت الشاهد ضمن قصيدة مدح تشيع في نفس صاحبها السعادة
والجور والولاء، وقد ابتدأها بمطلع غزلي على عادة الشعراء في ذلك العهد
يدعو فيه لذياري محبوبته وأطلالها بالسقيا.

ونرى الشاعر في قصيدته متفائلاً فرحاً واثقاً من مكانته لدى الممدوح، وأنه
المقدم عنده في العطاء المذكور دائماً في النوال، ثم يؤكد للممدوح ولاءه التام
بقوله:

وَإِنِّي وَإِنْ أَبْلَغْتَنِي شَرَفَ الْغِنَى وَأَعْتَقْتْ مِنْ رِقِّ الْمَطَامِعِ أَخَذَعِي
حيث استعمل «إن» التي هي للتوكيد، وجاء بصورة: «الطمع والرق

يفضله على جميع أهله وولده، وهو شاعر، أديب، فصيح، فطن ذكي، جمع خزانة كتب
تعد من أعظم الخزائن وألف عدة كتب منها:
«اختلاف الملوك»، «الصيد والجوارح»، «الروضة والزهر»، قتل مع المتوكل.
انظر ترجمته:

الفهرست: ١٦٩/١ - ١٧٠، معجم الشعراء للمرزباني: ٣١٨، فوات الوفيات: ١٧٧/٣،
معجم الأدباء: ١٧٤/١٦ - ١٨٦، الأعلام: ١٣٣/٥.

(١) الديوان: ١٠٣/١.

(٢) الديوان: ١٠٥/١ - ١٠٦.

(٣) المغضوض: وهو من غَضَّ الشيءَ يَغْضُهُ أي وضع ونقص من قدره، ولا أَعْضُكَ درهماً أي
لا أنقصك. اللسان: «غضض»: ١٩٨/٧.

(٤) الديوان: ١٠٦/١.

والعتق» فصور ما يفعله الطمع في الإنسان، فهو يمتلك لبه وتفكيره، ويجعله دائب العمل للحصول على ما يريده لا يكفيه القليل ولا يرضيه الكثير، باذلاً في ذلك كرامته، مريقاً ماء وجهه، فيكون بذلك عبداً مملوكاً للدرهم والدينار.

وقوله: «اعتقت» اعتراف من الشاعر لممدوحه بالولاء الكامل؛ لأنه رفعه عن تلك النقائص، وكفاه مشقة الطلب، ببذله العطاء من غير منه ولا إذلال، وهذا هو الكرم الحقيقي.

ثم يذكر له أنه مهما بلغ من الغنى والدرجات العلى - وهما من حياء الممدوح وفضله - فلن يكون له غنى عن ممدوحه، ولن يتخطاه في الفضل والمكانة، فمكانة كل منهما معروفة واضحة.

ويدو لي أن هناك ارتباطاً قوياً بين موضوع القصيدة، وبين مطلعها الذي ابتدئ به بالدعاء بالسقيا، وبين قوله: «وإني وإن أبلغتني...» فكأنه يشير إلى أن فضله عليه في إغداق العطاء مثل فضل تلك السحب على الطلول والأربع.

وفي البيت عيب عند علماء البديع يسمونه التضمين^(١).

فقد فضل أداة وفعل الشرط عن الجواب فذكر الأداة والفعل في البيت الأول، ثم جاء بالجواب في البيت الثاني.

(المنسرح)

الشاهد الثالث^(٢):

بيت أبي تمام^(٣):
يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْذَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقُكِ^(٤) (٥)

(١) التضمين في الشعر: هو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقاً لا يصح إلا به. كتاب التعريفات: ٦٠.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٩، خفاجي: ٩٦، شاکر: ٤٧.

(٣) سبقت ترجمته: ص: ٧٧.

(٤) الخُرْق: بالضم الجهل والحمق، وعدم إحسان العمل. اللسان «خرق»: ٧٥/١٠.

(٥) انظر البيت في: ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ٤٠٥/٢، ديوانه - دار صادر: ١٨٦، =

والشاهد من قصيدة قالها في مدح أبي الحسين محمد بن الهيثم بن شُبابه^(١)
ويهنيه بالعافية، ومطلعها:

كَانَتْ صُرُوفُ الزَّمَانِ مِنْ فَرَقِكَ^(٢) وَاکْتَنَ^(٣) أَهْلُ الإِعْدَامِ فِي وَرَقِكَ

وبعده بيت قبل الشاهد:

مَا السُّبْقُ إِلَّا سَبَقُ يُحَارِزُ عَلَى^(٤) جَوَادِ قَوْمٍ لَمْ يَجْرُ فِي طَلْقِكَ

وبعد بيت الشاهد:

سَائِلٌ لِيَا لَيْكَ فَهِيَ عَالِمَةٌ أَيُّ كَرِيمٍ أَرْسَفَنَ^(٥) فِي خَلْقِكَ^(٦)
إِقْبِضْ يَدًا عَنْ أَبِي الْحُسَيْنِ تَجِدْ جَدِيدَهُ عَائِدًا عَلَى خَلْقِكَ

يُلمح أن أبا تمام في هذا البيت ذو نفسية غاضبة، فقد ضج من الدهر وأيامه التي ما لقي فيها إلا العناء والتعب؛ لذا ابتدأ البيت بياء النداء للزجر واللوم، ونكر لفظ الدهر تحقيراً له، ثم غلظ في مخاطبته حيث خاطبه مخاطبة الأمر المتضجر؛ بأن يستقيم، ويصلح حاله مع الناس، فاستعمل لفظ «قوم» وفي هذا كله جعله وكأنه شخص يسمع ويعي، فاستعار له لفظ الأَخْدَعَيْنِ (استعارة

= الوساطة: ٤٠، ٤١، ٤٣٢، الموازنة: ٢٢٨ - ٢٤٠، الصناعتين: ٧٥، سر الفصاحة:

١١٦، المثل السائر: ٣٨٤/١.

(١) ستأتي ترجمته: ١٠٢٤.

(٢) رواية الديوان - دار صادر -:

«قَدْ مَاتَ مَحَلُّ الزَّمَانِ مِنْ فَرَقِكَ»

(٣) اكن: استر. اللسان «كن»: ٣٦٠/١٣.

(٤) ذكر التبريزي أن هناك رواية أجود وهي:

«السُّرُّ إِلَّا سُرُّ يُحَارِزُ عَلَى» وذكر أنه يروى أيضاً «يُمْدُ عَلَى» وأن المعنى: أن جواد القوم وعناقهم إذا طلبوا شأواً هذا الممدوح وجروا في ميدانه افتضحوا.

(٥) أرسفن: قيدن. اللسان «رسف»: ١١٨/٩.

(٦) وجاء في الديوان طبعة - دار صادر - بعد الشاهد:

لا بحرهُ فِي النَّدى إِلَى رَنَقِكَ وَلَا ضَحَى شَمْسِهِ إِلَى شَفَقِكَ
والمقصود «بالرنق»: الكدر.

مكنية)، ثم بين له أن ضجر الناس منه، ومن جهله أمر محقق، فاستعمل «الفاء» مع حرف التحقيق «فقد». فالفاء تدل على التعقيب ومعنى التعقيب هذا تولد منه معنى السرعة، وهذه السرعة تدل على تحقق الأمر وتأكده.

وهذه الأبيات الثلاثة: «الصمة - البحري - أبو تمام» استشهد بها الإمام عبد القاهر، لإثبات أن الكلمات المفردة لا تتفاضل من حيث هي كلم مفردة، وألفاظ مجردة، وإنما تكون لها الفضيلة وخلافها بحسب وضعها في الجملة، وملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها. قال:

«... إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها، في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه، ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ.

ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظ «الأخدع» في بيت الحماسة:

تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُني وَجَعْتُ مِنَ الإِضْغَاءِ لَيْتاً وَأُخْدَعَا

وبيت البحري:

«وَإِنِّي وَإِنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الْغِنَى وَأَعْتَقْتُ مِنْ رِقِّ الْمَطَامِعِ أُخْدَعِي

فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن، ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام:

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أُخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ

فتجد لها من الثقل على النفس، ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة^(١). والإيناس والبهجة^(٢).

ومن نص الإمام عبد القاهر يتضح أنه استحسّن لفظ الأخدع في بيت

(١) وفي الدلائل، تحقيق شاكر: «ومن الإيناس والبهجة».

(٢) الدلائل، رضا: ٤٦، خفاجي: ٩٦، شاكر: ٤٧.

الصمة القشيري، وفي بيت البحري، واستهجنه في بيت أبي تمام، ولكنه لم يبين سبب الاستحسان والاستهجان، وإنما اكتفى بقوله في الاستحسان:

«فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن».

وقال في استهجان لفظ أبي تمام «أُخْدَعِيكَ»:

«فتجد لها من الثقل على النفس، ومن التغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة، والإيناس والبهجة».

فقد اعتمد على ما يظهر على الذوق الشخصي، والشعور النفسي بدليل قوله: «فتجد لها من الثقل على النفس».

هذا هو رأى الشيخ في الأبيات الثلاثة، فماذا عن رأى علماء البلاغة فيها؟ ذهب القاضي الجرجاني إلى القول بقبح الاستعارة في بيت أبي تمام، قال:

«فإذا سمعت بقول أبي تمام:

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أُخْدَعِيكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ

فاسدد مسامعك، واستغش ثيابك، وإياك والإصغاء إليه، واحذر الالتفات نحوه، فإنه مما يصديء القلب ويعميه، ويطمس البصيرة، ويكدق القريحة»^(١).

ثم ذكر أنه ربما حدا بأبي تمام إلى استعارة الأخدع أنه جارئ القدماء في ذلك، وهذا خطأ منه، لأنه مجارة القدماء لا تصح إلا فيما قرب وعُرف وظهر ووضح. قال:

«وإذا قال أبو تمام:

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أُخْدَعِيكَ».

فإنما يريد: أعدل ولا تجر، وانصف ولا تحف، لكنه لما رآهم قد

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤٠ - ٤١.

استجازوا أن ينسبوا إليه الجور والميل، وأن يقذفوه بالعسف والظلم، والخرق والعنف، وقالوا:

قد أعرض عَنَّا، وأقبل على فلان، وقد جَفَانَا وواصل غيرنا، وكان الميل والإعراض إنما وقع بانحراف الأخدع وَزَوَّرَارِ المنكب، استحسَن أن يجعل له أخدعاً، وأن يأمر بتقويمه، وهذه أمور متى حُمِلت على التحقيق، وطلب فيها محض التقويم أُخرجت عن طريقة الشعر، ومتى اتبع فيها الرخص، وأُجريت على المسامحة، أدت إلى فساد اللغة، واختلاط الكلام، وإنما القصد فيها التوسط والاجتزاء بما قُرِبَ وعُرفَ، والاقتصار على ما ظَهَرَ ووضح^(١).

والى تقبيح الاستعارة في بيت أبي تمام ذهب الأمدى، فذكرها في مردول ألفاظ أبي تمام وقبيح استعاراته، وعلل سبب القبح أن أبا تمام استخدم لفظ الأخدع على سبيل الاستعارة، ولم يأت به على الحقيقية كما فعل البحترى، وليست هناك ضرورة تدعوه إلى استخدام هذه اللفظة، فكان بإمكانه أن يقول: «قوم من إعوجاجك».

قال الأمدى:

«فقد تراه كيف يخلط الحسن بالقبيح، والجيد بالرديء، وإنما قبح الأخدع لما جاء به مستعاراً للدهر، ولو جاء في غير هذا الموضع أو أتى به حقيقة، ووضع في موضعه ما قبح، نحو قول البحترى:
«وَأَعْتَقْتُ مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي»

ثم قال:

«... أي ضرورة دعت به إلى الأخدعين؟ وكان يمكنه أن يقول: «من إعوجاجك» أو «قوم ما تعوج من صنعك» أي: يا دهر أحسن بنا الصنيع؛ لأن الأخرق هو الذي لا يُحسِن العمل، وضده الصنع^(٢)».

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤٣٢.

(٢) الموازنة - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد -: ٢٣٩ - ٢٤٠.

وذهب إلى ما ذهب إليه القاضي الجرجاني من أن أبا تمام رأى في بعض أشعار القدماء شيئاً من بعيد الاستعارة، فاحتذاها، واشتط في ذلك، قال:

«وإنما رأى أبو تمام أشياء يسيرة من بعيد الاستعارات متفرقة في أشعار القدماء... لا تنتهي في البعد إلى هذه المنزلة، فاحتذاها، وأحب الإبداع، وأغرق في إيراد أمثالها، واحتطب، واستكثر منها»^(١).

وكذلك كره وعاب أبو هلال العسكري لفظة «الأخدع» في بيت أبي تمام، فذكر في باب «تميز الكلام جيده من رديئه وناديه من بارده» أن أحسن الشعر ما تلائم نسجه وحسن لفظه، ولم يستعمل فيه الغليظ من اللفظ، ودلل على قوله هذا بكلمة «الأخدع» لأبي تمام، قال:

«والشعر كلام منسوج، ولفظ منظوم، وأحسنه ما تلائم نسجه ولم يسخف، وحسن لفظه ولم يهجن، ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام، فيكون جلفاً بغيضاً، ولا السوقي من الألفاظ، فيكون مهلهلاً دوناً... فالبغيض كقول أبي تمام:

جعل^(٢) القَنَا الدَّرَجَاتِ لِلْكَذَجَاتِ^(٣) ذَا تِ الْغَيْلِ^(٤) وَالْحَرَجَاتِ^(٥) وَالْأَذْحَالَ^(٦)
مَنْ^(٨) كَانَ حَزُنُ الْخَطْبِ فِي أَحْزَانِهِ فَدَعَاهُ دَاعِي الْحَيْنِ لِسَاهَالِ^(٩)

-
- (١) الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد -: ٢٤٠.
 - (٢) رواية الديوان - دار صادر -: «جعلوا» وكذلك رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي.
 - (٣) الكذجات: جمع الكذج وهو المأوى. اللسان «كذج»: ٣٥١/٢.
 - (٤) الغيل: كل موضع فيه ماء من واد ونحوه. اللسان «غيل»: ٥١٢/١١.
 - (٥) الحرجات: مجتمع الشجر. اللسان: «حرج»: ٢٣٤/٢ - ٢٣٥.
 - (٦) الأدحال: جمع دحل وهو نقب ضيق الفم وأسفله واسع يجتمع فيه الماء. اللسان «دحل»: ٢٣٧/١١.
 - (٧) ديوان بشرح الخطيب التبريزي: ١٣٨/٣. ديوانه - دار صادر -: ٢٣٢.
 - (٨) رواية الديوان -: دار صادر -: «قد كان». وكذلك رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي.
 - (٩) ديوانه -: دار صادر -: ٢٣١، ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ١٣٧/٣.

وقوله:

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْذَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ

ولا خير في المعاني إذا استكرهت قهراً، والألفاظ إذا اجترت قسراً، ولا خير فيما أُجيد لفظه إذا سخف معناه، ولا في غرابة المعنى إلا إذا شُرِّفَ لفظه مع وضوح المغزى، وظهور المقصد، وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلا بكدٍ، ويستفصحونه إذا وجدوا ألفاظه كزّة غليظة، وجاسية غريبة، ويستخفون الكلام إذا رأوه سلساً عذباً، وسهلاً حلواً، ولم يعلموا أن السهل أمتع جانباً، وأعز مطلباً، وهو أحسن موقعاً، وأعذب مستمعاً، ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتنع^(١).

فيظهر أن أبا هلال العسكري قد عاب بيت أبي تمام ليس من أجل استعارة لفظ الأخدع للدهر فقط بل لأنه رأى أن هذه اللفظة كزّة غليظة في ذاتها.

وتبعه الباقلاني من حيث استهجان لفظه «الأخدع» من حيث هي لفظة، فعابها في بيت البحري، مخالفاً بذلك الأمدى، والإمام عبد القاهر اللذين استحسنا لفظة «الأخدع» في بيت البحري، وامتدحا موضعها.

وذكر أن الذي حدا بالبحري إلى استخدامها ولوعه باتباع أبي تمام. قال:

«... كما عيب على أبي تمام قوله:

فَضَرَبْتُ الشَّتَاءَ فِي أَخْذَعِيهِ ضَرْبَةً غَادَرْتُهُ عَوْدًا رَكُوبًا

وقالوا: يستحق بهذه الاستعارة أن يصفع في أخدعيه، وقد اتبعه البحري

في استعارة الأخدع، ولُوعا باتباعه، فقال في الفتح بن خاقان:

وَإِنِّي وَأَبْلَغْتَنِي شَرَفَ الْعُلَا وَأَعْتَقْتُ مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ أَخْذَعِي

إن شيطانه حيث زين له هذه الكلمة، وتابعه حين حسن عنده هذه اللفظة -

(١) الصنائع: ٧٤ - ٧٥.

لخبيث مارد، ورديء مُعَانِد، أراد أن يطلق أَعِنَة الدّم فيه، ويُسَرِّح جيوش العنب إليه...»^(١).

وكذلك ذهب ابنُ سنان الخفاجي إلى القول بقبح الاستعارة في بيت أبي تمام لما فيها من بُعد وإغراب؛ لأنه لا بد لكل استعارة من حقيقة يُرجع إليها ويكون بينهما شبه ظاهر وتعلق وكيد^(٢).

قال:

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ

وقوله:

فَضْرَبْتَ الشِّتَاءَ فِي أَخْدَعِيهِ ضَرْبَةً غَادَرْتُهُ عَوْدًا^(٣) رُكُوبًا^(٤)»^(٥).

وقوله:

سَأَشْكُرُ فُرْجَةَ اللَّيْلِ^(٦) الرَّخِيَّ وَلَيْنَ أَخَادِعِ الدَّهْرِ^(٧) الْأَبْيَّ^(٨)

فإن أخادع الدهر والشتاء من أقبح الاستعارات، وأبعدها مما استعيرت له، وليس بقبح ذلك خفاء، ولا يعرف أبو تمام الوجه الذي لأجله جعل للشتاء والدهر أخادع إلا سوء التوفيق في بعض المواضع^(٩).

(١) إعجاز القرآن: ٢٣٦.

(٢) سر الفصاحة: ١٢٤.

(٣) العود: الممن من الإبل. اللسان «عود»: ٣٢١/٣.

(٤) الرُّكُوب من الإبل السهل المنقاد. اللسان «ركب»: ٤٣٢/١.

(٥) ديوانه - دار صادر: ٣٠، شرح ديوان أبي تمام - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد -: ٦٧.

(٦) رواية الديوان - دار صادر -: «الليت»، والفرجة ما انفرج بين الشئيين واتسع. اللسان «فرج»: ٣٤١/٢، ٣٤٢.

(٧) رواية الديوان - دار صادر -: «الزمن».

(٨) ديوانه - دار صادر -: ٣٠٦.

(٩) سر الفصاحة: ١١٦.

ولقد استحسن ابن الأثير بيت الصمة القشيري^(١)، واستهجن بيت أبي تمام، وذكر أن العلة في مجيء كلمة «الأخدع» مستحسنة في بيت الصمة، مستهجنة في بيت أبي تمام، إنما ترجع لتركيب اللفظة فقد جاءت موحدة في بيت الصمة، مشاة في بيت أبي تمام.

قال عند حديثه عن أنواع تأليف الألفاظ - «النوع السادس» - وفي اختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها:

«وها هنا فلينعم الخائضون في هذا الفن نظرهم، ويعلموا أن في الزوايا خبايا، وإذا أنعموا الفكر في أسرار الألفاظ عند الاستعمال، وأغرقوا في الاعتبار والكشف، وجدوا غرائب وعجائب.

ومن هذا النوع لفظة «الأخدع» فإنها وردت في بيتين من الشعر وهي في أحدهما حسنة رائقة، وفي الآخر ثقيلة مستكرهة، كقول الصمة بن عبد الله من شعراء الحماسة:

تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُني وَجَعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتاً وَأَخْدَعَا
وكقول أبي تمام:

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ

ألا ترى أنه وجد لهذه اللفظة في بيت أبي تمام من الثقل على السمع، والكرهية في النفس أضعاف ما وجد لها في بيت الصمة بن عبد الله من الروح والخفة، والإيناس والبهجة؟ وليس سبب ذلك إلا أنها جاءت موحدة في أحدهما مشاة في الآخر، وكانت حسنة في حالة الأفراد مستكرهة في حالة الثنية، وإلا فاللفظة واحدة، وإنما اختلاف صيغتها فعل بها ما ترى^(٢).

ويلاحظ أن ابن الأثير متأثر بالشيخ عبد القاهر ناقل عنه تعليقه على البيتين

(١) وهو الشاهد الأول:

تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُني ... البيت.

(٢) المثل السائر: ٣٨٤/١.

مستعمل أكثر ألفاظه، وما زاده عليه هو تعليله الثقل والخفة الذي أرجعه إلى صياغة اللفظة.

ويظهر مما سبق أن سبب استحسان بيت الصمة وبيت البحري، واستهجان بيت أبي تمام يرجع كما أشار عبد القاهر إلى الذوق الشخصي، والشعور النفسي. ويرجع أيضاً - كما أشار ابن الأثير - إلى صياغة اللفظ فحيث جاء مفرداً كان مستحسنًا، وحيث جاء مثنى كان مستهجنًا، ولكن هذا ليس مطردًا. ويبدو لي أنه يرجع أيضاً إلى غرض القصيدة، وما له من تأثير في اختيار الألفاظ.

فحين كان الغرض «الغزل»، وشاع في جو القصيدة وألفاظها التحسر والألم والحنين رقت الألفاظ، فكانت موسيقى البيت كلها في رتابة واحدة، ومن ثم استعذبت لفظه «الأخدع».

وعندما كان الغرض المدح كما في بيت البحري خفت الألفاظ أيضاً ورقت فاستحسن لفظ «الأخدع».

ولما كان الغرض الزجر والذم ثقلت ألفاظ البيت وموسيقاه على النفس، فكأنك تسمع لها جلبة ورنيناً شاع في ألفاظ البيت كله حيث استعمل أبو تمام ألفاظاً غليظة مثل:

«أخذعك - أضججت - خرقت».

وهناك وجه آخر للحسن والقبح يظهر في أثر الحقيقة في البيتين الأول والثاني وأثر الإستعارة في بيت أبي تمام فلا شك أن لكل من الحقيقة والاستعارة أثره في نفس السامع ولكن بشرط أن تكون حسنة لطيفة، وأن يكون هناك ارتباط وثيق وواضح بين المستعار منه والمستعار له، فإذا تم لها ذلك كانت أوكد للنفس وأطرب، وإن كان وجه الشبه بعيداً بحيث يكدر العقل في إدراكه، كانت الحقيقة أنس للنفس، وأقرب للعقل وأوكد، فبيت أبي تمام أفقد القارئ لذة الاستعارة، لأنه أغرب فيها فليس هناك وجه شبه ظاهر بين الدهر والأخدع.

ومن هنا كان استعمال اللفظة على حقيقتها في بيت الصمة والبحثري
الطف وأعذب.

ثم إن في بيت أبي تمام قضية عقائدية ينبغي الإشارة إليها، وهي أنه لا
يجوز لوم الدهر، ولا زجره ولا سبه، لأن الله هو الدهر.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«لَا يَسُبُّ أَحَدُكُمْ الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ، وَلَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ لِلْعَبَةِ الْكَرَمُ،
فَإِنَّ الْكَرَمَ هُوَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ»^(١).

(الطويل)

الشاهد الرابع^(٢):

قول عُمر بن أبي ربيعة المَخْزُومِي^(٣):

-
- (١) انظر: الحديث في: مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢٣٨/٢، ٢٧٢، صحيح مسلم «كتاب الألفاظ» باب النهي عن سب الدهر: ١٧٦٣/٤.
- (٢) الدلائل، رضا: ٣٩، خفاجي: ٩٦، شاکر: ٤٧.
- (٣) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، واسم أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (٢٣ هـ - ٩٣ هـ) ويكنى عمر بن أبي ربيعة، «أبا الخطاب»، أرق شعراء عصره من طبقة جرير والفرزدق، ولم يكن في قريش أشعر منه، كان كثير التشبيب بالنساء، وقد بلغ عمر بن عبد العزيز فنفاه، ثم غزا في البحر، فاحترقت السفينة به وبمن معه مات فيها غرقاً.
انظر ترجمته:
- الشعر والشعراء: ٥٥٧/٢ - ٥٦٢، الأغاني: ٦١/١ - ٢٤٨، ١٦٩/١١ - ١٧٥، الموشح: ١٨٢ - ١٨٧، زهر الآداب: ١٠٢/١ - ١٢١، وفیات الأعيان: ٤٣٦/٣ - ٤٣٩، شرح شواهد المغني: ٣٩/١ - ٤٢، شذرات الذهب: ١٠١/١، خزانة البغدادي - دار صادر: ٢٤٠/١، الأعلام: ٥٢/٥.

وَمِنْ^(١) مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ^(٢) غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدُّمَى^(٣)

ومطلع القصيدة التي منها البيت:

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَا^(٤) يَبَاءُ^(٥) بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلِقٍ^(٦) رَهْنًا إِذَا ضَمَّهُ^(٧) مِنْى

وبعده بيت الشاهد وبعده:

يُسَحِّبْنَ أَذْيَالَ الْمُرُوطِ^(٨) بِأَسْوَاقٍ^(٩) خِذَالٍ^(١٠) وَأَعْجَازٍ مَأْكُمَهَا^(١١) رَوَى^(١٢)

(١) وفي رواية الكامل، والموشح للمرزياني، والجمل للزجاجي:

وكم مالىء عينيه من شيء غيره»

(٢) وذكر محقق الأغاني أنه ورد في إحدى المخطوطات «من شيء عبرة» يريد: من فيض عبرة:

١٤٥/١، ويبدو لي أنه تصحيف.

(٣) ذكر الدكتور عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية: ص ٣٣٠ أن البيت غير موجود

في ديوان عُمر بن أبي ربيعة - طبعة دار صادر -، وقد وجدت القصيدة فيه.

انظر البيت في:

ديوانه - دار صادر - : ١٨، الكتاب: ١٦٥/١، شرح أبيات سيويه للنحاس: ١٠٠، رقم

الشاهد (٣٠٩)، الكامل - دار الفكر - : ١٦٧/٢، الجمل للزجاجي: ٨٧، الأغاني:

١٤٥/١، الموشح: ١٨٤.

(٤) رواية الأغاني: «فكم من قتيل ما يباء به دم».

(٥) بَاءَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ بَوَاءَ، وَأَبَاءَهُ، وَبَاوَأَهُ: إِذَا قُتِلَ بِهِ، وَصَارَ دَمُهُ بِدَمِهِ، وَبَاءَهُ: قَتَلَهُ بِهِ. والمراد

هنا: فكم من قتيل ذهب دمه، ولم يؤخذ له بثأر. اللسان: «باء»: ٣٨/١.

(٦) غلق الرهن في يد المرتهن يغلق غلقاً: لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط،

والمعنى هنا: وكم من قلوب أسيرة مرهونة لم يقدر أصحابها على افتكاكها. اللسان

«غلق»: ٢٩٢/١٠ - ٢٩٣.

(٧) رواية الأغاني: «إذا لفه».

(٨) المُرُوط: جمع مرط وهو كساء من خز أو صوف أو كتان، وقيل هو الثوب الأخضر. اللسان

«مرط»: ٤٠١/٧.

(٩) الأسوق: جمع ساق. اللسان «سوق»: ١٦٨/١٠.

(١٠) الخَذَلُ: العظيم الممتلئ، والخدلة من النساء الغليظة الساق، وخدلاء ممتلئة الساقين

والذراعين. اللسان «خدل»: ٢٠١/١١.

أَوَانِسُ يَسْلُبْنَ الْحَلِيمَ فُؤَادَهُ فَيَا طُولَ مَا شَوْقِي وَيَا حُسْنَ مُجْتَلَى
مَعَ اللَّيْلِ قَصْرًا^(١) رَمِيهَا بِأَكْفُفِهَا ثَلَاثَ أَسَابِيحٍ تُعَدُّ مِنَ الْحَصَى
فَلَمْ أَرَ كَالْتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاطِرٍ وَلَا كَلَيَالِي الْحَجِّ أَفْلَتَنَ^(٢) ذَا هَوَى

عُرف الشاعر عمر بن أبي ربيعة بتعرضه للنساء في الحج، فكان يقدم فيعتمر في ذي القعدة، ويحل ويلبس الخلل والوشى، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء، عليها القطوع والديباج ويُسبل لمتته، ويلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات، ويتلقى المدنيات إلى مرٍّ ويتلقى الشاميات إلى الكديد^(٣).

وهذه الأبيات التي منها بيت الشاهد قالها - فيما يبدو - في عائشة بنت طلحة^(٤) حين رآها وهي ترمي الجمار حاسرة الوجه، وقد كانت تحرص كل

= (١١) المآكم جمع مأكمة؛ والمآكمتان هما لحمتان وصلتا ما بين العجز، والمنتين، وقيل هما

للحمتان على رؤوس الوركين. اللسان «أكم»، ٢٠/١٢ - ٢١.

(١٢) روى: أي فيها ري كثير. اللسان: «روى»: ٣٤٦/١٤.

(١) قصراً: حبساً. اللسان (قصر): ٩٩/٥.

(٢) رواية الموشح: «أفَلَتَنَ».

(٣) الأغاني: ٢٢١/١.

(٤) ذكر الدكتور جبرائيل جبور في كتابه «عمر بن أبي ربيعة» رواية فهم منها أن الأبيات قيلت في «فاطمة بنت مروان بن عبد الملك»، فذكر أنه لما حج سليمان بن عبد الملك أرسل وراء عمر وقال له: ألسنت القاتل:

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلِقٍ رَهْنًا إِذَا ضَمُّهُ مِئْنَى

والله لا تحج مع الناس هذا العام، وأخرجه إلى الطائف حتى قضى الناس حاجتهم. الموشح: ١٨٤.

ثم ذكر في الهامش أن هناك رواية أخرى في الأغاني تذهب إلى أن عمر بن عبد العزيز هو الذي أنبّه على قوله هذا، وأن الشعر في امرأة هي فاطمة بنت مروان. ولقد بحثت طويلاً في الأغاني عن هذه الرواية الأخيرة، فلم أعثر عليها، ولعله يقصد بالرواية الأخيرة ما جاء في الأغاني أنه «لما قدمت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان مكة =

الحرص على أن لا يراها عمر بن أبي ربيعة فيشيب بها، فلما صدف وراها، وفاز بمبتغاه انتشت نفسه سروراً وغبطة، فأخذ يصور ذلك الموقف وروعه، وأثره في نفسه، فهو كثيراً ما يتمتع برؤية الأوانس البيض اللواتي هن مثل الدمي في بياضهن وجمالهن إذا وقف عند الجمار، هذا على رواية «من مالى» أما على رواية «كم مالى» فإن الشاعر شعر بحرمة هذا الموقف، فأراد أن يعتذر لنفسه، بأنه ليس وحده الذي يتخذ من موسم الحج مرتعاً للهوى وتغزله وتعرضه للحرائر، فالكثرة الكاثرة من الحجاج يملؤون عيونهم من نساء غيرهم، وهذه مسألة معروفة في علم النفس، فكل من كان على خلق يحب أو يحاول أن يثبت أن كل الناس على هذا الخلق.

ولم يشر الشيخ عبد القاهر إلى سر استحسان لفظة «شيء» في بيت عمر بن أبي ربيعة، ويبدو لي أنها جاءت هنا حسنة مقبولة؛ لأنه كنى ورمز بها إلى

جعل عمر بن أبي ربيعة يدور حولها، ويقول فيها الشعر، ولا يذكرها باسمها فرقاً من عبد الملك بن مروان، ومن الحجاج، لأنه كان كتب إليه يتوعده إن ذكرها أو عرض باسمها.

ويبدو لي أن الأبيات قد قيلت في عائشة بنت طلحة، لأن هناك رواية في الأغاني توافق وتسائر معاني الأبيات، فمما جاء فيها:

«ولم يزل عمر ينسب بعائشة أيام الحج، ويطوف حولها ويتعرض لها، وهي تكره أن يرى وجهها حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة، فنظر إليها فقالت:

أما والله لقد كنت لهذا منك كارهة يا فاسق». انظر الأغاني: ١٩٥/١، ٢٠٠. وانظر كذلك: عمر بن أبي ربيعة، جبرائيل جبور: ١٤١/٣.

وذكر المبرد في الكامل أن الأبيات قيلت في أم عمر بنت مروان بن الحكم قال: «وقال عمر بن أبي ربيعة ونظر إلى أم عمر بنت مروان بن الحكم وكانت صارت إليه متكرة فرأته وقضت من محادثته وطراً ثم انصرفت فلما رجعت من منى عرفها، فعلمت ذلك، فبعثت إليه لا ترفع يي صوتاً، وأهدت له ألف دينار فاشتري بها عطراً وبزاً وأهداه لها فأبت أن تقبله فقال: إذا والله أنهبه فيكون أذيع له فقبلته وفي ذلك يقول:

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَا يَبْأُ بِهَدْمٍ وَمِنْ غَلِيٍّ رَهْنًا إِذَا ضَمُّهُ مَنَى
وَكَمْ مَالٍ عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالِدُمَى

الكامل - دار الفكر - ١٦٦/٢ - ١٦٧.

«المرأة» وأضافها إلى لفظ «غيره»؛ ليدل على أن المتحدث عنه من «الحُرُمات»، وأن المتحدث عنه صراحة فيه تعدي على هذه الحرمة.

أو أنها حُسنت هنا؛ لأن المقام الذي جاء فيه الحديث عن المرأة مقام عبادة - وهو الحج - وهو مقام لا يجوز فيه التشبيب بالنساء والتغزل بهن، فكان لا بد من التحفظ في الألفاظ تأدباً مع الموقف. وهذا له تأثيره في نفس السامع. وربما حُسِن هذا اللفظ؛ لأن الشعر شعر غزل فأراد الشاعر أن يلف المتغزل به في ثوب من الغموض ليحرك في النفوس الشوق إليه.

الشاهد الخامس^(١):
(الطويل)

قول أبي حية^(٢):

إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ^(٣) لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا^(٤)

(١) الدلائل، رضا: ٣٩، خفاجي: ٩٧، شاکر: ٤٨.

(٢) هو أبو حية النميري، واسمه الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كبير بن جناب بن مالك بن عامر بن نمير، ويقال: هو أحد بني عبد الله بن الحارث بن نمير، جاء في المبهج في تفسير كنيته:

أنه يجوز أن يكون كُني بواحدة الحيات، ويجوز أن يكون كُني بحية تأنيث حي من قولهم رجل وامرأة حية في هذا كعائشة، وحي منه كمعمر ويحيى اسمي رجلين، وجاء في العقد الفريد أنه كان من الشعراء المجانين، وكان من أشعر الناس.

انظر ترجمته في:

المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة: ٥٧، العقد الفريد - دار الفكر -:

١٥٧/٧، المؤلف والمختلف: ١٠٣.

(٣) وفي رواية العقد الفريد: «تقاضاه أمر».

(٤) انظر البيت في:

البيان والتبيين: ٢٢٩/٢، الكامل - دار الفكر -: ١٤٨/١، العقد الفريد - دار الفكر -:

١٥٧/٧، أمالي القالي: ١٨٥/٢، المؤلف والمختلف: ١٠٣، زهر الأداب: ٢٦٧/١،

الحماسة البصرية: ٤٢٤/٢.

ومطلع القصيدة:

أَلَا حَيَّ أَجَلٍ مِنْ أَجَلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا^(١) لَيْسَنَ الْبَلَى مِمَّا^(٢) لَيْسَنَ اللَّيَالِيَا

وبعده أبيات قبل الشاهد:

فَإِنْ أَكْ وَدَّعْتُ الشَّبَابَ فَلَمْ أَكُنْ عَلَيْهِ مَعَاذَ اللَّهِ ذَلِكَ زَارِيَا
حَتَّتِي^(٣) اللَّيَالِيَا بَعْدَ مَا كُنْتُ مَرَّةً قَوِيمَ الْعَصَا لَوْ كُنَّ يُبْقِينَ بَاقِيَا

وبعدهما الشاهد وبعده:

وَإِنِّي لَيَنْهَانِي عَنِ الْجَهْلِ أَنَّنِي أَرَى وَضَحًا مِنْ لِمْتِي قَدْ بَدَا لِيَا
وَطُولُ تَجَارِبِ الْأُمُورِ وَلَا أَرَى لِيَذِي نَهْيَةٍ مِثْلَ التَّجَارِبِ نَاهِيَا^(٤)

لم تشر المراجع التي رجعت إليها في تخريج البيت إلى استهجان البيت أو استحسانه؛ إلا ما يفهم من قول ابن عبد ربه - «وهو القائل» - قبل ذكره بيت الشاهد، والذي صاغه بأسلوب القصر عن طريق تعريف الطرفين فدلّت العبارة بهذا الأسلوب على نوع من الاستحسان.

جاء في العقد الفريد: تحت عنوان «شعراء المجانين»:

(١) هذه رواية الحماسة والكامل، أما رواية البيان والتبيين، والعقد الفريد: «أَلَا حَيَّ أَطْلَالِ
الرسوم البواليا».

والمغاني جمع مغنى، وهو المنزل الذي غني به أهله ثم ظعنوا عنه، أو هو المنزل عامة.
اللسان «غنا»: ١٣٩/١٥.

(٢) رواية الأمالي:

«لَيْسَنَ الْبَلَى لَمَّا لَيْسَنَ اللَّيَالِيَا»

(٣) رواية الأمالي وزهر الآداب:

حَتَّتِكَ اللَّيَالِيَا بَعْدَ مَا كُنْتُ مَرَّةً سَوِيَّ الْعَصَا لَوْ كُنَّ يُبْقِينَ بَاقِيَا

(٤) هذه الأبيات بهذا الترتيب انفرد بها صاحب الحماسة البصرية: ٤٢٤/٢، وبقية المراجع

التي أشرت إليها في تخريج البيت لم تذكر سوى بيتين وهما مطلع القصيدة وبيت الشاهد،
مع اختلاف في رواية صدر البيت الأول - كما أشرت - وفي التمثيل والمحاضرة لم يذكر
سوى بيت الشاهد.

«منهم أبو ياسين الحاسب، وجعيفران، وجرنفش، وأبو حية النميري...
وكان أبو حية أجن الناس وأشعر الناس، وهو القائل:

أَلَا حَيَّ أَطْلَالَ الرُّسُومِ الْبَوَالِيَا لَبَسْنَ الْبِلَى مِمَّا لَبَسْنَ اللَّيَالِيَا
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ أَمْرٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا»^(١)

الشاعر في هذا البيت يتألم، ويتحسر على عمر الإنسان الذي يفنى ويلى من شدة ما يلقاه من عنت الأيام، وعسف الليالي، فإذا كانت الأيام والليالي هي التي تقاضيه، فلن تمل حتى تفنيه، ولن يعيقها شيء حتى تفتك به، والشاعر قد قال قصيدته هذه، وقد ودّع الشباب وحنته الليالي، وظهر الشيب في لِمَتِهِ، وقد كان شبابه محموداً لديه، وهذا هو مصدر الحسرة في البيت.

وبين الشاهد، ومطلع القصيدة مناسبة قوية حيث جعل فناء الأطلال رمزاً لفناء الإنسان.

وقوله: «لبسن البلى مما لبسن الليالي» استعارتان مكنيتان راععتان تصوران سرعة فناء الإنسان، فقوله: «لبسن البلى» يدل على أن الفناء قريب من الإنسان لاصق به، وكأنه إزار يلاصق جسده، وجعل الليالي كاللباس دليل على سرعة انصرام تلك الليالي، فهي دائماً ما تغطي تلك المغاني، وكأنها لباس لها دائم. ويبدو أنه خص الليالي بالذكر وأنها سبب الفناء؛ لأن لليالي معنى خاصاً في نفس الشاعر، فهي تثير فيه ذكريات الشباب كيف لا وهي مرتع لهوه وتصابيه. ثم انظر إلى قيمة التنكير في قوله: «يوم وليلة» حيث أراد به «الشدة» أي يوم شديد، وليلة قاسية، ثم إنه لم يقل «الزمن» بل قال يوم وليلة؛ ليدل على التابع، وعلى أن الإنسان يقاسي في كليهما من الشدائد ما يعجل بفنائه.

وقد روي عن الرسول ﷺ أنه قال في هذا المعنى:

«كَفَى بِالسَّلَامَةِ ذَاءً»^(٢).

(١) العقد الفريد - دار الفكر - ١٥٧/٧، كذلك انظر الخبر في البيان والتبيين: ٢٢٩/٢.

(٢) لم أقف عليه، وأعتقد أنه مثل وليس بحديث.

وقال عمرو بن قميئة^(١) في هذا المعنى :

كَأَنْتَ قَنَائِي^(٢) لَا تَلِينُ لِغَامِرٍ^(٣) فَلَأَنهَا الإِضْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّي فِي السَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصَحِّحَنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءٌ

وقال النَّمْرُ بْنُ تَوَلَبٍ^(٤) :

يَسْرُ^(٥) الْفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ وَالْبَقَا فَكَيْفَ يَرَى طُولَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ
يُرْدُّ^(٦) الْفَتَى بَعْدَ اغْتِدَالٍ^(٧) وَصِحَّةٍ يَنْوِي إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ^(٨)

قال حميد بن ثور^(٩) :

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَمَا تَيْمَمًا^(١٠)

* * *

(١) هو شاعر جاهلي، نشأ يتيماً، وأقام في الحيرة مدة، ثم خرج مع امرئ القيس حين توجه إلى قيصر، فمات في الطريق، ولذا سمته العرب «عمراً الضائع».

انظر ترجمته :

الشعر والشعراء: ٣٨٣/١ - ٣٨٥، المؤلف والمختلف: ١٦٨، معجم الشعراء: ٢٠٠، الأعلام: ٨٣/٥، ونسب البيتان في مجموعة المعاني لعبد الرحمن بن سويد المرِّي.

(٢) يريد جميع جسمه.

(٣) الغمز: العصر والكبس باليد. اللسان «غمز» ٣٨٩/٥.

(٤) شاعر مخضرم من شعراء الطبقة الثانية في الجاهلية. أدرك الإسلام وهو كبير السن، كان جواداً واسع القري.

انظر ترجمته.

الشعر والشعراء: ٣١٥/١ - ٣١٧، خزائن البغدادي - دار صادر: ١٥٦/١.

(٥) رواية زهر الآداب: «يود الفتى».

(٦) رواية زهر الآداب: «يعود الفتى».

(٧) رواية زهر الآداب: «بعد حسن».

(٨) انظر: الكامل - دار الفكر: ١٤٨/١، زهر الآداب: ٢٦٨/١، مجموعة المعاني: ٧.

(٩) هو شاعر مخضرم أدرك عمر بن الخطاب، وقال الشعر في أيامه. ستأتي ترجمته فيما بعد:

ص ٤٧٤.

(١٠) الكامل - دار الفكر: ١٤٨/١، زهر الآداب: ٢٦٨/١ - ٢٦٩.

بيت المتنبي^(٢):لَوْ الْفَلَكَ^(٣) الدَّوَارُ أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ^(٤)والشاهد من قصيدة قالها يذكر فيها خروج شبيب العقيلي^(٥) على كافور الأخشيدي^(٦)، ومطلع القصيدة:

- (١) الدلائل، رضا: ٣٩، خفاجي: ٩٧، شاکر: ٤٨.
- (٢) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي (٣٠٣ هـ - ٣٥٤ هـ) الشاعر الحكيم المعروف وهو أحد مفاخر الأدب العربي قال الشعر صبيّاً، وتنبأ وتبعه خلق كثيرون حتى خرج إليه أمير حمص فأسره وسجنه حتى تاب، مدح سيف الدولة الحمداني، وكذلك مدح «كافوراً الإخشيدي».
- انظر ترجمته:
- تاريخ بغداد: ١٠٢/٤ - ١٠٥، وفيات الأعيان: ١٢٠/١ - ١٢٥، لسان الميزان: ١٥٩/١، معاهد التنصيص: ٢٧/١ - ٣٣، الأعلام: ١١٥/١.
- (٣) يروي الفلك «بالرفع والنصب»، والنصب أجود. شرح العكبري: ٢٤٢/٤.
- (٤) انظر البيت في:
- ديوانه بشرح العكبري: ٢٤٧/٤، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب: ٦٠٣/٤، الوساطة: ١٨١، يتيمة الدهر: ١٧٤/١.
- (٥) هو شبيب بن جرير العقيلي من قوم كانوا من القرامطة، وكانوا مع سيف الدولة، ولي شبيب معرة النعمان دهرًا طويلاً، واجتمع إليه جماعة من العرب، فوق عشرة آلاف، فأراد أن يخرج على كافور، فقصد دمشق فحاصرها، ويقال أن امرأة ألفت عليه رجا فصرعته، فانهزم من كان معه لما مات، ويقال أنه حدث به صرع من شرب الخمر، فحدث به تلك الساعة مصرع، فتركه أصحابه ومضوا، فأخذه أهل دمشق فقتلوه.
- انظر: شرح ديوان أبي الطيب للعكبري: ٢٤٣/٤.
- (٦) كنيته أبو المسك وهو صاحب مصر، تقدم عند مولاه الأخشيذ، وساد لرأيه وحزمه وشجاعته، فصيّره من كبار قواده، كان مهيباً، سائساً، جواداً، وقوراً، توفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة.
- انظر ترجمته:

الكامل لابن الأثير: ٢٥/٧، العبر: ٩٨/٢ - ٩٩، وفيات الأعيان: ٩٩/٤ - ١٠٥، النجوم الزاهرة: ١/٤ - ٢٠ شذرات الذهب: ٢١/٣ - ٢٢، سير أعلام النبلاء: ١٩٠/١٦ - ١٩٣.

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ^(١)

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبلة:

قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أَنَّكَ أَوَّلُ وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانِي
فَمَا لَكَ تَخْتَارُ الْقِسَى وَإِنَّمَا عَنْ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقَلَانِ
وَمَا لَكَ تُعْنَى بِالْأَيِّنَةِ وَالْقَنَا وَجَدَكَ طَعْنًا بِغَيْرِ سِنَانِ
وَلَمْ تَحْمِلِ السِّيفَ الطَّوِيلَ نِجَادُهُ وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحَدَثَانِ^(٢)
أَرَدَ لِي جَمِيلًا جُدْتَ أَوْ لَمْ تَجُدْ بِهِ فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِيَّ أَتَانِي^(٣)

ومعنى الشاهد: لو أنك كرهت دوران الفلَّك لحدث له شيء يمنعه عن الدوران، وهذه مبالغة في قوة سعده وطالعه، ومؤاتاة الأقدار لمراده ورغباته، وهذا المعنى هو الذي بنى عليه أكثر أبيات قصيدته^(٤).

والشواهد الثلاثة «الرابع - الخامس - السادس» استشهد بها الإمام عبد القاهر - أيضاً - على أن الكلم لا تتفاضل من حيث هي كلم مفردة، فقد نرى الكلمة حسنة في موضع مستكرهة في موضع آخر، قال:

«ومن أعجب ذلك لفظة «شيء» فإنك تراها مقبولة حسنة في موضع، وضعيفة مستكرهة في موضع، وإن أردت أن تعرف ذلك، فأنظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

وَمِنْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدُّمَى

(١) القمران المقصود بهما الشمس والقمر، تغليبا لأحدهما على الآخر كقولهم: القمران أبو بكر وعمر بن الخطاب. شرح العكبري: ٢٤٢/٤.

(٢) الحدثان: حدثان الدهر وحوادثه: نُوبُهُ، وما يحدث منه، واحدها: حَادِثٌ، وكذلك أحداثه واحدها حَدَثٌ.

(٣) انظر الأبيات في: ديوانه بشرح العكبري: ٣٤٦/٤ - ٢٤٧، العرف الطيب: ٦٠٢/ - ٦٠٣.

(٤) شرح العكبري: ٢٤٧/٤، العرف الطيب: ٦٠٣/٤.

وقول أبي حية:

إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

فإنك تعرف حسنهما ومكانهما من القبول، ثم انظر إليها في بيت المتنبي:
لَوْ الْفَلَكَ الدَّوَارُ أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ لَعَوَّقَهُ عَنِ الدَّوَارِ
فإنك تراها تقل وتضؤل، بحسب نبلها وحسنها فيما تقدم^(١).

وفي هذه الأبيات - أيضاً - لم يعلل الإمام عبد القاهر سبب استحسانه لكلمة «شيء» في بيت عمر بن أبي ربيعة، وبيت أبي حية، وسبب استنكاره لها في بيت المتنبي، وكأنه اعتمد أيضاً على الذوق والأريحية.

ولم يتكلم النقاد قبل عبد القاهر أو بعده - فيما رجعت إليه من مصادر - عن سبب استحسان هذه اللفظة أو استهجانها سوى ما ذكره القاضي الجرجاني في الوساطة من أن هذا البيت من عيون الشعر وقلائده لولا ضعف لفظة «شيء» وما فيها من المبالغة، ولأجل ذلك ذكر أنه من المعنى العامي.

قال:

«وهذا البيت من قلائده، إلا أنك تعلم ما في قوله «شيء» من الضعف الذي يجتنبه الفحول، ولا يرضاه النقاد، وهو وأشباه هذا مما لم نرد استقصاءه، وإنما دللناك على منهجه، وأريناك بابه، وقد قدّمنا ما استرذلناه من شعره»^(٢).

ورأى الأستاذ محمود شaker في تحقيقه لدلائل الإعجاز غير ما رآه الإمام عبد القاهر، والقاضي الجرجاني، إذ أنها مستحسنة عنده؛ لأنها تكشف عن دخيلة نفس المتنبي، وأنه ما ذكرها هنا إلا قاصداً، فهو يريد بها التنفيس عما في صدره من الغيظ على كافور واستهاتته به. قال:

«... وهو من القصيدة التي قالها في سنة ٣٤٨ هـ، والتي قال فيها أيضاً

(١) الدلائل، رضا: ٤٧ - ٤٨، خفاجي: ٩٧، شaker: ٤٧ - ٤٨.

(٢) الوساطة: ١٨١.

قصيدته الميمية حين ركبته الحمى، والتي عرّض فيها بالرحيل عن كافور، وهي قصيدة مدح، ولكنني أرى أنه كان ينفث في بعضها عما في صدره من الغيظ على كافور، واستهائته به، ولذلك فأنا أعدُّ لفظ «شيء» هنا مما يكشف عن هذه الاستهانة بكافور، ولو لاحظ الشيخ عبد القاهر هذا الملحظ، لما عدّها قليلة ضئيلة، بل كبيرة موحية بما في نفسه»^(١).

وهذا من الأستاذ شاكر مجرد افتراض، والمبالغة واضحة ظاهرة، فلا يترك الظاهر لمجرد الافتراض، فقد تجاوز المتنبي بهذه المبالغة حد الاعتدال حيث نكر لفظ شيء؛ ليظهر أن الذي يوقف دوران الفلك لو كره الممدوح ذلك ليس بالشيء العظيم، إنما هو شيء حقير بجانب رغبة الممدوح، فجعل إدارة الفلك رهن رغبة الممدوح.

إضافة إلى ذلك فقد كان المتنبي شديد الرغبة في أن يوليه كافور ولاية، فهو حين يمدحه لا يعرض به خشية أن يفطن كافور لذلك، والمتنبي لم ينفص كافوراً إلا بعد أن يش.

ثم إن ثقل هذه اللفظة ليس فقط لمجرد المبالغة، وإنما هو لقطع الكلمة وعدم وصلها بشيء، وعدم دلالتها على معنى يلتفت إليه الذهن كما هي في بيت عمر، فإن المراد بها «المرأة» وفي بيت النميري فإن المراد بها «اليوم والليلة»، ولدلالة الكلمة على معنى معين وقع في النفس لا يكون لها إذا لم يرجع الذهن إلى معنى محدد. وهذا في الإثبات لأن المراد بها شيء أي شيء، أما في النفي فإنها تكون حسنة كما في قوله تعالى:

﴿مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٢).

لأن المراد عموم النفي، على أن سبق «مِنْ» لها حماها من الانفراد، ووحشة الوحدة.

(١) الدلائل، شاكر: ٤٨.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

وفي نهاية هذه الشواهد الستة ذكر الإمام عبد القاهر بأن باب المفاضلة بين اللفظ الواحد بحسب موضعه في التأليف باب واسع قد يرفع أشخاصاً إلى السماء، ويلصق آخرين بالحضيض قال:

«وهذا باب واسع، فإنك تجد متى شئت الرجلين قد استعملا كَلماً بأعيانها ثم ترى هذا قد فَرَعَ السمك، وترى ذاك قد لصق بالحضيض، فلو كانت الكلمة إذا حُسِنَتْ حَسُنَتْ من حيث هي لفظ، وإذا استحققت المزية والشرف استحققت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم، لما اختلفت بها الحال، ولكانت إما أن تَحْسُنَ أبداً، أو لا تحسن أبداً، ولم تر قولاً يضطرب على قائله حتى لا يدري كيف يُعَبَّرُ، وكيف يورد ويُصَوَّرُ، كهذا القول. بل إن أردت الحق، فإنه من جنس الشيء يُجْرِي به الرجل لسانه ويُطْلِقُه، فإذا فَتَشَ نفسه، وجدها تعلم بُطْلانَه، وتنطوي على خلافه؛ ذاك لأنه مما لا يقوم بالحقيقة في اعتقاد، ولا يكون له صورة في فؤاد^(١).

الشاهد السابع^(٢):

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ^(٣) قَفْرٍ وَلَيْسَ^(٤) قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ^(٥)

(١) الدلائل، رضا: ٤٨، خفاجي: ٩٧، شاکر: ٤٨.

(٢) الدلائل، رضا: ٤٦، خفاجي: ١٠٣، شاکر: ٥٧.

(٣) رواية العمدة «وَقَبْرُ حَرْبٍ فِي مَكَانٍ قَفْرٍ»، ويروى أيضاً «بِمَكَانٍ قَفْرٍ» بالضم كما في شرح البرقوقي للتلخيص.

(٤) وذكر في معاهد التنصيص أن العجز رُوي:

«وَمَا بِقُرْبِ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ»

وكذلك أشار محقق البيان والتبيين «عبد السلام هارون» إلى رواية معاهد التنصيص هذه.

وذكر عجز البيت في الدلائل تحقيق شاکر ناقصاً:

«وَلَيْسَ قُرْبَ حَرْبٍ قَبْرٌ»، واعتقد أنه خطأ مطبعي.

(٥) انظر البيت في:

الحيوان: ٢٠٨/٦، البيان والتبيين: ٦٥/١، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن «رسالة =

البيت كما هو مشهور - مجهول القائل - ولصعوبة التلفظ به نسبوه إلى الجن.

وقد ذكر الرواة أنه قيل في حرب بن أمية بن عبد شمس^(١)، ولذلك قصة طويلة ذكرها الجاحظ في الحيوان^(٢)، وابن كثير في البداية والنهاية^(٣) وغيرهما من كتب الأدب^(٤).

وملخص القصة: أن الجن قتلوا حرب بن أمية بثأر حية منهم، ثم دفنه أصحابه ببادية بعيدة حيث لا أهل ولا دار.

وقد أجمع النقاد على قبح هذا البيت ورداءته، فذكر الجاحظ أن سبب استكراه هذا البيت هو تنافر ألفاظه فقال:

«... ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، وإن كانت^(٥) مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه فمن ذلك قول الشاعر:

= الرماني: ٩٥، إعجاز القرآن للباقلاني: ٢٦٩، العمدة: ٢٦١/١، سر الفصاحة: ٨٨، نهاية الإيجاز: ٢٦، المثل السائر: مكتبة نهضة مصر: ٤٠١/١، الفلك الدائر: مكتبة نهضة مصر: ١٧٧/٤، شرح شافية ابن الحاجب: ٤٨٧/٤، التلخيص في علوم البلاغة، شرح البرقوقى: ٢٦، الإيضاح: ٧٥/١، شروح التلخيص: ٩٩/١، شرح أبيات الإيضاح: ٦/١، البداية والنهاية: ٢٢٧/٢، معاهد التنصيص: ٣٤/١، شاهد رقم (٥)، الطراز: ١٠٤/١.

(١) هو حرب بن أمية بن عبد شمس - والد أبي سفيان - من قريش، كنيته أبو عمرو، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن سادات قومه، وهو جد معاوية بن أبي سفيان بن حرب، كان معاصراً لعبد المطلب بن هاشم، شهد حرب الفجار وتوفي (١٠٠ - ٣٦ ق هـ). انظر: الأعلام: ١٧٢/٢.

(٢) ٢٠٦/٦ - ٢٠٧.

(٣) ٢٢٧/٢.

(٤) انظر أيضاً معاهد التنصيص: ٣٤/١ - ٣٥ رقم الشاهد (٥)، شروح التلخيص «مختصر

السعد»: ١٠٠/١، حاشية الدسوقي: ١٠٠/١.

(٥) في البيان والتبيين «وإن كان مجموعة في بيت شعر، واعتقد أنه خطأ مطبعي.

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرِ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ
ولما رأى من لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن يُنشد هذا البيت ثلاث
مرات في نسق واحد فلا يُتعتع ولا يتلجلج، وقيل لهم إن ذلك إنما أعتراه إذ كان
من أشعار الجن. صدّقوا بذلك»^(١).

وذكر الرماني أن التأليف على ثلاثة أضرب:

— متنافر.

— متلائم في الطبقة الوسطى.

— متلائم في الطبقة العليا.

وجعل من المتنافر البيت الذي نحن بصدده. قال:

«التلاؤم نقيض التنافر، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف، والتأليف على
ثلاثة أوجه:

متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا، فالتأليف
المتنافر كقول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرِ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ
وذكروا أن هذا من أشعار الجن، لأنه لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات
فلا يتتعتع، وإنما السبب في ذلك ما ذكرنا من تنافر الحروف»^(٢).

وهو بذلك يذهب إلى ما ذهب إليه الجاحظ.

وكرر الباقلائي ما قاله الرماني، فقال:

«وأما التلاؤم، فهو تعديل الحروف في التأليف، وهو نقيض التنافر الذي هو
كقول الشاعر:

(١) البيان والتبيين، وكذلك انظر: الحيوان: ٢٠٦/٦، ٢٠٨.

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن «الرماني»: ٩٤، ٩٥.

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرِ وَلَيْسَ قُرْبُ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

قالوا: وهو من شعر الجن، وحروفه متنافرة، لا يمكن إنشاده إلا بتتبع فيه، والتلازم على ضربين...»^(١).

والى مثل هذا ذهب ابن رشيق^(٢)، وابن سنان^(٣)، وابن الأثير^(٤) والإمام العلوي إلا أن هذا الأخير أضاف:

«... إن الألفاظ في سهولة تركيبها، وعُثُورته وسلاسته ووعورته بمنزلة الأصوات في طينيتها، ولَذَّة سماعها، ولهذا فإنه يُستلذ بصوت «القُمري» ويكره صوت «الغراب» ويُستظرف صهيل «الفرس»، ويُستكر نهيق «الحمار» فإذا تمهدت هذه القاعدة، فاعلم - أن مقصودنا من الفصاحة يحصل بالبحث عن أسرارها»^(٥).

وكذلك ذكره الخطيب القزويني مثلاً على تنافر الكلمات^(٦).

ومعنى الشاهد: أن قبر هذا الرجل «حرب» بمكان موحش لم يدفن فيه أحد غيره، وظاهر البيت إخبار، ولكن المعنى تأسف وتحسر وتوجع على كون قبر حرب في ذلك المكان البعيد النائي حيث لا أهل ولا ديار، والذي يدل على لزوم التوجع، وضع الظاهر موضع المضمّر، فقلوه: «قرب قبر حرب» وقع خبراً لقلوه «ليس» فكان من حقه أن يقول قرب قبره^(٧).

* * *

(الخفيف)

الشاهد الثامن^(٨):

(١) إعجاز القرآن للباقلاني: ٢٦٩.

(٢) العملة: ٨٢٦١/١.

(٣) سر الفصاحة: ٨٦ - ٨٧.

(٤) المثل السائر: ٤٠١/١.

(٥) الطراز: ١٠٤/١ - ١٠٥.

(٦) الإيضاح: ٧٢/١ - ٧٥.

(٧) شرح أبيات الإيضاح: - فيض الله: - ورقة (٣ ب).

(٨) الدلائل، رضا: ٣٦، خفاجي: ١٠٣، شاکر: ٥٧.

قول ابن يسير^(١):

لَا أُذِيلُ^(٢) الْأَمَالَ بَعْدَكَ إِنِّي بَعْدَهَا بِالْأَمَالِ جِدُّ^(٣) بَخِيلٍ
كَمْ لَهَا مَوْقِفًا بِبَابِ صَدِيقٍ^(٤) رَجَعْتُ مِنْ نَدَاهُ بِالتَّعْطِيلِ
لَمْ يَضُرَّهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شَيْءٌ وَأَنْشَتُ نَحْوَ عَزْفِ نَفْسٍ ذَهُولٍ^(٥) (٦)

وموضع الشاهد عجز البيت الثالث.

وهذه الأبيات من قصيدة قالها ابن يسير في أحمد بن يوسف^(٧) حين استبطأ وهي:

(١) هو محمد بن يسير الرياشي مولى بني أسد، كان شاعراً مقلداً من الشعراء المحدثين، لم يفارق البصرة، ولم ينفذ إلى خليفة ولا شريف متجعاً، ولا جاوز بلده، وكان ماجناً هجاء خبيثاً، وكان من بخلاء الناس، عاصر أبا نواس، وعمر بعده حيناً، وقد اختلفت المصادر في نسبه، فذكر بعضها أن اسمه محمد بن بشير الرياشي، وقيل إن اسمه محمد بن يسير الحميري، وقيل محمد بن بشير الخارجي، وقيل محمد بن بشير العدواني. انظر ترجمته:

الشعر والشعراء: ٨٨٣/٢ - ٨٨٤، طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٧٩ - ٢٨٢، الورقة: ١١٢، الأغاني: ١٧/١٤ - ٥٠، معجم الشعراء للمرزباني: ٤٥٨، المحمّدون من الشعراء: ٢٢٨ - ٢٤١، القاموس المحيط: «يسر»: ١٦٩/٢.

(٢) لَا أُذِيلُ: لا أسهل، طريق مدلل إذا كان موطوءاً سهلاً. اللسان «ذلل»: ٢٥٨/١١.

(٣) رواية البيان والتبيين: «حق بخیل».

(٤) رواية البيان والتبيين:

«كَمْ لَهَا وَقْفَةً بِبَابِ كَرِيمٍ»

(٥) الذَّهْلُ تركك الشيء تناساه على عَمْدٍ أو يشغلك عنه شُغْلٌ، ذَهَلَ الشيء وذَهَلَ عنه وذَهَلَهُ وذَهَلَ - بالكسر - عنه يَذْهَلُ فيهما ذَهْلاً وذَهْولاً تركه على عَمْدٍ أو غفل عنه أو نسيه. اللسان: «ذهل»: ٢٥٩/١١.

(٦) انظر الأبيات في:

البيان والتبيين: ٦٥/١، ٦٦، المصون: ٧، العملة: ٢٦١/١، سر الفصاحة: ٨٨.

(٧) هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب (ت: ٢١٣ هـ)، كان في زمن المأمون كاتباً لديوان الرسائل، وكان فصيح اللسان، قال الشعر في الغزل والمدح والهجاء. انظر أخباره في:

هَلْ مُعِينٌ عَلَى الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ أَمْ مَعَزٌّ عَلَى الْمَصَابِ الْجَلِيلِ
مَيِّتٌ مَاتَ وَهُوَ فِي وَرَقِ الْعَيْشِ (م) مَقِيمٌ بِهِ وَظِلٌّ ظَلِيلِ
فِي عِدَادِ الْمَوْتَى وَفِي عَامِرِي الدُّنَى يَا أَبُو جَعْفَرٍ أَخِي وَخَلِيلِي
لَمْ يَمُتْ مَبْتَنِي الْوَفَاءِ وَلَكِنْ مَاتَ عَنْ كُلِّ صَالِحٍ وَجَمِيلِ^(١)

وبعدها الأبيات الثلاثة التي ذكرها الشيخ.

ولقد علق الجاحظ على بيت الشاهد بقوله:

«فتفقد النصف الأخير من هذا البيت، فإنك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض»^(٢).

وذكر أن جودة الشعر تكون بتلاحم أجزائه، وسهولة مخارجه، فقال: «أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، كأنه قد سُبِكَ سَبْكَاً واحداً، وأُفْرِغَ إفراغاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري فرسُ الرهان، وحتى تراها متفقة مُلْساً، ولينة المعاطف سهلة، فإذا رأيته متخلعة متباينة، ومتنافرة مستكرهة تشقُّ على اللسان، وتكُذِّه، ورأيت غيرها سهلة لينة رطبة متواتية، سلسلة في النظام، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد»^(٣).

وذكر ابن رشيقي أن العيب في البيت مرده إلى الثقل الناتج عن قرب الحاء من العين، وقرب الزاي من السين. قال:

«ومن الشعر ما تتقارب حروفه أو تتكرر، فتثقل على اللسان، نحو قول ابن بشير:

العقد الفريد: - دار الفكر: ١/١٤٥، ٢/١٧، ٣/١٢٩، ٤/١١٦، ١١٨، ٢٢٤، ٢٤٨،
٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٩، ٥/٣٤٣، ٧/٢٧٥، الوزراء والكتاب: ٣٠٤، ٣٠٥، نصوص
ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب: ٤٨.

(١) هذه الأبيات من رواية البيان والتبيين: ١/٦٥، ٦٦.

(٢) البيان والتبيين: ١/٦٦.

(٣) المصدر السابق: ١/٦٧.

لَمْ يَضِرْهَا وَالْحَمْدُ لَهُ شَيْءٌ وَأَنْشَتْ نَحْوَ عَزْفِ نَفْسٍ ذَهُولٍ
فإن القسم الآخر من هذا البيت ثقیل؛ لقرب الحاء من العين، وقرب
الزاي من السين»^(١).

وإلى مثل هذا ذهب ابن سنان الخفاجي فقال:

«فإن المصراع الثاني من هذا البيت يثقل التلفظ به، وسماعه؛ لما فيه من
تكرار حروف الحلق»^(٢).

الشاهد التاسع^(٣):

بيت أبي تمام:
كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحُهُ أَمَدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِي وَإِذَا^(٤) مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَخَدِي^(٥)

(١) العمدة: ٢٦١/١.

(٢) سر الفصاحة: ٨٦ - ٨٧.

(٣) الدلائل، رضا: ٤٦، خفاجي: ١٠٣، شاکر: ٥٨.

(٤) رواية الديوان والوساطة، وإعجاز القرآن للباقلاني، والمثل السائر:

«مَتَى مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَخَدِي»

(٥) رواية الدلائل تحقيق شاکر لعجز البيت:

«جَمِيعاً وَمَهْمَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَخَدِي»

وذكر الخطيب أن هناك من يروي العجز:

«وَمَتَى مَا ذُمْتُهُ ذُمْتُهُ وَخَدِي»

وهي رواية غير صحيحة؛ لأن أبا تمام لم يقصد أن يكون بإزاء المدح ضده، قال:

«من روى» ومتى ما ذُمْتُهُ ذُمْتُهُ وَخَدِي»؛ ليكون بإزاء المدح الذمُّ، الذي هو بمعنى الذم، فقد

هَدَى؛ لأن أبا تمام لم يقصد أن يكون بإزاء المدح ضده، وإنما أراد أني إن لُمْتُهُ لم يساعدني

عليه أحد». الديوان بشرح الخطيب: ١١٦/٢. انظر البيت في:

ديوانه بشرح الخطيب: ١١٦/٢، شرح ديوانه لمحمد محيي الدين عبد الحميد: ٣٨٦، ديوانه -

دار صادر: ١١٤، الوساطة: ٦٥، إعجاز القرآن للباقلاني: ٢٢٦، سر الفصاحة: ٩١،

الإيضاح: ٧٥/١، التلخيص: ١٠٠/١، شرح أبيات الإيضاح: ٣ ب، شرح التلخيص: ١٠٠/١،

معاهد التنصيص: ٣٧/١، رقم الشاهد (٦).

والبيت من قصيدة يمدح بها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي^(١)،
ويعتذر له عما نسب إليه من هجائه له، وأولها:

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقَوْتُ مَعَانِيَكُمْ^(٢) بَعْدِي وَمَحْتُ كَمَا مَحْتُ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدٍ
وَأَنْجَدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ دَارِكُمْ فَيَادِمُ أَنْجِدُنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدٍ

وقبل الشاهد:

أَلَيْسَ^(٣) هُجْرَ^(٤) الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إِذَا لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي^(٥)

وبعد الشاهد:

وَلَوْ لَمْ يَزْعُمِي عَنْكَ غَيْرَكَ وَازْعُ لَأَعْدَيْتَنِي بِالْحِلْمِ إِنَّ الْعُلَى تُعْدِي^(٦)

ذكر القاضي الجرجاني في الوساطة عند حديثه عن تفاوت شعر أبي تمام أن هذا البيت من رديء شعره، وأنه ارتفع ببعض شعره إلى درجات العُلَى، وانحط ببعضها - ومنها هذا البيت - إلى الحضيض. ولكنه لم يبين سبب الانحطاط والرداءة في هذا البيت.

قال:

(١) ستاتي ترجمته: ص ١٠٨٠.

(٢) رواية المعاهد: «معالمكم».

(٣) رواية شرح الديوان لمحمد محيي الدين، ومعاهد التنصيص:

«أَسْرَبِلُ هُجْرَ الْقَوْلِ»

ورواية الوساطة: «أَمْنَحُ».

(٤) رواية شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -:

أَلَيْسَ فُحْشُ الْقَوْلِ

(٥) ذكر في شروح التلخيص - حاشية الدسوقي - أن قبل بيت الشاهد:

أَتَانِي مَعَ الرُّجْبَانِ ظَنُّ ظَنَّتَهُ نَكَمْتُ لَهُ رَأْيِي حَيَاءً مِنَ الْمَجْدِ
وَهَتَكْتُ بِالْقَوْلِ الْخَنَازِرَةَ الْعُلَا وَأَسْلَكْتُ حُرَّ الشَّعْرِ فِي مَسَلِّ الْعَبْدِ

(٦) وذكر في الوساطة أن بعد الشاهد:

أَرْدَيْتَنِي عَنْ عَرَضٍ حُرٍّ وَمَنْطِقِي وَأَمْلَوَهَا مِنْ لَبْدَةِ الْأَسَدِ السَّوَرِدِ

«... فيترقى في هذه الدرجات العالية، ويتصرف هذا التصرف المعجز، ثم ينحط إلى الحضيض ويلصق بالتراب»^(١).

وعند حديثه عن السرقة ذكر أن ابن أبي طاهر سرق هذا البيت سرقة لطيفة جاءت على وجه القلب، وقصد به النقض.

قال:

«ومن لطيف السرق ما جاء به على وجه القلب، وقُصِدَ به النقض...»

وقول ابن أبي طاهر:

يَسْتَرِكُ الْعَالَمُ فِي ذَمِّهِ لَكِنِّي أَمْدَحُهُ وَحْدِي

إنما هو عكس قول أبي تمام:

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِيَ وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي

وهذا باب يحتاج إلى إنعام الفكر وشدة البحث...»^(٢).

وذكر الباقلائي أن صاحب بن عبَّاد قد جارى أبا الفضل بن العميد في محاسن هذه القصيدة، حتى انتهى إلى هذا البيت، فذكر له أن قوله: «أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ» معيب؛ لثقله من جهة تدارك حروف الحلق.

ورأى أن المتقدمين قد تكلموا في هذه النكته، فعلم أن ذلك شيء عند أهل الصنعة معروف»^(٣).

ورأى ابن سنان الخفاجي أن بعض العلماء بالشعر يعيب في قول أبي تمام تكرار حروف الحلق على سلامة المعنى واختيار الألفاظ^(٤).

(١) الوساطة: ٦٧.

(٢) الوساطة: ٢٠٦ - ٢٠٨.

(٣) إعجاز القرآن للباقلاني: ٢٢٦.

(٤) سر الفصاحة: ٩١.

وقسم الخطيب القزويني تنافر الكلمات إلى أعلى وأدنى، فالتنافر المتناهي في الثقل كالبيت الذي أنشده الجاحظ:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرُ.....

والأدنى من ذلك في الثقل قول أبي تمام - بيت الشاهد - وعلق عليه بقوله:

«فإن في قوله «أَمْدَحُهُ» ثِقلاً ما، لما بين الحاء والهاء من تنافر»^(١).

وعلق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي على تعليقه هذا رافضاً إياه؛ بأن مثل هذا التعليل يُقبل لو كان يتحدث عن تنافر الحروف، ولكنه بصدد الحديث عن تنافر الكلمات.

ويبدو لي أن تعليقه هذا منقول عن ابن السبكي في عروس الأفراح حيث قال: «واعترض عليه أيضاً بأن الكلام إنما هو تنافر الكلمات وهذا من تنافر الحروف»^(٢).

ورأى ابن يعقوب أن تكرار الحاء والهاء، وحده ليس بسبب يوجب الثقل، وإنما الثقل والتنافر ناتج من تكرار «أَمْدَحُهُ» مع اجتماع الحاء والهاء، أما اجتماع الحاء والهاء بدون تكرار، فلا يوجب ثِقلاً يخل بالفصاحة، فإنه قد جاء في التنزيل المنزه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَيَرُهَا﴾^(٣).

وأوضح الدسوقي أن مراد الشيخ^(٤) القزويني أن في «أَمْدَحُهُ» شيء من الثقل والتنافر، فإذا انضم إليه «أَمْدَحُهُ» الثاني تضاعف ذلك الثقل، وحصل التنافر المخل بالفصاحة، وليس مراده أن مجرد الجمع بين الحاء والهاء موجب للتنافر المخل بالفصاحة وذلك لوروده في القرآن الكريم. قال:

«فقول المصنف في الإيضاح موحهاً لما في البيت من تنافر الكلمات، فإن

(١) الإيضاح: ٧٥/١.

(٢) شرح التلخيص: ١٠١/١.

(٣) سورة الطور: الآية ٤٩.

(٤) شروح التلخيص - مواهب الفتاح -: ١٠٠/١.

في «أَمْدَحُهُ» ثَقُلًا لما بين الحاء والهاء من القرب. مراده أن فيه شيئاً من الثقل والتنافر، فإذا انضم إليه أَمْدَحُهُ الثاني تضاعف ذلك الثقل، وحصل التنافر المخل بالفصاحة، وليس مراده أن مجرد الجمع بين الحاء والهاء موجب للتنافر المخل بالفصاحة لوروده في القرآن^(١).

ولقد استحسن ابن يعقوب البيت من وجه آخر، ورأى أنه عبر باللوم في مقابلة المدح - الذي هو في الأصل يقابل الذم - تأدباً مع الممدوح، وأنه استعمل «إذا» التي تستعمل في التحقيق إيهاماً لوجود تحقق الدعوى، وهو وجود اللوم مع عدم مساعد. قال:

«وعبر باللوم في مقابلة المدح مع أنه إنما يقابل بالذم تأدباً مع الممدوح، وللإيماء إلى أن ذمه إنما هو لوم وعتاب على نحو تفضيل الغير على اللائم وإلا فلا ذم... وعبرَ إذاً التي تستعمل في التحقيق إيهاماً لوجود تحقق الدعوى، وهو وجود اللوم مع عدم مساعد»^(٢).

ولم يستحسن صاحب بن عبّاد هذه المقابلة، ورأى أن من الهجئة مقابلة المدح باللوم، وذكر له هذا الرأي السعد في مختصره، فقال:

«ذكر صاحب إسماعيل بن عباد أنه أنشد هذه القصيدة بحضرة الأستاذ ابن العيمد، فلما بلغ هذا البيت قال له الأستاذ هل تعرف فيه شيئاً من الهجئة قال نعم مقابلة المدح باللوم، وإنما يقابل بالذم أو الهجاء...»^(٣).

وكذلك اعترض الدسوقي في حاشيته على كلام ابن يعقوب، ورأى أن الأولى للشاعر أن يأتي «بأن، والمضارع» الدالين على عدم تحقق الحصول، لأن «إن» للشك دون «إذا» والماضي الدالين على تحقق الوقوع، وفيه شائبة تقصير في مقام الممدوح^(٤).

(١) المصدر السابق - حاشية الدسوقي -: ١٠١/١.

(٢) شروح التلخيص - مواهب الفتح -: ١٠٠/١.

(٣) المصدر السابق - مواهب الفتح -: ١٠٠/١.

(٤) المصدر السابق - حاشية الدسوقي -: ١٠٢/١.

ومعنى الشاهد: أراد أبو تمام وصف كرم أخلاق ممدوحه، فذكر أن الخلق جميعاً يشهدون له بكرم هذه الأخلاق، فإذا ما مدحه هب الناس لمدحه، ووافقوه، وناصروه، وإذا أراد لومه أنشئ عنه الناس، ولم يوافقوه على فعله، فتركه منفرداً في حالة اللوم كأنه تقرير له ودم، للومه شخصاً يتصف بكرم الأخلاق - إذا هم بذلك - وهذا يدل على سعة كرم الممدوح، وأنه شمل الناس جميعاً، فحفظوا له معروفه.

جاء في شرح أبيات الإيضاح:

«... قوله: «والورى معي» جملة في محل النصب على الحال، وقوله: «وحدي» حال أي منفرداً، والمعنى هو كريم إذا مدحته وافقني الناس على مدحه، فيمدحونه كما أمدحه؛ لأنه كما يُحَسِّنُ إليَّ يُحَسِّنُ إليهم بمثله، وقيل لا أمدحه بشيء إلا صدقني الناس فيه، أو أن الناس اتفقوا معي على أن ما يوجب المدح للإنسان من معاني الكمال موجود فيه، فيمدحونه كما أمدحه، وإذا لمته لمته منفرداً لا يوافقني في لومه أحد، والقصد في هذا أن يروي براءة ساحة الممدوح عما يلام به الناس لا أن يثبت لنفسه أن يلومه وحده، أو لأنه يؤثرني عليهم بمزيد الإحسان إليَّ، وزيادة الإنعام عليَّ فالومه وحدي، وليس في هذا كثير مدح، أو يظن في دون الناس ما لم يخطر ببالي، ويصدق الساعي بي إليه فيما يتهمني به عنده من الهجاء، فالومه على ذلك وحدي، «والذي ذكره في قوله: «وإذا ما لمته لمته وحدي محتمل نظراً إلى اللفظ والمقام»^(١)».

استشهد الإمام عبد القاهر بهذه الشواهد الثلاثة (السابع - الثامن - التاسع) للرد على من يقول بأن الفصاحة للفظ، وتلاؤم الحروف. قال:

«وهذه شبهة أخرى ضعيفة، عسى أن يتعلق بها متعلق ممن يُقَدِّم على القول من غير روية: وهي أن يدَّعي أن لا معنى للفصاحة سوى التلاؤم اللفظي

(١) في النسخة الأزهرية: «والذي ذكر في قوله وإذا ما لمته لمته وحدي محتمل نظراً إلى اللفظ والمعنى».

(٢) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣ ب.

وتعديل مزاج الحروف حتى لا يتلاقى في النطق حروف تثقل على اللسان كالذي أنشده الجاحظ من قول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

وقول ابن يسير:

لَا أُذِيلُ الْأَمَالَ بِعُدْكَ إِنِّي بَعْدَهَا بِالْأَمَالِ جِدُّ بَخِيلٍ
كَمْ لَهَا مَوْقِفًا بِبَابِ صَدِيقٍ رَجَعْتُ مِنْ نَدَاهُ بِالتَّعْطِيلِ

قال الجاحظ: «فتفقد النصف الأخير من هذا البيت، فإنك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض»^(١)، ويزعم أن الكلام في ذلك على طبقات فمنه المتناهي في الثقل المُفْرَط فيه، كالذي مضى، ومنه ما هو أخف منه كقول أبي تمام:

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِيَ وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي

ومنه ما يكون فيه بعض الكُلْفَةِ على اللسان إلا أنه لا يبلغ أن يُعَابَ به صاحبه، وَيُشْهَرُ أمره في ذلك وَيُحْفَظَ عليه، وَيَزْعَمُ أن الكلام إذا سلم من ذلك وَصَفًا من شوبه، كان الفصيح المُشَادَّ به والمُشَار إليه، وَأَنَّ الصَّفَاءَ أيضاً يكون على مراتب، يعلو بعضها بعضاً، وأن له غاية إذا انتهى إليها كان الإعجاز»^(٢).

ورد عليهم بأنه لو قُصِرَت الفصاحة على تلاؤم الحروف لزم إخراج الفصاحة من حيز البلاغة، ومن أن تكون نظيرة لها، وإذا فُعِلَ ذلك كنا أمام أحد أمرين:

إما أن يُجعل «تلاؤم الحروف» العمدة في المفاضلة بين العبارتين، ولا يعرج على غيره، وإما أن يجعل أحد ما يفاضل به، ووجهاً من الوجوه التي تقتضي تقديم كلام على كلام، فإذا أُخذ بالأمر الأول لزم أن تُقصر الفضيلة عليه حتى لا يكون الإعجاز إلا به ومنه، وفي ذلك ما لا يخفى من الشناعة.

وإن أُخذ بالأمر الثاني، وهو أن يكون تلاؤم الحروف وجهاً من وجوه

(١) البيان والتبيين: ٦٦/١.

(٢) الدلائل، رضا: ٥٢ - ٥٣، خفاجي: ١٠٣ - ١٠٤، شاکر: ٥٧ - ٥٨.

الفضيلة، وداخلاً في عداد ما يُفاضل به بين كلام وكلام على الجملة، فلا خلاف ولا ضرر في ذلك^(١).

ولقد أسهبت في عرض آراء النقاد الذين سبقوا عبد القاهر؛ لأبين أن علماء البلاغة لم يدر في خلدتهم - فيما يبدو لي - أن يجعلوا كل البلاغة في تلازم الحروف، وإنما جعلوها شرطاً ومزية فيها، ومنشأ الخلاف بينهم وبين الشيخ ناتج عن أن الشيخ يجعل البلاغة والفصاحة بمعنى واحد، وهم قد فصلوا بين الفصاحة والبلاغة.

تعليق:

وفي آخر هذا الفصل أود أن أشير إلى أن الشيخ عبد القاهر قد اعتمد على الذوق والأريحية، فلم يعلل نقده للأبيات، بل كان يعتمد على ما توحى به الألفاظ من إحساس، على الرغم من أنه يطالب مراراً وتكراراً ببيان وجه العلة، فهو القائل:

«وجملة ما أردت أن أبينه لك أنه لا بد لكل كلام تستحسنه، ولفظ تستجيده، من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة، وعلة معقولة، وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذاك سبيل، وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل، وهو باب من العلم، إذا أنت فتحتة اطلعت منه على فوائد جليلة، ومعان شريفة، ورأيت له أثراً في الدين عظيماً، وفائدة جسيمة، ووجدته سبيلاً إلى حسم كثير من الفساد، فيما يعود إلى التنزيل، وإصلاح أنواع من الخلل فيما يتعلق بالتأويل»^(٢).

ومن اعتماده على الذوق استخدامه في تعليقاته ألفاظاً تصور الإحساس والشعور النفسي من انبساط أو انقباض، من ذلك قوله:

«... أن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى

(١) انظر: الدلائل، رضا: ٥٣ - ٥٤، خفاجي: ١٠٤ - ١٠٥، شاکر: ٥٨ - ٥٩.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٣، خفاجي: ٩١، شاکر: ٤١.

التي تليها^(١)، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر^(٢).

وقوله في التعليق على بيتي الصمة القشيري والبحري:

«فإنَّ لها في هذين المكانين ما لا يخفي من الحسن...»^(٣).

وقوله في التعليق على بيت أبي تمام: «يا دهرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْدَعَيْكَ...»

«فتجد لها من الثقل على النفس ومن التغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة، ومن الإيناس والبهجة...»^(٤).

إنَّ هذه المفاضلة بين الألفاظ، والمعتمدة على الذوق تُظهر لنا قدرة الشيخ عبد القاهر الذوقية على الاستجابة لما توحى به الألفاظ من إحساس، وما يضيفه عليها السياق من معانٍ.

وإذا تأملنا هذه الألفاظ التي استخدمها في التعليق تنبها إلى قضايا نقدية ذات بال. منها:

أن الإمام عبد القاهر لم يُعَنَّ بأمر المترادفات في الألفاظ، فلا ترادف في الألفاظ التي تشملها اللوحة التصويرية اللغوية، وبذلك يربط الإمام عبد القاهر بين الصياغة من حيث هي صورة وبين معناها^(٥).

وتعليقاته تلك تشير إلى حقيقة نقدية هامة، وهي:

(١) ذكر الأستاذ شاكر أن الأجود في هذه العبارة ما أثبتته في نسخة: «أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظ لمعنى التي تليها».

(٢) الدلائل، رضا: ٣٨، خفاجي: ٩٥، شاكر: ٤٦.

(٣) الدلائل، رضا: ٣٩، خفاجي: ٩٦، شاكر: ٤٧.

(٤) الدلائل، رضا: ٣٩، خفاجي: ٩٦، شاكر: ٤٧.

(٥) النقد التحليلي: ١٤٦.

أن لكل لغة معانيها الثانوية، فليس هناك معنى ثابت للكلمة، وأن ما نجده في المعاجم من معنى ليس هو كل شيء بل هو مجرد أساس ثابت، ويتفرع من معنى المعجم عديد من المعاني الثانوية بحسب السياق الذي توضع فيه، فلو كان للفظ معنى واحد ثابت لم يكن هناك وجه للمقارنة بين الكلمة الواحدة فيما استشهد به عبد القاهر من أمثلة، ولتساوى الشعراء في قدرتهم على استغلال الكلمة^(١).

إن الواحد لا يستطيع أن يفضل لفظة بحجة أنها شاعرية، أو يرفضها بحجة أنها غير شاعرية، فكل ما في العمل الفني يخضع لقوانينه الفنية الخاصة^(٢). حدد لنا الشيخ عبد القاهر وظيفة الشاعر ماذا يفعل حتى يحيل عناصر اللغة ومفرداتها إلى عناصر فن، فالشاعر يشكل، ويصوغ، ويختار، ويجمع، ويتتقي، ويربط ذلك كله بإلهامه وحسه، وهذه العمليات كلها عمليات دقيقة تخلق من الأشياء العادية، ومن المعاني المجردة شيئاً خاصاً مستقلاً، ومعاني ذات طاقات خاصة تبعث فينا أحاسيس تختلف اختلافاً جذرياً عن أحاسيسنا في الحياة؛ لأن الشاعر استطاع أن يكسب لغته شكلاً فنياً، ويستثمر طاقات عناصرها في مواقف مناسبة^(٣).

(١) المرجع السابق: ١٤٧.

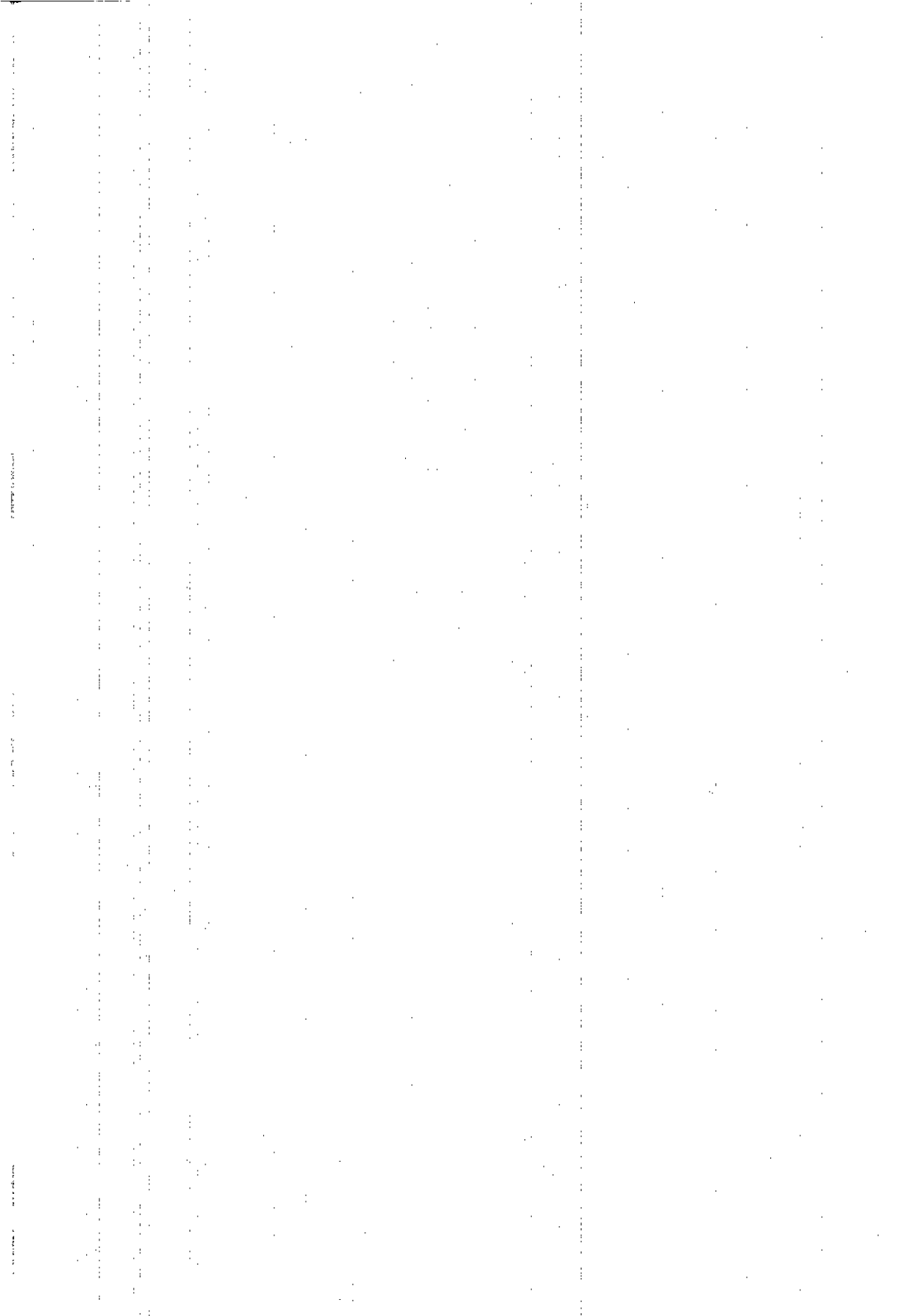
(٢) النقد التحليلي: ١٤٧.

(٣) المرجع السابق: ١٥٤.

الفصل الثاني

أ - شواهد الكناية والاستعارة والتمثيل.

ب - القول في نظم الكلام ومكان النحو منه.



أ - شواهد الكناية والاستعارة والتمثيل

ذكر الشيخ في هذا الفصل أن الاستعارة تتفاوت تفاوتاً شديداً فهي تنقسم باعتبار الجامع إلى قريبة وبعيدة، أو عامية ونادرة، وسميت بذلك؛ لأنه لا يدركها إلا الفحول والخواص الذين أعطوا مدارك واسعة تمكنهم من التفتن إلى دقائق الأمور. قال:

«اعلم أن من شأن هذه الأجناس أن تجري فيها الفضيلة، وأن تتفاوت التفاوت الشديد، أفلا ترى أنك تجد في الاستعارة العامي المبتذل، كقولنا: «رأيت أسداً، ووردت بحراً، ولقيت بداراً» والخاصي النادر الذي لا تجده إلا في كلام الفحول، ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال»^(١).

والخاصية إما أن تكون جهة الغرابة فيها في ذات الكلمة مثل استعارة لفظ «التأنق» للقدر في قول الشاعر:

«لَقَدْ تَأَنَّقَ فِي مَكْرُوهِهِ الْقَدَرُ».

وإما أن تكون حاصلة في نفس الشبه والهيئة كاستعارة الاحتباء لهيئة العنان في موقعه من قربوس السرج في قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك:

وَإِذَا أَحْتَبَى قَرْبُوسُهُ بَعْنَائِهِ عَلَكَ الشُّكِيمَ إِلَى أَنْصِرَافِ الزَّائِرِ

وقد تندر الاستعارة لجمع عدة استعارات لهيئة واحدة في بيت واحد كقول

إمريء القيس:

(١) الدلائل، رضا: ٥٨، خفاجي: ١١٧، شاکر: ٧٤.

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأُرْدَفَ أُعْجَازاً وَنَاءً بِكُلْجَلٍ

وقد تكون الاستعارة عامية في ذاتها، ولكن تندر وتحسن لأمور تحيط بها ترجع إلى النظم والصياغة والتركيب، وهذه أفخر الأنواع عند الشيخ؛ لأنه قصد من إدراج هذا الفصل بيان أثر النظم والتركيب في الاستعارة.

الشاهد العاشر^(١): (الكامل)

قوله:

«إِذْ أَصْبَحَتْ يَبِيدُ الشَّمَالِ زِمَامُهَا»^(٢)

الشاهد الحادي عشر^(٣): (الطويل)

قوله^(٤):

«وَسَالَتْ بِأَغْنَاكِ الْمَطْيِ الْأَبَاطِحُ»

ذكر الشيخ عجز البيت فقط وصدره:

«أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا»

وهو من قصيدة مطلعها:

لِعَزَّةٍ هَاجَ الشُّوقُ فَالذَّمُّ سَافِحٌ مَعَانٍ وَرَسْمٌ قَدْ تَقَادَمَ مَاصِحٌ

(١) الدلائل، رضا: ٥٣، خفاجي: ١١١، شاکر: ٦٧.

(٢) سيأتي الحديث عن هذا الشاهد بالتفصيل في الفصل الذي عقده للاستعارة في آخر الكتاب: ص ٨٧٦. من الكتاب.

(٣) الدلائل، رضا: ٥٩، خفاجي: ١١٧، شاکر: ٧٤.

(٤) ذكر الشيخ عجز البيت الثالث، ولم ينسبه، وكذلك في الإيضاح والتلخيص وريحانة الألبا. وذكرت الأبيات الثلاثة الأولى (البيتان اللذان سبقا الشاهد مع بيت الشاهد) في أسرار البلاغة، والشعر والشعراء، وإعجاز القرآن للباقلاني، وشرح أبيات الإيضاح، ومضارع العشاق.

وذكر البيت الأول والثالث فقط في الخصائص، واللسان، وذكر البيت الأول فقط في أمالي المرتضى.

= وهذه المصادر قد ذكرت تلك الأبيات من غير نسبة.
وذكر الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي في تحقيقه لأسرار البلاغة أن ابن جني نسبهما في الخصائص لكثير عزة، والصواب أن ابن جني أوردهما من غير نسبة.
وروي عن المرزباني بسنده - في أمالي المرتضى - أنه نسبها للمضرب عقبة بن كعب.
وذكر البصري في حماسته الأبيات الثلاثة الأولى منسوبة أيضاً للمضرب. وذكر القاضي الجرجاني أنها لابن الطثرية.

وفي هامش شرح الحماسة للمرزوقي ذكر المحقق أنها تنسب لكثير عزة، وأيزيد بن الطثرية، أو عقبة بن كعب بن زهير، وكذلك في معجم شواهد العربية «عبد السلام هارون»، ومعاهد التنصيص إلا أنه أثر كونها لكثير، وكذلك أكد محقق كتاب «شعر يزيد بن الطثرية» ناصر بن سعد الرشيد أن الأبيات لكثير.

وكذلك وردت له في «زهر الأداب»، ونُسبت في ذيل اللآلي لكثير، أو للمضرب عقبة بن كعب، ونُسبت لكعب بن زهير وهي موجودة في ديوانه.

وكثير هو: كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي (١٠٠ - ١٠٥ هـ) شاعر متمم مشهور من أهل المدينة أكثر إقامته بمصر وهو من شعراء الدولة الأموية يكنى بأبي صخر. ويقال له أيضاً «ابن أبي جمعة»، و«الملجي» نسبة إلى بني مُلج وهم قبيلته.

انظر ترجمته:

طبقات فحول الشعراء: ٥٤٠/٢ - ٥٤٨، الشعر والشعراء: ٥١٠/١ - ٥٢٤، عيون الأخبار: ١٤٤/٢، الأغاني - دار إحياء التراث: ٣٩/٩، المؤلف والمختلف: ١٦٩، معجم الشعراء للمرزباني: ٣٥٠، السمط: ٦١/١ - ٦٢، وفيات الأعيان: ١٠٦/٤ - ١١٣، المعاهد: ١٣٦/٢ - ١٤٧، شذرات الذهب: ١٣١/١، خزانة البغداد: - دار صادر: ٣٨١/٢ - ٣٨٣. الأعلام: ٢١٩/٥، سير أعلام النبلاء: ١٥٢/٥، ويزيد بن الطثرية سوف تأتي ترجمته.

والمضرب هو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، ضبطه صاحب التاج في مستدرک (ضرب) بوزن «محدث» و«معظم» وضبطه في اللسان بالكسر فقط، والأولى الفتح اعتماداً على ما رواه ابن قتيبة في الشعر والشعراء من أنه كان لكعب ابن يقال له عقبة شبيب بامرأة من بني أسد، فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف فلم يمت وأخذ الدية فسمي المضرب.

انظر ترجمته:

وقبل الشاهد:

وَلَمَّا^(١) قَضَيْنَا مِنْ مِثْنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِيحٌ
وَشُدَّتْ عَلَى حُذْبِ^(٢) الْمَهَارِيِّ^(٣) رِحَالُنَا^(٤) وَلَا^(٥) يَعْلَمُ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ

وبعدهما الشاهد وبعده:

نَفَقْنَا قُلُوبًا بِالْأَحَادِيثِ وَاشْتَفَتْ بِذَاكَ صُدُورٌ مُنْضَجَاتٌ قَرَائِحُ
وَلَمْ نَخْشَ رَبِّبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَلَا رَاعِنَا فِيهِ سَنِيحٌ وَبَارِحٌ^(٦)

الشعر والشعراء: ١٤٨/١ - ١٤٩، المؤلف والمختلف: ١٨٢، أمالي المرتضى:

٤٥٧/١، ذيل السمط: ٧٧، اللسان: (ضرب)، التاج: مستدرك (ضرب): ٣٥٠/١.

(١) رواية مصارع العشاق والمعاهد: «لَمَّا قَضَيْنَا».

(٢) رواية نقد الشعر وأسرار البلاغة، وشرح أبيات الإيضاح، والكشكول، ومواهب الفتح، وحاشية الدسوقي: «عَلَى دهم».

والحذب: الحذبة التي في الظهر والحذب: خروج الظهر ودخول البطن والصدر. اللسان: «حذب»: ٣٠٠/١.

(٣) رواية الحماسة البصرية: «عَلَى حُذْبِ الْمَطَايَا».

(٤) رواية نقد الشعر: «رِحَالُهَا».

(٥) رواية نقد الشعر، وأسرار البلاغة، ومواهب الفتح، وحاشية الدسوقي، والمعاهد: «وَلَمْ يَنْظُرْ».

ورواية سائر المراجع المذكورة في تحقيق البيت: «وَلَا يَنْظُرْ».

(٦) شرح ديوان كعب بن زهير: ٢٤٢، ديوان كثير عزة: تحقيق إحسان عباس: ٥٢٥، شعر

يزيد بن الطثرية - نصير بن سعد الرشيد: ٤٠ - ٤١، اللخشيات: ١٨٧، الشعر والشعراء:

٧٢/١، الخصائص: ٢٨/١ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠، المحتسب: ٣٣٤/١، عيار الشعر:

٨٨، نقد الشعر: ٣٥، ذيل الأمالي: ١١٦، الوساطة: ٣٤، الصنائع: ٤٢، إعجاز

القرآن للباقلاني: ٢٢١، ٢٢٢، وشرح الحماسة للمرزوقي: ٥٨٤/٢، أمالي المرتضى:

٤٥٨/١، ٣٥٩/٢، زهر الآداب: ٤٠٤/٢ - ٤٠٥، ذيل اللالي: ٧٧، أسرار البلاغة -

خفاجي: ١١٤/١ - ١١٥، أسرار البلاغة - هـ، ريتز: ٢١ - ٢٢، مصارع العشاق - دار

صادر: ١٣٥/٢، محاضرات الأدباء: ٩٤/١، اللسان: مادة (طرف): ٢١٨/٩، المثل

السائر: ٦٦/٢، الحماسة البصرية: ١٠٣/٢، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله: ٤٩، ب،

معاهد التنصيص: ١٣٥/٢، ربحانة الألبا: ٢٠٩/٢.

استشهد الشيخ بالبيت على أن الاستعارة هنا غريبة، وأن الغرابة ليست في الشبه نفسه؛ لأنه معروف ظاهر، وإنما الغرابة ناتجة عن حسن النظم والتركيب.

فالشيخ يرى أن الاستعارة تتفاوت، فمنها العامي المبذل كقولنا: رأيت أسداً، ووردت بحراً، ومنها الخاصي النادر الذي لا يوجد إلا في كلام الفحول، ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال، ورأى أن هذا الشاهد قد وصل إلى درجة الحسن واللفظ، وعلو الطبقة، وأن الغرابة فيه ليست في الشبه نفسه.

قال:

«اعلم أن من شأن هذه الأجناس أن تجري فيها الفضيلة، وأن تتفاوت التفاوت الشديد، أفلا ترى في الاستعارة العامي المبذل كقولنا: رأيت أسداً، ووردت بحراً، ولقيت بدرأً، والخاصي النادر الذي لا تجده إلا في كلام الفحول، ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال كقوله:

«وَسَأَلْتُ بِأَعْنَاقِ الْمَظِيَّ الْأَبَاطِحُ» أراد أنها سارت سيراً حثيثاً في غاية السرعة، وكانت سرعة في لين وسلاسة كأنها كانت سيولاً وقعت في تلك الأباطح فجرت بها. . . وليست الغرابة في قوله: «وَسَأَلْتُ بِأَعْنَاقِ الْمَظِيَّ الْأَبَاطِحُ» على هذه الجملة؛ وذلك أنه لم يغرب لأن جعل الْمَظِيَّ في سرعة سيرها وسهولته كالماء يجري في الأبطح، فإن هذا شبه معروف ظاهر، ولكن الدقة واللفظ في خصوصية أفادها بأن جعل «سَالَّ» فعلاً للأباطح، ثم عاده بالباء، ثم بأن أدخل الأعناق في البيت، فقال: «بِأَعْنَاقِ الْمَظِيَّ» ولم يقل بِالْمَظِيَّ، ولو قال: سَأَلْتُ الْمَظِيَّ فِي الْأَبَاطِحِ، لم يكن شيئاً. . .»^(١).

فالشاهد يشمل ثلاثة مجازات:

أحدها: مجاز بالاستعارة، وهو استعارة سيلان السيول الواقعة في الأباطح لسير الإبل سيراً سريعاً فيه لين وسلاسة، وهذه الاستعارة مبتذلة مطروقة.

(١) الدلائل، رضا: ٥٨ - ٦٠، خفاجي: ١١٧ - ١١٩، شاکر: ٧٤ - ٧٦.

المجاز الثاني: مجاز عقلي وهو إسناد السيل إلى الأباطح إسناد ما للمحال إلى المحل، وذلك للإعلام بالكثرة الواقعة في المحل، فإن الواقع في المحل إن كثر أُسِنِدَ إلى ذلك المحل لكثرة تلبسه به حتى صار كأنه موصوفه.

والمجاز الثالث: عقلي تقديري، وهو إسناد السير للأعناق وأُسِنِدَ السير لها تقديرًا؛ لأن سرعة السير وبطئه يظهران غالباً فيها، فهي سبب في فهم سرعة السير وبطئه، فلما كانت سبباً في فهم ذلك وإدراكه صارت كأنها سبب في وجود السير فهي إسناد الشيء إلى ما هو كالسبب فيه^(١).

وفيما يلي سأذكر آراء النقاد في بيت الشاهد وما يتعلق به من أبيات قبله وبعده؛ لارتباطها به، ثم أختتمها برأي الشيخ الذي ذكره في الأسرار.

يرى ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) أن أقسام الشعر أربعة:

- ضرب منه حسن لفظه، وجاد معناه.
- وضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى.
- وضرب منه جاد معناه وقصُرت ألفاظه عنه.
- وضرب منه تأخر معناه، وتأخر لفظه^(٢).

ورأى أن أبيات «كثير» من الضرب الثاني وهو ما حَسُنَ لفظه، وقل معناه. وعلق عليه بقوله:

«هذه الألفاظ كما ترى، أحسن شيء مخارج، ومطالع، ومقاطع، وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته: وَلَمَّا قَطَعْنَا أَيَّامَ مِنَى واستملنا الأركان، وعالينا إبلنا الأنضاء، ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح، ابتدأنا في الحديث، وسارت المِطَيَّ في الأبطح»^(٣).

(١) انظر: شروح التلخيص - مواهب الفتاح: ٨٩/٤ - ٩٠، المصدر السابق - حاشية الدسوقي: ٩٠/٤ - ٩١.

(٢) الشعر والشعراء: ٧٠/١ - ٧٥.

(٣) الشعر والشعراء: ٧٢/١.

ومال قدامة بن جعفر إلى رأي ابن قتيبة، فذكر الأبيات في نعت اللفظ، وهو أن يكون سمحاً سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة^(١).

وإلى مثل هذا ذهب الباقلاني، وهو فيما يبدو ناقل عن ابن قتيبة حيث قال قبل عرض الأبيات:

«وهذا من الشعر الحسن الذي يحلو لفظه، وتقل فوائده»^(٢).

وقال بعد عرضها:

«هذه ألفاظ بديعة المطالع والمقاطع، حلوة المجاني والمواقع قليلة المعاني والفوائد»^(٣).

والذي يبدو من التأمل الدقيق لهذه الأبيات أنها تحتوي على ألفاظ لها رونق وحلاوة، وعذوبة وطلاوة، وأن معانيها مشمرة موحية، وقد نظر ابن جني في هذه الأبيات نظرة المتأمل البصير، والمتذوق الخبير، وردَّ بها على من قال بأن العرب تهتم بالفاظها دون معانيها واستدلوا بهذه الأبيات، ورأوا أنها شريفة الألفاظ رفيعتها، مشروفة المعاني خفيضتها. فقال في «باب الرد على من أدعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني»:

«... فَإِنْ قُلْتَ: فَإِنَّا نَجِدُ مِنْ أَلْفَاظِهِمْ مَا قَدْ نَمَقُوهُ، وَزَخَرَفُوهُ، وَوَشَّوهُ، وَدَبَّجُوهُ، وَلَسْنَا نَجِدُ مَعَ ذَلِكَ تَحْتَهُ مَعْنًى شَرِيفاً، بَلْ لَا نَجِدُهُ قَصِداً وَلَا مُقَارِباً، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ:

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ

فقد ترى إلى علو هذا اللفظ ومائه، وصقاله وتلاحم أنحائه، ومعناه مع هذا

(١) نقد الشعر: ٢٨.

(٢) إعجاز القرآن: ٢٢١.

(٣) المصدر السابق: ٢٢٢.

ما يحسُّه وتراه إنما هو: لَمَّا فرغنا من الحج ركبنا الطريق راجعين، وتحدثنا على ظهور الإبل، ولهذا نظائر كثيرة شريفة الألفاظ رفيعتها، مشروفة المعاني خفيضتها^(١).

ورأى ابن جني أن قولهم هذا مرجعه إلى جفاء الطبع، وخفاء غرض الناطق عنهم، ثم أخذ ينقب ويفتش عن لطائف وأسرار تختبئ في هذه الأبيات، مستعيناً بسلامة ذوقه، وحسن طبعه، وسرعة إدراكه. قال:

«... ولا أرى ما رآه القوم منه، وإنما ذلك لجفاء طبع الناظر، وخفاء غرض الناطق؛ وذلك أن في قوله: «كل حاجة» ما يفيد منه أهل النسيب والرقة، وذوو الأهواء والمقّة ما لا يفيد غيرهم، ولا يشاركهم فيه من ليس منهم، ألا ترى أن من حوائج (مِنَى) أشياء كثيرة غير ما الظاهر عليه، والمعتاد فيه سواها؛ لأن منها التلاقي، ومنها التشاكي، ومنها التخلي، إلى غير ذلك مما هو تالٍ له، ومعقود الكون به، وكأنه صانع عن هذا الموضع الذي أوما إليه، وعقد غرضه عليه، بقوله في آخر البيت:

«وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ»

أي إنما كانت حوائجنا التي قضيناها، وآرابنا التي أنضيناها من هذا النحو الذي هو مسح الأركان، وما هو لاحق به، وجارٍ في القربة من الله مجراه، أي لم يتعد هذا القدر المذكور إلى ما يحتمله أول البيت من التعريض الجاري مجرى التصريح.

وأما البيت الثاني فإن فيه:

«أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْحَدِيثِ بَيْنَنَا»

وفي هذا ما أذكره؛ لتراه فتعجب ممن عجب منه ووضع من معناه؛ وذلك أنه لو قال: أخذنا في أحاديثنا، ونحو ذلك؛ لكان فيه معنى يُكبره أهل النسيب وتعنو له ميعة الماضي الصليب. وذلك أنهم قد شاع عنهم واتسع في محاوراتهم

(١) الخصائص: ٢١٨/١.

علو قدر الحديث بين الإلفين، والفكاهة بجمع شمل المتواصلين ألا ترى إلى قول الهذلي^(١):

وإنَّ حَدِيثاً مِنْكَ - لَوْ تَعَلَّمِينَهُ - جَنَى النُّحْلَ فِي أَلْبَانِ عُوْذٍ مَطَافِلٍ^(٢)

... فإذا كان قدر الحديث - مرسلاً - عندهم هذا، على ما ترى فكيف به إذا قيَّده بقوله:

«بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ»

وذلك أن في قوله: (أَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ) وحياً خفياً، ورمزاً حلواً، ألا ترى أنه يريد بأطرافها ما يتعاطاه المحبُّون، ويتفاوضه ذوو الصبابة المتيِّمون، من التعريض، والتلويح، والإيماء دون التصريح؛ وذلك أحلى وأدمث، وأغزل وأنسب، من أن يكون مشافهةً وكشفاً، ومصارحةً وجهراً، وإذا كان كذلك فمعنى هذين البيتين أعلى عندهم، وأشدُّ تقدُّماً في نفوسهم، من لفظهما وإن عذَّب موقعه، وأيق له مستمعه.

نعم، وفي قوله:

«وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ»

من الفصاحة ما لا يخفاء به. والأمر في هذا أسير وأعرف وأشهر^(٣).

وعنه نقل ابن الأثير من غير أن يشير إلى هذا النقل^(٤).

ورأى ابن طباطبا أن هذا الشعر قد استوفى معناه، وجاء على قدر مراد الشاعر. قال:

«هذا الشعر هو استشعار فائله لفرحة قفوله إلى بلده وسروره بالحاجة التي

(١) هو أبو ذؤيب، انظر ديوان الهذليين: ١٤٠.

(٢) المطافيل: صغار الأولاد والواحدة مَطْفِل، يريد أن لبن الأبقار أطيب. ديوان الهذليين: ١٤٠، اللسان «طفل»: ٤٠٢/١١.

(٣) الخصائص: ٢١٨/١ - ٢٢٠.

(٤) انظر: المثل السائر: ٦٧/٢ - ٦٩.

وصفها، من قضاء حجه وأنسه برفقائه، ومحادثتهم ووصفه سيل الأباطح بأعناق المَطيِّ كما تسيل بالمياه، فهو معنى مستوفي على قدر مراد الشاعر^(١).

وكذلك استحسَن القاضي الجرجاني في وساطته هذه الأبيات، ورأى أنها من الأبيات المحكمة الصنعة الغدبة الألفاظ، وقد ذكرها في الاستعارات الحسنة.
قال:

«إِذَا جَاءَتْكَ الْإِسْتَعَارَةُ كَقَوْلِ زَهِيرٍ:»
«وَعُرِّيْ أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ»^(٢)

وقول لبيد:

«إِذَا أَصْبَحَتْ يَدُ الشَّمَالِ زَمَامُهَا»^(٣)

وقول ابن الطثرية:

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطيِّ الْأَبَاطِحُ
فقد جاءك الحسن والإحسان، وقد أصبت ما أردت من إحكام الصنعة وعذوبة اللفظ^(٤).

ثم جاء الإمام عبد القاهر، وفصّل القول في هذه الأبيات، ودل على أسرار معانيها، ودقيق ألفاظها وجودة سبكها، فعاب من يَرُدُّ الاستحسان إلى اللفظ فقط فيصفه بالسلامة، وينسبه إلى الدمائه، ويقول إنه كالماء جرياناً، والهواء لطفاً،

(١) عيار الشعر: ٨٨.

(٢) صدره: «صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ» انظر البيت في: شعر زهير - صنعة الأعلام -: ٤٥.

قال الأعلام: «هذا مثل ضربه، أي ترك الصبا، وركوب الباطل، وتقدير لفظه: وعُرِّيْ أَفْرَاسُ وَرَوَّاحِلُ كُنْتُ أَرْكِبُهَا فِي الصَّبَا، وطلب اللهو». شعر زهير - صنعة الأعلام -: ٤٦.

(٣) صدره: «وَعَدَاةٌ رِيحٌ قَدْ وَزَعَتْ وَقَرَّةٌ». والضمير في «أصبحت» يعود على الغداة، أي أصبحت الغداة يغلب عليها الشمال، وهي أبرد الرياح.

(٤) الوساطة: ٣٤.

والرياض حسناً، وكأنه النسيم مزاجه التسيم، وكأنه الديباج الخسرواني في مرامي الأبصار، وشي اليمن منشوراً على أذرع التجار^(١).

ثم ذكر مثلاً لذلك أبيات «كثير عزة» وطالب القاريء بأن لا يقف عند حدود الفاظها، بل عليه أن يسبر أغوارها، ويتعدى حدودها إلى جاراتها، ويبحث عن العلاقات والروابط بينها، وأن يحسن التأمل، ويدع التجوز في الرأي، وأن لا يكتفي بإطلاق المصطلحات من غير تحليل.

وجاء في أسرار البلاغة بعد ذكر أبيات كثير عزة:

«ثم راجع فكرتك، واشحذ بصيرتك، وأحسن التأمل، ودع عنك التجوز في الرأي، ثم انظر هل تجد لاستحسانهم، وحمدهم، وثنائهم، ومدحهم منصرفاً إلا إلى استعارة وقعت موقعها، وأصاب غرضها، أو حسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع، واستقر في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن، وإلا إلى سلامة الكلام من الحشو غير المفيد، والفضل الذي هو كالزيادة في التحديد...»^(٢).

ثم شرع يحلل أبيات - كثير - ليين للقاريء الطريقة التي يدرك بها جمال العبارة ويتذوق بها محاسن القول.

قال:

«أول ما يتلقاتك من محاسن هذا الشعر أنه قال:

«وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِثْنِي كُلِّ حَاجَةٍ»، فعبر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فروضها وسُننها من طريق أمكنه أن يقصّر معه اللفظ، وهو طريقة العموم، ثم نبه بقوله:

«وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ» على طواف الوداع الذي هو آخر الأمر، ودليل المسير الذي هو مقصوده من الشعر، ثم قال:

(١) أسر البلاغة - ريتز - : ٢١ .

(٢) المصدر السابق : ٢٢ .

«أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا»، فوصل بذكر مسح الأركان ما يليه من زَمَّ الركاب، وركوب الركبان، ثم دَلَّ بلفظة «الأطراف» على الصفة التي يختص بها الرفاق في السفر من التصرف في فنون القول، وشجون الحديث، أو ما هو عادة الْمُتَطَوِّفِينَ^(١) من الإشارة والتلويح والرمز والإيماء، وأنباً بذلك عن طيب النفوس، وقوة النشاط، وفضل الاعتباط، كما توجه ألفة الأصحاب وأنسُ الأحاب، وكما يليق بحال من وُفِّقَ لقضاء العبادة الشريفة، ورجا حسن الإياب، وتُسَمَّ روائح الأَجْبَةِ والأوطان، واستماع التهاني والتحايا من الخُلَّانِ والإخوان، ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة طُبِّقَ فيها مفصل التشبيه، وأفاد كثيراً من الفوائد بلطف الوحي والتنبيه، فصرَّح أولاً بما أوماً إليه في الأخذ بأطراف الأحاديث من أنهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الرواحل، وفي حال التوجه إلى المنازل، وأخبر بعد بسرعة السير ووطاءة الظهر، إذ جعل سلسلة سيرها بهم كالماء تسيل به الأباطح، وكان في ذلك ما يؤكد ما قبله لأن الظهور إذا كانت وطيفة، وكان سيرها السير السهل السريع زاد ذلك في نشاط الركبان ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيباً. ثم قال: «بأعناق المَطيِّ» ولم يقل «بالمَطيِّ»؛ لأن السرعة والبطء يظهران غالباً في أعناقها، وبين أمرهما من هودايتها وصدورها، وسائر أجزائها تستند إليها في الحركة، وتتبعها في الثقة والخفة، ويعبر عن المرح والنشاط إذا كانا في أنفسها بأفاعيل لها خاصَّة في العنق والرأس ويدل عليهما بشمائل مخصوصة في المقاديم^(٢).

ويبدو أن الشيخ قد تأثر في تحليله هذا بما كتبه ابن جني في هذه الأبيات، إلا أن الشيخ كان أكثر تفصيلاً وتحليلاً خاصة عند تحليل قول الشاعر:

«وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطيِّ الْأَبَاطِحُ»

(١) وفي الأسرار تحقيق خفاجي «المتَطَرِّفين»، ويبدو لي أنها المتَطَرِّفين أي الذين يأخذون بأطراف الأحاديث.

(٢) أسرار البلاغة: ٢١ - ٢٣.

قول الآخر:

سَأَلْتُ عَلَيْهِ شِعَابُ^(٢) الْحَيِّ^(٣) جِئِنَ دَعَا^(٤) أَنْصَارَهُ^(٥) بِوُجُوهِ^(٥) كَالْدَنَائِيرِ^(٦)

ذكر الشيخ البيت من غير نسبة^(٧). وهو لسبيع بن الخطيم^(٨)، من

(١) الدلائل، رضا: ٥٩، خفاجي: ١١٨، شاکر: ٧٤.

(٢) رواية الوحشيات: «براق الحي».

ورواية الاقتضاب: «سالت عليه ثغاب».

(٣) رواية الوحشيات «العز».

ورواية الاقتضاب «المجد».

(٤) رواية الوحشيات: «أصحابه».

(٥) رواية الاقتضاب: «ووجه».

(٦) انظر البيت في:

الوحشيات: ٢٦٩، رقم (٤٥١)، المؤلف والمختلف: ١١٢، والاقتضاب في شرح أدب الكتاب: ٣٧٢، الإيضاح - خفاجي -: ٤٢٤/٢، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -: رقم الشاهد: ٣٧٠، معاهد التنقيص: ١٣٥/٢، رقم الشاهد: ١٠٣.

(٧) ذكر الشيخ البيت أيضاً في فصل «النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع» - الدلائل، رضا: ٧٨، خفاجي: ١٣٦، شاکر: ٩٩ - ويوهم كلامه هناك بأن البيت لابن المعتز، فبعد أن ذكر أبياتاً لابن المعتز قال: «وإن أردت أعجب من ذلك فيما ذكرت لك فانظر إلى قوله - وقد تقدم إنشاده قبل - «سالت عليه شعاب الحي حين دعا...».

ونسبه كذلك صاحب الإيضاح لابن المعتز وتابعه صاحب شرح أبيات الإيضاح، ومعاهد التنقيص، ولعلمهم توهموا ذلك من كلام الشيخ السابق ذكره.

وذكر البيت من غير نسبة في الوحشيات، والاقتضاب وعزاها الخالديان: ١٣٠ - لمحرز بن المكعب، ونسب الأمدي أحد أبيات القصيدة - غير بيت الشاهد - لدجاجة بن عبد قيس، وتلا ذلك حاشية تذكر أن البيت مع أبيات آخر لسبيع بن الخطيم.

ونسبها أيضاً الأمدي: ١١٢، والخالديين (الاختيارين) برقم ٦٩ لسبيع بن الخطيم.

(٨) هو سبيع بن الخطيم التميمي تيم عبد مائة بن أد بن طابخة من بطن منهم يقال له بنو رفاعة، وهو شاعر محسن، فارس، جاهلي، عاصر بعض الإسلاميين.

انظر ترجمته:

المؤتلف والمختلف: ١١٢، الأعلام: ٧٧/٣.

قصيدة^(١) قالها لزيد الفوارس^(٢) الضبي، وقد كانت بنو ضبة أخذت إليه فاستفدوا زيد وردها عليه^(٣).

وأول الأبيات - وهو البيت الذي قبل الشاهد -:

إِنَّ أَبْنَ آلِ ضِرَارٍ حِينَ أَنْدَبُهُ^(٤) زَيْدًا سَعَى لِي سَعِيًّا غَيْرَ مَكْفُورٍ^(٥)
وبعده الشاهد وبعده:

لَيْسَ الْهَجَانُ إِذَا مَا كُنْتُ مُفْتَحِلًا كَالْوَرَقِ تَنْظُرُ فِي أَلْوَانِهَا الْحُورُ^(٦)
لَوْلَا إِلَٰهُ وَلَوْلَا مَجْدُ طَالِبِهَا^(٧) لِلْهَذْمُوهَا^(٨) كَمَا نَالُوا مِنَ الْعِيرِ^(٩)

استشهد الإمام عبد القاهر بهذا البيت في موضعين من كتابه «الدلائل»:
الموضع الأول: عند حديثه عن تفاوت الاستعارة، ورأى أن هذا البيت من
الاستعارة الحسنة اللطيفة العالية الطبقة، فقال:

(١) ذكر الأمدى ستة أبيات، والبطلوسي «الاقتضاب» خمسة أبيات مع اختلاف في ترتيب الأبيات وبعض الألفاظ.

(٢) هو زيد بن حصين بن ضرار الضبي، فارس - شاعر، جاهلي، أورد البغدادي قليلاً من أخباره، وأبياتاً له، وأورد له أبو تمام أبياتاً في حماسته.
انظر أخباره: شرح الحماسة للمرزوقي: ٥٥٧، ١٦٧٨، خزانة البغدادي - دار صادر: ٥١٦/١، ٥١٧، ٢١٨/٤، ٢١٩، الأعلام: ٥٨/٣.

(٣) المؤلف والمختلف: ١١٢ - ١١٥.

(٤) رواية الاقتضاب «حين أدركها».

(٥) ذكر أبو تمام «الوحشيات»، والبطلوسي قبل بيت الشاهد:

نَهَتْ زَيْدًا فَلَمْ أَفْزَعْ إِلَى وَكَلٍ رَثُّ السَّلَاحِ وَلَا فِي الْحَيِّ مَغْمُورٌ

(٦) لم يذكر البطلوسي هذا البيت، وإنما ذكر قوله «إن ابن آل ضرار حين...» بعد بيت الشاهد.

(٧) رواية الاقتضاب: «وَلَوْلَا سَعَى صَاحِبِهَا».

(٨) رواية الاقتضاب: «تلهو جوها»، واللهمذم: القطع والأكل بسرعة.

(٩) وهذه الأبيات نقلاً عن الأمدى.

«... ومثل هذه الاستعارة^(١) في الحسن واللفظ، وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول الآخر:

سَأَلْتُ عَلَيْهِ شِعَابُ الْحَيِّ حِينَ دَعَا أَنْصَارُهُ بِوُجُوهِ كَالدُّنَانِيرِ
أراد أنه مطاع في الحي، وأنهم يسرعون إلى نصرته، وأنه لا يدعوهم
لحرب، أو نازل خطب، إلا أتوه وكثروا عليه، وازدحموا حواليه، حتى تجدهم
كالسيول تجريء من ههنا وههنا، وتنصب من هذا المسيل وذلك، وحتى يغص بها
الوادي ويطفح منها^(٢).

وقد زاد المسألة تفصيلاً في الموضع الثاني، وهو:

«فصل النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع»، فبين أن هذه اللفظة
لبست ثوب الجمال، والحسن لمشاركة جاراتها لها في صياغة البيت وتركيبه،
فالجمل في البيت ليس في الاستعارة، وإنما في طريقة تركيبها، وصياغتها.
قال:

«فإنك ترى هذه الاستعارة على لطفها، وغرابتها، وإنما تم لها الحسن
وانتهى إلى حيث انتهى بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير، وتجدها
قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك، ومؤازرته لها، وإن شككت فأعمد إلى
الجارين، والظرف، فأزل كلاً منها عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه فقل:

«سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره» ثم انظر كيف يكون
الحال، وكيف يذهب الحسن والحلاوة؟ وكيف تُعَدَم أُرِيحِيَّتُكَ التي كانت؟ وكيف
تذهب النشوة التي كنت تجدها؟»^(٣).

وإذا تأملنا بيت الشاهد، وجدناه يحوي معاني شريفة، وينطوي على أسرار
لطيفة، منها استعارة السيل لشعاب الحي، وهذه الاستعارة في ذاتها ليست بالأمر

(١) يقصد قول كثير السابق «وَسَأَلْتُ بِأَغْنَانِي الْمَظِيَّ الْأَبَاطِيحُ».

(٢) الدلائل، رضا: ٦٢، خفاجي: ١١٨، شاکر: ٧٥.

(٣) الدلائل، رضا: ٧٨، خفاجي: ١٣٦ - ١٣٧، شاکر: ٩٩.

الخطير، ولا الشيء البديع، ولكن جمال الاستعارة في الصياغة، وحسن التركيب، وأنها وقعت موقعها وأصاب غرضها، حيث اختار الشاعر حرف الجر «على» مع الفعل «سأل» بدلاً من «إليه» ثم عدَّى الفعل «بالباء» فصور بهذين الحرفين سرعة وشدة توجههم إليه، وأنهم يتدفقون عليه دفعة واحدة، وكأنهم سيل ينصب من أعلى جبل، فلو أنه قال: «سالت إليه» لم يتمكن الفعل «سأل» من إعطائنا صورة التدفق الشديد؛ لأن السيلان حين يكون من أعلى تكون صورته أشد، ثم إن الحرف (إلى) يدل على التباطؤ والتسلسل في هدوء.

ثم إن تقديم الجار والمجرور «عليه» على الظرف «حين دعا» يظهر لنا علو مكانة الممدوح عند قومه، وأن أمره مطاع بينهم، فإن صيحة واحدة منه قد فجرت عليه شعاب الحي، فأقبلت جموعهم تترى من كل صوب، فهو مطاع يسرعون لنصرته لا يدعوهم لحرب، أو نازل خطب إلا أتوه وكثروا عليه، وازدحموا حواليه، حتى تجدهم كالسيول من هنا وهناك، وتنصب من هذا وذاك حتى يغص بها الوادي ويظفح منها.

ثم إن قوله: «بوجوه كالدنانير» أضفى على الاستعارة حُسناً ومزية، حيث وضع لنا أن تلبية الناس لدعوة ذلك الممدوح ليست عن قهر وجبر مصحوبة بالتخاذل والفتور، وإنما كانت تلبية نابعة من القلب وكان الإقبال نحوه نتيجة لاستجابة طبيعية لمشاعر التقدير، والحب المكنون في قلوبهم لهذا الزعيم، وانعكس هذا الحب القلبي على وجوههم، فظهرت عليها علامات الفرح والسرور، فأشرقت، وأنارت؛ وكأنها الدنانير في لمعانها^(١).

الشاهد الثالث عشر^(٢): (الكامل)

قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك^(٣):

(١) انظر: الدلائل، رضا: ٦٢، خفاجي: ١١٨، شاکر: ٧٥، النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني: ٢٥١ - ٢٥٢.

(٢) الدلائل، رضا: ٥٩، خفاجي: ١١٨، شاکر: ٧٥.

(٣) نسبه صاحب بهجة المجالس إلى محمد بن يزيد بن مسلمة. قال: «ما وُصف برؤُوف بأحسن =

عَوَّدَتْهُ فِيمَا أُرُورُ حَبَائِيسِي إِهْمَالَهُ وَكَذَلِكَ كُلُّ مُخَاطِرٍ
وَإِذَا (١) أَحْتَى (٢) قَرُبُوسُهُ (٣) بِعَيْنَانِهِ (٤) عَلَكَ (٥) الشُّكِيمَ (٦) إِلَى أَنْصِرَافِ الزَّائِرِ (٧)

استشهد به الشيخ على الاستعارة الغريبة النادرة، وأن الغرابة فيها في الشبه نفسه، وليست الغرابة في التركيب والصياغة كالبيتين السابقين. قال:

«ومن بديع الاستعارة ونادرها - إلا أن جهة الغرابة فيه غير جهتها في هذا - قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرساً له، وأنه مؤدب، وأنه إذا نزل

= من قول المسلمي من ولد مسلمة بن عبد الملك، واسمه محمد بن يزيد. لم أجد ترجمته فيما رجعت إليه من مصادر، وإنما انظر: جمهرة أنساب العرب: ١٠٣ فيها ذكر أن يزيد من ولد مسلمة بن عبد الملك.

(١) رواية بهجة المجالس: «فإذا أَحْتَى».

(٢) ومعنى الاحتباء: احتنى الرجل جمع ظهره، وساقبه بثوب أو غيره، وقد يحتنى بيديه. المصباح المنير (كتاب الحاء): ١٣٠/١.

(٣) الْقَرُبُوسُ: جِنُّ الشَّرِّ، وَالْقَرُبُوسُ لغة فيه حكاه أبو زيد وجمعه قرايس، وللشرح قروبوسان، فأما القروبوس المُقَدَّم ففيه العضدان، وهما رجلا السَّرج، ويقال لهما جنواه. اللسان: «فرس»: ١٧٢/٦.

(٤) العنان: وَعِنَانُ اللِّجَامِ: السير الذي تُمَسَّكُ بِهِ الدَّابَّةُ، والجمع أَعْنَتٌ، وَعُنُنٌ، وَسُمِّيَ عِنَانُ اللِّجَامِ عِنَانًا، لاعتراض سَيْرِهِ على صفحتي عُتْق الدَّابَّةِ من عن يمينه وشماله. اللسان: «عنن»: ٢٩٢/١٣.

(٥) علك الفرس اللجام: لأكه، وعلكته علكاً من باب قتل «مضغته». المصباح المنير «العين مع اللام وما يثلثهما»: ٧٧/٢.

(٦) الشكيم والشكيمة في اللجام الحديدية المعترضة في فم الفرس التي فيها الفأس والجمع شكائم. الصحاح «شكيم» فصل الشين، باب الكاف: ١٩٦٠/٥.

ورواية الكامل: «علك اللجام».

(٧) انظر البيت في:

الكامل: ١٤٠/٢، بهجة المجالس: ٧١/٢، الإيضاح: ٤٢٤/٢، التلخيص شرح البرقوقي: ٣١١، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم: (٣٦٨)، معاهد التنقيص: ١٢٩/٢، حلية اللب المصون - أحمد الدمنهوري: ١٤١، حاشية العلامة مخلوف المنيأوي على شرح اللب المصون: ١٤١.

عنه، وألقى عنانه في قربوس سرجه، وقف مكانه إلى أن يعود إليه» فالغربة ههنا في الشبه نفسه، وفي أن استدرك أن هيئة العنان في موقعه من قربوس السرج كالهية في موقع الثوب من ركة المحتبي، وليست الغربة في قوله: «وَسَأَلْتُ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ» على هذه الجملة^(١).

فالغربة في بيت يزيد بن مسلمة في استعارة الاحتباء لهية الفرس.

ويحتمل أن يكون قربوسه فاعل آحتبي؛ وذلك بتنزيل القربوس منزلة الرجل المحتبي، فكان القربوس ضم فم الفرس إليه بالعنان كما يضم الرجل ركبيه إلى ظهره بثوب، فينزل القربوس في هيئة التشبيه منزلة الظهر من المحتبي، وفم الفرس منزلة الركبتين.

ويحتمل أن يكون قربوسه مفعول آحتبي مضمناً معنى «جَمَعَ» فينزل القربوس في الهية منزلة الركبتين، وفم الفرس منزلة الظهر.

والوجه الأول، وهو كون القربوس فاعلاً، وإن كان فيه مناسبة ما من جهة أن الركبتين فيهما شيئان كفكي الفرس مع التفاوت في المقدار والنسبة، والقربوس متحدب كوسط الإنسان وخلفه كظهره إلا أن فيه بعداً وغموضاً من جهة أن القربوس في الهية أعلى وكذا الركبتان والفم أسفل، وكذا الظهر، وحيثئذ، فالوجه الثاني بهذا الاعتبار أولى؛ لأنه أدل؛ ولأنه أشد في تحقيق التشابه فشبهت الهية الحاصلة من وقوع العنان في موضعه من قربوس السرج بالهية الحاصلة من وقوع الثوب في موضعه من ركبي المحتبي، ووجه الشبه هو هيئة إحاطة شيء لشيئين ضاماً أحدهما إلى الآخر على أن أحدهما أعلى والآخر أسفل، واستعير الاحتباء، وهو ضم الرجل ظهره وساقيه بثوب وشبهه لوقوع العنان في قربوس السرج لأجل ضم رأس الفرس إلى جهته واشتق من الإحتباء آحتبي بمعنى وقع على طريق الاستعارة التصريحية التبعية^(٢).

(١) الدلائل، رضا: ٦٠، خفاجي: ١١٨، شاکر: ٧٥.

(٢) شروح التلخيص: مواهب الفتاح: ٨٧/٤ - ٨٨، حاشية الدسوقي: ٨٦/٤ - ٨٨، حلية

اللب المصون: ١٤١، حاشية العلامة مخلوف المنيأوي على اللب المصون: ١٤١.

الشاعر هنا يريد أن يصف فرسه بأنه مؤدب، وأنه قد روض على موافقته وطاعته، فاختار لفظ «إهماله» بدلاً من «تركه» مثلاً؛ ليؤكد أن فرسه بلغ من الطاعة ما يجعله يثق فيه فهو لا يحتاج أبداً إلى مراقبته، ولا يعاني مشقة المحافظة عليه.

وقوله: «وكذاك كل مخاطر» افتخار من الشاعر بقدرته على ذلك الترويض؛ وأنه لا يستطيعه إلا كل مخاطر يلقي بنفسه في الصعاب فيقول:

«جعلت إهمال الفرس وعدم محافظته في وقت زيارتي لحبائي عادةً له، وكذاك أي مثل ذاك الإهمال يفعل كل من يلقي نفسه في الأمور الصعبة»^(١).

ثم يجسد لنا الشاعر صورة هذه الطاعة في صورة خيالية حية، فصور لنا أنه بمجرد أن ينزل عن صهوة جواده يقوم الفرس بشد نفسه وتقييدها من غير أن يكلف صاحبه عناء تقييده.

الشاهد الرابع عشر^(٢): (البيسط)

قول الشاعر^(٣):

الْيَوْمَ يَوْمَانِ مُذْ غُيِّبَ عَنْ بَصَرِي نَفْسِي فِدَاؤُكَ مَا ذَنْبِي فَأَعْتَذِرُ
أُمْسِي وَأَصْبَحُ لَا أَلْقَاكَ وَاحْزَنَّا لَقَدْ تَأَنَّقَ^(٤) فِي مَكْرُوهِِي الْقَدَرُ

ذكره الشيخ من غير نسبة.

والشاهد هنا في كون جهة الغرابة في الاستعارة في الكلمة نفسها «تأنَّق» حيث استعار التأنَّق للقدر (استعارة مكيئة)، وهذا من بدیع الاستعارة ونادرها.

ورأى الدكتور محمد زكي العشماوي أن الشاهد عند الشيخ هو أن

(١) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -: شاهد رقم ٣٦٨.

(٢) الدلائل، رضا: ٦٠، خفاجي: ١١٩، شاکر: ٧٦.

(٣) لم أقف عليه ولا على قائله.

(٤) تأنَّق في الأمر إذا عمله بنية مثل تنوق، وله إناقة، وأناقة ولباقة، وتأنَّق في أموره: تجوَّد، وجاء فيها بالعجب. اللسان: «أنق»: ١٠/١٠.

الاستعارة هنا ليست غريبة في ذاتها بأن استعار التائق للقدر بل إن روعتها ترجع لما في السياق كله من خصائص.

ويبدو لي أن الشيخ لم يذهب إلى هذا بل قصد كون الغرابة في استعارة التائق للقدر. ويمكن أن نضيف بعد ذلك أنه إلى جانب كون الغرابة في اللفظة ذاتها فإن الصياغة أضافت لها أبعاداً جديدة، وكستها لطائف وروائع أخرى.

قال :

«وقد استشهد عبد القاهر بهذين البيتين في الفصل الذي عقده عن بدیع الاستعارة ونادرها، وهو كذلك من الأمثلة التي أرجع فيها عبد القاهر روعة الاستعارة لما في السياق كله من خصائصه، ففي استعارة التائق للقدر هنا غرابة وطرافة حقيقية، ولكن الأمر ليس أمر الغرابة التي تدهشك من استعارة التائق للقدر، ولكن الأمر هو في أن الاستعارة هنا صادفت مكانها اللائق بها، وأنها جاءت لتمثل قمة التطور العاطفي عند الشاعر، فعندها يتجمع ويتركز الانفعال حتى يبلغ أقصاه. والذي مهد لهذا التطور ما عرضه علينا الشاعر في البيتين من موقفه عقب هجر صاحبه له، فهو منذ أن غابت في حال من القلق والاضطراب والأرق، فلم تعد الحياة تجري كما كانت، بل أبطأت أيامها، وطالت لياليها، والشاعر لا يدري سبباً لهذا كله، ولا يعلم ماذا جنت يده، ويتمنى لو يبذل حياته كلها ثمناً لمعرفة السبب الذي من أجله هجرته صاحبه، وانظر إلى اللهفة المشوبة بالحسرة في قوله: «نَفْسِي فِدَاؤُكَ» وفي الاستفهام الذي ختم به البيت الأول عندما قال: «مَاذَنِّي فَأَعْتَدِرُ» ثم مواجهة الحقيقة المرة التي تشيع في قوله: أُمْسِي وَأُضْبِحُ لَا أَلْفَاكُ» ثم صيحة الألم العميقة في قوله: «واحزننا» ثم هذه السكتة القصيرة التي آمن بعدها بأن النحاس لا بد أن يكون قد تحالف عليه، وأن القدر لا بد أن يكون قد فكر كثيراً قبل أن يحبك له خيوط هذا الحظ التعيس، فليس موقفاً عادياً هذا الذي يقفه، بل لا بد أن يكون القدر قد جلس من أجله جلسة خاصة أحكم له فيها خيوط هذه المؤامرة»^(١).

(١) قضايا النقد الأدبي : ٣٦٨ - ٣٦٩.

ولعله من الممكن أن نضيف أنه من أسرار الروعة في البيتين بناء الفعل للمجهول «غُيِّتِ» ولم يقل مثلاً «مُذَّأُنْ غِيبَتْ» بالبناء للمعلوم، ليدل على أنها لم تغب عنه برغبتها، وإنما منعها أهلها أو مانع ما.

وخصص الغياب عن البصر «عن بصري» ليثبت أن محبتها قائمة في القلب، وأنها لم تغب عن فؤاده، فمحبتها لم تَزُلْ ولم تتغير، ولم تنقص لمجرد الغياب عن البصر، ثم أعقب ذلك بدعائه لتلك المحبوبة «نَفْسِي فِدَاؤُكَ» فإنه يفديها من حيث هي، وكأنه يشعر أن هناك خطراً عليها هو الذي حال بينه وبينها على أن حالة القلق هذه جعلته غير مستقر الرأي، فهو مع ما يشعر به من أن مانعاً منعها يتوقع أنها غابت عنه لذنب جناه.

وجاء «بالفاء» ليظهر رغبته السريعة في إنهاء هذا القلق، وأنه لن يتوانى لحظة واحدة عن تقديم الاعتذار.

وقد يكون الاستفهام «ما ذَنْبِي» للاستبعاد، فهو يستبعد أن يكون وقع منه ذنب، فساق الاستفهام مساق الاستبعاد والتعجب.

ويبدو لي أن في تصوير طول أيامه وثقلها بقوله: «الْيَوْمُ يَوْمَانِ» بأن جعل اليوم الواحد في الطول كالأيومين - قصوراً في تصوير ذلك الثقل، فكان الأجدر به أن يجعل اليوم دهماً طويلاً مملاً.

الشاهد الخامس عشر^(١):

(الوافر)

سوار بن المضرب^(٢):

(١) الدلائل، رضا: ٦٠، خفاجي: ١١٩، شاکر: ٧٦.

(٢) هو سوار بن المضرب السعدي، أحد بني ربيعة بن كلب بن زيد مناة بن تميم، وقيل من سعد بني كلاب، وهو فعال من سار يسور صفة، أي لا يسر في قدحه فضلة من شرابه، وهو قليل النظر؛ لأنه ليس في الكلام أفعال فهو فعال إلا أحرف يسيرة هذا أحدها، ومثله أدرك فهو دراك، وأجير فهو جبار، وقصر فهو قصار. والمضرب بفتح الراء أي ضرب مرة بعد مرة وسمي مضرباً؛ لأنه شب بامرأة، فحلف أخوها ليضربه بالسيف مائة ضربة، فضربه فغشي عليه ثم أفاق.

بِعَرَضٍ^(١) تَنْوَفَةٍ لِلرَّيْحِ فِيهَا نَسِيمٌ^(٢) لَا يَرُوعُ التُّرْبَ وَإِنْ^(٣)

والبيت من قصيدة للشاعر يصف اليمامة وطيب هوائها، ومطلعها:

أَلَمْ تَرْنِي وَإِنْ أَنْبَأْتُ أَنِّي طَوَيْتُ الْكَشْحَ عَنْ طَلَبِ الْغَوَائِي^(٤)

وقبل الشاهد:

دَعَانِي مِنْ أَدَاتِكُمَا وَلَكِنْ بِذِكْرِ الْمَذْحِجِيَّةِ عَلَّلَانِي

فَإِنَّ هَوَايَ مَا عَلِمْتُ سُلَيْمِي يَمَانٍ إِنْ مَنَزَلَهَا يَمَانٍ^(٥)

تَكِلُ الرِّيحُ دُونَ بِلَادِ سَلَمِي وَسِرَاتِ الْمُنَوَّقَةِ^(٦) الْهَجَانِ

وبعدها الشاهد وبعده:

إِذَا مَا الْمُسْتَفَاتُ^(٧) غُلُوْنَ مِنْهَا رَقَاقاً أَوْ سَمَاوَةً صَحْصَحَانِ^(٨)

انظر ترجمته:

المبهج: ١٨، الكامل: - مكتبة المعارف: - ٣٠٠/١، المؤلف والمختلف: ١٨٣، زهر الآداب: ٧٣٩/٣، شرح الحماسة للمرزوقي: ١٣٠، نوادر أبي زيد: ٤٥ - ٤٦، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١١٢/١ - ١٦٩/٣.

ونُسب في زهر الآداب لسوار بن الصرير، وذكر أنها تروى أيضاً لمالك بن الربيع.

(١) ذكر الشيخ محمد رشيد رضا في تحقيقه للكتاب أنه ورد في نسخة أخرى «وظهر تنوفا».

ورواية الأصمعيات: «بكل تنوفا»، ورواية زهر الآداب:

وَجَوّاً زَاهِراً لِلرَّيْحِ فِيهِ نَسِيمٌ لَا يَرُوعُ التُّرْبَ وَإِنْ

(٢) رواية الأصمعيات: «حفيف».

(٣) انظر البيت في: الأصمعيات: ٢٣٩، رقم (٩١)، زهر الآداب: ٧٤٠/٣، الإيضاح:

٤٢٣/٢.

(٤) الأصمعيات: ٢٤٠.

(٥) المصدر السابق: ٢٤٢.

(٦) جمل منوق: ذلول قد أحسنت رياضته، وقيل هو الذي دُلل حتى صِيرَ كالناقة، وناقة مُنَوَّقَةٌ

عُلِّمَت المشي. اللسان: «نوق»: ٣٦٢/١٠.

(٧) المستفات: ناقة مُسَنَّفٌ ومُسَنَّفَةٌ: متقدمة في السير. المُسْتَفَاتُ بكسر النون المتقدّمات في

سيرها. اللسان: «سنف»: ١٦٢/٩.

(٨) الصحصحان: الأرض المستوية الواسعة. اللسان «صح»: ٥٠٨/٢.

يَخْذَنْ^(١) كَأَنَّهُنَّ بِكُلِّ خَرْقٍ وَأَغْسَاءُ^(٢) الظَّلَامِ عَلَى رَهَانٍ^(٣)

الشاهد في البيت هو استعارة لفظة الروح، لإثارة الترب، وهي استعارة غريبة نادرة.

فهذه الأبيات تمثل القمة في الشعور، وشفافية الإحساس، فالشاعر على الرغم من أنه طريد - لأن قصيدته هذه قالها فيما يبدو بعد هربه من الحجاج؛ فإنه يذكر في البيت التاسع أنه طريد - فذكرى أيام الصبا، والأيام الخوالي، وذكرى سلمى قد بعثنا في نفسه روح الأمل، وبعثنا في روحه الهدوء، والطمأنينة، فامتلاً خياله بالصور الهادئة الحساسة، فنراه عندما يفيض به الهوى يذكرها بلفظ التصغير فيقول: «سُلَيْمى» بياناً لعظم مكانتها في نفسه.

وحين تتشرب نفسه الراحة لذكرها يرى كل شيء يحيط به هادئاً مطمئناً، فالريح عندما تقترب من بلاد سلمى تكل وتتعب، وتأبى إلا أن تمر بهدوء، وكأن الريح تستحي أن تمر مسرعة بها حتى لا تزعجها، ثم جاء بلفظة «الروح» واستعارها لإثارة الترب، فأحدثت في البيت خيالاً حركياً، فالنسيم نراه يطوف بديارها في هدوء، وكأنه عندما رأى «سُلَيْمى» وشعر بوجودها أحس بالربة في مجاورتها، والسكنى بقربها، فأصابه التعب والإعياء حتى أنه لم يقو على تحريك الترب وإثارته.

الشاهد السادس عشر^(٤): (الكامل)

بعض الأعراب^(٥):

- (١) يخذن: التخويد سرعة السير، وقيل: سرعة سير البعير، وخود البعير أسرع ورج بقوائمه، وقيل هو أن يهتز كأنه يضطرب، وقد يستعمل في الإنسان. اللسان «خود»: ١٦٦/٣.
- (٢) غسا الليل يغسو غسوا وغسى يغسى وأغسى يغسى أظلم. اللسان: «غسا»: ١٢٥/١٥.
- (٣) الأصمعيات: ٢٤٢.
- (٤) الدلائل، رضا: ٦١، خفاجي: ١١٩، شاكر: ٧٦ - ٧٧.
- (٥) هو ثعلبة بن صعيبر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من شعراء الجاهلية.

وَلَرُبَّ خَصْمٍ جَاهِدِينَ ذَوِي شَذَا^(١) تَقْذِي^(٢) عُيُونُهُمْ^(٣) يَهْتَرِ هَاتِرِ^(٤)
لُدِ^(٥) ظَارَتْهُمْ^(٦) عَلَى مَا سَاءَهُمْ وَخَسَاتُ بَاطِلُهُمْ يَحَقُّ ظَاهِرِ^(٧)

وذكر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في تحقيقه أنه ثعلبة بن صعير المازني من أصحاب رسول الله إلا أن الأستاذ عبد السلام هارون، والأستاذ أحمد محمد شاعر ذكرًا في تحقيق المفضليات أن ثعلبة بن صعير صاحب هذه القصيدة ليس بصحابي، ويشبه ثعلبة هذا بثعلبة بن صعير ابن عمرو بن زيد بن سنان بن سلامان القضاعي العذري، وهذا متأخر، واختلف في هذا الأخير في كونه صحابياً.

(١) الشذا مقصور: الأذى والشر، وأشدنى الرجل: آذى، ومنه قيل آذيت وأشديت. اللسان «شذا»: ٤٢٦/١٤.

(٢) القذى: ما يسقط في العين والشراب، وقذيت عنه من باب صدي سقطت فيها «قذاة» فهو «قذي» العين. على فعل، و(قذت) عنه رقت بالقذى وبابه رمى و«أقذاها» غيره جعل فيها القذى. و«قذاها تقذية» أخرج منها القذى. مختار الصحاح باب القاف: ٥٢٦، اللسان «قذى»: ١٧٢/١٤ - ١٧٣.

(٣) رواية المفضليات ومنتهى الطلب: «صُدُّوْهُمْ». وفي دلائل الإعجاز تحقيق شاعر ذكر أن هناك مخطوطتين للكتاب فيها «تقذى عيونهم» وهو سهو يفسد الشعر.

وذكر البيت في تحقيقه على رواية المفضليات. هاتر: قول هتر كذب، والهتر بالكسر السقوط من الكلام والخطأ فيه، جاء في الصحاح: يقال هتر هاتر وهو تأكيد له.

والهتر أيضاً العجب والداهية. يقال للرجل إذا كان داهياً: إنه لهتر أهتار الصحاح: باب الرء فصل الهاء: ٨٥٠/٢، اللسان: «هتر»: ٢٤٩/٥.

(٥) رجل ألد: أي شديد الخصومة، والألد: الخصم الجليل الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق، وجمعه لُد ولُدَاد. الصحاح مادة «لَدَد»: ٥٣٥/٢، اللسان مادة «لَدَد»: ٣٩٠/٣ - ٣٩١.

(٦) الظئر بالكسر العاطفة على ولد غيرها المُرْضعة له في الناس وغيرهم للذكر والأنثى وجمعه أظُور، وأطَار، وظُور، وظُورة، وظَارني على الأمر راودني وأكرهني. انظر: القاموس المحيط، باب الرء فصل الظاء: ٨٣/٢.

(٧) انظر البيت في:

منتهى الطلب: ورقة (٨٠)، المفضليات: ١٣١ رقم (٢٤).

والبيت من قصيدة مطلعها:

هَلْ عِنْدَ عُمْرَةٍ مِنْ بَنَاتٍ^(١) مُسَافِرٍ ذِي حَاجَةٍ مُتَرَوِّحٍ أَوْ بَاكِرٍ
سَيِّمَ الْإِقَامَةَ بَعْدَ طُولِ ثَوَائِهِ وَقَضَى لُبَانَتَهُ فَلَيْسَ بِنَاطِرٍ

وقبل الشاهد:

وَلَرُبَّ وَاضِحَةِ الْجَبِينِ غَرِيرَةٍ مِثْلَ الْمَهَاةِ تَرُوقُ عَيْنَ النَّاطِرِ
قَدْ بَتَّ الْعِيبُهَا وَأَقْصُرُ هَمُّهَا حَتَّى بَدَا وَضَحُ الصُّبَّاحِ الْجَاشِرِ

وبعدهما الشاهد وبعده:

بِمَقَالَةٍ مِنْ حَازِمٍ ذِي مِرَّةٍ^(٢) يَدَا^(٣) الْعَدُوِّ زَيْبَرُهُ لِلزَّائِرِ

إذا تأملنا الشاهد، وجدناه يحوي ثلاث استعارات رائعة:

الأولى: في قوله: «تَقْذِي صدورهم» ولفظة تقذي هنا يختلف معناها باختلاف ضبط حركاتها، فإذا كان المقصود «تَقْذِي» بمعنى سقطت فيها قذاة، فهو «قذي» فقذيت عينه من باب صَدِيَ يكون المعنى أن صدورهم مليئة بالشر.

وإن كانت مأخوذة من «قَذَّت عينه» رَمَتْ بِالْقَذَى، وبابه رَمَى. يكون المعنى: أن صدورهم رمته بالشر والأذى.

والمناسب للمقام فيما يبدو الوجه الثاني.

والاستعارة هنا جاءت من تشبيه صدورهم بالعيون التي تحمل الأذى أو ترمي بالقذى، ثم حذف المشبه به، وأتى بشيء من لوازمه، وهو القذى على سبيل الاستعارة الممكنية.

والاستعارة الثانية: في قوله: «لَدْ ظَارَتْهُمْ» استعار الظَّار - الذي هو في الأصل للناقة التي تحنو على ولد غيرها، فترضعه - لإلحاق الهزيمة بهم، فكأنه

(١) البنات: الزاد، والجهاز، والمتاع. اللسان: مادة (بَنَت): ٨/٢.

(٢) المرة: بكسر الميم الشدة، ورجل ذو مرة: أي قوي. انظر: أساس البلاغة: (مرر): ٤٢٥.

(٣) يدا: الودأ الهلاك. اللسان: «ودأ»: ١٩٢/١.

أرضعهم الهزيمة وقهرهم عليها، وفيها من التهكم والسخرية ما فيها، وجاءت الاستعارة هنا على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

والاستعارة الثالثة: في قوله: «خسأت» حيث استعار «خساً» التي هي بمعنى «زجر» للدفع على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

فهذه الاستعارات الثلاث ممكنة في البيت.

وفي الدلائل تحقيق «رضا» وتحقيق «خفاجي» لم يحدد الشيخ عبد القاهر موقع الاستعارة الرائعة، فكأنه اعتبر الروعة والغرابة في الاستعارات الثلاث.

وفي الدلائل تحقيق «شاكر» زيادة: «المقصود لفظ خسأت»^(١).

فإذا كانت الزيادة من كلام الشيخ عبد القاهر يكون لفظ «خسأت» هو المخصوص بالروعة والجمال، وإذا كانت الزيادة من الناسخ يكون الشيخ قد اعتبر الاستعارات الثلاث.

وببدو أن الشيخ قصد الاستعارات الثلاث بدون تخصيص؛ لأن لفظ «خسأت» ليس أروع استعارة فيها بل إن استعارة الظار آنق وأجمل.

بدأ الشاعر قصيدته هذه راجياً عمرة أن تنيله قبل سفره، وذكر أنها أخلفت الوعد، وعزا ذلك إلى طبع النساء، ثم أعلن عزمه على قطعها بالرحلة على ناقة، وصفها، وشبهها بالنعامة، فاستطرد في نعتها، ثم فخر بسبائه الخمر، ونحره الجزر لأصحابه وبشدة بأسه في لقاء العدو بفرسه وسلاحه، ثم تحدث عن استلابه قلوب الغواني^(٢)، ثم بعد ذلك جاء بيّتي الشاهد يفاخر فيهما بقدرته على مقارعة خصمه بالحجة الساطعة والقول الفصل، ولكي يصور لنا قوته وبراعته أعلى من شأن خصمه، فذكر أنهم قوم جاهدون لا يستهان بهم معروفون بالحدة والشدة والشر، وأن صدورهم مليئة بالشر والكلام الباطل القبيح، وصوّرهم بهذه

(١) الدلائل: شاكر: ٧٧.

(٢) المفضليات: ١٢٨.

الصورة التي توحى بأنه لا يستطيع منازلتهم أحد، ولا يقدر على مقارعتهم كل إنسان، حتى إذا ما ارتسمت هذه الصورة في الأذهان، وانبهرت بها النفوس، يُفاجئ الشاعر خيالنا بصورة أخرى يكون هو بطلها، ويرسمها بلون بلاغي يضائل من الصورة الأولى، ويجعل الثانية هي الأمكن، فيتخذ من الاستعارة مادة يلون بها صورته، ويلبس الاستعارة نوعاً من التهكم والسخرية بهم، ليتم له بذلك محو صورتهم والتقليل من شأنهم، فشبه توجيه الإساءة إليهم بالظار، فكأنه أرضعهم الإساءة وأرغمهم على قبولها، فظأرتهم معناها أرضعتهم الإساءة وتمكنت منهم وقبلوها، وفي هذا استهانة بهم وتهكم وسخرية بشجاعتهم؛ ولكي يبين أن حججه من القوة بمكان، وأن ما أتوا به ما هو إلا باطل مستهان استعار لفظ «خساً» - وهو بمعنى زجر مع الذل والاستهانة - للدفع والإزالة وفي هذا توكيد لضعف أمرهم وتحقير لما أتوا به من الحجج وتصغير لشأنهم.

(الرجز)

الشاهد السابع عشر^(١):

ابن المعتز^(٢):

حَتَّى إِذَا مَا عَرَفَ الصَّيْدُ أَنْصَارَ^(٣) وَأَذِنَ الصُّبْحُ لَنَا فِي الْإِبْصَارِ^(٤)

(١) الدلائل، رضا: ٦١، خفاجي: ١٢٠، شاکر: ٧٧.

(٢) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي (٢٤٧ هـ - ٢٩٦ هـ) أبو العباس: الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة، فبعد أن آلت الخلافة إلى المقتدر العباسي استصغره الناس، فخلعوه وبيعوا ابن المعتز فأقام يوماً وليلة، ثم وثب عليه غلمان المقتدر، فخلعوه، وقتله خنقاً واحد منهم يدعى مؤنس، ولابن المعتز مؤلفات كثيرة منها: «الزهر والرياض» و«البدیع» و«الأدب» و«الجامع في الغناء» و«الجوارح الصيد» و«طبقات الشعراء»، وله ديوان شعر في جزأين.

انظر ترجمته:

الأغاني: ٣٧٤/١ - ٢٨٦، أشعار أولاد الخلفاء: ١٠٧ - ٢٩٦، ثمار القلوب: ١٥٠، تاريخ بغداد: ٩٥/١٠ - ١٠١، العبر: ٤٣٠/١، وفيات الأعيان: ٧٦/٣ - ٨٠، فوات الوفيات: ٢٣٩ - ٢٤٦، معاهد التنصيص: ٣٨/٢ - ٤٧، الشذرات: ٢٢١/٢ - ٢٢٤، الأعلام: ١١٨/٤ - ١١٩.

(٣) أنصار: من صار الأمر إلى كذا يصير صيراً ومصييراً وصيرورة، وصيره إليه، وأصاره، =

وهو من أبياته في الطرديات، ومطلع القصيدة:
قَدْ أَغْتَدِي أَوْ بَاكِراً بِأَسْحَارٍ وَنَحْنُ فِي جَلْبَابٍ لَيْلٍ كَالْقَارِ

وبعده بيت هو قبل الشاهد:
شُدَّ عَلَيْنَا بِعُرى وَأَزْرَارٍ كَأَنَّهُ جِلْدَةٌ نُوبِيٍّ عَارِ

وبعده الشاهد وبعده:
جَلَا لِكُلِّ شَبَحٍ نَائِي الدَّارِ فَارِسُ كَفِّ مَائِلٍ كَالْأَسْوَارِ
ذُو جُوجُو^(١) مِثْلَ الرِّخَامِ الْمِرْمَارِ أَوْ مُصْحَفٍ مُنَمِّمٍ ذِي أَسْطَارِ

الشاهد فيه كابقه، فجبهة الغرابة في الاستعارة هنا في كلمة «أَذَن» نفسها.

ويبدو أن وجه الحسن في الاستعارة في كون الشاعر ملأ طول الليل، وإطباق الظلام؛ لأن الصيد في الظلام متعذر، فكان الشاعر ظل واقفاً طوال الليل ينتظر طلوع النهار، فعندما بدأ النور بالظهور رأى كل شيء وقد بدأ يتحرك، فدبت الحركة في الحياة، وتحفز البازي للصيد وتجمع له، ومن هذه الحركة التي تبدأ عند ظهور النور استمد الشاعر صورته، فجعل الصبح وكأنه كائن يتحرك يأمر وينهى ويأذن «على سبيل الاستعارة المكنية»، ويمكن أن نقول:

«شبه ظهور النور بالإذن بجامع السماح، وتمكن الرؤية في كل على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية».

= والصبورية مصدر صار يصير، أي تهيأ وتجمع للوثب.. انظر: اللسان: مادة «صير»:

٤/٤٧٧. هذا على رواية الدلائل تحقيق رضا: ٦٤، خفاجي: ١٢٠.

أما رواية الديوان - دار المعارف -، والدلائل، شاكر، والإيضاح، وشرح أبيات الإيضاح: «الضار».

(٤) لم أجده في ديوانه - دار صادر - وهو موجود في ديوانه - دار المعارف - ١٢٥/٢. وذكر الأستاذ شاكر أنه موجود في ديوانه - طبعة استانبول، ولم أقف عليها بعد. الإيضاح:

٢/٤٢٣. شرح أبيات الإيضاح: - النسخة الأزهرية - رقم الشاهد: ٣٦٥.

(١) الجُوجُو: عظام صدر الطائر والجمع: الجأجيء. اللسان: مادة «جأجأ»: ٤٢/١.

وفي شرح أبيات الإيضاح معنى غير الذي ذهبت إليه . جاء فيه :

«البيت لابن المعتز، عرف مبنى للفاعل، الصيد بمعنى الضاري المتعود للصيد من ضَرِي الكلب بالصيد، وأراد بالصيد الضاري الجوارح المعلمة التي كانت معهم^(١)، كانت الجوارح بسبب الظلام لا تعرف ما كانت تصيده وكانوا لا يبصرون به ما أرادوا إبصاره فكأن الظلام منعهم عنه، يقول سرنا طول الليل حتى إذا عرفت الجوارح الصائدة الضارية بإسفار الصبح ما كانت تصيده، وأذن لنا وأجازنا ضوء الصبح في إبصار ما نريده، ونطلبه، فعلنا ما فعلنا»^(٢).

(الوافر)

الشاهد الثامن عشر^(٣) :

ابن المعتز:

بَخِيلٌ قَدْ بُلِيتُ^(٤) بِهِ يَكْذُ الْوَعْدَ بِالْحُجَجِ^(٥)^(٦)

وبعده:

عَلَى بُسْتَانٍ خَدَّيْهِ زَرَّافِينَ^(٧) مِنَ السَّيْحِ^(٨)

وهما بيتان لا ثالث لهما.

(١) انظر معنى الضار في اللسان مادة «ضرا»: ٤٨٢/١٤.

(٢) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - رقم الشاهد: ٣٦٥.

(٣) الدلائل، رضا: ٦١، خفاجي: ١٢٠، شاکر: ٧٧.

(٤) رواية الديوان: «شقيت».

(٥) رواية الديوان: «باللجج»، واللجاج هو التمادي في الشيء، ولج في الشيء تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنه - فالمعنى هنا أنه يكذ الوعد بالعناد وعدم الوفاء. انظر: اللسان «لجج»: ٣٥٣/٢.

(٦) ذكر الأستاذ محمود شاکر بأن البيت ليس في المطبوع من شعر ابن المعتز، وقد وجدته في ديوانه - دار صادر -: ١٩.

(٧) زرافين: جماعات. اللسان: «زرف»: ١٣٤/٩.

(٨) السياج: الحظيرة من الشجر تُجعل حول الكرم والبستان، وقد سَيَّج على الكرم ويقال: حَظَرَ كَرْمَهُ بالسَّيَّاج، وهو أن سَيَّج حائطه بالشوك لئلا يُتَسَوَّر اللسان «سَيَّج»: ٣٠٣/٢.

والشاهد فيه كسابقه، فالغرابة في الاستعارة هنا في نفس كلمة «يَكْذُ» حيث استعار الكَذُ لإخلاف الوعد.

فالشاعر هنا يصف محبوباً بخيلاً يَعُدُّه بالعطاء، ولكنه يُخْلِفُ، ويطيل الإخلاف ويتحل شتى المعاذير، ويتذرع بألوان كثيرة من الحجج يعتذر بها عن الوفاء، ولكثرة هذه الحجج عبر عنها بأنها تكذ الوعد أي تتبعه، فجعل من المادة المعنوية «يَكْذُ الوَعْدُ» مادة متحركة، فمماثلة ذلك البخيل، وكثرة إخلافه الوعد أنطقت وحركت الشعور فيما لا يحس، فليس هو وحده الشقي فحسب بل حتى الوعود قد أصابها الملل والإعياء.

ولعمق إحساسه وتأثره بموقف هذا البخيل نراه قد ابتدأ البيت بقوله: «بخيلٌ» حيث حذف المبتدأ - فلم يقل «هُوَ بَخِيلٌ» - وجاء بالخبر نكرة ليرز لنا حقارة ذلك الخلق وشناعته، ثم جاء بحرف التحقيق «قد» ليؤكد تحقق وقوع البلاء به.

الشاهد التاسع عشر^(١):

ابن المعتز:
يُنَاجِينِي^(٢) الْإِخْلَافُ مِنْ تَحْتِ مَطْلِهِ فَتَخْتَصِمُ الْأَمَالُ وَالْيَأْسُ فِي صَدْرِي^(٣)

وقبل الشاهد:

وَمُسْتَبْصِرٍ فِي الْعُذْرِ مُسْتَعِجِلِ الْقَلْبِ بَعِيدٍ مِنَ الْعُتْبَى قَرِيبٍ مِنَ الْهَجَرِ

(١) الدلائل، رضا: ٦١، خفاجي: ١٢، شاکر: ٧٧.

(٢) نَجَاهُ نَجْوَاً وَنَجْوَى: سَارَهُ، وَالنَّجْوُ السَّرُّ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ: نَجَوْتُهُ نَجْوَاً أَيْ سَارَزْتُهُ، وَفِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ: «وَمِنَ الْمَجَازِ وَالْكُنَايَةِ.. الْهَمُومُ تَنْتَجِي فِي صَدْرِهِ وَتَنْجَاجِي، وَبَاتَ الْهَمُّ يَنْجَاجِي».

انظر: اللسان «نجا»: ٣٠٨/١٥، أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: «نَجْو»: ٤٤٨.

(٣) لم أجده في ديوانه - دار صادر - وكذلك الأستاذ شاکر ذكر في تحقيق الدلائل أنه لم يجده في شعره المطبوع.

انظر البيت في: أشعار أولاد الخلفاء: ١٩١، الإيضاح: ٤٢٣/٢، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد رقم: ٣٦٧.

وبعده الشاهد وبعده:

قَدِيرٌ عَلَى مَا سَاءَنِي مُتَسَلِّطٌ جَرِيٌّ عَلَى ظُلْمِي أَمِيرٌ عَلَى أَمْرِي
بِنَفْسِي سِقَامٌ مَا يُدَاوِي مَرِيضُهُ خَفِيٌّ عَلَى الْعَوَادِ بَاقٍ عَلَى الدَّهْرِ
أَلْفَتْ الْهَوَى حَتَّى قَلَّتْ نَفْسِي الْقِيْلَا وَطَالَ الضُّعَى حَتَّى صَبَرْتُ عَلَى الصَّبْرِ

الشاهد في البيت كسابقيه في أن غرابة الاستعارة في الكلمة ذاتها، ولم يعين الشيخ موضع الشاهد هنا، ففي البيت استعارتان رائعتان، الأولى في قوله: «يُنَاجِينِي» حيث استعار المناجاة للخطور بالقلب، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

والثانية في قوله «فتختصم» حيث استعار الاختصام للازدحام والتجاذب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والأمال واليأس قرينة.

فالشاهد هنا يصور تصويراً دقيقاً نفسية الشاعر القلقة التي يتجاذبها اليأس والأمل، فتارة يشيع فيها الاطمئنان وتارة يسيطر عليها الخوف والاضطراب، فهو أشد ما يخاف ويخشى الإخلاف والمماطلة.

وما أروع تصويره لخوفه هذا بقوله: «يُنَاجِينِي الإخلاف» أي يُسَارِنِي، فالإخلاف لم يقع بعد إنما هو مجرد خطور بالقلب، ومحادثة جرت في النفس، ثم إن اللفظة «تحت» إيحاءها إذ يتفقت الإخلاف من هذا المطل تفلتاً أثار النفس وجعلها في قمة اضطرابها حيث تدافعت وتزاحمت الأمال واليأس في صدره، وما أروع لفظة «تختصم» التي صورت هذا النزاع القائم بين رجائه وخوفه، وما فيها من حيوية، وحركة، وصخب، وضجيج ناسب شدة القلق وقوة الأمل.

ثم أنظر إليه كيف جمع «الأمال» و«اليأس» وجعلهما قوتين غير متكافئتين؛ ليصور شدة تعلقه بمحبوبه وتمنيه ورجاءه الوصال.

وقيد كون الاختصام في الصدر؛ ليدل على شدة تألمه وتوجعه، وما ألطف وأدق مجيء «الفاء» في قوله: «فتختصم» فمعنى التعقيب الذي يشيع فيها ناسب معنى الازدحام والاضطراب، إضافة إلى أنها ضبطت تسلسل الموقف، والمعاني، والأحداث، وجعلت المعنى كلاً متداخلاً.

ثم تأمل جمال الطباق بين «يُنَاجِينِي وَتَخْتَصِمُ» - باعتبار لازميتهما - وبين
الآمال واليأس، وما بعث في البيت من حركة.

* * *

الشاهد العشرون^(١):

(الطويل)

قول الشاعر أنشده الجاحظ:

لَقَدْ^(٢) كُنْتُ فِي قَوْمٍ عَلَيْكَ أَشِحَّةٌ بِنَفْسِكَ^(٣) إِلَّا^(٤) أَنْ مَا طَاحَ طَائِحُ
يَوْدُونَ لَوْ خَاطُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ وَلَا^(٥) تَذْفَعُ الْمَوْتَ النَّفُوسُ الشَّحَائِحُ^(٦)

ذكرهما الشيخ من غير نسبة، وهما للأغر الشكري^(٧).

يبدو أن الشيخ جعل هذا الشاهد من قبيل قول الشاعر:

«وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ»

-
- (١) الدلائل، رضا: ٦١، خفاجي: ١٢٠، شاکر: ٧٧.
(٢) رواية الروض الأنف: «لَوْ كُنْتُ»، ويبدو أن رواية «لَقَدْ» أنسب وأجمل لمعنى البيت.
(٣) رواية العقد الفريد: «بِحَبِّكَ».
ورواية الروض الأنف: «أَشِحَّةٌ عَلَيْكَ».
(٤) رواية البيان والتبيين: «لَوْ أَنَّ مَا طَاحَ طَائِحُ».
(٥) رواية البيان والتبيين والروض الأنف: «وَهَلْ يَذْفَعُ».
ورواية العقد الفريد والأشباه والنظائر: «وَلَا يَذْفَعُ» بالياء بدلاً من التاء.
(٦) انظر البيتين في: البيان والتبيين: ٥٠/١، الشعر والشعراء: ٧٦٢/٢، العقد الفريد: ٢٨٠/٣، الأشباه والنظائر: ٢٠٤/٢، زهر الآداب: ٤٧٥/٢، الروض الأنف: ٢٤/٢.
(٧) ذكرت هذه النسبة في البيان والتبيين، وفي المؤلف والمختلف: ٤٠، شاعران من بني
يشكر يقال لهما: «الأغر». أحدهما: الأغر بن عبيد الله بن جمال بن ذريح بن عدي بن
مطمع بن عبد جشم بن عامر بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر وائل، شاعر فارس.
والثاني: هو الأغر بن مانوس أحد بني يشكر بن بكر أيضاً، شاعر له في بني يشكر قصيدة
طويلة جيدة.
ونسب البيت الأول في الأشباه والنظائر لمطوَّف بن جَعْفُونَة الضَّبِّي. وذكر البيت الثاني على
أنه نظير للبيت الأول ونسب للمشارك الموصلي.
وذكر البيتان في الشعر والشعراء والعقد، وزهر الآداب والروض الأنف من غير نسبة.

بدليل ذكره هذا الشاهد في فقرة جديدة ابتدأها بقوله: «ومما هو في غاية الحسن، وهو من الفن الأول»، وأول فن ذكره في هذا الباب هو ما ترجع فيه غرابة الاستعارة إلى الصياغة والتركيب ولعل غرابة الاستعارة هنا في أنه استعار «خاطوا» للحفاظ، وبأن قدم الجار والمجرور «عليك»، وقيد كون الخياطة في الجلود. فالبيتان فيما يبدو في رثاء شخص عزيز أثار فقده الحزن والألم في نفس الشاعر فنراه يصوغ البيتين بأسلوب يكشف رقة عاطفته وصدق إحساسه، فابتدأ كلامه بلام التوكيد مع حرف التحقيق «لقد» وقدم الجار والمجرور «عليك» على قوله أشحة ليبين مكانة ذلك الشخص في نفوس قبيلته، فصور خوفها، وحرصها عليه، وأنها بخيلة شحيحة بتلك النفس الطيبة.

ثم يستسلم الشاعر للقضاء والقدر، ويقرر أن ما قَدَّر له الهلاك فهو هالك، ويؤكد هذه الحقيقة بحرف التوكيد «أن»، وجاء بالاسم الموصول «ما» لأن في ذكر الاسم صريحاً ما يسبب الآلام ويثير الأشجان، أو أن «ما» هنا تدل على مطلق الحقيقة أي أن كل شيء زائل وهالك.

ويلجأ الشاعر إلى تكرار المعنى، ليقرر في النفوس عظم مكانة ذلك الشخص في قومه، فجاء بالاستعارة الرائعة «خاطوا» فشبه الحرص، وشدته بالخياطة بجامع الضم والتماسك في كل على سبيل الاستعارة التصريحية، وقدم الجار والمجرور «عليك» وقيد كونها في جلودهم، فدل بمجموع ذلك كله على شدة الحرص والخياطة والحفاظ عليه.

وتصرخ الحقيقة مرة أخرى، وتقرر بأداة النفي «لا» «لا يدفع الموت النفوس الشحائح» أنه مهما حرصت النفس وحاولت دفع المكروه لا تستطيع أن تحول من نفاذ القدر، وعلى رواية «هل يدفع الموت النفوس الشحائح» تكون الحقيقة قد أعلنت بوجه أقوى حيث جاء الشاعر بأسلوب الاستفهام «هل» ليقرر تلك الحقيقة، ويزجر تلك العواطف التي تثور بين حين وآخر، ويوقظها على الحقيقة التي لا مفر منها لكي تخف وتهدأ، «فهل» هنا بمعنى النفي أيضاً أي «لا يدفع الموت النفوس الشحائح».

قول بشار^(٢):

وَصَاحِبٌ كَالدُّمْلِ (٣) الْمُمِدُّ (٤)
حَمَلْتُهُ (٥) فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي (٦) (٧)

- (١) الدلائل، رضا: ٦٢، خفاجي: ١٢٠، شاکر: ٧٨.
(٢) هو بشار بن برد العُقيلي (٩٦هـ - ١٧٦هـ أو ١٦٨هـ) أصله من طخارستان (غربي نهر جيحون) ونسبته إلى امرأة عقيليه أعتقته من الرق. كنيته أبو معاذ، ويلقب بالمرعث، ومحلّه في الشعر، وتقدمه طبقات المحدثين فيه، بإجماع الرواة، ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك، وهو من مخضرمي شعراء الدولتين العباسية والأموية. وُلد بشار مكفوفاً وكان أبوه طياناً، وقد هجاء بذلك حمّاد عجرد، كان كثير التلون في ولاته للعرب مرة وللعجم أخرى. انظر ترجمته:
الشعر والشعراء: ٧٦١/٢ - ٧٦٤، طبقات ابن المعتز: ٢١ - ٣١، الأغاني: ١٣٥/٣ - ٢٥٠، الموشح: ٢٢٣ - ٢٢٧، أمالي المرتضى: ١٢٨/١ - ١٣١ - ١٣٣، ١٣٤، ١٦٣، ٥٠٩ - ٥١٠، ٥٥٤، ٦٠٧، ٣٥/٢، ٦٣ - ٦٤، ١٢٦، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٩ - ١٤٢، تاريخ بغداد: ١١٢/٧ - ١١٨، سمط اللآلي: ١٩٦/١ - ١٩٨، وفيات الأعيان: ٢٧١/١ - ٢٧٤، نكت الهميان: ١٢٥ - ١٣٢، لسان الميزان: ١٥/٢ - ١٦، شذرات الذهب: ٢٦٤/١، معاهد التنصيص: ٢٨٩/١ - ٣٠٤، الأعلام: ٥٢/٢.
(٣) رواية تاريخ بغداد: «كالرسل».
(٤) رواية الإعجاز والإيجاز: «المجد» أي الجديد.
ومعنى الممد: المدة بالكسر: ما يجتمع في الجرح من القبح. اللسان: «مدد»: ٣٩٩/٣.
(٥) رواية العقد الفريد: «وجعلته».
(٦) رواية الديوان للشاهد:

وَصَاحِبٌ كَالدُّمْلِ الْمُمِدُّ
أَرْقُبُ مِنْهُ مِثْلَ يَوْمِ الْوَرْدِ
حَمَلْتُهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي
صَبْرًا وَتَنْزِيهَا لِمَا يُؤْدِي

ويوم الورد: يوم نوبة الحمى شبه يوم زيارته بيوم مجيء الحمى.

(٧) انظر البيت في:

ديوانه: - تحقيق الطاهر بن عاشور: ١٥٩/٢، البيان والتبيين: ٥٠/١، الشعر والشعراء: =

والبيت من أرجوزة قالها في مدح عقبه^(١) بن سلم ومطلعها^(٢):
يَا طَلَّلَ الْحَيَّ بِذَاتِ الضُّمْدِ^(٣)
بِاللَّهِ حَدَّثَ كَيْفَ كُنْتُ بَعْدِي

وقبل الشاهد:

الْحُرُّ يُوصَى^(٤) وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ
وَلَيْسَ لِلْمُلْجِفِ مِثْلُ الرَّدِّ

= ٧٦٢/٢، طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٦، العقد الفريد: ٢٨٠/٣، الأغاني: ١٧٦/٣،
الأشباه والنظائر للمخالدين: ٢٠٤/٢، المنصف في نقد الشعر: ٥٨٠، الإعجاز والإيجاز:
١٥٧، ١٥٨، زهر الأداب: ٤٧٤/٢، تاريخ بغداد: ١١٦/٧.

(١) هو عقبه بن سلم «بفتح السين وسكون اللام» الهنائي «بضم الهاء» منسوباً إلى هُناء بن مالك بن فهم من بني دوس، وكناه بشار في بعض قصائده بأبي الملد، ظهر عقبه في خلافة أبي جعفر المنصور؛ ذلك أن المنصور أولى على البصرة ابن أخيه محمد بن أبي العباس السفاح، فاستعفاه من ذلك فأعفاه، واستخلف بالبصرة عقبه بن سلم، فأقره المنصور عليها، وفي سنة ١٥١ هـ. سار عقبه من البصرة إلى البحرين، واستخلف عليها ابنه، فقتل عقبه سليمان بن الحكيم وسمى أهل البحرين، ثم عزله المنصور عن البصرة، وبقي بلا عمل حتى توفي سنة ١٦٧ هـ.
انظر ترجمته:

المعارف: ١٠٨، الاشتقاق: ٤٩٨، تاريخ الطبري: ٤٠/٨، جمهرة أنساب العرب - ابن حزم -: ٣٨٠، الكامل لابن الأثير: ٣٤/٥.

(٢) ذكر في البيان والتبيين، وشرح ديوانه أن هذه الأبيات أنشدها بشار بحضرة عقبه بن سلم، وقصتها أن عقبه بن رؤية أنشد عقبه بن سليم رجزاً يمتدحه به، وبشار حاضر، فأظهر بشار استحسان الأرجوزة، فقال له عقبه بن رؤية: هذا طراز يا أبا معاذ لا تحسنه فقال بشار: أَلَمْثَلِي يَقَالُ هَذَا الْكَلَامُ؟ أَنَا وَاللَّهِ أَرْجَزُ مِنْكَ وَمِنْ أَيْبِكَ وَمِنْ جَدِّكَ، ثُمَّ غَدَا عَقْبَةُ بْنُ سَلَمٍ بِأَرْجُوزَتِهِ هَذِهِ.

(٣) رواية الأغاني «الصمد» بصاد مهملة: والصمد بفتح أوله وإسكان ثانيه وبعده دال مهملة: موضع في ديار بني يربوع. معجم ما استعجم: ٨٤١/٢، وفي معجم البلدان ماء للضباب.

(٤) رواية الأغاني: «الْحُرُّ يُلْحَى».

فَارْضَ بِنَصْفٍ وَأَرْخَ فِي الْقَصْدِ
النُّصْفُ يَكْفِيكَ مِنَ التَّعَدِّي

وبعدهما الشاهد وبعده:

حَتَّى أَنْطَوَى غَيْرَ فَقِيدِ الْفَنْدِ^(١)
وَمَا دَرَى مَا رَغَبْتَنِي مِنْ زُهْدِي

يبدو أن الشيخ أراد أن يذكر نظيراً لمعنى «خاطوا» فجاء بهذا البيت، وفيه «حملته في رقعة من جلدي» فهذا وجه المشابهة بين هذا الشاعر وما قبله.

ويجوز أن يكون الشاهد فيه كالبيت السابق حيث استعار «الحمل» للاحتفاظ مع ملاحظة التشبيه وما يعانیه من الألم.

فالشاعر هنا يصف صاحباً له ثقيلاً على نفسه، وصور هذا الثقل بعدة طرق: حيث شبه هذا الصاحب بالذمّل المليء بالقريح والصديد، وفي هذا الوصف ما يبعث الاشمئزاز والنفور في النفس، ثم استعار لفظ «الحمل» للاحتفاظ به، وقيد كون هذا الحمل في رقعة، وقيد كونها «من الجلد» وأضاف لفظ الجلد لياء المتكلم كل ذلك؛ ليبين شدة لصوقه به، وكثرة تألمه منه، فهو مع كونه ثقيلاً وكرهاً لا مفر من حمله.

وكان المتنبي أشار إلى هذا المعنى عندما قال:

وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ^(٢)

وذكر ابن وكيع^(٣) أن المتنبي نظر إلى قول بشار فقال:

وَأِنَّمَا نَحْنُ فِي جِيلٍ سَوَاسِيَةٍ شَرٌّ عَلَى الْحُرِّ مِنْ سَقَمٍ عَلَى بَدَنِ^(٤)

(١) رواية الأغاني: «حتى مضى فقيد الفقد» أي ليس له آثار الفقد من الوحشة والأنس أي أن فقده ليس بفقد.

شرح ديوانه: ١٦٠/٢.

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٣٧٥/١.

(٣) المنصف في فقد الشعر: ٥٨٠.

(٤) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٢٠٩/٤.

ونظير قول بشار في الصورة، وضده في المعنى قول العلوي الكوفي:
 أَيَّامٌ كُنْتُ مِنَ الْغَوَا نَبِي كَالسُّوَادِ مِنَ الْقُلُوبِ
 لَوْ يَسْتَطِيعَنَّ خَبَائِنِي بَيْنَ الْمَخَانِقِ وَالْجُيُوبِ^(١)

ولقد استحسن الثعالبي بيت بشار «الشاهد» مع أبيات أخرى أطلق لأجلها
 على بشار لقب أستاذ المحدثين وبدرهم، وجعله أعجوبة الدنيا، قال: «بشار بن
 برد ويقال ابن برد أستاذ المحدثين وصدرهم، وبدرهم، وأعجوبة الدنيا؛ لأنه كان
 أعمى أكمه، ولد كذلك، وقال مثل قوله:

كَأَنَّ مَشَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَأُسَيْفَانَا لَيْلَ تَهَاوَى كَوَاكِبِهِ

... وقوله:

وَصَاحِبٍ كَالدُّمْلِ الْمُجْدِّ حَمَلْتُهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي^(٢)

ويبدو لي أن الشاهد السابق - «الذي نُسِبَ للأغر» - أملح وجهاً وأظرف
 معنىً، وأدق وأبلغ صورة من قول بشار هذا، فهو دونه في الطبقة، فأين معنى
 الخِيَاطة من الحمل، وأين تخصيص الاحتفاظ برقعة من الجلد، من جعل
 الاحتفاظ في جميع الجلد؟.

الشاهد الثاني والعشرون^(٣):
 (البيسيط)

قول أبي تمام^(٤):

لَا يَطْمَعُ الْمَرْءُ أَنْ يَجْتَابَ^(٥) لُجَّتَهُ^(٦) بِالْقَوْلِ مَا لَمْ يَكُنْ جِسْرًا لَهُ الْعَمَلُ^(٧)

(١) الأشباه والنظائر للخلالدين: ٥٦/٢.

(٢) الإعجاز والإيجاز: ١٥٧ - ١٥٨.

(٣) الدلائل، رضا: ٦٢، خفاجي: ١٢١، شاکر: ٧٨.

(٤) مضت ترجمته عند البيت الثالث من أبيات المدخل: ص ٧٧.

(٥) جاء في تحقيق ديوانه - بشرح التبريزي - أنه يروى: «يجتاز».

(٦) رواية الديوان - بشرح التبريزي -، والديوان «دار صادر»: «غمرة» لُجَّة الماء «بالضم»

معظمه، وكذلك غمرته أكثره ومعظمه. مختار الصحاح: «لج» ٥٩٢، غمر: ٤٨٠.

(٧) انظر البيت في: ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ١٦/٣، ديوانه دار صعب: ٢٠٢.

وهو من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله^(١)، ومطلعها:
فَحَوَاكَ عَيْنٌ عَلَى نَجْوَاكَ يَا مَذِلَّ^(٢) حَتَّامٌ لَا يَتَقَضَى قَوْلُكَ الْخَطْلُ^(٣)

وقبل الشاهد:

وَمَشْهَدٍ بَيْنَ حُكْمِ الذَّلِّ مُنْقَطِعٍ صَالِيهِ أَوْ بِجِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلُ
ضَنْكَ إِذَا خَرِسَتْ أَبْطَالُهُ نَطَقَتْ فِيهِ الصَّوَارِمُ وَالْخَطِيئَةُ الذُّبُلُ

وبعدهما الشاهد وبعده:

جَلَّيْتُ وَالْمَوْتُ مُبْدٍ حَرٌّ صَفَحَتِهِ وَقَدْ تَفَرَّعْنَ فِي أَوْصَالِهِ الْأَجَلُ^(٤)

ومعنى الشاهد: لا يخدع المرء نفسه بكثرة القول والكلام، فإنه لا يستطيع أن يحقق آماله، ولا أن يخوض غمار الحروب، ويحرز البطولات والانتصارات إن لم يجعل العمل سبيله، كما أن الماء لا يجتاز معظمه إلا عن طريق الجسر.

(١) هو محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن منصور (١٧٩ هـ وقيل ١٨٠ هـ - ٢٢٧ هـ) أبو إسحاق، من أعظم خلفاء الدولة العباسية، بوع بالخلافة سنة (٢١٨ هـ) يوم وفاة أخيه المأمون ويعهد منه، وهو فاتح عمورية من بلاد الروم الشرقية، وهو باني مدينة سامراء، وهو أول من أضاف إلى اسمه اسم الله تعالى من الخلفاء، فقبل المعتصم بالله، كانت خلافته ثمانين سنين وثمانية أشهر وخلف ثمانية بنين وثمانين بنات مات وعمره (٤٨) سنة. انظر ترجمته:

تاريخ الطبري: ٦٦٧/٨، ٧/٩ - ١١١، الفخري في الآداب السلطانية: ٢٢٩ - ٢٣٥، مروج الذهب: ٤٦/٤ - ٦٤، التنبيه والإشراف: ٣٢١ - ٣٢٨، تاريخ بغداد: ٣٤٢/٣ - ٣٤٧، الكامل لابن الأثير: ٢٣١/٥ - ٢٦٦، فوات الوفيات: ٤٨/٤ - ٥٠، الأعلام: ١٢٧/٧ - ١٢٨.

(٢) المَذِلُّ: الباذل لما عنده من مال أو سر، والمعنى هنا الذي يفشي السر. اللسان «مذل»: ٦٢١/١١.

(٣) الديوان - شرح التبريزي -: ٥/٣، - دار صعب -: ٢٠٠.

(٤) الديوان - شرح التبريزي -: ١٦/٣، - دار صعب -: ٢٠٢.

قول أبي تمام - أيضاً^(٢):

بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْعُظْمَى فَلَمْ تَرَهَا تَسْأَلُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التُّعَبِ^(٣)

وهو من قصيدته المشهورة التي مدح بها المعتصم بالله، وذكر فتح عمورية، ومطلعها:

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ^(٤) مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللُّعِبِ^(٥)

وقبل الشاهد:

خَلِيفَةُ اللَّهِ جَازَى اللَّهُ سَعْيَكَ عَنْ جَرثُومَةٍ^(٦) الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ^(٧)

وبعده الشاهد وبعده:

أَنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَجْمٍ مَوْضُوعَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبٍ
فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّائِي نَصِرْتَ بِهَا وَبَيْنَ أَيَّامٍ بَدْرٍ أَقْرَبُ النَّسَبِ^(٨)

ومعنى الشاهد: أنك ذو بصيرة وحكمة إذ أدركت أن الراحة الكبرى، والنصر لا يمكن الحصول عليهما إلا بالتغلب على المصاعب والمتاعب.

(١) الدلائل، رضا: ٦٢، خفاجي: ١٢١، شاکر: ٧٨.

(٢) رواية الديوان - دار صعب - وشرح الديوان - محمد محيي الدين عبد الحميد، وأخبار أبي تمام للصولي: «الكبرى».

(٣) انظر البيت في:

ديوانه -: دار صادر -: ١٧، شرح ديوانه محمد محيي الدين -: ٢٨، أخبار أبي تمام للصولي: ١١٣.

(٤) تُقْرَأُ بالكسر، فتكون مصدر «أَنَبَأَ» أي أخبر، وتُقْرَأُ بالفتح فتكون جمع «نبأ» وهو الخبر العظيم. تحقيق الديوان لمحمد محيي الدين: ١٥.

(٥) ديوان - دار صعب -: ١٤، شرح الديوان لمحمد محيي الدين: ١٥.

(٦) جرثومة كل شيء أصله ومجتمعه. اللسان «جرثم»: ٩٥/١٢.

(٧) ديوان - دار صعب -: ١٧، شرح ديوانه - محمد محيي الدين -: ٢٨.

(٨) انظر: المصدرين السابقين نفس الصفحة.

الشاهد الرابع والعشرون^(١):

(السيط)

قول ربيعة الرقي^(٢):

قُولِي نَعَمْ وَنَعَمْ إِنْ قُلْتِ وَاجِبَةً قَالَتْ عَسَى جِسْرٌ إِلَى نَعَمْ^(٣)^(٤)
وهو من قصيدة غزلية أولها:
دَسْتُ سَعَادَ رَسُولًا غَيْرَ مُتَّهِمٍ
وقبل الشاهد:

أَهْلًا بِطَيْفِكَ يَا سَعْدَى الْمِلْمِ بِنَا طَيْفٌ يَسِيرُ بِلَا نَجْمٍ وَلَا عِلْمٍ
أَنْتِ الضَّجِيعُ إِذَا مَا نَمْتُ فِي حُلْمِي وَالنَّجْمُ أَنْتِ إِذَا مَا الْعَيْنُ لَمْ تَنَمْ
مَا أَكْذَبَ الْعَيْنَ وَالْأَحْلَامَ قَاطِبَةً أَصَادِقُ مَرَّةً فِي وَصْلِهَا حُلْمِي

وبعدها الشاهد وبعده:

أَنْعَمْتُ نَعْمَى عَلَيْنَا لَسْتُ أَنْكَرُهَا حَتَّى أُغَيَّبَ فِي مَلْحُودَةِ الرَّجَمِ^(٥)^(٦)

(١) الدلائل، رضا: ٦٢، خفاجي: ١٢١، شاکر: ٧٩.

(٢) هو ربيعة بن ثابت الأنصاري، كنيته أبو شَبَابَه، وقيل إنه يكنى أبا ثابت، ولقبه أبو ثابت، وكان ينزل الرقة، وبها مولده ومنشؤه، مدح المهدي فأثابه، وهو من المكثرين المجيدين، وكان ضريراً، وإنما أحمل ذكره وأسقطه عن طبقته بعده عن العراق، وتركه خدمة الخلفاء، ومخالطة الشعراء، وذكر ابن المعتز أنه أغزل من أبي نواس، توفي ربيعة الرقي: (١٩٨ هـ):

انظر ترجمته:

طبقات ابن المعتز: ١٥٧ - ١٧٠، الأغاني: ٢٥٤/١٦ - ٢٦٥، نكت الهميان: ١٥١ - ١٥٢، خزائن البغدادي - دار صادر: ٥٥/٣ - ٥٦، الأعلام: ١٦/٣.

(٣) رواية طبقات ابن المعتز للبيت:

قُولِي نَعَمْ إِنَّهَا إِنْ قُلْتِ نَافِعَةً لَيْسَتْ عَسَى وَعَسَى صَبْرٌ إِلَى نَعَمْ
وعليها فلا شاهد.

(٤) انظر البيت في:

ديوانه: ٩٢، طبقات ابن المعتز: ١٦٧.

(٥) الرّجَم: القبر. المصباح المنير: ٢٣٧/١.

(٦) الأبيات نقلاً عن: ديوانه: ٩١ - ٩٢، طبقات ابن المعتز: ١٦٧.

ومعنى الشاهد: طلب الشاعر من محبوبته أن تجيبه إلى مطلبه بنعم، فأجابته بعسى، ورضي هو بهذا الجواب؛ لما فيه من الأمل والرجاء الذي قد يوصله إلى منشوده.

ولقد استشهد الشيخ بهذه الأبيات الثلاثة؛ ليثبت أن اللفظ المستعار إنما يحسن بحسب موضعه، وموقعه في الجملة، فكلمة «جسر» لها مذاقها وطعمها الخاص في كل بيت من هذه الأبيات الثلاثة. قال الشيخ:

«ومن سر هذا الباب، أنك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في عدة مواضع، ثم ترى لها في بعض ذلك ملاحظة لا تجدها في الباقي، مثل ذلك أنك تنظر إلى لفظة «الجسر» في قول أبي تمام:

لَا يَطْمَعُ الْمَرْءُ أَنْ يَجْتَابَ لُجَّتَهُ بِالْقَوْلِ مَا لَمْ يَكُنْ جِسْرًا لَهُ الْعَمَلُ

وقوله:

بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْعُظْمَى فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ

فترى لها في الثاني حسناً لا تراه في الأول، ثم تنظر إليها في قول ربيعة الرقي:

قُولِي نَعَمْ، وَنَعَمْ إِنْ قُلْتَ وَاجِبَةً قَالَتْ عَسَى وَعَسَى جِسْرٌ إِلَى نَعَمْ

فترى لها لطفًا، وخلافةً، وحسنًا ليس الفضل فيه بقليل»^(١).

فالشيخ عبد القاهر فضل كلمة «جسر» في بيت ربيعة الرقي - «وَعَسَى جِسْرٌ إِلَى نَعَمْ» - وأثنى عليها، واستلطفها، واستحسنها، ورأى أن لفظة «جسر» في بيت أبي تمام الثاني - «فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ» - في الدرجة الثانية من الحسن، وبيته الأول «مَا لَمْ يَكُنْ جِسْرًا لَهُ الْعَمَلُ» في الدرجة الثالثة.

ولكن الشيخ لم يعلل سبب هذا التفضيل ووجهه، وكأنه ترك للقارئ حرية التدقيق، وذلك لما تحمله هذه الكلمة - بحسب موقعها - من معاني تتوقف على الإحساس الشخصي لكل متذوق.

(١) الدلائل، رضا: ٦٢، خفاجي: ١٢٠ - ١٢١، شاکر: ٧٨ - ٧٩.

واللغة لا تكاد تسعف لوضع الفروق الدقيقة، ولكن يمكن أن أقول: إن الصورة التي جاءت فيها كلمة «جسر» في بيت أبي تمام الأول قريبة من صورة الجسر الحقيقية حيث جاء بصورة الاجتياح واللجة فأصبحت بذلك قريبة متناولة لا جدة فيها ولا غرابة.

ولعلها حَسُنَتْ في بيته الثاني؛ لأنه أبعد الصورة قليلاً عن صورتها الحقيقية، فجعل التعب جسراً إلى الراحة، ولم يأت بقرائن تفضح الصورة مباشرة أمام العقل وتكشفها، فتذهب حلاوتها ورونقها.

ولعلها ازدادت دقة ولطافة في بيت ربيعة الرُّقِّي؛ لأنه أغرب فيها وأبعدها عن صورتها الحقيقية فجعل الجسر هنا يربط بين معاني نفسية عاطفية، فالشاعر ابتداء البيت بفعل أمر - «قولي نعم» - يحمل معنى الرجاء والاستعطاف أن تجيبه محبوبته «بنعم» لما يطلبه منها، وبعد هذا الاستعطاف توقع الشاعر أن يجد ما طلب إلا أن صاحبه استطاعت أن تعبت بعواطفه تشد من ذلك تشويقه وتحريك مشاعره، فجاء جوابها يلقه نوع من الغموض، فهي لم تجب بنعم، ولم تجب «بلا» ولكنها أجابته «بعسى»، وعسى هذه بعثت في نفسه الأمل، فهي لا تعني الرفض التام، وإنما هي طريق إلى الرضى، وإلى نعم، فكانما أرادت بهذا الأسلوب أن تُلمَح له بكل عواطفها ومشاعرها قبل أن تنطق بالرضى، فحملت كلمة جسر كثيراً من المعاني النفسية، والعاطفية، وحاطتها بسياج من الغموض والتلميح؛ لأن التلميح في هذا الموقف أشد وقعاً في النفس من التصريح.

وكثيراً ما كان الشعراء المتيمون يجدون في هذا العطاء القليل السلوى والراحة. انظر إلى قول جميل بن معمر الذي يفسر لنا معنى الجسر في قول ربيعة الرُّقِّي:

وَإِنِّي لَرَا ضٍ مِنْ بُشَيْنَةٍ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَرْتُ بِلَابِلُهُ
بَلَاً وَبَلَاً أُسْتَطِيعَ وَبِالْمُنَى وَبِالْوَعْدِ حَتَّى يَسَامَ الْوَعْدُ آيِلُ

وَبِالنَّظَرَةِ الْعَجَلَى وَبِالْحَوْلِ تَنْقِضِي أَوَاخِرُهُ لَا نَلْتَقِي وَأَوَائِلُهُ^(١)

ومن أسرار لطف كلمة جسر في بيت ربعة الرُّقْي أن كلمة «جسر» فيه قد وصلت بين المعنيين «عسى ونعم» مباشرة فأوحت للخيال بمعنى سرعة الوصول، أما في البيتين السابقين فقد فصل بين لفظة «جسر» وبين المعنيين اللذين تربطهما بعدة ألفاظ، فأفقدنا هذا الفصل ذلك الإحياء الخيالي اللطيف.

ومن الملاحظ في تعليق الشيخ أنه جعل كلمة «جسر» في الأبيات الثلاثة استعارة وهي عند المتأخرين تشبيه، فقد اختلفت الآراء في موضوع التشبيه المضمّر الأداة والوجه، فذهب أكثر علماء البيان المتأخرين إلى أنه تشبيه بليغ، وذهب فريق آخر إلى القول بأنه استعارة، وبنوا رأيهم على أن الاستعارة ليست لها آلة، والتشبيه له آلة، فما كانت فيه آلة ظاهرة، فهو تشبيه، وما لم تكن فيه ظاهرة فهو استعارة^(٢).

وقد حدد الشيخ عبد القاهر الفرق بين هذين الضربين، فذكر أنه إن كان المشبه مذكوراً، أو مقدّراً، وكان المشبه به خبراً، كخبر «كان» و«إن»، والمفعول الثاني لباب «علمت»، فالوجه أن يسمى تشبيهاً، ولا يسمى استعارة، لأن الاسم إذا وقع هذه المواقع كان الكلام موضوعاً لإثبات معناه لما يعتمد عليه، أو نفيه عنه. ثم زاد الشيخ في تحديد الفرق، فذهب إلى أنَّ ما كان التركيب فيه يقبل دخول كل أدوات التشبيه كأن يكون المشبه به معرفة، كان الأسلوب أقرب إلى التشبيه، وأبعد عن الاستعارة.

وإن حسن دخول بعضها دون بعض كأن يكون نكرة غير موصوفة، فإنه لا يحسن دخول كل الأدوات عليها كان أقرب للاستعارة، وإن لم يحسن دخول شيء منها إلا بتغيير صورة الكلام كان إطلاق الاستعارة أقرب لغموض تقدير أداة التشبيه فيه.

(١) شرح ديوان جميل بيته: ٥٨، ويروى الشطر الثاني من البيت الثاني: «وَبِالْأَمَلِ الْمَرْجُوقُ قَدْ خَابَ أَمَلُهُ».

(٢) الطراز: ٢٠٥/١ - ٢٠٧.

وإن أبى المعنى دخول أدوات التشبيه امتنع أن يطلق على الأسلوب لفظ التشبيه. كقول البحري:

وَبَدَّرَ أَضَاءَ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعَ رَحْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمٌ^(١)

فإن رُجع إلى التشبيه، وجُعل المعنى، هو كالبدر لزم وصف البدر المعروف بصفات ليست فيه، ومن هنا ظهر أنه أراد أن يثبت للممدوح صفة مبنية على التخيل، فزاد في جنس البدر واحداً له تلك الصفة، فالكلام موضوع ليس لإثبات الشبه بينهما، ولكن لإثبات تلك الصفة^(٢).

الشاهد الخامس والعشرون^(٣): (الطويل)

قول امرئ القيس^(٤):

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى^(٥) بِصُلْبِهِ^(٦) وَأَرْدَفَ أَعْمَازًا^(٧) وَنَاءً^(٨) بِكُلْكُلٍ^(٩) (١٠)

(١) ديوانه: ٨٠/١.

(٢) الأسرار: - هـ، ريتـ: ٣٠٢/٢ - ٣٠٨، الإيضاح: ٤٠٩/٢ - ٤١٢.

(٣) الدلائل، رضا: ٦٢، خفاجي: ١٢١، شاکر: ٧٩.

(٤) هو حنـج (وقيل مليكة وقيل عدي) بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر أكل المَرَارَ، وأمرؤ القيس لقبه وبه شُهر ولقب بالملك الضِّلِيل، وذو القروح، وكنيته أبو زيد، وأبو وهب، وأبو الحارث، وذو القروح، يمني الأصل، مولده بنجد أو بمخلاف السكاسك باليمن، كان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلحقه المهلهل الشعر فقال له وهو غلام، وكان يعاشر صعاليك العرب، وظل يشب ويلهو حتى بلغه نبأ مقتل والده، فثار على بني أسد طالباً ثار أبيه، مات في أنقره بقروح ظهرت في جسمه.

انظر ترجمته: الشعر والشعراء: ١١١ - ١٤٢، الأغاني: ٧٧/٩ - ١٠٧، جمهرة أنساب العرب: ١٩١ - ١٩٣ - ١٩٦ - ٤٠٣ - ٤٢٧، تهذيب ابن عساکر: ١٠٧/٣ - ١١٠، شرح شواهد المغني: ٩٢/١ - ٩٣، خزانة البغدادی: ١٦٠/١، ٣٠٩/٣ - ٦١٢، الأعلام: ١١/٢ - ١٢.

(٥) مَطَّ الشيء يَمُطُّه مَطًّا: مده، ويجوز أن يكون التمطي مأخوذاً من المطا، وهو الظهر، فيكون التمطي مَدَّ الظهر. شرح الزوزني: ٥٨، اللسان: «مَطَّ»: ٤٠٣/٧.

(٦) رواية الديوان وشرح الجمل للزجاجي، والعمدة: «لما تمطى بجوزه».

والبيت من قصيدته المشهورة التي مطلعها:
قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسْفَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوَمَلِ
فَتَوَضَّحَ فَالْمِقْرَاءَ لَمْ يَغْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جُنُوبٍ وَشَمَالٍ^(١)

وقبل الشاهد:

وَلَيْلٍ كَمْوَجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي

وبعده الشاهد وبعده:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ فِيكَ^(٢) بِأَمَثَلِ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مَغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ يَبْذُبِلِ
كَأَنَّ الثَّرِيَّا عُلِقَتْ فِي مَصَابِيهَا^(٣) بِأَمْرَاسٍ كِتَّانٍ إِلَى صَمٍّ جَنْدَلِ

استشهد الإمام بهذا البيت على أن مما يزيد الاستعارة حسناً وشرفاً أن

(٧) عَجَزُ الشَّيْءِ وَعِجْزُهُ، وَعُجْزُهُ وَعِجْزُهُ: آخره، يذكر ويؤنث، والعَجْزُ: ما بعد الظهر منه. اللسان «عجز»: ٣٧٠/٥.

(٨) ناء في «نِيا» بمعنى بَعْدَ، ناء الرجل مثل ناع، كناية مقلوب منه: إذا بَعْدَ وناء من «نوا» بمعنى ثَقُلَ. اللسان: «نِيا» «نوا»: ١٧٤/١ - ١٧٨.

(٩) الكلكل: الصدر، والجمع كلاكل. شرح الزوزني: ٥٩.

(١٠) ديوان شرح حسن السندوي: ١٥١ - ١٥٢، البديع لابن المعتز: ٧، رسائل ابن المعتز:

٤٠، نقد الشعر: ١٧٧، الموازنة: ٢٣٤، الموشح: ٢٩ - ٣١، ثلاث رسائل في إعجاز

القرآن «بيان إعجاز القرآن» للخطابي: ٦٢، المنصف في نقد الشعر: ٥٣، الصناعتين:

٣١١، إعجاز القرآن للباقلاني: ٧١، العمدة: ٢٧٦/١، سر الفصاحة: ١١٢، حماسة ابن

الشجري: ٢١٦، الإفصاح: ٢٣٤، نثار الأزهار: ١٥، المثل السائر: ١٠٩/٢، شرح

جمل الزجاجي: ٢٢٨/١، الإيضاح: ٤٢٦/٢، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -:

شاهد رقم ١٤٦، شرح شواهد المغني: ٥٧٤/٢.

(١) سيأتي شرح هذه المواضع في موضعها: ص ٨٣٧ - ٨٣٨.

(٢) رواية شرح المعلقات للزوزني: «منك».

(٣) ويروي «مصامها» وكلاهما بمعنى موضعها. ديوان شرح السندوي: ١٥٢.

يجمع الشاعر بين عدة استعارات قصداً إلى أن يلحق الشكل بالشكل ليتم المعنى والشبه. قال:

«ومما هو أصل في شرف الاستعارة أن ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات، قصداً إلى أن يلحق الشكل بالشكل، وأن يُتِمَّ المعنى والشبه فيما يريد، مثاله قول امرئ القيس:

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْذَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً بِكُلْكَلٍ

لما جعل لليل صلباً قد تمطى به، ثنى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب، وثلث فجعل له كلكلاً قد ناء به، فاستوفى له جملة أركان الشخص، وراعى ما يراه الناظر من سواده، إذا نظر قدامه، وإذا نظر إلى خلفه، وإذا رفع البصر ومدّه في عرض الجوّ»^(١).

هذه الأبيات تكشف عن نفسية امرئ القيس المليئة بالهموم العظيمة، والآلام الجسيمة، حتى أصبح يرى كل شيء حوله ثقيلاً طويلاً بطيئاً، ومن ثم سقي خياله بهذه النفسية المتثاقلة، فولدت لنا صوراً تعكس هذا الثقل، حيث نكر لفظ «ليل» للتعظيم من شأنه، لأن الليل هو السبب في زيادة همومه وتضاعفها، ثم شبهه بالموج في تلاطمه وكثافته، وهذا التشبيه يكشف عن دخيلته المضطربة التي تتلاطم في جوانبها الهموم تلاطم أمواج البحر، وأن روحه مظلمة كظلمة هذا الليل.

ولما طال الليل، وأسرف في الامتداد، وناءت أوائله، وازدادت أواخره طولاً، تصوّر الشاعر أن له صلباً وأعجازاً وكلكلاً، فجمع له بذلك جميع الأوصاف الدالة على طوله وامتداده.

وعندما رأى أن طوله قد ازداد، وثقله قد تحكّم في النفس لم ير ملاذاً من ضيقه، وتبديد بعض كآبته إلا أن يتجرأ على مخاطبة الليل، ويتخطى حواجز

(١) الدلائل، رضا: ٦٢-٦٣، خفاجي: ١٢١، شاعر: ٧٩.

الرغبة والخوف، فبدأ مخاطبته بأداة التنبيه «ألا» لتنبيه الليل ولفته إلى أنه سيعلن له عن حقيقة طالما خفيت عليه، وهي تبرمه الشديد وضيقه العظيم به على عكس ما يراه الناس في الليل من الراحة والطمأنينة.

ثم جاء بياء النداء لجزره عن هذا الامتداد، ثم وصفه بأنه طويل لتأكيد هذه الصفة فيه، وأنها متمكنة منه لازمة له.

وبلغ به التبرم والضيق كل مبلغ، فيصرخ أمراً لليل أمر تميز، بالانجلاء والانكشاف «ألا انجل بصبح» حيث توهم أن في إشراقة الصباح تبديد همه وزوال كرب، ولكن لشدة حزنه وألمه يضرب عن قوله وطلبه بالانكشاف، ويعود إلى التحسر والتألم، لأنه اكتشف أن نهاره كليله في اجتماع الهموم، وتراكم الأحزان، فليس أحدهما بخير من الآخر.

وهذا البيت مشهور في كتب الأدب والبلاغة، فقد أورده ابن المعتز في «باب الاستعارة» فقال:

«ومن الاستعارة قول امرئ القيس (من الطويل):
وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مُرْخٍ سُدُولُهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأُرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً بِكُلْكَلٍ

هذا كله من الاستعارة، لأن الليل لا صلب له ولا عجز»^(١).

وابن المعتز ألف كتابه البديع، وجعل منه الاستعارة، وبهذا حكم بكونها من البديع وهو وصف جودة.

ولكنه أورد البيت في رسائله على أنه مما عيب على امرئ القيس. قال:
«وعيب على امرئ القيس قوله: ... البيت.

(١) البديع: ٧.

فانسلخ البيت الأول بوصف الليل من غير أن يذكر ما قال، وجعله متعلقاً بما بعده، وذلك معيب عندهم»^(١).

كما أورده الأمدى في موازنته، واستحسن هذه الاستعارة، ورأى أنها في غاية الحسن والجودة والصحة، ووجه حسنها أنه وصف أحوال الليل الطويل. قال: «وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه ويدانيه، أو يشبهه في بعض أحواله، أو كان سبباً من أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائحة بالشيء الذي استعيرت له، وملائمة معناه، نحو قول امرئ القيس... البيت.

وقد عاب امرأ القيس بهذا المعنى مَنْ لم يعرف موضوعات المعاني، ولا المجازات، وهو في غاية الحسن والجودة والصحة، وهو إنما قصد وصف أجزاء الليل الطويل، فذكر امتداد وسطه، وتناقل صدره للذهاب والانبعاث، وترادف أعجازه، وأواخره شيئاً فشيئاً، وهذا عندي منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته، وذلك أشد ما يكون على من يراعيه ويترقَّب تصرُّمه، فلما جعل له وسطاً يمتد وأعجازاً رادقة للوسط وصدرًا متثاقلاً في نهوضه حَسُنَ أن يستعير للوسط اسم الصُّلب، وجعله متمطياً من أجل امتداده، لأن تمطى وتمدَّد بمنزلة واحدة، وصلاح أن يستعير للصدر اسم الكلكل من أجل نهوضه، وهذه أقرب الاستعارات من الحقيقة، وأشدُّ ملاءمة لمعناها لما استعيرت له»^(٢).

وقد أورد المرزباني البيت وذكر أمر المفاضلة التي أُجريت بين أبيات امرئ القيس، وبيت النابغة في وصف الليل، وذكر أن الصولي قد استحسن أبيات امرئ القيس، فالشعراء قبله قد اتفقوا على أن الهمُّ في الحب يخف عنهم في النهار، ويزيد في الليل، ولم يشذ عنهم، ويخالفهم إلا أحدقهم بالشعر، والمبتديء بالإحسان فيه، أمرؤ القيس، فإنه بحذقه وحسن طبعه قد جعل الليل والنهار سواء عليه في قلقه وهمه وجزعه وغمه فقال:

(١) رسائل ابن المعتز: ٤٠.

(٢) الموازنة - تحقيق محمد محي الدين: ٢٣٤.

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطُّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِ بِصُبْحٍ وَمَا الْإِضْبَاحُ فِيكَ بِأَمْثَلِ

وعلى الرغم من استحسانه لهذين البيتين ذكر أنهما يعابان من وجه آخر، حيث جعل امرؤ القيس البيت الأول متعلقاً بالبيت الثاني، وهذا عيب عند الحذاق بنقد الشعر؛ لأن خير الشعر ما لم يحتج بيت منه إلى بيت آخر قال:

«وأبيات امرئ القيس في وصف الليل أبيات اشتمل الإحسان عليها، ولاح الحذاق فيها، وبيان الطبع بها، فما فيها معاب إلا من جهة واحدة عند امراء الكلام والحذاق بنقد الشعر وتمييزه، ولولا خوفاً من ظن بعضهم أنني أغفلت ذلك ما ذكرته، والعيب قوله بعد البيت الذي ذكرته^(١):

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَزْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً بِكُلْكَلِ

فلم يشرح قوله: «فقلت له» ما أراد إلا في البيت الثاني، فصار مضافاً إليه متعلقاً به، وهذا عيب عندهم؛ لأن خير الشعر ما لم يحتج بيت منه إلى بيت آخر، وخير الأبيات ما استغنى بعض أجزائه ببعض إلى وصوله إلى القافية^(٢).

ورأى ابن الأثير أن هذا ليس بعيب، وهذا ما سندكره عند عرض رأيه.

وأورد الخطابي هذا البيت في رسالته «بيان إعجاز القرآن» عند حديثه عن المعارضة، وذكر كذلك قصة المفاضلة بين أبيات امرئ القيس التي أورد فيها هذا البيت وبين بيت النابغة:

كَلِيلِي لِيَهْمٌ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءٍ الْكَوَاعِبِ

وكانت نتيجة المفاضلة أن الحكم بالحسن كان لبيت امرئ القيس لما فيه من ثقافة الصنعة وحسن التشبيه، وإبداع المعاني. قال:

«وقد رُوي لنا أن الوليد بن عبد الملك، وأخاه مسلمة تنازعا ذكر الليل وطوله، ففضل الوليد أبيات النابغة في وصف الليل، وفضل مسلمة أبيات امرئ

(١) يقصد قوله: «وليل كموج البحر أرخى سدوله...».

(٢) الموشح: ٣١.

القيس، فحكّما الشعبي بينهما، فقال الشعبي: تنشد الأبيات وأسمع، فأنشد للنابغة:

كَلِّبْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاعِبِ
تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَيِّ
وَصَدْرٍ أَرَا حَ الْلَّيْلُ عَازِبَ هَمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

ثم أنشد لامريء القيس:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً بِكُلِّ كَلِ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِلِ بِصُبحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلُ شَدَّتْ بِسَدْبَلِ

قال فركض الوليد برجله، فقال الشعبي: بانت القضية.

قلت: افتتاح النابغة قصيدته بقوله:

كَلِّبْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ

متناه في الحسن، بليغ في وصف ما شكاه من همه وطول ليله، ويقال إنه لم يتبدىء شاعر قصيدة بأحسن من هذا الكلام. وقوله:
وَصَدْرٍ أَرَا حَ الْلَّيْلُ عَازِبَ هَمِّهِ

مستعار من إراحة الراعي الإبل إلى مباتها، وهو كلام مطبوع سهل يجمع البلاغة والعدوية، إلا أن في أبيات امرئ القيس من ثقافة الصنعة وحسن التشبيه، وإبداع المعاني ما ليس في أبيات النابغة، إذ جعل الليل صلباً وأعجازاً وكلكلاً، وشبه تراكم ظلمة الليل بموج البحر في تلاطمه عند ركوب بعضه بعضاً حالاً على حال، وجعل النجوم كأنها مشدودة بحبال وثيقة فهي راكدة لا تزول ولا تبرح، ثم لم يقتصر على ما وصف من هذه الأمور حتى عللها بالبلوى، ونبه فيها على المعنى، وجعل يتمنى تصرم الليل بعود الصبح لما يرجو فيه من الروح، ثم ارتجّع ما أعطى واستدرك ما كان قدمه وأمضاه، فزعم أن البلوى أعظم من أن

يكون لها في شيء من الأوقات كشف وانجلاء، والمحنة فيها أغلظ من أن يوجد لدائها في حال من الأحوال دواء وشفاء، وهذه الأمور لا يتفق مجموعها في السير من الكلام إلا لمثله من المبرزين في الشعر الحائزين فيه قصب السبق، ولأجل ذلك كان يركض الوليد برجله إذ لم يتمالك أن يعترف له بفضلته»^(١).

وذكر أبو هلال العسكري قول أَمْرِءِ الْقَيْسِ:
وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مُرَخِّ سُدُولُهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
في باب التشبيه في فصل «حد التشبيه وما يستحسن من منشور الكلام ومنظومه، وذكر أنه من التشبيه الذي يتضمن معنى اللون وحده»^(٢)، وعلق عليه تعليقا بسيطا قال فيه:

«وفي هذا معنى - الهول - أيضاً»^(٣).

أما بيت الشاهد فقد ذكره في «الاستعارة والمجاز»، ولم يعلق عليه، واكتفى بقوله:

«فأما الاستعارة من أشعار المتقدمين، فمثل قول أَمْرِءِ الْقَيْسِ:
وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مُرَخِّ سُدُولُهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَزْدَفَ أُعْجَازاً وَنَاءً بِكُلْكَلٍ»^(٤)

ولقد استملح الباقلائي هذه الاستعارة، وذكرها في فصل «ذكر البديع من الكلام» وفي هذا الموضع لم يبين وجه الملاحظة فيها قال:

«... ومن ذلك قول أَمْرِءِ الْقَيْسِ:
«وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولُهُ»

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، رسالة الخطابي: ٦٢ - ٦٣.

(٢) الصناعتين: ٢٦٩.

(٣) المصدر السابق: ٢٧٠.

(٤) المصدر السابق: ٣١١.

وذلك من الاستعارة المليحة»^(١).

وقال أيضاً:

«ومن البديع في الاستعارة قول امرئ القيس:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ ...

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى ...

هذه كلها استعارات أتى بها في ذكر طول الليل»^(٢).

وفي موضع آخر من كتابه ذكر أمر المفاضلة التي أجريت بين أبيات امرئ القيس وأبيات النابغة - وقد سبق ذكرها - ويبدو أنه استحسّن الحكم الذي انتهت به المفاضلة، قال:

«... وقد جرى ذلك بين يدي بعض الخلفاء، فَقُدِّمَتْ أبيات امرئ القيس، واستحسنّت استعاراتها، وقد جعل ليل صدرًا يقلّ تنحيه، ويبطيّ نقضه، وجعل له أردافاً كثيرة، وجعل له صلباً يمتد ويتناول، ورأوا هذا بخلاف ما يستعيره أبو تمام من الاستعارات الوحشية البعيدة المستنكرة، ورأوا الألفاظ جميلة، واعلم أن هذا صالح جميل، وليس من الباب الذي يقال: إنه متناه عجيب وفيه إمام بالتكلف ودخول في العمل»^(٣).

ويلاحظ من عبارة الباقلاني الأخيرة أنه على الرغم من استحسانه لأبيات امرئ القيس لا يراها متناهية في الحسن، فهو يحاول التهوين والتقليل من شأن معلقة امرئ القيس، وما استحسّن من أبياتها قصداً إلى بيان أنها وإن كانت من مختار الشعر إلا أنه يعتورها من الفتور والخلل ما يعتور الكلام كله، والمستجاد منها ليس مما يقطع الأطماع وإنما هو شيء قريب يتزاحمون عليه، ويدرك

(١) إعجاز القرآن: ٧١.

(٢) إعجاز القرآن: ٧٤.

(٣) المصدر السابق: ١٨١.

اللاحق فيه شاؤ السابق، والقرآن الكريم لا تجد فيه شيئاً من الفتور، ولا تجد فيه شيئاً مطمئناً، وبذلك تكون قد بانت القضية.

وهذا تفكير مستقيم واستدلال جيد، وكان تحقيقه ممكناً دون حاجة إلى الميل على الشعر، وتكلف، وتعمل، وتحايل، وكان ذوقه يغلبه أحياناً فيوقفه قسراً عند المستجاد البارع^(١).

وذكر ابن رشيق بيت الشاهد في كتابه «العمدة» في «باب التمثيل»، ورأى أنه من أناشيد هذا الباب، ولم يذكر وجه استحسانه لهذه الاستعارة، وإنما أشار إلى أن ابن وكيع زعم أنها أول استعارة وقعت^(٢).

أما ابن سنان الخفاجي، فقد عارض القائلين باستحسان هذه الاستعارة، ورأى غير رأيهم، فهي عنده ليست من جيد الاستعارة ولا رديئها، بل هي في الوسط بينهما، لأن الاستعارة هنا مبنية على غيرها، فإنه لما جعل الليل وسطاً وعجزاً استعار له اسم الصُّلب، وجعله متمطياً من أجل امتداده، وذكر الكلكل من أجل نهوضه، وقد قُدِّم عليها في الحسن قول طفيل الغنوي:

وَجَعَلْتُ^(٣) كُورِي^(٤) فَوْقَ^(٥) نَاجِيَةٍ يَفْتَتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ^(٦)

وبيت ذي الرمة:

أَقَامَتْ بِهِ^(٧) حَتَّى دَوَى الْعُودُ وَالْثَرَى^(٨) وَلَفَّ^(٩) الثُّرَيَّا فِي مُلَاعَتِهِ الْفَجْرُ^(١٠)

(١) الإعجاز البلاغي - محمد أبو موسى -: ٢٨٤.

(٢) ٢٧٦/١.

(٣) رواية الديوان: «وَحَمَلْتُ».

(٤) «الكور»: بالضم الرَّحْل بأداته. مختار الصحاح: ٥٨٢.

(٥) رواية الديوان: «خَلَفَ».

(٦) ديوانه: ١٠٨ رقم ٣٢٢.

(٧) رواية الديوان: «بها».

(٨) رواية الديوان: «وَالْتَوَى».

(٩) رواية الديوان: «وَسَاق».

(١٠) الديوان: ٥٦١/١.

قال ابن سنان في فصل «الكلام في الألفاظ المؤلفة» بعد أن ذكر كلام
الأمدي - وقد سبق ذكره ص: ٢٠٥ من البحث:

«... وهذا الذي قاله أبو القاسم لا أرضى به غاية الرضى، ولو كنت
أسكن إلى تقليد أحد من العلماء بهذه الصناعة، أو أجنح إلى اتباع مذهبه من
غير نظر وتأمل لم أعدل عما يقوله أبو القاسم، لصحة فكره، وسلامة نظره،
وصفاء ذهنه، وسعة علمه، لكنني أغلب الحق عليه، ولا أتبع الهوى فيما يذهب
إليه، وبيت امرئ القيس عندي ليس من جيد الاستعارة ولا رديتها، بل هو من
الوسط بينهما، وبيت الغنوي وذو الرُّمة أحمد في الاستعارة، وأشبه بالمذهب
الصحيح منها، وإنما قلت ذلك لأن أبا القاسم قد أفصح بأن امرأ القيس لما
جعل لليل وسطاً وعجزاً استعار له اسم الصلب، وجعله متمطياً من أجل امتداده،
وذكر الكلكل من أجل نهوضه، فكل هذا إنما يحسن بعضه لأجل بعض، فذكر
الصلب إنما حسن لأجل العجز، والوسط والتمطي لأجل الصلب، والكلكل
لمجموع ذلك، وهذه الاستعارة المبنية على غيرها، فلذلك لم أر أن أجعلها من
أبلغ الاستعارات، وأجدرها بالحمد والوصف، وكانت استعارة طفيل وذو الرُّمة
عندي أوفق وأصح؛ لأنها غنية بنفسها، غير مفتقرة إلى مقدمة جلبتها»^(١).

ورأى ابن الأثير أن البيت ليس من قبيل الاستعارة كما رأى السابقون، بل
هو من قبيل التشبيه المضمّر «المقدر» الأداة، لأن المستعار له مذكور. قال:
«وهذا البيت من التشبيه المضمّر الأداة، لأن المستعار مذكور، وهو الليل، وعلى
الخطأ في خلطه بالاستعارة، فإن ابن سنان أخطأ في الرّد على الأمدي، ولم يوفق
للمصواب»^(٢).

وخطأ ابن الأثير ابن سنان في موافقته السابقين وتأسيه بهم في الخلط بين
الاستعارة والتشبيه المقدر الأداة قال:

(١) سر الفصاحة: ١١٢، ١١٣.

(٢) المثل السائر: «مكتبة نهضة مصر»: ١١٠/٢.

«ورأيت أبا محمد عبد الله بن سنان الخفاجي - رحمه الله تعالى - قد خلط الاستعارة بالتشبيه المضمّر الأداة، ولم يفرّق بينهما وتأسّى في ذلك بغيره من علماء البيان، كأبي هلال العسكري والغانمي، وأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدي.

على أن أبا القاسم بن بشر الأمدي كان أثبت القوم قَدماً في فن الفصاحة والبلاغة، وكتابه المسمى بـ «الموازنة بين شعر الطائيين» يشهد له بذلك، وما أعلم كيف خفَى عليه الفرق بين الاستعارة والتشبيه المضمّر الأداة»^(١).

وكذلك لم يؤيد ابن الأثير ابن سنان في قوله بأن الاستعارة هنا ليست بالجيّدة ولا الرديئة بل هي في الوسط بينهما. قال:

«وأنا أتكلّم على ما ذكره، ولا أضايقه في الاستعارة والتشبيه، بل أنزل معه على ما رآه من أنه استعارة، ثم أبين فساد ما ذهب إليه»^(٢).

ثم رد عليه من وجهين:

الأول: أن في رأيه تناقضاً، لأنه قسم الاستعارة قسمين: قريباً مختاراً، وبعيداً مطروحاً، فالقريب المختار ما كان بينه وبين ما استعيرت له تناسب قوي، وشبه واضح.

والبعيد المطروح إما أن يكون بعيداً عما استعير له، أو لأن الاستعارة مبنية على استعارة أخرى، فإذا كانت الاستعارة المبنية على استعارة أخرى من البعيد المطروح فكيف جعلها هنا وسطاً؟

والوجه الثاني: أن كلا من الأمدي وابن سنان اتفقا على أن حد الاستعارة هو نقل المعنى من لفظ إلى لفظ بسبب مشاركة بينهما، فالاستعارة المرضية على هذا الحد هي ما كان فيها مناسبة بين المنقول عنه، والمنقول إليه، والاستعارة

(١) المثل السائر - مكتبة نهضة مصر -: ١٠٩/٢ - ١١٠.

(٢) المصدر السابق: ١١١/٢.

الردیئة هی ما لم نجد فیها تلك المناسبة، وعلى ذلك یكون بیت امریء القیس من الاستعارة المرضیة^(١)، لأنه لو لم یكن للیل صدر أولاً، ولم یكن له وسط، وآخر لما حسنت هذه الاستعارة، ولما كان الأمر كذلك استعار لوسطه صُلباً، وجعله متمطياً، واستعار لصدره المتثاقل - أي أوله - كلکلاً، وجعله ثانياً، واستعار لآخره عجزاً، وجعله رادفاً لوسطه، وكل ذلك من الاستعارات المناسبة.

ورأى ابن الأثیر أن الاستعارة المبنیة على استعارة أخرى لیست بالأمر القییح لورودها فی القرآن الکریم فی قوله تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾^(٢).

ففي هذه الآية ثلاث استعارات یبني بعضها على بعض:

الأولى: استعارة القرية للأهل.

الثانية: استعارة الذوق للباس.

الثالثة: استعارة اللباس للجوع والخوف^(٣).

ورأى ابن الأثیر أن هذه الاستعارات متناسبة تناسباً لا خفاء فيه، فكیف یذم ابن سنان الاستعارة المبنیة على استعارة أخرى؟

(١) یبدو أنه عدها استعارة تمشیاً مع مذهب ابن سنان، لأنه فی صدد الرد علیه.

(٢) سورة النحل: الآية ١١٢.

(٣) یبدو أن الأمر الأول مجاز بالحذف، والثاني: هو عند الزمخشري تجرید للاستعارة، لأن الإذاقة جرت عند العرب مجرى الحقيقة لشیوعها فی البلیا والشدائد، وما یمس الناس منها، فیقولون: ذاق فلان البؤس والضر، وأذاقه العذاب، شُبه ما یُدرک من أثر الضر والألم بما یدرک من طعم المر، والأمر الثالث: هو عند الزمخشري استعارة عقلیة؛ لأنه شُبه باللباس - لاشتماله على اللبس - ما غشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث، وهي عند السكاکی، استعارة حسیة؛ لأنه جعل اللباس استعارة لما یلبسه الإنسان عند جوعه وخوفه من امتقاع اللون، وراثثة الهيئة. الكشف: ٤٣١/٢؛ المفتاح: ١٦٠، الإیضاح: ٤٣٢ - ٤٠٨/٢.

وعلل ابن الأثير ذمه هذا بأنه لم ينظر إلى الأصل المقيس عليه، وهو التناسب بين المنقول عنه، والمنقول إليه بل نظر فقط، إلى التقسيم الذي قسمه في القرب أو البعد^(١).

وأورد ابن الأثير البيت - أيضاً - في فصل «التضمين»، وذكر أن قوماً ذكروا أن التضمين المعيب هو تضمين الإسناد، وذلك يقع في بيتين من الشعر، أو فصلين من الكلام المنثور، على أن يكون الأول مسنداً إلى الثاني، فلا يقوم الأول بنفسه، ولا يتم معناه إلا بالثاني، وهذا ما عده القوم من عيوب الشعر، فرد على ذلك بقوله:

«وهو عندي غير معيب، لأنه إن كان سببه أن يُعْلَق البيت الأول على الثاني، فليس ذلك بسبب يوجب عيباً، إذ لا فرق بين البيتين من الشعر في تعلق أحدهما بالآخر، والفقرتين من الكلام المنثور في تعلق إحداهما بالآخرى، لأن الشعر هو كل لفظ موزون مقفى دل على معنى، والكلام المسجوع هو كل لفظ مقفى دل على معنى، فالفرق بينهما يقع في الوزن لا غير»^(٢).

يبدو لي أن اعتراض ابن الأثير على ابن سنان في خلطه بين التشبيه والاستعارة لا وجه له؛ لأنه لا تشبيه في البيت، فوجود المشبه في «له» ليس على صورة من صور التشبيه الإصطلاحي.

ففي البيت ثلاث استعارات:

١ - استعارة الجمل لليل. «مكنية».

٢ - استعارة الكلكل لأوائل الليل. «تصريحية أصلية».

٣ - استعارة الأعجاز لأواخره. «تصريحية أصلية».

(١) المثل السائر - مكتبة نهضة مصر -: ١١٢/٢ - ١١٥.

(٢) المصدر السابق: ٢٠/٣.

واستشهد القزويني^(١)، وابن السبكي^(٢) بيت الشاهد على نفس الموضع الذي استشهد به الشيخ .

واستشهد به ابن عصفور في شرح جمل الزجاجي على أن «الواو» العاطفة في البيت جاءت للجمع بين شيئين من غير ترتيب، ولا مهلة، ولو كانت للترتيب لقدم الكلكل، وهو الصدر، ثم الجوز وهو الوسط، ثم الأعجاز وهي المؤخرة^(٣).

(١) الإيضاح: ٤٢٦/٢.

(٢) شروح التلخيص: ٩١/٤.

(٣) شرح جمل الزجاجي: ٢٢٨/١.

ب - القول في نظم الكلام ومكان النحو منه

يرى الإمام عبد القاهر أن للنظم شأنًا عظيمًا، فلا فضل ولا قدر للكلام إلا بمعرفة طريقة نظمه، وأسباب هذا النظم وعلته. قال:

«واعلم أن ههنا أسراراً ودقائق، لا يمكن بيانها إلا بعد أن تُقدّم جملة من القول في «النظم» وفي تفسيره والمراد منه، وأي شيء هو؟ وما محصوله. ومحصل الفضيلة فيه؟ فينبغي لنا أن نأخذ في ذكره وبيان أمره وبيان المزية التي تُدعى له من أين تأتية؟ وكيف تُعرض فيه؟ وما أسباب ذلك وعلله؟ وما الموجب له؟»^(١).

ثم ذكر الشيخ بأن هناك علماء ممن سبقوه أو عاصروه، قد أجمعوا على شرف النظم وعلو شأنه. قال:

«وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن «النظم» وتفخيم قدره، والتنويه بذكره، وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه، ولا قدر للكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بَلَغ في غرابة معناه ما بلغ، وبُتِّهَم الحكم بأنه الذي لا تمام دونه، ولا قوام إلا به، وأنه القطب الذي عليه المدار، والعمود الذي به الاستقلال»^(٢).

فعبارة هذه تصرّح بأن واضح نظرية النظم ليس هو وحده، لأن أمر النظم

(١) الدلائل، رضا: ٦٣، خفاجي: ١٢١-١٢٢، شاکر: ٨٠.

(٢) الدلائل، رضا: ٦٣، خفاجي: ١٢٢، شاکر: ٨٠.

وأهميته مسألة معروفة في عصره وقبل عصره، وإنما اعتبر واضعاً لها، لأنه فصل أبوابها ومسائلها، وبين أسرارها ومداخلها.

وبعد هذا التصريح بأن النظم أمر مطروق، شرع الشيخ في تعريف معنى النظم وتحديدده فقال:

«واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه»^(١).

ولكي يبرز الشيخ قيمة علم النحو وأثره في النظم شرع في ذكر أبيات قد ساء نظمها وفسد تأليفها.

الشاهد السادس والعشرون^(٢): (الطويل)

قول الفرزدق^(٣):

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا^(٤) أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ^(٥)

(١) الدلائل، رضا: ٦٤، خفاجي: ١٢٢، شاکر: ٨٠.

(٢) الدلائل، رضا: ٦٥، خفاجي: ١٢٤، شاکر: ٨٣.

(٣) هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي الدارمي (١١٠ - ١٠٠ هـ)، أبو فراس، الشهير بالفرزدق، من نبلاء البصرة، له أثر عظيم في اللغة حتى أنه كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس، ويُسَبَّه بزهير بن أبي سلمى، فكلاهما من شعراء الطبقة الأولى، فزهير من الجاهليين، والفرزدق من الإسلاميين، وهو من أصحاب النقائض. انظر ترجمته:

الشعر والشعراء: ٤٨٧ - ٤٨٩، طبقات فحول الشعراء: ٢٩٨/١ - ٢٩٩، الأغاني -

التراث -: ٣٢٤/٩ - ٣٤٥، ٢٧٦/٢١ - ٤٠٣، معجم الشعراء: ٤٨٦ - ٤٨٧، الموشح:

٩٢ - ١٠٧، وفيات الأعيان: ٨٦/٦ - ١٠٠، الأعلام: ٩٣/٨.

(٤) رواية طبقات فحول الشعراء والأغاني: «وَأَصْبَحَ مَا فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا».

ورواية تحرير التحبير بالرفع «إِلَّا مُمْلَكٌ».

(٥) لم أجده في ديوانه - طبعة دار صادر - وذكر الأستاذ عبد السلام هارون في «معجم شواهد =

هذا البيت من الشواهد المشهورة في كتب البلاغة، ويورده النقاد شاهداً على التعقيد اللفظي، وسوء التأليف، وفساد النظم.

إلا أن ابن سلام ذكر أن الفرزدق كان يداخل في الكلام، وكان هذا يعجب أصحاب النحو. قال:

وكان يداخل الكلام، وكان ذلك يعجب أصحاب النحو من ذلك قوله يمدح «إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك: وَأَصْبَحَ مَا فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ حَيُّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ»^(١) ولم أجد هذا الرأي عند أحد. فيما رجعت إليه من مصادر. إلا عند ابن سلام، ولا أدري ماذا يقصد بقوله يُعجب أصحاب النحو، ومن أي وجه جاء الإعجاب؟.

وكذلك ذكر المرزباني أن بعض المجانين كان يتعصب للفرزدق فسئل عن أحسن ما قال الفرزدق، فأنشد البيت وفضله على بيت جرير في الغزل:

= العربية» أن البيت موجود في ديوانه - تحقيق الصاوي - ص: ١٨٠، وأشار إلى أن جامع الديوان قد نص على أنه لم يرد في أصول ديوانه. وجاء في الخصائص أنه من أبيات الكتاب، وبحث في الكتاب، ولم أجده، إلا في إضافات المحقق في الهامش: ٣٢/١. انظر البيت في:

طبقات فحول الشعراء: ٣٦٥/١، المعاني الكبير: ٥٠٦/١، الكامل للمبرد: ٢٤/١، الخصائص: ١٤٦/١ - ٣٢٩ - ٣٩٣/٢، عيار الشعر: ٢٧ - ٤٤، العقد الفريد: ٢٠٦/٦، شرح جمل الزجاجي: ٦٠٧/٢، الأغاني: ٣٠٧/٢١، الوساطة: ٤١٢ - ٤١٦، الموشح: ٨٨ - ٩٣، الصناعتين: ١٨٠، العمدة: ٩٦/٢، سر الفصاحة: ١٠١، الإفصاح: ٨٤، المفتاح: ١٧٦، المثل السائر: ٣٩٧/١، ٢٢٩/٢، تحرير التحبير: ٤١٩/٣، الإيضاح: ٧٦/١ شرح أبيات الإيضاح: - فيض الله -: ورقة ٤ أ، معاهد التنقيص: ٤٣/١، شاهد رقم (٧)، شروح التلخيص: ١٠٤/١ - ١٠٥.

(١) طبقات فحول الشعراء: ٣٦٤/١ - ٣٦٥.

لَوْ أَنَّ عُصْمَ (١) عَمَائَتَيْنِ (٢) وَيَذْبُلُ (٣) سَمِعَا (٤) حَدِيثَكَ أَنْزَلَ (٥) الْأَوْعَالَ (٦)

وذكر ابن جني أن قوماً أجازوا هذا الفصل لضرورة الشعر، فرد على ذلك بأن علينا اتباع ما أثر عن العرب في الضرورات، فما أجازته الضرورة لهم جاز لنا، وما حظرتهم عليهم حظر علينا، قال في باب:

«هل يجوز لنا في الشعر من الضرورات ما جاز للعرب أولاً»:

«سألت أبا علي رحمه الله عن هذا، فقال: كما جاز أن نقيس منشورنا على منشورهم، فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم، فما أجازته الضرورة لهم أجازته لنا، وما حظرتهم عليهم حظرتهم علينا، وإذا كان كذلك، فما كان من أحسن ضروراتهم، فليكن من أحسن ضروراتنا، وما كان من أقبحها عندهم، فليكن من أقبحها عندنا، وما بين ذلك بين ذلك... فأما ما يأتي عن العرب لحناً فلا نغدير في مثله مولداً، فمن ذلك بيت الكتاب:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

ومراد فيه معروف، وهو فيه غير معذور» (٧).

وذكر المبرد أن هذا البيت من أقبح الضرورات، وأهجن الألفاظ، وأبعد المعاني، وتعجب كيف يجتمع هذا البيت في صدر رجل هو القائل:

(١) العُصْم: الوعول لبياض في أيديها. اللسان «عصم»: ٤٠٥/١٢ - ٤٠٦.

(٢) عماية: جبل بالبحرين ضخم وأراد بعمائتين جبل عماية وصاحبة. معجم ما استعجم: ٩٦٦/٣/٢.

(٣) يذبل: جبل طرف منه لبني عمرو بن كلاب وبقيته لباهله ويقال له يذبل الجوع كأنه أبدأ مجذب. معجم ما استعجم: ١٣٩٢/٤/٢.

(٤) رواية الديوان: «سمعت».

(٥) رواية الديوان: «أنزل».

(٦) ديوانه: ٤٥٠.

(٧) الخصائص: ٣٢٣/١، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣٠.

تَصْرَمَ مِنِّي^(١) وَدُّ بَخْرِ بِنِ وَائِلِ وَمَا كَاذَ مِنِّي^(٢) وَدُّهُمْ يَتَصْرَمِ
قَوَارِصُ تَأْتِينِي وَيَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمْلَأُ الْقَطْرُ الْإِنَاءَ^(٣) فَيَنْفَعُ^(٤)

وهو القائل أيضاً:

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصْبِحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارٌ^(٥)^(٦)

وذكر ابن طباطبا بيت الشاهد في «الآبيات المتفاوتة النسخ» ونص على أنها
آبيات مستكرهة الألفاظ، متفاوتة النسخ، قبيحة العبارة. قال:

«فأما هذه الآبيات المستكرهة الألفاظ المتفاوتة النسخ القبيحة العبارة، التي
يجب الاحتراز من مثلها... وكقول الفرزدق:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ... البيت.

فهذا هو الكلام الغث المستكره الغلق... فلا تجعلن هذا حجة ولتجنب
ما أشبهه»^(٧).

وذكره ابن عبد ربه في «باب مقاطع الشعر ومخارجه» وأشار إلى أنه أساء
النظم، ولم يحسن التأليف، وعلق على البيت بقوله:

«فبعد المعنى القريب، ووعر الطريق السهل، ولبس المعنى بتوعر اللفظ،
وقبح البنية حتى ما يكاد يفهم»^(٨).

(١) رواية الديوان: «عني».

(٢) رواية الديوان: «عني».

(٣) رواية الديوان: «الآتي».

(٤) ديوانه - تحقيق الصاوي -: ٧٥٦/٢.

(٥) ديوانه - تحقيق الصاوي -: ٤٦٧/٢.

(٦) الكامل للمبرد: ٢٣/١ - ٢٤، وقد نقل المرزباني كلام المبرد ولم يشر إلى ذلك
الموشح: ٩٣.

(٧) عيار الشعر: ٤٤ - ٤٧.

(٨) العقد الفريد: - دار الفكر -: ٢٠٥/٦.

وأورده القاضي الجرجاني تحت عنوان «دفاع المؤلف عن أبي الطيب».
وذكر أن من يحتمل قول الفرزدق - بيت الشاهد - ولم يعبه على هذا
المنهج فهو متعصب مائل ومتحامل جائر^(١).

وأورده ابن رشيق في «باب الاشتراك»، ورأى أن البيت معيب من وجهين:
الأول: من جهة سوء النظم، والوجه الثاني: من جهة الاشتراك، والاشتراك عنده
نوعان:

محمود، وهو التجنيس، والنوع الثاني: مذموم وهو أن يكون اللفظ محتملاً
تأويلين:

أحدهما: يلائم المعنى الذي قيل فيه.

والآخر: لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد.

وجعل مثاله بيت الفرزدق - «الشاهد» - فلفظ «حي» يحتمل القبيلة،
ويحتمل الواحد الحي من سائر الحيوان^(٢).

وكذلك جمع له ابن رشيق ثلاثة عيوب ذكرها في باب: «الوحشي المتكلف
والركيك المستضعف».

الأول: التغيير عن الأغلب كالقديم والتأخير، وأصل العبارة: «وَمَا مِثْلُهُ فِي
النَّاسِ حَيٌّ يُقَارِبُهُ إِلَّا مَمْلُكاً أَبُو أُمِّه أَبُوهُ».

الثاني: سلوك الطريق الأبعد في قوله: «أَبُو أُمِّه أَبُوهُ».

وكان يجزيه أن يقول: «خاله».

الثالث: الاشتراك في قوله: «حَيٌّ يُقَارِبُهُ»^(٣).

(١) الوساطة: ٤١٦.

(٢) العمدة: ٩٦/٢.

(٣) المصدر السابق: ٢٦٧/٢.

وذكر ابن نايقا في الإفصاح أن في البيت أربع ضرورات أفسدت البيت وجعلته متعسفاً:

أولها: أنه قدم المستثنى على المستثنى منه.

ثانيها: أنه فصل بين الصفة والموصوف بما ليس منهما، ففصل بلفظ «أبوه» - الذي هو خبر لأبي أمه - بين الموصوف «حي» والصفة «يُقَارِبُهُ».

وزاد شراح التلخيص أنه فصل أيضاً فصلاً كبيراً بين البدل «حي» والمبدل منه «مثله»^(١).

وثالثها: أنه فصل بين المبتدأ والخبر بما ليس منهما، فالمبتدأ «أبو أمّ» والخبر «أبوه» كما تقول: «أبو أم زيد جده» والفاصل «حي» الذي هو خبر الابتداء، وهو «مثله» أو هو المبتدأ و«مثله» الخبر.

رابعها: أنه تعسف، فجاء بمثل هذه الألفاظ المتعسفة ليدل على أن هذا الممدوح هو خال الخليفة، ثم ذكر أنه لم يورد أحد قبله تفسير البيت على هذا الوجه^(٢).

وذكر السكاكي هذا البيت في باب «الفصاحة» وأشار إلى أن الفصاحة قسمان: ما يرجع إلى المعنى، وهو خلوص الكلام من التعقيد، وراجع إلى اللفظ، وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية دائرة على ألسن فصحاء العرب، وجارية على قوانين اللغة، سليمة من التنافر، والمراد بتعقيد الكلام هو أن يعثر الفكر، ويتوعر المذهب، فلا يعلم من أي طريق يتوصل إلى المعنى، وضرب لذلك مثلاً قول الفرزدق - الشاهد^(٣) - وذكره ابن الأثير في المعازلة المعنوية: وهو أن يقدم ما الأولي به التأخير؛ لأن المعنى يختل بذلك ويضطرب.

(١) شروح التلخيص: ١٠٥/١.

(٢) الإفصاح: ٨٤.

(٣) المفتاح: ١٧٦.

فالببت إذا شاهد على التعقيد اللفظي، وهو أن يختل نظم الكلام حتى لا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه.

فالشاعر هنا أراد أن يبين ويوضح أن ممدوحه وصل درجة من الفضائل لا يدانيه فيها أحد من الأحياء إلا شخص واحد له صلة وعلاقة بهذا الممدوح، وهو ابن أخته، ولكن الفرزدق سلك في صياغة هذا البيت مسلكاً وعرأً، وأتى به من طريق ملتو غامض لا يمكن إدراك معناه إلا بعد جهد، فهو يكد القريخة، ويجهد الذهن، فأصل العبارة «وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَيٌّ يُقَارِبُهُ إِلَّا مُمْلِكاً أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ أَيُّ أَبُو أم الملك، وهو هشام أبو هذا الممدوح، فهو خال هشام.

ورأى الدكتور محمد أبو موسى أن الفرزدق شاعر فحل يعرف طبائع اللغة، وعوائد التراكيب، والذي ألجأه إلى هذا الأسلوب رغبته في التهكم بالممدوح ودلل على رأيه هذا بأن الفرزدق كان موالياً للعلويين وبيطن العداء لبني أمية، والممدوح من بني أمية^(١). وهذا الاعتذار من الدكتور أبو موسى لا يخرج البيت عن كونه من التعقيد اللفظي.

ومن أمثلة قول الفرزدق في التعقيد:
شَرُّ يَوْمِيهَا وَأَغْوَاهُ لَهَا رَكِبَتْ هِنْدٌ^(٢) بِحَدَجٍ^(٣) جَمَلًا

شر يومئها نُصِب على الحال، وإنما معناه، ركبت هند جملاً بحدج في شر يومئها^(٤).

(١) خصائص التراكيب: ٣٦-٣٧.

(٢) رواية اللسان: «عَنَزْ».

(٣) الحدج: مركب ليس برجل ولا هو دج تركبه النساء. اللسان «حدج»: ٢٣٠/٢.

(٤) العقد الفريد - دار الفكر - ٢٠٥/٦، وانظر البيت في اللسان «حدج»: ٢٣٠/٢.

قول المتنبي:

وَلِذَا اسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونُهَا^(٢) مِنْ أَنَّهَا عَمَلُ السُّيُوفِ عَوَامِلُ^(٣)

والبيت من قصيدة يمدح بها القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي

ومطلع القصيدة:

لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ أَقْفَرْتُ أَنتِ وَهْنٌ مِنْكَ أَوَاهِلُ

وقبل الشاهد:

الرَّامِيَاتُ لَنَا وَهْنٌ نَوَافِرُ^(٤) وَالْخَاتِلَاتُ^(٥) لَنَا وَهْنٌ غَوَافِلُ
كَأَفَانْنَا عَنْ شِبْهَيْهِنَّ مِنَ الْمَهَا فَلَهُنَّ فِي غَيْرِ التُّرَابِ حَبَائِلُ
مِنْ طَاعِنِي تُغَرِّ^(٦) الرِّجَالِ جَاذِرُ^(٧) وَمِنْ الرَّمَاكِ دَمَالِجُ^(٨) وَخَلَاجِلُ^(٩)

(١) الدلائل، رضا: ٦٦، خفاجي: ١٢٤، شاکر: ٨٣.

(٢) الْجَفْنُ: جَفْنُ الْعَيْنِ، وَالْجَفْنُ أَيْضاً: غَمْدُ السِّيفِ. اللسان: «جفن»: ٨٩/١٣، ويروى جفونها بالنصب على أنها مفعول ثانٍ.

(٣) انظر البيت في: ديوانه بشرح العكبري: ٢٥٢/٣، العرف الطيب: ٢٣٢/٤، الوساطة: ٨٢ - ٨٩، يتيمة الدهر: ١٣٥/١ - ١٥٠، أنوار الربيع: ١١/٦.

(٤) نوافر: النفر التفرق ونفرت الناقة نفوراً جزعت وتباعدت. القاموس المحيط: (نفر): ١٥١/٢.

(٥) الخاتلات: الخادعات، خَتَلَهُ يَخْتَلُهُ خَتْلًا وَخَتَلَانًا خَدَعَهُ. القاموس المحيط: «ختل»: ٣٧٧/٣.

(٦) تغر: جمع تُغْرَة وهي نقرة النحر التي بين الترقوتين. القاموس المحيط، «تغر»: ٣٩٧/١.

(٧) الجاذر: جمع جَوْذَر وهو ولد البقر الوحشية. اللسان «جذر»: ١٢٤/٤.

(٨) الدُّمْلُجُ والدُّمْلُوج: المعضد وهو حلية تجعله المرأة في عضدها وجمعه دماليج. اللسان: «دملج»: ٢٧٦/٢.

(٩) الديوان بشرح العكبري: ٢٥١/٣ - ٢٥٢.

وبعدها الشاهد وبعده:

كَمْ وَقْفَةٍ سَجَرْتَكَ شَوْقاً بَعْدَمَا غَرِي الرَقِيبُ بِنَا وَلَسَجَّ الْعَاذِلُ

الشاهد فيه كسابقه، وهو فساد النظم، فقد أراد الشاعر هنا أن يبين تحكم النظرات في نفسه، وأنها بحدّتها استطاعت اختراق حواجز قلبه، فلما لاحظ فيها هذه الجِدَّة والقوة علل تسمية جفن العين هنا؛ بأنه أخذ له من جفن السيف؛ وذلك لأنهم لاحظوا أن العيون تعمل عمل السيوف في التأثير والقتل.

قال العكبري:

«إنما سميت أغطية العيون جفونها؛ لأنها ضمنت أحداقاً تعمل عمل السيوف»^(١).

ولكن هذا المعنى الذي أراد الشاعر أن يوصله إلى النفوس ويقرره في القلوب جاء عن طريق ملتوٍ يصعب على الذهن اكتشافه بسرعة، وذلك لأنه قدم معمول خبر «أن» عليه، فأصل العبارة «من أنها عوامل عمل السيوف» ولكنه قدم فقال: «من أنها عمل السيوف عوامل» وهذا التقديم ألبس المعنى غموضاً وتعقيداً.

وذكر الأستاذ عبد الهادي العدل أنه زاد البيت تعقيداً أن المشار إليه يقول: «لذا» فيه خفاء، لأنه ليس في البيت السابق تصريح بعمل العيون بل إن التصريح بعمله كان قبل بيت الشاهد بثلاثة أبيات، وهو قوله:

الرَّامِيَاتُ لَنَا وَهُنَّ نَوَافِرُ وَالْحَاتِلَاتُ لَنَا وَهُنَّ غَوَافِلُ

ولهذا اضطر إلى بيان المشار إليه بقوله:

«من أنها عمل السيوف عوامل»، فـ «من» الخ... بدل من «لذا» ومبين له، وهنا أقف وأتساءل ما المانع من أن يكون المشار إليه ما في البيت السابق من أنهم يطعنن ثغر الرجال، ومن أن دمالجهن، وخلاخلهن بعض الرماح.

(١) المصدر السابق: ٢٥٢/٣.

وأضاف الشيخ عبد الهادي العدل أن من التعقيد في البيت استعمال الشاعر كلمة «اسم» بمعنى التسمية، وإضافتها إلى المفعول الأول، ونصب المفعول الثاني - وهو جفونها - وهذا الاستعمال غير معروف، ولذلك كان الأولى رفع «جفونها» خبراً لـ «اسم».

ومن التعقيد اللفظي أيضاً إضافة جفون إلى الضمير مع أنه لا حاجة إلى هذه الإضافة^(١).

وذكر القاضي الجرجاني أن المعنى الذي قصده المتنبي معنى لطيف حسن الاستخراج لو ساعده اللفظ، قال:

«وإن كان قد تغفل إلى معنى لطيف أحسن استخراج له لو ساعده اللفظ»^(٢).

وقد ذم ابن معصوم بيت المتنبي هذا، وشبهه بقطعة الخشب وقارن بينه وبين بيت لسبط ابن التعاويذي^(٣) أخذ معناه من بيت المتنبي - بيت الشاهد - وشبه بيت ابن التعاويذي في حسن سبكه بسبيكة الذهب، قال في «حسن الاتباع»:

(١) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير: ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) الوساطة: ٨٩.

(٣) ابن التعاويذي هو أبو محمد المبارك بن المبارك بن علي بن نصر السراج الجوهري الزاهد المشهور، والتعاويذي نسبة إلى صنع التعاويذ والرقي، وهو عمل أبيه، وسبطه هو أبو الفتح محمد بن عبيد الله - أو عبد الله - بن عبد الله، وقد رياه جده ابن التعاويذي، وكفله صغيراً فنسب إليه، وكان أبو الفتح كاتباً وشاعراً مجيداً، قدمه ابن خلكان، على مائتي شاعر قبله (٥١٩ هـ - ٥٨٣ هـ أو ٥٨٤ هـ).

انظر ترجمته:

معجم الأدباء: ٢٣٥/١٨ - ٢٥٠، عبر الذهبي: ٨٨/٣ - ٨٩، وفيات الأعيان: ٤٦٦/٤ - ٤٧٣، نكت الهميان: ٢٥٩ - ٢٦٣، النجوم الزاهرة: ١٠٥/٦ - ١٠٦، الشذرات: ٢٨١/٤.

«هذا النوع عبارة عن أن يأتي المتكلم إلى معنى لغيره فيحسن اتباعه فيه، بحيث يستحقه بوجه من الوجوه التي توجب استحقاقه له، إما بحسن سبك، أو قصر وزن، أو تمكن قافية، أو زيادة وصف، أو تميم نقص، أو تحلية بحلية من البديع يحسن بمثلها النظم، وتوجب الاستحقاق...»

وقال أبو الطيب:

وَلَدَا اسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونُهَا مِنْ أَنَّهَا عَمَلُ السُّيُوفِ عَوَامِلُ

وأحسن سبط ابن التعاويذي اتباعه فقال:

بَيْنَ السُّيُوفِ وَعَيْنَيْهِ مُشَارَكَةٌ مِنْ أَجْلِهَا قِيلَ لِلْأَعْمَادِ أَجْفَانُ^(١)

فإنه أخذ المعنى من قطعة خشب، وأودعه في سبيكة ذهب^(٢).

ولقد حسن بيت سبط ابن التعاويذي؛ لأنه عكس وادّعى أن اسم «الجفون» خاص بأغطية العيون، وأن أغطية السيوف سميت جفوناً لأنها؛ شاركت العيون في قتل الرجال.

الشاهد الثامن والعشرون^(٣):
(الكامل)

قول المتنبي:

السُّطْبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طَيْبُهُ وَالْمَاءُ^(٤) أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ^(٥)

(١) ديوانه: ٤١٣، وهو من قصيدة من «البيسط» يمدح بها الناصر لدين الله.

(٢) أنوار الربيع: ١١/٦.

(٣) الدلائل، رضا: ٦٦، خفاجي: ١٢٤، شاکر: ٨٣.

(٤) يروى الماء بالنصب تارة وبالرفع تارة أخرى، فرواية النصب على تقدير: «أنت إذا اغتسلت الغاسل الماء»، وانتصابه هنا ليس على الغاسل؛ لأن الصلة لا تعمل فيها قبل الموصول، ولكنه منصوب بفعل دل عليه الغاسل أي وتغسل الماء إذا اغتسلت، وصار قوله: أنت إذا اغتسلت بدلاً منه، ودالاً عليه.

ورواية الرفع عطفاً على الطيب. شرح العكبري: ٢٦١/٣.

(٥) ديوانه بشرح العكبري: ٢٦١/٣، الوساطة: ٨٩ - ٣٩٠، يتيمة الدهر: ١٥٢/١، تفسير

أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي: ٢١٦ - ٢١٧.

والبيت من قصيدة المتنبي التي منها الشاهد السابق.

وقبل الشاهد:

وَأَمَّا وَحَقُّكَ وَهَوَ غَايَةُ مُقْسِمٍ لِلْحَقِّ أَنْتَ وَمَا سِوَاكَ الْبَاطِلُ

وبعده الشاهد وبعده:

مَا دَارَ فِي الْحَنَكِ اللِّسَانُ وَقَلَّبْتُ قَلَمًا بِأَحْسَنَ مِنْ نَثَاكَ^(١) أَنَامِلُ

على الرغم من عظمة المتنبي الشعرية، وتفوقه في رسم الصور الخيالية يجنح أحياناً بهذا الخيال، فيلجأ إلى المبالغة بدون اعتدال، فيصل إلى حد التلاعب بالمعنى، فهو في هذا البيت أراد أن يمدح القاضي أبا الفضل أحمد الأنطاكي، فبالغ في مدحه بأن تعسف في ألفاظه، فجعله هو الطيب بعينه، ونفى عن الطيب كل خصائصه إذ عكس الصورة المرسومة في الأذهان، فادّعى بأن الذي يُطَيَّبُ الطيب هو الممدوح، فهو الذي يمد الطيب بالرائحة.

وكذلك المعروف أن الماء هو الذي يغسل، ولكن المتنبي نزع هذه الصفة منه، وجعلها للمدوح فقال:

أنت الذي يغسل، ويطهر الماء، وليس الماء الذي يغسلك.

وبالإضافة إلى هذه المبالغة نرى الشاعر قد فصل بين المبتدأ والخبر مما زاد المعنى تعقيداً، فالطيب مبتدأ، و«أنت» مبتدأ ثان، وطيبه خبر «أنت»، وهو على تقدير «الهاء» كأنه قال: الطيب أنت طيبه إذا أصابك، والماء أنت الغاسله إذا اغتسلت^(٢).

(١) النثا، مقصور، مثل النثا إلا أنه في الخير والشر، والثنّا في الخير خاصة، ونثا الحديث والخير نثواً: حَدَّثَ به وأشاعه وأظهره، والثنّا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء.

اللسان: «نثا»: ٣٠٤/١٥.

(٢) شرح المكبري: ٢٦١/٣.

وذكر العكبري أن بيت المتنبي هذا من قول ابن جُويرية:
تَزِينُ الْحَلِيَّ إِنَّ لَيْسَتْ سُلَيْمَى وَتَحْسُنُ حِينَ تَلْبَسُهَا الشَّيَابُ

وقول الآخر:

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجْوهِ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زِينَا
وَتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطَّيْبِ طَيْباً أَنْ تَمْسِيهِ أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا^(١)

الشاهد التاسع والعشرون^(٢):
(الطويل)

قول المتنبي:

وَفَاؤُكُمَا كَالرُّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ بَأَنْ تُسْعِدَا وَالذَّمُّ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ^(٣)
والشاهد مطلع قصيدة قالها في مدح سيف الدولة أبي الحسن علي بن
عبد الله الحمداني^(٤)، وهي أول ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة عند نزول
أنطاكية، ومنصرفه ظافراً بحصن بَرْزَوِيَه^(٥)، وكان جالساً تحت شراع من الديباج
عليها صورة ملك الروم، وصور وحش وحيوان.

(١) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٢) الدلائل، رضا: ٦٦، خفاجي: ١٢٤، شاکر: ٨٣.

(٣) ديوانه بشرح العكبري: ٣٢٥/٣، الخصائص: ٤٠٣/٢، يتيمة الدهر: ١٤٦/١، شرح
مشكل شعر المتنبي لابن سيده: ١٦٧ - ١٦٨، سر الفصاحة: ١٠١، الفلك الدائر:
١٠١/٤، ١٢١ - ١٢٥، مغني اللبيب: ٥٤١/٢، أنوار الربيع: ٧١/١.

(٤) هو علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي، أبو الحسن، سيف الدولة (٣٠٣ هـ - ٣٥٦ هـ)،
صاحب المتنبي وممدوحه، نشأ شجاعاً مهذباً عالي الهمة، ملك واسطاً وما جاورها، ومال
إلى الشام فامتلك دمشق، وعاد إلى حلب فملكها «سنة ٣٣٣ هـ»، وله أخبار ووقائع مع
الروم كثيرة كان كثير العطايا، مقرباً لأهل الأدب، وله أخبار كثيرة مع الشعراء من أمثال
المتنبي والسري الرفاء والناي والبيغاء والوآء الدمشقي.
انظر ترجمته:

يتيمة الدهر: ١٥/١ - ٣٤، وفيات الأعيان / ٤٠١ - ٤٠٦.

(٥) برزويه: بالفتح وضم الزاي وسكون الواو وفتح الياء، حصن قرب السواحل الشامية على
سن جبل شاهق يُضرب به المثل في جميع بلاد الأفرنج بالحصانة. معجم ما استعجم:
٣٨٣/١.

ومن الأبيات التي تلت بيت الشاهد:
وَمَا أَنَا إِلَّا عَاشِقٌ كُلُّ عَاشِقٍ
أَعَقُّ خَلِيلِيهِ الصَّفِيِّينَ لِأَيْمِهِ
وَقَدْ يَتَزَيَّا بِأَلْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ وَيَسْتَصْجِبُ الْإِنْسَانُ مَنْ لَا يُلَايِمُهُ

والتعقيد في البيت ناتج عن التقديم والتأخير والفصل فـ « وفاؤكما مبتدأ، و«كالربيع» جار ومجرور خبر، والمبتدأ والخبر يؤذنان بتمام الكلام، ولا يجوز أن يتعلق بالمبتدأ بعد الإخبار عنه شيء، فلا يجوز أن تتعلق «الباء» بالوفاء بل تتعلق بفعل يدل عليه الكلام، وكأنه لما ذكر المصدر، وقال:

«وفاؤكما» قال: ووفيتما بأن تسعدا.

وتقدير الكلام: «وفاؤكما بأن تسعدا كالربيع أشجاء طاسمه»^(١).

قال ابن سنان:

«فَمِنْ وَضْعِ الْأَلْفَاظِ مَوْضِعُهَا أَلَا يَكُونُ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ حَتَّى يُوْدِيَ ذَلِكَ إِلَى فُسَادِ مَعْنَاهُ وَإِعْرَابِهِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، أَوْ سَلُوكِ الضَّرُورَاتِ حَتَّى يَفْصَلَ فِيهِ بَيْنَ مَا يَقْبَحُ فَصْلُهُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ كَالصَّلَةِ وَالْمَوْصُولِ، وَمَا أَشْبَهَهَا. وَمِنْ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ أَيْضاً قَوْلُ الشَّاعِرِ:
وفاؤكما كالربيع

لأن تقديره: وفاؤكما بأن تسعدا كالربيع أشجاء طاسمه ففصل وقدم وأخر»^(٢).

وعاب ابن معصوم على المتنبي مطلع هذا، ورأى أنه تكلف له اللفظ المعقد، ورتبه ترتيباً متعسفاً، وليس وراءه كبير معنى، إنما هو يكد الذهن ويتعبه من غير فائدة، قال في «حسن الابتداء وبراعة الاستهلال»^(٣):

(١) شرح المعكبري: ٣/٣٢٥.

(٢) سر الفصاحة: ١٠١.

(٣) عَرَّفَ ابن معصوم المدني حسن الابتداء، وبراعة الاستهلال بقوله: قال: أهل البيان: من =

«ومن مطالعه (١) التي تكلف لها اللفظ المعقد، والترتيب المتعسف لغير معنى بديع يفي ترفه وغرابته بالتعب في استخراجها، وتقوم فائدة الانتفاع به بأزاء التأذي بسماعه، قوله:

«وفاؤكما كالربع . . . البيت» (٢)

ومن دلائل التعقيدات كثرة التفسيرات التي تعتمد أكثر ما تعتمد على الحدس والتخمين لأن ألفاظ البيت لا تفي بأكثرها.

ومن هذه التفسيرات ما ذكره العكبري في شرحه قال:

«المعنى: يريد أنه يخاطب للذين عاهداه على أن يسعدها عند ربع الأجرة بالبكاء، فقال لهما: وفاؤكما لي بإسعادي على البكاء كهذا الربع، ثم بين وجه الشبه، فقال: أشجى الربع دارسه، كلما تقادم عهده كان أحزن لزائره، وأشد لحزنه، وأشفى الدمع للحزن سائله المنهل الجاري، يريد: إيكيا معي بدمع ساجم، فإنه أشفى للغليل، كما أن الربع أشجى للمحب إذا درس.

قال الواحدي: طلب وفاءهما بالإسعاد، وهو الإعانة على البكاء، والموافقة فيه، ولذلك قال: «والدمع أشفاه ساجمه». والمعنى: إيكيا معي بدمع في غاية السجوم، فهو أشفى للوجد، فإن الربع في غاية الطُسوم، وهو أشجى للمحب،

البلاغة حسن الابتداء، ويسمى براءة المطلع، وهو أن يتأنق المتكلم في أول كلامه، ويأتي بأعذب الألفاظ، وأجزلها وأرقها وأسلسها وأحسنها نظماً وسبكاً، وأصحها مبنى، وأوضحها معنى وأخلاها من الحشو، والركة والتعقيد، والتقديم والتأخير الملبس والذي لا يناسب». أنوار الربيع: ٣٤/١، خزانة الحموي: - دار القاموس: - ٣ وذكر صفى الدين الحلبي أن براءة المطلع يسمى أيضاً «حسن الابتداء» وقد فرغ العلماء منه «براعة الاستهلال» في النظم والنثر وشرطه في النظم أن يكون المطلع دالاً على ما بنيت القصيدة عليه من غرض الشاعر.

انظر: شرح الكافية البديعية: ٥٧.

(١) يقصد المتنبي.

(٢) أنوار الربيع: ٧٠/١ - ٧١.

وأراد «بالوفاء» ها هنا: الإسعاد لأنهما عاهداه على الإسعاد. قال: وقال ابن جني في معنى هذا البيت: كنت أبكي الربع وحده، فصرت أبكي وفاءكما معه، ولذلك قال: «وفاؤكما كالربع»، أي كما ازددت بالربع وبوفائكما وَجَدْتُ زدت بكاء. قال: ويروى والدمع «بالجر» عطفاً على «الربع» يريد: وفاؤكما كالربع الدارس في الأدواء إذا لم تحزنا عليه، وكالدمع الساجم في الشفاء إذا حزنتما عليه.

وقال ابن القطاع: وفاؤكما لي بالإسعاد عفا ودرس، كالربع الذي أشجاه للعين دارسه، فكنت أبكي الربع وحده فصرت أبكي معه وفاءكما، وأشتفي بالدمع الذي هو راحة الإنسان وأشفاه للنفس ساجمه»^(١).

الشاهد الثلاثون^(٢): (الكامل)

قول أبي تمام:

ثَانِيهِ^(٣) فِي كِبِدِ السَّمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ كَاثِنِينَ ثَانٍ^(٤) إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ^(٥)

(١) شرح العكبري: ٣/٣٢٥ - ٣٢٦.

(٢) الدلائل، رضا: ٦٦، خفاجي: ١٢٥، شاکر: ٨٤.

(٣) رواية معاهد التنصيص: «كاثنين في كبد السماء».

(٤) رواية الديوان بشرح الخطيب: «لاثنين ثانياً» وعلى هذه الرواية لا شاهد في البيت. ورواية عبث الوليد والموازنة، وأسرار البلاغة «لاثنين ثانٍ». وقوله: «لاثنين ثانٍ»: رديء عند البصريين؛ لأنه جاء بالمنصوب في لفظ المخفوض، ذلك عند الفراء لغة للعرب. وإن رويت «ثاني» بفتح الياء من غير تنوين فهو ضرورة أيضاً، وإن أثبت التنوين وألقيت عليه حركة الهمزة في «إذ» وهو مذهب ورش في القراءة فلا ضرورة فيه. شرح الخطيب: ٢٠٧/٢.

(٥) انظر البيت في:

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ٢٠٧/٢، ديوانه - دار صعب -: ١٣٤، عبث الوليد:

١٤٣، الموازنة - محمد محيي الدين -: ٢٩، أسرار البلاغة: ١٣٠، المفتاح: ١٧٦.

وذكر الصولي في أخبار أبي تمام بعض أبيات القصيدة، ولم يذكر ضمنها بيت الشاهد:

٩٣ - ٩٥، معاهد التنصيص: ٤٥/١.

والبيت من قصيدته التي قالها في مدح المعتصم^(١) وهجاء الأفشين^(٢)،
وبابك الخرمي^(٣).

ومطلع القصيدة:

الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالسُّيُوفُ عَوَارٍ فَحَذَارٍ مِنْ أَسَدِ الْعَرِينِ حَذَارٍ^(٤)

وقبل الشاهد:

يَا قَابِضاً يَدَ آلِ كَاوُسَ عَادِلًا
أَلْحَقْ جَبِيناً دَامِياً رَمْلَتَهُ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنَّمَا تُلْقِيهِمْ
لَوْ لَمْ يَكُذْ لِلْسَّامِرِيِّ قَبِيلُهُ
وَتُمُودُ لَوْ لَمْ يُذْهِنُوا^(٥) فِي رَبِّهِمْ
وَلَقَدْ شَفَى الْأَحْشَاءَ مِنْ بُرَحَائِهَا^(٦)
أَتْبَعَ يَمِيناً مِنْهُمْ بَيْسَارٍ
بِقَفَاً وَصَدْرًا خَائِناً بِصَدَارٍ
فِي بَعْضِ مَا حَفَرُوا مِنَ الْأَبَارِ
مَا خَارَ عَجْلُهُمْ بِغَيْرِ خَوَارٍ
لَمْ تُزَمْ نَاقَتُهُ بِسَهْمِ قَدَارٍ^(٧)
أَنْ صَارَ بَابُكَ جَارَ مَازِيَارٍ^(٨)

(١) انظر ترجمته: ص: ١٩٠.

(٢) هو حيدر بن كاوس، كان من أكابر قواد المعتصم قُطْعَهُ وصلبه، وعلم المعتصم خيانة من الأفشين، فأمر بالقبض عليه، فُحْمِلَ إلى دار إيتاخ، فمات بها فأخرجوه وصلبوه على باب العامة ليراه الناس، ثم أُلْقِيَ، وأُحْرِقَ بالنار، وكان موته في شعبان سنة ست وعشرين ومائتين.

انظر خبره: تاريخ الطبري: ١١٤/٩، وانظر أيضاً من: ص ٨٠ - ١١٠، الكامل لابن الأثير: ٢٦٢/٥، وانظر أيضاً من: ص ٢٥٣ - ٢٦١.

(٣) بابك الخرمي: اسمه الحسين والخرمي نسبة إلى قرية خرمة، وهو من أتباع مزدك الذي يوجب الشيوعية في المال والنساء، ذُكِرَ أن ظهوره كان في سنة إحدى ومائتين، وامتنع على الدولة عشرين عاماً من سنة ٢٠١ - ٢٢١ هـ وقتل سنة ٢٢٣ هـ ثم صلب.
انظر: تاريخ الطبري: ١١/٩ - ٥٥، الكامل لابن الأثير: ٢٣٤/٥ - ٢٤٦.

(٤) ديوانه بشرح التبريزي: ١٩٨/٢.

(٥) يدهنوا: من الدهن وهو النفاق والخداع. اللسان «دهن»: ١٦٢/١٣.

(٦) رواية الديوان تحقيق التبريزي: «لَمْ تَذَمْ نَاقَتَهُ بِسَيْفِ قُدَارٍ».

(٧) البرحاء: شدة الأذى. اللسان «برح»: ٤١٠/٢.

(٨) مازيار: هو مازيار بن قارن بن ونداد هرمز أظهر الخلاف على المعتصم بطبرستان، حيث =

وبعدها الشاهد وبعده:

وَكَاثَمَا أَتْنَبَذَا لِكَيْمَا يَطْوِيَا عَنْ نَاطِسٍ^(١) خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ

استشهد الإمام عبد القاهر بالبيت على فساد النظم - أيضاً - ولم يشر إلى موضع الفساد فيه .

وذكر الأمدي أن وجه الفساد في أنه جاء «بثانٍ» في صورة المرفوع، وهذا يوهم بأنه فاعل يكون أي لم يوجد «ثان لاثنين» وهذا محال لأن كل اثنين أحدهما ثان للآخر . قال:

«ونحن لو رُمنا أن نُخرج ما في شعر أبي تمام من اللحن لكثير ذلك واتسع، ولوجدنا منه ما يضيق العذر فيه، ولا يجد المتأول له مخرجاً إلا بالطلب والحيلة والتحمل الشديد، وذلك مثل قوله:

ثَانِيهِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ لاثْنَيْنِ ثَانٍ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ

معنى هذا البيت أن بابك صار جاراً في الصلب لمازيار، وهو ثانيه في كيد السماء، ولم يكن ثانياً لاثنين إذ هما في الغار، لأن هذه فضيلة، فكان يجب أن يقول في البيت «ولم يكن لاثنين ثانياً»، لأنه خبر يكن، واسمها هو اسم بابك مضمّر فيها، فليس إلى غير النصب سبيل في البيت، وإلا بطل المعنى وفسد، وفساده أنك إذا أخليت «يكن» من ضمير بابك، وجعلت قوله: «ثاني» اسمها كان ذلك خطأ ظاهراً قبيحاً؛ لأنك إذا قلت: كان زيد وعمرو اثنين، ولم يكن لهما ثان، كنت مخطئاً؛ لأن كل اثنين أحدهما ثانٍ للآخر، وكذلك إذا قلت: كانوا

= اتفق مع الإفشين - أحد قواد المعتصم - على إظهار بعض مذهب الثوية الذين يعتقدون بالهبي الخير والشر، ولكن المعتصم ظفر به وقتله ثم صلبه إلى جانب بابك .
انظر: الكامل لابن الأثير: ٢٥٣/٥ - ٢٥٩ .

(١) ذكر الخطيب أنه جاء في نسخة «ياطس» بالياء ملك، وناطس: حاذق عالم وأصله العالم بالطب، وقيل بطريق مَلَطِيَّة كان قد صُلب . ديوانه بشرح الخطيب: ٢٠٧/٢ .

ثلاثة، ولم يكن لهم ثالث، كنت مخطئاً؛ لأن أحد الثلاثة هو ثالثهم، وإنما تكون مصيباً إذا قلت:

كانا اثنين، ولم يكن لهما ثالث، وثلاثة، ولم يكن لهم رابع، وأيضاً فإنه لو أراد هذا المعنى لم يكن في البيت فائدة البتة؛ لأنه كان يكون المعنى حينئذ أن بابك ثاني مازيار، فأني فائدة في هذا مع ما فيه من الخطأ الفاحش؟ وأي تعلق لهذا المعنى بما قبله في البيت؟^(١).

رأى الشيخ عبد الهادي العدل أن في تعليل الأمدي تحاملاً على أبي تمام؛ لأنه لا يمكن أن يتوهم أحد هذا فـ «ثان» خبر «يكن» الناقصة ولاثنين متعلق به واسمها ضمير يعود على بابك.

والعيب فقط في أنه أتى بالمنصوب في صورة المرفوع^(٢).

فقارن صورتها وهما مصلوبان في الجو بصورة الرسول ﷺ، وأبي بكر الصديق حين كانا في غار ثور، واستمد الشاعر صورته هذه من قوله تعالى:

﴿إِلَّا نَنْصُرْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِثَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾^(٣).

إلا أن هذا التشبيه بعيد إذ ليس هناك وجه لهذا الشبه في هذا المقام.

قال الشيخ عبد الهادي العدل:

«قالوا إن ذكر أبي بكر مع رسول الله في هذا المقام مما يأنه الذوق السليم، ولو أنه جاء على سبيل نفي المشابهة، فما كان هناك توهم مشابهة حتى تنفى»^(٤).

(١) الموازنة - تحقيق محمد محي الدين - : ٢٨ - ٣٠.

(٢) دراسات تفصيلية شاملة: ١٣١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٤) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبدالقاهر: ١٣٠ - ١٣١.

وقد حمل أبو العلاء بيت أبي تمام على غير الضرورة، وعلى نحو يختلف عما رآه فيه غيره قال:

«ليس هو على مذهب من قال: «ثان اثنين فنون، وهو ثالث ثلاثة، ولكنه على قولهم: هذا غلام لزيد، يجوز إدخال اللام، وإن كان الغلام غير عامل في زيد، كما يقال: هذا للسلطان خادم»^(١).

ويبدو لي أن قوله: «في كِبِدِ السَّمَاءِ» تصوير جميل لمشاعر الاستهزاء والتحقير التي تنطوي عليها نفس الشاعر، إذ أنه جعل صورتها في الصلب واضحة بارزة لا تخفى على أحد، فهما في «كِبِدِ السَّمَاءِ» وهذا تصوير لشدة التنكيل بهما، وأيضاً نلمح في هذه العبارة شدة فرحه وفخره بالقضاء عليهما، ولكن لجوء الشاعر إلى التشبيه والمقارنة بين صورة مازيار وبابك، وهما مصلوبان، وبين صورة الرسول ﷺ، وأبي بكر رضي الله عنه في الغار، وأيضاً إتيانه بالمرفوع في صورة المنصوب، طمس هذا الجمال وأذهب رونقه، وأبعد الأذهان عنه.

وقد ورد لبيت أبي تمام نظائر، عدها العلماء من الضرورات الشعرية، من ذلك قول بشر بن أبي خازم:

(وافر)

كَفَى بِالنُّأْيِ مِنْ أَسْمَاءَ كَافٍ وَلَيْسَ لِحُبِّهَا مَا عِشْتُ شَافِي^(٢)

فكان من حق الكلام أن يقول:

«كَفَى بِالنُّأْيِ مِنْ أَسْمَاءَ كَافِيًا»

(١) عبث الوليد: ١٤٣.

(٢) رواية شرح المفصل للشطر الثاني: «وليس لحُبِّهَا إِذْ طَالَ شَافِي». انظر: المقتضب:

٢٢/٤، الخصائص: ٢٦٨/٢، خزانة البغدادى - دار صادر - ٢٦١/٢.

ومنه قول مجنون ليلي :

فَلَوْ أَنَّ وَاشٍ بِالسِّمَامَةِ دَارُهُ وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اهْتَدَى لِيَا^(١)

الشاهد الحادي والثلاثون^(٢) :

قول أبي تمام :

يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ لَمْ^(٣) يَذُقْ جُرْعاً مِنْ رَاحَتِكَ دَرَى مَا الصَّابُ^(٤) وَالْعَسَلُ^(٥)

وهو من قصيدة له في مدح المعتصم بالله ومطلعها :

فَحَوَاكَ عَيْنٌ عَلَى نَجْوَاكَ يَا مَذِلُّ^(٦) حَتَّامٌ لَا يَتَقَضَى قَوْلُكَ الْخَطِلُ

وقبل الشاهد :

كَأَنَّ أَمْوَالَهُ وَالْبَذْلُ يَمْحَقُهَا نَهَبٌ تَعَسَّفَهُ التَّبْذِيرُ أَوْ نَقْلُ
شَرَسْتُ بَلْ لِنْتُ بَلْ قَانَيْتُ^(٧) ذَاكَ بِذَا فَأَنْتَ لَا شَكَّ فِيكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ

وبعدهما الشاهد وبعده :

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى الْعَبَّاسِ وَأَنْبَجَسْتُ عَلَى ثَرَى حَلَّةٍ^(٨) الْوَكَّافَةُ الْهَظْلُ

(١) ديوانه : ٢٩٤ .

(٢) الدلائل، رضا : ٦٦ ، خفاجي : ١٢٥ ، شاکر : ٨٤ .

(٣) رواية الأسرار تحقيق - خفاجي - : «من يذوق» .

(٤) ذكر الجوهري أنه عصارة شجر مُرٍّ ، ورد عليه الفيروزبادي فقال : «وشجر مر جمع صاب ،

ووهم الجوهري في قوله : عصارة شجر «الصباح» «صوب» : ١٦٦/١ ، القاموس المحيط : «صوب» : ٩٧/١ .

(٥) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ١١/٣ ، ديوانه - دار صعب - : ٢٠١ الوساطة : ٧٩ ،

الموازنة - تحقيق محمد محي الدين - : ١٦٩ ، الأسرار - تحقيق خفاجي - : ٢٦٩/١ ، تحقيق هـ . ريتز : ١٣١ .

(٦) المذل : الذي يفشي السر اللسان «مذل» : ٦٢١/١١ .

(٧) قَانَيْتُ : خَلَطْتُ . اللسان «قنا» : ٢٠٥/١٥ .

(٨) رواية ديوانه - دار صادر - : «على ثَرَى رحله» .

ذكر الشيخ محمد رشيد رضا في تحقيقه الدلائل: أن هناك رواية أخرى لصدر البيت وهي «مَنْ يَذُقْ جُرْعاً» ورأى أنها أظهر من رواية «لَمْ يَذُقْ».

ورد الشيخ عبد الهادي العدل على هذه الرواية وعلى من قال أنها رواية الشيخ عبد القاهر في «الأسرار»، ورأى أنها ليست روايته بل هي تصحيح من بعض من لم يفهم البيت، وإلا فما بال الشيخ يسوقه شاهداً على التعقيد؟.

أضف إلى ذلك أن «مَنْ» لا تلائم قوله «يَدِي رَهْنٌ»، كما يشهد بذلك الذوق السليم، ثم إن الشاعر يريد حصر الصاب والعسل في بطشه وجوده، و«مَنْ» لا تفيد ذلك^(١).

وأيضاً «مَنْ يَذُقْ» يدل على الاستقبال، و«دَرَى» فعل ماض فيكون حاصل الكلام، مَنْ يَذُقْ في المستقبل دَرَى في الماضي!

والبيت شاهد على فساد النظم الذي يخل بالمعنى، فالشاعر لجأ إلى حذف جزء من الجملة كان له دور كبير في إبراز المعنى، بل هو عمدة الكلام فيها، فحذف «إِنْ كَانَ مِنْ» وتقدير الكلام: «يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ إِنْ كَانَ مَنْ لَمْ يَذُقْ»، وذكر القاضي الجرجاني هذا البيت في الرديء من شعر أبي تمام، فقال:

«فحذف عمدة الكلام، وأخلَّ بالنظم، وإنما أراد به يدي لمن شاء رهن» «إِنْ كَانَ» لم يذُق^(٢)، فحذف «إِنْ كَانَ» من الكلام، فأفسد الترتيب، وأحال الكلام عن وجهه^(٣).

وكذلك ذكر الأملدي أن هذا البيت فاسد النظم لكثرة ما فيه من الحذف، قال:

«لفظ هذا البيت مبنيٌّ على فساد؛ لكثرة ما فيه من الحذف، فكأنه أراد

(١) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر: ١٣٢.

(٢) يبدو لي أنه يجب أن تكون هنا «من» حتى يستقيم الكلام.

(٣) الوساطة: ٧٩.

بقوله: «يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ» أي: أصافحُه وأبايعه مُعَاقَدَةً، أو مراهنه إن كَانَ مَنْ لَمْ يَذُقْ جُرْعاً مِنْ رَاحَتِكَ دَرَى مَا الصَّابُ وَالْعَسَلُ، ومثل هذا لا يسوغ؛ لأنه حذف «إن» التي تدخل للشرط، ولا يجوز حذفها؛ لأنها إذا حُذفت سقط معنى الشرط، وحذف «من» وهي الاسم الذي صِلَتْهُ «لَمْ يَذُقْ» فاختل البيت، وأشكل معناه... فإن تَأَوَّلَ مُتَأَوَّلُ هذا البيت على ألفاظ آخر مخدوفة غير اللفظ الذي ذكرته، فلاختلال بعد قائم؛ لكثرة ما حذف منه، وسقوط الدليل عليه^(١).

ورد المرزوقي على من عاب على أبي تمام هذا الحذف، فقد رأى أن البيت يحتمل تقديرين، فيتأتى أن نقدر: يَدِي رَهْنٌ لِمَنْ شَاءَ إن درى ما الصَّابُ والعسل غير ذائقِ جُرْعاً مِنْ رَاحَتِكَ، فيكون «لَمْ يَذُقْ» في تقدير الحال، وساغ حذف «إن» لدلالة الشرط والجزاء، ويكون المعنى: إن درى مَنْ لَمْ يَذُقْ جُرْعاً من راحتيك الفرق بين هذين الشيئين، فيدي له رهن، فهذه طريقة.

والتقدير الثاني: يدي رهن لمن شاء غير ذائقِ جُرْعاً مِنْ رَاحَتِكَ دارياً ما الصَّابُ والعسل يريد له رهن، وهاتان حالتاه.

قال المرزوقي:

«اعلم أن اللفظ قد يكون قاصراً عن المعنى، وقد يكون زائداً عليه، وهذا البيت يتأتى فيه التقدير على غير ما قدره هذا العائب، فيتأتى أن تُقَدَّر: يَدِي رَهْنٌ لِمَنْ شَاءَ إن درى ما الصَّابُ والعسل غير ذائقِ جُرْعاً مِنْ رَاحَتِكَ، فيكون «لَمْ يَذُقْ» في تقدير الحال، وحذف «إن» لِمَا كَانَ في الكلام مِنْ دلالة الشرط والجزاء، ألا ترى أن المعنى: إن درى مَنْ لَمْ يَذُقْ جُرْعاً مِنْ رَاحَتِكَ الفرق بين هذين الشيئين، فيدي له رهن، فهذه طريقة.

ويتأتى أن تُقَدَّر: يَدِي رَهْنٌ لِمَنْ شَاءَ غير ذائقِ جُرْعاً مِنْ رَاحَتِكَ دارياً ما الصَّابُ والعسل، يريد يدي له رهن، وهاتان حالتاه، وهذا كما يقول الإنسان:

(١) الموازنة - تحقيق محمد محيي الدين -: ١٦٩ - ١٧١.

لزيدٍ مِنْ مَالِي أَلْفٌ رَاكِباً هَذَا الْفَرَسَ وَصَائِداً بِهِ، والمعنى: إن ركبه وصاداً،
والحالُ قد يتبين منه معنى الشرط، على هذا قولهم: هذا تمرٌ أَطِيبُ منه بُسْراً،
والمعنى: هذا إذا كان تمرًا أَطِيبَ منه إذا كان بُسْراً، وإذا كان الأمر على هذا فقد
سَلِمَ أبو تمام من العيب ولزم الذَّمُّ عَائِبُهُ ولقائله أن يقول لِلْمُنْكَرِ على أبي تمام:
زَعَمْتَ أَنَّ اللفظَ قَاصِرٌ عن المعنى بما حُذِفَ من عمدته مختلٌ، وإنما هو زائد
عليه، لكنك أسأت في التقدير، وزدت ما لا حاجة إليه، وذلك أنه أراد: يَدِي
رَهْنٌ لِمَنْ لَمْ يَذُقْ جُرْعاً مِنْ رَاحَتِكَ دَارِيّاً مَا الصَّابُ والعسلُ، أي إن دَرَى ذلك
فَيَدِي لَهُ رَهْنٌ، وإذا كَانَ الأمر على هذا، فقوله: «شَاءَ» فَضْلَةٌ و«مَنْ» على هذه
التقديرات نكرة، والمعنى: يَدِي لِإِنْسَانٍ هَذِهِ صِفَتُهُ رَهْنٌ، وهم يقولون مررتُ
بِمَنْ ظَرِيفٍ أي بِإِنْسَانٍ ظَرِيفٍ، ومررتُ بِمَا كَرِيمٍ أي بِشَيْءٍ كَرِيمٍ، فاعلمه^(١).

والتقدير الأول الذي ذكره المرزوقي للرد على العائب، وهو قوله «إن درى
ما الصابُ والعسلُ» قد صار فيه إلى ما أنكره العائب من الحذف الذي عابه
عليه، فلا معنى إذا لرده على العائب مع تقديره من الحذف مثلما قدره العائب،
و«درى» إذا جعله حالاً فهو فعل ماضٍ، ولا بد له من تقدير «قد»، كقوله تعالى:
﴿أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ صُدُّوهُمْ﴾^(٢) أي قد حصرت، وقول المرزوقي «شَاءَ»
فضلة، فلم يذهب أحد إلى أن فعلاً يؤتى به فيكون فَضْلَةٌ إلا ما ذكره من «كان»
وقد أباه قوم ومنعوه.

وجعله «مَنْ» على ما ذكره في جميع التقديرات جائز لو أوضحه في جميع
التقديرات، ويمكن أن يجعل «مَنْ» بمعنى «الذي»، فيكون التقدير: «يَدِي رَهْنٌ
الذي شَاءَ لَمْ يَذُقْ جُرْعاً» ولا يمتنع معها التقديرات التي قدرها، ويجعل «لَمْ
يَذُقْ» بدلاً من قوله «شَاءَ»، ويكون التقدير «يَدِي رَهْنٌ لِمَنْ لَمْ يَذُقْ جُرْعاً مِنْ
رَاحَتِكَ دَرَى مَا الصَّابُ والعسلُ، ويكون «دَرَى»، حالاً على ما تقدم^(٣).

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ١٢/٣ - ١٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٠.

(٣) هذا رد ابن المستوفي - نقلاً عن محقق ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي - ١٣/٣.

ورأى التبريزي أن البيت قد حذف منه حرف النفي «لا»؛ لأن المعنى معنى القسم، والمعروف حذف «لا» في جواب القسم دون «ما»، ولا يمتنع في القياس أن يجمع بينهما في الحذف؛ لأنهما حرفا نفي فتُحمَل إحداهما على الأخرى، قال التبريزي:

«هذا البيت قد حُذِفَ منه حرفُ النَّفي؛ لأنَّ المعنى معنى القسم، كأنه قال: والله لا أدري مَنْ لَمْ يَذُقْ جُرْعاً مِنْ رَاحَتِكَ، فحذف حرف النفي؛ لأنَّ المعنى دال عليه، كما تقول: والله أفعل أبداً: أي لا أفعل، قال النابغة: فَقَالَتْ يَمِينُ اللَّهِ أَفْعَلُ إِنِّي رَأَيْتُكَ مَسْحُوراً يَمِينُكَ فَاجِرَهُ

والمعروف حذف «لا» في جواب القسم دون «ما» ولا يمتنع في القياس أن يجمع بينهما في الحذف؛ لأنهما حرفا نفي فتُحمَل إحداهما على الأخرى، أي مَنْ لَمْ يَذُقْ مِنْ بَاسِكَ وَجُودِكَ جُرْعاً لَمْ تَحَقِّقْ عِنْدَهُ مَرَارَةَ الْحَنْظَلِ وَلَا حَلَاوَةَ الْعَسَلِ»^(١).

فمعنى البيت: أن بطش الممدوح وسطوته هي الصاب بعينه أما ما يسميه الناس «صاباً»، فلا يستحق هذا الاسم، لأن مرارته إذا قيست بمرارة بطش الممدوح لم تكن شيئاً، وأنَّ نَدَاهُ وجوده هو العسل الحقيقي لا ما يسميه الناس عسلاً؛ لأن حلاوته لا تذكر مع نواله، إذا لا يعرف حقيقة «الصاب والعسل» إِلَّا مَنْ ذَاقَ مَرَارَةَ بَطْشِهِ وَحَلَاوَةَ جُودِهِ، ومن لم يذوقهما، فلا علم له بهما، فإن كان هناك شخص لم يذوقهما وأدعى أنه عرف حقيقة الصاب والعسل، فَيَدِّي رَهْنُ لِمَنْ شَاءَ إِذَا دَلَّنِي عَلَيْهِ»^(٢).

وهذا المعنى اللطيف بَعْدَ عَنِ الذَّهْنِ؛ لفساد نظمه، وسوء تأليفه، واختلاف سبكه.

وعلق الإمام عبد القاهر على هذه الأبيات التي أوردها في فساد النظم؛ بأنه

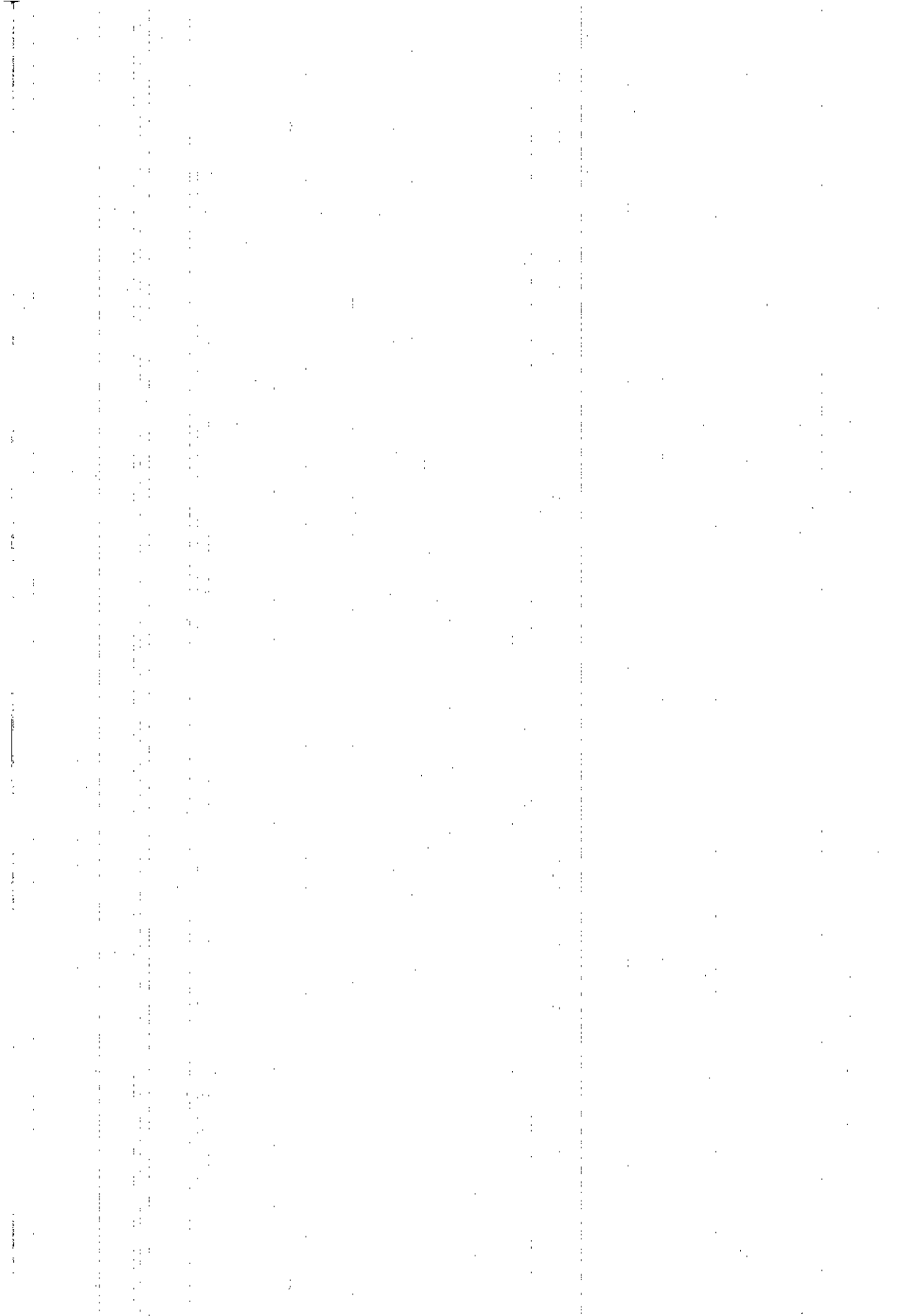
(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب: ١١/٣.

(٢) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر: ١٣١.

إذا ثبت أن فساد النظم، وسوء التأليف مرجعه إلى علم النحو ثبت أن الحكم، والمزية، والفضيلة، ترجع إليه، فيجب على القارئ المتذوق أن يعلم أسرار هذا العلم، ويتعرف على دلالته. قال:

«وفي نظائر ذلك مما وصفوه بفساد النظم، وعابوه من جهة سوء التأليف، أن الفساد والخلل كانا من أن تعاطى الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب، وصنع في تقديم أو تأخير، أو حذف وإضمار، أو غير ذلك مما ليس له أن يصنعه، وما لا يسوغ ولا يصح على أصول هذا العلم. وإذا ثبت أن سبب فساد النظم، واختلاله، أن لا يُعْمَلَ بقوانين هذا الشأن، ثبت أن سبب صحته أن يُعْمَلَ عليها ثم إذا ثبت أن مُسْتَبْطَ صِحَّتِهِ وفساده من هذا العلم، ثبت أن الحكم كذلك في مزيته والفضيلة التي تعرض فيه، وإذا ثبت جميع ذلك، ثبت أن ليس هو شيئاً غير تَوْخِي معاني هذا العلم، وأحكامه فيما بين الكلِم، والله الموفق للصواب»^(١).

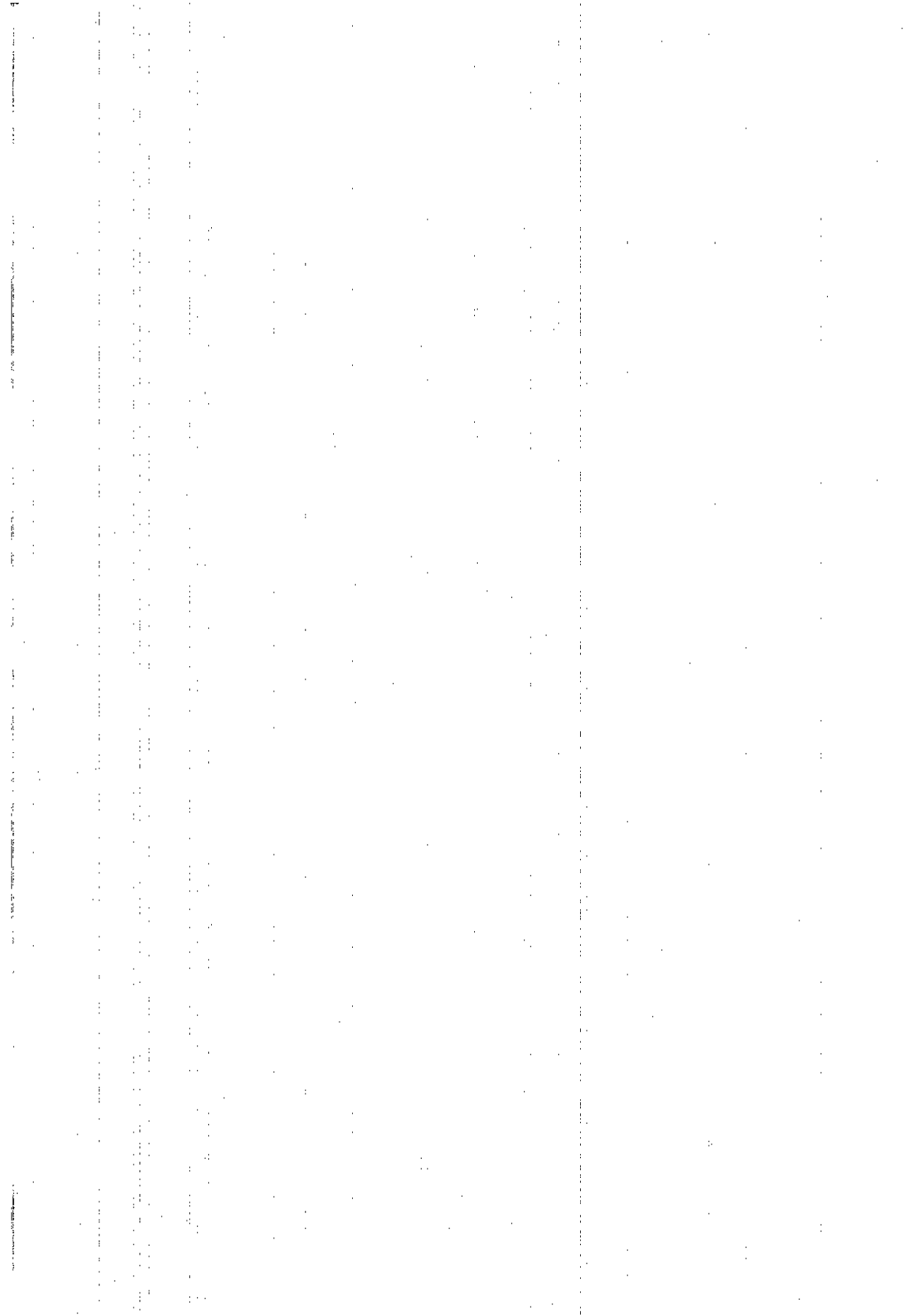
(١) الدلائل، رضا: ٦٦ - ٦٧، خفاجي: ١٢٥، شاکر: ٨٤.



الفصل الثالث

شواهد النظم

- أ — مزية النظم في مراعاة النحو.
- ب — مزية النظم بحسب المعاني والأغراض.
- ج — النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع.



مزىة النظم في مراعاة النحو

ساق الشيخ بعد هذه الأبيات - الأبيات السابقة في فساد النظم - أبياتاً وُصِفَتْ بالحسن وشُهِدَ لها بالفضل؛ لأنها إنما حُسُنَتْ من أجل حسن تأليفها، وجودة صياغتها، ويدعو القارئ إلى تأملها، وأن يحكم ذوقه الواعي عند أي كلمة اهتز، وعند أي موقع طرب.

قال:

«وإذا عرفت ذلك فاعمد إلى ما توافوه بالحسن وتشاهدوا له بالفضل، ثم جعلوه كذلك من أجل النظم خصوصاً دون غيره مما يستحسن له الشعر، أو غير الشعر من معنى لطيف، أو حكمة، أو أدب، أو استعارة، أو تجنيس، أو غير ذلك مما لا يدخل في النظم، وتأمله، فلماذا رأيتك قد ارتحت واهتزت واستحسنت، فانظر إلى حركات الأريحية مم كانت، وعند ماذا ظهرت؟ فلأنك ترى عياناً أن الذي قلت لك كما قلت»^(١).

(المقارب)

الشاهد الثاني والثلاثون^(٢):

قول البحرى:

بَلُونِسا ضَرَّابٌ^(٣) مَنْ قَدْ نَرَى فَمَا إِنْ^(٤) رَأَيْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيًّا

(١) الدلائل، رضا: ٦٧، خفاجي: ١٢٥، شاعر: ٨٤ - ٨٥.

(٢) الدلائل، رضا: ٦٧، خفاجي: ١٢٦، شاعر: ٨٥.

(٣) الضرب: الصنف. مختار الصحاح: «ضرب»: ٣٣٨.

(٤) رواية أمالي المرتضى: «فَمَا إِنْ وَجَدْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيًّا».

هُوَ الْمَرْءُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَا تَنْقَلُ (٣) فِي خُلُقِي (٤) سُودِدِ
تَ عَزْماً وَشِكَاً (١) وَرَأياً صَلِيحَا (٢) فَكَالسَيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِخَا

والأبيات من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان، ويعاتبه، وأولها:
لَوْتُ بِالسَّلَامِ بَنَاناً خَضِيحَا وَلَحْظاً يَشُوقُ الْفَوَازَ الطُّرُوبَا (٦)

وقبل الشاهد:

وَحُمِلْتُ عِنْدَكَ ذَنْبَ الْمَشِيءِ بِ حَتَّى كَانَنِي ابْتَدَعْتُ الْمَشِيءَا
وَمَنْ يَطْلُعُ شَرْفَ الْأَرْبَعِ نَ يُحْيِي مِنَ الشَّيْبِ زُوراً غَرِيبَا (٧)

وبعد الأبيات:

فَتَى كَرَّمَ اللَّهُ أَخْلَاقَهُ وَالْبَسَهُ الْحَمْدَ غَضّاً قَشِيحَا
وَأَعْطَاهُ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ يُعَدُّ (م) حَظًّا وَمِنْ كُلِّ مَجْدٍ نَصِيحَا

رأى الإمام عبد القاهر أن جمال هذه الأبيات - الشاهد - يعود إلى أنه قدّم
وأخر، وعرفَ ونكّر، وحذف وأضمر. . قال:

(١) وشيكا: سريعاً. مختار الصحاح «وشك»: ٧٢٣. اللسان: «وشك»: ٥١٣/١٠ - ٥١٤.

(٢) هذا البيت لم يورده المرتضى في أماليه.

(٣) رواية المثل السائر: «تَرَدَّدَ فِي خُلُقِي سُودِدِ».

(٤) رواية المرتضى: «تَنَقَّلَ فِي سَلَفِي سُودِدِ».

(٥) انظر الأبيات في:

ديوانه -: دار بيروت -: ١٠٧/١، الموازنة - تحقيق أحمد صقر - ٢٩٣/٢، ولم يذكر
الأمدي إلا البيت الأول فقط.

أمالي المرتضى: ٥٣٥/١، المثل السائر: ٣٦٨/٢، ولم يذكر إلا البيت الثالث والرابع
فقط.

معاهد التنصيص: ٢٧٨/٣.

(٦) ديوانه: ١٠٦.

(٧) ديوانه: ١٠٧.

«فإذا رأيتها قد راقنتك، وكثرت عندك، ووجدت لها اهتزازاً في نفسك، فعد فانظر في السبب، واستقص في النظر، فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدّم وأخر، وعرف ونكر، وحذف وأضمر، وأعاد وكرر، وتوخى على الجملة وجهاً من الوجوه التي يقتضيها علم النحو، فأصاب في ذلك كله، ثم لطف موضع صوابه، وأتى مأتى يوجب الفضيلة.

أفلا ترى أن أول شيء يروقك منها قوله: «هُوَ الْمَرْءُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَاتُ»، ثم قوله: «تَنَقَّلَ فِي خُلُقَيْ سُودِدٍ، بَتْنِكِرِ السُّودَدِ، وإضافة الْخُلُقَيْنِ إليه، ثم قوله «فَكَالسَيْفِ»، وعطفه «بالفاء» مع حذفه المبتدأ؛ لأن المعنى لا محالة فهو كالسيف، ثم تكريره «الكاف» في قوله: «وكالبحر» ثم أن قرَنَ إلى كل واحد من التشبيهين شرطاً جوابه فيه، ثم أن أخرج من كل واحد من الشرطين حالاً على مثال ما أخرج من الآخر؛ وذلك قوله «صارخاً» هناك «ومستثياً» ههنا؟ لا ترى حسناً تنسبه إلى النظم ليس سببه ما عدت، أو ما هو في حكم ما عدت، فاعرف ذلك»^(١).

في هذه الأبيات اكتفى الشيخ عبد القاهر بالإشارة إلى مواضع الجمال فقط، فلم يحلل، أو يعلل سبب هذا الجمال، فلعله أراد أن يترك للقاريء فرصة التدوق؛ ليحظى بالمتعة الذهنية، والنفسية، والروحية.

فقوله «هُوَ الْمَرْءُ» فيه تعريف المسند إليه للكمال، وهذا التعريف يلفت الأنظار، ويوجه العقول، ويشد الانتباه إلى هذا الممدوح، فهو مجرد إحساسنا من كل شيء إلا من الإحساس بصفات ممدوحه البالغة في الكمال، أضف إلى أن التعبير هنا بالضمير يشير إلى فخامة الممدوح وكماله، ويبدو أن البحري يحمل للفتح بن خاقان عاطفة صادقة جياشة جعلته يستعمل هذا الأسلوب الذي يفيض بمعاني عظيمة، فالمعروف أن نوائب الدهر وحوادثه تفت من عزم الإنسان، وتهده قواه إلا أن هناك شخصاً لا مثيل له بلغ درجة من الكمال وخرج عن طبيعة أفراد

(١) الدلائل، رضا: ٦٧ - ٦٨، خفاجي: ١٢٦، شاکر: ٨٥ - ٨٦.

جنسه ممن تخور قواهم، فإن أردت أن تعرف من هو، فانظر إلى ممدوحه، فهو المرء الوحيد الذي تَغَلَّبَ على حوادث الدهر، فأصبحت هي تستمد قواها منه، وتستخرج منه العزم الوشيك، والرأي الصليب، وفي تنكير «سُودد» تعظيم وتشريف لهذا الممدوح، فهو سُوددٌ مبهم لا يُدْرِكُ كنهه ولا مداه وحدوده، وفي قوله «خُلِقِي» إبهام، ثم بعد ذلك فسر ووضح المقصود بهذين الخُلُقَيْنِ، ففاجأنا في الشطر الثاني بأعظم خُلُقَيْنِ إذا وصف بهما إنسان اعتبر فرداً من نوعه، فممدوحه جواد يعطي في سماحة من غير تقييد، وشجاع ذو بأسٍ شديدٍ في ميادين الحرب، فجمع له هاتين الصفتين، وأضافهما إليه، وفي إضافتهما إليه دليل على أنهما ثابتتان فيه ملازمتان له لا تفارقانه، فهما جزء لا يتجزأ منه.

ولا يكتفي الشاعر بهذا بل يأتي «بالفاء» زيادة في التفصيل والتفريع؛ لأن الفاء تجعل ما بعدها مُفْرَعاً عما قبلها، فقوله: «فكالسيف» يفصل ويؤكد ويوضح قوله: «بأساً مهيباً»، فهو في بأسه، ومضائه في الحرب، كالسيف الحاد القاطع الباتر، وهو في جوده «كالبحر» الفياض، وفي مجيء التشبيه بهذه الطريقة ما يمتع الخيال، ويمده بالصور الغنية بالدلالات التي تؤكد هذه الصفات في الممدوح.

«فالبيت الثاني يدل على معنى الأول؛ لأن البحر والسيف^(١) للباس المهيب إلا أن في الثاني زيادة التشبيه التي تفيد تخيلاً وتصويراً^(٢)».

ونراه قد حذف المبتدأ في قوله «فكالسيف» والأصل «هو كالسيف» ليدل على أن ممدوحه غني عن التعريف والذكر، فهو يُعرف بصفاته هذه؛ لأنه المتفرد بها، ولا يمكن لأحد أن يتصف بها، فلا ضرورة إذاً لذكره.

وأتى مع كل تشبيه بأداة شرط، ثم قرب كلاً من الشرطين بحال «صَارِحاً - مُسْتَبْهِياً» ليدل على قوته المطلقة وسخائه العام، فقوته وجوده غير مقيدتين بوقت،

(١) البحر للجود والسيف للحرب.

(٢) المثل السائر: ٣٦٨/٢.

فهو قوي قادر ليس في أوقات الرخاء فقط بل هو كالسيف مضاء في حالة الشدة، وطلب النجدة، وكالبحر سخاء في حالة الحاجة إلى العون والإغاثة.

وبالنظر إلى مواطن الحسن التي أشار إليها الشيخ نجده قد حصر جودة هذا الشعر على ما ذكره من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير... الخ، وأهمل دلالة اختيار الكلمات على ما في الشعر من بلاغة.

فهو مثلاً لم يعط أهمية لاختيار كلمة «بلونا»، وأنها أبلغ وأفخم للمعنى من كلمة «عرفنا» ذلك أنها تفيد معنى البحث والاستقصاء، والاختبار، فالشاعر لم يفضل «الفتح» بن خاقان إلا بعد أن اختبر وفتش واجتهد في الكشف عن ضرائب من رأيهم من الناس.

وكذلك آخياره لفظ «تنقل» ومعناه أن الخُلُقَيْن راسخان فيه، وأنه تنقل فيهما من طفولته إلى شبابه إلى كهلولته... فهما ملازمان له، وهما خلقان ثابتان من أخلاقه.

وأيضاً آختر كلمة «مرجى» بالتشديد، والتي دلت على أن كرمه يرجوه الراجون، فإن بعض من يتصفون بالكرم لا يرجوهم أحد، أو لا يكون رجاؤهم بهذه الصورة المبالغة فيها فإن رَجَى بالتشديد غير «رجا»، فمرجى غير مرجو.

ودلت أيضاً على أن بأسه ليس مجرد صفة يتصف بها لكنه يُهاب ويُخشى. أضف إلى ذلك أن في قوله «فما إن رأينا» اجتمع حرفا نفي، وهذا له مدلوله في نفي المثل له.

الشاهد الثالث والثلاثون^(١):
(الطويل)

قول إبراهيم بن العباس^(٢):

(١) الدلائل، رضا: ٦٨، خفاجي: ١٢٧، شاکر: ٨٦.

(٢) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول (١٧٦ هـ وقيل ١٦٧ هـ - ٢٤٣ هـ)، وكان صول رجلاً من الأتراك، وهو من موالى يزيد بن المهلب، وكان إبراهيم يختار من الشعر أحسنه، =

فَلَوْ^(١) إِذْ نَبَا^(٢) دَهْرٌ وَأُنْكِرَ صَاحِبٌ وَسُلْطَ أَغْدَاءُ وَغَابَ نَصِيرٌ
تَكُونُ^(٣) عَنِ الْأَهْوَازِ^(٤) دَارِي بِنَجْوَةٍ^(٥) وَلَكِنْ مَقَادِيرُ جَرَتْ وَأُمُورٌ
وَإِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَ هَذَا مُحَمَّداً لِأَفْضَلِ مَا يُرْجَى أَخٌ وَوَزِيرٌ^(٦)

= ويسقط أردله، وكان صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات، ثم آذاه الزيات وأغرى به
الوائق، وصارت بينهما شحنة عظيمة، لم يمكن تلافيها، وكان إبراهيم يهجو هجاءً مرأً،
ولقد تولى إبراهيم الأهواز في عهد الواثق بالله.
انظر ترجمته:

الأغاني: - دار الكتب: - ٤٣/١٠ - ٦٨، الوزراء والكتاب: ٨٢، معجم الأدباء: ١٦٤/١ -
١٩٧.

- (١) ورواية الديوان: «تَغَيَّرَ لي دهر».
- (٢) نبا: نبا الشيء عني ينبو أي تجافى وتباعد، ونبت بي الأرض أي لم أجد بها قراراً، ونبا
فلان عن فلان: لم ينقد له. اللسان: «نبا»: ٣٠٢/١٥.
- (٣) ذكر محقق الطرائف الأدبية أنه يروى في الأصل:
«تلون على الأهواز» وهو تصحيف.
- (٤) الأهواز: آخره زاي، وهي جمع هوز، وأصله حوز، فلما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة
غيرتها حتى أذهبت أصلها؛ لأنه ليس في كلام الفرس حاء مهملة، وعلى هذا يكون الأهواز
اسماً عربياً سمي به في الإسلام، وكان اسمها أيام الفرس خوزستان، وفي خوزستان
مواضع يقال لكل واحد منها خوز كذا، منها خوز بني أسد وغيرها، فالأهواز اسم للكورة
بأسرها، وأما البلد الذي يغلب عليه هذا الاسم عند العامة، فإنما هو سوق الأهواز، والحوز
في كلام العرب مصدر حاز يحوز، وهي الحصول على الشيء، وقيل: الأهواز اسمها
«هرموز شهر»، وقيل إنها كانت تسمى «هرمز اردشير»، وذكر أن الأهواز سبع كور بين
البصرة وفارس لكل كورة منها اسم، ويجمعهن الأهواز.
انظر: معجم البلدان: ٢٨٤/١ - ٢٨٥.
- (٥) النجاء: الخلاص من الشيء نجا ينجو نجواً ونجاءً، ممدود، ونجاة، مقصور، ونجى واستنجا
كنجا. والنجوة والنجاة: ما ارتفع من الأرض فلم يعله السيل فظنته نجاءك، والجمع نجاء.
اللسان: «نجاء»: ٣٠٤/١٥ - ٣٠٥.
- (٦) انظر البيت في: الطرائف الأدبية - ديوان إبراهيم بن العباس الصولي: - ١٣٢، الأغاني: -
دار الكتب: - ٥٠/١٠، والبيت الأخير في معجم الأدباء: ١٦٩/١.

والأبيات قالها إبراهيم بن العباس عندما عُزل عن الأهواز في أيام محمد بن عبد الملك الزيّات، فاعتُقِلَ بها، وأوذي، وكان محمد قبل الوزارة صديقه، وكان إبراهيم بن العباس يأمل أن يطلق سراحه، فأنشد هذه الأبيات.

وقد وجه الإمام عبد القاهر إحساسنا إلى مواطن الروعة فيها، وترك لكل متذوق حُرّية التعليل لذوقه، فقال:

«فإنك ترى ما ترى من الرونق والطلاوة، ومن الحسن والحلاوة، ثم تتفقد السبب في ذلك، فتجده إنما كان من أجل تقديمه الظرف الذي هو «إِذْ نَبَأَ» على عامله الذي هو «تكون»، وإن لم يقل «فلو تكون عن الأهواز داري بنجوة إِذْ نَبَأَ دهر»، ثم أن قال: «تكون» ولم يقل «كان»، ثم أن نَكَرَ الدهر، ولم يقل «فلو إِذْ نَبَأَ الدَّهْرُ» ثم أن ساق هذا التكرير في جميع ما أتى به من بَعْدَ، ثم أن قال: «وَأُنْكَرَ صَاحِبٌ» ولم يقل: «وَأُنْكَرْتُ صَاحِبًا» لا ترى في البيتين الأولين شيئاً غير الذي عدده لك تجعله حُسْنًا في النظم، وكله من معاني النحو كما ترى، وهكذا السبيل أبدأ في كل حُسْنٍ ومزية رأيتهما قد نسبا إلى النظم، وفضل وشرف حيل فيهما عليه»^(١).

فهذه الأبيات من محاسن الشعر، وروائع القصيد لما تحملها كلماتها من معاني عميقة معبرة عن إحساس الشاعر، فالشاعر هنا سجين يئن تحت وطأة العذاب، وذُلّ الحبس، وانكسار النفس، فقد كان والياً على الأهواز، والسيد المطاع فيها، ثم ها هو ذا، وقد تنكر له الدهر، وتسلبت عليه الأعداء، وعظم بذلك الخطب، فتمنى لو أنه أصيب بما أصيب بعيداً عن الأهواز؛ لأن الذل في موطن السيادة والعز أشد وقعاً، وألماً على النفس، فنراه يصور حاله هذه بالفاظ تبعثها المعاني النفسية للشاعر، حيث قدّم الظرف «إِذْ نَبَأَ» على معموله؛ لأن الشاعر أحس أول ما أحس بوطأة ذلك الزمن، فأراد أن يجسد أهواله ويصور جسامة الأمور التي ألمت به فيه، فهو زمن ليس كأي زمن مر به، بل هو زمن يثير

(١) الدلائل، رضا: ٧٠ - ٧١، خفاجي: ١٢٧، شاکر: ٨٦.

في نفسه الألم، ففيه أنكر هو الصاحب إذ لم يجد فيه ما كان يعهده، وتسلط عليه الأعداء، وانقلبت أحواله كلها، وتغيرت، فكان لا بد أن يقدمه؛ لأن فيه ولدت مأساته، وفيه ترعرعت، فاللفظ يترتب بحسب ترتيب المعاني في النفس.

قال الشيخ عبد القاهر:

«... وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك؛ لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس»^(١).

ثم نكر لفظ الدهر ليبين عظم البلوى التي تحيط به، أو أن تنكير الدهر جاء تبعاً لإنكار النفس له، فقد أصبحت نفسه تنكر هذا الدهر، فهو زمن منكر عجيب، فليس هو الزمن الذي مر به وعاش فيه أيام كان سيداً مطاعاً على الأهواز. جاء في خصائص التراكيب:

«تجد أنه نكر دهرًا ليشير بهذا إلى أنه دهر منكر مجهول، فليس هو الدهر الذي عهده الشاعر أيام نعمته وولايته على الأهواز، وقد كان الشاعر عاملاً عليها من قبل الواثق بالله ثم عُزل في وزارة محمد بن عبد الملك الزيات، فهو ضائق ضجر بدهر غادر...»^(٢).

ويرى الدكتور مندور أن الشاعر نكر لفظ «دهر» ليفرده ويجعله دهرًا خاصاً به، دهرًا غداراً ابتلاه به القضاء المحتوم^(٣).

وانظر إلى بناء الفعل «أنكر» للمجهول، وما فيه من إيهام أن الإنكار ليس منه وحده، وإنما هو عام؛ لأن القصد إثبات الفعل دون أن يلاحظ تعلقه بفاعل معين، فهم الشاعر بيان أن هذا الصاحب أنكر، ولا يهم أن يكون هو، أو غيره الذي أنكره، ويتضح هذا المعنى لو فرضنا أن الشاعر قال: «وأنكرت صاحباً» إذ

(١) الدلائل، رضا: ٤٨، خفاجي: ٩٨، شاکر: ٤٩.

(٢) خصائص التراكيب: ١٦٥.

(٣) في الميزان الجديد: ١٩١.

يبدو أن المراد هنا أن يذكر إنكاراً، وأن ينسبه إلى نفسه، وعند بناء الفعل للمجهول يسقط الحديث عن النفس، ويبقى في الصورة الإنكار وحده.

فالشاعر يريد من صاحب إنساناً معيناً هو محمد بن عبد الملك الزيات، وإنما نكره لثلاثي يوقع الإنكار عليه، فما زال الشاعر يرجو بعد هذا محمداً، هذا إلى ما في معنى التنكير من التهويل، ولو قال: «وأنكرت صاحبي» لذهب كل هذا.

وفي تنكير لفظ «نصير» تجسيد لألم الشاعر، وتجسيد لمأساته، فالذي غاب عنه في محنته هذه ليس فرداً واحداً، وإنما هم أفراداً عديدون خذلوه، ولم ينصروه.

وفي بناء الفعل «سلط» للمجهول، وتنكير «أعداء» تصوير لتكالب الأعداء عليه. «وإذا كان تنكير الدهر، وهو الشيء الواحد المعروف بوحده يفيد الأفراد، فإن تنكير «صاحب، وأعداء، ونصير» يفيد الإطلاق، ويشعرنا بضيق الشاعر، فهو ينكر كل صاحب لما كان من غدر أولئك الصحاب، وهو يريد أن كل عدو قد سلط، وأن كل نصير قد غاب، تنكير المتعدد أفاد الإطلاق، والأمر في تنكير «مقادير وأمور» يشبه تنكير «دهر» فهو يخصصهما بالشاعر ويجعلها وقفاً عليه»^(١).

فالشاعر هنا يذكر أربعة أمور: تنكر الدهر له وتحوله عنه، وتغير صاحبه عليه، وسلطان الأعداء عليه، وتخلي الأنصار عنه، وشر ما في الجميع تسلط الأعداء عليه، بعد أن كانوا مغلوبين مقهورين.

ورأى الدكتور محمد أبو موسى أن تنكير «صاحب» هنا يدل على أنه صاحب لئيم حقير، غير معروف بالصحة، ولا مشهور بخلالها، وأن تنكير «أعداء» للتحقير والتهوين من أمرهم. قال:

«وقد أراد بقوله «وأنكر صاحب» أنكرت صاحباً، ولكنه جاء على هذا

(١) المرجع السابق: ١٩١ - ١٩٢.

الأسلوب حتى لا يسند إنكار الصاحب إلى نفسه صريحاً في اللفظ، وإن كان صاحباً لثيماً محتقراً غير معروف بالصحبة، ولا مشهور بخلالها.

وتنكير الأعداء في قوله: «وسلط أعداء» فيه معنى التحقير، وقلة الشأن، وأنهم ليسوا من مشاهير الرجال، ورمز ببناء الفعل للمجهول في قوله «وسلط» إلى أنهم أداة في أيدي غيرهم لا يملكون من أمرهم شيئاً، فهم لا يستطيعون عداوتي إلا إذا دفعوا إليها من مجهول ساقط^(١).

وفي كلا الرأيين نظر:

أما أولاً: فلأنه يريد بالصاحب هنا «محمد بن عبد الملك الزيات» وهو يقول في البيت الثالث: «وإني لأرجو بعد هذا محمداً» فكيف يرجوه وهو يحقره؟!

ولأن تعظيم الصاحب الذي أنكره أدل على عظم المصائب من تحقيره، وهو إنما أراد بالبيت الأول أن يهول مصابه؛ ليكون هذا سبباً قوياً في تمنيه البعد عن الأهواز.

وأما ثانياً: فلأن الأعداء الذين سلطوا عليه لو لم يكونوا ذوي خطر لما هاله أمرهم؛ ولأن يكونوا أعداء أقوياء حاقدين أنسب من أن يكونوا حقراء؛ لأنه حينذاك لا يأبه لعداوتهم، فهي لا تضره، وإنما يقلقه أنهم يستطيعون ضره.

وبناء «سلط» للمجهول دعا إليه أن التسلط كان من صاحبه محمد بن عبد الملك، وهو لا يريد أن يذكر أنه أغرى به أعداءه لأسباب واضحة. - هكذا يبدو لي -.

ومن المعاني الثرة في هذه الأبيات اختياره الفعل المضارع «تكون» مع أن الحديث في البيت قبله كان بالماضي؛ لأن الفعل المضارع يدل على المستقبل فيصور بذلك آمنيات الشاعر وأحلامه في أن يتحول هذا الزمن المليء بالآلام،

(١) خصائص التراكيب: ١٦٥.

وتصبح داره في منجاة، وكأنه يعرض أمنيته هذه على صديقه القديم، ويؤكد له رجاءه في أن يحقق له هذه الأمنية، وهذا الحلم الممتع، فمثله يُرجى في الملهمات.

فتصويره أمر نجاته، وكأنه أمر محقق وتوكيد هذا المعنى في البيت الذي يليه بقوله، وإني «لأرجو» باستعمال «إن» المؤكدة، ولام التوكيد في «لأرجو»، وتنكير لفظ أخ، ووزير؛ لتعظيم شأنه والإعلاء من قدره، وتوكيد أنه لا منقذ له مما هو فيه إلا محمد هذا، وأنه لن يقصد أحداً غيره؛ لقدرته على ذلك دون سواه، كل ذلك ليحث صديقه على الشروع والمبادرة في إنقاذه، والإسراع في تلبية رغبته، وتحقيق حلمه.

ورأى الدكتور مندور أن الشاعر «... اختار المضارع «تكون» على الماضي «كان»؛ لأن المضارع هنا نحس في دلالته معنى الحالة المستمرة المنسحبة من الماضي إلى الحاضر والمستقبل، والشاعر ودَّ عندما نبا الدهر لو تكون داره عن الأهواز بنجوة، تكون حتى قبل نبو الدهر- تكون وتستمر كذلك؛ لأن الدهر قد أثبت بنبوه تلك المرة أنه قادر على الغدر في كل حين، ومن الخير أن نقدر ذلك الغدر في كل حين، وإذن المفاضلة بين الماضي والمضارع ليست مفاضلة بين ألفاظ بل بين معاني، وعلى الأصح بين حالات نفسية بأكملها»^(١).

ومن الدقائق التي لم يشر إليها الشيخ ابتداء الأبيات بحرف التمني «لو» وماله من إحياءات ومعاني نفسية، ف«لو» هنا للتمني، والتمني تلازمه الحسرة، ويكون في الأمور المتعذرة أو المستحيلة ومن هنا عظمت النكبة على الشاعر.

وذكر الدكتور محمد زكي العشماوي أن الشاعر قال أبياته هذه عندما أحس بالإشاعات المغرضة التي أخذت تتردد بين الناس عن احتمال عزله وتجريده من منصبه، ولقد زاد أمر هذه الشائعات مما جعل الشاعر يتبرم ويضيق، فعبّر بهذه الأبيات عما تكنه نفسه.

(١) قضايا النقد الأدبي: ٣٦٤، وانظر كذلك النقد التحليلي: ٢١٠.

ويبدو من أسلوب الشاعر، والعبارات الموحية في أبياته أنه قالها حين حل به البلاء، ونزل به القضاء، فعاش إحساس الضيق والتبرم، ولم يكن مجرد شعور، ولم تكن مجرد إشاعات، بل هي تجربة أليمة عاشها فعبّر عنها أحسن ما يكون التعبير، وصورها أدق ما يكون التصوير.

ب - مزايا النظم بحسب المعاني والأغراض

يرى الإمام عبد القاهر أن الفضل والمزية في الكلمة يكون بحسب الموضع، وبحسب المعنى الذي يُراد، والغرض الذي قيلت فيه، فشبّه المعاني بالأصباغ التي تُعْمَلُ منها الصور والنقوش، فليس الفضل في ذات اللون بل الفضل والحسن في كيفية مزجه وتوزيعه على أجزاء الصورة.

فالإنسان قبل أن يعمد إلى صبغ ثوبه نراه يتخير، ويتدبر في أنفُس الأصباغ، وفي مواقعها، ومقاديرها، وكيفية مزجها وترتيبها، فيجيء بذلك نقشه أعجب، وصورته أغرب، وكذلك حال الشاعر في اختياره، وتفكيره، وتدبيره، وتوجيهه معاني النحو، ومعرفة وجوهه. قال الشيخ:

«... بل ليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع، وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤم، وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش، فكما أنك ترى الرجل قد تَهْدَى في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نَسَج، إلى ضرب من التخيّر والتدبر في أنفُس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها، وكيفية مزجها لها، وترتيبه إياها إلى ما لم يكن يَتَهْدَى إليه^(١) صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب، وصورته أغرب، كذلك حال الشاعر، والشاعر في توخيها معاني النحو، ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم»^(٢).

(١) في نسخة شاكر: «ما لم يتهدى إليه صاحبه».

(٢) الدلائل، رضا: ٧١، خفاجي: ١٢٨، شاكر: ٨٧ - ٨٨.

ثم أشار الشيخ إلى أن الحسن أحياناً لا يتم إلا بمعرفة أجزاء القصيدة وانضمام الأبيات بعضها إلى بعض. قال:

«واعلم أن من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمته والحسن كالأجزاء من الصبغ تتلاحق، وينضم بعضها إلى بعض حتى تكثر في العين، فانت لذلك لا تكبر شأن صاحبه، ولا تقضي له بالحدق، والأستاذية، وسعة الدرع، وشدة المنة حتى تستوفي القطعة، وتأتي على عدة أبيات»^(١).

ثم ذكر الشيخ أن الأبيات الحسنة ذات النمط العالي الشريف، والكلام الفاخر نادرة، فالإنسان يحتاج إلى أن يُقَلَّى ديواناً بكامله حتى يجمع منه عدة أبيات، ثم ذكر من هذا النمط العالي الأبيات الآتية:

الشاهد الرابع والثلاثون^(٢):
(الوافر)

قول الشاعر^(٣):

تَمَنَّا لِيَلْقَانَا بِقَوْمٍ تَخَالُ بَيَاضَ لَأْمِهِمْ^(٤) السَّرَابَا

(١) الدلائل، رضا: ٧٠، خفاجي: ١٢٩، شاکر: ٨٨.

(٢) الدلائل، رضا: ٧١، خفاجي: ١٢٩، شاکر: ٨٩.

(٣) هو زياد بن حنظلة التميمي، صحابي، بعث به رسول الله ﷺ إلى قيس بن عاصم، والزبرقان بن بدر؛ ليتعاونوا على مسيلمة وطلحة الأسدي المتنبئين، وشهد مع أبي بكر حرب ما نعي الزكاة يوم الأبرق. انظر الخبر في:

تاريخ الطبري: ٢٤٧/٣، ٢٤٨، معجم البلدان: ٦٨/١.

(٤) لَأْمِهِم: اللأم جمع لأمة، وهي الدرع، ويجمع أيضاً على لؤم مثل نَعْر، على غير قياس كأنه جمع لؤمة، والألمة مهموزة: الدرع، وقيل السلاح، ولأمة الحرب: أذاتها، وقد يترك الهمز تخفيفاً، ويقال للسيف لأمة، وللرمح لأمة، وإنما سُميت لأمة لأنها تلائم الجسد وتلازمه، وقال بعضهم: اللأمة الدرع الحصينة سميت لأمة لإحكامها وجودة حلقها. اللسان «لام»: ٥٣٢/١٢.

فَقَدْ لَاقَيْتَنَا فَرَأَيْتَ حَرْبًا^(١) عَوَانًا تَمْنَعُ الشَّيْخَ الشَّرَابَا^(٢)

ذكرهما الشيخ من غير نسبة، وأشار إلى أن أبا بكر الصديق رضوان الله عليه، قد تمثل بهما حين أتاه كتاب خالد بالفتح في هزيمة الأعاجم، وهما لزياد بن حنظلة التميمي.

والشاهد فيهما أن جمال البيتين يكمن في أن «الفاء» وقعت موقعها اللائق بها. قال:

«انظر إلى موضع» الفاء في قوله:
«فَقَدْ لَاقَيْتَنَا فَرَأَيْتَ حَرْبًا»^(٣)

فـ «الفاء» هنا وقعت موقعاً رائعاً، حيث ربطت بين معنيين، وموقفين متغايرين، فالشاعر يذكر أن عدوه تمنى وأحب لقاءه؛ لأنه كان واثقاً من النصر لغروره بكثرة عدته وعتاده، ثم جاء بـ «الفاء»، «فَقَدْ لَاقَيْتَنَا» التي طوت الزمن، وطوت كثيراً من الأحداث، ونقلتنا بسرعة إلى نتيجة اللقاء، وهذا هو الخبر المهم الذي أراد أن يطلعنا عليه الشاعر، ثم جاء بـ «الفاء» في قوله: «فَرَأَيْتَ»، فدلّت على أنه على الرغم من كثرتهم الكاثرة تمت هزيمتهم في وقت قصير وبسرعة عجيبة، «فالفاء» هنا عملت على إشباع نفوسنا بالسخرية من ذلك العدو، وازدراء عدته وعتاده.

-
- (١) عَوَانًا: الحرب العوان المترددة، قُوتِلَ فيها مرة بعد مرة. اللسان: «عون»: ٢٩٩/١٣.
(٢) لم أجد البيتين فيما رجعت إليه من مصادر، والذي وجدته بيتان هما فيما يبدو قبل بيتي الشاهد، وهما:

وَيَوْمَ بِالْأَبَارِقِ قَدْ شَهِدْنَا عَلَى دُبْيَانَ يَلْتَهَبُ الْجَهَابَا
أَتَيْنَاهُمْ بِذَاهِيَةِ نَسُوفٍ مَعَ الصُّدَيْقِ إِذْ تَرَكَ الْعِنَابَا

وهما لزياد بن حنظلة أنشدهما في الموقعة التي كانت بين أهل الردة وأبي بكر الصديق، ووقعت في موضع يقال له: أَبْرَقُ الرُّبْدَةِ، وهو من منازل بني دُبْيَانَ، فغلبهم عليه أبو بكر. معجم البلدان: ٦٨/١.

- (٣) الدلائل، رضا: ٧١، خفاجي: ١٢٩، شاکر: ٨٩.

وكذلك نجد في قوله: «تمنع الشيخ الشراب» لمحة جمالية، فقد جسد لنا صورة الحرب التي دارت، وأبرز شدتها وضراوتها، فمن المتعارف عليه في الحروب قديماً أن الشيوخ والأطفال والنساء يكونون دائماً في مأمن، أما هذه الحرب لهولها وفظاعتها نزعت الأمن من قلوب الشيوخ حتى أنهم لم يجرؤوا على الطعام والشراب.

ذكر الأستاذ محمد زكي العشماوي أن الشيخ عبد القاهر استطاع أن يكشف في كتابه «دلائل الإعجاز»، وهو بصدد الحديث عن فكرة النظم عن كثير من الأسرار الكامنة في عوامل الصياغة ويبيّن لنا أن حرفاً واحداً يقع موقعه من الكلام يمكنه أن يرفع القيمة الفنية والجمالية إلى مستوى لم يكن الكلام يبلغه لولا مجيء هذا الحرف في مكانه من التعبير، فحرف «الفاء» في بيتي الشاهد يكشف لنا عن الأثر الذي يتركه هذا الحرف فيهما، ومبلغ ما يمنحه هذا الحرف الواحد من الفضل، وما يضيفه على المعنى من ظلال، فـ«الفاء»، هنا استطاعت أن تصل بين موقفين متباينين تماماً يتلو الواحد منهما الآخر، ويناقضه، وتقف «الفاء» بينهما لتكشف النقاب عن خيبة الأمل التي انتهى إليها هذا الدّعي المغرور الذي كان يظن أن لديه القدرة على سحق خصومه، والذي بلغ به الاعتداد، والثقة بالنفس أن يتمنى اليوم الذي يلتقي فيه مع خصومه في حرب حتى يذيقهم درساً لا ينسونه، وحتى ينتقم منهم ويتشفى. فإذا الحرب تقوم، وإذا الأمل العريض الواسع ينتهي إلى حقيقة مرة ساخرة، وإذا الأمور تنقلب عن وجهها، فينهزم أمام خصومه أي هزيمة.

وهكذا ترى أن كثيراً مما يشعر به القارئ عقب قراءته لهذين البيتين من معاني السخرية والتهكم، بل التشفي فيما انتهى إليه هذا الخصم المغرور إنما يكمن في الوصل بـ«الفاء» بين البيتين، وفي براعة الشاعر، وقدرته على الاستفادة من حرف «الفاء»، الذي عرف كيف يضعه الموضع اللائق به، فإذا كان حرف واحد في موضع معين من الكلام قد حمل كل هذه المعاني والمشاعر،

ولون البيت بعاطفة محددة وجعلها قادرة على أن تبلغ تأثيرها المطلوب، فكيف بعوامل الصياغة الأخرى^(١)؟

الشاهد الخامس والثلاثون^(٢):
(البسيط)

قول العباس بن الأحنف^(٣):

قَالُوا خُرَاسَانًا^(٤) أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا^(٥) ثُمَّ الْقُفُولُ^(٦) فَقَدْ جِئْنَا^(٧) خُرَاسَانَ^(٨)

- (١) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث: ٣٩٦ - ٣٩٨.
- وعنه أخذ الدكتور أحمد عبد السيد الصاوي في كتابه النقد التحليلي: ٢٠٦ - ٢٠٧.
- (٢) الدلائل، رضا: ٧١، خفاجي: ١٣٠، شاكر: ٩٠.
- (٣) هو العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي، أبو الفضل «١٠ - ١٩٢ هـ» شاعر غزل، قال عنه البحري إنه أغزل الناس، أصله من اليمامة، وسكن أهله البصرة وبها مات أبوه، ونشأ هو ببغداد، وتوفي بها وقيل بالبصرة، وهو خال إبراهيم بن العباس الصولي، كان العباس بن الأحنف رفيق الحاشية، لطيف الطباع، جميع شعره في الغزل. انظر ترجمته:
- الشعر والشعراء: ٨٣١/٢ - ٨٣٥، الأغاني: ٣٥٢/٨ - ٣٧٥، تاريخ بغداد: ١٢/١٢٧، ١٣٣، وفيات الأعيان: ٣/٢٠ - ٢٦، البداية والنهاية: ١٠/٢٠٩ - ٢١٠، الأعلام: ٢٥٩/٣.
- (٤) خراسان: إقليم معروف، ومعنى خُر: كُلُّ، وأسان: معناه سهل أي كُلُّ بلا تعب، وقيل: معنى خراسان بالفارسية: مطلع الشمس، والعرب إذا ذكرت المشرق كله قالوا فارس، فخراسان من فارس. انظر: معجم ما استعجم: ٤٨٩/٢ - ٤٩٠.
- (٥) رواية مصارع العشاق: «أقصى ما نحاوله».
- (٦) رواية مصارع العشاق: «ودون ذاك».
- (٧) رواية المصارع: «فقد جُرْنَا».
- (٨) انظر البيت في: ديوانه - دار صادر: ٣١٢.
- وقد أشار جامع الديوان إلى أن البيت لم يرد في أصول الديوان، وإنما أخذه عن رواية الأغاني.
- الأغاني: ٣٧٢/٨، مصارع العشاق: ٢/٢٠٠.

والشاهد مطلع قصيدته التي قالها حين خرج إلى خراسان بصحبة الرشيد - وكان قد ألفه - وطال مقامه بها، ثم خرج إلى أرمينية^(١) فعارضه في طريقه، فأنشده الأبيات^(٢).

وبعد الشاهد:

مَتَى يَكُونُ الَّذِي أَرْجُو وَأَمَلُهُ أَمَا الَّذِي كُنْتُ أَخْشَاهُ فَقَدْ كَانَا^(٣)
مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِي عَلَيَّ شَحْطِ^(٤) جِيرَانَ^(٥) دِجْلَةَ مِنْ جِيرَانِ^(٦) جِيحَانَا
عَيْنُ^(٧) الزَّمَانِ أَصَابَتْنَا فَلَا نَظَرَتْ وَعَذَّبَتْ بِفُنُونِ^(٨) الْهَجْرِ الْوَنَانَا

(١) أرمينية: ناحية بين آذربيجان والروم ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة، أكثر أهلها نصارى، بها جيلان عظيمان: جبل الحارث والحويرث لا يقدر أحد على ارتقاتهما.
انظر: آثار البلاد وأخبار العباد: ٤٩٥ - ٤٩٦.

(٢) الأغاني: ٣٨٢/٨.

وجاء في مصارع العشاق أنه لما خرج المأمون إلى خراسان كان في بعض الليل جالساً في ليلة مقمرة إذ سمع مغنياً يغني من خيمة له:

قَالُوا خُرَاسَانَ أَقْصَى مَا نَحَاوَلُهُ وَدُونَ ذَلِكَ فَقَدْ جُزْنَا خُرَاسَانَا
فخرج المأمون من موضعه حتى وقف على الخيمة وعلمها، فلما كان من الغد وجّه، فأحضر صاحب الخيمة، وهو شاب، فسأله عن اسمه، فقال: العباس بن الأحنف، قال أنت الذي كنت تقول:

مَتَى يَكُونُ الَّذِي أَرْجُو وَأَمَلُهُ أَمَا الَّذِي كُنْتُ أَخْشَاهُ فَقَدْ كَانَا
قال: نعم، قال: ما شأنك؟ قال: يا أمير المؤمنين تزوجت ابنة عم لي، فنادى مناديك يوم أسبوعي في الرحيل إلى خراسان، فخرجت، فأعطاه رزق سنة ورده إلى بغداد، وقال: أقم إلى أن تنفقها فإذا نفقت رجعت.

(٣) ذكر في مصارع العشاق بعد الشاهد:

مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِي بِعِزَّتِهِ سُكَّانَ دِجْلَةَ مِنْ سُكَّانِ جِيحَانَا: ٢٠١/٢.

(٤) رواية مصارع العشاق: «بعزته».

(٥) رواية المصارع: «سكان».

(٦) رواية المصارع: «سكان».

(٧) رواية المصارع: «عيناً أظن».

(٨) رواية المصارع: «بصنوف».

يَا لَيْتَ مَنْ تَتَمَنَّى عِنْدَ خَلْوَتِنَا إِذَا خَلَا خَلْوَةٌ يَوْمًا تَمَنَّا^(١)
أشار الشيخ إلى أن سر الجمال يكمن في موضع «الفاء» و«ثم» قبلها.
قال:

«انظر إلى موضع «الفاء» و«ثم» قبلها»^(٢).

يشكو العباس في هذه الأبيات كثرة الترحال، وعدم الاستقرار، ويشكو
الحنين إلى بلده، ولكنه لا يستطيع أن يصرح بذلك تصريحاً مكشوفاً؛ لأن الرشيد
كان يصحبه معه لألفته به، فكيف يواجه شعور الألفة، بشعور التبرم صراحة؛ لذا
نرى الشاعر لجأ إلى أسلوب يبرز مشاعره، وينقل إحساسه من غير تصريح،
فقال:

«قَالُوا خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا»، ولم يحدد من القائل بل ترك هذه
الكلمة تنبه إحساس القائل بأنه قد أعطى وعداً بأن آخر مطافهم هو بلاد
خراسان، ولكن الشاعر عندما رأى الحقائق تغيرت أصابه الملل والضجر، وقوله:
«ثم القفول» جعل «ثم» تحمل معنى الاستبعاد، فهي هنا لا تدل على التراخي،
لأن السياق لا يتحمل هذا المعنى، فالتراخي لا يتلاءم مع إحساس الشاعر
بالضجر والتبرم، فالأحداث والأفعال قبل «ثم» مهينة لعدم حصول ما بعدها^(٣).

وحملت «ثم» معنى الحسرة، لأن أمر القول والرجوع إلى الأوطان أصبح
بعيداً في نفس الشاعر بالنسبة للاقتراب، والبقاء في خراسان.

ونفسية الشاعر كانت مهينة للبعد عن الديار لفترة محدودة أقصاها بلاد
خراسان، وعندما زادت المدة فوجيء الشاعر، فأصابه القلق، والملل، والضجر،
وأحس بالضيق لإخلاف الوعد، وغالبه الشوق والحنين إلى الديار، فجاء

(١) ديوانه: ٣١٢.

(٢) الدلائل، رضا: ٧١، خفاجي: ١٣٠، شاکر: ٩٠.

(٣) البلاغة القرآنية عند الزمخشري، محمد أبو موسى: ٢٣٨ - ٢٣٩.

بـ «الفاء» ليحملها كل هذه المعاني، فحملت بذلك كثيراً من المعاني النفسية والشعورية التي كانت تثقل نفس الشاعر، ولا يستطيع أن يجهر بها، ويصرح، ونرى الشاعر بعد ذلك يلجأ إلى تسليية نفسه وتصييرها، فأخذ يتأمل ويحلم بالرجوع، فجاء بالاستفهام يحمله أحلامه ورغباته في العودة فقال: «متى يكون» ثم جاء بالاسم الموصول «الذي» فحملة كل رجائه، فلفظ «الذي» يرمز إلى رغبته في العودة، ثم بين أن الأمر الذي يخشاه فاجأه بالتحقق والحصول: «فقد كانا» فالفاء هنا جاءت مفاجأة للشاعر، فصدمت أحلامه، وحطمت آماله «فأحسن مواقع الفاء ما تدل عليه على المفاجأة» وقد لاحظ الزمخشري هذا^(١) في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾^(٢) قال: «هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات، وحذف القول، ونحوها قوله تعالى...» وقول القائل:

قَالُوا خَيْرَ آسَانٍ أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا ثُمَّ الْقُفُولُ فَقَدْ جِئْنَا خَيْرَ آسَانٍ^(٣)
والفاء هنا دلت أيضاً على تحقق الأمر الذي يكره.

الشاهد السادس والثلاثون^(٤): (الطويل)

قول ابن الدمينة^(٥):
أَبِينِي أَفِي يُمْنِي يَسْدِيكَ جَعَلْتَنِي فَأَفْرَحَ أَمْ صَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ

(١) البلاغة القرآنية عند الزمخشري: ٢٤٠.

(٢) سورة الفرقان: الآية ١٩.

(٣) الكشاف: ٨٦/٣.

(٤) الدلائل، رضا: ٧١، خفاجي: ١٣٠، شاکر: ٩٠.

(٥) ابن الدمينة: الدمينة أمه، وهي الدمينة بنت حذيفة السلوية، واسمه عبد الله بن عبيد الله، أحد بني عامر بن تميم بن ميثربن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن حلف بن أقتل، وكان يهوى امرأة من قومه يقال لها أميمة. انظر ترجمته وأخباره في:

نوادير المخطوطات: «أسماء المغتالين»: ٢/٢٦٩ - ٢٧١، نوادر المخطوطات: «كتاب من =

أَبَيْتُ كَأَنِّي بَيْنَ شَقِيَيْنِ مِنْ عَصَا^(١) حَذَارَ الرَّدَى أَوْ خِيفَةً مِنْ زِيَالِكَ
تَعَالَلْتُ^(٢) كَيَ أَشْجَى وَمَا بِكَ عِلَّةٌ تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتُ بِذَلِكَ^(٣)

= نسب إلى أمه من الشعراء: ٨٨/١، الشعر والشعراء: ٧٣٥/٢ - ٧٣٦، الأغاني: ٩٣/١٧ - ١٠٦.

(١) ذكر الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه «قضايا معاصرة»: ٦٦.

رواية آخر البيت لم أفهم عليها، وهي:

أَبَيْتُ كَأَنِّي بَيْنَ شَقِيَيْنِ مِنْ رَحَى.

ويبدو أن هذه الرواية أفضل؛ لأن الشاعر يشكو شدة حاله، ووجده، فشقا الرحى أتق في التعبير، وأدق في تصوير حاله فهي أشد إيلاماً له.

(٢) رواية العقد الفريد، وأمالى القالي: «تَمَارَضْتُ».

(٣) وهذه الأبيات بهذا الترتيب تفرد بها الشيخ عبد القاهر، فلم أجدها كذلك في ديوانه، ولا

في المشهور من كتب الأدب - على حسب المراجع والمصادر التي رجعت إليها - فذكر في الديوان من هذه الأبيات. البيت الأول فقط وقبله:

أَرَى النَّاسَ يَرْجُونَ الرَّبِيعَ وَإِنَّمَا رَجَائِي الَّذِي أَرْجُو جَدَى مِنْ نَوَالِكَ
وبعده:

لَيْسَ سَاءَنِي أَنْ نَلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ
وكذلك في أمالي الزجاجي لم يذكر إلا البيت الأول فقط، وذكر قبله:

لِيَهْنِكَ إِسْكَائِي بِكَفِّي عَلَى الْحَشَا وَرَقْرَاقُ عَيْنِي خَشِيَةً مِنْ زِيَالِكَ
وبعده:

أَرَى النَّاسَ يَرْجُونَ الرَّبِيعَ وَإِنَّمَا رَجَائِي الَّذِي أَرْجُو رَجَاءً وَصَالِكَ
وفي العقد الفريد ذكر البيت الثالث فقط، وبعده:

وَقَوْلُكَ لِلْعَوَادِ كَيْفَ تَرَوْنَهُ فَقَالُوا قَتِيلًا قُلْتُ أَهْوَنُ هَالِكَ
لَيْسَ سَاءَنِي أَنْ نَلْتَنِي ...

وكذلك في أمالي القالي. ذكر البيت الثالث فقط، وذكر بعده:

لَيْسَ سَاءَنِي أَنْ نَلْتَنِي ...

وفي المفتاح لم يذكر إلا البيت الثالث فقط.

وفي الحماسة البصرية ذكر أيضاً البيت الثالث فقط وذكر قبله:

أَرَى النَّاسَ يَخْشَوْنَ السَّيِّئَ وَإِنَّمَا سَيِّئُ الَّذِي أَخْشَى صُرُوفُ احْتِمَالِكَ
وبعده:

والأبيات من قصيدة مطلعها:
قَفِي يَا أُمِّمَ الْقَلْبِ نَقْصُ لُبَانَةٍ (١) وَنَشْكُ الْهَوَى ثَمَّ أَفْعَلِي مَا بَدَا لَكَ (٢)

= وَقَوْلُكَ لِلْعَوَادِ كَيْفَ تَرَوْنَهُ...

وكذلك ذكر في الإيضاح، وشرح أبياته البيت الثالث فقط.
وفي أنواع الربيع ذكر البيت الأول، والثالث إلا أنه ذكر البيت الثالث أولاً، ثم أعقبه بقوله:

تَقُولِينَ لِلْعَوَادِ كَيْفَ تَرَوْنَهُ...

لَيْتَنِي سَاءَنِي أَنْ يَلْتَنِي...

أَسِينِي أَفِي يُمْنِي يَذِيكَ جَعَلْتَنِي

وفي الكشكول للعالملي ذكر عدة أبيات من ضمنها البيت الثالث والأول، وذكر البيت الثالث أولاً وبعده: لَيْتَنِي سَاءَنِي أَنْ يَلْتَنِي...

ثم ذكر البيت الأول.

وفي شرح الحماسة للمرزوقي، وأمالى المرتضى، والزهرة ذكرت عدة أبيات من القصيدة، ولم يُذكر ضمنها أبيات الشاهد.

انظر: ديوان ابن الدميني: ١٧، العقد الفريد «دار الفكر»: ٢٥٦/٢، أمالي الزجاجي:

١٠٨ - ١٠٩، الأغاني: ٩٢/١٧، أمالي القالي: ٣٠/١، الأشباه والنظائر للخالدين:

٥٦/٢، معاني أبيات الحماسة: ١٨٩، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٣٠٧/٣ -

١٣٠٨ رقم (٥١٠)، أمالي المرتضى: ٤٩٥/١، شرح الحماسة للتبريزي: ١٤٨/٢ -

١٤٩، المفتاح: ٨٥، الحماسة البصرية: ١٠٦/٢ - ١٠٧، الإيضاح: ١٥٥/١، شرح

أبيات الإيضاح - فيض لله - ورقة: ٢٣ ب، أنواع الربيع: ٥١/٤، ٢٢٧/٦ - ٢٢٨،

الكشكول: ٧٢/٣/٢.

(١) اللبانة: الحاجة من غير فاقة، ولكن من همة. «اللسان مادة» لبن ٣٧٧/١٣.

(٢) هذا البيت منسوب في الزهرة لخليفة بن روح الأسدي: ٧٦/١، ذكر محقق الديوان أنه

يروى: «نَشْكُ الَّذِي بَنَّا وَفَرَطَ الْهَوَى».

وفي الأمالي للزجاجي، والمرتضى، والزهرة والأشباه، والحماسة البصرية: «نَقَرْنَا نَجِيَّةً -

وَنَشْكُو الْهَوَى».

وفي رواية شرح الحماسة للمرزوقي ومعاهد التنصيص، ورواية معاني أبيات الحماسة:

«قَفِي يَا أُمِّمَ الْقَلْبِ نَقْصُ نَجِيَّةً».

وذكر ابن معصوم أن مطلع القصيدة:

قَفِي قَبْلَ وَشْكِ الْبَيْنِ يَا أَبْنَةَ مَالِكٍ وَلَا تَحْرَمِينَا نَظْرَةَ مِنْ جَمَالِكَ

وموضع الشاهد في الأبيات في البيت الثالث وهو قوله:
«تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتَ بِذَلِكَ»

قال الشيخ: «انظر إلى الفصل والاستئناف في قوله:
«تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتَ بِذَلِكَ»

إن الفصل والاستئناف اللذين أشار إليهما الشيخ ليس في ذاتهما يكمن سر الجمال، ولكنهما استطاعا أن يحددا موقعاً من المواقع الفنية العجيبة في الأبيات؛ لأنهما جاءا عقب هذا التقديم الذي قدم به الشاعر لموقفه من حبيبته، فهو هنا في حالة اضطراب نفسي، فصاحبه تستعمل معه سياسة الكر والفر، فهي لا تعطي حتى تمنع، وهي إن لانت وأسمحت يوماً عصت واستعصت أياماً؛ لذا وقع الشاعر في حيرة من أمر محبوبته أهي تكن له الود والمحبة؟ فكُنِّي عن ذلك بقوله: «أفي يمني يدك جعلتني»؛ لأن العرب تقول في الشيء إذا كان موضع العناية والاهتمام هو في يمينه، أو تلقاه بيمينه، أو أخذه بيمينه، فاليمين بركة وبشارة، أم أنها لا تقيم لحبه وزناً؟ وكُنِّي عن ذلك بقوله: «أم صيرتني في شمالك»؛ لأن العرب تقول: صيره في شماله إذا لم يحفل به، فالشمال شرٌّ وشؤم، وعبر عن حيرته هذه بالاستفهام الذي أنطوى على معاني الضيق والتبرم، وجسد مشاعر الحيرة الدائرة في نفسه.

واستعمل الفاء في قوله: «فأفرح»؛ لأنه وجد فيها مخرجاً من يأسه؛ ولأن هذا هو ما يتمناه ويرجوه من صاحبه، ونراه أضمر بعد قوله في شمالك فعل «فأحزن»؛ لأن ذكر الحزن يضاعف من همه.

وصور حيرته، وألمه، وشدة وجده؛ بأن شبه نفسه كالواقع بين شقي رحي، ففراقها عنده هو الموت بعينه.

ثم يذكر تلاعب صاحبه بعواطفه، وكيف أنها تتعالم وتتمارض لتحزنه وتشجيه؛ لأنها تعلم مكانتها في نفسه، وعندما اشتد حزنه وألمه، وبلغ به الصراع النفسي كل مبلغ قطع كلامه، وتوجه بالحديث إلى صاحبه، وكأنه يلومها، ويستعطفها في آن واحد، فقال:

«تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتَ بِذَلِكَ»

فأسم الإشارة هنا جاء ليؤدي دوره في تجسيد المعنى حيث جعل قتله أمراً ظاهراً محسوساً بالبصر يشار إليه كما يشار إلى أي صورة محسوسة. قال السكاكي:

«وإنما قال قد ظفرت بذلك، ولم يقل بقتلي لادّعائه أن قتله ظهر ظهور المحسوس بالبصر المشار إليه باسم الإشارة»^(١).

فهذا التعال المتعمد، والضيق الذي يحاصر نفسه، ويكتم أنفاسه، وموقفه الذي لا يعلم مكانه أهو موضع اهتمام من حبيبته أم لا؟ والاستفهام الذي يمثل التبرم بالموقف ويمتليء بهذا الضيق، وبذلك الحيرة والثورة النفسية في قمة الأبيات، كل هذا يسلم في النهاية إلى استفهام أخير يركز عنده الفصل والاستئناف، ويحمل الصوت الحزين والنهاية المؤلمة، ثم إن صوت الهمزة يتكرر في البيتين الأول والثاني؛ لأنه جعلها مثلاً لصرخته التي يعلن من خلالها عن مأساته مع صاحبتة؛ وذلك لما تمتاز به الهمزة من أنها أقوى الحروف الحلقية، ثم جاء بالتشبيه؛ ليكمل التعبير عن موقف الضيق والتبرم والخوف من فراقها نهائياً، وفي ذلك هلاك له؛ لأن زوالها عنه وهلاكه سيان، وقد ربط حرف العطف «أو» في قوله: «جَذَارَ الرَّدَى أَوْ خَيْفَةً مِنْ زَيْلِكَ» بين الموقفين وسوى بينهما، وهذه إحدى وظائفه النحوية.

وهكذا نحس مع الشاعر قيمة ما يحمله الفصل، ثم الاستئناف من معنى، وما يتضمنه من مشاعر عاوتت وساعدت في تكوينها، وتجميعها أجزاء الكلام كلها في وحدة وتكامل^(٢).

وقد ذكر ابن معصوم هذه الأبيات في موضوع «الانسجام»، فهي عنده من

(١) المفتاح: ٨٥، وانظر كذلك: معاهد التنصيص: ١٥٩/١.

(٢) انظر: قضايا النقد الأدبي: ٣٦٧، النقد التحليلي: ٢٠٦، خصائص التراكيب: ١٥٦.

الكلام العذب الألفاظ، السهل التراكيب، الحسن السبك، الخالي من التكلف والتعقيد، يكاد يسيل من رفته، وينحدر، انحدار الماء في انسجامه^(١).

الشاهد السابع والثلاثون^(٢):
(البسيط)

قول أبي حفص الشطرنجي^(٣)، قاله على لسان عُلَيَّة^(٤) أخت الرشيد وقد كان الرشيد عتب عليها:

لَوْ كَانَ يَمْنَعُ حُسْنَ الْفِعْلِ^(٥) صَاحِبَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ذَنْبٌ إِلَى أَحَدٍ
كَأَنَّتْ عُلَيَّةُ أَبْرَى النَّاسِ كُلِّهِمْ مِنْ أَنْ تُكَافَأَ بِسُوءٍ آخَرَ الْأَبَدِ
مَا أَعْجَبَ الشَّيْءَ تَرْجُوهُ فَتُحَرِّمَهُ قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قَدْ مَلَأْتُ يَدِي^(٦)

وموضع الشاهد في قوله: «قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ».

(١) أنوار الربيع: ٥١/٤.

(٢) الدلائل، رضا: ٧٣، خفاجي: ١٣٠، شاکر: ٩٠.

(٣) هو عمر بن عبد العزيز مولى بني العباس، وكان أبوه من موالي المنصور فيما يقال، وكان اسمه أعجمياً، فلما نشأ أبو حفص وتأدب غَيْرَهُ وسماه عبد العزيز، نشأ في دار المهدي، ومع أولاد مواليه، وكان مشغولاً بالشطرنج فلُقب به لغلته عليه، فلمات مات المهدي انقطع الشاعر إلى عُلَيَّة، وأصبح شاعرها المفضل (ت ٢١٠ - ٢٠٠ هـ).

انظر ترجمته في:

الأغاني: ٤٤/٢٢ - ٥١، سمط اللآلي: ٥١٧/١، فوات الوفيات: ١٣٥/٣ - ١٣٧، شخصيات كتاب الأغاني: ٢٥٢.

(٤) هي عُلَيَّة بنت المهدي «١٦٠ هـ - ٢١٠ هـ» أمها أم ولد مغنية يقال لها مكنونة كانت من جواري المروانية، وليست من آل مروان بن الحكم، توفيت عُلَيَّة ولها من العمر خمسون سنة. وصلى عليها المأمون.
انظر ترجمتها في:

الأغاني: ١٦٢/١٠ - ١٨٦، شخصيات الأغاني: ٤١٠.

(٥) رواية الأغاني: «حُسْنُ الْعَقْلِ».

(٦) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في: الأغاني: ٤٨/٢٢، فوات الوفيات: ١٣٧،

وذكر في الأغاني بيتاً رابعاً قبل البيت الأخير وهو:
مَالِي إِذَا غِبْتُ لَمْ أَذْكَرْ بِوَاحِدَةٍ وَإِنْ سَقِمْتُ فَطَالَ السُّقْمُ لَمْ أُعَدِّ

قال الشيخ :

«انظر إلى قوله: «قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ»، وإلى مكان هذا الاستئناف»^(١).

صاغ الشاعر هذه الأبيات تعبيراً عن شعور وَلِيَّةٍ نعمته، وإفصاحاً عن رغبتها في أن تُعاد أيام الصفاء بينها وبين أخيها، فأحسن الشاعر وأبدع في نقل هذه الرغبة الصادقة، حيث بدأ الأبيات بلفظ «لو» الذي حمل في طياته معنى الاستعطاف والاعتذار والرجاء، وأسند «المنع» لحسن الفعل إسناداً مجازياً، علاقته السببية ليس أن وليته لا يصدر عنها إلا الفعل الحسن، فإذا كان هذا الفعل الحسن هو الذي يصون المرء من أن يذنب في حق أحد، كانت عُلْيَّة هي المتفردة بالبراءة؛ لأن صفة «حُسْنُ الفعل» قد لازمتها، فليس من العدل أن يساء إليها آخر الأمر.

وقال «تُكَافَأُ» بدل «تُجَازَى»؛ لأنه استعظم أن يذكر كلمة «تُجَازَى» التي تستعمل غالباً مع الأمر السَّيِّئِ، وكأنه يُلَمِّح ويشير إلى أَنَّ الأمر الذي تستحقه عُلْيَّة هو المكافأة والثواب، ثم يأسف الشاعر ويتعجب من حال الإنسان الذي يتمنى ويرجو أشياء، ولكن لا يجد أمامه إلا الحرمان.

انظر إلى قوله «ما أعجب الشيء»، وكأنه يرمز بلفظ «الشيء» إلى الصلح والصفاء الذي ترجوه عُلْيَّة، وتنطوي عليه نفسها وأنظر إلى حسن موقع «الفاء» في قوله «ترجوه فتحرمه» وكيف سارعت برسم خيبة الرجاء، وتسبق الحرمان.

فحين أحسن الشاعر بشعور الخيبة هذا، قطع الكلام واستأنف بقوله: «قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قَدْ مَلَأْتُ يَدَيَّ» فعبر عن خيبة الأمل بهذا الأسلوب الكنائي المعبر الجميل فحمل من معاني الحسرة والألم والأسى ما تفتطرت له نفس الشاعر.

وساعدت أدوات التوكيد هذا الأسلوب الكنائي في إبراز صورة الخيبة، فبدأ البيت بـ «قد»، ثم جاء بـ «إن»، ثم كرر «قد» مرة أخرى في قوله «قد ملأت».

(١) الدلائل، رضا: ٧٢، خفاجي: ١٣٠، شاکر: ٩٠.

ولجأ الشاعر إلى أسلوب التلميح والرمز ليرقق عاطفة الرشيد ويثير في نفسه الحنين، فالرمز والتلميح في هذه المواقف أشد وقعاً على النفس من التصريح، لأن الرمز هو حديث العواطف والمشاعر.

الشاهد الثامن والثلاثون^(١):
(الخفيف)

قول أبي دواد^(٢):

وَلَقَدْ أَغْتَدِي يُدَافِعُ رُكْنِي أَحْوَذي^(٣) ذُو مَيْعَةٍ^(٤) إِضْرِيحُ^(٥)
سَلْهَبُ^(٦) شَرْجَبُ^(٧) كَأَنَّ رِمَاحاً حَمَلْتُهُ وَفِي السَّرَاةِ^(٨) دُمُوجُ^(٩) (١٠)

(١) الدلائل، رضا: ٧٢، خفاجي: ١٣٠، شاکر: ٩١.

(٢) هو أبو داود الإيادي، وهو جارية، ويقال جويرية بن الحجاج بن يحر، وقيل «حمران» بن بحر بن عصام بن مئنه بن حذاقة «حذاق» وهي قبيلة من إياد، ضرب به المثل في الجود؛ لأنه أثر صديقه النمري بنصيبه من الماء، فمات أبو داود عطشاً، وهو من أشهر نعات الخيل، وأكثر شعره في وصفها، وهو من شعراء الجاهلية.
انظر ترجمته في:

الشعر والشعراء: ٢٤٣/١ - ٢٤٦، المؤلف والمختلف: ١١٥، المرزباني: ٦٦، الأغاني: ٣٧٣/١٦ - ٣٨٢، شرح شواهد المغني: ٣٥٩/١ - ٣٦٠، خزانة البغدادی: ١٩٠/٤ - ١٩١، شخصيات الأغاني: ٢٤.

(٣) أحوذ في السير سار سيراً شديداً، والأحوذی السريع في كل ما أخذ فيه، وأصله في السفر. اللسان «حوذ»: ٤٨٦/٣.

(٤) ذو ميعة: الميع مصدر ماع وميعة الفرس أوله وأنشطه. اللسان: «ميع»: ٣٤٤/٨.

(٥) إضريح: الإضريح الجيد من الخيل الكثير العرق الشديد العدو. اللسان «ضريح»: ٣١٤/٢.

(٦) السلهب: الطويل من الخيل، وربما جاء بالصاد، والجمع السلاهبه. اللسان «سلهب»: ٤٧٤/١.

(٧) شرجب: الطويل القوائم العاري أعالي العظام، وهو نعت للفرس الجواد، الكريم. اللسان «شرجب»: ٤٩٣/١.

(٨) السراة: الظهر. اللسان «سرا»: ٣٧٩/١٤.

(٩) دُمُوجُ: أي محكم القتل مُمْلَسٌ، وهو من قولك أُنَمِّجَ الحبل إذا أحكم فتله، ومتن مُدْمَجٌ وكذلك الأعضاء مُدْمَجَةٌ كأنها أَدْمِجَتْ وَمُلِئَتْ. اللسان «دمج»: ٢٧٤/٢ - ٢٧٥.

(١٠) أورد الجواليقي البيتين مع اختلاف بسيط في البيت الثاني حيث أبدل لفظة «أحوذی» بلفظة =

وبعد الشاهد:

تَتَعَادَى بِهِ قَوَائِمُ لَأَمْ وَحَوَامٍ^(١) صُمُّ الْحَوَافِرِ عُرُجُ
مُقْبِلَاتٍ فِي الْحَزْنِ أَوْ مُذْبِرَاتٍ بِهَوَى طَائِعٍ بِهِنَّ يَهِيحُ
كُلُّ قُفٍّ^(٢) إِذَا حَمِينَ عَلَيْهِ قَرَحُ خَائِشَعِ الْقَذَالِ^(٣) شَجِيحٍ^(٤) (٥)

«أجولي» قال:

وَلَقَدْ أَغْتَدِي يُدَافِعُ رُكْنِي أَجُولِي دُو مَيْعَةٍ إِضْرِيحُ
والأجولي: هو الفرس الذي يجول بفارسه.

وفصل بين البيت الثاني والثالث بقول الشاعر:

مِخْلَطٌ مِزْبَلٌ مَعْنٌ مِفْرٌ مِطْرَحٌ مِضْرَحٌ جَمُوحٌ خَرُوجُ
وكذلك رواية اللسان: «أجولي».

وذكر ابن قتيبة البيت الثاني فقط مع بعض التقديم والتأخير في الشطر الأول فقال: «شَرَجَبٌ
سَلَهَبٌ كَانَ رِمَاحًا».

وذكر الصولي البيت الثاني فقط، وروايته موافقة للدلائل.

وأورد الشيخ عبد القاهر بيتي الشاهد في «الرسالة الشافية» وجعل بينهما بيتاً ثالثاً هو قول
الشاعر:

مِخْلَطٌ مِزْبَدٌ مِكَرٌ مَنَقَحٌ مِطْرَحٌ سُبُوحٌ خَرُوجُ
وذكر في البيت الثالث «شرح» بالحاء المهملة بدلاً من «شرح» وذكر البغدادي البيت
الثاني فقط وروايته موافقة للدلائل إلا أنه ذكر لفظ «شرح» بالحاء المهملة بدلاً من
«شرح».

(١) حَوَامٍ: كثيرة الدوام، وهو من حومان الطائر، حام الطائر على الشيء حَوَامًا دَوَمَ. اللسان
«حوم»: ١٦٢/١٢.

(٢) قُفٌّ الشيء: ظهره. اللسان «قفف»: ٢٨٨/٩.

(٣) الْقَذَالُ: جماع مؤخر الرأس من الإنسان، والفرس فوق فأس القفا. اللسان: «قذل»: ٥٥٣/١١.

(٤) شَجِيحٌ: من شَجَّ المفازة يشجها شجاً قطعها، وشج الأرض براجلته شجاً سار بها سيراً
شديداً، وشجت السفينة البحر خرقتها. اللسان: «شجج» ٣٠٤/٢.

(٥) انظر البيتين في:

الخيال - للجواليقي -: ١٢٠ - ١٤٣، المعاني الكبير: ١٥٩/١، أدب الكاتب للصولي: =

أشار الشيخ إلى أن موضع الحسن في قوله «كَأَنَّ رِمَاحًا» قال:
انظر إلى التنكير في قوله: «كَأَنَّ رِمَاحًا»^(١).

وصف الشاعر فرسه بأجمل ما يوصف به فرس، فوصفه بقوة العدو، والنشاط، ثم بالقوام المثالي للفرس العربي الأصيل، ولكي يؤكد أن هذه الصفات ملازمة له، خاصة به، حذف المسند إليه؛ لأن الأصل «هُوَ سَلَهَبٌ، هُوَ شَرَجَبٌ»، ثم أتى بصفة تزيد الناظر عجباً، فكانه فرس ليس له وجود على الحقيقة لما يحمله من الصفات العجيبة، فشبّه قوائمه في غرابتها، وعدم وجود مثل لها في الدقة بالرماح، ليس هذا فحسب بل نكّر لفظ «رماح» ليدل على أن هذه ليست رماحاً حقيقية معروفة، بل هي رماحٌ عجيبة غريبة.

ولقد استحسّن أبو الأسود الدؤلي هذه الأبيات واعتبر قائلها أشعر الناس.

فقد روى أن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه، كان يفطر الناس في رمضان، فإذا فرغ من العشاء تكلم وأوجز، فأبلغ، ويروى أن الناس اختصموا عنده ليلة في اشعر الناس، فطلب علي من أبي الأسود الدؤلي أن يذكر من هو؟ فقال أبو الأسود: أشعرهم الذي يقول:
وَلَقَدْ أَغْتَدِي بُدَافِعُ رُكْنِي... الشاهد^(٢).

(الوافر)

الشاهد التاسع والثلاثون^(٣):

قول ابن البواب^(٤):

٩٨، الرسالة الشافية: «ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن: ١٣٠، لسان العرب: «ضرج»: ٣١٤/٢.

(١) الدلائل، رضا: ٧٢، خفاجي: ١٣٠، شاکر: ٩١.

(٢) الرسالة الشافية: «ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن»: ١٣٠.

(٣) الدلائل، رضا: ٧٢، خفاجي: ١٣١، شاکر: ٩١.

(٤) هو عبد الله بن محمد بن عتاب بن إسحاق من أهل بخارى، وجّه بجِدَّة وجماعة معه رهينة إلى الحجاج بن يوسف، فنزلوا عنده بواسطة، فأقطعهم سبكة بها، فاخبطوها، ونزلوها طول =

أَتَيْتُكَ عَائِذَا بِكَ مِنْكَ^(١) لَمَّا ضَاقَتِ الْحِيلُ
وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَبِي لِحِينِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ
فَإِنْ سَلِمْتَ لَكُمْ نَفْسِي فَمَا لَأَقِيَّتُهُ جَلَلُ^(٢)
وَإِنْ قَتَلَ الْهَوَى رَجُلًا فَإِنِّي ذَلِكَ الرَّجُلُ^(٣)

ذكر الشيخ عبد القاهر أن سر الجمال هنا إنما هو في الإشارة والتعريف
قال:

«انظر إلى الإشارة والتعريف في قوله:
«فَأِنِّي ذَلِكَ الرَّجُلُ»^(٤)

أيام بني أمية، ثم انقطعوا من الدولة العباسية إلى الربيع، فخدموه، وكان عبد الله بن محمد
هذا يخلف الفضل بن الربيع على حجة الخلفاء، وكان عبد الله، صالح الشعر، قليله،
ورواية لأخبار الخلفاء، عالماً بأمورهم، وخدم محمداً الأمين، فأغناه، وأعطاه، ومدحه،
ونال من المأمون وعرض به.

انظر: الأغاني: ٢٣ / ٣٧ - ٤٤.

نُسبت الأبيات في الأغاني وبهجة المجالس لمحمد الزبيدي، وتوهم الأستاذ محمود شاكر
في تحقيقه للدلائل أنها نُسبت في الأغاني لسليم بن سلام الكوفي المغني، وعند مراجعتي
للأغاني وجدت أنها منسوبة لمحمد الزبيدي وإنما غنى بها سليم بن سلام صاحب إبراهيم
الموصللي.

انظر ترجمته في:

الأغاني: ١٦٤/٦ - ١٧٠، وذكر البيت في المفتاح بدون نسبة.

(١) وكأنه أخذ معناه هذا من قوله تعالى: «وَوَظَنُوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ» [سورة التوبة:
الآية ١١٨].

(٢) الْجَلَلُ: الشيء العظيم والصغير الهين، فهو من الأضداد في كلام العرب، يقال للكبير
وللصغير جلل. اللسان «جلل»: ١١/١١٧.

(٣) انظر الأبيات في:

الأغاني: ١٦٨/٦ - ١٦٩، بهجة المجالس وأنس المجالس: ٢/٢٨٠ - ٨٢١، المفتاح:

١٦٨، الإيضاح: ١٠٧/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٨.

(٤) الدلائل، رضا: ٧٢، خفاجي: ١٣١، شاكر: ٩١.

يشكو الشاعر في هذه الأبيات من محبوه شكوى الأمل في الوصال، فقد ضاقت به الطرق، وسُدَّتْ دُونَهُ أَبْوَابُ الْحِيلِ، فلم يَرِ أَحَدًا يَسْتَعِذُّ بِهِ إِلَّا نَفْسَ محبوه، فهو المشتكى منه والمشتكى إليه، وهذا من عظيم وجده وشدة تعلقه وهيامه، هذا الهيام الذي علم به الجميع، فلم يعد هوىً مكتوماً بل خرج عن إرادته، فطار به الركبان وتناقله الناس.

ففي قوله: «صيرني هوك» مجاز حكمي، حيث أسند التصيير إلى الهوى الذي هو سبب في التصيير، فدل هذا الإسناد على تحكم الهوى المطلق في مصير الشاعر، وتصرفه في شؤونه.

ويعود الشاعر فيؤكد عاطفته، وأنه لم يعد يستطيع التحكم في فؤاده، ولشدة ولهه جعل نفسه رخيصة هينة، فهو لا يملك من أمرها شيئاً، فقد أسلمها لذلك المحبوب طائعاً مختاراً يتصرف فيها كيف أراد، وهذا هو همه، فإذا سلمت نفسه لذلك المحبوب، فكل ما يلقاه بعد ذلك شيء لا يؤبه له.

ثم يضع الشاعر لنفسه النهاية، ويعلن للأسماع أنه إذا علم أن هناك رجلاً قد قتله الهوى، فلا يكون إلا هو، فهو يقرر الحقيقة التي تريد أن تعرفها كل نفس عن ذلك الرجل، فقوله في صدر البيت الأخير «رجلاً» عن طريق التوكيد جعل النفوس تشتاق وتتشوف إلى معرفة هذا الرجل، ثم أنظر إليه كيف جاء بـ «الفاء» في قوله «فإني» التي سارعت بكشف النقاب عن الحقيقة التي اشتاقت إليها النفوس بأنه هو ذلك الرجل المشار إليه المميز عن غيره من الرجال، والذي فعل به الهوى ما فعل.

وفي الإشارة وحرف التوكيد «إن» في قوله «فإني ذلك» توكيد وتقرير لتلك الحقيقة.

قول عبد الصمد^(٢):

مُكْتَبٌ ذُو كَيْدٍ حَرَى^(٣) تَبْكِي عَلَيْهِ مُقْلَةً عَبْرَى
يَرْفَعُ يُمْنَاهُ إِلَى رَبِّهِ يَدْعُو وَفَوْقَ الْكَيْدِ الْيُسْرَى^(٤)

وبعد الشاهد:

يَبْقَى إِذَا كَلَّمْتَهُ بَاهِتاً وَنَفْسُهُ مِمَّا بِهِ سَكْرَى

(١) الدلائل، رضا: ٧٣، خفاجي: ١٣١، شاكر: ٩١.

(٢) هو عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البختری بن المختار بن أسد بن ربيعة بن نزار وكنيته أبو القاسم (١٠٠٠ - ٢٤٠ هـ) وهو من شعراء الدولة العباسية، وأمه أم ولد طباطبة يقال لها: الزرقاء، وهو شاعر فصيح هجاء خبيث اللسان شديد العارضة سيكبر، بصري المولد والمنشأ، وكان أخوه أحمد شاعراً أيضاً إلا أنه كان عفيفاً ذا مروءة ودين، وكان له جاه واسع في بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبد الصمد فيه، يحسده ويهجوه فيحلم عنه، وكان أبو عبد الصمد وجده شاعرين، وقد روى عنهما شيء من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير.

انظر ترجمته:

طبقات ابن المعتز: ٣٦٧ - ٣٦٩، الأغاني - دار الإحياء -: ٢٢٦/١٣ - ٢٥٨، الموشح: ٣١٠، زهر الآداب: ٧٠٦/٣ - ٧١٣، سمط اللآلي: ٣٢٥ - ٣٢٦، فوات الوفيات: ٣٣٠/٢، الأعلام: ١١/٤، وذكر البيت في الزهرة منسوباً إلى ماني الموسوس وهو محمد بن القاسم أبو الحسن من أهل مصر، نزل بغداد، وهو متوكلي.

انظر ترجمته:

معجم الشعراء: ٤٣٨.

(٣) حَرَى: ملتهبة فالحرأ والحرأة: الضوت والجلبة، وضوت التهاب النار. اللسان: «حري»:
١٧٣/١٤.

(٤) انظر البيتين في:

الزهرة: ٦٤/١ - ٦٥، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٣٠٨/٣ - ذكر البيت الثاني فقط ولم ينسبه - محاضرات الأدباء: ٨٦/٣، شرح الحماسة للتبريزي: ١٤٩/٣ - ذكر البيت الثاني فقط ولم ينسبه -

تَحْسَبُهُ مُسْتَمِعاً نَاصِئاً وَقَلْبُهُ فِي أُمَّةٍ أُخْرَى^(١)

ذكر الشيخ عبد القاهر أن موضع الشاهد جملة «يدعو» ففيها يكمن سر الجمال والروعة. قال: «أنظر إلى لفظ «يدعو» وإلى موقعها»^(٢).

ولعل سر الروعة والجمال في جملة «يدعو» أن الشاعر بلغ من الألم قمته، ومن الحزن أقصاه، فهو مكتئب حزين، وضجر أليم؛ ولضييق نفسه وتوجعها حذف المسند إليه وابتدأ كلامه بالمسند، فقال: «مكتئب» والأصل «أنا مكتئب». ثم انظر إليه كيف قيد المسند بالوصف «ذو كبد حرى» للكشف عن حقيقة حاله.

وما أدق الشاعر حين اختار «الكبد» دون القلب أو أعضاء الجسم الأخرى؛ لأن الكبد هو عماد الجسم، وجميع الأعضاء يتعلق عملها بعمله، فإن مرض الكبد، وقل إمداده للقلب بالدم ضعف الإنسان وهلك. قال الرسول ﷺ: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ»^(٣) فدل على أنه قوام الحياة، ودل بذلك على أن الشاعر ليس مكلولم الفؤاد فحسب بل إن جسمه كله قد أصابه الونى، وفتته الإعياء والتعب.

ومن كانت هذه حاله حق للمقل أن تذرف عليه العبرات، ونكر الشاعر لفظ «مقلة» ليدل على أن مقلًا كثيرة رثت لحاله.

وفي قمة هذا الحزن وغلبة هذا اليأس أحس الشاعر بإحساس عميق ورغبة أكيدة في اللجوء إلى ربه، فرفع يمينه، وفي هذا بيان لشروعه في الدعاء، وجاء بالفعل مضارعاً «يرفع» ليظهر تضرعه وحدوث الرفع منه مرة بعد مرة، وكأنني بيديه تهتزان وتتحركان من شدة التضرع، وخص اليد اليمنى بالرفع تفاؤلاً ورجاء

(١) الزهرة: ٦٤/١ - ٦٥.

(٢) الدلائل، رضا: ٧٣، خفاجي: ١٣١، شاکر: ٩١.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٣٧٥/٢، ٥١٧، السنن الكبرى للبيهقي: ١٨٦/٤، وورد في مسند الإمام أحمد بلفظ آخر: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَاءٌ»: ٢٢٢/٢.

بانقضاء هذه الحال، ثم جاءت جملة «يدعو» وهي تكرار المعنى «يرفع يميناه» ولعل السر في هذا الإطناب أن الشاعر حين رفع يده اليمنى أحس بمزيد رغبة في الدعاء، فجاء بجملة «يدعو» ليفرغ فيها كل معاني الرجاء وكل معاني الأمل في الخلاص مما يجد ويحس، فهي ليست زائدة إذاً، لأنها حملت كل إحساس الشاعر وضراوته، ورغبته في النجاة من الحال المسيطرة عليه، ومن المأساة التي تُلِمُّ به وجاء بها مضارعة «يدعو» ليصور إلحاحه واجتهاده في الدعاء.

وقوله «وعلى الكبد اليسرى» ناسب المقام، فالمقام هنا دعاء وتضرع ووضع يده على كبده معناه خشيته عليها من التصدع والتمزق، فهو مع أنه يدعو لا ينسى ما هو فيه من آلام الوجد، وأيضاً في وضع يده على كبده أثناء الدعاء استجداء واستعطاف.

الشاهد الواحد والأربعون^(١): (الكامل)

قول جرير^(٢):

لَمَنِ الدِّيَارُ بِسَرْقَةِ الرُّوحَانِ إِذْ لَا نَبِيْعُ زَمَانًا بِزَمَانٍ
صَدَعُ الغَوَانِي إِذْ رَمَيْنَ فُؤَادَهُ^(٣) صَدَعُ الزُّجَاجَةِ مَا لِيْذَاكَ تَدَانِ^(٤)

(١) الدلائل، رضا: ٧٣، خفاجي: ١٣١، شاکر: ٩٢.

(٢) هو جرير بن عطية بن حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع كنيته أبو حرزة (٢٨ هـ - ١١٠ هـ) عُمِّرَ نيفاً وثمانين سنة، ولد ومات باليمامة، أمه أم قيس بنت معبد من بني كليب بن يربوع، وهو من الطبقة الأولى من فحول الإسلام، كانت بينه وبين الفرزدق مهاجرة ونقائض، كان عفيفاً، ومن أعزل الناس شعراً. انظر ترجمته:

طبقات ابن سلام: ٣٧٤/١، الشعر والشعراء: ٤٧١/١ - ٤٧٧، الأغاني - دار الإحياء - : ٣/٨٩، الموشح: ١٠٧ - ١٢٠، وفيات الأعيان: ٣٢١/١، شرح شواهد المغني: ٤٥/١ - ٤٨، خزانة البغدادي: - دار صادر: ٣٦/١ - ٣٧، الأعلام: ١١٩/٢.

(٣) رواية الديوان والنقائض:

«صَدَعُ الظُّغَائِنُ يَوْمَ بَنَ فُؤَادَهُ»

(٤) البيت الأول من بيتي الشاهد هو مطلع قصيدته التي أجاب بها الفرزدق، والبيت الثاني غير =

وبعد البيت الأول:

إِنْ زُرْتُ أَهْلَكَ لَمْ يُيَاأَلُوا حَاجَتِي وَإِذَا هَجَرْتُكَ شَفَّنِي هَجْرَانِي

وقبل البيت الثاني:

وَلَقَدْ أُبَيْتُ ضَجِيعَ كُلِّ مُخَضَّبٍ رَخَصَ الْأَنَامِلَ طَيِّبِ الْأَرْدَانِ
عَطِرِ الثِّيَابِ مِنَ الْعَبِيرِ مُذَيَّلٍ يَمْشِي الْهُوَيْنَا مِثْيَةَ السُّكْرَانِ^(١)

وبعده:

هَلْ تُؤْنَسَانِ وَدَيْرُ أَرْوَى يَتَنَّنَا بِالْأَعْرَلَيْنِ بَوَاكِرَ الْأَطْعَانِ

موضع الشاهد قوله: «مَا لِذَاكَ تَدَانِ»، والشاهد فيه حسن الاستئناف، قال الشيخ:

«أَنْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ: «مَا لِذَاكَ تَدَانِ»، وَتأمل حال هذا الاستئناف».

وجمال هذا الاستئناف يظهر إذا ما علمنا أن الشاعر قد بدأ قصيدته بهذا

تالٍ له بل هو كما في الديوان البيت السابع عشر من القصيدة، وفي النقااض هو البيت الثاني عشر منها. وفي كتاب المنازل والديار ذكر البيت الأول فقط.

انظر البيتين في: ديوان جرير: ٥٦٩ - ٥٧٠، النقااض: ١٩٨ - ٢٠٠، المنازل والديار: ١٦٥/١.

(١) ذَكَرَ فِي النَّقَائِضِ قَبْلَ بَيْتِ الشَّاهِدِ:

أَصْحَا فُؤَادَكَ أَيَّ جَيْنِ أَوَانٍ أَمْ لَمْ يَرُعْكَ تَحْمُلُ الْجِيرَانِ
هَلْ تُبْصِرَانِ وَدَيْرُ أَرْوَى دُونَنَا بِالْأَعْرَلَيْنِ بَوَاكِرَ الْأَطْعَانِ

وبعده:

فَرَفَعْتُ مَائِرَةَ الدُّقُوفِ أَمْلَهَا طُولُ الْوَجِيفِ عَلَى وَجَى الْأَمْرَانِ

ويبدو أن رواية الديوان للآيات التي قبل الشاهد وبعده أدق وأنسب لبيت الشاهد من رواية النقااض؛ وذلك لاتصال معاني الآيات التي وردت في الديوان ببيت الشاهد.

ويبدو أن رواية الشيخ لشطر البيت الأول من الشاهد «صَدَعَ الْغَوَانِي إِذْ رَمَيْنَ فُؤَادَهُ» أجمل وأدق من رواية الديوان والنقااض؛ لأن لفظ (الرمي) «أنسب وأقرب وأدق في رسم الصورة التي أراد الشاعر توضيحها وهي صورة صدع الزجاج فالرمي يناسب الصدع».

المطلع الغزلي الذي يتحسر فيه على الديار ببرقة الروحان، وجاء الاستفهام «لمن الديار» ليظهر مدى التحسر والتأسف.

ثم يذكر الشاعر ما أصاب فؤاده عندما رأى تلك الديار التي تذكره بآلامه، وبعطفته التي أصابها التصدع من هجر الغواني، واتخذ من تصدع الزجاج صورة تجسد تصدع نفسه، فالزجاج المتصدع لا يمكن أن يعود صافياً سليماً كما كان. ولما بلغ به الألم الغاية توهم أن هناك سائلاً سأل: هل عندك أمل في عودة تلك الأيام، أو في قرب الأحباب وفي التئام الصدع؟ فأجاب: مَا لِذَاكَ تَدَانِي.

وطريقة السؤال والجواب تنبيء عما يعتمل في نفس الشاعر من أحاسيس وانفعالات تتصل بالألم والأمل.

وما أروع تضمن هذا الاستئناف اسم الإشارة «ذاك» الذي حمل كل معاني الحرمان واليأس، وأظهر أن التداني بعيد المنال مستحيل الحصول؛ ولأن في ذكر المشار إليه صراحة ما يشجي النفس ويحزنها.

ونظير قول جرير في المعنى قول الأعشى:

وَبَآنَتْ وَفِي الصُّدْرِ صَدْعٌ لَهَا كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ لَا يَلْتَيِمُ^(١)

وقول الخضري:

وَأَنَّكَ لَوْ نَظَرْتَ فَدَتَكَ نَفْسِي إِلَى كَيْدِي وَجَدْتَ بِهَا صُدُوعاً^(٢)

(١) ديوانه: ٨٥.

(٢) محاضرات الأدباء: ٨٦/٣.

جـ - النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع

يرى الشيخ عبد القاهر أن النمط العالي من الكلام والباب الأعظم فيه هو ما اتحدت أجزاؤه، وتلاحمت، ودخل بعضها في بعض، واشتد ارتباط الثاني منها بالأول، واحتاجت إلى وضعها في النفس وضعاً واحداً، وهو باب واسع عظيم لا يحصره حد، ولا يحيط به قانون، لأنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة، قال الشيخ : -

«واعلم أنَّ مما هو أصلٌ في أن يدقَّ النظر، وَيَغْمُضُ المسلك، في توخي المعاني التي عرفت: أن تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع يمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك. نعم، وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين، وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره، وقانون يحيط به، فإنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة»^(١).

وضرب لذلك أمثلة من البديع منها التزاوج^(٢) بين معنيين في الشرط والجزاء معاً.

(١) الدلائل، رضا: ٧٣-٧٤، خفاجي: ١٣٢، شاکر: ٩٣.

(٢) المزوجة ويقال التزاوج وهو أن يزواج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء أي يجعل معنيين واقعين في الشرط والجزاء مزدوجين في أن يرتب على كل منهما معنى رُتب على الآخر، وليس معناه أن يجمع بين معنيين في الشرط، ومعنيين في الجزاء.
انظر التلخيص: ٣٥٨، الإيضاح: ٤٩٧/٢، أنوار الربيع: ١٠١/٦.

الشاهد الثاني والأربعون^(١):

(الطويل)

قول البحري:

إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ^(٢) بِي الْهَوَى أَصَاخَتْ^(٣) إِلَى الْوَاشِي فَلَجَّ بِهَا الْهَجْرُ^(٤)

والبيت من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان، ومطلعها:
مَتَى لَاحَ بَرْقُ أَوْ بَدَا طُلُّ قَفَرُ جَرَى مُسْتَهْلٌ لَا بَكْيٌ وَلَا نَزْرُ

وبعده بيت قبل الشاهد:

وَمَا الشُّوقُ إِلَّا لَوَعَةٌ بَعْدَ لَوَعَةٍ وَعُزْرٌ مِنَ الْأَمَاقِ يَتَّبِعُهَا عُزْرُ

وبعده الشاهد وبعده:

وَيَوْمَ تَشْنُنْتَ لِلدَّوَاعِ وَسَلَّمْتُ بَعَيْنَيْنِ مَوْصُولٍ يَلْحَظُهُمَا السَّحَرُ
تَوَهَّمْتُهَا أَلْوَى^(٥) بِأَجْفَانِهَا الْكَرَى كَرَى النُّومِ أَوْ مَالَتْ بِأَعْطَافِهَا الْخَمْرُ

ساق الشيخ البيت شاهداً على أن من حسن الصياغة والتركيب «المزاوجة»
فبيت الشاهد صَوَّرَ تَعَلَّقَ الشاعر بمحبوبته، وشدة ولهه بها، فهو إن نهاه ناهٍ عن
حبها، وحاول منعه مانع ازداد تعلقاً بها، فلا يفيد معه النهي.

وجاء «بالفاء» في قوله: فَلَجَّ ليؤكد انصرافه السريع عن ذلك الناهي، وعدم
استجابته له، وقدم الجار والمجرور «بي» على الفاعل «الهوى»، ليصور شدة
وجدته، وتغلب الهوى عليه.

- (١) الدلائل، رضا: ٧٤، خفاجي: ١٣٢، شاکر: ٩٣.
- (٢) لَجَّ في الأمر: تمادى عليه، وأبى أن ينصرف عنه. اللسان «لج»: ٣٥٣/٣.
- (٣) أصاخَتْ: صخ الصوت الأذن يصخبها صخاً: قرعها، والصاخة صيحة تصخ الأذن أي
تطمعها فتصمها لشدها. اللسان: «صخخ»: ٣٣/٣.
- (٤) انظر البيت في: ديوانه: ١٠١/١، الموازنة - تحقيق السيد أحمد صقر: ٣٦/٢،
التلخيص: ٣٥٨، الإيضاح: ٤٩٧/٢، شرح أبيات الإيضاح: شاهد رقم: (٣٦٠)، خزانة
الأدب للحموي: ٤٣٥، أنوار الربيع: ١٠١/٦، معاهد التنصيص: ٢٥٥/٢.
- (٥) التوى الماء في مجراه وتلوى: انعطف ولم يجر على استقامة، وتلوت الحية كذلك، والليُّ
الجدل والتثني ولاوت الحية لواء التوت عليها. اللسان «لوى»: ٢٦٢/١٥ - ٢٦٣.

أما هي، فقد قابلت هذا الوفاء بالاستماع إلى الواشي، وتصديقه، ولزمت
الهجر والتباعد.

وما أدق الشاعر حين اختار فعل الإصاخة «أصاحت» بدلاً من «استمعت» أو
«أصغت» وذلك لقوة دلالة هذا الفعل على الرغبة الشديدة في الاستماع.

وجاء بـ «الفاء» في قوله «فلج»، ليظهر سرعة استجابتها، وتصديقها لذلك
الواشي، وقدم الجار والمجرور «بها»، ليدنيها بذلك الفعل.

فالشاعر هنا زواج بين نهى الناهي، وإصاحتها إلى الواشي الواقعي في
الشرط، ثم جعل معنى مقارناً له في الجزاء، فجعل لجاج الهوى به لازماً للشرط
والجزاء في أن رتب عليهما لجاج شيء، أو هو بمعنى آخر جعل معنى لازماً
للشرط الذي هو نهى الناهي، ثم جعل لجاج الهجر بها مقارناً في الجزاء الذي
هو الإصاخة إلى الواشي^(١).

الشاهد الثالث والأربعون^(٢): (الطويل)

قول البحري:

إِذَا أَحْتَرَبْتُ يَوْمًا فَفَاضَتْ^(٣) دِمَاؤُهَا^(٤) تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَفَاضَتْ^(٥) دُمُوعُهَا^(٦)

(١) أنوار الربيع: ١٠٢/٦.

(٢) الدلائل، رضا ٧٤، خفاجي: ١٣٢، شاکر: ٩٣.

(٣) فاض الماء والدَّمع ونحوهما يفيض فيضاً وفيوضه وفيوضاً وفيضاناً وفيوضه أي كثر حتى
سال على ضفة الوادي، وأفاض فلان دمه، وفاض الماء، والمطر والخير إذا كثر. اللسان
«فيض»: ٢١٠/٧.

ورواية الصناعيتين: «ففاضت»

(٤) رواية الصناعيتين: «نفوسها».

(٥) رواية الصناعيتين: «ففاضت دموعها».

غاض: من غاض الماء يَغِيضُ غِيضاً وَمَغَاضاً، وَأَنْغَاضَ: نَقَصَ، أَوْ غَارَ فَذَهَبَ، وفي
الصحاح قُلْ فنضب.

الصحاح: «غيض»: ١٠٩٦/٣، اللسان: «غيض»: ٣٠١/٧.

(٦) انظر البيت في: ديوانه - تحقيق الصيرفي -: ١٢٩٦/٢ رقم (٥١٦)، ديوانه - دار بيروت -:

١١/١، الأشباه والنظائر للخلالدين: ٦/١، الصناعيتين: ٣٢٩، زهر الآداب: ١١٢/١، =

والبيت من قصيدة في مدح أمير المؤمنين المتوكل على الله^(١)، وذكر فيها
صلح بني تغلب.

هو مطلع القصيدة:

مُنَى النَّفْسِ فِي أَسْمَاءَ لَوْ تَسْتَطِيعُهَا بِهَا وَجَدَهَا مِنْ غَادَةٍ وَلَوْعُهَا^(٢)

وبعده بيتان قبل الشاهد:

وَفُرْسَانِ هَيْجَاءٍ تَجِيْشُ صُدُورَهَا بِأَحْقَادِهَا حَتَّى تَضِيقَ دُرُوعَهَا
تُقْتَلُ مِنْ وَتَرٍ^(٣) أَعَزَّ نَفْسَهَا عَلَيْهَا بِأَيْدٍ مَا تَكَادُ تُطِيعُهَا

وبعدهما الشاهد وبعده:

شَوَاجِرُ^(٤) أَرْمَاحٍ تُقَطِّعُ بَيْنَهُمْ شَوَاجِرَ أَرْحَامٍ مَلُومٍ قَطُوعُهَا
فَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَطَوْلُهُ لَعَادَتْ جُيُوبٌ وَالْدِّمَاءُ رُدُوعُهَا^(٥)

الشاهد في البيت كسابقه وهو حسن المزاج «حيث زواج الشاعر هنا بين

المثل السائر: ٢٥٥/٣، الإيضاح: ٤٩٧/٢، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -
شاهد رقم (٣٦١)، مجموعة المعاني: ٦٢.

(١) هو أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن محمد بن الرشيد العباسي (٢٠٦ - ٢٤٧ هـ) أم ولد
خوارزمية يقال لها: شجاع.

بوينع بالخلافة بعد أخيه الواثق، وكان جواداً ممدحاً محباً للعمران، قتل في سامراء باغراء
من ابنه «المنتصر».

انظر ترجمته:

تاريخ الطبري: ٢٢٢/٩ - ٢٣٤، مروج الذهب: ٨٥/٤ - ١٢٨، تاريخ بغداد: ١٦٥/٧.

(٢) الديوان: ٩/١.

(٣) الوتر: الثأر. اللسان «وتر»: ٢٧٤/٥ - ٢٧٥.

(٤) شواجر: شجر بين القوم أي اختلف الأمر بينهم و«اشتجر» القوم و«تشاجروا» تنازعوا،
و«المشاجرة» المنازعة. مختار الصحاح: «شجر»: ٣٣٠.

(٥) ردوعها: أي طيها، به رَدَعٌ من زعفران أي لطح، وأثر. الصحاح: «ردع»: ١٢١٨/٣.

الاحتراب وتذكر القربى الواقعين في الشرط والجزاء في ترتب فيضان شيء عليهما.

ولقد روى أبو هلال العسكري البيت برواية أخرى فقال: «ففاضت نفوسها» بدلاً من «ففاضت دماؤها»، ويبدو أن رواية أبي هلال أدق في التصوير، وأدل على شدة الاحتراب؛ لأن فيضان النفوس انتهاؤها مع السرعة والكثرة، أما قوله ففاضت دماؤها، فأقل دلالة؛ لأن الدماء قد تفيض مع بقاء النفس.

وكذلك قال: «ففاضت دموعها» بدلاً من «فاضت دموعها» ويبدو أن رواية «ففاضت» أدل على شدة الحزن التي أصابت القوم، وندمهم على تمزق الصلات، فاحتبست الدموع في المحاجر؛ لأنه كلما اشتد الحزن جمد الدمع.

قال كثير عزة: - (من الطويل) - في هذا المعنى:
وَلَمْ^(١) أَدْرِ أَنَّ الْعَيْنَ قَبْلَ فِرَاقِهَا غَدَاةَ الشَّبَابِ^(٢) مِنْ لَأَعِجَ الْوَجْدُ تَجْمُدُ^(٣)

أما البكاء فإن فيه شفاء للنفس وراحة؛ لأن الدموع تخفف الحزن والألم، إلا أن هذه الرواية على الرغم من جمالها ودقتها تنفي المزاجية، فينتفي بذلك موضع الشاهد؛ لأن المزاجية بين الاحتراب، وتذكر القربى الواقعتين في الشرط والجزاء تكون بترتب أمر واحد، وهو فيضان شيء عليهما.

تقطعت أوشاج الصلات بين بني تغلب، وجاشت الصدور بالأحقاد حتى ضاقت بها الدموع، فقله:

«حتى تضيق دروعها» تصوير رائع لامتلاء النفس بالأحقاد.

(١) رواية الديوان: «فلم».

(٢) الشبا: واد بالأثيل من أعراض المدينة فيه عين يقال لها خيف الشبا لبني جعفر بن إبراهيم

من بني جعفر بن أبي طالب.

معجم البلدان: ٣١٦/٣.

(٣) ديوانه: ٤٣٧.

ولقد فطن الشاعر إلى أن هذه النار المشتعلة في الصدور لن يطفئها سكون الحرب، وانقطاعها، بل لن تخبو نارها إلا بكلمات رقيقة، وأسلوب ناعم لطيف يحيي الحنين في النفوس، ويوقظ العواطف والأحاسيس. فقال:

تُقْتَلُ مِنْ وَتَرٍ أَعَزَّ نَفْسَهَا عَلَيْهَا بِأَيْدٍ مَا تَكَادُ تُطِيعُهَا

فقوله: أعز نفوسها - بأيد ما تكاد تطيعها.

أن كل نفس من المتحاربين عزيزة على الأخرى، وأنهم كانوا يتقاتلون رغماً عنهم، فعواطفهم الصادقة كانت تمنع الأيدي عن الطاعة.

وزيادة في إثبات هذه الصلات وتوكيدها لجأ إلى المزوجة، فبين لهم أن الخصومات التي قامت بينهم مهما اشتدت، ومهما فاضت فيها النفوس فإن قلوبهم على الرغم من اشتداد الحرب كانت تتذكر صلات الرحم والقربى، فيشتد حزنها على تبدد هذه الصلات ويشتد ندمها.

وبأسلوب التحنان هذا استطاع الشاعر أن يلين القلوب ويطري النفوس، مما زاد الأرواح تلاقياً وتقارباً.

وفيه أيضاً زجر ولوم للنفوس على قطع صلات القربى والاستهانة بها.

وبيت البحري هذا مأخوذ من قول أبي تمام:

قَدْ أَتْنِي بِالْمَنَايَا فِي أَسْتَبِهِ وَقَدْ أَقَامَ حَيَارَاكُمُ عَلَى اللَّقْمِ^(١)

جَذْلَانِ مِنْ ظَفَرٍ حَرَّانٍ أَنْ رَجَعْتُ مَخْضُوبَةً مِنْكُمْ^(٢) أَظْفَارُهُ بِدَمٍ^(٣)

وقد نظر أبو تمام إلى أبيات المهلهل بن ربيعة^(٤) التي يقول فيها:

(١) اللقْم: معظم الطريق أو وسطه أو الطريق الواضح. اللسان «لقم»: ٥٤٦/١٢.

(٢) رواية الديوان: «أظفاره منكم مخضوبة بدم».

(٣) الديوان: - دار صعب - ٢٣٩.

(٤) هو عدي بن ربيعة بن مرة بن هيرة من بني جشم، من تغلب كنيته «أبوليلي» المهلهل (... - نحو ١٠٠ ق هـ)، وهو شاعر جاهلي من أبطال العرب من أهل نجد، وهو خال امرئ القيس الشاعر، وقيل سمي مهلهلاً؛ لأنه أول من هلهل نسج الشعر أي رقعته، وكان =

بُكَرِه قُلُوبِنَا يَا آلَ بَكْرٍ نُغَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةِ النِّصَالِ
لَهَا لَوْنٌ مِنَ الْهَامَاتِ جَوْنٌ وَإِنْ كَانَتْ تُغَادِي بِالصِّقَالِ
وَنَبِيكِي جِئِنَ نَذْكُرُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي^(١)

وقد رأى الخالديان أن بيت البحتري أطرف وأبدع من بيت المهلهل قالوا:

«بيت البحتري أطرف وأبدع من بيت المهلهل إلا أنه أرشده إلى المعنى ودلّ عليه»^(٢).

وكذلك فضله أبو هلال العسكري على بيتي المهلهل، وأبي تمام، قال:
«وبيت البحتري أجود من بيتهما بغير خلاف»^(٣).

وكذلك ذكره آبن الأثير في الضرب السابع من السلخ، ورأى أن هذا الضرب هو المحمود الذي يخرج به حسنه عن باب السرقة. قال:

«... وهو أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من العبارة الأولى، وهذا هو المحمود الذي يخرج به حسنه عن باب السرقة، فمن ذلك قول أبي تمام:
جَذْلَانِ مِنْ ظَفَرٍ حَرَّانِ أَنْ رَجَعَتْ مَخْضُوبَةً مِنْكُمْ أَظْفَارُهُ بِدَمٍ^(٤)

أفصح الناس لساناً وأجملهم وجهاً، ويلقب أيضاً بوزير النساء.
ولما قتل جساس بن مرة كليلاً ثار المهلهل لأخيه، فكانت وقائع بكر وتغلب التي دامت أربعين سنة.

انظر ترجمته في:

جمهرة أشعار العرب: ٢٠٧، الشعر والشعراء: ٣٠٣/١ - ٣٠٥، الاشتقاق: ٦١ - ٧٧،
٢٥٩، ٣٣٨، ٣٥٤ - ٣٥٦، الأغاني ٣٤/٥ - ٦٤، الأعلام: ٢٢٠/٤.

(١) الأشباه والنظائر: ٤/١.

(٢) الأشباه والنظائر: ٧/١.

(٣) الصناعتين: ٣٢٩.

(٤) الديوان - دار صادر -: ٢٣٩.

أخذه البحر ي فقال:

إِذَا احْتَرَبْتَ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرْتَ الْقُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا»^(١)

الشاهد الرابع والأربعون^(٢):
(الوافر)

قول سليمان بن داود القضاعي^(٣):

فَبَيْنَا الْمَرْءَ فِي عِلْيَاءِ أَهْوَى وَمُنْحَطٌ أُتِيحَ لَهُ اعْتِلَاءٌ
وَبَيْنَا نِعْمَةً إِذْ حَالَ بُؤْسٌ وَبُؤْسٌ إِذْ تَعَقَّبَهُ ثَرَاءٌ^(٤)

قبل أن يذكر الشيخ البيتين قال: «نوع منه آخر» قول سليمان بن داود
القضاعي.

ولعله أراد بقوله: «نوع منه آخر» الإشارة إلى نوع آخر من البديع، ففي
الشاهد مقابلة حسنة لطيفة بين قول الشاعر «علياء أهوى»، وبين «ومنحط أتىح له
اعتلاء»، وبين «نعمّة إذ حال بُؤس» وبين «وبؤس إذ تعقبه ثراء» فروعة هذا
الأسلوب في حسن صياغته، ودقة تركيبه، وجيد نظمه، مما أكسب المعنى قوة
وغزارة.

فالشاعر أراد أن يؤكد في النفوس حال الدنيا وتقلبها، وأنها لا تثبت على
حال، فقد يكون المرء متربّعاً في قمم العز والمجد، وفجأة يهوي به القدر،
وفي نفس اللحظة يرتفع شخص كان يلصق في الحضيض إلى تلك القمم.

وكذلك قد يكون الإنسان متدثراً بثوب النعمة والرفاهية، وفجأة يُعْرِيه القدر
منها، فيحل به البؤس والشقاء، وفي نفس الوقت يكتسي بتلك النعمة، وينعم
بذلك الثراء شخص أضناه البؤس والشقاء.

(١) المثل السائر: ٢٥٤/٣.

(٢) الدلائل، رضا: ٧٤، خفاجي: ١٣٢، شاکر: ٩٤.

(٣) لم أقف على ترجمة له.

(٤) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر.

وفي لجوء الشاعر إلى أسلوب المقابلة هذا، وهو بيان المعنى وضده في بيان حال الدنيا وما فيها من أصداد ما يؤكد الحقائق في النفس، ويبرهنها بطريق لا يدع مجالاً للشك.

الشاهد الخامس والأربعون^(١): (الطويل)

قول كثير:

وَأِنِّي^(٢) وَتَهْيَامِي بَعْزَةً^(٣) بَعْدَمَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ
لَكَالْمُرْتَجِي^(٤) ظِلَّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتْ^(٥)

والشاهد من قصيدته التي يتغزل فيها بمحبوته عزة، ومطلعها:
خَلِيلِي هَذَا رُبُّ عَزَّةٍ فَأَعْقِلَا قُلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتْ

وقبل الشاهد أبيات تظهر مدى هيامه، وتعلقه بعزة، يقول فيها:
فَوَاللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ لَا حَلَ بَعْدَهَا وَلَا قَبْلَهَا مِنْ خُلَّةٍ حَيْثُ حَلَّتْ
وَمَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيَّ كَيَوْمِهَا وَإِنْ عَظُمَتْ أَيَّامُ أُخْرَى وَجَلَّتْ
وَحَلَّتْ بِأَعْلَى شَاهِقٍ مِنْ فُؤَادِهِ فَلَا الْقَلْبُ يَسْلَاهَا وَلَا النَّفْسُ مَلَّتْ
فَوَاعَجَبَا لِلْقَلْبِ كَيْفَ أَعْتَرَفَهُ وَلِلنَّفْسِ لَمَّا وَطَنْتْ فَاطْمَأَنَّتْ

(١) الدلائل: رضا: ٧٤، خفاجي: ١٣٢، شاکر: ٩٤.

(٢) رواية المختار من شعر بشار: «فإني».

ورواية مجموعة المعاني: «أراني».

(٣) رواية التمثيل والمحاضرة: «وإني وَتَهْيَامِي لِعَزَّة».

ورواية الإعجاز والإيجاز: «إذا لَمْ تَجِيءْ ظِلَّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا».

(٤) رواية محاضرات الأدباء: «لكالمبتغي».

(٥) انظر البيت في:

ديوانه: ١٠٣، الشعر والشعراء: ٥٢٣/١، الخصائص: ٣٤٠/١ أمالي القالي: ١٠٩/٢،

المختار من شعر بشار: ١٧٠، التمثيل والمحاضرة: ٧٢، الإعجاز والإيجاز: ١٥٣ - ١٥٤،

أمالي المرتضي: ٤١٤/١، زهر الآداب: ٥٠٠/٢، العملة: ٧٧ - ٧٨، محاضرات الأدباء:

٢٨٤، نهاية الأرب: ٧٧/٣، شرح شواهد المغني: ٨١٣/٢، تزيين الأسواق: ٤٢ - ذكر

البيت الأول فقط مع بيتين آخرين -، الكشكول: ٨٢/٣/٢، مجموعة المعاني: ٦٩.

وبعدها بيتا الشاهد وبعدهما:

كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةٌ مُمَجَّلٌ رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ اسْتَهَلَّتْ^(١)

استشهد الإمام عبد القاهر بهذين البيتين على اتحاد النظم في الوضع ودقة الصنع.

ولعل سبيل النظم، ودقته في هذه الأبيات هو التشبيه المركب.

فالشاعر هنا يصف حاله بعد أن تقطعت الصلات بينه وبين عزة، فهو على الرغم مما حصل بينهما لا يزال شديد الوله بها، وعبر عن ذلك بأجمل ما يكون التعبير، فجاء بواو القسم، وأداة التوكيد «إن» وأضاف اسم «إن» لضمير المتكلم، ثم جاء بكلمة «تهيامي» - بدل «هيامي» - وهو مصدر للمبالغة من الهيام.

وقد تكون جملة «وَتَهْيَامِي بِعِزَّة» جملة اعتراضية من مبتدأ وخبر اعترض بها بين اسم «إن» وخبرها «لكالمرتجي»، وللجملة الاعتراضية هذه مذاقها الخاص في هذا التركيب، فقد أظهرت وأكدت حبه وتهيامه^(٢)، فهي غنية بالمعاطف، غنية بالحنان الذي يمكن أن يروي نفسه الظمأى، لكنها تتمتع، وتتأذى، وهذا ما أقلق نفسه وأوجع قلبه، فلجأ إلى التشبيه المركب ليصور حاله ويجسد آلامه وإحساسه، فالحسرة في نفسه، والألم الذي ألم به قد بلغ المدى فهو كالإنسان الذي أحرقت حرارة الشمس فأخذ يبحث عن ظل غمامة يحتمي بها، ولكنه كلما قوي أمله في الظل، وأحس بالطمأنينة تركته من غير أن ترأف بحاله، فيظل يبحث عن ظلها، وتظل هي في هروب دائم.

ولما رأى الشاعر أن الحسرة ما زالت تستكن في نفسه، وأن أحاسيسه

(١) ديوانه: ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) قال ابن جني: «وسألته» يعني أبا علي الفارسي عن بيت كثير «وَإِنِّي وَتَهْيَامِي...»، فأجاز أن يكون قوله: «وَتَهْيَامِي بِعِزَّة» جملة من مبتدأ وخبر، اعترض بها بين اسم «إن» وخبرها الذي هو قوله: «لَكَالْمُرْتَجِي...»، فقلت له: أيجوز أن يكون «وَتَهْيَامِي بِعِزَّة» قسماً، فأجاز ذلك ولم يدفعه. الخصائص: ١/ ٣٤٠.

وشعوره لم يفرغ في هذه الصورة التفرغ الكامل الموحى كـرر التشبيه بعد أن أضاف إلى الصورة الجديدة أبعاداً أخرى تبين شدة قسوتها، فهي شديدة العطاء وهو شديد الرجاء إلا أن عطاءها يتمنع عن رجائه، فهي كالسحابة المليئة بالمطر، مرت على رجل أرضه ممحلة مجدبة، فرجاها، وتوسم فيها الخير إلا أنها أصابته بالخيبة والألم، فلم تلتفت لرجائه ولم ترحم جذبه، بل زادت من عذابه، فبعد أن مرت به، وبعدت عنه أنهمل غيثها.

رأى الثعالبي أن هذين البيتين من قلائد قصائد كثير وغررها. قال: «من قلائد وغرر قصائده قوله:

«إِنِّي وَتَهَيَّأَمِي بِعَزَّةٍ بَعْدَمَا»^(١)

وقارن المرتضى في أماليه بين بيت كثير عزة، وبيت عروة بن أدينة:

وَعَادَ الْهَوَىٰ فِيهَا كَظْلٌ سَحَابَةٍ الْأَحْتِ بِسَرِقٍ ثُمَّ مَرَّ سَحَابُهَا

قال: «وهيهات هذا البيت الأخير من قول كثير:

وَإِنِّي وَتَهَيَّأَمِي بِعَزَّةٍ بَعْدَمَا»^(٢)

وذكره ابن رشيقي في باب التكرار. قال:

«... إلا أن كثيراً تصرّف، فجعل رجاء الأول ظل الغمامة ليقبل تحتها من حرارة الشمس، فأضمحلّت، وتركته ضاحياً، وجعل الممحل في البيت الثاني يرجو سحابة ذات ماء، فأمرت بعدما جاوزته»^(٣).

وواضح أن في البيت «تضميناً»، وهو تعليق البيت الأول بالثاني، ورأى النقاد القدماء - ما عدا ابن الأثير -، أنه عيب في الشعر.

(١) الإعجاز والإيجاز: ١٥٣ - ١٥٤.

(٢) أمالي المرتضى: ٤١٤/١.

(٣) العمدة: ٧٧/٢ - ٧٨.

قول البحري:

لَعَمْرُكَ^(٢) إِنَّا وَالزَّمَانُ كَمَا حَنَتْ^(٣) عَلَى الْأَضْعَفِ الْمُوهُونِ عَادِيَةُ الْأَقْوَى^(٤)

البيت من قصيدته التي يمدح بها أبا عيسى بن صاعد^(٥)، ومطلعها:
لَنَا أَبَدًا بَتْ نُعَانِيهِ فِي أُرْوَى وَحَزَوَى وَكَمْ أَدْنَتْكَ مِنْ لَوْعَةٍ حَزَوَى^(٦)

وقبل الشاهد:

وَوَادٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ عِنْدَكَ لَمْ يَكُنْ مَعْرِجْنَا مِنْهُ عَلَى الْعُدْوَةِ الْقُصْوَى
إِذَا مَا تَحَمَّلْنَا يَدًا عَنْهُ خِلْتَنَا لِنُقْصَانِنَا عَنْهَا حَمَلْنَا بِهَا رِضْوَى

وبعدهما الشاهد وبعده:

مَتَى وَعَدْتَنَا الْحَادِثَاتُ إِذَالَةً فَأَخْلِقْ بِذَلِكَ الْوَعْدِ مِنْهُنَّ أَنْ يُلْوَى
لَيْنَ زَوَيْتَ عَنَا الْحُطُوطُ فَمِثْلُهَا إِذَا خَسَّ فَعَلُ الدَّهْرِ عَنْ مِثْلِنَا يُزَوَى^(٧)

(١) الدلائل، رضا: ٧٤، خفاجي: ١٣٢، شاکر: ٩٤.

(٢) رواية الديوان: «أَجْدُكَ».

(٣) رواية الديوان والدلائل تحقيق شاکر: ٩٤، «كَمَا جَنَتْ».

(٤) لم أجد البيت إلا في:

ديوانه - دار بيروت - ٣٥٠/١.

(٥) هو أبو عيسى بن صاعد بن مخلد، وكان والده صاعداً وزيراً للموفق العباسي، وكان نصرانياً أسلم على يد الموفق، فاستكتبه، ووجهه في المهمات، ولقب بذي الوزارتين، وكان كريماً نبيلاً كثير الصدقات والصلوات، وقعت وحشة بينه وبين الموفق، فأمر الموفق سنة ٢٧٢ هـ بالقبض على صاعد، وعلى جميع أهله، وأصحابه ونهب منازلهم، وقبض ابنه أبو عيسى وصالح، وأخوه عبدون، وللبحري أشعار كثيرة في مدح بني مخلد.

انظر: أخبار البحري للصولي: ٨١، ١١١، مروج الذهب: ٢٠٩/٤، الكامل لابن الأثير: ٦٠/٦، الأعلام: ١٨٧/٣.

(٦) الديوان: ٣٤٨/١.

(٧) ديوانه: ٣٥٠/١.

ولعل الشاهد فيه هو حسن صياغة التشبيه واشتماله على نوع من البديع، وهو الطباق بين الأضعف والأقوى.

يبدو أن رواية الديوان «كما جَنَتْ» أدق وأجمل من رواية الدلائل «كما حَنَتْ»؛ لأنها أنسب للصورة التي يريد الشاعر تقريرها في النفوس حيث جعل عادية الأقوى جانية على الأضعف، وفي جناية القوي على الضعيف بالغ القسوة وعدم الرحمة، وهذا ما قصده الشاعر.

أما لفظ «حنت» ففيه معنى الحنو والعطف، وليس هذا مراده إلا إذا كان مجيء الحنو هنا على سبيل التهكم والسخرية.

بدأ الشاعر البيت بالقسم «ليؤكد أن ما سيرويه، ويصوره من حالة الناس مع الزمان هي صورة حقيقية ظاهرة.

وزيادة في التوكيد شبه حال الناس مع الزمان وما يصيبهم فيه من أهوال ومصائب، بحالة إنسان ضعيف موهون القوى، قست عليه وظلمته يد قوى مُعتدٍ.

ووصف الشاعر لفظ «الأضعف» بموهون ليبالغ في ضآلة قوته، وقلة غناء قدرته.

وانظر إلى صياغة التشبيه وتركيبه، وكيف ضمنه نوعاً من البديع وهو الطباق بين الأضعف والأقوى، وجاء بهما على وزن «أفعل» اسم تفضيل كل ذلك لتمكن الأذهان من المقارنة بين القوتين، فتتضح الصورة وتتأكد في النفوس.

الشاهد السابع والأربعون^(١):
(البسيط)

قول حسان^(٢):

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

(١) الدلائل، رضا: ٧٤، خفاجي: ١٣٣، شاکر: ٩٤.

(٢) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو الحسام، =

سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ فَعَلَمَ شَرَّهَا الْبِدْعُ^(١)

هذان البيتان من قصيدة قالها حسان بن ثابت للرد على قول الزبرقان بن بدر^(٢) حين قدم وفد تميم على الرسول ﷺ مفتخرين، وفيهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر ومعهم الخطيب عطارذ بن حاجب، فقام الزبرقان، فقال: نَحْنُ الْكَرَامُ فَلَا حَيَّ يُعَادِلُنَا مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبَيْعُ

ويقال: أبو الوليد (.. - ٥٤ هـ) أمه الفريعة بنت خالد بن حيش، صحابي، شاعر فحل مجيد، وهو شاعر الرسول ﷺ، وهو أحد المخضرمين، كان من سكان المدينة واشتهرت مدائحه في الغسانيين، وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعنى قبل وفاته، ولم يشهد مع النبي مشهداً لعله أصابته - وروى عن الرسول أحاديث كثيرة. انظر ترجمته:

سيرة ابن هشام: ١٤٨/٤ - ١٥٥، طبقات فحول الشعراء: ٢١٥/١، الشعر والشعراء: ٣١١/١ - ٣١٤، تاريخ الطبري: ١١٥/١ - ١١٩، الأغاني: ١٣٤/٤ - ١٧٠، تاريخ ابن عساكر: ١٢٨/٤، نكت الهميان: ١٣٤ - ١٣٨، تهذيب التهذيب: ٢٤٧/٢ - ٢٤٨، الإصابة: ٣٢٥/١ رقم «١٧٠٣»، خزانة البغدادي: - دار صادر: ١١١/١، الأعلام: ١٧٦/٢.

(١) انظر البيتين في:

ديوانه: - دار صادر: ١٤٥، شرح ديوان حسان - البرقوقي: - ٣٠١ - ٣٠٢، السيرة النبوية لابن هشام: ١٥٥/٤، تاريخ الطبري: ١١٧/٣، الأغاني: ١٤٩/٤، المفتاح: ١٨٠، الإيضاح: ٥٠٨/٢، شرح أبيات الإيضاح: - النسخة الأزهرية - شاهد «٣٨٥»، مجموعة المعاني ١٧٤.

(٢) هو الزبرقان بن بدر بن أمريء القيس التميمي السعدي (٤٥ - ١٠٠ هـ) صحابي من رؤساء قومه، واسمه الحصين، ولُقِّبَ بالزبرقان، وهو «من أسماء القمر» لحسن وجهه ولأه الرسول ﷺ صدقات قومه، فتبث إلى زمن عمر، وكفَّ بصره في آخر عمره، وتوفي في أيام معاوية، وكان شاعراً فصيحاً فيه جفاء الأعراب. انظر ترجمته:

السيرة لابن هشام: ١٥٢/٤ - ١٥٧، عيون الأخبار: ٢٢٣/١ - ٢٢٦، تاريخ الطبري: ١١٥/٣ - ١١٩، المؤلف والمختلف: ١٢٨، جمهرة الأنساب: ٢١٨.

تِلْكَ الْمَكَارِمُ حُزْنَأَهَا مُقَارَعَةً إِذَا الْكَرَامُ عَلَى أَمْثَالِهَا اقْتَرَعُوا^(١)

فأرسل الرسول ﷺ إلى حسان بن ثابت، فجاء، فأمره أن يجيبه، فقال قصيدته التي منها الشاهد^(٢)، وأولها:

إِنَّ الذَّوَابَّ مِنْ فَهْرٍ وَإِخْوَانِهِمْ قَدْ بَيَّنُّوا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ

وقبل الشاهد:

يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى إِلَالَهُ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا

وبعد الشاهد وبعده:

لَا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا وَقَعُوا
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَذْنَى سَبَقِهِمْ تَبَعُ^(٣)

استشهد الشيخ بهذين البيتين على أن اتحاد النظم، ودقة الصنع فيهما كان عن طريق التقسيم^(٤)، ثم الجمع، وهو عنده أدق الأنواع وأجملها. وهذا النوع

(١) ديوانه: ٤٦ - ٤٨.

(٢) انظر الخبر في:

السيرة لابن هشام: ١٥٢/٤ - ١٥٧، تاريخ الطبري: ١١٥/٣ - ١١٩، الأغاني: ١٤٩/٤.

(٣) ديوان حسان: - دار صادر: ١٤٥، شرح ديوان حسان - البرقوقي: ٣٠١ - ٣٠٢.

(٤) التقسيم نوع من أنواع البديع، وهو أن يبتديء الشاعر، فيضع أقساماً فيستوفيها، ولا يغادر قسماً منها، ولصحة التقسيم شروط منها:

١ - أن تستوفي الأقسام فلا يخل بشيء منها، مثال ما لم تستوف فيه الأقسام:

صَارَتْ حَنِيفَةً أَثْلَاثاً فَثَلْثُهُمْ مَنِ الْعَبِيدِ وَتِلْكَ مِنْ مَوَالِيهَا

فهذه قسمة فاسدة من طريق الإخلال؛ لأنه قد أحل بقسم من الثلاثة.

٢ - ألا تتكرر مثال قول أبي تمام:

قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا وَقَبُولِهَا وَدُبُورِهَا أَثْلَاثاً

فهذا فاسد من طريق التكرار؛ لأن القبول هي الصبا على ما ذكره جماعة من أهل اللغة.

٣ - ألا يدخل بعضها تحت بعض، مثاله قول نصيب:

أَبَادِرُ إِهْلَاكِكَ مُسْتَهْلِكُ لِمَا لِي أَوْ عَبَثُ الْعَابِثِ

فهذا فاسد لدخول أحد القسمين في الآخر؛ لأن العابث داخل في استهلاك المستهلك. انظر: =

بحث عنه عند ابن المعتز في كتابه «البدیع»، فلم أجد له أثراً، وكذلك عند قدامة بن جعفر فقد تحدث عن صحة التقسيم فقط، ولم يذكر نوع التقسيم مع الجمع، وكذلك في العمدة، وسر الفصاحة لم أجد أحداً منهم قد تطرق إلى ما تطرّق إليه الشيخ، ويبدو أن المتأخرين أخذوا هذا القسم عنه، وكذلك استشهدوا بنفس الشاهد الذي ذكره، وهو قول حسان السابق.

فقد قَسَمَ حَسَّانُ حال القوم قسمين: ضرهم للعدو، ونفعهم للأشياء.

ثم جمع هذين الخلقين في قوله «سجية».

فبيّن الشاهد أروع وأدق من قول الزبرقان بن بدر:

نَحْنُ الْمُلُوكُ فَلَا حَيٍّ يُقَارِبُنَا البيتان

فجواب حَسَّانِ أربع؛ لأن الزبرقان افتخر بكونهم ملوكاً قد أخذوا مكارمهم مُقَارَعَةً وحرباً، وحازوا عليها قهراً وقسراً، فهي ليست من طبائعهم التي جبلوا عليها، أما حَسَّان، فقد جعل قيادة الرسول ﷺ، وطاعة الخلائق له نابعة عن رضى من أنفسهم وطواعية، فلا قهر ولا جبر، وأنّ السجاييا التي يتصف بها المسلمون إنما هي من طبيعتهم وفطرتهم، فقسم في بادئ الأمر أخلاقهم، وجاء بها عن طريق المقابلة إظهاراً لها؛ لتكون صورتها أبرز وأوضح، ثم جمعها في قوله: «سجية» تعظيماً ومفاخرة، وتوكيداً وإقراراً لتلك السجية، ثم جاء باسم الإشارة «تلك» ليثبت بُعد منزلتهم في الشرف والأخلاق، ثم انظر إلى الالتفات الذي جاء في صورة مؤكدة بأداة التوكيد «إن» - «إن الخلائق» -، ثم تأمل الجملة الاعتراضية «فأعلم»، وصنيع «الفاء» التي زادت فعل الأمر قوة وتنبهاً، قال صاحب شرح أبيات الإيضاح:

«وقوله: - «فأعلم» - اعتراض بين الإسم والخبر، وقوله: إن الخلائق -

فأعلم - شرّها البدع جار مجرئ المثل، وهو التفات يصفهم بالاقتدار على ما يشاؤون، وأنّ ما فيهم من الضر والنفع طبيعي غير محدث^(١) .

وقبل ذلك كله أنظر كيف ابتدأ البيت بالمسند «قوم» وحذف المسند إليه، فالأصل «هم قوم» فابتدأ بذكرهم إظهاراً لعظمتهم وإثباتاً لهيبتهم .

وكيف بنى البيت على أسلوب الشرط، «بإذا» ليظهر تحقق وقوع ضرهم العدو، ونفعهم الأشياء .

وقد استحسّن الشيخ عبد القاهر التقسيم، ثم الجمع، فقال:

«ومنه» التقسيم «وخصوصاً إذا قُسِّمَتْ ثم جمعت^(٢)» .

ولكن ابن حجة الحموي رأى أن الجمع مع التقسيم: وهو أن يجمع الناظم بين شيئين فأكثر، ثم يقسم، أفضل من النوع الذي ذكره الشيخ . قال:

«هذا النوع أعني الجمع مع التقسيم هو أن يجمع الناظم بين شيئين فأكثر،

ثم يقسم كقول أبي الطيب المتنبي:

الدَّهْرُ مُعْتَذِرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَضِرٌ وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعٌ^(٣)
لِلسَّيِّ مَا نَكُحُوا وَالْقَتْلَ مَا وَلَدُوا وَالنَّهْبَ مَا جَمَعُوا وَالنَّارَ مَا زَرَعُوا^(٤)

وقد يتقدم التقسيم ويتأخر الجمع كقول حسان:

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ... البيتان .

فالأول أحسن، وأوقع في القلب، وعليه مشى أصحاب البديعيات^(٥) .

(١) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد رقم (٣٨٥) علم البديع القسم المعنوي .

(٢) الدلائل، رضا: ٧٤، خفاجي: ١٣٣، شاکر: ٩٤ .

(٣) ديوانه بشرح العكبري: ٢٣٣/٢ .

(٤) المصدر السابق: ٢٢٤/٢ .

(٥) خزانة الأدب للحموي: ٣٥٦ - ٣٥٧ .

قول القائل^(٢):

لَوْ أَنَّ مَا أَنْتُمْ فِيهِ يَدُومُ لَكُمْ ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيهِ دَائِمًا أَبَدًا
لَكِنْ رَأَيْتُ اللَّيَالِي غَيْرَ تَارِكَةٍ مَا سَرَّ مِنْ حَادِثٍ أَوْسَاءَ مُطَرِّدًا
فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى أَنِّي وَأَنْكُمْ سَنَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدًا

(١) الدلائل، رضا: ٧٥، خفاجي: ١٣٣، شاکر: ٩٤.

(٢) ذكر الأستاذ محمود محمد شاکر في تحقيق الدلائل أَنَّ الأبيات على الرغم من شهرتها لم يقف لها على قائل.

ونسبها محقق الإيضاح الأستاذ: «خفاجي» لإبراهيم بن العباس الصولي، وقد رجعت إلى ديوانه المطبوع ضمن كتاب الطرائف الأدبية، فلم أجد الأبيات، وراجعت ترجمته في معجم الأدباء والأغاني، وفي كتب التراجم الأخرى فلم أجد لها فيها. وأشار كذلك إلى أَنَّ الأبيات قد تكون لابن الرومي، وبحث في ديوانه فلم أعثر عليها، ولا أدري على أي شيء اعتمد في نسبه هذه؟ فقد بحثت عنها في كثير من كتب الأدب واللغة والنحو فلم أعثر عليها أو على قائلها. ومن الكتب التي رجعت إليها:

جمهرة أشعار العرب، المفضليات، الكتاب، مجاز القرآن، معاني القرآن للأخفش الأوسط، نوادر أبي زيد، الأصمعيات، كتاب الأمثال لابن سلام، شرح أبيات الكتاب للنحاس، إصلاح المنطق، البيان والتبيين، الشعر والشعراء، المعاني الكبير، الكامل، المقتضب، مجالس ثعلب، البديع، أمالي اليزيدي، الخصائص، عيار الشعر، العقد الفريد، أخبار أبي تمام للصولي، أخبار البحري للصولي، نقد الشعر، أمالي الزجاجي، الوساطة، ديوان الأدب للفارابي، الأغاني، أمالي القالي وذيله، الصاحبي، الموازنة، ديوان المعاني، الموشح، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، معاني أبيات الحماسة، إعجاز القرآن للباقلاني، التنبهات على غرائب التشبيهات، نثر الدر الأبي، الحماسة بشرح المرزوقي، التمثيل والمحاضرة، أحسن ما سمعت، محاضرات الأدباء، أمالي المرتضى، زهر الأدب، العمدة، بهجة المجالس، سر الحماسة للبريزي، الرسالة المصرية لأبي الصلت، المفتاح، المثل السائر، المغني، الحماسة البصرية، التلخيص، الإيضاح، شرح ألفية ابن مالك، شرح أبيات الإيضاح، المستطرف، الإرشاد الشافي للدمنهوري، معاهد التنصيص، خزانة الأدب للبغداد، الطراز. وغيرها من الكتب.

استشهد الإمام عبد القاهر بهذه الأبيات دليلاً آخر على حسن التقسيم، ثم الجمع، ورأى أنها في غاية الحسن. قال:

«سَنَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدًا» جمع فيما قسم لطيف، وقد زاد لطفاً بحسن ما بناه عليه، ولطف ما توصل به إليه من قوله: «فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى أَنِّي وَأَنْتُمْ»^(١).

والأبيات في غاية اللطف، وغاية البراعة، فهي تحوي معنى غزيراً وعميقاً، فصدر الشاعر يعجُّ بالحنق والغيط على بعض الأقوام الذين غرتهم الدنيا، فاطمأنوا إليها، وانساقوا وراءها، ولم يبالوا بغيرهم، ونسوا من يخالفهم في الحال، وأعتقدوا أن ما هم فيه من النعيم والاستقرار دائم أبداً، فجاء بهذه الأبيات؛ ليقرر لهم حقيقة حال الدنيا الغرور، فبدأ الأبيات بـ (لو)؛ ليؤكد امتناع دوام الحال، واستحالة استمراره.

ولجأ إلى التقسيم؛ ليجسد صورتها، فتبرز وتتضح، فما سر من حوادثها، وما ساء منها لا يمكن أن يكون مطرداً، ثم جمع ليكون التوضيح في صورة التقرير، فقال: «سَنَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدًا» فهذا أمر آتٍ لا محالة، وقبل الجمع قال:

«فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى أَنِّي وَأَنْتُمْ» فلفظ «سَكَنْتُ» يدل على سكون نفس الشاعر الثائرة وراحتها واطمئنانها إلى ما سيقره، وكأن في إعلان سكونه تشفياً منهم.

وقونه: «أَنِّي وَأَنْتُمْ» تعبير في غاية الدقة والإيجاز؛ لأن قوله «أَنِّي» إشارة إلى المأساة التي يمر بها، وهذه المأساة رمز إلى السيئ من حال الدنيا، فعبر عن ذلك كله بالضمير، وقوله «أَنْتُمْ» إشارة إلى محبي الدنيا، والمتعلقين بأذنانها، وهم رمز للمغريات، والضلالات، وهكذا حمل الضمير كثيراً من المعاني والدلالات.

(١) الدلائل، رضا: ٧٥، خفاجي: ١٣٣، وشاكر: ٩٤.

الشاهد التاسع والأربعون^(١): (الطويل)

قول أمريء القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ وَيَابِسًا لَدَى وَكْرَهَا الْعُنَابُ^(٢) وَالْحَشَفُ^(٣) الْبَالِي^(٤)

والشاهد من قصيدته المشهورة التي مطلعها:

أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَعْمَنْ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي^(٥)

وقبل بيت الشاهد:

كَأَنِّي بَفَتْخَاءٍ^(٦) الْجَنَاحِينَ لَقْوَةً^(٧) صَيُودٍ مِنَ الْعِقْبَانِ طَاطَأْتُ^(٨) شِمْلَالَ

- (١) الدلائل، رضا: ٧٥، خفاجي: ١٣٣، شاکر: ٩٥.
- (٢) العُنَاب: العُنَاب من الثمر معروف، الواحدة عُنَابَة، وربما سمي ثمر الأراك عُنَابًا. اللسان: «عنب»: ٦٣٠/١.
- (٣) الحشف: الحشف من التمر ما لم يُتَو، فإذا بَسَّ صَلَب، وفسد لا طعم له، ولا لِحَاء ولا حلاوة. اللسان «حشف»: ٤٧/٩.
- (٤) انظر البيت في: ديوانه - شرح السندوبي -: ١٦٦، طبقات فحول الشعراء: ٨١/١، الحيوان: ٥٣/٣، المعاني الكبير: ٢٧٧/١، الكامل للمبرد - دار الفكر -: ٢/٣، البديع: ٦٩، غيار الشعر: ٢٣، أخبار أبي تمام للصولي: ١٧، الأغاني: ١٩٦/٣ - ٢٣٧، ذيل الأمالي والنوادر: ٣٠، المصون: ٦٥، أمالي المرتضى: ١٢٥/٢، الصناعتين: ٢٦٧ - ٢٧٢، المصنف في نقد الشعر: ٥٠، إعجاز القرآن للباقلاني: ٧٣، زهر الآداب: ٨٢١/٣ - ٨٢٢، العمدة: ٢٦٢/١، أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ٢٣/١ - ٢٥، سر الفصاحة: ٢٣٩، تحرير التحيير: ١٦٣/١، الإيضاح: ٣٦٧/٢، شرح أبيات الإيضاح: «فيض الله»: ١٧١، شرح شواهد المغني: ٣٤٢/١، أوضح المسالك: ٩٢/٢ رقم الشاهد: «٢٧٤»، خزانة الأدب للحموي: ١٨٩، معاهد التنقيص: ٨٠/٢ - ٨١، الكشكول: ٣٢٢/٢/١.
- (٥) ديوانه - شرح السندوبي -: ١٥٨.
- (٦) عقاب فتخاء: لينة لأنها إذا انحطت كسرت جناحيها، وهذا لا يكون إلا من اللين. اللسان: «فتخ»: ٤٠/٣ - ٤١.
- (٧) لَقْوَةً: عقاب لينة الجناحين سريعة الاختطاف. اللسان: «لقا»: ٢٥٣/٥.
- (٨) طَاطَأَ: أسرع واشتد وبالع. اللسان «طاطأ»: ١١٣/١.

تَخْطُفُ خِزَّانَ^(١) الشَّرْبَةِ^(٢) بِالضُّحَى وَقَدْ حُجِرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالِ^(٣)

وبعدهما الشاهد وبعده:

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ^(٤)

والبيت أورده الشيخ شاهداً على أن من جمال النظم ودقته، وتلاحم أجزائه تشبيه شيئين بشيئين^(٥)، فالتشبيهات على ضروب مختلفة منها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة، ومنها تشبيهه به لوناً، ومنها تشبيهه به صوتاً، وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض، فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو أكثر ذل ذلك على قوة التشبيه، وتؤكد الصدق فيه، وكان الشعر بذلك حسناً، وبيت أمريء القيس من هذا النمط العالي، وهو تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة^(٦).

والمقصود به إيضاح الشيء؛ لأن مشاهدة العناب والحشف أكثر من مشاهدة قلوب الطير رطبة ويابسة^(٧).

-
- (١) خِزَّان: ذكور الأرناب وقيل ولد الأرنب. اللسان: ٣٤٥/٥.
- (٢) الشربة: يقال لكل نحيزة من الشجر شربةً، والنحيزة طريقة سوداء في الأرض كأنها مستوية لا يكون عرضها ذارعين، يكون ذلك من جبل وشجر وغير ذلك.
- (٣) والشربة بنجد وادي الرمة يقطع بين عَدَنَة والشربة فإذا جرعت الرمة في الشمال أخذت في عَدَنَة، والشربة بين الرمة وبين الجريب، والجريب وادٍ يصب في الرمة، والشربة أشد بلاد نجد قرأ، وهي من بلاد غطفان.
- انظر: معجم البلدان: ٢٣٢/٣ - ٣٣٣، معجم ما استعجم: ٧٩٠/٢،
- (٤) أورال: آخره لام، أجبل ثلاثة سود في جوف الرمل الواحد وَرَلٌ، فيقال: الْوَرَلُ الأيمن، والْوَرَلُ الأيسر، والْوَرَلُ الأوسط، وحَذَاهُنَّ ماء لبني عبد الله بن دارم يقال لها الورلة.
- انظر: معجم البلدان: ٢٧٨/١.
- (٥) ديوان أمريء القيس: ١٦٦ - ١٦٧.
- (٦) والبيت يستشهد به النحاة على أن رطباً ويابساً حالان متضمنان معنى الفعل؛ فلذا وجب تأخيرهما. المغني: ٣٦٥/١، رقم الشاهد: «٣٦٤»، شرح شواهد المغني: ٣٤٢/١، ٨١٩، ٥٩٥/٢.
- (٧) عيار الشعر: ٢٣.
- (٧) سر الفصاحة: ٢٣٩.

والبيت في صفة العقاب، وخفته، وبراعته في الصيد، فهو كثير الاصطياد، فأوكاره دائماً مليئة بما يحمله من الطير حتى اجتمعت فيها القلوب، فمنها الطري كالعُناب، وهي قلوب الطير الحديثة الصيد، ومنها اليباس كالحشف البالي، وهي قلوب الطير التي انقضت عليها زمن طويل. قال ابن وكيع:

«... فشبه القلوب الرطبة. بالعُناب، واليابسة بالحشف، وخصّ قلوب الطير؛ لأنها أطيبها، فإذا صادت جاءت بقلوب الطير إلى أفراخها، وذكر عن الأصمعي أنه قال: الجارح لا يأكل قلوب الطير. . وإنما خصّها دون غيرها لبقائها في وكر العقاب للعلّة التي ذكرها^(١)».

وهذا البيت من معاني أمرى القيس المخترعة التي لم يسبق إليها، ولم يعمل أحد من الشعراء، قبله نظيرها، أو ما يقرب منها، فهو أول من بدأ بتشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد^(٢).

ولقد أجمع النقاد على استحسان هذا البيت. جاء في الكامل للمبرد:

«قال أبو العباس، وهذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع الذي ذكرناه، وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب والمحدثين بعدهم، فأحسن ذلك ما جاء بإجماع الرواة ما مر لامرئ القيس في كلام مختصر أي بيت واحد من تشبيه شيء في حالتين بشيئين مختلفين، وهو قوله: كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا...»^(٣).

ثم يلفت المبرد الأنظار إلى روعة التركيب ودقته فلو أنه فصل، وقال: كأنه رطباً العناب، وكأنه يابساً الحشف؛ لصرف الكلام عن رونقه، وزالت عنه فصاحته.

(١) المنصف في نقد الشعر: ٥٠.

(٢) انظر: المصون: ٦٥، العمدة: ٢٦٢/١، باب المخترع والبديع.

(٣) الكامل - دار الفكر: ٢/٣.

وأخذ الشيخ عبد القاهر كلام المبرد هذا، وضمنه كتابه أسرار البلاغة فقال:
 «... وكذلك لو فرقت التشبيه، فقلت: «كَأَنَّ الرُّطْبَ مِنَ الْقُلُوبِ عُتَابٌ،
 وَكَأَنَّ الْيَابَسَ حَشْفٌ بِالِ» لم تر أحد التشبيهين موقوفاً في الفائدة على
 الآخر...»^(١).

وذكره ابن المعتز في «محاسن الكلام»، قال:

«ومنها حسن التشبيه نبذاً بإمام الشعراء، قال امرؤ القيس... البيت»^(٢)
 وكذلك ذكره الصولي في رسالته إلى مزاحم بن فاتك، وذر أن الناس استحسَنوه،
 ونفوا قدرة أحد على الإتيان بمثله^(٣).

وقد أعجب بشار بهذا البيت إعجاباً جعله يشغل نفسه بالإتيان بمثله، فلم
 يهدأ بالاً حتى قال:

كَأَنَّ مُشَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ^(٤)

وقد رأى أبو هلال العسكري أن البيت - بيت امرئ القيس - في غاية
 الجودة. قال:

«فمن بديع التشبيه قول امرئ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَسَابِئاً

فشبه شيئين بشيئين مفصلاً - الرُّطْبُ بِالْعُنَابِ، واليابسُ بِالْحَشْفِ، فجاء في
 غاية الجودة»^(٥).

(١) أسرار البلاغة: هـ، ريت: ١٧٧.

(٢) البديع: ٦٩.

(٣) أخبار أبي تمام: ١٧.

(٤) الأغاني: ١٩٦/٣ - ٢٣٧، أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ٢٣/١، سر الفصاحة: ٢٣٩.

(٥) الصناعات: ٢٧٢.

وقد سأل عبد الملك بن مروان عن أشعر الناس، فأجابه روح بن زنباع،
أشعرهم الذي يقول:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا البيت^(١)

وأورده أبو إسحاق القيرواني على أنه من أجمل ما قاله العرب في
الوصف، وذكر قصة عبد الملك بن مروان السابقة الذكر^(٢).

فالبيت إذاً شاهد على التشبيه الملفوف، هو أن يؤتى بشيئين ثم المشبه
بهما، فهنا شبه الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب، واليابس القديم منها
بالحشف البالي.

الشاهد الخمسون^(٣): (الكامل)

بيت الفرزدق:

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ^(٤) فِي الشَّبَابِ^(٥) كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ^(٦) بِجَانِيهِ^(٧) نَهَارُ^(٨)

(١) ذيل الأمالي والنوادر: ٢٩ - ٣٠.

(٢) زهر الآداب: ٨٢١/٣ - ٨٢٢.

(٣) الدلائل، رضا: ٧٥، خفاجي: ١٣٤، شاکر: ٩٥.

(٤) رواية المستطرف: «ينقض في الشباب».

(٥) رواية الديوان، والكامل والاقتضاب وريحانة الألبا:

«والشيب ينهض في السواد».

ويبدو أن رواية الدلائل أبلغ؛ لأن الشاعر قصد ظهور المشيب في فترة محددة ووقت معين،
وهو انقضاء فترة الشباب واللهو واللعب. أما رواية «والشيب ينهض في السواد» فهي أقل
دقة؛ لأن الوقت فيها يكون مطلقاً غير محدد، فالشيب قد يظهر بعد سن البلوغ مباشرة، وقد
يظهر في سن الشباب، وقد يتأخر، فتحديد الوقت أدق في الصورة التي أراد الشاعر رسمها.

(٦) رواية الأغاني: «ليل يسير» ويبدو أن رواية «يصيح» أجمل؛ لأن لفظة «يصيح» أكثر حركة
وأنسب لموقف الزجر والتأنيب.

(٧) رواية المستطرف: «بعارضيه»، ورواية أنوار الربيع: «بحافتيه».

(٨) انظر البيت في:

الديوان: ٣٧٢/١، حماسة البحري: ١٨٣، طبقات فحول الشعراء: ٣٦٨/١، الشعر

والبيت من قصيدته التي مطلعها:

أَعْرِفَتْ بَيْنَ رُؤَيْتَيْنِ^(١) وَحَنْبَلٍ^(٢) دِمْنًا تَلُوحُ كَأَنَّهَا الْأَسْطَارُ^(٣) (٤)

وقبل بيت الشاهد:

إِنَّ الْمَلَامَةَ مِثْلُ مَا بَكَرَتْ بِهِ مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهَا عَلَيْكَ نَوَارُ
وَتَقُولُ كَيْفَ يَمِيلُ مِثْلُكَ لِلصُّبَا وَعَلَيْكَ مِنْ سِمَةِ الْحَلِيمِ عِذَارُ
وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ لَيْلُ يَصْبِحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ

وبعد:

إِنَّ الشُّبَابَ لَرَابِحٌ مَنْ بَاعَهُ وَالشَّيْبُ لَيْسَ لِبَائِعِيهِ تَجَارُ^(٥)

استشهد به الإمام عبد القاهر على النظم العالي الذي ندر ولطف مأخذه،
ودق نظر واصفه، وهو من تشبيه الشيبين بالشيبين «أي أنه من التشبيه المركب»
قال:

«وإذ قد عرفت هذا النمط من الكلام، وهو ما تتحد أجزاءه حتى يوضع

والشعراء: ٧٤/١، الكامل للمبرد: ٢٤/١، الأغاني: ٣٠٩/٢١، الصنائع: ٢٧٧،
عجاز القرآن للباقلاني: ٨٢، الموشح: ٩٣ - ٩٤، العمدة: ٢٦٧/١، الغيث المسجم:
٢٩٤/١، المستطرف: ٣٣/٢، الاقتضاب: ١٤٦، ريحانة الألبا: ٣٨٢/٢، أنوار الربيع:
٤٠/٤، ٢٣٥/٥.

(١) رُؤَيْتَيْنِ: بضم أوله وفتح ثانيه، وتشديد الياء المثناة من تحت كأنه تصغير رَئَةٍ واحدة الرَيِّ
من العطش، وقيل رؤية بالهمزة ماء في بلاد بني الروية، وبني الروية من قرى اليمن. معجم
البلدان: ١٠٥/٣ - ١٠٦.

(٢) حَنْبَلٍ: بفتح أوله وإسكان ثانيه وبالياء المعجمة هو موضع ما بين البصرة ولينة. معجم
ما استعجم: ٤٧١/١.

(٣) الأسطار: أراد الأثر الخفي محته الأمطار، وأصله من السَّطَر والسَّطَر، وهو الخط من
الكتابة، تاج العروس: «سطر»: ٢٦٦/٣ - ٢٦٧.

(٤) ديوانه: ٣٧١/١.

(٥) ديوان الفرزدق: ٣٧٢/١.

وضعاً واحداً، فأعلم أنه النمط العالي، والباب الأعظم الذي لا ترى سلطان
المزية عظم في شيء كعظمه فيه، ومما ندر منه، ولطف مأخذه، ودق نظر
واضعه، وجلّى لك عن شأو قد تحسر دونه العتاق، وغاية يعي من قبلها المذاكي
القرّح، الأبيات المشهورة في تشبيه شيئين بشيئين^(١).

ثم ذكر بيت امرئ القيس «كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا».

وبيت الفرزدق:

«وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ».

وبيت بشار: «كَأَنَّ مَثَارَ النَّعَمِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا»^(٢).

وعد علماء البلاغة بيت الفرزدق «بيت الشاهد» من أجود شعره،
ويستشهدون به على جيد التشبيه والاستعارة.

فهو عند المبرد واضح المعنى غريب اللفظ قريب المأخذ^(٣).

وردد هذه العبارة المرزباني في الموشح^(٤)، وذكره الباقلاني في البديع من
الكلام^(٥).

وأورده ابن رشيق في باب المجاز، ورأى أنه من أناشيد هذا الباب^(٦).

أما ابن سلام فيرى أنه من الكلام المتداخل المعقد، وذكر أن الفرزدق كان
يُدخل الكلام، وكان ذلك يُعجب أصحاب النحو^(٧).

(١) الدلائل، رضا: ٧٥، خفاجي: ١٣٤، شاکر: ٩٥.

(٢) سيأتي ذكره، وهو الشاهد الواحد والخمسون.

(٣) الكامل - دار الفكر -: ٢٤/١.

(٤) الموشح: ٩٣ - ٩٤.

(٥) إعجاز القرآن: ٨٢.

(٦) العملة: ٢٦٧/١.

(٧) طبقات فحول الشعراء: ٣٦٨/١.

- ولا أعلم وجه ذلك الإعجاب -، وأورده مع قوله:
«وَأَصْبَحَ مَا فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا»

وكذلك رأى ابن قتيبة أن هذا البيت من الضرب الذي جاد معناه، وقصّرت ألفاظه عنه^(١).

ورأى الصفدي أن الصياح هنا لا مناسبة له ولا معنى^(٢).

وذكر في «أنوار الربيع» أنه من فساد التشبيه الذي يأتي منكوساً قيل:

«فذكر أن الشيب يبدو في الشباب، ثم ترك ما ابتدأ به، ووصف الشباب بأنه كالليل، والذي تقتضيه المقابلة الصحيحة أن يقول:
كَمَا يَنْهَضُ نَهَارٌ فِي جَانِبِي اللَّيْلِ»^(٣).

وعلى الرغم مما قيل فإنّ التمعن في هذه الأبيات يجعل الخيال يحلق في أجواء من المتعة النفسية، والحركة الفكرية مما يدفع النفوس للإعجاب بذوق وخيال الشاعر.

فرأى الأستاذ محمود شاكر أن الاستشهاد بالبيت وحده معنى مغسولاً لا خير فيه، وإنما يظهر جماله ورونقه، ويكمل معناه مع الأبيات التي حوله. فقله:
وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِيهِ نَهَارٌ
من تمام البيت الذي قبله، وهو قوله:
وَتَقُولُ كَيْفَ يَمِيلُ مِثْلُكَ لِلصَّبَا وَعَلَيْكَ مِنْ سِمَةِ الْحَلِيمِ عِذَارُ
فهو من قول النّوّار^(٤) في ملامتها له.

(١) الشعر والشعراء: ٧٤/١.

(٢) الغيث المسجم: ٢٩٤/١.

(٣) أنوار الربيع: ٢٣٥/٥.

(٤) هي النّوّار ابنة أعين بن صعصعة بن ناجية بن عقّال المجاشعي - وهي ابنة عم الفرزدق - تزوجها ولزواجه منها قصة.

انظر: الأغاني: ٢٨٦/٢١ - ٢٨٧.

والبيت الذي بعده:

إِنَّ الشَّبَابَ لَرَابِحٌ مِّنْ بَاعِهِ وَالشَّيْبُ لَيْسَ لِبَائِعِيهِ تَجَارٌ

زفرة زفرها الفرزدق بعد أن سمع ملامتها، فجاءت تقطر حشرات على ما فات من شبابه، فهي تقول له أن الإنسان إذا كبر، وبلغ من العمر مبلغاً، وشاب عارضاه كفَّ الشيب من عنفوانه، وانبعث تجاربه تذكره، وتذره، وتوقظه، وتهديه إلى حياة أخرى غير حياة اللهو واللعب، فتنتشع الغشاوة عن عينيه، وينتهك ظلام الغفلة التي كانت مطبقة عليه، ثم شبهت هذا كله بالفجر إذا أقبل فأسفر على القوم النيام، فانبعث الأصوات في نواحي الحي... كلب ينبج، وشاة تغفو، وبعير يرغو، وديك يؤذن، وداع يصيح، ومناد ينادي، وأقدام تدب، وأصوات الحياة في ظلمة الليل، وهدأته تنذر النوم أن النهار قد أقبل بفورته يطرد الظلام المطبق، فجذ الجذ، وطارت الأحلام، فهو هنا أراد تشبيه حالة مجتمعة بحالة أخرى مجتمعة لا تشبيه لون بلون، فإنه إسقاط للشعر^(١).

يبدو أن ما ذهب إليه الأستاذ شاعر يرفع من قيمة الأبيات، ويزيد من روعتها وجمالها.

ومن اللغات الجميلة في البيت حسن اختيار الزمن، فالشاعر جعل وقت ملامتها له، وحديثها معه في وقت الليل، وهو وقت الراحة والسكون والهدوء، ووقع الملامة فيه أشد؛ لأن النفس تكون فيه أدعى للاستجابة، والأحاسيس تكون في قمة صفاتها وشفافيتها، ثم صاغ ملامتها في أسلوب الاستفهام «وتقول كيف يميل مثلك للصبا» وهو أقوى في الزجر والتأنيب، ثم جعل «الشيب ينهض في الشباب» وكأنه شخص حكيم أزعجه ما رأى من طيش الشباب، فهبَّ وأسرع مصطحباً الأناة والصبر يريد النصح والتقويم، ومع حركة النهوض وديبها تدب التجربة، ويدب العقل ليوقظ النفس من طيشها، وينفي عنها جهلها.

وقوله: «يصيح بجانيه نهار» يُضفي على الأبيات مزيد حركة وخفة؛ لأن

(١) هامش طبقات فحول الشعراء - تحقيق محمود شاعر - ٣٦٨/١.

الصياح هنا يقابل النهوض في المشبه، فالصورة كلها حركة، وضجيج، وسرعة، وثورة على تلك النفس التي تريد أن تخرج عن وقارها.

وجعل بعضهم الصياح هنا بمعنى انصاح الثوب انصباحاً إذا تشقق.

ورأى آخرون أنه الصياح بعينه وهو الدعاء، ورأى البطليوسي أن الوجه الثاني أدق وأصح قال:

«وإنما الصياح ههنا مجاز أو استعارة؛ لأن النهار لما كان آخذاً في الإقبال، وكان الليل آخذاً في الإدبار شبه النهار بالهازم الذي من شأنه أن يصيح على المهزوم؛ ولذلك شبهوا الليل بالقتيل، وقد صرح الشماخ بهذا المعنى في قوله: وَلَاقَتْ بِأَرْجَاءِ الْبَسِيطَةِ سَاطِعاً مِنْ الصُّبْحِ لَمَّا صَاحَ بِاللَّيْلِ^(١) نَفْراً^(٢)»

وبعد تلك الزوبعة والضجيج يتحسر الشاعر على الشباب، ويستهن بالشيب، فالأول لعزته ونفاسه يجد له مشترياً إذا أراد بيعه؛ لأن المشتري ربح فيه. أما الشيب لِهَوَانِهِ، فلا تاجر يشتريه إذا أراد صاحبه أن يبيعه.

وكانه يريد أن يقول: إن الناس يرغبون في الشباب ليستعينوا به، ويزهدون في الشيب لأنهم لا يجدون في صاحبه معيناً ولا مساعداً. وهذا ما أراده بالبيع والشراء.

الشاهد الحادي والخمسون^(٣): (الطويل)

بيت بشار:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا^(٤) وَأَسْيَافُنَا لَيْلُ تَهَاوَى^(٥) كَوَاكِبِهِ^(٦)

(١) لم أجده في ديوانه.

(٢) الاقتضاب: ١٤٧.

(٣) الدلائل، رضا: ٧٥، خفاجي: ١٣٤، شاکر: ٩٦.

(٤) رواية الديوان وإعجاز القرآن للباقلاني، وخاص الخاص، والمرضى «رُؤُوسِهِمْ»، ورواية المبرد في الفاضل: «كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فِينَا وَفِيهِمْ».

(٥) رواية طبقات فحول الشعراء: «تهاتت كواكبه».

(٦) انظر البيت في:

والبيت من قصيدته في مدح^(١) مروان بن محمد بن مروان^(٢)، ومطلعها:
جَفَا وَدُهُ فَازُورٌ أَوْ مَلٌّ صَاحِبُهُ وَأُزْرَى بِهِ أَنْ لَا يَزَالَ يُعَابُهُ

وقبل الشاهد:

وَجَيْشٍ كَجُنْحِ اللَّيْلِ يَرْجِفُ^(٣) بِالْحَصَى وَبِالشَّوْلِ وَالْخَطِيٍّ حُمْرُ ثَعَالِيهِ
غَدُونَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِذْرِ أُمِّهَا تُطَالِعُنَا وَالطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَائِبُهُ
بِضَرْبِ يَدُوقِ الْمَوْتِ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ وَتَذَرِكُ مَنْ نَجَّى الْفِرَارُ مَثَالِيهِ

ديوانه: ٣٣٥/١، الفاضل: ٤٥، طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٨، الوساطة: ٣١٣، الأغاني: ١٩٦/٣، الأشباه والنظائر للخالدين: ٣٥٤/٢، المنصف في نقد الشعر: ٥١ - ٣١٧ - ٤٣٦، إعجاز القرآن للباقلائي: ٧٢، ثمار القلوب: ٢٢٤، بتيمة الدهر: ١٣٣/١، العملة: ٢٩١، خاص الخاص: ١٠٧، أمالي المرتضى: ١٢٦/٢، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - الرسالة الشافية: ١٣٨، حماسة ابن الشجري: ٥٧ - ٢٣٤، تحرير التخيير: ٤٨٣/٣، الإيضاح: ٣٤٦/٢، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - ملت: ٦٥، المستطرف: ٦١/١، معاهد التنصيص: ٢٨/٢ - رقم الشاهد: ٧٧ -

(١) جاء في الأغاني أنه مدح في هذه القصيدة يزيد بن عمر بن هبيرة، ولكن لم يرد ذكره في القصيدة، وإنما الوارد اسم مروان بن محمد بن مروان.

(٢) هو آخر خلفاء بني أمية، وهو الملقب بالجمار «بكسر الحاء وتخفيف الميم»، وكان ذا رأي ومكيدة، وبسالة في الحروب، أخذ الخلافة غصباً، وأراد ضبط الدولة حين أشرفت على الانحلال، فغلته، واضمححل أمره، ولُقِّب بالجمار، لأنه كان يحرق في الحرب فلا يتزحزح، وكنيته أبو عبد الملك، ويعرف بمروان الجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعدي درهم، كان بليغاً له رسائل تجمع، ويقتدى بها (٧٢ هـ - ١٣٢ هـ).

انظر ترجمته:

تاريخ الطبري: ٢٨١/٧ - ٣٤٣، المسعودي: ٢٤٧/٣، ٢٤٨، ٢٥٢ - ٢٦٥، الكامل لابن الأثير: ٢٨٣/٤ - ٣٢٢.

(٣) رواية الأغاني: «يزحف».

ويبدو أن رواية الأغاني أدق؛ لأن الشاعر أراد تشبيه صورة كثرتهم بصورة الليل، فهم من كثرتهم، وتزاحمهم لا يرى منهم إلا سواد رؤوسهم، أما الرجيف، فهو دوي الأصوات، فلا وجه لتشبيه أصواتهم بجنح الليل.

وبعدها الشاهد وبعده:

بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الْفُجَاءَةِ إِنَّا بُنُو الْمُلْكِ خَفَّافٌ عَلَيْنَا سَبَائِيَهُ
فَرَّاحُو فَرِيقاً فِي الْإِسَارِ وَمِثْلُهُ قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَأَذَ بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ^(١)

رأى الطاهر بن عاشور محقق ديوان بشار أن رواية الديوان «فوق رؤوسهم»
أرشق وأجمل من الرواية المشهورة في كتب الأدب: «فوق رؤوسنا» قال:

«وكتب في الديوان» «فوق رؤوسهم»، ورواية الأغاني وأكثر كتب العربية
والأدب «رؤوسنا»، والرواية التي في الديوان أرشق؛ لأن النقع وإن كان فوق
رؤوس الفريقين إلا أن الشاعر أراد أن يتوصل بجعل النقع فوق رؤوس الأعداء
إلى إفادة أن سيوف جيش قومه كانت واقعة على رؤوس الأعداء مع ذلك النقع؛
لأن أسيفنا مفعول معه، أو معطوف عليه، ولو قال: «فَوْقَ رُؤُوسِنَا» لما كان لذكر
الرؤوس خصوصية، إذ يكفيه أن يقول: فوقنا»^(٢).

ويبدو لي أن رواية «فوق رؤوسنا» وهي الرواية الأكثر شيوعاً ودوراناً، والتي
ردها الأستاذ طاهر بن عاشور أدق من رواية الديوان «رؤوسهم»، وهي أنسب
للصورة التي يريد الشاعر رسمها؛ لأن الغبار حين يثور يعم الجميع، فكون الغبار
على رؤوس الأعداء فقط يدل على أنه لا تراحم ولا تلاحم، فكثرة الغبار وعمومه
على جميع الرؤوس مع كونهم متلاحمين يدل على شدة المعركة وقوتها،
فأضافت إلى الصورة نوعاً من الحركة والاضطراب، وهذا ما أراده الشاعر.

وأما رواية المبرد في الفاضل «فينا وفيهم»، فإنها تجعل الصورة التي يريد
الشاعر رسمها وتصويرها ناقصة مبتورة.

والشاهد فيه كسابقه، وهو أن النظم ودقته وتلاحم أجزائه كان من تشبيهه

(١) ديوان بشار- تحقيق الطاهر بن عاشور:- ٣٣٦/١.

(٢) المصدر السابق: ٣٣٥/١.

شيئين بشيئين، واستحسنه الشيخ ورأى أنه من النمط العالي الذي دق نظر واضعه ولطف مأخذه^(١).

فالتشبيه مركب حيث صور المعركة، وما فيها من شدة التلاحم والحركة التي أثارت النقع فوق الرؤوس، فحجب الرؤيا وساد الظلام، وأصبحت حركات السيوف تعلو وتهبط في جهات متعددة، شبه ذلك كله بصورة الليل المظلم الحالك السواد الذي تتساقط وتهاوى فيه النجوم في كل جانب، وقوله «تتهاوى» يدل على كثرة الحركة وشدتها مما يجعل حركة الشيء المتهاوي غير منتظمة.

وقد لاحظ المبرد في التشبيه أجزاءه المتفرقة، فكأنه أراد به التشبيه المتعدد؛ وذلك لأن تحديد التشبيه وتحقيقه لم يظهر في عصره بعد. قال:

«وَأَشْدُّ الْأَصْمَعِيِّ قَوْلَ الشَّاعِرِ، وَلَمْ نَرِ تَشْبِيهًا فِي بَيْتٍ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا:
كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فِينَا وَفِيهِمْ وَأَسْيَافُنَا لَيْلُ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
شبه الغبار بالليل، وشبه السيوف في الغبار بالكواكب المنقضة في الليل^(٢)».

ولقد استحسن ابن المعتز في طبقاته هذا البيت؛ وذلك لإحكام رصفه، وحسن وصفه. قال:

«ومما يستحسن لبشار؛ لإحكام رصفه، وحسن وصفه كلمته التي يقول فيها بيته الذي ذكرناه في التشبيه - يقصد قوله كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا - فأولها:
جَفَا جَفْوَةً فَازُورٌ إِذْ مَلَّ صَاحِبُهُ وَأُزْرَى بِهِ أَنْ لَا يَزَالَ يُصَاحِبُهُ^(٣)».

وكذلك استحسنه الباقلاني، فقال:

(١) الدلائل، رضا: ٧٥، خفاجي: ١٣٤، شاکر: ٩٦.

(٢) الفاضل: ٤٥.

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٧.

«واستبدعوا تشبيه شيئين بشيئين على حسن تقسيم، ويزعمون أن أحسن ما وُجد في هذا للمحدثين قول بشار:

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ..^(١)».

ورأى ابن رشيق^(٢) أنه إن كان مراد بشار الترتيب، فصديق ولم يقع بعد بيت امرئ القيس في ترتيبه، كبيتة، وإن كان المراد تشبيهين، فقد قال الطرمّاح في صفة ثور وحشي:

يَبْدُ وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ^(٣)

وقد تعجب ابن المعتز والثعالبي من حسن تصوير بشار ودقة تشبيهه؛ لأنه كان أعمى أكمد لم يبصر، وقال بيته هذا، فكان بذلك أستاذ عصره^(٤).

وقال ابن وكيع في بيت بشار: «وَكُلُّ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى يَسْقُطُ دُونَ قَوْلِ بشار... هذا شعر يجمع حُسن اللفظ والمعنى؛ لأن فيه تشبيهين في تشبيهين لا يحتاج البيت فيهما إلى غيره، وبيت أبي الطيب^(٥) يفسره ما قبله، فيكون اللفظ الطويل الذي جاء به الشعراء قبله في الموجز القليل، والسابق أحق بقوله^(٦)».

ورأى ابن الشجري أن بشاراً قد بلغ ببيته هذا الغاية. قال:

«وقال بشار في تشبيه السيوف في الغبار، فبلغ الغاية.. البيت^(٧)».

(١) إعجاز القرآن: ٧٢.

(٢) العمدة: ٢٩٠ - ٢٩١.

(٣) ديوانه: ٣٣١.

(٤) طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٦، خاص الخاص: ١٠٧، ثمار القلوب: ٢٢٤.

(٥) يقصد قوله:

فَكَأَنَّمَا كُسي النَّهَارُ بِهَا دُجَى لَيْلٍ وَأُطْلَعَتِ الرِّمَاحُ كَوَاكِبَا

(٦) المنصف: ٤٣٦.

(٧) حماسة ابن الشجري: ٢٣٤.

ورأى الطاهر بن عاشور أن بيت بشار قد فاق بيت أمراء القيس:
كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَاسًا

ويلاحظ أن الشيخ عبد القاهر قد قرن بين قول أمراء القيس (كان قلوب الطير رطبا ويابسا) وبين بيت الفرزدق (والشيب ينهض في الشباب) وبيت بشار (كان مثار النقع فوق رؤوسنا) وجعلها من تشبيه شيئين بشيئين وكأنها عنده من نوع واحد، وهي في الحقيقة مختلفة فبيت أمراء القيس من التشبيه المفرد والآخرون من التشبيه المركب. على الرغم من إعجاب بشار به، وولعه بالإتيان بمثله^(١).

وقد أخذ معنى بيت بشار منصور النمرى^(٢)، فقال:
لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لَا نَجْمٌ^(٣) وَلَا قَمَرٌ^(٤) إِلَّا جَيْبُنُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ^(٥)
وأخذه مسلم بن الوليد^(٥) في قوله:

-
- (١) ديوان بشار، تحقيق الطاهر بن عاشور: ٣٣٥/١.
(٢) هو منصور بن البرقان بن سلمة بن شريك النمرى، أبو القاسم، من بني النمر بن قاسط (١٠٠ - نحو ١٩٠ هـ)، كان تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي، وكانت بينهم صفة انقلب بعد ذلك إلى وحشة، وأخذ كل منهما يسعى في هلاك صاحبه. فأوغر العتابي صدر الرشيد عليه، فأرسل يطلب رأسه، فوصل الرسول في اليوم الذي مات فيه النمرى.
انظر ترجمته:
الشعر والشعراء: ٨٦٣/٢ - ٨٦٦، الإعجاز والإيجاز: ١٦٦، جمهرة الأنساب: ٣٠٢، تاريخ بغداد: ٦٥/١٣ - ٦٩، سمط اللآلي: ٣٣٦/١، نهاية الأرب: ٨٥/٣، الأعلام: ٣٠٠/٧.
(٣) رواية الأشباه والنظائر: «لا شمس».
(٤) ديوانه: ١٠١.
(٥) هو مسلم بن الوليد الأنصاري بالولاء، أبو الوليد، الملقب بصريع الغواني، شاعر غزل، هو أول من أكثر من «البديع» فنبغه الشعراء، وهو من أهل الكوفة، اتصل بكبار رجال الدولة ومدحهم، وتولى بريد جرجان إلى أن مات فيها.
انظر ترجمته:
الشعر والشعراء: ٨٣٦/٢ - ٨٤٦، الإعجاز والإيجاز: ١٧١، المؤلف والمختلف: ٣٧٢، سمط اللآلي: ٤٢٧/١، تاريخ جرجان: ٤٦٣، نهاية الأرب: ٨٥/٣، الأعلام: ٢٢٣/٧.

فِي عَسْكَرٍ تُشْرِقُ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ بِهِ كَاللَّيْلِ أَنْجُمُهُ الْقُضْبَانُ وَالْأَسْلُ^(١)

وكذلك أخذه ابن المعتز حيث يقول:

وَعَمَّ السَّمَاءُ النَّقْعُ حَتَّى كَانَهُ دُخَانٌ وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ شَرَارُ^(٢)

وكذلك أخذه المتنبي في قوله:

فَكَأَنَّمَا كُيِّي النَّهَارُ بِهَا دُجَى لَيْلٍ وَأُظْلَعَتِ الرِّمَاحُ كَوَاكِبَا^(٣)

وقوله:

يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءٍ عَجَاجَةٍ أُسْتَتْهَا فِي جَانِبَيْهَا كَوَاكِبُ^(٤)

ومثله قول بعضهم:

نَسَجَتْ حَوَافِرُهَا سَمَاءً فَوْقَنَا جَعَلَتْ أَسْتَنَا نُجُومَ سَمَائِهَا

ومثله:

تَبْنِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ هَامِيهِمْ لَيْلاً كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيرُ^(٥)

وبيت الشاهد ذكره الشيخ في الأسرار^(٦) مفصلاً شرحه مع مقارنته بنظائره، وبيان وجه تفضيله، وسنورد ذلك في فصل لاحق إن شاء الله.

(الطويل)

الشاهد الثاني والخمسون^(٧):

قول زياد الأعجم^(٨):

(١) شرح ديوان صريح الغواني: ٢٥١.

(٢) ديوانه: - دار صادر: - ١٩٤.

(٣) ديوانه بشرح العكبري: ١٢٨/١.

(٤) رواية الديوان: أُسْتَتْهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ.

انظر: الديوان بشرح العكبري: ١٠٧/١.

(٥) انظر البيت في:

الأشباه والنظائر: ٣٥٤/٢، المنصف في نقد الشعر: ٣١٧، معاهد التنصيص: ٣١/٢.

(٦) الأسرار هـ، ريتير: ١٧٩، ١٨٣ - ١٨٥.

(٧) الدلائل، رضا: ٧٦، خفاجي: ١٣٤، شاکر: ٩٦.

(٨) هو زياد بن سلمى بن عبد القيس أبو أمانة العبدي المعروف بزياد الأعجم، مولى =

وَأَنَا وَمَا تُلْقِي (١) لَنَا إِنْ هَجَوْتَنَا لَكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرَقُ (٣)

وهو من قصيدته في هجاء الفرزدق، فقد روى أَنَّ الفرزدق همَّ بهجاء عبد القيس (٤)، فبلغ ذلك زياداً الأعجم، فبعث إليه لا تعمل حتى أهدي إليك هدية، فانتظر الفرزدق الهدية، فبعث إليه: مَا تَرَكَ (٥) الْهَاجُونَ لِي إِنْ هَجَوْتُهُ (٦) مِصْحَاحاً أَرَاهُ فِي أَدِيمِ الْفَرَزْدَقِ

عبد القيس، قيل له الأعجم للكنة كانت فيه، أدرك أبا موسى الأشعري، وعثمان بن أبي العاص، وشهد معهما فتح اصطخر، وهو من شعراء الدولة الأموية، عدّه ابن سلام في الطبقة السادسة من شعراء الإسلام.

انظر ترجمته:

الشعر والشعراء: ٤٣٧/١ - ٤٤٠، الأغاني: ٣٨٠/١٥ - ٣٩٤، المؤلف والمختلف: ١٣١ - ١٣٢، معجم الأدباء: ١٦٨/١١، خزانة البغدادي: ١٩٣/٤.

(١) رواية الأغاني والعمدة: فَإِنَّا وَمَا تُهْدِي لَنَا، ورواية خزانة البغدادي والديوان: «وَأَنَا وَمَا تُهْدِي لَنَا»، ويبدو أن هاتين الروایتين أبلغ من رواية الدلائل «وَأَنَا وَمَا تُلْقِي» لأن الإهداء هنا يتضمن معنى التحقير والاستهزاء بالمهجو، وهذا ما أراده الشاعر.

(٢) ضبطت «أن» في شرح أبيات الإيضاح بالفتح فتؤول هي وما بعدها بمصدر، والمعنى فإنك وما تلقي لنا بهجائنك، وضبطت في الدلائل «إن» بالكسر على أنها شرطية، وهذا أولى بالسياق كما سيأتي في التحليل.

(٣) انظر البيت في:

شعر زياد الأعجم: ٨٧ - ٨٨.

الشعر والشعراء: ٤٣٨/١، معجم الأدباء: ١٦٩/١١، الأغاني: ٣٩٣/١٥، العمدة: ٦٥/١، الإيضاح: ٣٧٤/٢، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد رقم ٣٠٣، خزانة الأدب للبغدادي، دار صادر: ١٩٣/٤.

(٤) هو عبد القيس بن أقصى بن دُعْمَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. جمهرة أنساب العرب: ٢٩٥.

(٥) رواية معجم الأدباء وخزانة البغدادي: «فَمَا تَرَكَ الْهَاجُونَ».

وهذه الرواية أولى؛ لأن ترك «الفاء» يجعل في البيت خروماً أي حذف حرف من أول البيت، والشعر من الطويل.

(٦) رواية الأغاني: «إِنْ أُرْدَتْهُ».

وَلَا تَرَكَوْا^(١) عَظْمًا يُرَى تَحْتَ لَحْمِهِ لِكَاسِرِهِ أَبْقَوْهُ لِمُتَعَرِّقٍ
سَأْكُسِرُ^(٢) مَا أَبْقَوْهُ لِي مِنْ عِظَامِهِ وَأَنْكُتُ مَخَّ السَّاقِ مِنْهُ وَأَنْتَقِي
وَأَنَا وَمَا تُهْدِي لَنَا إِنْ هَجَوْتَنَا لَكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَ فِي الْبَحْرِ يَغْرَقُ

فلما بلغ الفرزدق هذا الشعر طلب من زياد أن يتتاركوها، وقال: ليس لي هجاء هؤلاء ما دام العبد فيهم^(٣).

رأى الشيخ عبد القاهر أن البيت في غاية الدقة، وهو أعجب من سابقه - يقصد قول - أمريء القيس، وبشار، والفرزدق «وإنما كان أعجب؛ لأن عمله أدق وطريقه أغمض ووجه المشابهة فيه أغرب»^(٤).

الشاهد من أوجع أبيات الهجاء، وأشدّها تهكماً، فالشاعر هنا أوسع الفرزدق تحقيراً، فهو لوضاعة شأنه لم يتركه أحد من الشعراء إلا وأوجعه ذماً وهجاءً حتى أنهم وصلوا إلى داخل جسمه، وما تحت اللحم من العظام، فلم يبق له إلا أن يفث تلك العظام. وأراد الشاعر من هذا كله الإعلاء من شأن نفسه والإكبار من قدرته وبراعته في هذا الفن، فهو إن هجا سحق خصمه سحقاً وأفناه فناءً محققاً تاماً، ثم أخذ يستهين بقدرة الفرزدق على الهجاء، فهو قصير الباع في هذا المضممار.

وزيادة في التهكم جعل هجاء الفرزدق لهم، وكأنه هدية؛ لأنه كلاً هجاء،

(١) رواية الديوان:

«وَلَا تَرَكَوْا لَحْمًا يُرَى فَوْقَ عَظْمِهِ لَا كِلْسَهُ أَبْقَوْهُ لِمُتَعَرِّقٍ»

ورواية الأغاني: «وَمَا تَرَكَوْا لَحْمًا يَدُقُّونَ عَظْمَهُ».

ورواية معجم الأدباء وخزانة البغدادى: «وما تركوا عظماً».

(٢) رواية الأغاني: «سَأَحْطِمُ مَا أَبْقَوْا لَهُ مِنْ عِظَامِهِ».

ورواية الديوان والعمدة: «سَأْكُسِرُ مَا أَبْقَوْا لَهُ مِنْ عِظَامِهِ».

ورواية «سَأَحْطِمُ» أنسب للبيت لأن الحطم أشد من الكسر.

(٣) انظر: الأغاني: ٣٩٣/١٥، العمدة: ٦٥/١.

(٤) الدلائل، رضا: ٧٦، خفاجي: ١٣٤، شاکر: ٩٦.

وجاء بـ «إِنْ» الشرطية «إِنْ هجوتنا» ليشكك في وقوع الهجاء منه، وكذلك جعل هجاءه لخفته وتضاوته كالأشياء الخفيفة الوزن إذا رُمي في البحر غاص في الأعماق، ولم يعد له أثر، فهجاؤه فإن لا يبقى له أثر في نفس المهجو، فهو ليس كهجاء زياد الذي يفت العظم ويبقى أثره خالداً.

فالشاعر شبه صورته وقومه حين يتلقون هجاء الفرزدق، وأثر ذلك على أنفسهم بالبحر الواسع الذي لا يتأثر بالأشياء التافهة التي ترمى فيه؛ وذلك مبالغة في الاستهانة بأمر الفرزدق، والتصغير من شأنه.

فالشاعر استطاع أن يبرز الأمر المعنوي في صورة المحسوس، وأن يوجد بينهما علاقة وارتباطاً على الرغم من تباعد طرفيهما.

والبيت لا شك في براعته إلا أن الشيخ عبد القاهر بالغ في استحسانه إذ فضله على كل ما سبق، فهو عندي ليس بأفضل من قول بشار:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا

ولا من قول الفرزدق:

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ

(الطويل)

الشاهد الثالث والخمسون^(١):

قول ابن المعتز:

وَإِنِّي عَلَى إِشْفَاقٍ عَيْنِي مِنَ الْعِدَى^(٢) لَتَجْمَحُ^(٣) مِنِّي نَظْرَةٌ ثُمَّ أُطْرِقُ^(٤)

(١) الدلائل، رضا: ٧٧، خفاجي: ١٣٦، شاکر: ٩٨.

(٢) رواية ديوانه - دار المعارف -: «الْقَدَى».

(٣) لتجمع: وهي من فرس جموح إذا لم يثن رأسه، وجمع الفرس يصاحبه جمحاً وجماحاً ذهب يجري جرياً غالباً واعتز فارسه وغلبه، ويقال جمع وطمح إذا أسرع ولم يرد وجهه شيء. اللسان «جمع»: ٤٢٦/٢.

(٤) أشار الأستاذ عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية إلى أن البيت غير موجود في =

ومطلع القصيدة:

أَلَا هَلْ لِأَسْرَى أَخَذِ عَيْنِكَ مُطْلِقُ وَهَلْ مُسْتَرْقُ يَشْتَكِي الشُّوقَ مُعْتِقُ

وبعده بيت قبل الشاهد:

أَصْفَتْ إِلَى أَحْسَائِهِ حُرْقَ الْهَوَى وَنَفَرَتْ قَلْباً بَيْنَ جَنْبَيَّيْ يَخْفِقُ

وبعده الشاهد وبعده:

كَمَا حُلِيَتْ عَنْ بَرْدِ مَاءٍ طَرِيذَةً تَمُدُّ إِلَيْهِ جِيدَهَا وَهِيَ تَفَرِّقُ
وَلِي دَمْعَةٌ مَحْبُوسَةٌ فِي جُفُونِهَا وَأُخْرَى مُخَلَّاةٌ عَلَى الْخَدِّ تُطْلَقُ^(١)

يبدو أن هذا الشاهد من الشواهد التي تفرد بها الشيخ عبد القاهر، وقل دورانها في كتب الأدب والبلاغة، مع أن فيه لفتات بلاغية جميلة فتق أكمائها الشيخ، حيث استشهد به على أن المزية ليست للفظ وحده بل تعود إلى النظم أيضاً قال:

«واعلم أن هذا - أعني الفرق بين أن تكون المزية في اللفظ، وبين أن

= ديوان ابن المعتز، وقد راجعت ديوانه طبعة - دار صادر - فلم أجده فيه، ووجدته في ديوانه -

دار المعارف -: ٣٨٨/١.

وعلى الرغم من بلاغة البيت، ولطافته وحسنه، فهو نادر الوجود في كتب العربية وآدابها، فقد بحثت عنه في الكتب التالية، ولم أجده في واحد منها:-

أمالي اليزيدي، الخصائص، عيار الشعر، العقد الفريد، أخبار أبي تمام، أدب الكاتب، الوساطة، الأغاني، أمالي القالي، الأشباه والنظائر، الصناعتين، الموشح، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، معاني أبيات الحماسة، نثر الدر الأبي، شرح الحماسة للمرزوقي، التمثيل والمحاضرة، خاص الخاص، مجالس العلماء، أمالي المرتضى، زهر الآداب، العمدة، بهجة المجالس وأنس المجالس، سر الفصاحة، الممتع، أمالي الشجري، الإفصاح، شرح الحماسة للتبريزي، مفتاح العلوم، الإيضاح، شرح أبيات الإيضاح، المستطرف، أنوار

الربيع.

الطراز.

(١) ديوانه - دار المعارف -: ٣٨٨/١.

تكون في النظم - باب يكثر فيه الغلط، فلا تزال ترى مستحسناً قد أخطأ بالاستحسان موضعه، فيحلُّ اللفظ ما ليس له، ولا تزال ترى الشبهة قد دخلت عليك في الكلام قد حسن من لفظه ونظمه، فظننت أن حسنه ذلك كله للفظ منه دون النظم، مثال ذلك أن تنظر إلى قول ابن المعتز:

وَإِنِّي عَلَى إِشْفَاقٍ عَيْنِي مِنَ الْعِدَى لَتَجْمَحُ مِنِّي نَظْرَةٌ ثُمَّ أَطْرُقُ

فترى أن هذه الطلاوة، وهذا الظرف إنما هو لأن جعل النظر يجمع، وليس هو لذلك؛ بل لأن قال في أول البيت «وَإِنِّي» حتى دخل اللام في قوله: «لتجمع» ثم قوله: «مِنِّي» ثم لأن قال «نَظْرَةٌ» ولم يقل «النَّظَر» مثلاً، ثم لمكان «ثم» في قوله: «ثم أطرق»، وللطيفة أخرى نَصَرَتْ هذه اللطائف، وهي اعتراضية بين اسم «إِنَّ» وخبرها بقوله: «عَلَى إِشْفَاقٍ عَيْنِي مِنَ الْعِدَى^(١)».

ويكتفي الشيخ عبد القاهر بهذا البيان الموجز في شرح النظم، وإن وراء هذا الإيجاز لشرحاً طويلاً، كان على الشيخ إبرازه ليتذوق القاري به أسرار حسن النظم في البيت، فليت شعري، أكان وضوحه أمام عينيه مظنة اعتقاده بأنه واضح أمام قارئيه^(٢).

وعلى كل فإنَّ الخصائص التي حددها الشيخ في البيت تدل على أنه استطاع بحق أن يضع يده على مواطن الجمال بل على إبراز الملامح الدالة فيه.

فالاستعارة التي جاء بها ابن المعتز، وهي استعارة الجموح للنظرة استعارة رائعة بلا شك، ولكن روعتها لا ترجع لمجرد استعارة الجموح للنظرة؛ لأن الجموح وحده ما كان ليبلغ هذا التأثير لولا تلك العناصر التي جمعها الشاعر، والتي نجحت كل النجاح في الإفصاح عن عاطفته وعن موقفه النفسي، فالموقف في البيت موقف شاعر محب يرى حبيبته أمامه، وهو شديد الלהفة إلى إطفاء شوقه

(١) الدلائل، رضا: ٧٧-٧٨، خفاجي: ١٣٦، شاکر: ٩٨-٩٩.

(٢) عبد القاهر، أحمد بدوي: ١٢١-١٢٢.

إليها، فَوَدَّ لو استطاع أن يتمتع عينه بالنظر إليها، ولكنه لسوء حظه محوط بالأعداء من كل جانب، وجميعهم ينظر إليه ويرقبه، وهو أمام هذا كله بين أمرين: إما أن يخضع لعاطفته المشبوبة، فيبعث بنظرته إلى حبيبته ضارباً عرض الحائط بهذه الأنظار المصوبة نحوه من أعدائه، فيفتضح أمره، ويكشف عن حبه، وإما أن يذعن لخوفه وإشفاقه من أعدائه، ورغبته في إخفاء هذه الحقيقة عنهم، فيحرم نفسه من النظر إلى حبيبته حرصاً منه على نفسه وعليها.

وما أبرع مجيء اللام في قوله «لتجمع»، ومجيء الجار والمجرور «مُني» حيث أبرز عدم استطاعته كتمان حبه، وكبت لهفته وشوقه، فعلى الرغم من مقاومته إذا بالشوق يغلبه، وإذا بهذه العاطفة الحبيسة في صدره تنطلق رغماً عنه، وعن القيود التي تقيدها، فتجمع منه نظرة ثم يطرق، وفي إفراذه لفظ «نظرة» وفي إطرافته هذه إحساس عميق بكل معاني الإشفاق، والخجل التي تصطرع في نفسه ودخيلته، وما كان لهذا الجموح، وهذا الإحساس أن يظهر على أنه أمر محتوم لا مفر منه لولا أن سبقتة عبارة «على إشفاق عيني من العدى»، ثم تالت هذه الأجزاء في وحدة لتلتحم أخيراً بقوله: «ثم أطرق»، فيضيف بذلك إضافة رائعة، ومهمة قوت من الإحساس بالحذر والحيلة، فعلى الرغم من انطلاق النظرة منه يحسن بالخوف ممن حوله.

وانظر إلى دور حرف العطف «ثم» فهو لم يأت لمجرد العطف مع التراخي فحسب، وإنما تعدى هذا إلى إضافة معنى يتناسب مع موقف الشاعر الخائف، فالتراخي فترة تمثل في أثنائها الخوف والقلق من المصير المجهول^(١).

وهكذا يلفتنا الشيخ إلى أن تنظيم الكلمات، وتلاحم أجزاء الجملة وتراحمها عنصر هام في إبراز جمال الاستعارة إذ أنه يضيف عليها روح الخفة والجدّة، فدراستها مستقلة تتنافى مع طبيعة الأشياء، وتنطمس بذلك الصور البيانية، ويذهب رونقها وجمالها.

(١) انظر: قضايا النقد الأدبي: ٢٤٤ - ٢٤٥، النقد التحليلي عند عبد القاهر: ٢٥٣ - ٢٥٤.

الشاهد الرابع والخمسون^(١):

(الرجز)

قول بعض الأعراب^(٢):

اللَّيْلُ^(٣) دَاجٍ^(٤) كَنَفًا^(٥) جِلْبَابٍ^(٦) وَالْبَيْنُ^(٧) مَحْجُورٌ عَلَى غُرَابِهِ^(٨)

الشاهد فيه كسابقه، وهو أن الروعة والجمال في البيت ليس في الاستعارة وحدها بأن جعل الليل جلباباً، بل ترجع الروعة إلى مجموعة الدلالات والصيغ التي تركبت منها الاستعارة وتركب منها البيت كله.

وقد أشار الشيخ إلى الخفية في الصيغ، والتي أثارَت الأحاسيس المظلمة في نفس الشاعر. قال:

«ليس كل ما ترى من الملاحه؛ لأن جعل لليل جلباباً، وحجر على الغراب، ولكن في أن وضع الكلام الذي ترى فجعل الليل مبتدأ، وجعل داجٍ خبراً له، وفعلًا لما بعده، وهو الكنفان، وأضاف الجلباب إلى ضمير الليل؛ ولأن جعل كذلك البين مبتدأ، وأجرى محجوراً خبراً عنه، وأن أخرج اللفظ على

(١) الدلائل، رضا: ٨، خفاجي: ١٣٩، شاكِر: ١٠٢.

(٢) لم أقف على قائله.

(٣) الدَّجَى: سواد الليل مع غيم وأن لا ترى نجماً ولا قمراً، وقيل هو إذا ألبَسَ كل شيء وليس هو من الظلمة، وقد دَجَا الليلُ يدجو دَجْواً ودُجْواً فهو داجٍ ودَجِيٌّ. اللسان: ٢٤٩/١٤.

(٤) رواية اللسان:

«وَالْعَيْشُ دَاجٍ كَنَفًا جِلْبَابٍ»، والمراد بذلك خفض العيش وترفه.

(٥) كنفًا: الكنف والكنفه: ناحية الشيء، وناحيته كل شيء كنفاه والجمع أكناف. اللسان: ٣٠٨/٩.

(٦) ذكر الأستاذ «شاكِر» أنه جاء في رواية إحدى مخطوطات الدلائل: «وَاللَّيْلُ مَحْجُورٌ عَلَى غُرَابِهِ»، وذكر أنه سهو من الناسخ.

(٧) لم أقف على البيت على الرغم من مراجعتي لكثير من كتب الأدب، والبلاغة، إلا في: اللسان: ٢٥١/١٤.

مفعول، يبين ذلك أنك لو قلت: «وغراب البين محجور عليه أو: قد حجر على غراب البين، لم تجد له هذه الملاحاة، وكذلك لو قلت: قد دجا كَنَفًا جلاباب الليل لم يكن شيئاً^(١)».

لم يسق الشيخ هذا البيت ليحدثنا عن وصف هذا الشعر لظلمة الليل، وبقاء الوصال، وذهاب الفراق؛ لأن هذا المعنى سطحي يدركه كل من يعرف هذه اللغة، وإنما ليقود الذهن والإحساس قسراً إلى أفق آخر تُدرك فيه حركة وجدان الشاعر، وكيفية إحساسه بمعناه، فالشاعر أحس بالليل إحساساً طاغياً فرمى به في صدر كلامه، وبنى عبارته عليه، ثم أخبر عنه بلفظ «داج» فجعل ظلمته ظلمة مطبقة لا يرى فيها نجم ولا قمر، وإنما هو ليل ملبس كله؛ ولشدة إحساس الشاعر بهذه الظلمة المطبقة شعر أن هذه الإبانة لم تف باحساسه، فركب المعنى تركيباً آخر، فوصل الخبر بما بعده، وجعله فعلاً للكنتين أي الجانبين، ثم لم يجعل الكنتين ليل، ولم يقل والليل داج كنفاه أي جانباه، وإنما جعل ذلك لجلاباب الليل، فجعل ليل جلاباباً، ثم تحدث عن كنفه هذا الجلاباب، وهذا التركيب لظلمة الليل ليس بالتركيب السهل، وهذا الإحساس بهذه الظلمة ليس بأحاساس ساذج، وإنما هي أحاسيس بُني بعضها على بعض، فهناك إحساس بأهمية هذا الليل، ثم إحساس بظلمته المطبقة، فهو داج، ثم إحساس بأن هذه الظلمة متكاثفة، وكأنها جلاباب شديد سواد الجانبين، ثم إحساس بتشخيص الليل أي بصيرورته في وجدانه شخصاً يرتدي جلاباباً شديد الدجو على جانبي الوجود، فلا يدع فيه شيئاً إلا أحاط به، وكأنه مارد عملاق يشق برأسه السماء، ويطوي بين يدي المغربين - الليل داج كنف جلابابه -، وكذلك أحس الشاعر بالبين إحساساً عميقاً بارزاً، فرمى به في صدر عبارته الثانية «والبين محجور»، وبنى الجملة عليه؛ لأن أهم ما يعنيه في هذا السياق هو أن يخبر عنه، وأنه محجور على غرابه، ثم إن الشاعر تأمل الكلمات، وأدارها في نفسه ثم اختار كلمة محجور

(١) الدلائل، رضا: ٨١، خفاجي: ١٣٩، شاکر: ١٠٢-١٠٣.

بصفتها هذه، وفضلها على كلمة حجر على غرابه، أو قد حجر على غرابه، لأن محجوراً فيها إحساس بدوام الحجر، وليس هذا الإحساس في صيغة الفعل.

وفي هذين الموقعين في الجملة يكمن إحساس الشاعر، فلو أنه زُحِرح لفظ «البين»، وقُدِّم «غراب» عليه وقيل: «وغراب البين محجور عليه لكان شيئاً مخالفاً لإحساس الشاعر ومراده، ويتبين هذا الفرق إذا تأملنا الفرق بين جملة «زيد عظيم قدره» وجملة: «وقدر زيد عظيم» ففي الأولى إخبار عن زيد بعظمة القدر، وفي الثانية إخبار عن قدر زيد بالعظمة، ويا بعد ما بينهما لمن يحس إدراك الفروق. وهكذا ندرك رهاقة حس الكلمة بالكلمة، وأن أقل قدر من الاهتزاز في هذه المماساة بين الكلمتين يؤدي إلى تغيير جوهري في المعنى^(١).

الشاهد الخامس والخمسون^(٢):
(الخفيف)

قول المتنبي:

غَضَبَ الدَّهْرَ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهَا فَبَنَاهَا فِي وَجْنَةِ الدَّهْرِ خَالاً^(٣)

وهو من قصيدته في مدح سيف الدولة، ويذكر فيها نهوضه إلى الثُّغُر^(٤) واستيلائه على قلعة الحدث^(٥)، وذلك في جمادى الأولى سنة أربعين وثلاثمائة، وقيل سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، ومطلعها:

(١) انظر: دلالات التراكيب: ٤ - ٥.

(٢) الدلائل، رضا: ٨١، خفاجي: ١٤٠، شاکر: ١٠٣.

(٣) لم أجد البيت فيما رجعت إليه من مصادر إلا في ديوانه، وكأنه من الشواهد الخاصة بالشيخ.

انظر: ديوانه بشرح العكبري: ١٤٥/٣، العرف الطيب: ٢٧٩/٤.

(٤) الثُّغُر: كل موضع قريب من أرض العدو يُسمى ثُغْراً كأنه مأخوذ من الثُّغرة وهي الفُرجة في الحائط، وهو في مواضع كثيرة، منها: ثُغْرُ الشَّامِ، وجمعه ثُغُور، وهذا الاسم يشمل بلاداً كثيرة.

انظر: معجم البلدان: ٧٩/٢.

(٥) الحدث: قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش، من الثُغُور يقال لها الحمراء؛ لأن =

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَعْلُوْنَ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا^(١)

وقبل الشاهد:

أَيُّ عَيْنٍ تَأْمَلْتُكَ فَلَا قَتْلَكَ (م) وَطَرْفٍ رَنَا إِلَيْكَ فَلَا
مَا يَشْكُ اللَّعِينُ فِي أَخْذِكَ الْجَيْدِ شَرَّ فَهَلْ يَبْعَثُ الْجُيُوشَ نَوَالًا
مَالِمَنْ يَنْصِبُ الْحَبَائِلَ فِي الْأَرْضِ ضَرٌّ وَمَرْجَاهُ أَنْ يَصِيدَ الْهَلَالَ
إِنْ دُونَ الَّتِي عَلَى الدَّرْبِ^(٢) وَالْأَحَدِ دَبِ^(٣)، وَالنَّهْرِ^(٤) مَخْلُطًا^(٥) مِزْيَالًا^(٦)

وبعدها الشاهد وبعده:

فَهِيَ تَمْشِي مَشْيَ الْعُرُوسِ اخْتِيَالًا وَتَشْنِي عَلَى الزَّمَانِ دَلَالًا^(٧)

= تربتها جميعاً حمراء، وقلعتها على جبل يقال له الأحيدب، وكان حصن الحدث مما فتح في أيام عمر رضي الله عنه.

انظر: معجم البلدان: ٢٢٧/٢.

(١) والمعنى: يقول مشيراً إلى ما فعله سيف الدولة بجيوش الروم، وانهزامهم بين يديه، ومنعه لهم مما كانوا عليه من حصار:

إن هذه هي المعالي التي تؤثر، والمكارم التي تخلد على أثبت حقائقها، وأبعد غاياتها، فمن تعاطى الإقدام والقوة، والتعالي والرفعة، فلينهض بمثلها، ولتقدم إلى فعلها، وهكذا سبيلها ووجهها فلا يتعرض الرؤساء لها، ولا يتميزون بها، وكرر «لا» على سبيل التوكيد. شرح العكبري: ١٣٤/٣.

(٢) الدرب: المدخل من أرض العدد. شرح العكبري: ١٤٥/٣.

(٣) الأحيدب: جبل عليه قلعة الحدث، ويقال له الأحيدب.

انظر: معجم ما استعجم: ١٢١/١.

(٤) موضع بقرب الحصن. شرح العكبري: ١٤٥/٣.

(٥) مَخْلُطٌ مِزْيَالٌ: يخالط الأمور: أي موصوف بالشجاعة، وسداد الرأي. الصحاح: «خلط»: ١١٢٥/٣.

(٦) والمعنى أن هذه القلعة لا يمكن الوصول إليها؛ لأن حاميتها رجل مخلط مزيال كثير المخالطة للأمور يخالطها ثم يزايلها، يحمي حريمها، ويقاثل الأعداء عنها، أو دونها ملك مقتدر مزيال عن أطراف بلاده مخلط بالأعداء فيها عند قصدهم لها سريع لا يتأخر عن سطوته. ديوانه بشرح العكبري: ١٤٥/٣.

(٧) انظر الأبيات في:

والشاهد فيه كسابقه، وقد علّق عليه الشيخ بقوله:

«قد ترى في أول الأمر أن حسنه أجمع في أن جعل للدهر «وجنة» وجعل
النبيّة «خالاً» في الوجنة، وليس الأمر على ذلك، فإن موضع الأعجوبة في أن
أخرج الكلام مُخَرَّجَه الذي ترى، وأن أتى «بالخال» منصوباً على الحال من
قوله: «فبناها» أفلا ترى أنك لو قلت: «وهي خال في وجنة الدهر» لوجدت
الصورة غير ما ترى؟^(١)».

في هذا البيت يغمر المتنبّي الإحساس بالفرحة، وتزهو نفسه بالانتصار الذي
أحرزه الممدوح، فهو انتصار لا يتمكن منه إلا شخص متمرس قوي الشكيمة،
ولإحساسه بعظمة هذا الشخص وقوته، قال:

«غَصَبَ الدَّهْرَ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهَا»

فهو لم ينتزعها من أقرانه «الملوك» فقط، وإنما تمكن منها وأخذها من
الدهر عنوة. فشبّه الدهر بإنسان يغتصب على سبيل الاستعارة المكنية.

وانظر كذلك إلى جمال الاستعارة المكنية في قوله «وجنة الدهر» حيث شبّه
الدهر بإنسان، ثم حذفه وجاء بشيء من لوازمه «وجنة».

وقد وُفق الشاعر في اختيار لفظ «غَصَبَ» بدلاً من «أخذ» مثلاً لما لهذه
الكلمة من أبعاد دلالية وإيحاءات خفية، فهي توحى بصورة كر وفر قامت بين
الدهر والممدوح، وفيها نوع من المخاطرة والمجازفة بالنفس، وفيها أيضاً دلالة
على إرادته وقوته الجبارة. وفي طريقة بناء الكلام ما يبعث في النفس التشويق
حيث أبهم في صدر البيت، ثم فاجأ النفوس بقوله:

«فبناها»، فإن الشيء الذي حارب من أجله وغصب الدهر والملوك عليه هو
«بناء»، وجاء بالفاء فدلّت على سرعة البناء، فهو لم يستغرق وقتاً طويلاً في

= ديوانه بشرح العكبري: ١٤٣/٣ - ١٤٥، العرف الطيب: ٢٧٨ - ٢٧٩.

(١) الدلائل، رضا: ٨٢، خفاجي: ١٤٠، شاکر: ١٠٣.

بنائها، ثم جاء بالحال «خالاً»؛ ليصور روعة ذلك البناء ودقته وعظمته، فهذه المدينة قد جل قدرها، فكأن الدهر زين بها وجهه، ووسم برفعتها نفسه، فهذه الروعة، وهذا الجمال هو الذي دفع الممدوح لينازل ويحارب أكبر القوى، وقد استحسّن العكبري هذه الاستعارة فقال:

وهذه استعارة حسنة لم يعمل في بيته مثلها^(١).

الشاهد السادس والخمسون^(٢): (المجث)

قول ابن المعتز:

يَا مِسْكَةَ الْعَطَارِ وَخَالَ وَجْهِ النَّهَارِ

وهو مطلع قصيدة يصف امرأة سوداء وبعده عدة أبيات هي تمام القصيدة:

وَلَعَبَةٌ أَحْكَمَتْهَا عِنَايَةُ النَّجَارِ

مِنْ آبُنُوسٍ تُسَمَّى بِالْيُمْنِ بَيْنَ الْجَوَارِ

وَأَطْيَبَ النَّاسِ رِيقاً لِمُغْتَدٍ وَلَسَارِ

وَلَيْسَ ذَا بَعْجِيبٍ وَلَيْسَ فِي ذَا تَمَارِ

لَا تُشْرَبُ الْخَمْرُ إِلَّا مَبْزُولَةً مِنْ قَارِ^(٣)

استشهد به الشيخ على أن الملاحاة والطرافة ليس في استعارة لفظ الخال،

بل لتتابع الإضافات قال:

«وكانت الملاحاة في الإضافة بعد الإضافة لا في استعارة لفظة الخال، إذ

معلوم أنه لو قال: يا خالاً في وجه النهار أو يا من هو خال في وجه النهار لم

يكن شيئاً، ومن شأن هذا الضرب أن يدخله الاستكراه قال صاحب: «إياك

(١) ديوان المتنبي بشرح العكبري: ١٤٥/٣.

(٢) الدلائل، رضا: ٨٢، خفاجي: ١٤٠، شاکر: ١٠٣.

(٣) لم أجده فيما رجعت إليه من مصادر إلا في: ديوان ابن المعتز - دار صادر: ٢٥٣، ديوان

أشعار الأمير أبي العباس: - دار المعارف: ١٨٧/٢.

والإضافات المتداخلة^(١)، فإن ذلك لا يحسن^(٢).

يُظهر هذا البيت نفسية الشاعر المرححة السهلة الميالة للفكاهة والملح، فموسيقى البيت التي اختارها موسيقى خفيفة تنتقل في جوانب النفس بسرعة وخفة، فبدأ البيت بالنداء «يا مسكة»؛ ليوظ النفوس ويلفت الأذهان إلى أنها هي المسك بعينه. (تشبيه بليغ)، فكونها مسكة أمر ليس فيه شك، وهذه مبالغة طريفة من الشاعر، وزادها طرافة إضافة لفظة «مسكة» إلى «العطار»؛ ليؤكد طيب رائحتها ويثبت هذه الصفة فيها.

ثم استعار لفظ خال لتلك الجارية؛ ليدل على شهرتها وجمالها، ثم أضاف الخال للوجه، وأضاف الوجه للنهار، فجعل الجملة كلها أجزاء متحدة متلازمة؛ ليؤكد أن شهرتها بالركة والجمال ملازمة لها لا تخفى على أحد.

الشاهد السابع والخمسون^(٣):
(الخفيف)

قول القائل^(٤):

يَا عَلِيُّ بْنُ^(٤) حَمْزَةَ بْنِ عُمَارَةَ أَنْتَ وَاللَّهِ ثَلَجَةٌ فِي خِيَارَةِ^(٥)

(١) في الدلائل نسخة شاكر «المُداخلة».

(٢) الدلائل، رضا: ٨٢، خفاجي: ١٤٠ - ١٤١، شاكر: ١٠٣ - ١٠٤.

(٣) الدلائل، رضا: ٨٢، خفاجي: ١٤١، شاكر: ١٠٤.

(٤) لم أقف على قائله.

(٥) هو علي بن حمزة بن عُمَارَةَ بن حمزة بن يسار بن عثمان الأصبهاني أبو الحسن وعثمان هذا الذي انتهت نسبة هذا إليه هو والد أبي مسلم الخراساني ويسار أخوه، وعلي بن حمزة هذا من أولاد أخيه يسار، وكان أحد أدباء أصبهان المشهورين بالعلم والشعر والفضل والتصنيف وصنف كتباً منها:

«كتاب الشعر»، «كتاب فقر البلغاء» يشتمل على الاختيار من شعر عامة الشعراء، «كتاب قلائد الشرف في مفاخر أصبهان وأخبارها» وغير ذلك.

انظر ترجمته:

معجم الأدباء: ٢٠٣/١٣/٧ - ٢٠٨.

(٦) انظر البيت في:

البيت حُكي عن الصاحب بن عباد^(١)، وأثبتته صاحب عقود الدرر للصاحب قال: «أقول هذا البيت للصاحب بن عباد^(٢)».

استشهد به الشيخ على أن تتابع الإضافات يحسن في مواضع الهجاء والذم. قال:

«وذكر- أي الصاحب بن عباد- أنه يُستعمل في الهجاء،... ولا شبهة في ثقل ذلك على الأكثر، ولكنه إذا سلم من الاستكراه لطف وملح^(٣)».

حيث أضاف (بن) الأولى إلى حمزة وأضاف (بن) الثانية إلى عُمارة، ويبدو أن عبارة الشيخ أدق من عبارة الصاحب؛ لأن الشيخ احتاط حين قال «ومن شأن... الخ» أما الصاحب فعمم الحكم في قوله (إيّاك...).

واعترض ابن السبكي على أن في البيت إضافات متتابعة قال:

«قلت فيما قالوه نظر، وأين تتابع الإضافات هنا^(٤)».

وذكره أيضاً في البديع^(٥)، وجعله من الاطراد^(٦).

ورأى صاحب عقود الدرر أن الشاهد في البيت تتابع الإضافات الموجبة

= الإيضاح: ٧٩/١، شروح التلخيص: عروس الأفراح: ١١٦/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٥ ب، عقود الدرر: ١٠ ب، شرح شواهد كتاب في البلاغة، مخطوط (ق ١ - ١٢) رقم ١٣٠٥، ١١ أ.

(١) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٥ ب.

(٢) عقود الدرر: ١٠ أ، شرح شواهد كتاب في البلاغة مخطوط (ق ١ - ١٢) رقم ١٣٠٥، ١١ أ.

(٣) الدلائل، رضا: ٨٢، خفاجي: ١٤١، شاکر: ١٠٤.

(٤) شروح التلخيص، عروس الأفراح: ١١٦/١.

(٥) المصدر السابق: ٤١١/٤.

(٦) الاطراد: وهو أن يأتي بأسماء الممدوح، أو غيره وآبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف في السبك حتى تكون الأسماء في تحدرها كالماء الجاري في اطراده، وسهولة انسجامه. التلخيص: ٣٨٧ - ٣٨٨.

لثقل^(١)، وهذا خلاف ما ذهب إليه الشيخ، وحسن تتابع الإضافات هنا، لأن الإضافة عرفت شخصية المهجو تعريفاً تاماً، وفي ذلك تشهير به، ثم هجى هجاء لاذعاً ليكون به ألزم، وهو به أحق حيث جعل المهجو بارد الإحساس متحجر الشعور فوصف بشدة البرودة، فالخيار بارد بالطبع وزاد من برودته أنه جُمع مع الثلج. قال الشيخ عبد القاهر:

«يريد هذا الخيار الذي يؤكل، وأراد وصفه بشدة البرودة؛ لأن الخيار بارد بالطبع، فإذا جُمع مع الثلج كان غاية فيها»^(٢).

«والكلام هنا على القلب، والأصل أنت خيارة في ثلجة، فإن الخيار بارد، ويتضاعف بارده إذا وضع في الثلج بخلاف العكس، ووجه الحُسن فيه المبالغة في وصفه بالبرودة المفرطة حتى كأن الثلجة داخل الخيارة»^(٣).

الشاهد الثامن والخمسون^(٤): (الطويل)

قول ابن المعتز:

وَزَلَّلْتُ^(٥) تُدِيرُ الرَّاحَ^(٦) أَيْدِي جَاذِرٍ^(٧) عَتَاقٍ^(٨) دَنَائِرِ الْوُجُوهِ مِلَاحٍ^(٩)

(١) عقود الدرر: ١٠ ب.

(٢) ذكر الخوارزمي في شرح أبيات الإيضاح أن هذا من كلام الشيخ قال في بداية الكلام: «حاشية عن خط الشيخ» وفي نهايته قال: «نقلت هذا من غير تغيير عن حاشية دلائل الأعجاز»: ٥ ب.

(٣) عقود الدرر: ١٠ أ - ١٠ ب.

(٤) الدلائل، رضا: ٨٣، خفاجي: ١٤١، شاکر: ١٠٤.

(٥) رواية عقود الدرر: «فظلت».

(٦) الراح: الخمر. مختار الصحاح، «روح»: ٢٦٢.

رواية أبيات الإيضاح وعقود الدرر: «تدير الكأس» وكذلك ذكر محقق ديوان أشعار الأمير أبي العباس أن هذه هي إحدى نُسخ الديوان.

(٧) الجُوذُرُ، والجُوذَرُ، بفتح الذال وضمة واو البقرة الوحشية، والجمع جَاذِر. مختار الصحاح، «جاذر»: ٩٠.

(٨) عتاق: «العتق» الكرم وهو أيضاً الجمال. مختار الصحاح «عتق»: ٤١١.

(٩) انظر البيت في:

لَيْسَنَا^(١) إِلَى الْخَمَارِ وَالنَّجْمِ غَائِرٌ^(٢) غِلَالَةَ لَيْلٍ طُرَزَتْ بِصَبَاحِ

ذكر الشيخ عبد القاهر أن تتابع الإضافات إذا أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان فهو مخل بالفصاحة، وإذا سلم من الاستكراه ملح ولطف.

واستشهد بيت ابن المعتز على حُسن الإضافات المتتابعة، حيث أضاف عتاق إلى دنانير، وأضاف دنانير إلى وجوه، ولعلها حسنت لأن الإضافة وقعت بين المشبه والمشبه به، فأصبحت جزأين متلازمين تلازم المضاف والمضاف إليه، فقررَ بذلك أن المشبه به وهو الدنانير في صفائها وحسنها صفة حقيقية لتلك الوجوه، فلا تفاوت بين المشبه والمشبه به، وهذا التعبير أقوى في الدلالة على الصفاء والحسن من قولنا: «وجوه كالدنانير»، وأقوى في تعميق الصورة في النفس.

ولعلها حسنت أيضاً لأن في البيت إضافتين، وإنما يستكره في تتابع الإضافات أن تكون ثلاثة فأكثر^(٣).

= ديوان ابن المعتز - دار صادر - ١٤٥، ديوان أشعار الأمير أبي العباس - دار المعارف - ٢٣٥/٢، الإيضاح: ٧٩/١، شرح أبيات الإيضاح، - فيض الله -: ٥ ب، النسخة الأزهرية، شاهد رقم: ١٥، عقود الدرر: ١٠ ب. وأعتقد أن هذا البيت من شواهد الشيخ الخاصة به، والتي أخذها عنه المتأخرون مثل: القزويني في الإيضاح، والسبكي في عروس الأفراح، واستشهدوا به على نفس الموضع.

(١) رواية عقود الدرر: «عَدُونَا».

(٢) رواية عقود الدرر: «غَائِرَةٌ».

(٣) وذكر ابن السبكي من شروط كراهة تتابع الإضافات:

أن تكون ثلاثة فأكثر، وأن لا يكون واحد منها جزءاً، أو كالجزء وأن لا يكون المضاف إليه الأخير ضميراً، وأن لا يكون فيها إضافة في عَلم كقول أبي سفيان لقد مر ابن أبي كبشة، فليس في مثل ذلك استكراه.

ورأى أن أحسن ما يُستدل به على فصاحة تتابع الإضافات قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [سورة مريم، الآية: ٢] وقد ينزع فيه فيقال: إن الإضافات ههنا ترجع إلى إضافتين أو إضافة، فإن ذكر الرحمة رحمة، ورحمة الله صفته، ويؤيد ذلك قول النحاة أنه يريد الحال من المضاف له، إذا كان المضاف جزأه أو كجزئه؛ لأنه يصير وجود الإضافة كعدمها ثم المضاف إليه ضمير. شروح التلخيص - عروس الأفراح -: ١١٦/١ - ١١٧.

في هذين البيتين تشيع النشوة والغبطة في نفس أبن المعتز، حيث قصد وصحبه الخمارة حين غار النجم، وأشرف على المغيب، وتلفع الليل بغلالة رقيقة تشف عما تحتها، وهذا دليل على قرب الصباح، ولما كان النور يظهر أول ما يظهر في الجوانب ويكون نوره فيها أشد جعل تلك الغلالة مزينة ومطرزة بخيوط الصباح، وازدادت هذه الصورة روعة حين قال: «لبسنا» فجعل الليل كاللباس يحيط بهم ويعمهم ويتستر عليهم.

وظلت تلك الروح المرححة تداعبه داخل الخمارة، حين ظلت كؤوس الخمر تدور من غير انقطاع، وزاد من نشوته وانبساطه أن اللواتي يدرن الراح بلغن الغاية في الجمال، فهن الدنانير بعينها في صفائها وبريقها، وأحس الشاعر أن تأثير جمالهن متغلغل في داخله، فزاد لفظ «ملاح» زيادة في الوصف.

الشاهد التاسع والخمسون^(١): (المنسرح)

قول الخالدي^(٢):

وَيَعْرِفُ الشُّعْرَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي وَهُوَ عَلَى أَنْ يَزِيدَ مُجْتَهِدٌ
وَصَيْرَفِي الْقَرِيضَ وَأَزِنُ^(٣) دِب نَارِ الْمَعَانِي الدَّقَاقِ^(٤) مُتَّقِدُ^(٥)

(١) الدلائل، رضا: ٨٢، خفاجي: ١٤١، شاکر: ١٠٤.

(٢) هو أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي من شعراء اليتيمة، وكان في حاشية سيف الدولة الأدبية، وقيم دار كتبه مع أخيه أبي بكر محمد، وكان السري الموصل يذعي عليهما سرقة شعره.

انظر: يتيمة الدهر: ١٨٣/٢ - ٢٠٨.

(٣) رواية الدلائل: رضا، خفاجي، شاکر: «وزان».

(٤) رواية الديوان: «الجياد».

(٥) انظر البيتين في:

ديوان الخالدين - أبي عثمان سعيد بن هاشم -: ١٢٢/٢، خاص الخاص: ١٥٦ - ١٥٧،

الإيضاح: ٧٩/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٥ ب.

وهذان البيتان لأبي عثمان الخالدي في وصف غلام له يسمى رشاً^(١).

والشاهد من قصيدة^(٢) مطلعها:

مَا هُوَ عَبْدٌ لَكِنَّهُ وَلَدٌ خَوْلَانِيهِ الْمُهِمِّنُ الصَّمَدُ

وقيل الشاهد:

خَازِنُ مَا فِي يَدَيَّ وَحَافِظُهُ فَلَيْسَ شَيْءٌ لَدَيَّ يُفْتَقَدُ
يَصُونُ كُتُبِي فَكُلُّهَا حَسَنٌ يَطْوِي ثِيَابِي فَكُلُّهَا جُدُ
وَحَاجِبِي فَالْخَفِيفُ مُحْتَبَسٌ عِنْدِي بِهِ وَالثَّقِيلُ مُطْرَدُ

وبعدها الشاهد وبعده:

وَحَافِظُ الدَّارِ إِنْ رَكِبْتُ فَمَا عَلَى غُلَامٍ سِوَاهُ أَعْتَمِدُ

الشاهد هنا كسابقه وهو حسن تتابع الإضافات قال:

«ومما جاء منه حسناً جميلاً قول الخالدي في صفة غلام له^(٣)».

ولعل الإضافة هنا حسنة؛ لأنها ربطت بين المشبه به والمشبه، وجعلتهما كالجزء الواحد، أو لأن تتابع الإضافات وَلَدٌ مبالغة عظيمة في وصف الغلام بعظيم الخبرة والدقة، فالدينار وهو شيء محسوس أضيف إلى شيء معنوي، وهو «المعاني» فأكسبه تجسيداً وحساً، فكانه جعل الشيء المعنوي هو ذلك الشيء

(١) قال أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي أنه رآه بعد موت مولاة أبي عثمان في ناحية أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف قال: وهو اليوم وزير قراد العقيلي والي البلد والجامعين والقصر. ثمار القلوب: ٢٢٩.

(٢) قال الشعالي: قرأت أنا بخطه - أي بخط الغلام رشاً - في مجموعة من شعر الخالدين بخط أحد الأخوين في دفتر أعارنيه أبو نصر سهل بن المرزبان: كتب ابن سكرة الهاشمي إلى أبي عثمان يسأله عني فكتب إليه: ما هو عبدٌ لكنه ولَدٌ... القصيدة. انظر: ديوان الخالدين: ١١٩ - ١٢٠.

(٣) الدلائل، رضا: ٨٢، خفاجي: ١٤١، شاکر: ١٠٤.

المحسوس بعينه، فهو لشدة خبرته ودقيق نظرتة يحس بالمعاني، ويلمسها، ويقلبها على شتى وجهوها كما يقلب الدينار عند الوزن.

فالخالدي في هذه الأبيات يضرب بعلامه المثل في الكياسة والشهامة، والنفاذ في حسن الخدمة، وجمع له محاسن الممالك، ومناقب العبيد، فهو يصفه في هذين البيتين بمعرفة الشعر معرفة مولاه، وأن له حاسة ذوقية تمكنه من الوقوف على دقائق الشعر، وأسراره مثل وقوف مولاه، بل إن فيه روح الجرأة والاجتهاد وحب الاطلاع، فهو يبذل وسعه في أن يزيد على مولاه في معرفة الشعر.

«وهو صيرفي القريض يتصرف في الشعر بدقة نظره فيه، ويجعل لبعضه عياراً على البعض بعلمه، وزان المعاني الدقيقة الشبيهة بالدنانير في العزة وميل النفوس إليها يزنها ويقدرها بميزان العقل والفكر ليودي سالمه من زيادة ونقصان، منتقد مميز جياذ الأشعار من رديها، والله أعلم»^(١).

الشاهد الستون^(٢):
(الكامل)

قول أبي تمام:
خُذْهَا أَبْنَةَ الْفِكْرِ الْمُهَذَّبِ فِي الدُّجَى وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةٍ^(٣) الْجَلْبَابِ^(٤)
وهو من قصيدته في مدح مالك بن طوق التغلبي^(٥)، ومطلعها:
لَوْ أَنَّ دَهْرًا رَدَّ رَجَعَ جَوَابِي أَوْ كَفَّ مِنْ شَأْوِيهِ طُولَ عِتَابِي

(١) شرح أبيات الإيضاح: شاهد رقم: ١٦، - النسخة الأزهرية -.

(٢) الدلائل، رضا: ٨٣، خفاجي: ١٤١، شاکر: ١٠٤.

(٣) رواية العمدة: «حالك الجلباب».

(٤) انظر البيت في:

ديوان أبي تمام - دار صعب - ٢٥، العمدة: ٧٠/٢، تحرير التحرير: ٤٠٢/٣، أنوار

الربيع: ١٥٤/٥.

(٥) مالك بن طوق: هو مالك بن طوق بن عَتَاب «عَيَّات» التغلبي، أبو كلثوم (٢٥٩ - ٢٥٠ هـ).

وبعده أبيات قبل الشاهد:

لَعَذْلَتُهُ فِي دَمْنَتَيْنِ تَقَادِمَا مَمْحُوتَيْنِ لِرَيْنِبِ وَرَبَابِ
يَا مَالِكَ اسْتَوْدَعْتَنِي لَكَ مِنْهُ تَبْقَى ذَخَائِرَهَا عَلَى الْأَحْقَابِ
يَا خَاطِباً مَدَحِي إِلَيْهِ بِجُودِهِ وَلَقَدْ خَطَبْتَ قَلِيلَةَ الْخَطَّابِ

وبعدها الشاهد - وبعده:

بِكْرًا تُورَثُ فِي الْحَيَاةِ وَتَشْنِي فِي السَّلْمِ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْأَسْلَابِ
وَيَزِيدُهَا مَرُّ اللَّيَالِي جِدَّةً وَتَقَادِمُ الْأَيَّامِ حُسْنَ شَبَابِ

ذكر الشيخ أنه شاهد آخر على حسن تتابع الإضافات وموضع الشاهد قوله: «وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الْجَلْبَابِ»، حيث أضاف أسود إلى رقعة، وأضاف رقعة إلى الجلباب، وربما حَسُنَتِ الإضافة؛ لأن في البيتين إضافتين لا أكثر، ولعل الشاعر لجأ إلى تتابع الإضافات؛ ليبالغ في وصف الليل بشدة السواد.

وفي البيت وجوه جمالية أخرى أضفت عليه حسناً وخلابة.

أنظر إلى قوله: «خُذْهَا» حيث أبهم؛ ليشوق النفس إلى معرفة هذا الشيء المقدم، وفي استعمال فعل الأمر زيادة تشويق، ثم بين بعد ذلك ماهية الشيء المأخوذ، وفي قوله «خذها» تظهر النفس المليئة بالثقة بما حاكت وصورت، ثم كُنِيَ عنها بقوله: «ابنة الفكر»، فهناك صلة وثيقة بين هذه القصيدة، وبين فكره كصلة الأبوة والبنوة، فهو لم يُسِنَّهَا إلا بعد أن تفاعلت أفكاره، فولدت هذه المعاني.

وقيل: (٢٦٠ هـ)، أمير كان من الأشراف الأجواد الفرسان ولي إمرة دمشق للمتوكل العباسي، وبنى بمساعدة الرشيد بلدة «الرحبة» التي على الفرات وتعرف بـ «الرحبة» نسبة إليه، وكثر سكانها في أيامه وكان فصيحاً له شعر. انظر ترجمته في:

معجم البلدان: ٣/٣٤، فوات الوفيات: ٣/٢٣١، النجوم الزاهرة: ٣/٣٢، مختارات البارودي: ١/١٣٥ - ١٣٧، الأعلام: ٥/٢٦٢.

وفي اختياره لزمن تولد القصيدة دليل على أن ألفاظها ومعانيها خرجت من نفس صادقة هادئة؛ لأنه صاغها في وقت الدُّجى، وقت اشتداد الظلمة، فكلما اشتد الكون ظلمة اشتدت النفس إنارة وصفاء، فتسلل الأحاسيس من الداخل لتسكن في كلمات صادقة معبرة.

قال ابن أبي الإصبع:

«فإنه إنما خصَّ تهذيب الفكر بالدُّجى لكون الليل تهدأ فيه الأصوات، وتسكن الحركات، فيكون الفكر فيه مجتمعاً، والخطر خالياً، ولا سيما في وسط الليل عندما تأخذ النفس حظها من الراحة، وتنال قسطها من النوم، ويخف عليها ثقل الغذاء، فحينئذ يكون الذهن صحيحاً، والصدر منشرحاً، والقلب منبسطاً، واختاره وسط الليل دون السُّحر مع ما فيه من رقة الهواء، وخفة الغذاء، وأخذ النفس سهمها من الراحة، لما يكون في السُّحر من انتباه أكثر الحيوان الناطق والبهيم، وارتفاع معظم الأصوات، وجُرس الحركات، وتقشع الظلماء بطلائع الأضواء، وبيعض ذلك يتفَسَّم الفكر، ويتذبذب خاطر، ويشغل القلب، ويتفرق مجتمع الهم، ووسط الليل خال عما ذكرنا، ولهذا خصَّ أبو تمام تهذيب الفكر بالدُّجى عادلاً عن الطرفين لما فيهما من الشواغل التي ذكرناها^(١)».

ولقد كره ابن رشيق كلمة «الدُّجى» في هذا البيت ورأى أنها حشو لا فائدة منه، قال:

«... فقلوه «الدُّجى» حشو^(٢)، لأن في القسم الثاني ما يدل عليه من زيادة

(١) تحرير التحرير: ٤٠٣/٣.

(٢) الحشو: وسماه قوم الانتكاء، وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن، فإن كان ذاك في القافية، فهو استدعاء، وقد يأتي في حشو البيت ما هو زيادة في حسنه وتقوية لمعناه كالذي تقدم من التميم والالتفات وغير ذلك مما ذكرناه آنفاً. العمدة: ٦٩/٢.

استعارتين مليحتين، فإن لم يكن في القسم الأول حشو كان القسم الثاني بآثره
فضلة»^(١).

ولقد ردّ ابن أبي الإصبع على من قال إن في البيت حشواً، وأبرز سرّ إتيان
الشاعر بهذه اللفظة، فلفظ «الدُّجى» قد يطلق على الليل كله سواء كان مظلماً أو
مقمرّاً، لكنه إطلاق مجازي، وحقيقته أن الدُّجى هو شدة الظلمة، وطرفا الليل
لقربهما من الشمس لا يكون غيهبهما شديد الظلمة، وأبو تمام أراد هنا الإطلاق
الحقيقي لا المجازي لقصد المبالغة، ولما رأى أن لفظ «الدُّجى» فيه عموم فهو
يصلح أن يكون اسماً لليل كائناً ما كان في حالتي الحقيقة والمجاز، احترس من
ذلك بما جاء به من التذييل ليخلص من الاشتراك الحاصل من لفظة «الدُّجى»
على انفرادها، وكل ذلك مبالغة في وصف القصيدة.

قال ابن أبي الإصبع:

«وإنما دخلت لفظة الدُّجى على وسط الليل؛ لأنها جمع دجية، وطرفا
الليل لقربهما من الشمس لا يكون غيهبهما شديد الظلمة، والدُّجى شدة الظلمة؛
لأنه مجموع ظلمات، وإن كان الدُّجى قد يطلق على الليل كله، سواء كان مظلماً
أو مقمرّاً، لكنه إطلاق مجازي حقيقته ما ذكرناه، وأبو تمام أرادها هنا الحقيقة لا
المجاز؛ لقصد المبالغة، ولما لحظ أبو تمام أن لفظة الدُّجى لعمومها وصلاحتها
في حالتي المجاز والحقيقة إلى أن تكون اسماً لليل كائناً ما كان آحترس من ذلك
بما جاء به التذييل حيث قال:

واللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةٍ الْجَلْبَابِ

ليخلص من الاشتراك الحاصل من لفظة الدُّجى على انفرادها؛ وليتبين أنه
أراد الليالي السود التي سمّتها العرب بالذَّآري، لا الليالي البيض، ولا غيرها من
الليالي التي فيها وقت مُضيء في الجملة فراراً من ليل لا يخلو من الأصوات
والحركات، مبالغة في وصف القصيدة بالتنقيح المرضي في الوقت المختار

(١) العمدة: ٧٠/٢.

لذلك، وقد جمع الكتاب العزيز هذه المعاني، وأتى بها في أوجز لفظ، وأجزله حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ (١) (٢).

الشاهد الحادي والستون (٣):

(الطويل)

قول المتنبي:

وَقَيِّدْتُ نَفْسِي فِي ذِرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدًا (٤)

وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة، ويهنيه بعيد الأضحى، ومطلع

القصيدة:

لَكُلِّ امْرِئٍ مِّنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا وَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فِي الْعَدَا (٥)

وقبل الشاهد:

تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَاكَ عَسَجَدَا

وبعده الشاهد وبعده:

إِذَا سَأَلَ الْإِنْسَانُ أَيَّامَهُ الْغِنَى وَكُنْتُ عَلَى بُعْدٍ جَعَلْتُكَ مَوْعِدَا

استشهد به الشيخ على حسن النظم، ورأى أن استعارة القيد في الأصل

مبتذلة عامية إلا أن الطريق الذي سلكه المتنبي أخرجها من العامية المبتذلة إلى

الاستعارة النادرة. قال:

«الاستعارة في أصلها مبتذلة معروفة، فإنك ترى العامي يقول للرجل يكثر

إحسانه إليه وبره له، حتى يألفه، ويختار المقام عنده قد قيدني بكثرة إحسانه إليّ

(١) سورة المزمل، الآية: ٦.

(٢) تحرير التعبير: ٤٠٣/٣.

(٣) الدلائل، رضا: ٨٢، خفاجي: ١٤١، شاکر: ١٠٥.

(٤) ديوانه بشرح العكبري: ٢٩١/١، العرف الطيب: ١١٩/٢، نهاية الأرب: ١٠٧/٣.

(٥) ديوانه بشرح العكبري: ٢٨١/١، العرف الطيب: ١١١/٢.

وجميل فعله معي حتى صارت نفسي لا تطاوعني على الخروج من عنده، وإنما كان ما ترى من الحسن بالمسلك الذي سلك في النظم والتأليف^(١).

ولعل الاستعارة لُطِّفَت وندرت؛ لأنه بناها بناءً نادراً فيه جِدَّة وطرافة، فاستعارة القيد عادة تُبنى على الإحسان، فهو الذي يُرغم العواطف، ويجعلها تنقاد قسراً، ولكن الشاعر لصدق عاطفته، وفرط محبته للممدوح خرج بها عن الوجه المعتاد، فبناها على المحبة الخالصة، فانقاد شعوره طائعاً مختاراً، فهو الذي قيد نفسه من غير أن تدفعه المصلحة لذلك.

فشعوره وارتباطه بالممدوح أرفع وأسمى من أن يقيد به الإحسان وحده.

ونصب محبةً على المفعول لأجله؛ ليبين أنها محبة مطلقة غير محددة.

وقوله: «مَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدًا» تذييل لطيف خرج مخرج المثل، والحكمة؛ ليؤكد أن الإحسان في أصله قيد فكيف إذا أُضيفت إليه المحبة الخالصة؟ وذكر العكبري أنه نظر إلى قول الطائي:

وَتَرَكِي سُرْعَةَ الصُّدْرِ أَغْيَاطًا يَدُلُّ عَلَى مُوَافَقَةِ الْوُرُودِ^(٢)

ومثله:

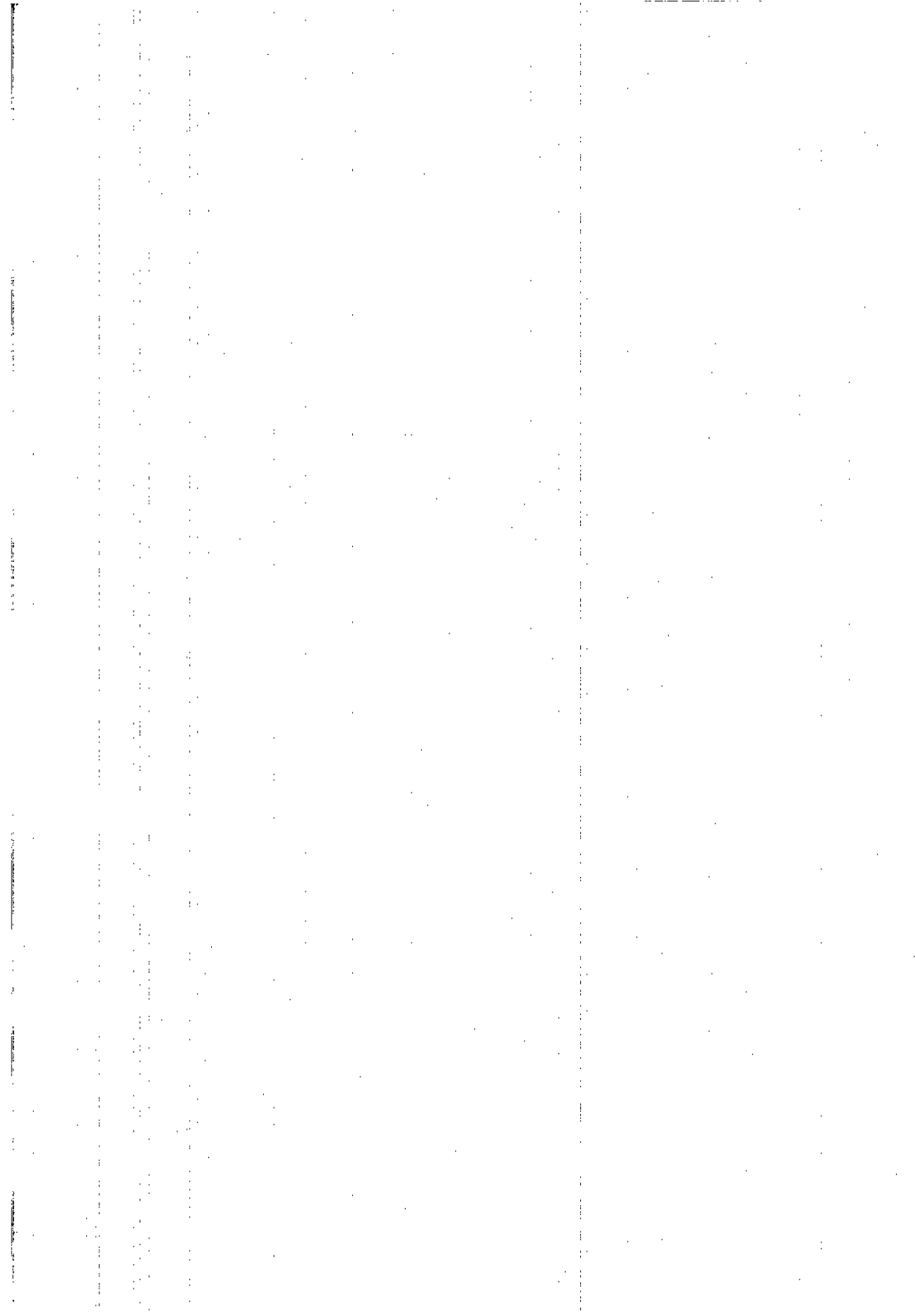
هِمَمِي مُعَلِّقَةً عَلَيْكَ رِقَابُهَا مَغْلُولَةً إِنَّ الْوَفَاءَ إِسَارُهَا^(٣)

يبدو أن الشيخ أول من اتخذ بيت الشاهد شاهداً على الاستعارة النادرة.

(١) الدلائل، رضا: ٨٣، خفاجي: ١٤١، شاکر: ١٠٥.

(٢) ديوان أبي تمام: - دار صعب: - ٩٦.

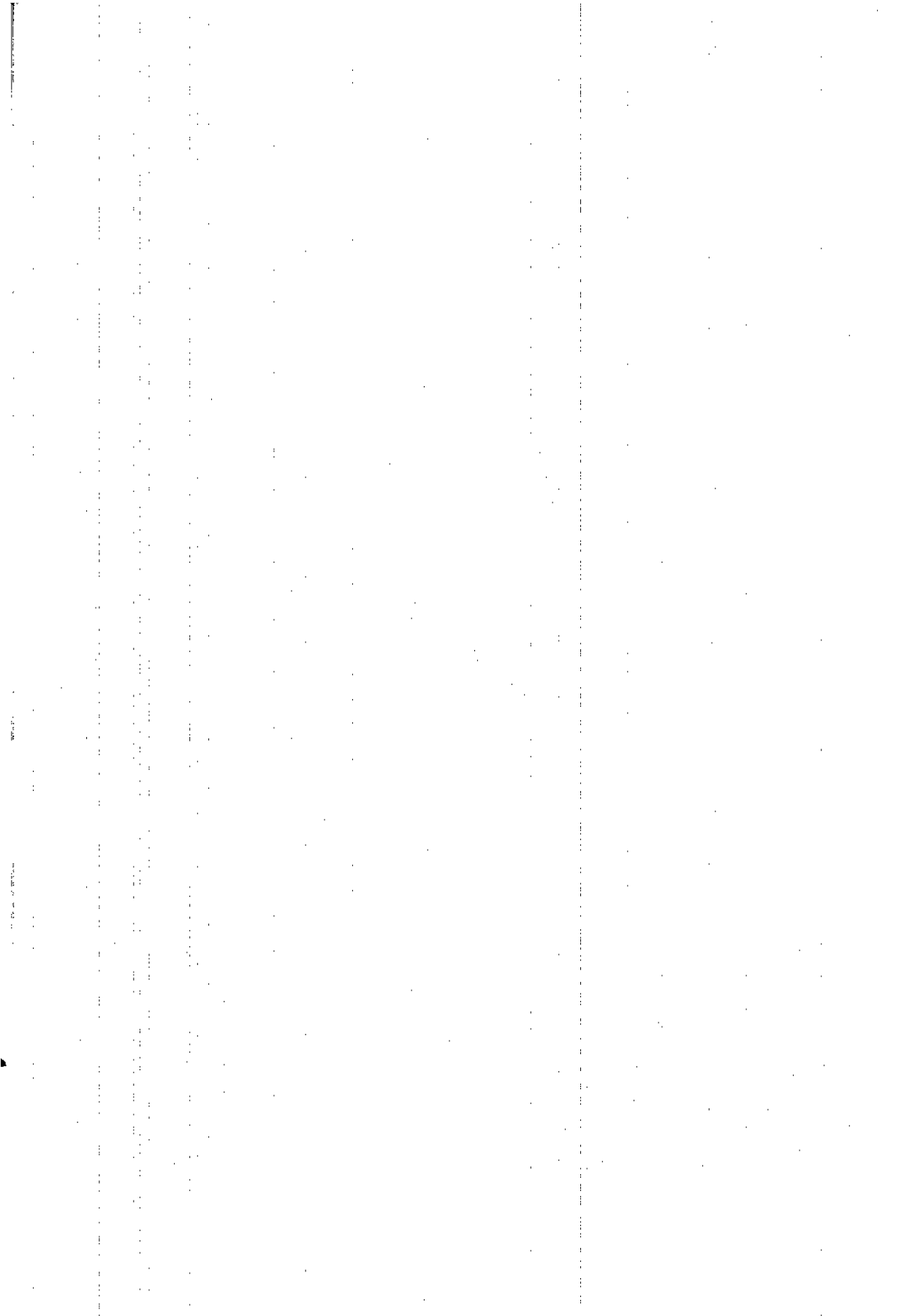
(٣) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٢٩١/١.



الفصل الرابع

شواهد التقديم والتأخير

- أ - التقديم والتأخير مع الاستفهام.
- ب - التقديم والتأخير مع النفي.
- ج - التقديم والتأخير في الخبر المثبت.
- د - تقديم مثل وغير.



مواضع التقديم والتأخير:

ذكر الشيخ عبد القاهر أن باب التقديم «... باب كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروك مَسْمَعُهُ، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك أن قُدِّم فيه شيء، وَحَوْلَ اللفظ عن مكان إلى مكان^(١)».

ورأى أن كل تقديم لا بد أن يكون له غرض معنوي، وأنه من الخطأ أن يُقَسَّم الأمر في التقديم والتأخير إلى مفيد تارة وترجع إفادته إلى معنى الكلام، وغير مفيد تارة أخرى بل الغرض منه أمر لفظي، وهو التوسعة على الشاعر حتى يستقيم له الوزن. قال الشيخ:

«واعلم أن من الخطأ أن يُقَسَّم الأمر في تقديم الشيء وتأخيرهِ قسمين، فيُجعل مفيداً في بعض الكلام، وغير مفيد في بعض، وأن يعلَّل تارة بالعناية، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب حتى تَطُرِدَ لهذا قوافيه، ولذلك سجعه، ذاك لأنَّ من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة، ولا يدل أخرى، فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام أنه قد آخِضَ بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير، فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكلِّ حال...^(٢)».

(١) الدلائل، رضا: ٨٣، خفاجي: ١٤٢، شاکر: ١٠٦.

(٢) الدلائل، رضا: ٨٦ - ٨٧، خفاجي: ١٤٥، شاکر: ١١٠.

فإفادة التقديم عنده مطردة في كل شيء وفي كل حال، وقد خالفه في ذلك ابن الأثير فرأى أن التقديم له فائدتان:

إحدهما: أن يكون للاختصاص.

وثانيهما: مراعاة النظم^(١)، وعلى هذا سار كثير من علماء البلاغة المتأخرين^(٢).

ثم ذكر الشيخ بعد ذلك مسائل التقديم، ورأى أنه لا يستطيع أحد أن يمتنع من التفرقة بين تقديم ما قدم فيها، وترك تقديمه، فتعرض لتقديم همزة الاستفهام على الفعل والاسم، ومواضع التقديم والتأخير مع النفي، ومواضع التقديم والتأخير في الخبر المثبت، ثم نكتة تقديم «مثل» و«غير»، وأخيراً تقديم النكرة على الفعل وعكسه -، وهذا الفصل لم يورد فيه شواهد شعرية -، وكان الشيخ يُقَلِّب كل موضع على وجوهه المختلفة تقليب الخبير المتمرس، ويبين الدلالات الفنية لكل وجه، وأثرها في المعنى، وأثر هذا المعنى في النفس، فدل ذلك على أصالة فكره، وبُعد نظره، وقدرته على سبر أغوار النفس، وكشف خفاياها وأسرارها.

(١) المثل السائر: ٢/٢١٨.

(٢) انظر: شروح التلخيص: ١٥٠/٢ - ١٥١.

أ - التقديم والتأخير في الفعل المضارع مع الاستفهام

(الطويل)

الشاهد الثاني والستون^(١):

أَيُقْتَلُنِي وَالْمَشْرِفِي^(٢) مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ^(٣) زُرُقُ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ^(٤) (٥)

أورده الشيخ من غير نسبة، وهو لامرئ القيس من قصيدته التي مطلعها:
أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَعْمَنْ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي

وقبل الشاهد:

فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقاً وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا عَلَيْهِ الْقَتَامُ سَيِّئِ الظَّنِّ وَالْبَالِ
يَغْطُ غَطِيطَ الْبَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ لِيُقْتَلُنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَالِ

(١) الدلائل، رضا: ٩١، خفاجي: ١٥٧، شاکر: ١١٧.

(٢) المَشْرِفِي: السيف يُنعت بالجودة، ومشرفي منسوب إلى مشارف الشام، وهي أرض من قرى العرب، تدنو من الریف، وقيل هذا خطأ، بل هي نسبة إلى موضع من اليمن. المصباح المنیر «شرف»: ٣٣٢/١.

وانظر معجم ما استعجم: ١٢٣٠/٢.

(٣) مسنونة زرق: أي نصال الرماح والشهام يعني سهاماً محددة الأزجة، ونعتت بزرق للدلالة على أنها صافية مجلوة فهي لشدة التماعها وبريقها تُرى زرقاً، والعرب تصف كل خبيث بالزرقعة، وكذلك يقال هو أزرق العين. اللسان «زرق»: ١٣٨/١٠ - ١٣٩.

(٤) أغوال: مفردة غول، وهو حيوان وهمي، وذكره للتهويل وهو من السعالي والجمع غيلان وأغوال، وكل ما اغتال الإنسان وأهلكه فهو غول. المصباح المنیر: ١١١/٢.

(٥) انظر البيت في:

ديوان امرئ القيس - السندوبي: ١٦٢، طبقات فحول الشعراء: ٨٣/١، المعاني الكبير: ١٠٤٩/٢، ثمار القلوب: ٧٨، شرح المفصل: ٩٧/٩/٢، الإيضاح: ٢٣٦/١ - ٢٧٥، التلخيص: ٢٤٤، شرح أبيات الإيضاح: - فيض الله: - ٣٧ ب، شروح التلخيص - باب التشبيه: ٣٧١/٣.

وبعدها بيت الشاهد وبعده:

وَلَيْسَ بِذِي رُمْحٍ قِطْعُنِي بِهِ وَلَيْسَ بِذِي سَيْفٍ وَلَيْسَ بِنَبَالٍ
لِيَقْتُلْنِي أَنِّي شَغَفْتُ فُؤَادَهَا كَمَا شَغَفَ الْمَهْنُوءَةُ الرَّجُلُ الطَّالِي

استشهد الشيخ بهذا البيت على أن الهمزة هنا للإنكار التكذيبي بمعنى «لا يمكن أن يكون»، فعنده أن الهمزة إذا دخلت على الفعل كان الشك في الفعل نفسه، وكان الإنكار متوجهاً إليه، فَإِنْ كان الفعل مضارعاً كان الإنكار تكذيباً بمعنى «لا يكون»، وإن كان ماضياً كان بمعنى «لم يكن» ومثاله قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (١).

فهذا تكذيب للمشركين وَرَدُّ لما يفترونه، فقد زعموا أن الملائكة إناث، وأن الله اصطفاهم، واختصهم بالبنين، فجاء الفعل أصطفى، وقد قدمت عليه الهمزة للتكذيب أي أنه لم يكن.

وقد يكون الإنكار بمعنى التوبيخ أي «ما كان ينبغي أن يكون» هذا إذا كان الفعل ماضياً، وبمعنى: «لا ينبغي أن يكون» إن كان الفعل مضارعاً يُراد به الحال.

ورأى الشيخ أن التقرير لا يكون إلا بالماضي والحال، ولا يكون بالفعل المراد به الاستقبال.

هذا ملخص ما أورده الشيخ من دخول الهمزة على الفعل. قال:

«... وهذه مسائل لا يستطيع أحد أن يمتنع من التفرقة بين تقديم ما قُدِّم فيها وترك تقديمه.

ومن أبين شيء في ذلك «الاستفهام بالهمزة» فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت: «أفعلت؟»، فبدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده.

وإذا قلت: «أأنت فعلت؟» فبدأت بالاسم، كان الشك في الفاعل من هو،

(١) سورة الإسراء: الآية رقم ٤٠.

وكان التردد فيه. ومثال ذلك أنك تقول: «أبنيّت الدار التي كنت على أن تبنيها؟»، «أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله؟»، «أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟» تبدأ في هذا ونحوه بالفعل؛ لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه؛ لأنك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفائه، مُجَوِّزٌ أن يكون قد كان، وأن يكون لم يكن.

وتقول: «أأنتَ بنيتَ هذه الدار؟»، «أأنتَ قلتَ هذا الشعر؟»، «أأنتَ كتبتَ هذا الكتاب؟»، فتبدأ في ذلك كله بالاسم، ذاك لأنك لم تشك في الفعل أنه كان.

كيف؟ وقد أشرت إلى الدار مبنية، والشعر مقولاً، والكتاب مكتوباً، وإنما شككت في الفاعل من هو؟ فهذا من الفرق لا يدفعه دافع، ولا يشك فيه شاك. ولا يخفى فساد أحدهما في موضع الآخر.

فلو قلت: «أأنتَ بنيتَ الدار التي كنتَ على أن تبنيها؟»، ... خرجت من كلام الناس، وكذلك لو قلت: «أبنيّت هذه الدار؟» ... قلت ما ليس بقول. ذاك لفساد أن تقول في الشيء المشاهد الذي هو نصب عينيك أموجود أم لا؟.

ومِمَّا يُعْلَمُ به ضرورة أنه لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم أنك تقول: «أقلت شعراً قط؟»، «أرأيت اليوم إنساناً؟»، فيكون كلاماً مستقيماً، ولو قلت: «أأنتَ قلت شعراً قط؟»، «أأنتَ رأيت إنساناً»، أخلت، وذلك أنه لا معنى للسؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا؛ لأن ذلك إنما يُتصور إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص نحو أن تقول: «من قال هذا الشعر؟»، و«من بنى هذه الدار؟» ... وما أشبه ذلك مما يمكن أن يُنصَّ فيه على معيّن، فأما قِيلَ شعرٍ على الجملة ... فجمال ذلك فيه؛ لأنه ليس مما يختص بهذا دون ذاك حتى يُسأل عن عين فاعله ... واعلم أن هذا الذي ذكرت لك في الهمزة وهي للاستفهام قائم فيها إذا هي كانت للتقرير، فإذا قلت: «أأنتَ فعلت ذاك؟»، كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل^(١).

(١) الدلائل، رضا: ٨٧ - ٨٨، خفاجي: ١٤٦ - ١٥١، شاکر: ١١١ - ١١٤.

ثم ذكر الشيخ أن للهمزة مذهباً آخر وهو إنكار أن يكون الفعل قد كان من أصله. قال:

«وأعلم أن «الهمزة» فيما ذكرنا تقرير بفعل قد كان، وإنكار له لم كان، وتوبيخ لفاعله عليه.

ولها مذهب آخر، وهو أن يكون الإنكار أن يكون الفعل قد كان من أصله. ومثاله قوله تعالى:

﴿ أَفَأَصْفَكَ رِئُوسَ الْبَيْنِ وَأَنفَذَ مِنَ الْمَلِكَةِ إِنشَاءً... ﴾ (١) (٢).

وهذه الفروق الأتفة كانت بين تقديم الفعل، وتقديم الاسم، والفعل ماضٍ. أما عن الفرق إذا كان الفعل مضارعاً فقد قال الشيخ:

«والقول في ذلك أنك إذا قلت: «أتفعل؟» و«أأنت تفعل؟» لم يخل من أن تريد الحال، أو الاستقبال، فإن أردت الحال كان المعنى شبيهاً بما مضى في الماضي، فإذا قلت: «أتفعل؟» كان المعنى أنك أردت أن تقرره بفعل هو يفعل، وكنت كمن يؤهم أنه لا يعلم بالحقيقة أن الفعل كائنٌ، وإذا قلت: «أأنت تفعل؟» كان المعنى على أنك تريد أن تقرره بأنه الفاعل، وكان أمرُ الفعل في وجوده ظاهراً وبحيث لا يحتاج إلى الإقرار بأنه كائنٌ، وإن أردت بـ«تفعل» المستقبل، كان المعنى إذا بدأت بالفعل على أنك تعتمد بالإنكار إلى الفعل نفسه، وتزعم أنه لا يكون، أو أنه لا ينبغي أن يكون، فمثال الأول:

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي

ومثال الثاني:

أَتَرَكُ أَنْ قَلْتُ دَرَاهِمُ خَالِدٍ زِيَارَتَهُ إِنِّي إِذَا لَلَيْمُ (٣)

فامرؤ القيس قدم الهمزة على الفعل المضارع المراد به الاستقبال، فيكون

(١) سورة الإسراء: الآية رقم ٤٠.

(٢) الدلائل، رضا: ٨٩، خفاجي: ١٥٢ - ١٥٥، شاكراً: ١١٤.

(٣) الدلائل، رضا: ٩١ - ٩٢، خفاجي: ١٥٦ - ١٥٧، شاكراً: ١١٦ - ١١٧.

الإنكار موجهاً للفعل نفسه لا للفاعل، ويراد به التكذيب، فقوله: «أبقتلني» ليس إنكاراً لأن يكون القتل من الفاعل بل هو إنكار لفعل القتل، وأنه لن يكون. قال الشيخ:

«فهذا تكذيب منه لأنسان تهدده بالقتل، وإنكار أن يقدر على ذلك ويستطيعه»^(١) فامرؤ القيس قد جرد بعل محبوبته من كل صفات البطولة، فهو منحط الشأن، كثير الهذيان، ليس له إلا الغطيط، وهو ليس بقتال، وليس بذئ رُمح، وليس بذئ سيف ولا نبل، وهذه الأوصاف كلها توهم بأن الإنكار في قوله: «أبقتلني» متوجه إلى ذلك البعل أي «أهو يقتلني»، ولكن الصورة التي رسمها امرؤ القيس لنفسه تنفي هذا الوهم. حيث جعل سيفه مضاجعاً وملازماً له، ثم استعانت به بصورة الغول، وهو أمر وهمي ليضفي الرعب والهول على صورة استعداد، فهذا الاستعداد، وهذا التأهب لا يمكن أن يكون لأجل شخص تلك صورته، ومنزلته في الحقارة «وكان أمراً القيس لما أفرغ هذا الرجل من كل ما يهتم به الخصم من أحوال خصيمه استشعر أن وراء هذا أنه لو كان أمراً ذا شأن لأخاف الشاعر، فقال: أبقتلني ليرشد إلى أن قتله مستبعد منه ومن غيره، وذكر عُدته؛ ليؤكد ذلك، وبهذا يحقق معنى دقيقاً بين محظورين، فلو أنه اكتفى بوصفه بالضعف، والخور لما كان في ذلك تنويه بشجاعة الشاعر واقتداره، ولو أنه اكتفى بوصف نفسه بالقوة، وكمال العدة لأوهم أن صاحبها مما يحتفل بملاقاته»^(٢).

قال الشيخ:

«وجملة الأمر أن تقديم الاسم يقتضي أنك عَمَدْتَ بالإنكار إلى ذات من قيل «إنه يفعل» أو قال هو «إني أفعل» وأردت ما تُريده إذا قلت: «ليس هو بالذي يفعل، وليس مثله يفعل، ولا يكون هذا المعنى إذا بدأت بالفعل فقلت: «أتفعل؟»... وقد يتوهم المتوهم في الشيء من ذلك أنه يحتمل، فإذا نظر لم يُحتمل، فمن ذلك قوله: «أبقتلني والمشرقي مضاجعي؟» وقد يظنُّ الظانُّ أنه

(١) الدلائل، رضا: ٩١، خفاجي: ١٥٧، شاکر: ١١٧.

(٢) دلالات التراكيب: ٢٥١.

يجوز أن يكون في معنى أنه ليس بالذي يجيء منه أن يقتل مثلي، ويتعلق بأنه قال قبل:

يَغِطُّ غَطِيطَ الْبَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ لِيَقْتُلَنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَالٍ
ولكنه إذا نظر علم أنه لا يجوز، وذلك لأنه قال: «والمشرفي مضاجعي»، فذكر ما يكون منعاً من الفعل، ومحال أن يقول: هو ممن لا يجيء منه الفعل ومع من يصح منه، لا من هو منه محال، ومن هو نفسه عنه عاجز، فأعرفه^(١).

والبيت أورده الخطيب في التلخيص شاهداً على التشبيه الوهمي في قوله: «كَأَنِّيَابِ أَغْوَالٍ»، والتشبيه الوهمي: هو التشبيه غير المدرك بإحدى الحواس، ولكنه لو أدرك لكان مدركاً بها، فإن أنياب الغول مما لا يدركه الحس لعدم تحققها مع أنها لو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر^(٢).

وأورده في الإيضاح شاهداً على موضعين:

في باب الإنشاء^(٣)، وفي باب الفصل والوصل^(٤).

الشاهد الثالث والستون^(٥): (الطويل)

أَتَرُكَ أَنْ^(٦) قَلْتُ دَرَاهِمُ خَالِدٍ زِيَارَتُهُ إِنِّي إِذَا لَلَيْمِ^(٧)

(١) الدلائل، رضا: ٩٢-٩٣، خفاجي: ١٥٩، شاعر: ١١٩.

(٢) التلخيص: ٢٤٤، الإيضاح: ٣٣٦/٢.

(٣) الإيضاح: ٢٣٦/١.

(٤) المصدر السابق: ٢٧٥/١.

(٥) الدلائل، رضا: ٩٢، خفاجي: ١٥٧، شاعر: ١١٧.

(٦) رواية الأغاني: «إن» بكسر الهمزة، ويبدو أن رواية الدلائل أصوب، لأن «إن» بكسر الهمزة تكون شرطية، بمعنى أن الترك لن يكون إلا إذا حصلت قلة الدراهم، فصورت حالة الفقر بأنها لم تقع بعد. أما «أن» بفتح الهمزة فتكون بمعنى «لأن»، فتصور أن حالة الفقر وقلة الدراهم قد وقعت وحصلت، وهذا ما تدل عليه الأبيات.

جاء في شرح أبيات الإيضاح: «تروى بفتح الهمزة وبكسرها، فإن روي بفتح الهمزة أريد لأن، وإن روي بكسر الهمزة كان شرطياً جزاؤه في قوله: أترك.

(٧) انظر البيت في: الكامل - دار الفكر: ٢١٢/١، الأغاني: ٢٥٥/٢٤، العمدة:

٧٠/١، حماسة ابن الشجري: ١٣٣، الإيضاح: ٢٣٧/١، شرح أبيات الإيضاح -

فيض الله -: ٣٩، المستطرف: ١٦٥/١.

أورده الشيخ من غير نسبة، وهو لعمارة بن عقيل^(١) يمدح به خالد بن يزيد بن يزيد الشيباني^(٢)، ويذم تميم بن خزيمة^(٣).
وبعده:

وَقَدْ^(٤) يَسْلَعُ^(٥) المرءَ اللثيمَ اصطناعه^(٦) ويعتلُّ نَقْدُ المرءِ وهو كَرِيمُ^(٧)

(١) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفي، وكنيته أبو عقيل وهو شاعر ابن شاعر، مقدم فصيح، كان يسكن بادية البصرة، ويزور الخلفاء في الدولة العباسية فيجزلون العطاء، ويمدح قوادهم وكتائبهم، فيحظى منهم بكل فائدة، وكان النحاة يأخذون عنه اللغة، وفيه قال محمد بن يزيد «المبرد» ختمت الفصاحة في شعر المحدثين بعمارة بن عقيل «اتصل عمارة بإسحاق بن إبراهيم المعصبي، وله فيه مديح كثير، واجتمع الناس وكتبوا شعره، وبقي إلى أيام الواثق، ومدحه، وعمي قبل موته، «ولد سنة ١٨٢ هـ»، وتوفي «سنة ٢٣٩ هـ». انظر ترجمته في:

معجم الشعراء للمرزباني: ٢٤٧، جمهرة أنساب العرب: ٢٢٦، الأغاني: ٢٤٥/٢٤ / ٢٥٨، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٤٣٢/٣ - ١٤٣٩، الأعلام: ٣٧/٥.

(٢) هو خالد بن يزيد بن يزيد بن زائدة الشيباني أحد الولاة في العصر العباسي «اشتهر بالجد والكرم» «ت: ٢٣٠ هـ»، ولعمارة ابن عقيل فيه مدائح كثيرة منها:
تَأْبَى خَلَائِقُ خَالِدٍ وَقِعَالُهُ إِلَّا تَجَنَّبَ كُلَّ أَمْرِ عَائِبِ
وَإِذَا حَضَرْنَا الْبَابَ عِنْدَ غَدَائِهِ أَذِنَ الْغَدَاءُ لَنَا بِرَغْمِ الْحَاجِبِ
انظر ترجمته في:

أخبار أبي تمام للصولي: ١٥٦، ١٥٨ - ١٦٦، الأغاني: ٢٥٤/٢٤ - ٢٥٥، معجم الشعراء للمرزباني: ٢٤٨، جمهرة أنساب العرب: ٣٢٦ - ٣٢٧، الأعلام: ٣٠١/٢.

(٣) هو تميم بن خزيمة بن حازم النهشلي، شيخ من شيوخ بني تميم، وأمير من أمرائها، عاصر المأمون، وقد قصده الشاعر عمارة في حاجة له، فلم يلتفت إليه، ولم يُجِبْ مطلبه، وحُجِبَ عنه، فقصد خالد بن يزيد، فأكرمه، فقال الأبيات التي منها الشاهد.
انظر: الأغاني: ٢٥٣/٢٤ - ٢٥٥.

(٤) رواية الأغاني: «فقد».

(٥) السَّلْع: الشق، والسَّلْع شق في الجبل كهيئة الصدع، وجمعه أسلاع، وسلوع. اللسان: «سلع»: ١٦٠/٨.

(٦) يروى بالرفع على أنه فاعل للثيم، أو على النصب على أنه شبيه بالمفعول به، جاء في الكامل: «من رفع المرء نصب اصطناعه، ومن نصب المرء رفع اصطناعه».

(٧) دُكِرَ في الأغاني أن البيت بعد الشاهد:

فَتَى وَاسِطٌ فِي ابْنِي نِزَارٍ مُحَبَّبٌ إِلَى ابْنِي نِزَارٍ فِي الْخُطُوبِ عَمِيمٌ^(١)
 فَلَيْتَ بِشُوبِيهِ لَنَا كَانَ خَالِدٌ وَكَانَ لِبَكْرِ بِالثَّرَاءِ تَمِيمٌ
 فَيُضْبِحُ فِينَا سَابِقُ مُتَمَهِّلٌ وَيُضْبِحُ فِي بَكْرِ أَعْمُ بِهِيمٌ^(٢)

والشاهد فيه كسابقه حيث قدم الهمزة على الفعل المضارع المراد به الاستقبال، فيكون الإنكار للفعل ذاته، وهو بمعنى «لن يكون ذلك مني»، وهو إنكار تكذبي، فالشاعر حين أنكر تحقق ترك الزيارة، أكد بذلك وفاءه للمدوح في جميع الأحوال؛ لأن حدوث ترك الزيارة معناه إثبات صفة اللؤم ولزومها له، وهذا أمر يستقبحه الشاعر، ولكي يزجر النفوس عن ترك الأحبة في وقت الشدة جاء بقوله: «إني إذا للثيم»، فأكد صفة اللؤم التي تنفر منها النفوس «بأن» و«لام التوكيد» وذلك لاستبعاد الترك، وكأنه يعرض بهذه الجملة بتميم بن خزيمة، وأن هذا الأمر يحصل منه، فهو على بخله لثيم، فالرجل قد يكثر ماله، وهو ذميم، وقد ينضب مال رجل آخر، وهو مع ذلك كريم رفيع المحامد، وأراد بالأخير، وصف خالد بن يزيد بالكرم والمجد مع قلة ماله.

ومثل قول عُمارة في المعنى قول أبي نواس يعتذر إلى ابن الهيثم:
 أَقْنَعُ الْمَعْرُوفَ وَهُوَ كَأَنَّهُ قَمَرُ الدُّجَى إِنِّي إِذَا لَلْثِيمِ^(٣)

= فَلَيْتَ بِشُوبِيهِ لَنَا كَانَ خَالِدٌ وَكَانَ لِبَكْرِ بِالثَّرَاءِ تَمِيمٌ

(١) هذا البيت غير مذكور في الأغاني.

(٢) ذكر هذا البيت في الأغاني بعد قوله:

«فَلَيْتَ بِشُوبِيهِ لَنَا كَانَ خَالِدٌ».

هذه الأبيات لم تذكر إلا في:

الكامل للمبرد - دار الفكر -: ٢١٣/١، الأغاني: ٢٤٠/٢٤ (ما عدا البيت الثاني)، وذكر بعضها في حماسة ابن الشجري: ١٣٣، ورواية ابن الشجري للبيت الأخير:

فَيُضْبِحُ فِي قَوْمِي أَغْرُ مُحَجَّلٌ وَيُضْبِحُ فِي بَكْرِ أَعْمُ بِهِيمٌ

(٣) تحرير التحبير: ٦١٩/٣.

(الكامل)

الشاهد الرابع والستون^(١):

قول ابن أبي عيينة^(٢):

فَدَعَ الْوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي أَطْنِينُ أَجْنَحَةِ الذُّبَابِ^(٣) يَضِيرُ^(٤)

(١) الدلائل، رضا: ٩٥، خفاجي: ١٦٠، شاکر: ١٢١.

(٢) جاء في الأغاني: أن ابن أبي عيينة هو محمد بن أبي عيينة قال: «وابن أبي عيينة هو محمد بن أبي عيينة بن الملهب بن أبي صفرة»: ٧٥/٢٠، وذكر في موضع آخر أن محمداً هو أبوه قال:

«أبو عيينة الشاعر هو أبو عيينة بن المنجاب بن أبي عيينة بن الملهب، وكان محمد بن أبي عيينة أبو أبي عيينة الشاعر، يتولى الري؛ لأبي جعفر المنصور»: ٧٩/٢٠.

وجاء في معجم الشعراء للمرزياني:

«أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة»: ٢٦٧.

وجاء في الكامل للمبرد أن ابن أبي عيينة هو عبدالله بن محمد بن أبي عيينة، وقد أورد هذا البيت منسوباً إليه مع بعض الأبيات الأخرى.

وإبن أبي عيينة شاعر مطبوع غزّال هجّاء. قال الجاحظ:

«والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي، والسيد الحميري، وأبو العتاهية، وابن أبي عيينة...».

وعنه قال المرزياني: «وأبو عيينة هذا من أطيع الناس وأقربهم مأخذاً في الشعر وأقلهم تكلفاً».

ويبدو أن الشيخ عبد الهادي العدل في كتابه «دراسات تفصيلية لبلاغة عبد القاهر» قد نسب الأبيات إلى محمد بن أبي عيينة والد الشاعر. أما الشيخ العباسي في معاهد التنصيص، فقد ذكر أنه لا يعرف قائلها، وإنما رأى صاحب الدر الفريد ينسبها إلى عبدالله بن محمد بن أبي عيينة. وهذا ما ورد في كتاب الكامل للمبرد.

انظر ترجمته في:

البيان والتبيين: ٥٠/١ - ٣٦١، ٤٨/٤ - ٧٦، الشعر والشعراء: ٨٧٦/٢، الكامل للمبرد: - مكتبة المعارف: ٢٤٩/١ - ٢٥٨، معجم الشعراء: ٢٦٧، الأغاني: ٧٥/٢٠ - ١١٩.

(٣) رواية الكامل: «أَطْنِينُ أَجْنَحَةِ الْبُعُوضِ».

(٤) انظر البيت في:

الكامل للمبرد: - مكتبة المعارف: ٢٥٧/١، التلخيص: ٣٩٦. أورده القزويني في علم =

وهذا البيت قاله عبد الله بن أبي عيينة لعلبي بن محمد بن جعفر^(١)، وكان دعاه إلى نصرته حين ظهرت الميضة^(٢) فلم يُجبه، فتوعده، فقال عبد الله: أَعْلِي إِنَّكَ جَاهِلٌ مَغْرُورٌ لَا ظُلْمَةَ لَكَ لَا وَلَا لَكَ نُورٌ أَكْتَبْتُ^(٣) تُوَعِدُنِي أَنْ أَسْتَبْطَأْتَنِي إِنْ بَحَرَبَكَ مَا حَيْثُ جَدِيرٌ وبعدها الشاهد وبعده:

وَإِذَا أَرْتَحَلْتُ فَإِنَّ نَصْرِي لِلأُولَى أَبَوَاهُمُ الْمَهْدِيُّ وَالْمَنْصُورُ نَبَتْ^(٤) عَلَيْهِ لُحُومُنَا وَدِمَاؤُنَا وَعَلَيْهِ قُدَّرَ سَعِينَا الْمَشْكُورُ^(٥) الشاهد في البيت: أن إنكار الأمر المستحيل الوقوع بالهمزة إنما يأتي على

- البديع في «رد العجز على الصدر» من غير نسبة. الإيضاح: ٥٤٦/٢، وذكره في علم البديع من غير نسبة، معاهد التنصيص: ٢٨٨/٣، رقم الشاهد (١٧٦)، أنوار الربيع: ١٠٣/٣، ذكره في «رد العجز على الصدر».
- (١) هو علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. كان والده محمداً شيخاً وداعاً محبباً في الناس مفارقاً لما عليه كثير من أهل بيته من قبح السيرة، وكان يروي العلم عن أبيه جعفر، اجتمع عليه ابنه علي، والحسين بن الحسن الأفطس وأقنعوه بقبول الخلافة، وكان كارهاً لها، فقبلها على مضض، وكان ليس له من الأمر إلا اسمه، وكان ابنه علياً أسوأ ما كان سيرة وأقبح ما كان فعلاً.
- انظر تاريخ الطبري: ٥٣٧/٨ - ٥٣٨، رأى الشيخ عبد الهادي العدل أن الخطاب هنا موجه لابن عم الشاعر خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن الملهب، ولعله توهم ذلك لما لابن أبي عيينة من أهاج كثيرة في ابن عمه هذا.
- (٢) الميضة: بكسر الياء فرقة من الثنوية، وهم أصحاب المُقَنِّع سَمُوا بذلك لتبييضهم ثيابهم خلافاً للمسودة من أصحاب الدولة العباسية.
- انظر: تاريخ الطبري: ٢٥٧/٩، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣١١، ٣٤٣. اللسان: «بيض»: ١٢٨/٧.
- (٣) رواية المعاهد: «أبعث».
- (٤) رواية معاهد التنصيص: «نبئت».
- (٥) انظر الأبيات في:
- الكامل للمبرد - مكتبة المعارف -: ٢٥٧/١، معاهد التنصيص: ٢٨٨/٣، رقم الشاهد: ١٧٦.

سبيل التمثيل، وذلك بتنزيل المخاطب الذي يطلب الأمر المستحيل بمنزلة من يستطيعه .

قال الشيخ :

«... وإذا قد عرفت ذلك فإنه لا يقرّر بالمحال وبما لا يقول أحد إنه يكون إلا على سبيل التمثيل، وعلى أن يقال له إنك في دعواك ما أدعيت بمنزلة من يدعي هذا المحال، وإنك في طمعك في الذي طمعت فيه بمنزلة من يطمع في الممتنع»^(١).

فالكلام في البيت ليس على ظاهره، إذ لا يدعي أحد أن طنين الذباب يضير؛ لأن وقوع الضرر منه مستحيل، فهو إذا على التمثيل، وذلك بتنزيل المخاطب - في دعواه أن وعيده الذي لا يؤبه له «يضير» - منزلة من يدعي أن طنين أجنحة الذباب يضير، ووجه الشبه أن كلا قد ادعى دعوى كاذبة^(٢).

قال الشيخ :

«جعله كأنه قد ظن أن طنين أجنحة الذباب بمثابة ما يضير حتى ظن أن وعيده يضير»^(٣).

والبيت فيه استخفاف، واستهانة بالمهجو من عدة وجوه: حيث استعمل فعل الأمر «دع» وفيه تحقير أي اترك الوعيد، فأنت أعجز وأصغر شأنًا من أن تتوعد.

استعماله النفي: «فما وعيدك ضائري» وفيه استبعاد حصول الضرر.

ولكي تكتمل صورة الاستخفاف جاء بالتشبيه الضمني في أسلوب الاستفهام الإنكاري، فدخلت الهمزة على الاسم، وهذا معناه إنكار الفاعل، وهو الطنين،

(١) الدلائل، رضا: ٩٤، خفاجي: ١٥٩ - ١٦٠، شاکر: ١٢٠.

(٢) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر: ٢٦٨.

(٣) الدلائل، رضا: ٩٥، خفاجي: ١٦٠، شاکر: ١٢١.

وبالتالي إنكار وعيده، حيث شبه وعيده الذي لا يعبا به بطنين أجنحة الذباب،
ووجه الإنكار لهما عن طريق الهمزة.

والبيت يستشهد به البلاغيون في علم البديع على موضوع «رد العجز على
الصدر» وهو من النوع الذي يقع فيه أحد اللفظين الملحقين بالمتجانسين في آخر
البيت، والآخر في آخر المصراع الأول^(١).

وأشار الشيخ عبد القاهر في هذا الفصل إلى فائدة جليلة وهي: أن محض
المعنى في الأبيات السابقة ليس هو الإنكار، ولو كان محض المعنى هو الإنكار
لم يكن هناك فرق بين الإنكار بالهمزة، والإنكار بالنفي الصريح.

فالإنكار بالهمزة له ميزة أخرى وهي إشراك السامع في التفكير في الحقائق
المعروضة، فهو لا يفرض عليه الحكم فرضاً؛ لأن طريقة الفرض فيها ثقل على
النفس، وإنما فيه تنبيه للسامع بأن يراجع نفسه، ويعرف حقيقته، فيرتدع، كأن
يدّعي القدرة على فعل ما لا يقدر عليه، أو أن يهتم بفعل ما لا يستصوب فعله،
فإذا رُوجع تنبه وعرف الخطأ. قال الشيخ:

«وأعلم أنا وإن كنا نُفسّر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإن الذي هو
محض المعنى أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل، ويرتدع وَيَعْي
بالجواب، إما لأنه قد ادّعى القدرة على فعل لا يقدر عليه، فإذا ثبت على دعواه
قيل له: «فافعل»، فيفضحه ذلك، وإما لأنه همّ بأن يفعل ما لا يُستصَوَّب فعله،
فإذا رُوجع فيه تنبّه وعرف الخطأ، وإما لأنه جَوَز وجود أمر لا يوجد مثله، فإذا
ثبت على تجويزه وُبِخَّ على تَعَنُّتِهِ وقيل له: فَأَرِنَاهُ في موضع وفي حالٍ، وأقم
شاهداً على أنه كان في وقت «ولو كان يكون للإنكار، وكان المعنى فيه من بدء
الأمر، لكان ينبغي أن لا يجيء فيما لا يقول عاقل إنه يكون، حتى يُنكر عليه
كقولهم: «أَتَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ؟»، «أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْقُلَ الْجِبَالَ؟»، «أُ إِلَى رَدِّ ما
مضى سبيلاً؟»^(٢).

(١) انظر: التلخيص: ٣٩٣، معاهد التنصيص: ٢٨٨/٣، أنوار البديع: ١٠٣/٣.

(٢) الدلائل، رضا: ٩٣-٩٤، خفاجي: ١٥٩، شاکر: ١١٩-١٢٠.

ب - مواضع التقديم والتأخير مع النفي

(المقارب)

الشاهد الخامس والستون^(١):

قوله:

وَمَا أَنَا أَشَقَمْتُ جِسْمِي بِهِ وَلَا أَنَا أَضَرَّمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا^(٢)

والبيت أورده الشيخ من غير نسبة، وهو للمتنبي من قصيدة يعتذر فيها
لسيف الدولة حين استبطأ مدحه، ومطلعها:

أَرَى ذَلِكَ الْقَرْبَ صَارَ أَزْوَارًا وَصَارَ طَوِيلُ السَّلَامِ اخْتِصَارًا

وقبل الشاهد:

وَأَعْلَمُ أَنِّي إِذَا مَا أَعْتَذَرْتُ (م) تَ إِلَيْكَ أَرَادَ أَعْتَذَارِي أَعْتَذَارًا

وَلَكِنْ حَمَى الشُّعْرَ إِلَّا الْقَلِيلَ لَ هُمْ حَمَى النُّوْمَ إِلَّا غَرَارًا

كَفَرْتُ مَكَارِمَكَ الْبَاهِرَا تَ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنِّي اخْتِيَارًا^(٣)

(١) الدلائل، رضا: ٩٧، خفاجي: ١٦٢، شاکر: ١٢٥.

(٢) انظر البيت في:

ديوان أبي الطيب بشرح المعكري: ٩٥/٢، الطرائف الأدبية «المختار من دواوين المتنبي
والبحتري وأبي تمام»: ٢١٣، الإيضاح ١/١٣٧، شرح أبيات الإيضاح -فيض الله -:

٢١ ب.

(٣) ذكر في الطرائف الأدبية قوله:

وَلَكِنْ حَمَى الشُّعْرَ إِلَّا الْقَلِيلَ لَ هُمْ حَمَى النُّوْمَ إِلَّا غَرَارًا

قبل بيت الشاهد.

وبعدها الشاهد وبعده:

فَلَا تُلْزِمُنِي ذُنُوبَ الزَّمَانِ (م) إِلَيَّ أَسَاءَ وَإِيَّايَ صَارَا
وَعِنْدِي لَكَ الشُّرْدُ السَّائِرَا ت لَا يَخْتَصِمَنَّ مِنَ الْأَرْضِ دَارَا
قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ عَنْ مَقُولِي وَثَبْنَ الْجِبَالَ وَخَضْنَ الْبَحَارَا^(١)

استشهد الشيخ بهذا الشاهد على أن تقديم الاسم يقتضي وجود الفعل،
فالقاعدة عنده أنه إذا ولي الاسم حرف النفي، فإن النفي يتجه إلى نفي فاعل
فعل قد ثبت حصوله، وتحقق، أما إذا ولي الفعل النفي كان النفي لشيء لم
يثبت حصوله. قال الشيخ:

«وإذ قد عرفت هذه المسائل في الاستفهام، فهذه مائل في النفي إذا
قلت: ما فعلت، كنت نفيت عنك فعلاً لم يثبت أنه مفعول، وإذا قلت: ما أنا
فعلت كنت نفيت عنك فعلاً ثبت أنه مفعول^(٢)».

وإذا تقدم الاسم على الفعل مع تقدم حرف النفي لا يجوز أن يكون
المنفي عاماً، بل يجب أن يكون محدداً، فلا يجوز أن تقول:

«ما أنا قلت شعراً قط، وما أنا أكلت اليوم شيئاً»؛ لأنك تنفي الفعل عن
ذاتك، و تثبت أن هناك أحداً قد قال كل شعر، وأكل كل شيء، وهذا محال.
أما إذا تقدم النفي على الفعل، فيجوز أن يكون الفعل عاماً، فلك أن تقول: «ما
قلت شعراً قط»، لأنك نفيت الفعل عن نفسك من غير أن تثبته لغيرك. قال
الشيخ:

«ومن أجل ذلك صلح في الوجه الأول أن يكون النفي عاماً كقولك: «ما
قلت شعراً قط»، «وما أكلت اليوم شيئاً»، «وما رأيت أحداً من الناس»، ولم
يصلح في الوجه الثاني، فكان خلفاً أن تقول: «ما أنا قلت شعراً قط»، «وما أنا

(١) ديوانه بشرح العكيري: ٩٤/٢ - ٩٥.

(٢) الدلائل، رضا: ٩٧، خفاجي: ١٦٢، شاکر: ١٢٤.

أَكَلْتُ الْيَوْمَ شَيْئاً، «وما أنا رأيتُ أحداً من النَّاسِ»؛ وذلك لأنه يقتضي المحال، وهو أن يكون ههنا إنسان قد قال كل شعر في الدنيا، وأكل كل شيء يؤكل، ورأى كل أحد من الناس فنفيت أن تكونه^(١).

فالشاعر في بيت الشاهد يثبت أن السُّقْمُ ثابتٌ موجود، وليس القصد إلى نفيه بل أن يكون هو الجالب له، وأن يكون قد جرَّه إلى نفسه، وأثبتهُ بذلك لِلَّهِمَّ الذي اعتراه. قال الشيخ:

«المعنى كما لا يخفى على أن السُّقْمُ ثابت موجود، وليس القصد بالنفي إليه، ولكن أن يكون هو الجالب له، ويكون قد جرَّه إلى نفسه^(٢)».

ففي تقديم المسند إليه المسبوق بنفي على الخبر الفعلي قصر واختصاص هذا على مذهب الشيخ عبد القاهر.

فقد اختلف علماء البلاغة في صور إفادة تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي القصر، فأشترط الإمام عبد القاهر أن يتقدم المسند إليه حرف نفي، سواء كان المسند إليه نكرة أم معرفة ظاهراً أم مضمراً، فإن لم يتقدمه حرف نفي أصلاً، أو كان متأخراً فتارة يفيد التقديم الاختصاص، وأخرى يفيد التقوي من غير تفريق بين النكرة والمعرفة، ظاهرة أو مضمرة، فحاصل مذهبه التعويل على حرف النفي.

هذا على ما ذكره صاحب الإيضاح، و عبارته:

«... لأن ظاهر كلام الشيخ فيما يليه حرفُ النفي، القطع بأنه يفيد التخصيص مضمراً كان أو مظهراً، معرفاً أو مُنْكَراً، من غير شرط، لكنه لم تُمَثَّلْ إلا بالمضمّر^(٣)».

(١) الدلائل، رضا: ٩٧، خفاجي: ١٦٢، شاکر: ١٢٤.

(٢) الدلائل، رضا: ٩٧، خفاجي: ١٦٣، شاکر: ١٢٥.

(٣) الإيضاح: ١٤٤/١.

أما السكاكي، فحاصل مذهبه: إن كان المسند إليه نكرة، فهو للتخصيص، وإن كان معرفة «اسماً ظاهراً»، فلا يكون إلا للتقوي، أما إذا كان معرفة مضمرة، فيحتمل الأمرين التقوي والتخصيص، ولم يشترط السكاكي ما أشرطه الإمام عبد القاهر من تقديم حرف النفي، وإنما أشرط في إفادة التقديم الاختصاص عدة أمور منها:

جواز تأخير المسند إليه على أن يكون فاعلاً في المعنى فقط كقول القائل: «أنا درست»، فيجوز أن تقدر أن أصله «درست أنا» على أن يكون الضمير «أنا» تأكيداً للفاعل في درست.

ومنها: تقدير كونه مؤخراً في الأصل، وقُدِّم لإفادة التخصيص^(١).

فالشاعر في بيت الشاهد يُكِن سيف الدولة حباً صادقاً، ووفاءً عجيماً، فحين علم بلومه وعتابه، ثارت أحاسيسه، وأراد أن يُبْرِئ نفسه، ويمحو ما علق في نفس سيف الدولة، فلم يَر طريقاً للبراءة إلا أسلوب القصر يحمله كل أعذاره، وينفي عنه نفيّاً قاطعاً كل ما اتهم به. فقوله: «ما أنا أسقمت جسمي» معناه أن هذا السقم في جسمي، وهذا الضنى لم أفعله أنا وإنما فعله غيري، وقوله: «... ولا أنا أضرمت في القلب ناراً» أي أن هذا الجوى، وهذا الوجد الذي يستعر في فؤادي لم أشعله أنا، ووراء هذا التركيب معنى لطيف هو عجز الشاعر أمام عواطفه المشبوبة، والتي سببت هذا السقم، وهذا الوجد، وكأنه يقول: لو كان الأمر بيدي لأنقذت نفسي من هذا الذي أجده، ولكن لا طاقة لي بذلك، وهذا معنى جيد^(٢).

(١) انظر: المفتاح: ١٠٠ - ١٠١، الإيضاح: ١٤٤/١ - ١٤٧، شروح التلخيص: ٤٠٠/١ - ٤٢٣.

(٢) خصائص التراكيب: ١٧٧.

قوله:

وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشَّعْرَ كُلَّهُ

أورد الشيخ الصدر دون العجز، ومن غير نسبة، والشاهد صدر بيت للمتني وتماه:

وَلَكِنْ لِشَعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شَعْرٌ^(٢)

وهو من قصيدة يمدح بها علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي^(٣)، مطلعها:
أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ وَجِدًا وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ^(٤)

وقبل الشاهد:

وَمَا قُلْتُ مِنْ شَعْرٍ تَكَادُ يُسَوِّهُ
كَأَنَّ الْمَعَانِي فِي فَصَاحَةِ لَفْظِهَا
وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ مَقْتَهَا
وَإِنِّي رَأَيْتُ الضَّرَّ أَحْسَنَ مَنْظَرًا
إِذَا كُتِبَتْ يَبْيَضُ مِنْ نُورِهَا الْجَبَرُ
لِسَانِي وَعَيْنِي وَالْفُؤَادُ وَهَمَّتِي
نُجُومُ الثُّرَيَّا أَوْ خَلَائِقُكَ الزُّهْرُ
وَمَا يَفْتَضِينِي مِنْ جَمَاجِمِهَا النُّسْرُ
وَأَهْوَنَ مِنْ مَرَأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبَرُ
أَوْدُ اللَّوَاتِي ذَا اسْمِهَا مِنْكَ وَالشَّعْرُ

(١) الدلائل، رضا: ٩٧، خفاجي: ١٦٣، شاکر: ١٢٥.

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ١٥٨/٢، العرف الطيب: ٦٧/٣.

(٣) هو علي بن أحمد الأنطاكي الملقب بالمجتبي أبو القاسم «١٠٠٠ - ٣٧٦ هـ» حاسب مهندس، من أهل أنطاكية، استوطن بغداد وتوفي فيها، وكان من أصحاب عضد الدولة ابن بويه، المقدمين عنده، له مؤلفات عدة منها: «التخت الكبير» في الحاسب الهندسي، و«تفسير الأرتماطقي» و«شرح إقليدس» و«استخراج التراجم»، وكان فصيحاً من الموصوفين بحسن البيان.

انظر: تاريخ الحكماء: ٢٣٤، الأعلام: ٢٥٣/٤ - ٢٥٤.

(٤) ديوانه بشرح العكبري: ١٤٨/٢، العرف الطيب: ٥٩/٣.

وبعدها البيت بعده:

وَمَاذَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ رَوَّنَقًا وَلَكِنْ بَدَا فِي وَجْهِهِ نَحْوُكَ الْبُشْرُ
وَإِنِّي وَإِنْ نِلْتَ السَّمَاءَ لَعَالِمٌ بِأَنَّكَ مَا نِلْتَ الَّذِي يُوجِبُ الْقَدْرُ
أَزَالَتْ بِكَ الْأَيَّامُ عَتَبِي كَأَنَّمَا بُنُوها لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُذْرٌ^(١)

الشاهد فيه كسابقه، وهو أن تقديم الاسم المنفي يقتضي وجود الفعل، فالشاعر هنا لم يرد نفي قول الشعر أراد أن ينفي عن نفسه شيئاً ثبت حصوله، وهو قول الشعر، فالشاعر أراد أن يثبت لممدوحه عظيم الخصال، وأرفع الصفات، فجاء بأسلوب القصر هذا ورَكَّبَهُ أحسن ما يكون التركيب، فأعقب النفي «ما» الضمير «أنا» وأكدده بلفظ «وحددي»، وجاء بأسم الإشارة «ذا» ليعلي من قيمة الشعر المقول، ويثبت كثرته، فنفي عن نفسه أن يكون هو وحده الذي صاغ هذا الشعر الفخم الكثير، وأثبت ذلك لصفات الممدوح. فهي لعظمها وحسنها، وفخامتها ألهمته وأوحت إليه بالكثير من القول الجيد، فكانها بهذا الإلهام هي التي قالت هذا الشعر.

(١) ديوانه بشرح العكبري: ١٥٧/٢ - ١٥٩، العرف الطيب: ٦٥/٣ - ٦٧.

ح - التقديم والتأخير في الخبر المثبت:

الشاهد السابع والستون^(١): (الطويل)

هُم يُفْرِشُونَ^(٢) اللَّبْدَ^(٣) كُلَّ طِمْرَةٍ^(٤) وَأَجْرَدَ^(٥) سَبَّاحٍ^(٦) يُبْذُ^(٧) الْمُغَالِيَا^(٨)^(٩)

- (١) الدلائل، رضا: ١٠٠، خفاجي: ١٦٥، شاکر: ١٢٩.
- (٢) يُفْرِشُونَ: بضم الياء يجعلون اللبد فراشاً لظهور كل حجر وثابة، وكل فعل كريم، ويروي بعضهم يُفْرِشُونَ بفتح الياء.
- وهو من فَرَشَ الشيءَ يُفْرِشُهُ وَفَرَشَهُ فَرَشاً وَفَرَشَهُ فَانْقَرَشَ وافتَرشه: بسطه. اللسان: «فرش»: ٣٢٦/٦.
- (٣) اللَّبْدُ: أي لُبْدُ السَّرَجِ، وَلُبْدُ السَّرَجِ عمل له لُبْدٌ، وَاللَّبْدَةُ كل شَعْرٍ أو صوف مُلْتَبِدٍ بعضه على بعض. اللسان: «لبد»: ٣٨٦/٣.
- (٤) طِمْرَةٌ: الفرس الجواد، وقيل هو: المستنفر للوثب، والعدو، وقيل: هو الطويل القوائم الخفيف، وقيل المستعد للعدو. اللسان: «طمر»: ٥٠٣/٤.
- (٥) وأجرد: الأجرد من الخيل والدواب كلها: القصير الشعر حتى يقال: إنه لأجرد القوائم، وقيل الأجرد الذي رق شعره وقصر، وهو مدح. اللسان: «جرد»: ١١٦/٣.
- (٦) سَبَّاحٌ: صيغة بالغة من سَبَّحَ، سَبَّحَ الفرس: جَرَّيْهُ، وفرس سبوح وسَبَّاحٌ يسبح بيديه في سيرة أي سريع الجري. اللسان: «سبح»: ٤٧٠/٢.
- (٧) يبذ: يسبق وهو من بَذَّ القوم يُبْذُهُمْ بَذّاً: سبقهم وغلبهم، وكل غالب باذ. اللسان: «بذذ»: ٤٧٧/٣.
- (٨) المغاليا: إن ضمنت الميم جاز أن يراد به السهم نفسه، أو فرس يغاليه، وجاز أن يراد به الرافع يده بالسهم يريد به أقصى الغاية، ويقال: بيني وبينه غلوة سهم، كما يقال قيد رمح وقاب قوس، وإن فتحت الميم يكون جمعاً للمغلاة، وهي السهم يتخذ للمغلاة، والمُعالي بضم الميم، والعين غير معجمة الذي يريد أن يعلوه ولا يقدر على ذلك لطوله.
- انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٧٦٤/٤، شرح الحماسة للتبريزي: ١٣٦/٤، ورواية الدلائل والإيضاح: «المغاليا» بالباء.
- (٩) انظر البيت في:

وأورده الشيخ من غير نسبة، وهو للمُعَذِّل بن عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِي^(١).

والشاهد أحد أبيات خمسة هي:

جَزَى اللَّهُ فِتْيَانَ الْعَتِيكِ وَإِنْ نَأَتْ هُمْ خَلَطُونِي بِالنُّفُوسِ وَأَكْرَمُوا الدَّ (م)
بِي الدَّارِ عَنْهُمْ خَيْرَ مَا كَانَ جَارِيَا هُمْ يُقْرِشُونَ اللَّبْدَ كُلَّ طِمْرَةٍ
صَحَابَةَ لَمَّا حُمَّ مَا كُنْتُ لَاقِيَا (٢) طَعَامُهُمْ (٣) فَوْضَى فُضًا (٤) فِي رِحَالِهِمْ (٥)
وَأَجْرَدَ سَبَاحَ يَبْدُ الْمُغَالِيَا وَلَا يُحْسِنُونَ السَّرَّ (٦) إِلَّا تَنَادِيَا
إِذَا الْمَوْتُ (٧) لِلْأَبْطَالِ كَانَ تَحَاسِيَا (٨)

الحماسة: ٣٧٨/٢، الزهرة: ٧٥٤/٢، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٧٦٣/٤، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٣٦/٤، الإيضاح: ١٤١/١، شرح أبيات الإيضاح: - فيض الله: - ٢١ ب.

(١) في الزهرة المعذل العبدى، وفي معجم الشعراء المعذل البكري، وهو أحد بني قيس بن ثعلبة شاعر إسلامي كان موجوداً في دولة بني أمية، قدم على الملهب بن أبي صفرة بخراسان، وأنشده شيئاً من شعره، فأعطاه خمسين وظيفاً، ومدح أيضاً النّهاس بن ربيعة العتكي.

انظر ترجمته:

معجم الشعراء: ٣٨٨، شرح الحماسة للمرزوقي: ١٧٦٣/٤ - ١٧٦٥. شرح الحماسة للتبريزي: ١٣٦/٤ - ١٣٧.

(٢) ذكر المرزباني مكانه: «مَتَاعُهُمْ فَوْضَى فُضًا فِي دِيَارِهِمْ...»

وجعل قبل البيت الأخير: «هُمْ خَلَطُونِي بِالنُّفُوسِ وَأَكْرَمُوا...»

(٣) رواية معجم الشعراء: «مَتَاعُهُمْ».

ورواية الزهرة: «أَكْفُهُمْ».

(٤) رواية الزهرة: بِمَا فِي رِحَالِهِمْ.

(٥) رواية معجم الشعراء: «فِي دِيَارِهِمْ».

(٦) رواية معجم الشعراء واللسان: «السَّرَّ».

(٧) رواية الزهرة: «فِي الْأَبْطَالِ».

(٨) انظر الأبيات في:

الحماسة - تحقيق عسيلان: - ٣٧٨ - ٣٧٩، الزهرة: ٧٥٤/٢، معجم الشعراء: ٣٨٨، =

وهذه الأبيات قالها المعذل في مدح النَّهَّاس^(١) بن ربيعة العتكي؛ لأنه كفل به، وكان المعذل أخذ بجرم، فأطلقه النهاس وأمره أن ينجو بنفسه، وأسلم نفسه مكانه، فقال له المعذل أخيرك بين أن أمدحك، وبين أن أمدح قومك، فقال امتدح قومي، فمدحهم بهذه الأبيات، وكان المهلب بن أبي صفرة يعجب بها إعجاباً شديداً فقدم عليه مرة، فقال: يا معشر الأزد هذا الذي يقول: وأنشد الأبيات، فجمعوا له خمسين وصيفاً وأعطاه المهلب مثلها^(٢).

والشاهد في البيت أن تقديم المسند إليه «هم» على الخبر الفعلي المثبت «يُفرشون» لم يفد هنا الاختصاص بل التقوي؛ لأن القصد ليس إلى الفاعل بل إلى التوكيد والتحقيق بأن الفاعل قد فعل الفعل، ومنع السامع من الشك.

فمذهب الشيخ في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي المثبت أنه قد يفيد الاختصاص تارة، ولا يفيد أخرى، بل يفيد التقوي^(٣) وذلك بحسب القصد،

ذكر أربعة أبيات ما عدا بيت الشاهد، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٧٦٣/٤ - ١٧٦٤.

ذكر أربعة أبيات ما عدا بيت الشاهد، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٣٦/٤ - ١٣٧، اللسان: «فضعا»: ١٥٨/١٥، ذكر البيت الرابع فقط.

(١) في ديوان الحماسة وشرحها للمرزوقي والتبريزي:

«النَّهَّاس بن ربيعة».

(٢) انظر: معجم الشعراء للمرزباني: ٣٨٨، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٧٦٣/٤، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٣٦/٤.

(٣) وهذا ما أجمع عليه جمهور البلاغيين وإنما اختلفوا في تقديم الاسم الظاهر على الخبر الفعلي، فهو يفيد الاختصاص عند الشيخ بشرط تقدم النفي. أما عند السكاكي فهو يفيد التقوي ليس غير، فحاصل مذهب الشيخ التحويل على النفي، وحاصل مذهب السكاكي إن كان المسند إليه نكرة فهو للتخصيص، وإن كان معرفة واسماً ظاهراً، فلا يكون إلا للتقوي، أما إذا كان معرفة مضمرة فيحتمل الأمرين التقوي والتخصيص.

انظر: الأمر مفصلاً في:

الدلائل، رضا: ٩٦ - ١٠٦، خفاجي: ١٦٢ - ١٧١، شاكر: ١٢٤ - ١٣٨، المفتاح:

١٠٠ - ١٠١، وشرح التلخيص: ٤٠٠/١ - ٤٢٣.

فإن كان القصد إلى الفاعل بإثبات الفعل له وحده دون غيره، فهذا يفيد الاختصاص، وإن كان القصد لا إلى الفاعل بل إلى توكيد المعنى، وتحقق وقوع الفعل، كان التقديم للتقوي. قال الشيخ:

«وَأَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي بَانَ لَكَ فِي الْاسْتِفْهَامِ، وَالنَّفْيِ مِنَ الْمَعْنَى فِي التَّقْدِيمِ قَائِمٌ مِثْلُهُ فِي «الْخَبَرِ الْمَشْتَبِ»، فَإِذَا عَمِدْتَ إِلَى الَّذِي أَرَدْتَ أَنْ تَحْدُثَ عَنْهُ بِفَعْلٍ، فَقَدِمْتَ ذِكْرَهُ، ثُمَّ بَنَيْتَ الْفِعْلَ عَلَيْهِ، فَقُلْتَ: «زَيْدٌ قَدْ فَعَلَ»، و«أَنَا فَعَلْتُ»، و«أَنْتَ فَعَلْتَ»، اقْتَضَى ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ إِلَى الْفَاعِلِ إِلَّا أَنْ الْمَعْنَى فِي هَذَا الْقَصْدِ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ: أَحَدُهُمَا جَلِيٌّ لَا يَشْكُلُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ فِعْلاً قَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَنْصُرَ فِيهِ عَلَى وَاحِدٍ، فَتَجْعَلَهُ لَهُ، وَتَزْعُمُ أَنَّهُ فَاعِلُهُ دُونَ وَاحِدٍ آخَرَ، أَوْ دُونَ كُلِّ أَحَدٍ، وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنْ تَقُولَ: «أَنَا كَتَبْتُ فِي مَعْنَى فَلَانٍ، وَأَنَا شَفَعْتُ فِي بَابِهِ»، تَرِيدُ أَنْ تَدَّعِي الْإِنْفِرَادَ بِذَلِكَ، وَالْإِسْتِبْدَادَ بِهِ، وَتُزِيلَ الْإِشْتِبَاهَ فِيهِ، وَتَرُدَّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ غَيْرِكَ، أَوْ أَنَّ غَيْرَكَ قَدْ كَتَبَ فِيهِ كَمَا كَتَبْتَ، وَمَنْ الْبَيِّنُ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي الْمِثْلِ: «أَتَعْلَمُنِي بِضَبِّ أَنَا حَرَشْتُهُ^(١)».

والقسم الثاني: أَنْ لَا يَكُونَ الْقَصْدُ إِلَى الْفَاعِلِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَلَكِنْ عَلَى أَنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَحَقِّقَ عَلَى السَّمَاعِ أَنَّهُ قَدْ فَعَلَ، وَتَمْنَعَهُ مِنَ الشَّكِّ، فَأَنْتَ لِذَلِكَ تَبْدَأُ بِذِكْرِهِ، وَتُوقِعُهُ أَوَّلًا وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تَذْكُرَ الْفِعْلَ فِي نَفْسِهِ، لِكَيْ تَبَاعِدَهُ بِذَلِكَ مِنَ الشُّبْهَةِ، وَتَمْنَعَهُ مِنَ الْإِنْكَارِ، أَوْ مِنْ أَنْ يُظَنَّ بِكَ الْغَلْطَ أَوْ التَّزْيِيدَ، وَمِثَالُهُ قَوْلُكَ: «هُوَ يَعْطِي الْجَزِيلَ»، و«يَحِبُّ الثَّنَاءَ»، لَا تَرِيدُ أَنْ تَزْعُمَ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَا مِنْ يَعْطِي الْجَزِيلَ وَيَحِبُّ الثَّنَاءَ غَيْرُهُ، وَلَا أَنْ تُعَرِّضَ بِإِنْسَانٍ، وَتَحْطِطَ عَنْهُ، وَتَجْعَلَهُ لَا

(١) المثل مشهور وهو في مجمع الأمثال للميداني: ١٢٥/١، وروى من غير تقديم الهمزة «تُعَلِّمُنِي بِضَبِّ أَنَا حَرَشْتُهُ» ويضرب لمن يخبرك بشيء أنت به منه أعلم. وانظر كذلك كتاب الأمثال لابن سلام: ٢٠٢، الرواية هنا بتقديم الهمزة، جمهرة الأمثال: ٧٦/١. والحرش والتحريش: اغراؤك الإنسان، والأسد ليقع بقرنه، وحرش الضب: صيده وهو أن يحك الجحر الذي هو فيه يتحرش به، فإذا أحسه الضب حبسه ثعباناً فأخرج إليه ذنبه فيصاده حينئذ. اللسان: ٢٨٠/٦.

يعطي كما يعطي، ولا يرغب كما يرغب، ولكنك تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل وحُب الثناء دأبه، وأن تُمكن ذلك في نفسه^(١).

فالشاهد عند الشيخ إذا يُفيد التقوي، لأن بين الشاعر وبين الممدوح مودة عميقة، وعاطفة يقول المرزوقي - بينه وبينهم، وجعلوه يشاركونهم في خيرهم وصاحبوه مصاحبة كريمة لَمَّا قُدِّرَ له ما كان يكابده، ولَمَّا كان الموقف موقف مدح، ولَمَّا كان إحساس الشاعر بحب هؤلاء القوم عظيماً لجأ إلى تأكيد المعنى وتقويته، وتقريره في النفوس بتقديم المسند إليه على المسند «هُمُ خَلَطُونِي» «هُمُ يُفَرِّشُونَ». قال الشيخ:

«لم يرد أن يدعي لهم هذه الصفة دَعَوَى من يُفَرِّدُهم بها، وَيُنَصِّرُ عليهم فيها، حتى كأنه يُعَرِّضُ بقوم آخرين، فينفي أن يكونوا أصحابها. هذا محال! وإنَّما أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل، وأنَّهم يَتَعَدُّون الجياد منها، وأنَّ ذلك دأبهم من غير أن يُعَرِّضَ لنفيه عن غيرهم، إلا أنه بدأ بذكرهم لينبه السامع لهم، وَيُعَلِّمَ بَدِئاً قصده إليهم بما في نفسه من الصفة، لينعنه بذلك من الشك، ومن توهم أن يكون قد وصفهم بصفة ليست هي لهم، أو أن يكون قد أراد غيرهم فغلط إليه^(٢)».

الشاهد الثامن والستون^(٣):

هُمُ^(٤) يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ^(٥) يَبْرِقُ^(٦) بَيَّضُهُ^(٧) عَلَى وَجْهِهِ^(٨) مِنَ الدَّمَاءِ سَبَابِ^(٩) (١٠)

(١) الدلائل، رضا: ٩٩، خفاجي: ١٦٤ - ١٦٥، شاکر: ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) الدلائل، رضا: ١٠٠، خفاجي: ١٦٥، شاکر: ١٢٩.

(٣) الدلائل، رضا: ١٠٠، خفاجي: ١٦٦، شاکر: ١٣٠.

(٤) رواية الحماسة - تحقيق عسيلان -، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي، والإيضاح: «فَهُمُ».

(٥) الكبش: «الكبش» واحدُ الْكِبَاشِ و«الْأَكْبَشُ»، و(كَبَشُ) القوم سيدهم. مختار الصحاح: «كَبَشُ»: ٥٦٢.

(٦) رواية نظام الغريب: «يَبْرِقُ».

(٧) بَيَّضُهُ: واحده «بيضة» وهي الخوذة الواقية للرأس في الحرب، والمقصود هنا ببيضة أدوات القتال على التغليب، أو هي خوذ جيشه على المجاز المرسل، ويبرق بيضه موضع الحال =

أورده الشيخ من غير نسبة، وهو للأخنس بن شهاب التغلبي^(١).

والشاهد من قصيدة مطلعها:

لَا بُنَّةَ حِطَّانَ بَيْنَ عَوْفٍ مَنَازِلُ كَمَا رَقَشَ^(٢) الْعُنْوَانُ^(٣) فِي الرَّقِّ^(٤) كَاتِبُ

- = من الكيش، والعامل فيه يضربون، وعلى وجهه من الدماء سائب في موضع الحال أيضاً من قوله يبرق. شرح التبريزي: ١٢٥/٢.
- (٨) رواية الحماسة - تحقيق عسيلان -: «على خذه».
- ورواية شرح أبيات الإيضاح: «على مُبْصِرٍ».
- (٩) سائب: الطرائق، الواحدة سبيبه، والمراد هنا طرائق الدم. اللسان: «سبب»: ٤٥٨/١ - ٤٥٩.

(١٠) انظر البيت في:

المفضليات: ٢٠٣، رقم (٤١) الحماسة - ت - عسيلان: ٣٧٦/١، شرح الحماسة للمرزوقي: ٢٢٧/٢، شرح الحماسة للتبريزي: ١٢٥/٢، الإيضاح: ١٤١/١، ذكر الشطر الأول فقط، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - ٢٢.

- (١) نُسب البيت في نظام الغريب (٧٨) «لعينه بن شهاب»، والمشهور أنه للأخنس، وهو الأخنس بن شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن عدي بن معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب «... ت نحو ٧٠ ق هـ» والأخنس تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة. وهو أحد شعراء الفرسان، وهو صاحب العصا، و«العصا»، فرسه كما جاء في ذيل الأمالي والنوادر: ١٨٥، والأخنس شاعر جاهلي، وقد ظن صاحب القاموس المحيط مادة «خنس» - أنه صحابي خلط بينه وبين الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة، ولقب بالأخنس لأنه رجع ببني زهرة بن بدر، وفي صحبته خلاف، وخلط البكري في السمط بينه وبين بكير بن الأخنس الثقفي.

انظر ترجمته وبعض أخباره في:

أمالي القاضي: ٩٧/٢ - ٢٤٣، ١٨٥/٣، المؤلف والمختلف: ٢٧، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٢٠/٢ - ١٢٥، القاموس المحيط «خنس»: ٢٢٠/٢، الأعلام: ٢٧٧/١.

(٢) رَقَشَ: تَمَقَّقَ وَحَسَّنَ. أساس البلاغة «رقش»: ١٧٣.

(٣) العنوان: الأثر والعلامة. اللسان: «عنن»: ٢٩٤/١٣.

(٤) الرِّقُّ: يفتح الزاء وكسرهما، جلد رقيق يكتب فيه، أو الصحيفة البيضاء. اللسان: «رقق»:

١٢٣.

وقبل الشاهد:

تَرَى رَائِدَاتٍ^(١) الْخَيْلِ حَوْلَ بُيُوتِنَا
فَيُغْبِقْنَ^(٢) أَحْلَابًا^(٣) وَيُصْبِحْنَ^(٤) مِثْلَهَا
فَوَارِسُهَا مِنْ تَغْلِبِ ابْنَةِ وَائِلٍ
كَمِعَزَى الْحِجَازِ أَعْجَزَتْهَا الزَّرَائِبُ
فَهْنٌ مِنَ التَّغْدَاءِ قُبُ^(٥) شَوَازِبُ^(٦)
حُمَاةٌ كُمَاةٌ لَيْسَ فِيهَا أَشَائِبُ^(٧)

وبعدها الشاهد وبعده^(٨):

بِجَاوَاءٍ^(٩) يَنْفِي وَرُدَّهَا سَرَعَانَهَا^(١٠)
وَإِنْ قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا
كَأَنَّ وَضِيحَ^(١١) الْبَيْضِ فِيهَا الْكَوَائِبُ
خُطَانًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ نَضَارِبُ^(١٢)

الشاهد فيه كسابقه حيث قدّم الضمير «هم» على الخبر الفعلي المثبت

(١) الرائدات: التي ترعى لا تعلق في البيوت، فهي ترود الرعي من كثرتها. اللسان: «رود»: ١٨٨/٣.

(٢) يغبقن: من الغبوق وهو شرب العشي. اللسان: «غبق»: ٢٨١/١٠.

(٣) أحلاب: جمع حَلَب - بفتح ح - وهو اللبن المحلوب. اللسان: «حلب»: ٣٢٧/١ - ٣٢٩.

(٤) يصبحن: من الصبوح، وهو شرب الغداة. تاج العروس: «صبح»: ١٧٥/٢.

(٥) قُبُ: القُبُ الضومر الخواطر واحداها أَقْب وقباء. اللسان: «قُب»: ٦٥٨/١.

(٦) شوازب: الضومر مفردا شازب. اللسان: «شرب»: ٤٩٤/١.

(٧) أشائب: الأخلاط والأدناس، والأقذار. المصباح المنير: «شوب»: ٣٥٠/١.

(٨) ذُكر في الحماسة أن بعد الشاهد:

لِكُلِّ أَنَاسٍ مِنْ بَعْدِ عِمَارَةٍ

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ

(٩) الجاواء: الكتيبة الكثيرة الدروع المتغيرة الألوان لطول الغزو، مأخوذة من الجؤوة - بضم

الجم - وهي حمرة تضرب إلى السواد. اللسان: «جأي»: ١٢٧/١٤.

(١٠) سرعانها: سَرَعَانُ النَّاسِ وَسَرَعَانُهُمْ: أوائلهم المستبقون إلى الأمر، وسرعانُ الخيل أوائلها.

اللسان: «سرع»: ١٥٢/٨.

(١١) وضّيح البيض: ما وضّح منها وظهر. اللسان «وضّح»: ٦٣٤/٢.

(١٢) رواية الحماسة تحقيق عسيلان.

«خُطَانًا إِلَى أَعْدَانِنَا فَنَضَارِبُ».

«يضربون الكبش» للتقوية والتوكيد، وتنبية السامع لقصدهم بالحديث من غير أن يدّعي انفرادهم بالضرب دون غيرهم.

قال الشيخ :

«لم يرد أن يدّعي لهم الانفراد، ويجعل هذا الضرب لا يكون إلا منهم، ولكن أراد الذي ذكرت لك من تنبيه السامع لقصدهم بالحديث من قبل ذكر الحديث ليحقق الأمر ويؤكد»^(١).

فالأخس بن شهاب يريد أن يفتخر بشجاعة قومه النادرة، وبسالتهم الفائقة، فأخذ يقوي معاني تلك البطولة في النفوس، لتأنس بها، وتعجب، واستعمل لذلك عدة طرق، وأساليب. منها: تقديم المسند إليه على المسند «هُمْ يَضْرِبُونَ» لينبه السامع إليهم، ويشوق النفس لمعرفةهم، ويلفت الأنظار إلى بطولاتهم بتأكيد حصول الضرب منهم.

ثم استعمل لفظ «كَبَش» والمراد به رئيس القوم. وأي كبش أراد؟! أراد الكبش القوي المحتاط الذي لبس خوذته واحتاط للمقارعة كل ذلك ليبين أنهم إنما يقارعون الأبطال ورؤساء الكتائب الشجعان دون الأوساط منهم والعجزة.

ثم أنظر إلى إهماله زمن المقارعة وكيفيتها: ليوجه النفس إلى الأمر الهام الذي يريد تقويته وتقديره، وهو قوتهم المتناهية، فأصدر النتيجة بقوله:

«وعلى وجهه من الدماء سبائب» فَصُورَةَ قضائهم على العدو كانت صورة سريعة لم تستغرق منهم وقتاً، ولم تستنفذ منهم جهداً.

وأنظر إلى تركيب صورة القضاء هذه، حيث قَدَّمَ المسند «الجار والمجرور» «على وجهه» على المسند إليه «سبائب»، وَخَصَّ الوجه بالذكر دون سائر الاعضاء إمعاناً في الذُّلَّ والهوان اللذين لحقا به، لأن الوجه موضوع الأنفة والكبرياء.

(١) الدلائل، رضا: ١٠٠، خفاجي: ١٦٦، شاکر: ١٣٠.

قول عُرْوَة بن أَدِيْنَة^(٢):

سُلَيْمَى أَزْمَعَتْ^(٣) بَيْنَا فَأَيْنَ تَقُولُهَا^(٤) أَيْنَا^(٥)

ذكر الأستاذ شاکر أنه ورد في هامش «المخطوطة» ما نصه: وبعده:
وَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابٍ لَهَا زُهْرٌ تَلَاقَيْنَا
تَعَالَيْنَ فَقَدْ طَابَ (م) لَنَا الْعَيْشُ تَعَالَيْنَا
وَعَابَ الْبَرَمُ^(٦) إِلَيَّ وَالْعَيْنُ فَلَا عَيْنَا
إِلَى مِثْلِ مَهَاةِ الرَّمِّ لَمْ تَكُوسِ الْمَجْلِسَ الزَّيْنَا^(٧)
تَمْنَيْنَ مُنَاهُنَّ (م) فَكُنَّا مَا تَمْنَيْنَا^(٨)

الشاهد في البيت تقديم الاسم الظاهر «سُلَيْمَى» على الخبر الفعلي المثبت

(١) الدلائل، رضا: ١٠٠، خفاجي: ١٦٦، شاکر: ١٣٠.

(٢) هو عُرْوَة بن أَدِيْنَة، واسمه يحيى بن مالك بن زحل بن يعمر الشدّاخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة، ويكنى عروة بأبي عامر، وهو شاعر غزل مُقَدِّم، من شعراء أهل المدينة، وهو معدود من الفقهاء والمحدثين، روى عنه مالك بن أنس، وعبيد الله بن عمر العدوي.

انظر: المؤتلف والمختلف: ٥٤، الأغاني: ٣٢٢/١٨ - ٣٣٥.

(٣) رواية الأغاني: «أجمعت».

(٤) رواية العقد الفريد: «بوصلها».

(٥) انظر البيت في:

ديوانه: ٣٩٨، العقد الفريد - دار الفكر - الأغاني: ٣٢٧/١٨.

(٦) الْبَرَمُ: يفتح الراء جمع أبرام، ومعناه: «اللاثام». اللسان «برم»: ٤٣/١٢.

(٧) ذكر في الأغاني بيتاً قبله، وهو:

«فَأَقْبَلْنَ إِلَيْهَا مُسْرِعَاتٍ يَتَهَادَيْنَا»

(٨) انظر الأبيات في:

ديوانه: ٣٩٨ - ٤٠٠، الأغاني: ٣٢٧/١٨، الدلائل - شاکر: ١٣٠.

«أزمنت»، وهو يفيد التقوي هنا؛ لأن القصد تأكيد وتحقيق أمر الإزماع، وليس القصد جعل الإزماع خاصاً بها دون غيرها. قال الشيخ:

«ذلك أنه ظاهر معلوم أنه لم يرد أن يجعل هذا الإزماع لها خاصة، ويجعلها من جماعة لم يُزْمَع البينَ منهم أحد سواها. هذا محال، ولكنه أراد أن يحقق الأمر ويؤكد، فأوقع ذكرها في سمع الذي كُلِّم ابتداءً، ومن أول الأمر ليَعْلَمَ قبلَ هذا الحديث أنه أرادها بالحديث، فيكون ذلك أبعد له من الشك^(١)».

بعد أن أزمنت «سُلَيْمَى» البين والفراق تصارعت في صدر الشاعر الآلام، فحبس شكواه داخل روحه حتى ضاقت بها النفس، فعزم أن يعلنها للوجود لعله يجد في إعلانها بعض السلوى، فكانت أول صرخة يطلقها: «سُلَيْمَى» لينبه الأسماع إلى أنها هي سبب آلامه وشكواه، فتتشوق للإصغاء إليه ومعرفة كنه تلك الشكوى، وجاء بالخبر الفعلي المثبت «أَزْمَعْتُ» ليؤكد ويقرر تحقق وقوع ذلك الإزماع، ولجأ الشاعر إلى أسلوب التقوية هذا لأن إضرار المحب بمحبوبة شيء يستبعده الناس وهو أمر غريب يخالف الواقع، فلكي يمنع السامعين من الشك في شكواه نبه الأسماع إليها أولاً، ثم أكد هذه الشكوى.

وأنظر إلى تصغير الاسم «سُلَيْمَى» وما فيه من لفتات نفسية وعاطفية جميلة، ففيه استعطاف، وحنين، وترج، ولوم.

وتأمل في الشطر الثاني «فَأَيْنَ تقولها أَيْنَا» هذا الاستفهام، وهذا التكرار «أَيْن - أَيْنَا» وهذا الظن، وما ينطوي تحتها من معانٍ حبيسة، ولوعة مكتومة في نفس الشاعر.

وما أجمل أَلِف الإطلاق التي جعلها قافية لأبياته، وكأنه وَجَدَ فيها مراحاً إلى إطلاق زفرات الألم، والأسى، واللوعة الحبيسة.

(١) الدلائل، رضا: ١٠١، خفاجي: ١٦٦، شاکر: ١٣١.

هُمَا يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ أَحْسَنَ لَيْسَةٍ شَجِيحَانِ مَا أَسْطَاعَا عَلَيْهِ كِلَاهُمَا^(٢)
أورده الشيخ من غير عزو، وهو لعمره الجُشمِيَّة، وقيل الخُثْعِمِيَّة^(٣)، ترثي
أبنيها، وقيل أخويها.

وأول القصيدة:

أَبَى النَّاسُ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا^(٤) هُمَاهُمَا وَلَوْ أَنَّ اسْطَعْنَا لَكَانَا^(٥) سِوَاهُمَا

(١) الدلائل، رضا: ١٠١، خفاجي: ١٦٦، شاکر: ١٣١.

(٢) انظر البيت في:

الحماسة - ت: عسيلان -: ٥٣٧/١ رقم «٣٨٧»، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي:
١٠٨٢/٣ رقم «٣٨٦» فرحة الأديب: ٥١، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٦١/٣، نهاية
«الإيجاز»: ١٢٢، الإيضاح: ١٤١/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٢١ ب،
شاعرات العرب - ت: عبد البديع صقر -: ٢٧٧.

(٣) ذكر الأستاذ عسيلان محقق كتاب الحماسة إنه ذُكر في بعض مخطوطات الحماسة أن البيت
لعمره الجُشمِيَّة، وذُكر في هامش الأصل أنها لعمره الخُثْعِمِيَّة. وكذلك ذكر المرزوقي
والتبريزي لقب الخُثْعِمِيَّة.

وذكر التبريزي أن أبا رياش رجَّح أن يكون هذا البيت - مع بقية الأبيات التي سوف أوردها -
لدرماء بنت سيار بن عبيدة الجحدري ترثي أخويها.

ولقد نقل الأستاذ شاکر في تحقيقه الدلائل رأي أبي رياش خطأ، فذكر أنه رجَّح أن تكون
لدرماء بنت سيار بن عبيدة الخُثْعِمِيَّة، ولعله سهو منه أو خطأ من الطابع؛ لأن الذي ذكره أبو
رياش لقب «الجحدريَّة» كما ذكرت آنفاً.

ونُسبت الأبيات في فرحة الأديب لدرن بن سيار بن صبرة بن حطَّان بن سيار بن عمرو بن
ربيعة.

(٤) رواية شاعرات العرب: «يقولوا» ولعله سهو من الجامع، أو خطأ من الطابع لأن «الناس»
جمع فيناسبه واو الجماعة لا ألف الاثنين، فالضمير في القول يرجع إلى «الناس» وليس إلى
المرثيين.

(٥) رواية فرحة الأديب: «لكانوا».

ورواية شاعرات العرب: «لكان».

بُنَيَّا عَجُوزِ حَرَمِ الدُّهْرِ أَهْلَهَا فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا إِلَهُ سَوَاهُمَا^(١)
لَقَدْ رَعَمُوا أَنِّي جَزَعْتُ عَلَيْهِمَا وَهَلْ جَزَعُ أَنْ قُلْتُ وَآ بِأَبَاهُمَا^(٢)
هُمَا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَا لَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبْوَةَ فِدْعَاهُمَا

وبعدها الشاهد وبعده:

شِهَابَانِ مِنَّا أَوْقَدَا ثُمَّ أُخِمِدَا وَكَانَ سَنًا لِلْمُدْلَجِينَ سَنَاهُمَا
إِذَا نَزَلَا^(٣) الْأَرْضَ الْمَخُوفَ بِهَا الرَّدَى يُخَفِّضُ مِنْ جَاشِيَهُمَا مُنْضَلَاهُمَا
إِذَا أَسْتَغْنَيَا حُبَّ الْجَمِيعِ إِلَيْهِمَا وَلَمْ يَنَّا عَنْ نَفْعِ الصَّدِيقِ^(٤) غِنَاهُمَا^(٥)

(١) البيتان ذكرهما التبريزي: (٦٣/٣)، وذكرنا كذلك في «شاعرات العرب»: ٢٧٧، وورد البيت الأول في فرحة الأديب: ٥٠، ولم يردا في الحماسة تحقيق عسيلان، ولا في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

(٢) رواية النوادر:

وَقَدْ رَعَمُوا أَنِّي جَزَعْتُ عَلَيْهِمَا وَهَلْ جَزَعُ إِنْ قُلْتُ يَا بِأَبَاهُمَا
(٣) رواية الخصائص، وفرحة الأديب «إِذَا هَبَطَا».

(٤) رواية فرحة الأديب: «وَجَادَ عَلَى الْأَدَتَيْنِ فَضْلُ غِنَاهُمَا».

(٥) ذكر الغندجاني في فرحة الأديب تسعة أبيات مع اختلاف ترتيبها عن المذكور آنفاً. وزاد على الأبيات المذكورة ثلاثة أبيات إلا أنه لم يذكر البيت الثاني.

والأبيات السبعة مع بيت الشاهد مذكورة في:

شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٦١/٣ - ٦٢، شاعرات العرب: ٢٧٧ - ٢٧٨، والأبيات جميعها ما عدا (١-٢) في: الحماسة (ت - عسيلان): ٥٣٧/١ - ٥٣٨، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٠٨٢/٣ - ١٠٨٧.

والبيت (٢ - ٤) في شرح أبيات سيويه للسيرافي منسوباً لذرني بنت سيار بن صبرة بن حِطَّان بن سيار بن عمرو بن ربيعة، والبيت (٣) في الحماسة البصرية لعمره الخثعمية ترثي ولديها: ٢٢٦/١.

والبيت (٣ - ٤) في النوادر لأبي زيد: ١١٥ - ١١٦ ونسبها لامرأة جاهلية من بني سعد، والبيت (٤) في الكتاب منسوباً لذرني بنت ععبه من بني قيس بن ثعلبة، والبيت (٦) في الخصائص لابن جني: ٢٩٦/١، ونُسب لذرنا بنت ععبه، والبيت (٧) مع بيت آخر في المختار من شعر يشار عزاه إلى أعرابية ترثي ابنها.

الشاهد في البيت تقديم المسند إليه الضمير «هما» على الخبر الفعلي
المثبت «يلبسان» وهو هنا يفيد التقوية؛ لأن الشاعرة لم ترد قصر صفة لبس
المجد عليهما دون غيرهما بل القصد تنبيه الأسماع إليهما.

قال الشاعر عبد القاهر:

«لا شبهة في أنه لم يرد أن يقصر هذه الصفة عليهما ولكن به لهما قبل
الحديث عنهما^(١)».

أصيبت الشاعرة بفقد عزيزين عليها، يملكان فؤادها، فلم يبق لها بعد
رحيلهما إلا أن تتغنى بذكرهما، وأن تقرر في الأذهان أجمل صورة لهما، وتؤكد
في النفوس أبلغ صفاتهما، وفي هذا التقرير والتوكيد ما يبعث الراحة والسلوى في
نفسها، فقدمت المسند إليه على المسند لتنبيه الأسماع إلى ما ستذكره عنهما من
جميل الخصال، وطيب الصفات، فتأكد بذلك وتقوى في النفس، فهي لم
تقتصر على وصفهما بالمجد بل بالغت في ذلك بأن جعلته لباسيهما الذي يتزينان
به، فكما أن الإنسان لا يستغني عن اللباس، فكذلك هما لا يستغنيان عن
المجد، ولا يستغني هو عنهما، فهو ملازم لهما مستمر معهما في كل زمان
ومكان.

ومن المعلوم أن الشح والبخل صفة مذمومة إلا أن الشاعرة قلبت تلك
الصورة فشوقت النفس إلى معرفة ذلك الشح المحمود، حيث جعلت الشح
بالمجد من أنبل الصفات وأسمائها.

قال المرزوقي:

«وصفتها بأنهما يكتسبان المجد، ويستمتعان به أحسن استمتاع، وأجمل
اكتساب، وأنهما يَضِنَّان به حيثُ ظهر وطلع فلا يتركانه لأحد ما داما يستطيعان
كسبه. والفوز به، وانتصب «أحسن لبسة» على أنه مصدر، وارتفع شحيحان

(١) الدلائل، رضا: ١٠١، خفاجي: ١٦٧، شاکر: ١٣١.

«على أنه خبر مقدم، والمبتدأ «كلاهما» و«ما أسطاعا» في موضع الظرف، وأسم الزمان محذوف معه، وأسطاع منقوص عن أسطاع، وتقدير الكلام: كلاهما شحيحان به ما أسطاعا عليه، أي ما قَدَّرَا عليه، ومعنى «يلبسان المجد» أي يتمليانه، ويمتعان به. قال:

لَبِسْتُ أَبِي حَتَّى تَمَلَّيْتُ عَيْشَهُ وَبَلَّيْتُ أَعْمَامِي وَبَلَّيْتُ خَالِيَا^(١)

ورأى الشيخ عبد القاهر أن قول الشاعرة «هما يلبسان المجد» أبلغ وأكد في جعلهما يلبسانه من أن يقال: «يلبسان المجد» فالسر في إفادة تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي المثبت التوكيد أن الاسم لا يؤتى به مُعَرًى من العوامل إلاَّ لحديث قد نوي إسناده إليه، فإذا ابتدئ بالمسند إليه شعر القلب بأنك أردت الحديث عنه، فإذا جيء بالحديث دخل على القلب دخول المأنوس به، وقبله قبول المطمئن إليه، فالإعلام عن الشيء بغتة ليس كالإعلام به بعد التنبيه عليه، والتوطئة له، فالتنبيه عليه يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام، فإضمار الشيء ثم تفسيره أفخم من أن يذكر من غير تقدم إضمار.

قال الشيخ:

«فإن قلت فمن أين وجب أن يكون تقديم ذكر المحدث عنه بالفعل أكد لإثبات ذلك الفعل له، وأن يكون قوله: «هُمَا يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ»؟ أبلغ في جعلهما يلبسانه من أن يقال: «يلبسان المجد»؟»

فإن ذلك من أجل أن لا يؤتى بالاسم مُعَرًى من العوامل إلاَّ لحديث قد نوي إسناده إليه، وإذا كان كذلك، فإذا قلت «عبد الله» فقد أشعرت قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه، فإذا جئت بالحديث، فقلت مثلاً قام، أو قلت: خرج، أو قلت: قدم، فقد عُلِمَ ما جئت به، وقد وَطَّأت له، وَقَدِّمْتَ الإعلام فيه، فدخل على القلب دخول المأنوس به، وقبله قبول المُهَيَّأ له المطمئن

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٠٨٤/٣، وانظر كذلك: شرح ديوان الحماسة للتبريزي:

إليه، وذلك لا محالة أشد لثبوته وأنفى للشبهة وأمنع للشك، وأدخل في التحقيق، وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام، ومن ههنا قالوا: إن الشيء إذا أُضمِرَ، ثم فُسِّرَ كان ذلك أفخم له من أن يُذكر من غير تقدم إضمار^(١)».

ولعل الشيخ يقصد بتنبيه السامع ما يترتب على التنبيه من التشويق، فمن الأمور الفطرية أن الشيء إذا جاء بعد التشويق إليه كان أوقع في النفس، وأنس للقلب.

فنظرة الشيخ عبد القاهر نظرة ذوقية تدل على قدرته على التحليل النفسي، أما المتأخرون، فقد نظروا للمسألة نظرة نحوية بحتة، فرأوا أن السَّرَّ في إفادة تقديم المسند إليه التقوي هو تكرار الإسناد، فمثلاً: «زيد قام» أسند القيام إلى الضمير المستتر في قام ثم أسند جملة قام إلى زيد، فتصبح بذلك الجملة في قوة جملتين. قال الشيخ السكاكي:

«... هو أن المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعي أن يسند إليه شيء، فإذا جاء بعده ما يصلح أن يستند إليه صرفه المبتدأ إلى نفسه، فيعقد بينهما حكم، سواء كان خالياً عن ضمير المبتدأ نحو: «زيد غلامك» أو كان متضمناً له نحو: «أنا عرفت» و«أنت عرفت» و«هو عرف» أو «زيد عرف»، ثم إذا كان متضمناً لضميره صرفه ذلك الضمير إلى المبتدأ ثانياً، فيكتسي الحكم قوة^(٢)».

(١) الدلائل، رضا: ١٠١-١٠٢، خفاجي: ١٦٨، شاکر: ١٣٢.

(٢) المفتاح: ٩٦، وانظر كذلك: شروح التلخيص: ٣٩٧/١-٤٠٣.

وَلَأَنْتَ^(٢) تَقْرِي^(٣) مَا خَلَقْتَ^(٤) وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَقْرِي^(٥) (٦)

- (١) الدلائل، رضا: ١٠٤، خفاجي: ١٦٩، شاكر: ١٣٤.
- (٢) رواية الكتاب ومعاني القرآن للأخفش الأوسط، والأغاني، والصناعتين، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي، ورواية همع الهوامع: «وَأَرَاكَ تَقْرِي».
- ورواية الديوان: «فَلَأَنْتَ تَقْرِي».
- (٣) تَقْرِي: أصل الْفَرَى الْقَطْع، فَزَيْتَ الشَّيْءَ أَفْرِيهِ فَرِيًّا قَطَعْتَهُ لِأَصْلَحِهِ، وتَقْرِي فِي الْبَيْتِ مَعْنَاهُ تُنْقِذُ مَا تَعَزِّمُ عَلَيْهِ وَتَقْدِرُهُ، وَيُقَالُ لِلشَّجَاعِ: مَا يَقْرِي فَرِيَّةً أَحَدًا. اللسان: «فرا».
- ١٥٣/١٥.
- (٤) الخلق: التقدير، يقال خلقت الشيء إذا قدرته، وفي اللسان الخلق في كلام العرب: ابتداء الشيء على مثال لم يسبق إليه، ومعناه أيضاً التقدير. جمهرة اللغة «خلق»:
- ٢٤٠/٢، اللسان «خلق»: ٨٧/١٠.
- (٥) رواية الكتاب، وشرح أبيات سيبويه للنحاس، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي بحذف الياء. يستشهد به النحاة على جواز حذف الياء في الوقف من قوله: «يَقْرِي» فيمن سكن الراء، ولم يطلق القافية، وإثبات الياء أكثر وأقرب، لأنه فعل لا يدخله التنوين، ويعاقب ياءه في الوصل، فيحذف لذلك كقاضي وغاز، وما أشبههما.
- جاء في الكتاب: «والأسماء أجدر أن تحذف، إذا كان الحذف فيها في غير الفواصل والقوافي، وأما القوافي فنحو قوله - وهو زهير:
- وَأَرَاكَ تَقْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَقْرِي
- وإثبات الياءات، والواوَاتِ أَقْبَسُ الْكَلَامِينَ، وهذا جائز عربي كثير» الكتاب: ١٨٥/٤.
- وقال في موضع آخر: وأعلم أن الياءات، والواوَاتِ اللواتي هن لامات إذا كان قبلها حرف الرُّوْيِ فَعَلْ بِهَا مَا فَعَلَ بِالْيَاءِ وَالْوَاوِ اللَّتَيْنِ الْحَقَّتَا لِلْمَدِّ فِي الْقَوَافِي؛ لأنها تكون في المَدِّ بِمَنْزِلَةِ الْمُلْحَقَّةِ، ويكون ما قبلها رَوِيًّا كَمَا كَانَ مَا قَبْلَ تِلْكَ رَوِيًّا، فلما ساوتها في هذه المنزلة ألحقت بها في هذه المنزلة الأخرى، وذلك قولهم - لزهير: «وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَقْرِي».
- وكذلك «يغزو» لو كانت في قافية كنت حاذفها إن شئت» الكتاب: ٢٠٩/٤ استشهد به الأخفش الأوسط والجاحظ - في الحيوان - عند تفسير قوله تعالى: «أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ» [سورة المؤمنون: الآية رقم ١٤] في بيان معنى الخلق. وكذلك استشهد به ابن قتيبة في «المعاني الكبير» وفي «تأويل مشكل القرآن» عند تفسير معنى «الخلق» أيضاً.
- (٦) انظر البيت في:

أورد الشيخ الشاهد من غير نسبة، وهو من قصيدة لزهير بن أبي سلمى^(١)
يمدح هرم بن سنان^(٢)، ومطلعها:

= ديوانه - صنعة أبي العباس ثعلب -: ٨٢، ديوانه: صنعة الأعلام الشتمري -: ١١٩، ديوانه -
دار كرم -: ٨٨، الكتاب: ١٨٥/٤ - ٢٠٩، تفسير الطبري: ٩/١٨، معاني القرآن
للأخفش: ٤١٧، من غير نسبة، شرح أبيات سيويه للنحاس: ٢٥٤، من غير نسبة،
الحيوان: ٣٨٣/٣، المعاني الكبير: ٥٣٩/١، تأويل مشكل القرآن: ٥٠٧، جمهرة اللغة:
«خلق»: ٢٤٠/٢، العقد الفريد: ٣٠٩/٦، الأغاني: ٣٠٤/١٠٠، الصناعتين: ٤٣١ -
٥٠٧، البحر المحيط: ٩٣/١، ٤٦٥/٢، شرح أبيات سيويه للسيرافي: ٣٤٤/٢، شرح
ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٨٧٩/٤، اللسان: «خلق»: ٨٧/١٠، «فرا»: ١٥٣/١٥،

جمع الهوامع: ٢٠٦/٢، من غير نسبة، وذكر الطبري أن البيت يروى
وَلَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا فَرَيْتَ وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْهَرِي
(١) هو زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رياح المزني (١٣٠ - ١٣٠ ق هـ) من مضر، ولد في بلاد
مزينة بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجز من ديار نجد، ذكر البغدادي أن هناك من
يظن أن زهيراً من بلاد غطفان قال: كانت محلثهم - أي بني «مزينة» في بلاد غطفان، فيظن
الناس أنه من غطفان أعني زهيراً وهو غلط. وكان هذا رد على ما قاله ابن قتيبة في كتابه
الشعر والشعراء حيث قال: «هو زهير بن ربيعة بن قُرْط والناس ينسبونه إلى مزينة وإنما نسبته
إلى غُطْفَانَ» وزهير حكيم الشعراء في الجاهلية، وفي أئمة الأدب من يفضلوه على شعراء
العرب كافة، وكانت عائلته كلها شعراء فخاله شاعر، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب
وبجير شاعران، وأخته الخنساء شاعرة.

انظر ترجمته في:

طبقات فحول الشعراء: ٦٣/١، الشعر والشعراء: ١٤٣/١، ١٥٩، شرح شعر زهير -
صنعة ثعلب -: ١٥/١٣، الاشتقاق: ٣٦ - ١٨٢، الأغاني - دار الاحياء -: ٢٨٨/١٠ -
٣١٦، الاستيعاب - ضمن الإصابة - ٢٨٠/٣ - ٢٨٥، أسد الغابة: ١٩٧/١، الإصابة:
٢٧٩/٣ رقم (٧٤١٣)، خزانة البغدادي: - دار صادر -: ٣٧٥، الأعلام: ٥٢/٣.

(٢) هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري من مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان (١٥٠ - ١٥٠ ق هـ)
من أجداد العرب في الجاهلية يُضْرَبُ به المثل، وقد أكثر زهير من مدحه، ومدح ابن عمه
الحارث بن عوف بن أبي حارثة لإصلاحهما بين عيس وذبيان، ومات هرم قبل الإسلام في
أرض لبني أسد يقال لها «رُزَاء».

انظر ترجمته في:

شرح ديوان زهير - صنعة ثعلب -: ١٥، الأغاني: ٢٩٣/١٠ - ٢٩٤، الأعلام: ٨٢/٨.

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةٍ^(١) الْحَجَرِ^(٢) أَقْوِينَ^(٣) مِنْ^(٤) حَجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ^(٥) ^(٦)

وقبل الشاهد:

مُتَصَرِّفٍ لِلْمَجْدِ^(٧) مُعْتَرِفٍ لِنَائِيَاتِ^(٨) يُرَاحُ^(٩) لِلذِّكْرِ^(١٠) كَرَهُ الظَّنُونُ^(١١) جَوَامِعِ الْأَمْرِ

وبعدهما الشاهد وبعده:

وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ حِينَ تَنْجُهُ^(١٢) الـ وَرَدٍ^(١٤) عُرَاضِ السَّاعِدِينَ حَدِيدٍ يَصْطَادُ أَحْدَانُ^(١٦) الرَّجَالِ فَمَا تَنْفَكُ أَجْرِيهِ عَلَى ذُخْرِ^(١٧)

- (١) القُنَّة: أعلى الجبل وأراد به هنا: ما أشرف من الأرض.
- (٢) الحجر: اسم موضع وهو بالكسر حجر ثمود، وهو موضع عند وادي القرى، وبالفتح هو حجر اليمامة. شعر زهير - صنعة أبي العباس ثعلب -: ٧٦، شعر زهير - صنعة الأعلام -: ١١٤.
- (٣) أقوين: خلون وأقزون. شرح ثعلب: ٧٦، شرح الأعلام: ١١٤.
- (٤) رواية الأغاني: «مذ حجج ومذ دهر».
- (٥) رواية الأعلام: «ومن شهر».
- (٦) ديوانه - صنعة الأعلام -: ١١٤.
- (٧) رواية ثعلب: «للحمد».
- (٨) رواية ثعلب: «للرَّزء».
- (٩) رواية ثعلب: «نَهَاض».
- (١٠) رواية ثعلب: «إلى الذكر».
- (١١) الظنون: الذي ليس يوثق بما عنده، والظنون: البئر القليلة الماء التي لا يوثق بها. ثعلب: ٨١، الأعلام: ١١٩.
- (١٢) تنجه: يواجه بعضها بعضاً. ثعلب: ٨٢، الأعلام: ١٢٠.
- (١٣) أجز: وجمع جرو، والجرو للسياح، وغيرها من الكلاب، وأمثالها، وجمعه أجز. وجراء. شرح شعر زهير - صنعة ثعلب -: ٨٢.
- (١٤) وَرَد: أي تعلق لونه حمرة. شعر زهير الأعلام: ١٢٠.
- (١٥) عُثْرُ: العُثْرُ العُثْرُ. ثعلب: ٨٢، الأعلام: ١٢٠.
- (١٦) أحدان: جمع واحد والهمزة بدل من واو أي يصطاد الرجال واحداً بعد واحد. الأعلام: ١٢١.
- (١٧) دُخْر: ما يُدْخَرُ لما بعد اليوم. الأعلام: ١٢١.

استشهد الشيخ بالبيت على أنه تكثر إفادة تقديم المسند إليه على الفعل، التوكيد والتقوية في مواضع المدح والافتخار؛ لأن من شأن المادح، أو المفتخر أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به، ويباعدهم من الشبهة. قال الشيخ: «... وكذلك يكثر في المدح كقولك: «أنت تعطي الجزيل» «أنت تقري في المَحَل» «أنت تجود حين لا يجود أحد»، وكما قال: وَلَاأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي وكقول الآخر:

«نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى»

وذلك أن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به، ويباعدهم من الشبهة، وكذلك المفتخر^(١).

لهرم ابن سنان في التاريخ مواقف أخلاقية جليلة يُضرب بها المثل، فأراد الشاعر أن يؤكد هذه الأخلاق، فمدحه بمضاء العزم، فهو إذا قَدَّرَ أمراً، أو هَمَّ به مضى، ولم يتوقف لشجاعته، وجراته، وجودة رأيه، ولم يثنه عن عزمه جبن ولا هيبة، فقدم الشاعر المسند إليه على المسند الفعلي؛ ليؤكد هذه الصفات ويقررها في نفوس السامعين، ويمنعهم من الشك فيما يُمدح به، ويباعدهم من الشبهة، وزاد الأمر تأكيداً بإدخال لام التوكيد على المسند إليه. قال الأعلام:

«المعنى: إنك إذا تهيات لأمر مضيت له، وأنفذته، ولم تعجز عنه، وبعضُ القوم يُقَدِّرُ الأمر، ويتهاى له، ثم لا يُقدم عليه، ولا يُمضيه عجزاً وضعف هَمِّه^(٢)».

ثم أنظر إلى موقع «ثم»، وكيف ساعدت على إظهار تقاعسهم عن إ مضاء الأمر.

(١) الدلائل، رضا: ١٠٣-١٠٤، خفاجي: ١٦٩، شاکر: ١٣٤.

(٢) شعر زهير- صنعة الأعلام: - ١٢٠.

الشاهد الثاني والسبعون^(١):

(الزمل)

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ^(٢) نَدْعُو الْجَفَلَى^(٣)

ذكر الشيخ صدر البيت فقط، ومن غير نسبة، وهو لطرفة بن العبد^(٤)،

وعجزه:

لَا تَرَى الْآدِبَ^(٥) فِينَا يَنْتَقِرُ^(٦)»^(٧)

- (١) الدلائل، رضا: ١٠٤، خفاجي: ١٦٩، شاکر: ١٣٥.
- (٢) المشتاة: أيام الشتاء، وأراد وقت القحط. اللسان «شتا»: ٤٢٢/١٤.
- (٣) الجفلى: قال الأخفش: دُعي فلان في النقرى لا في الجفلى، والأجفلى: أي دعي في الخاصة لا في العامة. اللسان «جفل»: ١١٤/١١، وهم يُدعون الجفلى، وهي الدعوة العامة. أساس البلاغة «جفل»: ٦١.
- (٤) هو طرفة بن العبد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الشاعر المشهور (نحو ٨٦ - ٦٠ ق هـ) وكنيته أبو إسحاق ويقال أبو سعد، وقيل: أبو عمرو، وقيل عمرو اسمه. وأمه وردة بنت قتادة ابن مشنؤ، وهو شاعر جاهلي جعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الشعراء، ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد، وكان من ندماء الملك عمرو بن هند الذي أرسله فيما بعد إلى عامله - على البحرين وعمان - المكعبير برسالة يأمره فيها بقتله لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبير، وهو ابن عشرين، وقيل: ابن ست وعشرين.
- انظر ترجمته في:
- طبقات ابن سلام: ١٣٨/١ - ٢٠٢، الشعر والشعراء: ١٩١/١، مختارات ابن الشجري: ١٧٢ - ٢٠٧.
- وانظر كذلك: شعراء النصرانية: ٢٩٨/١ - ٣٢٠، شعر الشعراء الستة الجاهليين: ٤/٢ - ١٠٥، معجم شعراء اللسان: ٢٤٢، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين: ٢٦٩ - ٢٧٠، الأعلام: ٢٢٥/٣.
- (٥) الأدب: الداعي إلى المأدبة.
- (٦) ينتقر: من نقر وانتقر الشيء وتَنَقَّرَهُ، ونَقَرَّ عنه كل ذلك: بحث عنه، ودعاهم النقرى إذا دعا بعضاً دون بعض، والنقرى خلاف الجفلى. اللسان: ٢٣٠/٥.
- (٧) انظر البيت في:

شرح ديوان طرفة بن العبد - دار مكتبة الحياة - ٤٥، النوادر في اللغة: ٨٤، أمالي =

وهو من قصيدة يفتخر بها، ويصف نفسه، وقومه بشدة الكرم، ومطلعتها:
أَصْحَوْتُ الْيَوْمَ أُمَّ شَاقَّتِكَ^(١) هِرَّ^(٢) وَمِنْ الْحُبِّ جُنُونٌ مُسْتَعِزٌّ

وبعده الشاهد وبعده:

حِينَ قَالَ النَّاسُ فِي مَجْلِسِهِمْ أَقْتَارُ^(٣) ذَاكَ أُمَّ رِيحُ قُطْرُ^(٤)
بِجَفَانٍ^(٥) تَعْتَرِي نَادِينَا مِنْ سَدِيفٍ^(٦) حِينَ هَاجَ الصُّبْرِ^(٧)
كَالْجَوَابِي^(٨) لَا تَبِي مُتْرَعَةً^(٩) لِقَرَى^(١٠) الْأَصْيَافِ أَوْ لِلْمُحْتَضِرِ^(١١)

= المرتضى: ٣٤٥/١، مختارات ابن الشجري: ١٨٩. اللسان: «نقر»: ٢٣٠/٥، «جفل»: ١١٤/١١. الإيضاح: ١٤١/١، شرح أبيات الإيضاح: - فيض الله: - ٢٢، شعراء النصرانية: ٣٠١/١.

(١) شاقتك: الشوق والاشتياق نزاع النفس إلى الشيء يقال شاققه الشيء فهو شائق، ومُشوق، وشوقه فَشَوَّقَ أي هيج شوقه. مختار الصحاح: «شوق»: ١٥٣.

(٢) هِرَّ: بلد وموضع في جُفَاف. وهي أرض لاسد وحظلة واسعة يالُفها الطير «هبر»، و«هُرَّ» بالضم والتشديد قف باليمامة.

انظر: معجم ما استعجم: ٣٨٧/٢/١، ١٣٥٠/٤/٢، معجم البلدان: ٣٩٧/٥. اللسان: «هر»: ٢٦٢/٥.

(٣) قُتَار: رائحة اللحم المشوي. اللسان «قتر»: ٧١/٥.

(٤) قُطْر: العود الذي يحرق ليتبخر به، يعني أنهم جادون في وليمتهم. اللسان «قُطر»: ١٠٧/٥.

(٥) جِفَان: جمع جفنة وهي القصعة أي القدر الكبيرة الضخمة. تاج العروس: «جفن»: ١٦٢/٩.

(٦) السديف: شحم السنام المقطع. التاج: «سدف»: ١٣٦/٦.

(٧) الصُّبْر: وهو البرد الشديد القارس، وهو القَرُّ والزمهرير مثله. فقه اللغة: ٣٥٢.

(٨) الْجَوَابِي: الجوبة شبه رهوة تكون بين ظهراي دور القوم يسيل منها ماء المطر، وقيل هي الحفرة المستديرة الواسعة. اللسان «جوب»: ٢٨٦/١، وقال الثعالبي: الجابية الحوض الكبير. فقه اللغة: ٢٩٠.

(٩) المترعة: تَرَعَ الشيء بالكسر ترعاً، وهو تَرَعٌ وَتَرَعٌ: امتلأ. اللسان «ترع»: ٣٢/٨.

(١٠) الْقَرَى: خدمة الضيف واستضافته. اللسان «قرا»: ١٧٩/١٥.

(١١) المحتضر: الذي يأتي الحضر. التاج: «حضر»: ١٤٩/٣.

الشاهد فيه كسابقه، وهو أن المسند إليه قُدِّم على الخبر الفعلي في موضع الافتخار ليؤكد الشاعر ما يريد الافتخار به، ويمنع السامع من الشك فيما يفتخر. فالشاعر في البيت أراد أن يصف قومه بالكرم الشامل، والجود العام، فأخرج هذا الافتخار في أبداع صورة وأغربها، وأجمل أسلوب وآنقه.

فقد اختار الزمن، فأحسن الاختيار، فقدم الجار والمجرور «في المشتاة» على متعلقه «ندعو» ليثبت ويظهر أنهم ليسوا كرماء في وقت الرخاء فقط، فهذا الوقت يكثر فيه المتصارعون على الكرم، أما وقت القحط والجذب حين تنقبض أيدي الكرماء تمتد أيديهم، ويشتد كرمهم، وليس هذا فحسب، فبعد أن وفق في اختيار الزمن أخذ يضيف على موقفهم نوعاً من الغرابة، فهو في وقت الشتاء، وهو وقت القحط تمتد أيديهم للعام والخاص، للصغير والكبير، للغني والفقير، فدعوتهم عامة شاملة، وهذا أعظم ما يكون الكرم.

فاجتماع زمن القحط، وكون الدعوة عامة أمر غريب تتعجب له النفس وتستغربه، وتدهش له.

ولأن الأمر فيه نوع من الغرابة قد يشك السامع فيها، قدم المسند إليه على الخبر الفعلي «نحن في المشتاة ندعو»؛ لينبه الأسماع ويوقظها، حتى إذا ما وقفت النفس على تلك الصفات تقررت فيها وقويت وتأكدت، وزال عنها كل شك.

الشاهد الثالث والسبعون^(١): (الرجز)

«قَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ لَمْ تُكَلِّمْ»^(٢)

ذكره الشيخ من غير نسبة، ولم يذكر نصفه الآخر.

واستشهد به على أن الكلام البليغ هو أن تبدأ بالاسم ثم تبني الفعل عليه،

(١) الدلائل، رضا: ١٠٥، خفاجي: ١٧٠، شاکر: ١٣٦.

(٢) لم أقف عليه فيما اطلعت عليه من مصادر، ولم أعثر على قائله.

فإذا كان الفعل مضارعاً، وقع بعد واو الحال، لم يصلح إلا مبنياً على الاسم؛ لأن الأمر يصير بمعرض الشك. قال:

«فإذا كان الفعل فيما بعد هذه الواو التي يُراد بها الحال مضارعاً لم يصلح إلا مبنياً على اسم، كقولك: «رأيتَه وهو يكتب»، و«دخلت عليه وهو يلي الحديث»^(١).

وعنده أن الفعل إذا كان مما لا يُشك فيه، ولا يُنكر بحال، كان خلفاً من القول أن تأتي به مبنياً على الاسم، فإذا أردت الإخبار عن رجل من عاداته أن يخرج في كل غداة قلت: «قد خرج» ولم تحتج إلى أن تقول: «هو قد خرج»، لأن خروجه ليس بشيء يشك فيه السامع فتحتاج أن تحقّقه، فإن أردت أن تخبر عن حال رجل على نية الركوب والمُضي، ولم يكن شك، وتردد أنه يركب أو لا يركب كان خبرك فيه أن تقول: «قد ركب» ولا تقول: «هو قد ركب»، ولكن إن جئت بهذا الكلام، ووضعتَه بعد واو الحال حسن، لأن الحكم تغير، وصار الأمر بمعرض الشك، وذاك أنه إنما يقول هذا من أنه يصادفه في منزله، وأن يصل إليه من قبل أن يركب، فإن قلت، فإنك قد تقول: «جئته وقد ركب» بهذا المعنى ومع هذا الشك، فإن الشك لا يقوى حينئذ قوته في الوجه الأول^(٢).

الشاهد الرابع والسبعون^(٣): (الطويل)

تَمَزُّتُهَا^(٤) وَالْدِّيكُ يَدْعُو صَبَاحَهُ إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ^(٥) ذَنَوُا فَتَصَوَّبُوا^(٦)^(٧)

- (١) الدلائل، رضا: ١٠٤، خفاجي: ١٧٠، شاکر: ١٣٦.
- (٢) الدلائل، رضا: ١٠٤ - ١٠٥، خفاجي: ١٧٠، شاکر: ١٣٥ - ١٣٦.
- (٣) الدلائل، رضا: ١٠٥، خفاجي: ١٧١، شاکر: ١٣٧.
- (٤) رواية الديوان، والكتاب، والمفصل، ومغني اللبيب، وشرح شواهد المغني: «شربت بها».
- ورواية مجاز القرآن: شربت إذا ما لديك.
- ورواية معاني القرآن للأخفش الأوسط: «بَاكَرْتُهَا والديك...».
- ويبدو أن رواية الدلائل ومن وافقها أدق وأجمل من هذه الروايات لأن التبرز معناه شرب الشراب قليلاً قليلاً فيوجد له طعم. اللسان «مز»: ٤١٠/٥.

أورد الشيخ الشاهد من غير نسبة، وهو للنابعة الجعدي^(١) من قصيدة أولها:

= أصف إلى ذلك أن على كل رواية من الروايات السابقة مأخذا، فرواية «شربت بها والدك يدعو صباحه» عدت شرب بالباء، وهو متعد بنفسه.

ورواية: «شربت إذا ما الدك...» حذف المفعول لغير سر بلاغي.

ورواية: «بأكرتها والدك...» البيت فيه خرم وهو إسقاط الحرف الأول من الجزء الأول، فيما هو مبنى على الأوتاد المجموعة، وذلك يكون في خمسة أوزان من العروض: الطويل، والوافر، والهزج، والمضارع، والمتقارب. كتاب القوافي: ٦٩.

(٥) بنات نعش: من منازل القمر الثمانية والعشرين، شُهِت بحملة العرش في تربيعها، وهي سبعة كواكب: أربعة منها نعش لأنها مربعة، وثلاثة بنات نعش.

وقوله: «إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا» موضع شاهد عند النحاة، فقد استشهد به سيبويه على تذكير بنات نعش، لإخباره عنها بالدنو والتصويب كما يخبر عن الآدميين حيث صارت هذه الأشياء عندهم تؤمر وتطيع وتفهم الكلام بمنزلة الآدميين.

وذكر ابن هشام أن واو ضمير الذكور قد تستعمل لغير العقلاء إذا نزلوا منزلتهم نحو قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ» وذلك لتوجيه الخطاب إليهم، وشذ قوله:

شربت بها والدك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

والذي جرأه على ذلك قوله: «بنو» لا «بنات»، والذي سوغ ذلك أن ما فيه من تغيير نظم الواحد شبهه بجمع التكسير، فسهل مجيئه لغير العاقل، ولهذا جاز تأنيث فعله نحو: «إلا الذي آمن به بنو إسرائيل» مع امتناع قامت الزيدون.

(٦) تصوبوا: التصوب الانحدار. اللسان «صوب»: ٥٣٤/١. أي دنوا من الأفق للغروب.

(٧) انظر البيت في:

ديوان النابعة الجعدي: ٤، الكتاب: ٤٧/٢، مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٨٣/٢، معاني

القرآن للأخفش الأوسط: ٤٢٤، شرح أبيات سيبويه للنحاس: ١٥٠، المقتضب:

٢٢٤/٢، الصحاح «نعش»: ١٠٢٢/٣، الموشح: ١٠٢، الصاحي: ٤١٩، العمد:

٢٨٢/٢ - ٢٨٣، المقتصد في شرح الإيضاح: ٢٠٠/١، شرح المفصل: ١٠٥/٥/١،

معني اللبيب: ٣٦٥/٢، شرح شواهد المغني: ٧٨٢/٢، لسان العرب: «نعش»:

٣٥٥/٦، خزنة الأدب للبغداد: ٨٢/٨، الشاهد رقم (٥٨٩).

(١) ذكر البيت في «الكتاب» و«مجاز القرآن» و«معاني القرآن للأخفش» و«شرح أبيات

سيبويه للنحاس» و«المقتضب» و«الصحاح» و«المقتصد في شرح الإيضاح» =

وَمَوْلَى جَفَتْ عَنْهُ الْمَوَالِي كَأَنَّمَا يُرَى وَهوَ مَطْلَى بِهِ الْقَارُ^(١) أَجْرَبُ

وبعده بيتان قبل الشاهد:

رَئِمْتُ^(٢) إِذَا لَمْ تَرَأْمِ الْبَازِلُ^(٣) ابْنَهَا
وَصَهْبَاءُ^(٤) لَا تُخْفِي الْقَذَى^(٥) وَهِيَ دُونُهُ
وَلَمْ يَكْ فِيهَا لِلْمُسِينِ^(٦) مَحَلُّ
تُصَفُّ^(٧) فِي رَاوُوقِهَا^(٨) ثُمَّ تُقَطَّبُ^(٩)

وبعدهما الشاهد وبعده:

وَيَبْضَاءُ مِثْلَ الرَّثْمِ^(١٠) لَوْ شِئْتُ قَدْ صَبْتُ
إِلَيَّ وَفِيهَا لِلْمُحَاضِرِ مَلْعَبُ
موضع الشاهد قوله: «وَالدَّيْكَ يَدْعُو صَبَاحَهُ».

والشاهد فيه كسابقه، وهو أن الكلام البليغ أن تبدأ بالاسم، ثم تبني الفعل عليه، فإذا كان الفعل مضارعاً، وقع بعد واو الحال لم يصلح إلا مبنياً على الاسم؛ لأن الأمر يصير بمعرض الشك.

= و «شرح المفصل» و «معني اللبيب» و «شرح شواهد المعني» و «خزانة الأدب» من غير نسبة.

ونسبه المرزباني وابن رشيق للناطقة الذيباني.

(١) القار والقيز بالكسر لغتان: وهو صُعد يذاب فيستخرج منه القار، وهو شيء أسود يُطلى به

السفن فيمنع الماء من الدخول، وكذا الإبل عند الجرب. اللسان: «قيز»: ١٢٤/٥.

(٢) رَئِمْتُ: عطفْتُ وهو من رَئِمْتُ الناقة ولدها تَرَأْمُهُ رَأْمًا وَرَأْمَانًا عطفْتُ عليه، ولزمته. اللسان «رأم»: ٢٢٣/١٢.

(٣) البازل: الناقة التي بُزِلَ نابها أي شُق. اللسان: «بزل»: ٥٢/١١.

(٤) المبسين: جمع مُبْسٍ، وهو الذي يقول للناقة ببس حتى تدر. اللسان: ٢٧/٦.

(٥) وصهباء: أي رب صهباء، وهي الخمر المصنوعة من العنب. فقه اللغة: ٢٧٦.

(٦) القذَى: القذَى في الشراب ما يقع فيه من ذباب وغيره. التاج: «قَذَى»: ٢٨٩/١٠.

(٧) تُصَفُّ: التصفيق تحويل الشراب من إناء ممزوجاً ليصفو. اللسان «صفق»: ٢٠٢/١٠.

(٨) الراووق: ناجود الشراب، الذي يروق به فيصفى، والشراب يتروق منه بغير عصر. أي المصفاة: «روق»: ١٣٤/١٠.

(٩) تُقَطَّبُ: تمزج بالماء. اللسان: «قطب»: ٦٨٠/١.

(١٠) الرُّثْمُ: بالكسر: الطبي الخالص البياض، وجمعه أرآم وأرَام. اللسان: «رأم»: ٢٢٤/١٢.

فالشاعر هنا أراد أن يصف الوقت الذي ترتاح فيه نفسه للشرب، فجاء بنواو الحال، وقَدَّم المسند إليه على الفعل ليبالغ في وصفه بشدة البكور، فيمنع بذلك المستمع من الشك في الخبر، وهذا أحسن وأدق وصفاً مما لو قال: «تَمَزَّزْتُهَا وَيَدْعُو الدِّيْكَ صَبَاحَهُ»

وفي جعل الديك ينادي على الصباح لطافة وحسن تعبير وأناقة وابتكار.

د - مواضع التقديم والتأخير - مثل وغير

الشاهد الخامس والسبعون^(١): (السريع)

مِثْلُكَ يُثْنِي الْمُزْنَ^(٢) عَنْ صَوْبِهِ^(٣) وَيَسْتَرْدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ^(٤)،^(٥)

ذكره الشيخ من غير نسبة، وهو لأبي الطيب المتنبي من قصيدة له قالها يعزي أبا شجاع عضد الدولة^(٦) - وقد ماتت عمته - ومطلع القصيدة:

(١) الدلائل، رضا: ١٠٦، خفاجي: ١٧٢، شاعر: ١٣٨.

(٢) رواية الديوان والدلائل تحقيق شاعر وشرح أبيات الإيضاح، وبغية الإيضاح: «مِثْلُكَ يُثْنِي الْحَزْنَ عَنْ صَوْبِهِ».

ورأى الأستاذ عبد المتعال الصعيدي أن رواية «المزن» لا تناسب مقام الرثاء، وكذلك رأى الشيخ عبد الهادي العدل في كتابه (دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر) أن رواية «المزن» تحريف لم يظن الناشر له. وأثبت الخطيب في الإيضاح والشيخ محمد رشيد رضا والأستاذ عبد المنعم خفاجي رواية «المزن» من غير تعليق أو إنكار.

(٣) الصوب: نزول المَطَر وهو أيضاً القصد، فلان مستقيم الصُوب إذا لم يَزِغْ عن قصده يميناً وشمالاً في مسيره. اللسان «صوب»: ٥٣٦/١.

(٤) غربه: الغروب: مجاري الدمع، وللعين غريان، مقدمها ومؤخرها. قال الأصمعي: يقال بعينه غرب إذا كان يسيل، ولا تنقطع دموعها، والغَرْبُ مسيل الدمع، والغَرْبُ: انهماله من العين، والغُرُوب: الدموع حين تخرج من العين، والغُرُوب أيضاً مجاري الدمع. اللسان «غرب»: ٦٤٢/١.

(٥) انظر البيت في:

ديوانه بشرح العكبري: ٢١٦/١، نهاية الإيجاز: ١٢٤، الإيضاح: ١٤٨/١، شرح أبيات الإيضاح: - فيض الله: - ٢٢ ب.

(٦) هو السلطان عضد الدولة «أبو شجاع» فناخسروين ركن الدولة حسن بن بُويه الديلمي، =

آخِرُ مَا الْمَلِكُ مُعَزَّى بِهِ هَذَا الَّذِي أَثَّرَ فِي قَلْبِهِ

وقبل الشاهد:

حَاشَاكَ أَنْ تَضْعَفَ عَنْ حَمَلِ مَا وَقَدْ حَمَلْتَ الثَّقْلَ مِنْ قَبْلِهِ
يَدْخُلُ صَبْرُ الْمَرْءِ فِي مَدْحِهِ تَحْمَلُ السَّائِرُ^(١) فِي كُتْبِهِ
فَأَغْنَتِ الشَّدَّةُ عَنْ سَخْبِهِ وَيَدْخُلُ الْإِشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ^(٢)

وبعدها الشاهد وبعده:

إِيْمَا^(٣) لِإِبْقَاءِ عَلَى فَضْلِهِ إِيْمَا لِتَسْلِيمِ إِلَى رَبِّهِ
وَلَمْ أَقْلْ مِثْلَكَ أَغْنِي بِهِ سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشْبِهِ

تملك فارس بعد عمه عماد الدولة، ثم اتسعت مملكه، وسار إليه المتنبّي، ومدحه وأخذ صلاته.

قصد عضد الدولة العراق، والتقى بآبن عمه عز الدولة وقتله، وتملك العراق، ودانت له الأمم، كان بطلاً شجاعاً مهيباً نحوياً أديباً عالماً جباراً عسوقاً شديد الوطأة، وله صنف أبو علي الفارسي كتابي «الإيضاح» و«التكملة» ومدحه فحول الشعراء، وكانت وفاته سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ببغداد ودفن بمشهد النجف، وحكم بعده ابن صمصام الدولة. انظر ترجمته:

يتيمة الدهر: ٢١٦/٢ - ٢١٨، الكامل لابن الأثير: ١١٣/٧ - ١١٥، العبر: ١٣٨/٢ - ١٣٩، وفيات الأعيان: ٥٠/٤ - ٥٥، النجوم الزاهرة: ١٤٢/٤ - ١٤٣، بغية الوعاة: ٢٤٧/٢ - ٢٤٨، شذرات الذهب: ٧٨/٣ - ٧٩، سير أعلام النبلاء: ٢٤٩/١٦ - ٢٥٢.

(١) السائر: الذي حمل إليه الكتاب بوفاتها يقول: إذا كان قد أطاق حمل ذكر وفاتها، فحكم قلبك أن يكون أشد طاقة له، وهذه مغالطة، وإنما أراد تسكينه، فتوصل إليه بكل وجه. شرح العكبري: ٢١٦/١.

(٢) ثلبه ثلباً: إذا صرّح بالعيب فيه، وتنقصه. قال الراجز: «لا يحسنُ التّعريضُ إلا ثلْباً». والمثالب: العيوب، الواحد «مثلبة». شرح العكبري: ٢١٦/١.

(٣) إِيْمَا: يريد إِيْمَا أَنشد ثعلب قال: يَا لِيْتِمَا أُنْشَأْتُ نِعَامَتَهَا أِيْمَا إِلَى جَنَّةٍ أِيْمَا إِلَى نَارٍ والمعنى: أنك إذا فعلت ما قلت لك: إما لتبقى، فلا تهلك من الجزع، وإما لتسلم الأمر إلى الله، فإن الأمر له فيما شاء في عباده. شرح العكبري: ٢١٧/١.

استشهد الشيخ بالبيت على أنه إذا قُصد بـ «مثل» ما أُضيفت إليه، ولم يقصد بها المعنى اللغوي الظاهر، وهو الشبيه والنظير - أي إذا استعملت كناية من غير تعريض - كان تقديمها على الخبر الفعلي كاللزام، «وإنما كان التقديم فيها كاللزام، ولم يكن لازماً؛ لأنه لا شيء يوجبه من جهة القياس»، ولا من جهة الكناية، وإنما هو مما يساعد على الغرض المقصود منها، وهي حاصلة مع التقديم والتأخير، فليس هذا اللزوم إلا في استعمال البلغاء^(١).

والسر في تقديم مثل، وغير، إفادة تقوي الحكم. قال البهاء السبكي:

«والسر فيه أن تقديمهما^(٢) يفيد تقوي الحكم^(٣)».

قال الشيخ:

«ومما يرى تقديم الاسم فيه كاللزام «مثل» و«غير» في نحو قوله: مِثْلُكَ يَثْنِي الْمُرْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمَاعَ عَنْ غَسْرِهِ وقول الناس: «مثلك رعى الحق والحرمة»، وكقول الذي قال له الحجاج: لأحملنك على الأدهم يريد القيد، فقال على سبيل المغالطة: ومثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، وما أشبه ذلك مما لا يقصد فيه بمثل إلى إنسان سوى الذي أُضيف إليه، ولكنهم يعنون أنَّ كل من كان مثله في الحال والصفة كان من مقتضى القياس، وموجب العرف، والعادة أن يفعل ما ذكر أو أن لا يفعل^(٤)».

«ووجه الدلالة فيه: أنه إذا ثبت أن من كان مثله، وعلى أخص أوصافه يفعل كذا، أو لا يفعل لزم عقلاً أنه هو أيضاً يفعله أو لا يفعله، لأن ما ثبت لأحد المثلين أو نفي عنه يجب أن يثبت مثله للآخر، أو ينفي عنه، فكأنك تقول: أنت تفعل كذا؛ لأن مثلك يفعله، فهو من استعمال الملزوم في اللزوم^(٥)».

(١) بغية الإيضاح: ١٥٦/١.

(٢) يقصد «مثل وغير».

(٣) شروح التلخيص: - عروس الأفراح -: ٤٢٥/١.

(٤) الدلائل، رضا: ١٠٦ - ١٠٧، خفاجي: ١٧٢، شاکر: ١٣٨ - ١٣٩.

(٥) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر: ٢٨٩.

وذكر الشيخ أن هذا الأسلوب الكنائي أفخم من الأسلوب الصريح، فهو مركز في الطباع، وجار في عادة كل قوم، فلو قيل: «يثني المزن عن صوبه مثلك»، و«رعى الحق والحرمة مثلك» رأيت كلاماً مقلوباً عن جهته، ومغيراً عن صورته، ورأيت اللفظ قد نبا عن معناه، ورأيت الطبع يأبى أن يرضاه^(١).

فالشاعر في البيت أراد أن يصف الممدوح بقوة الصبر، والجلد عند المصاب، فأخذ يقوِّي هذا المعنى في نفس ممدوحه، فجاء بـ «مثل» مضافة إلى ضمير المخاطب «الممدوح» وأراد بذلك أنت «... تقدر على دفع الحزن عن قصده، وتغلبه بالصبر، وترد الذم إلى قراره ومجراه، بأن تصرفه عن المجرى، وكيف لا تفعل هذا وأنت لا شبه لك^(٢)».

وهذا الأسلوب أمضى للعزم، وأدعى للصبر، وأحث على الجلد، وأريح للنفس.

الشاهد السادس والسبعون^(٣):

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلُكَ أَغْنِي بِي سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشْبِهٍ^(٤)
أورد الشيخ البيت من غير عزو، وهو للمتنبي من قصيدته التي منها الشاهد

(١) الدلائل، رضا: ١٠٧-١٠٨، خفاجي: ١٧٣، شاکر: ١٤٠.

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح المكبري: ٢١٦/١.

(٣) الدلائل، رضا: ١٠٧، خفاجي: ١٧٣، شاکر: ١٣٩.

(٤) ذكر الشيخ عبد القاهر في المختار من دواوين المتنبي والبحري وأبي تمام، أن البيت قبل الشاهد «وجعل القافية ساكنة»:

يَمُوتُ رَأْيِي الضَّأْنُ فِي جَهْلِهِ مَوْتَةَ جَالِيْنُوسٍ فِي طَبِّهِ
وهذا البيت في الديوان هو الخامس عشر من القصيدة، وبيت الشاهد هو البيت الأخير منها وهو الخامس والثلاثون.

انظر البيت في:

الديوان بشرح المكبري: ٢١٧/١، الطرائف الأدبية: ٢٠٥، وفي التمثيل والمحاضرة ذكر أربعة أبيات من القصيدة، ولم يذكر ضمنها بيت الشاهد: ٤٠٥، الإيضاح: ١٤٧/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٢٢ ب.

السابق، والتي قالها لتعزية عضد الدولة، وقد ماتت عمته، وهو آخر بيت في القصيدة.

استشهد به الشيخ للتنظير على القول الذي ساقه في بيان أن مقصوده من «مثل» التي يكون تقديمها كاللأزم هي ما كان معناها نفس المعنى الذي قصده الشاعر، وهو (أنت أعني لا سواك) أي أن المقصود بها ما أضيفت إليه دون التعريض.

الشاهد السابع والسبعون^(١): (البسيط)

«غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا^(٢) النَّاسِ يَنْخَدِعُ^(٣)»

ذكر الشيخ الصدر دون العجز ومن غير نسبة، وهو لأبي الطيب المتنبّي، والشاهد مطلع قصيدة قالها في مدح سيف الدولة^(٤)، ويذكر فيها الوقعة التي

- (١) الدلائل، رضا: ١٠٧، خفاجي: ١٧٣، شاکر: ١٣٩.
(٢) الناس اسم من أسماء الجموع عبر عنه بإشارة الواحد على اللفظ لا على المعنى، ولو أراد المعنى لقال: هؤلاء. شرح الديوان للعكبري: ٢٢١/٢.
(٣) ينخدع: يغتر، وأصله من خدع الضُّبُّ في حجره إذا دخل فيه، ومنه قول الشاعر- الممزق العبدى:-
أَرُقْتُ فَلَمْ تَخْدَعْ بِعَيْنِي نَعْسَةً وَمَنْ يَلْقُ مَا لَاقَيْتُ لَا بُدَّ يَأْرُقُ
أي لم تدخل بعيني نعسة، والخداع: المنع، والخداع: الحيلة، وَخَدَعَ الضُّبُّ يَخْدَعُ خَدْعًا، وانخدع: استروح ريع الإنسان، فدخل في حُجْرِهِ لثلا يحترش، والخدع إظهار خلاف ما تخفيه، وخدعه يخدعه خدعًا بالكسر مثل سحره يسحره سحرًا. اللسان: «خدع»:
٦٦ - ٦٣/٨.

- (٤) ذكر صاحب العرف الطيب أنه قالها في رثاء أبي شجاع فاتك، وقد توفي بمصر سنة (٣٥٠هـ) العرف الطيب: ٣١/٤.

وليس البيت عنده مطلع القصيدة، بل مطلعها:
الْحُزْنُ يُقْلِقُ وَالتَّجْمُلُ يَرْدَعُ وَالذَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِي طَبِيعُ
وبيت الشاهد هو البيت الثاني والأربعون منها.
وقبله:

لَا قَلْبَتْ أَيْدِي الْفَوَاسِ بَعْدَهُ رُمْحاً وَلَا حَمَلَتْ جَوَاداً أَرْبَعُ

حدثت في جمادي الأولى سنة تسع وثلاثمائة، وهي الواقعة التي نكب فيها المسلمون^(١).

وعجز البيت:

إِنْ قَاتَلُوا جَبُّوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا^(٢)

وبعده:

أَهْلُ الْحَفِظَةِ إِلَّا أَنْ تُجَرَّبَهُمْ وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ الْغَيِّ مَا يَزْعُ
وَأَقَا الْحَيَاةِ وَنَفْسِي بَعْدَ مَا عَلِمْتُ أَنَّ الْحَيَاةَ كَمَا لَا تَشْتَهِي طَبْعُ
والبيت شاهد على أن «غير» إذا سلك بها مسلك «مثل» كانت مثلها في الحكم.

قال الشيخ:

وكذلك حكم «غير» إذا سلك به هذا المسلك فقل: «غيري يفعل ذاك»، على معنى أنني لا أفعله، لا أن يؤمىء بـ «غير» إلى إنسان فيخبر عنه بأن يفعل كما قال:

«غيري بأكثر هذا الناس ينخدع»، وذاك أنه معلوم أنه لم يُرد أن يُعرض بواحد كان هناك، فَيَسْتَنْقِضَهُ، وَيَصِفُهُ، بأنه مضعوف يُغَرُّ وَيُخَدَّع، بل لم يُرد إلا أن يقول: «إنني لست ممن ينخدع، وَيَغْتَرَّ»^(٣).

وبعد الشاهد:

أهل الحفظة....

(١) جاء في تاريخ الطبري والكمال لابن الأثير: أن سيف الدولة بن حمدان دخل إلى بلاد الروم فغزا، وأوغل فيها، وفتح حصوناً كثيرة وسبى، وغنم، فلما أراد الخروج من بلد بالروم أخذوا عليه المضايق فهلك من كان معه من المسلمين أسراً وقتلاً، واسترد الروم الغنائم والسبي، وغنموا أثقال المسلمين وأموالهم، ونجا سيف الدولة في عدد يسير.

انظر: تاريخ الطبري: ٣٧٢/١١، الكامل لابن الأثير: ٣٣٤/٦.

(٢) ديوانه بشرح العكبري: ٢٢١/٢، العرف الطيب: ٣٩/٤.

(٣) الدلائل، رضا: ١٠٧، خفاجي: ١٧٣، شاكراً: ١٣٩.

وهذا الاستعمال الكنائسي لـ «غير» أبلغ وأقوى من الأسلوب الصريح؛ لأنه كدعوى الشيء بيينة^(١).

«ووجه الدلالة: أنك إذا حكمت على غيرك على سبيل العموم بحكم لازم ثبوت ضده لك، فإذا نفيت عن غيرك أمراً لازم ثبوت ضده لك، وإذا أثبت له أمراً لازم نفيه عنك، فالذي يقول: «غيري ينخدع» أثبت لغيره الانخداع، فلزم نفيه عن نفسه، والذي يقول: «غيرك لا يوجد، نفى عن غير المخاطب الجود، فلزم إثباته له، وهكذا»^(٢).

الشاهد الثامن والسبعون: (٣):

قال أبو تمام:
وَعِيرِي يَأْكُلُ^(٤) الْمَعْرُوفَ سُحْتاً^(٥) وَتَشْحُبُ^(٦) عِنْدَهُ بَيْضُ^(٧) الْأَيَادِي^(٨)

- (١) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر: ٢٩٢.
- (٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.
- (٣) الدلائل، رضا: ١٠٧، خفاجي: ١٧٣، شاکر: ١٣٩.
- (٤) يأكل: يجهد.
- (٥) السُّحْتُ والسُّحْتُ كل حرام قبيح الذُّكْرِ، وقيل: هو ما خَبُثَ من المكاسب وحُرِّمَ، فَلَزِمَ عنه العار، والسُّحْتُ: الحرام الذي لا يَجُلُ كُتْبُهُ؛ لأنه يَسْحَتُ البركة أي يُذْهِبُهَا. اللسان «سحت»: ٤١/٢.
- (٦) رُوي الفعل في شرح أبيات الإيضاح مبنياً للمجهول: «تُشْحَبُ» وَتَشْحَبُ: من شَحَبَ لونه وجسمه يَشْحَبُ، وَيَشْحَبُ بالضم شحوباً، وَشَحْبُ شُحُوْبَةٍ، تَغْيَرُ من هُزَالٍ، أو عمل، أو جوع أو سفر. اللسان: «سحب»: ٤٨٤/١.
- (٧) بيض الأيادي: وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف، وهو مجاز بليغ، فالمراد بالأأيادي هنا النعم، والمراد ببياضها شهرتها، وأنها غير مشوبة بالَمَنِّ. شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٢٣ أ.
- (٨) انظر البيت في:

ديوان أبي تمام - دار صعب -: ٧٢ - ٧٣، شرح ديوان أبي تمام محمد محيي الدين عبد الحميد: ٢٣٠/١، الإيضاح: ١٤٩/١، شرح أبيات الإيضاح: - فيض الله -: ٢٣ أ.

وهو من قصيدة يمدح بها أبا عبد الله أحمد بن أبي داود^(١)، ويعتذر إليه عما اتهمه به الوشاة من أنه^(٢) هجاء، ومطلع القصيدة:

سَقَى عَهْدَ الْحِمَى سَبْلُ^(٣) الْعِهَادِ وَرَوْضَ حَاضِرٍ مِنْهُ وَبَادِ^(٤)

وقبل الشاهد:

وَكَانَ الشُّكْرُ لِلْكَرَمَاءِ خَضَلًا وَمَيْدَانًا كَمَيْدَانِ الْجِيَادِ
عَلَيْهِ عُقِدَتْ عُقْدَتِي^(٥) وَلَاخَتْ مَوَاسِمُهُ عَلَى شِيَمِي وَعَادِي

(١) هو القاضي أبو عبد الله أحمد بن أبي داود فرج بن جرير القاضي (١٦٠ هـ - ٢٤٠ هـ) كان فصيحاً مفوهاً وشاعراً جواداً ممدحاً رأساً في النجهم، وهو الذي شغب على الإمام أحمد بن حنبل وأفتى بقتله، وكان من المعتزلة، وله مكانة عند المأمون والمعتصم، وهو أول من بدأ الخلفاء بالكلام، وكانوا لا يتكلمون حتى يتكلموا، وكان بينه وبين ابن الزيات ضغينة ومهاجاة عظيمة، توفي بالقالج في خلافة المتوكل.

انظر ترجمته:

تاريخ الطبري: ١٩٧/٩، أخبار أبي تمام: ١٤١ - ١٥٧، تاريخ بغداد: ١٤١/٤ - ١٥٦، العبر: ٣٣٩/١، ميزان الاعتدال: ٩٧/١، وفيات الأعيان: ٨١/١ - ٩١، لسان الميزان: ١٧١/١، شذارت الذهب: ٧٥/٢ - ٨٧ - ٩٣، سير أعلام النبلاء: ١٦٩/١١.

(٢) جاء في أخبار أبي تمام:

إن أبا تمام مر بقوم فاستوقفوه وسألوه: أي رجل أنت لو لم تكن في اليمن، فقال: ما أحب أني بغير الموضع الذي اختاره الله لي، فمن تحبون أن أكون، فقالوا: من مضر، فقال: أبو تمام إنما شرفت مضر بالنبي ﷺ، ولولا ذلك ما قيسوا بملوكنا، وفينا كذا، وفينا كذا، ففخر وذكر أشياء عاب نفرأ من مضر، فانتقل الخبر إلى ابن أبي داود، وزادوا عليه، فقال: ما أحب أن يدخل إلي أبو تمام، فليحجب عني، فقال أبو تمام الأبيات يعتذر إليه ويمدحه.

انظر أخبار أبي تمام: ١٤٧ - ١٤٨.

(٣) رواية - دار صادر: - سبيل، ويروى: «صوب العهاد»، وسبيل العهاد: مطر يجيء بعضه في إثر بعض.

انظر فقه اللغة: ٢٨٥.

(٤) ديوانه - دار صادر: - ٧١، شرح الديوان - محمد محيي الدين: - ٢٢٣.

(٥) ويروى «عليه عُقِدَتْ عَوْذِي»، والعَوْذ - بضم العين، وفتح الواو وجمع عوذة، وهي ما يوضع

على الصبي ليقه العين والحسد» نقلاً عن شرح ديوان أبي تمام - محمد محيي الدين: -

٢٣٠.

وبعدهما الشاهد و بعده:

تَثَبَّتْ إِنْ قَوْلًا كَانَ زُورًا أَتَى النُّعْمَانَ قَبْلَكَ عَنْ زِيَادٍ^(١)
وَأَرَّثَ^(٢) بَيْنَ حَيٍّ بَنِي^(٣) جُلَاحٍ شَبَا حَرْبٍ وَحَيٍّ بَنِي مُصَادٍ^(٤)
وَعَادَرَ فِي صُدُورِ الدُّهْرِ قَتْلَى بَنِي بَدْرِ^(٥) عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ^(٦)
فَمَا قَدْ^(٧) حَاكَ لِلْبَّارِي وَلَيْسَتْ مُتَوْنُ صَفَاكَ مِنْ نُهْزِ الْمُرَادِي
وَلَوْ كَشَفْتَنِي لَوَجَدْتُ خِرْقًا يُصَافِي الْأَكْرَمِينَ وَلَا يُصَادِي

الشاهد في البيت كابقه، فالشاعر هنا لم يرد التعريض بشاعر آخر، فيزعم أن ما اتهم به عند الممدوح كان من ذلك الشاعر، بل كل الذي أرادته هو أن يقوي معنى براءته في نفس الممدوح، بقوله: «إني لا أكل معروفك سحتاً، ولا أتعاطى إحسانك حراماً، ولا تتغير عندي أياديك البيض، وعطايك المشهورة الجميلة الصافية عن الشوائب بالكفران والغمط، ولما اتهمتُ به من الهجاء^(٨)».

قال الشيخ:

-
- (١) المقصود بزياد هنا: النابغة الذبياني، والمقصود بالنعمان النعمان ابن المنذر ملك العرب في الحيرة، وكان قد بلغ النعمان أن النابغة يشبب بأمراته، فحقد عليه النعمان، فهرب النابغة، ثم ما زال يعتذر له بقصائد جياد حتى صفح عنه.
انظر: الأغاني: ٨/١١ - ١٤ - ٢٨ - ٢٩.
- (٢) أرَّث: أفسد، والتأريث الإغراء بين القوم، وهو من أرَّث النار أوقدها. اللسان «أرث»: ١١١/٢.
- (٣) بنو جلاح: أصل اسمهم «بنو الجلاح» بالألف واللام، وهم من كلب بن وبرة.
انظر: جمهرة أنساب العرب: ٤٥٨.
- (٤) بنو مُصَاد: هم من بني عليم بن جناب ويرجعون في نسبهم إلى كلب ابن وبرة.
انظر: جمهرة أنساب العرب: ٤٥٧.
- (٥) بنو بدر: أراد حذيفة بن بدر وأخوته. جمهرة أنساب العرب: ٢٥٦.
- (٦) ذات الإصَاد: الردهة التي قَتَلَ عليها قيس بن زهير حذيفة بن بدر، وهي موضع ماء بالهباءة. معجم ما استعجم: ١٦٢/١.
- (٧) قَدْحَاكَ: القَدْحُ: السهم قبل أن يُرَاشَ ويُصَلَّ. اللسان «قدح»: ٥٥٦/٢.
- (٨) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٢٣ أ.

«لم يرد أبو تمام بقوله:

وَغَيْرِي يَأْكُلُ الْمَعْرُوفَ سُخْتًا وَتَشَحَّبُ عِنْدَهُ بَيْضُ الْأَيْدِي

أن يعرض مثلاً بشاعر سواه، فيزعم أن الذي قُرف^(١) به عند الممدوح من أنه هجاه كان من ذلك الشاعر لا مِنْهُ، هذا محال، بل ليس إلا أنه نفى عن نفسه أن يكون ممن يَكْفُرُ النِّعْمَةَ ويلُومُ^(٢)».

وما أجمل تصويره إنكار المعروف في صورة أكل السحت، للتقبيح والتشنيع من هذا الفعل.

وفي قوله: «تَشَحَّبُ عِنْدَهُ بَيْضُ الْأَيْدِي» مجاز رائع بليغ، وهو مجاز مرسل علاقته المحلية، لأن اليد هي محل النعمة وموضعها، فالعرب يطلقون اليد، ويريدون بها النعمة.

فالروعة في هذا المجاز أنه أتى في جملة تلاحمت أجزاؤها، وتشابكت ألفاظها، فخرجت صورة رائعة ومختصرة عن الشخص اللئيم الذي ينكر الفضل العظيم، فعبر عن النعمة باليد، وعبر عن عظمها وفضلها بالبياض، ثم عبر عن إنكارها بالشحوب وتغير اللون، وقَدَّم الظرف «عنده» على «بيض الأيدي» إمعاناً في وصفه باللؤم.

(١) قُرف أي اتهم. اللسان «قرف»: ٣٨٠/٩.

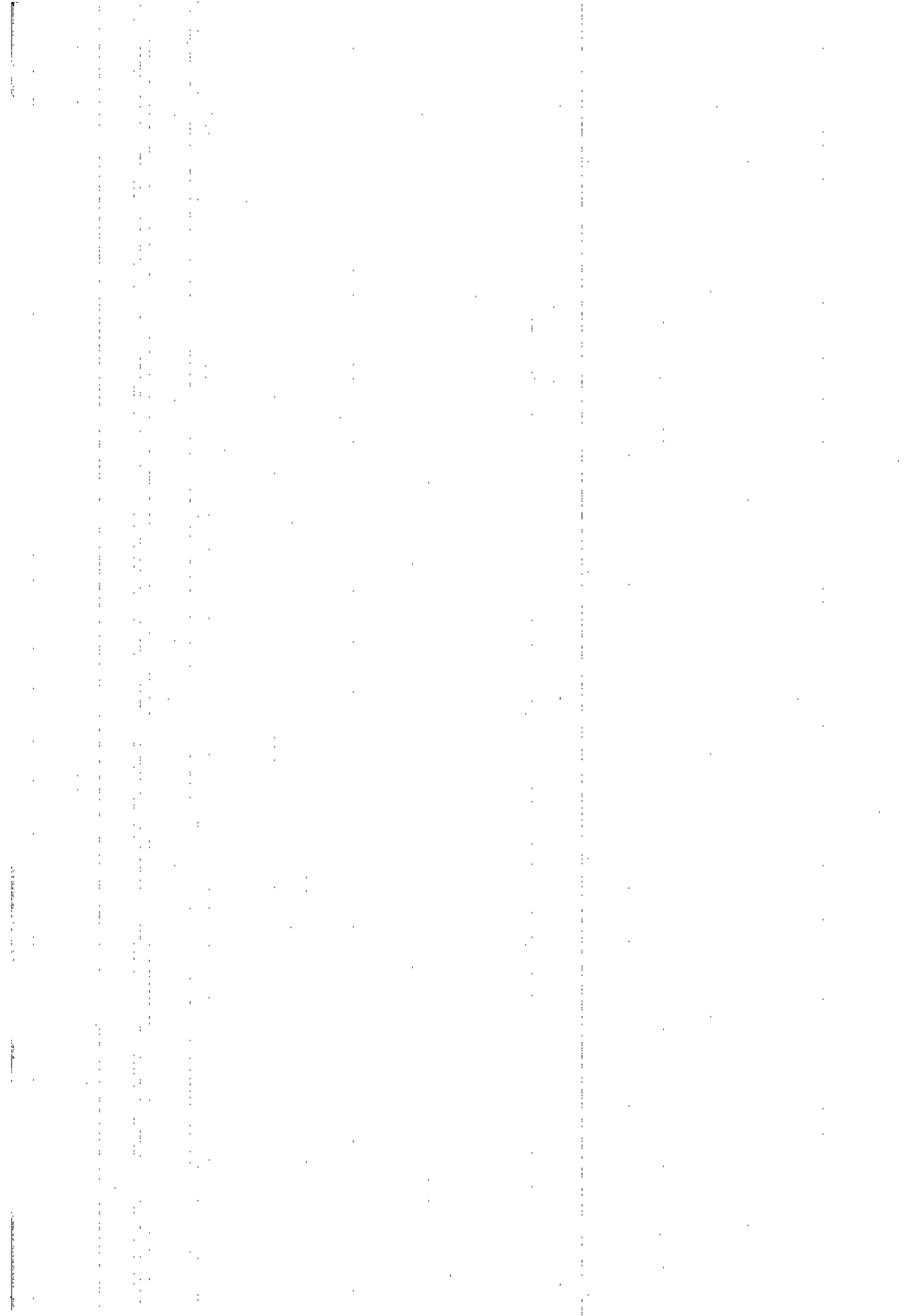
(٢) الدلائل، رضا: ١٠٧، خفاجي: ١٧٣، شاکر: ١٣٩.

الفصل الخامس

شواهد القول في الحذف

أ — حذف المبتدأ.

ب — حذف المفعول به.



الحذف:

قدم الشيخ عبد القاهر لهذا الفصل بمقدمة بيّن فيها أهميته في التراكيب اللغوية، وأثر هذه التراكيب في نفس السامع أو القاريء، فهو «... باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر»^(١).

ثم عرض بعد ذلك كثيراً من الشواهد التي لم يزد فيها على أن بين موضع الحذف، ثم ترك للقاريء حرية التدقيق.

وقد تحدث في هذا الفصل عن:

١ - حذف المبتدأ.

٢ - حذف المفعول به.

وفيما يلي سأعرض شواهد في هذا الفصل محاولة بيان ما ظهر لي من أسرار الحذف.

(١) الدلائل، رضا: ١١٢، خفاجي: ١٧٨، شاکر: ١٤٦.

أ - حذف المبتدأ

(البسيط)

الشاهد التاسع والسبعون^(١):

أَعْتَادَ قَلْبِكَ مِنْ لَيْلَى^(٢) عَوَائِدُهُ^(٣) وَهَاجَ أَهْوَاءَكَ^(٤) الْمَكْنُونَةَ الظَّلَّلُ
رَبِّعَ^(٥) قَوَاءٍ^(٦) أَذَاعَ^(٧) الْمُعْصِرَاتُ بِهِ^(٨) وَكُلَّ حَيْرَانَ^(٩) سَارٍ^(١٠) مَأْوُهُ خَضِلُ^(١١) (١٢)

- (١) الدلائل، رضا: ١١٢، خفاجي: ١٧٨، شاکر: ١٤٦.
- (٢) رواية الكتاب، وشرح أبيات سيويه للنحاس، والخصائص، شرح أبيات سيويه للسيراقي، والمغني: «اعتاد قلبك من سلمى».
- (٣) رواية شرح أبيات سيويه للنحاس: «عوائدها».
- (٤) رواية شرح أبيات سيويه للنحاس: «وهاج أهوالها».
- (٥) ورواية مغني اللبيب وشرح شواهد المغني: «وهاج أحزانك»، ورواية الأهواء أجود لأنها أعم وأشمل، فهي تشمل الحزن، وكل ما يضطرب في جوانح النفس من أحاسيس تهيجها الذكريات.
- (٦) الربع: المنزل والموضع الذي أقاموا به، وهو من رَبَّعَ بالمكان أقام به، وأقاموا في ربعمهم وربوعهم ورباعهم، وهذا مربعمهم. أساس البلاغة: «ربيع»: ١٥٢.
- (٧) قواء: أي قفر خالٍ، أقوت الدار من أهلها، ونزلوا بالقواء والقي: بالفقر. أساس البلاغة «قوى»: ٣٨٣.
- (٨) أذاع المعصرات به: أذهبت وطمست معالمه. اللسان «ذيع»: ٩٩/٨.
- (٩) رواية شرح شواهد المغني: «أذاع المعصرات بها».
- (١٠) حيران: السحاب المتحير، وهو سحاب ثقيل متردد ليس له ربيع تسوقه لكثرة مائه، فلا يبرح مكانه حتى يصب مطره. اللسان: «حير»: ٢٢٣/٤ - ٢٢٤.
- (١١) سار: عام، وهو من: سار الشيء وسرته، قَعَمَ. اللسان: «سير»: ٣٩٠/٤.
- (١٢) خَضِلُ: أي غزير شديد. هو من: أخضلتنا السماء: بَلَّتْنَا بَلًّا شديداً. اللسان: «خضل»:

٢٠٨/١١

(١٢) لم أفق على البيتين في ديوانه:

البيتان ذكرهما الشيخ من غير عزو، إلا أنه أشار إلى أنهما من أبيات الكتاب.

ونسبهما البغدادي في شرح شواهد المغني^(١) لعمر بن أبي ربيعة^(٢)، وعلى قوله هذا سار كثير من المحققين^(٣).

وموضع الشاهد قوله: «ربع»، والشاهد فيه: رفع «ربع» على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هو ربعٌ قواء اعتاده قلبك مرة بعد مرة. قال سيبويه:

كأنه قال: «وذاك ربعٌ»، أو «هو ربعٌ» رفعه على ذا، وما أشبهه، سمعناه ممن يرويه عن العرب^(٤).

ومُنِعَ حملة على البدل؛ لأن الربع أكثر من الطلل، ولا يجوز أن يبدل الأكثر من الأقل.

ورُوي أن السيرفي أجاز كونه بدلاً^(٥)، وردَّ ذلك ابن جني النحاة. جاء في الخصائص.

انظرهما في:

الكتاب: ٢٨١/١، شرح أبيات سيبويه للنحاس: ١١٦، الخصائص: ٢٢٦/٣ - ٢٩٦/١، شرح أبيات سيبويه للسيرافي: ٣٩١/١. اللسان: «ذيع»: ٩٩/٨، ذكر الشطر الأول من البيت الثاني فقط - مغني اللبيب: ٦٠١/٢، شرح شواهد المغني: ٩٢٤/٢.

(١) نقلاً عن تحقيق شرح كتاب سيبويه للسيرافي حيث ورد فيه «هو عمر بن أبي ربيعة وذلك عند البغدادي في شرحه لشواهد المغني الشاهد (٨٣٤) ورقة ٧٥٥/أ مخطوط استانبول (طبع منه أربعة أجزاء) وفيه (أحزانك) بدل (أهواءك) شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ٣٩١/١.

(٢) ذكر البيتان في الكتاب، وشرح أبيات سيبويه للنحاس، والخصائص، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي. واللسان، والمغني، وشرح شواهد المغني من غير نسبة.

(٣) انظر: معجم شواهد العربية: ٢٩١، الكتاب: - تحقيق عبد السلام هارون -: ٢٨١/١، الخصائص - تحقيق - محمد علي النجار - ٢٢٦/٣، ٢٩٦/١، شرح أبيات سيبويه للسيرافي - تحقيق محمد علي سلطاني - ٣٩١/١، الدلائل - تحقيق - شاکر: ١٤٦.

(٤) الكتاب: ٢٨٢/١.

(٥) ذكر في تحقيق كتاب شرح أبيات سيبويه للسيرافي - محمد علي سلطاني - أنه وجد ذلك =

«والبذل لا يجوز إذا كان الثاني أكثر من الأول، كما يجوز إذا كان الأول أكثر من الثاني، ألا ترى أنهم لم يُجيزوا أن يكون «رَبْعٌ»... بدلاً من «الطلل»، من حيث كان الربع أكثر من الطلل، ولهذا حمّله سيبويه على القطع والابتداء دون البذل والإتباع^(١)».

وذكر ابن هشام علة أخرى لمنع البذل، وهو لئلا يصير الشعر معيياً لتعلق أحد البيتين بالآخر، إذ البذل تابع للمبدل، وهذا ما يسميه علماء القوافي تضميناً^(٢).

ولقد ردد الشيخ عبد القاهر ما قاله سيبويه والنحاة في هذا الموضوع ولم يزد عليهم شيئاً يبين السر البلاغي لهذا الحذف.

فالبيت إذاً محمول على القطع والاستثناف، ولعل السر في هذا الحذف أنه حين طرقت قلب الشاعر الذكريات، ومرت بخياله صور الأطلال هاجت في صدره الأهواء التي كان يكنها وبسترها، وثار شعوره الجيَّاش وإحساسه المتوتر، فقطع الكلام، واستأنف كلاماً جديداً عميق الصلة بكوامن نفسه باعثاً معه زفرات الحسرة والألم على تلك الديار الخالية، وقد أذهبت الأمطار معالمها وطمسها، وقد زاد من حزنه وألمه اشتداد تلك الأمطار على هذه الديار، فالسحاب حيران لا يبرح مكانه حتى يصب مطره، وهذا ما زاد في اندثارها.

واستعماله لفظ «هاج» أضفى على البيت قيمة شعرية، وازدادت هذه القيمة

مذكوراً على حاشية الكتاب. قال المحقق:

«وقال السيرافي على حاشية الكتاب يجوز أن يكون «ربع» بدلاً من الطلل كأنه قال: وهاج أهواءك ربع».

قلت: ولكنه على هذا يفقد المعنى عنصر التأثير إذ يجعل البيتين كليهما لغرض واحد محدد، مع أن في البيت الثاني انطلاقة أخرى مع الذكريات، وتعبيراً مثيراً عن الحسرة والألم لخلو الربع من أهله»: ٣٩٢/١.

(١) الخصائص: ٢٢٦/٣.

(٢) المغني: ٦٠١/٢.

حين أسند الهيجان إلى الطلل الذي هو سبب في هيجان الأشواق المكنونة، لكي يُظهر شدة تلك الأشواق.

«وهو من باب المجاز العقلي». علاقته السببية.

(البسيط)

الشاهد الثمانون^(١):

هَلْ تَعْرِفُ الْيَوْمَ رَسْمَ الدَّارِ وَالطَّلَلَا كَمَا عَرَفْتَ بِجَفْنِ^(٢) الصَّيْقِلِ^(٣) الْخِلَلَا^(٤)
دَارَ لِمَرْوَةٍ إِذْ أَهْلِي وَأَهْلُهُمْ^(٥) بِالْكَانِسِيَّةِ^(٦) نَزَعَى^(٧) اللَّهْوَ وَالْغَزَلَا^(٨)

أورده الشيخ من غير نسبه^(٧)، ونسبه سيويه في الكتاب لعمر بن أبي ربيعة، وهو وارد في ديوانه، وذكر السيرافي في شرح أبيات سيويه أنه نسبهما إلى عَوْج ابن حُزَام الطائي^(٩).

- (١) الدلائل، رضا: ١١٢، خفاجي: ١٧٨، شاعر: ١٤٦.
- (٢) الجفن: غمد السيف. معجم مقاييس اللغة: (جفن): ٤٦٥/١.
- (٣) الصقيل: صانع السيوف وجلاؤها. اللسان «صقل»: ٣٨٠/١١.
- (٤) الخللا: وهو جمع الخلّة، وهي جلود تنقش، وتلبس جفون السيف، فشبه ذهاب الرسوم والآثار بذهاب هذه النقوش وانطماسها. اللسان: «خلل»: ٢٢٠/١١.
- (٥) رواية شرح أبيات سيويه للنحاس: «وأهلها».
- (٦) رواية شرح أبيات سيويه للسيرافي: «بالكامسية».
- والكانسية: موضع، ولم أجده في معجم البلدان لياقوت، ولا في معجم البكري، والموجود هناك «كامس»، وهو مكان بنجد، وجاء في اللسان: الكناسه والكانسية موضعان.
- (٧) انظر البيتين في:
ديوان عمر بن أبي ربيعة - دار صادر: ٣٢٠، الكتاب: ٢٨٢/١، شرح أبيات سيويه للنحاس: ١١٧، شرح أبيات سيويه للسيرافي: ١٩٩/١ - ٢٠٠، اللسان: «كنس»: ٨٣/٨.
- (٨) وذكر البيت من غير نسبة في:
شرح أبيات سيويه للنحاس، اللسان.
- (٩) لم أعثر على ترجمته:
قال السيرافي: «قال سيويه قال عَوْج بن حُزَام الطائي» ثم ذكر أربعة أبيات ساذكرها.

وبعد البيتين:

أَمْسَى شَبَابُكَ عَنَّا الْغَضُّ قَدْ رَحَلَ وَلَا حَ فِي الرَّأْسِ شَيْبٌ حَلٌ فَاشْتَعَلَ
إِنَّ الشَّبَابَ الَّذِي كُنَّا نُزِنُ بِهِ وَلَيْ وَلَمْ نَقْضَ مِنْ لَذَائِهِ أَمَلًا
وَلَيْ الشَّبَابُ حَمِيداً غَيْرَ مُرْتَجِعٍ وَاسْتَبَدَلَ الرَّأْسُ مِنِّي شَرًّا مَا بُدِلَا

وفي شرح أبيات سيبويه للسيرافي ذكر بعد البيت الأول:

رَسْمًا كَسْتُهُ اللَّيَالِي بَعْدَ جِدَّتِهِ دُقَاقُ تُرْبٍ سَفَتُهُ الرِّيحُ فَانْتَحَلَا
وَكُلُّ أَسْحَمَ رَجَافٌ لَهُ رَجَلٌ وَاهِي الْعَزَالِي إِذَا مَا أَنْهَلُ أَوْ وَبَلَا^(١)

والبيتان يستشهد بهما النحاة على رفع «دار» على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره «هي دار» أو «تلك دار»، ولم يجعلوه بدلاً من قوله: «هل تعرف اليوم رسم الدار» بل استأنف الكلام به، ف قيل «دار»، قال النحاس في شرح أبيات سيبويه:

«لم يقل داراً، وقد قال: هَلْ تَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ؛ لأنه لم يعطفه على الفعل، ولكنه ابتداء به كأنه قال: تِلْكَ دَارٌ^(٢)».

وقال السيرافي:

«الشاهد فيه أنه رفع «دار»، والذي قبله: «هَلْ تَعْرِفُ الْيَوْمَ رَسْمَ الدَّارِ»، فلم يجعله بدلاً مما قبله، وأستأنف الكلام به، فقال: «دَارٌ» رفع، وجعله خبر ابتداء محذوف، كأنه قال: هو «دَارٌ لمروءة»^(٣).

إِذَا ذُكِرَتِ الْكَانَسِيَّةُ فَاضَتْ نَفْسَ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ حَنِيناً، وَأَنْبَعَثَتْ فِيهَا الذِّكْرِيَّاتُ الْعَذْبَةُ، فَفِيهَا قَضَى أَجْمَلَ فترات حياته، وفيها ذاق متعة الحياة والصبا، وما أجمل تعبيره عن تلك المتعة بقوله:

«نَرَعَى اللَّهَوَ وَالْغَزْلَا»، فدل على أنها متعة مستمرة لا يشوبها كدر ولا ملل.

(١) شرح أبيات سيبويه للسيرافي: ٢٠٠/١.

(٢) شرح أبيات سيبويه للنحاس: ١١٧.

(٣) شرح أبيات سيبويه للنحاس: ١٩٩/١ - ٢٠٠.

فحين وقعت عين عمر على أطلال دار مروءة تحسّر على أنصرام تلك الأيام
الحلوة، واندثار تلك الديار الحبيبة، وانبعثت من قلبه كلمات حيرى تدل على
الأسى الذي يكابده الشاعر، فلجأ إلى الاستفهام وحمّله كل معاني الحزن
والحسرة التي تضطرم في نفسه، «هَلْ تَعْرِفُ رَسَمَ الدَّارِ وَالطَّلَلَا».

ولأن تلك الرسوم البالية هي رسوم ديار مروءة، حُسنت في عينيه، فشبّها،
بالخلل والنقوش التي تكون على جفون السيف:
«كَمَا عَرَفْتَ بِجَفْنِ الصَّيْقَلِ الْخِلَلَا»

ولشدة تعلقه بتلك الرسوم ضاقت نفسه بألم الذكرى، فقطع الكلام،
واستأنف كلاماً جديداً يعلن فيه سبب تعلقه بتلك الديار - فهي ديار مروءة!
الشاهد الواحد والثمانون^(١):

دِيَارَ مِئَةٍ^(٢) إِذْ مَيَّ تُسَاعِفُنَا^(٣) وَلَا يُرَى مِثْلَهَا عُجْمٌ وَلَا عَرَبٌ^(٤)

- (١) الدلائل، رضا: ١١٣، خفاجي: ١٧٩، شاکر: ١٤٧.
(٢) ذكر شارح الديوان الإمام أبو نصر الباهلي أنه يُروى «دَارَ لِمِئَةٍ» اتفق الرواة على أن «مِئَةٍ»
هذه هي حفيدة الصحابي الجليل قيس بن عاصم المنقري سيد أهل الوبير كما سماه
الرسول ﷺ، واختلفوا في اسم أبيها فجاء في طبقات ابن سلام: ٥٥٩/٢١، والأغاني
(٢٥/١٨) أنها مِئَةُ بنت طُلُبَةَ بن قيس، وورد في جمهرة الأنساب (٢١٦)، والوفيات:
(١١/٤)، والبدایة والنهاية لابن كثير (٣١٩/٩) إنها بنت مُقَاتِلِ بن طُلُبَةَ، وفي الشعر
والشعراء (٥٣٣/١) مِئَةُ بنت فلان بن طُلُبَةَ، فأهمل ذكر أبيها، وفي السمط (٨٢/١) مِئَةُ
بنت عاصم، ورجح محقق الديوان أنها مِئَةُ بنت منذر بن طُلُبَةَ لورود أسم منذر في
القصيدة.

- (٣) تساعفنا: المساعدة والمُواتاة، والقُرْبُ في حُسْنِ مُصَافَاةٍ ومُعَاوَنَةٍ. اللسان
«سعف»: ١٥٢/٩.

- (٤) انظر البيت في:
ديوان ذي الرُّمة - شرح الإمام أبي نصر الباهلي - تحقيق عبد القدوس أبو صالح: ٢٣/١،
نوادر أبي زيد الأنصاري: ٣٢، شرح أبيات سيويه للنحاس: ١١٦، همع الهوامع:
١٦٨/١، خزانة البغدادي ٣٣٩/٢، شاهد رقم (١٤٠).
وانظر كذلك: ٣٤٥.

ذكره الشيخ من غير نسبة ولكنه ذكر أنه من أبيات الكتاب، والبيت الذي الرُّمَّةُ^(١)، وهو من بانيته المشهورة^(٢) التي مطلعها:

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَةٍ سَرَبُ

وقبل الشاهد:

(١) هو غيلان بن عقبة بن بُهيش (بهيس) بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن مُضر (٧٧ - ١١٧ هـ) أبو الحارث ذو الرُّمَّة. وهو شاعر من الطبقة الثانية من فحول الإسلام، قال أبو عمرو بن العلاء، فُتِحَ الشعر بأمريء القيس، وَخُتِمَ بِذِي الرُّمَّة، وكان ذو الرُّمَّة مدور الوجه حسن الشعر جعدها أفنى خفيف العارضين أكحل حسن الضحك مُفَوِّها إذا كلمك كلمك أبلغ الناس، وهو من عشاق العرب المشهورين. انظر ترجمته في:

طبقات فحول الشعراء: ٥٥٩/٢، الشعر والشعراء: ٥٣١/١ - ٥٤٣. الأغاني: ١/١٨ - ٤٧، الموشح: ١٥٥ - ١٦٨، وفيات الأعيان: ١١/٤ - ١٧ الأعلام: ١٢٤/٥.

(٢) وردت في كتب الأدب أخبار كثيرة تدل على شهرة هذه القصيدة، وفخامتها منها: ما جاء في الأغاني من حديث ذي الرمة عن شعره قال:

«من شعري ما طأوعني فيه القول، وساعدني، ومنه ما أجهدتُ نفسي فيه، ومنه ما جُننت به جنونا... أما ما جننت به جنونا فقولِي:

«مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الدَّمْعُ يَنْسَكِبُ»

ورود أيضاً في كتاب الأغاني أن عُمارة بن عقيل قال:

كان جرير يقول: ما أحببت أن ينسب إلى من شعر ذي الرُّمَّة إلا قوله: «مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ».

فإن شيطانه كان له فيها ناصحاً: ٢٢/١٨ - ٢٣.

وجاء في الموشح: «وقال أبو عمرو بن العلاء قال جرير: لو خرس ذو الرُّمَّة بعد قصيدته: «مَا بَالُ عَيْنِكَ...» كان أشعر الناس. ١٥٦. وجاء في أساس البلاغة:

وعن ذي الرُّمَّة: قلت مَا بَالُ عَيْنِكَ - بيتاً واحداً - ثم ارتج عليّ فمكث حولاً لا أضيف إلى هذا البيت شيئاً حتى قدمت أصبهان فَحَمِمْتُ بِهَا حُمًى شديدة فهُدِيتُ لهذه القصيدة فستلت - أي تابعت - عَلَيَّ قوافيها، فَحَفَظْتُ مَا حَفَظْتُ منها، وَذُهِبَ عليّ منها. «سَتَلْ»:

٢٠٢.

لَا بَلْ هُوَ الشَّقِيُّ مِنْ دَارٍ تَخَوَّنَهَا^(١) ضَرَبَ السَّحَابِ وَمَرُّ بَارِحٍ^(٢) تَرِبُ^(٣)
يَبْدُو وَلَعَيْنِكَ مِنْهَا وَهِيَ مُزْمِنَةٌ نُؤْيُ^(٤) وَمُسْتَوْقَدٌ بَالٍ وَمُحْتَضَبُ
إِلَى لَوَائِحٍ مِنْ أَطْلَالِ أَحْوِيَةٍ^(٥) كَأَنَّهَا خِلَلٌ مَوْشِيَةٌ قُشْبُ^(٦)
بِجَانِبِ الزُّرْقِ^(٧) لَمْ تَطْمِسْ مَعَالِمَهَا دَوَارِجُ^(٨) الْمُورِ^(٩) وَالْأَمْطَارُ وَالْحَقَبُ

وبعده:

بَرَّاقَةُ الْجِيدِ وَاللَّبَّاتِ^(١٠) وَاضِحَةٌ كَأَنَّهَا ظَبْيَةٌ أَفْضَى بِهَا لَبَبُ^(١١)
بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ مِنْ عُقْدٍ^(١٢) عَلَى جَوَانِبِهِ الْأَسْبَاطُ^(١٣) وَالْهَدَبُ^(١٤) (١٥)

البيت أيضاً - من أبيات الكتاب، استشهد به سيويه والنحاة، وتبعهم الشيخ عبد القاهر على أن ديار منصوبة بإضممار فعل «كأنه قال: أذكر ديار مئة، ولكنه لا يذكر أذكر لكثرة ذلك في كلامهم واستعمالهم إيَّاه»^(١٦).

- (١) تخونها: تعهدها. اللسان: «خون»: ١٣/١٤٥.
- (٢) البارح: الريح الحارة في الصيف. القاموس المحيط (برح): ٢٢٣/١.
- (٣) تَرِب: كثير التراب أو ريع تسوق التراب. اللسان «ترب»: ٢٢٨/١.
- (٤) نُؤْي: النؤى حفرة حول الخياء لثلا يدخله ماء المطر. الصحاح: «نأى»: ٢٥٠٠/٦.
- (٥) أحوية: بيوت مجتمعة من الناس على ماء. اللسان «حوا»: ٢١٠/١٤.
- (٦) قُشْب: جدد. اللسان «قشب»: ٦٧٤/١.
- (٧) الزُّرْق: أكنبة رمل بالدنهاء. اللسان «زرق»: ١٣٨/١٠.
- (٨) الدوارج: إذا درجت الريح حتى يرى لها ذيل كالرسن في الرمل فهي الدُّروج. فقه اللغة: ٢٧٨.
- (٩) المور: التراب الذي تمور به الريح. فقه اللغة: ٢٩٦.
- (١٠) اللبات: وسط الصدر والمنحر. اللسان «لب»: ٧٣٣/١.
- (١١) اللبب: ما انحدر من الرمل، أو ما استرق منه. فقه اللغة: ٢٩٩ - ٣٠١.
- (١٢) العقد: ما تعقد من الرمل. فقه اللغة: ٣٠٠.
- (١٣) السَّبَطُ: بالتحريك نبت الواحدة سَبْطَة. اللسان «سبط»: ٣٠٩/٧.
- (١٤) الهَدَبُ: كل ورق ليس له عرض. اللسان «هدب»: ٧٨١/١.
- (١٥) انظر الأبيات في:
- ديوانه: ١٩/١ - ٢٧.
- (١٦) الكتاب: ٢٨٠/١.

وذكر سيبويه أن من العرب من يرفع ديار كأنه يقول تلك ديار فلانة أي أن المحذوف المبتدأ لا الفعل^(١).

وذكر البغدادى في خزانة الأدب أنه يجوز أن يكون مجروراً على أنه بدل من دار في بيت قبله، وهو:
لَا بَلْ هُوَ الشُّوقُ مِنْ دَارٍ تَخَوَّنَهَا مَرّاً سَحَابٌ وَمَرّاً بَارِحٌ تَرِبُ^(٢)
وعلى هذا التقدير ينتفي موضع الشاهد.

ويبدو أن حمل البيت على حذف الفعل، أو المبتدأ يضيف على البيت سحراً جمالياً، ويكشف عن الخواطر، والأحلام التي امتلأت بها نفس الشاعر. فلذكرى الأطلال أثر في نفس المحب، والإطالة في ذكرها يثير في نفسه الشجون، ويحرك كوامن الأسى، ففضل الشاعر هنا ذكر الديار بسرعة، فحذف الفعل «أذكر» منعاً للنفس من التألم والأسى، فوصف الديار حين كانت مَيَّ تواصله وتواتيه بأنها تبلغ من الروعة والجمال إلى حد ينبغي أن لا يكون لها مثيل عند العجم والعرب.

وللدكتور أبي موسى تعليل لطيف للحذف عند ذكر الديار. قال: «وقد يقال: إنَّ الديار والمنازل من المثيرات التي تهز النفس فتتراحم فيها الخواطر والأطياف والأحلاف التي بددتها الأيام في طغيان قاس عنيف، فالشاعر في هذا الموقف ممتليء النفس أعظم الامتلاء متوتر الحس أشد التوتر وهذه حال تدعو إلى أن تكون الصياغة مركزة أشد التركيز، ليكون الأسلوب أشبه بالنفس، وقد يُقَوَّى هذا أنك إذا راجعت النظر في الأبيات السابقة التي بُنيت على الحذف تجدها تذكر معنى هو أمس بقلب الشاعر من سابقه، لأنه يخصص الديار، ويحددها، فهي دار مروءة، أو دار سلمى، أو ديار مَيَّة، وبهذا التحديد تلم أحسن الذكرى وتطوف به أعذب الأطياف، وهذا موقف يعظم سلطانه على النفس

(١) المصدر السابق: ٢٨١/١.

(٢) خزانة الأدب للبغدادى: مكتبة الخانجي: ٣٤١/٢.

الشاعرة، وهذا التفسير الذي نفسر به هذه الخصوصية في سياق الأطلال هو ما نراه تفسيراً للخصوصية نفسها عند ذكر الرجال مدحاً أو قدحاً، فإنهم حين تحمى نفوسهم بذكر المناقب أو المثالب يقطعون الكلام ليستأنفوا مقطعاً جديداً من مقاطع المعنى، ويبنون هذا المقطع الثاني على إسقاط المسند إليه، وكأنّ الحذف هنا تمييز، وفصل بين لونين من ألوان المعنى^(١).

الشاهد الثاني والثمانون^(٢): (الكامل)

وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَا^(٣) كَ مُنَازِلُ كَعْبٍ وَنَهْدٍ
قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ لَدَ تَنَمَّرُوا خَلْقاً^(٤) وَقَدْ^(٥)

ذكرهما الشيخ من غير عزو، وهما لعمر بن معدى كرب، من قصيدة قالها في حربه نهداً وكعباً محالفاً جرماً التي خذلتها، فجرم ونهد قبيلتان من قضاة من بني الحارث بن كعب، قتلت جرم رجلاً من أشرف بني الحارث، فأرتحلت عنهم، وتحولت في بني زبيد، فخرجت بنو الحارث يطلبون دم أخيه، فالتقوا،

(١) خصائص التراكيب: ١٢٠ - ١٢١.

(٢) الدلائل، رضا: ١١٣، خفاجي: ١٧٩، شاکر: ١٤٨.

(٣) يومذاك: ويجوز أن يكون المشار إليه أمراً قد علمه السامعون، وهو الحرب، ويجوز أن يكون المشار إليه السلاح الذي زعم أنه أعدّه، يوم السلاح يوم الحرب، ويجوز أن يكون أشار به إلى الحدّثان؛ لأنه قد قال: «أَعَدَّذْتُ لِلْحَدَّثَانِ».

انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٧٦/١.

(٤) خَلْقاً: انتصب خَلْقاً على أنه بَدَلٌ من الحديد، ويُريدُ به الدُّرُوع التي تُسَجَّتْ خَلْقَتَيْنِ خَلْقَتَيْنِ، والقَدُّ أراد به اليلب، وهو شبه درع كان يُتخذ من القَدِّ، ويرى: خُلُقاً وَقَدْ، ويكون انتصاب خُلُقاً على التمييز، أي تشبهاً بالنمر في أخلاقهم وخُلُقهم، ودَلَّ على الخلق قوله: قَدْ.

انظر: شرح الحماسة للمرزوقي: ١٧٦/١.

(٥) انظر البيتين في:

ديوان عمرو بن معدى كرب: ٦٨، ديوانه - مطبوعات مجمع اللغة العربية -: ٦٤، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٧٤/١، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٩١/١، لسان العرب: «نمر»: ٢٥٣/٥.

فعباً عمرو جرمًا لنهد، وتعباً هو وقومه لبني الحارث، ففرت جرم، واعتلت بأنها كرهت دماء نهد^(١).

ومطلع القصيدة:

يَا أَيُّهَا الْمُغْتَا بُنَا جَهْلًا بِنَا وَلِدْتَ عَبْدًا

وبعده أبيات قبل الشاهد:

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمِزْرٍ فَأَعْلَمَ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدًا
إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ^(٢) وَمَنَاقِبُ أَوْرَثَنَ مَجْدًا
أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ^(٣) سَا بَغَةً وَعَدَاءَ عَلَنَدَى^(٤)
نَهْدًا^(٥) وَذَا شُطْبٍ يَقْدُ^(٦) (م) الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانَ^(٨) قَدًا

وبعدهما الشاهد وبعده:

كُلُّ أَمْرٍ يَجْرِي إِلَى يَوْمِ الْهِيَاجِ بِمَا اسْتَعَدَّا

(١) شرح الحماسة للتبريزي: ٨٤/١.

(٢) رواية حماسة البحري: «معادن ومآثر».

ورواية عيون الأخبار: «معادن وموارث»: ٣٠٠/١.

(٣) رواية لباب الأداب: «للهيحاء».

(٤) علندی: أصل الكلمة ثلاثي، والنون والألف زائدتان، فهو من العَلْد، وهو الغليظ الشديد من كل شيء، وذكر بعضهم أن العَلَنَدَى: الضَّخَم من الإبل، والخيل جميعاً، وجمعه «علايد»، وإن شئت: «عَلَادٍ» والألف في علندی لللاحاق بدليل أنه يقال للمؤنث عِلْنَدَاة، وينون، فيقال عِلْنَدِي.

انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٧٥/١، التبريزي: ٩١/١.

(٥) نهذا: أي فرساً غليظاً. المرزوقي: ١٧٥/١.

(٦) وسيفاً ذا شُطْبٍ: ذا طرائق يقطع البيض والدروع قطعاً، ويقال سيف فيه شُطُوب وطرائق. المرزوقي: ١٧٦/١.

(٧) القَدْ: القطع طَوَّلاً، والقط القطع. عرضاً. المرزوقي: ١٧٦/١.

(٨) البَدَن من الدروع: قدر ما يَسْتُر البدن. المرزوقي: ١٧٦/١.

لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا يَفْحَصْنَ^(١) بِالْمَعَزَاءِ^(٢) شَدًّا
وَبَدَتْ لَمِيسُ كَأَنَّهَا بَذُرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى
وَبَدَتْ مَحَاسِنُهَا الَّتِي تَخْفَى وَكَانَ الْأَمْرُ جَدًّا^(٣)

ذكر الشيخ البيت شاهداً على أنه من المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ وهي «القطع والاستئناف». قال:

«ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ «القطع والاستئناف» يبدأون بذكر الرجل، ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاماً آخر، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ^(٤)».

كان عمرو بن معدي كرب شاعراً وفارساً مقدّماً، ولشعوره بهذه الشجاعة والقدرة أخذ يفتخر بها، فذكر أنه نازل كعباً وهي قبيلة من ولد الحارث بن مذحج، ونهدا وهي قبيلة من قضاة، ثم قطع الحديث، وانتقل إلى جزء آخر من المعنى هو بقلبه أوثق، وب نفسه أشد، فاستأنف الحديث عن شجاعتهم وعدتهم وعتادهم، وأنهم قومٌ إذا لبسوا الحديد والدروع واليَلْب تشبهوا بالنمر في أفعالهم في الحرب، أو أَنَّ الْحَلْقَ وَالْقَدَّ تختلف ألوانها اختلاف لون النمر، وقد رأى المرزوقي أَنَّ المعنى الأول أجود قال:

«ويروى» خُلُقًا وَقَدًّا» ويكون انتصاب خُلُقًا على التمييز أي تشبهوا بالنمر

(١) يفحصن: يؤثرون لشدة العدو في المعزاء، ويروى «يمحصن» والمحصن: العدو الشديد. المصدر السابق: ١٧٧/١.

(٢) الأمعز والمعزاء: الأرض الحزنة ذات الحجارة، والأصل في المعز الصلابة، ويقال رجل ماعِزٌ ومِعِزٌ. المصدر السابق: ١٧٧/١.

(٣) البيت الثاني والثالث في: الوساطة: ٣٤٣، التمثيل والمحاضرة: ٦٥، والبيت الثاني في الحماسة البصرية: ٥/١، والبيت الرابع والخامس والتاسع والعاشر مع بيتين آخرين في لباب الآداب: ٢٠٤، والبيت التاسع والعاشر في الخصائص لابن جني من غير عزو، وانظر الأبيات: شرح ديوان الحماسة للمزوقي: ١/١٧٤ - ١٧٨، والتبريزي: ٩٠/١ - ٩٣.

(٤) الدلائل، رضا: ١١٣، خفاجي: ١٧٩، شاکر: ١٤٧.

في أخلاقهم وخلقهم، ودلَّ على الخلق قوله قَدْأ، ومعنى الرواية الأولى أنهم إذا لبسوا الحديد، والدُّرُوع واليَلْب تشبهوا بالنمر في أفعالهم في الحرب، ويجوز أن يريد بتنمُّروا تلوَّنوا بالوان النمر لطول ثباتهم، وملازمتهم الحديد، وحينئذ يصح أن يكون انتصاب حَلَقاً على التمييز، والمعنى الأول أجود^(١).

ورأى الدكتور محمد أبو موسى أن الحذف وقع في مقطع جديد من مقاطع المعنى، فقد ذكر في البيت الأول كعباً ونهداً من غير إشارة إلى ما هم عليه من العُدَّة والقوة ثم استأنف حديثاً آخر أو جزءاً جديداً من المعنى فذكر عُدَّتْهم وبنى هذا الاستئناف على الحذف لقوة الدلالة عليه؛ ولأنه مناسب لقوة الانفعال بهذا الجزء من المعنى، فالإحساس بالفروسية يَعْظُم حين تكون الملاقاة مع عدو موفور العُدَّة عظيم الاقتدار، وحين يقوى التأثير بالمعنى، ويعظم الإحساس به يكون السياق سياق إيجاز وتلميح ما دام ليس هناك ما يدعو إلى النص على شيء معين وإبرازه^(٢).

وكذلك رأى الدكتور أبو موسى أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين البيتين، وسياق القصيدة، وعلة الحذف، فموسيقى البيت موسيقى وثابة تصف روح الشاعر المستنفرة المتحمسة، وهذه الأنغام السريعة تحتاج إلى التركيز الشديد. قال:

«وهكذا يمضي الشاعر مصوراً قيم الفروسية في تصورهما العربي الدقيق، وهذه الموسيقى الوثابة، تصف هذه الروح المستفزة، وتتسع في بعض مراحلها إلى الفلسفة التي تبدو هادئة في تحليل الجمال، وهذه الأنغام السريعة يقتضيان تركيز العبارة أشد التركيز؛ لأن ذكر ما يدل عليه السياق، والحال هذه عائق يعوق تدفق النغم، ويحبس اندفاع الروح^(٣)».

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٧٦/١.

(٢) خصائص التراكيب: ١٢١ - ١٢٢.

(٣) المرجع السابق: ١٢٢.

الشاهد الثالث والثمانون^(١):

(الوافر)

هُمْ حَلُّوا^(٢) مِنَ الشَّرَفِ الْمُعْلَى^(٣) وَمِنْ حَسَبِ^(٤) الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَأَوْوا
بُنَاةً مَكَارِمٍ وَأَسَاةً^(٥) كَلَمَ^(٦) دِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ^(٧) الشَّفَاءُ^(٨)

والبيتان ذكرهما الشيخ من غير عزو، وهما على الأرجح^(٩)، لأبي البرج

- (١) الدلائل، رضا: ١١٣ - ١١٤، خفاجي: ١٨٠، شاکر: ١٤٨.
- (٢) رواية زهر الآداب: «حازوا».
- (٣) الْمُعْلَى: يعني المَرْفَعُ إلى أبعد الغايات، وأقصى النهايات، ويجوز أن يكون أراد القَدْحَ الْمُعْلَى؛ لأنه أشرف القَدْاح، وأكثرها أَنْصِبَاءً، فجعله مثلاً لارْفَعِ المدارج وأسنَى المراتب. انظر: شرح الحماسة للمرزوقي: ١٦٥٩/٤، التبريزي: ٩٦/٤.
- (٤) رواية زهر الآداب: «ومن كرم».
- (٥) أَسَاة: الأَسَاةُ الأطباء الواحد: آسٍ.
- (٦) انظر المرزوقي: ١٦٥٩/٤.
- (٧) الْكَلَمُ: الجُرْح. معاني أبيات الحماسة: ٢٢٠.
- (٨) الْكَلْبُ: - داء الكلب - وهو أن يعض الْكَلْبُ الرَّجُلَ فينبح نبح الكلب. معاني أبيات الحماسة: ٢٢٠.
- (٩) انظر البيتين في:-
الحماسة - ت عسيلان:- ٣١٠/٢، الحيوان: ٥/٢، المعاني الكبير: ٢٤٣/١، الاشتقاق: ٢١، المؤلف والمختلف: ٦٢، معجم الشعراء للمرزباني: ٣٣٣، معاني أبيات الحماسة: ٢٢٠، الحماسية (٧٣٤)، ديوان المعاني: ٤٣/١، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٦٥٨/٤ - ١٦٥٩، أمالي المرتضى: ٢٥٩/١، زهر الآداب: ٥٥٢/٢، سمط اللالي: ٢٧٠/١، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٩٦/٤، الحماسة البصرية: ١٥٤/١، نهاية الأرب: ١٨٧/٣، أنوار الربيع: ١١٢/٦، الإيضاح: ١١٣/١، ذكره في «تعريف المسند إليه»، شرح أبيات الإيضاح: - فيض الله:- ١٢ ب.
ذكر الجاحظ البيت الثاني من بيت الشاهد مع ثلاثة أبيات أخر ونسبها إلى بعض المُرَّين، ولعله قصد به أبا البرج القاسم بن حنبل المُرِّي. وذكر الأمدي والبصري البيت الثاني فقط مع أبيات أخر، وكذلك ذكر الخوارزمي «شرح أبيات الإيضاح» البيت الثاني فقط مع بيت آخر قبله، ونسبها إلى أبي البرج المُرِّي، وزاد البصري أنها تروى أيضاً لمرّة الجعدي. وذكر النويري البيت الأول فقط مع أبيات أخر منسوبة لأبي البرج أيضاً، وذكر المرزباني والمرزوقي والتبريزي البيتين مع عدة أبيات أخر، ونسبها كذلك لأبي البرج.

القَاسِمُ بنُ حَنْبَلٍ المُرِّي^(١) يمدح بهما زُفَر بن هاشم بن سِنَان^(٢).

وبيتا الشاهد من قصيدة أولها:

١ - أَرَى الخِلَانَ بَعْدَ أَبِي حَبِيبٍ^(٣) وَحُجْرٍ فِي جَنَابِهِمْ جَفَاءَ

وقبل بيت الشاهد:

٢ - مِنَ البَيْضِ الوُجُوهِ بَيْنِي سِنَانٍ لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاؤُوا

٣ - لَهُمْ شَمْسُ النَّهَارِ إِذَا آسَقَلَتْ وَنُورٌ مَا يُغَيِّبُهُ الْعَمَاءُ

٤ - ٥ - وبعدهما الشاهد وبعده:

٦ - فَأَمَّا بَيْتُكُمْ إِنْ عُدَّ بَيْتٌ فَطَالَ السَّمُكُ وَاتَّسَعَ الْفِنَاءُ

٧ - وَأَمَّا أُسُهُ فَعَلَى قَلْدِيمٍ مِنَ الْعَادِيَّ إِنْ ذُكِرَ الْبِنَاءُ

٨ - فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ وَمَكْرَمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ^(٤)

وذكر في المعاني الكبير، ومعاني أبيات الحماسة البيت الثاني فقط من بيتي الشاهد من غير عزو.

وذكر ابن دريد الشطر الثاني من البيت الثاني من غير عزو أيضاً، وذكر المرتضى في أماليه البيت الأول من بيتي الشاهد، وذكر أن محمد بن يحيى الصولي قد أنشده، ونُسب البيت الثاني إلى أمية بن أبي الصلت، وهو في ديوانه: ١٧ برواية:

بُنَاءٌ مَكَارِمٍ وَأَسَاءَةٌ كَلِمٍ دِمَاءٌ وَهُمْ مِنَ الْكَلِمِ الشُّفَاءُ
وفي سبط اللآلي ذكر البيت الثاني منسوباً للحطيئة، وهو غير موجود في ديوانه. وذكر الميمني في تعليقه أن هذه النسبة خطأ، ولعلها زيادة من أحد النساخ.

(١) هو أبو البرج المُرِّي ثم السَّهْمِي، سهم بن مرة بن عون بن سعد بن ذبيان بن بغيض، واسم أبي البرج القاسم بن حنبل، وأضاف الحصري لقب «المدني»، وهو شاعر إسلامي كما قال صاحب القاموس المحيط.

انظر ترجمته في:

المؤتلف والمختلف: ٦٢، معجم الشعراء: ٣٣٣، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي:

١٦٥٨/٤، شرح الحماسة للتبريزي: ٩٦/٤ - ٩٧، القاموس: «برج»:

(٢) لم أقف على ترجمة له.

(٣) ويروى (أبي حبيب).

(٤) هذه الأبيات بكاملها موجودة في معجم الشعراء للمرزباني: ٣٣٣، وشرح ديوان الحماسة =

موضع الشاهد قوله «بُناةٌ مَكَارِمٍ وَأَسَاةٌ كَلَمٍ» حيث حذف المبتدأ، والأصل: هم بُناةٌ مَكَارِمٍ وهم أَسَاةٌ كَلَمٍ.

والشاهد من أبيات المدح الجياد، فقد بلغ الشاعر فيه غايته، وأصاب فيه مرماه، فقد جعل الممدوح في أعلى درجات الشرف، فكأن الشرف والحسب له مراتب، وهم قد تربّعوا في أعلاها، واحتلوا أشرفها، فلا يدانيهم فيها أحد، وهذا قمة المدح.

وبعد أن أضفى عليهم هذه الصفة، وألبسهم هذا الشرف قطع الكلام، وانتقل إلى معنى آخر وثيق الصلة بالمعنى الأول، فاستأنف، وحذف المبتدأ، وكان الصفات التي سيذكرها من خصوصياتهم، وأن الذهن يخطئهم بل سينصرف إليهم تلقائياً.

فمن سر الحذف هنا ما سماه المتأخرون العدول إلى أقوى الدليلين اللذين هما العقل واللفظ وأقواهما هو العقل^(١).

وللدكتور أبي موسى كلام في بيان سر الحذف قال فيه:

«قال بناء مكارم وأراد هم بناء مكارم، والحذف كما ترى واقع في مقطع

= للمرزوقي: ١٦٥٨/٤ - ١٦٥٩، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٩٧ - ٩٦/٤ مع اختلاف بسيط في رواية البيت الأخير ففيها: «دَنَتْ لَكُم» بدل لهم.

والبيت الأول والثاني والثالث في الحيوان مع اختلاف في رواية البيت الأول فجاء فيه: أَرَى الْجَلْنَ بَعْدَ أَبِي عُمَيْرٍ بِحَجَرٍ فِي لِقَائِهِمْ جَفَاءً والبيت الأول والثاني والثالث والثامن في المؤتلف والمختلف مع اختلاف بسيط في البيت الأول فورد فيه: «بحجر» بدل «وحجر» والبيت الثاني والثامن في أمالي المرتضى، والبيت الثاني والثامن في زهر الآداب، والبيت الأول والثاني والثالث والثامن في الحماسة البصرية، مع اختلاف بسيط في رواية البيت الثالث ففيه: «هُم شَمْسُ النَّهَارِ». والبيت الثاني والثالث والثامن في نهاية الأرب.

(١) انظر: الإيضاح: ١٠٩، شروح التلخيص: ٢٧٥/١ - ٢٧٦.

من مقاطع المعنى، يوضح ما ذكره في البيت الأول مجملاً، وهو شرفهم وتمكنهم، فذكر أنهم بُنَاة مكارم هكذا بإطلاقهم المستغرق مكارم الجود، والنجدة والشجاعة والقوة إلى آخر ما تحمله العبارة، ثم هم أَسَاءَةُ كَلَمٍ، فهم يملكون من الشدة والحكمة ما يأسون به الجراح، وكان الشاعر أراد أن يبرز تميز هذا الجزء من المعنى بقطعه عن سابقه، وحذف المسند إليه وهو وسيلته في ذلك؛ لأنه لو ذكره لقال هم فيكون رابطاً واضحاً وقوياً بين البيتين فيفوت غرض الشاعر، والكلام وإن كان على تقديره إلا أن إسقاطه من اللفظ يفيد هذا الغرض^(١).

واستشهد الفزويني بالبيت الأول في تعريف المسند إليه بالإضمار لكون المسند إليه مذكوراً، أو في حكم المذكور لقريئة؛ لأن المقام مقام الغيبة^(٢).
الشاهد الرابع والثمانون^(٣):
 (الطويل)

رَأْنِي عَلَى مَا بِي عُمِيلَةٌ فَاشْتَكَيْ
 إِلَى مَا لِي حَالِي أُسْرَ كَمَا جَهَرُ
 غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ^(٤) مُقْبِلًا^(٥)
 لَهُ سِيْمَاءٌ^(٦) لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ^(٧)

(١) خصائص التركيب: ١٢٣.

(٢) الإيضاح: ١١٣/١.

(٣) الدلائل، رضا: ١١٤، خفاجي: ١٨٠، شاکر: ١٤٨.

(٤) رواية الصحاح، والمؤتلف، والممتع، واللسان:

«غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخُسْنِ».

وجاء في اللسان أن أبا ريش اعترض على رواية «بالْخُسْنِ»: «قال ابن بري: وحكى

علي بن حمزة أن أبا ريش قال: لا يَرُوي بيت ابن عتقاء الفزاري:

«غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخُسْنِ يَافِعًا».

الأ أعمى البصيرة؛ لأن الْخُسْنِ مولود، وإنما هو: «رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ يَافِعًا».

قال: حكاه أبو ريش عن أبي زيد. اللسان «سوم»: ٣١٣/١٢.

(٥) رواية الصحاح، والمؤتلف، واللسان: «يَافِعًا».

(٦) روى البيت في اللسان برواية: «سِيْمَاءٌ»، ورواية «سِيْمَاءٌ» والسُّوْمَةُ والسِّيْمَةُ، السِّيْمَاءُ،

والسِّيْمَاءُ: العلامة له سِيْمَاءٌ لا تشق على البصر أي يفرح به من ينظر إليه. اللسان:

«سوم».

(٧) انظر البيتين في:

الصحاح: «سوم»: ١٩٥٦/٥، الأماي لأبي علي القالي: ٢٣٧/١، المؤتلف والمختلف: =

أوردتهما الشيخ من غير عزو، وهما لأسيد بن عنقاء الفزاري^(١) من قصيدة قالها في مدح عُمَيْلَةَ الفزاري، حين رأى عُمَيْلَةَ حاله وقد نكبه الدهر، فأعانه وواساه، وقصة ذلك أن عُمَيْلَةَ رأى يوماً أسيدا، وهو في حال سوء، فسأله قائلاً: يا عم ما أشارك إلى ما أرى من حالك؟ فقال بُخلٍ مثلك بماله، وَصَوْنِي وَجْهِي عن مسألة الناس، فقال: والله لئن بقيت إلى غد لأغبرنَّ ما أرى من حالك، فرجع ابن عنقاء إلى داره، وهو بين رجاء ويأس، فلما كان السحر سمع رُغاء الأبل، وتُغاء الشاة، وصهيل الخيل، وَلَجِبَ الأموال، وأخبر بأن عُمَيْلَةَ ساق إليه ماله، فقسم المال بينهما شطرين، فأنشأ أسيد يقول:

رَأَيْتُ عَلَى مَا بِي عُمَيْلَةَ فَاسْتَكَى

وبعده:

دَعَانِي فَاسَانِي وَلَوْ ضَنْ لَمْ أَلَمْ	عَلَى جِين لَا بَدُو يُرْجَى وَلَا حَضَرَ
فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا وَأَتْنَيْتُ فِعْلَهُ	وَأَوْفَاكَ مَا أَبْلَيْتُ مِنْ دَمٍ أَوْ شَكَرُ
وَلَمَّا رَأَى الْمَجْدَ اسْتُعِيرْتُ ثِيَابَهُ	تَرَدَّى رِدَاءً سَابِغَ الذَّيْلِ وَأُتْرُ
غُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ مُقْبِلًا	لَهُ سِيْمَاءٌ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ
كَأَنَّ الثَّرِيًّا عُلِقَتْ فَوْقَ نَحْرِهِ	وَفِي أَنْفِهِ الشُّعْرَى وَفِي خَدِّهِ الْقَمَرُ
إِذَا قِيلَتْ الْعَوْرَاءُ أَغْضَى كَأَنَّهُ	ذَلِيلٌ بِلَا دُلٍّ وَلَوْ شَاءَ لَأَنْتَصَرَ ^(٢)

موضع الشاهد قوله: «غُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ مُقْبِلًا» والشاهد فيه كسابقه وهو

= ١٥٩، الممتع في صنعة الشعر: ٢٣٨، لسان العرب: «سوم»: ٣١٣/١٢.

(١) سماه المرزباني سويد بن عنقاء الفزاري، وهو أكبر أهل زمانه وأشدهم عارضة ولساناً، طال عمره، ونكبه دهره، واختلت حالته، فأكرمه عُمَيْلَةَ، ذكر له في اللسان خمسة أبيات منها بيت الشاهد.

انظر: أمالي القالي: ٢٣٧/١، المؤلف والمختلف: ١٥٩، لسان العرب: «عر» «عور» «خصص» «سوم» «حوا»، معجم الشعراء في لسان العرب: ٤٩ - ٣١١.

(٢) انظر الأبيات والقصة في:

الأمالي للقالي: ٢٣٧/١، الممتع في صنعة الشعر: ٢٣٨.

حذف المبتدأ، والأصل «هو غَلامٌ»، ولعل سر الحذف هو كون الممدوح معروفاً عقلاً، فمن العبث ذكره إلى جانب وقوع القطع عند أهم جزء في المعنى.

فقد كان لصنيع الممدوح أبلغ الأثر في إحساس الشاعر وإثارة آنفعله، فوصفه قبل بيت الشاهد بأنه ماجد، وأن صفة المجد صفة ملازمة له، وأصيله في خلّاقه، فهو ليس كمن يدّعي المجد، وهو تعبير رائع عن تغاير حال الممدوح عن غيره ممن يدّعي المجد؛ ولشدة شعور الشاعر بفضل هذا الممدوح وتأثره بموقفه النبيل قطع الكلام، وانتقل إلى أهم جزء في المعنى، وأبلغ صفة أراد الشاعر وَصَفَهُ بها.

وفي بناء الاستئناف على قوله «غلام» تنبيه للسامع ولفت لنظره إلى أنه غلام يافع بلغ مبلغ الرجال بفضل وجوده، وتوجيه للعقول والأذهان إلى تلك الخصلة التي رماه الله بها، فعلامة الخير فيه لا يخطئها أحد؛ لأنها ظاهرة، فَرَمَى الله له بالخير كأنه إصابة أحدثت فيه علامة قوية لا يمكن نزعها، وعلامات النجاة والإحسان مرسومة على وجهه، وكأنها أبت أن تُحْبَسَ في داخله، ففاضت على خُلُقِهِ، وخَلَقِهِ.

على أن كلمة «غلام» لم يرضها الحجاج حين وصفته بها ليلي الأخيلية، فقالت:

إِذَا وَرَدَ^(١) الْحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُقَامِ^(٢) الَّذِي بِهَا غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاءَ ثَنَاهَا^(٣)
فقال لها: لا تقولي «غَلامٌ»، وقولي «هُمَامٌ»^(٤).

ومن العجيب في الأبيات أن يوصف رجلٌ بمثل هذه الأوصاف «له

(١) رواية أمالي القالي: «إِذَا هَبَطَ».

(٢) رواية أمالي القالي: «الْعُضَال».

(٣) رواية أمالي القالي: «سقاها».

(٤) الكامل للمبرد - مكتبة المعارف - : ١٧٩/١.

أمالي القالي: «إِذَا هَبَطَ».

سيمياء... كَانَ الثريا غُلَقْتُ فَوْقَ نَحْرِهِ... وَفِي أَنْفِهِ الشُّعْرَى... وَفِي خَدِّهِ
الْقَمَرُ» فهي أنما تقال في الفتيات الجميلات، أو المُرَد.
والمُدح الجيد في قوله: «إِذَا قِيلَتِ العوراء...».

الشاهد الخامس والثمانون^(١): (الطويل)

إِذَا ذُكِرَ آبْنَا الْعَبْرِيَّةِ^(٢) لَمْ تَضِقْ ذِرَاعِي وَالْقَى بِأَسْتِهِ مَنْ أَفَاخِرُ
هِلَالَيْنِ حَمَلَانِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ مِنَ الثَّقْلِ مَا لَا تَسْتَطِيعُ الْأَبَاعِرُ^(٣)
البيتان أوردهما الشيخ من غير نسبة، وهما بيتان لا ثالث لهما، يُنسبان
لِمُوسَى بْنِ جَابِرِ الْحَنْفِيِّ^(٤).

(١) البلاثل، رضا: ١١٤، خفاجي: ١٨٠، شاکر: ١٤٨ - ١٤٩.

(٢) هما مِرْدَاسٌ وَعَامِرُ آبْنَا شَمَّاسِ بْنِ لَآيٍ مِنْ بَنِي أَنْفِ النَّاقَةِ أُمَهُمَا مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ، وهما خَلا
مُوسَى بْنِ جَابِرِ الْحَنْفِيِّ، وذكر المرزوقي في شرحه أنهما من آبائه. شرح الحماسة
للمرزوقي: ٣٦٩/١.

شرح الحماسة للتبريزي: ١٩١/١.

(٣) انظر البيتين في:-

الحماسة (ت - عسلان): ٢١٤/١ رقم (١٢٨)، معاني أبيات الحماسة ٢١٦ «الحماسة»
١٢٨ في الملحق المنقول من كتاب «إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله النمري» للغندجاني -
ذكر البيت الثالث فقط..

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٣٦٩/١، رقم الحماسية (١٢٦)، شرح ديوان الحماسة
للتبريزي: ١٩١/١.

(٤) هو موسى بن جابر بن أرقم بن سلمة بن عبيد الحنفي اليمامي نصراني جاهلي يلقب بأزيرق
اليامة، ويعرف بابن ليلي، وهي أمه، وهو شاعر كثير الشعر، ويلقب أيضاً بابن الفريضة
وهي أمه، وذكر التبريزي أن أبا العلاء قال: موسى منقول من العبرانية، ولم أعلم أن في
العرب من سمي موسى زمان الجاهلية، وإنما حدث هذا في الإسلام لما نزل القرآن وسمى
المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء على سبيل التبرك.
وكانه أراد أن يقول إنه شاعر إسلامي، وذكر البكري في ذيل السمط أنه شاعر مخضرم.
انظر ترجمته في:

العققة والبررة «نوادير المخطوطات»: ٣٦٦/٢، ذيل الأمالي والنوادر ٧١، المؤلف

وموضع الشاهد قوله: «هلالان» والأصل «هما هلالان».

يفتخر موسى بن جابر بأخواله أشد افتخار، فإذا مرَّ ذكرهما وجد طرق
الفخر متسعة وممهدة أمامه لهما من مناقب وأمجاد وسؤدد، فقوله: «لم تضق
ذراعي» أي لم تعجزني مقالات الفخر، ولم يضق بي المقام في الفخر
والمباهاة، وأمام مناقبهما وشرفهما يعجز كل من يحاول مضاهاتهما. فقوله:
«وألقي باسته من أفاخر» أي قعد وجلس وسكت وأنكسرت حدته، وأنطفأت
حميته، وهو من التعابير المستعملة في مقام العجز والهزيمة، من باب الكناية عن
صفة.

وبعد أن أثبت لهما الفخر، وأنه لا يدانيهما فيه أحد قطع الكلام، واستأنف
معنى جديداً وثيق الصلة بالسياق، وهو أهم جزء فيه لذا أتى به مباشرة، فحذف
المبتدأ وبني عليه الاستئناف، وفي هذا تنبيه للأذهان إلى ما يقصده الشاعر،
فأعلن أنهما هلالان ظاهران للعيان لا يخفى صنيعهما، ففي وقت الشتاء حين
ينضب معين الأجواد، وتقبض أيادي الكرام، في هذا الوقت يتلأأ نجمهما ويظهر
جودهما فهما يحملان فيه أعباءً ثقالاً، وتبعاتٍ عظيماً كتبعت الجود والكرم،
وتبعات النجدة، وتبعات المجد والسيادة مالا تستطيع الإبل حمله لو أنه جُسم،
وألقي عليها لتحمله. قال النمري:

«هذان الرجلان يحملان من أعباء المغارم، وأثقال الصنائع ما لو أنه يوزن
لم تستطع حمله الإبل، وهي أثقل الحيوان حملاً، وأكثره صبراً^(١)» وقال
المرزوقي:

«هما في الاشتهار واعتلاء الشأن، واستضاءة الناس بنورهما، والانتفاع

= والمختلف: ١٦٥، معجم الشعراء للمرزباني: ٣٧٦، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي:
٣٦٣/١ - ٣٧٤، حماسة ابن الشجري: ٢٢، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٨٩/١،
التذكرة السعدية: ٦٨ - ١٤٣، الأعلام: ٣٢٠/٧، معجم الشعراء الجاهليين
والمخضرمين: ٣٥٤، معجم شعراء اللسان: ٤١٥، ذيل السمط: ٣٥.

(١) معاني أبيات الحماسة: ٢٦١، الحماسة (١٢٨) الملحق.

بمكانهما بمنزلة هلالين، ويتكلفان عند كُلِّ جَذْبٍ وَمَحْلٍ من الأثقال والأعباء، مَالُو صارت أَجْرَامًا لَعَجَزَ عن النهوض بها وتحملها البُعْرَانُ، فإن قيل: إذا كان قصده في تحمُّل الأثقال إلى قَرَى الضَّيْفِ، ونَحَرَ الجزور، وَقَسَمَتَهَا في الميسر والصَّبْر على المُوْن، والنهوض بالكُلْفِ، فكيف قال حَمَلَانِ من الثقل مالا يستطيع الأباعر؟ وكيف مَثَل ما يَثْقُل على القلوب من الغَرَامَاتِ والحقوق، بالأوقار التي تَثْقُل على الظهور؟ قلت: إِنَّمَا يُرِيدُ أَنَّ تلك المُوْن والتكاليف التي يلتزمها، وَيَسْعَى بها وفيها لو جُسِّمَتْ ثم حُمِلَتْ، لكانت الجمال لا تستقلُّ بِهَا، ولا تقوى عليها، فهذا وجهه، ويجوز أن يكون لَمَّا قال حَمَلَانِ في كل شتوة من الثقل جعل لِفَقَّه، لا يستطيع الأباعر، إذ كانت الجَمَالِ وأشباهها هي التي لحمل الأثقال خُلِقَتْ وبها اشتهرت؛ وليكون في اللفظ توافقٌ مع الأمن من عارض الالتباس^(١).

وقد علّق أبو العلاء على قول النمري بأنه جائز، ولكنه بعيد، والأولى حمل الكلام على ما كثر. قال:

«قد تأول النمري له معنى قد يجوز مثله، ولكنه بعيد وإِنَّمَا ينبغي أن يُحمل الشيء على ما كثر، وذلك أنه ذهب إلى أن هذين الممدوحين يحملان من قَرَى الأضياف، ومن نحر الإبل مالا يستطيع الأباعر أي أنها لا تقوى عليه لأنه يهلكها، وهذا مجانس قولهم بنو فلان ظلامون للجزر قال ابن مقبل:

عَادَ الْأَذْلَةَ فِي دَارٍ وَكَانَ بِهَا خُرْسُ الشَّقَاشِقِ^(٢) ظَلَامُونَ لِلْجُزُرِ^(٣)

أي يعقرونها كثيراً، فكأن ذلك ظلم لها.

ونحو منه قول الآخر:

قَتِيلَانِ لَا تَبْكِي الْمَخَاضَ عَلَيْهِمَا إِذَا شَبِعَتْ مِنْ قَرْمَلٍ وَأَفَانِي

أي كانا يعقرانها فلماً قَتِلَا لم تبك عليهما.

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٣٦٩/١ - ٣٧٠.

(٢) خرس الشقائق: البعير الكثير الهدر. اللسان «شق»: ١٨٥/١٠.

(٣) ديوانه: ٨١.

فلا تعدلن عما ذكره أبو العلاء إلى غيره^(١)».

الشاهد السادس والثمانون^(٢): (الطويل)

أَلَا لَا فَتَى^(٣) بَعْدَ آبِنِ نَاشِرَةِ^(٤) الْفَتَى
فَتَى^(٦) حَنْظَلِي^(٧) مَا تَزَالُ رِكَابُهُ^(٨)
وَلَا عُرْفَ^(٥) إِلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَذْبَرَا
تَجُودُ^(٩) بِمَعْرُوفٍ وَتَنْكِرُ مُنْكَرَا^(١٠)

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٩١/١ - ١٩٢.

(٢) الدلائل، رضا: ١١٤، خفاجي: ١٨١، شاکر: ١٤٩.

(٣) قوله: «لا فتى» و«لا عُرف» حذف منهما الخبر، كأنه قال: لا فتى في الدنيا بعد ذهابه، ولا عُرف موجود بعد تولي عُرفه، ويجوز تنوين لا فتى ولا عرف، فيكون في موضع الرفع بالابتداء، قال التبريزي: «حذف الخبر من قوله لا فتى ولا عرف جميعاً كأنه قال: لا فتى في الدنيا بعد ذهابه، ولا عرف موجود بعد تولي عُرفه، ولك أن تنون لا فتى، وأن الأول أشرف في المعنى وأبلغ، فيكون في موضع الرفع بالابتداء، وكذلك لا عرف ترفعه وتنونه، ولكك تلغي حركة الهمزة من إلّا وهي كسره على التنوين، والفصل بين الرفع والنصب أن النصب يفيد الاستغراق كأنه نفى قليل الجنس وكثيره إذ كان جواب هل من فتى، وهل من عرف والرفع لا يكون فيه الاستغراق بكونه جواباً، وهل عرف لا يمتنع أن يكون السؤال عن واحد من الجنس، ويكون الجواب عن حده.

انظر: شرح الحماسة للتبريزي: ٢٢/٣.

(٤) ابن ناشرة: هو عبد الله بن ناشرة، أحد بني عامر بن زيد مناة بن تميم، وكان غلب على سجستان أيام ابن الزبير، وتغير الذين أسلموه، وقتله عبد العزيز بن عبد الله بن عامر وقد مدحه الفرزدق ورثاه.

انظر ترجمته وبعض أخباره في: ديوان الفرزدق: - دار بيروت: - ٢١٦/١، الممتع في صناعة الشعر: ٢٥٨.

(٥) رواية البيان والتبيين والأشباه والنظائر (٢ - ٢٢٠) والممتع في صناعة الشعر:

«وَلَا خَيْرَ إِلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَذْبَرَا».

ورود في الأشباه والنظائر: (١٣١/٢) رواية أخرى:

«وَلَا مَجْدَ إِلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَذْبَرَا».

(٦) أجاز التبريزي نصب «فتى» على المدح والاختصاص، فيكون المحذوف هنا الفعل لا المبتدأ، فينتفي موضع الشاهد.

(٧) نسبة إلى حنظلة الأكريمين، وهو حنظلة بن مالك بن زيد مناة من تميم جد جاهلي، بنوه =

ذكرهما الشيخ من غير نسبة، وهما لأبي حُرَابَة^(١).
وموضع الشاهد قوله: «فتى حنظلي» حيث حذف المبتدأ، والأصل: «هو
فتى».

- = عدة بطون منهم «بنو الظليم» واسمه مرة، وبنو قيس، وبنو عمرو، وبنو يربوع.
انظر ترجمته:
سبائك الذهب: ٩٣، الأعلام: ٢٨٧/٢.
(٨) رواية الأشباه والنظائر: (١٣١/٢):
«فَتَى حَنْظَلِي مَا تَرَالُ يَمِينُهُ».
(٩) رواية الأشباه والنظائر: (١٣١/٢):
«تعرف معروفًا».
(١٠) دُكِرَ في البيان والتبيين البيت الأول من بيتي الشاهد مع أبيات أخرى - سترد فيما بعد -،
وفي الأشباه والنظائر عند نسبتها لأبي حُرَابَة دُكِرَ البيت الأول فقط مع ثاني له غير بيت
الشاهد الثاني.
وكذلك في الممتع في صنعة الشعر دُكِرَ البيت الأول من الشاهد مع ثلاثة أبيات أخرى دون
ذكر البيت الثاني من الشاهد. ودُكِرَ بيتا الشاهد مع بيت آخر في الأشباه والنظائر - عند
نسبتها للجُرَيمِي -، وكذلك في الحماسة للتبريزي.
انظر: البيان والتبيين: ٣٢٩/٣، الأشباه والنظائر: ٢١٦/٢ - ٢٢٠ - ١٣١، شرح ديوان
الحماسة للتبريزي: ٢٢/٣، الممتع في صنعة الشعر: ٢٥٩.
(١) نسب الشاهد لأبي حُرَابَة في البيان والتبيين، وفي موضع من الأشباه والنظائر، ونسب في
موضع آخر منه لمسعود بن مالك الجُرَيمِي.
وورد من غير نسبة في شرح ديوان الحماسة للتبريزي، والممتع في صنعة الشعر.
وأبو حُرَابَة: هو الوليد بن حنيفة، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم،
شاعر من شعراء الدولة الأموية بدوي حضر وسكن البصرة، ثَمَا اُكْتُبَ في الديوان، وَضُرِبَ
عليه البعث إلى سجستان، فكان بها مدة، وعاد إلى البصرة، وخرج مع ابن الأشعث لما
خرج على عبد الملك، وأظنه قُتِلَ معه، وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجاء.
انظر ترجمته في:
الأغاني: ٢٦٠/٢٢.

والأبيات كما ذكرت في البيان والتبيين:

أَلَا لَا فَتَى بَعْدَ أَبْنِ نَاشِرَةِ الْفَتَى وَلَا خَيْرَ إِلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَذْبَرَ^(١)
وَكَانَ حَصَادًا لِلْمَنَايَا أَزْدَرَعْنَهُ^(٢) فَهَلَّا تَرَكْنَ الثَّبْتَ مَا كَانَ أَخْضَرَ
لَحَا^(٣) اللَّهُ قَوْمًا أَسْلَمُواكَ وَرَفَعُوا عَنَّا جِيجَ^(٤) أَعْطَتْهَا يَمِينُكَ ضُمًّا
أَمَّا كَانَ فِيهِمْ فَارِسٌ ذُو^(٥) حَفِيزَةٍ يَرَى الْمَوْتَ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ أَعْدَرًا
يَكْبُرُ كَمَا كَرَّ الْكَلْبِيُّ^(٦) بَعْدَ مَا رَأَى الْمَوْتَ تَحْدُوهُ الْأَسِنَّةُ أَقْمَرًا^(٧)
فَكَرَّ عَلَيْهِ الْوَرْدُ^(٨) يَذْمَى لَبَانَهُ^(٩) وَمَا كَرَّ إِلَّا رَهْبَةً أَنْ يُعِيرَا

ولعل من أسرار الحذف في البيت ضيق المقام.

فقد كان لابن ناشرة مكانة عظيمة، ومحبة خالصة في نفس الشاعر، فحين علم بمقلته اعتصر الألم فؤاده، فسالت الكلمات تسجل خطراته، فأبن ناشرة فتى لا يخلفه أحد بعد ذهابه، فالعرف قد آرتحل من الدنيا برحيل عرفه، وكأنه لا يستطيع أحد أن يؤدي حق العرف إلا هو.

وترى نفس الشاعر لشدة حزنها حائرة مضطربة تبحث عن كلمة تلوذ بها، فخرجت كلمة «فتى» كزفرة تُروّج عن تلك النفس الضائعة، وهذه الزفرة وإن

(١) ورد في الأشباه والنظائر بعد هذا البيت بيت الشاهد الثاني - برواية «ما تزال يمينه».

(٢) ازدرعنه: زرعنه. اللسان: «زرع»: ١٤١/٨.

(٣) لَحَا: اللَّهُ لَحْيَا أَي قَبَحَهُ وَلَعَنَهُ. اللسان «لحا»: ٢٤٢/١٥.

(٤) العناجيج مفردا عُجُوج، وهو الرائع من الإبل.

انظر معجم مقاييس اللغة: «عج»: ١٥٢/٤.

(٥) الحفيظة: الذُّبُّ عن المحارم والمنع لها عند الحروب. اللسان «حفظ»: ٤٤٢/٧.

(٦) الكلبي: هو عثمان بن عبد الله أحد بني عُبيد قتل معه.

انظر الممتع في صنعة الشعر: ٢٥٩.

(٧) رواية الممتع في صنعة الشعر:

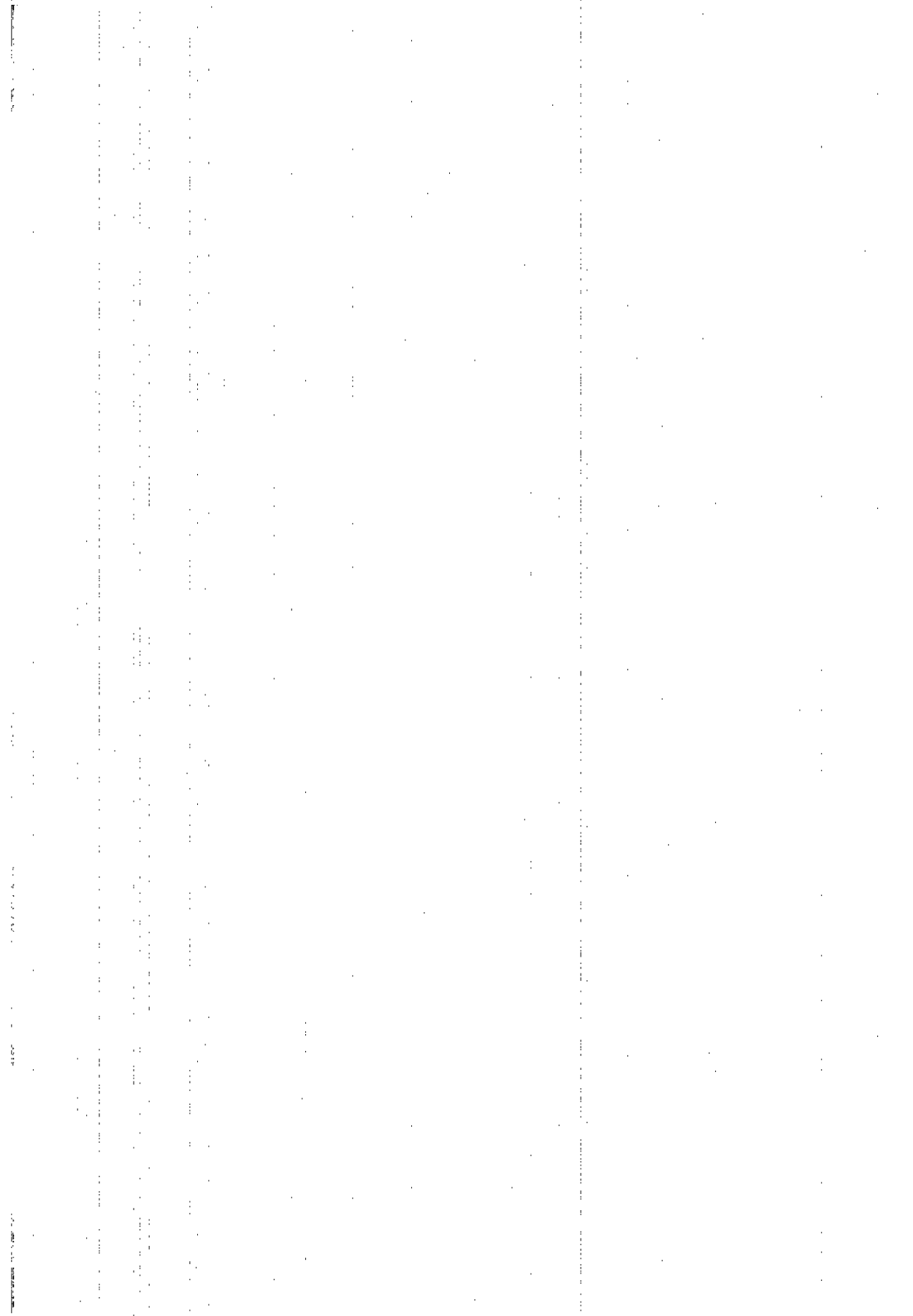
يَكْبُرُ كَمَا كَرَّ الْكَلْبِيُّ صَهْرُهُ وَمَا كَرَّ إِلَّا ضِيقَةً أَنْ يُعِيرَا

(٨) الْوَرْدُ: الْأَسَد. اللسان: «ورد»: ٤٥٦/٣.

(٩) اللَّبَان: الصَّدْر. اللسان «لبن»: ٣٧٦/١٣.

كانت تحمل كل معاني الأسى والحزن على ذلك الفتى النادر الوجود إلا أن في
تغني الشاعر بها ما يطرِب روحه، ويخفف حدة حزنه، فلو أنه قال: «هو فتى»
لطال النفس وطال معه الحزن، وفات مراد الشاعر، فالنفس الحزينة لا تقوى على
الإطالة والتكرار.

وَوَجَدَتِ النَّفْسَ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ انْطِلَاقَ تَعْبِيرٍ عَنْ كُلِّ مَا يَدُورُ فِيهَا، فَأَخَذَتْ
تَدْعُو عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَسْلَمُوهُ لِمَوْتٍ، وَأَخَذَتْ تَلُومُ فِرْسَانَهُمْ وَتَتَهَمُهُمْ
بِسُوءِ الْحَفِيزَةِ وَقِلَّةِ مِرَاعَةِ الْحَرَمَةِ.



(الطويل)

الشاهد السابع والثمانون^(١):

سَأَشْكُرُ عَمْرًا إِنْ^(٢) تَرَاخَتْ مَيِّتِي أَيْسَادِي لَمْ تُمْنَنْ^(٣) وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ
فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبٍ الْغِنَى^(٤) عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مُظْهَرُ^(٥) الشُّكُوى^(٦) إِذَا النُّعْلُ^(٧) زَلَّتِ^(٨)

(١) الدلائل، رضا: ١١٥، خفاجي: ١٨١ - ١٨٢، شاکر: ١٤٩.

(٢) رواية الفاضل، والکامل، وديوان أبي الأسود، وبهجة المجالس، ووفيات الأعيان، ومجموعة المعاني: «مَا تَرَاخَتْ».

وهذه الرواية أحسن «أي مدة بقاءه في الدنيا، أما رواية «إِنْ» فقد علّق شكره على شرط أن يعيش.

(٣) لم تمنن: يجوز أن يكون المراد لم تُقَطَّع، وإِنْ عظمت، وقال ذلك لأن الأيادي السنية لا تكاد تتناسق، ويقال: جبل مَينٍ ومَمْنُون، وفي القرآن ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ - الانشقاق: ٢٥، - ويجوز أن يكون المراد لم تُخْلَطْ بِمَنْ. شرح الحماسة للمرزوقي: ١٥٨٩/٤.

(٤) رواية أمالي المرتضى: «فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبٍ عَنْ الْعَيْنِ عَرْضُهُ».

(٥) رواية حماسة البحري: «وَلَا يُكْثِرُ الشُّكُوى».

(٦) رواية أمالي المرتضى: «وَلَا مُظْهَرُ الْبُلُوى».

(٧) رواية حماسة البحري: «إِذَا الْيَدُ».

(٨) انظر البيتين في:

ديوان أبي الأسود الدؤلي - ت. محمد حسن آل ياسين -: ١٠١، رقم القصيدة (٧٢) ديوان

عبدالله بن الزبير - فيما ينسب له -: ١٤١، ديوان إبراهيم بن العباس الصولي - الطوائف

الأدبية: ١٣٠، رسائل الجاحظ: ٣٨/١، عيون الأخبار: ١٦١/٣، حماسة البحري:

١٠٩، الفاضل: ٩٨، الكامل: ١٤٥، العقد الفريد - دار الكتب - ٢٣٥/١، أمالي القاضي:

١٤٠/١، الأغاني: ٢٢٣/١٤، معجم الشعراء للمرزباني: ٤٢١ - ٤٢٢، شرح ديوان =

أوردهما الشيخ من غير عزو، وينسبان لمحمد بن سعيد الكاتب، أو لإبراهيم الصولي، أو لعبدالله بن الزبير، أو لأبي الأسود الدؤلي^(١).

= الحماسة للمرزوقي: ١٥٨٩/٤، أمالي المرتضى: ٣٠٦/١، بهجة المجالس: ٣١٤، سمط اللالي ١٦٦/١، الممتع في صنعة الشعر: ٢٣٧، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٧٠/٤، الحماسة البصرية: ١٣٥/١، الإيضاح: ١٠٩/١ - ١١٠، وفيات الأعيان: ٤٧٨/٣، ٢٣٢/٦ - ٢٣٣، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - ١٩، خزانة البغدادي: ٢٦٥/٢، مجموعة المعاني: ٩٦.

(١) نُسبت الأبيات - بيتا الشاهد وما سيذكر بعد ذلك - في عيون الأخبار وأمالي المرتضى، وفيات الأعيان، والطرائف الأدبية، ومجموعة المعاني لإبراهيم بن العباس الصولي، وهي ضمن ديوانه في الطرائف الأدبية، وذكر البيت الثالث - الذي سيرد فيما بعد - في معجم الأدباء: ١١٢/١٣ لإبراهيم الصولي أيضاً.

وذكرت الأبيات في حماسة البحترى، والفاضل، والكمال، والعقد، وشرح الحماسة للمرزوقي، وبهجة المجالس، والممتع في صنعة الشعر، وشرح الحماسة للتبريزي، والإيضاح، من غير عزو.

ورجح محقق الإيضاح - محمد عبد المنعم خفاجي - كونها لأبي الأسود الدؤلي لأنها أشبه شيء بشعره، وعلل لاختلاف الرواة في نسبتها أن الشعراء ربما تمثلوا بها فظنوها من شعرهم.

وعزاها أبو علي القالي في أماليه إلى بعض الأعراب.

وهي في رسائل الجاحظ ومعجم الشعراء للمرزباني، وشرح الحماسة للتبريزي لمحمد بن سعيد الكاتب، وذكر الجاحظ أن محمداً هذا رجل من الجند وقال المرزباني: إنه شاعر بغدادي.

وذكر محقق ديوان عبدالله بن الزبير - الدكتور يحيى الجبوري - أن ابن خلكان نسبها في الوفيات لمحمد بن سعد الكاتب ثم ذكر أنه قال: «قلت: هي للصولي إبراهيم بن العباس». وقد بحثت في الوفيات فوجدت الأبيات في موضعين منه، ولم أرى نسبتها إلى محمد بن سعد الكاتب، ووجدت قول ابن خلكان السابق - الذي ينسب فيه الأبيات لإبراهيم الصولي - مذكوراً بعد أن أنشد ابن هبيرة - وزير الخليفة المقتفي - الأبيات أمام الخليفة فقال ابن خلكان: «قلت: وهذان البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي»: ٢٣٢/٦ - ولم يذكر ابن خلكان - الأبيات في ترجمة الصولي: ٤٥/١ - ٤٧، وهي في الأغاني، والحماسة البصرية، ورواية في السمط، والخزانة للبغدادي لعبدالله بن الزبير الأسدي قالها في عمرو بن أبان، =

وموضع الشاهد قوله: «فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبٍ» والأصل «هُوَ فَتَى»، وورد

الشاهد ضمن أربعة أبيات هي:

سَأَشْكُرُ عَمْرًا إِنْ تَرَأَخْتُ مِنِّي
فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبٍ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ
رَأَى خَلَّتِي (١) مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا
إِذَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ الْمَوْدَةُ أَقْبَلَتْ
فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ (٢) حَتَّى تَجَلَّتْ
وَإِنْ غُمِرَتْ مِنْهُ الْقَنَاةُ اكْفَهَرَتْ (٣)

ذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ عَمْرُو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ الْمَدِينَةِ، فَبَيْنَا هُوَ يَحْدِثُهُ ظَهَرَ كُمٌ قَمِيصُهُ مِنْ تَحْتِ جَبَتِهِ، وَكَانَ قَدْ تَحَرَّقَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَمْرُو، فَلَمَّا انصَرَفَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَمِائَةَ ثَوْبٍ، فَقَالَ الرَّجُلُ: هَذِهِ

وذكر صاحب الحماسة البصرية أنها تُروى أيضاً لعمر بن كميل، وكذلك أشار التبريزي أنها تروى لعمر بن كميل في عمرو بن ذكوان. وهي في سمط اللالي منسوبة لأبي الأسود الدؤلي في عمرو بن سعد بن العاص، وهي موجودة في ديوانه.

(١) رواية حماسة البحرى، ومعجم الشعراء، وأمالى القالى: «رَأَى خُلَّةً» ويبدو أن رواية التنكير هذه أفضل وأجمل؛ لأنها تُظهر تعفف الشاعر، وحرصه ورغبته في التَّجَمُّلِ بستر تلك الخُلَّة.

رواية شرح الحماسة للمرزوقي: «رَأَى زَلَّتِي».

(٢) رواية وفيات الأعيان: «فَكَانَتْ بِمَرَأَى مِنْهُ حَتَّى تَجَلَّتْ».

ذكر ابن خلكان أن ابن هبيرة قد تعمَّد تغيير الرواية نادياً لأنه أنشدها بحضرة الخليفة المقتضى.

(٣) ذُكِرَتِ الْآيَاتُ الثَّلَاثَةُ الْأُولَى فِي مَعْظَمِ الْمَصَادِرِ السَّابِقَةِ، وَذُكِرَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ فَقَطْ فِي سَمَطِ اللَّالِي، وَفِي دِيْوَانِ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ.

وَذُكِرَ الْبَيْتُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُ فَقَطْ فِي أَمَالِي الْمُرْتَضَى. وَفِي بَهْجَةِ الْمَجَالِسِ ذُكِرَ الْآيَاتُ الثَّلَاثَةُ الْأُولَى، إِلَّا أَنَّهُ نَسَبَ الْبَيْتَ الثَّلَاثَ لِأَخْرَ أَيَّ جَعَلَهُ مُنْفَصِلاً عَنْهُمَا.

وَالْبَيْتُ الثَّلَاثُ ذُكِرَ وَحْدَهُ فِي مَعَانِي آيَاتِ الْحِمَاسَةِ: ٢٧٠، الْحِمَاسِيَّةُ: ٦٩٥، وَالْبَيْتُ الرَّابِعُ ذُكِرَ فِي «الْفَاضِلِ» لِلْمَبْرِدِ مَعَ الْآيَاتِ الثَّلَاثَةِ الْأُخْرَى، وَلَمْ يَرِدْ فِي الْمَصَادِرِ الْأُخْرَى.

الآبيات، ويقال: أن الرجل هو محمد بن سعيد الكاتب^(١).

وروى في السمط الرواية عينها إلا أن الرجل فيها أبو الأسود الدؤلي^(٢).

ويروى أيضاً أن الناظر هو عمرو بن ذكوان، نظر إلى عمرو بن كميل، وعليه جبة بلا قميص، فتشفع له حتى ولي الحرب بالبصرة، فأصاب في ولايته مالا عظيماً، فقال الآبيات مادحاً ابن ذكوان^(٣).

وورد في الأغاني وكذا في رواية في السمط أن الشعر لعبدالله بن الزبير وأنه أتى عمرو بن أبان بن عثمان، فسأله، فقال لو كي له: اقترض لنا مالا، فقال: ما يعطيناه التجار، فقال: أربحهم، فأقترض ثمانية آلاف باثني عشر ألفاً فقيل: إنه أول من تعين (استقرض بالربا من العينة)^(٤).

ولعل من أسرار الحذف هنا ضيق المقام، والتعويل على أقوى الدليلين، والاختصار.

يقول الشاعر: سأنشر آلاء عمرو، ونعمه عندي إن مدَّ الله في عمري، وتراخت غاية المقدار من منيتي، وسأشكر له هذه النعم الصافية من المن، وعطاياه التي لم تخلط بأذى على جلاله قدرها، أو التي لم تقطع بل انتظمت، وأتصلت على كثرتها وعظمتها^(٥).

فروح الشاعر إذا مشبعة بالامتنان مفعمة بالرضى والعرفان، فرأت أنه من العرفان بالجميل أن تسرع بإعلان ذلك الشكر، وأن لا تتباطأ في نشره، فركز الشاعر العبارة ليشد الانتباه، ويوقظ الأذهان إلى المزايا التي أوجبت عليه الشكر، فقطع الكلام وأستأنف، وبنى هذا الاستئناف على حذف المبتدأ، وهذا البناء له

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٧٠/٤.

(٢) سمط اللآلي: ١٦٦/١.

(٣) شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٧٠/٤.

(٤) الأغاني: ٢٢٣/١٤، السمط: ١٦٦/١.

(٥) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٥٨٩/٤.

قوته، وأصالته في التركيب الشعري، فوصفه بأنه «... فتى يشرك صديقه في غناه مدة مساعدة الزمان له، فإن تولى الأمر، وزلت النعل تراه لا يتشكى ولا يتألم، وهذا مثل قول الآخر^(١) :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهُ^(٢)

ويقال في الكناية عن نزول الشر، وامتحان المرء: زلت القدم به، كما يقال: زلت النعل به^(٣).

فوصفه بقوة البذل والسخاء، ثم وصفه بالفطنة والذكاء والاهتمام بحال الأصدقاء، فقد علم بحاله عن طريق الاستدلال، لأنه كان يستر خلته بالتجمل، فأدركها، «فكانت قذى عينه أي لم يصبر عليها كما لا يصبر الرجل على قذى عينه حتى يخرجها»^(٤).

فرسم بهذه الأوصاف النادرة نموذجاً بشرياً لا يكاد يوجد على أرض الواقع. ورأى المرزوقي أن قوله: «ورأى خلتي من حيث يخفى مكانها» زائد على قول ابن عنقاء الفزاري، وهو:

رَأَيْتُ عَلَى مَا بِي عُمَيْلَةً فَأَشْتَكِي إِلَى مَالِهِ خَالِي أَسْرَ كَمَا جَهَرُ

«وذاك لأن هذا قال: «رأى خلتي من حيث يخفى مكانها»، فكانه أدرك الحال من طريق الاستدلال، والاهتمام المبعوث من جودة التفتن، وإن كان صاحبه يتعفف عن السؤال ويتجمل، وأبن عنقاء شاهد الحال عياناً، فأشتكى إلى ماله سرّاً وجهراً، وقال هذا بإزاء الاشتكاء، فكانت قذى عينه أي من حسن الاهتمام ما جعله كالداء الملازم حتى تلافاه بالإصلاح، وإذا كان كذلك، فموضع الزيادة في كلامه، وقصده ظاهر»^(٥).

(١) المتنخل الهذلي.

(٢) انظر: ديوان الهذليين: ٣٠/٢، وهو من قصيدة قالها في رثاء أبيه عويمر.

(٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٥٨٩/٤.

(٤) شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٧٠/٤.

(٥) شرح الحماسة للمرزوقي: ١٥٨٩/٤.

وأبيات الشاهد شبيهة بقول المرار الفقعي:
 إِذَا افْتَقَرَ الْمَرَارُ لَمْ يُرْفَقْهُ وَإِنْ أَيْسَرَ الْمَرَارُ أَيْسَرَ صَاحِبِهِ

ولإبراهيم بن العباس أبيات في هذا المعنى:
 وَلَكِنَّ الْجَوَادَ أَبَا هِشَامٍ وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُونُ الْمَغِيبِ
 بَطِيءٌ عَنْكَ مَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْهُ وَطَلَّاعٌ عَلَيْكَ مَعَ الْخُطُوبِ^(١)

وهذان البيتان يوشك أن يكونا مأخوذتين من قول أوس بن حجر^(٢):
 وَلَيْسَ أَخْوَاكَ الدَّائِمُ الْعَهْدِ بِالَّذِي يَذُمُّكَ إِنْ وَلَّى وَبُرْضِيكَ مُقْبِلًا
 وَلَكِنَّهُ النَّائِي^(٣) إِذَا كُنْتَ آمِنًا وَصَاحِبُكَ الْأَذْنَى إِذَا الْخُطْبُ^(٤) أَغْضَلَا^(٥)

وأيضاً لإبراهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى:
 أَسَدٌ ضَارٍ إِذَا هَيَّجَتْهُ^(٦) وَأَبٌ بَرٌّ إِذَا مَا قَدَّرَا
 يَعْلَمُ^(٧) الْأَبْعَدَ إِنْ أَثَرَى وَلَا يَعْلَمُ^(٨) الْأَذْنَى إِذَا مَا^(٩) أَفْتَرَا^(١٠)^(١١)

(١) ديوانه - الطرائف الأدبية - : ١٢٩.

(٢) هو أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شريح، شاعر تميم في الجاهلية، وهو زوج أم زهير بن أبي سلمى، كان كثير الأسفار، أكثر إقامته في الحيرة عند عمرو بن هند، وقد غمّر طويلاً، ولم يدرك الإسلام، وكان شاعر حكمة وغزل: (٩٨ - نحو ٢ من هـ). انظر ترجمته:

طبقات فحول الشعراء: ٤١/١، ٧٩، ٩٢، ٩٧، ٩٨، الشعر والشعراء: ٢٠٨/١ - ٢١٥، الأغاني: ٧٠/١١ - ٨٤، سمط اللالي: ٢٩٠، خزانة البغدادى: ٢٣٥/٢، الأعلام: ٣١/٢.

(٣) رواية الديوان: «وَلَكِنَّ أَخْوَاكَ النَّائِي مَا دُمْتَ آمِنًا».

(٤) رواية الديوان: «إِذَا الْأَمْرُ».

(٥) ديوانه: ٩٢.

(٦) رواية الديوان: «إِذَا مَا نَعْتَهُ».

(٧) رواية الديوان: «يعرف».

(٨) رواية الديوان: «يعرف».

(٩) رواية ديوانه: «إِذَا مَا افْتَقَرَا».

قول جميل^(٢):

وَهَلْ بَثْنَةُ يَا لِلنَّاسِ قَاضِيَتِي دَيْنِي وَفَاعِلَةٌ خَيْرًا فَأَجْزِيهَا
تَرُنُّو^(٣) بِعَيْنِي مَهَاةً أَقْصَدْتُ^(٤) بِهِمَا قَلْبِي عَشِيَّةً تَرْمِيَنِي وَأَرْمِيهَا

(١٠) ديوانه: «الطرائف الأدبية»: ١٣٣.

(١١) أمالي المرتضى: ٣٠٦/١.

(١) الدلائل، رضا: ١١٥، خفاجي: ١٨٢، شاکر: ١٥٠.

(٢) هو جميل بن عبدالله بن مَعْمَر بن الحارث من بني عذرة، كنيته أبو عمرو (١٠٠٠ - ٨٢ هـ)، عُرِفَ ببثينة، والتصق اسمه باسمها، فيقال: «جميل بثينة» وهي بثينة بنت حباب بن ثعلبة (أم عبد الملك) خطبها جميل فَرَدَّ عنها وَزُوِّجَتْ برجل يُدعى نبيهاً.

نشأ جميل في بني ربيعة - قومه - في ربوع وادي القرى من بين مكة والمدينة، ثم أخذ يختلف إلى المدينة. وذكر أنه لقي عمر بن أبي ربيعة وتناشدا الشعر، وكان جميل شاعراً فصيحاً مقدماً جامعاً للشعر والرواية، كان راوية هُدْبَةُ بن خَشْرَمَ، وكان هُدْبَةُ شاعراً راوية للحطيئة، وكان الحطيئة شاعراً راوية لزهير وأبنة، وكان كثير راوية جميل، وكان كثير يقدِّمه على نفسه، ويتخذُه إماماً، وكان أكثر شعر جميل في النسب والغزل والفخر وهو قليل المدح.

ولما رحل بنو عذرة إلى أطراف الشام قصد جميل مصر وافداً على عبد العزيز بن مروان، فأكرمه، وأمر له بمنزل، فأقام فيه قليلاً، ومات فيه.

انظر ترجمته:

الشعر والشعراء: ٤٤١/١ - ٤٥١، الأغاني: ٩٠/٨ - ١٥٤، المؤلف والمختلف: ٧٢،

١٦٨، الموشح: ١٨٠ - ١٨٢، تاريخ ابن عساكر: ٣٩٨/٣ - ٤٠٨، وفيات الأعيان:

٣٦٦/١ - ٣٧١، البداية والنهاية: ٤٤/٩ - ٤٥، الأعلام: ١٣٨/٢.

(٣) الرُّنُو: إدامة النظر مع سكون الطُّوف. اللسان «رنا»: ٣٣٩/١٤.

(٤) أقصدت: الإقصاد أن تضرب الشيء أو ترميه فيموت، وأقصد السهم أي أصاب فقتل

مكانه، وأقصدت الرجل إذا طعنته أو رميته بسهم، فلم تخطيء مقاتله فهو مُقْصَد. اللسان

«قصد»: ٣٥٦/٣.

هَيْفَاءُ^(١) مُقْبِلَةٌ عَجْزَاءُ^(٢) مُذْبِرَةٌ رَيًّا^(٣) الْعِظَامِ بِلَيْنِ الْعَيْشِ غَاذِيهَا^(٤)

وفي طبعة - شاعر - ذكرت أربعة أبيات مع اختلاف في رواية البيت الثالث،
فبعد أن ذكر البيت الأول والثاني أورد قوله:

هَيْفَاءُ مُقْبِلَةٌ عَجْزَاءُ مُذْبِرَةٌ رَيًّا الْعِظَامِ بِلَا عَيْبٍ يُرَى فِيهَا
مِنْ الْأَوَانِسِ مَكْسَالُ^(٥) مُبْتَلَةٌ^(٦) خَوْدُ^(٧) غَذَاهَا بِلَيْنِ الْعَيْشِ غَاذِيهَا

وعلق الأستاذ شاعر على ما جاء في طبعة - رضا - وخفاجي - قائلاً:

«وجعله في المطبوعة ثلاثة أبيات، فقال في الثالث:

«رَيًّا الْعِظَامِ بِلَيْنِ الْعَيْشِ غَاذِيهَا» وهو خطأ^(٨).

(١) هيفاء: الهيفُ: جمع أهيف وهيفاء، وهو الضامر البطن، والهيف بالتحريك، رقة الخضر، وضمور البطن. اللسان «هيف»: ٣٥٢/٩.

(٢) عجزاء: عَجَزُ الشيء، وعَجْزُهُ، وعَجْزُهُ، وعَجْزُهُ، وعَجْزُهُ: آخره، والعجزاء التي عَرَضَ بطنها، وثقلت مآكمتها، فغطم عجزها - والمآكمة - العجز أيضاً. اللسان «عجز»: ٣٧٠/٥ - ٣٧١.

(٣) رَيًّا: روي الحبل رَيًّا فازتوى: فتله، وقيل: أنعم فتله. اللسان «روي»: ٣٤٨/١٤.

(٤) الأبيات غير موجودة في ديوانه - طبعة دار مكتبة الحياة - انظره في:

الدلائل: - رضا: ١١٥، خفاجي: ١٨٢.

(٥) مكسال: التي لا تكاد تبرح مجلسها، وهو مدح لها مثل نؤم الضحى. اللسان «كسال»:

٥٨٧/١١.

(٦) مُبْتَلَةٌ: امرأة مُبْتَلَةُ الْخَلْقِ أي منقطعة الْخَلْقِ عن النساء لها عليهن فضل، وقيل: المُبْتَلَةُ التَّامَةُ الْخَلْقِ، وقيل: المُبْتَلَةُ من النساء الحسنة الْخَلْقِ لا يقصر شيء عن شيء، لا تكون حسنة العين، سمجة الأنف، ولا حسنة الأنف سمجة العين، ولكن تكون تامة، فهي التي تَقَرَّدُ كل شيء منها بالحسن على حدته. اللسان «بتل»: ٤٣/١١.

(٧) خَوْد: الفتاة الحسنة الخلق الشابة، وقيل: الجارية الناعمة، وجمعها خَوْد. اللسان «خود»:

١٦٥/٣.

(٨) الدلائل، شاعر: ١٥٠.

وموضع الشاهد قوله: «هَيْفَاءٌ مُقْبِلَةٌ»، «عَجَزَاءٌ مُدْبِرَةٌ»، فحذف المبتدأ، والأصل: هِيَ هَيْفَاءٌ، هِيَ عَجَزَاءٌ.

الشاعر في هذه الأبيات وَلَهُ مُتَدَلٍّ بِمَحَبَّتِهِ، ونفسه مرهونة برفضها أو إجابتها فلجأ إلى الاستفهام ليقُلِّلَ من وطأة حيرته «وهل بثينة»، وَيُؤَمِّنِي النفس أن تقضيه دينه، وما دينه؟ لعله حُبُّ لها، وإثارها دون غيرها بملك قلبه، وعمله الدائب على إرضائها.

وحين بلغ به التَّمَنِّي أقصى مداه، فَرَّتْ منه صرخة استنجد «يا للناس»، وكأنه يطلب العون لتحقيق مناه.

وخاف الشاعر أن يلومه أحد على شدة تعلقه بها، فقطع الكلام، وصرف النفس إلى التَّغْنِي بِمِفَاتِنِهَا، ليصف بواعث لواعجه، ويرر موقفه، وغلبة هواها عليه، ثم لِيُطْرِبَ النفس بذكرها، فحين تراميا عشية بالِّلُّحَاطِ أصابت قلبه، وأقصده.

وتأمل دقة الشاعر في اختياره «العشية» للقاء، ولعله آختره لأنه كان لا يراها إلاَّ خلصة حين تغفل القبيلة، أو لأن العشايا وقت لقاء المحبين، أو لأنه في النهار لا يستطيع إدامة النظر إليها ولا تستطيع هي؟

والنفس الطربة تختار دائماً الموسيقى السريعة لتقفز على نغماتها في يسر وسهولة، فناسب الحذف موسيقى الأبيات.

وفي اختيار الشاعر القافية بالهاء الممدودة دليل على أنطلاقة روحه وجورها؛ لأن في هذه الهاء نوعاً من الانطلاق.

ويبدو لي أن الشاعر لم يوفق في اختياره كلمة «أرميها»، فقد تكون كلمة «ترميني» جيدة، ولكن كلمة «أرميها» غير مقبولة، فالمحب ينظر باستعطاف ورغبة ولا يقصد أن يرمي عين صاحبتة، فالرمي قذف بعنف وقوة، فهو لا يناسب المقام.

قول جميل:

إِنِّي عَشِيَّةٌ رُحْتُ وَهِيَ حَزِينَةٌ تَشْكُو إِلَيَّ صَبَابَةً لَصْبُورُ
وَتَقُولُ بَتِّ عِنْدِي فَدَبَّتْكَ لَيْلَةٌ أَشْكُو إِلَيْكَ فَإِنَّ ذَاكَ يَسِيرُ
غَرَاءُ^(٢) مِبْسَامٌ كَانَ حَدِيثُهَا دُرٌّ تَحْدَرُ نَظْمُهُ مَنْشُورُ
مَخْطُوطَةٌ^(٣) الْمَتْنِ مَضْمَرَةٌ^(٤) الْحَشَا رِيَا الرُّوَادِفِ خَلَقَهَا^(٥) مَمْكُورُ^(٦)^(٧)

ومطلع القصيدة:

زُورُوا بُشَيْنَةَ فَالْحَبِيبُ مَزُورُ إِنَّ الزِّيَارَةَ لِلْمُجِبِّ يَسِيرُ
إِنَّ التَّرَحُّلَ إِنْ تَلَبَّسَ أَمْرُنَا وَاعْتَاقَنَا قَدَرٌ أَجَمُّ^(٨) بَكُورُ^(٩)

وبعدهما أبيات الشاهد وبعده:

لَا حُسْنَهَا حُسْنٌ وَلَا كَدَالِهَا ذَلٌّ وَلَا كَوَقَارِهَا تَوْقِيرُ
إِنَّ اللِّسَانَ بِذِكْرِهَا لَمْوَكُلُ وَالْقَلْبُ صَادٍ وَالْخَوَاطِرُ صُورُ

موضع الشاهد قوله: «غَرَاءُ مِبْسَامٌ» أي «هي غَرَاءُ مِبْسَامٌ» فحذف المبتدأ.

(١) الدلائل، رضا: ١١٥، خفاجي: ١٨٢، شاعر: ١٥٠.

(٢) غَرَاءُ: بيضاء صافية اللون. اللسان «غر»: ١٦/٥.

(٣) رواية الديوان - دار مكتبة الحياة -: مخطوطة ولعله تحريف ومخطوطة المتن: يريد أن جانبي ظهرها ممدد مستو ليس فيه تنوء، فالمتن من كل شيء ما صُلِبَ ظهره، والجمع مُتُونٌ وَمِتَانٌ، وَالْمَتْنُ وَالْمِتَانُ ما بين كل عمودين. اللسان «متن»: ٣٩٨/١٣.

(٤) مضمرة الحشا: رقيقة الخصر، ضامرة، والضَمْرُ من الرجال الضامر البطن، وهو المهضم البطن اللطيف الجسم. اللسان «ضمير»: ٤٩١/٤.

(٥) رواية الديوان - دار مكتبة الحياة - «خَلَقَهَا» ولعله تحريف.

(٦) خَلَقَهَا مذكور: المدمجة الخلق، وقيل: المطوية الخلق. اللسان «مكر»: ١٨٤/٥.

(٧) انظر الأبيات في:

ديوانه - دار مكتبة الحياة -: ٣٥، ديوانه - دار صادر -: ٦٥، الأغاني: ١٤٨/٨.

(٨) حُمٌّ بمعنى قُدْرٌ وَحُمٌّ الشيء وأَجَمُّ أي قُدْرٌ فهو مَخْمُومٌ. الصحاح «حمم»: ١٩٠٤/٥.

(٩) بَكُورٌ: أي باكراً. الصحاح «بكر»: ٥٩٦/٢.

«شكا زوج بثينة إلى أبيها وأخيها إمام جميل بها، فشكوه إلى عشيرته، وتوعده وإياهم، فلامه أهله وعنفوه، وقالوا له: نبرأ منك ومن جريرتك»^(١).

وأمام هذا التهديد والتعنيف حبس عاطفته، وكنم حبه، ففاض به الشوق، وأخذت الآلام تتر في صدره، فأخذ يخاطب ابني عمه روقاً ومسعدة، ويشكو إليهما ما يلفاه من فراق بثينة، ويترجاهما في زيارة تلك الحبيبة، فهو ما يزال يذكر حزنهما ويحس شوقها، وَوَجَدَهَا بِهِ - وهذا خلاف ما هو معروف في باب الغزل - وبخاصة الغزل العذري، فَإِنَّ الْحُرَّةَ الْعَفِيفَةَ تَوْصَفُ بِالْحَيَاءِ وَالْخَجَلِ، ثُمَّ قَطَعَ الْكَلَامَ، وبدأ مقطعاً مهماً في المعنى، قوي الارتباط بدخيلته، وبني هذا الاستئناف على الحذف حيث ساقته هذه الذكرى إلى تذكر أهم صفاتها، وبواعث حبها، فهي غراء صافية اللون، «مبسما» على وزن مفعال وهي صيغة مبالغة من الابتسام، فجعلها كثيرة التبسم لأن هذه الصفة تبعث الراحة في النفس، وحديثها دُرٌّ يُفْرَحُ الْقَلْبَ، وهي رقيقة الخصر لطيفة الجسم مطوية الخلق.

قال الدكتور أحمد عبد السيد الصاوي في تعليقه على هذه الأبيات:

«إِنَّ حَذْفَ الْمَبْتَدَأِ هُنَا يَسْهَمُ بِدَوْنِ شَكٍّ فِي إِظْهَارِ الْحَالَةِ الَّتِي مَلَكَتْ عَلَيْهِ مَشَاعِرُهُ، فَهُوَ يَسْتَغْرِقُ فِي تَجَرُّبَةِ الْحُبِّ، مَتَنَاسِياً حَدِيثَ حَبِيبَتِهِ، مُوجَّهاً اِهْتِمَامَهُ إِلَى حَدِيثِهِ هُوَ عَنْهَا مُسْتَسْلِماً لِمَشَاعِرِهِ نَحْوَهَا، فَهُوَ مُعْجَبٌ بِجَمَالِ كُلِّ مَا بَدَأَ مِنْهَا، وَكَأَنَّهُ يَشْكُو لَهَا هِيَ كُلِّ مَا أَصَابَهُ مِنْ حَرَقَةِ الْحُبِّ وَلَهْفَةِ النَّظَرِ إِلَى مِفَاتِنِهَا. إِنْ تِلْكَ اللَّحْظَاتُ كَأَنَّ صِدَاَهَا فِي مَكَانِ حَذْفِ الْمَبْتَدَأِ»^(٢).

الشاهد التسعون^(٣): (الطويل)

قول الأقيشير^(٤):

(١) انظر: ديوانه - دار مكتبة الحياة -: ٣٥، دار صادر -: ٦٥، الأغاني: ١٤٨/٨.

(٢) النقد التحليلي: ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٣) الدلائل، رضا: ١١٦، خفاجي: ١٨٣، شاکر: ١٥٠.

(٤) الأقيشير: هو المغيرة بن عبدالله بن مُعْرِض بن عمرو بن أسد بن خزيمه بن مُدْرِكَة بن = إلياس بن مُضَر بن نزار، وكان يُكْنَى بِأَبِي مُعْرِض.

سَرِيعُ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطُمُ^(١) وَجْهَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى^(٢) بِسَرِيعٍ
حَرِيصُ عَلَى الدُّنْيَا مُضِيعُ لِدِينِهِ وَلَيْسَ لِمَا فِي يَتِيهِ بِمُضِيعٍ^(٣)

وهذان البيتان قالهما في ذم ابن عم له موسر، سأله فمنعه وقال: كم أعطيك مالي، وأنت تنفقه فيما لا يُغْنِيكَ؟ والله لا أعطيتك، فتركه حتى اجتمع القوم في ناديه، وهو فيهم، فشكاه إلى القوم وذمه، فوثب إليه ابن عمه، فלטمه، فأنشأ يقول الأبيات .

وموضع الشاهد قوله: «سَرِيعُ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ» وقوله: «حَرِيصُ عَلَى الدُّنْيَا» أي هو سريع - هو حريص .

● حين ضاق الشاعر من فعلة ابن عمه، وأخذت الإهانة تضرم في نفسه

قال ابن قتيبة في نسبه: «إنه المغيرة بن الأسود بن وهب وكذلك البكري». (.. نحو ٨٠ هـ) والاقشِر لقب غلب عليه؛ لأنه كان أحمر الوجه أقشر «وهو شدة الحمرة» وعُمِّرَ عمراً طويلاً، فكان أقعد بني أسد نسباً، وما أخْلَقَه بأن يكون وَلَدٌ فِي الجاهلية ونشأ في الإسلام. كان كوفيّاً خليعاً ماجناً مدمناً على شرب الخمر. انظر ترجمته:

أسماء المغتالين «نادر المخطوطات»: ٢/٢٤٩ - ٢٥٠، الشعر والشعراء: ٢/٥٦٣ - ٥٦٦، الأغاني: ١١/٢٥١ - ٢٧٧، المؤلف والمختلف: ٥٦، الموشح: ١٧٢ - ٢٠٠، سبط اللالي: ١/٢٦، الإصابة: ٣/٤٧٦، معاهد التنصيص: ٣/٢٤٣ - ٢٥٠، خزنة البغدادي: ٢/٢٧٩ - ٢٨٢، الأعلام: ٧/٢٧٧ - ٢٧٨، وفي شرح أبيات الإيضاح ذكر أن البيتين لأبي الرُّقَيْش، واعتقد أنه خطأ من الناسخ، والمقصود الاقشِر.

(١) رواية البديع، والمنصف في نقد الشعر، ونهاية الأرب: «سَرِيعُ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَشْتُمُ عِرْضَهُ»

(٢) رواية الصناعتين:

«وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي الرَّغْبَى بِسَرِيعٍ»

ويبدو أن رواية «دَاعِي النَّدَى» أنسب للمقام لأن الشاعر أراد أن يَدُمُّ بَخْلَهُ لَا بِطَوْلَتِهِ وَنَسَالَتِهِ.

(٣) انظر البيتين في:

البديع: ٤٨، الصناعتين: ٤٣٠، المنصف في نقد الشعر: ٦١، نهاية الأرب: ٧/١٠٩، الإيضاح: ١/١١١، ٢/٥٤٤، التلخيص: ٣٩٣، شرح أبيات الإيضاح: - فيض الله: =

نار الحقد، أنشأ يقول الأبيات هادفاً المسند إليه تطهيراً للسان عنه، وفي هذا زيادة ذمٍ وتقبيح للمهجور.

جاء في شرح أبيات الإيضاح:

«وكان الشاعر إنما حذف المسند إليه في البيتين تطهيراً للسان عنه»^(١).

ولعل سر الحذف هنا - أيضاً - ضيق المقام، فالشاعر قد أهين، ولطم أمامه من الناس، فثارت فيه الرغبة في الدفاع عن نفسه بأسرع ما يمكن.

ولقد استشهد كثير من علماء البلاغة السابقين واللاحقين ببيت الشاهد الأول على رد العجز على الصدر^(٢)، واستشهد صاحب الإيضاح بالشاهد في موضعي الحذف - أخذاً عن الشيخ فيما يبدو - ورد العجز على الصدر «البيت الأول»^(٣).

(الطويل)

الشاهد الواحد والتسعون^(٤):

قول عبدالله بن الزبير^(٥):

١٠ أ، معاهد التنقيص: ٢٤٢/٣ - ٢٤٣، أنواع الربيع: ٩٥/٣، شروح التلخيص:

٤٣٦/٤، خزانة الأدب - دار صادر: ٢٨١/٢.

(١) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ١٠ أ.

(٢) انظر: البديع، الصنائع، التلخيص، نهاية الأرب، أنوار الربيع.

(٣) انظر: الإيضاح: ١١١/١ - استشهد هنا بالبيتين -، ٥٤٤/٢ - البيت الأول فقط -.

(٤) الدلائل، رضا: ١١٦، خفاجي: ١٨٣، شاکر: ١٥١.

(٥) هو عبدالله بن الزبير بن الأشم بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن مُنْقِذ بن طَرِيف بن عمرو بن

قُعين بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، وهو شاعر كوفي المنشأ والمزول،

من شعراء الدولة الأموية، وكان من شيعة بني أمية، وذوي الهوى فيهم، والتعصب والنصرة

على عدوهم، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتى به أسيراً، فمُنَّ عليه، ووصله،

وأحسن إليه، فمدحه وأكثر، وأنقطع إليه، فلم يزل معه حتى قُتِل مصعب، ثم عَمِيَ

عبدالله بن الزبير بعد ذلك، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان، ويكنى بأبي كثير.

انظر ترجمته:

المهجع: ٥٣، الاشتقاق: ٤٨، الأغاني: ٢١٧/١٤ - ٢٦٢، معجم الشعراء: ٢٤٤ - =

عَرَضْتُ عَلَى زَيْدٍ^(١) لِيَأْخُذَ بَعْضَ مَا
فَدَبَّ دَبِيبَ الْبَغْلِ بِأَلْمِ ظَهْرِهِ
يُحَاوِلُهُ قَبْلَ اعْتِرَاضِ^(٢) الشَّوَاغِلِ
وَقَالَ: تَعْلَمُ إِنِّي غَيْرُ فَاعِلٍ^(٣)
وَأَخْرَجَ أَتْيَابَالَهُ كَالْمَعَاوِلِ^(٤)

وقبل أبيات الشاهد:

أَحَابِسَ كَيْدِ^(٥) الْفِيلِ عَنْ بَطْنِ مَكَّةِ
أُرِخْنِي مِنَ اللَّائِي إِذَا حَلَّ دَيْبُهُمْ
وَإِذَا دَخَلُوا قَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ
أَلَيْنُ إِذَا اسْتَدَّ الْغَرِيمُ وَالتَّوَي
وَأَنْتَ عَلَى مَا شِئْتَ جَمُ الْفَوَاضِلِ
يَمْشُونَ فِي الدَّارَاتِ مَشْيَ الْأَرَامِلِ
وَعِغَرَ السَّلَامِ بِالسَّلَامِ يُحَاوِلُ^(٦)
إِذَا لَانَ حَتَّى يُدْرِكَ الدِّينَ قَابِلِي^(٧)

ومناسبتها أنه كان على ابن الزبير دين لجماعة، فلازموه، ومنعوه التصرف

٤٧٠، جمهرة أنساب العرب؛ ١٩٥، شرح الحماسة للتبريزي: ٩٦/٣، تاريخ ابن
عساكر: ٤٢٦/٧ - ٤٢٨.

- (١) رواية الديوان: «عَرَضْتُ عَلَى ذَيْبٍ»، لعل زيدا اسمه وذيباً لقب له.
- (٢) رواية الديوان والأغاني: «قَبْلَ اسْتِغَالِ الشَّوَاغِلِ».
- (٣) البيت غير موجود في الأغاني.
- (٤) داسع: فاعل من الدسع، وهو الدفع يقال: دَسَعَهُ يَدْسَعُهُ دَسْعاً وَدَسِيعَةً. القاموس المحيط: «دسع»: ٢١/٣، اللسان «دسع»: ٨٥/٨.
- (٥) لم أجد الأبيات إلا في: ديوانه - تحقيق يحيى الجبوري -: ١١٤، الأغاني: ٢٤١/١٤.
- (٦) كيد الفيل: أي كيد أصحاب الفيل مشيراً بذلك إلى وقعة الفيل، وما كان من أمر أبرهة الأشرم ملك اليمن.
- (٧) في البيت عيب عروضي يسمى «الإقواء» وهو اختلاف الإعراب في القوافي، أو لأنه نقص من عروضه قوة، وقد سماه العرب إقواء لأنه يقال أقوى القاتل إذا جاءت قوة من الحبل تُخَالِفُ سائر القوى. كتاب القوافي: ٤٩.
- (٨) رواية الأغاني: «إِذَا اسْتَدَّ حَتَّى يُدْرِكَ الدِّينَ قَابِلُ».
- (٩) ويكون في البيت إقواء أيضاً، وَاسْتَدَّ بمعنى استقام، وهو لفظ يقابل كلمة «التوي».

في حوائجه، وألح عليه غريمه، ويقال له: «ذئب» وهو من بني نهشل، فقال الأبيات يذكر غريمه هذا^(١).

وموضع الشاهد قوله: «داسع نفسه» والأصل «هو داسع» ولعل سر الحذف هنا هو لهفة الشاعر على ذم «زيد»، وشدة ضيقه وتبرمه به، ورغبته الأكيدة، والسريعة في إظهار هذه الصفة البشعة - وهي شدة التأؤب وقوته، وكأنه لشدة يدفع نفسه - إكمالاً لصورة التهكم، والسخرية من زيد هذا.

يرى الشيخ عبد القاهر أن للحذف في تركيب الكلام طعماً خاصاً يحس به المتذوق الخبير، فرب حذف هو قلادة الجيد، وقاعدة التجويد، وأورد أبيات الشاهد زيادة دلالة على جودة الحذف. فقال:

«... وأن رُبَّ حذفٍ هو قلادة الجيد، وقاعدة التجويد، وإن أردت ما هو أصدق في ذلك شهادة، وأدل دلالة، فأنظر إلى قول عبدالله بن الزبير يذكر غريماً له قد ألح عليه»^(٢).

ثم ذكر الأبيات وقال في التعليق عليها:

«الأصل: «حتى قلت هو داسع نفسه» أي حسبته من شدة التأؤب، ومما به من الجهد يقذف نفسه من جوفه، ويخرجها من صدره كما يدسع البعير جرته»^(٣).

الشاهد الثاني والتسعون^(٤): (السريع)

قول بكر بن النطاح^(٥):

-
- (١) الأغاني: ٢٤٠/١٤.
 - (٢) الدلائل، رضا: ١١٦، خفاجي: ١٨٣، شاکر: ١٥١.
 - (٣) المصدر السابق، نفس الصفحات.
 - (٤) الدلائل، رضا: ١١٧، خفاجي: ١٨٤، شاکر: ١٥٢.
 - (٥) هو بكر بن النطاح الحنفي، وفي تاريخ بغداد: هو بكر بن النطاح ابن أبي حمار الحنفي - كنيته أبو وائل -، وهو شاعر كان في زمن هارون الرشيد، بصري نزل بغداد وكان صعلوكاً =

الْعَيْنُ تُبْدِي الْحُبَّ وَالْبُغْضَا وَتُظْهِرُ الْإِبْرَامَ وَالنَّقْضَا
دُرَّةُ^(١) مَا أَنْصَفْتَنِي فِي الْهَوَى وَلَا رَجِمْتَ الْجَسَدَ الْمُنْضَى^(٢)
غَضَبِي وَلَا وَاللَّهِ يَا أَهْلَهَا لَا أَطْعَمُ^(٣) الْبَارِدَ أَوْ تَرْضَى^(٤)

وفي الأغاني ذكر قبل البيت الثالث قوله:

مَرَّتْ بِنَا فِي قُرْطُقٍ^(٥) أَخْضَرِ يَعْشَقُ مِنْهَا بَعْضُهَا بَعْضَا

وذكر بعد البيت الثالث:

كَيْفَ أَطَاعَتْكُمْ بِهِجْرِي وَقَدْ جَعَلْتُ خَدْيِي لَهَا أَرْضَا^(٦)

موضع الشاهد قوله: «غضبي»، والأصل «هي غضبي» وإذاً يكون في الشعر

يصيب الطريق، ثم أقصر عن ذلك، فجعله أبو دُلْف من الجُند، وجعل له رزقاً سُلْطَانِيّاً، وكان شجاعاً فارساً شاعراً، حسن الشعر والتَّصَرُّف فيه، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة، والإقدام، وكان يُقال: أشعر أهل الغزل المحدثين أربعة أولهم أبو بكر بن النُّطَّاح. انظر ترجمته وبعض أخباره:

الأغاني: ١٠٦/١٩ - ١٢٠، الوساطة: ٢١٩ - ٢٤٤ - ٣٨٨ - ٣٥٩، الموشح: ٢٦٩، تاريخ بغداد: ٩٠/٧ - ٩١.

(١) هي جارية من الجواري القيان كانت لبعض الهاشميين، وكان بكر بن النُّطَّاح يهواها، ويذكرها كثيراً في شعره، وكان يجتمع معها في منزل رجل من الجند من أصحاب أبي دُلْف يقال له: الفُرْز، فسعى به إلى مولاها، فمنعه من لقاءها، وحجبه عنها إلى أن خرج إلى الكَرْج مع أبي دُلْف. الأغاني: ١١٦/١٩ - ١١٧.

(٢) النُّضُو - بالكسر - البعير المهزول، وقيل: هو المهزول من جميع الدواب والجمع أنضاء، وقد يستعمل في الإنسان، والمُنْضَى: أسم مفعول من «أنضاه». اللسان «نضاً»: ٣٣٠/١٥.

(٣) رواية الأغاني: «لا أشرب».

(٤) لم أجد الأبيات إلا في:

شعر بكر بن النُّطَّاح «شعراء مقلون»: ٢٤٩ - ٢٥٠، الأغاني: ١١٧/١٩.

(٥) القُرْطُق: أي قَبَاة، وهو تعريب كُرْتَه، وقد تضم طاوؤه. اللسان «قرطق»: ٣٣٢/١٠.

(٦) الأغاني: ١١٧/١٩.

«التفات» من الخطاب إلى الغيبة، والربط بين الالتفات وحذف المبتدأ هنا من أسرار جودة الشعر.

فالشاعر هنا واقع في حالة ضيق نفسي، وتبرم عاطفي؛ لغضب محبوبته منه، وموقف الضيق هذا يحتاج إلى الإشارات الخفيفة، والتعبيرات السريعة، لذا نزع الشاعر إلى الإشارات اللَّمَّاحَة لفرط ما يجد، فحذف المبتدأ، وأعلن سبب بلواه، ومحط شكواه، فقال: «غَضَبِي»، فهو لم يذكر سبب أو أسباب غضبها، كأن المهم عنده غضبها فقط، وربما كان من غير سبب، أو ربما كان لسبب مما يُعَدُّ على الشاعر، فطواه.

ورأى الشيخ عبد القاهر أن الشاهد من لطيف الحذف قال:

«يقول في جارية كان يحبها، وسُعي به إلى أهلها فمنعوها منه، والمقصود قوله: «غضبي»، وذلك أن التقدير «هي غضبي»، أو «غضبي هي» لا محالة، إلا أنك ترى النفس كيف تنفادى من إظهار هذا المحذوف، وكيف تأنس إلى إضماره، وترى الملاحاة كيف تذهب إن أنت رمت التكلم به»^(١).

ومن الواضح أن سبب ضيقه، وألمه هو «غضبها» أما منع أهلها فليس هو السبب الحقيقي، فلا أدري لم جعله عبد القاهر الأساس؟!

وفي البيت لفظة جميلة، فقله: «لا أطعم البارد أو ترضى» أقسم الشاعر بأن لا يطعم البارد، فما سر اختياره لهذا القسم؟

لعله أقسم به لأن الشاعر كان صعلوكاً يعيش في الصحراء، ثم كان جندياً يقاسي الأهوال، فمن كانت هذه حاله، فالبارد عنده - لا شك - من أجل الأمور، فإذا أقسم أنه لا يطعمه حتى ترضى، فقد أقسم على عظيم.

وفي استعمال لفظ «أطعم» بدلاً من أشرب زيادة معنى، ففيه إظهار لشدة

(١) الدلائل، رضا: ١١٧، خفاجي: ١٨٤، شاکر: ١٥٢.

قسمه، وغلظته، فهو لم يمنع نفسه من الشرب فقط، إنما منعها من تذوق أو وصول قطرة منه إلى طرف لسانه.

وقد عاب بعضهم هذا الاستعمال، ومن هؤلاء يحيى بن نوفل، الذي عاب على خالد القسري أنه قال حين بلغه أن المغيرة بن سعيد العجلي قد خرج عليه، فقام يخطب:

«أَطْعُمُونِي مَاءً»، وذلك لشدة هوله وفزعه واضطرابه، فقال يحيى بن نوفل يهجو:

بَلَّ السَّرَاوِيلَ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ وَهَلٍ وَأَسْتَطْعَمَ الْمَاءَ لَمَّا جَدَّ فِي الْهَرَبِ
وَالْحَنُّ النَّاسَ كُلَّ النَّاسِ قَاطِبَةً وَكَانَ يُولَعُ بِالتَّشْدِيدِ فِي الْخُطْبِ^(١)

ويروى أنه قال:

وَقُلْتُ لِمَا أَصَابَكَ أَطْعُمُونِي شَرَابًا ثُمَّ بُلْتُ عَلَى السَّرِيرِ
لِأَعْلَاجٍ^(٢) ثَمَانِيَةَ وَشَيْخٍ كَبِيرِ السِّنِّ ذِي بَصَرٍ ضَرِيرٍ^(٣)

ولا أدري وجه رفض هذا الاستعمال، وهو استعمال قرآني. قال تعالى:

﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ^(٤) فَإِنَّهُ مِتَّ﴾^(٥).

وفي الأبيات لفتات لطيفة، أنظر إلى اختيار الشاعر «العين» لإظهار الحب والبغض في قوله: «الْعَيْنُ تُبْدِي الْحُبَّ وَالْبُغْضَ» مع أن الحب والبغض يظهر في كثير من أعضاء الإنسان حتى في حركة اليد، وفي نوع الابتسامة، وفي لهجة الحديث، وفي كثير من تصرفاته إيجابية وسلبية، وما اختيار الشاعر للعين إلا

(١) البيان والتبيين: ١٢٢/١.

(٢) العِلَج: الرجل الشديد الغليظ، وقيل: هو كل ذي لحية، والجمع أَعْلَاجٌ وَعُلُوجٌ، والعِلَجُ الرَّجُلُ الْقَوِيُّ الضَّخْمُ مِنَ الْكَفَّارِ. اللسان «عِلَج»: ٣٢٦/٢.

(٣) الحيوان: ٢٦٧/٢ - ٢٦٨، ٣٩٠/٦، البيان والتبيين: ٢٠٥/٣.

(٤) أي الماء.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٤٩.

لميزة خاصة فيها، فهي مرآة القلب، وفيها تتجسد العواطف والانفعالات.

وأنظر إلى حذف أداة النداء في قوله: «دُرَّة»؛ ليكون أقرب لنفس محبوبته، وليشير فيها روح الحنين، وتأمل بعد هذا الحذف قوله: «مَا أَنْصَفْتَنِي» وما فيه من الاستعطاف الممزوج بالعتاب.

الشاهد الثالث والتسعون^(١):

(الكامل)

قَالَتْ سُمَيَّةُ قَدْ غَوَيْتِ بِأَنْ رَأَتْ حَقًّا تَنَآوَبَ مَا لَنَا وَوُفُودُ^(٢)
غِيٍّ لَعَمْرُكَ لَا أَزَالُ أَعُوذُ مَا دَامَ مَا لَ عِنْدَنَا مَرْجُودُ^(٣)

أورد الشيخ البيتين من غير نسبة، وهما لمعاوية بن مالك «مَعُودُ الحكماء»^(٤).

(١) الدلائل، رضا: ١١٧، خفاجي: ١٨٤، شاکر: ١٥٢.

(٢) ذكر البيتان في الدلائل «رضا - خفاجي» برواية «ووفوداً - موجوداً» وقد أثبت الأستاذ محمود شاکر رواية الأصمعيات، وذكر أنها وردت في بعض مخطوطات الدلائل بقافية الدال المرفوعة، وأنه أثبت في هامش بعضها ما نصه: «قال عبد القاهر: «ووفود» معطوفة على الضمير في «تَنَآوَبَ» التقدير «بأن رأت حقاً تَنَآوَبَ هُوَ وَالْوُفُودُ مَا لَنَا». الدلائل، شاکر: ١٥٢، ورجوعي إلى القصيدة أكد عندي رواية الرفع لأن جميع قافيتها مرفوعة.

(٣) لم أجد البيتين إلا في:

المفضليات: ٣٥٥ - ٣٥٦، رقم (١٠٤)، الأصمعيات: ٢١٢، رقم (٧٥).

(٤) هو معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن مضر، لُقِبَ «مَعُودُ الحكماء»، لأنه قال في إحدى قصائده: أَعُوذُ مِثْلَهَا الْحُكَمَاءُ بَعْدِي إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْأَشْبَاعِ نَابَا وعند الأُمدي والمرتزباني «مَعُودُ» بالذال، ورواية البيت «أعوذ مثلها»، وهو فارس شاعر مشهور، وهو خامس خمسة من إخوته كلهم سَادَ، وَوُسِمَ بخصلة حميدة عُرف بها، وأُمهم أم البنين بنت عمرو بن عامر «فارس الضحياء»، وأسمها الحياء، وفي الروض الأنف (٢٩٩/٣) اسمها ليلى بنت عامر. وهي التي يُضْرَبُ بها المثل فيقال: «أنجب من أم البنين»، ولدت لمالك بن جعفر: عامراً «مُلاعب الأسنة» أبا براء، وطُفِيل الخيل «فارس قُرْزُل» - والد عامر بن الطفيل -، و«ربيع المُقْتَرين» ربيعة والد لبيد، و«نَزَال المضيق» =

وهذان البيتان من قصيدة مطلعها:

طَرَقْتُ أَمَامَهُ وَالْمَزَارُ بَعِيدُ وَهَذَا وَأَصْحَابُ الرَّحَالِ هُجُودُ^(١)

وبيتا الشاهد آخر بيتين في القصيدة وقبلهما:

نُعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا وَحَقِيقَتَهَا وَنَغْفِرُ ذَنْبَهَا وَنَسُوذُ
وَإِذَا تَحَمَّلْنَا الْعَشِيرَةَ ثِقَلَهَا قُمْنَا بِهِ وَإِذَا تَعُودُ نَعُودُ
وَإِذَا نُوَافِقُ جُرْأَةً أَوْ نَجْدَةً كُنَّا سَمِيًّا بِهَا الْعَدُوَّ وَنَكِيدُ
بَلْ لَا نَقُولُ إِذَا تَبَوَّأَ جِيرَةً إِنَّ الْمَجْلَةَ شِغْبُهَا مَكْدُودُ
إِذْ بَعْضُهُمْ يَحْمِي مَرَاصِدَ بَيْتِهِ عَنْ جَارِهِ وَسَيِّلْنَا مَوْرُودُ^(٢)

وبعدها بيتا الشاهد.

موضع الشاهد في قوله «غِيٌّ» والأصل «هَوَغِيٌّ» وهذان بيتان من الشعر العذب المستجاد جاء في أعقاب أبيات يفتخر بها الشاعر بمحتده الذي قام ببنائه الأب والعم، ويرتفع صوته في المديح، فقومه هم أهل الشجاعة والشهامة، وَتَحْمُلُ المكاره في سبيل السيادة والمجد.

وَتُظْهِرُ الكلمات روح الشاعر القوية، وتزداد تلك الروح قوة عندما لامته

سُلَمَى، و«معوذ الحكماء» معاوية، وقيل: بل التي ولدتهم بنت رياح بن خالد الجرمي، وقد فخر ليبد بجده في قوله: «نحن بنو أم البنين الأربعة» وإنما قال: «أربعة» وهم خمسة إما لوزن الشعر، وإما لأن أباه ربعة كان قد مات وبقي أعمامه. انظر ترجمته في:

ألقاب الشعراء «نوادير المخطوطات»: ٣١٣/٢، الأغاني: ٣٦١/١٥ - ٣٦٣ عند ترجمة ليبد، المؤلف: ١٨٨، معجم الشعراء: ١٨٨، جمهرة أنساب العرب: ٢٨٢ - ٢٨٥، سبط اللآلي: ١٩٠/١ - ١٩١، الروض الأنف: ٢٣٩/٣، خزانة البغدادي: - دار صادر: ١٧٤/٤، تاج العروس «عود»: ٤٤٠/٢، الأعلام: ٢٦٣/٧.

(١) المفضليات: ٣٥٥، الأصمعيات: ٢١٢.

(٢) انظر الأبيات في:

المفضليات: ٣٥٥ - ٣٥٦، الأصمعيات: ٢١٢.

«سُمِّيَّة» على فرط السخاء والكرم، ورمته بالغِي «قَالَتْ سُمِّيَّةٌ قَدْ غَوَيْتَ»، وكلمة الغِي هذه ومجيئها بأسلوب مؤكد أثارت انفعال الشاعر وأخذت تدور في داخله محاولة إخماد تلك الروح القوية الوثابة، إلا أن تلك الروح العالية المقدّامة ازدادت إصراراً، فأعلنت حقيقتها: نعم هو غِيٌّ ولكنه غِيٌّ من نوع خاص فريد، والشاعر مُصِرٌّ على الاستمرار في هذا الغِي ما وُجد المال.

وإعلان الحقائق العظيمة يحتاج إلى أسلوب مُركّز مختصر لذا حذف الشاعر المسند إليه، وبدأ بالخبر مباشرة.

قال الشيخ :

«المعنى: «ذَاكَ غِيٌّ لَا أزال أعود إليه فدَعِي عَنْكَ لَوْمِي» وإذْ قَدْ عرفتَ هذه الجملة من حال الحذف في المبتدأ، فأعلم أن ذلك سبيله في كل شيء، فما من أسم أو فعل تجده قد حُذِفَ ثُمَّ أُصِيبَ به موضعه، وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضمّاره في النفس أولى، وأنس من النطق به»^(١).

(١) الدلائل، رضا: ١١٧، خفاجي: ١٨٤، شاكّر: ١٥٢ - ١٥٣.

ب - حذف المفعول به

يرى الشيخ عبد القاهر أن لحذف المفعول لطائف أكثر، وما يظهر بسببه من الحسن والرواق أعجب وأظهر. قال:

«وإذ قد بدأنا في الحذف بذكر المبتدأ، وهو حذف اسم، إذ لا يكون المبتدأ إلا اسماً، فإني أتبع ذلك ذكر المفعول به إذا حذف خصوصاً، فإن الحاجة إليه أمس وهو بما نحن بصده أخص، واللطائف كأنها فيه أكثر، ومما يظهر بسببه من الحسن والرواق أعجب وأظهر»^(١).

ثم وضع أصلاً مهماً وقاعدة ضابطة في حذف الفاعل والمفعول. قال:

«وهنا أصل يجب ضبطه، وهو أن حال الفعل مع المفعول الذي يتعدى إليه، حاله مع الفاعل، فكما أنك إذا قلت: «ضرب زيد»، فأسندت الفعل إلى الفاعل، كان غرضك من ذلك أن تثبت الضرب فعلاً له، لا أن تفيد وجوب الضرب في نفسه وعلى الإطلاق، كذلك إذا عدت الفعل إلى المفعول فقلت: «ضرب زيد عمراً»، كان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثاني، ووقوعه عليه، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل فيهما إنما كان من أجل أن يعلم التباس المعنى الذي اشتق منه بهما فعمل الرفع في الفاعل، ليُعلم التباس الضرب به من جهة وقوعه منه، والنصب في المفعول، ليُعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه، ولم يكن ذلك ليُعلم وقوع الضرب في

(١) الدلائل، رضا: ١١٨، خفاجي: ١٨٥، شاكراً: ١٥٣.

نفسه، بل إذا أُريد الإخبارُ بوقوع الضرب ووجوده في الجملة من غير أن يُنسب إلى فاعل أو مفعول، أو يُتعرَّض لبيان ذلك، فالعبارة فيه أن يقال: «كان ضربٌ» أو «وقع ضربٌ» أو «وَجَدَ ضَرْبٌ»، وما شاكل ذلك من ألفاظ تفيد الوجود المجرد في الشيء»^(١).

الشاهد الرابع والتسعون^(٢): (الخفيف)

قول البحرى:

شَجُو حُسَايَهِ وَغَيْظُ عِدَاةِ أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعَ وَاعٍ^(٣)

وهو من قصيدة يمدح بها المعتز بالله ومطلعهما:

لَكَ عَهْدٌ لَدَيَّ غَيْرُ مُضَاعِ بَاتَ شَوْقِي طَوْعاً لَهُ وَنَزَاعِي
وَهَوَى كُلِّمَا جَرَى عَنْهُ دَمْعٌ آيَسَ الْعَاذِلِينَ مِنْ إِقْلَاعِي

وقبل الشاهد:

يُبْهَتُ الْوَفْدُ فِي أَسْرَةٍ وَجْهِ سَاطِعِ الضُّوءِ مُسْتَتِيرِ الشُّعَاعِ
مِنْ جَهِيرِ الْخِطَابِ يَضَعْفُ فَضْلاً عِنْدَ حَالِي تَأْمُلٍ وَأَسْتِمَاعِ

وبعدها بيت الشاهد وبعده:

وَمَعَانٍ بِالنُّصْرِ تَتَرَى تَبَاعَا يَفْتُوحُ فِي الْخَالِعِينَ تَبَاعِ

وموضع الشاهد قوله:

«أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ» «يَسْمَعَ وَاعٍ».

والأصل: «أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ مَحَاسِنَهُ وَيَسْمَعَ وَاعٍ أَخْبَارَهُ».

ذكر الشيخ عبد القاهر لحذف المفعول به قواعد بلاغية مهمة، فالفعل

(١) المصدر السابق، رضا: ١١٨، خفاجي: ١٨٥، شاکر: ١٥٣ - ١٥٤.

(٢) الدلائل، رضا: ١٢٠، خفاجي: ١٨٧، شاکر: ١٥٦.

(٣) ديوان البحرى: ١٥١/١، نهاية الأرب: ٧٧/٧، التلخيص: ١٢٨، «أحوال متعلقات

الفعل»، الإيضاح: ١٩٦/١، معاهد التنصيص: ٢٣٢/١، رقم الشاهد (٤١).

المتعدي إذا كان له مفعول غير معين كقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْكُونُ
وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) ينزل منزلة الفعل اللازم، ويعامل معاملته، وهو إثبات أن
الفعل يقع من الفاعل من غير تعرض للمفعول.

أما إذا كان للفعل المتعدي مفعول معين مخصوص، فإنه يحذف - لدلالة
الحال عليه - لأغراض بلاغية، وحاجات نفسية، فقد يكون الغرض منه ظاهراً
واضحاً، وقد يكون خفياً غامضاً، وأتى الشيخ عبد القاهر بقول البحري شاهداً
على هذا النوع الخفي اللطيف.

قال الشيخ:

«فتوع منه أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص قد عُلِمَ مكانه،
إمّا بِجَرَيِ ذِكْرٍ، أو دليل حال، إلا أنك تُنسيه نفسك وتُخفيه، وتوهم أنك لم
تذكر ذلك الفعل إلا لأن تثبت نفس معناه، من غير أن تعدّيه إلى شيء، أو
تعرض فيه لمفعول» (٢).

فالشاعر حذف المفعول، ودفع صورته عن وهمه لغرض خاص في نفسه،
وهو إثبات أن ذكر الممدوح قد عم الأفاق، وأن صيته قد ذاع وانتشر، فمن كان
له بصر يرى به فهو لا شك سيرى آثاره لشيوعها وانتشارها، وكذلك من كان له
أذن تسمع سوف يسمع أخباره، فيعلم بذلك أنه المستحق للخلافة وحده، ورام
من وراء مدح المعتر التعويض بالخليفة المستعين.

قال الشيخ عبد القاهر:

«المعنى - لا محالة - أن يرى مُبْصِرٌ مَحَاسِنَهُ وَيَسْمَعُ وَاغٍ أَخْبَارَهُ وَأَوْصَافَهُ،
ولكنك تعلم على ذلك أنه كان يسرق علم ذلك من نفسه، ويدفع صورته عن
وهمه؛ ليحصل له معنى شريف وغرض خاص، وقال: أنه يمدح خليفة، وهو

(١) سورة الزمر، الآية ٩.

(٢) الدلائل، رضا: ١٢٠، خفاجي: ١٨٧، شاکر: ١٥٥ - ١٥٦.

المعتز، ويعرض بخليفة، وهو المستعين، فأراد أن يقول: إن محاسن المعتز، وفضائله، المحاسن والفضائل يكفي فيها أن يقع عليها بَصَرٌ، ويعيها سَمْعٌ حتى يُعْلَمَ أنه المستحقُّ للخلافة، والفرد الوحيد الذي ليس لأحد أن ينازعه مَرْتَبَتَهَا، فأنت ترى حَسَادَه وليس شيء أشجى لهم وأغيظ، من علمهم بأن ههنا مبصراً يرى وسامعاً يعي، حتى لَيُتَمَنَّى أن لا يكون في الدنيا من له عينٌ يَبْصُرُ بها، وأذنٌ يَعي معها، كي يخفي مكانُ استحقاقه لِشَرَفِ الإِمَامَةِ، فيجدوا بذلك سبيلاً إلى منازعته إِيَّاهَا^(١).

وجعل الخطيب القزويني، وتبعه شُراحُ التلخيص الفعل هنا منزلاً منزلة الفعل اللازم. قال:

«فجعل كما ترى مطلق الرؤية كناية عن رؤية محاسنه وآثاره، ومطلق السماع كناية عن سماع أخباره»^(٢).

أي أن الرؤية والسماع تصدر من غير تعلق بمفعول مخصوص، ثم جعلهما كنايتين عن الرؤية والسماع المتعلقين بمفعول مخصوص، وهو محاسنه وأخباره بادعاء الملازمة بين مطلق السماع وسماع أخباره للدلالة على أن آثاره وأخباره بلغت من الكثرة والاشتهار إلى حيث يمتنع خفاؤها، فيبصرها كل راءٍ، ويسمعها كل واعٍ، بل لا يبصر الرائي إلا آثاره، ولا يسمع الواعي إلا أخباره، فذكر الملزوم وأراد اللازم^(٣).

ورأى ابن يعقوب والدسوقي أن هذا الأسلوب يفيد الحصر؛ لأن قوة الكلام تدل على قصد الحصر بالادعاء، وهذا طريق من طرق القصر غير الاصطلاحية، فالشاعر قصد أفراد محاسنه بالرؤية، وإفراد أخباره بالسماع؛ لأن في إفراده ما يغيظ عداه، ويشير شجوه حساده، قال ابن يعقوب:

(١) الدلائل، رضا: ١٢٠، خفاجي: ١٨٧، شاکر: ١٥٦.

(٢) الإيضاح: ١٩٧/١.

(٣) شروح التلخيص: ١٢٨/٢ - ١٢٩.

«... ادّعى اللزوم بين مطلق الرؤية والسماع، وكون الرائي والسامع لا يرى إلا تلك المحاسن، ولا يسمع إلا تلك الأخبار؛ لأنه لو رؤيت غير محاسنه، أو سمعت غير أخبار مآثره تأتّى أدعاء المشاركة في الاستحقاق، فلا يكون وجود الرؤية والسماع شجوا حساده فالمقصود إنّما يحصل في الإنفراد فيه، وعلى هذا لا يرد أن يقال لا يلزم من استلزام مطلق الفعلين لهما متعديين، حصرهما في محاسنه وأخباره؛ لأن قوة الكلام تدل على قصد الحصر بالأدعاء؛ لأن ذلك أنسب بجعله منفرداً، ففجوى الكلام يدل على أن القصد جعل الفعلين لازمين يستلزمان أنفسهما متعديين مع حصرهما فيما تعديا له، وذلك نهاية المبالغة»^(١).

الشاهد الخامس والتسعون^(٢):
(الطويل)

قول عمرو بن معدى كرب:
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحَهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتِ^(٣) (٤)

- (١) شروح التلخيص «مواهب الفتح»: ١٢٩/٢.
- (٢) الدلائل، رضا: ١٢١، خفاجي: ١١٨، شاکر: ١٥٧.
- (٣) أجرت: استجر الفصيل عن الرضاع أخذته قرحة في فيه، أو في سائر جسده فكف عنه لذلك.
- وأجرت الفصيل إذا شقت لسانه لثلا يرضع. اللسان «جرر»: ١٢٦/٤.
- (٤) انظر البيت في:
- ديوانه - صنعة هاشم الطعان - : ٤٥، الأصمعيات: ١٢١، رقم (٣٤) وقيل: أنها نسبت في الطبعة الأوروبية «لدريد بن الصمة»، الحماسة - تحقيق عسيان - : ٩٨/١، رقم (٢٩)، شرح الحماسة للمرزوقي: ١٥٧/١ - ١٦٣، ٦١٣/٢، شرح الحماسة للتبريزي: ٨٠/١ - ٨٤ - ٨٥، نقائض جرير والفرزدق: ٥٢/١، إصلاح المنطق: ٢٥٧، البيان والتبيين: ٢١٤/١، المعاني الكبير: ١٠٨٧/٢، عيون الأخبار: ١٦٤/٣، عيار الشعر: ٣٤، الأشباه والنظائر للخلالدين: ٤/٢، الصحاح «جرر»: ٦١٢/٢، معاني أبيات الحماسة: ٤٣، الحماسية رقم (٢٩)، إعجاز القرآن للباقلاني: ٧٨، أمالي المرتضى: ١٨٥/٢، «بلا عزو»، تحرير التحبير: ٢٠٥/١، سر الفصاحة: ٢٠٥، سبط اللائي: ٣٦٦/١، بدیع القرآن: ٢٩٢، الممتع في صنعة الشعر: ١٨، الإفصاح: ٣٢٧، لسان العرب «جرر»: =

وهو من قصيدة قالها في حرب جرم ونهد - وقد سبق ذكر مناسبتها^(١) - وأول

القصيدة:

وَمُرِدٌ عَلَى جُرْدٍ شَهِدْتُ طَرَادَهَا قُبَيْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَوْ حِينَ ذَرَّتْ

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبلة:

لَحَا اللَّهُ جَرْمًا كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقُ وَجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ^(٢) فَازِبَارَتْ^(٣)

فَلَمْ تَغْنِ جَرْمٌ نَهْدَهَا إِذْ تَلَاقَتَا وَلَكِنْ جَرْمًا فِي اللَّقَاءِ ابْذَعَرَتْ^(٤)

وَقَفْتُ^(٥) كَأَنِّي لِلرَّمَاكِ دَرِيَّةٌ^(٦) أَقَاتِلُ عَنْ أَحْسَابِ^(٧) جَرْمٍ وَفَرَّتِ^(٨)

فر قوم الشاعر من ساحة الوغى، وتركوا نصرته، وخذلوه عند اللقاء، فشرع يهجوهم، ويستقبح فراهم ويقول: لو أنني رأيت في رماحهم حسن البلاء، والرغبة في النصر لنطقت بذلك وافتخرت، ولكن رماحهم أجزتني، وقطعت لساني، ومنعتني من الفخر بهم كما يجبر لسان الفصيل لثلا يرضع من أمه «وجعل الفعلين للرماح لأن المراد مفهوم في أن التقصير كان منهم لا منها»^(٩).

= ١٢٦/٤، الإيضاح: ١٩٧/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: خزانة الأدب: ٤٣٧/٢،

رقم (١٥٤)، شروح التلخيص: ١٢٨/٢.

(١) انظر الشاهد «الثاني والثمانون».

(٢) هارشت: الهراش والاهتراش: تقاتل الكلاب. اللسان «هرش»: ٣٦٣/٦.

(٣) ازبَارَتْ: الزَبْرَةُ في الأصل شعر مجتمع على موضع الكاهل من الأسد وازبَارُ انتفش حتى

ظهر أصول شعره، أي متهياً للقتال. اللسان «زبر»: ٣١٦/٤ - ٣١٧.

(٤) ابذعَرَتْ: ابذعر الناس تفرقوا وجفلوا. اللسان «بذعر»: ٥١/٤.

(٥) رواية الأصمعيات، والحماسة وخزانة الأدب «ظَلَلْتُ».

(٦) رواية شرح الحماسة للمرزوقي وخزانة الأدب «دَرِيَّةٌ».

(٧) رواية الأصمعيات: «عن ابتاء جَرْمٍ».

(٨) انظر الأبيات في:

ديوانه: ٤٤ - ٤٥، الأصمعيات: ١٢١ - ١٢٢، مع بعض التقديم والتأخير (٢ - ٣)، شرح

الحماسة للمرزوقي: ١٦٠/١ - ١٦٢، التبريزي: ٨٣/١ - ٨٤، خزانة الأدب - الخانجي -:

٤٣٦/٢ - ٤٣٧.

(٩) شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٨٣/١.

واستشهد به الشيخ عبد القاهر على أن المفعول المحذوف هنا مفعول مقصود، ومعلوم، والغرض من حذفه أن تتوافر العناية على إثبات الفعل للفاعل، وتخلص له، وتنصرف بجملتها، وكما هي إليه. قال:

«وهذا نوع آخر منه، وهو أن يكون معك مفعول معلوم مقصود قصده، قد عُلِمَ أنه ليس للفعل الذي ذكرت مفعولٌ سواه، بدليل الحال أو ما سبق من الكلام، إلا أنك تطرحه، وتتناساه وتدعه يلزم ضمير النفس، لغرض غير الذي مضى، وذلك الغرض أن تتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل، وتخلص له، وتنصرف بجملتها وكما هي إليه»^(١).

فالمفعول في البيت معروف ومقصود، وهو ضمير المتكلم بدليل قوله: «أنطقني رماحهم» فليس لقوله (أجرت) مفعول سواه، ولكن طرح هذا المفعول لإثبات أنه كان من الرماح إجرار، وحبس الألسن عن النطق، ولو أنه ذكر المفعول لتوهم أن ما صدر منها يقطع لسانه هو وحده دون غيره من الشعراء، وهذا المعنى غير مراد، وإنما مقصد الشاعر ومراده أن تخاذلهم في اللقاء بلغ من القبح والشناعة والفظاعة ما يسكت كل لسان، فاليبت يتردد فيه صدى الحسرة والألم، وخيبة الأمل التي امتلأت بها نفس الشاعر، فالمقصود من الخبر - فيما يبدو - إظهار التحسر والتألم لما كان من قومه. قال الشيخ عبد القاهر:

«أجرت» فعل متعدي ومعلوم أنه لو عداه لما عداه إلا إلى ضمير المتكلم نحو «ولكن الرماح أجرتني»، وأنه لا يتصور أن يكون ههنا شيء آخر يتعدى إليه لاستحالة أن يقول: «فلو أن قومي أنطقني رماحهم» ثم يقول: ولكن الرماح أجرت غيري»، إلا أنك تجد المعنى يلزمك أن لا تنطق بهذا المفعول ولا تخرجه إلى لفظك، والسبب في ذلك أن تعديتك له توهم ما هو خلاف الغرض، وذلك أن الغرض هو أن يثبت أنه كان من الرماح إجرار وحبس الألسن عن النطق^(٢)، وأن يصح وجود ذلك.

(١) الدلائل، رضا: ١٢٠-١٢١، خفاجي: ١٨٧، شاکر: ١٥٦.

(٢) في الدلائل، شاکر: «حبس الألسن».

ولو قال: «أَجَرْتَنِي» جاز أن يُتَوَهَّم أنه لم يُعَنَّ بأن يثبت للرماح إجراراً، بل الذي عناه أن يتبين أنها أَجَرَتْهُ^(١)، فقد يُذكر الفعل كثيراً، والغرض منه ذكر المفعول. مثاله أنك تقول: «أَضْرَبْتُ زَيْدًا؟» وأنت لا تنكر أن يكون كان من المخاطب ضَرْبٌ، وإنَّما تنكر أن يكون وقع الضرب منه على زيد، وأن يستجيز ذلك أو يستطيعه، فلَمَّا كان في تعدية «أَجَرْتُ» ما يُوهِم ذلك وقف، فلم يُعَدَّ البتة، ولم ينطق بالمفعول لِتَخْلُصِ الْعِنَايَةُ لِإثبات الإجرار للرمّاح ويصحح^(٢) أنه كان منها، وتسلم بكليتها لذلك^(٣).

ورأى الخطيب القزويني أن قوله: «ولكن الرّماح أَجَرْتُ» حذف فيه المفعول ونُزِلَ الفعل منزلة الفعل اللازم، فدلَّ على مراده بطريق الكناية، فأطلق اللازم، وأراد الملزوم، فما دام وقع منها الإجرار لزم أن يكون الإجرار قد وقع عليه.

فعنده أن الإجرار صدر من غير تعلق بمفعول مخصوص ثم جعله كناية عن الإجرار المتعلق بمفعول مخصوص، وهو إجراره هو بادعاء الملازمة بين مطلق الإجرار وبين إجراره.

جاء في الإيضاح:

«لأن غرضه أن يثبت أنه كان من الرّماح إجرار وحبس للألسن عن النطق بمدحهم والافتخار بهم، حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه، وهو أنها أَجَرَتْهُ»^(٤).

وفي معنى قوله: «أنطقتني رماحهم» وطريقته قول عبد يغوث بن وقاص الحارثي^(٥):

(١) في الدلائل، شاعر: «أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّهَا أَجَرَتْهُ».

(٢) في الدلائل، شاعر: «وَنَصْحِيح».

(٣) الدلائل، رضا: ١٢١ - ١٢٢، خفاجي: ١٨٨، شاعر: ١٥٧.

(٤) الإيضاح: ١٩٧/١.

(٥) وهو شاعر جاهلي (١٠٠ نحو ٤٠ ق هـ) يمانى، فارسي معدود، كان سيد قومه بني الحرث بن كعب وقائدهم، وهو من أهل بيت عريق في الشعر في الجاهلية والإسلام. =

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنَسْعَةٍ^(١) أَمْعَشَرَتِيْمَ أَطْلَقُوا عَنْ لِسَانِيَا^(٢)
لأن المعنى أحسنوا إليَّ ينطلق لساني بشركم.

وضده في المعنى قول قبيصة بن النصراني الجرمي^(٣) :
فَأَصْبَحْتُ قَدْ حَلَّتْ يَمِينِي وَأَدْرَكْتُ بُنُو ثَقْلٍ تَبْلِي وَرَاجَعِي شِعْرِي^(٤)
الشاهد السادس والتسعون^(٥) : (الوافر)

قول جرير:
أَمْنَيْتِ الْمُنَى وَخَلَبْتِ^(٦) حَتَّى تَرَكْتِ ضَمِيرَ قَلْبِي مُسْتَهَامَا^(٧)

انظر ترجمته في :

الأغاني : ٣٢٨/١٦ ، ذيل سمط اللآلي : ٦٣/٣ ، الأعلام : ١٨٧/٤ .

- (١) النسعة : سير مضافور يجعل زماماً للبعير . اللسان «نسع» : ٣٥٢ .
- (٢) المفضليات : ١٥٧ ، رقم القصيدة (٣٠) .
- (٣) هو أحد شعراء بني جَرْمٍ ، وَجَرْمٌ رَهْطٌ مِنْ طَيْءٍ ، وقد زعموا أنه هو أبو إياس بن قبيصة آخر ملوك الحيرة ، الذي استعمله عليها كسرى ، وكان قبيصة سيداً شهماً مطاع الكلمة في قومه ، حضر حرب الفساد التي كانت بين القوْث وجديلة من بني طَيْءٍ ، وقد ذكرها في شعره ، وشعره متين من حر كلام العرب ، وقد ضاع أكثره ، وتوفي قبيصة في أواخر المائة السادسة للمسيح نحو ٥٩٢ م .

انظر ترجمته :

الحماسة - تحقيق عسيلان - : ٢٠٢ - ٢٠٧ - ٢٤٦ ، ٣٥٩ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٦١٠ - ٦٢٠ - ٦٢٣ ، ٦٢٥ ، ١٠٣٠ ، شعراء النصرانية قبل الإسلام : ٩٣ - ٩٧ .

- (٤) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١٦٣/١ .
- (٥) الدلائل ، رضا : ١٢٢ ، خفاجي : ١٨٨ ، شاکر : ١٥٨ .
- (٦) الْخَلْبُ : الطَّفَرُ عَامَّةً ، وَخَلْبُهُ يَخْلِيهِ خَلْبًا : جرحه ، وقيل : خَدَشَهُ ، وَالْخَلْبُ أَيْضًا : مَزَقُ الْجِلْدِ بِالنَّابِ . اللسان «خلب» : ٣٦/١ .
- (٧) لم أقف على البيت - فيما رجعت إليه من مصادر - إلا في : ديوانه : ٥٠٣ .

وهو من قصيدة قالها مادحاً هشام بن عبد الملك^(١)، ومطلعها:
أَصْبَحَ حَبْلٌ وَضَلِكُمْ رِمَامًا^(٢) وَمَا عَهْدُ كَعْهَدِكِ يَا أَمَامًا^(٣)

وقبل الشاهد:

إِذَا سَفَرْتُ فَمَسْفَرُهَا جَمِيلٌ وَيُرْضِي الْعَيْنَ مَرْجِعُهَا اللَّثَامَا

وبعد الشاهد:

سَقَى الْأَدْمَى بِمُسْبِلَةِ الْغَوَادِي وَسُلْمَانِينَ مُرْتَجِزاً رُكَامَا
سَمِعْتُ حَمَامَةً طَرِبَتْ بِنَجْدٍ فَمَا هَجَبَتِ الْعَشِيَّةُ يَا حَمَامَا

وموضع الشاهد في قوله: «أَمْنِيَّتِ، وَخَلَبَتِ»، والشاهد فيه كالشاهد السابق، فالمفعول هنا معلوم، وهو ضمير المتكلم في قوله: «أَمْنِيَّتِ وَخَلَبَتِ» أي «أمنيتني وخلبتني»، ولكن الشاعر طرحه وتناساه لفرط إحساسه بقوة خلاصة محبوبته، فأراد أن يصفها بقوة التأثير في نفوس الناس عامة، وليس فيه وحده.

قال الشيخ:

(١) هو هشام بن عبد الملك بن مروان، من ملوك الدولة الأموية في الشام (٧١ هـ - ١٢٥ هـ)، كنيته الوليد، بويع بالخلافة في يوم وفاة يزيد (١٠٥ هـ)، وكانت ولاية هشام تسعة عشر سنة، ويحكى أنه كان شديد البخل إلا أنه كان ذا دهاء، وحزم، وفيه حلم وتدبير لأحوال المملكة، ومن أهم الأحداث في عصره قتله زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (١٢٢ هـ) بالكوفة.

انظر ترجمته:

الطبري: ٢٥٤/٤ - ٢٥٥، ١٨١/٦، ٤٢٠، ٤٢٩، ٥٥١ - ٥٥٢، ٢١/٧، ٢٥، ٢١٥...، ٧٨/٨، ٩٩، ٤١٠/٩، الفخري في الأدب السلطانية: ١٣٢ - ١٣٣، التنبيه والإشراف: ٢٩٥، مروج الذهب: ٢١٣/٣ - ٢٣٠، سمط النجوم العوالي: ٢١١ - ٢١٧.

(٢) رِمَامًا: رَمَ الحَبْلُ: تَقَطَّعَ والرَّمَّةُ والرَّمَّةُ قطعة من الحبل بالية، والجمع رِمَمٌ، ورِمَامٌ. اللسان «رسم»: ٢٥٢/٢.

(٣) ديوانه: ٥٠٢ - ٥٠٣.

«الغرض أن يثبت أنه كان منها تمنية، وخلابة، وأن يقول لها: أهكذا تصنعين، وهذه حيلتك في فتنة الناس»^(١).

وأقف عند قوله: «ضمير قلبي» لأتساءل ماذا يقصد «بالضمير»، وهل كان الشاعر يريد القلب، فاضطره الشعر إلى كلمة ضمير، أو أن لضمير القلب معنى زائداً على القلب؟ يبدو لي أن كلمة «ضمير» لم يأت بها الشاعر عبثاً إنما قصد من ورائها معنى جليلاً، فهو يريد أن يؤكد أن محبوبته ملكت عليه لب فؤاده، ومجمع شعوره، وما دق ورهف من إحساسه.

الشاهد السابع والتسعون^(٢):
(الطويل)

قول طُفَيْلِ الْغَنَوِيِّ^(٣) لبني جعفر بن كلاب:
جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا^(٤) حِينَ أَرْلَقْتُ^(٥) بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ^(٦) فَزَلَّتْ
أَبْوَا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمْنَا تَلَا فِي الَّذِي لَأَقْوَهُ^(٧) مِثْلَ مَلَّتْ

(١) الدلائل، رضا: ١٢٢، خفاجي: ١٨٨ - ١٨٩، شاکر: ١٥٨.

(٢) الدلائل، رضا: ١٢٢، خفاجي: ١٨٩، شاکر: ١٥٨.

(٣) هو طفيل بن عوف بن كعب بن خلف بن ضُبَيْس بن خليف بن مالك بن سعد بن عوف، وهو شاعر جاهلي من الفحول المعدودين، ويكنى بأبي قُرَّان، يقال: أنه من أقدم شعراء قيس، وهو من أوصف العرب للخيّل، وسمي لذلك «طُفَيْل الخيل»، ويقال له أيضاً: «المحبر» وسمي المحبر لحسن شعره.
انظر ترجمته:

الشعر والشعراء: ٤٦٠/١، الأغاني: - دار الإحياء: - ٣٤٩/١٥ - ٣٥٥، المؤلف والمختلف: ١٤٧ - ١٨٤، سمط اللآلي: ٢١٠.

(٤) رواية معاهد التنصيص: «جَزَى اللَّهُ خيراً جيرة حِينَ أَرْلَقْتُ».

(٥) رواية الأغاني: «حَيْثُ أَشْرَفْتُ»، ورواية مجموعة المعاني، ومجالس ثعلب: «حِينَ أَشْرَفْتُ».

(٦) رواية المختار من شعر بشار: «الذاهبين»، ورواية مجموعة المعاني: «في الوادين».

(٧) رواية الأغاني، ومجالس ثعلب وزهر الآداب، ولباب الآداب، ومجموعة المعاني: «تلافي الذي يلقون».

هُمْ خَلَطُونَا بِالنُّفُوسِ وَالْجَاوَا^(١) أَدْفَاتٍ^(٢) إِلَى حُجَرَاتٍ أَدْفَاتٍ وَأَظْلَلَتْ^(٣) (٤)

وبعد الشاهد:

وَقَالَتْ هَلُمُّوا الدَّارَ حَتَّى تَبَيَّنُوا وَتَنْجَلِي الْعَمِيَاءَ عَمَّا تَجَلَّتْ^(٥)
سَنْجِزِي بِإِحْسَانِ الْيَادِي الَّتِي مَضَتْ لَهَا عِنْدَنَا مَا كَبُرَتْ وَأَهْلَتْ^(٦)

والشاهد هنا كسابقه، وهو حذف المفعول فحذف المفعول هنا في أربعة مواضع «لملت - ألجأوا - أدفات - أظلت» وهذه الأبيات قالها طُفَيْلُ الغنوي في مدح بني جعفر، والمعنى: جرى الله هؤلاء القوم خيراً لأنهم أبوا الملل من تفقدهم إيانا، وتعهدهم لنا في الزمان الذي أزلقت نعالنا بنا، ونحن واطئون بها بإصابة الشدائد، وأزلقت الحوادث، وأزلقت نعالنا في جملة الواطئين، واختلت أحوالنا، ولو أن أرف الناس وأعطفهم علينا، وهي الأم تلاقي في ذلك الزمان ما لاقوه منا من تكاليفنا ومشاقنا ومؤن معاشنا لملت الأم منا، ثم بين طيب معاشرتهم فقال: هم خلطونا بنفوسهم، وجعلونا من جملتهم، وأشركونا في أموالهم،

- (١) رواية لباب الآداب: «وأرفؤوا».
- (٢) وفي الأغاني ومجالس ثعلب لم يؤت بهذا الصدر، وإنما أتى بقوله: «فَدُو المَالِ مَوْفُورٌ وَكُلُّ مَعْصَبٍ».
- (٣) رواية لباب الآداب: «أدفات وأكنت».
- مع التقديم والتأخير في البيت (٢ - ٣).
- (٤) انظر الأبيات في: ديوانه: ٩٨ - مع بعض التقديم والتأخير..
- عيار الشعر: ٨٩، الأغاني: ٣٦٨/١٥، المختار من شعر بشار: ١٩٩، العمدة: ١٤١/٢، نهاية مجالس ثعلب: ٣٩٣/٩/٢، زهر الآداب: ٧١/١، الممتع في صنعة الشعر: ١٦٦، نهاية الإيجاز: ١٤٠، لباب الآداب: ٢٦٨ - ٢٦٩، بديع القرآن: ١٨٥، نهاية الأرب: ٧٦/٧، الإيضاح: ١٩٧/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٣٤ ب، معاهد التنصيص: ٥٦/٢، مجموعة المعاني: ٩٨، ذكر البيت الأول والثاني فقط.
- (٥) رواية مجموعة المعاني:
- (٦) ديوانه: ٩٨، الأغاني: ٣٦٨/١٥، مجموعة المعاني: ٩٨.

وَأَلْجَاؤُنَا إِلَى حَجَرَاتِهِمْ وَاضْطَرُّوْنَا إِلَى الزُّوْلِ بِدَوْرِهِمْ الَّتِي أَدْفَأْتْنَا، فَامْتَنَّا مِنْ
الْبَرْدِ، وَأَظْلَلْتْنَا بِظِلَالِ تَقِينَا الْحَرَّ^(١).

وقوله: «أَبُوا أَنْ يَمْلُونَا» تعبير لطيف، غزير المعنى عن شدة كرمهم
وتحملهم تبعات الجود، فكان الممل أشفق عليهم فعرض نفسه عليهم عرضاً، أو
أَنَّ أَحَدًا رَأَى تِلْكَ الْمَشَاقَّ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْمَلْلَ رَحْمَةً بِهِمْ، وَلَكِنْهُمْ لَطِيبُ
نَفُوسِهِمْ أَبُوا هَذَا الْعَرَضَ وَرَفَضُوهُ.

ولإحساس الشاعر بعظيم فعلهم، ونادر كرمهم امتلأت نفسه بالامتنان
والشكر لهم، فأخذ يثبت لهم تلك الخصال على وجه تنصرف بجملتها إليهم،
فحذف المفعول في أربعة مواضع في قوله: «لملت - أَلْجَاؤَا - أَدْفَأْتُ - أَظْلَلْتُ»،
والمفعول هنا معلوم ومقصود إلا أنه تناساه، وأهمله ليبين أنهم في الحد المتناهي
من الكرم، وأن الكرم منصرف إليهم لا يتعداهم إلى غيرهم.

«وقوله: أَلْجَاؤَا فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى فَرَطِ مَرْوَعَتِهِمْ وَكِرْمِهِمْ وَالْحَاحِهِمْ فِي
إِقَامَتِهِمْ، وَقَوْلُهُ: «أَدْفَأْتُ وَأَظْلَلْتُ» فِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى طِيبِ مَنَازِلِهِمْ وَحَجَرَاتِهِمْ، وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ هَذَا عِبَارَةً عَنْ عَزِّ إِقَامَتِهِمْ عِنْدَهُمْ حِينَئِذٍ، وَقَوْلُهُ: «أَبُوا أَنْ يَمْلُونَا»، وَقَوْلُهُ:
«هُمْ خَلَطُونَا» بَيَانٌ لِمَا يُوْجِبُ الدَّعَاءَ لَهُمْ»^(٢).

قال الشيخ عبد القاهر:

«فِيهَا حَذْفُ مَفْعُولٍ مَقْصُودٍ قَصْدُهُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ قَوْلُهُ: لَمَلْتُ، وَأَلْجَاؤَا،
وَأَدْفَأْتُ، وَأَظْلَلْتُ، لِأَنَّ الْأَصْلَ «لَمَلْتْنَا وَأَلْجَاؤُنَا إِلَى حَجَرَاتِ أَدْفَأْتْنَا وَأَظْلَلْتْنَا» إِلَّا أَنَّ
الْحَالِ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ أَنَّهُ فِي حَدِّ الْمَتْنَاهِي حَتَّى كَانَ لَا قَصْدَ إِلَى
مَفْعُولٍ، وَكَانَ الْفِعْلُ قَدْ أَبْهَمَ أَمْرَهُ، فَلَمْ يَقْصِدْ بِهِ قَصْدَ شَيْءٍ يَقَعُ عَلَيْهِ كَمَا يَكُونُ
إِذَا قُلْتَ: قَدْ مَلَّ فُلَانٌ: تَرِيدُ أَنْ تَقُولَ قَدْ دَخَلَ الْمَلَالُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَخْصُ شَيْئًا بَلْ

(١) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٣٤ ب.

(٢) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٣٤ ب.

لا تزيد على أن تجعل الملal من صفته، وكما تقول: هذا بيت يدفىء ويظل، تريد أنه بهذه الصفة»^(١).

وذكر الخطيب أنه حذف هنا ليدل على مراده بطريق الكناية، وأن الحذف هنا لمجرد الاختصار. قال:

«فإن الأصل لملتنا وأدقاتنا وأظلتنا إلا أنه حذف المفعول من هذه المواضع ليدل على مطلوبه بطريق الكناية، فإن قلت: لا شك أن قوله ألبأوا أصله ألبأونا، فلأي معنى حذف المفعول منه؟

قلت: الظاهر أن حذفه لمجرد الاختصار؛ لأن حكمه حكم ما عطف عليه، وهو قوله: «خلطونا»^(٢).

وأشار الشيخ عبد القاهر إلى مزية أخرى، وفائدة زائدة في قول عمرو بن معدي كرب، وقول طفيل الغنوي غير ما ذكره بدءاً من توفير العناية على إثبات الفعل.

وهي أن القضية التي يريد الشاعر إثباتها للمفعول تصبح مع الحذف قضية مستمرة لكل موقف مماثل، فتضيف للمعنى معنى العموم. قال:

«واعلم أن لك في قوله: أجزت، ولملت: فائدة أخرى زائدة على ما ذكرت من توفير العناية على إثبات الفعل وهي أن تقول: كان من سوء بلاء القوم، ومن تكذيبهم عن القتال ما يُجرُّ مثله، وما القضية فيه أنه لا يتفق على قوم إلا خرس شاعرهم، فلم يستطع نطقاً، وتعديتُك الفعل تمنع من هذا المعنى، لأنك إذا قلت: ولكن الرماح أجزتني: لم يمكن أن يتأول على معنى أنه كان منها ما شأن مثله أن يُجرَّ قضية مستمرة في كل شاعر قوم»^(٣). بل قد يجوز

(١) الدلائل، رضا: ١٢٣، خفاجي: ١٨٩، شاعر: ١٥٩.

(٢) الإيضاح: ١٩٨/١.

(٣) جاء في حاشية الدلائل - تحقيق شاعر - أنه ذكر في هامش إحدى المخطوطات أمام هذا الموضع ما نصه: «فإن قيل: تقدير العموم مع إضافته لا يتصور، وإنما يتصور ذلك أن لو قال: «لو أن أمّا تلاقى الذي لاقوه لملت».

أَن يُوجَد مثله في قوم آخرين، فلا يُجَرُّ شاعرهم، ونظيره أنك تقول: «قَدْ كَانَ مِنْكَ مَا يُؤْلَم» تريد ما الشَّرْط في مثله أن يؤلم كل أحد، وكل إنسان، ولو قلت: «ما يؤلمني» لم يُفَهِدْ ذلك؛ لأنه قد يجوز أن يؤلمك الشيء لا يؤلم غيرك، وهكذا قوله: «وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا تُلَاقِي الَّذِي لَاقُوهُ مِنَّا لَمَلَّتْ: يتضمن أن من حُكِمَ مثله في كل أُمَّ أَنْ تَمَلَّ وَتَسَامَ، وأن المشقة في ذلك إلى حدٍّ يُعَلِّمُ أَنْ أُمَّ تَمَلُّ لَهُ الْإِبْنُ، وَتَتَبَرَّمُ بِهِ مَعَ مَا فِي طِبَاعِ الْأُمَّهَاتِ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي مَصَالِحِ الْأَوْلَادِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ، وَإِنْ قَالَ: «أُمَّنَا» فَإِنَّ الْمَعْنَى عَلَى ذَلِكَ حُكْمُ كُلِّ أُمَّ مَعَ أَوْلَادِهَا، وَلَوْ قُلْتُ: «لَمَلَّتْنَا» لَمْ يَحْتَمِلْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى أَنْ تَقُولَ: لَوْ لَقِيتُ أُمَّنَا ذَلِكَ لَدَخَلَهَا مَا يُمِلُّهَا مِنَّا، وَإِذَا قُلْتُ: مَا يَمْلُهَا مِنَّا فَقَيَّدْتُ لَمْ يَصْلُحْ، لِأَنَّ يُرَادُ بِهِ مَعْنَى الْعُمُومِ، وَأَنَّهُ بِحَيْثُ يُمِلُّ كُلُّ أُمَّ مِنْ كُلِّ ابْنٍ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «إِلَى حُجَرَاتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظْلَّتْ»؛ لِأَنَّهُ فِيهِ مَعْنَى قَوْلِكَ: «حُجَرَاتٍ مِنْ شَأْنٍ مِثْلِهَا أَنْ تُدْفِئَ، وَتُظِلَّ»، أَيْ هِيَ بِالصِّفَةِ الَّتِي إِذَا كَانَ الْبَيْتُ عَلَيْهَا أَدْفَأً، وَأَظْلً، وَلَا يَجِيءُ هَذَا الْمَعْنَى مَعَ إِظْهَارِ الْمَفْعُولِ إِذْ لَا تَقُولَ: «حُجَرَاتٍ مِنْ شَأْنٍ مِثْلِهَا أَنْ تُدْفِئَنَا وَتُظِلَّنَا» هَذَا لَعَوٌّ مِنَ الْكَلَامِ، فَأَعْرِفْ هَذِهِ النُّكْتَةَ، فَإِنَّكَ تَجِدُهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ هَذَا الْفَنِّ مَضْمُومَةً إِلَى الْمَعْنَى الْآخِرِ الَّذِي هُوَ تَوْفِيرُ الْعِنَايَةِ عَلَى إِثْبَاتِ الْفِعْلِ، وَالِدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ الْقَصْدَ مِنْ ذِكْرِ الْفِعْلِ أَنْ تُشَبِّهَ لِفَاعِلِهِ لَا أَنْ تُعَلِّمَ التَّبَاسُّةَ بِمَفْعُولِهِ»^(١).

وهذه الأبيات قد تَمَثَّلَ بها أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ تَشَاغَلَ بِأَمْرِ أَهْلِ الرِّدَّةِ، وَاسْتَبْطَأَتْهُ الْأَنْصَارُ، فَكَلَّمُوهُ فَقَالَ لَهُمْ: أَمَّا إِذَا كَلَفْتُمُونِي أَخْلَاقَ

فالجواب: إنه لو كان الغرض من الكلام التمثيل، فإن الخاص فيه يجري مجرى العام. يقول الرجل لصاحبه: «أنت تشكر من لم يحسن إليك» يريد أن ذلك حكم الجملة، ومثله قوله:

إِنَّكَ إِنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِئْ
سَاءَكَ مَا سَرُّكَ مِنِّي مِنْ خُلُقِي

لم يرد أن يَخْصَّ نفسه بذلك، ويجعله خَلْقًا هُوَ فِيهِ، بَلْ أَرَادَ أَنْ ذَلِكَ مَا عَلَيْهِ (تمشي) الطباع فأعرفه. الدلائل، شاكر: ١٥٩ - ١٦٠.

(١) الدلائل، رضا: ١٢٣ - ١٢٤، خفاجي: ١٨٩ - ١٩٠، شاكر: ١٥٩ - ١٦٠.

رسول الله ﷺ، فوالله ما ذاك عندي، ولا عند أحدٍ، ولكن والله ما أوتي من مودة لكم، ولا حسن رأيٍ منكم، وكيف لا نُحِبُّكم، فوالله ما وجدت لنا ولكم إلا ما قال طُفيل الغنوي لبني جعفر، ثم ذكر الأبيات^(١).

وجاء في زهر الآداب أن أبا بكر تمثل بها حين أتاه مال من البحرين، فساوى بين الناس، فغضب الأنصار، وقالوا له: فَضَّلْنَا، فقال أبو بكر: إن أردتم أن أفضلكم صار ما عملتوه للدنيا، وإن صبرتم صار ما عملتوه لله عز وجل، فقالوا: والله ما عملنا إلا لله تعالى، وانصرفوا، فَرَقَى أبو بكر المنبر، وقال بعد أن حمد الله، وأثنى عليه، وعلى رسوله ﷺ: يا معشر الأنصار، إن شئتم أن تقولوا: إِنَّا آوَيْنَاكُمْ فِي ظِلَالِنَا، وَشَاطَرْنَاكُمْ فِي أَمْوَالِنَا، وَنَصَرْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا لِقَلْتُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يُحْصِيهِ الْعَدَدُ، وَإِنْ طَالَ بِهِ الْأَمَدُ، فنحن وأنتم كما قال طُفيل الغنوي... وذكر الأبيات^(٢).

الشاهد الثامن والتسعون^(٣):
(الطويل)

قول البحرى:

إِذَا بَعُدَتْ أُبُلْتُ وَإِنْ قُرِبَتْ شَفَتْ فَهَجَرَانُهَا يُبْلِي وَلَقِيَانُهَا يَشْفِي^(٤)

وهو من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله، ومطلعها:
وَمُهْتَزَّةُ الْأَعْطَافِ نَازِحَةُ الْعِطْفِ مُنْعَمَةُ الْأَطْرَافِ فَسَائِرَةُ الطَّرْفِ

وقبل بيت الشاهد:

تَنُنَى عَلَى قَدْ غَرِيبٍ قَوَامُهُ وَتَضْحَكُ عَنْ مُسْتَعَذِبٍ أَفْلَحِ الرَّصْفِ

وبعد بيت الشاهد وبعده:

بَدَلْتُ لَهَا الْوُدَّ الَّذِي بَخَلْتُ بِهِ وَأَصْفَيْتُهَا الْوُدَّ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تُصْفِي

(١) مجالس ثعلب: ٣٩٣/٩/٢، الدلائل، رضا: ١٢٢، خفاجي: ١٨٩، شاعر: ١٥٨.

(٢) زهر الآداب: ٧١/١.

(٣) الدلائل، رضا: ١٢٥، خفاجي: ١٩٢، شاعر: ١٦٢.

(٤) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في: ديوانه: ٤٠١/٢.

وَأَبْدَيْتُ وَجْدَانِي بِهَا وَصَبَّابَتِي وَإِنَّ الَّذِي أَبْدَى لَدُونِ الَّذِي أَخْفَى^(١)

وموضع الشاهد قوله: «يُبْلِي - يَشْفِي» والأصل «يُبْلِينِي وَيَشْفِينِي».

وقد حذف الشاعر المفعول هنا لفائدة لطيفة، وغرض جليل، حيث أراد أن يجعل البلى كأنه واجب في بعادها أن يوجهه ويجلبه، وكأنه كالطبيعة فيه، وكذلك حال الشفاء مع القرب و«هذا مبنيٌّ على أن هذه المرأة من الحُسن والجمال بحيث لا يراها أحدٌ إلاَّ عشقها، وكان حاله معها هذه الحالة، وهذا المعنى هو ما (افتتح) به المتنبي:

أَتَرَاهَا لِكَثْرَةِ الْعُشَّاقِ تَحَسَّبُ الدَّمْعَ خَلْقَةً فِي الْمَآقِي^(٢)»^(٣)

قال الشيخ عبد القاهر:

«ومما هو كأنه نوع آخر غير ما مضى قول البحرى... قد عُلِمَ أن المعنى: «إِذَا بَعُدَتْ عَنِّي أَبْلَتْنِي، وَإِنْ قُرِبَتْ مِنِّي شَفَتْنِي» إلاَّ أنك تجد الشعر يأبى ذكر ذلك، ويوجب أطراحه، وذاك لأنه أراد أن يجعل البلى كأن واجب في بعادها أن يُوجِبَهُ وَيَجْلِبُهُ، وكأنه كالطبيعة فيه، وكذلك حال الشفاء مع القُربِ حتى كأنه قال: أتدري ما بعادها؟ هو الداء المضني، وما قُربها؟ هو الشفاء والبرء من كل داء، ولا سبيل لك إلى هذه اللطيفة، وهذه النكتة إلاَّ بحذف المفعول البتة فأعرفه^(٤)».

وفي البيت لفتات أخرى فقد ذكر الشاعر في صدر البيت لفظ «بعدت» وفي عجزه «فهجرانها»، والبعد غير الهجران، فقد يكون مع الوصل، فتفسيره بالهجران يحتاج إلى دليل، ودليله في البيت بعده «بَدَلْتُ لَهَا الْوُدَّ...» فبخلها بالود، وعدم إضافتها إياه هو الهجران.

(١) ديوانه: ٤٠١/٢.

(٢) ديوان المتنبي بشرح العكبري: ٣٦٢/٢، وهو من قصيدة قالها في مدح أبي العشائر الحسن بن علي بن الحسين بن حمدان.

(٣) حاشية الدلائل، تحقيق شاكر: ١٦٢.

(٤) الدلائل، رضا: ١٢٥، خفاجي: ١٩٢، شاكر: ١٦٢.

كذلك ذكر القرب واللقيان، وكلاهما يشفي، فهل هما شيء واحد؟ وإذا
فقد كررا وإن مجرد القرب هو المراد في الشطر الأول، ثم إن اللقيان وحده،
والقرب وحده لا يشفيان ما لم يكن معهما إصفاء المودة والوجود به.

وقد يقال أن مقابلة اللقيا بالهجران يشعر بأنه يريد باللقيا الوصل. أو لعل
مراد الشاعر أن مجرد علمه بأنها قريبة منه - وإن لم يكن ود - يشفيه. وهذا من
فرط الصبابة أن يسعد المحب بقرب محبوبه حتى وإن آحتجب عنه.

يكفيه شعوره بقربه، أو مجرد رؤيته، وللشعراء وبخاصة العذريين مذاهب
في القرب والبعد، فمنهم من يرضى بالمنى وبالنظرة العجلى، كما قال جميل:
وَإِنِّي لِأَرْضَى مِنْ بُشَيْنَةٍ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَائِي لَقَرَّتْ بِلَابِلِهِ
بِلَا وَبِلَا أَسْتَطِيعَ وَبِالْمُنَى وَبِالْوَعْدِ حَتَّى يَسْأَمَ الْوَعْدَ أَمْلُهُ
وَبِالنَّظَرَةِ الْعَجَلَى وَبِالْحَوْلِ تَنْقُضِي أَوَاخِرُهُ لَا نَلْتَقِي وَأَوَائِلُهُ^(١)

ومنهم من يكفيه خطوره ببال محبوبه كما قال ابن الدمينية:
أَبِينِي أَفِي يُمْنَى يَدِيكَ جَعَلْتَنِي فَأَفْرَحَ أَمْ صَيَّرْتَنِي فِي شَمَائِلِكَ
لَيْسَ سَاءَنِي أَنْ نَلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ^(٢)

ومنهم من يرضى بقرب الدار فقط كما قال ابن الدمينية:
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا يَمَلُّ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ
بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا لَمْ يُشَفْ مَا بَنَا عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ^(٣)

ومنهم من يرضيه مجرد الشعور بوجود المحبوب على الأرض كما قال

جميل:

(١) ديوانه: ٥٨.

(٢) ديوانه: ١٧.

(٣) ديوانه: ٨٢.

أَقْلَبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهُمْ^(١) حِينَ تَنْظُرُ^(٢)

ومثله قول ابن المعلوط:

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَلْبَسُ أُمَّ عَمْرٍو وَإِنَّا فَذَاكَ لَنَا تَذَانِ
بَلَى وَأَرَى السَّمَاءَ كَمَا تَرَاهَا وَيَعْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلَانِي^(٣)

ومنهم من لا يسليه القرب، ولا يشفيه البعد، كقول أحدهم:

إِذَا قُرْبَتْ دَارٌ كَلَفْتُ وَإِنْ نَأَتْ أَسَفْتُ فَلَا لِلْقُرْبِ أَسْلُو وَلَا لِلْبُعْدِ^(٤)
الشاهد التاسع والتسعون^(٥):
(الكامل)

قول البحري:

لَوْ شِئْتُ لَمْ تُفْسِدْ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ كَرَمًا وَلَمْ تَهْدِمْ مَائِرَ خَالِدٍ^(٦)

والبيت من قصيدة قالها في مدح يوسف بن أبي سعيد^(٧)، مطلعها:

(١) رواية الديوان: «طرفكم».

(٢) رواية الديوان: «حين ينظر».

(٣) انظر البيت في:

ديوانه: ٣٢، ديوان المعاني: ٢٦٧/١.

(٤) ديوان المعاني: ٢٦٧/١.

(٥) المصدر السابق: ٢٦٦/١.

(٦) الدلائل، رضا: ١٢٦، خفاجي: ١٩٢، شاکر: ١٦٣.

(٧) المقصود به خالد بن أسمع البهاني، وهو نبهان بن عمرو من طيء الذي نزل عليه امرؤ القيس، وله في بني نبهان مدائح.

انظر: جمهرة أنساب العرب: ٤٠٠، صبح الأعشى: ٣٢٠/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٣٥ ب، الأعلام: ٨٠/٣، ٧/٨.

(٨) لم أجد البيت إلا في:

ديوانه - دار بيروت -: ٧٠٥/٢، المثل السائر: ٣٠٧/٢، الإيضاح: ١٩٩/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٣٥ ب.

(٩) وهو عامل الخليفة المتوكل على أرمينيا، وقد قتله بطارقتها سنة (٢٣٧ هـ)، فوجه إليهم المتوكل «بغا الشراي» لياخذ بدم يوسف ومن قُتل معه، فقاتلهم «بغا» وظفر بهم. تاريخ الطبري: ١٨٧/٩ - ١٨٨.

عَجَباً لَطِيفِ خَيَالِكِ الْمُتَعَاهِدِ وَلَوْضَلِكِ الْمُتَقَارِبِ الْمُتَبَاعِدِ

وقبل الشاهد:

كَيْفَ الْمَقَامُ بِأَمْدٍ وَبِلَادِهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَابَتْ مَفَارِقُ أَمْدِ
ضَحِكْتُ فَأَبْكْتُ عَيْنَ كُلِّ مَمُوٍّ مُتَقَلِّقِلٍ تَحْتَ الضَّرِيبِ الْجَاوِدِ
يَا يُوسُفَ بْنَ أَبِي سَعِيدٍ وَالْغَنَى لِلْمُغْمَدِ الْعَزَمَاتِ غَيْرُ مُسَاعِدِ

والشاهد آخر بيت في القصيدة.

والمعنى: لو شئت أن لا تفسد ولا تبطل سماحة حاتم وجوده، وألاً تهدم مآثر خالد ومساعيه كراماً عليهما، وصيانة لصنائعهما، بأن لا تفرط في الجود، ولا تجتهد فيه فوق الوسع، ولا تسرف في ابتناء المكارم، ولا تبالغ فيه، لما أفسدت، ولكنك زدت على كل منهما فيما اختص به، فأفسدت جود ذلك، وهدمت مساعي هذا^(١).

والشاهد فيه حذف المفعول بعد فعل المشيئة المسبوق بـ«لو» والأصل فيه لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها، فحذف ذلك من الأول استغناء بالدلالة عليه في الثاني، وهذا ما يسمى بالبيان بعد الإبهام.

قال الشيخ:

«الأصل لا محالة لو شئت أن لا تُفْسِدَ سماحة حاتم لم تفسدها، ثم حذف ذلك من الأول استغناء بدلالته في الثاني عليه، ثُمَّ هو على ما تراه، وتعلمه من الحُسْنِ والغرابة، وهو على ما ذكرت لك من أن الواجب في حُكْمِ البلاغة أن لا يُنْطَقَ بالمحذوف، ولا يَظْهَرُ إلى اللفظ، فليس يَخْفَى أَنَّكَ لو رجعت فيه إلى ما هو أصله، فقلت: لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها صرت إلى كلام غَثٍّ، وإلى شيء يَمْجُجُه السَّمْعُ، وتَعَاْفُه النَّفْسُ»^(٢).

ثم يبرز الشيخ عبد القاهر لطافة الحذف بعد فعل المشيئة، وتأثيره على

(١) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٣٥ ب.

(٢) الدلائل، رضا: ١٢٦، خفاجي: ١٩٢ - ١٩٣، شاکر: ١٦٣.

النفس، وأثره في تمكين المعنى، وتقريره فيقول:

«... إن في البيان إذا ورد بعد الإبهام، وبعد التحريك له، أبداً لطفاً
ونُبلاً لا يكون إذا لم يتقدّم ما يحرك، وأنت إذا قلت: لو شئت علم السامع أنك
قد علّقت هذه المشيئة في المعنى بشيء، فهو يضع في نفسه أن ههنا شيئاً
تقتضي مشيئته له أن يكون أو أن لا يكون، فإذا قلت: لم تفسد سماحة حاتم:
عرّف ذلك الشيء»^(١).

ومن اللفظات الجميلة في البيت أن الشاعر استعمل «الإفساد» مع السماحة،
والهدم مع المآثر، وذلك لأن السماحة معنى من المعاني يتطرق إليها الإفساد،
والمآثر ذوات أي الأفعال البارزة الظاهرة، فيناسبها الهدم.

الشاهد المائة^(٢):

(الطويل)

وَلَوْ^(٣) شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةً الصَّبْرِ أَوْسَعُ^(٤)

(١) الدلائل، رضا: ١٢٦، خفاجي: ١٩٣، شاکر: ١٦٣ - ١٦٤.

(٢) الدلائل، رضا: ١٢٦، خفاجي: ١٩٣، شاکر: ١٦٤.

(٣) رواية الديوان: «فلو شئت».

(٤) انظر البيت في:

ديوانه: ٤٣، الكامل - دار الفكر -: ٢٣١/٣، ذيل أمالي القاضي: ١٢١، منسوبة لأعرابي،
ديوان المعاني: ١٧٥/٢، المصون: ١٤، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٨٢٢/٢ - من
غير عزو - شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٤٩/٣ - من غير عزو - تهذيب ابن عساكر:
٤٣٧/٢، ١٣١/٥، المثل السائر: ٣٠٨/٢ - من غير عزو - بديع القرآن: ١٨٨، نهاية
الأرب: ٧٩/٧ - من غير عزو - الإيضاح: ١٩٩/١ - من غير عزو - شرح شواهد
الإيضاح - فيض الله -: ٣٥ ب، تلخيص التلخيص: ١٣٣/٢ - من غير عزو - معاهد
التنصيص: ٢٤٦/١، رقم (٤٢)، شرح حلية اللب المصون: ١٠٣ - من غير عزو -
مجموعة المعاني: ١٢٠.

وهو للخُرَيْمِي (١) من قصيدة يرثي بها خُرَيْم بن عمار (٢).

والبيت من قصيدة مطلعها:

قَضَى وَطَرًا مِنْكَ الْحَبِيبُ الْمُودَعُ وَحَلَّ الَّذِي لَا يُسْتَطَاعُ فَيُدْفَعُ

وقبل الشاهد:

وَأَعْدَدْتُهُ ذُخْرًا لِكُلِّ مُلِمَّةٍ وَسَهْمُ الْمَنَايَا بِالدَّخَائِرِ مُوَلَّعُ
بَقِيَّةُ أَقْمَارٍ مِنَ الْغُرُلِ وَخَبَتْ لَطَّلَتْ «مَعْدَّة» فِي الدُّجَى تَسْكُغُ
إِذَا قَمَرٌ مِنْهَا تَغَوَّرَ أَوْ خَبَا بَدَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ الْأُفُقِ يَلْمَعُ

(١) هو إسحاق بن حسان، وكنيته أبو يعقوب، وكان جميل الشعر مقبولاً عند الكتاب، وله كلام قوي، ومذهب متوسط، وكان يرجع إلى نسب كريم في الصُّغْد، وكان له ولَاءٌ في غطفان، وهو مولى ابن خريم الذي يقال لأبيه «الناعم» وجاء في تاريخ ابن عساكر: كان اتصاله بخريم بن عامر المُرِّي، وقيل: كان اتصاله بعثمان بن خريم، وكان قائداً وسيداً شريفاً، وأبوه خُرَيْم الموصوف بالناعم. وعَمِي أبو يعقوب الخُرَيْمِي بعدما أَسَن. واتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة، وله فيه مدائح جواد، ثُمَّ رثاه بعد موته. انظر ترجمته في:

الشعر والشعراء: ٨٥٧/٢ - ٨٦٢، زهر الآداب: ١١٤٢/٤ - ١١٤٥، تاريخ بغداد: ٣٢٦/٦، تاريخ ابن عساكر: ٤٣٧/٢ - ٤٤٠، ١٢٩/٥ - ١٣١، معاهد التنصيص: ٢٥٢/١ - ٢٥٤.

(٢) هو خُرَيْم بن عامر بن عمار بن عمار بن خُرَيْم بن عمرو بن الحارث بن خارجة أبو عمرو بن أبي الهندام «ويقال أبو الهيثام» شاعر فارس كان لأبي إسحاق مراث كثيرة فيه. انظر ترجمته:

تاريخ دمشق الكبير: ١٢٩/٥.

ذكر صاحب معاهد التنصيص أن بيت الشاهد من قصيدة في رثاء أبي الهيثام بن خريم بن عامر، وعرفه بأنه عامر بن عمار بن عمار بن خريم، والد المحدث موسى بن عامر صاحب الوليد بن مسلم، وراوي كتبه، وكان عامر أمير عرب الشام وزعيم قيس وفارسها المشهور. المعاهد: ٢٥١/١، وانظر كذلك: تاريخ دمشق الكبير: ١٧٩/٦ - ١٩٦.

وفي شرح أبيات الإيضاح أن القصيدة لأبي إسحاق في رثاء ابنه «ليث».

انظر: شرح أبيات الإيضاح -فيض الله-: ٣٥ ب.

وبعده:

وَإِنِّي وَإِنْ أَظْهَرْتُ صَبْرًا وَحِسْبَةً وَصَانَعْتُ أَعْدَائِي عَلَيْكَ لَمْوجَعُ

موضع الشاهد قوله: «ولو شئت أن أبكي دماً» والشاهد فيه ذكر المفعول بعد فعل المشيئة، وعدم حذفه، لغرابته، فالمواقف الغريبة والعجبية يحسن فيها ذكر المفعول لتأنس به النفس.

قال الشيخ:

«يقول: لو شئت بكيت دماً، ولكنه كأنه ترك تلك الطريقة، وعدل إلى هذه؛ لأنها أحسن في الكلام خصوصاً، وسبب حسنه أنه كأنه يدع عجب أن يشاء الإنسان أن يبكي دماً، فلما كان كذلك كان الأولى أن يصرح بذكره، ليقرر في نفس السامع ويؤنس به»^(١).

قال أبو هلال العسكري:

«أخبرنا أبو أحمد قال: سمعت حمد بن يحيى قال: سمعت محمد بن يزيد يقول: لو سئلت عن أحسن أبيات تعرف في المراثي لم اختر على أبيات الخريمي»^(٢).

ولو تأملنا الشطر الثاني من البيت «وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ» لوجدناه يدل على شيئين:

الأول: أن الشاعر متدين فهو يستشعر الصبر، ويرى أنه أولى به وبغيره من كل مصاب.

الثاني: أنه يدل على أنه سلا عن صاحبه، ومثل هذا غير مستساغ في الرثاء.

ولذلك لما قال أبو ذؤيب في قصيدته العينية المشهورة التي رثى بها أبناءه:

(١) الدلائل، رضا: ١٢٧، خفاجي: ١٩٣ - ١٩٤، شاعر: ١٦٤.

(٢) ديوان المعاني: ١٧٥/٢.

وَالدَّفْعُ لَا يَتَقَى عَلَى حَدَّثَانِهِ جَوْنُ السَّرَاةِ^(١) لَهُ جَدَائِدُ^(٢) أَرْبَعُ

قال الخليفة المنصور: سلا أبو ذؤيب^(٣).

الشاهد الواحد بعد المائة^(٤):

(البيسط)

لَوْ شِئْتَ كُنْتَ كَكُرْزٍ^(٥) فِي عِبَادَتِهِ^(٦) أَوْ كَابْنِ طَارِفٍ^(٧) حَوْلَ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ^(٨)

والبيت أورده الشيخ من غير نسبة، وهو لعبدالله بن شبرمة^(٩) يقوله لابن هُبَيْرَةَ. وكأنه ينصحه ويعظه.

(١) جَوْنُ السَّرَاةِ: أسود الظهر أو أبيضه، فَإِنَّ الجون من الأضداد يطلق على الأسود والأبيض،

ويريد بجون السراة: حماراً. مختار الصحاح: ١١٨.

(٢) الجدائد: الأتُن واحدها جَدود «بفتح أوله» وهي التي لا لبَن لها. اللسان «جدد»: ١١٠/٣.

(٣) انظر القصة والخبر في:

الأغاني: ٢٧٣/٦ - ٢٧٤.

(٤) الدلائل، رضا: ١٢٧، خفاجي: ١٩٤، شاکر: ١٦٥.

(٥) هو كُرْزُ بْنُ وَبَرَةَ الحارثي الجرجاني، أبو عبدالله (١١٠ - ١١٠ هـ) تابعي من أهل الكوفة،

يُضْرَبُ به المثل في التَّعَبْدِ، جاء في حلية الأولياء أنه كان يختم القرآن في كل يوم وليلة

ثلاث ختمات، وكان إذا كان في سفر واتخذ الناس منزلاً اتخذ هو منزلاً للصلاة - والخبر

الأول فيه نوع من المبالغة -، دخل كُرْزُ بْنُ وَبَرَةَ جرجان غازياً مع يزيد بن المهلب سنة

(٩٨ هـ)، ثم سكنها وتوفي بها. تاريخ جرجان: ٣٣٦ - ٣٥٩، حلية الأولياء: ٧٩/٥ -

٨٢.

(٦) رواية الحيوان: «في تعبيده».

(٧) رواية الحيوان، وحلية الأولياء، والدلائل - شاکر -:

«ابن طارق» بالقاف بدلاً من الفاء، وقد أشار الشيخ - رضا - في هامش نسخته إلى هذه

الرواية.

وابن طارق هو محمد بن طارق عابد ناسك كان يطوف في اليوم والليلة عشر فراسخ. حلية

الأولياء: ٨٢/٥.

(٨) لم أجد البيت - فيما اطلعت عليه من مصادر - إلا في:

الحيوان: ٤٩٢/٣، أخبار القضاة: ٩٤/٣، حلية الأولياء: ٨٢/٥.

(٩) هو عبدالله بن شبرمة بن حَسَّان بن المنذر بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن

بجالة الضبي، أبو شبرمة الكوفي (٧٢ هـ - ١٤٤ هـ)، كان قاضياً لأبي جعفر المنصور على

وذكر الأستاذ - شاكِر - أنه ورد في هامش إحدى المخطوطات بيت آخر تالٍ لبيت الشاهد، وهو:

قَدْ حَالَ دُونَ لَذِيذِ الْعَيْشِ جِدُّهُمَا^(١) وَشَمَّرَا^(٢) فِي طِلَابِ الْفَوْزِ^(٣) وَالْكَرَمِ
موضع الشاهد قوله: «لَوْ شِئْتَ كُنْتَ كَكُرْنِ».

والشاهد فيه حذف المفعول بعد فعل المشيئة المسبوق بـ «لو»، وإنما حُذِفَ هنا، ولم يحسن ذكره، لعدم الغرابة في المفعول، فالأولى الحذف، لئلا يخرج الكلام إلى الغثاثة والابتذال.
والمعنى واضح.

الشاهد الثاني بعد المائة^(٤):
(الطويل)

قول طرفة:
وَإِنْ شِئْتَ لَمْ تُرَقِّلْ^(٥) وَإِنْ شِئْتَ أَرْقَلْتَ مَخَافَةَ مَلُوءٍ مِنَ الْقَدِّ^(٦) مُحْصَدٍ^(٧) (٨)

= سواد الكوفة، روى عن أنس والتابعين، وكان حافظاً ثباتاً حجة، عفيفاً، صارماً، عاقلاً، يشبه النساك، فقيهاً شاعراً، جواداً، حسن الخلق. انظر ترجمته وأخباره:

أخبار القضاة: ٢٦/٣ - ١٣٢، شذرات الذهب: ٢١٥/١ - ٢١٦.

- (١) رواية أخبار القضاة، والحيوان، وحلية الأولياء: «خوفهما».
- (٢) رواية أخبار القضاة، والحيوان، وحلية الأولياء: «سارعا».
- (٣) رواية الحيوان: «طَلَّابُ الْعَزِّ».
- (٤) الدلائل، رضا: ١٢٧، خفاجي: ١٩٤، شاكِر: ١٦٦.
- (٥) ترقل: أرقلت الناقة إرقالاً أسرع، فالإرقال ضرب من العدو. فقه اللغة: ١٨٥، اللسان «رقل»: ٢٩٣/١١.
- (٦) القَدُّ: السير «السوط» الذي يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ. اللسان «قدد»: ٣٤٤/٣.
- (٧) محصد: الحَصْد: اشتداد القتل واستحكام الصناعة في الأوتار والحبال والدروع، وحيل مُحْصَدٍ أي مُحَكَّمٍ مَقْتُول. اللسان «حصد»: ١٥٢/٣.
- (٨) لم أجد البيت - فيما اطلعت عليه من مصادر - إلا في: شرح ديوان طرفة - دار مكتبة الحياة -: ١٨، شرح المعلقات للزوزني: ١٠٦، أشعار

وهو من معلقته المشهورة التي مطلعها:
لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِرُقَّةٍ^(١) تَهْمِدُ^(٢) تَلُوحُ كَبَائِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

وقبل الشاهد:
وَأَرْوَعُ^(٣) نَبَاضُ^(٤) أَحَدُ^(٥) مَلْمَلَمُ^(٦) كِمِرْدَاةِ^(٧) صَخَرٍ فِي صَفِيحِ^(٨) مُصَمَّدٍ^(٩)
وَأَعْلَمُ^(١٠) مَخْرُوتُ^(١١) مِنَ الْأَنْفِ مَارِنُ^(١٢) عَتِيقُ مَتَى تُرْجَمُ بِهِ الْأَرْضُ تَزْدَدُ

ويعهما الشاهد وي بعده:
وَأِنْ شِئْتُ سَامَى^(١٣) وَاسِطُ^(١٤) الْكُورِ^(١٥) رَأْسُهَا وَعَامَتْ بِضَبْعَيْهَا^(١٦) نَجَاءُ^(١٧) الْخَفِيدِ^(١٨)

الشعراء الستة الجاهليين: ٤٧/٢، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -، رقم الشاهد = (١١١).

(١) الْبِرْقَةُ وَالْأَبْرَقُ وَالْبِرْقَاءُ: مكان اختلط ترابه بحجارة أو حصى، والبرق إذا حمل على معنى البقعة أو الأرض قيل: البرقاء، وإذا حُمِلَ على المكان، أو الموضع قيل: الأبرق. الزوزني: ٩١.

(٢) تَهْمِدُ: موضع في ديار بني عامر، وقيل: هو جبل أحمر حوله أبارق كثيرة في ديار غني. معجم البلدان: ٨٩/٢.

(٣) الْأَرْوَعُ: الذي يرتاع لكل شيء لفرط ذكائه. الزوزني: ١٠٥.

(٤) نَبَاضٌ: صيغة مبالغة، وهو الكثير الحركة. الزوزني: ١٠٥.

(٥) الْأَحَدُ: الخفيف السريع. المصدر السابق: ١٠٥.

(٦) الْمَلْمَلَمُ: المجتمع الخلق الشديد الصلب. المصدر السابق نفس الصفحة.

(٧) الْمَرَادَةُ: الصخرة التي تكسر بها الصخور. المصدر السابق نفس الصفحة.

(٨) الصَّفِيحَةُ: الحجر العريض. المصدر السابق نفس الصفحة.

(٩) الْمُصَمَّدُ: المحكم الموثق. المصدر السابق نفس الصفحة.

(١٠) أَعْلَمُ: الأعلم المشقوق الشفة العليا. الزوزني: ١٠٦.

(١١) الْمَخْرُوتُ: المثقوب، والخرت: الثقب. المصدر السابق نفس الصفحة.

(١٢) مَارِنٌ: مَا لَانَ مِنَ الْأَنْفِ. المصدر السابق نفس الصفحة.

(١٣) الْمَسَامَاةُ: المباراة في السمو وهو العلو. المصدر السابق نفس الصفحة.

(١٤) الْوَاسِطُ: كالتقريب للسر. المصدر السابق نفس الصفحة.

(١٥) الْكُورُ: الرحل بأداته، والجمع: الأكوار والكيوان. المصدر السابق نفس الصفحة. =

عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي إِذَا قَالَ صَاحِبِي أَلَا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْهَا وَأَفْتَدِي
موضع الشاهد قوله:

وإن شئت لم تُرْقِل... وإن شئت أُرْقِلت.

والأصل: وإن شئت عدم إرقالها لم ترقل... وإن شئت إرقالها أُرْقِلت.

والشاهد فيه: حذف المفعول بعد فعل المشيئة المسبوق بحرف الجزاء،
وإنما حذف لدلالة لم ترقل، وأرْقِلت على المحذوف.

ورأى الشيخ أن الحذف هنا هو أجود الوجوه وأغناها للمعنى، قال:

«ومما يُعْلَمُ أنَّ ليس فيه لغير الحذف وَجْهٌ»^(١)... ثم ذكر بيت الشاهد -
وأبياتاً أخرى سترد بعد هذا الشاهد -.

فذكر المفعول هنا غير مستساغ بلاغياً.

● الشاعر يصف ناقته، بأنها مروضة مذلة، فإن شاء عدم إسراعها أطاعته
ولم تسرع، وإن شاء إسراعها أسرعت مخافة سوط ملوي موثق مفتول من الجلد،
فجعلت رأسها موازياً لواسطة رحلها في العلو من فرط نشاطها وجذبه زمامها،
فتسرع في سيرها، كأنها تسبح، فهي تسرع إسراع الظليم^(٢).

ولعل سر الحذف هنا أن الشاعر أراد أن يُبَاشِرَ الأسماع بوصف ناقته، وفي
ذكر صفاتها الحميدة ذكراً متتالياً من غير تطويل في الكلام ما يبعث في النفس
العجب والإكبار من شأن تلك الناقة.

(١٦) = الضبع: العضد. المصدر السابق نفس الصفحة.

(١٧) النجاء: الإسراع. المصدر السابق نفس الصفحة.

(١٨) الخفيدد: الظليم، ذكر النعام. المصدر السابق نفس الصفحة.

(١) الدلائل، رضا: ١٢٧، خفاجي: ١٩٤، شاکر: ١٦٦.

(٢) شرح المعلقات السبع للزوزني: ١٠٦، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -، الشاهد

رقم (١١١).

ويبدو لي أن الشاعر لم يوفق في وصف ناقته، لأنه جعل إسراعها ناتجاً عن مخافتها السوط، ولم يجعلها تسرع طوعية.

وقديماً حكمت أم جندب لعلقة بأنه أشعر من أمرىء القيس لمثل هذا السبب، فامرؤ القيس زجر فرسه وضربه بسوطه، أما علقمة الفحل، لم يبذل هذا الجهد، فكان يدرك فرسه ثانياً من عنانه.

جاء في الأغاني:

«كان تحت أمرىء القيس امرأة من طيء تزوجها حين جاور فيهم، فنزل به علقمة الفحل بن عبدة التميمي، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك، فتحاكما إليهما، فأنشد امرؤ القيس قوله:

«خَلِيلِي مُرًّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبٍ»^(١)

حتى مرَّ بقوله:

فَلِلْسَوْطِ الْهُوبِ وَلِلْسَاقِ دُرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعٌ أَخْرَجَ مُهْذِبٍ^(٢)^(٣)

ويروى: «أهوج منعب»^(٤).

فأنشدها علقمة قوله:

ذَهَبَتْ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ^(٥)

حتى انتهى إلى قوله:

فَأَدْرَكُهُ حَتَّى ثَنَى^(٦) مِنْ عِنَانِهِ يَمُرُّ كَغَيْثٍ رَائِحٍ مُتَحَلِّبٍ^(٧)

(١) ديوانه: ٤٧.

(٢) الإهذاب والتهذيب: الإسراع في الطيران والعدو. اللسان «هذب»: ٧٨٢/١.

(٣) ديوانه: ٥٤.

(٤) المنعب: الجواد يمد عنقه عند العدو كالغراب يمد عنقه ويحرك رأسه في صياحه. اللسان «نعب»: ٧٦٥/١، وهذه هي رواية الديوان.

(٥) ديوانه: ٧٩.

(٦) رواية الديوان: «فَأَدْرَكَهُ ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ».

فقالت له: علقمة أشعر منك، قال: وكيف؟ قالت: لأنك زجرت فرسك، وحركته بساقلك، وضربته بسوطك، وأنه جاء هذا هذا الصيد، ثم أدركه ثانياً من عنانه، فغضب امرؤ القيس، وقال: ليس كما قلت، ولكنك هويته، فطلقها فتزوجها علقمة بعد ذلك، وبهذا لُقّب علقمة الفحل^(١).

الشاهد الثالث بعد المائة^(٢):

(الطويل)

قول حميد^(٣):

إِذَا شِئْتُ غَتَّيْتُ بِأَجْزَاعٍ^(٤) بِيْشَةٍ^(٥) أَوْ الزُّرْقِ^(٦) مِنْ تَثْلِيثٍ^(٧) أَوْ يَلْمَلَمًا^(٨)

ويُروى أيضاً: «فَأَقْبَلَ يَهْوِي ثَانِياً مِنْ عَنَانِهِ».

ويبدو لي أن رواية الديوان أولى، وأدق من الرواية المذكورة، إذ يقول: إنه طوال الوقت مشي العنان، ومع ذلك أدرك، أما رواية الأغاني، فلا تتفق مع المدح، لأنه أدرك من غير ثني العنان، ثم ثني من عنانه.

(٧) ديوانه: ٩٥.

(١) الأغاني: ٢٠٢/٢١ - ٢٠٣.

(٢) الدلائل، رضا: ١٢٨، خفاجي: ١٩٥، شاکر: ١٦٦.

(٣) هو حميد بن ثور بن عبدالله بن عامر بن أبي ربيعة بن مُضَرِّب بن نزار، وهو من شعراء الإسلام، وقرنه ابن سلام بن نهشل بن حَرِّي والأشهب بن رُمَيْلة، وهو من شعراء الإسلام، أدرك حميد بن ثور عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال الشعر في أيامه، وعده ابن سلام في الطبقة الرابعة من الشعراء الإسلاميين. انظر ترجمته:

طبقات فحول الشعراء: ٥٨٤/٢ - ٥٨٥، الشعر والشعراء: ٣٩٧/١ - ٤٠١، الأغاني:

٣٥٦/٤ - ٣٥٨، سبط اللّٰلي: ٣٧٦/١، معجم الأدباء: ٨/١١ - ١٣، أسد الغابة:

٥٣٦/١ - ٥٣٧، الإصابة: ٣٥٥/١، رقم (١٨٣٤)، الاستيعاب (على هامش الإصابة):

٣٦٦/١، وقد ذكر الأستاذ عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية: ٣٣٠. أن الأبيات تُنسب أيضاً للطماح العقيلي.

(٤) الأجزاء: جمع جِزَع بالكسر، وقال أبو عبيدة: اللاتق به أن يكون مفتوحاً، وهو منعطف الوادي، ووسطه، ولا يسمى جزعاً حتى تكون فيه سعة تنبت الشجر. اللسان «جزع»: ٤٧/٨ - ٤٨.

(٥) بيشة: وادي من أودية تهامة. معجم ما استعجم: ٢٩٣/١.

مَطْوَقَةٌ وَرَقَاءُ^(١) تَسْجَعُ^(٢) كُلَّمَا دَنَا الصَّيْفُ وَأَنْجَابَ^(٣) الرِّبْعُ فَأَنْجَمًا^(٤) (٥)

ومطلع القصيدة:

سَلِ الرُّبْعَ أَنِّي يَمَّمْتُ أُمَّ سَالِمٍ وَهَلْ عَادَةُ لِلرُّبْعِ أَنْ يَتَكَلَّمَا^(٦)

= وذكر الأستاذ حمد الجاسر موضعين لبيشة فقال: «بيشة... مدينة معروفة فيها إمارة يتبعها عدد من القرى، من إمارة بلاد عسير» و«بيشة - أيضاً -: من قرى خميس مُشيط في منطقة أبها وتدعى بيشة ابن مُشيط من قرى شهران، في إمارة بلاد عسير. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: ٣٠٥/١.

(٦) الزُّرْق: موضع بأسفل الدهناء لبني تميم. معجم ما استعجم: ٦٩٦/١.

وذكر الأستاذ حمد الجاسر: «الزُّرْق من قرى تثليث في إمارة بلاد عسير. المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: ٦٨٠/٢.

(٧) تثليث: وادٍ بنجد وهو على يومين من جرش في شرقها إلى الجنوب، وتثليث لبني زيد. معجم ما استعجم: ٣٠٥/٢.

وذكر الأستاذ حمد الجاسر أن تثليث من أشهر أودية جنوب المملكة في إمارة بلاد عسير. المعجم الجغرافي: ٣١٤/١.

(٨) يللملم: جبل على ليلتين من مكة من جبال تهامة، وهو في طريق اليمن إلى مكة وهو ميقَات مَنْ حَجَّ مِنْ هُنَاكَ. معجم ما استعجم: ١٣٩٨/٤/٢.

وذكر الأستاذ حمد الجاسر أن وادي يللملم من بلاد الجحادلة في إمارة مكة المكرمة مأهول، ويقال فيه «لَمَلَم». المعجم الجغرافي: ١٥٠٠/٣.

(١) رواية الديوان والكمال: مطوقة خطباء، والخطباء التي فيها حُطْبَةٌ - بالضم - وهي لون كدر مشرب حمرة في صفرة أو غبرة ترهقها خُضْرَةٌ. اللسان «خطب»: ٣٦١/١ - ٣٦٢.

(٢) رواية الديوان: «تَصَدَّح».

(٣) رواية الديوان والكمال: «وَأَنْجَالُ الرِّبْعِ» ومعناه: تَنَحَّى وذهب. اللسان «جول»: ١٣١/١١.

وانجَاب: انكشف. اللسان «جوب»: ٢٨٧/١.

(٤) أنجم: أفلح وانكشف. اللسان «نجم»: ٥٧١/١٢.

(٥) انظر: ديوانه: ٢٦، - والبيت الأول ليس في ديوانه -، الكامل: ٦٠/٣ - ٦١.

(٦) ديوانه: ٧.

وقبل بيت الشاهد الثاني :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشُّوقُ إِلَّا حَمَامَةً دَعَتْ سَاقَ (١) حُرٍّ تَرَحَّهَ (٢) وَتَرَنَّمَا (٣) (٤)

فَأَوْفَتْ عَلَى غُصْنٍ ضَحِيًّا فَلَمْ تَدْعُ لِبَاكِيةٍ فِي شَجْوِهَا مُتَلَوِّمَا (٥)

وبعدها الشاهد وبعده :

وَنَازَعَنَ خِيَطَانُ الْأَرَاكِ فَرَا جَعَتْ لِهَادِفِهَا مِنْهُنَّ لَدْنَا مُقَوِّمَا (٦)

موضع الشاهد : «إِذَا شِئْتُ غَتَّتَنِي» .

والشاهد فيه : حذف مفعول المشيئة لدلالة الثاني عليه ، والأصل إِذَا شِئْتُ أَنْ تُغَيِّبَنِي غَتَّتَنِي .

● سمع الشاعر صوت الحمامة الحزين ، وهي تدعو ذكر القماري في همٍّ وحزن ، وأحس في ترنيمها أنات الأسي ، ورأى في أنغامها صدى مأساته ، فهاج الشوق في نفسه ، وأخذ يتذكر أماكن ومواطن حزنه ، فتذكر أجزاع بيشة والزُّرق وتثليث ويللملم ، ثم ذكر الزمن الذي يُثير في نفسه الشوق ، والذي يحتاج فيه إلى مثل هذه الأنغام الحزينة ، لتوافق أنغام روحه ، وهو وقت الصيف ، ووقت انصرام وانكشاف الربيع ، وهذا الموقف لا شك يحتاج إلى التركيز والاختصار .

الشاهد الرابع بعد المائة (٧) :

(الطويل)

قول البحثري :

- (١) دَكَرُ الحمام . الحيوان : ٢٤٣/٣ .
- (٢) تَرَحَّهَ : الترح نقيض الفرح ، وهو الحزن والهم . اللسان «ترح» : ٤١٧/٢ .
- (٣) تَرَنَّم : الترنيمة : تطريب الصوت . اللسان «رنم» : ٢٥٦/١٢ .
- (٤) الديوان : ٢٤ .
- (٥) الديوان : ٢٦ .
- (٦) الديوان : ٢٦ ، الكامل : ٦٠/٣ - ٦١ .
- (٧) الدلائل ، رضا : ١٢٨ ، خفاجي : ١٩٥ ، شاکر : ١٦٦ .

إِذَا شَاءَ غَادَى صِرْمَةً^(١) أَوْ غَدَا عَلَى عَقَائِلَ^(٢) سِرْبٍ أَوْ تَقَنَّصَ^(٣) رَبْرَبًا^(٤) (٥)

وهو من قصيدة قالها في مدح الفتح بن خاقان، ويذكر مبارزته الأسد، ومطلعها:

أَجِدُّكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرِي لِزَيْنَبَا خَيَالٍ إِذَا آبَ الظَّلَامُ تَأَوَّبَا

وقبل بيت الشاهد:

وَقَدْ جَرَّبُوا بِالْأَمْسِ مِنْكَ عَزِيمَةً
غَدَاةَ لَقِيَتِ اللَّيْثَ، وَاللَّيْثُ مُخْدِرٌ^(٦)
يُحَصِّنُهُ مِنْ نَهْرٍ^(٧) نِيْزَكَ مَعْقِلُ
يَرُودُ مَغَارًا بِالظَّوَاهِرِ مُكْتَبَا
يُلَاعِبُ فِيهِ أَقْحَوَانًا^(٨) مُفَضَّضًا^(٩)
فَضَلَتْ بِهَا السَّيْفَ الْحَسَامَ الْمُجَرَّبَا
يُحَدِّدُ نَابًا لِلِقَاءِ وَمِخْلَبَا
مَنْبِيعُ تَسَامَى رَوْضُهُ وَتَأَشُّبَا
وَيَحْتَلُّ رَوْضًا بِالْأَبَاطِحِ مُعْشَبَا
يَبِصُّ^(١٠) وَحَوْذَانًا^(١١) عَلَى الْمَاءِ مُذْهَبَا

(١) رواية الديوان: «غَادَى عَانَةً».

والصِّرْمَةُ: القطعة من الإبل، قيل: هي ما بين العشرين إلى الثلاثين، وقيل: ما بين الثلاثين إلى الخمسين والأربعين، وقيل: ما بين العشرة إلى الأربعين، وقيل: ما بين عشرة إلى بضع عشرة. اللسان «صرم»: ٣٣٧/١٢، والعانة: القطيع من حُمُرِ الوحش. اللسان «عون»: ٣٠٠/١٣.

(٢) عقائل سرب: كرائمه. اللسان «عقل»: ٤٦٣/١١.

(٣) رواية الديوان: «إِنْ تَقَنَّصَ رَبْرَبًا».

(٤) الربرب: القطيع من بقر الوحش، وقيل: من الظباء، وقيل: جماعة البقر وما كان دون العشرة. اللسان «ربب»: ٤٠٩/١.

(٥) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

ديوانه (طبعة بيروت): ٩٨/١، ديوان - تحقيق الصيرفي -: ١٩٩/١، الوساطة: ١٣١.

(٦) مخدر: أي المقيم في خدره، وهو من قولنا: جارية مُخْدَرَةٌ إذا لُزِمَتِ الخِدْرُ «الهودج». اللسان «خدر»: ٢٣١/٤.

(٧) نهر نيزك: نهر حفره المتوكل ليروي حديقة الحيوان التي أنشأها. نقلًا عن هامش الديوان، تحقيق الصيرفي: ١٩٩/١.

(٨) أَقْحَوَانَا: «الأقحوان» البابونج على أَفْعَلَانٍ، وهو نبت طيب الريح حواله ورق أبيض ووسطه أصفر وجمعه «أفاجي» و«أفاح». مختار الصحاح «قحا»: ٥٢٢.

(٩) مُفَضَّضًا: أي كأنه مُرْصَعٌ بِالْفِضَّةِ، وَالْفِضَّةُ معروفة، و«الْفِضْضُ» بكسر الفاء جمع =

وبعدها الشاهد وبعده:

يَجْرُ إِلَى أَشْبَالِهِ كُلُّ شَارِقٍ^(١) عَيْطاً^(٢) مُدْمَى أَوْ رَمِيلاً^(٣) مُخْضَباً

وموضع الشاهد قوله: «إذا شاء غادى».

والشاهد فيه: حذف المفعول بعد فعل المشيئة المسبوق بحرف جزاء، وأصل الجملة: «إذا شاء أن يغادي صرمة غادى» وعلق الشيخ عبد القاهر على هذا البيت والأبيات الثلاثة السابقة بقوله:

«معلوم أنك لو قلت: وإن شئت أن لا ترقل لم ترقل أو قلت: إذا شئت أن تغنيني بأجزاع بيشة غنتني، وإذا شاء أن يغادي صرمة غادى، ولو شئت أن تعود بلاد نجد عودة عدتها: أذهبت الماء والرونق، وخرجت إلى كلام غث، ولفظ رث»^(٤).

أراد الشاعر أن يمدح الفتح بن خاقان بالشجاعة النادرة، ويلبسه ثوب البطولة الفاخر، فوصف منازلته أسداً هصوراً، وأخذ يُعلي من شأن عدوه ومنازله، لأنه كلما رُفِع من قوة العدو برزت شجاعة الممدوح، فوصفه بأنه محدد الناب،

= «الْفِضَّة». مختار الصحاح «فضض»: ٥٠٦.

(١٠) يَبْصُ: الْبَصِيصُ: البريق، وقد «بَصَّ» الشيء لَمَعَ يَبْصُ بالكسر بصيصاً. مختار الصحاح «بصص»: ٥٤.

(١١) حَوْدَانًا: الحودان: نبت يرتفع قدر الذراع له زهرة حمراء في أصلها صُفْرَةٌ وورقة مذبذبة، وهو نبات حلو طيب الطعم. لسان العرب «حود»: ٤٨٨/٣.

(١) شارِق: أي الصيد الجديد، والشَّرِيق من اللحم الأحمر الذي لا دَسَمَ له. اللسان «شرق»: ١٧٧/١٠.

(٢) العَيْط: عبط الذبيحة يعبطها عَبْطاً واغْتَبَطَهَا اغْتَبَاطاً نحرها من غير داء ولا كسر، وهي سمينة قَتِيَّةٌ وهو الْعَبْطُ. اللسان «عبط»: ٣٤٧/٧.

(٣) الرَّمِيل: الملطخ بالدم. اللسان «رمل»: ٢٩٥/١١.

(٤) الدلائل، رضا: ١٢٨، خفاجي: ١٩٥، شاعر: ١٦٦ - ١٦٧.

متأهب للقاء، ولقوته يحتل روضاً واسعاً معشياً لا يستطيع أحد مشاركته فيه، وهذا الأسد الضاري إن عزم الصيد، فلا يفاجيء إلا قطيعاً كاملاً من كرائم الإبل، والبقر الوحشية.

وأختيار الشاعر للفظ «عقائل سرب» و«ربرب» غاية في النفاسة، وقد أثرها على غيرها؛ لأنها أنسب في مقام المدح، وكأنها رمز إلى كرم الممدوح، الذي دائماً ما يحوي هذه الأصناف.

ولعل الشاعر حذف المفعول في البيت خشية الإطالة من غير مبرر فيذهب بها اللطف والحسن في البيت.

ولقد وازن القاضي الجرجاني بين أبيات البحتري التي منها الشاهد، وبين أبيات لأبي الطيب في وصف الأسد أيضاً منها:

وَقَعْتُ عَلَى الْأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ نَضَدَتْ بِهَا هَامَ الرِّفَاقِ تُلُولاً
مُتَخَضِّبُ بَدَمِ الْفَوَارِسِ لِأَبْسٍ فِي غَيْلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غَيْلاً

قال بعد أن ذكر الأبيات:

«ولولا أبيات البحتري في هذا المعنى لعددتُ هذه من أفراد أبي الطيب، لكن البحتري قال يصف قتل الفتح بن خاقان أسداً عَرَضَ له: ... الأبيات»^(١).

ثم علق على أبيات البحتري:

«فاستوفى المعنى، وأجاد في الصِّفة، ووصل إلى المراد، وأما أبو زبيد، فإنما وصف خَلَقَ الأسد وزئيره وجرائته وإقدامه، وكأنما هو مرعوب أو مخدر، والفضل له على كل حال، لكن هذا غرض لم يَرْمُه، ومذهب لم يَسْلُكه»^(٢).

الشاهد الخامس بعد المائة^(٣): (الكامل)

قول البحتري:

(١) الوساطة: ١٣١.

(٢) المصدر السابق: ١٣٢.

(٣) الدلائل، رضا: ١٢٨، خفاجي: ١٩٥، شاکر: ١٦٦.

لَوْ شِئْتَ غَدْتَ بِلَادَ نَجْدٍ عَوْدَةً فَحَلَلْتَ^(١) بَيْنَ عَقِيقِهِ^(٢) وَزُرُودِهِ^(٣) (٤)

وهو من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى^(٥)، ومطلعها:
يَا عَارِضاً^(٦) مُتَلَفَعاً بِزُرُودِهِ يَخْتَالُ بَيْنَ بُرُوقِهِ وَرُغُودِهِ

- (١) رواية الديوان: «فَزَلَّتْ».
- (٢) العقيق: بفتح أوله وكسر ثانيه على وزن فعيل عقيقان، عقيق بني عكيل، وهو على مقربة من عقيق المدينة، وقال الخليل: العقيقان بلدان في ديار بني عامر، مما يلي اليمن، وهما عقيق تمره وعقيق البياض، وإنما نُسب إلى اليمن لأن أرض هوازن في نجد مما يلي اليمن.
- انظر: معجم ما استعجم: ٩٥٢/٢ - ٩٥٣، وفي المعجم الجغرافي للبلاد العربية ذكر أن العقيق من قرى بني الأسمر في تهامة من إمارة بلاد عسير، والعقيق أيضاً من قرى آل سليمان من بَلْعَرْنَ في إمارة بلاد عسير، وهناك أيضاً عقيق غامد وهو وادٍ ذو قرى فيه إمارة من إمارات منطقة الباحة، وأهله من قبيلة غامد. المعجم الجغرافي: ٩٩٢/٢.
- (٣) زروده: الزرد البلع ولعل بقعة الأرض سميت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحاب؛ لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمية، بطريق الحاج من الكوفة، وفي زرود بركة وقصر وحوض، وهناك جبلاً زرود. معجم البلدان: ١٣٩/٣، وفي معجم ما استعجم: زرود جبل رمل، وهو بين ديار عبس، وديار بني يربوع: ٦٩٦/١.
- (٤) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:
- ديوانه: ٢٨٩/٢، الإيضاح: ١١٩/١، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (١١٢).
- (٥) عبيد الله بن يحيى بن خاقان: هو ابن أخي الفتح وكنيته أبو الحسن (٢٠٩ هـ - ٢٦٣ هـ)، استكتبه المتوكل سنة (٢٣٦ هـ)، ثم ولي الوزارة له حتى مقتل المتوكل سنة (٢٤٧ هـ)، ونُفي في خلافة المستعين إلى برقة سنة (٢٤٨ هـ)، ثم تولى الوزارة للمعتد سنة (٢٥٦ هـ)، وظل فيها إلى أن توفي حيث سقط عن دابته وكان عبيد الله حسن الخط له معرفة بالحساب، وكان كريماً جواداً حسن الأخلاق فيه تعفف، وكان كرم أخلاقه يستر كثيراً من عيوبه.
- انظر: تاريخ الطبري: ٢٥٨/٩، ٣٥٤، ٤٧٤، ٥٣٢، ٢٤٦/١١، الفخري في الآداب السلطانية: ٢٣٨، الإعجاز والإيجاز: ١٠٣، طبقات الحنابلة: ٢٠٤/١، المنتظم: ٤٥/٥، شذرات الذهب: ١٤٧/٢.
- (٦) المخاطب في البيت: «السحاب».

وبعده البيت وبعده:

لِتَجُودَ فِي رُبْعٍ بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى قَفَرٍ تَبْدَلُ وَحُشُّهُ مِنْ غَيْدِهِ
وموضع الشاهد قوله: «لَوْ شِئْتُ عُدْتُ»، والأصل: لو شئت أن تعود بلاد
نجد عودة عدتها.

والشاهد فيه: حذف مفعول المشيئة المسبوق بـ«لو» والمعنى: يا أيها
العارض الممطر لو شئت عودة إلى بلاد نجد لتجود بالمطر على ربيع خال من
أهله، وأقام فيه الوحش بدلاً من نسائه الغيد الناعمات الأبدان لعدت إليها،
ولأمكن لك ذلك، فحللت وأقمت بين عقيق نجد وزروده...

يريد: يتيسر لك العود، فلم لم تعد، وهذا تحسر منه على مجاوزة
السحاب بلاد نجد وعدم سقيها^(١).

ولعل الشاعر أثر حذف فعل المشيئة هنا: ليظهر رغبته الشديدة في عودة
ذلك العارض.

وكذلك الفاء في قوله: «فحللت» تظهر رغبته الجامحة في أن يسرع هذا
العارض بالحلول في بلاد نجد من غير تباطؤ.

الشاهد السادس بعد المائة^(٢): (الطويل)

قول الجوهري^(٣):

فَلَمْ يَبْقَ مِنِّي الشَّوْقُ غَيْرَ تَفَكُّرِي فَلَوْ شِئْتُ أَنَّ أَبْكِي بَكَيتُ تَفَكُّرًا^(٤)

(١) انظر: شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (١١٢).

(٢) الدلائل، رضا: ١٢٨، خفاجي: ١٩٥، شاکر: ١٦٧.

(٣) هو أبو الحسن علي بن أحمد الجوهري الجرجاني، وصفه الثعالبي بأنه «نجم جرجان»،
وكان صاحب يعجب به إعجاباً شديداً، وكانت الصلة بينهما قوية، وذكر أنه ورد نيسابور
رسولاً إلى الأمير أبي الحسن في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة. يتيمة الدهر: ٢٧/٤ - ٤٢.
ونسب صاحب القول الجيد البيت للصاحب بن عباد.

(٤) لم أقف عليه فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

ذكر الثعالبي في يتيمة الدهر ملحاً من مقطوعات الجوهري، وأورد قصيدة بقافية الراء المفتوحة، يبدو أن هذا البيت منها، ولكنه لم يورده فيها، وهي قصيدة قالها في صاحب بن عباد يمدحه، ويعتذر من خروجه حاجاً من غير إذنه، ويعرض بقوم أسأوا المحضر له بجرجان.

ومطلعها:

قَلِيلٌ لِمِثْلِي أَنْ يُقَالَ تَغَيَّرَا وَفَارَقَ مُخْضَلًا^(١) مِنَ الْعَيْشِ أَخْضَرَا

ويبدو أن قبل بيت الشاهد:

رُويَدَكَ لَمْ أَهْجُرْ عِيْلَكَ وَإِنَّمَا بَخِلْتُ بِنَفْسِي أَنْ تُمَلَّ وَتُهْجَرَا

وبعده الشاهد وبعده:

وَقَدْتُ فَكُنْتُ النَّارَ تَأْكُلُ نَفْسَهَا وَسَلْتُ فَكُنْتُ الْمَاءَ يَنْصَبُ فِي الثَّرَا
قَدَرْتُ عَلَى قَتْلِي بَعْدَ لِكَ فَاقْتَصِدْ وَكُنْتُ عَلَى قَتْلِي بِسَيْفِكَ أَقْدَرَا^(٢)

موضع الشاهد قوله: «فلو شئت أن أبكي بكيت تفكراً». والشاهد فيه: ذكر فعل المشيئة، ليس لغرابة المفعول، ولكن لانتفاء القرينة؛ وذلك لأنه لم يرد أن يقول: لو شئت أن أبكي تفكراً بكيت، وإنما أراد لو شئت أن أبكي بدموعي كما يبكي الناس لأرتاح من لهيب الجوى، وعصرت عيني لينزل ماؤها لم أجد فيها إلا التفكر.

فالبكاء الأول حقيقي مطلق مبهم غير معدى إلى الفكر، والبكاء الثاني مقيد معدى إلى التفكر، فلا يصلح الثاني تفسيراً للأول، وبياناً له، للتخالف بين الجواب وفعل الشرط قال الشيخ عبد القاهر:

= التلخيص: ١٣٠، الإيضاح: ١٩٩/١، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - رقم الشاهد (١١٥)، شروح التلخيص: ١٣٣/٢، معاهد التنصيص: ٢٥٤/١، رقم الشاهد (٤٣)، القول الجيد: ٢١٨.

(١) مخضلاً: عيش مُخْضَلٌ أي ناعم. اللسان «خضل»: ٢٠٩/١١.

(٢) انظر الأبيات في:

«وأما قول الجوهري: ...

فقد نحاً^(١) به نحو قوله: ولو شئت أن أبكي دماً لبكيت، فأظهر مفعول شئت ولم يقل: فلو شئت بكيت تفكيراً، لأجل أن له غرضاً لا يتم إلا بذكر المفعول، وذلك أنه لم يرد أن يقول: ولو شئت أن أبكي تفكيراً بكيت كذلك، ولكنه أراد أن يقول: قد أفناني النحول، فلم يبق مني وفي غير خواطر تجول، حتى لو شئت بكاء فَمَرَيْتُ شئوني، وعصرت عيني، ليسيل منها دمع لم أجده، ويخرج بدل الدمع التفكير، فالبكاء الذي أراد إيقاع المشيئة عليه مطلق مبهم غير مُعَدَّى إلى التفكير البتة، والبكاء الثاني مقيد مُعَدَّى إلى التفكير، وإذا كان الأمر كذلك صار الثاني كأنه شيء غير الأول، وجرى مجرى أن تقول: لو شئت أن تعطي درهماً أعطيت درهمين في أن الثاني لا يصلح أن يكون تفسيراً للأول^(٢).

وعلى هذا سار الخطيب القزويني^(٣)، وشرّاح التلخيص^(٤)، وأعترض على ذلك صدر الأفاضل^(٥) في كتابه «ضَرَامُ السَّقَطِ»^(٦) ورأى أن عدم الحذف هنا، إنما هو لغرابية المفعول، وأن البكاء المقصود هو بكاء التفكير لا البكاء الحقيقي،

= يتيمة الدهر: ٣٤/٤ - ٣٥.

(١) نحاً به: في مجرد إظهار المفعول مع التخالف في المعنى والغرض. نقلاً عن هامش الدلائل، تحقيق محمد رشيد رضا: ١٢٨.

(٢) الدلائل، رضا: ١٢٨ - ١٢٩، خفاجي: ١٩٥ - ١٩٦، شاکر: ١٦٧.

(٣) الإيضاح: ٢٠٠/١.

(٤) شروح التلخيص: ١٣٣/٢.

(٥) القاسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمي، مجد الدين (٥٥٥ هـ - ٦١٧ هـ) عالم بالعربية، من فقهاء الحنفية، له مؤلفات عديدة منها: «شرح المفصل» للزمخشري و«التوضيح» في شرح المقامات، قُتل على يد التتار.

انظر ترجمته:

معجم الأدباء: ٢٣٨/١٦ - ٢٥٣، بغية الوعاة: ٢٥٢/٢ - ٢٥٣، الأعلام: ١٧٥/٥.

(٦) ضَرَامُ السَّقَطِ بكسر الضاد المعجمة، ويكسر السين المهملة شرح له على ديوان أبي العلاء المعري المسمى بسقط الزند. كشف الظنون: ٩٩٢/٢ - ٩٩٣.

وَرَدَّ عَلَى قَوْلِهِ هَذَا، بَأَنَّهُ لَوْ أُريدَ بكاء التفكير، لوجب ذكر مفعول أبكي، بأن يقول: «فلو شئت أن أبكي تفكراً بكيته»؛ لأنه يجب ذكر ما صار به غريباً لتأنس به النفس.

وَرَدَّ عَلَى هَذَا الاعتراض:

بأن مفعول أبكي مذكور على التنازع، فإن أعمل فيه فعل الشرط، فظاهر، وإن أعمل الثاني، وقدر للأول ضمير المتنازع فيه «فلو شئت أن أبكيه بكيته تفكراً».

كفى لأن المقدر كالمذكور مع أن النفس تأنس بذكر العامل فيه، فلم يقل «فلو شئت بكيته تفكراً» لأن تعلق فعل المشيئة بكاء التفكير غريب.

وَرَدَّ عَلَى هَذَا بَأَنَّ إرادة معنى البكاء الحقيقي أنسب لمقصود الشاعر، وهو المبالغة في فئائه حتى لم تبق منه مادة سوى التفكير، فيكون المعنى على هذا التقدير:

لو طلبت من نفسي بكاء لم أجده بل أجد التفكير بدله وهذه المبالغة مناسبة لقوله: «فلم يبق مني الشوق غير تفكري».

أما لو كان المعنى لو شئت أن أبكي تفكراً بكيته لم يفد أنه لم يبق منه إلا التفكير لصحة بكاء التفكير الذي هو الحزن والكمد عند كثرتة مع بقاء مادة أخرى، وهذا المعنى لا يناسب قوله: «فلم يبق مني الشوق غير تفكري».

فالبكاء الذي أراد إيقاع المشيئة عليه بكاء مطلق مبهم غير معدّى إلى التفكير البتة والبكاء الثاني مقيد معدّى إلى التفكير، فلا يصلح تفسيراً للأول وبياناً له^(١).

الشاهد السابع بعد المائة^(٢):

(الخفيف)

بيت البحتري:

(١) شروح التلخيص: ١٣٣/٢ - ١٣٦.

(٢) الدلائل، رضا: ١٢٩، خفاجي: ١٩٦، شاعر: ١٦٨.

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّوْرِ دِدَ وَالْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلًا^(١)

وهو من قصيدة يمدح بها المعتز بالله، ومطلعها:

إِنْ سِيرَ الْخَلِيطُ حِينَ اسْتَقْلًا كَانَ عَوْنًا لِلدُّمْعِ لَمَّا اسْتَهَلًا^(٢)

وقبل الشاهد:

لَمْ يَزَلْ حَقُّكَ الْمُقَدَّمُ يَمْحُو بَاطِلَ الْمُسْتَعَارِ حَتَّى أَضْمَحَلًا

وبعده البيت وبعده:

أَنْتَ أُنْدَى كَفًّا وَأَشْرَفُ أَخْلًا قَا وَأَزْكَى قَوْلًا وَأَكْرَمُ فِعْلًا^(٣)

والشاهد فيه: حذف المفعول، لإرادة ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظ المفعول إظهاراً لكمال العناية بوقوع الفعل عليه، وترفعاً عن إيقاعه على ضميره، فأصل الجملة «قد طلبنا مثلاً فلم نجد لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلاً»، فحذف مفعول طلبنا، (لأنه لو ذكره أولاً ناسب أن يتسلط الفعل بعده، وهو قوله فلم نجد على ضميره؛ لأنه تقدم معاده، فناسب لو قدمه فقال: قد طلبنا لك مثلاً أن يقول فلم نجده)^(٤).

ولأن الغرض إيقاع نفي الوجود على صريح لفظ المثل و(صرح به أولاً، لأوهم تعدد المثل، وأن المثل الثاني خلاف الأول، لأن تكرار النكرة ظاهر في إفادة التغاير فيكون المعنى قد طلبنا لك مثلاً، فلم نجد لك مثلاً آخر مخالفاً للمطلوب، وإنما وجدنا المطلوب، وهو فاسد)^(٥).

(١) لم أجده إلا في:

ديوانه: ١٧٦/١، بديع القرآن: ١٨٨، نهاية الإيجاز: ١٤٢، نهاية الأرب: ٧٩/٧،

التلخيص: ١٣١، الإيضاح: ٢٠٠/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٣٦ أ، شروح

التلخيص: ١٣٩/٢، معاهد التنصيص: ٢٥٦/١، رقم الشاهد (٤٥).

(٢) ديوانه: ١٧٥/١.

(٣) ديوانه: ١٧٦/١.

(٤) شروح التلخيص - مواهب الفتاح -: ١٣٩/٢.

(٥) انظر: شروح التلخيص، حاشية الدسوقي: ١٣٨/٢، مواهب الفتاح: ١٣٩/٢.

فالشاعر في غاية الاعتناء بتسلط نفي الوجدان على لفظ المثل؛ لأن الأكيد في كمال مدح الممدوح نفي وجدان المثل على وجه لا يتوهم فيه بل ولا يخطر بالبال أن الذي نفي وجدانه غير المثل^(١).

قال الشيخ عبد القاهر:

«وإذا أردت ما هو صريح في ذلك، ثم هو نادر لطيف ينطوي على معنى دقيق وفائدة جليلة، فانظر إلى بيت البحري...»

المعنى قد طلبنا لك مثلاً، ثم حذف؛ لأن ذكره في الثاني يدل عليه، ثم إن في المجيء به^(٢) كذلك من الحسن والمزية والروعة ما لا يخفى، ولو أنه قال: «طلبنا لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلاً» فلم نجد له لم تر من هذا الحسن الذي تراه شيئاً، وسبب ذلك أن الذي هو الأصل في المدح، والغرض بالحقيقة هو نفي الوجود عن المثل فأما الطلب فكالشيء يذكر ليعنى عليه الغرض، ويؤكد به أمره، وإذا كان هذا كذلك فلو أنه قال: «قد طلبنا لك في السؤدد، والمجد، والمكارم مثلاً» فلم نجد له: لكان يكون قد ترك أن يوقع نفي الوجود على صريح لفظ المثل وأوقعه على ضميره ولن تبلغ الكناية مبلغ الصريح أبداً^(٣).

ورأى النويري أن الحذف هنا فيه زيادة فخامة قال:

«واعلم أنه قد تترك الكناية إلى التصريح لما فيه من زيادة الفخامة، كقول البحري...»^(٤).

ويمكن أن يكون الحذف قصد به المبالغة في التأدب مع الممدوح بترك

(١) شروح التلخيص - مواهب الفتاح، حاشية الدسوقي - ١٣٩/٢.

(٢) وفي الدلائل شاعر «ثم إن في المجيء به».

(٣) الدلائل، رضا: ١٢٩ - ١٣٠، خفاجي: ١٩٦ - ١٩٧، شاعر: ١٦٨، وانظر: يدبع القرآن: ١٨٨.

(٤) نهاية الأرب: ٧٩/٧.

مواجهته بالتصريح بما يدل على تجويز أن يكون له مثل تعظيماً له، حتى كأنه لا يجوز وجود المثل له ليطلبه، والغرض الذي يناسب المبالغة في المدح إحالة المثل بترك التصريح بطلبه المشعر بإمكان وجوده، وذكر ابن يعقوب والدسوقي أنه يجوز أن يكون الحذف في البيت للبيان بعد الإيهام؛ لأنه أبهم المطلوب أولاً ثم بيّن أنه المثل^(١).

الشاهد الثامن بعد المائة^(٢):

(الكامل)

وَلَمْ أَمْدَحْ لأَرْضِيهِ بِشِعْرِي لَيْمَساً أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَالاً^(٣)

والبيت أورده الشيخ من غير نسبة.

وهو لذي الرُّمّة من قصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة^(٤).

ومطلع القصيدة:

أَرَاخَ فَرِيقُ جِيرَتِكَ الْجَمَالَا كَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَحْتِمَالَا^(٥)

ومنها أبيات قبل الشاهد:

(١) شروح التلخيص: ١٤٠/٢، - مختصر السعد، مواهب الفتاح، حاشية الدسوقي -.

(٢) الدلائل، رضا: ١٣٠، خفاجي: ١٩٨، شاکر: ١٧٠.

(٣) ديوانه: ١٥٣٤/٣، شرح جمل الزجاجي: ٦١٥، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي:

٣٤٣/١، - ذكر الشطر الأول فقط، وكلمة من الشطر الثاني، - شرح ديوان الحماسة

للتبريزي: ١٨٠/١، الإيضاح: ٢٠١/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٢٦٦.

(٤) هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري أبو عمرو ويقال: أبو عبدالله أمير البصرة

وقاضيها، ولاء خالد القسري القضاء سنة (١٠٩ هـ) فلم يزل قاضياً حتى قدم يوسف بن

عمر سنة (١٢٥ هـ) فعزله، روي أنه مات في حبس يوسف، وأنه قتله دهاؤه، قال

للسجّان: أعلم يوسف أنني قدمت ولك مني ما يغنيك فاعلمه، فقال يوسف: أريته ميتاً فجاء

السجّان فألقى عليه شيئاً غمه حتى مات، ثم أراه يوسف، روى له الترمذي حديثاً.

انظر ترجمته:

جمهرة الأنساب: ٣٩٨، تهذيب التهذيب: ٥٠٠/١ - ٥٠١.

(٥) ديوانه: ١٥٠٦/٣.

وَشِعْرٌ قَدْ أَرَقْتُ^(١) لَهُ غَرِيبٌ^(٢) أَجْنَبُهُ الْمُسَانِدُ^(٣) وَالْمُحَالَا
فَبِتْ أَقِيمُهُ وَأَقْدُ مِنْهُ غَرَائِبَ قَدْ عُرِفْنَ بِكُلِّ أَفْقٍ
قَوَافِي لَا أَعُدُّ لَهَا مِثَالًا مِنْ الْأَفَاقِ تَفْتَعِلُ افْتِعَالًا^(٤)

وبعدها البيت وبعده:

وَلَكِنَّ الْكَرَامَ لَهُمْ فَنَائِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَتَجَعُّونَ غَيْثًا
فَلَا أَخْزَى إِذَا مَا قِيلَ قَالَا فَقُلْتُ لِصَيْدَحٍ^(٥) أَنْتَجِي بِلَالًا^(٦)

الشاهد:

البيت ليس فيه حذف وإنما ساقه الشيخ عبد القاهر تنظيراً وشرحاً للقاعدة التي أراد تقريرها، وهي أَنَّ الفعل الأصلي الذي هو أصل في المعنى، والذي يتعلق به الغرض الأول أن يعمل في الاسم الظاهر، وأن يعمل الثاني في ضمير المفعول، فالشاعر هنا أعمل الفعل الأول الذي هو (لم أمدح) في صريح لفظ اللثيم؛ لأنه أصل المعنى، وأعمل الثاني (أرضي) في ضمير المفعول؛ لأن غرض الشاعر هنا أن ينفي عن نفسه مدح اللؤماء، وأما قوله لأرضيه جاء تعليلاً للفعل (أمدح).

قال الشيخ عبد القاهر:

«وإذ قد عرفت هذا، فإن هذا المعنى بعينه قد أوجب في بيت ذي الرُّمَّة أن

(١) رواية القوافي: «سهرت له».

(٢) رواية الموشح: «له طريف».

ورواية القوافي: «كريم».

(٣) المساند: السناد هو عيب في الشعر: وهو اختلاف ما يجب مراعاته قبل الروي من الحروف والحركات. القوافي: ١٢٩ - ١٣٣.

(٤) ديوانه: ١٥٣٢/٣ - ١٥٣٣.

(٥) صيدح: اسم ناقته.

(٦) انظر الأبيات في:

ديوانه: ١٥٣٥/٣، الموشح: ١٣، ١٦٢، كتاب القوافي: ١٢٩.

يضع اللفظ على عكس ما وضعه البحري فيعمل الأول من الفعلين وذلك في قوله... أعمل «لم أمدح» الذي هو الأول في صريح لفظ اللثيم و«أرضى» الذي هو الثاني في ضميره؛ وذلك لأن إيقاع نفي المدح على اللثيم صريحاً، والمجيء به مكشوفاً ظاهراً هو الواجب من حيث كان أصل الغرض، وكان الإرضاء تعليلاً له، ولو أنه قال: ولم أمدح لأرضى بشعري لثيماً، لكان يكون قد أبهم الأمر فيما هو الأصل، وأبانه فيما ليس بالأصل فأعرفه^(١).

الشاهد التاسع بعد المائة^(٢):
(الطويل)

قول البحري:

وَكَمْ دُذَّتْ عَنِّي مِنْ تَحَامُلٍ (٣) حَدِيثٍ وَسُورَةٍ (٤) أَيَّامٍ حَزَزْنَ (٥) إِلَى الْعَظْمِ (٦)

ذكر الشيخ عبد القاهر الشطر الأول من مطلع القصيدة:

«أَعْنُ سَفَهٍ يَسُومَ الْأَبْسِرِقِ (٧) أَمْ جَلْمٍ»

وتمامه كما في الديوان:

«وُقُوفٍ بِرَبْعٍ أَوْ بُكَاءٍ عَلَى رَسْمٍ» (٨)

والبيت من قصيدة يمدح بها أبا الصقر^(٩).

(١) الدلائل، رضا: ١٣٠ - ١٣١، خفاجي: ١٩٨، شاکر: ١٧٠.

(٢) الدلائل، رضا: ١٣٢، خفاجي: ١٩٩، شاکر: ١٧١.

(٣) تحامل حديث: التحامل تكلف الشيء على مشقة. مختار الصحاح «حمل»: ١٥٦.

(٤) سورة الأيام: شدتها وسطوتها واعتداؤها. مختار الصحاح «سور»: ٣٢٠.

(٥) حزن: الحز: القطع. مختار الصحاح «حزن»: ١٣٣.

(٦) لم أجده فيما رجعت إليه من مصادر إلا في:

ديوانه: ٢١٩/١، التلخيص: ١٣٠، الإيضاح: ٢٠٠/١، شرح أبيات الإيضاح -

فيض الله -: ٣٥ ب، شروح التلخيص: ١٣٧/٢، معاهد التنصيص: ٢٢٥/١، رقم الشاهد

(٤٤).

(٧) يوم الأبرق: تصغير الأبرق، أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل. اللسان «برق»: ١٦/١.

(٨) ديوانه: ٢١٧/١.

(٩) هو إسماعيل بن بلبل الشيباني، استوزره الموفق لأخيه المعتمد سنة (٢٦٥ هـ) ومدحه =

وقبل الشاهد:

كَأَنَّكَ مِنْ جِذْمٍ ^(١) مِنَ النَّاسِ مُفَرِّدٍ
كَأَنَّا عَدُوًّا مُلْتَقًى مَا تَقَارَبَتْ
وَسَائِرُ مَنْ يَأْتِي الدِّيَّاتِ مِنْ جِذْمٍ
بَنَّا الدَّارُ إِلَّا زَادَ غُرْمُكَ فِي غُنْمِي ^(٢)

وبعدهما الشاهد وبعده:

أَحَارِبُ قَوْمًا لَا أَسْرُ سُوْئِهِمْ
يَوْدُ الْعِدَى لَوْ كُنْتَ سَالِكٌ سُبُلِهِمْ
وَلَكِنِّي أُرْمِي مِنَ النَّاسِ مَنْ تَرْمِي
وَأَيْنَ بِنَاءِ الْمُغْلِيَاتِ مِنَ الْهَذْمِ
وَهَلْ يُمَكِّنُ الْأَعْدَاءَ وَضَعُ فَضِيلَةٍ
وَقَدْ رُفِعَتْ لِلنَّاطِرِينَ مَعَ النُّجْمِ ^(٣)

والمعنى: أنك كثيراً ما ذدت وطردت عني ظلم الحوادث، وصولاً الأيام،
وشدتها التي فتت العظم وأوهنت القوى.

و«كم» في البيت خبرية مميزة قوله: «من تحامل» أي كثيراً ما دفعت،
ويجوز أن تكون استفهامية محذوفة المميز أي كم مرة أو زماناً، ويكون زيادة
«من» في المفعول؛ لأن الكلام غير موجب لتقدم الاستفهام الذي يراد بعده «من»
وهذا الاستفهام لادعاء الجهل بالعدد لكثرة مبالغة في الكثرة ^(٤).

وإضافة التحامل - وهو الظلم - إلى الحادثات إما على وجه الحقيقة أي كم
دفعت من تعدّي الحوادث الدهرية عليّ، أو أن الإضافة بيانية أي من الظلم
الذي هو حادث الزمان، وعلى هذا فجعل حادث الزمان ظلماً مبالغة كرجل
عَدَل ^(٥).

البحري وابن الرومي، وانتهى أمره بأن حبسه المعتمد وقتله.

انظر: أخبار البحري للصولي: ١١٦، ١٢١، ١٦٢، الفخري في الآداب السلطانية والدول
الإسلامية: ٢٥٢ - ٢٥٤.

(١) جِذْم: الجِذْم بالكسر أصل الشيء، وجِذْمُ القوم: أصلهم، والجِذْم أيضاً القوم والعشيرة.
اللسان «جِذْم»: ٨٨/١٢.

(٢) الديوان: ٢١٩.

(٣) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

(٤) شروح التلخيص - مواهب الفتاح، الدسوقي -: ١٣٧/٢.

(٥) شروح التلخيص - حاشية الدسوقي -: ١٣٧/٢.

وموضع الشاهد في البيت قوله: «حززن إلى العظم» والشاهد فيه: حذف المفعول لدفع توهم السامع في أول الأمر إرادة شيء غير المراد.

فأصل التركيب «حززن اللحم إلى العظم»، ولكنه حذف لفظ اللحم؛ لأن في ذكره توهماً للسامع أن الحَزْ كان في بعض اللحم، ولم ينته إلى العظم، فترك ذكر اللحم ليبرىء السامع من هذا الوهم، ويصور في نفسه من أول الأمر أن الحَزْ مضى في اللحم حتى لم يَرُدَّهُ إلاَّ العظم.

فالشاعر لجأ إلى الحذف لأنه «حريص على بيان كون ما دفعه الممدوح من سورة الأيام بلغ إلى العظم، لأبلغيته في الشدة بحيث لا يخالغ قلب السامع خلاف ذلك أصلاً، ولو في الابتداء؛ لأن ذلك أؤكد في تحقق إحسان الممدوح حيث دفع ما هو بهذه الصفة»^(١).

قال الشيخ عبد القاهر في توضيح هذا الشاهد وبيان فوائده الجليلة ومزايه العجيبة:

«الأصل لا محالة حززن اللحم إلى العظم إلاَّ أن في مجيئه به محذوفاً، وإسقاطه له من النطق وتركه في الضمير مزية عجيبة، وفائدة جليلة، وذلك أن من حذق الشاعر أن يوقع المعنى في نفس السامع إيقاعاً يمنعه به من أن يتوهم في بدء الأمر شيئاً غير المراد، ثم ينصرف إلى المراد، ومعلوم أنه لو أظهر المفعول فقال: وسورة أيام حززن اللحم إلى العظم لجاز أن يقع في وهم السامع إلى أن يجيء إلى قوله: «إلى العظم» أن هذا الحَزْ كان في بعض اللحم دون كله، وأنه قطع ما يلي الجلد، ولم ينته إلى ما يلي العظم، فلما كان كذلك ترك ذكر اللحم، وأسقطه من اللفظ، ليبرىء السامع من هذا ويجعله بحيث يقع المعنى منه في أنف^(٢) الفهم، ويتصور في نفسه من أول الأمر أن الحَزْ مضى في اللحم

(١) شروح التلخيص - مواهب الفتح -: ١٣٨/٢، وانظر كذلك: حاشية الدسوقي: ١٣٧/٢ -

١٣٨، وهو - فيما يبدو - ناقل عن مواهب الفتح.

(٢) أنف: بضم الهمزة والفاء كل شيء أوله.

يقال: إنما الأمر أنف أي يستأنف استئنافاً من غير أن يسبق به سابق قضاء وتقدير، =

حتى لم يردّه إلاّ العظم، أفيكون دليل أوضح من هذا وأبين وأجلى في صحة ما ذكرت لك من أنك قد ترى ترك الذكر أفصح من الذكر، والامتناع من أن يبرز اللفظ من الضمير أحسن للتصوير^(١).

وقد يقال: أن دفع التوهم ابتداء لا يتوقف على الحذف بل يمكن حصوله مع ذكر المفعول لكن مع تأخيره عن قوله إلى العظم بأن يقال: حزن إلى العظم اللحم، وحقاً إن النكتة توجد بالحذف وبغيره، إلا أن ذكر لفظ (لحم) بعد قوله إلى العظم لا يحسن للعلم به، فيكون ذكره عبثاً، ويلزم عليه تقديم المفعول بواسطة على المفعول مباشرة، وذلك بتقديم المجرور على المفعول مع إمكان حصول الغرض بدونّه.

ولا يحسن ذكره عاماً بأن يقال: حزن كل شيء أي من عصب ولحم إلى العظم، فالحذف هنا أصرح من الذكر في دفع التوهم لإمكان كون العموم لو صرح به باعتبار عموم الفردية، بأن يكون المعنى: أوقعن القطع في كل شيء من لحم وجلد وعصب فيبقى البعض من كل فلم يصل الحز إلى العظم^(٢).

بعد عرض هذه الشواهد يلاحظ:

أن الشيخ عبد القاهر عند حذف المبتدأ لم يضع له قاعدة معينة، وأصلاً راسخاً، بل لم يحاول في كثير من الشواهد بيان سر الحذف، واكتفى بالإشارات النحوية، وبما قالوه عن مواضع الحذف:

إنّ من عادات العرب إذا ذكروا الأطلال والديار، أو ذكروا الرجال أن يقطعوا الكلام، ثم يستأنفوا جزءاً جديداً من المعنى بينونه على الحذف.

وإنما جعل المفعول هنا على النفس الذوّاقة، والفطنة اللماحة والطبع الأصيل، والإحساس المرهف المتمرس.

= واستأنفت الشيء إذا ابتدأته. اللسان «أنف»: ١٤/٩.

(١) الدلائل، رضا: ١٣٢، خفاجي: ١٩٩ - ٢٠٠، شاکر: ١٧١ - ١٧٢.

(٢) شروح التلخيص - مواهب الفتح -: ١٣٧/٢ - ١٣٨، وانظر كذلك: حاشية الدسوقي:

١٣٨/٢، نقلاً عن المواهب فيما يبدو.

واكتفى بالدلالة والإشارة إلى طريقة التذوق وكيفيةها وهي الموازنة بين التركيب قبل الحذف والتركيب بعد الحذف، ثم عَرَّض ذلك على الإحساس.

فالشيخ عبد القاهر كثيراً ما يحيل على الذوق، فكان هناك أسراراً جمالية لا تحدها قاعدة، ولا يدركها قانون فهو عنده باب شبيه بالسحر، وتأثير السحر غير مدرك العلة. يقول:

«فتأمل الآن هذه الأبيات كُلُّها واستقرها واحداً واحداً، وانظر إلى موقعها في نفسها، وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها، ثم فليت النفس عمّا تجد، وألطف النظر فيما تُجسُّ به، ثم تكلف أن تردّ ما حَذَف الشاعر، وأن تُخرجه إلى لفظك، وتوقَّعه في سَمْعِكَ، فَإِنَّكَ تعلم أن الذي قلتُ كما قلتُ، وأن رَبَّ حَذَف هو قِلَادَةُ الجيد، وقاعدة التجويد»^(١).

ثم يطالب القارئ بتناسي وتجاهل المحذوف، ويحذره أن يخطر بباله؛ لأن ذلك يفسد حلاوة التذوق يقول:

«ثم إنك ترى نُصْبَةً^(٢) الكلام وهيئته تروم منك أن تنسى هذا المبتدأ، وتباعده عن وهمك، وتجتهد أن لا يدور في خلدك، ولا يَعْرِضُ لخاطرك، وتراك كأنك تتوقَّاه تَوَقِّي الشيء تكره مكانه، والثقل تخشى هجومه»^(٣).

إن مطالبة الشيخ عبد القاهر القارئ بتناسي المبتدأ وإبعاده حتى عن الوهم تثير في النفس الغرابة والتساؤل، ولكن سرعان ما تجد الإجابة على ذلك، فهذا الحذف ليس مرجعه إلى ضرورة نظرية، ولا هو نظام أعمى خال من الدلالات، ولا هو ضرورة اقتضتها العادة اللغوية، إنما هو حذف ذو دلالة، وهو نمط من الإفادة والإفصاح، ففيه يتحرر الشاعر من قيود الوصف إلى عالم التأمل والوجدان والاستغراق في المشاعر. إنه الحذف الذي يتحدد وراءه موضوع بعينه، وكأنما لم

(١) الدلائل، رضا: ١١٦، خفاجي: ١٨٣، شاکر: ١٥١.

(٢) نُصْبَةُ الكلام: ظاهره وهيئته. اللسان «نصب»: ٧٦٠/١ - ٧٦١.

(٣) الدلائل، رضا: ١١٦ - ١١٧، خفاجي: ١٨٣، شاکر: ١٥١.

بعد ثمة فاصل على الإطلاق بين الذات المدركة، وموضوع إدراكها^(١).

وقد وضع السكاكي، وعنه نقل الخطيب، ومن جاء بعده بعض أسرار الحذف، فذكر أن حذف المسند إليه يكون:

١ - لمجرد الاختصار، والاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر أي لوجود القرينة، وهذه العلة عامة في الحذف، فكل حذف يؤلّد اختصاراً.

٢ - وإما أن يكون للاختصار مع ضيق المقام.

٣ - للتخييل أن في تركه تعويلاً على شهادة العقل، وفي ذكره تعويلاً على شهادة اللفظ، وكـم بين الشهادتين.

٤ - لاختبار تنبه السامع عند القرينة، هذا كأن يزورك رجلان سبقت لأحدهما صحبة لك، فتقول لمن معك - وفي - تريد الصاحب وفي.

٥ - أو مقدار تنبهه، هذا كأن يزورك رجلان أحدهما أقدم صحبة من الآخر، فتقول لمن معك - جدير بالإحسان - تريد الأقدم صحبة جدير بالإحسان، والفرق بين هذا وما قبله أن اختبار مقدار التنبه لا يكون إلا في القرائن الخفية، ورأى صاحب بغية الإيضاح أن هذا الغرض بقسميه فيه تكلف.

٦ - للإيهام أن في تركه تطهيراً له عن لسانك أو تطهيراً للسان عنه، قيل: إن لفظ إيهام هنا لا داعي له، وكذلك لفظ «تخييل» فيما سبق: لأن ذلك يقع حقيقة لا تخيلاً، ولا إيهاماً، والأول كقولك: خاتم الأنبياء - أي محمد ﷺ -.

٧ - وإما ليكون لك سبيل على الإنكار إن مسّت إليه حاجة، وهذا كقولك فاجر، تريد رجلاً معروفاً، فلا تذكره، لتقول عند الحاجة ما أردته.

٨ - وإما لأن الخبر لا يصلح إلا له حقيقة أو ادعاء كقوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(٢).

(١) النقد التحليلي عند عبد القاهر، أحمد عبد السيد الصاوي: ٢٠٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٧٣.

والثاني كقولك: وهَابُ الألف، تريد كريماً لا تذكره ادعاء لتعينه وشهرته.

٩ - وإما لاعتبار آخر مُناسب لا يهتدي إلى مثله إلا العقل السليم والطبع المستقيم، من ذلك تعجيل المسرة أو المساءة.

ومنه المحافظة على وزن أو سجع.

١٠ - اتباع الاستعمال الوارد على تركه كما في قولهم: «رَمِيَتْ مِنْ غَيْرِ رَامٍ»^(١).

أما عن حذف المفعول فإننا نرى الشيخ عبد القاهر يضع له أصلاً مهماً، وقاعدة ضابطة، فكان كريم العطاء فيه، فرأى أن له لطائف أكثر من لطائف حذف المسند إليه، وما يظهر بسببه من الرونق أعجب.

وعند عرضه للشواهد كان يقف أمام أسرارها وقفة الخبير، ويحللها تحليل الذِّواقِ الفطن، ولم يكتفِ بوضع نظرته هو بل نراه يحاول تدريب القارئ على كيفية التذوق والإحساس، وجعل باب التذوق مفتوحاً لكل صاحب حس مرهف، فقال عند الكلام عن حذف المفعول:

«وليس لتتأخّر هذا الحذف أعني حذف المفعول نهاية، فإنه طريق إلى ضروب من الصنعة، وإلى لطائف لا تحصي»^(٢).

وقد وضع الشيخ لحذف المفعول لطائف عديدة هي نتائج اجتهاده الذهني، وكده العلمي، وعطائه الروحي، فلم يتعرض لها من سبقه - فيما يبدو - وعنه أخذ من لحقه، ولم يزدوا عليها الشيء الكثير.

فمن اللطائف التي ذكرها في هذا الحذف:

١ - إن ذكر الفعل وفي النفس مفعول مخصوص منسي ومخفي فيه إيهام أن

(١) انظر: المفتاح: ٧٦، الإيضاح: ١٠٩/١، بغية الإيضاح: ٨٥/١، شروح التلخيص: ١٢١/٢ - ١٤٥.

(٢) الدلائل، رضا: ١٢٥، خفاجي: ١٩٢، شاکر: ١٦٣.

معنى الكلام القصد إلى الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل دون تعرض للمفعول، ليُحصَل له معنى شريفاً، وغرضاً خاصاً.

٢ - إن في حذف المفعول تتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل، وتخلص له، وتنصرف بجملتها وكما هي إليه.

٣ - البيان بعد الإيهام كما في فعل المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة.

٤ - دفع أن يتوهم السامع في أول الأمر إرادة شيء غير المراد.

٥ - يكون الحذف من الأول؛ لأنه أريد ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه إظهاراً لكمال العناية بوقوعه عليه.

٦ - القصد إلى التعميم في المفعول والامتناع عن أن يقصره السامع على ما يذكره معه دون غيره مع الاختصار.

٧ - الإضمار على شريطة التفسير، ففي حذفه ابتعاد عن العبث.

هذا ما أورده الشيخ في أسرار حذف المفعول.

ويظهر أن كل ما زاده عليه المتأخرون أنهم تناولوا الموضوع بطريقة علمية من تنظيم وتقسيم وتفصيل وطريقة تعبير.

وزاد بعضهم أن الحذف يكون:

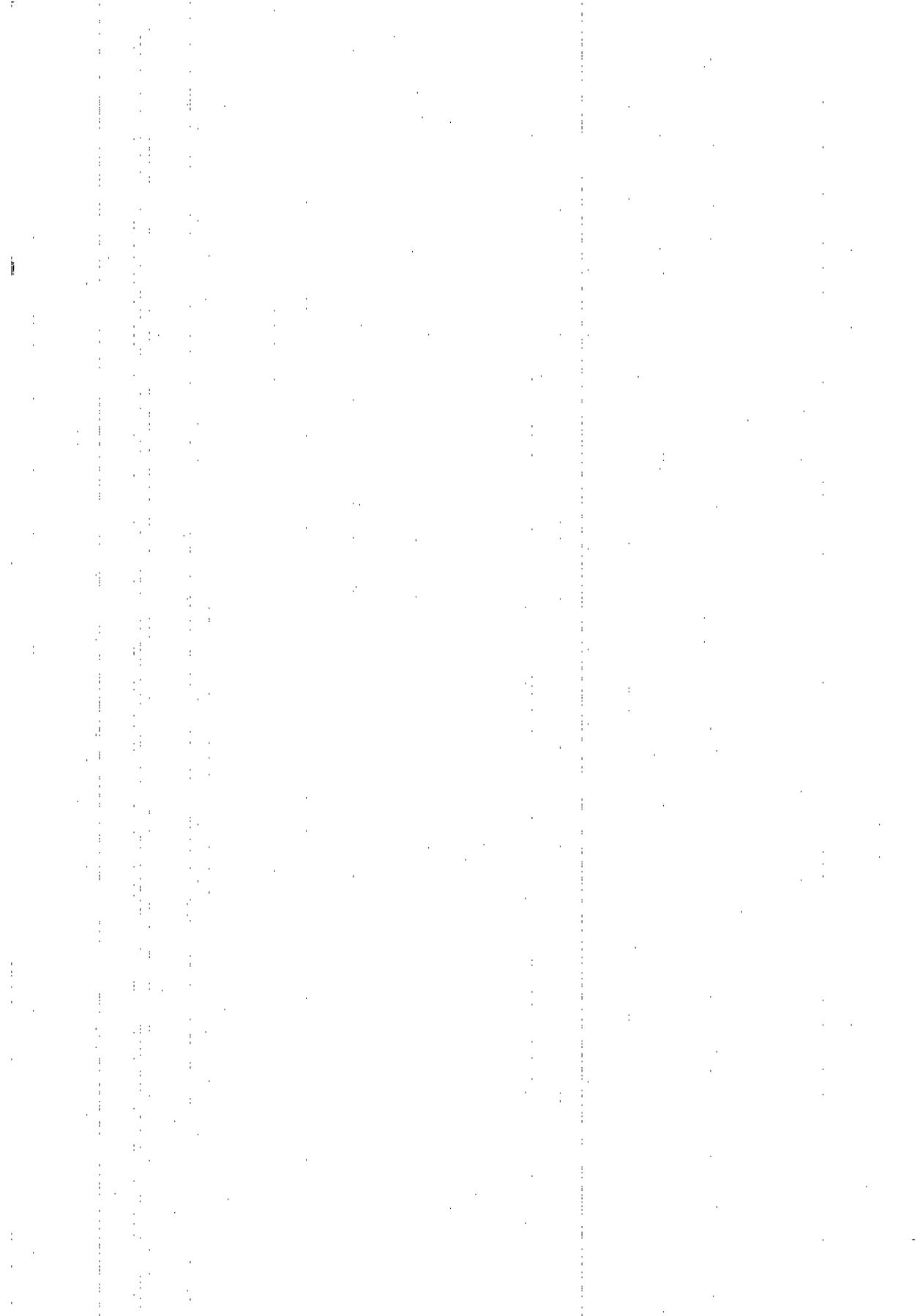
١ - لرعاية الفاصلة.

٢ - لاستهجان ذكره.

الفصل السادس

شواهد الفروق في الخبر

- أ — الاسم والفعل في الإثبات.
- ب — القصر في التعريف.
- ج — نكت أخرى في التعريف.



أ - الاسم والفعل في الإثبات

الشاهد العاشر بعد المائة^(١):

(البسيط)

لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ^(٣) صُرَّتْنَا^(٤) لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ^(٦)^(٧)

- (١) الدلائل، رضا: ١٣٤، خفاجي: ٢٠٣، شاکر: ١٧٤.
- (٢) رواية الديوان والحماسة (ت: عسيلان)، ورواية شرح ديوان الحماسة للتبريزي، وتهذيب تاريخ ابن عساکر، والحماسة البصرية: «ما يألف».
- ورواية الإيضاح: «لا يألف».
- (٣) رواية الحماسة (ت: عسيلان)، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي، والحماسة البصرية: «الدرهم الصياح».
- ورواية الفاضل: «المنقوش».
- والمضروب: هو الدرهم المطبوع المعد للتعامل. اللسان «ضرب»: ٥٤٣/١.
- (٤) رواية الديوان، دلائل الإعجاز - شاکر - وتهذيب ابن عساکر: «خرقتنا».
- (٥) رواية تهذيب تاريخ ابن عساکر، نهاية الأرب: «إلا يمر عليها».
- (٦) ذكر الشطر الثاني من بيت الشاهد في الفاضل برواية ينتفي معها موضع الشاهد جاء فيه:
لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَنْقُوشُ صُرَّتْنَا إِلَّا لِمَامًا قَلِيلًا ثُمَّ يَنْطَلِقُ
انظر البيت في:
- ديوان حاتم الطائي «صلة ديوانه»: ٣٠٢ رقم القصيدة (١١٧)، الحماسة (ت: عسيلان): ٣٦٠/٢، رقم (٧٨٠)، الفاضل: ٤٢، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٢٦/٤، تهذيب ابن عساکر: ٤٢٧/٣، نهاية الأرب: ٦١/٧، البداية والنهاية، شرح ديوان المتنبي للعكبري: ١١٦/١، الحماسة البصرية: ١٢/٢، الإيضاح: ١٧٧/٢، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٣١ ب، معاهد التنصيص: ٢٠٧/١، رقم الشاهد (٣٨)، شروح التلخيص: ٣٠/٢، القول الجيد: ١٩٧.
- (٧) ذكر البيت منسوباً لجؤبة بن النضر في الحماسة - ت: عسيلان -، وفي شرح ديوان الحماسة للتبريزي، والحماسة البصرية، ومعاهد التنصيص.

ذكره الشيخ من غير عزو، وهو لجؤبة بن النضر^(١).

والشاهد أحد أبيات أربعة. وقبله:

قَالَتْ طُرَيْفَةُ^(٢) مَا تَبْقَى دَرَاهِمُنَا وَمَا يَنَاسِرَفُ فِيهَا وَلَا خُرْقُ^(٣)
إِنَّا إِذَا اجْتَمَعْتُ^(٤) يَوْمًا دَرَاهِمُنَا ظَلَّتْ إِلَى طُرُقِ^(٥) الْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ

وبعدهما الشاهد وبعده:

حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذْلٍ يُخْلِدُهُ يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إِسَاءُ يَنْمِرِقُ^(٦)^(٧)

ونسبه الأستاذ محمود شاعر في تحقيقه للدلائل: للنضر بن جؤبة وكذلك نسبة حاشية الدسوقي في شروح التلخيص.

وذكر في القول الجيد أن الدسوقي نسب «النضر بن لؤبة» وهذا خطأ مطبعي فيما يبدو. ونسبه العباسي في معاهد التنصيص للنضر بن جؤبة أو لجؤبة بن النضر ونسبه محقق الإيضاح: للنضر بن جؤبة، وأعتقد أنه خطأ مطبعي.

وذكر البيت في شرح العكبري من غير عزو، وذكر قوله: «إِنَّا إِذَا اجْتَمَعْتُ يَوْمًا دَرَاهِمُنَا» وهو البيت السابق للشاهد، ونسبه لجؤبة بن النضر وكأنه يرى أن لكل بيت قائلًا.

وكذلك ذكر البيت في نهاية الأرب وشرح أبيات الإيضاح من غير عزو ونسب البيت لحاتم الطائي في صلة ديوانه: ٣٠٢، وتهذيب ابن عساكر، والبداية والنهاية، ونسب في الفاضل لمالك بن أسماء. وذكر صاحب المعاهد أنه يُنسب أيضاً ليزيد بن حاتم بن قبيصة.

(١) لم أقف على ترجمة لجؤبة بن النضر.

(٢) طريفة: اسم امرأة وهو تصغير طرفة.

(٣) وفي الديوان بعد البيت الأول:

إِنْ يَقَنْ مَا عِنْدَنَا فَاللَّهُ يَسْرُرُقْنَا مِمَّنْ سَوَانَا وَلَسْنَا نَحْنُ نُسْرُرُقُ

(٤) رواية الفاضل والتصحيح والتحريف: «إِنَّا إِذَا كَثُرْتُ».

(٥) رواية الديوان الفاضل: «إِلَى سُبُل».

(٦) رواية الفاضل: «يَمْرُق».

(٧) الأبيات موجودة في الحماسة (ت: عسيلان)، والفاضل، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي،

وتهذيب تاريخ ابن عساكر.

وفي شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ذكر البيت الأول والثاني، ولم يذكر بيت الشاهد.

وفي التصحيح والتحريف ذكر البيت الثاني فقط منسوباً لجؤبة بن النضر.

انظره: ٣٨٧، والأبيات ما عدا (٤) في صلة ديوان حاتم.

وموضع الشاهد قوله: «وهو منطلق».

والشاهد فيه: مجيء المسند اسماً، فأفاد الثبوت والدوام لا الحدوث والتجدد.

قال الشيخ:

«.. أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء».

وأما الفعل، فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء».

فإذا قلت: «زيد منطلق»، فقد أثبت الانطلاق فعلاً له، من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: «زيد طويل»، و«عمرو قصير»، فكما لا تقصد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط، وتقضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك: «زيد منطلق» لأكثر من إثباته لزيد.

وأما الفعل فإنه يُقصد فيه إلى ذلك، فإذا قلت: «زيد ها هو ذا ينطلق» فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً، وجعلته يُزاوله ويُزجيه^(١).

فالشاعر في هذا البيت اختار الاسم دون الفعل؛ ليقرر في الأذهان، ويؤكد في النفوس بالغ كرمه وجوده، وكثرة عطائه وإنعامه، فأثبت للدرهم صفة الانطلاق الدائم من غير إشعار بتجدد وحدوث، فالدرهم ليس له مكان في صرته، ففي اللحظة التي يدخلها ينطلق منها، ولو أنه قال: «وهو ينطلق» لذهبت حلالة

وذكر في التصحيف والتحريف:

أنه يروى جُريبة الأسدي، الجيم مضمومة والراء مفتوحة غير معجمة، وهو جُريبة بن عمرو بن الأشيم من بني فقفس، وهو جد مطير بن الأشيم أحد شياطين بني أسد وشعرائها. التصحيف والتحريف: ٣٨٧، المؤلف: ٧٧.

(١) الدلائل، رضا: ١٣٣ - ١٣٤، خفاجي: ٢٠٢، شاکر: ١٧٤.

المعنى، وفات مراد الشاعر، وكانت الدلالة على الكرم أقل؛ لأن استعمال الفعل هنا يدل على أن الدرهم قد يمكث في الصرة زمناً، ثم يتجدد منه الانطلاق.

ومراد الشاعر على العكس من ذلك، فالدرهم يمر عليها وهو في حالة من السرعة الشديدة، والانطلاق السريع، وهذا قمة في الكرم والجود والسخاء.

وفي استعمال الشاعر لفظ «الدرهم» مفرداً بدلاً من الجمع «الدراهم» دلالة - أيضاً - على بالغ جوده، فهو صرف ماله أولاً فاولاً، ولا ينتظر أن تجتمع فتصبح دراهم كثيرة.

قال الشيخ في تعليقه على البيت:

«هذا هو الحسن اللائق بالمعنى، ولو قلته بالفعل: لكن يمر عليها وهو ينطلق لم يحسن»^(١).

ومما هو في هذا المعنى قول المتنبي:

وَكَلَّمَا لَقِي الدِّينَارُ صَاحِبَهُ فِي مِلْكِهِ أَفْتَرَقَا مِنْ قَبْلِ يَصْطَلِحَا^(٢)

الشاهد الحادي عشر بعد المائة^(٣):
(الطويل)

قول الأعشى:

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ^(٤) فِي^(٥) يَفَاعٍ^(٦) تَحَرَّقُ
تَشُبُّ لِمَقْرُورَيْنِ^(٧) يَصْطَلِيَانَهَا^(٨) وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ^(٩)

(١) الدلائل، رضا: ١٣٤، خفاجي: ٢٠٢، شاکر: ١٧٥.

(٢) ديوان أبي الطيب يشرح العكبري: ١١٦/١.

(٣) الدلائل، رضا: ١٣٥، خفاجي: ٢٠٤، شاکر: ١٧٦.

(٤) المقصود بالنار هنا: نار القري، وهي من أعظم مفاخر العرب وأشرف مآثرها، وهي النار التي كانت تُرفع للسفر، ولمن يلتبس القري، فكلمة كان موضعها أرفع كانت أفخر، والأشعار فيها كثيرة. الحيوان: ١٣٤/٥.

(٥) رواية الأغاني والعمدة: «باليفاع».

(٦) اليفاع: الموضع العالي المرتفع. مختار الصحاح «يفع»: ٧٤٣.

(٧) المقرورين: المقرور الذي أصابه القر وهو البرد. اللسان «قر»: ٨٣/٥.

والشاهد من أبيات له يمدح بها المُلْحَق بن خَنَثَم^(١)، حين أكرمه، وأحسن وفادته وقد كان رجلاً قليل المال كثير البنات ولفقره وحاجته لم يخطبهن أحد، فعرضت عليه زوجه أن يتعرض للأعشى، فيكرمه؛ لأنه ما مدح أحداً إلا رفعه، ولا هجا أحداً إلا وضعه، وآتفق أن قديم الأعشى مكة قاصداً سوق عكاظ، فأسرع إليه المُلْحَق يستضيفه، فأكرمه، وبالع في إكرامه رجاء أن يصيبه خير من مدحه.

فوقف الأعشى في سوق عكاظ مادحاً المُلْحَق، وأنشد قصيدته، التي ما إن انتهى منها حتى تدافع الناس إلى المُلْحَق يخطبن بناته، فلم تبت إحداهن ليلتها إلا وهي في كنف رجل عظيم^(٢).

ومطلع القصيدة:

أَرَقْتُ وَمَا هَذَا السُّهَادُ الْمُؤَرَّقُ وَمَا بِي مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِي مَعْشَقُ

(٨) = اصطلى النار: استدفأ بها. اللسان «صلا»: ٤٦٨/١٤.

(٩) انظر البيتين في:

ديوانه - دار بيروت -: ١٢٠، ديوانه - شرح وتعليق: محمد محمد حسين -: ٢٧٣ - ٢٧٥، البيان والتبيين: ٢٩/٢، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٥٧٥/٢، الأغاني: ١١٤/٩، العمدة: ٤٩/١، محاضرات الأدباء: ٥٣٣/٢، شرح المفصل: ١٠٨/٤، المغني: ١٠١/١، - البيت الثاني فقط -، شرح شواهد المغني: ٤٧٨/١، شرح أدب الكاتب للجواليقي: ٢١٦، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب للبطلوسي: ٣٩١، بلوغ الأرب: ١٦١/٢.

(١) هو عبد العزيز بن خنثم بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهو أبو بكر والمُلْحَق لقبه، وإنما لُقِّب به؛ لأن حصاناً له عُضُّه في وجنته فَحَلَّقَ فيه حَلَقَةً، وجاء في شرح أدب الكتاب أن اسمه عبد العزيز.

انظر ترجمته في:

الأغاني: ١١٥/٩.

(٢) انظر القصة مفصلة في:

الأغاني: ١١٣/٩ - ١١٤، العمدة: ٤٩/١، شرح المفصل: ١٠٨/٤.

وقبل بيت الشاهد:

وَأَنْ أَمْرًا أُسْرَى إِلَيْكَ وَدُونَهُ فَيَافِ تَنُوقَاتٍ وَبَيْدَاءَ خَيْفَقُ
لَمْخُوقَةٍ أَنْ تَسْتَجِيبِي لَصَوْتِهِ وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمُعَانَ مُوَفَّقُ

وبعدهما بيتا الشاهد وبعده:

رَضِيعِي لِبَانٍ ثَنَدِي أَمْ تَحَالَفَا بِأُسْحَمٍ دَاجٍ عَوْضُ لَا تَتَفَرَّقُ

وموضع الشاهد قوله: «فِي يَفَاعٍ تَحْرَقُ».

والشاهد فيه: مجيء المسند فعلاً، فأفاد التجدد والحدوث فالغرض والمقام يتطلبان ذلك، فالممدوح هنا حامل الذكر صغير القدر، فأراد الشاعر أن يرفع من ذكره، ويُعلي من شأنه، فأقسم في مطلع البيت «لعمري»، وأكد أن العيون كلها مشدودة النظر إلى تلك النار المشتعلة، وَقَيَّدَ العيون بوصفها بالكثرة ليصور تدافع الناس وتزاحمهم على تلك النار، وجعلها في يفاع «لأنه أشهر لها؛ ولأنها إذا كانت في يفاع - وهو الموضع العالي - أصابتها الرياح فاشتعلت»^(١)، ثم جعل المسند فعلاً «تَحْرَقُ» ليبالغ في كرمه، فهي نار تحرق ويتجدد منها الاحتراق، والمحلوق قائم عليها مجتهد كل الاجتهاد في إعلاء لهيبتها؛ لتكون أهدى لغابر السبيل، وأدل للضال في الصحراء، فالعيون الكثيرة لا تلوح إلا إذا كانت النار متجددة الاشتعال كثيرة اللهب، وهذا دليل على تغلغل الجود في نفسه، وتمكنه في طبعه، فالتعبير هنا بالفعل أبلغ من أنه لو قال: «متحرق»؛ لأن في استعمال الاسم إثبات أنها نار متحقة فقط، ليس عليها قائم يوقد نارها، ويجدد لهيبتها، وهذا أقل دلالة على المدح.

ثم أنظر إلى قوله: «وبات على النار الندى والمحلوق»، وما أوحى به هذا التعبير من شدة التلازم بين الجود والرجل وما دلَّ عليه كذلك من اليقظة والسهو الدائم ترقباً للوافدين، ثم الاستعارة في قوله: «وبات الندى» وكيف زادت من معنى دوام الكرم وتأصله في الممدوح.

(١) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: ٣٩١.

قال الشيخ عبد القاهر:

«معلوم أنه لو قيل: «إلى ضوء نار متحرقة» لنبا عنه الطبع، وأنكرته النفس، ثم لا يكون ذاك النبؤ، وذاك الإنكار من أجل القافية، وأنها تفسد به، بل من جهة أنه لا يشبه الغرض ولا يليق بالحال»^(١).

وقال أيضاً:

«وذلك لأن المعنى في بيت الأعشى على أن هناك مُوقداً يتجدد منه الإلهاب والإشعال حالاً فحالاً، وإذا قيل: «متحرقة» كان المعنى أن هنا ناراً قد ثبت لها وفيها هذه الصفة، وجرى مجرى أن يقال: «إلى ضوء نار عظيمة» في أنه لا يفيد فعلاً يُفَعَّل»^(٢).

وقد ذكر الجاحظ أن العلماء يستجيدون قول الأعشى:

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تَحْرُقُ

حتى قال الحطيئة:

مَتَى تَأْتِي تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ^(٣)

فحينئذٍ فَضَّلُوا هذا، وَأَسْقَطَ لِحُسْنِهِ بيت الأعشى^(٤).

الشاهد الثاني عشر بعد المائة^(٥):

(الكامل)

أَوْ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَازُ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ^(٦) يَتَوَسَّمُ^(٧)

(١) الدلائل، رضا: ١٣٥، خفاجي: ٢٠٤، شاکر: ١٧٦.

(٢) الدلائل، رضا: ١٣٥ - ١٣٦، خفاجي: ٢٠٤، شاکر: ١٧٦ - ١٧٧.

(٣) ديوانه - رواية ابن حبيب -: ٥١.

(٤) الحيوان: ١٣٢/٥.

(٥) الدلائل، رضا: ١٣٥، خفاجي: ٢٠٤، شاکر: ١٧٦.

(٦) رواية الأصمعيات: «رسولهم».

(٧) انظر البيت في:

الكتاب: ٧/٤، معاني القرآن للأخفش: ٤٠٣/٢، الأصمعيات: ١٢٧، رقم (٣٩)، أدب =

ذكر البيت في الدلائل من غير عزو^(١)، وهو لطريف بن تميم العنبري^(٢).

والشاهد أول أبيات خمسة وبعده:

فَتَوَسَّمُونِي^(٣) إِنِّي أَنَا ذَاكُمْ شَاكٍ سِلَاحِي فِي الْحَوَادِثِ مُعَلَّمٌ
تَحْتِي الْأَغْرُ وَفَوْقَ جِلْدِي نَثْرَةٌ زَعْفٌ تَرْدُ السَّيْفِ وَهُوَ مُثْلَمٌ
حَوْلِي فَوَارِسٌ مِنْ أَسِيدٍ شَجْعَةٌ وَإِذَا غَضِبْتُ فَحَوْلَ بَيْتِي خَضَمٌ^(٤)
وَلِكُلِّ بَكْرِيٍّ لَدِيَّ^(٥) عِدَاوَةٌ وَأَبُورَبِيعَةَ شَانِيءٌ وَمُحَلَّمٌ

الكاتب: ٤٥٣، البيان والتبيين: ١٠١/٣، ديوان الأدب: ٤١٦/١، شرح أبيات سيبويه للسيرافي: ٣٨٩/٢، العقد الفريد - دار الكتب العلمية -: ٦٥/٦، الكامل في التاريخ: ٣٦٧/١، نادر المخطوطات «أسماء المغتالين»: ٢١٩/٢، الإيضاح: ١٧٧/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٣١ ب، شرح أدب الكاتب للجواليقي: ٢٨٤، شرح شواهد الشافعية: ٣٧٠، اللسان «عرف»: ٢٣٦/٩، معاهد التنصيص: ٢٠٤/١، شروح التلخيص: ٢٨/٢، بلوغ الأرب: ١٨٥/٢، القول الجيد: ١٩٥.

(١) وكذلك في معاني القرآن للأخفش، وأدب الكاتب، وديوان الأدب.
(٢) هو طريف بن تميم بن عمرو بن عبدالله بن جندب بن العنبر التميمي، أبو سليط، كان رجلاً جسيماً يلقب مجدعاً، وهو فارس قومه، وكان يسمى ملقي القناع، قتله حمصيصة وقيل: حميصة، وقيل: حميصة بن جندب الشيباني في يوم مبايض، وبعضهم يسمي الشاعر طريف، طريفة بن عمر، أو طريفة بن مالك.
انظر ترجمته في:

الكامل لابن الأثير: ٣٦٧/١، نادر المخطوطات «أسماء المغتالين»: ٢١٨/٢ - ٢١٩، البيان والتبيين: ١٠١/٣، العقد الفريد - دار الكتب العلمية -: ٦٥/٦.

(٣) رواية شرح أبيات سيبويه: «فتعرفوني».
(٤) روي هذا البيت في نادر المخطوطات «أسماء المغتالين» على أنه البيت الخامس، وورد بصيغة أخرى هي:

حَوْلِي أَسِيدٌ وَالْهَجِيمُ وَمَازَنٌ وَإِذَا حَلَلْتُ فَحَوْلَ بَيْتِي خَضَمٌ
خَضَمٌ: اسم بلد وقيل: هو اسم العنبر بن عمرو بن تميم، وقد غلب على القبيلة، وقيل: خَضَمٌ اسم ماء لبني تميم. اللسان «خضم»: ١٨٤/١٢.

(٥) رواية أسماء المغتالين: «على عداوة».

ومناسبتها: أن طريف قتل شرحبيل أخا بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، واتفق أن حضر طريف سوق عكاظ، وهو ملقي قناعه - إذ كان من عادة فرسان العرب أن لا تشهد عكاظاً إلاً مبرقة مخافة الثأر -، وكان حمصيصة^(١) بن شراحيل يترصده، فلما رآه أخذ يتأمله، فقال له طريف: مالك؟ فقال: أتوسمك لأعرفك، فإن لقيتك في حرب فليله علي أن أقتلك أو تقتلني، فأنشأ طريف يقول الأبيات.

فمضى على ذلك زمن إلى أن أغار طريف في بني العنبر، وفدكي بن أعبد في بني منقر، وأبو الجدعاء على «عائذة» وهم حلفاء لبني أبي ربيعة بن ذهل، ولم يكن لحمصيصة هم غير طريف، فلما عرفه رماه فقتله، وذلك في يوم مبايض.

فجعل أبو مارد أخو بني أبي ربيعة يقول في قتل حمصيصة طريفاً:
خَاضَ الْغَدَاةَ إِلَى طَرِيفٍ فِي الْوَعَى حَمْصِيصَةُ الْمِنْوَارُ فِي الْهَيْجَاءِ^(٢)
وموضع الشاهد قوله: «يتوسم».

والشاهد فيه: مجيء المسند فعلاً ليفيد التجدد، فالمقام يتطلب معنى التجدد، فقد بلغت ثقة الشاعر بشجاعته وبسالته إلى حد أنه ألقى القناع في مجمع العرب - وهذا خلاف المتعارف عليه عندهم - فكلما وردت قبيلة سوق عكاظ أرسلت عريفها والقيم بأمرها يتوسم الوجوه ويتفرسها، ويكرر النظر إليها طالباً طريفاً؛ لأن له على كل قبيلة جناية، ولكل قبيلة عنده ثأر، فجاء بالمسند فعلاً؛ ليدل على تجدد النظر وتكراره، وفي هذا دليل على شدة رغبة القبائل، وحرصها، وتلفها في التعرف عليه، والفوز به، وفي هذا تمديح بالغ بشجاعته،

(١) ورد اسمه في الكامل لابن الأثير: «حميص».

(٢) انظر القصة مفصلة في:

العقد الفريد - دار الكتب العلمية - : ٦٥/٦ - ٦٦، الكامل لابن الأثير: ٣٦٧/١، أسماء

المغتالين «نوادير المخطوطات»: ٢١٩/٢.

ولو أنه قال: «متوسماً» لدل على صفة التوسم فقط دون الإشعار بالتجدد الذي حرص الشاعر على إثباته.

ثم أنظر إليه، وقد صَدَّر البيت بهمزة الاستفهام، وكأن فيها تعجباً من حاله المغايرة للقوم، أو أنها توبيخ واستهزاء بتلك القبائل التي تتصارع على معرفته، والتقليل من شأنها.

قال الشيخ عبد القاهر:

«... وكذلك الحال في قوله: «بَعَثُوا إِلَى عَرِيفِهِمْ يَتُوسَم»، وذلك لأن المعنى على توسم وتأمل ونظر يتجدد من العريف هناك حالاً فحالاً، وتصفح منه الوجوه واحداً بعد واحد، ولو قيل:

«بعثوا إلى عريفهم متوسماً» لم يفد ذلك حق الإفادة»^(١).

(١) الدلائل، رضا: ١٣٦، خفاجي: ٢٠٤ - ٢٠٥، شاکر: ١٧٧.

ب - القصر في التعريف

(الطويل)

الشاهد الثالث عشر بعد المائة^(١):

جرير هو القائل:

«وَلَيْسَ لِسَيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ»^(٢).

ذكر الشيخ صدر البيت فقط.

وعجزه:

«وَلَلْسَيْفُ أَشْوَى»^(٣) وَقَعَةٌ مِنْ لِسَانِيَا^(٤).

والبيت من نقيضته لقصيدة الفرزدق^(٥) التي أولها:

(١) الدلائل، رضا: ١٣٩، خفاجي: ٢٠٦، شاکر: ١٧٩.

(٢) وفي إحدى روايات الأغاني ورد صدر البيت على وجه آخر:
لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كِلَاهُمَا وَلَلْسَيْفُ أَشْوَى وَقَعَةٌ مِنْ لِسَانِيَا
(٣) أشوى: من الشوي، وهو إخطاء المقتل، رمى فأشوى إذا لم يصب المقتل. اللسان «شوا»:
٤٤٨/١٤.

(٤) انظر البيت في:

ديوانه: ٦٠٦، البيان والتبيين: ١٦٧/١، الأغاني: ٣٦/٨، النقااض: ١٧٨/١، مجموعة
المعاني: ١٧٨.

(٥) وروي أنه قالها في عتاب جده الخطفي، وذلك أنه استنحله من ماله - وكان كثير المال -
فقال: أنحلك كما نَحَلْتُ عَمِيكَ عطاءً وحزاماً، وكان ينحل كل واحد من بنيه ربع ماله،
وكان الربع في هذا العام قليلاً، فتسخطه جرير، وقال: قد صرت شيخاً من بنيك وأبا
عيال، وعاتبه واستزاده، فلم يزد. وروي أن الأبيات التي في هجاء الفرزدق، فيما كان بينه
وبين غسان إنما قيلت بعد هذه بعشرين سنة. ديوانه: ٦٠١.

أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ جَوْسُوقَةٍ^(١) بَكَيْتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةُ مَالِيَا

ومطلع قصيدة جرير:

أَلَا حَيَّ رَهْمِي^(٢) ثُمَّ حَيَّ الْمَطَالِيَا^(٣) فَقَدْ كَانَ مَانُوساً فَأُصْبَحَ خَالِيَا

وقبل الشاهد:

أَنَا ابْنُ صَرِيحِي خِنْدِفٍ^(٤) غَيْرَ دَعْوَةٍ يَكُونُ مَكَانَ الْقَلْبِ مِنْهَا مَكَانِيَا

وبعده:

أَبِالْمَوْتِ خَشْتَنِي قُيُونُ مُجَاشِعٍ وَمَا زِلْتُ مَجْنِيئاً عَلَيَّ وَجَانِيَا
وَمَا مَسَحَتْ عِنْدَ الْحِفَاطِ مُجَاشِعُ كَرِيماً وَلَا مِنْ غَايَةِ الْمَجْدِ دَانِيَا

الشاهد هنا: ليس في صدر بيت جرير، وإنما في الجملة السابقة له وهي:

«جرير هو القائل».

فاستدل بها الشيخ عبد القاهر على أن المسند المعروف بأل يفيد القصر، فهذه الجملة أفادت إثبات قيل هذا البيت، وتأليفه لجرير وحده، لذا لا يجوز العطف على المبتدأ الأول مبتدأ ثانياً، فمن فساد المعنى القول:

(١) جو سويق: موضع وهو من أجوية الصَّمان - والجو ما اتسع من الأرض واطمأن وبرز - والصَّمان أرض فيها غلظ وارتفاع وفيها قيعان واسعة وخباري تنبت السدر عذبة ورياض معشبة، وكانت الصَّمان في قديم الدهر لبني حنظلة، والصَّمان متاخم للدهناء وقيل: الصَّمان جبل في أرض تميم وقيل: هو قرب رمل عالج بينه وبين البصرة تسعة أيام وقيل: هي من نواحي الشام بظاهر البلقاء، وقيل: الصَّمان بلد لبني أسد. معجم البلدان: ٤٢٣/٣، لسان العرب «جوا»: ١٥٩/١٤.

(٢) رَهْمِي: بفتح أوله وإسكان ثانيه، وبالباء المعجمة: موضع في ديار بني تميم. معجم ما استعجم: ٦٧٩/٢.

(٣) المطالي: جمع مطلاع وهي ما انخفض من الأرض واتسع. اللسان «طلى»: ١٤/١٥.

(٤) الخندفة: بشية كالهرولة، وَخَنْدَفَ الرَّجُلُ أَسْرَعَ، وَخَنْدَفَ الرَّجُلُ انْتَسَبَ إِلَى خِنْدِفٍ وهي امرأة إلياس بن مضر بن نزار واسمها ليلي بنت حُلوان، وقيل: عمران وَسُمِّيَتْ بِهَا الْقَبِيلَةُ. اللسان - خندف -: ٩٨/٩ - ٩٩.

«جرير هو القائل هذا البيت والفرزدق»؛ لأنه قد تم بتعريف المسند تخصيص جرير بالقول، فلا يجوز بعد ذلك إشراك غيره معه.. قال الشيخ عبد القاهر:

«... إنك إذا نكرت الخبر جاز أن تأتي بمبتدأ ثان على أن تشركه بحرف العطف في المعنى الذي أخبرت به عن الأول، وإذا عرفت لم يجز ذلك، تفسير هذا أنك تقول: زيد منطلق وعمرو، تريد «وعمر منطلق أيضاً» ولا تقول: زيد المنطلق وعمرو؛ ذلك لأن المعنى مع التعريف على أنك أردت أن تثبت انطلاقاً مخصوصاً قد كان من واحد، فإذا أثبتته لزيد لم يصح إثباته لعمرو، ثم إن كان قد كان ذلك الإنطلاق من اثنين، فإنه ينبغي أن تجتمع بينهما في الخبر فتقول: زيد وعمرو هما المنطلقان. لا أن تفرق فتثبته أولاً لزيد، ثم تجيء فتثبته لعمرو. ومن الواضح في تمثيل هذا النحو قولنا: هو القائل بيت كذا: كقولك:

«جرير هو القائل: «وليس لسيفي في العظام بقية» فانت لو حاولت أن تشرك في هذا الخبر غيره، فتقول: جرير هو القائل هذا البيت وفلان: حاولت محالاً؛ لأنه قوله بعينه، فلا يتصور أن يشرك جريراً فيه غيره»^(١).

الشاهد الرابع عشر بعد المائة^(٢):

قول الأعشى^(٣):
هُوَ الْوَاحِبُ الْمَائَةِ الْمُصْطَفَاةِ إِمَّا مَخَاضاً^(٤) وَإِمَّا عِشَاراً^(٥)^(٦)

(١) الدلائل، رضا: ١٣٧ - ١٣٨، خفاجي: ٢٠٦، شاکر: ١٧٨.

(٢) الدلائل، رضا: ١٣٩، خفاجي: ٢٠٧، شاکر: ١٨٠.

(٣) أي الأعشى الكبير «ميمون قيس» وقد سبق التعريف به.

(٤) مخاضاً: المخاض الحوامل من النوق التي دنت ولادتها وقربت. مختار الصحاح «مخض»:

٦١٨.

(٥) عشاراً: «العِشَارُ» بالكسر جمع «عُشْرَاء» كقفهاء وهي الناقة التي أتى عليها من وقت الحمل عشرة أشهر وتجمع على «عُشْرَاوَات». مختار الصحاح «عشر»: ٤٣٤.

(٦) انظر البيت في:

وهو من قصيدة يمدح بها قيس بن معدي كرب^(١)، ومطلعها:
أَزْمَعْتُ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكَارًا^(٢) وَشَطْتُ عَلَى ذِي هَوَى أَنْ تَزَارَا

وقبل بيت الشاهد:

إِذَا رَهَبَ الْمَوْجَ نُوتِيَهُ^(٣) يَحُطُّ الْقِلَاعَ وَيُرْجِي الزَّيَارَا^(٤)
بَأَجْوَدَ مِنْهُ بِأَدَمِ^(٥) الْعِشَا^(٦) رَ^(٧) لَطُ^(٨) الْعَلُوقُ^(٩) بِهِنْ أَحْمِرَارَا

وبعدهما الشاهد وبعده:

وَكُلُّ كَمِيَةٍ^(١٠) كَانَ السَّلِي^(١١) طَ فِي حَيْثُ وَارَى الْأَدِيمَ الشَّعَارَا

موضع الشاهد قوله: «هو الواهب المائة المصطفاة» والشاهد فيه: إفادة
المسند «الواهب» المعروف بأل الجنسية القصر بطريق التقييد - حيث اشترط له

= ديوانه - دار بيروت - : ٨٤، ديوان الأعشى الكبير: تعليق محمد محمد حسين - : ١٠١،
الإيضاح: ١٩٠/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٣، عقود الدرر: ٢٧، ب، القول
الحجيد: ٢٠٧.

(١) هو قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة الكندي (٠٠٠ نحو ٢٠ ق هـ) من قحطان ملك
جاهلي يمني، يلقب بالأشج، وكنيته أبو حجية، وأبو الأشعث ويقال له أيضاً: السكسكي،
مات قتيلاً في إحدى وقائعه مع قبيلة «مراد».

انظر ترجمته في:

خزانة البغدادي - دار صادر - : ٥٤٥/١، الأعلام: ٢٠٨/٥.

(٢) ابتكاراً: الرحلة في وقت البكور وهو الصباح الباكر. اللسان «بكر»: ٧٦/٤ - ٧٧.

(٣) نوتيه: النوتي: الملاح الذي يُدَبِّر السفينة في البحر. اللسان «نوت»: ١٠١/٢.

(٤) الزيارا: الحبل. اللسان «زور»: ٣٣٩/٤.

(٥) آدم العشار: البيض.

(٦) رواية اللسان: «الركاب».

(٧) رواية اللسان: «لاط» وَلَطُ الشَّيْءُ يَلُطُّ لَطًا الرِّقَّة.

(٨) العلوق: أكل البهائم ورق الشجر وكل ما ترعاه الإبل. اللسان «علق»: ٢٦٣/١٠ والمعنى

أن الإبل إذا سمعت صار الآدم منها أصهب أي أحمر. اللسان «علق»: ٢٦٣/١٠.

(٩) رواية الديوان - مطبعة بيروت - : «طويل».

(١٠) السليط: ما يُضَاء به، ومن هذا قيل للزيت: سليط. اللسان «سليط»: ٣٢١/٧.

مفعولاً مخصوصاً - على دعوى أنه لا يوجد إلا منه لا على معنى المبالغة، وترك
الاعتداد بوجوده في غير المخبر عنه.

قال الشيخ عبد القاهر:

«والوجه الثاني: أن تقصر جنس المعنى الذي تُفیده بالخبر على المُخْبَر عنه، لا على معنى المبالغة، وترك الاعتداد بوجوده في غير المُخْبَر عنه، بل على دَعْوَى أنه لا يوجد إلا منه، ولا يكون ذلك إلا إذا قيدت المعنى بشيء يخصه ويجعله في حُكم نوع برأسه؛ وذلك كنحو أن يُقَيَّد بالحال والوقت..»^(١).

فالأعشى أراد هنا أن يقصر جنساً معيناً من الهبة على ممدوحه، وليس مطلق الهبة، فهو وحده الذي من عاداته أن يختار هباته، ويوجد بأفضل ما عنده، فيعطي الإبل مائة بعد مائة، عشاراً تضع أثقالها، أو مخاضاً تهياً للتناج.

ثم أشار الشيخ عبد القاهر إلى أن اللام في قوله: «هو الواهب» ليست بمنزلة اللام في قولنا: «زيد هو المنطلق»؛ لأن القصد ههنا إلى جنس من الهبة مخصوص لا إلى هبة مخصوصة بعينها، وهذا يفيد تجدد الهبة منه، فهو يهب المئة مرة بعد أخرى، أما اللام في زيد هو المنطلق، فتدل على انطلاق كان مرة واحدة لا إلى جنس من الإنطلاق، فالتكرار هنا غير متصور.

قال الشيخ:

«وربما ظنَّ الظَّان أن اللام في «هو الواهب المصطفاة بمنزلتها» في نحو: «زيد هو المنطلق» من حيث كان القصد إلى هبة مخصوصة كما كان القصد إلى انطلاق مخصوص، وليس الأمر كذلك؛ لأن القصد ههنا إلى جنس من الهبة مخصوص لا إلى هبة مخصوصة بعينها يدل ذلك على أن المعنى على أنه يتكرر منه، وعلى أنه يجعله يهب المائة مرة بعد أخرى.

وأما المعنى في قولك: «زيد هو المنطلق»، فعلى القصد إلى انطلاق كان

(١) الدلائل، رضا: ١٣٨ - ١٣٩، خفاجي: ٢٠٧، شاکر: ١٨٠.

مرة واحدة، لا إلى جنس من الانطلاق فالتكرار هناك غير متصور»^(١).
وخص العشار والمخاض بالذكر لنفاستهما؛ لأن الواحدة بمنزلة آئين، وإمّا
للإباحة^(٢).

(١) الدلائل، رضا: ١٣٩، خفاجي: ٢٠٨، شاکر: ١٨٠.

(٢) عقود الدرر: ٢٨ أ.

الشواهد الشعرية في كتاب

«دلائل الإعجاز»

للشيخ عبد القاهر الجرجاني

توثيق وتحليل ونقد

تأليف

الدكتورة نجاة أحمد الظهار

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

أصل هذا الكتاب رسالة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة العربية
من كلية اللغة العربية (جامعة أم القرى بمكة المكرمة)
إشراف: الأستاذ الدكتور علي محمد حسن العماري
وكانت لجنة المناقشة مكونة من:

د. عبد الفتاح لاشين.

د. علي البدري.

ونوقشت الرسالة في ١٣/١٠/١٤٠٨ هـ الموافق ٢٨/٥/١٩٨٨ م
وحصلت على درجة دكتوراه بتقدير ممتاز.

جـ - نكت أخرى في التعريف

(الوافر)

الشاهد الخامس عشر بعد المائة^(١):

قول الخنساء^(٢):

إِذَا قُبِحَ الْبُكَاءُ عَلَى قَتِيلٍ رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الْحَسَنَ الْجَمِيلَ^(٣)

والشاهد آخر أبيات أربعة ترثي بها أخاها صخرأ^(٤)، وهي:

- (١) الدلائل، رضا: ١٤٠، خفاجي: ٢٠٨، شاکر: ١٨١.
- (٢) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السلمية (١٠٠ - ٢٤ هـ) عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت؛ ووفدت على الرسول ﷺ مع قومها، أكثر شعرها وأجوده في رثاء أخويها (صخر ومعاوية) وكانا قد قُتلا في الجاهلية، وكان لها أربعة أبناء قُتلوا جميعاً في حرب القادسية (١٦ هـ) فقالت: الحمد لله الذي شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ.
- انظر ترجمتها في:
- طبقات فحول الشعراء: ٢٠٣/١ - ٢١٠، الشعر والشعراء: ٣٥٠/١ - ٣٥٤، الأغاني: ٧٦/١٥ - ١١١، جمهرة الأنساب: ٢٦١، خزائن البغداد: ٢٠٨/١، الأعلام: ٨٦/٢.
- (٣) انظر البيت في:
- ديوان الخنساء - طبعة بيروت -: ١١٩، نهاية الإيجاز: ٤٤، الإيضاح: ١٩٠/١، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (١٠٣)، شروح التلخيص - مواهب الفتاح -: ١٠١/٢، مختصر السعيد: ١٠٢/٢، - حاشية الدسوقي -: ١٠٢/٢، عقود الدرر: ٢٨ أ، القول الجيد: ٢٠٨.
- (٤) هو صخر بن عمرو بن الحارث، كان من فرسان بني سليم وغزاتهم، جُرح في غزوة له على بني أسد بن خزيمة، ومرض قريباً من الحول، ثم مات.

أَلَا يَا صَخْرُ إِنَّ أُبْكَيْتَ عَيْنِي لَقَدْ أَضْحَكْتَنِي دَهْرًا طَوِيلًا
بَكَيْتُكَ فِي نِسَاءٍ مُغْوِلَاتٍ وَكُنْتُ أَحَقُّ مَنْ أُبْدَى الْعَوِيلًا
دَفَعْتُ بِكَ الْجَلِيلَ وَأَنْتَ حَيٌّ فَمَنْ ذَا يَدْفَعُ الْخُطْبَ الْجَلِيلًا

وموضع الشاهد قوله: «الحسن الجميل».

والشاهد فيه: أَنَّ تعريف المسند هنا لا يراد به القصر على معنى أن ما عدا البكاء عليه فليس بحسن ولا جميل، وإنَّما المراد تقرير المسند للمسند إليه، وبيان أن ثبوته له أمر مقرر لا يظن فيه ظان، ولا يشك فيه شاك، فالمراد من قول الخنساء تقرير صفة الحسن لبكائه وإثبات أن بكاءه في جنس ما حسنه الحسن الظاهر الذي لا ينكره أحد.

قال الشيخ عبد القاهر:

«لم ترد أن ما عدا البكاء عليه، فليس بحسن، ولم تقيد الحسن بشيء، فيتصور أن يقصر على البكاء كما قصر الأعشى هبة المائة على الممدوح، ولكنها أرادت أن تقره في جنس ما حُسِّنَ الظاهر الذي لا ينكره أحد ولا يشك فيه شاك»^(١).

فالشاعرة هنا استطاعت أن تسكب آلامها، وأحزانها في قالب رائع من الشعر، فأعلنت أَنَّ البكاء على القتلى أمر مستقبح، ولكن أخاها صخرًا ليس كغيره من القتلى، فعرفت المسند بالآلف واللام، لتدل على أن صخرًا قتيلا تعارض الناس على أن البكاء عليه حسن وجميل، فقد عُرف بذلك وشُهر، ولو أنها قالت: «حسن جميل» بالتذكير لم يَخْرُج المعنى عن كون البكاء على القتلى قبيح، والبكاء عليك حسن، وفرق شاسع بين المعنيين.

وتنوين قتيلا للتعظيم أو للتذكير فيفيد الشمول على البدلية^(٢).

انظر ترجمته في:

جمهرة الأنساب: ١٧٢ - ١٩٦ - ٢٦١، الأعلام: ٢٠١/٣.

(١) الدلائل، رضا: ١٤٠، خفاجي: ٢٠٨ - ٢٠٩، شاکر: ١٨١.

(٢) عقود الدرر: ٢٨ ب.

ورأى الفخر الرازي في نهاية الإيجاز أنه لا مانع من اعتبار التعريف هنا مفيداً للحصر على وجه المبالغة. قال:

«وأقول لو جعل ذلك مفيداً للحصر على وجه المبالغة لم يكن فيه خلل»^(١).

الشاهد السادس عشر بعد المائة^(٢): (الطويل)

قول حسان:

وَإِنْ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُو بَنِي مَخْزُومٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ^(٣)

وهو من قصيدة قالها في هجاء أبي سفيان بن الحارث^(٤)، وذلك حين ترامى إلى سمع الرسول ﷺ شعر أبي سفيان، فشق عليه، فندب حسان بن ثابت، وقال: «إن الله ليؤيده بروح القدس».

(١) نهاية الإيجاز: ٤٤.

(٢) الدلائل، رضا: ١٤٠، خفاجي: ٢٠٩، شاکر: ١٨١.

(٣) انظر البيت في:

ديوانه - دار صادر: - ٨٩، زهر الآداب: ٦٣/١، المطول: ١٨٠، عقود الدرر: ٢٨ ب، القول الجيد: ٢٠٩.

(٤) هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو سفيان الهاشمي القرشي (٢٠٠ - ٢٠ هـ)، وهو شاعر مجيد في الجاهلية والإسلام، وهو أخو الرسول ﷺ من الرضاع، كانت بينهما ألفة في صباهما، ولما أظهر الرسول ﷺ دعوته عاداه المغيرة هجاء، وهجا أصحابه، ومكث عشرين سنة عدواً للرسول ﷺ، ثم أسلم قبل فتح مكة هو وأبنة جعفر، وحسن إسلامهما، شهد مع الرسول ﷺ فتح مكة، ثم وقعة حنين وأبلى بلاءً حسناً، وعنه قال الرسول ﷺ: «أبو سفيان بن الحرث سيد فتیان أهل الجنة»، مات رضي الله عنه بالمدينة وصلى عليه عمر بن الخطاب.

انظر ترجمته في:

تاريخ الطبري: ٤٦٢/٢، ٥٠/٣ - ٧٤ - ٧٥، ٦٢٢/٧، الكامل لابن الأثير: ١٦٤/٢، طبقات ابن سعد: ٤٩/٤ - ٥٤، صفة الصفوة: ٥١٩/١ - ٥٢١، الإصابة: ٩٠/٤ - ٩١، رقم (٥٣٨)، عيون الأثر: ١٦٧/٢ - ١٦٨.

وأول القصيدة:

لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ آتِنَ هَاشِمٍ هُوَ الْغُصْنُ ذُو الْأَفْتَانِ لَا الْوَاحِدُ الْوَعْدُ

وقبل الشاهد:

وَمَا لَكَ فِيهِمْ مَحْتِدٌ يَعْرِفُونَهُ فَدُونَكَ فَالْصَّقْ مِثْلَ مَا لَصِقَ الْقُرْدُ^(١)

وبعد الشاهد وبعده:

وَمَا وَلَدْتَ أَفْنَاءَ زَهْرَةٍ مِنْكُمْ كَرِيماً وَلَمْ يَقْرَبْ عَجَائِزَكَ الْمَجْدُ

وموضع الشاهد قوله: «ووالدك العبد».

والشاهد فيه - كسابقه - فتعريف المسند لا يُرَادُ به القصر، بل المراد تقرير المسند للمسند إليه.

فالشاعر هنا أراد أن يقرر العبودية لوالد المهجو، ويثبتها له، ويجعل حاله في العبودية حالة ظاهرة متعارفاً عليها، وهذا أوجع في الهجاء وأنكى من أن يقول: «ووالدك عبد»، فالتنكير ليس فيه إلا الوصف بالعبودية فقط.

قال الشيخ:

«أراد أن يثبت العبودية ثم يجعله ظاهر الأمر فيها، ومعروفاً بها، ولو قال: «والدك عبد» لم يكن قد جعل حاله في العبودية حالة ظاهرة متعارفاً»^(٢).

جاء في عقود الدرر:

«قوله: سنام المجد سنام كل شيء أعلاه، وقيل: كرم الآباء خاصة، ومن آل هاشم بيان لسنام المجد «وآل» بمعنى أهل لكنه خصَّ بالأشراف فلا يقال آل الحجام ولا آل الحائك، ومخزوم أبو حي من قريش سُمي به؛ لأنه كان جميلاً

(١) الْقُرْدُ: دويبة تتعلق بالبعير، ويضرب بها المثل في اللصوق.

انظر: الحيوان: ٥٧/٢، ٤٣١/٥ - ٤٣٥ - ٤٣٨ - ٤٣٩، ٤٣١/٥ - ٤٣٢ - ٤٤١.

(٢) الدلائل، رضا: ١٤٠، خفاجي: ٢٠٩، شاکر: ١٨٢.

طيب الرائحة وأصله من الخُزامي «بالضم» وهو نبت حسن اللون طيب الريح يقول: إن الأكابر من أولاد هاشم هم أولاد بنت مخزوم، وأنت لست مثلهم لأن والدك العبد، وقد كان لعبد المطلب عشرة أولاد من أمهاتٍ شتى، وكانت أم عبدالله، وأبي طالب مخزومية، ولم تكن أم الحرث مثلها في النسب، فلذلك جعله عبداً بالنسبة إليهما»^(١).

الشاهد السابع عشر بعد المائة^(٢):
(الطويل)

قول الآخر:

أَسْوَدُ إِذَا مَا أَبَدَتِ الْحَرْبُ نَابَهَا وَفِي سَائِرِ الدَّهْرِ الْغُيُوثُ الْمَوَاطِرُ^(٣)
أورده الشيخ من غير عزو.

وموضع الشاهد قوله: «الغيوث المواطر».

والشاهد فيه كسابقه، فتعريف المسند باللام لا يفيد هنا القصر بل التقرير.

فالشاعر أراد أن يقرر أنهم هم الذين عُرفوا واشتهروا بأنهم غيوث، وأنهم مواطر، فحالهم هذه ظاهرة للعيان لا يتطرق إليها شك.
الشاهد الثامن عشر بعد المائة^(٤):
(الطويل)

قول ابن الرومي^(٥):

- (١) عقود الدرر: ٢٨ ب.
- (٢) الدلائل، رضا: ١٤٠، خفاجي: ٢٠٩، شاکر: ١٨٢.
- (٣) لم أقف على الشاهد ولا على قائله فيما أطلعت عليه من مصادر.
- (٤) الدلائل، رضا: ١٤١، خفاجي: ٢١٠، شاکر: ١٨٣.
- (٥) ابن الرومي: هو علي بن العباس بن جريج أو جورجيس الرومي، أبو الحسن، شاعر كبير من طبقة بشار والمني، رومي الأصل كان جده من موالي بني العباس، ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها مسموماً، قيل: دَسَّ له السم القاسم بن عبيدالله وزير المعتضد، وكان ابن الرومي قد هجاه، قال المرزباني: لا أعلم أنه مدح أحداً من رئيس أو مرؤوس إلا عاد إليه فهجاه، وكان ينحل مثقالاً الواسطي أشعاره في هجاء القحطبي وغيره، له ديوان شعر مطبوع.

=

هُوَ الرَّجُلُ الْمَشْرُوكُ فِي جُلِّ مَالِهِ وَلَكِنَّهُ بِالْمَجْدِ^(١) وَالْحَمْدِ مُفْرَدٌ^(٢)

وهو من قصيدة له في مدح صاعد بن مخلد^(٣)، ومطلعها:

أَبَيْنَ ضُلُوعِي جَمْرَةً تَتَوَقَّدُ عَلَى مَا مَضَى أَمْ حَسْرَةً تَتَجَدَّدُ

وقبل الشاهد:

لَعَمْرِي لَيْتَنِي أَضَحْتُ وَزَارَةً صَاعِدِ وَزَارَتُهُ شَفَعُ وَذَاكَ بِحَقِّهِ
تُنَنِّي لَقَدْ أَضَحَى كَرِيماً يُوحِدُ كَمَا أَنَّهُ وَتَرٌ إِذَا عُدَّ سُودُّ

وبعدهما الشاهد وبعده:

يُقَرِّضُ إِلَّا أَنَّ مَا قِيلَ دُونَهُ أَرْقُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي فِي حُسَامِهِ
وَيُوصَفُ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُحَدُّ طَبَاعاً وَأَمْضَى مِنْ شَبَاهُ وَأَنْجَدُ

وموضع الشاهد قوله: «هو الرجل المشروك».

والشاهد فيه: تعريف الخبر بالآلف واللام للإشارة إلى بلوغ المسند إليه مبلغ الكمال في الصفة والحقيقة المتصورة في الذهن، أي إذا أردت أن ترى صورة الرجل الذي يشارك الناس في كل ماله، والذي بلغ حد الكمال المتناهي في السماحة والجود المتصور في الذهن، فأنظر إلى هذا الرجل، فهو لم يرد أن يصفه فقط ببلوغ الكمال «كأن هناك أقواماً يشركون في جل أموالهم، وهو أكملهم في هذه الصفة»، ولم يرد أن يقول: «أنه هو الرجل الذي بلغك حديثه، وعرفت

انظر ترجمته:

معجم الشعراء: ٢٨٩ - ٤٤٨. تاريخ بغداد: ٢٣/١٢ - ٢٦، وفيات الأعيان: ٣٥٨/٣.

٣٦٢، الأعلام: ٢٩٧/٤.

(١) رواية الديوان: «بالخير والحمد».

(٢) لم أجده فيما أطلعت عليه من مصادر إلا في:

ديوانه: ٥٨٩/٢.

(٣) سبقت ترجمته عند ترجمة ابنه، أبو عيسى: ٢٨٨.

الشاهد «السادس والأربعون».

من حاله وقصته أنه يشرك في جل ماله» وعلق الشيخ عبد القاهر على هذا الشاهد بقوله:

«... ويزداد هذا المعنى ظهوراً، بأن تكون الصفة التي تريد الإخبار بها عن المبتدأ مُجراً على موصوف كقول ابن الرومي... تقديره كأنه يقول للسامع: فكر في رجل لا يتميز عُفاته وجيرانه، ومعارفه عنه في ماله، وأخذ ما شاؤوا منه، فإذا حصلت صورته في نفسك، فأعلم أنه ذلك الرجل... فإذا علمت أنه لا يريد بقوله: الرجل المشرك في جُلِّ ماله أن يقول: هو الذي بلغك حديثه وعرفت من حاله وقصته أنه يُشرك في جُلِّ ماله على حد قولك: هو الرجل الذي بلغك أنه أنفق كذا والذي وهب المائة المصطفاة من الإبل، ولا أن يقول إنه على معنى: هو الكامل في هذه الصفة حتى كأن ههنا أقواماً يُشركون في جُلِّ أموالهم إلا أنه في ذلك أكمل وأتم؛ لأن ذلك لا يتصور، وذاك أن كون الرجل بحيث يُشرك في جُلِّ ماله ليس معنى يقع فيه تفاضل، كما أن بذل الرجل كل ما يملك كذلك، ولو قيل: الذي يشرك في ماله جاز أن يتفاوت، وإذا كان كذلك علمت أنه معنى ثالث، وليس إلا ما أشرت إليه من أنه يقول للمخاطب: ضع في نفسك معنى قولك: «رجل مشرك في جُلِّ ماله» ثم تأمل فلاناً، فإنك تستملي هذه الصورة منه وتجده يؤديها لك نصاً ويأتيك بها كمالاً»^(١).

ورأى الشيخ عبد القاهر أن هذا الوجه دقيق المسلك يقف عنده المتأمل بين العارف والمنكر، وهو عنده فنٌ عجيب الشأن، وله مكان من الفخامة والنبل، وهو من سحر البيان الذي تقصر العبارة عن تأدية حقه، والمعول فيه على مراجعة النفس واستقصاء التأمل^(٢).

الشاهد التاسع عشر بعد المائة^(٣):

(الطويل)

أَنَا الرَّجُلُ الْمَدْعُوُّ عَاشِقُ فَقْرِهِ إِذَا لَمْ تُكَارِمْني صُرُوفُ زَمَانِي^(٤)

(١) الدلائل، رضا: ١٤١ - ١٤٢، خفاجي: ٢١٠، شاکر: ١٨٣ - ١٨٤.

(٢) الدلائل، رضا: ١٤٢، خفاجي: ٢١١، شاکر: ١٨٤.

(٣) الدلائل، رضا: ١٤١، خفاجي: ٢١٠، شاکر: ١٨٣.

ذكره الشيخ من غير نسبة ولكن يفهم من سياق الكلام أن البيت لابن الرومي^(١).

موضع الشاهد قوله: «أَنَا الرَّجُلُ الْمَدْعُو».

والشاهد فيه: كسابقه وهو الإشارة إلى أن المسند إليه بلغ مبلغ الكمال في الصفة والحقيقة المتصورة في الذهن.

فالشاعر يريد أن يمدح نفسه بالكرم المتناهي الذي لا يوجد له مثل في عالم الحقيقة بل يوجد في الصور النفسية المتخيلة فأراد أن يقول: إذا أردت أن تتعرف على صورة الكرم الحقيقية المتصورة في الذهن ماثلة في صورتها العليا، فأنظر إليَّ فَإِنِّي ذلك الرجل. فالشاعر بهذا الأسلوب ينقلنا من عالم الواقع إلى عالم الذهن حيث تتخذ الصور معانيها الحقيقية ومثلها العليا.

ورأى الشيخ عبد القاهر أن هذا المعنى تسكن إليه النفس سكون الصادي إلى برد الماء لحسنه وقوة تأثيره في النفس. قال:

«وإن أردت أن تسمع في هذا المعنى ما تسكن النفس إليه سكون الصادي إلى برد الماء فاسمع قوله:

أَنَا الرَّجُلُ الْمَدْعُو عَاشِقٌ فَقَرِهْ إِذَا لَمْ تُكَارِمْني صُرُوفُ زَمَانِي»^(٢)

الشاهد العشرون بعد المائة^(٣):
(الكامل)

قوله:

= (٤) لم أقف على الشاهد فيما رجعت إليه من مصادر.

(١) كذلك نسبة الأستاذ عبد السلام هارون في كتابه معجم شواهد العربية: ٣٩٦، لابن الرومي.

(٢) الدلائل، رضا: ١٤٢، خفاجي: ٢١٠ - ٢١١، شاکر: ١٨٤.

(٣) الدلائل، رضا: ١٤٢، خفاجي: ٢١١، شاکر: ١٨٤.

أَهْدَى^(١) إِلَيَّ أَبُو الْحُسَيْنِ يَدَا أَرْجُو الثَّوَابَ بِهَا لَدَيْهِ غَدَا
وَكَذَلِكَ عَادَاتُ الْكَرِيمِ إِذَا أُولَى^(٢) يَدَا حُسِبَتْ عَلَيْهِ يَدَا^(٣)
إِنْ كَانَ يَحْسُدُ نَفْسَهُ أَحَدٌ فَلَا تُعْمَنُكَ ذَلِكَ الْأَحْدَا^(٤)

ذُكِرَتِ الْآيَاتُ فِي الدَّلَائِلِ مِنْ غَيْرِ نَسَبَةٍ وَلَكِنْ فُهِمَ مِنَ السِّيَاقِ أَنَّهَا لِابْنِ
الرُّومِيِّ وَهُوَ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ قَالَهَا فِي مَدْحِ الْقَاسِمِ^(٥)، وَبَعْدَ الشَّاهِدِ:
يَوْمَ يُنَارُ بِهِ نَدَى غَدَه لَا زَالَ دَأْبُكَ هَكَذَا أَبَدَا
يَا مَنْ يُسَاجِلُ نَفْسَهُ حَسَدًا أَحْسَنْتَ حِينَ حَسَدْتَهَا الْحَسَدَا
يَا رَبَّ آيَسُهُ فَأَحْسَبُهُ مُسْتَوْجِبًا مِمَّا قَدْ أَنْفَرَدَا
وموضع الشاهد قوله: «ذلك الأحدا».

وهو كالشاهدين السابقين، فالألف واللام هنا للإشارة إلى أن المسند إليه
بلغ مبلغ الكمال في الحقيقة والصفة المتصورة في الذهن.

(١) رواية الديوان: «أسدى».

(٢) رواية الديوان: «أسدى».

(٣) ذكر في الديوان بعد البيت الثاني وقبل البيت الثالث قوله:

فَإِذَا إِجَازَةٌ مَا يُسَامُ وَلَا يَلْقَى مُطَالِبُهُ بِهِ نَكْدَا

(٤) لم أجد الآيات فيما رجعت إليه من مصادر إلا في:

ديوان ابن الرومي - تحقيق حسين نصار - ٧٨٦/٢.

(٥) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب (٢٥٨ هـ - ٢٩١ هـ)، كان من دهاة العالم، ومن
أفاضل الوزراء، وكان شهيراً فاضلاً كيباً محصلاً كريماً مهيباً جباراً، وكان يُطعن في دينه،
وكان سفاكاً للدماء، كانت أول ولايته للوزارة في عهد المعتضد، وكان ابن الرومي منقطعاً
لأل وهب يمدحهم وكانوا يقصرون في حقه في بعض الأوقات فهجاهم، ويروى أن
القاسم بن عبيد الله هو الذي قتل أبين الرومي بالسّم. وتوفي القاسم في خلافة المكتفي.
انظر ترجمته:

الفخري في الأدب السلطانية: ٢٥٧، وأنظره في سيرة والده سير أعلام النبلاء:

٤٩٧/١٣ - ٤٩٨، الأعلام: ١٧٧/٥.

ورأى الشيخ عبد القاهر أن هذا الشاهد أعجب من سابقه في الحسن والدلالة.

فالشاعر هنا صور ممدوحه بصورة نادرة، فهو لا يمن في عطائه، ولا يعطي السائل تفضلاً، وإنما عطاؤه لسماحته كالهدية، فلا يحسُّ الأخذ حرجاً، ولا المأ في النفس، ثم امتدح فعلته هذه وأثنى عليها بأن يد الكرماء الحقيقيين لا تكون إلا هكذا، ولم يهدأ الشاعر حتى جعل ممدوحه مثلاً لا تتحقق صورته إلا في عالم الأذهان، فإن كانت هناك صورة رجل يحسد نفسه لشدة كرمه وجوده - وهذا أمر لا يحدث على بساط الواقع - فلن يكون ذلك الرجل إلا الممدوح.

قال الشيخ عبد القاهر:

«وإن أردت أعجب من ذلك فقوله

فهذا كله على معنى الوهم والتقدير، وأن يُصوّر في خاطره شيئاً لم يره، ولم يعلمه ثم يجريه مجرى ما عهد وعلم»^(١).

الشاهد الحادي والعشرون بعد المائة^(٢):

(الطويل)

أُخْوِكَ الَّذِي إِنْ تَدْعُهُ لِمِلْمَةٍ^(٣) يُجِبْكَ وَإِنْ تَغْضَبَ إِلَى السَّيْفِ يَغْضَبُ^(٤)

البيت في الدلائل من غير عزو.

وهو لحجية بن المضرب^(٥)، من قصيدة قالها حين عاتبته زوجته، وغضبت

(١) الدلائل، رضا: ١٤٢، خفاجي: ٢١١، شاکر: ١٨٤.

(٢) الدلائل، رضا: ١٤٣، خفاجي: ٢١١، شاکر: ١٨٤.

(٣) رواية الأغاني للبيت:

أَخِي وَالَّذِي إِنْ أَدْعُهُ لِعَظِيمَةٍ يُجِبْنِي وَإِنْ أَعْضَبَ إِلَى السَّيْفِ يَغْضَبُ

(٤) أنظر البيت في:

الحماسة - تحقيق عسلان -: ٦٠٢/١، الأغاني: ٣١٨/٢٠، المؤلف والمختلف: ٨٥،

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١١٧٦/٣، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٩٩/٣.

(٥) هو أحد بني معاوية بن عامر بن عوف بن سلمة بن شكامة بن شبيب ابن أشرم السكوني، وكنيته أبو حوط، وكان سيداً مقدماً وشاعراً فارساً، وكان حليفاً في بني ربيعة بن ذهل بن =

منه، لصرفه إبله لبني أخيه اليتامي^(١)، ومطلعها:
لَجِجْنَا وَلَجَّتْ هَذِهِ فِي التَّغْضِبِ وَسَدَّ^(٢) الْحِجَابِ بَيْنَنَا وَالتَّنْقِبِ

وقبل الشاهد:

عِيَالِي أَحَقُّ أَنْ يَنَالُوا خَصَاصَةً وَأَنْ يَشْرَبُوا رَنْقًا لَدَى كُلِّ^(٣) مَشْرَبٍ
حَبَوْتُ بِهَا قَبْرَ أَمْرِيءَ لَوْ أَتَيْتُهُ حَرِيْبًا لَأَسَانِي لَدَى كُلِّ مَرْكَبٍ^(٤)

وبعدهما الشاهد وهو آخر بيت في القصيدة.

موضع الشاهد قوله:

«أَخْوَكَ الَّذِي إِنْ تَدْعُهُ...»

فـ «الذي» هنا أفادت بلوغ المسند إليه مبلغ الكمال في الصفة المتصورة في الذهن والخطر.

شيبان، وهو نصراني عاش في الجاهلية، وأدرك الإسلام، وقد أسلمت زوجته «زينب»، وذلك في عهد عمر بن الخطاب، وكانت قد قصدت المدينة، فلحق بها زوجها يطلبها، ونزل بالزبير بن العوام، ولكنه انصرف إلى بلده حزينا آيساً من رجوع زوجته. انظر ترجمته في:

الاشتقاق: ٣٧١، الأغاني: ٣١٦/٢٠ - ٣١٩، المؤلف والمختلف: ٨٥، ١٨٣، ١٨٤، ٢٣٤، ٤٠٧، سمط اللآلي: ٢٠٤/١ - ٢٠٥.

(١) وملخص القصة: أنه كان لحجية بن المضرب أخوان، المنذر بن المضرب، ومعدان بن المضرب، فمات معدان، وترك أولاداً، فأغبر عليهم، فأخذت إبلهم، وحطمتهم السنة، فأعطى حجية إبله لأولاد أخيه، وأريحت عن آخرها إليهم، فغضبت زوجته من ذلك غضباً شديداً، فأنشأ حجية الأبيات.

انظر القصة مفصلة في:

الأغاني: ٣١٦/٢٠ - ٣١٨، المؤلف والمختلف: ١٨٣ - ١٨٤، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١١٧٦/٣، رقم (٤٣٧).

(٢) رواية الأغاني «لَطَّ»: واللط بمعنى الستر.

(٣) رواية الأغاني: «إلى حين مكسي».

(٤) رواية الأغاني لهذا البيت:

أَحَابِي بِهَا مَنْ لَوْ قَصَدْتُ لِمَالِهِ حَرِيْبًا لَأَسَانِي عَلَى كُلِّ مَوْكَبٍ

فالشاعر يريد أن يكشف للنفوس حقيقة الأخوة، فإذا أردت أن تعرف تلك الحقيقة، وذلك المثل الأعلى، والذي لا يكون إلا في عالم التقدير والخطر، فأنظر إلى هذا الأخ الذي إن تستصرخه في ضيق وملمة أسرع لنجدتك، وإن ألم بك خطب طار إليك وغضب لغضبك، وحقيقة الأخوة هذه لا تتمثل إلا في هذا الأخ الذي هذه صفته فأعرفه.

قال الشيخ عبد القاهر:

«وليس شيء أغلب على هذا الضرب الموهوم من «الذي» فإنه يجيء كثيراً على أنك تقدر شيئاً في وهمك ثم تعبر بالذي»^(١).

الشاهد الثاني والعشرون بعد المائة^(٢):

(الطويل)

أُخْوَك الَّذِي إِنْ رَبَّتَهُ^(٣) قَالَ: إِنَّمَا^(٤) أُرَبِّتَ^(٥) وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لَأَنْ جَانِبُهُ^(٦)
ذكره الشيخ من غير نسبة.

والبيت لشاربن برد^(٧) من قصيدته التي يمدح بها مروان بن محمد بن

مروان^(٨).

(١) الدلائل، رضا: ١٤٢-١٤٣، خفاجي: ٢١١، شاکر: ١٨٤.

(٢) الدلائل، رضا: ١٤٣، خفاجي: ٢١١، شاکر: ١٨٥.

(٣) أي أتيت بما يرتاب فيه. اللسان «ريب»: ٤٤٣/١.

(٤) رواية الحماسة:

«أُخْوَك الَّذِي إِنْ تَدْعُهُ لِمِلَّةٍ يُجِبْكَ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لَأَنْ جَانِبُهُ»

(٥) أُرَبِّتَ: أي انتفت عنك الربة، وورد في اللسان أن الرواية الصحيحة أُرَبِّتُ بضم التاء أي

أخوك الذي إن ربته بريبة قال: أنا الذي أُرَبِّتُ أي أنا صاحب الريبة، حتى تُتَوَهَّم فيه

الريبة، ومن رواه أُرَبِّتُ بفتح التاء، فإنه زعم أن ربته بمعنى أوجبت له الريبة فأما أُرَبِّتُ

بالضم فمعناه أوهمته الريبة، ولم تكن واجبة مقطوعاً بها. اللسان «ريب»: ٤٤٣/١.

(٦) انظر البيت في:

ديوان بشار، تحقيق الطاهر بن عاشور: ٣٢٥/١، الحماسة البصرية: ٣٤/٢، شرح ديوان

الحماسة للتبريزي: ١٤٢/٢.

(٧) وذكر في اللسان أنه يُنسب أيضاً للمتلِّم.

(٨) سبقت الترجمة له، انظر: ٣٠٦ من الكتاب.

ومطلعها:

جَفَا وَدُهُ فَازَوْرَّ أَوْ مَلَّ صَاحِبُهُ وَأَزْرَى بِهِ أَنْ لَا يَزَالَ يُعَايِبُهُ
موضع الشاهد قوله: «أَخُوكَ الَّذِي إِنَّ رَبَّتَهُ».

والشاهد فيه: أن «الذي» هنا أضفت على المسند إليه خاصية الكمال
الموجود في الوهم والخطر.

فصورة الأخ، ومعنى الأخوة إنما هي صورة ذهنية، فإن أردت أن تراها
متمثلة، فهي في ذلك الأخ الذي مهما أتيت بأفعال مربية ظاهرة، فهو يكذب
حدثه وظنه؛ لفرط ثقته فيك، ويقول انتفت عنك الريبة.

وكذلك يكفيه منك العتاب ليعود إليك لين الجانب طائعاً مختاراً.

قال الشيخ عبد القاهر:

«فهذا ونحوه على أنك قدرت إنساناً هذه صفته، وهذا شأنه، وأحلت
السامع على من يتعين في الوهم دون أن يكون قد عرف رجلاً بهذه الصفة،
فأعلمته أن المستحق لاسم الأخوة هو ذلك الذي عرفه حتى كأنك قلت: أخوك
زيد الذي عرفت أنك إن تدعه لِمِلْمَةٍ يُجِبْكَ، ولكون هذا الجنس معهوداً من
طريق الوهم والتخيل جرى على ما يوصف بالاستحالة كقولك للرجل وقد تَمَنَّى:
هذا هو الذي لا يكون، وهذا ما لا يدخل في الوجود»^(١).

الشاهد الثالث والعشرون بعد المائة^(٢): (الكامل)

مَا لَا يَكُونُ فَلَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ أَبَدًا وَمَا هُوَ كَائِنٌ سَيَكُونُ^(٣)^(٤)

(١) الدلائل، رضا: ١٤٣، خفاجي: ٢١١، شاکر: ١٨٥.

(٢) الدلائل: شاکر ١٨٥.

(٣) رواية الأغاني: «وما هو كائن فيكون».

(٤) لم أقف على البيت فيما رجعت إليه من مصادر إلا في:

الكامل - مكتبة المعارف -: ٢٣٦/١، الأغاني: ٩٢/٢٠.

أورده الشيخ من غير عزو، وهو لعبدالله بن محمد بن أبي عيينة^(١) من قصيدة قالها للذي اليمينين^(٢).

وقبل بيت الشاهد:

لَمَّا رَأَيْتُكَ قَاعِدًا مُسْتَقْبِلًا أَيْقَنْتُ أَنَّكَ لِلْهُمُومِ قَرِيبُ
فَارْفُضْ بِهَا وَتَعَرَّ مِنْ أَثْوَابِهَا إِنْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْقَضَاءِ يَقِينُ

وبعدهما الشاهد وبعده:

يَسْعَى الذِّكْيُ فَلَا يَنَالُ بِسَعْيِهِ حَظًّا وَيَحْظَى عَاجِزٌ وَمَهِينُ
سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي وَقْتِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ مُتَعَبٌ مُحْزُونُ^(٣)

أتى الشيخ عبد القاهر بهذا البيت؛ ليدل على أن الصور المعهودة من طريق الوهم والتخيل تجري مجرى الوصف المستحيل، فهي لا وجود لها في الواقع، فمعنى الاستحالة فيها، كمعنى الاستحالة في البيت، وهو أن الشيء غير المقدر مستحيل الوقوع ولو بذلت الحيل لوقوعه، وكذلك الصور المتخيلة فإنها مستحيلة الوجود.

(١) سبقت ترجمته. انظر: ٣٤٩.

وجاء في الأغاني أن الأبيات وجدت منقوشة على حجر في بعض أفنية مكة، وأنشدها جماعة لأبي عيينة.

(٢) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي (١٥٩ هـ - ٢٠٧ هـ) أبو الطيب، وأبو طلحة من كبار الوزراء والقواد أديباً وحكماً وشجاعاً، وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي وقتل الأمين سنة (١٩٨ هـ)، ولاه المأمون شرطة بغداد ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب وخراسان، وكان في نفس المأمون شيء عليه لقتله الأمين من غير مشورته، قتله أحد غلمانه، وقيل: مات مسموماً، ولُقِبَ بذي اليمينين؛ لأنه ضرب رجلاً بشماله فَقَدَهُ نصفين، أو لأنه ولي العراق وخراسان.

انظر ترجمته في:

تاريخ الطبري: ٤١٥/٨، ٥٨٢، ٥٩٣، تاريخ بغداد: ٣٥٣/٩ - ٣٥٥، ابن الأثير: ١٤٣/٥ - ٢٠٥، وفيات الأعيان: ٥١٧/٢ - ٥٢٣، شذرات الذهب: ١٦/٢، الأعلام: ٢٢١/٣.

(٣) الكامل، مكتبة المعارف: ٢٣٥/١ - ٢٣٦.

(الطويل)

الشاهد الرابع والمشرون بعد المائة^(١):

وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ^(٢) إِلَى ظِلِّ صَاحِبٍ يَرُوقُ وَيَصْفُو إِنْ كَدَرْتُ عَلَيْهِ^(٣)

أورد الشيخ البيت من غير عزو، وهو لأبي العتاهية^(٤).

وبعده:

عَذِيرِي^(٥) مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَا لِي وَلَا إِنْ كُنْتُ^(٦) طَوَعَ يَدِيهِ^(٧)

ساق الشيخ عبد القاهر البيت للتنظير لمعنى الصديق الوفي، وأنه لا يعلم له وجود، ورأى أنه من لطيف المعاني. قال:

-
- (١) الدلائل، رضا: ١٤٣، خفاجي: ٢١٢، شاکر: ١٨٥.
- (٢) رواية محاضرات الأدباء والكشكول: ٢٦٧/٣/٢: «وَإِنِّي لَمُحْتَاجٌ» ويبدو أن رواية الدلائل والديوان أجمل؛ لأن فيها تلهفاً على هذا الصديق النادر.
- (٣) لم أجد البيت فيما رجعت إليه من مصادر إلا في: ديوان أبي العتاهية: ٢٨٧، محاضرات الأدباء - دار الآثار: - ٢٥٠، الأغاني: ٣٤٦/١١، المخلاة - عالم الكتب -: ٥١٦، الكشكول: ١٤/١/١، ٣٦٧/٤/٢.
- (٤) أبو العتاهية: هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان (١٣٠ هـ - ٢١١ هـ) مولى عَنَزَة، وكنيته أبو إسحاق، وأبو العتاهية لقب غلب عليه. منشؤه بالكوفة، وكان في أول أمره يتخنّث، ثم كان يبيع الفُخَّار بالكوفة، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم، ويقال: أطبع الناس بشار والسيد وأبو العتاهية. كان يجيد القول في الزهد والمديح وأكثر أنواع الشعر في عصره انظر ترجمته في:
- الشعر والشعراء: ٧٩٥/٢، طبقات ابن المعتز: ٢٢٧ - ٢٣٤، تاريخ الطبري: ١٧٠/٨، ٣٠١، ٣٠٩، ٦١٨، ٦٥٨، ١٨٩/٩، الأغاني: ١/٤ - ١١٢، تاريخ بغداد: ٢٥٠/٦ - ٢٦٠، ميزان الاعتدال: ٢٤٥/١، سير أعلام النبلاء: ١٩٥/١٠، وفيات الأعيان: ٢١٩/١ - ٢٢٦، الأعلام: ٣٢١/١.
- (٥) رواية المخلاة: «عزيري».
- (٦) رواية الأغاني والمخلاة والكشكول:
- «وَلَا إِنْ صِرْتُ»
- (٧) الديوان: ٢٨٨، المخلاة: ٧٦.
- وذكر هذا البيت في الأغاني، والكشكول: ١٤/١/١ قبل بيت الشاهد.

«ومن لطيف هذا الباب قوله... البيت، قد قَدَّرَ كما ترى ما لم يعلمه موجوداً، ولذلك قال المأمون: خذ مِنِّي الخلافة وأعطني هذا الصاحب، فهذا التعريف الذي تراه في الصاحب لا يعرض فيه شك أنه موهوم»^(١).

الشاهد الخامس والعشرون بعد المائة^(٢):

أَبُوكَ حُبَابُ^(٣) سَارِقُ الضَّيْفِ بُرْدَهُ وَجَدِّي يَا حَجَّاجُ^(٤) فَارِسُ شَمَّرَا^(٥) (الطويل)

والشاهد أورده الشيخ من غير نسبة^(٧).

وهو لجميل بن معمر^(٨)، أو لحري بن نهشل^(٩).

(١) الدلائل، رضا: ١٤٣، خفاجي: ٢١٢، شاکر: ١٨٥.

(٢) الدلائل، رضا: ١٤٥، خفاجي: ٢١٣، شاکر: ١٨٨.

(٣) رواية حماسة البحتري «أبوك هَنَابُ» ومعناه خبيث ماکر.

(٤) رواية العقد الفريد «يا شَمَّاخ».

ورواية اللسان: «يا عَبَّاس».

(٥) شمر: اسم فرس، وينشد بفتح الشين وكسرهما، فإذا فتحت، فهو مسمى بالفعل الماضي كما سمي الرجل خضم؛ لكثرة أكله ويكون على هذا مأخوذاً من قولهم: شَمَّرَ ثوبه. التبريزي: ١٦٥/١.

(٦) انظر البيت في:

الحماسة لأبي تمام - تحقيق عسيلان -: ١٨٦/١، رقم (١٠٤)، الحماسة للبحتري: ٢٢٠،

العقد الفريد: ١٣٠/٦، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٣١٥/١، رقم (١٠٢)، شرح

ديوان الحماسة للتبريزي: ١٦٥/١، شذور الذهب، لابن عقيل «موانع الصرف»: ٥٣٩،

اللسان: مادة «شمر»: ٤٢٩/٤.

(٧) وكذلك في الحماسة للمرزوقي وشذور الذهب، ولسان العرب، ذكر البيت من غير نسبة.

(٨) وجاء ذلك في الحماسة للبحتري - تحقيق عسيلان -، وأضاف المحقق أنه ينسب أيضاً لزيادة.

وكذلك تُنسب لجميل بن معمر في العقد الفريد، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي.

(٩) وجاء ذلك في الحماسة للبحتري، وأمالى المرتضى.

وحري بن نهشل هو: حري بن ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم، هجاء

شَمَّاس بن أسود الطهوي، فقال:

وبعد بيت الشاهد:

بُنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ لَأَبَاءِ صِدْقٍ^(١) يَلْقَهُمْ حَيْثُ سِيرًا^(٢)
أَرَى كُلَّ عُودٍ نَابِتًا فِي أَرْوَمَةٍ أَبِي مَنِيتُ^(٣) الْعِيدَانِ أَنْ يَتَغَيَّرَا^(٤)
فَإِنْ تَغَضُّبُوا مِنْ قِسْمَةِ اللَّهِ حَظَّكُمْ فَلَلَهُ إِذْ^(٥) لَمْ يُرْضِكُمْ كَانَ أَبْصَرَا

والبيت شاهد على أنه إذا تكافأ الاسمان في التعريف^(٦) اقتضى ذلك أن يختلف المعنى بحسب المقدم فالمبتدأ لم يكن مبتدأ لأنه منطوق به أولاً، ولا كان الخبر خبراً؛ لأنه مذكور بعد المبتدأ، بل كان المبتدأ مبتدأ؛ لأنه مسند إليه ومثبت له المعنى، والخبر خبر؛ لأنه مسند ومثبت به المعنى^(٧).

وقال في موضع آخر:

«فمتى رأيت اسم فاعل أو صفة من الصفات قد بُدِء به فجعل مبتدأ وجعل الذي هو صاحب الصفة في المعنى خبراً، فأعلم أن الغرض هناك غير الغرض إذا كان اسم الفاعل، أو الصفة خبراً كقولك: زيد المنطلق. واعلم أنه ربما اشتبهت الصورة في بعض المسائل من هذا الباب حتى يُظَنُّ أنَّ المعرفتين

= أَعْرَكَ يَوْمًا أَنْ يُقَالَ ابْنُ دَارِمٍ وَتُقْضَى كَمَا يُقْضَى مِنَ الْبَرْكِ أَجْرَبُ

انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٥١٠/٢، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٣٦/٢.

(١) رواية حماسة البحرري، والعقد الفريد «لأباء سوء»، ورواية أمالي المرتضى «لوالد سوء يلقه».

(٢) ذكر هذا البيت في حماسة البحرري مكان البيت الثالث، ولم يذكر البيت الرابع، وكذلك ذكر في أمالي المرتضى مكان البيت الثالث، ولم يذكر سوى البيتين «الثاني والثالث»، وذكر في المختار من شعر بشار البيتان «الثالث والرابع».

(٣) رواية حماسة البحرري، وأمالي المرتضى «أبي نَسَبُ الْعِيدَانِ».

(٤) لم يرد هذا البيت في «العقد الفريد» وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

(٥) رواية العقد الفريد: «فيكم».

(٦) إذا تكافأ الاسمان في التعريف أفاد ذلك القصر عن طريق تعريف الطرفين إلا أن تقدم أحدهما على الآخر فيه زيادة معنى.

(٧) الدلائل، رضا: ١٤٦، خفاجي: ٢١٤، شاکر: ١٨٩.

إذا وقعتا مبتدأ وخبراً لم يختلف المعنى فيهما بتقديم وتأخير، ومما يوهم ذلك قول النحويين في «باب كان»: إذا اجتمع معرفتان كنت بالخيار في جعل أيهما شئت اسماً والآخر خبراً كقولك: كان زيد أخاك، وكان أخوك زيداً، فيظن من ههنا أن تكافؤ الاسمين في التعريف يقتضي أن لا يختلف المعنى بأن تبدأ بهذا، وتثني بذلك، وحتى كأنَّ الترتيب الذي يدعى بين المبتدأ والخبر وما يوضع لهما من المنزلة في التقدم والتأخر يسقط ويرتفع إذا كان الجزآن معاً معرفتين^(١).

فالشاعر في هذا الشاهد قدَّم المبتدأ «أبوك» على الخبر «سارق الضيف» وقدَّم كذلك المبتدأ «جَدِّي» على الخبر «فَارِسُ شَمْرًا»^(٢)، ولم يقل سارق الضيف أبوك، وفَارِسُ شَمْرٍ جَدِّي؛ لأنَّ أمر السرقة قد كان، وعَرَف السامع كونه، إلا أنه شك في الفاعل، فأثبت الشاعر إثباتاً قاطعاً لا مجال للشك فيه، بأن الخبث والسرقة كانا من والد المهجو، فهو مشهور بذلك، فجعل الأمر بعد أن كان على سبيل الجواز حادثاً بالوجوب والقطع، وهذا أنكى وأوجع في الهجاء من أنه لو قال سارق الضيف برده أبوك؛ لأنَّ حصول السرقة هنا أغنى عن إخبار مخبر وإثبات مثبت سرقة البُرد فجعل السامع عالماً بالسرقة لكنه يجهل فاعلها أصلاً، فليس هناك شك في الفاعل، وهذا خلاف مراد الشاعر، فالشاعر يريد أن يبين أن والد المهجو ممن يُشكَّ فيه أولاً ثم إثبات ذلك على سبيل الوجوب.

ورأى الشيخ الصَّبَّان أنَّ إضافة سارق إلى الضيف قد تكون من إضافة اسم الفاعل إلى فاعله، والمعنى عليه أنه يرمي أباه بالجبن حتى أن الضيف الذي من عادته أن يكون خجلاً مستكيناً وكأنه أسير عند مضيفه يسرق برده.

(١) الدلائل، رضا: ١٤٤، ١٤٥، خفاجي: ٢١٢، ٢١٣، شاکر: ١٨٧.

(٢) أبوك: مبتدأ وهو مضاف وضمير المخاطب مضاف إليه، وحباب خبر المبتدأ. وسارق الضيف صفة لحباب، وأصله سارق بُرد الضيف لكن أضافه إلى الضيف؛ لأنه على قولهم: سرقت الضيف بُردَه، المراد سرقت من الضيف لكنه لما حذف الجار تخفيفاً، وصل الفعل فعمل فيه ثم أضاف اسم الفاعل إليه. ويجوز أن يكون حباب بدلاً، وسارق الضيف خبراً. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٣١٥/١، وهذا الوجه فيما يبدو هو الذي اختاره الشيخ عبد القاهر، وبنى عليه الشاهد.

ورجح ابن هشام أنه من قبيل إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله فهو أقوى في معنى الهجاء، والمراد على ذلك أنه خبيث دنيء حتى أنه ليضيف الناس ليخدعهم عن أموالهم ويسرقها منهم^(١).

فالفرق في بيت الشاهد كالفرق بين «زيد المنطلق» و«المنطلق زيد» ولكي يتضح الفرق في الشاهد لا بد من عرض كلام الشيخ في هذا الموضع. قال:

«وأما قولنا: المنطلق زيد والفرق بينه وبين «زيد المنطلق»، فالقول في ذلك أنك، وإن كنت ترى في الظاهر أنهما سواء من حيث كون الغرض في الحالين إثبات انطلاق قد سبق العلم به لزيد، فليس الأمر كذلك، بل بين الكلامين فصل ظاهر، وبيانه أنك إذا قلت: زيد المنطلق، فأنت في حديث انطلاق قد كان، وعرف السامع كونه إلا أنه لم يعلم أمن زيد كان أم من عمرو؟ فإذا قلت: زيد المنطلق، أزلت عنه الشك، وجعلته يقطع بأنه كان من زيد بعد أن كان يرى ذلك على سبيل الجواز، وليس كذلك إذا قدمت «المنطلق»، فقلت: المنطلق زيد: بل يكون المعنى حينئذٍ على أنك رأيت إنساناً ينطلق بالبعد منك، فلم يثبت ولم تعلم أزيد هو أم عمرو، فقال لك صاحبك، المنطلق زيد أي هذا الشخص الذي تراه من بعد هو زيد»^(٢).

والشاهد يستشهد به النحاة على منع «شمر» من الصرف لكونه علماً موازناً للفعل، فهو على وزن قدم وكرم وكلم ونحو ذلك وهذا وزن لا يكون إلا للفعل^(٣).

الشاهد السادس والعشرون بعد المائة^(٤):

(الوافر)

قول جرير^(٥):

(١) شذور الذهب «منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب» محمد محيي الدين عبد الحميد: ٥٤٠.

(٢) الدلائل، رضا: ١٤٤، خفاجي: ٢١٢، شاکر: ١٨٦.

(٣) انظر: شذور الذهب: ٥٤٠.

(٤) الدلائل، رضا: ١٤٦، خفاجي: ٢٤١، شاکر: ١٨٨.

(٥) ذكر البيت غير منسوب في:

المقتضب، الخصائص، الإعجاز والإيجاز، شرح المفصل.

الُسْتُمَ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا

ذكر الشيخ صدر البيت فقط، وعجزه:

وَأُنْذَى الْعَالَمِينَ بِطُورٍ رَاحٍ^(١)

وهو من قصيدة^(٢) في مدح عبد الملك بن مروان^(٣)، ومطلعها:

(١) انظر البيت في:

ديوان جرير: ٩٨، مجاز القرآن: ٣٦/١، معاني القرآن للأخفش الأوسط: ٥٦/١، ١٨٣،
المقتضب: ٢٩٢/٣، الفاضل: ١٠٩، الخصائص: ٢٦٩/٣، ٤٦٣/٢، المصون: ٢١،
الإعجاز والإيجاز: ١٤٨، زهر الأداب: ١١٥٨/٤، العمدة: ١٣٩/٢، بهجة المجالس
وأنس المجالس: ٥٠٨/٢، ذيل الأمالي والنوادر: ٤٤، المحاسن والمساوي: ٢١٢،
المقتصد في شرح الإيضاح: ٨٣٠/٢، الرسالة الشافية «ضمن ثلاث رسائل في إعجاز
القرآن»: ١٤٣، الممتع في صنعة الشعر: ٢٨٣، شرح المفصل: ١٢٣/٨، المغني لابن
هشام: ١٧/١، شرح شواهد المغني: ٤٢/١، الإيضاح: ٢٣٨/١، شرح أبيات الإيضاح -
فيض الله -: ٣٩ أ، شروح التلخيص «عروس الأفراح»: ٢٥٠/٢.

(٢) مدح جرير الحجاج مدحاً ملأ الأرض، وبلغ أهل الشام، وأمير المؤمنين عبد الملك بن
مروان، واتفق أن أرسل الحجاج جريراً إلى أمير المؤمنين فأخذ يسمعه مديحه للحجاج:
صَبَرْتُ النَّفْسَ يَابْنَ أَبِي عَقِيلٍ مُحَافِظَةً فَكَيْفَ تَرَى الثُّوَابَا
حتى إذا أنشده قوله:

مَنْ سَدَّ مَطْلَعَ النَّفَاقِ عَلَيْهِمْ أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الْحَجَّاجِ
أَمَّنْ يَغَارُ عَلَى النِّسَاءِ حَفِيظَةً إِذْ لَا يَثْقَنُ بِغَيْرَةِ الْأَزْوَاجِ
غضب الخليفة، وحجب عنه جريراً حتى تشفع له بعض القوم، فدخل على الخليفة مادحاً،
وقال قصيدته هذه حتى وصل إلى قوله:

الُسْتُمَ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا...

فاستأنس الخليفة بذلك، وقال: من أراد أن يمدحنا فليمدحنا بمثل هذا وإلاً، فلا، ثم
أجزل لجرير العطاء.

أنظر: القصة مفصلة في ذيل الأمالي والنوادر: ٤٣ - ٤٤.

(٣) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة الفقيه، أبو الوليد
(٢٦ هـ - ٨٦ هـ) تملك بعد أبيه الشام ومصر، ثم حارب ابن الزبير الخليفة، وقتل أخاه =

أَتَضْحَوْبَلْ^(١) فُوَاذُكَ غَيْرُ صَاحٍ عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّوَّاحِ

وقبل بيت الشاهد:

أَغْثِنِي يَا فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي
فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ عَلَيَّ حَقًّا
سَأَشْكُرُ أَنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيثِي
زِيَارَتِي الْخَلِيفَةَ وَأَمِّدَاجِي
بَسَيْبٍ مِنْكَ إِنَّكَ ذُو آرْتِيَاكِ
وَأَثَبْتَ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاجِي

وبعدها بيت الشاهد وبعده:

وَقَوْمٍ قَدْ سَمَوْتَ لَهُمْ فِدَانُوا
أَبْحَثَ حِمَى تَهَامَةَ بَعْدَ نَجْدٍ
بِذُّهُمْ^(٢) فِي مُلْمَلَمَةٍ^(٣) رَدَاحٍ^(٤)
وَمَا شَيْءٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَبَاحٍ

والشاهد أورده الشيخ زيادة إثبات على أن المعنى يختلف بحسب التقديم والتأخير إذا تكافأ الطرفان في التعريف.

فالشاعر أراد أن يثبت أنهم هم خير من ركب المطايا، لا غيرهم فذكرهم

= مصعباً، واستولى على العراق، ثم قتل ابن الزبير سنة (٧٢ هـ) واستولت له الممالك، وهو أول من ضرب الدنانير.

انظر: تاريخ الطبري: ١٥٦/٢، ٢٦٤، ٣٢٨، ٤٢١، ٦٤٩، ٥٥/٣، ١٦٣، ١٧٠،
١٦٠/٤، ٣٨١، ٢٣٩/٥، ٢٩٤، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٩٣، ٥٣٠، ٥٩٨، ١٠/٦ - ٢٥٦،
٤١٢، ٢٥/٧، ٢٦، ٣٦، ٩/٨، الفخري في الآداب السلطانية: ٥٩، ١٠٧، ١١٩،
١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣١، التنبيه والإشراف: ٢٨٦، تاريخ
الخلفاء: ٢١٤، تاريخ يعقوبي: ٢٥٥/٢، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٨١، ٢٨٣،
٢٩٨، ٣٠٤، ٣٠٥.

- (١) رواية ذيل الأمالي: «أَمْ فُوَاذُكَ».
- (٢) الدَّهْمَةُ: السواد، والأدهم: الأسود يكون في الخيل والإبل وغيرهما، يقال: فرس أدهم ويعبر أدهم، والعرب تقول: ملوك الخيل دُهُمُهَا.
- انظر: لسان العرب «دهم»: ٢٠٩/١٢.
- (٣) الململمة: كنية ملمومة ومُلْمَلَمَة: مجتمعة. اللسان «لمم»: ٥٥٠/١٢.
- (٤) الرِّدَاح: كنية رَدَاح: ضخمة ململمة كثيرة الفرسان ثقيلة السير لكثرتها. اللسان «ردح»:
٤٤٧/٢.

ابتداء؛ لأن هذا أبلغ في رفع شأنهم من أنه لو قال: «أَلَيْسَ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا
إِيَّاكُمْ»؛ لأن في التقديم زيادة إثبات، وتقرير عن طريق الادعاء الحقيقي على
سبيل الوجوب لا الجواز.

والنفس عند قلب طرفي الجملة شاعرة لا شك بالفرق، وإن لم تدرك
كنهه.

وهذا الشاهد يستدل به النحاة على أن الهمزة في قوله: «أَلَسْتُ» للتقرير،
والمقصود «أنتم كذلك».

فذكره المبرد في المقتضب تنظيراً للهمزة في بعض الآيات القرآنية كقوله
تعالى: ﴿الْم تَزِيلُ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) أَمْ يَقُولُونَ
أَفَرَأَيْنَاهُ (٢).

وقال بعد ذكر البيت:

«أنت تعلم أنه لم يستفهم، ولكن قرّره بأنهم كذلك، وأنه قد ثبت لهم،
فمجاز هذه الآيات - والله أعلم -: أيقولون أفتراه؟ على التوبيخ لهم..» (٣).

وذكر ابن جني أن الهمزة هنا للإنكار الإبطالي، فتقتضي أن ما بعدها غير
واقع وإن كان ما بعدها نفيًا لزم ثبوته؛ لأن نفي النفي إثبات ولهذا كان قول جرير
مدحاً.

قال ابن جني في باب «نقض الأوصاف إذا ضامها طارئ عليها» أي أنتم
كذلك وإنما كان الإنكار كذلك؛ لأن منكر الشيء إنما غرضه أن يحيله إلى
عكسه وضده، فلذلك استحال به الإيجاب نفيًا والنفي إيجاباً (٤).

وبيت جرير هذا هو أمدح بيت قالته العرب.

(١) سورة السجدة: الآيتان ١، ٢.

(٢) المقتضب: ٢٩٢/٣.

(٣) الخصائص: ٢٦٩/٣.

ذكر أبو أحمد العسكري في المصون أن عبد الملك بن مروان قال: إن
أمدح بيت قول جرير:
«أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا»^(١)

وذكر ابن رشيقي بمفاضلة لبعض النقاد في أبيات المديح فروى أنه حين
حضرت الحطيثة الوفاة قال: أبلغوا الأنصار أن أخاهم أمدح الناس حيث يقول:
يُغَشَّوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
قال ثعلب بل قول الأعشى:
فَتَى لَوِ يُبَارِي الشَّمْسُ أَلَقَتْ قِنَاعَهَا أَوْ الْقَمَرُ السَّارِي لَأُلْقَى الْمَقَالِدَا^(٢)
أمدح منه.

وقال أبو عمرو بن العلاء: بل بيت جرير:
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْذَى الْعَالَمِينَ بُطُونٌ رَاحَ
أيسر ما قيل في المدح وأسهله^(٣).

وكذلك ذكر ابن عبد البر في بهجة المجالس أنه أحسن ما قيل في
المدح^(٤).

ورأى الإمام عبد القاهر في «الرسالة الشافية» أن بيت جرير أمدح بيت؛ لأنه
أهتدى فيه إلى معاني لم يهتد إليها نظراؤه، وليس من أجل لفظه ونظمه^(٥).
وذكر الأصمعي أن أبا عمرو بن العلاء قال: إن العرب أجمعت على أن
أقسام الشعر أربعة: افتخار، ومديح، وهجاء، ونسيب، وفي كل كان السبق
لجرير.

(١) المصون: ٢١.

(٢) ديوان الأعشى: ١١٥، قصيدة رقم (٧).

(٣) العمدة: ١٣٩/٢.

(٤) بهجة المجالس: ٥٠٨/٢.

(٥) الرسالة الشافية (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): ١٤٣.

فأما الافتخار فسبق الناس إليه في قوله:
إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُم غَضَابًا^(١)

وأما المديح فبرز فيه على الناس في قوله:
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ يُطُون رَاحَ

وأما الهجاء فبرز فيه على الناس في قوله:
فَغَضُّ الطَّرْفِ إِنْكَ مِنْ نَمِيرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا^(٢)

وأما النسب فبرز فيه على الناس بقوله:
إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَ قَتْلَانَا^(٣)^(٤)

الشاهد السابع والعشرون بعد المائة^(٥):
(الوافر)

قول المتنبي:

أَلَسْتَ آبَنَ الْأُولَى سَعِدُوا وَسَادُوا

ذكر الشيخ الصدر فقط، وعجزه:

وَلَمْ يَلِدُوا أَمْرَاءَ إِلَّا نَجِيبًا^(٦)

وهو من قصيدة قالها في مدح علي بن مكرم التميمي^(٧)، لما أنفذ إلى أبي

(١) ديوانه: ٧٨.

(٢) ديوانه: ٧٥.

(٣) ديوانه: ٥٩٥.

(٤) الممتع في صنعة الشعر: ٢٨٢، ٢٨٣.

(٥) الدلائل، رضا: ١٤٦، خفاجي: ٢٤١، شاکر: ١٨٨.

(٦) لم أجد البيت فيما أطلعت عليه من مصادر إلا في:

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ١٤٤/١، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب:

١٠٦/١.

(٧) هو علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي، كان يحب الرمي بالنشاب، وفيه قال المتنبي

قصيدته التي خالف فيها ستة الشعراء حيث ابتدأها بمدح نفسه، قال:

أَقْلُ فِعَالِي بَلَّةَ أَكْثَرُهُ مَجْدٌ وَذَا الْجَدُّ فِيهِ نِلْتُ أَوْ لَمْ أَنْلُ جَدُّ =

الطيب وكيلاً له يحب الشعر، ليناشده، فتلقاه أبو الطيب وأكرمه ثم كتب إلى علي بن مكرم قصيدته، التي مطلعها^(١):

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَّاقُ ضُرُوبَا فَأَعَذَّرُهُمْ أَشْفُهُمْ حَبِيبَا

وقبل بيت الشاهد:

بِكُلِّ مُقَوِّمٍ لَمْ يَعْصِرْ أَمْرًا لَهُ حَتَّى ظَنَّنَاهُ لَبِيبَا
يُريكَ النَّزْعُ بَيْنَ الْقَوْسِ مِنْهُ وَبَيْنَ رَمِيهِ الْهَدَفِ اللَّهِيْبَا^(٢)

وبعدهما بيت الشاهد وبعده:

وَنَالُوا مَا اشْتَهَوْا بِالْحَزْمِ هَوْنَا وَصَادَ الْوَحْشَ نَمْلُهُمْ دَبِيبَا
وَمَا رِيحُ الرِّيَاضِ لَهَا وَلَكِنْ كَسَاهَا دَقْنُهُمْ فِي التُّرْبِ طِيْبَا^(٣)

والشاهد فيه كسابقه.

فقد تكافأ الطرفان في التعريف، وكان لتقديم المبتدأ سر معنوي.

فأراد بقوله: «أَلَسْتُ آبِنَ الْأَوَّلَى سَعِدُوا وَسَادُوا».

أي أنت آبن الأولى سَعِدُوا وَتَنَعَّمُوا وَقَادُوا الشُّعُوبَ وسادوها.

فجعله هو البتوة بعينها حيث ادَّعى ذلك ادعاءً حقيقياً على سبيل الوجوب، ففي ذكره ابتداءً نفى لِكُلِّ شَكٍّ قد يعلق بالنفس.

وإنَّك لأمس الفرق لو قلبت طرفي الجملة فقلت: «أَلَيْسَ آبِنَ الْأَوَّلَى سَعِدُوا وَسَادُوا إِيَّاكَ» فَإِنَّ قُوَّةَ الْإِثْبَاتِ هُنَا أَقْل.

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْفَنَاءِ وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّمُوا مُرْدُ

وقد نزل به المتنبي وهو في طريقه إلى دمشق راحلاً عن أنطاكية.

انظر: الديوان بشرح العكبري: ١/١٣٧، المتنبي - محمود شاكر -: ٨٤.

(١) الديوان بشرح العكبري: ١/١٣٧، العرف الطيب: ١/١٠٤.

(٢) الديوان بشرح العكبري: ١/١٤٣.

(٣) الديوان بشرح العكبري: ١/١٤٣، ١٤٤، العرف الطيب: ١/١٠٦.

الشاهد الثامن والعشرون بعد المائة^(١):

(السيط)

قول المتنبي:

أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مُحْبُوبٍ^(٢)

والبيت من قصيدته في مدح كافور قالها سنة ست وأربعين وثلاثمائة وهو آخر بيت فيها ومطلعها:

مَنْ الْجَاذِرُ فِي زِي الْأَعَارِبِ حُمْرُ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ^(٣)

وقبل بيت الشاهد:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْغَايِي بِتَسْمِيَةٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبٍ^(٤)

ساق الشيخ عبد القاهر هذا الشاهد في معرض كلامه عن الفرق بين «أنت الحبيب» و«الحبيب أنت»؛ ليدل على أن معنى «أنت الحبيب» هو نفس معنى بيت الشاهد أي أن الذي اختصه بالمحبة من بين الناس، وقوله: «ولكنني أعوذ به من أن أكون محباً غير محبوب» دل على أن هناك فرقاً، وفاصلاً بين المحب والمحبوب، والمعنى: «أنا محبك، وأنت محبوب لي، وأعوذ بك من أن لا تحبني، فإن أشقى الشقاوة أن تحب من لا يحبك كما قال: ومن الشقاوة أن تُحِبَّ وَلَا يُحِبُّكَ من تُحِبُّه»^(٥).

أما قوله: «الحبيب أنت» فمعناه: أنه لا فصل بينك وبين من تحبه إذا صدقت المحبة، وأن مثل المتحابين مثل نفس يقتسمها شخصان.

(١) الدلائل، رضا: ١٤٧، خفاجي: ٢١٥، شاکر: ١٩٠.

(٢) لم أجده فيما رجعت إليه من مصادر إلا في:

ديوانه بشرح العكبري: ١٧٦/١، ولم يرد في ديوانه بشرح اليازجي المسمى «العرف الطيب».

(٣) ديوانه بشرح العكبري: ١٥٩/١.

(٤) ديوانه بشرح العكبري: ١٧٦/١.

(٥) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ١٥٩/١.

قال الشيخ :

«ومما يدل دلالةً واضحةً على اختلاف المعنى - إذا جثت بمعرفتين، ثم جعلت هذا مبتدأ، وذاك خبراً تارةً، وتارةً بالعكس - قولهم: «الحبيب أنت» و«أنت الحبيب»: وذلك أن معنى «الحبيب أنت»: أنه لا فصل بينك وبين من تحبه إذا صدقت المحبة، وأنَّ مثل المتحابَّين مَثَلُ نَفْسٍ يَقتسمها شخصان كما جاء عن بعض الحكماء أنه قال: الحبيبُ أنتَ إلاَّ أَنَّهُ غيرُكَ: فهذا كما ترى فرق لطيف ونكتة شريفة، ولو حاولت أن تفيدها بقولك: أنت الحبيب: حاولت ما لا يصح؛ لأن الذي يعقل من قولك أنت الحبيب هو ما عناه المتنبي في قوله: **أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مُحْبُوبٍ** ولا يخفى بُعد ما بين الغرضين فالمعنى في قولك: «أنت الحبيب» أنك الذي اختصه بالمحبة من بين الناس.

وإذا كان كذلك عرفت أنَّ الفرق واجبٌ أبداً، وأنه لا يجوز أن يكون «أخوك زيد» و«زيد أخوك» بمعنى واحد»^(١).

الشاهد التاسع والعشرون بعد المائة^(٢): (الكامل)

قول المتنبي:

وَتَوَهَّمُوا اللَّعِبَ الْوَعْيَ، وَالطُّغْنَ فِي الْهَيْجَاءِ غَيْرِ الطُّغْنِ فِي الْمَيْدَانِ^(٣)

وهو من قصيدة قالها في مدح سيف الدولة عند منصرفه من بلاد الروم سنة خمس وأربعين وثلاث مئة ومطلعها:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي^(٤)

(١) الدلائل، رضا: ١٤٧، خفاجي: ٢١٥ - ٢١٦، شاعر: ١٩٠.

(٢) الدلائل، رضا: ١٥٠، خفاجي: ٢١٨، شاعر: ١٩٣.

(٣) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ١٧٦/٤، العرف الطيب: ٥٩١/٤.

(٤) الديوان بشرح العكبري: ١٧٤/٤، العرف الطيب: ٥٩١/٤.

وقبل بيت الشاهد:

وَسَعَى فَقَصَّرَ عَنْ مَدَاهُ فِي الْعُلَا أَهْلُ الزَّمَانِ وَأَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ
تَخَذُوا الْمَجَالِسَ فِي الْبُيُوتِ وَعِنْدَهُ أَنَّ السُّرُوجَ مَجَالِسَ الْفِتْيَانِ

وبعده:

قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الطَّعْنَانِ وَلَمْ يَقُدْ إِلَّا إِلَى الْعَادَاتِ وَالْأَوْطَانِ
كُلُّ آبِنٍ سَابِقَةٍ يُغَيِّرُ بِحُسْنِهِ فِي قَلْبٍ صَاحِبِهِ عَلَى الْأَحْزَانِ^(١)

ساقه الشيخ عند حديثه عن الجنسية، والتفريق بين «زيد المنطلق» وبين «أنت الحبيب»، فوضح أن آل في «المنطلق» عهدية، ولا وجه فيها للجنسية إذ ليس ثم إلا انطلاق واحد، قد عرف المخاطب أنه كان وأحتاج أن يعين له الذي كان منه، وينص له عليه.

أما آل في «أنت الحبيب» فهي للجنسية، فإن لك في المحبة التي أثبتها طرفاً من الجنسية من حيث كان المعنى أن المحبة ميني بجملتها مقصورة عليك، ولم تعتمد إلى محبة واحدة من محباتك. ولو وصل الانطلاق أو وصف عرض فيه معنى الجنسية على حدها في «أنت الحبيب»، ثم ذكر أن ههنا أصلاً يتفرع على هذا الأصل، أو هو كالنظير له، وهو أن من شأن المصدر أن يفرق بالصلات، كما يفرق بالصفات ثم ساق البيت شاهداً على أن اختلاف صلة المصدر تقتضي اختلافه في نفسه، وتحدث فيه تنوعاً وانقساماً وتضفي عليه معنى الجنسية حيث يصبح كل نوع جنساً برأسه.

فقوله: «الطعن» مصدر جعل له صلتين «في الهيجاء» و«في الميدان»، فدل ذلك على أن كلا من الطعنين جنس برأسه غير الآخر، ولولا هذا التنوع لما حسن الكلام.

قال الشيخ عبد القاهر بعد أن ذكر بيت الشاهد:

(١) الديوان بشرح العكبري: ١٧٥/٤، ١٧٦، العرف الطيب: ٥٩٠/٤، ٥٩١.

«لولا أن اختلاف صلة المصدر تقتضي اختلافه في نفسه، وأن يحدث فيه انقسام وتنوع لما كان لهذا الكلام معنى، ولكان في الاستحالة كقولك: والظعن غير الظعن، فقد بان إذن أنه إنما كان كل واحد من الظعنين جنساً برأسه غير الآخر بأن كان هذا في الهيجاء، وذاك في الميدان، وهكذا الحكم في كل شيء تعدى إليه المصدر وتعلق به، فأختلاف مفعولي المصدر يقتضي اختلافه، وأن يكون المتعدي إلى هذا المفعول غير المتعدي إلى ذاك»^(١).

ومعنى الشاهد: أن هؤلاء الأعداء لقلة شجاعتهم وعدم تمرسهم في الحرب اعتقدوا وظنوا أن الحرب لعب، وغفلوا عن أن الظعن في اللعب غير الظعن في الحرب، فظعن اللعب ظعن فيه إبقاء، وظعن الحرب لا إبقاء فيه^(٢).

الشاهد الثلاثون بعد المائة^(٣): (الخفيف)

قول المتنبي:

وَهُوَ الضَّارِبُ الْكَيْبَةَ وَالطَّعْدَ سَنَةُ تَغْلُو وَالضَّرْبُ أَعْلَى وَأَعْلَى^(٤)^(٥)

وهو من قصيدته التي يرثي بها أخت سيف الدولة الصغرى، وسُليبه ببقاء الكبرى، وأنشده إياها يوم الأربعاء النصف من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وثلثمائة، ومطلعها:

(١) الدلائل، رضا: ١٥٠، خفاجي: ٢١٨، شاکر: ١٩٤.

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ١٧٥/٤.

(٣) الدلائل، رضا: ١٥٠، خفاجي: ٢١٩، شاکر: ١٩٤.

(٤) هذه رواية الدلائل، تحقيق محمد رشيد رضا، ورواية الدلائل، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي.

أما رواية الديوان بشرح العكبري وشرح البازجي، ورواية الدلائل، تحقيق محمود محمد شاکر:

«وَالضَّرْبُ أَعْلَى وَأَعْلَى»

(٥) لم أجده فيما لدي من مصادر إلا في:

ديوانه بشرح العكبري: ١٣٢/٣، العرف الطيب: ٢٥٧/٤.

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِي الرِّزْيَةِ^(١) فَضْلاً فَكُنْ^(٢) الْأَفْضَلَ الْأَعَزَّ الْأَجَلَ^(٣)

وقيل بيت الشاهد:

وَإِذَا أَهْتَرَزَ لِلْنَّدَى كَانَ بَحْرًا
وَإِذَا الْأَرْضُ أَظْلَمَتْ كَانَ شَمْسًا

وبعدهما الشاهد وبعده:

أَيُّهَا الْبَاهِرُ الْعُقُولَ فَمَا يُدْ
مَنْ تَعَاطَى تَشَبُّهًا بِكَ أَغْيَا
رَكَ وَصَفَا أَتَعَبْتَ فِكْرِي فَمَهْلًا
هُ وَمَنْ دَلَّ فِي طَرِيقِكَ ضَلًا^(٤)

وموضع الشاهد قوله: «وهو الضارب الكتيبة».

والشاهد فيه: أن أَل في «الضارب» للجنسية حيث قُيد المسند «الضارب» بمفعول مخصص له «الكتيبة» وأصبح المسند بمنزلة الجنس المطلق، وصار القصد إلى جنس من الضرب مخصص، فأفاد المسند القصر بطريق التقييد على دعوى أنه لا يوجد إلا منه لا على معنى المبالغة، وترك الاعتداد بوجوده في غير المخبر عنه.

ولمَّا صار القصد إلى جنس من الضرب مخصص لا إلى ضرب مخصص بعينه أفاد ذلك تجدد الضرب منه لكل كتيبة، وليس معناه أنَّ ضربه مقصور على كتيبة واحدة.

فالشاهد فيه كالشاهد في قول الأعشى السابق:

«هُوَ الْوَاهِبُ الْمَائَةِ الْمُصْطَفَاةُ»

ومعنى بيت الشاهد كما ذكره العكبري: أنَّ سيف الدولة هو الذي يضرب

(١) رواية العرف الطيب: «ذي الرزية».

(٢) رواية العرف الطيب: «تَكُنْ».

(٣) ديوانه بشرح العكبري: ١٢٣/٣، العرف الطيب: ٢٤٩/٤.

(٤) ديوانه بشرح العكبري: ١٣٣/٣، العرف الطيب: ٢٥٧/٤.

الجيش إذا أشد الأمر، وصعب الأمر وغلت الطعنة وعز وجودها، وإذا عز وجودها كان الضرب أغلى من الطعن لحاجة الضارب إلى مزيد من الإقدام.

وذكر ابن فورجة أنه يريد: إذا لم يقدر على الدُّنو من العدو قيد رمح، فالدُّنو إليه قيد سيف أصعب والمعنى على ذلك: أنه يضرب بسيفه حين لا يقدم الطاعن والضارب.

ورأى أبو الفتح «ابن جني» أنه يريد إن كان الطعن صعباً على الطاعن فهو أيسر من الضرب؛ لأن بُعد الطاعن عن عدوه أكثر من بُعد الضارب، والرامي أبعد من الطاعن، وقد رتب ذلك زهير بقوله:

يَطْعَنُهُمْ مَا أَرْتَمُوا حَتَّى إِذَا اطَّعْنُوا ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا أَعْتَقَا

والمعنى: هو الضارب الجماعة من الخيل والكتيبة من الجيش، والحرب متوقدة، ونيرانها مضطربة، والطعن بين الفرسان يغلو ويشرف، ويشد ويفرط، والضرب أغلى وأفرط، وأشد وأبلغ، فدلَّ على أن سيف الدولة عند اشتداد الحرب، يقتحم الكتائب بنفسه، ويستخف ذلك بشدة بأسه^(١).

الشاهد الواحد والثلاثون بعد المائة^(٢):

(الرجز المشطور)

وَحَاتِمُ الطَّائِي وَهَابُ المِثِّي^(٣)

ذكره الإمام عبد القاهر من غير عزو، وهو لامرأة من بني عقيل تفخر بأخوالها من اليمن، وقيل هو للعامرية^(٤)، وقبلة:

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح المكبري: ١٣٢/٣، ١٣٣.

(٢) الدلائل، رضا: ١٥١، خفاجي: ٢١٩، شاکر: ١٩٥.

(٣) انظر البيت في:

نوادير أبي زيد الأنصاري: ٩١، الخصائص: ٣١١/١، الإفصاح: ٦٠، الإنصاف في مسائل الخلاف: ٦٦٣/٢، لسان العرب «مأى»: ٢٧١/١٥، خزنة الأدب - دار صادر: ٣٠٤/٣.

(٤) لم يُنسب البيت إلا في «النوادر في اللغة» لأبي زيد، وفي لسان العرب وذكر صاحب اللسان أبا زيد ينسبه للعامرية أيضاً.

حَيْدَةُ خَالِي وَلَقِيطٌ وَعَلِيٌّ^(١)

وبعده الشاهد وبعده:

وَلَمْ يَكُنْ كَخَالِكَ الْعَبْدِ الدُّعِي
يَأْكُلُ أَزْمَانَ الْهَزَالِ وَالسَّيِّ
هَنَاتٍ غَيْرَ مَيِّتٍ غَيْرِ ذِكِّي^(٢)

موضع الشاهد قوله: «وَهَابُ المَيِّتِ».

ذكره الشيخ عقب قول الشاعر:

«هُوَ الْوَاهِبُ الْمَائَةِ الْمُصْطَفَاةُ»

وذلك للاستئناس به في إثبات أنه لا يقصد إلى مئة خاصة معينة بل إلى
جنس المئة فشأنه أن يهب المئات مرة بعد مرة، وهذا هو مجال المدح.
الشاهد الثاني والثلاثون بعد المائة^(٣):

(السريع)

لَيْسَ^(٤) عَلَى اللَّهِ^(٥) بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ^(٦)

ولم أجد هذا القول في النوادر فلعله يقصد أبا زيد آخر.

(١) ذكر البيت الثاني مع الشاهد في:

الإفصاح: ٦٠، الإنصاف: ٦٦٣/٢.

(٢) ووردت الأبيات جميعها في:

النوادر: ٩١، لسان العرب «مأى»: ٢٧٠/١٥.

(٣) الدلائل، رضا: ١٥٢، خفاجي: ٢٢٠، شاکر: ١٩٦.

(٤) رواية خاص الخاص، والمثل السائر، وبديع القرآن، والحماسة البصرية، وشرح التصريح:

«وليس» بتقديم واو.

(٥) رواية الديوان، والمثل السائر، وبديع القرآن، ونهاية الأرب، ومعاهد التنصيص، والدلائل

تحقيق شاکر:

«وَلَيْسَ لِلَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ»

(٦) انظر البيت في:

ديوانه: ٤٥٤، الشعر والشعراء: ٨٢٩/٢، زهر الآداب: ١٠٣٣/٤، خاص الخاص:

١١١، المثل السائر: ٢٥٢/٣، بديع القرآن: ٣١٨، الحماسة البصرية: ١٩٢/١، =

ذكره الشيخ من غير عزو، وهو لأبي نواس^(١)، والبيت من قصيدته التي يمدح بها الفضل بن الربيع^(٢)، ويستعطف الرشيد على الفضل، ومطلعها:
قُولاً لِهَارُونَ إِمَامَ الْهُدَى عِنْدَ آخِثَالِ الْمَجْلِسِ الْحَاشِدِ

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبله:

أَنْتَ عَلَى مَا بِكَ مِنْ قُدْرَةٍ فَلَسْتُ مِثْلَ الْفَضْلِ بِالْوَاجِدِ
أَوْجَدَهُ اللَّهُ فَمَا مِثْلُهُ لِطَالِبٍ^(٣) ذَاكَ وَلَا نَاشِدٍ^(٤)

= التصريح بمضمون التوضيح: ١٥٠/١، شرح المضمون به على غير أهله: ١٧٨، معاهد التنصيص: ٨٠/٤، رقم الشاهد (٢٠٢)، نهاية الأرب: ٨٣/٣.

(١) أبو نواس: هو الحسن بن هانيء بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء، وهو شاعر العراق في عصره، ولد في الأهواز، ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد واتصل بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، كان جده مولى للجراح بن عبدالله الحكمي أمير خراسان، وذكر ابن عساكر أن والده كان من أهل دمشق من جند مروان بن محمد، قال عنه الجاحظ: أنه أعلم الرجال باللغة وأفصحهم لهجة، وقال أبو عبيدة: كان أبو نواس للمحدثين كأمرئ القيس للمتقدمين. توفي سنة (١٩٥ هـ).

انظر ترجمته في:

الشعر والشعراء: ٨٠٠/٢ - ٨٣٠، تاريخ بغداد: ٤٣٦/٧ - ٤٤٩، تهذيب ابن عساكر: ٢٥٤/٤ - ٢٨٢، وفيات الأعيان: ٩٥/٢ - ١٠٤، خزائن البغدادي - دار صادر: ١٦٨/١، الأعلام: ٢٢٥/٢.

(٢) هو الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس (١٣٨ هـ - ٢٠٨ هـ) وزير أديب حازم، كان أبوه وزيراً للمنصور العباسي، واستحجب المنصور الفضل، وفي عهد الرشيد ولي الوزارة إلى أن مات الرشيد، ثم جاء الأمين وأقره في وزارته، فعمل على مقاومة المأمون، ولما ظفر المأمون استتر الفضل (١٩٦ هـ) ثم عفا عنه المأمون وأهمله بقية حياته، وتوفي بطوس، وهو من أحفاد أبي فروة «كيسان» مولى عثمان بن عفان.

انظر ترجمته في:

معجم الشعراء للمرزباني: ٣١٢، جمهرة الأنساب: ٢٣٦، تاريخ بغداد: ٣٤٣/١٢ - ٣٤٤، وفيات الأعيان: ٣٧/٤، ٤٠.

(٣) رواية الحماسة: «لطالب فيه».

(٤) انظر البيت في:

ديوانه: ٤٥٤، الحماسة البصرية: ١٩٢/١، والبيت الثاني فقط في خاص الخاص: ١١١.

وبعدهما الشاهد.

ساق الشيخ الشاهد للتنظير لمعنى الاستغراق، فمعنى البيت أنه ليس يبعد على الله، ولا مستبعد أن يجمع الخلق كلهم بصفاتهم، ومميزاتهم في فرد واحد، وهذا هو معنى الاستغراق، فاللام الدالة على الاستغراق تستغرق الجنس وتشمله وتشيع فيه.

وأورد هذا الشاهد عند حديثه عن الفرق بين أل الجنسية في الخبر، وأل الجنسية في المبتدأ، فعنده أن مذهب الجنسية في الاسم وهو خبر غير مذهبها وهو مبتدأ، فاللام في الخبر تفيد الجنس، واللام في المبتدأ تفيد الاستغراق. قال:

«وأصل آخر وهو أن من حقنا أن نعلم أن مذهب الجنسية في الاسم وهو خبر غير مذهبها وهو مبتدأ.

تفسيرُ هذا أنا وإن قلنا: إنَّ اللام في قولك: «أنت الشجاع» للجنس، كما هو له في قولهم: «الشجاع مَوْقِي، والجبان مُلْقِي»، فإنَّ الفرق بينهما عظيم، وذلك أن المعنى في قولك: «الشجاع مَوْقِي»، أنك تُثَبِّت الوَقَاية لكل ذاتٍ من صفتها الشَّجَاعَة، فهو في معنى قولك: الشُّجْعَانُ كُلُّهُمْ مَوْقُونَ. ولست أقول: إنَّ الشجاع كالشجاع على الإطلاق، وإن كان ذلك ظَنُّ كثيرٍ من الناس، ولكني أريد أنك تجعل الوَقَاية تستغرقُ الجنس وتشمِّله، وتَشِيْعُ فيه، وأما في قولك: أنت الشجاع، فلا معنى فيه للاستغراق، إذ لست تريد أن تقول: «أنت الشجاعان كلهم» حتى كأنك تذهب به مذهب قولهم: «أنت الخلق كلهم»، و«أنت العالم»، كما قال:

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ^(١)

وهذا الشاهد من أبلغ أبيات المدح يستشهد به علماء العربية على أنه أمدح بيت للمحدثين.

(١) الدلائل، رضا: ١٥١، ١٥٢، خفاجي: ٢١٩، ٢٢٠، شاکر: ١٩٥ - ١٩٦.

ذكر الثعالبي: أَنَّ هَارُونَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى الْمُنْجَمَ قَالَ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ
بِالشَّعْرِ عَلَى أَنَّ أَجُودَ بَيْتٍ لِلْمُحَدِّثِينَ فِي الْمَدْحِ قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ:
وَكَلَّتْ بِالدَّهْرِ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ بِجُودِ كَفِّكَ يَأْسُو كُلُّ مَا جَرَحَا

وقال غيره بل قوله:

أَنْتَ عَلَى مَا بِكَ مِنْ قُدْرَةٍ فَلَسْتَ مِثْلَ الْفَضْلِ بِالْوَاحِدِ
وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ^(١)

وذكر الحصري القيرواني في زهر الآداب أن أبا نواس نظر في معنى البيت

إلى قول جرير:

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابًا^(٢)

وذكر ابن الأثير في المثل السائر في باب «السلخ» في الضرب السادس
منه - «وهو أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر» - أن هذا البيت - بيت الشاهد -
قد لهج به الناس لهجاً كثيراً، وظنه بعضهم من مبتدعات أبي نواس حتى قيل أن
أبا تمام دخل على ابن أبي دؤاد، فقال له: أحسبك عاتباً يا أبا تمام فقال: إنما
يُعتَب على واحد، وأنت الناس جميعاً، فكيف نعتب عليك، فقال: من أين هذه
اللفظة يا أبا تمام قال من قول الحاذق أبي نواس، وأنشده البيت.

ورد ابن الأثير هذه الرواية؛ لأن أبا تمام رجل عالم بالشعر، ولا يخفى عليه
أن هذا المعنى ليس لأبي نواس، وإنما هو مؤخوذ من قول جرير إلا أنه أبلغ
منه؛ لأن أبا نواس زاد زيادة حسنة، وذلك أن جريراً جعل الناس كلهم بني تميم،
وأبا نواس جعل العالم كله في واحد، وذلك أبلغ^(٣).

واستشهد ابن أبي الإصبع ببيت الشاهد في «باب حصر الجزئي وإلحاقه

بالكلي». قال:

(١) خاص الخاص: ١١١.

(٢) ديوان جرير: ٧٨.

انظر: زهر الآداب: ١٠٣٥/٤.

(٣) المثل السائر: ٢٥٢/٣.

«والحق داره بالدنيا التي هي كل بالنسبة إلى داره، وألحق يوم القيامة بالدهر الذي هو كل بالنسبة إلى ذلك اليوم، ولم أسمع في هذا الباب بمثل هذا البيت»^(١).

وقد جاء في معنى البيت قول المتنبي (من الكامل):
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدِّمًا وَأَتَى فَذَلِكَ إِذَا أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا^(٢)

وقوله أيضاً (من الطويل):
قَضَى وَبَنُوهُ وَأَنْفَرَدَتْ بِفِعْلِهِ وَأَلْفٌ إِذَا مَا جُمِعَتْ وَاحِدٌ فَرْدٌ^(٣)

وقد ضمن القيراطي^(٤) بيت أبي نواس فقال يهجو (من السريع):
تَجَمَّعَتْ مِنْ نُطْفٍ ذَاتُهُ حَتَّى بَدَا فِي قَالِبٍ فَاسِدٍ
لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ^(٥)
الشاهد الثالث والثلاثون بعد المائة^(٦):

(الواف)
وَأَنْتَ لَا تَجُودُ عَلَى جَوَادٍ هَبَاتِكَ أَنْ يُلْقَبَ بِالْجَوَادِ^(٧)

(١) بديع القرآن: ٣١٨.

(٢) ديوانه بشرح العكبري: ١٧١/١.

(٣) المرجع السابق: ٣٨١/١، ورواية الديوان:

قَضَى وَبَنُوهُ وَأَنْفَرَدَتْ بِفَضْلِهِمْ وَأَلْفٌ إِذَا مَا جُمِعَتْ وَاحِدٌ فَرْدٌ

(٤) هو إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن عسكر الطائي، برهان الدين القيراطي (٧٢٦ هـ -

٧٨١ هـ) شاعر من أعيان القاهرة اشتغل بالفقه والأدب وجاور بمكة، وتوفي فيها، له ديوان

شعر سماه «مطلع النيرين»، ومجموع أدبه اسمه «الوشاح المفصل».

انظر ترجمته:

شذرات الذهب: ٢٦٩/٦ - ٢٧٠، الدرر الكامنة: ٣١/١، طبقات الشافعية: ٤٦/٦ -

٨٢.

(٥) معاهد التنصيص: ٨٣/٤.

(٦) الدلائل، رضا: ١٥٣، خفاجي: ٢٢١، شاعر: ١٩٨.

(٧) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٣٥٩/١، العرف الطيب: ١٤٨/١.

والبيت مذكور في الدلائل من غير نسبة، وهو للمتنبي من قصيدته في مدح علي بن إبراهيم التنوخي^(١)، ومطلعها:

أَحَادٌ أُمُّ سُدَّاسٍ فِي أَحَادٍ لِيَيْلُتُنَا الْمَنْوُطَةُ بِالتَّنَادِ^(٢)

وقبل بيت الشاهد:

نَلُومُكَ يَا عَلِيُّ لَغَيْرِ ذَنْبٍ لِأَنَّكَ قَدْ زَرَيْتَ عَلَى الْعِبَادِ

وبعده البيت وبعده:

كَأَنَّ سَخَاءَكَ الْإِسْلَامُ تَخْشَى إِذَا مَا حُلَّتْ عَاقِبَةُ ارْتِدَادِ^(٣)

ساق الشيخ البيت للتنظير على أن معنى اللام في «أنت الشجاع» هو نفس معنى بيت الشاهد الدال على التفرد بالشيء ونفيه عن غيره، فمعنى البيت أن الممدوح قد جاد وآنفرد بالجوّد حتى أصبح كل من عداه من الكرام بخلاء، ومنع لكثرة جوده أن يستحق اسم الجود أحد غيره.

قال العكبري:

«يقول هباتك تصل إلى كل أحد، غير أنها لا تجود على أحد بأسم الجواد؛ لأنه لا يستحق هذا الاسم غيرك مع ما يرى من جودك وزيادتك عليه، فإنك تستحق أن يقال لك الجواد لا لغيرك، فأنت مستحق بهذا الاسم دون غيرك»^(٤).

(١) علي بن إبراهيم التنوخي: كان يقيم بالشام في مدينة اللاذقية، وعليه نزل المتنبي حين نزل الشام، ومدحه بقصائد عديدة، وهو الذي أشار على المتنبي أن يذهب إلى طبرية، ويمدح بها رجلاً من العلويين، فذهب المتنبي ومدحه مرغماً، ولم يظفر منه بطائل، فعاد إلى علي من فوره.

انظر: المتنبي، محمود شاكر: ٩٠/١ - ١٢٤، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٣ - ١٣٥.

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٣٥٣/١، العرف الطيب: ١٤٦/١.

(٣) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٣٥٩/١، العرف الطيب: ١٤٨/١، ١٤٩.

(٤) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٣٥/١.

وكذلك معنى أنت الشجاع» أي أنت المنفرد بحقيقة الشجاعة، وقد أوتيت فيها مزية وخاصة لم يؤتها أحد حتى صار الذي كان يعده الناس شجاعة غير شجاعة، فالمعنى هناك ليس كالمعنى في «أنت كأنك جميع الشجعان» وعلى حد «أنت الخلق كله» - وهو المعنى الدال على الاستغراق -، لأن المعنى هنا على ادعاء أن له جميع المعاني الشريفة المتفرقة في الناس من غير أن تبطل تلك المعاني وتنفيها عن الناس بل أن تدّعي له أمثالها^(١).

فلام الجنس تفيد القصر، وهو إثبات أمر لأمر، ونفيه عمن عداه أما اللام الدالة على الاستغراق، فتفيد إثبات أمر لأمر دون نفيه عمن عداه بل بادعاء المثل.

قال الشيخ قبل ذكر الشاهد:

«... وأما في نحو «أنت الشجاع»، فإنك تدّعي له أنه قد انفرد بحقيقة الشجاعة، وأنه قد أوتي فيها مزية وخاصة لم يؤتها أحد حتى صار الذي كان يعده الناس شجاعة غير شجاعة، وحتى كأن كل إقدام إحجام، وكل قوة عرفت في الحرب ضعف، وعلى ذلك قالوا: جاد حتى بخل كل جواد، وحتى منع أن يستحق اسم الجواد أحد، كما قال:

وَأَنْتَ لَا تَجُودُ عَلَى جَوَادٍ هَبَاتُكَ أَنْ يُلْقَبَ بِالْجَوَادِ^(٢)

الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائة^(٣):

(البيط)

أَعْطَيْتَ حَتَّى تَرَكْتَ الرِّيحَ حَاسِرَةً وَجُدْتَ حَتَّى كَأَنَّ الْغَيْثَ لَمْ يَجِدِ^(٤)

(١) الدلائل، رضا: ١٥٣، خفاجي: ٢٢٠، ٢٢١، شاعر: ١٩٧ - ١٩٨.

(٢) الدلائل، رضا: ١٥٣، خفاجي: ٢٢١، شاعر: ١٩٨.

(٣) الدلائل، رضا: ١٥٣، خفاجي: ٢٢١، شاعر: ١٩٨.

(٤) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

ديوان البحري: ٣٣/١.

أورده الشيخ من غير عزو، وهو للبحثري من قصيدة في مدح أبي نهشل
محمد بن حميد الطوسي^(١).

ومطلع القصيدة:

إِنِّي تَرَكْتُ الصَّبَا عَمْدًا وَلَمْ أَكْدِ مِنْ غَيْرِ شَيْبٍ وَلَا عَذْلٍ وَلَا فَنَدٍ^(٢) (٣)

وقبل بيت الشاهد:

مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَيُّ مَكْرُمَةٍ لَمْ تَحْوَهَا بِيَدٍ بَيْضَاءٍ بَعْدَ يَدِ
شَمَائِلٍ مِنْ حُمَيْدٍ فِيكَ بَيِّنَةٌ لَهَا نَسِيمُ رِيَاضِ الْحَزَنِ فَالْجَنَدِ^(٤)
تَبَسُّمٌ وَقُطُوبٌ فِي نَدَى وَوَعَى كَالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ وَسَطُ الْعَارِضِ الْبَرْدِ^(٥)

وبعدها بيت الشاهد وهو آخر بيت في القصيدة.

والشاهد فيه كسابقه حيث ساقه الشيخ للتنظير بأن معنى «أنت الشجاع» هو
نفس معنى بيت الشاهد الدال على التفرد ونفي هذا التفرد عن غيره.

فمعنى البيت «أن الممدوح قد جاد حتى أصبح لا يُعرف لأحد جود غيره،

(١) هو محمد بن حميد الطاهري الطوسي (٢١٤ - ٢٠٠ هـ) وال من قواد جيش المأمون العباسي
ولاه فقاتل: «زريق» و«بابك الخرمي» الثائرين سنة (٢١١ هـ)، واستعمله على الموصل،
فقاتل زريقاً حتى استسلم فسيره إلى المأمون، واستخلف على الموصل محمد بن السيد بن
أنس، وكان محمد الطوسي شجاعاً ممدوحاً جواداً رثاه الشعراء وأكثروا، وعظم مقتله على
المأمون.

انظر ترجمته:

الكامل لابن الأثير: ٢١٧/٥ - ٢١٨، الوافي بالوفيات: ٤٧/٤، الأعلام: ١١٠/٦.

(٢) الْفَنَدُ: الْخَرْفُ وَإِنْكَارُ الْعَقْلِ مِنَ الْهَرَمِ أَوْ الْمَرَضِ، وَقَدْ يَسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ الْكِبَرِ، وَأَصْلُهُ فِي
الْكِبَرِ. اللِّسَانُ «فند»: ٣٣٨/٣.

(٣) ديوان البحثري: ٣٣/١.

(٤) الْحَزَنُ وَالْجَنَدُ: الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ. اللِّسَانُ «جند»: ١٣٢/٣.

(٥) الْعَارِضُ الْبَرْدُ: سَحَابٌ كَالْجَمَدِ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِشِدَّةِ بَرْدِهِ وَسَحَابٌ بَرْدٌ وَأَبْرَدُ ذُو قَرٍ وَبَرْدٍ.

اللِّسَانُ «برد»: ٨٤/٣.

وحتى كأن الواصفين الغيث بالجود قد كذبوا في وصفه، فلا جود إلا جود الممدوح، وما عداه ليس بجود».

قال الشيخ:

«... وكما يقال: جاد حتى كأن لم يعرف لأحد جود، وحتى كان قد

كذب الواصفون الغيث بالجود، كما قال:

أَعْطَيْتَ حَتَّى تَرَكْتَ الرِّيحَ حَاسِرَةً وَجُدْتَ حَتَّى كَأَنَّ الْغَيْثَ لَمْ يَجِدْ^(١)

(١) الدلائل، رضا: ١٥٣، خفاجي: ٢٢١، شاکر: ١٩٨.

الفصل السابع

شواهد الفروق في الحال

لعل الشيخ عبد القاهر جعل هذا الفصل وسطاً بين فصل «فروق في الخبر»، وبين فصل «الفصل والوصل» لتعلقه بكل منهما.

فهو يتعلق بـ «فروق في الخبر»؛ لأن الشيخ يعتبر الحال خبراً في الأصل.

وهو يتعلق بـ «الفصل والوصل» من جهة أنه لما كان باب الفصل والوصل هو مخ البلاغة، والكلام فيه على الواو العاطفة، ولما كانت واو الحال هي في الأصل واو العطف جاء التعلق من هذه الناحية، وكان ذكر هذا الفصل تمهيداً لتلك الواو ليحلل الفرق بينهما، وخاصة أن الجملة الحالية تارة تجيء بالواو، وأخرى بغيرها، فكان لا بد أن نتعرف على هذه الأحوال المفارقة، والسر في هذه المفارقة، وأثرها على المعنى.

الفروق في الحال

الشاهد الخامس والثلاثون بعد المائة^(١): (الطويل)

قول بشار:

إِذَا أَنْكَرْتَنِي بَلَدُهُ أَوْ نَكِرْتَهَا خَرَجْتُ^(٢) مَعَ الْبَازِي^(٣) عَلَيَّ سَوَادُ^(٤)

وهو من قصيدة قالها في خالد بن جبلة بن عبد الرحمن الباهلي^(٥)، وَيُرْوَى أنه قالها في خالد بن برمك^(٦)، ومطلعها:

(١) الدلائل، رضا: ١٥٧، خفاجي: ٢٢٥، شاکر: ٢٠٣.

(٢) رواية الديوان: «نهضت مع البازي».

(٣) البازي: الصقر وهو أبكر الطيور خروجاً.

انظر: الحيوان: ١٣/١، ٥٤/٢، ١٨٧/٢، ١٨٠/٣، ٤٧/٤، حياة الحيوان الكبرى: ١٥٢/١ - ١٥٧.

(٤) لم أجده فيما أطلعت عليه من مصادر إلا في:

ديوانه «تحقيق الطاهر بن عاشور»: ٥٠/٣، الأغاني: ٢٠٣/٣، الإيضاح: ٢٧٦/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤٧ أ، شروح التلخيص: ١٥٤/٣، خزانة الأدب - دار صادر -: ٥٤٠/١، معاهد التنصيص: ٢٨٧/١، رقم (٥٥)، القول الجيد: ٢٦٣.

(٥) وخالد هذا هو ابن أخ مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم الباهلي الذي كان من جملة الثائرين على العباسيين في البلخ وترمذ أيام تمخض الدعوة العباسية في سنة (١٣٠ هـ) في آخر الدولة الأموية، ويبدو أن بشاراً رحل إلى الممدوح ببلدة غير البصرة. نقلاً عن: تحقيق الديوان - لمحمد بن طاهر بن عاشور -: ٥٠/٣.

(٦) ذكر أبو فرج الأصفهاني أنها قيلت في خالد بن برمك وفد عليه بها، وهو ببلاد فارس، فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوضع واحداً عن يمينه، وواحداً عن شماله، وآخر =

أَخَالِدُ لَمْ أَخِطُ^(١) إِيَّاكَ بِنِعْمَةٍ^(٢) سِوَى أَنَّنِي عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ

وقبل بيت الشاهد:

فَإِنْ تُعْطِنِي أَفْرِغْ إِلَيْكَ مَحَامِدِي وَإِنْ تَأَبَّ لَا يُضْرَبْ عَلَيْكَ سِدَادُ
رِكَابِي عَلَى حَرْفٍ وَقَلْبِي مُشِيعُ وَغَيْرُ بِلَادِ الْبَاحِلِينَ بِلَادُ

وبعدهما البيت وبعده:

أَخَالِدُ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْحَمْدِ حَاجَتِي فَأَيُّهُمَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ^(٤)

وموضع الشاهد قوله: «عَلَى سَوَادُ».

والشاهد فيه: خلو جملة الحال من «الواو» لكون الخبر «عَلَى» ظرفاً مقدماً

بين يديه، وآخر خلفه، وقال: يا أبا معاذ هل استقل العمداء؟ فلمس الأكياس، ثم قال: استقل والله أيها الأمير.

ورأى الطاهر بن عاشور محقق ديوان بشار أن ما جاء في كتاب الأغاني أصح مما جاء في الديوان.

وكذلك ذكر صاحب خزنة الأدب، ومعاهد التنصيص أنها قيلت في خالد بن برمك. وخالد بن برمك هو: ابن جاماس بن يشتاسف أبو البرامكة وأول من تمكن منهم في دولة بني العباس (٩٠ هـ - ١٦٣ هـ)، كان برمك من مجوس بلخ، وكان خالد سخياً ثرياً عاقلاً فيه نبيل لم يبلغ أحد من أولاده ما بلغه جوداً وحكمة وعلماً ونزاهةً ويأساً وفصاحة.

تقلب في مناصب عديدة في دولة بني العباس، فحل من السفاح محل الوزير، وبعد وفاة السفاح أقره المنصور نحو سنة، ثم صرفه عن الديوان وقلده بلاد فارس ثم عزله ونكبه ثم رضي عنه وأمره على الموصل، ولما ولي المهدي أعاده إلى إمارة فارس ووجهه مع ابنه هارون الرشيد في صائفة سنة (١٦٣ هـ) ومات بعدها.

انظر ترجمته:

الكامل لابن الأثير: ٤١/٥، وفيات الأعيان: ٣٣٢/١، خزنة البغدادي: ٥٤٢/١، الأعلام: ٢٩٥/٢.

(١) لم أخيط: الخبطُ طلب المعروف والعطاء، وهو مستعار من خبط الشجر لأخذ ورقه. اللسان «خبط»: ٢٨٠ - ٢٨٣.

(٢) رواية خزنة الأدب للبغدادي: «لم أهبط».

(٣) رواية الأغاني والخزنة: «بذمة».

(٤) الديوان: ٥١/٣.

عليها؛ لأنه بتقدم الظرف صار المبتدأ بعده كالفاعل فأشبهت الجملة الفعلية، فصارت جملة «عَلَيَّ سَوَادٌ» كأنها فعلية. قال:

«فإن كان الخبر في الجملة من المبتدأ والخبر ظرفاً، ثم كان قد قُدِّم المبتدأ كقولنا «عليه سيف» أو «في يده سوط» كثر فيها أن تجيء بغير «واو».

فالشيخ يرى أن الوجه فيما كان مثل قول بشار هذا، أن يؤخذ فيه بمذهب أبي الحسن الأخفش، وهو رفع «سواد» بالظرف دون الابتداء لما يحمله الظرف من معنى الفعل، وأن يجعل الظرف في تقدير اسم فاعل لا فعل بأن يكون المعنى «خرجت كائناً عَلَيَّ سَوَادٌ، وبقياً عَلَيَّ سَوَادٌ» ولا يقدر «يكون عَلَيَّ سَوَادٌ، ويبقى عَلَيَّ سَوَادٌ» إلا أن يُقَدَّرَ فعلاً ماضياً مع «قد» كأن يقال: «خرجت مع البازي قد بقي عَلَيَّ سَوَادٌ، ولكن الرأي الأول أظهر.

قال الشيخ:

«واعلم أن الوجه فيما كان مثل قول بشار:
«خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَيَّ سَوَادٌ»

أن يؤخذ فيه بمذهب أبي الحسن الأخفش، فيرفع «سواد» بالظرف دون الابتداء، ويجري الظرف ههنا مجراه إذا جرت الجملة صفة على النكرة نحو: «مررتُ بِرَجُلٍ مَعَهُ صَقْرٌ صَائِداً به غداً»، وذلك أن صاحب الكتاب يوافق أبا الحسن في هذا الموضع فيرفع «صقراً» بما في «معه» من معنى الفعل، فلذلك يجوز أن يُجْرَى الحال مُجْرَى الصِّفَةِ، فيُرفَعَ الظاهر بالظرف إذا هو جاء حالاً، فيكون ارتفاع «سواد» بما في «عَلَيَّ» من معنى الفعل لا بالابتداء. ثم ينبغي أن يُقَدَّرَ ههنا خصوصاً أن الظرف في تقدير اسم فاعل لا فعل، أعني أن يكون المعنى: «خَرَجْتُ كَائِناً عَلَيَّ سَوَادٌ، وَبَاقِياً عَلَيَّ سَوَادٌ»، ولا يقدر: «يَكُونُ عَلَيَّ سَوَادٌ»، و«يَبْقَى عَلَيَّ سَوَادٌ»، اللهم إلا أن تقدر فيه فعلاً ماضياً مع «قد» كقولك: «خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي قَدْ بَقِيَ عَلَيَّ سَوَادٌ» والأول أظهر^(١).

(١) الدلائل، رضا: ١٦٩، خفاجي: ٢٣٨، شاکر: ٢١٩ - ٢٢٠.

وربما كان السر والغرض من حذف الواو هنا أن الشاعر قصد جعل فعل الخروج ووقته في آن واحد، وهذا دليل على شدة إسراره وبكوره، ودليل على اقتداره، وأنه لا يعجزه شيء عن الارتحال، ويتقدم الظرف، وحذف الواو أشبهت الجملة الفعلية، فدل أن فعل الخروج هذا فعل متجدد منه في كل حال لا توافقه، وفي كل مكان يشعر فيه بالنبو، ولو أنه قال: «خرجت مع البازي وَعَلَيَّ سَوَادٌ» لشعرت النفس أن بين الفعل والزمن مهلة وتراخياً، وكأن هناك تردداً من الشاعر، وهذا خلاف مراده.

والمعنى إذا لم يعرف قدري أهل بلدة أو أنكرتها، ولم أجدهم عارفين لقدري خرجت من عندهم، وفارقتهم مبكراً، مصاحباً البازي وسواد الليل، ولم أنتظر إسفار الصبح، وفي هذا وصف لنفسه بالقوة والاقتدار حيث لا يعجزه الارتحال عن مكان ينبو به، ولا يوافقه^(١)، وقد أخذ الأبيوردي هذا المعنى وزاد عليه في قوله:

وَتِلْكَ رِكَابِي إِنْ غَرَضُنْ^(٢) بِبَلَدَةٍ بَكَرَنْ وَلَمْ تَشْعُرْ بِسِيرِي بُزَاتُهَا^(٣)^(٤)

وقد برع الشاعر في استخدام اللغة وتشكيلها حسب المعاني النفسية التي تدور في صدره، فاستعمل أداة الشرط «إذا» والتي تستعمل في الأحوال الكثيرة الوقوع. وجعل فعل الشرط مركباً من المجاز العقلي «أنكرتني بلدة» وعطف عليه مجازاً عقلياً آخر، كل ذلك ليرز قوته واقتداره فاستعماله لـ «إذا» الشرطية دل على أن تكرار الإنكار له لا يفت من عزمه.

والمجاز العقلي الأول: «أنكرتني بلدة» دل على العموم والاستغراق، فلو أن كل فرد في البلدة أنكره لم ينقص ذلك من قدره شيئاً. والمجاز الثاني:

(١) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٤٧ أ. المصدر السابق - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (١٨٠).

(٢) غَرَضُنْ: الغرض: الضجر والملال. اللسان «غرض»: ١٩٤/٧.

(٣) بُزَاتُهَا: جمع بازي. اللسان «بزا»: ٧٢/١٤.

(٤) ديوانه: ٢٨٥/١.

«نكرتها» دل على اقتداره وقوته في مواجهة كل فرد في البلدة.

وآثر الكناية على التصريح في قوله: «عَلَيَّ سَوَادٌ» وَقَدَّمَ المسند على المسند إليه ليوحي للنفس بعموم السواد وشموله وإحاطته بجميع الكون.

وَقَدَّمَ الجار والمجرور «مع البازي» على الجملة الاسمية «عَلَيَّ سَوَادٌ» ليصف سرعة مفارقتها لتلك البلدة.

الشاهد السادس والثلاثون بعد المائة^(١):
(البسيط)

قول أُمَيَّة^(٢):

فَآشَرَبَ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجَ مُرْتَفِعاً^(٣) فِي رَأْسِ غُمْدَانٍ^(٤) دَاراً مِنْكَ مَحَلَّالاً^(٥)

(١) الدلائل، رضا: ١٥٧، خفاجي: ٢٢٦، شاکر: ٢٠٣.

(٢) هو أُمَيَّة بن عبدالله بن أبي ربيعة بن عوف بن أبي الصلت، وأم أُمَيَّة رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف، وكان أُمَيَّة أشعر بني ثقيف، وقد نظر في الكتب وقرأها، ولبس المُسَوَّح تعبدًا، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفية، وَحَرَّمَ الخمر، وَشَكَّ في الأوثان، وكان يطمع في النبوة فقد قرأ في الكتب أن نبيًا يُبعث من العرب، فكان يرجو أن يكونه، فلما بُعث الرسول ﷺ كان من أعدائه، وكان يحرض قريشًا بعد وقعة بدر، ورثى من قُتِل فيها. ذهب أُمَيَّة في شعره بعمامة ذكر الآخرة، كان له من الولد أربعة: عمرو، وربيعه، ووهب، والقاسم، وكان القاسم شاعرًا. انظر ترجمته:

الأغاني: ١٢٠/٤ - ١٣٣، الموشح: ٧٠، جمهرة أنساب العرب: ٢٦٩، سمط اللآلي: ٣٦٢/١، تهذيب ابن عساكر: ١١٨/٣، خزانة البغدادي - دار صادر: ١١٩/١ - ١٢٢، الأعلام: ٢٣/٢.

(٣) رواية الديوان، وشرح أبيات الإيضاح: «مرتفعًا». ومرتفعًا معناها: متكئًا على مرفقك، فوصفه بالحالة التي يكون عليها الممدوحون أو بعضهم حال الإنشاد. اللسان «رفق»: ١١٩/١٠. ورواية الطبري: «متكئًا».

(٤) غمدان: قصر في اليمن يُعتَبَر من أعاجيب الفنون ونادر الأبيات. معجم البلدان: ٢١٠/٤.

(٥) انظر البيت في:

ديوانه: ٦٦، حماسة البحتري: ١٦، طبقات فحول الشعراء: ٢٦١/١، الكامل للمبرد: - =

والبيت من قصيدة^(١) في مدح سيف بن ذي يزن^(٢) ملك اليمن، لما
استنجد بكسرى، وأخرج الحبشة من جزيرة العرب، ومطلع القصيدة:
لِيَطْلُبَ^(٣) الثَّارَ أَمْثَالُ ابْنِ ذِي يَزْنَ فِي الْبَحْرِ^(٤) خَيْمٌ لِلْأَعْدَاءِ أَجْوَالاً
وقبل بيت الشاهد:

أَرْسَلْتُ أُسْداً عَلَى سُودٍ^(٥) الْكِلَابِ فَقَدْ أَضْحَى شَرِيدُهُمْ فِي الْأَرْضِ فُلَّالاً^(٦)

وبعد بيت الشاهد:

وَاطْلُ^(٧) بِالْمِسْكِ إِذْ شَأَلْتَ نَعَامَتَهُمْ وَأُسْبِلِ الْيَوْمَ فِي^(٨) فِي بُرْدِيكَ إِسْبَالاً

دار الفكر:- ٢١/٢، تاريخ الطبري: ١٤٧/٢، الأغاني: ٣١٣/١٧، العقد الفريد- دار
الكتب العلمية:- ٢٩٠/١، أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ١٩٢/٢، اللسان «رفق»:
١١٩/١٠، الإيضاح: ٢٧٧/١، شرح أبيات الإيضاح- فيض الله:- ٤٧ أ، شروح
التلخيص: ١٥٤/٣، القول الجيد: ٢٦٤.

- (١) روى الطبري وابن سلام، وابن عبد ربه، القصيدة لوالد أُمَيَّة بن أبي الصلت «عبد الله».
- (٢) هو سيف بن ذي يزن بن أصبح بن مالك الحميري، من ملوك العرب اليمانيين، ودُهاثهم،
قيل اسمه معدي كرب، ولد ونشأ بصنعاء، وكان الحبشة قد ملكوا اليمن، وقتلوا أكثر
ملوكها من آل حمير، فاستنجد سيف بقيصر ملك الروم فخذله، ثم استنجد بكسرى ملك
الفرس فنصره، فآلحقت اليمن ببلاد الفرس على أن يكون ملكها والمتصرف في شؤونها
سيف بن ذي يزن، واتخذ سيف «غمدان» قصراً له، ومكث في الملك خمس وعشرين سنة
حتى ائتمر به بقايا الأحباش، فقتلوه بصنعاء، وهو آخر من ملك اليمن من قحطان.
انظر ترجمته:

طبقات فحول الشعراء: ٢١٦/١، مروج الذهب: ٨٠/٢ - ٨٥، الكامل لابن الأثير:
٢٦٣/١ - ٢٦٥، نهاية الأرب: ٣٠٩/١٥.

(٣) رواية الحماسة: «لِيَطْلُبَ الْبُوتَر».

(٤) رواية الحماسة: «خَيْمٌ فِي الْبَحْرِ».

(٥) أراد الأحباش.

(٦) فُلَّالاً: منهزمون. قُلُّ الْقَوْمِ يَقُلُّهُمْ فَلًّا: هزيمهم فانقلبوا وتقللوا. اللسان «فلل»: ٥٣٠/١١.

(٧) رواية الحماسة: «واضطم»، ورواية فحول الشعراء: «واضطم»، وعُلِّقَ المحقق - شاعر -

على هذه الرواية بقوله: واضطم فعل أمر من اضطمخ بالمسك، وتضمخ: تلطخ به وتطيب
فلما سكنت الخاء طرحها، والعرب تحذف من كلامها الحرف والحرفين.

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قُعْبَانٍ مِنْ لَبَنِ شَيْيَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبَوَالَا^(١)
وموضع الشاهد قوله: «عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِعًا».

والشاهد فيه كسابقه حيث جاءت جملة الحال خالية من «واو» الحال،
لتقدم الخبر على المبتدأ، فأشبهت الفعلية، فَقَدَّم الجار والمجرور «عَلَيْكَ» على
المبتدأ «التاج».

وربما حَسَنَ حذف الواو هنا، وخلو الجملة منها؛ لأن الشاعر أراد أن يثبت
لممدوحه السلطة والقوة الدائمة، فلا أحد يتجرأ على منازعته إياها، لذا فهو دائماً
يُرَى هائئاً مسروراً، فحذف «الواو» ليجعل حالة شربه كؤوس السرور وحالة ارتفاع
التاج عليه حالة واحدة مستمرة، فهو دائماً يُرَى على هذه الصورة.

أضِفَ إلى ذلك أنه لو عُرِضَ قوله: «عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِعًا» على النفس تارة
بالواو، وتارة من غير الواو، فهي بلا شك شاعرة أن هناك فرقاً في المعنى، وإن
لم تهتدِ إلى كنهه.

ومعنى الشاهد: إشرب كأس السرور، واخرج هنيئاً مريئاً عليك تاج الملك
والرياسة مرتفعاً دائماً، وعلى رواية، «مرتفعاً» يحمل المعنى على الكناية عن
الراحة والدعة أي متكئاً على سرير الملك في رأس قصر غمدان وغرفاته، فهي
دار معمورة بوجودك الدائم فيها.

= انظر هامش: طبقات فحول الشعراء: ١/٢٦٠، لسان العرب «ضمخ»: ٣/٣٦، ورواية
الأغاني: «فَالْتَطَّ».

(٨) ورواية الحماسة: «من برديك».

(١) انظر الأبيات في:

ديوانه: ٦٥ - ٦٦، الحماسة للبحراني: ١٦، العقد الفريد: ١/٢٩٠، الأغاني:
٣١٢/١٧ - ٣١٣.

قول الآخر:

لَقَدْ صَبَرْتَ لِلذَّلِّ أَغْوَادُ مِنْبَرٍ تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ أَقْصِبُ^(٢)

ذكره الشيخ من غير نسبة، وهو لوائلة - وقيل وائلة - ابن خليفة السدوسي^(٣)، في هجاء عبد الملك بن المهلب بن أبي صفرة^(٤).

وبعد البيت:

بَكَى الْمَنْبَرُ الْعَرَبِيَّ إِذْ قُمْتَ فَوْقَهُ وَكَادَتْ مَسَامِيرُ الْحَدِيدِ تَنْدُوبُ
رَأَيْتُكَ لَمَّا شَبْتَ أَذْرَكَكَ الَّذِي يُصِيبُ سَرَاةَ الْأَسَدِ حِينَ تَشِيبُ
سَفَاهَةً أَحْلَامٍ وَبُخْلَ بَنَائِلٍ وَفِيكَ لِمَنْ عَابَ الْمَزُونُ عُيُوبُ^(٥)

(١) الدلائل، رضا: ١٥٧، خفاجي: ٢٢٦، شاکر: ٢٠٣.

(٢) لم أعثر على الأبيات فيما رجعت إليه من مصادره إلا في:

البيان والتبيين: ٢٩٢/١، ٣١٣/٢، ٧٨/٣، الإيضاح: ٢٧٧/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤٧ أ، القول الجيد: ٢٦٣.

(٣) ذكر محقق البيان والتبيين أنه ورد في إحدى مخطوطات الكتاب: «وائلة ابن الأسقع السدوسي». وعقب على ذلك بأن كلمة «الأسقع» مقحمة.

ووائلة بن الأسقع صحابي جليل كان من أهل الصفة، توفي سنة (٨٣ هـ) في خلافة عبد الملك بن مروان.

انظر ترجمته:

تهذيب التهذيب: ١٠١/١١، الإصابة: ٥٨٩/٣، رقم (٩٠٨٩) ولم أجد ترجمة لوائلة بن خليفة السدوسي.

(٤) كان عبد الملك من شجعان العرب وأشرفهم خرج على بني مروان مع أخيه يزيد، وشهد الوقائع في العراق، فقتل أخوه وتفرقت جموعهما، ثم قتل مع أخيه المفضل على أبواب قنديل بالسند.

انظر ترجمته:

الأعلام: ١٦٥/٤.

(٥) البيان والتبيين: ٣١٤/٢.

موضع الشاهد قوله: «فِي يَدَيْكَ قَضِيبٌ».

والشاهد فيه كسابقه حيث جاءت جملة الحال خالية من الواو، فعند الشيخ أنه إن كان الخبر ظرفاً مقدماً على المبتدأ كَثُرَ أن تجيء الجملة من غير واو، ورأى أن الواو في الشواهد الثلاثة غير محتملة. قال بعد أن ذكر الأبيات السابقة. «... كل ذلك في موضع الحال، وليس فيه «واو» كما ترى ولا هو مُحْتَمَل لها إذا نَظَرْتُ»^(١).

أراد الشاعر أن يُوسع عبد الملك بن المهلب هجاءً مرّاً، فأثبت أن استمراره في الوقوف على المنابر لم يكن لحسن بيانه، وتفتح الأذهان لمقاله، بل ما صبرها عليه إلا لاستعماله القوة والقسر والجبر، فهو في حالة وقوفه دائم الملازمة للقضيب، وكأنَّ هذا القضيب جزء من أجزائه، وعضو من أعضائه، وجاء معنى الملازمة هذا من حذف واو الحال حيث جعل الوقوف، وحمل القضيب، وكأنهما حالة واحدة، وفعل واحد.

ولو أنه قال: «وفي يديك قضيب» بالواو، لشعرت النفس أن حمله القضيب أمر قد يطرأ عليه أحياناً، ولشعرت بالفصل بين قيامه، وبين حمله القضيب.

ومراد الشاعر أن يثبت له التلازم؛ لتكون صفة الجبروت فيه أبين وألزم. الشاهد الثامن والثلاثون بعد المائة^(٢):

(الكامل)
نَصَفَ النَّهَارُ^(٣) الْمَاءَ غَامِرُهُ وَرَفِيقُهُ^(٤) بِالْغَيْبِ لَا^(٥) يَذْرِي^(٦)
ذكره الشيخ من غير نسبة، وإنما أشار أنه من بيت الإصلاح.

(١) الدلائل، رضا: ١٥٨، خفاجي: ٢٢٦، شاکر: ٢٠٣.

(٢) الدلائل، رضا: ١٥٨، خفاجي: ٢٦٠، شاکر: ٢٠٣.

(٣) رواية شرح المفصل «النهار» بالنصب بإسناد الفعل نَصَفَ إلى الغائض أي «نصف هو النهار».

(٤) رواية إصلاح المنطق، وشعراء النصرانية: «وشريكه».

(٥) رواية إصلاح المنطق، وشعراء النصرانية: «وما يدرى».

(٦) لم أجد البيت إلا في:

وقائل (١) البيت المسيّب بن علس (٢)، وهو من قصيدة مطلعها:
أَصْرَمْتُ حَبْلَ الْوُدِّ مِنْ قُتْرِ وَهَجَرْتُهَا وَرَضِيْتُ بِالْهَجْرِ (٣)
والشاهد من أبيات في أول القصيدة يتغزل فيها بمحبوته إلى أن شبهها
بالدرة، ثم وصف تلك الدرة كيف استخرجت من البحر فقال:
كَجُمَانَةِ الْبَحْرِيِّ جَاءَ بِهَا غَوَّاصُهَا مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ
صُلْبُ الْفُؤَادِ رَيْسُ أَرْبَعَةٍ مُتَحَالِفِي الْأَلْوَانِ وَالسُّجْرِ (٤)
فَتَنَازَعُوا حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُوا أَلْقُوا إِلَيْهِ مَقَالِدَ الْأَمْرِ
وَعَلَتْ بِهِمْ سَجْحَاءُ (٥) خَادِمَةٌ تَهْوِي بِهِمْ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ
حَتَّى إِذَا مَا سَاءَ ظَنُّهُمْ وَمَضَى بِهِمْ شَهْرٌ إِلَى شَهْرِ

إصلاح المنطق: ٢٤١، أدب الكاتب: ٢٧٨، ديوان الأدب: ١٢٢/٢، الإفصاح: ١٢٢،
شرح الأشموني: ٤٤٠/١، شرح المفصل: ٦٥/٢، المفتاح: ١١٩، المغني: ٥٠٥/٢،
٦٣٦، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - عند الشاهد رقم (١٧٩)، خزانة الأدب
للبيгдаدي - مكتب الخانجي -: ٢٣٣/٣، شرح شواهد المغني: ٨٧٨/٢، شعراء النصرانية
قبل الإسلام: ٣٥٦.

(١) نسب البيت في خزانة الأدب للأعشى في مدح قيس بن معدى كرب، وليس في ديوان
الأعشى.

(٢) هو المسيّب بن علس بن عمرو بن قُمامة واسم المسيّب زهير وإنما سُمي المسيّب حين أوعد
بني عامر بن ذهل، فقالت بنو ضبيعة «قومه» قد سَبَيْتَكَ والقوم.
ذكره ابن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية، وهو خال الأعشى وكان الأعشى
راويته، والمسيّب من شعراء المفضليات.

انظر ترجمته:

المفضليات: ٦٠ - ٦٣، طبقات فحول الشعراء: ١٥٦/١ - ١٥٧، الموشح للمرزباني:
٤٧، ٧٠، خزانة الأدب للبيгдаدي - مكتبة الخانجي -: ٢٤٠/٣ - ٢٤١، شرح شواهد
المغني: ٨٧٨/٢.

(٣) شرح شواهد المغني: ٨٧٨/٢.

(٤) النجر والنجار والنجار: الأصل والحسب. اللسان «نجر»: ١٩٣/٥.

(٥) السجحاء من الإبل، التامة طولاً وعظماً. اللسان «سجع»: ٤٧٥/٢.

فالشاعر هنا شبه السفينة في عظمتها وطولها بالسجحاء من الإبل.

أَلْقَى مَرَايِيَهُ بِتَهْلُكَةِ ثَبَّتْ مَرَايِيَهَا فَمَا تَجْرِي^(١)

وبعدها أبيات قبل الشاهد تصور بطولة هذا الغواص، وما قاساه في استخراج هذه الدرة، وبعد الشاهد:

فَأَصَابَ مُنِيَّتَهُ فَجَاءَ بِهَا صَدْفِيَّةٌ كَمْضِيَّةُ الْجَمْرِ
يُعْطَى بِهَا تَمَنَّا وَيَمْنَعُهَا وَيَقُولُ صَاحِبُهُ أَلَا تَشْرِي^(٢)

وموضع الشاهد قوله: «الماء غامرة».

والشاهد فيه: وقوع الجملة الاسمية حالاً، ولم تسبق بـ «واو» مع أن الأكثر في مثل هذا أن تأتي مسبوقة بـ «الواو».

قال الشيخ عبد القاهر:

«وقد يجيء ترك «الواو» فيما ليس الخبر فيه كذلك، ولكنه لا يكثر، فمن ذلك قولهم: «كَلَّمْتُهُ فَوَه إِلَى فِيٍّ» و«رَجَعَ عَوْدُهُ عَلَى بِذِيهِ» في قول من رفع»^(٣).

ولعل حذف الواو هنا حسن للاختصار والإيجاز، فالحال التي يريد أن يصورها الشاعر حال تدعو إلى العجب والاستغراب، فكونه في داخل البحر أمر يدعو إلى الخوف، وكون النهار ينتصف، وهو بداخله لا يعلم أحد خبره أمر يزيد الخوف والعجب، فالنفس هنا مضطربة قلقه خائفة، فأرادت أن تنقل ما يدور بداخلها بسرعة فلجأت إلى الحذف.

وهذا البيت يستشهد به اللغويون على أن نَصَفَ هنا بمعنى «انتصف»، فإنه يقال لكل شيء بلغ نصف غيره: «قد نصف» بلا ألف، يقال: «قد نَصَفَ الإِزَارُ سَاقَهُ» يَنْصُفُهَا، وإذا بلغ الشيء نصف نفسه قيل: «أنصف» بالألف، يقال: أَنْصَفَ النَّهَارُ إِذَا بَلَغَ نِصْفَهُ، ويجوز نَصَفَ النَّهَارُ يَنْصُفُ إِذَا انْتَصَفَ^(٤).

(١) خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي -: ٢٣٦/٣.

(٢) خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي -: ٢٣٧/٣.

(٣) الدلائل، رضا: ١٥٨، خفاجي: ٢٢٦، شاکر: ٢٠٣.

(٤) انظر: إصلاح المنطق: ٢٤١، أدب الكاتب: ٢٧٨، ديوان الأدب: ١٢٢/٢، وغيرها من =

الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائة^(١):

(الطويل)

وَلَوْلَا جَنَانُ^(٢) اللَّيْلِ مَا أَبَ^(٣) عَامِرُ إِلَى جَعْفَرٍ^(٤) سِرْبَالُهُ^(٥) لَمْ يُمَزَّقِ^(٦) (٧)
والبيت ذكره الشيخ من غير نسبة، وإنما ذكر أن أبا علي الفارسي أنشده في كتابه «الإغفال»^(٨).

والبيت لسلامة بن جندل^(٩)، وهو من قصيدة مطلعها:
لِمَنْ طَلَّلَ مِثْلَ الْكِتَابِ الْمُنَمَّى خَلَا عَهْدُهُ بَيْنَ الصُّلَيْبِ فَمُطَرِّقِ
وقبل بيت الشاهد:

كتب اللغة.

- (١) الدلائل، رضا: ١٥٨، خفاجي: ٢٢٦، شاکر: ٢٠٤.
- (٢) رواية الديوان: «لولا سوادُ الليل»، والجنان ظلمة الليل. اللسان «جنن»: ٩٢/١٣.
- (٣) رواية العيني نقلاً عن الإغفال: «ما آل جعفر».
- (٤) رواية العيني نقلاً عن الإغفال: «إلى عامر».
- (٥) سِرْبَالُهُ: السَّرْبَالُ القميص أو الدرع. اللسان «سربل»: ٣٣٥/١١.
- (٦) رواية الديوان والعيني: «سِرْبَالُهُ لَمْ يُخَرَّقِ».
- (٧) انظر البيت في:
- ديوان سلامة بن جندل: ١٧٦، مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٩٨/١، ١٩٩، الأصمعيات: ١٣٢، رقم (٤٢)، شرح شواهد الألفية للعيني: ٤٣٦/١، شرح شواهد الأشموني: ٤٣٦/١، الإيضاح: ٢٧٥/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤٦ أ، لسان العرب «جنن»: ٩٢/١٣.
- (٨) الإغفال كتاب لأبي علي (٢٧٧ هـ) جمع فيه مسائل نحوية تعقب فيها الزجاج.
- (٩) هو سلامة بن جندل بن عمرو بن عبيد بن الحرث (٢٣ - ١٠٠ هـ) شاعر جاهلي كنيته أبو مالك، كان من فرسان العرب المعدودين، وأشدائهم المذكورين، وكان من أشهر وصافي الخيل، له أخ يدعى أحمر بن جندل، وهو من الشعراء الفرسان أيضاً، جعل ابن سلام سلامة بن جندل في الطبقة السابعة من فحول الجاهلية. انظر ترجمته:
- طبقات فحول الشعراء: ١٥٥/١، الشعر والشعراء: ٢٧٨/١، سمط اللآلي: ٤٩/١ - ٤٥٤، خزانة الأدب للبغداد: ٨٦/٢، شعراء النصرانية: ٤٨٦ - ٤٩١، الأعلام: ١٠٦/٣.

وَمَنْ يَدْعُوا فِينَا يُعَاشُ بِبَيْتَةٍ وَمَنْ لَا يُغَالُوا بِالرُّغَائِبِ نُعْتَقِ
وَأُمُّ بَحِيرٍ^(١)، فِي تَمَارُسِ بَيْنِنَا مَتَى تَأْتِيهَا الْأَنْبَاءُ تَحْمِشُ وَتَحْلِقِ
تَرَكْنَا بِحِيرًا حَيْثُ أَرْحَفَ جَدُّهُ وَفِينَا فِرَاسُ^(٢) عَانِيًا غَيْرَ مُطْلَقِ

وبعدها البيت وبعده:

بِضَرْبٍ تَظَلُّ الطَّيْرُ فِيهِ جَوَانِحًا وَطَعْنٍ كَأَفْوَاهِ الْمَزَادِ الْمُفْتَقِ^(٣)
وموضع الشاهد: «سرباله لم يمزق».

والشاهد فيه: أن ترك «الواو» هنا جائز غير أنه لا يكثر. فالجملة الإسمية إذا وقعت حالاً جاز فيها مجيء الواو، وجاز فيها تركها إلا أن مجيء الواو أولى^(٤).

ولعله حذف الواو هنا للاختصار، وإبراز جوهر المعنى، فالذي سر جعفرأ هي رؤيته حالة عامر سالمأ، ولما كانت هذه الحالة موجبة للسرور، وموجبة لمدح الليل، وإظهار فضله، فهي جوهر المعنى ذكرها مباشرة من غير واو.

والمعنى: أن لظلام الليل وسواده فضلاً على جعفر، فلولا لما رجع عامر سالمأ راضياً غير ممزق النفس، فالسربال هنا مستعار للنفس، وهذا المعنى مدح للظلام، وإظهار لنعمته على جعفر^(٥) كما قال أبو الطيب:
وَكَمْ لِظْلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ^(٦)

(١) بحير هو ابن عبدالله بن سلمة الخير القشيري، قتله في يوم المروت فَعَنَبُ بن عَتَاب بن الحارث بن عمرو بن هُمَام الرياحي، وقيل قتله كرام بن نخيلة التميمي. الاشتقاق: ٢٢٢.

(٢) فراس بن عبدالله القشيري. ديوان سلامة بن جندل: ١٧٦.

(٣) انظر: ديوانه: ١٧٧، الأصمعيات: ١٣٢ - ١٣٦.

(٤) شرح ابن عقيل: ٢٨١/٢ - ٢٨٢، شرح شواهد الألفية للعيني: ٤٣٥/١.

(٥) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤٦ أ.

(٦) لم أجده في ديوانه.

(البسيط).

الشاهد الأربعون بعد المائة^(١):

إِذَا أَتَيْتَ أَبَا مَرْوَانَ تَسَالَهُ وَجَدْتُهُ حَاضِرَاهُ الْجُودَ وَالْكَرَمَ^(٢)
لم ينسبه الشيخ عبد القاهر، ويقال: إنه للأخطل^(٣)(٤) من قصيدة يمدح بها
بشر بن مروان^(٥).

وموضع الشاهد: «حَاضِرَاهُ الْجُودَ وَالْكَرَمَ».

والشاهد فيه: أن الجملة الإسمية وقعت حالاً، ولم تسبق بـ «واو» والخبر فيها
مقدم.

ورأى الشيخ عبد القاهر أن لتقدم الخبر هنا تعلقاً، وتأثيراً في حذف الواو؛

(١) الدلائل، رضا: ١٥٨، خفاجي: ٢٢٧، شاکر: ٢٠٤.

(٢) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

القول الجيد: ٢٦٢ غير منسوب.

(٣) هو غِيَاثُ بْنُ غُوْثِ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ خَارِقَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ بَنِي تَغْلِبَ، أَبُو مَالِكٍ (١٩ هـ - ٩٠ هـ) شاعر مصقول الألفاظ حسن الديباجة، في شعره إبداع، اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح خلفائهم، وهو أحد الثلاثة المتفق أنهم أشعر عصرهم، جرير، والفرزدق، والأخطل، نشأ على المسيحية، واتصل بالأمويين، فكان شاعرهم، تهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره.
انظر ترجمته:

الشعر والشعراء: ٤٩٠/١ - ٤٣٠، الأغاني - دار إحياء التراث: ٢٨٠/٨ - ٣٢٠، خزانة
البغدادى - دار صادر: ٢٢٠/١ - ٢٢١.

(٤) معجم شواهد العربية: ٣٤٥، الدلائل، تحقيق خفاجي: ٢٢٦، وقد بحث في ديوانه -
صنعة السكري - فلم أجده.

(٥) هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي، من أمراء الدولة الأموية، كان
سمحاً جواداً ولي أمرة العراقيين «البصرة والكوفة»، لأخيه عبد الملك بن مروان سنة (٧٤ هـ) وهو أول أمير مات بالبصرة توفي عن نيف وأربعين سنة.
انظر ترجمته:

المعارف لابن قتيبة: ٣٥٤، ٣٥٥، ٤٥٨، ٥٧١، تهذيب ابن عساکر: ٢٥١/٣ - ٢٥٦،
خزانة البغدادى - دار صادر: ١١٧/٤، الأعلام: ٥٥/٢.

لأنه لو قال وجدته الجود والكرم حاضراه لم يحسن حسنه مع التقديم، فمع التقديم يقرب المعنى من قولنا: «وجدته حاضره الجود والكرم»، أو «حاضراً عنده الجود والكرم» وكأنه يرى أن في التقديم تجسيداً وتصويراً لذلك الكرم، وتأكيداً لوجوده.

قال الشيخ عبد القاهر:

«فقوله: حاضراه الجود: جملة من المبتدأ والخبر كما ترى، وليس فيها «واو»، والموضع موضع حالٍ، ألا تراك تقول: «أَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ جَالِساً»، فيكون «جالساً» حالاً، ذاك لأن «وَجَدْتُ» في مثل هذا من الكلام لا تكون المتعدية إلى مفعولين، ولكن المتعدية إلى مفعول واحد كقولك: «وَجَدْتُ الضَّالَّةَ» إلا أنه ينبغي أن تعلم أن لتقديمه الخبر الذي هو «حاضراه» تأثيراً في معنى الغنى عن «الواو»، وأنه لو قال: «وجدته الجود والكرم حاضراه» لم يَحْسُنْ حُسْنُهُ الآن، وكان السبب في حسنه مع التقديم، أنه يَقْرُبُ في المعنى من قولك: «وجدته حاضره الجود والكرم» أو «حاضراً عنده الجود والكرم»^(١).

وقد ساعد مجيء «إذا» الشرطية في إبراز عظم ذلك الجود ووفرته، فأظهرت أن إقبال طلاب العطايا على الممدوح أمر دائم الحصول لا ينقطع، وبذل الممدوح العطاء بسخاء موفور أمر مجزوم ومقطوع بحصوله، فهو مع كثرة الطالبين لَا يَرُدُّ أحداً، ولا يمنع عطاءه عن طالب.

الشاهد الواحد والأربعون بعد المائة^(٢):

(البيسط)

وَقَدْ عَلَوْتُ^(٣) قُتُوْدَ^(٤) الرَّحْلِ يَسْفَعُنِي^(٥) يَوْمَ قُدَيْدِيْمَةٍ^(٦) الْجَوَزَاءِ مَسْمُومٌ^(٧) (٨)

(١) الدلائل، رضا: ١٥٨، خفاجي: ٢٢٧، شاکر: ٢٠٤.

(٢) الدلائل، رضا: ١٥٩، خفاجي: ٢٢٧، شاکر: ٢٠٥.

وانظر: الدلائل، رضا: ١٦٥، خفاجي: ٢٣٤، شاکر: ٢١٤.

(٣) رواية الديوان: «وقد غدوت».

(٤) القنود: خشب الرحل، وقيل: القنود من أدوات الرحل، وقيل: جميع أدواته. اللسان «قند»:

٣٤٢/٣.

(٥) يسفعي: السُّفْعَةُ والسُّفْعُ: السَّوَادُ والشُّحُوبُ، وقيل: نوع من السَّوَادِ ليس بالكثير، وقيل: =

وهو في الدلائل من غير عزو، والبيت لعلقمة بن عبدة^(١).

والشاهد من قصيدة مطلعها:

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتَوْدَعْتَ مَكْتُومٌ أَنْ حَبَلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مَضْرُومٌ^(٢)

وقبل الشاهد:

وَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى قَرْنِي يُشَيِّعُنِي مَاضٍ أَخُو ثِقَةٍ بِالْخَيْرِ مَوْسُومٌ

وبعد الشاهد:

حَامٍ كَأَنَّ أَوَارُ النَّارِ شَامِلُهُ دُونَ الثِّيَابِ وَرَأْسُ الْمَرْءِ مَعْمُومٌ^(٣)

السود مع لون آخر، وقيل: السواد المُشْرَبُ حُمْرَةً. اللسان «سفع»: ١٥٦/٨.

(٦) قدييمة: ظرف وهو تصغير قدام. اللسان «قدم»: ٤٦٦/١٢، رواية الديوان: «نَوْمٌ تَجِيءُ بِهِ»، ورواية ديوانه - بشرح الأعلام - والمفضليات: «يَوْمٌ تَجِيءُ بِهِ».

(٧) مسموم: السموم حر الثَّهَانِ، ونبت مسموم أصابته السُّمُومُ، ويوم مسموم ذو سموم. اللسان «سمم»: ٣٠٤/١٢.

(٨) انظر البيت في:

ديوانه - بشرح الأعلام الششمري -: ٧٣، ديوانه: ٢٥، المفضليات: ٤٠٣، رقم (١٢٠)، المقتضب: ٢٧٢/٢، ٤١/٤، أشعار الشعراء الستة الجاهليين: ١٥٧/١، المخصص: ٩/٢، ٩٠، اللسان «سمم»: ٣٠٤/١٢.

(١) هو علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة، الشاعر المشهور أحد شعراء الجاهلية، وقيل له: الفحل من أجل رجل يقال له: علقمة الخصي، ويقال: إنه سمي بذلك عند تحكيم أم جندب بينه وبين امرئ القيس، وكانت تحت امرئ القيس، فلما غلبت عليه علقمة في قصيدته البائية طلقها امرؤ القيس، وخلف عليها علقمة، فسمي علقمة الفحل، وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من شعراء الجاهلية. انظر ترجمته:

طبقات فحول الشعراء: ١٣٩/١، الأغاني: ٢٠٠/٢١ - ٢٠٤، المؤلف والمختلف: ١٥٢، انتهى الطلب: ورقة ١٨ أ.

(٢) ديوانه: ١٧.

(٣) ديوانه: ٢٥ - ٢٦.

وموضع الشاهد قوله: «يسفني».

والشاهد فيه: أن الجملة هنا وقعت موقع الحال ولم تُسبق بـ «واو» لأن الفعل فيها مضارع مثبت غير منفي.

قال الشيخ:

«وإن كانت الجملة من فعل وفاعل، والفعل مضارع مثبت غير منفي، لم يكذب يجيء بالواو، بل ترى الكلام على مجيئها عارية من الواو»^(١).

فالشاعر في البيت يمتدح شجاعته وإقدامه وصبره على المكاره، فهو يعلو رحله للنضال في كل وقت حتى في أشد الأوقات حرارة، فهو لا يخشى حرارة الشمس وحرقتها.

ولعله حذف «الواو» هنا لينوه بجرأته على الإقدام في كل وقت حيث عمد إلى الفعل الأول «قد علوت» وضم إليه الفعل الثاني «يسفني» وجعلهما في إثبات واحد، فكأنه قال: وقد علوت قتود الرّجل بارزاً للشمس صاحياً، فهو يريد أن يجعلهما خبراً واحداً مبالغة في المعنى.

قال الشيخ:

«... فاعلم أن كل جملة وقعت حالاً ثم امتنعت من «الواو»، فذاك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها، فَضَمَمْتَهُ إلى الفعل الأول في إثبات واحد، وكل جملة جاءت حالاً ثم أقتضت الواو، فذاك لأنك مستأنف بها خبراً، وغير قاصد إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات تفسير هذا: أنك إذا قلت: «جاءني زيد يسرع»، كان بمنزلة قولك: «جاءني زيد مسرعاً»، في أنك تثبت مجيئاً فيه إسراع وتصل أحد المعنيين بالآخر، وتجعل الكلام خبراً واحداً، وتريد أن تقول: «جاءني كذلك، وجاءني بهذه الهيئة»، وهكذا قوله: ... بيت الشاهد»^(٢).

(١) الدلائل، رضا: ١٥٨، خفاجي: ٢٢٧، شاکر: ٢٠٤.

(٢) الدلائل، رضا: ١٦٤، خفاجي: ٢٣٤، شاکر: ٢١٣.

ونزل الشيخ عبد القاهر الجملة الواقعة حالاً، ولم تسبق بـ «واو» منزلة
الجزء الذي يستغني عن «الفاء»؛ لأن من شأنه أن يرتبط بالشرط من غير رابط،
وهو قولك؛ «إِنْ تُعْطِنِي أَشْكُرْ».

قال الشيخ:

«ونزل الجملة في نحو: «جاءني زيد يسرع» و«قد علوت قُتُود الرُّحُل
يسفَعُنِي يومٌ» منزلة الجزء الذي يستغني عن «الفاء»؛ لأن من شأنه أن يرتبط
بالشرط من غير رابط، وهو قولك: «إِنْ تُعْطِنِي أَشْكُرْ»، ونزل الجملة في
«جاءني زيد وهو راكب»، منزلة الجزء الذي ليس من شأنه أن يرتبط بنفسه،
ويحتاج إلى «الفاء»، كالجملة في نحو: «إِنْ تَأْتِنِي فَأَنْتَ مُكْرَمٌ»، قياساً سوباً
وموازنةً صحيحة»^(١).

ويُستشهد بهذا البيت في النحو في باب التصغير: «ما يُصغر من الأماكن،
وما يمتنع من التصغير»، فقد ديمة تصغير قُدَّام «فالظروف إنما هي هذه على
الحقيقة فما جاء منها مؤنثاً بغير علامة قُدَّام ووراء، وتصغيرها: قديديمة، وورثة
فإن قلت فما لهاتين لحقت كل واحدة منهما الهاء، وليستا من الثلاثة؟ قيل: لأنَّ
الباب على التذكير، فلو لم يُلحقوهما الهاء لم يكن على تأنيث واحد منهما
دليل»^(٢).

الشاهد الثاني والأربعون بعد المائة^(٣):

قوله^(٤):
وَلَقَدْ أَغْتَدِي بِدَافِعٍ رُكْنِي أَحْوَذِي ذُو مَيْعَةٍ إِضْرِيحُ^(٥)

(١) الدلائل، رضا: ١٦٦، خفاجي: ٢٣٥، شاکر: ٢١٥.

(٢) المقتضب: ٢٧١/٢ - ٢٧٢.

(٣) الدلائل، رضا: ١٥٩، خفاجي: ٢٢٧، شاکر: ٢٠٥.

(٤) هو أبو داود الإيادي «وقد سبق تعريفه». انظر: ٢٨٦.

(٥) سبق البيت في فصل «مزاي» النظم بحسب المعاني والأغراض.

انظر: الشاهد الثامن والثلاثون: ص ٢٦٧.

موضع الشاهد قوله: «يُدَافِعُ رَكْنِي».

والشاهد فيه كسابقه حيث جاءت جملة الحال فعلية، فعلها مضارع مثبت غير منفي لذا جاءت غير مسبوقة بـ «واو».

الشاهد الثالث والأربعون بعد المائة^(١):
(المقارب)

قول ابن همام السُّلُولِي^(٢):
فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ^(٣) نَجَوْتُ وَأَرْهَنُهُمْ^(٤) مَالِكَا^(٥)

قاله ليزيد بن معاوية^(٦)، حين أمر عبيدالله بن زياد^(٧) أن يأخذه، فأخذه،

-
- (١) الدلائل، رضا: ١٥٩، خفاجي: ٢٢٨، شاکر: ٢٠٥.
 - (٢) هو عبدالله بن همام بن نُبَيْشَةَ بن رباح بن مالك بن الهجيم (٠٠ - نحو ١٠٠ هـ)، وكان يقال له من حسن شعره «الْعَطَّار» جعله ابن سلام. في الطبقة الخامسة من فحول الإسلام. انظر: طبقات فحول الشعراء: ٦٢٥/٢، الشعر والشعراء: ٦٥٥/٢، سمط اللالي: ٦٨٣، الخزانة (دار صادر): ٦٣٨/٣ - ٦٣٩، الأعلام: ١٤٣/٤.
 - (٣) رواية ديوان الأدب، وشرح شواهد ابن عقيل، والدلائل تحقيق شاکر: «أظافيره».
 - (٤) رواية إصلاح المنطق واللسان «وأرهنهم»، ورواية ديوان الأدب: «وأرهنتم»، وعلى هاتين الروایتين لا شاهد في البيت لأن الفعل ماض فيجوز أن يسبق بـ «الواو».
 - (٥) انظر البيت في:
إصلاح المنطق: ٢٤٩، ديوان الأدب: ٣٣٣/٢، شرح الأشموني: ٤٣٢/١، شرح شواهد الألفية للعيني: ٤٣٢/١، شرح شواهد ابن عقيل: ١٣٧، الإيضاح: ٢٦٩/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤٣ أ، اللسان «رهن»: ١٨٨/١٣، شروح التلخيص: ١٣٣/٣، معاهد التنصيص: ٢٨٥/١، رقم الشاهد (٥٤)، القول الجيد: ٢٥٧.
 - (٦) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي (٢٥ هـ - ٦٤ هـ) ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام، نشأ بدمشق، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة (٦٠ هـ)، وأبى البيعة له عبدالله بن الزبير، والحسين بن علي، فانصرف الأول إلى مكة والثاني إلى الكوفة.
 - (٧) انظر ترجمته:
تاريخ الطبري: ٤٩٩/٥ - ٥٠٠، وانظر حوادث سنة (٦٤ هـ)، مروج الذهب: ٦٣/٣ - ٨١، الكامل لابن الأثير: ٢٦٣/٣ - ٣١٦ - ٣١٧، الأعلام: ١٨٩/٨.
 - (٧) عبيدالله بن زياد بن أبيه (٢٨ هـ - ٦٧ هـ)، والى فاتح من الشجعان جبار خطيب، ولد =

فسأله أن يكلفه عريفه، وكان اسم العريف «مالكاً»، ففعل، ثم هرب ابن همام، ولحق بيزيد بن معاوية، فاستجار به، فأمنه، فقال أبياته هذه عند رجوعه إلى دياره.

وبعد الشاهد:

غَرِيباً مُقِيمًا بِذَارِ الْهَوَا نِ أَهْوَنَ عَلَيَّ بِهِ هَالِكَا
وَأَحْضَرْتُ عُذْرِي عَلَيْهِ الشُّهُو دِ إِنَّ عَاذِرًا لِي وَإِنْ تَارَكَا
وَقَدْ شَهِدَ النَّاسُ عِنْدَ الْإِمَا مِ أَنِّي عَدُوٌّ لِأَعْدَائِكَا^(١)
وموضع الشاهد قوله: «وَأَرْهَنَهُم مَالِكَا».

والشاهد فيه: مجيء جملة الحال مسبوقة بالواو، والفعل فيها مضارع مثبت، والمتفق عليه في هذه الحال أن تأتي بلا «واو»، ولا ترتبط إلا بالضمير لشدة شبهها باسم الفاعل، لذا أولها بعضهم بالجملة الإسمية بجعل «أرهنهم» خبراً لمبتدأ محذوف تقديره «أنا أرهنهم»^(٢).

ورأى الشيخ عبد القاهر أن «الواو» هنا ليست واو الحال بل هي واو العطف، لأن أرهن هنا، وإن كان فعلاً مضارعاً إلا أنه بمعنى الماضي، فليس المعنى «نَجَوْتُ رَاهِنًا مَالِكًا»، بل هو حكاية حال بمعنى رهنْتُ؛ وذلك لأجل المناسبة بين المتعاطفين، وكذلك قولهم: «قَمْتُ وَأَصُكُّ وَجْهَهُ» أي «وَصَكَّكْتُ وَجْهَهُ».

بالبصرة، وكان مع والده لما مات بالعراق، فقصده الشام، فولاه عمه معاوية خراسان سنة (٥٣ هـ)، ثم نُقل أميراً على البصرة سنة (٥٥ هـ)، فقاتل الخوارج، واشتد عليهم، وأقره يزيد على إمارته سنة (٦٠ هـ)، قتل على يد إبراهيم بن الأشتر في خازر من أرض الموصل، وكان خصومه يدعونه ابن مرجانة، وهي أمه. انظر ترجمته:

تاريخ الطبري: ٣٠٠/٥ - ٣٠٤ - ٣٧٥ - ٣٨٠، ٣٨/٦ - ٤٠ - ٤٣ - ٤٦ - ٨٨ - ٩٠ - ٩٢...، الأعلام: ١٩٣/٤.

(١) اللسان «رهن»: ١٨٨/١٣.

(٢) فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل: ١٣٨.

قال الشيخ عبد القاهر:

«فَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ هَمَّامِ السَّلُولِيِّ:

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظْفِيرَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِكَا
في رواية من روى «وأرهنهم» وما شبهوه به في قولهم: قمت، وأصك
وجهه، فليست الواو فيها للحال، وليس المعنى «نجوت راهناً مالكاً وقمت صاكاً
وجهه»، ولكن أرهن وأصك حكاية حال..»^(١).

والمعنى: لما خفت من أسلحة هؤلاء الرجال، وخشيت إيذاءهم وإيلاهم
نَجَّاني الله منهم، وخلصني من شرهم في حال حبي لمالك عندهم، وإبقائه في
أيديهم^(٢).

الشاهد الرابع والأربعون بعد المائة^(٣):

(الكامل)

وَلَقَدْ أَمَرُ^(٤) عَلَى اللَّيْمِ يَسْبُونِي فَمَضَيْتُ^(٥) ثُمَّتُ^(٦) قُلْتُ لَا يَغْنِينِي^(٧)

(١) الدلائل، رضا: ١٥٩، خفاجي: ٢٢٨، شاکر: ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٢) شرح شواهد ابن عقيل: ١٣٨.

(٣) الدلائل، رضا: ١٥٩، خفاجي: ٢٢٨، شاکر: ٢٠٦.

(٤) رواية الأصمعيات: «ولقد مررت».

(٥) رواية الكامل: «فأجوز»، ورواية التصريح بمضمون التوضيح: «فأعف».

(٦) رواية حماسة البحتري: «فَمَضَيْتُ عَنْهُ وَقُلْتُ لَا يَغْنِينِي»، ورواية الكامل: «ثم أقول لا
يعنيني»، ورواية المغني: «ثمة».

(٧) انظر البيت في:

الكتاب: ٢٤/٣، شرح قصيدة كعب لابن هشام: ٩٧، معاني القرآن للأخفش الأوسط:

١٣٩/١، الأصمعيات: ١٢٦، رقم (٣٨)، الحماسة للبحتري: ١٧١، الصاحبي - مؤسسة

بدران -: ٢١٩، الخصائص: ٣٣٠/٣، شرح جمل الزجاجة: ٢٥٠/١، شرح الحماسة

للمرزوقي: ٥٩٣/٢ - ٦٤٥، الكشف: ٧٠/١، الإيضاح: ٣٦٩/١، المغني: ١٠٢/١،

٤٢٩/٢، ٦٤٥، شرح الشواهد الكبرى للعيني: ٦٧/٢، شرح الأشموني: ٦٧/٢، شروح

التلخيص: ١٣٤/٣، التصريح بمضمون التوضيح: ١١١/٢، همع الهوامع: ٩/١،

١٤٠/٢، شرح شواهد ابن عقيل: ٢٠٠، خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي -: ٣٥٧/١،

تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات - الكشف -: ٥٤٦/٤، معاهد التنصيص: ٢٨٦/١،

القول الجيد: ٢٥٨.

أورده الشيخ من غير نسبة.

والبيت يروى لرجل من بني سلول^(١)، ويروى لشمربن عمرو الحنفي^(٢)،
ويروى لعميرة بن جابر الحنفي^(٣).

والقصيدة خمسة أبيات أولها بيتان قبل الشاهد:

لَوْ كُنْتُ فِي رَيْمَانَ^(٤) لَسْتُ بِسَارِحٍ أَبْدَأُ وَسُدَّ خَصَاصُهُ^(٥) بِالطَّيْنِ
لِي فِي ذَرَاهُ مَآكِلٌ وَمَشَارِبٌ جَاءَتْ إِلَيَّ مَنِيَّتِي تَبْغِيْنِي
وبعدهما البيت وبعده:

غَضَبَانُ مُمْتَلِكًا عَلَى إِهَابِهِ إِنِّي وَرَبِّكَ سُخْطُهُ يُرْضِيْنِي^(٦)

(١) هذه نسبة الكتاب، وشرح شواهد ابن عقيل.

(٢) وهذه نسبة الأصمعي، وآثرت نسبة الأصمعي؛ لأنه أورد القصيدة كاملة، وأما معظم
المراجع فلم تذكر غير بيت الشاهد، ومن غير نسبة.

وشمربن عمرو الحنفي هو أحد شعراء بني حنيفة باليمامة، وكان كريم الأخلاق، يفهم ذلك
من قصته في يوم عين أباغ - وهو موضع بالشام، أو بين الكوفة والرقبة -، وكان بين
المنذر بن ماء السماء وبين الحرث الأعرج بن أبي شمر الغساني، وكان شمربن الحنفي في
باديء الأمر من أتباع المنذر بن ماء السماء إلا أنه وقع من المنذر خيانة وغدر بالحرث
الأعرج وأبنائه، فقال شمربن - وكانت أمه غسانية -: إِنَّ الْغَدْرَ لَيْسَ مِنْ شِيَمِ الْمُلُوكِ وَلَا الْكِرَامِ
وقد غدرت بآبِنِ عَمِكَ، فغضب المنذر وأمر بإخراجه، فانضم إلى عسكر الحرث، وذكر في
الأغاني أن شمربن هذا قتل المنذر بن ماء السماء غيلة.

انظر ترجمته:

الأغاني: ٤٦/١١، سبائك الذهب: ٤٥٤.

(٣) هذه نسبة الحماسة للبحري.

(٤) رَيْمَان: بفتح الراء وسكون الياء: قصر باليمن. معجم البلدان: ١١٤/٣.

(٥) خَصَاصُهُ: فروجه وخلله. اللسان «خصص»: ٢٥/٧.

(٦) ذكر هذا البيت مع بيت الشاهد في حماسة البحري، وخزانة البغدادي، وذكر البغدادي أن
بيت الشاهد أول بيتين لرجل من بني سلول، وكأنه يرى أنهما بيتان لا ثالث لهما، وزواية
الحماسة: «إِنِّي وَحَدِّكَ رَغْمُهُ يُرْضِيْنِي».

يَا رَبُّ نَكْسٍ^(١) إِنَّ أَتَتْهُ مَنِيَّتِي فَرِحَ وَخَرِقَ^(٢) إِنَّ هَلَكْتُ حَزِينٍ^(٣)
وموضع الشاهد قوله: «أمر».

والشاهد فيه: مجيء الفعل المضارع بمعنى الماضي أي «مررت» فهو
حكاية عن الماضي.

واستشهد به الشيخ للتنظير على أن «أرهنهم» في البيت السابق جاءت
بمعنى الماضي مثل الفعل «أمر»، فقد جاء مضارعاً، وهو بمعنى الماضي.

والبيت من شواهد النحاة المشهورة، فيرد عندهم في باب النعت شاهداً
على أن جملة «يسبني» في محل جر صفة «للثيم» وهو وإن كان معرفاً بـ «إلا أنه
في معنى النكرة إذ لو كان معرفة حقيقية لكانت الجملة حالاً.

ويرد كذلك شاهداً على أنه إذا زيدت التاء في «ثم» العاطفة اختصت
بعطف الجمل.

والمعنى: والله إنني لأمر على اللثيم الذي من عادته شتمي والإساءة لي،
فأتركه وأنصرف عنه محدثاً نفسي بأنه لا يقصدني بذلك الشتم، فالواو هنا للقسم
«ولقد أمر» جوابه والمقسم به محذوف، وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية أو
للاستمرار التجديدي، أي أن هذا أمره ودأبه، فجعله كالفعل الدائم، وقيل: إن
معناه «ربما أمر» فيكون الفعل في موضعه.

وجملة يسبني وصف للثيم في المعنى، وحال منه باعتبار اللفظ، إلا أن
الأول أظهر في المعنى، وأبين للمقصود، وهو التمدح بالوقار والتحمل.

وقيل: إن «مضيت» بمعنى المضارع أي فأمضي وعُبر عنه بالماضي إشارة

(١) نَكْسِي: بكسر النون وسكون الكاف: الرجل الضعيف، أو المقصر عن غاية النجدة والكرم.
اللسان «نكس»: ٢٤٢/٦.

(٢) الْخَرِقُ: بكسر الخاء: الفتى الظريف في سماحة ونجدة أو الكريم المتخرق في الكرم.
اللسان «خرق»: ٧٤/١٠.

(٣) هذه الأبيات لم تذكر إلا في الأصمعيات: ١٢٦ رقم (٣٨).

إلى أنه متحقق في نفسه، وعازم على ترك هذا السَّاب، والذهاب عنه حتى كأنه وقع ذلك بالفعل^(١).

قال الشيخ:

«... ولكن «أرهن وأصك» حكاية حال مثل قوله:
وَلَقَدْ أَمَرُ عَلَى اللَّئِيمِ سُبُّنِي فَمَضَيْتُ ثَمْتُ قُلْتُ لَا يَغْنِينِي

فكما أنَّ «أمر» ههنا في معنى «مررت» كذلك يكون «أرهن، وأصك» هناك في معنى «رهنْتُ وصككت» ويبين ذلك أنك ترى «الفاء» تجيء مكان الواو في مثل هذا، وذلك كنحو ما في الخبر في حديث عبدالله بن عتيك حين دخل على أبي رافع اليهودي حصنه قال: «فأنتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم لا أدري أني هو من البيت، فقلت: أبا رافع! فقال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت، فأضربه بالسيف - وأنا دهش -، فكما أن «أضربه» مضارع قد عطفه بالفاء على ماضٍ؛ لأنه في المعنى ماضٍ، كذلك يكون «أرهنهم» معطوفاً على الماضي قبله، وكما لا يُشكُّ في أنَّ المعنى في الخبر: «فأهويت فضربت»، كذلك يكون المعنى في البيت: «نَجَوْتُ وَرَهَنْتُ» إلا أن الغرض في إخراجه على لفظ الحال، أن يحكي الحال في أحد الخبرين، ويدع الآخر على ظاهره، كما كان ذلك في «وَلَقَدْ أَمَرُ عَلَى اللَّئِيمِ سُبُّنِي فَمَضَيْتُ» إلا أنَّ الماضي في هذا البيت مؤخَّر معطوف، وفي بيت ابن همام وما ذكرناه معه، مُقَدَّم معطوف عليه، فاعرفه^(٢).

ومثال بيت الشاهد في المعنى:

لَا يَغْضَبُ الْحُرُّ عَلَى سِفْلَةٍ وَالْحُرُّ لَا يُغْضِبُهُ النَّذْلُ
إِذَا لَيْمٌ سَبَّنِي جَهْدَهُ أَقُولُ زِدْنِي فَلْيَ الْفَضْلُ^(٣)

(١) انظر: خزنة البغدادي - مكتبة الخانجي -: ٣٥٧/١ - ٣٥٨، فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل: ٢٠٠.

(٢) الدلائل، رضا: ١٥٩ - ١٦٠، خفاجي: ٢٢٨ - ٢٢٩، شاکر: ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٣) خزنة الأدب للبغدادي - مكتبة الخانجي -: ٣٥٨/١.

الشاهد الخامس والأربعون بعد المائة^(١):

(الرمل)

قول مسكين الدارمي^(٢):

أَكْسَبَتْهُ الْوَرَقُ الْبَيْضُ أَبَا وَلَقَدْ كَانَ وَلَا يُدْعَى^(٣) لِأَب^(٤)

والبيت من قصيدة قالها في فتاة من قومه خطبها فكرهته لواد لونه، وقلة ماله، وتزوجت بعده رجلاً من قومه ذا يسار ليس له مثل نسب مسكين، فمر بها مسكين ذات يوم، وهي جالسة مع زوجها فقال:

أَنَا مَسْكِينٌ لِمَنْ يَعْرِفُنِي لَوْنِي السُّمْرَةُ أَلْوَانُ الْعَرَبِ
مَنْ رَأَى ظَبِيًّا عَلَيْهِ لُؤْلُؤُ وَاضِحَ الْخَدَّيْنِ مَقْرُونًا بِضَبِ

وبعدهما بيت الشاهد وبعده:

أَصْحَبِ الْأَخْيَارَ وَارْغَبْ فِيهِمْ رَبُّ مَنْ صَحِبْتَهُ مِثْلُ الْجَرَبِ
وَاصْدُقِ النَّاسَ إِذَا حَدَّثْتَهُمْ وَدَعِ الْكِذْبَ لِمَنْ شَاءَ كَذَبُ
رَبُّ مَهْزُولٍ سَمِينٌ بَيْتُهُ وَسَمِينُ الْبَيْتِ مَهْزُولُ النَّسَبِ

(١) الدلائل، رضا: ١٦٠، خفاجي: ٢٢٩، شاکر: ٢٠٧.

(٢) هو ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن زيد بن عبد الله بن دارم بن تميم (١٠٠ -

٨٩ هـ)، ومسكين لقب غلب عليه لقوله:

أَنَا مَسْكِينٌ لِمَنْ أَنْكَرَنِي وَلِمَنْ يَعْرِفُنِي جِدُّ نَطْقِ

هو شاعر عراقي شريف من سادات قومه هاجى الفرزدق ثم كافه، كان متصلاً بزياد ابن أبيه.

انظر ترجمته:

كتاب ألقاب الشعراء - نوادر المخطوطات -: ٣٠٥/٢، الشعر والشعراء: ٥٥١/١ - ٥٥٢،

تهذيب ابن عساكر: ٣٠٣/٥ - ٣٠٦، الأعلام: ١٦/٣.

(٣) رواية الديوان والأغاني: «وما يُدْعَى».

(٤) انظر البيت في:

ديوانه: ٢٢، الأغاني: ٢٠ - ٢١١، المفتاح: ١٢٠، الإيضاح: ٢٧٠/١، شرح شواهد

الألفية للعين: ٤٣٥/١، الأشموني: ٤٣٥/١، التصريح بمضمون التوضيح: ٣٩٢/١،

شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤٣ أ، شروح التلخيص - عروس الأفراح -: ١٣٧/٣.

أَصْبَحَتْ عَاذِلَتِي مُغْتَلَّةً قَرَمًا، أَمْ هِيَ وَخْمَى لِلصُّخْبِ
أَصْبَحَتْ تَنْفُلُ^(١) فِي شَحْمِ الذُّرَى وَتَظُنُّ اللَّوْمَ دُرًّا يُنْتَهَبُ^(٢)
وموضع الشاهد قوله: «وَلَا يُدْعَى لِأَبٍ».

والشاهد فيه: وقوع الجملة الفعلية في موضع الحال، وفعلها مضارع منفي، فجاز فيها أن تسبق بـ «واو» الحال.

قال الشيخ:

«فإن دخل حرف نفي على المضارع تغير الحكم، فجاء بـ «الواو»، وتركها كثيراً، وذلك مثل قولهم: كُنْتُ وَلَا أُخْشَى بِالذُّبِّ. وقول مسكين الدارمي...»^(٣).

ولعله جاء بـ «واو» الحال هنا؛ لأنه قصد أن يجعل كل فعل خبراً قائماً بذاته، فإكساب الورق له أبا «خبر»، وأنه كان لا يُدْعَى لِأَبٍ «خبر آخر»؛ ليكون ذلك أوجع وأبلغ في التحقير والهجاء.

قال الشيخ:

«... وكل جملة جاءت حالاً، ثم اقتضت «الواو»، فذاك؛ لأنك مستأنف بها خبراً، وغير قاصدٍ إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات»^(٤).

والمعنى: أن هذا الرجل قد أكسبه ماله الكثير، وغناه الوفير حُسن السمعة وطيب النسب، وقد كان من قبل دنيء الأخلاق مجهول النسب.

وانظر كيف صاغ الشاعر هذا المعنى صياغة تصور نفسيته الكارهة لذلك الشخص تصويراً متقناً، حيث جاء بالمجاز العقلي «أكسبته الورق»؛ ليؤكد أن ما

(١) رواية الأغاني: «تُرَزَّقُ مِنْ شَحْمِ الذُّرَى».

(٢) ديوانه: ٢٢ - ٢٣، الأغاني: ٢٠/٢١١.

(٣) الدلائل، رضا: ١٦٠، خفاجي: ٢٢٩، شاعر: ٢٠٧.

(٤) الدلائل، رضا: ١٦٥، خفاجي: ٢٣٤، شاعر: ٢١٣.

يتمتع به مهجوه من العزة وكرامة المحتد إنما هو أمر زائف طارئ عليه؛ لأنه استقاه من نبع غير متعارف عليه في علم الأنساب.

وشارك لفظ «أكسبته» في إبراز هذا المعنى حيث ناسب غرض الشاعر وهو الهجاء، فلو أنه قال: «منحته، أو وهبته» لقصرت مثل هذه الألفاظ وعجزت عن خدمة المعنى الذي أراد الشاعر. ثم أنظر إلى التأكيد باللام وقد «ولقد»، ومجيء كان التي حكى لنا استمرار حاله في الماضي.

وتأمل العبارة «لَا يُدْعَى لِأَبٍ» ودلالاتها على أنه وُلد من سفاح، وتقييده الورق بكونها «بيض» مع أن لونها معلوم بداهة، ذم وتحقير واستهزاء.

الشاهد السادس والأربعون بعد المائة^(١) (الوافر)

قول مالك بن رُفَيْع^(٢):
أَتَسَانِي^(٣) مُضْعَبٌ وَيَسْوَإِيهِ فَأَيْنَ أَحَبُّ عَنْهُمْ لَا أَحَبُّ
أَقَادُوا^(٤) مِنْ دَمِي وَتَوَعَّدُونِي وَكُنْتُ وَمَا يُنْهِنُنِي^(٥) الْوَعِيدُ^(٦)

- (١) الدلائل، رضا: ١٦٠، خفاجي: ٢٢٩، شاکر: ٢٠٧.
- (٢) جاء في شرح شواهد الألفية للعيني، والتصريح على التوضيح أن الأبيات لمالك بن رقية. ونسباً في ذيل الأمالي: لمالك بن أخي رُفَيْع الأسدي، ولم أقف على ترجمة لمالك بن رُفَيْع.
- (٣) رواية الدلائل تحقيق «شاکر»، ورواية الإيضاح، وشرح أبيات الإيضاح، والقول الجيد: «بَغَانِي مُضْعَبٌ».
- (٤) وهذه الرواية أحسن وأجود من رواية «أتاني»؛ لأنها تدل على الإلحاح في طلبه.
- (٥) رواية شرح شواهد الألفية للعيني: «أَمَاتُوا مِنْ دَمِي».
- (٦) النهية: الكَفُّ والمنع والزجر، وأصله من النهي. اللسان «نهنه»: ١٣/٥٥٠.
- (٦) انظر البيتين في:
- ذيل الأمالي والنوادر: ١٢٧ - ١٢٨، المفتاح: ١٢٠، الإيضاح: ١/٢٧٠، شرح شواهد الألفية للعيني: ١/٤٣٤، التصريح على التوضيح: ١/٣٩٢، شرح الأشموني: ١/٤٣٤، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤٣ أ، شروح التلخيص - عروس الأفراح -: ٣/١٣٧، القول الجيد: ٢٥٩.

وكان قد جنى جناية فطلبه مصعب بن الزبير^(١).

وذكر في ذيل الأمالي بعد البيت الأول:

أُسُودٌ بِالْحِجَارِ عَلَى أُسُودٍ خَوَادِرَ مَا تُنْهِنُهُنَا الْأُسُودُ

وبعد البيت الثاني من الشاهد، وبعده:

شَقِيتُ بِهِمْ عَلَى طُولِ النَّائِي كَمَا شَقِيتُ بِأَحْمَرِهَا ثُمُودُ
عَسَى ابْنُ الْكَاهِلِيَّةِ فِي نَدَاهُ يَعُودُ بِحِلْمِهِ فِيمَا يَعُودُ
فَيَأْمَنُ خَائِفٌ بِهِمْ طَرِيدُ وَيَأْتِي أَهْلَهُ النَّائِي الْبَعِيدُ^(٢)

وموضع الشاهد قوله:

«وَمَا يُنْهِنُنِي الْوَعِيدُ».

والشاهد فيه كسابقه وهو مجيء جملة الحال فعلية فعلها مضارع منفي فجاز

دخول واو الحال عليها.

ولعله جاء بـ «الواو» هنا، لأنه أراد أن يستأنف بجملة الحال خبراً جديداً
تغنياً بماضيه التليد الحافل بالبطولات وفي هذا إظهار لحاله المحزنة التي آل
إليها، فقد كان فيما سبق لا يخاف وعيداً من أحد أما الآن فهو لا يجد مفرّاً
منهم.

(١) هو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، أبو
عبدالله، وأمه الرباب بنت أنيف الكلبيّة كان من أحسن الناس وجهاً، وأشجعهم قلباً،
وأسخاهم كفاً، ولي إمارة العراقيين وقت دعى لأخيه عبدالله بن الزبير بالخلافة، فلم يزل
كذلك حتى سار إليه عبد الملك بن مروان فقتله.
انظر ترجمته:

طبقات ابن سعد: ١٨٢/٥ - ١٨٣، تاريخ الطبري: ١٥١/٦ - ١٦٧، انظر حوادث
(٧١هـ) وما قبلها، تاريخ بغداد: ١٠٥/١٣ - ١٠٨، الكامل لابن الأثير: ٩/٤ - ١٦
حوادث (٧١هـ) وما قبلها، شذرات الذهب: ٧٩/١، الأعلام: ٢٤٧/٧ - ٢٤٨.

(٢) ذيل الأمالي: ١٢٧ - ١٢٨.

فالشاعر صاغ هذين البيتين صياغة محكمة النسيج أبرزت حاله المحزنة التي انتهت إليها، فقلوه: «بغاني» دل هذا اللفظ على إصرار مصعب على الظفر به، وجاء بالفعل الماضي وأضافه إلى ضمير المتكلم؛ ليدل على تمكن مصعب منه، وكأن بغية مصعب إياه أمر قد وقع وحصل، وقوله: «وبنو أبيه» دل على تأزم الحال لشدة المطاردة، وكثرة الطالبين، ولجأ الشاعر إلى الاستفهام «أين» ليصور حيرته وشدة كربه وحزنه، وجاءت «الفاء» «فأين» لتدل على محاولاته المتكررة والمتعاقبة في الهروب، فزادت بذلك من بيان صورة فزعه وخوفه.

ثم أصغ إلى نبرات الألم، ورنات الأسى تشيع في تركيب البيت وذلك من عطف الجمل «أفادوني، وتوعدوني، وكنت» وتعبيره عن ماضيه المنصرم بجملة «وكنت» فيه تحسر وحرقة على انصرام ذلك الماضي المجيد.

الشاهد السابع والأربعون بعد المائة^(١):
(الطويل)

قال أبو الأسود^(٢):

«يُصِيبُ وَمَا يَذْرِي»^(٣).

وهي جملة في صدر بيت لأبي الأسود يقوله لعبدالله بن فروخ^(٤).

(١) الدلائل، رضا: ١٦١، خفاجي: ٢٣٠، شاکر: ٢٠٨.

(٢) سبقت ترجمته: ص ١٠٢.

(٣) لم أجد الشاهد إلا في:

الأغاني: ٣٠٧/١٢، معجم الشعراء للمرزباني: ٣١٧، وفي ديوانه، تحقيق محمد حسين آل ياسين: ٤٩ - ٥٠، ذكر القصيدة كاملة من غير إيراد الشاهد.

(٤) لعلة عبدالله بن فروخ القرشي التيمي مولى عائشة رضي الله عنها نزل الشام روى عنها وعن أبي هريرة، روى عنه شداد بن عمار وأبو سلام الحبشي، ومبارك بن أبي حمزة وغيرهم، قال أبو حاتم: مجهول، وقال العجلي: شامي تابعي ثقة روى له مسلم حديثين.

أول لعلة عبدالله بن فروخ القرشي التيمي مولى آل طلحة بن عبيدالله روى عن طلحة بن عبيدالله، وعثمان، وابن عباس وأم سلمة رضي الله عنهم.

ذكره ابن حبان في الثقات، روى له النسائي حديثاً واحداً في الصيام.

انظر: تاريخ الثقات: ١٢/٥، تهذيب التهذيب: ٣٥٦/٥.

وذكر أبو الفرج أنه قال قصيدته التي منها الشاهد للحصين بن أبي الحر العنبري^(١) حين كتب أبو الأسود إليه وإلى نعيم بن مسعود النهشلي^(٢) أن يبرّاه، ففعل ذلك نعيم، ورمى الحصين الكتاب وراء ظهره، فعلم أبو الأسود الخبر^(٣)، فقال للحصين:

حَسِبْتُ كِتَابِي إِذْ أَتَاكَ تَعَرُّضًا لَسَيْبِكَ لَمْ يَذْهَبْ رَجَائِي هُنَالِكَ
وَحَبَّرَنِي مَنْ كُنْتُ أَرْسَلْتُ أُنْمَا أَخَذْتُ كِتَابِي مُعْرِضًا بِشِمَالِكَا
نَظَرْتُ إِلَى عُنْوَانِهِ فَنَبَذْتُهُ كَبَيْدِكَ نَعْلًا أَخْلَقْتُ مِنْ نِعَالِكَا
نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ أَحَقُّ بِمَا أَتَى وَأَنْتَ بِمَا تَأْتِي حَقِيقُ بِذَلِكََا

(١) هو حصين بن مالك بن الخشخاش، وهو حصين بن أبي الحر التميمي العنبري أبو القلوص البصري، روى عن أبيه وجده، وعمران بن حصين وسمرة بن جندب وعامر بن عبد قيس الزاهد، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل البصرة، وكان حصين بن أبي الحر عاملاً لعمر على ميسان «بلد بالبصرة» وبقي حتى أدرك الحجاج فأتى به، فهُمَّ بقتله ثم خلاه، وجسه حتى مات.

وهو جد القاضي عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبري الذي تولى قضاء البصرة سنة (١٥٧ هـ) وعزل سنة (١٦٦ هـ) وتوفي بها.

وذكر في الأغاني أن حصين بن أبي الحر كان يلي بعض أعمال الخراج لزياد، وذكر في الإصابة أنه كان من عمال خالد بن الوليد في بعض نواحي الحيرة.

انظر: كتاب الثقات: ١٥٦/٤، الأغاني: ٣٠٧/١٢، تهذيب التهذيب: ٣٨٨/٢، الإصابة: ٣٣٥/١.

(٢) هو نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي (٠٠ نحو ٣٠ هـ)، صحابي من ذوي العقل الراجح، قدم على الرسول ﷺ أيام الخندق، وأسلم وكنم إسلامه، وهو الذي خذل المشركين وبني قريظة حتى صرف الله المشركين بعد أن أرسل عليهم ريحاً وجنوداً لم يروها، مات في خلافة عثمان، وقيل: قتل يوم الجمل.

انظر: الاستيعاب - على هامش الإصابة -: ٥٢٨/٣ - ٥٢٩، الإصابة: ٥٣٩/٣.

(٣) انظر: ديوانه - تحقيق محمد حسن آل ياسين -: ٤٩ - ٥٠، ذكر القصيدة كاملة من غير إيراد الشاهد، الأغاني: ٣٠٧/١٢.

يُصِيبُ وَمَا يَذْرِي وَيُخْطِي وَمَا دَرَى وَكَيْفَ يَكُونُ النُّوْكَ^(١) إِلَّا كَذَالِكَ^(٢)

وذكر المرزباني أن البيت لفرات بن حيان^(٣) أجاب به على قول حسان بن

ثابت:

فَإِنْ نَلَقَ فِي تَطَوَّافِنَا وَالتِّمَاسِنَا فَرَاتَ بَنَ حَيَّانٍ يَكُنْ وَهَنْ هَالِكِ^(٤)

فأجابه فرات:

أَبُوكَ أَبُو سُوءٍ وَخَالُكَ مِثْلُهُ وَلَسْتَ بِخَيْرٍ مِنْ أَبِيكَ وَخَالِكَ
يُصِيبُ وَمَا يَذْرِي وَيُخْطِي وَمَا دَرَى وَكَيْفَ يَكُونُ النُّوْكَ إِلَّا كَذَالِكَ

ويقال: هي لأبي سفيان بن الحارث^(٥).

وموضع الشاهد قوله: «وَمَا يَذْرِي».

والشاهد فيه: مجيء الفعل المضارع حالاً مسبوقاً بـ «الواو»، وهذا شائع

كثير في الكلام.

قال الشيخ:

«وليس مجيء الفعل المضارع حالاً على هذا الوجه، بعزیز في الكلام، ألا تراك تقول: «جعلتُ أمشي وما أدري أين أضع رجلي» و«جعل يقول ولا يدري» وقال أبو الأسود: «يُصِيبُ وَمَا يَذْرِي» وهو شائع كثير^(٦).

(١) النُّوْكَ: بالضم - وفي القاموس بالضم والفتح -: الحُمَق، والعجز والجهل. اللسان «نوك»: ٥٠١/١٠، القاموس المحيط «نوك»: ٣٣٣/٣.

(٢) انظر الأبيات في:

ديوانه: ٤٩ - ٥٠، الأغاني: ٣٠٧/١٢.

(٣) كان دليل قريش في الجاهلية، وهو ممن هجا رسول الله ﷺ، ثم مدحه، فقبل مديحه. انظر: طبقات ابن سعد: ١٣/٢، ٣٦، ٤٥/٣، ٣٦١/٤، ١١٦/٦، معجم الشعراء للمرزباني: ٣١٧، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين: ٢٦٩.

(٤) ديوان حسان بن ثابت: ١٧١.

(٥) معجم الشعراء للمرزباني: ٣١٧.

(٦) الدلائل، رضا: ١٦١، خفاجي: ٢٢٩، ٢٣٠، شاکر: ٢٠٨.

الشاهد الثامن والأربعون بعد المائة^(١): (الطويل)

مَضَوْا^(٢) لَا يُرِيدُونَ الرُّوَّاحَ^(٣) وَغَالَهُمْ مِنْ الدَّهْرِ أَسْبَابُ جَرَيْنَ^(٤) عَلَى قَدَرٍ^(٥)
والشاهد أورده الشيخ من غير عزو، وهو لعكرشة العبسي^(٦).

والبيت من قصيدة قالها حين خرج إلى الشام، فهلك بنوه بالطاعون^(٧).

(١) الدلائل، رضا: ١٦١، خفاجي: ٢٣٠، شاکر: ٢٠٨.

(٢) رواية مجالس ثعلب، والأشباه والنظائر، والدلائل تحقيق شاکر: «ثووا» وذكر الأستاذ شاکر أن ما أثبتته هو الأصوب.

ويبدو لي أن رواية «مضوا» هي الأحسن؛ لأن معنى المضي «وهو الخلو والذهاب» يناسب معنى عدم إرادة الرواح، ولو كانت الرواية «ثووا» - والثواء هو طول المقام - لما كان معنى لتخصيص عدم الإرادة بالرواح، ويؤدي ما ذهبت إليه شرح المرزوقي للبيت - سيرد فيما بعد -.

(٣) الرُّوَّاح: مصدر من راح أي راح يروح رَوَاحاً وهو نقيض قولك: غدا يَغْدُو غُدُوًّا، والمراد بالرواح هنا الرجوع إلى المكان الذي غدوا منه، راحت الإبل تَرَوُّحاً وتَرَوَّاحاً راثحةً، فَرَوَّاحُها ههنا أن تأوي بعد غروب الشمس إلى مُراحِها الذي تبيت فيه. اللسان «روح»: ٤٦٤/٢.

(٤) رواية الأشباه والنظائر: «أسباب تجيء على قدر».

(٥) انظر البيت في:

الحماسة - ت: عسيلان - ٥٢٠/١، رقم (٣٧١)، مجالس ثعلب: ٢٠١/١، رقم (٢٤٢)، الأشباه والنظائر: ١٥٣/٢، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٠٥٥/٣، رقم (٣٧١)، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٥٠/٣، الحماسة البصرية: ٢٤٦/١، المفتاح: ١١٩، الإيضاح: ٢٧٠/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - ٤٤ أ.

(٦) هو أبو الشغب العبسي، واسمه عكرشة بن أزيد بن سحل العبسي، ويبدو أنه من شعراء الدولة الأموية، إذ أنه قال أبياتاً في خالد بن عبدالله القسري، وهو أسير في يدي يوسف بن عمر الثقفي، ومما قال:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا أَسِيرٌ ثَقِيفٌ عِنْدَهُمْ فِي السَّلَاسِلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ عَمَزْتُمُ السَّجْنَ خَالِدًا وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطَأَةَ الْمُتَشَاوِلِ

انظر ترجمته:

كنى الشعراء - نوادر المخطوطات - ٢٨٤، سمط اللآلي: ٦٢٩/٢، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٩٢٧/٢ - ٩٢٨.

(٧) انظر: الحماسة البصرية: ٢٤٥/١.

وقيل: أنها في رثاء بني الزهراء^(١)، وأول القصيدة:
سَقَى اللَّهُ أَجْدَانًا^(٢) وَرَأَيْي تَرَكَتْهَا بِحَاضِرٍ قَنَسِرِينَ مِنْ سَبَلِ الْقَطْرِ

وبعده الشاهد وبعده:

وَلَوْ يَسْتَطِيعُونَ الرُّوَّاحَ تَرَوُّحُوا لَعُمَرِي لَقَدْ وَاَرَتْ وَضَمَّتْ قُبُورَهُمْ غَطَارِفَةٌ^(٤) زُهِرَ مَضْضُوا السَّيْلِيهِمْ أَبْعَدَ بَنِي^(٦) الدَّهْرَ أَرْجُو غَضَارَةً^(٧) يُذَكِّرُنِيهِمْ كُلَّ خَيْرٍ رَأَيْتُهُ مَعِي وَغَدَوَا^(٣) فِي الْمُصْبِحِينَ عَلَى ظَهْرِ أَكْفَأْ شِدَادَ الْقَبْضِ بِالْأَسْلِ السُّمْرِ فَلَهْفِي^(٥) عَلَى تِلْكَ الْغَطَارِفَةِ الزُّهْرِ مِنَ الْعَيْشِ أَوْ آسَى لِمَا فَاتَ مِنْ عُمْرِي^(٨) وَشَرَفَمَا أَنْفَكَ^(٩) مِنْهُمْ عَلَى ذِكْرٍ^(١٠)

(١) انظر: البيان والتبيين: ٣/٣٢٩، سمط اللآلي: ٤٢٨.

(٢) رواية مجالس ثعلب: «سقى الله فتيناً».

(٣) رواية الحماسة - ت: عسيلان -: أو غدوا.

(٤) غطارفة: جمع غطريف وهو السيد الشريف السخي الكثير الخير، وقيل: هو الفتى الجميل الشاب. اللسان «غطف»: ٩/٢٦٩ - ٢٧٠.

(٥) رواية البيان والتبيين: «ألهفي».

(٦) رواية البيان والتبيين: «أبعد بني الزهراء أرجو بشاشة».

وبيدولي أنه من الممكن أن تكون الرواية (بني الزهر)، ويؤيده «الزهر» في البيت قبله. كما يظهر لي أن الشاعر قال الأبيات في بنه لا في بني الزهراء، ومما يؤيد ذلك قوله: «تروحو معي» فهذا أشبه ببنه.

(٧) رواية البيان والتبيين: «بشاشة».

(٨) رواية البيان والتبيين: «أو أرجو رخاء من الدهر».

(٩) رواية الحماسة تحقيق عسيلان: «فما أنفك إلا على ذكر».

(١٠) الأبيات (١ - ٢ - ٣ - ٦) مع بيت الشاهد في:

الحماسة - تحقيق عسيلان -: ١/٥٢٠، والمروزي: ٣/١٠٥٥ - ١٠٥٦، والتبريزي:

٣/٥٠ - ٥١، والأبيات (١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦) مع بيت الشاهد، وأبيات أخرى في

الحماسة البصرية: ١/٢٤٥ - ٢٤٦.

والأبيات (٤ - ٥ - ٦) من غير ذكر بيت الشاهد في البيان والتبيين، والأبيات (١ - ٣ - ٦)

مع ذكر الشاهد في الأشباه والنظائر: ٢/١٥٢ - ١٥٣، والأبيات (١ - ٦) مع بيت الشاهد

في مجالس ثعلب.

موضع الشاهد قوله: «لا يريدون».

والشاهد فيه: مجيء المضارع منفياً حالاً من غير «الواو» وهذا شائع في الكلام.

قال الشيخ:

«فأما مجيء المضارع منفياً حالاً من غير «الواو» فيكثر أيضاً ويحسن»^(١).

ولعله حذف «الواو» هنا، ليجعل مُضِيهِمْ، وعدم إرادتهم الرِّوَّاح، واللبث خيراً واحداً، وفي ذلك تصوير لسرعة انتقالهم ورحيلهم، وكأنهم كانوا يتسابقون إلى قضائهم، وفيه أيضاً تصوير لاستسلامهم التام للقضاء والقدر.

والمعنى: «ساروا لا يعرجون على شيء، فلا يريدون لبثاً، ولا مقاماً، بل استعجلوا فتعجلوا، وأهلكهم من أحداث الدهر أسباب جاءت على قدر، فكأنهم كما دُعُوا أجابوا، وكما تهيَّئُوا أخذوا، لا تلُّوم، ولا اختلاف، ولا قصور، ولا امتناع»^(٢).

الشاهد التاسع والأربعون بعد المائة^(٣):

(البيسط)

وقال أَرْطَاةُ بْنُ سُهَيْبٍ^(٤):

- (١) الدلائل، رضا: ١٦١، خفاجي: ٢٣٠، شاکر: ٢٠٨.
 - (٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٠٥٥/٣، رقم (٣٧١).
 - (٣) الدلائل، رضا: ١٦١، خفاجي: ٢٣٠، شاکر: ٢٠٩.
 - (٤) هو أَرْطَاةُ بْنُ زُفَرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ بْنِ شَدَادِ بْنِ ذِيانٍ، كنيته أبو الوليد، وسُهِيبَةُ أُمُّهُ، وهي بنت زامل بن مروان بن زهير بن أبي جُثَم سبية من كلب، وكانت لضرار بن الأزور، ثم صارت إلى زُفَرٍ، وهي حامل فجاءت بأرطاة من ضرار على فراش زُفَرٍ، فلما ترعرع جاء ضرار طالباً إياه، فأعطاه الحارث إياه، فأدركه نهشل بن حُرَي فانتزعه منه ورده إلى زُفَرٍ، وأرطاة شاعر فصيح، معدود في طبقات الشعراء المشهورين، وهو من شعراء الإسلام في دولة بني أمية لم يسبقها، ولم يتأخر عنها، وكان امرأً صديقاً شريفاً في قومه جواداً. انظر ترجمته:
- كُنِيَ الشعراء - نوادر المخطوطات -: ٢٨٩/٢، الشعر والشعراء: ٥٢٩/١، الاشتقاق: =

إِنْ تَلَقَّنِي لَا تَرَى غَيْرِي بِنَاطِرَةٍ تَنْسُ السَّلَاحَ وَتَعْرِفُ جَبْهَةَ الْأَسَدِ^(١)

والشاهد من قصيدة قالها أروطاة حين بلغته مقالة شبيب بن البرصاء^(٢):
«وددت أني جمعني، وابن الأمة أروطاة بن سُهَيْة يوم قتال، فأشفي منه غيظي»،
فقال أروطاة الأبيات، ومطلعها:

عُوجًا نُلِمُّ عَلَى أَسْمَاءٍ فِي الثَّمَدِ^(٣) مِنْ دُونِ أَقْرُنِ^(٤) بَيْنَ الْقُورِ^(٥) وَالنَّجْدِ^(٦) ^(٧)

وبعده الشاهد وبعده:

مَاذَا أَظُنُّكَ تُغْنِي فِي أَحْيٍ رَصْدٍ مِنْ أَسَدٍ خَفَّانٍ جَائِي الْعَيْنِ ذِي لَبَدٍ

= ٢٩٠، رقم (١٧٧)، الأغاني: ٢٩/١٣، سمط اللالي: ٦٣٠/٢، شرح الحماسة
للتبريزي: ٢٠٨/١، مختار الأغاني: ٢٩٦/١ - ٣٠٠، الإصابة: ١١١/١، رقم (٤٣٣).

(١) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

شعر أروطاة بن سُهَيْة - جمع صالح محمد خلف -: ١٧٧، الأغاني: ٣٤/١٣، شرح أبيات
الإيضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (٣٩٩).

(٢) هو شبيب بن يزيد بن جمرة بن عوف بن أبي حارثة المري، ابن البرصاء (٥٠ نحو ١٠٠ هـ)
شاعر إسلامي بدوي لم يحضر إلا وافداً أو متجعاً، خيبت الهجاء، اشتهر بنسبته إلى أمه
«أمامة» أو «قرصانة» بنت الحارث بن عوف المري المنعوتة بالبرصاء لياضها لا لبرص فيها،
أدرك إمارة عثمان بن حيان في المدينة، وعده الجمحي في الطبقة الثامنة من الإسلاميين
قال عنه صاحب الخزائن: أنه كان شريفاً سيداً في قومه، من شعراء الدولة الأموية.
انظر ترجمته:

طبقات فحول الشعراء: ٧٠٩/٢ - ٢٢٧ - ٧٣٣، البرصان: ٩٦، جمهرة أنساب العرب:
٤٤١، خزائن البغدادي - دار صادر -: ١٩٢/١، الأعلام: ١٥٧/٢، الأعرابيات: ٢٢٢ -
٢٣٨.

(٣) (٤) الثَّمَدُ، وَأَقْرُنُ: مواضع.

انظرها في: معجم البلدان: ٨٤/٢، ٢٣٦/١.

(٥) والقُور: جمع القارة والقيران جمعُ القارة وهي الأصاغر من الجبال، والأعاطم من الأكام
وهي متفرقة خشنة كثيرة الحجارة. اللسان «قور»: ١٢٢/٥.

(٦) النَّجْدُ من الأرض: قَفَافُهَا وَصَلَابَتُهَا وما غلظ منها وَأَشْرَفَ وارتفع واستوى. اللسان «نجد»:
٤١٣/٣.

(٧) شعر أروطاة بن سُهَيْة: ١٧٧.

وموضع الشاهد قوله: «لا ترى»:

والشاهد فيه كسابقه، وهو وقوع الجملة الفعلية في موضع حال، وفعلها مضارع منفي، ولم تسبق بـ «واو» الحال.

ورأى الشيخ عبد القاهر أن حذف «الواو» هنا لطيف جداً، ولم يعلل سبب هذا اللطف.

ولعل حذف الواو لطف هنا؛ لأن الشاعر قصد من هذا الحذف أن يجعل لقاءه والنظر إليه وحده خبراً واحداً، متحداً في الزمان والمكان؛ ليبالغ في وصف شجاعته يرسم الحيرة، والاضطراب على وجوه أعدائه بمجرد لقائه، ووقوع النظر عليه.

والمعنى: «إن لقيتني أيها المعاند، وأنت متفرد غير مبصر غيري، نسيت السلاح لما يتداخلك من الحيرة والدهشة، وعرفت مرونة جبهتي جهة الأسد، يريد وعرفت أنني أسد، فانتزع من جبهته جهة الأسد، وتوصل به إلى أنه أسد، وصار هذا النوع نوعاً آخر من التجريد»^(١).

الشاهد الخمسون بعد المائة^(٢):

قول أعشى همدان^(٣):
أَتَيْنَا أَصْبَهَانَ^(٤) فَهَزَلْتَنَا وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ فِي نَعِيمٍ

(١) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -، رقم الشاهد (٣٩٩).

(٢) الدلائل، رضا: ١٦١ - ١٦٢، خفاجي: ٢٣٠، شاکر: ٢٠٩.

(٣) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جُشم بن عمرو بن الحارث، وكنيته: أبو المصْبُح، شاعر فصيح كوفي من شعراء الدولة الأموية، وكان زوج أخت الشعبي الفقيه، والشعبي زوج أخته، وكان الأعشى أحد الفقهاء القُرَاء، ثم ترك ذلك وقال الشعر، وخرج مع ابن الأشعث، فأتى به الحجاج أسيراً من الأسرى فقتله.
انظر ترجمته:

الأغاني: ٣٣/٦ - ٦٢، الحيوان: ٥٩٠/٥.

(٤) أصبهان: منهم من يفتح الهمزة، وهم الأكثر وكسرهما آخرون، وهي مدينة عظيمة مشهورة

وَكَانَ سَفَاهَةً مِنِّي وَجَهْلًا مَسِيرِي لَا أُسِيرُ إِلَى حَمِيمٍ^(١)

والبيتان من قصيدة قالها في هجاء خالد بن عتاب^(٢)، وكان الشاعر صديقاً حميماً له، وقد منّاه خالد إن هو استعبل وولي الإمارة أن يجعل له من العطاء والتصرف فوق ما للناس جميعاً، فاستعمل خالد على أصبهان وصار معه الأعشى، فلما وصل إلى عمله جفاه، وتناساه، ففارقه ورجع إلى الكوفة، وأنشد فيه هذا الهجاء^(٣)، ومطلع القصيدة:

تَمَنُّنِي إِمَارَتَهَا تَمِيمٌ وَمَا أُمِّي^(٤) بِأُمِّ بَنِي تَمِيمٍ

وبعد مطلع القصيدة، وقبل البيت الأول من الشاهد:

وَكَانَ أَبُو سُلَيْمَانَ أَخًا لِي وَلَكِنَّ الشُّرَاكَ مِنَ الْأَدِيمِ

وبعد البيت الأول من الشاهد:

أَتَذْكُرْنَا وَمُرَّةً إِذْ غَزَوْنَا وَأَنْتَ عَلَى بُغْيَلِكَ ذِي الْوُشُومِ

وقبل البيت الثاني من الشاهد:

= من أعلام المدن وأعيانها، وأصبهان اسم للإقليم بأسره، وهي من بلاد فارس. معجم البلدان: ٢٠٦/١ - ٢١٠.

(١) انظر البيتين في:

ديوانه: ١٦٠، رقم (٥٤)، البيان والتبيين: ٥٠/٤، رسائل الجاحظ: ٢٩٤/٢، الأغاني: ٤٣/٦، الإيضاح: ٢٧١/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤٤ أ.

(٢) خالد بن عتاب بن وراق الرياحي (٧٧ - ١٠٠ هـ)، شجاع من الأبطال كان من أشرف الكوفة، وأحد من حاربوا شيباً الخارجي في جيش الحجاج، وهو الذي قتل مصاداً أخا شبيب وغزاة أخته - وكانت امرأة صالح بن مُسْرَح - والتحم مع أصحاب شبيب في معركة بناحية المدائن، فانهزم أصحاب خالد فراجع حتى أشرف على دجلة، فألقى نفسه فيها بفرسه ولؤلؤة بيده، فقال شبيب: قاتله الله هذا أشد الناس. انظر ترجمته:

جمهرة أنساب العرب: ٢٢٧، الكامل لابن الأثير: ١١/٤ - ٥٥، الأعلام: ٢٩٧/٢.

(٣) القصة في الأغاني: ٤٣/٦.

(٤) رواية البيان والتبيين: «وَمَا أُمْرِي وَأُمْرُ بَنِي تَمِيمٍ».

وَكَاثَتْ أَصْبَهَانُ كَخَيْرِ أَرْضٍ
وَلَكِنَّا أَتَيْنَاهَا وَفِيهَا
فَأَنْكَرْتُ الْوُجُوهَ وَأَنْكَرْتَنِي
لِمُعْتَرِبٍ وَصُعْلُوكٍ عَدِيمٍ
ذَوِ الْأَضْغَانِ وَالْحَقْدِ الْقَدِيمِ
وُجُوهَ مَا تُخْبِرُ عَنْ كَرِيمٍ

وبعدھا البيت وبعده:

فَلَوْ كَانَ ابْنُ عُتَابٍ كَرِيمًا
سَمَا لِدُؤَابَةِ الْأَمْرِ الْجَسِيمِ^(١)

وموضع الشاهد قوله:

«لَا أُسِيرُ إِلَى حَمِيمٍ».

والشاهد فيه كسابقه، وهو وقوع الجملة الفعلية في موضع الحال، والفعل فيها مضارع منفي، ولم تسبق بـ «واو».

ورأى الشيخ أن البيت مثل سابقه لطفاً وحسناً.

قال الشيخ:

«قوله: «لا أسير إلى حميم» حال من ضمير المتكلم الذي هو «الياء» في «مسيرى»، وهو فاعل في المعنى، فكأنه قال: وكان سفاهةً مني وجهلاً أن سرت غير سائر إلى حميم، وأن ذهبتُ غَيْرُ مُتَوَجِّهِ إِلَى قَرِيبٍ»^(٢).

ولقد حذف «الواو» هنا ليباشر الأذهان بندمه وتحسره لعدم سيره إلى حميم، وهذا الندم يتضمن الذم المقذع، والهجاء اللاذع لخالد بن عتاب، ففيه تلميح بأن خالداً ليس بالصديق الحميم الذي يُرجى في الملمات، وهو لا يستحق أن تُشدَّ إليه الرِّحال.

(١) انظر الآيات في:

ديوانه: ١٦٠، ١٦١، رقم (٥٤)، الأغاني: ٤٣/٦ - ٤٤، رسائل الجاحظ: ٢٩٤/٢.

(٢) الدلائل، رضا: ١٦٢، خفاجي: ٢٣٠، ٢٣١، شاکر: ٢٠٩.

(الكامل)

الشاهد الواحد والخمسون بعد المائة^(١):

وقال خالد بن يزيد بن معاوية^(٢):
لَوْ أَنَّ قَوْمًا لِرِثْفَاعٍ قَبِيلَةٍ دَخَلُوا السَّمَاءَ دَخَلْتُهَا لَا أُحْجَبُ^(٣)
وموضع الشاهد قوله: «لَا أُحْجَبُ».

والشاهد فيه كسابقه، وهو وقوع الجملة الفعلية موضع الحال وفعلها مضارع منفي، ولم تسبق بـ «واو».

ورأى الشيخ أن مجيء الفعل المضارع المنفي مسبقاً بـ «واو» الحال تارة، وخالياً منها تارة أخرى كثير، إلا أنه لا يَهْتَدِي إلى وضعه في الموضع المناسب إلا سَلِيم الطبع، قال:

«وهو كثير إلا أنه لا يَهْتَدِي إلى وضعه بالموضع المرضي إلا من كان صحيح الطبع»^(٤).

(١) الدلائل، رضا: ١٦٢، خفاجي: ٢٣١، شاکر: ٢٠٩.

(٢) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٩٠ - ٩٠ هـ) الأموي القرشي، أبو هاشم حكيم قرشي وعالمها في عصره، اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم، فأنقنها وألف فيها رسائل، اختلفوا في سنة وفاته إلى أن قال الذهبي: وفيها أي سنة (٩٠ هـ)، على الأصح توفي خالد بن يزيد، كان فاضلاً في نفسه له همة ومحبة للعلوم وأمر بنقل الكتب من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة، وقال عنه الجاحظ إنه خطيب شاعر، وفصيح جامع جيد الرأي كثير الأدب.
انظر ترجمته:

الفهرست لابن النديم: ٤٩٧، جمهرة أنساب العرب: ٦٨، ٧٧، ١١٢ - ١٢١، تهذيب ابن عساکر: ١١٩/٥ - ١٢٣، وفيات الأعيان: ٢٢٤/٢ - ٢٢٦، الأعلام: ٣٠٠/٢ - ٣٠١.

(٣) انظر البيت في:
شرح الأشموني: ٤٣٤، رقم (٣٨٢)، شرح شواهد الألفية: ٤٣٤، الإيضاح: ٢٧١/١،
شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤٤ أ.

(٤) الدلائل، رضا: ١٦٢، خفاجي: ٢٣١، شاکر: ٢٠٩.

فقوله: «لَا أُحْجَبُ» من غير واو يُشعر بقوة نفس الشاعر، وامتلائها بمعاني البطولة والفخر، ومعاني العزة والمجد.

حيث جعل دخول السماء، وعدم اقتدار أحد على منعه خبراً واحداً، وهذا يدل على قوة هذا الخبر، وثقه الشاعر البالغة بأن قبيلته من العزة والمنعة بمكان. والمعنى: «لو ثبت أن قوماً لارتفاع قبيلتهم وعلوهم في المجد والشرف علواً بحيث بلغوا السماء، ودخلوا أبوابها دخلتها غير محجوب، وغير ممنوع؛ لأن قبيلتي أعلى شرفاً ومجداً من كل قبيلة»^(١).
الشاهد الثاني والخمسون بعد المائة^(٢):

(السيط)

مَتَى أَرَى الصُّبْحَ قَدْ لَاحَتْ مَخَايِلُهُ^(٣) وَاللَّيْلَ قَدْ مُزَّقَتْ عَنْهُ السَّرَايِلُ^(٤)

أورده الشيخ من غير عزو، وهو لَحْنُجُ بْنُ حَنْدُجِ الْمُرِّي^(٥) وهو من قصيدة مطلعها:

(١) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -، الشاهد رقم (١٦٤)، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤٤ أ.

(٢) الدلائل، رضا: ١٦٢، خفاجي: ٢٣١، شاکر: ٢١٠.

(٣) رواية معجم البلدان: «مخائله».

ومخايله أو مخائله جمع مخيلة، ومخايل الصبح علاماته، يقال: تفرس فيه الخير، وتَخَوَّلَتْ فيه خالاً من الخير وأَخْلَتْ فيه خالاً من الخير أي رأيت مَخِيلَتَهُ. اللسان «خيل»: ٢٣٠/١١.

(٤) رواية شرح أبيات الإيضاح: «السراويل».

(٥) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

الحماسة - ت: عسيلان -: ٤٢٠/٢، الأماشي لأبي علي القالي: ٩٩/١، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٨٢٨/٤، رقم (٨٢٧)، معجم البلدان «صول»: ٤٣٥/٣، الإيضاح: ٢٧٣/١، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -، الشاهد رقم (١٧٢).

(٦) لم أقف له على ترجمة كاملة، وإنما ذكر في «المبهم»: ٦٨، أن اسمه «خندج بن خندج المري» بالخاء، والخندج كتيب أصفر من النقا «الرميل» ويقال: هو رملة طيبة تنبت ألواناً. وذكر محقق الإيضاح - محمد عبد المنعم خفاجي - أنه شاعر أموي.

فِي لَيْلٍ صَوْلٍ^(١) تَنَاهَى الْعَرْضُ وَالطُّولُ كَأَنَّمَا لَيْلُهُ^(٢) بِاللَّيْلِ مَوْصُولُ

وبعد مطلع القصيدة، وقبل بيت الشاهد:

لَا فَارَقَ الصُّبْحُ كُفِّي إِنْ ظَفِرْتُ بِهِ وَإِنْ بَدَتْ غُرَّةٌ مِنْهُ وَتَحْجِيلُ
لِسَاهِرٍ طَالَ فِي صَوْلٍ تَمَلُّمُهُ كَأَنَّهُ حَيَّةٌ بِالسُّوْطِ مَقْتُولُ

وبعدهما الشاهد وبعده:

لَيْلٌ تَحْيِرَ مَا يَنْحَطُّ فِي جِهَةٍ كَأَنَّهُ فَوْقَ مَتْنِ الْأَرْضِ مَشْكُولُ
نُجُومُهُ رُكْدٌ لَيْسَتْ بِزَائِلَةٍ كَأَنَّمَا هُنَّ فِي الْجَوِّ الْقَنَادِيلُ

وموضع الشاهد قوله: «قد لاحت» وقوله: «قد مزقت».

والشاهد فيه: وقوع الجملة الفعلية وفعلها ماضٍ موقع الحال، ولم تسبق بـ «الواو»، والقاعدة أنه يتساوى مجيء «الواو» وعدم مع الفعل الماضي، ولا بد من اقتران الجملة بقدر مظهره، أو مقدّره. قال الشيخ:

«ومما يجيء بـ «الواو» وغير «الواو» الماضي، وهو لا يقع حالاً إلا مع «قد» مظهره أو مقدّره، أما مجيئها بـ «الواو» فالكثير الشائع، كقولك: «أتاني وقد جهده السير»^(٣).

ورأى أن حذف الواو هنا الغرض منه أن يجعل الجملتين في قوة جملة واحدة؛ لأنه في معنى «متى أرى الصبح بادياً لائحاً بيناً متجلياً ورأى أن القياس في مثل هذا مطرد»^(٤).

ورأى المرزوقي أنه يجوز في قوله: «والليل قد مُزّقت» أن يروى «الليل»

(١) صَوْل: بالضم ثم السكون وآخره لام كلمة أعجمية - لا أعرف لها أصلاً في العربية - مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأبواب وهي الدربند. معجم البلدان «صول»: ٤٣٥/٣.

(٢) رواية معجم البلدان: «كأنما صبحه بالليل موصول».

(٣) الدلائل، رضا: ١٦٢، خفاجي: ٢٣١، شاعر: ٢٠٩.

(٤) الدلائل، رضا: ١٦٥، خفاجي: ٢٣٥، شاعر: ٢١٤.

بالرفع وتكون الواو للحال، ويرتفع الليل بالابتداء و«قد مُزَّقت» في موضع الخبر^(١).

ولعل السر في مجيء جملة الحال خالية من الواو أن القصيدة كلها تشيع في معانيها روح الشاعر متململة، ضجرة ضائقة من طول الليل، تشعر وكأن الصبح عنها بعيد فجعل ظهور تبشيريه، وتمزق ليله خيراً واحداً؛ ليوهم النفس بتحقيق ذلك الظهور فتسكن وتطمئن.

أما لو أنه قال: «متى أرى الصبح وقد لاحت مخايله» بإثبات الواو، فإن النفس تشعر بأن هناك فاصلاً زمنياً دقيقاً، وهذا أمر ترفضه نفس الشاعر الضجرة المتبرمة بذلك الليل، العجلة في رؤية مخايل الصبح.

ولجمال هذه القصيدة وروعة معانيها واتصال هذه المعاني بسر خلو الجملة من «واو» الحال، سوف أورد شرح الأبيات المتصلة ببيت الشاهد مستقيه ذلك من شرح المرزوقي:

فالشاعر في مطلع قصيدته أعلن تبرمه المطلق بذلك الليل، وجعله كالمجسمات حتى صار ذا طول وعرض، بل بلغ الطول والعرض فيه نهايتهما وغايتهما حتى وقفا لا مستزاد فيهما، فكانما ليل صول ليل موصول بليل لا ينقطع ولا ينكشف، وقوله:

«لا فارق الصبح كُفي» يجوز أن يكون دعاء، يريد إن ظفرت بالصبح فلا فَرَّقَ الله بيني وبينه كما يقال: لا بارك الله في الكُفَّار، ويجوز أن يكون إخباراً^(٢)، والمعنى أنه يثبت به، فلا يُخلِّيه للزوال، وهذا على التَّشويق له والتبرم بليله.

والليل في الاستعمال بإزاء النهار على الإطلاق، والليلة بإزاء اليوم، وهذا

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٨٣٠/٤.

(٢) ويكون على غير المشهور؛ لأن «لا» لا تدخل على الفعل الماضي إلا إذا كررت، أو كان

للدعاء. مغني اللبيب: ٢٤٢/١ - ٢٤٣.

يدلُّ على أنه لا يقصد إلى ليلة واحدة، وإنما أراد: الليل في صول هكذا عَلَيَّ على الدوام.

وقوله: «إِنْ بَدَتْ غُرَّةٌ مِنْهُ وَتَحْجِيلٌ» يريد تباشيره ممتزجة بالظلام، والمراد إظهار الفاقة إليه، وشدة التشوف، وطول الملازمة له إذا ظَفِرَ به.

وقوله: «مَتَى أَرَى الصُّبْحَ» لفظة استفهام، ومعناه التمني والتطلع، واستبعاد المنتظر المترقَّب، ومخايله ما يَتَبَيَّنُ به دُنُوهُ كأنه أظهر ما عليه النفس من ضجره بالليل واستراحته للصُّبح^(١).

وحذف الواو من جملة الحال وجعلهما مسبوقتين بـ«قد» «قد لاحت مخايله»، «قد مزقت عنه السرايل» - على ما بيناه سابقاً - ووصل الجملتين «مَتَى أَرَى الصُّبْحَ» و«الليل قد مُزِّت عنه السرايل» وبنى الجملة الأخيرة على الاستعارة المكنية حيث شبه الليل بإنسان عليه غطاء سائر بجوامع التغطية في «كل»، ثم حذف المشبه به، وجاء بشيء من لوازمه، وهو السرايل، وقوله: «قد مُزِّت» ترشيح، كل ذلك؛ ليظهر شدة شوقه وتشوفه لبزوغ الفجر ففي ظهوره راحة نفسه.

ثم أخذ يظهر استثقاله لذلك الليل، فجعله لامتداده، واتصال دوامه كالمتحير الواقف عن المسير القائم على حدٍّ لا يزول عنه، ولا يجنح، ولا يميل، وساعد على إظهار حالة الضيق والتبرم هذه حذف المسند إليه، ومجيء المسند نكرة، والأصل «هو ليل».

الشاهد الثالث والخمسون بعد المائة^(٢):

(الوافر)
فَأَبُوا بِالسَّرْمَاحِ مُكْسَرَاتٍ^(٣) وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدِ أَنْحَيْنَا^(٤)

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٨٣١/٤.

(٢) الدلائل، رضا: ١٦٢، خفاجي: ٢٣١، شاکر: ٢١٠.

(٣) رواية حماسة البحترى: «محطمت».

(٤) انظر البيت في:

ورد البيت في الدلائل من غير نسبة، وهو لعبد الشارق بن عبد العزى^(١) الجهني^(٢)، وقيل لسلمة بن الحجاج الجهني^(٣).

وهو من قصيدة قالها في صفة الحرب أو الصدق في اللقاء، ومطلعها:
أَلَا حُيِّتَ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نَحْيِيهَا وَإِنْ كَرُمْتَ عَلَيْنَا
وقبل الشاهد:

شَدَدْنَا شِدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ فِتْيَةٍ وَقَتَلْتُ قَيْنَا
وَشَدُّوا شِدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا بِأَرْجُلٍ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُودِنَا
وَكَانَ أَخِي جُودَيْنٌ ذَا حِفَاطٍ وَكَانَ الْقَتْلُ لِلْفِتْيَانِ زَيْنَا

وبعدها بيت الشاهد وبعده:
فَبَاتُوا بِالصَّعِيدِ لَهُمْ أَحَاخُ^(٤) وَلَوْ خَفْتُ لَنَا الْكَلْمَى سَرِينَا^(٥)^(٦)

الحماسة - عسيلان - : ٢٤٨/١، رقم (١٥٤)، عيار الشعر: ٦٦، الأشباه والنظائر: ١٥٣/١، الحماسة للبحري: ٤٨، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٤٤٢/١، بهجة المجالس وأنس المجالس: ٤٧٣/٢، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٢٢٩/٢.

- (١) في الأشباه والنظائر «عبد العزيز».
- (٢) لم أجد للشارق بن عبد العزى ترجمة وافية، ولكن يفهم من كلام ابن جني في المبعج (٣٢) أنه جاهلي قال: «الشارق اسم صنم لهم، ولذلك قالوا عبد الشارق كقولهم: عبد العزى، وكلاهما صنم ومثله عبد يغوث، وعبد ود ونحو ذلك، ويجوز أن يكون الشارق من قولهم: عبد الشارق وهو قرن الشمس، فقولهم: إذا عبد الشارق كقولهم: لا أكلمك ما ذرَّ شارق أي ما طلع قرن الشمس، فقولهم: إذا عبد الشارق كقولهم عبد شمس».
- وقد جاء في الحماسة البصرية: ٢ - ٥٤، ما يؤيد ذلك. قال عند ذكر أحد أبيات القصيدة: قال عبد الشارق بن عبد العزى الجهني جاهلي.

- (٣) ذكرت هذه النسبة في حماسة البحري: ٤٧، ولم أجد لسلمة هذا ترجمة.
- (٤) الأحاح: اشتداد الحزن أو العطش، وسمعت له أحاحاً وأحياناً إذا سمعته يتوجع من غيظ أو حزن، والأحة: كالأحاح، والأحاح والأحيح والأحيحة: الغيظ والضغن وحرارة الغم والحقد. اللسان «أحح»: ٤٠٤/٢.
- (٥) رواية عيار الشعر: «سَلِينَا».
- (٦) انظر الأبيات في: نفس مراجع بيت الشاهد.

وموضع الشاهد قوله: «قد انحنينا».

والشاهد فيه كسابقه وهو وقوع الجملة الفعلية، وفعلها ماضٍ موضع الحال، ولم تسبق بـ «واو» الحال، وإنما جاءت مقترنة بـ «قد».

ولعله جاء بجملة الحال خالية من «الواو» ليدل على قوة طعنهم، ومضاء نصلهم، بأن جعل رجوعهم، وحال سيوفهم خبراً واحداً مؤكداً تتلقاه النفس دفعة واحدة فتشعر بقوته، وإنك لمتذوق طعم هذا الأسلوب وحلاوته إذا نظرت إلى قوله في أول القصيدة:

رُدِّيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ جِئْنَا عَلَى أَضْمَانِنَا وَقَدْ آحْتَوَيْنَا

حيث جاء بجملة فعلية فعلها ماضٍ واقعة حالاً مسبقة بـ «الواو»، وهي قوله: «وقد احتوينَا».

وللنفس هنا أن تتساءل عن سر هذا التغير في الأسلوب، وجوابها أن المقام هنا يقتضي مجيء «الواو»؛ لأن الشاعر أراد أن يجعل مجيئهم وهم غضاب خبراً قائماً بذاته؛ ليصور بسالتهم ونضالهم، ثم أراد أن يزيد صورتهم هذه وضوحاً لتزداد النفس حبوراً، فإن الأخبار السارة تُحِبُّ إلى النفس أن تقف عندها تتأملها وتأنس بها، فجاء بالخبر الآخر، وهو قوله:

«وقد احتوينَا»، وزاد النفس أنساً حذفه المفعول به والأصل احتوينَا الأموال والغنائم وإنما حذف ليدل على كثرة وتنوع ما غنموه

وذكر ابن طباطبا أن القصيدة التي ورد فيها بيت الشاهد من الأشعار المحكمة المتقنة الحسنة الرصف. قال:

«فمن الأشعار المحكمة المتقنة المستوفاة المعاني، الحسنة الرصف، السلسلة الألفاظ، التي قد خرجت خروج النثر سهولة وانتظاماً، فلا استكراه في قوافيها، ولا تكلف في معانيها، ولا داعي لأصحابها فيها»^(١).

(١) عيار الشعر: ٥٤.

وذكر ابن عبد البر في بهجة المجالس أن هذه القصيدة «من أحسن ما قيل في الإنصاف في صفة الحرب، واللقاء والصدق في ذلك»^(١).

الشاهد الرابع والخمسون بعد المائة^(٢):
(الكامل)

يَمْشُونَ قَدْ كَسَرُوا الْجُفُونَ إِلَى الْوَعَى مُتَبَسِّمِينَ وَفِيهِمْ اسْتِبْشَارُ^(٣)
أورده الشيخ من غير نسبة^(٤).

وموضع الشاهد قوله: «قد كسروا».

والشاهد فيه كسابقه، وهو وقوع الجملة الفعلية موقع الحال، وفعلها ماضٍ، ولم تسبق بـ «واو» الحال، وإنما اقترنت بقـ.

ورأى الشيخ عبد القاهر أن عدم مجيء الواو هنا لطيف جداً، ولم يبين وجه اللطافة فيه.

ولعل عدم مجيء الواو لطف هنا لأن الشاعر قصد أن يجعل خبر مشيهم وخبر كسرهم للجفون حين السير إلى الوعى خبراً واحداً ليؤكد أن هذا دأبهم وهذا حالهم في كل صيحة حرب، فقوتهم لا يصيبها الوهن ولا يطرأ عليها الفتور.

الشاهد الخامس والخمسون بعد المائة^(٥):
(الرجز)

لَنَا فَتَى وَحَبْدًا الْأَفْتَاءُ^(٦)
تَعْرِفُهُ الْأَرْسَانُ^(٧) وَالْدَّلَاءُ

(١) بهجة المجالس: ٤٧٣/٢.

(٢) الدلائل، رضا: ١٦٢، خفاجي: ٢٣١، شاکر: ٢١٠.

(٣) لم أعر عليه فيما لدي من مصادر.

(٤) لم أقف على قائله بعد.

(٥) الدلائل، رضا: ١٦٣، خفاجي: ٢٣٢، شاکر: ٢١٠.

(٦) الأفتاء: جمع فتى وهو الشاب ويقال: هو الكامل الجزل من الرجال. اللسان «فتا»:

١٤٥/١٥ - ١٤٦.

(٧) الأرسان: جمع رسن وهو الجبل. اللسان «رسن»: ١٨٠/١٣.

إِذَا جَرَى فِي كَفِّهِ الرُّشَاءُ^(١)
خَلَّى الْقَلِيبَ^(٢) لَيْسَ فِيهِ مَاءُ^(٣)

نسبه الشيخ إلى أعرابي .

وموضع الشاهد قوله: «ليس فيه ماء» .

والشاهد فيه: وقوع الجملة الإسمية المصدرة بـ «ليس» موقع الحال، وخلوها من «الواو» مع أنَّ الشائع أن تصحب «واو» الحال «ليس» . قال الشيخ: «ومما يجيء بـ «الواو» في الأكثر الأشيع، ثم يأتي في مواضع بغير «الواو» فيلطف مكانه ويدل على البلاغة، الجملة قد دخلها «ليس» تقول: «أتاني» و«لَيْسَ عَلَيْهِ ثُوبٌ» و«رأيتُه وَلَيْسَ معه غيره»، فهذا هو المعروف المستعمل، ثم قد جاء بغير «الواو»، فكان من الحسن على ما ترى وهو قول الأعرابي... الشاهد^(٤) .

ولعل عدم مجيء الواو حَسُنَ هنا مع أنَّ الغالب أن تصاحب ليس واو الحال؛ لأن الشاعر أراد في هذا المقام الذي هو مقام مدح، وافتخار أن يبالغ في تصوير شجاعة فتیان قبيلته، فنكر لفظ «فتى» للعموم، فهو لا يقصد فرداً بعينه، فكل فتى في قبيلته يتمتع بالشجاعة النادرة، فإذا جرى في كفه حبل الدلاء جعل القليب خالياً، وقدم المسند الجار والمجرور «لنا» على المسند إليه «فتى» لتقوية الحكم في الأذهان.

وانظر إلى قيمة الاستعارة المكنية في قوله: «تعرفه الأرسان والدلاء» حيث شبه الأرسان والدلاء بإنسان يدرك، ثم حذفه وجاء بشيء من لوازمه، وهو

(١) الرشاء: حبل الدلو. اللسان «رشاء»: ٣٢٢/١٤ .

(٢) القليب: البئر. اللسان «قليب»: ٦٨٩/١ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) الدلائل، رضا: ١٦٢، خفاجي: ٢٣١ - ٢٣٢، شاکر: ٢١٠ .

المعرفة، لإيقاع المعرفة على الأرسان والدلاء تخيل، ثم تأمل دور «إذا» التي جازمت بدوام جريان الرشاء في كف ذلك الفتى.

ولم يكتف الشاعر بهذا الخبر الذي ركه تركيباً استطاع أن يوصل إلينا معنى الشاعر المراد، بل عمد إلى خبر آخر بأن نفى وجود الماء وضمه إلى الخبر الأول، وجعلهما في حكم خبر واحد؛ ليصور في النفس فرط قوته، ويؤكد لها بالغ شجاعته.

والمعنى: «لنا فتى يزاول الأمور، ويقوم بكفائتها يعرفه الأرسان والدلاء؛ لكثرة استقائه الماء، وهذا وصف له بالجلادة، إذا جرى في كفه الدلاء، وأخذه للاستقاء ترك القلب لفرط قوته خالياً متزوح الماء، وقوله لنا في لفظه مفرد، والمراد الكثرة، والدليل مقام التمدح والمفاخرة»^(١).

الشاهد السادس والخمسون بعد المائة^(٢):

قول الفرزدق:
فَقُلْتُ عَسَى^(٣) أَنْ تُبْصِرَنِي كَأَنَّمَا بَنِي حَوَالِي الْأَسْوَدُ الْحَوَارِدُ^(٤)،^(٥)
وبيت الشاهد أحد ثلاثة أبيات قالها الشاعر مخاطباً زوجته طيبة بنت العجاج المجاشعي حين قالت له:

(١) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -، رقم الشاهد (١٧٢).

(٢) الدلائل، رضا: ١٦٣، خفاجي: ٢٣٢، شاکر: ٢١١.

(٣) رواية أساس البلاغة «لعلك يوماً أن تريني كأنما».

(٤) رواية الديوان: «الأسود اللوابد».

أي لهن ليد والليدة: الشعر المجتمع بين كتفي الأسد، والحوارد معناها «الغضاب» جاء في أساس البلاغة مادة «حرد»: حَرَدَ عَلَيْهِ: غضب، وهو حَرَدٌ عَلَيْهِ وحارَد، وأسد حَارِد وأسود حوارد: ٧٩.

(٥) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:
ديوانه: ١٤٦/١، الإيضاح: ٢٧٨/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤٧ ب، معاهد التنصيص: ٢٠٥/١، رقم الشاهد (٥٦)، القول الجيد: ٣٦٥، شروح التلخيص: ١٥٧/٣.

ليس لك ولد، وإن مت ورثك قومك.

وقبل الشاهد:

تَقُولُ أَرَاهُ وَاحِدًا^(١) طَاحَ أَهْلُهُ يُؤْمَلُهُ^(٢) فِي الْوَارِثِينَ الْأَبَاعِدُ

وبعد بيت الشاهد وبعده:

فَإِنْ تَمِيمًا قَبْلَ أَنْ تَلِدَ الْحَصَى أَقَامَ زَمَانًا وَهُوَ فِي النَّاسِ وَاحِدًا^(٣)

وموضع الشاهد قوله: «كَأَنَّمَا بَنِي الْأَسْوَدِ الْحَوَارِدُ».

والشاهد فيه: وقوع الجملة الإسمية موقع الحال، وحسن مجيئها من غير واو الحال، والعلة في هذا الحُسن دخول الحرف الناسخ «كأنما» عليها. قال الشيخ:

«قوله: «كَأَنَّمَا بَنِي» إلى آخره في موضع الحال من غير شبهة، ولو أنك تركت «كَانَ» فقلت: «عَسَى أَنْ تُبْصِرَ بَنِي حَوَالِي كَالْأَسْوَدِ» رأيت لا يحسن حُسْنَهُ الآن، ورأيت الكلام يقتضي «الواو» كقولك: «عَسَى أَنْ تُبْصِرَ بَنِي حَوَالِي كَالْأَسْوَدِ الْحَوَارِدِ»^(٤).

ولعل علة عدم مجيء الواو، وحسن ذلك أنه حصل بالحرف الناسخ «كأنما» نوع من الارتباط بين الجملتين أغنى عن وجود الواو. فجعل إِبصارها وحالة وجود بنيه حوله وكأنها حال متحققة موجودة.

والمعنى قائم على التَّرجي والتَّمَنِّي فهو يخاطب زوجته التي لامته في انعدام ولده، فيقول: قلت لهذه المرأة لا تلميني عسى أن تشاهديني والحال أن أولادي في يميني ويساري كالأسود الغضاب.

(١) رواية الدسوقي: «وقالت أراه واحداً لا أخاً له».

(٢) رواية معاهد التنصيص والدسوقي: «يؤمله ولا هو والد».

(٣) انظر الأبيات في:

ديوانه: ١٤٦/١، معاهد التنصيص: ٣٠٥/١.

(٤) الدلائل، رضا: ١٦٣، خفاجي: ٢٣٢، شاکر: ٢١١.

الشاهد السابع والخمسون بعد المائة^(١):

(السريع)

قول ابن الرومي:

وَاللَّهْ يُبْقِيكَ لَنَا سَالِمًا بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمٌ^(٢)

وهو من قصيدة يمدح بها عبيدالله بن عبدالله^(٣)، وأولها:

نَحْنُ مَيَامِينُ عَلَى أَنَّنَا عَلَى أَعَادِيكَ مَشَائِيمُ

وقبل بيت الشاهد:

قُلْ لَكَ الْمُلْكُ وَلَوْ أَنَّهُ مَجْمُوعَةٌ فِيهِ الْأَقَالِيمُ

نِعْمَ الْمَفَاتِيحُ وَقَدْ قُدِّرَتْ مِثْلَ الْمَفَاتِيحِ الْخَوَاتِيمُ

وبعدهما البيت.

وموضع الشاهد قوله: «بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمٌ».

والشاهد فيه: وقوع الجملة الاسمية حالاً ثانية، ولم تُسبق بـ «واو» الحال،

فَلَطَفَ ذَلِكَ، وسِرُّ هذا اللطف أنها سُبقت بحال مفردة «سالمًا»، ولو حذفت هذه

الحال المفردة لانتفى ذلك الحُسن. قال الشيخ:

(١) الدلائل، رضا: ١٦٣، خفاجي: ٢٣٢، شاکر: ٢١٢.

(٢) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

ديوانه: ٢٣١٥/٦، الإيضاح: ٢٧٨/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤٧ ب،

شروح التلخيص: ١٥٨/٣، معاهد التنصيص: ٣٠٥/١، رقم الشاهد (٥٧)، القول

الجيد: ٢٦٦.

(٣) هو عبيدالله بن عبدالله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، أبو أحمد (٢٢٣ - ٣٠٠ هـ)، وقد

يُعرف بابن طاهر، أسير من الأدباء الشعراء، انتهت إليه رئاسة أسرته، ولي شرطة بغداد،

وقيل: إمارة بغداد وكان مولده ووفاته فيها، كان مهيباً رفيع المنزلة عند المعتضد العباسي،

له براعة في الهندسة والموسيقى، حسن الترسُّل، وله تصانيف منها: «الإشارة» في أخبار

الشعراء، و«السياسة الملوكية»، و«البراعة والفصاحة»، و«مراسلات» مع ابن المعتز جمعها

في كتاب.

انظر: الفهرست: ١٧٠، تاريخ بغداد: ٣٤٠/١٠ - ٣٤٤، وفيات الأعيان: ١٢٠/٣ -

١٢٣.

«... وشبيه بهذا أنك ترى الجملة قد جاءت حالاً بعقب مُفْرَد، فَلُطِفَ مكانُها، ولو أنك أَرَدْتَ أن تجعلها حالاً من غير أن يتقدمها ذلك المفرد لم يحسن»^(١).

ويجوز أن تكون الحال المفردة «سالمًا» وجملة الحال «بُرْدًا» من الأحوال المترادفة، وهي أن تكون أحوالاً متعددة، وصاحبها واحد كالكَاف من يبيك، ويجوز أن يكونا من الأحوال المتداخلة، وهي: أن يكون صاحب الحال المتأخرة الاسم الذي يشتمل عليه الحال السابقة مثل أن يجعل قوله: «بُرْدًا تعظيم» حالاً من الضمير في سالمًا^(٢).

فهذا التعلق بين الحالين أغنى عن وجود الواو، فكأن مُراد الشاعر أن يجعل حال كونه سالمًا، وحال ارتدائه أثواب التبجيل والتعظيم حالاً واحدة متحدة في الزمن، ولو أنه جاء بـ «الواو» لتوهم السامع أنه يدعو له بالبقاء سالمًا في وقت، وأن يكون مرتدياً أثواب التبجيل والتعظيم في وقت آخر، وإنما مراد الشاعر اجتماعهما فيه على الدوام والاستمرار.

والمعنى: أبقاك الله لنا سالمًا من كل مكروه مُرتدياً أثواب التعظيم والتبجيل في كل زمان ومكان.

الشاهد الثامن والخمسون بعد المائة^(٣):

(الطويل)

سَأَغِيْلُ^(٤) عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِيَا عَلَيَّ قَضَاءُ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِيَا^(٥)

(١) الدلائل، رضا: ١٦٣، خفاجي: ٢٣٢، شاکر: ٢١١.

(٢) معاهد التنصيص: ٣٠٥/١، شاهد رقم (٥٧).

(٣) الدلائل، رضا: ١٧٠، خفاجي: ٢٣٨، شاکر: ٢٢٠.

(٤) رواية تاريخ بغداد: «سأدحض».

(٥) انظر البيت في:

كتاب الأمثال لابن سلام: ١١٧، الحماسة - ت: عسيلان -: ٦٩/١، رقم (١٠)، عيون

الأخبار: ١٨٧/١، الزهرة: ٦٨٢/٢.

وذكر في الأمالي للقالبي أبياتاً عديدة من القصيدة من غير أن يورد بيت الشاهد (٧٥/٢)،

وكذلك في جمع الجواهر في الملح والنوادر: ٩٧، شرح الحماسة للمرزوقي: ٦٧/١،

ذكره الشيخ من غير عزو، وهو لسعد بن ناشب المازني^(١).

والبيت من قصيدة قالها سعد حين أصاب دماً، فهدم بلال بن أبي بردة^(٢) داره بالبصرة وحرقتها، وقيل: إن الحجاج هو الذي هدم داره^(٣).

وبيت الشاهد هو مطلع القصيدة وبعده:

وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَذِمَهَا لِعَرْضِي مِنْ بَاقِي الْمَذْمَةِ حَاجِبًا
وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا أَنْشَتُ يَمِينِي بِإِذْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبًا

وفي زهر الآداب ذكر الحصري خمسة أبيات من ضمنها بيت الشاهد، وجعله قبل البيت الأخير وذكر قبله:

وَلَمْ يَسْتَشْرِ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا

وبعده البيت وبعده:

وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا أَنْشَتُ يَمِينِي بِإِذْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبًا

وذكر الحصري أن سعداً قد أفرط في هذه الأبيات^(٤).

وموضع الشاهد قوله: «قضاء الله».

زهر الآداب: ٢٥٨/١، تاريخ بغداد: ٣٥٤/٩، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال للبركي: ١٥٠، سمط اللآلي: ٧٩٤/٢، المقتصد في شرح الإيضاح: ٥١٠/١، رقم (١٠٨)، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٣٥/١، التذكرة السعدية: ٤٢، الكشكول: ٤/٣/٢، خزانة البغدادي - دار صادر: ٤٤٤/٣.

(١) هو سعد بن ناشب بن معاذ بن جعدة بن ثابت بن زرارة بن ربيعة، وجاء في الشعر والشعراء أنه من بني العنبر، وكان أبوه ناشب، وكان سعد من شياطين العرب، وله يوم الوقيط، وهو يوم كان في الإسلام بين تميم وبكر بن وائل، فهو على هذا شاعر إسلامي. انظر ترجمته:

النقائض: ٣٠٥/١ - ٣١٣، الشعر والشعراء: ٢٩٦/٢، سمط اللآلي: ٧٩٢/٢ - ٧٩٤، خزانة البغدادي - دار صادر: ٤٤٦/٣.

(٢) (ت: نحو ١٢٦ هـ) وقد سبقت ترجمته. انظر الشاهد الثامن بعد المائة.

(٣) انظر: شرح الحماسة للتبريزي: ٣٥/١، خزانة البغدادي - دار صادر: ٤٤٤/٣.

(٤) زهر الآداب: ٢٥٨/١.

والشاهد فيه : ارتفاع الاسم الظاهر «قضاء» بأسم فاعل - جالباً - اعتمد على
ذي حال فعمل عمل الفعل .

وساقه الشيخ على أنه مقياس يقاس عليه كل ما جاء على نحو قول
الشاعر:

«خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَيَّ سَوَادٌ»

برفع «سواد» بالظرف دون الابتداء، فارتفع سواد بما في عَلَيَّ من معنى
الفعل لا بالابتداء، هذا على أن يقدر المتعلق إما فعلاً، وإما اسم فاعل، وتقدير
الثاني أولى .

قال الشيخ عبد القاهر:

«وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْكَلَامَ وَجَدْتَ الظَّرْفَ وَقَدْ وَقَعَ مَوَاقِعَ لَا يَسْتَقِيمُ فِيهَا إِلَّا أَنْ
يُقَدَّرَ تَقْدِيرَ اسْمِ فَاعِلٍ، وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ السَّرَّاجُ فِي قَوْلِنَا: «زَيْدٌ فِي الدَّارِ»
أَنْكَ مَخِيرٌ بَيِّنٌ أَنْ تَقْدَرُ فِيهِ فِعْلاً فَتَقُولُ:

«استقر في الدار»، وبين أن تقدر اسم فاعل فتقول: «مستقر في الدار»،
وإذا عاد الأمر إلى هذا، كان الحال في ترك الواو عَلَى ظاهره^(١)، وكان «سواد»
في قوله: «خرجت مع البازي عَلَيَّ سَوَادٌ»، بمنزلة «قضاء الله» في قوله:
سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِباً عَلَيَّ قَضَاءَ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِباً
في كونه اسماً ظاهراً قد ارتفع باسم فاعل قد اعتمد على ذي حال، فعمل
عمل الفعل^(٢).

وروى المرزوقي أن قوله: «قضاء الله» يروى بالرفع والنصب، فعلى رواية
الرفع يكون فاعلاً لـ «جالباً عَلَيَّ» و«مَا كَانَ جَالِباً» في موضع مفعوله، ويكون
القضاء بمعنى الحكم والتقدير: سأغسل العار عن نفسي باستعمال السيف في

(١) في طبعة الأستاذ محمود شاكر: «في ترك الواو ظاهرة».

(٢) الدلائل، رضا: ١٧٠، خفاجي: ٢٣٨، ٢٣٩، شاكر: ٢٢٠ - ٢٢١.

الأعداء في حال جَلَب حكم الله عَلَيَّ الشيء الذي يجلبه وعلى رواية النصب يكون «قضاء الله» مفعولاً لـ «جالباً»، وفاعله ما كان جالباً، ويكون القضاء الموت المحتوم والقَدَر المقدور، كما يقال: للمصيد الصيد، وللمخلوق الخلق، والمعنى جالباً الموت عَلَيَّ جالبُهُ»^(١).

وبعد أن انتهيت من عرض هذا الفصل أحب أن أشير إلى أن الشيخ عبد القاهر سار به في طريق النجاة، فعرض قواعدهم، وبيّن حالات مجيء الجملة الحالية مسبقة بـ «واو» الحال، وغير مسبقة بها، وقليل ما كان يشير أثناء العرض إلى لطف وحسن بعض الجمل التي لم تسبق بـ «واو» الحال مع جواز ذلك. فهو لم يذكر تحديدات ذوقية علمية يعتمد عليها، وإنما اعتمد على استقرار الأساليب، واستطعام اللغة، وإدراك كنهها متكنناً في ذلك كله على الذوق، فهو يشير إلى أن مجيء «واو» الحال وعدم مجيئها لا يمكن أن يكون عشوائياً، بل هو من أجل علل توجبه، وأسباب تقتضيه إلا أن في الوقوف على العلة إشكالاً وغموضاً. قال الشيخ:

«وإذ قد رأيت الجمل الواقعة حالاً قد اختلف بها الحال هذا الاختلاف الظاهر، فلا بد من أن يكون ذلك إنما كان من أجل علل توجبه وأسباب تقتضيه، فمحال أن يكون ههنا جملة لا تصلح إلا مع الواو، وأخرى لا تصلح فيها الواو، وثالثة تصلح أن تجيء فيها الواو، وأن تدعها فلا تجيء بها، ثم لا يكون لذلك سبب وعلة. وفي الوقوف على العلة في ذلك إشكال وغموض ذاك لأن الطريق إليه غير مسلوک، والجهة التي منها تعرف غير معروفة»^(٢).

والشيخ عبد القاهر وإن لم يوضح السر في تلك المفارقات إلا أن له عظيم فضل في إعطائه المتذوق المفتاح الذي يتعرف به على أسرارها، وتمهيده الطريق، وتذليله الصعاب لإحساس المتذوق لتكون رؤيته أكثر وضوحاً وجلاءً ونظرة أكثر عمقاً وتغلغلاً في خبايا الأساليب، فقسّم الخبر قسمين:

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٦٧/١.

(٢) الدلائل، رضا: ١٦٣ - ١٦٤، خفاجي: ٢٣٣، شاکر: ٢١٢.

- خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة إلا به كخبر المبتدأ، والخبر الفعلي .

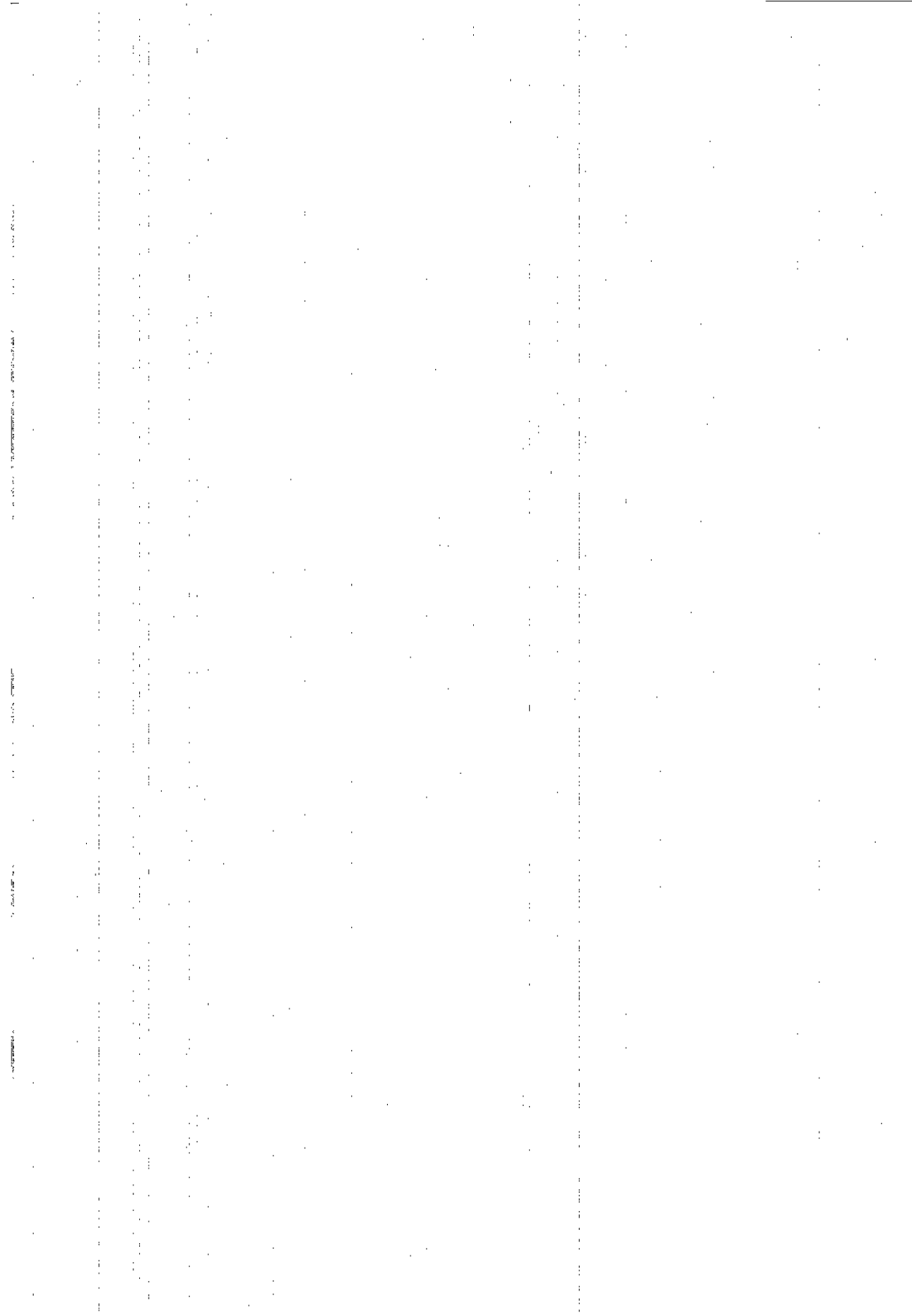
- وخبر ليس هو جزءاً من الجملة، ولكنه زيادة في خبر آخر سابق له، وهو (الحال) فهو خبر في الحقيقة من حيث إنه يثبت به المعنى لذي الحال كما يثبت بخبر المبتدأ للمبتدأ، ففي مجيء الحال زيادة معنى في الإخبار من حيث يلتبس به الإثبات على سبيل التبع لغيره مع اشتراط كونه في صلته . فقولنا: جاء زيد راكباً أثبتنا المجيء أولاً، ولزيادة في المعنى وُصل المجيء بالركوب، فالتبس به الإثبات على سبيل التبع لغيره أما في الخبر المطلق «زيد منطلق» فيكون إثبات الخبر من غير واسطة، ومن غير أن يُتسبب بغيره إليه^(١).

ثم قال:

«وإذ قال عرفت هذا، فأعلم أن كل جملة وقعت حالاً ثم امتنعت من «الواو» فذاك لأجل أَنَّكَ عَمَدْتَ إلى الفعل الواقع في صَدْرهَا فضممتها إلى الفعل الأول في إثبات واحد، وكل جملة جاءت حالاً، ثم اقتضت «الواو» فذاك لأنك مستأنف بها خبراً، وغير قاصد إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات»^(٢).

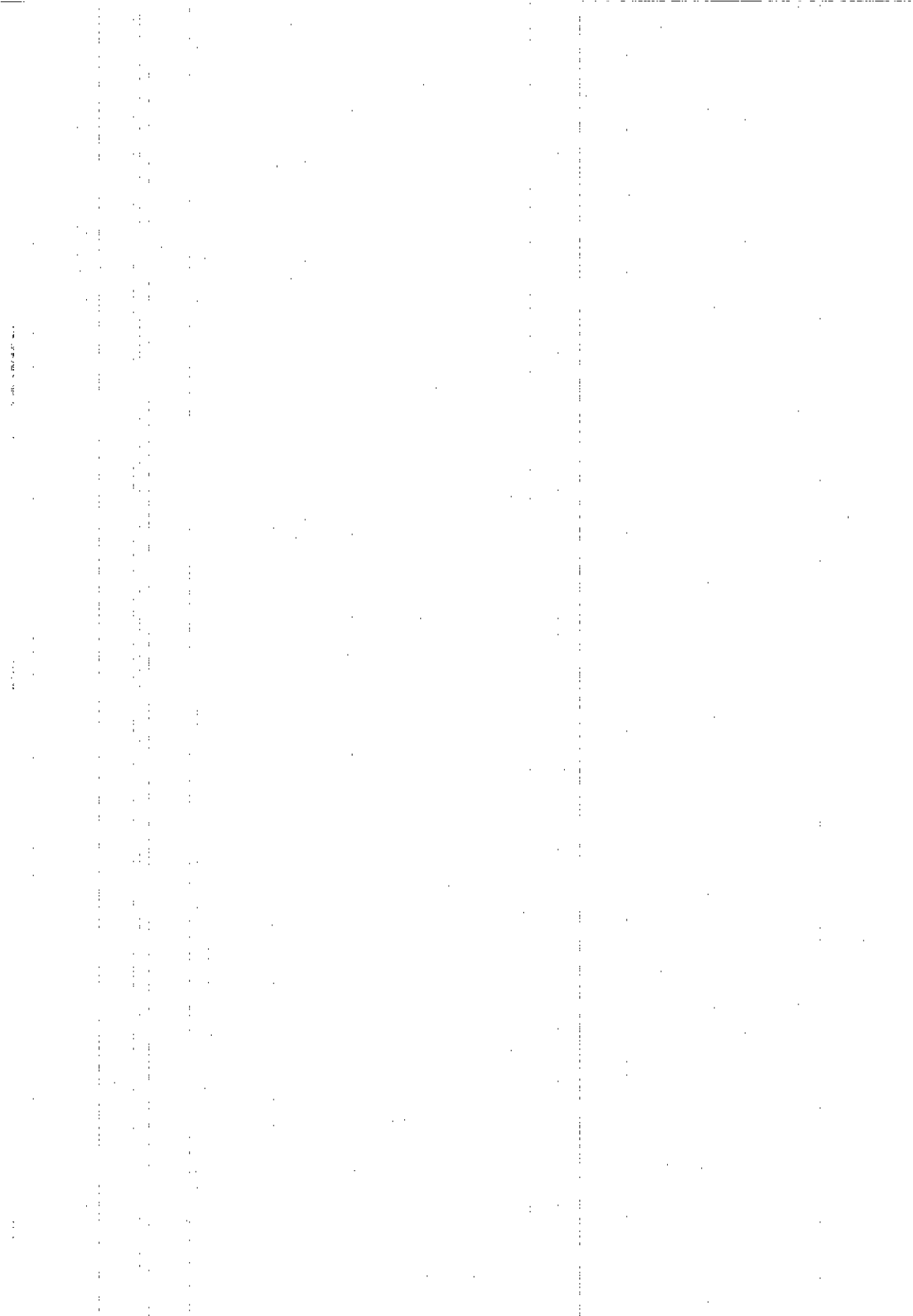
(١) الدلائل، رضا: ١٦٤، خفاجي: ٢٣٣ - ٢٣٤، شاکر: ٢١٢ - ٢١٣.

(٢) الدلائل، رضا: ١٦٤، ١٦٥، خفاجي: ٢٣٤، شاکر: ٢١٣.



الفصل الثامن

شواهد الفصل والوصل



(الكامل)

الشاهد التاسع والخمسون بعد المائة^(١):

أبو تمام:

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبْرٌ^(٢) وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ^(٣)

الشاهد من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة^(٤)،

ومطلعها:

أَسْقَى طُلُولَهُمْ^(٥) أَجْشُ^(٦) هَزِيمٌ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمٌ

وقبل بيت الشاهد:

زَعَمْتُ هَوَاكَ^(٧) عَفَا الْغَدَاةَ كَمَا عَفَتْ مِنْهَا طُلُولُ^(٨) بِاللَّوَى وَرُسُومٌ

(١) الدلائل، رضا: ١٧٣، خفاجي: ٢٤٢، شاکر: ٢٢٥.

(٢) الصَّبْرُ: عصارة شجر مُرٍّ. القاموس المحيط «صبر»: ٦٩/٢.

ورواية زهر الآداب: «مُرٌّ»، رواية العمدة: «أجل».

(٣) انظر البيت في:

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ٢٩٠/٣، ديوان أبي تمام - دار صعب -: ٢٦٥،

البدیع لابن المعتز. ٥٩، زهر الآداب: ٦٦١/٣، العمدة: ٢٣٨/١، تحرير التحبير:

٤٣٥/٣، الإيضاح: ٢٤٧/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤٠ أ، المطول: ٢٤٨،

شروح التلخيص: ١١/٣، عقود الدرر: ٣٣ ب، معاهد التنصيص: ٢٧٠/١.

(٤) في الديوان طبعة دار صعب «ابن شبانة».

(٥) ذكر محقق ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي أَنَّ هناك رواية في إحدى النسخ

«ديارهم».

(٦) الأجش: السحاب الغليظ الرعد. اللسان «جشش»: ٢٧٤/٦.

(٧) رواية المطول «هواك» بالكسر، وذكر الحسين بن شهاب شارح شواهد المطول أن قول

الشارح أن الخطاب في «هواك» للنفس توهم أن الكاف مكسورة، وهو غلط بل الكاف

مفتوحة، وحق العبارة أن يقول: والخطاب لنفسه.

(٨) رواية مواهب الفتح والمطول: «كما عفا عنها طلال»، وذكر شارح شواهد المطول أن =

وبعده الشاهد وبعده:

مَا زِلْتُ عَنْ سَنَنِ السُّودَادِ وَلَا غَدَتِ
نَفْسِي عَلَى إِلْفِ سِوَاكَ تَحُومُ
لِمُحَمَّدِ بْنِ الْهَيْثَمِ بْنِ شُبَّانَةَ
مَجْدُ إِلَى جَنْبِ السَّمَاءِ مُقِيمُ^(١)

والشاهد فيه: عطف جملة «أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمُ» على جملة «أَنَّ النَّوَى صَبِرُ» مع عدم المناسبة والجامع، وهذا أمر معيب، فقد اشترط الشيخ في عطف جملة على جملة وجود مناسبة يحصل بها معنى الجمع. قال الشيخ:

«... ومن هنا عابوا أبا تمام في قوله... وذلك لأنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين، ومرارة النوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر، وليس يقتضي الحديث بهذا، الحديث بذاك»^(٢).

فالعطف في البيت غير مقبول سواء جُعِلَ من عطف المفرد على المفرد، كما هو ظاهر في البيت «لأن «أن» تُؤوَل مع مدخولها بالمفرد، أو جُعِلَ من عطف الجمل بناء على «أن» مع مدخولها، ولو كانت في تأويل المفرد سادة مسد مفعولي علم والمفعولات أصلهما المبتدأ والخبر، وعلى هذا يكون في تأويل عطف الجملة على أخرى باعتبار الأصل»^(٣).

الصحيح هو رواية الديوان «طلول» وقوله: «عنها» غلط، وإنما هو «منها» بالميم كما في رواية الديوان أيضاً.

والطُّلُول بضمّتين جمع طلل بفتحيتين وهو ما بقي من الدار بعد الخراب، وجمعه على طلال غلط، وإنما يجمع على طُلُول وأطلال.

وانظر كذلك: اللسان «طلل»: ٤٠٦/١١.

(١) انظر الأبيات في:

الديوان بشرح الخطيب التبريزي: ٢٨٩/٣ - ٢٩٠.

(٢) الدلائل، رضا: ١٧٣، خفاجي: ٢٤٢، شاکر: ٢٢٥.

(٣) شروح التلخيص «مواهب الفتح»: ١٢/٣، وانظر كذلك شروح التلخيص «مختصر

السعد»، و«حاشية الدسوقي»: ١١/٣.

ذكر ابن يعقوب أن بعضهم ممن ينتصر لأبي تمام حاول أن يدفع هذا العيب باختلاق جامع يربط بين الجملتين، فذكروا أنَّ الجامع هنا خيالي لتفاوت مرارة النوى، وكرم أبي الحسين في خيال أبي تمام، أو هو وهمي لما بينهما من شبه التضاد؛ لأن مرارة النوى كالضد لحلاوة الكرم لأن كرم أبي الحسين حلو ويدفع بسببه ألم احتياج السائل، والصبر مُر ويدفع به بعض الآلام، أو لوجود جامع التناسب، فهما كالدواء، فالصبر دواء العليل، والكرم دواء الفقير^(١).

ورد ابن يعقوب هذا القول ورأى أنه تعسف بارد، وتكلف ظاهر، وكذلك رأى الدسوقي أن هذه التأويلات متكلفة إلا أنه لا يجوز نفي المناسبة مطلقاً بينهما، لوجود مناسبة خفية، ولكن المعتبر في الجامع هو المناسبة الظاهرة القريبة لا المناسبة الخفية^(٢).

حين ترامي إلى الشاعر قول محبوبته وزعمها بدرس حبه كما درست آثار ديارها في هذا الموضع، ولما كان حبه متأصلاً في نفسه متغلغلاً في وجدانه لم يتحمل هذا الزعم الكاذب، فانقلبت منه صرخة أعلن بها بطلان هذا الزعم، فابتدأ البيت بقوله: «لا»، ثم أعقبه بالقسم زيادة في التوكيد، فأقسم بالله الذي هو عالم أنَّ الفراق صعب مر المذاق، وعالم بأنَّ هذا الممدوح كريم أنه ما عدل عن طريق المحبة، ولا حامت نفسه حول حبيب غيرها، ولكي يؤكد لمحبوبته تلك الخلجات النفسية الصادقة صورها تصويراً رائعاً، فجاء بالجواب على طريق الاستعارة التمثيلية «حيث شبه حال تعلق النفس بالمحبيب وملاحظتها له من كل جهاته بحالة حرمان الطائر في الهواء فوق الشيء الذي يريد أن يقع عليه»^(٣).

ويجوز أن يكون القسم راجعاً إلى ما نفاه بقوله: «لا» مؤكداً له، ويكون قوله: «ما زلت عن سنن الوداد» ابتداء كلام^(٤).

(١) المصدر السابق «مواهب الفتاح»: ١٢/٣، حاشية الدسوقي: ١١/٣.

(٢) المصدر السابق «حاشية الدسوقي»: ١١/٣.

(٣) عقود الدرر: ٣٤ أ.

(٤) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤٠ أ.

واستشهد ابن أبي الإصبع ببیت الشاهد في باب براعة التخلص: «وهو امتزاج آخر ما يقدمه الشاعر على المدح من نسب أو فخر أو وصف «أو أدب، أو زهد، أو مجون، أو غير ذلك بأول بيت من المدح، وقد يقع ذلك في بيتين متجاورين، وقد يقع في بيت واحد»، ثم قال: «وهذه وإن لم تكن طريقة المتقدمين في غالب أشعارهم، فإن المتأخرين قد لهجوا بها وأكثروا منها»^(١).

وذكر العباسي في معاهد التنصيص أن بيت أبي تمام هذا من التخلص المعيب، فقال بعد أن ذكره: «وقد عيب عليه هذا التخلص»^(٢).

وقد أرجع الدكتور أبو موسى العيب في مثل بيت أبي تمام إلى الفتور الذي يعتري النفس عند معالجة القول، وانتشار الحس وعدم سيطرة الشاعر على الحالة والفكرة. قال:

«ومرجع هذا العيب عند التحقيق عند انقطاع أو فتور يعتريان النفس في وقت معالجة القول، فإذا أحاط بالنفس ما هي فيه من تفكير، ومعاناة وسيطر الشاعر أو الكاتب على خلجاته، وخيالاته، وهواجسه، لا يقع في كلامه والحال كذلك لفظ يتنافر مع سابقه، أو ينبو به مكانه، وإنما ترى ألقاظاً تنحدر متجانسة تجانس الفكر والحس منصبة كلها بصيغة واحدة هي صيغة قلبه في حال معاناته، فإذا رأيت في الكلام لفظاً غريباً، كان ذلك مظهرًا من مظاهر انتشار الحس، وعدم السيطرة على الحالة، والفكرة، وهذا فتور، وتخاذل وانقطاع والفضيلة والعيب هنا يتصلان بالموهبة، ومدى سطوتها، واقتدارها وتمكنها. ووصف الشعر بالتماسك والإحكام والملاءمة، والسلاسة والتحدر، وما يجري هذا المجرى، وهو كثير يعني وصف الشاعرية بالسلامة، وأن يكون الشاعر مجموع النفس في محيطه، فلا تنوَّاب في خاطره أخلاط من المعاني»^(٣).

ورأى ابن المعتز أن البيت من محاسن الكلام، وجعله من حسن الخروج من معنى إلى معنى قال:

(١) تحرير التعبير: ٤٣٣/٣.

(٢) معاهد التنصيص: ٢٥١/٤.

(٣) دلالات التراكيب: ٢٩١ - ٢٩٢.

«ومنها^(١) حسن الخروج من معتنى إلى معنى...

وقال الطائي - من الكامل -:

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النُّوَى صَبِرَ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ^(٢)

ورأى الحصري القيرواني أن أبا تمام قد أحسن كل الإحسان في بيته هذا،

ولم يذكر سر هذا الاستحسان قال:

«ومن أبدع ابتدائه قوله:

سَقَى دِيَارَهُمْ أَجْشُ هَزِيمٌ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمٌ
جَادَتْ مَعَاهِدَهُمْ عَهَادُ سَحَابَةٍ مَا عَهْدُهَا عِنْدَ الدِّيَارِ دَمِيمٌ

ثم تخلص إلى المدح فقال، وأحسن كل الإحسان:

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النُّوَى مُرٌّ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ
مَا زِلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوِدَادِ وَلَا غَدْتُ نَفْسِي عَلَى إِلْفِ سِوَاكِ تَحُومٌ^(٣)

واستشهد به ابن رشيق في «باب المبدأ والخروج والنهاية»^(٤) وسماه بالإلمام^(٥).

ورأى صاحب عقود الدرر أن البيت لا عيب فيه لأنه من الاقتضاب^(٦) قال:

«والشاهد في الأبيات عطف جملة «أَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ» على جملة «أَنَّ

النُّوَى صَبِرَ» مع عدم المناسبة، ولهذا عابوه عليه، واعتذر عنه بتكلفات تركها

أولى، والحق أنه من الاقتضاب، ولا عيب فيه»^(٧).

(١) أي من محاسن الكلام: ٥٩.

(٢) البديع: ٦١.

(٣) زهر الأداب: ٦٦١/٣.

(٤) العمدة: ٢٣٨/١.

(٥) الإلمام: هو أن يعترض الشاعر في وسط النسيب بمدح من يريد مدحه بتلك القصيدة ثم

يعود بعد ذلك إلى ما كان فيه من النسيب ثم يرجع إلى المدح. العمدة: ٢٣٨/١.

(٦) الاقتضاب: وهو من علم البديع ويسمى الاقتطاع والارتجال وهو أن يتنقل الشاعر مما ابتدأ

به الكلام إلى ما لا يلائمه، وهذا مذهب العرب الجاهليين والمخضرمين الذين أدركوا

الجاهلية والإسلام. معاهد التنصيص: ٢٦٧/٤.

(٧) عقود الدرر: ٣٤ أ.

لَا تَطْمَعُوا^(٢) أَنْ تُهَيِّنُونَا وَنُكْرِمَكُمُ وَأَنْ نَكُفَّ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُؤْذُونَا^(٣)
ذكر البيت في الدلائل من غير عزو، وهو للفضل بن العباس بن عتبة بن
أبي لهب^(٤) وهو من قصيدة قالها في بني أمية^(٥)، وقبل بيت الشاهد:

(١) الدلائل، رضا: ١٧٤، خفاجي: ٢٤٣، شاکر: ٢٢٦.

(٢) يقال: طمع فلان في كذا طَمَعًا وَطَمَاعِيَّةً وَطَمَعًا، وَأَوْصَلَ الْفِعْلُ بِنَفْسِهِ مِنْ دُونِ «فِي»؛ لِأَنَّ
«أَنْ» الْخَفِيفَةَ وَالشَّدِيدَةَ إِذَا اتَّصَلَ بِهَا حُرُوفُ الْجَرِّ حَسُنَ حَذْفُهَا لَطَوِيلِ الْكَلَامِ بِهَا، تَقُولُ:
أَنَا رَاغِبٌ فِي أَنْ أَلْقَاكَ وَطَامِعٌ فِي أَنْ يُحْسِنَ زَيْدٌ إِلَيْكَ وَحَرِيصٌ عَلَى أَنْ أُصِلَّكَ، وَلَوْ قُلْتَ:
أَنَا رَاغِبٌ أَنْ أَلْقَاكَ وَطَامِعٌ أَنْ يُحْسِنَ زَيْدٌ إِلَيْكَ، وَحَرِيصٌ أَنْ أُصِلَّكَ لَجَازَ، وَلَوْ جَعَلْتَ
مَكَانَ «أَنْ» الْمَصْدَرَ، فَقُلْتَ: أَنَا رَاغِبٌ فِي لِقَاكَ، وَطَامِعٌ فِي إِحْسَانِ زَيْدٍ إِلَيْكَ، وَحَرِيصٌ
عَلَى صِلَتِكَ لَمْ يَجْزِ حَذْفُ حَرْفِ الْجَرِّ لَا تَقُلْ: أَنَا رَاغِبٌ لِقَاكَ، وَطَامِعٌ إِحْسَانَهُ إِلَيْكَ،
وَحَرِيصٌ صِلَتِكَ؛ لِأَنَّ مَا كَانَ يَطُولُ الْكَلَامُ بِهِ لَمْ يَحْضُرْ.

انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٢٢٤/١ - ٢٢٥.

(٣) انظر البيت في:

المؤتلف والمختلف: ٣٥، معجم الشعراء للمرزباني: ٣٠٩، شرح ديوان الحماسة
للمرزوقي: ٢٢٤/١، رقم (٥٥)، بهجة المجالس: ٧٧٨/١، شرح ديوان الحماسة
للتبريزي: ١٢٠/١، شروح التلخيص - عروس الأفراح -: ١٧/٣.

ذكر البيت في هذه المصادر منسوباً للفضل بن العباس بن أبي لهب، وفي الأغاني وبهجة
المجالس بلفظ: «الفضل بن العباس اللهي».

(٤) هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، واسم أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب بن
هاشم بن عبد مناف، وكان الفضل أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم، وكان
شديد الأدمة، فأمه آمنة بنت العباس بن عبد المطلب، وهي لام ولد سوداء، ولذلك يقول
الفضل:

وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرَ الْجِلْدَةِ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ
مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلُ مَا جَدًّا يَمْلَأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ
والفضل كنيته أبو المطلب، وقيل: أبو عتبة، وعاصر الفضل الأحوص والفرزدق، وهو شاعر
خبث بخيل، وكان يميل إلى الوليد بن عبد الملك منقطعاً إليه، فلما مات الوليد جفاه
سليمان وحرّمه.

انظر ترجمته في:

مَهْلًا بَيْنِي عَمَّنَا مَهْلًا مَوَالِينَا لَا تَشْهَرُوا^(١) بَيْنَنَا مَا كَانَ مَدْفُونًا^(٢)
وبعده بيت الشاهد وبعده:

مَهْلًا بَيْنِي عَمَّنَا عَنْ نَحْبِ أَثْلَتِنَا سِيرُوا رُويْدًا كَمَا كُنْتُمْ تَسِيرُونَا
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّا لَا نُجِبُّكُمْ وَلَا نَلُومُكُمْ أَنْ لَا تُحِبُّونَا
كُلُّ لَهُ نِيَّةٌ فِي بُغْضِ صَاحِبِهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ نُقْلِيكُمْ وَتَقْلُونَا

والشاهد في البيت وجوب الوصل؛ لأن الجملة المعطوف عليها لها محل من الإعراب، وقُصِدَ من العطف التشريك في الحكم مع وجود الجامع.

ففي البيت ثلاث جمل معطوفة بعضها على بعض، فالأولى قوله: «أن تهيئوننا ونكرمكم»، فجملة «أن تهيئوننا» - في محل جر بحرف الجر المحذوف، وهذا قياس مطرد في «أن» - عطفت عليها جملة «ونكرمكم»، والجامع بينهما التضاد.

والوصل الثاني في عطف جملة «وأن نكف الأذى عنكم» على جملة «أن تهيئوننا»، والجامع بينهما التماثل.

والوصل الثالث في عطف جملة «وتؤذونا» على جملة «ونكف الأذى عنكم» والجامع بينهما التضاد.

فوق الفعلين في مثل هذه الصلة يزيد الاشتباك بين الجملتين، ويزيد الاقتران والامتزاج بينهما؛ لأنه إذا كان للجملة محل من الإعراب قوي شبهها

= الأغاني: ١٦/١٧٥ - ١٩٣، المؤلف والمختلف: ٣٥، معجم الشعراء للمرزباني: ٣١٩، سمط اللالي: ٢/٧٠٠ - ٧٠١.

(٥) ذكر ذلك في بهجة المجالس: ١/٢٧٨.

(١) رواية بهجة المجالس: «لا تشهروا».

(٢) ذكر في بهجة المجالس قبل بيت الشاهد:

مَهْلًا بَيْنِي عَمَّنَا عَنْ نَحْبِ أَثْلَتِنَا سِيرُوا قَلِيلًا كَمَا كُنْتُمْ تَسِيرُونَا

بالمفرد، فيكون العطف عليها أحكم وأوقع. قال الشيخ:

«وإذا وقع الفعلان في مثل هذا في الصلة، ازداد الاشتباك والافتقار حتى لا يُتصور تقدير أفراد في أحدهما عن الآخر، وذلك في مثل قولك: «العَجَبُ من أَنِّي أَحْسَنْتُ وَأَسَأْتُ» و«يكفيك ما قُلْتُ وسمعت» و«أُبَحْسُنْ أَنْ تَنْهَى عَنْ شَيْءٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ»، وذلك أنه لا يشبهه على عاقل أن المعنى على جعل الفعلين في حكم فعلٍ واحد»^(١).

ولعل الشاعر لجأ إلى هذا الوصل؛ لأن هذا التشابك بين الجمل، وهذا الامتزاج القوي قد أكسب المعنى قوةً وتأكيذاً، فالشاعر أراد أن يُبَصِّرَ بِنِي عَمِه على حقيقة يجب ألا يغفلوا عنها، وهي عزته، وعزة قومه، وكرامته وكرامتهم، وإبائهم الضيم، فهم قوم ذوو عزة وأنفة وحفاظ.

وفي الغفلة عن حقيقتهم هذه أثرٌ لن يحمد الأعداء عاقبته، وجاء هذا اللفت وهذا التنبيه إلى هذه الحقيقة عن طريق عطف الجمل بعضها على بعض؛ ليكون التنبيه أوقع في النفس، وأشد في التذكير، فشرع يخاطب بني عَمِه قائلاً: «لا تُقَدِّرُوا أَنْكُمْ إِذَا أَهْتَمَمْنَا قَابِلَنَاكُمْ بِالْإِكْرَامِ وَأَنْكُمْ إِذَا آذَيْتُمْنَا كَفَفْنَا عَنْ أَذَاكُمْ لِأَنَّ عَزَّتَنَا تَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ»^(٢).

الشاهد الواحد والستون بعد المائة^(٣): (الطويل)

قول أبي تمام:

لَهَانَ^(٤) عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَتَفْعَلَا وَنَذْكُرَ بَعْضَ الْفَضْلِ مِنْكَ^(٥) وَتُفْضِلَا^(٦)

(١) الدلائل، رضا: ١٧٤، خفاجي: ٢٤٣، شاکر: ٢٢٦.

(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٢٢٥/١، رقم (٥٥).

(٣) الدلائل، رضا: ١٧٤، خفاجي: ٢٤٣، شاکر: ٢٢٧.

(٤) أي والله لقد هان.

(٥) رواية الديوان بشرح الخطيب «ونذكر بعض الفضل عنك».

(٦) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

الديوان بشرح الخطيب التبريزي: ٩٨/٣، الديوان - مطبعة دار صادر: ٢٢٣.

وهو من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات^(١)، ويعاتبه والشاهد هو مطلع القصيدة، وبعده:

أَبَا جَعْفَرٍ أَجْرَيْتَ فِي كُلِّ تَلْعَةٍ^(٢) لَنَا جَعْفَرًا^(٣) مِنْ سَيْبٍ^(٤) كَفَيْكَ^(٥) سَلْسَلًا
فَكَمْ قَدْ أَثَرْنَا مِنْ نَوَالِكَ مَعْدِنًا وَكَمْ قَدْ بَنَيْنَا فِي طَلَالِكَ^(٦) مَعْقِلًا

والشاهد في البيت كسابقه، وهو وجوب الوصل؛ لأن الجملة المعطوف عليها لها محل من الإعراب، وقصد من العطف عليها التشريك في حكم مع وجود الجامع.

ففي البيت ثلاث جمل معطوف بعضها على بعض، فالأولى في قوله: «أن نقول وتفعلا»، فجملة «أن نقول» المكونة من المصدر المؤول من «أن والفعل» في محل رفع فاعل، عطفت عليها جملة «وتفعلا» والجامع بينهما التضاد.

والوصل الثاني: عطف جملة «ونذكر بعض الفضل منك» على جملة «أن نقول» والجامع بينهما التماثل.

والوصل الثالث: عطف جملة «وتفضلا» على «ونذكر بعض الفضل منك» والجامع بينهما التضاد.

(١) هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة «أبو جعفر» المعروف بابن الزيات وزير المعتصم والوائق العباسيين، كان عالماً باللغة والأدب من بلغاء الكتاب والشعراء، نكبه المتوكل وعذبه حتى مات لأنه عمل على تولية ابن الواثق، وحرمان المتوكل من الخلافة فلم يفلح، كان من العقلاء الدهاة، في سيرته قوة وحزم وله ديوان شعر مطبوع. انظر ترجمته:

تاريخ الطبري: ٢٠/٩ - ٢٢ - ٥٣ - ١٠٣ - ١٠٧ - ١٠٩ - ١١٩ - ١٢٥، تاريخ بغداد: ٣٤٤ - ٣٤٢، وفيات الأعيان: ٩٤/٥ - ١٠٣، خزائن بغداد: ٢١٥/١ - ٢١٦.

(٢) التلعة ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها، وهو من الأضداد. اللسان «تلع»: ٣٦/٨.

(٣) الجعفر: النهر الكثير الماء، وهو أكبر من الجدول والسري وأصغر من الربيع. اللسان «جعفر»: ١٤٢/٤، فقه اللغة: ٢٨٨.

(٤) رواية الديوان - بشرح الخطيب -: «فيض».

(٥) ذكر محقق الديوان - بشرح الخطيب التبريزي - أنه ورد في نسخة «من فيض فضلك».

(٦) رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي: «في ظلالِكَ مَعْقِلًا».

ولعل الشاعر لجأ إلى هذه الطريقة في التعبير؛ لأنه أراد أن يبالغ في مدح ممدوحه، فاختار لذلك طريقة وصل الجمل، وإحكام ترابطها؛ ليكون ذلك أبلغ في المدح، ولتكون الصفات الصق بالممدوح، فوصفه بسرعة المبادرة إلى المعروف حتى أن فعله يسبق القول، فكل قول أمام فعله هين سهل لا يؤبه به، وهو كلما تذاكر القوم بعض أفضاله ازداد فيض عطائه ونواله.

الشاهد الثاني والستون بعد المائة^(١):

(الكامل)

رَعِمَ^(٢) الْعَوَازِلُ^(٣) أَنِّي فِي غَمْرَةٍ^(٤) صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمَرَتِي لَا تَنْجِلِي^(٥) (٦)

ذكر البيت في الدلائل من غير نسبة^(٧).

والشاهد في البيت فصل جملة «صدقوا» عما قبلها، وهو قوله: «زعم العواذل» للاستئناف، والجملة المستأنفة وقعت جواباً للسؤال من غير سبب

(١) الدلائل، رضا: ١٨٢، خفاجي: ٢٥٠، شاکر: ٢٣٥.

(٢) زعم: الزعم ادعاء العلم، ويستعمل غالباً في الاعتقاد الباطل، وقد يستعمل في الحق - كما هنا - والرغم يحتمل الصدق والكذب. الصحاح «زعم»: ١٩٤٢/٥، أساس البلاغة: ١٩٢، اللسان «زعم»: ٢٦٤/١٢.

(٣) العواذل: جمع عاذلة لا جمع عاذل، وهو صفة لمحذوف أي الجماعات العواذل والذي يدل على إرادته الجماعة لا امرأة عاذلة قوله: «صدقوا» أي صدق أفراد تلك الجماعة، والجماعة إمّا المقصود بها الرجال فقط، أو هم والنساء، فيكون في قوله: صدقوا تغليب. انظر: شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤١ ب، عقود الدرر: ٣٤ ب، معاهد التنصيص: ٢٨١/١.

(٤) غمرة: الغمرة الشدة وأصلها في الماء الكثير. اللسان «غمر»: ٢٩/٥.

(٥) لا تنجلي: الانجلاء الانكشاف والظهور. اللسان «جلا»: ١٥٠/١٤.

(٦) انظر البيت في:

مغني اللبيب: ٣٨٣/٢، شرح شواهد المغني: ٨٠٠/٢، المفتاح: ١١٤، الإيضاح: ٢٥٧/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤١ ب، عقود الدرر: ٣٤ ب، شروح التلخيص: ٦١/٣، معاهد التنصيص: ٢٨١/١، رقم الشاهد (٥٢).

(٧) لم أقف له على قائل.

مطلق^(١)، أو خاص^(٢)، كأنه قيل: صدقوا أم لا، ولو أنه عطف وقال، وصدقوا لم يكن في موضع المسؤول، ولم يكن كلامه كلام مجيب، قال الشيخ:

«لما حكى عن العواذل أنهم قالوا: «هو في غمرة» وكان ذلك مما يحرك السامع، لأن يسأله، فيقول: «فما قولك في ذلك، وما جوابك عنه؟»، أخرج الكلام مُخْرِجَه إذا كان ذلك قد قيل له، وصار كأنه قال: «أقول: صدقوا، أنا كما قالوا، ولكن لا مطمع لهم في فلاح»، ولو قال: «زعم العواذل أنني في غمرة وصدقوا»، لكان يكون لم يصح^(٣) في نفسه أنه مسؤول، وأن كلامه كلام مجيب^(٤).

وقد استحسّن السكاكي هذا الفصل، ورأى أن الشاعر قد أصاب المحز به قال:

«لم يعطف صدقوا على زعم العواذل للاستئناف، وقد أصاب المحز، وذلك أنه حين أبدى الشكاية عن جماعات العدّال بقوله: زعم العواذل أنني في غمرة، فكان مما يحرك السامع عادة ليسأل هل صدقوا في ذلك، أم كذبوا صار

(١) السبب المطلق كقول الشاعر:
قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ غَلِيلٌ سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ
لأن المنبهم على السامع سبب الحكم الكائن في الجملة الأولى على الإطلاق بمعنى أنه جهل السبب من أصله.

انظر: الإيضاح: ٢٥٦/١، شروح التلخيص: ٥٧/٣.
(٢) السبب الخاص: بمعنى أنه تصور نفي جميع الأسباب إلّا سبباً خاصاً تردد في حصوله، ونفيه كقوله تعالى:

﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾. (يوسف: ٥٣).

والذي يدل على أن المقام مقام تردد، التأكيد في الجواب.

انظر: الإيضاح: ٢٥٦/١، شروح التلخيص: ٦٠/٣، ٦١.

(٣) في طبعة الأستاذ شاكر: «لم يضع في نفسه»، وهو الأنسب بالمعنى.

(٤) الدلائل، رضا: ١٨٢، خفاجي: ٢٥٠ - ٢٥١، شاكر: ٢٣٦.

هذا السؤال مقتضى الحال مبني عليه تاركاً للعطف على ما عليه إيراد الجواب عقيب السؤال»^(١).

وذكر بعض أصحاب الشروح التلخيص أن الاستئناف هنا قد يكون لسبب خاص، وذلك إذا تصور الصدق فيما زعموا من الكلام الأول، وتردد هل واقع ذلك الصدق، أولاً، أو كان المقام مقام تردد فيجب التأكيد بأن يقال أنهم لصادقون مثلاً.

فَيَجَابُ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ السُّؤَالَ الْمَقْدَرُ لَمَّا كَانَ فِعْلاً أَتَى بِالْجَوَابِ مُطَابِقاً، والتأكيد تقديره بمثل القسم أي صدقوا والله، مثلاً، أو يُجَابُ بِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ سُؤَالٍ يُوَكِّدُ جَوَابَهُ بَلْ إِذَا ضَعُفَ بَابْتِئَاءً عَنْ شَكِّ كَمَا هُنَا لَمْ يُوَكِّدْ، وَمِنْهُ أَنَّ الزَّعْمَ مَطْيَاةَ الْكَذِبِ، فَالْأَنْسَبُ الظَّنُّ فِي خِلَافِ الْحَكْمِ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي التَّأَكِيدَ^(٢).

● أظهر الشاعر شكايته من جماعات العواذل التي تترصد له، وتزعم أنه في شدة وغمرة من ألم العشق، فلاموه على تلك الغمرة، وجاء بلفظ «العواذل» على صيغة الجمع ليدل على كثرتهم، وقوله: «أنني» تأكيد على أنه في غمرة شديدة، ونكّر لفظ «غمرة»؛ ليدل على أنها غمرة العشق المعروفة، وهو في الوقت ذاته للتهويل أي غمرة عظيمة هائلة، ولما كان إظهار الشكوى بهذه الصورة الدالة على التوجع والتحسر، تشوقت نفس السامع إلى معرفة الحقيقة، ومعرفة أثر هذا الزعم على نفس الشاعر، فجاء الشاعر بقوله: «صدقوا» فأظهر جلادته، وجاء باستدراك لطيف وهو قوله: «ولكن غمرتني لا تنجلي» ليؤكد شدة غمرته وبالتالي قوة صبره، أي مع اعتقادهم وصدقهم غمرتني باقية لا انكشاف لها.

جاء في شرح أبيات الإيضاح:

«وهذا في الحقيقة وصف لنفسه بالتجلد، وتمدح بالخوض في المهالك»^(٣).

(١) المفتاح: ١١٤.

(٢) شروح التلخيص - مواهب الفتاح -: ٦١/٣ - ٦٢، وعنه أخذ الدسوقي.

(٣) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤١ ب.

وجاء في عقود الدرر:

«اختار زعم للإشارة إلى خطأ ظنهم من أن شدته مما يمكن الخلاص منها، ولذلك لاموه عليها، وجمع العواذل للإشارة إلى كثرتهم، وقوله: أنني تأكيد لأن زعمهم لا شك فيه عندهم، وقوله: في غمرة إشارة إلى انغماسه في الغمرة بزعمهم، وتنكير الغمرة للنوعية، لأن المراد بها غمرة العشق، وقوله: صدقوا تصديق لهم في أصل الزعم، وقوله: «غمرتي لا تنجلي» اعتراض... والمراد به التعريض؛ لأن غمرته من الغمرات التي لا يُرجى انكشافها، فاللوم عليها عبث»^(١).

يبدو أن كلام صاحب عقود الدرر ليس دقيقاً، فقد اعتقد أن (زعم) هنا تدل على الزعم الباطل، وقد ذكرت سابقاً أن (زعم) كثيراً ما تستعمل في الباطل، وقليلاً في الحق، وهي هنا مستعملة في الحق، والقول: بأن معناها الكذب لا يتفق مع الموقف، والذي يبدو من قوله: (صدقوا)، وليس الموقف، أنه في غمرة شديدة، ومن هنا صدقوا، وهو يصدقهم إقراراً وتأكيداً للواقع، وكثرة عواذله؛ لأنه ضلّ ضلالاً بعيداً في تلك الغمرة، ومن هنا كان اللوم.

والعاذل يعذل على شدة المحبة لا على ضعفها وقتها.

وقوله: (ولذلك لاموه عليها)، لم يلوموه لأنه يمكن الخلاص منها، وإنما لاموه عليها وعلى شدتها.

وقوله: إن في الكلام اعتراضاً ليس بدقيق أيضاً، وإنما هو استدراك^(٢) يرفع توهم أن غمرته ستنجلي، فمع اعتقادهم وصدقهم فغمرة باقية لا تنكشف؛ ولأن الاعتراض هو: (أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى، بجملته أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى دفع الإيهام)^(٣).

(١) عقود الدرر: ٣٥ أ.

(٢) الاستدراك: هو رفع توهم يتولد من الكلام السابق رفعاً شبيهاً بالاستثناء، وهو معنى لكن، ويشترط بدخوله في البديع زيادة نكتة طريفة على معنى الاستدراك. أنوار الربيع: ٣٨٥/١.

(٣) معاهد التنصيص: ٣٧٠/١.

ولا ينطبق هذا التعريف على ما هنا.

الشاهد الثالث والستون بعد المائة^(١):

(الكامل)

رَعِمَ الْعَوَازِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدَبٍ بِجُنُوبِ خَبْتٍ^(٢) عُرِّيَتْ وَأَجْمَتْ^(٣)
كَذَبَ الْعَوَازِلُ لَوْرَأَيْنِ مُنَاخَنَا بِالْقَادِسِيَّةِ^(٤) قُلْنِ: لَجَّ^(٥) وَذَلَّتِ^(٦)

ورد البيت في الدلائل من غير نسبة، وإنما أشار الشيخ عبد القاهر أنه من أبيات الحماسة، وهو لجندب بن عمار^(٨).

والشاهد فيه: فصل جملة «كذب العواذل» عما قبلها، وهو قوله: «زعم

(١) الدلائل، رضا: ١٨٢، خفاجي: ٢٥١، شاعر: ٢٣٦.

(٢) خبت: الخبت أصله ما أطمأن من الأرض، ويقال: أخبت الرجل إذا صار في الخبت، وتوسّع فيه، وقيل: أن «خبت» علم لصحراء بين مكة والمدينة يقال له: خبت الجميش، وخبت أيضاً: ماء لكلب، وخبت البزوراء بين مكة والمدينة وخبت: من قرى زييد باليمن.

اللسان «خبت»: ٢٧/٢ - ٢٨، معجم البلدان: ٣٤٣/٢.

(٣) أجمت: استراحت من الركوب. اللسان «جسم»: ١٠٦/١٢.

(٤) القادسية: موضع بينه وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وبينها وبين العذيب أربعة أميال، أو هي ما بين الخندق والعتيق، وبها كانت وقعة القادسية بين المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص، وبين الفرس، وكان ذلك في أيام عمر بن الخطاب. معجم البلدان: ٢٩١/٤ - ٢٩٢.

(٥) لج: أوغل في السير وتمادى. اللسان «لجج»: ٣٥٣/٢ - ٣٥٤.

(٦) ذلت: أي هي ناقة ذلول سهلة متقادة. اللسان «ذلل»: ٢٥٦/١١ - ٢٥٧.

(٧) انظر البيتين في:

الحماسة - تحقيق عسيلان -: ١٨٠/١، رقم (٩٩)، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٣٠٧/١، الإيضاح: ٢٥٧/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤١ ب.

(٨) لم أعثر له على ترجمة.

وإنما ورد في الحماسة - ت: عسيلان -: أنه من طيء، وذكر محقق كتاب الإيضاح الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي أنه ممن شهدوا وقعة القادسية في فتح بلاد الفرس، ولقد بحث في كتب التاريخ فلم أجده مذكوراً فيمن حضر وقعة القادسية، ولعل المحقق فهم ذلك من قوله: «لورأين مناخنا بالقادسية».

العواذل» للاستئناف، وأن أمر القطع والاستئناف، وتقدير الجواب ازداد تأكيداً بأن وضع الظاهر «العواذل» موضع المضمّر، وهذا أبين وأقوى؛ لأنه وضع الكلام المستأنف وضعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله. قال الشيخ.

«... وقد زاد هذا أمر القطع والاستئناف، وتقدير الجواب تأكيداً بأن وضع الظاهر موضع المضمّر، فقال:

«كذب العواذل»: ولم يقل «كَذَّبَن»، وذلك أنه لما أعاد ذكر «العواذل» ظاهراً، كان ذلك أبين وأقوى، لكونه كلاماً مستأنفاً من حيث وضعه وضعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله، وأتى به مأتى ما ليس قبله كلام»^(١).

ولعل الشاعر لجأ إلى الفصل، لأنه أراد أن يبالغ في التمدح بشجاعته، وملازمته السير، فذكر لوم العواذل له، وعتابهن، وإنكارهن عليه ميله إلى الجلوس والراحة، وترك السفر، كل ذلك ليثير النفس، فتساءل، وتشوق لمعرفة الجواب، وبعد هذه التهيئة النفسية صرّح بالجواب، ووضع الاسم الظاهر موضع المضمّر؛ ليكون ذلك أشد في تكذيب العواذل، وأقوى في تحقيرهن، فقال: «كذب العواذل»، لأنهن لو عرفن مبركنا ومنزلنا لتراجعن عن اتهامهن، ولصرحن بشجاعتي، وإيغالي في السير، وهذه الطريقة التي لجأ إليها الشاعر لا تدع مجالاً للشك في شجاعته.

قال المرزوقي في شرح الأبيات:

«يقول: قال اللوائم عاتبة على جُنْدَب، ومُنْكَرَةً لتودُّعِهِ ومَيْلِهِ إلى الراحة، والخفض وترك السفر إن ناقتة حُطَّتْ عنها رَحْلُهَا، وأزِيلَ كَلَالُهَا، فهي جَامَةٌ بجنوب خبت»، ثم قال في شرح البيت الثاني:

«أبطل قَوْلُهُنَّ فذكر أنهن لو رَأَيْنَ مَنَزِلَنَا وَمَبْرَكَنَا بهذا البلد، لقلن لَجَّ جُنْدَب في السير، وَذَلَّتِ الناقَةُ، ويجوز أن يكون قوله: «مُنَاخَنَا» لم يُشِيرْ به إلى إناخة

(١) الدلائل، رضا: ١٨٢، ١٨٣، خفاجي: ٢٥١، شاکر: ٢٣٦.

والى موضع لها، وإنما يكون كقوله^(١):

«فَإِنَّ الْمُنْدَى رِحْلَةً^(٢) وَرُكُوبٌ^(٣)».

فيكون المعنى: لو رأين ما جُعِلَ بدلاً لِإِنَّا قَتَلْنَا فِي مَوْضِعِ الْإِنَاخَةِ لَقُلْنَا ذَلِكَ^(٤).

الشاهد الرابع والستون بعد المائة^(٥):

(الوافر)

رَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِلْفٌ^(٦) وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّافٌ^(٧)

ذَكَرَ الْبَيْتَ فِي الدَّلَائِلِ مِنْ غَيْرِ عَزْوٍ، وَهُوَ لِلْمَسَاوِرِ بْنِ هَنْدٍ^(٨) يَهْجُو بَنِي

(١) البيت لعلقمة الفحل، وصدره: «تُرَادُّ عَلَى دِمْنِ الْحِيَاضِ فَإِنْ تَعَفَّ».

انظر: ديوانه: ٤٢، المفضليات: ٣٩٤.

(٢) رواية المفضليات: «فرکوب».

(٣) رُكُوبٌ مصدر رَكَبَ، ويروى وَرُكُوبٌ، بفتح الراء وهو اسم هضبة، وفي اللسان أن رحلة وَرُكُوبٌ هما هضبتان، وركوب وركوبة هي ثنية معروفة صعبة المسلك سلكها الرسول ﷺ في غزوة تبوك.

انظر: معجم ما استعجم: ٦٧٠/١، اللسان «ركب»: ٤٣٤/١، معجم البلدان: ٦٥/٣.

(٤) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٣٠٧/١.

(٥) الديوان، رضا: ١٨٣، خفاجي: ٢٥١، شاکر: ٢٣٦.

(٦) إِلْفٌ وَإِلَافٌ، يقال: أَلِفَ يَأْلِفُ إِلْفًا، وَإِلَافًا، وَأَلَفَ يُولِفُ إِيْلَافًا: أَي أَلْفُوا وَتَعَوَّدُوا الرِّحْلَتَيْنِ الْمَعْرُوفَتَيْنِ لِلتَّجَارَةِ، وَهُمَا رِحْلَةُ الشَّاءِ إِلَى الْيَمَنِ وَرِحْلَةُ الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ. شرح الحماسة للمرزوقي: ١٤٥٠/٣.

(٧) انظر البيت في:

الحماسة - ت: عسيلان - ١٦٩/٢، رقم (٦١١)، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي:

١٤٤٩/٣، رقم (٦٠٦)، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٢/٤، الإيضاح: ٢٥٩/١،

شرح أبيات الإيضاح - فض الله -: ٤٢، لسان العرب «ألف»: ١٠/٩، عقود الدرر:

٣٥، بلوغ الأرب: ٣٨٦/٣، شروح التلخيص - مختصر السعد، مواهب الفتح، حاشية

الدسوقي -: ٦٥/٣، ٦٦، معاهد التنصيص: ٢٨٢/١، شاهد رقم (٥٣)، القول الجيد:

٢٥٠.

(٨) هو المساور أو «مساور» بن هند بن قيس بن زهير بن جُذَيْمَةَ الْعَبْسِيِّ، وقيس بن زهير جد المساور هو صاحب الحرب بين عبس وفزارة، وهي حرب داحس والغبراء، ومساور شاعر =

أسد في انتمائهم لقريش وادعائهم أنهم إخوانهم، وبعده:
 أُولَئِكَ أَوْمِنُوا جُوعاً وَخَوْفاً وَقَدْ جَاعَتْ بُنُو أَسَدٍ وَخَافُوا
 والشاهد فيه: حذف الاستئناف وإقامة شيء آخر مقامه يدل على ذلك
 المحذوف.

فالمحذوف هنا جملة الاستئناف، فكانهم قالوا:

أصدقنا أم كذبنا، فقيل: كذبتُم، فَحُذِفَ هذا الاستئناف، وأُقيِمَ قوله: «لهم
 إلف، وليس لكم إلف» مقامه، لدلالته عليه، فصار كالبيان له، ولو أنه أظهر
 الواو، وقال:

زعمتم أن إخوانكم قريش، ولهم إلف وليس لكم إلف» خرج عن كونه
 موضوعاً على أنه جواب سائل، وصار بمنزلة القول «زعمتم أن إخوانكم قريش
 وكذبتُم»، والسر في حذف قوله: «كذبتُم» أنه لو أظهره لجاز العطف عليه
 «بالفاء»، فيقال: «كذبتُم فلهم إلف وليس لكم إلف» فلا يخرج الكلام عن كونه
 استشهداً على أن هذا الزعم كان منهم، أمّا إذا حذف الاستئناف فلا مساغ
 لدخول «الفاء» البتة، قال الشيخ:

=
 فارس إسلامي شريف، مخضرم أدرك النبي ﷺ، ولم يجتمع به، ومما يدل على أنه أدرك
 الإسلام ما جاء في الإصابة نقلاً عن الأصمعي: «ذكر الأصمعي ما يدل على أنه له إدراكاً،
 فحكى عن أبي طفيلة قال: وكان نحو أبي عمرو بن العلاء في السن، قال: حدثني من رأى
 مساور بن هند أنه وُلِدَ في حرب داحس، قبل الإسلام بخمسين عاماً» - توفي أبو عمرو نحو
 (١٥٤ هـ) - وذكر له المرزباني قصة مع عبد الملك بن مروان، وجاء في الإصابة عن
 المرزباني أنه: «كان أعور، وهو من المتقدمين في الإسلام، وهو وأبوه وجده أشرف من
 بني عبس، شعراء فرسان»، وفي المبهج أن «مساور» منقول من اسم الفاعل، وأما هند
 فعَلِمَ مرتجل ويقال: ساور فهو مساور أي واثب.
 انظر ترجمته:

المبهج: ٣١، الشعر والشعراء: ٣٥٥/١، شرح الحماسة للتبريزي: ١٢/٤، الإصابة:
 ٤٦٨/٣.

«وذلك أن قوله: «لهم إلف» تكذيب لدعواهم أنهم من قريش، فهو إذن بمنزلة أن يقول: «كذبتم، لهم إلف، وليس لكم ذلك»، ولو قال: «زعمتم أن إخوانكم قريش، ولهم إلف، وليس لكم إلف»، لصار بمنزلة أن يقول: «زعمتم أن إخوانكم قريش وكذبتم»، في أنه كان يُخْرِجُ عن أن يكون موضوعاً على أنه جواب سائل يقول له: «فماذا تقول في زعمهم ذلك وفي دعواهم؟» فأعرفه.

واعلم أنه لو أظهر «كذبتم»، لكان يجوز له أن يعطف هذا الكلام الذي هو قوله: «لهم إلف» عليه «بالفاء»، فيقول: «كذبتم فلهم إلف، وليس لكم ذلك»، فأما الآن فلا مَسَاحَ لدخول «الفاء» البتة، لأنه يصير حينئذٍ معطوفاً «بالفاء» على قوله: «زعمتم أن إخوانكم قريش»، وذلك يُخْرِجُ إلى المحال، من حيث يصير كأنه يستشهد بقوله: «لهم إلف» على أن هذا الزعم كان منهم، كما أنك إذا قلت: «كذبتم فلهم إلف» كُنْتَ قَدْ استشهدتَ بذلك على أنهم كذبوا، فأعرف ذلك»^(١).

ورأى القزويني وتبعه ابن يعقوب أن قوله: «لهم إلف» جواب لسؤال آخر مقدر بعد الاستئناف المحذوف، لأن كذبتم المقدر كالمذكور لدلالة «الزعم» عليه فكأنه قيل: لماذا قلت: كذبنا فقال: لأن لهم إلف وليس لكم إلف.

قال القزويني:

«حذف الجواب الذي هو كذبتم في زعمكم، وأقام قوله: «لهم إلف، وليس لكم إلف» مقامه لدلالته عليه، ويجوز أن يُقَدَّرَ قوله: «لهم إلف وليس لكم إلف» جواباً لسؤال اقتضاه الجواب المحذوف، كأنه لما قال المتكلم: كذبتم، قالوا: لِمَ كذبنا؟ فقال: لهم إلف، وليس لكم إلف، فيكون في البيت استئنافاً»^(٢).

(١) الدلائل، رضا: ١٣٨، خفاجي: ٢٥١ - ٢٥٢، شاکر: ٢٣٧.

(٢) الإيضاح: ٢٥٩/١ - ٢٦٠.

وانظر كذلك: مواهب الفتاح - ضمن شروح التلخيص - ٦٦/٣.

زعمت بنو أسد أنهم من قريش يريدون بذلك أن ينالهم حظ من شرفها ورفعتها فأثارت هذه الدعوى حمية الشاعر، وشرع يخاطب بني أسد ويكذب زعمهم ودعواهم في الانتماء إلى قريش، وقطع الكلام، وحذف الاستئناف تحقيراً لهم ولدعواهم؛ لأن كونهم كاذبين أمر ظاهر بَيِّن، ثم جاء بجملته تقوم مقام الأمر المحذوف، وهي كالبرهان على كذب دعواهم؛ لأن لقريش شرفاً وعزاً ضارباً في القدم، فهم أصحاب الإلف وهو الرحلتان المعروفتان في الصيف والشتاء، وليس لكم ذلك وأشار بذلك إلى قوله تعالى:

﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۖ لِّإِلْفِهِمْ رِحْلَةٌ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ (١).

وفي تقديم الخبر «الجار والمجرور» «لهم» على المبتدأ «إلف» تخصيص قريش بالإلف ونفيه عن بني أسد، وكذلك في قوله: «ليس لكم إلف» قدم الجار والمجرور «لكم» على المبتدأ «إلف» تأكيداً لنفي أن يكون لهم إلف، وفي هذا التخصيص والتأكيد ما يرد دعواهم رداً مؤكداً مما يبعث الحسرة في نفوسهم. قال المرزوقي في شرح البيت:

«يخاطب بني أسد ويكذب دعواهم في انتمائهم إلى قريش، وتنسبهم بالقرابة والقربة منهم، فقال: «ادَّعَيْتُمْ أَنَّ قُرَيْشاً إِخْوَتُكُمْ، وَسِيَّمَاءُ الْكَذِبِ ظَاهِرَةٌ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَى، لِأَنَّ لِقُرَيْشٍ إِيلَافاً فِي الرَّحْلَتَيْنِ الْمَعْرُوفَتَيْنِ لِلتَّجَارَةِ، وَلَيْسَ لَكُمْ ذَا، وَقَدْ آمَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ، وَأَنْتُمْ خَائِفُونَ جَائِعُونَ» وإنما يشير إلى السورة المنزلة ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۖ لِّإِلْفِهِمْ رِحْلَةٌ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾... إلى آخرها» (٢).

الشاهد الخامس والستون بعد المائة (٣):

(السريع)

قول اليزيدي (٤):

- (١) سورة قريش: الآيتان ١ - ٢.
- (٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٤٤٩/٣ - ١٤٥٠.
- (٣) الدلائل، رضا: ١٨٣، خفاجي: ٢٥٢، شاکر: ٢٣٧.
- (٤) هو أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العَدَوِي اليزيدي (١٣٨ - ٢٠٢ هـ) عالم بالعربية =

مَلَكْتُهُ حَبْلِي وَلَكِنَّهُ أَلْقَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي
وَقَالَ إِنِّي فِي الْهَوَى كَاذِبٌ أَنْتَقَمَ اللَّهُ مِنَ الْكَاذِبِ^(١)

= والأدب من أهل البصرة، سُمي العدوي؛ لأنه كان نازلاً في بني عدي، أو أنه كان من مواليهم، وسمي اليزيدي لصحبته يزيد بن منصور خال المهدي، سكن بغداد، وعهد إليه الرشيد بتأديب المأمون وعاش إلى أيام خلافته، وتوفي بمرو، من كتبه: «النوادر» في اللغة، و«المقصود والممدود»، و«مناقب بني العباس»، و«مختصر في النحو»، وله نظم جيد في «ديوان»، وله خمسة بنين كلهم علماء أدباء شعراء رواة للأخبار، وقد ألقوا في اللغة والأدب، وهم: محمد، وإبراهيم، وإسماعيل، وعبدالله، وإسحاق.

انظر ترجمته:

طبقات ابن المعتز: ٢٧٢ - ٢٧٥، الورقة: ٢٧ - ٢٩، الأغاني: ٢١٦/٢٠ - ٢٣٩، معجم المرزباني: ٤٩٨، تاريخ بغداد: ١٤٦/١٤ - ١٤٨، وفيات الأعيان: ١٨٣/٦ - ١٩٠، غاية النهاية في طبقات القراء: ٣٧٥/٢ - ٣٧٧.

ولقد أخطأ الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي في ذكر سنة وفاة «أبو محمد يحيى بن المبارك» فذكر أنها سنة (٢٩٢ هـ). هامش الإيضاح: ٢٥٠/١، ولقد ذكر الأستاذ محمود محمد شاكر في تعليقه على الدلائل أن البيتين ذُكرا في الأغاني غير منسوبين، والصحيح أن أبا الفرج ذكرهما في كتابه، ولكن جعل نسبتهما لإبراهيم بن المدبر، قالهما حين أنشدته يوماً كُرَاعَةً بِسْرٍ مَنْ رَأَى:

يَا مَعْشَرَ النَّاسِ أَمَّا مُسْلِمٌ يَشْفَعُ عِنْدَ الْمُذْنِبِ النَّعَاتِبِ
ذَاكَ الَّذِي يَهْرُبُ مِنْ وَضِلْنَا تَعَلَّقُوا بِاللَّهِ بِالْهَارِبِ

فزاد فيها قوله:

مَلَكْتُهُ حَبْلِي وَلَكِنَّهُ أَلْقَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي
وَقَالَ إِنِّي فِي الْهَوَى كَاذِبٌ فَأَنْتَقَمَ اللَّهُ مِنَ الْكَاذِبِ

وقد ذكر العباسي في معاهد التنصيص أنها تُنسب لليزيدي، أو إبراهيم بن المدبر. وإبراهيم بن المدبر هو أبو إسحاق شاعر كاتب من وجوه كتاب أهل العراق. ستأتي ترجمته: ٩٦٢.

(١) انظر الأبيات في:

الأغاني: ١٦٨/٢٢، الإيضاح: ٢٥٠/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤٠ ب، شروح التلخيص - عروس الأفراح -: ٢٨/٣، معاهد التنصيص: ٢٧١/١ - ٢٧٢.

والشاهد في البيت: الاستئناف على معنى جعل الكلام جواباً في التقدير،
ففصل قوله: «أنتقم الله من الكاذب»، عن قوله: «وقال إني في الهوى كاذب»،
ولم يعطفه، كأنّ هناك سائلاً قال له: ما تقول فيما اتّهمك به، فقال: أقول:
أنتقم الله من الكاذب، ورأى الشيخ عبد القاهر أنّ هذا البيت من لطيف
الاستئناف، قال:

«ومن اللطيف فيه الاستئناف على معنى جعل الكلام جواباً في التقدير قول
اليزيدي...»

استأنف قوله: «أنتقم الله من الكاذب»؛ لأنه جعل نفسه كأنه يجيب سائلاً
قال له: «فما تقول فيما تهمك به من أنك كاذب؟» فقال: «أقول: «أنتقم الله من
الكاذب»»^(١).

ولعل الاستئناف لُطف هنا؛ لأن الشاعر وجد فيه مهرباً من مأساته، فهو
شديد التألم لجفاء محبوبه، وتنكر وده، واختياره القطيعة واجتهاده في المنابذة،
فعلى الرغم من انقياد الشاعر له، وجعله متصرفاً يقوده كيف شاء، فقد ملكه
حبله - وهو مثل في الانقياد التام - قُوبل تفانيه في المحبة بالجفاء، والإلقاء على
الغارب «الإهمال» وأي إلقاء؟، الإلقاء مع الزهد وعدم الرغبة - وهو مثل يُضرب
في التخلية له وشأنه -، أو هما كنايةان عن الانقياد والإهمال ولم يكتفِ هذا
المحبوب بهذه الجفوة، بل زاد في قساوته، فاتهمه بالكذب في هواه على الرغم
من تفانيه.

وهنا اشتد على الشاعر وطء الاتهام، وكُرِّبه ومضه، فتجمعت آلامه واثارت،
فقطع الكلام واستأنف بقوله: «أنتقم الله» وكأنه وجد في هذا الاستئناف ما يعالج
بلاءه، ويخفف وطأة شقائه، ويسكن هذا الريح النائر في صدره، وقوله:
«أنتقم الله» دعاء، وواضح أنه دعاء على نفسه، والمراد منه نفي التهمة عن
نفسه، فالمسارعة ليست لتخفيف آلامه فقط، وإنّما لتأكيد هواه أيضاً، كأنه قال:
إن كنت كاذباً فلينتقم الله مني، ومثل هذا جارٍ في الألسنة لتبرئة النفوس من

(١) الدلائل، رضا: ١٨٢ - ١٨٣، خفاجي: ٢٥٢، شاکر: ٢٣٧ - ٢٣٨.

التهم. وجعل السكاكي الفصل هنا من كمال الانقطاع للاختلاف بين الجملتين خيراً وطلباً؛ لأنه أراد بقوله: «انتقم» الدعاء، فهو كقولهم: مات فلان رحمه الله. قال: «ومن أمثلة الانقطاع للاختلاف خيراً وطلباً قوله:

مَلَكْتُهُ حَبْلِي وَلَكِنَّهُ أَلْقَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي

لأنه أراد الدعاء بقوله: «آنتقم»، وكذا قولهم: مات فلان رحمه الله، وكذلك قولهم: لا تدن من الأسد يأكلك، وهل تصلح لي كذا أدفع إليك الأجرة بالرفع فيهما، وغير ذلك مما هو في هذا السلك منخرط^(١).

وسار ابن السبكي مسار السكاكي، ورأى أنه من كمال الانقطاع، وأن حملة على الاستئناف بتقدير «قلت» فيه بُعد. قال:

«وحمله الجرجاني على الاستئناف بتقدير «قلت» المعنى، وقال: أنت في الهوى كاذب قلت: انتقم، وهو واضح فإنه لا يصح أن يكون مما نحن فيه إلا إذا كان آنتقم الله من كلام المحكي عنه وفيه بُعد^(٢).

وأضاف أنه إذا حمل على الاستئناف كان مقطوعاً عن «وقال» فيقال: أنه من قطع الاحتياط أي شبه كمال الانقطاع؛ لأن عطف قوله: «انتقم الله من الكاذب» على وقال: يوهم عطفها على إني في الهوى كاذب، قال:

«وينبغي أن يُعلم أننا إذا جعلناه استئنافاً كان مقطوعاً عن «وقال»، فيمكن أن يقال: أنه من قطع الاحتياط الذي يكون لشبه الانقطاع؛ لأن عطفها على قال يوهم عطفها على إني^(٣).

الشاهد السادس والستون بعد المائة^(٤):

(الخفيف)

قَالَ لِي: كَيْفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ عَلِيلٌ سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ^(٥)

(١) المفتاح: ١١٧.

(٢) شروح التلخيص، عروس الأفراح: ٢٩/٣.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) الدلائل، رضا: ١٨٤، خفاجي: ٢٥٢، شاكر: ٢٣٨.

(٥) انظر البيت في:

البيت أورده الشيخ من غير نسبة، وكذلك ورد غير منسوب في المصادر التي رجعت إليها في تخريج البيت، والشاهد فيه:

فصل الجملة الثانية وهي قوله: «سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طویلٌ» عن الجملة قبلها، وهي قوله: «قلت علیلٌ» وجعلها مستأنفة جواباً عن الجملة الأولى المتضمنة للسؤال المفهوم من فحوى الحال.

قال الشيخ:

«لما كان في العادة إذا قيل للرجل: كيف أنت؟ فقال: «عليلٌ» أن يسأل ثانياً فيقال: ما بك وما علتك؟ قدر كأنه قد قيل له ذلك فأتى بقوله: سهرٌ دائمٌ: جواباً عن هذا السؤال المفهوم من فحوى الحال فأعرفه»^(١).

فالجملة الأولى تضمنت السؤال عن سبب مطلق؛ لأن المبهم على السامع سبب الحكم الكائن في الجملة الأولى على الإطلاق بمعنى أنه جهل السبب من أصله.

فالمقام يقتضي أن يكون السؤال عن سبب مطلق؛ لأنه إذا قيل: فلان مريض لم يُتصور منه إلا مجرد المرض ويبقى السبب مجهولاً، فيقال: ما سبب مرضه؟ فيكون السؤال تصورياً بمعنى أنه يطلب تصور السبب، فلا يكون المقام مقام التأكيد في الجواب إذ ليس السؤال على وجه التردد في ثبوت سبب خاص فالسهر والحزن أبعد الأسباب في إحداث المرض في العرف المعتاد، فهما جديران بأن لا يتردد في ثبوت أحدهما»^(٢).

= المفتاح: ٧٦، الإيضاح: ١٠٩/١، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية، الشاهد رقم (٢٩)، عقود الدرر في حل أبيات المطول: ١٣ - ٣٥ أ، شروح التلخيص: ٢٧٧/١، معاهد التنصيص: ٢٨٠/١، القول الجيد: ٢٤٩.

(١) الدلائل، رضا: ١٨٤، خفاجي: ٢٥٢، شاکر: ٢٣٨.

(٢) شروح التلخيص «مواهب الفتاح»: ٥٨/٣.

ورأى الشيخ عبد القاهر أن البيت من النادر ولعل سبب ندرته اجتماع عدة استثنافات في البيت.

الاستئناف الأول والثاني نتج عن الحذف والثالث ناتج عن الفصل.

فاستطاع الشاعر أن يعبر عن المعاني الكثيرة التي تفيض بها نفسه بأقل العبارات وأروعها.

كما أن هذا الطريق الذي سلكه الشاعر في التعبير كان موافقاً لأحواله النفسية، فهو غليل منهوك، وهذه العلة - بلا شك - توهن النفس، وتضعفها، وتلبسها لباس الوحشة مما جعله يتخيل أن هناك من يخاطبه، ليؤنس بهذا التخيل وحدته، ويزيل وحشته، ولضيق نفسه لجأ إلى الحذف وبنى هذا الحذف على الاستئناف ليعلن الحبيس في صدره لعله يجد في هذا البوح نوعاً من الارتياح فقال مجيباً السائل: «غليل» ولم يقل «أنا غليل» لضيق نفسه، وهذا الجواب جعل النفوس تزداد اشتياقاً لمعرفة منبع آلامه، ومصدر أسقامه وبعد أن هيا النفوس وشوقها وحرك فيها الرغبة في السؤال أسرع في الكشف عن سبب علته فقال: «سهرٌ دائمٌ، وحزنٌ طويلٌ».

وجوابه هذا كشف عن شدة ما يكابده من آلام، لأن ما صرح به من سبب علته غير متعارف عليه في أسباب المرض.

والبيت يستشهد به البلاغيون على حذف المبتدأ في قوله: «غليل» أي «أنا غليل»، وقوله: «سهرٌ» أي سبب علتي «سهرٌ» أو قوله: «سهرٌ» مبتدأ خبره محذوف تقديره (بي)، ورأى بعضهم أن نكتة الحذف هنا تعين المحذوف أو ضجر المتكلم^(١)، أو الاحتراز من العبث مع ضيق المقام^(٢).

(١) عقود الدرر «شواهد أحوال المسند إليه»: ١٣ أ.

(٢) معاهد التنصيص: ١٠٠/١.

قول المتنبي:

وَمَا عَفَّتِ الرِّيحُ لَهُ مَحَلًّا عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقَا^(٢)

وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة، وقد أمر له بفرس وجارية، ومطلعها:

أَيَذْرِي الرَّبْعُ أَيَّ دَمٍ أَرَاكَ وَأَيُّ قُلُوبٍ هَذَا الرَّكْبُ شَاكَ

وبعده:

لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ تَلَاقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلَاقَى

وبعده الشاهد وبعده:

فَلَيْتَ هَوَى الْأَجْبَةِ كَانَ عَذْلًا فَحُمِّلَ كُلُّ قَلْبٍ مَا أَطَاقَا^(٣)

الشاهد فيه: الفصل للاستئناف حيث فصل الجملة الثانية «عفاه من حدا بهم وساقا» عن الجملة الأولى «وما عفت الرياح».

وهو عند الشيخ من الاستئناف الحسن البين. قال:

«ومن الحسن البين في ذلك قول المتنبي:»

لَمَّا نَفَى أَنْ يَكُونَ الَّذِي يُرَى بِهِ مِنَ الدُّرُوسِ وَالْعَفَاءِ مِنَ الرِّيحِ، وَأَنْ تَكُونَ هِيَ الَّتِي فَعَلَتْ ذَلِكَ، وَكَانَ مِنَ الْعَادَةِ إِذَا نُفِيَ الْفِعْلُ الْمَوْجُودُ الْحَاصِلُ عَنْ وَاحِدٍ فَقِيلَ: «لَمْ يَفْعَلْهُ فُلَانٌ»، أَنْ يَقَالَ: «فَمَنْ فَعَلَهُ؟» قَدَّرَ كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ:

«قَدْ زَعَمْتَ أَنَّ الرِّيحَ لَمْ تَعْفُ لَهُ مَحَلًّا، فَمَا عَفَاهُ إِذَنْ؟» فَقَالَ مُجِيبًا لَهُ:

(١) الدلائل، رضا: ١٨٤، خفاجي: ٢٥٣، شاکر: ٢٣٨.

(٢) لم أعثر عليه فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

ديوانه بشرح العكبري: ٢/٢٩٤، الإبانة عن سرقات المتنبي للعميدي: ١٧١.

(٣) ديوانه: ٢/٢٩٥.

«عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقَا»^(١).

وهو أيضاً شاهد على أن جواب السؤال المقدر لا بد أن يقترن بالفعل ليدل على السؤال المحذوف. قال الشيخ:

«واعلم أن السؤال إذا كان ظاهراً مذكوراً في مثل هذا كان الأكثر أن لا يذكر الفعل في الجواب ويقتصر على الاسم وحده فأما مع الإضمار، فلا يجوز إلا أن يذكر الفعل، تفسير هذا أنه يجوز لك إذا قيل: إن كانت الرياح لم تغفه فما عفاه؟ أن تقول: مَنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقَا، ولا تقول: عفاه من حدا، كما تقول في جواب من يقول: من فعل هذا؟ زيد، ولا يجب أن تقول: فعله زيد، وأما إذا لم يكن السؤال مذكوراً كالذي عليه البيت، فإنه لا يجوز أن يترك ذكر الفعل، فلو قلت مثلاً: «وما عفت الرياح له محلاً، مَنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقَا» تزعم أنك أردت «عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمْ»، ثم تركت ذكر الفعل، أَحَلَّتْ^(٢)؛ لأنه إنما يجوز تركه حيث يكون السؤال مذكوراً؛ لأن ذكره فيه يدل على إرادته في الجواب، فإذا لم يُؤْتِ بالسؤال لم يكن إلى العلم به سبيل، فأعرف ذلك»^(٣).

ولعل الاستئناف حَسَنٌ في هذا البيت؛ لأن الشاعر جاء فيه بما يبعث الغرابة والعجب في النفوس، فلقد سار الشعراء في شعرهم إذا ذكروا الديار والوقوف على الأطلال والتأمل في درسها أن يعزوا ذلك إلى الرياح والأمطار، إلا أن الشاعر هنا لشدة حزنه خرج عن هذا الحد المتعارف عليه فنفي أن تكون الرياح هي السبب في تغير المنازل ودرسها، وفي هذا النفي ما يبعث العجب في النفس ويثير تساؤلاتها، فيأتيها الجواب كاشفاً عن سبب ألم الشاعر وشدة حزنه حيث ألقى اللوم على الحداة فلو لم يرحلوا بالقوم لما دَرَسَ الربع.

قال العكبري:

«يقول: لا ذنب للرياح؛ لأنها لم تَدْرُسْهُ، ولم تغير منازلها، وإنما عفاها

(١) الدلائل، رضا: ١٨٤، خفاجي: ٢٥٢ - ٢٥٣، شاکر: ٢٣٨.

(٢) أي جئت بالمحال.

(٣) الدلائل، رضا: ١٨٤ - ١٨٥، خفاجي: ٢٥٣ - ٢٥٤، شاکر: ٢٣٩.

الحادي بسكانه، وذلك أنهم لو لم يرحلوا عنه لما دَرَسَ الرَّبْع، فالذنب للحدادة^(١).

وذكر العميدي أن هذا البيت مأخوذ من قول الشيباني^(٢):
وَمَا عَلَى ظَهْرِ غُرَا بِ الْبَيْنِ تُطَوِّي الرَّحْلُ
وَمَا غُرَابُ الْبَيْنِ إِلَا لَا نَاقَةَ أَوْ جَمْلُ^(٣)

ورأى العكبري في شرح الديوان أن هذا البيت قريب من قول أبي الشيص^(٤) - وكأنه يشير بأنه مأخوذ منه -:

مَا فَرَّقَ الْأَخْبَابَ بَعْدَ ذَ الْلَّهِ إِلَّا الْإِبِلُ
وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ غُرَا بِ الْبَيْنِ لِمَا جَهِلُوا
وَمَا إِذَا صَاحَ غُرَا بِ فِي الدِّيَارِ أَحْتَمَلُوا
وَمَا عَلَى ظَهْرِ غُرَا بِ الْبَيْنِ تُطَوِّي الرَّحْلُ
وَمَا غُرَابُ الْبَيْنِ إِلَا لَا نَاقَةَ أَوْ جَمْلُ^(٥)

(١) التبيان في شرح الديوان للعكبري: ٢٩٤/٢.

(٢) لم أقف على ترجمته.

(٣) الإبانة عن سرقات المتنبي: ١٧١.

(٤) هو محمد بن علي بن عبدالله بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي، شاعر مطبوع، سريع الخاطر رقيق الالفاظ من أهل الكوفة، غلبه على الشهرة معاصراه: صريع الغواني، وأبو نواس، وانقطع إلى أمير الرقة عقبة بن جعفر الخزاعي، فأغناه عقبة عن سواه، وأبو الشيص لقبه، وكنيته أبو جعفر، وهو ابن عم دعلج الخزاعي عمي في آخر عمره، قتله خادم لعقبة. انظر ترجمته:

الشعر والشعراء: ٨٤٧/٢ - ٨٥٢، الفهرست: ٢٣٠، جمهرة أنساب العرب: ٢٤١، تاريخ بغداد: ٤٠١/٥ - ٤٠٢، سمط اللآلي: ٥٠٦، نهاية الأرب: ٨٩/٣، نكت الهميان: ٢٥٧، الأعلام: ٢٧١/٦.

(٥) ديوانه: ٩٥ - ٩٦، التبيان في شرح الديوان للعكبري: ٢٩٤/٢.

قول الوليد بن يزيد^(٢):

عَرَفْتُ الْمَنْزِلَ الْخَالِي عَفَا مِنْ بَعْدِ أَحْوَالِ
عَفَاهُ^(٣) كُلُّ حَنَّانٍ^(٤) عُسُوفٍ^(٥) الْوَيْلَ هَطَّالٍ^(٦)

(١) الدلائل، رضا: ١٨٤، خفاجي: ٢٥٣، شاكر: ٢٣٨ - ٢٣٩.
(٢) ذُكِرَتْ هذه النسبة في الأغاني والدلائل، ونُسب البيتان في شرح أبيات الإيضاح للوليد بن مسلم - ولعله يقصد مسلم بن الوليد - «صريع الغواني».

وفي معاهد التنصيص نسباً للبيد، ويبدو أن الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي قد سجل خطأ نسبة المعاهد ونسبة شرح أبيات الإيضاح حيث قال:
«والبيتان للوليد بن مسلم كما في معاهد التنصيص أو للبيد كما في شرح شواهد الإيضاح».

الإيضاح: ٢٥٨/١.

والعكس هو الصحيح كما توهمت به سابقاً.

والوليد بن يزيد هو: الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكنيته أبو العباس، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، وهي بنت أخ الحجاج، وأم يزيد بن عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، وكان الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم، وأجوادهم وأشدائهم، وكان فاسقاً خليعاً متهماً في دينه مرمياً بالزندقة، وشاع ذلك من أمره، وظهر حتى أنكره الناس فقتل، وله أشعار كثيرة تدل على خبثه وكفره، ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره ويقول: إنه نُجِّلَ، وألصق إليه، والأغلب الأشهر غير ذلك، ولقد ولّاه أبوه العهد بعد هشام، وطمع هشام في خلعه. انظر ترجمته في:

تاريخ الطبري: ٤٣٤/٦، ٥٦٤، ٢٢/٧، ٩٨، ١٨٩، ٢٠٨ - ٢٥٣ - ٢٥٨ - ٢٦٢،
٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٠، ٩٦/٨ - ٣٦٤، الأغاني: ١/٧ - ٨٣، الكامل لابن الأثير: ٢٥٦/٥ - ٢٦٤، البداية والنهاية: ٢/١٠ - ٨.

(٣) رواية المفتاح: عفاء.

(٤) رواية معاهد التنصيص: «كل هَنَّان».

حَنَّان: كل سحاب مصوت بانصباب المطر، وهو سحاب الرحمة. القاموس المحيط
«حنن»: ٢١٨/٤.

والبيتان من أشعار الوليد التي قالها في سلمى^(١)، وغنى المغنون فيها،

وبعد بيتي الشاهد:

لِسَلْمَى قُرَّةُ الْعَيْنِ وَبِنْتُ الْعَمِّ وَالْخَالِ
بَذَلْتُ الْيَوْمَ فِي سَلْمَى خِطَارًا^(٢) أَتَلَفْتُ مَالِي
كَأَنَّ الرِّيقَ مِنْ فِيهَا سَحِيقٌ^(٣) بَيْنَ جِرْيَالٍ^(٤)

وهي خمسة أبيات فقط.

والشاهد في البيت: فصل الجملة الثانية «عفاه كل حنان» عن الجملة الأولى «عفا من بعد أحوال» للاستئناف. قال الشيخ:

«لما قال: «عَفَا مِنْ بَعْدِ أَحْوَالٍ» قَدَّرَ كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: «فَمَا عَفَاهُ؟» فقال: «عَفَاهُ كُلُّ حَنَانٍ»^(٥).

(٥) = عسوف: العسفُ السَّيرُ بغير هداية، والأخذ على غير الطريق، والتعسف السير على غير عَلم ولا أثر. اللسان «عسف»: ٢٤٥/٩، وهو يقصد هنا المطر الشديد.

(٦) لم أجد البيتين فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في: ديوانه: ٩٧، الأغاني: ٣٢/٧، المفتاح: ١١٥، الإيضاح: ٢٥٨/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤٢ أ، معاهد التنصيص: ٢٨١/١ - ٢٨٢.

(١) وسلمى التي عنها الوليد هي سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان، أخت زوجته سَعْدَة، أحبها الوليد، وطلق أختها بعد موت أبيه، وأراد أن يني بها، فرده أبوها أقبح ردٍّ، وازداد حباً لها، فكان يتزيا بزيت ليراه، وله أشعار كثيرة فيها، وقد تزوجها بعد ولايته الخلافة، فمكثت عنده أربعين يوماً ثم ماتت فرثاها. انظر: الأغاني: ٢٥/٧ - ٣٥.

(٢) خطاراً: جمع خطر «بالتحريك»، وهو السبق الذي يترامى عليه في الرهان. اللسان «خطر»: ٢٥١/٤.

(٣) سَحِيقٌ: سَحَقَ الشيءَ يَسْحَقُهُ سَحَقًا دَقُّهُ أَشَدَّ الدَّقِّ، وقيل: السَّحَقُ الدَّقُّ الرقيق، وقيل: هو الدَّقُّ بعد الدَّقِّ وقيل: السَّحَقُ دُونَ الدَّقِّ. اللسان «سحق»: ١٥٢/١٠.

(٤) الجِرْيَال: صفوة الخمر أي ريقها مسك سحق بين قطع جريال أو أجزاء جريال. اللسان «جرل»: ١٠٨/١١.

(٥) الدلائل، رضا: ١٨٤، خفاجي: ٢٥٣، شاکر: ٢٣٨.

فالشاعر واقف على الأطلال يتغنّى بالذكريات، فهي محصورة في نفسه ساكنة في قلبه لشدة ارتباطه بها، فعلى الرغم من اندثارها لم يخطئها، ولكنه حين وقف عليها تألم لما اعترأها، فأعلن في تحسر أنها قد عفت، وإعلانه بهذه الطريقة يثير التساؤل إلا أنه تجاوز السؤال، وأعلن الجواب لأنه أراد أن لا يقطع حديث النفس، لتُفرغ ما فيها من شكوى وتحسر، فألقى التبعة، وأدان كل سحاب حنّان مر بها، وانهمل مطره الشديد عليها.

الشاهد التاسع والستون بعد المائة^(١):
(الوافر)

قول المتنبي:

تَوَلَّوْا بَغْتَةً فَكَأَنَّ بَيْنَنَا تَهَيَّبَنِي فَقَاجَأَنِي أَغْتِبَالًا
فَكَانَ مَسِيرُ عَيْسِهِمْ ذَمِيلًا وَسِيرُ السُّدُومِ إِثْرُهُمْ أَنْهَمَالًا^(٢)

والبيتان من قصيدة قالها في مدح بدر بن عمار^(٣) ومطلعها:

بَقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمْ أَرْحَالًا وَحُسْنُ الصَّبْرِ زُمُوا لَا الْجَمَالَ

وبعده بيتا الشاهد وبعدهما:

كَأَنَّ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي مُنَاخَاتٍ فَلَمَّا تُرِّنَ سَالًا^(٤)

(١) الدلائل، رضا: ١٨٨، خفاجي: ٢٥٧، شاکر: ٢٤٤.

(٢) لم أجده فيما لدي من مصادر إلا في:

ديوانه بشرح العكبري: ٢٢١/٣، العرف الطيب: ٢٦٣/٤.

(٣) هو بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي، أبو الحسين، أرسله أبو بكر محمد بن رائق إلى طبرية ليتولّى حربها وقيادة جيشها وحمايتها في سنة (٣٢٨ هـ)، كان أبو الحسين عربياً، ذكي الفؤاد شجاعاً ماضياً كالسيف حُلُو الشمال سَمْحاً، قريب المذهب من أبي الطيب المتنبي في بغضاء العجم، لما أنزلوه بالدولة من التفرقة والتمزيق، بقي المتنبي إلى جواره من أواخر سنة (٣٢٨ هـ) إلى أوائل سنة (٣٣٣ هـ) على وجه التقريب، ومدائح المتنبي في بدر بن عمار تكاد تكون في الطبقة الثانية من جيد شعره، وفيها أبيات من الطبقة الأولى من الشعر العربي كله، ثم فارق المتنبي إلى دمشق حين لم يجد عنده كل ما أراد، ووجده يسمع للوشاة، ويصغي إليهم.

انظر: المتنبي - محمود شاکر - ١٣٩/١.

(٤) ديوانه بشرح العكبري: ٢٢٢/٣، العرف الطيب: ٢٦٣/٤.

والشاهد فيه: عطف مجموعة جمل قد تلاحمت وتضافرت على مجموعة جمل قد تلاحمت وتضافرت أيضاً مع وجود جامع بين المعطوف والمعطوف عليه. قال الشيخ:

«هذا فنُّ من القول خاص دقيق، اعلم أن مما يَقِلُّ نَظَرُ الناس فيه من أمر «العطف» أنه قد يُؤْتَى بالجملة، فلا تعطف على ما يليها، ولكن تُعطف على جُمْلَةٍ بينها وبين هذه التي تُعطف جملة أو جملتان»^(١).

وقال في موضع آخر من هذا الفصل:

«فأمر العطف إذن، موضوع على أنك تعطف تارة جملة على جملة، وتَعْمِدُ أخرى إلى جملتين أو جُمْلٍ فتعطف بعضاً على بعض، ثم تعطف مجموع هذي على مجموع تلك»^(٢).

فقول الشاعر: «فكان مسير عيسهم» معطوف على «تولوا بغتة» لا على قوله: «ففاجأني» - وإن كانت «الفاء» تُغري بالعطف على السابق المباشر بناءً على الفهم القريب لمعنى الترتيب والتعقيب؛ لأن العطف على «ففاجأني» يفسد المعنى حيث تدخل هذه الجملة في معنى كأن، فإذا عطفت جملة «فكان مسير عيسهم» عليها أدَّى إلى أن لا يكون مسير عيسهم حقيقة، ويكون متوهماً كما كان تَهْيِيبُ البين كذلك.

قال الشيخ:

«قوله: «فكان مسير عيسهم» معطوف على «تولوا بغتة» دون ما يليه من قوله: «ففاجأني» لأننا إن عطفناه على هذا الذي يليه أفسدنا المعنى، من حيث أنه يدخل في معنى «كَأَنَّ»، وذلك يؤدي إلى أن لا يكون مسير عيسهم حقيقة، ويكون مُتَوَهِّماً، كما كان تَهْيِيبُ البين كذلك»^(٣).

(١) الدلائل، رضا: ١٨٨، خفاجي: ٢٥٧، شاکر: ٢٤٤.

(٢) الدلائل، رضا: ١٨٩، خفاجي: ٢٥٨، شاکر: ٢٤٥.

(٣) الدلائل، رضا: ١٨٨، خفاجي: ٢٥٧، شاکر: ٢٤٤.

فالجملـة المتوسـطة بين هذه المعطوفة أخيراً، وبين المعطوف عليها الأولى، ترتبط في معناها بتلك الأولى^(١)، فالفاء في قوله: «فكأن بيناً»، وقوله: «ففاجأني» تربط الجملة التي دخلت عليها ربطاً محكماً ومتتابعاً، فتوهم تهيب البين كان إثر التولي المبالغت، والمفاجأة بالاغتيال كانت من توهم التهيب، وإذا عطفنا جملة «فكان مسيرهم» على ففاجأني لم تجر في هذا التسايع وهذا الترتيب، وفسد المعنى؛ لأن ذملان العيس لم يترتب على مفاجأة الاغتيال وإنما ترتب على التولي ولهذا وجب أن تكون عاطفة على قوله: «تولوا بغتة» وأن يتصل رأس هذه الجملة بالجملة الأم في البيت السابق.

ثم إن ذملان العيس لم يكن هو المهم فيما ترتب على التولي وإنما كان توطئة لذلك الأمر المهم وهو انهمال الدمع، ولقد ذكر الشاعر ذملان العيس ليلائم بين اندلاع العيس في الرحلة وانهمال دموعه في أثرهم فلا بد من ملاحظة المعطوف في البيت الثاني؛ لأنه سر المعنى ومغزى الكلام^(٢).

قال الشيخ عبد القاهر:

«وهنا شيء آخر دقيق، وهو أنك إذا نظرت إلى قوله: «فكان مسير عيسهم ذمياً» وجدته لم يُعْطَف هو وحده على ما عُطِف عليه، ولكن تجد العطف قد تناول جملة البيت مربوطاً آخره بأوله، ألا ترى أن الغرض من هذا الكلام أن يجعل توليهم بغتة، وعلى الوجه الذي توهم من أجله أن البين تهيبه، مستدعياً بكاءه، وموجباً أن ينهمل دموعه، فلم يعبه أن يذكر ذملان العيس إلا ليذكر هملان الدمع، وأن يوفق بينهما»^(٣).

(١) الدلائل، رضا: ١٨٨، خفاجي: ٢٥٧، شاکر: ٢٤٤.

(٢) دلالات التراكيب: ٣٦١.

(٣) الدلائل، رضا: ١٨٩، خفاجي: ٢٥٧ - ٢٥٨، شاکر: ٢٤٥.

الفصل التاسع

شواهد باب اللفظ والنظم

أ — شواهد أمور شتى في أمر اللفظ والنظم.

ب — شواهد الكناية والاستعارة والتمثيل.

ج — شواهد إن ومواقعها.

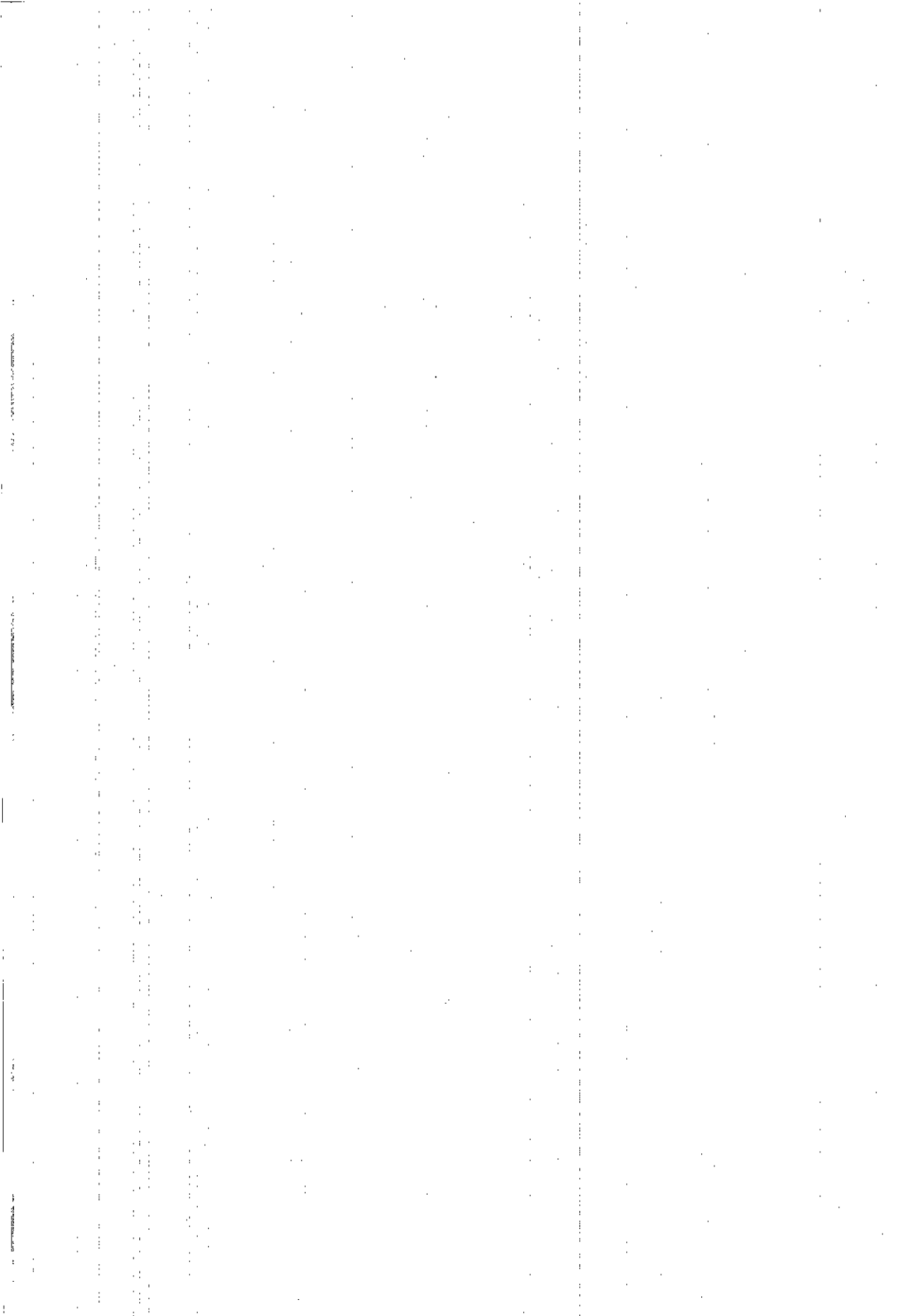
د — شواهد كاد.

هـ — شواهد كل.

و — شواهد المجاز الحكمي.

ز — شواهد الكناية.

ح — عود إلى شواهد إن ومواقعها.



أ - شواهد أمور شتى في أمر اللفظ والنظم

(الطويل)

الشاهد السبعون بعد المائة^(١):

بيت الحطيئة:

مَتَى تَأْتِيهِ تَعْشُو^(٢) إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرٌ مُوقِدٍ^(٣)

والشاهد من قصيدة يمدح بها بعض آل شماس^(٤).

آثَرْتُ إِذْ لَاجِي عَلَى لَيْلٍ حُرَّةٍ هَضِيمِ الْحَشَا حُسَانَةَ الْمُتَجَرَّدِ

(١) الدلائل، رضا: ١٩٤، خفاجي: ٢٦٣، شاکر: ٢٥١.

(٢) العشو: مصدر عشوت إلى ضوئك أعشو عشواً إذا قصدته بليل، ثم صار كل قاصد شيئاً عاشياً. اللسان «عشا»: ٥٧/١٥.

(٣) انظر البيت في:

ديوانه - رواية الأعرابي والشياني -: ٥١، الكتاب: ٨٦/٣، تفسير الطبري: ٢٩/١٩، معاني القرآن للفراء: ٢٧٣/٢، مجاز القرآن: ٢٠٤/٢، شرح أبيات سيبويه للنحاس: ٢٢٥، شاهد (٦١٥) - غير منسوب -، إصلاح المنطق: ١٩٨، الأمثال للضي: ١٢٥ - غير منسوب -، البيان والتبيين: ٢٩/٢ - غير منسوب -، الحيوان: ١٣٢/٥، تفسير غريب القرآن: ٣٩٨، المقتضب: ٦٣/٢، جمهرة اللغة: ٦٢/٣، «شَعَوُ»، الجمل في النحو: ٢١٤، ديوان الأدب للفارابي: ٧٥/٤ - غير منسوب -، الأغاني: ٢٠٠/٢، الأمالي للقالبي: ١١٦/١ - غير منسوب -، مجالس ثعلب: ٣٩٩/٩ - غير منسوب -، زهر الآداب: ٩٧٧/٤، سمط اللالي: ٣٤٥/١ - ٣٤٦، شرح جمل الزجاجي: ٢٠٣/٢، الصحاح «عشا»: ٢٤٢٨/٦، اللسان «عشا»: ٥٧/١٥، التاج «عشو»: ٢٤٢/١٠، خزانة الأدب - دار صادر -: ٢١٥/٣، شرح الأشموني: ٣١٩، شرح الشواهد للعيني: ٣١٩.

(٤) سمط اللالي: ٣٤٥/١.

وقبل الشاهد:

فَمَا زَالَتْ الْعَوَجَاءُ تَجْرِي ضُفُورُهَا إِلَيْكَ ابْنَ شَمَّاسٍ تَرْوُحُ وَتَغْتَدِي
تَزُورُ امْرَأً يُؤْتِي عَلَى الْحَمْدِ مَا لَهُ وَمَنْ يُؤْتِ أَتَمَّانَ الْمَحَامِدِ يُحْمَدُ
يَرَى الْبُخْلَ لَا يُبْقِي عَلَى الْمَرْءِ مَا لَهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْبُخْلَ غَيْرُ مُخْلَدٍ
كَسُوبٌ وَمِثْلَافٌ إِذَا مَا سَأَلْتَهُ تَهَلَّلُ وَاهْتَزَّ اهْتَزَّازَ الْمُهْنَدُ

وبعده:

وَذَاكَ أَمْرٌ إِنْ يُعْطِكَ الْيَوْمَ نَائِلًا بِكَفِّهِ لَا يَمْنَعُكَ مِنْ نَائِلِ الْغَدِ

استشهد به الإمام عبد القاهر في سياق رده على من يقول بأن الفضل والمزية للعرب في علم البلاغة، إنما ثبتا لعلمهم باللغة بالطبع لا بالتكلف فرأى أن هذا خطأ عظيم، وغلط منكر يفضي بقائله إلى رفع الإعجاز، وإبطال التحدي من حيث لا يعلم، ورأى أن المزية إنما وجبت للعرب بحسن النظم والتأليف، والعلم بمواضع الألفاظ وتخير مواطنها، ثم علق على البيت بقول الجاحظ:

«وما كان ينبغي أن يُمدح بهذا البيت إلا من هو خير أهل الأرض، على أني لم أعجب بمعناه أكثر من عَجَبِي بلفظه وطبعه، ونحته، وسبكه، فيفهم منه شيئاً أو يقف للطابع والنظام والنحت والسبك والمخارج السهلة على معنى أو يحلّى منه بشيء، وكيف بأن يعرفه؟ ولربما خفى على كثير من أهله»^(١).

وإذا نظر الناظر المتأمل في البيت، وجد فيه من أسرار النظم، وبيدع السبك ما تطرب له النفس، ويأنس له العقل، فقد ابتداء الشاعر بيته بـ «متى»

= لعله يقصد بـغض آل شَمَّاس بغض بن عامر بن لاي بن شَمَّاس أحد بني قريع بن عوف، ينزاع يومئذ الزبرقان الشرف، والزبرقان أحد بني بهدلة بن عوف، وبغض أرسخ في الشرف من الزبرقان، وقد ناواه بـدنه (أي نسبه وحسبه) بل اعتلاه، فاغتنم بغض وأخواه علقمة وهوذة ما فيه الحطية من الحفوة فدعواه إلى ما عندهما، فأسرع، فبنوا عليه قبة، وغروا له، وأكرموا كل الإكرام. انظر: طبقات فحول الشعراء: ١١٥/١.

(١) الدلائل، رضا: ١٩٤، خفاجي: ٢٦٣، شاکر: ٢٥١.

الشرطية التي دلت على الكرم غير المحدود بزمان، فهو كرم مطلق لا يساميه كرم، ثم انظر إلى قوله: «ضوء ناره» حيث أثبت الضوء للنار، وهو معروف لها بداهة، ليؤكد دوام واستمرار ضوئها.

ومن المعروف أن نيران العرب كثيرة منها نار المزدلفة، ونار الاستسقاء ونار الزائر والمسافر، ونار التحاليف، ونار السلامة، ونار الصيد، ونار الوشم، ثم نار القرى وهي التي قصدها الشاعر هنا، وهي من أعظم مفاخر العرب كانوا يوقدونها في ليالي الشتاء، ويرفعونها لمن يلمس القرى فكلما كانت أضخم وموضعها أرفع، كان أفخر.

لذا وصفها الشاعر بالخيرية «تجد خير نار»، وأنظر إلى طريقته في هذا الوصف حيث قدم لفظ «خير» على لفظ «نار»، ثم أضاف لفظ «خير» إلى لفظ «نار» كل ذلك ليدل على ثبات الخير في هذه النار، وملازمته لها، فهي نار خير على الدوام، ثم نكر لفظ «نار» ليدل على أن نار الممدوح نار خاصة عجيبة.

ومبالغة في وصف ممدوحه بالكرم الدائم غير المنقطع، صرّح بالعندية «عندها» وهذا اللفظ يوحي بملازمة الممدوح لنار القرى وحضوره عندها دائماً.

الشاهد الواحد والسبعين بعد المائة^(١):

(الكامل)

قول الحارث بن وعله^(٢):

- (١) الدلائل، رضا: ١٩٥، خفاجي: ٢٦٤، شاکر: ٢٥٣.
(٢) نُسب البيتان في الصحاح لوعلة بن الحارث، والحارث بن وعله هو: ابن المجالد بن يَثْرَبِ بن الرباب بن الحرث بن مالك بن سنان بن ذهل بن ثعلبة وكنيته أبو مجالد، وهو شاعر جاهلي، وقد حدث خلط في نسبة هذه الأبيات، فنسبها بعضهم إلى الحارث بن وعله الجرمي، كما فعل الأصمعي في كتابه الأضداد والقالبي في أماليه، وكذلك ذكر محقق بهجة المجالس، وقد صحح ذلك البكري فقال: «وقال إسحق بن إبراهيم: هو الحارث بن وعله بن يَثْرَبِ أحد بني ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، والدليل على صحة هذا النسب أن أخاه المنذر بن وعله قتلته بنو شيبان، فذلك قوله: قومي هم قتلوا - أميم - أخي، وهكذا ينسبه أكثر الناس للحارث بن وعله الذهلي، وكذلك هو في =

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُمَيِّمَ أُخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
فَلَيْتُ^(١) عَفَوْتُ لِأَعْفُونَ جَلَلًا وَلَيْتُ سَطَوْتُ^(٢) لِأَوْهِنَ عَظْمِي^(٣)

وبعد الشاهد:

لَا تَأْمَنَنَّ قَوْمًا ظَلَمَتَهُمْ وَبَدَأَتْهُمْ بِالشُّتْمِ وَالرَّغْمِ
أَنْ يَأْبُرُوا نَحْلًا لِغَيْرِهِمْ وَالشَّيْءُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْمِي

الحماسة حيثما ذكر». وعلل لذلك الخلط بأنه ربما كان الحارث بن وعله الذهلي مجاوراً في جرم، ومن هنا أتى الخلط.

انظر ترجمته في:

المؤتلف والمختلف: ١٩٧، نوادر المخطوطات: ١٦٩/١، سمط اللالي: ٥٨٥/١، اللسان «جلل»: ١١٨/١١.

وقد أشار د. عفيف عبد الرحمن مؤلف معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين إلى أن أبا الفرج الأصفهاني قد ترجم له (٢١٧/٢٢)، والصحيح أن المترجم له هناك هو الحارث الجرمي، ولعله سهو منه.

(١) رواية عيون الأخبار: «ولئن».

(٢) رواية عيون الأخبار: «ولئن قرغت»، ورواية الزهرة: «ولئن ضربت».

(٣) انظر البيتين في:

ثلاثة كتب في الأضداد «أضداد الأصمعي»: ١٠، ذكر البيت الثاني فقط. الحماسة «تحقيق

عسيلان»: ١١٨/١، رقم (٤٥)، عيون الأخبار: ٨٨/٣ «من غير عزو»، الصحاح «جلل»:

١٦٥٩/٤، أمالي القالي: ٢٦٢/١، الأغاني: ١١٨/١٠، الأشباه والنظائر للخالدين:

٤/١ - ٥ - من غير نسبة -، المؤتلف والمختلف: ١٩٧، «البيت الأول فقط»،

المصون: ٤، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٢٠٣/١، بهجة المجالس: ٢ «القسم

الأول»: ٧٨٣، من سمط اللالي: ٣٠٥/١، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٠٧/١،

الزهرة: ٦٦٩/٢ - من غير نسبة -، مغني اللبيب: ١٢٠/١، الإفصاح: ١٠٨، «من غير

نسبة»، المفتاح: ٨١ «من غير نسبة»، الإيضاح: ١٢٦/١، «البيت الأول فقط»، شرح

أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : ٥٧، التبيان في شرح الديوان: ٧٩/١، شرح شواهد

المغني: ٣٦٣/١، اللسان «جلل»: ١١٨/١١، ريحانة الألبا: ٢٩٢/١، شروح التلخيص

«عروس الأفراح»: ٣٤٦/١.

وَزَعَمْتُمْ أَنَّ لَا حُلُومَ لَنَا إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِإِذِي الْجِلْمِ^(١)

استشهد به الشيخ على انتصار بعضهم للمعنى فقط، وتفضيلهم البيت لجودة معناه دون النظر في التفضيل إلى الصياغة والسبك، وذكر في ذلك قصة بعضهم مع البحري، قال:

«وعن بعضهم أنه قال: رأني البحري ومعني دفتر شعر فقال: ما هذا؟ فقلت: شعر الشنفرى فقال: وإلى أين تمضي؟، فقلت إلى أبي العباس أقرؤه عليه، فقال: قد رأيت أبا عباسكم هذا منذ أيام عند ابن ثوبة، فما رأيته ناقداً للشعر، ولا مميزاً للألفاظ، ورأيت يستجيد شيئاً، وينشده، وما هو بأفضل الشعر، فقلت له: أما نقده، وتمييزه فهذه صناعة أخرى، ولكنه أعرف الناس بإعرابه وغريبه، فما كان ينشد؟ قال: قول الحارث بن ولة:

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمَ الشاهد

فقلت: والله ما أنشد إلا أحسن شعر في أحسن معنى ولفظ، فقال: أين الشعر الذي فيه عروق الذهب؟ فقلت: مثل ماذا؟ فقال: مثل قول أبي ذؤاب:
إِنْ يَفْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّتْ عُرُوشُهُمْ بِعَتِيَّةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ
بِأَشَدِّهِمْ كَلْبًا عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعَزَّهُمْ فَقْدًا عَلَى الْأَصْحَابِ^(٢)

والمتحقق في الأبيات لا يرى فيها جودة المعنى فقط بل هي ذات جودة بالغة في حسن التركيب والصياغة، وحسن هذا التركيب في التعبير عن الموقف، فالشاعر مفتت النفس، مكلوم الفؤاد، لفقده أخاه الحبيب، ومما زاد حزنه وحيرة نفسه أن الذي قتل أخاه هم قومه، وهذا أمر تنكره النفس، ويضيق به الصدر، لذا لجأ الشاعر إلى الجملة الإسمية، وابتدأ بها كلاسها؛ ليدل على ثبوت ودوام تفجعه، وأضاف لفظ «قوم» إلى ضمير المتكلم ثم جاء بالضمير «هم»، ليؤكد

(١) الحماسة «تحقيق عسيلان»: ١١٨/١ - ١١٩، أمالي القالي: ٢٦٢/١ - ٢٦٣.

(٢) الدلائل، رضا: ١٩٥ - ١٩٦، خفاجي: ٢٦٤ - ٢٦٥، شاکر: ٢٥٣، وانظر: المصون:

لنفسه المنكرة كون قومه هم سبب مصيبيته، ويرمز بذلك إلى ما في قلبه من الحزن العميق والأسى العظيم.

والنفس المتفجعة تبحث دائماً عن شيء تسكن إليه وتبش أحزانها وآلامها لتخف حدة التفجع، لذا لجأ الشاعر إلى ذكر اسم محبوبته، وحذف ياء النداء كما حذف آخر الكلمة للترخيم، وذلك لأن الموقف موقف ضيق وتبرم، وهذا الحذف يجعله ألصق بمحبوبته، ويجعله يسرع في بث شكواه «ولعل السبب في نداء هذه المرأة وإظهار التحزن عندها دون غيرها أنها كانت تعجزه في قعوده عن الانتقام من قاتلي أخيه، فأظهر التحزن عندها على هذا الوجه لتعلم أن قعوده ليس لجبنه بل لأن ذلك يعود بالضرر إليه»^(١).

ثم يرسل صوته الحزين بلفظ «أخي» ليعلن لتلك النفس المندهشة أنَّ المقتول هو أخوه فعلاً، ويضيف لفظ أخ إلى ياء المتكلم حتى تهدأ نفسه بهذه الصلة، وتحس روحه بهذا القرب، فيكون ذلك نوعاً من التداوي إلا أنَّ نفسه تثور ثانية فيحس بضرورة الانتقام لهذا الأخ، فجاء بالفاء «فإذا» ليدل على قدرته السريعة في الانتقام وأتى بـ «إذا» الشرطية ليشبث تحقق وقوع الرمي والانتقام منه، إلا أنه مع قدرته وتمكنه من هذا الرمي سيقابل تلك الإساءة بالعفو والإحسان، فكل فرد في القبيلة هو بمثابة أخيه بل بمثابة نفسه العزيزة، وعفوه هذا عفو مقدرة وعزة، وليس عفو عجز وضعف وعبر عن ذلك «بالفاء» في قوله: «فلئن» التي دلت على سرعة استجابة نفسه للعفو و«إن» الشرطية التي دلت على أنَّ هذا العفو أمر قليل الوقوع لا يستطيع القيام به، والإقدام عليه إلاَّ عظماء الرجال، وكذلك حذف حرف الجر «عنهم» وأصل الكلام «فلئن عفوت عنهم»، وجاء بـ «لام» القسم ونون التوكيد في جواب الشرط ليؤكد صفحه وعفوه عن مصيبيته العظيمة؛ ولأن العفو في هذه الحالة قليل الوقوع احتاج إلى هذا الأسلوب المؤكد.

وعبر عن قدرته على السطو والضرب والانتقام بنفس القوة التي عبر بها عن

(١) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد رقم (٥٧).

عفوهِ وتسامحه، فهو إن سَطَا وأنتقم فلن يتوقف حتى يوهن منه العظم، إلا أنه حين عَبَّرَ عن عفوهِ ابتداءً الجملة «بالفاء» ليدل على حبه لهذا العفو وسرعة استجابة نفسه له، وحين عَبَّرَ عن سطوه لم يأتِ بـ «الفاء» بل جاء بـ «الواو» ليدل على حلمه وطول أناته، وعدم تسرعه في الانتقام مع قدرته عليه.

ولقد شرح المرزوقي، وتبعه التبريزي البيتين بقوله:

«قومي يا أميمة هم الذين فجعوني بأخي ووتروني فيه فإذا رُمْتُ الانتصار منهم عاد ذلك بالنكايه في نفسي؛ لأن عز الرجل بعشيرته، وهذا الكلام تَحَزُنُ وَتَفْجُعُ وليس بإخبار... وحذف حرف الجر فوصل لأعفون بنفسه، والكلام تَحَسُّرٌ وتَوَجُّعٌ، يقول:

إن تركتُ مؤاخذتهم وأطرحْتُ طَلَبَ الانتقام منهم، صفحت عن أمر عظيم، وإن سطوت عليهم أضعفتُ عظمي، وهددت رُكْنِي»^(١).

وذكر البيتان في الإيضاح شاهداً على تعريف المسند إليه بالإضافة، وذلك لإغناء الإضافة عن تفصيل مُتَعَذِّرٍ، أو مرجوح لجهة. قال:

«وإن كان بالإضافة»^(٢)، فلما لأنه ليس للمتكلم إلى إحضاره في ذهن السامع طريق أخصر منها...

وإما لإغنائها عن تفصيل متعذر، أو مرجوح لجهة»^(٣).

وفي معنى بيت الشاهد قول رجل من العرب، وكان قد قتل ابن أخيه، فَدَفَعَ به إلى أخيه «والد المقتول» لِيُقَيِّدَهُ، فلما أَهْوَى بالسيف أُرْعِدَتْ يداهُ، فألقى السيف من يده، وعفا عنه، وقال:

أَقُولُ لِنَفْسٍ تَأْسَاءُ وَتَعْزِيَةٌ إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٢٠٤/١، وعنه أخذ التبريزي.

انظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٠٧/١.

(٢) أي وإن كان التعريف بالإضافة.

(٣) الإيضاح: ١٢٥/١.

كَلاَهُمَا خَلَفَ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي جَيْنَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي^(١)

وقال المهلهل بن ربيعة، وأبياته هي الأصل في هذا المعنى:
بُكَرُو قُلُوبُنَا يَا آلَ بَكْرِ
نُعَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةِ النُّصَالِ
وَنَبْكِي جَيْنَ نَذْكُرْكُمْ عَلَيْكُمْ
وَنَقْتُلْكُمْ كَانَا لَا نُبَالِي^(٢)

الشاهد الثاني والسبعون بعد المائة^(٣):
(الكامل)

قول أبي ذؤاب^(٤):

- (١) عيون الأخبار: ٨٨/٣، الأشباه والنظائر للخالدين: ٤/١.
- (٢) الأشباه والنظائر للخالدين: ٤/١، وانظر كذلك: عيون الأخبار: ٨٨/٣.
- (٣) الدلائل، رضا: ١٩٦، خفاجي: ٢٦٥، شاکر: ٢٥٣.
- (٤) هو ربيعة «بضم الراء» ابن سعد، وقيل: ابن «أسعد» بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين، شاعر جاهلي من شعراء بني أسد، وابنه ذؤاب هو الذي قتل عتبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي يوم «خو»، وخَوّ: بفتح أوله وتشديد ثانيه، كل وادٍ واسع في جو سهل يقال له: خَوّ وخَوّ، ويوم خو: من أيام العرب كان لبني أسد على بني يربوع، وقيل خَوّ وادٍ بين التينين، وقيل: خَوّ كتيب معروف بنجد، وقيل: خَوّ وادٍ في ديار بني أسد يفرغ ماؤه في ذي العُشيرة، وخو أيضاً لبني أبي بكر بن كلاب. معجم البلدان «خو»: ٤٠٧/٢ - ٤٠٨، اللسان «خو»: ٢٤٧/١٤.
انظر ترجمته في:
الحماسة (ت: عيلان): ٤٠٥/١، الحيوان: ٧٠٧/٢، الحماسة البصرية: ٢٣٠/١، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٦٦/٢، معاهد التنصيص: ٢٠١/٣، الشاهد رقم (١٦٠).
ونُسب البيتان في حماسة أبي تمام، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي، وسمط اللالي «البيت الثاني فقط» لرجل من بني نصر بن قعين، ونُسب في الأمالي لربيعة الأسدي، وفي الحماسة البصرية لربيعة بن عبيد القعني، ونُسب في المصون لأبي ربيعة بن دؤاد الأسدي، وإعجاز القرآن لأبي ذؤاب الأسدي، وفي معاهد التنصيص لربيعة من بني نصر بن قعين، ويقال قائله: داود بن ربيعة الأسدي.

إِنْ يَقْتُلُوكَ^(١) فَقَدْ ثَلَّتَ^(٢) عُرُوشَهُمْ^(٣) يَغْتِيَّةَ بْنِ الْحَارِثِ^(٤) بْنِ شِهَابٍ
بِأَشَدِّهِمْ كَلْبًا^(٥) عَلَى أَعْدَائِهِمْ^(٦) وَأَعَزَّهُمْ^(٧) فَقَدْ أَعْلَى الْأَصْحَابِ^(٨)^(٩)

- (١) رواية الفلك الدائر: «إِنْ يَقْتُلُوكَ».
- (٢) رواية المصون وأمالى القالي: «هتكت».
- ويروى أيضاً: «هلكت بيوتهم» ذكر ذلك محقق الإبانة عن سرقات المتنبي بأنه ورد ذلك في إحدى مخطوطات الكتاب.
- ومعنى ثللت: هدمت.
- (٣) رواية المصون وأمالى القالي: «بيوتهم».
- (٤) رواية التبريزي: «الْحَرِث».
- (٥) رواية شرح شواهد الشافية: «بأشدهم ضرراً».
- ورواية المصون، وأمالى القالي، ومعاهد التنصيص: «بأحبهم فقداً».
- ورواية المثل السائر والفلك الدائر: «بأشدهم بأساً».
- (٦) رواية المصون وأمالى القالي ومعاهد التنصيص: «إلى أعدائه».
- ورواية الدلائل، تحقيق شاکر: «على أعدائه».
- ورواية المثل السائر: «على أصحابه».
- (٧) رواية معاهد التنصيص: «وأشدهم».
- (٨) ذكر في الأمالي أن البيت الثاني يروى: بِأَشَدِّهِمْ أَوْقَاً عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَجْلَهُمْ رُزْأً عَلَى الْأَصْحَابِ
- ومعنى «أوقاً» أي ثقلاً.
- (٩) انظر البيتين في:
- حماسة أبي تمام (ت: عسيلان): ٤٠٦/١، أمالي القالي: ٧٢/٢، ٧٣، المصون: ٤، إعجاز القرآن للباقلائي: ٢٠٨، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٨٤٥/٢، الإبانة عن سرقات المتنبي: ٢٣٦ - البيت الأول فقط -، نوادر المخطوطات: «أسماء المغتالين»: ٢٣٥/٢، المؤلف والمختلف: ١٢٦، سمط اللالي: ٧٠٧/٢، البيت الثاني فقط، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٦٦/٢، المثل السائر: ٣٨٠/١، الفلك الدائر: ١٩٠/٤، الإيضاح: ٥٣٥/٢، التلخيص: ٣٨٨، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -، الشاهد رقم (٤٤٣)، معاهد التنصيص: ٢١١/٣، شاهد رقم (١٦٠).

وأول الأبيات:

أُبْلِغَ قَبَائِلَ جَعْفَرٍ إِنْ جِئْتَهَا مَا إِنْ أَحَاوِلُ جَعْفَرَ بْنَ كِلَابٍ

وقيل الشاهد:

أَذُوبَ إِنِّي لَمْ أَهْنُكَ^(١) وَلَمْ أَقْمُ^(٢) لِلْيَمْعِ عِنْدَ تَحْضُرِ^(٣) الْأَجْلَابِ

وبعد الشاهد:

وَعِمَادِهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ وَثَمَالِ كُلِّ مُعْصَبٍ قِرْضَابِ
وَأَبْوَالِ الْيَتَامَى يَنْبُتُونَ بِبَابِهِ نَبَتَ الْفِرَاحِ بِكَالِيٍّ مِعْشَابِ^(٤)

وهذه الأبيات قالها ربيعة يرثي ذؤاباً ابنه حين قتل عتية بن الحارث بن شهاب، فأسر قوم عتية ذؤاباً قتلوه^(٥).

(١) رواية المؤتلف والمختلف: «لم أبعك».

رواية أمالي القالي وشرح الحماسة للمرزوقي: «لم أهلك».

(٢) رواية المؤتلف: «لم أهب».

(٣) رواية المؤتلف والمختلف: «بعكاظ حيث تجمع الأجلاب».

(٤) الحماسة «عسيلان»: ٤٠٦/١.

(٥) والقصة: أن عتية بن الحارث بن شهاب ترأس بني يربوع حين غزت بني نصر بن قعين، فقتله ذؤاب بن ربيعة، وكان تحت عتية فرس فيها مراح، واعتراض، فأصاب رُجُ غلام من بني أسد يقال له: ذؤاب بن ربيعة أرنبة عتية فنزف حتى مات فحمل ربيع بن عتية على ذؤاب، فأخذه من سرجه، وقتله، فقال أبو ذؤاب الأبيات.

ويروى في شرح ديوان الحماسة: أنه كان لهذا الشاعر ابن اسمه ذؤاب وكان قد قتل عتية بن الحارث بن شهاب يوم «خو»، وأسرت بنو يربوع في ذلك اليوم ذؤاباً أسره الربيع بن عتية وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه، وأراد أبو ذؤاب افتداء ابنه، وتواعد مع الربيع على سوق عكاظ فتخلف الربيع عن الموعد، فظن أبو ذؤاب أن ابنه قد قتل فرثاه بهذه الأبيات التي كانت سبباً في مقتله، فحين وصلت هذه الأبيات إلى بني يربوع علموا أنه قاتل عتية فقتلوه.

انظر: المؤتلف والمختلف: ١٢٥ - ١٢٦، أمالي القالي: ٧٢/٢ - ٧٣، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٦٦/٢.

استشهد به الشيخ على استحسان البحري للبيتين من غير أن يبين وجه هذا الاستحسان.

ويبدو لي أن البيت حسن الصياغة بديع التأليف، فالشاعر واقع تحت وطأة محنة عظيمة، وهي مقتل ابنه، وهذه من أشد المصائب، وأعظمها وقعاً على النفس، واستطاع الشاعر ببراعته وبلاغته أن يعبر عن دخليته حيث جعل نفسه المجروحة تأبى أن تصرح بمقتل ذلك العزيز فقال: «إن يقتلوك» فهي تتحدث عنه، وكأنه موجود، فهو وإن مات ففعله حي، واستعمل في التعبير عن ذلك «إن» الشرطية التي تعبر عن عدم جزم المتكلم بوقوع الشرط، وجعل جواب الشرط بـ «الفاء» الدالة على التعقيب و«قد» الدالة على التحقيق، فقال: «فقد ثللت» ليبرهن على عظيم شجاعته، وتحقق وقوع ذلك منه، وأنظر «الباء» في قوله: «بعتيبة» «بأشدهم»، والدور العظيم الذي قامت به في بيان تلك السرعة في القتل حيث عدت الفعل «ثللت» إلى المفعول به «بعتيبة» و«بأشدهم» مباشرة فلم يقل: «فقد ثللت عروشهم بقتل عتيبة وبقتل أشدهم».

وأنظر إلى تفخيمه جانب «فقيد العدو» حيث ذكر اسمه كاملاً، وعظّم من وصفه بأن جعله أشد القوم هجوماً على الأعداء فهو حامي الذّمار، وهو كذلك أعز فقيد على القوم، وأظهر عظيم هذا الوصف بأن قدم قوله: «كَلْبًا - وفَقْدًا» وأوقع الوصل بين الجملتين «بِأَشَدَّهُمْ كَلْبًا عَلَى أَعْدَائِهِ»، والجملتان الثانية: «وأعزهم فقداً على الأصحاب» واللذان تحمّلان عظيم الصفات كل ذلك ليعتد الحسرة في قلوب الأعداء، ويشير في نفوسهم الألم على فقيدهم، وفيه عزاء لنفسه عن مقتل ابنه، فإنه لم يُقتل هدرًا، وإنما قُتل بسيد عظيم، وفارس مغوار، وفي هذا وصف لابنه، برباطة الجأش، والقدرة على مقابلة الشجعان فهو لم يُقتل إلا بعد أن أسكن الألم في نفوس أعدائه بأن أصابهم في أعظم أشخاصهم وأعزهم.

جاء في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي:

«وقوله: «إن يقتلوك» وقد كانوا قتلوه يريد إن تبجحوا بقتلك وصاروا

يفرحون به فقد أثَّرت في عزهم، وهدمت أساس مجدهم بما نلت من رئيسهم عتيبة بن الحارث»^(١).

ورأى الباقلاني أن ذكر الأسماء متتالية قد حَسُنَ موقعها في هذا البيت قال:

«وقد يتفق في الشعر ذكر الأسماء فيحسن موقعه كقول أبي ذؤاب الأسدي...»^(٢).

وكذلك استشهد به القزويني في الإيضاح^(٣) والتلخيص^(٤) على توالي الأسماء أيضاً وسماه الاطراد^(٥).

والبيت استشهد به ابن الأثير في باب الموازنة، والشاهد عنده في البيت الثاني، فَإِنَّ «بأساً» و«فقداً» على وزن واحد^(٦).

الشاهد الثالث والسبعون بعد المائة^(٧):

(الطويل)

زَوَامِلُ^(٨) لِالْأَشْعَارِ^(٩) لَا عَلَمٌ عِنْدَهُمْ بَجَيِّدِهَا^(١٠) إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ

(١) ٨٤٥/٢.

(٢) ٢٠٨.

(٣) ٥٣٥/٢.

(٤) ٣٨٨.

(٥) وهو أن يأتي بأسماء الممدوح أو غيره وآبائه، على ترتيب الولادة، من غير تكلف في السبك، حتى تكون الأسماء في تحدُّرها كالماء الجاري في اطراده وسهولة انسجامه. الإيضاح: ٥٣٤/٢.

(٦) المثل السائر: ٣٨/١.

(٧) الدلائل، رضا: ١٩٦، خفاجي: ٢٦٥، شاکر: ٢٥٤.

(٨) زواميل: جمع زاملة وهي من «زمل» وأصل الزاملة البعير الذي يُحمل عليه الطعام والمتاع، كأنها فاعلة من الرَّمْلِ الحَمَلِ. اللسان «زمل»: ٣١٠/١١.

(٩) رواية عيون الأخبار ومروج الذهب: «للأسفار».

ورواية أمالي الشجري: «للأخبار».

(١٠) رواية أمالي الشجري: «بخبرها».

لَعَمْرُكَ مَا يَذَرِي الْبَعِيرُ^(١) إِذَا غَدَا بِأَوْسَاقِهِ^(٢) أَوْ رَاحَ مَا فِي الْغَرَائِرِ^(٣)»^(٤)

والبيتان ذكرهما الشيخ في الدلائل من غير نسبة، وهما لمروان بن أبي حفصة^(٥)، يهجو قوماً من رواة الشعر بأنهم لا يعلمون ما هو على كثرة استكثارهم روايته.

-
- (١) رواية عيون الأخبار: «المطي».
- (٢) بأوساقه: الوسق بالفتح والكسر حمل بعير وهو ستون صاعاً. اللسان: «وسق».
- رواية عيون الأخبار: «بأحمالها».
- ورواية مروج الذهب: «بأحماله».
- (٣) الغرائر: جمع غرارة بالكسر، وهو الجوالق، وهو ما يحمل فيه التبن ونحوه. اللسان «غرر»: ١٨/٥.
- (٤) انظر البيتين في:
- عيون الأخبار: ١٣٠/٢، الكامل: ٦٦/٣، مروج الذهب: ٦٩/٢، المصون: ١٠، أسرار البلاغة - هـ - ريتو: ١٠٣، أمالي الشجري: ٦٩/١، - غير منسوب -، الإبانة عن سرقات المتنبي: ٢٢٥، غير منسوب، اللسان «زمل»: ٣١٠/١١، المزهر: ٣١١/٢.
- (٥) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة يزيد، كنيته أبو الهيثام أو أبو الهندام، وقيل: كنيته أبو السمط (١٠٥ هـ - ١٨٢ هـ) كان جده أبو حفصة مولى مروان بن الحكم، وقيل: هو من موالى السموأل بن عادياء أعتقه مروان بن الحكم يوم الدار، لأنه أبلى يومئذ بلاءً عظيماً فجعل عتقه جزاءه، وكان أبو حفصة يهودياً أسلم على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقيل: على يد مروان بن الحكم ومروان بن أبي حفصة شاعر من شعراء العصر الأموي من أهل اليمامة، شعره نحو ثلثمائة ورقة.
- ورأى المرتضى في أماليه أنه كان كثير الشعر جيده إلا أنه ينقصه الغوص على المعاني، وهو دون مسلم بن الوليد وبشار بن برد، أو هو طبقة بينهما، ورأى ابن خلكان أنه من الشعراء المجيدين والفحول المقدمين.
- وذكر في مطالع البدور أنه كان من أبخل الناس مع يساره، قدم بغداد ومدح المهدي وهارون الرشيد، وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء العلويين.
- انظر ترجمته في:
- الشعر والشعراء: ٧٦٧/٢ - ٧٦٩، طبقات الشعراء لابن المعتز: ٤٢ - ٥٤، الفهرست لابن النديم: ٢٢٨، معجم الشعراء: ٣٩٦ - ٣٩٧، أمالي المرتضى: ٥١٨/١، وله أخبار عدة في مواضع مختلفة من الكتاب.
- =

استشهد به الشيخ على ذم من يدعي العلم بالشعر ونقده، وهو في الحقيقة قليل المعرفة به، فكثير من الناس يحفظ الشعر ولكن لا يدرك أسرارهِ وعجائبهِ وحسن سبكه، ويديع صياغته، فهُم بذلك أشبه بالبعير الذي يحمل على ظهرهِ المتاع ذهاباً وإياباً، ولا يعلم ما فيه.

ورأى العميدي أن هذه الأبيات من أحسن ما قيل في انتقاد الأشعار، وقد أخذ بعضهم هذا المعنى فقال:

يَعِيبُ الْأَحْمَقُ الْمَمْرُورُ شِعْرِي وَهَجْرِي فِي بِلَادَتِهِ يَسِيرُ
وَيَزْعُمُ أَنَّهُ نَقَادُ شِعْرِي (١) هُوَ الْحَادِي وَلَيْسَ لَهُ بَعِيرُ (٢)
الشاهد الرابع والسبعون بعد المائة (٣):

(الخفيف)

يَا أَبَا جَعْفَرٍ تَحَكُّمُ فِي الشُّعْرِ رِ وَمَا فِيكَ آلَةُ الْحُكَّامِ
إِنَّ نَقْدَ الدِّينَارِ إِلَّا عَلَى الصَّيْرِ رَفِ صَغْبٌ فَكَيْفَ نَقْدُ الْكَلَامِ
قَدْ رَأَيْتُكَ لَسْتَ تَفَرِّقُ فِي الْأَشْدِّ عَارَ بَيْنِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ

الأبيات ذكرها الشيخ من غير نسبة (٤).

وهذا الشاهد هو نفس معنى الشاهد السابق مع اختلاف الصياغة.

ومعناه أن هناك من يحكم في الشعر، وهو لا يملك الحس الفني الذي يساعده على إدراك سحرهِ، فنقد الكلام أصعب بكثير من نقد الصيرفي للدينار،

تاريخ بغداد: ١٤٢/١٣ - ١٤٥، وفيات الأعيان: ١٨٩/٥ - ١٩٣، شذرات الذهب: ٣٠١/١، الأعلام: ٢٠٨/٧.

(١) يبدو لي أن قولنا: «نقاد شعري» بإطلاق لفظ شعر أجود، وأرق، وأبلغ، إذ أنه يظهر عظيم قدرته على نقد الشعر على سبيل الاستهزاء به.

(٢) الإبانة عن سرقات المتنبي: ٢٢٥.

(٣) الدلائل، رضا: ١٩٦، خفاجي: ٢٦٥، شاکر: ٢٥٤.

(٤) لم أعر على الأبيات ولا على قائلها فيما رجعت إليه من مصادر. ونسبها الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي في تحقيق الدلائل، لابن الرومي، ولقد بحث عنها في ديوانه، ولم أجدها، ولا أدري على أي شيء استند في نسبتها.

فالأشعار ليست بهيكل حرفي، وإنما هي أرواح تجري في الحروف.
الشاهد الخامس والشبعون بعد المائة^(١):

(السريع)

لَا تَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَلَى وَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤْلُ السَّرْجَالِ
بَلَاهُمَا مَوْتُ وَلَكِنَّ ذَا أَشَدُّ^(٢) مِنْ ذَاكَ عَلَى كُلِّ^(٣) حَالٍ^(٤)

الشاهد مذكور في الدلائل من غير نسبة، ونسبه الأستاذ خفاجي في تحقيق
الدلائل^(٥) لمطرف بن عبدالله^(٦).

- (١) الدلائل، رضا: ١٩٧، خفاجي: ٢٦٦، شاکر: ٢٥٦.
- (٢) رواية الحيوان: «أفزع».
- ورواية المستطرف: «أخف».
- (٣) رواية البيان والتبيين والحيوان وحلية الأولياء، والمحاسن والمساوىء، وصفة الصفوة ولباب
الأدب، والمستطرف: «من ذاك لئذ السؤال».
- (٤) انظر البيتين في:
- البيان والتبيين: ١٧١/٢، الحيوان: ١٣١/٣، حلية الأولياء: ٢١٠/٢، المحاسن
والمساوىء: ٢٧٧، لباب الأدب: ٣٠٦، صفة الصفوة: ٢٢٦/٣، المستطرف: ٥٩/٢.
- (٥) الدلائل، تحقيق خفاجي: ٢٦٦.
- (٦) هو مطرف بن عبدالله بن الشخير الحرشي العامري، أبو عبدالله زاهد من كبار التابعين، له
كلمات مأثورة في الحكمة والمواعظ، ولد في حياة الرسول ﷺ وتوفي سنة (٨٧هـ)، وقيل
(٩٥هـ)، وكان لوالده عبدالله صحة، وكان فقيهاً ورعاً من أعبد الناس وأنسكهم.
انظر ترجمته في:
- تاريخ الثقات: ٤٣١، صفة الصفوة: ٢٢٢/٣ - ٢٢٦، حلية الأولياء: ٢١٠/٢، وفيات
الآعيان: ٢١١/٥، تهذيب التهذيب: ١٧٣/١٠، شذرات الذهب: ١١٠/١، الأعلام: ٢٥٠/٧
وبيدوا أن في نسبة الأستاذ خفاجي لبساً وخطأً، والصحيح فيما يبدو أن مطرف بن
عبدالله تمثل بالبيتين فقط، وليس هو بقاتلها، جاء في حلية الأولياء: «... أن مطرف بن
عبدالله بن الشخير قال لبعض إخوانه: يا أبا فلان إذا كان لك إليّ حاجة فلا تكلمني فيها
ولكن اكتبها إليّ في رقعه ثم ارفعها إليّ، فأني أكره أن أرى في وجهك ذل السؤال، وقد
قال الشاعر:
- لَا تَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَلَى وَإِنَّمَا... البيتان»
- ٢١٠/٢، وانظر كذلك: صفة الصفوة: ٢٢٦/٣.

ذكرهما الشيخ حين ساق كلام الجاحظ الذي يعيب فيه أبا عمرو الشيباني، لاستجداته هذين البيتين، لاحتوائهما على معنى جليل دون اهتمام بالصياغة والتركيب.

ورأى أن الراوية البصير هو الذي يعرف موضع الجيد من أي شاعر كان، وفي أي زمان ومكان، قال الجاحظ معلقاً على هذين البيتين:

«... وقد رأيت ناساً منهم يهرجون أشعار المولدين، ويستسقطون مَنْ رواها، ولم أرَ ذلك قطُّ، إلا في راوية للشَّعرِ غير بصير بجوهر ما يروي، ولو كان كان له بَصَرٌ لعرف موضع الجيد ممن كان، وفي أيِّ زمان كان. وأنا رأيت أبا عمرو (الشيباني) وقد بلغ من من استجداته لهذين البيتين، ونحن في المسجد يوم الجمعة أن كلَّف رجلاً حتى أحضر دواة وقرطاساً حتى كتبهما له، وأنا أزعم أنَّ صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً، ولولا أن أدخل في الحكم بعض الفتك لزعمت أن ابنه لا يقول شعراً أبداً»^(١).

ولقد علّق الأستاذ عبد السلام هارون على نقد الجاحظ لأبي عمر الشيباني، بأنه وقع هو فيما عابه على غيره حيث جعل البيتين في مختارات البيان والتبيين^(٢).

وصياغة البيتين فيما يبدو غير جيدة إذ هي صياغة مباشرة لا صنعة فيها، والذوق يحس بذلك.

(١) الحيوان: ٣/١٣٠ - ١٣١.

(٢) الحيوان «الهامش»: ٣/١٣١.

ب - شواهد الكناية والاستعارة والتمثيل

الشاهد السادس والسبعون بعد المائة^(١): (الوافر)

«فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ»^(٢)

ذكر الشيخ في هذا الموضوع عجز البيت فقط مع كلمة من صدره وبدون نسبة، ثم أعاد ذكره تاماً في موضع آخر من هذا الباب، وصدره:
«وَمَا يَكُ^(٣) فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنِّي»

ذكر صاحب شرح أبيات الإيضاح أنه للحماسي ولم يُعَيِّنْهُ.

ونسبه الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي في تحقيق الدلائل، وتحقيق الإيضاح لابن هرمة^(٤)، ولا أعلم على أي شيء أعتمد في نسبته هذه.

(١) الدلائل، رضا: ٢٠٤، خفاجي: ٢٧٣، شاکر: ٢٦٤.

(٢) لم أجد البيت في ديوانه.

انظره في:

الحماسة - تحقيق عسيلان -: ٣٠٣/٢، الحيوان: ٣٨٤/١، المعاني الكبير: ٢٣٤/١، ديوان المعاني: ٣٣، الصناعتين: ٣٨٧، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٦٥٠، رقم (٧٢٢)، العملة: ٣١٨/١، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٩٣/٤، المفتاح: ١٧١، الإيضاح: ٤٥٩/٢، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -، رقم الشاهد (٤٠١)، شروح التلخيص - عروس الأفراح -: ٢٥٧/٤، بلوغ الأرب: ٦٠/١، أنوار الربيع: ٣١١/٥.

ذكر البيت في هذه المصادر من غير نسبة.

(٣) رواية الصناعتين: «وَمَهْمَا فِيَّ مِنْ عَيْبٍ».

(٤) هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة بن هذيل بن ربيع بن فهر (٩٠ هـ - ١٧٠ هـ) من =

وهو بيت منفرد لا ثاني له.

ذكر الشيخ أن في البيت كناية، ولكن ليس هذا هو هدف الشيخ من وضع الشاهد، وإنما ساقه شاهداً على توضيح فكرته في النظم «المعنى ومعنى المعنى».

والمراد بالمعنى: المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة، ومعنى المعنى: أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر.

وعلى هذا الأساس يقوم النظم والصياغة، فزيادة المعنى إنما تتولد من النظم، وأنَّ المِعْرَض، وما في معناه ليس هو اللفظ المنطوق به، ولكن معنى اللفظ الذي يُدَلُّ به على المعنى الثاني، فالمعاني الأولى المفهومة من أنفس الألفاظ هي المعارض والوشى والحلي، والمعاني الثواني التي يوماً إليها بتلك المعاني هي التي تُكسَى تلك المعارض، وتُزَيَّنُ بذلك الوُشَى والحلي^(١).

قال الشيخ:

«الكلام على ضربين: ضربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده.. وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى

= متقدمي الشعراء، ومن أدرك الدولتين الأموية والعباسية، وكنيته أبو إسحق، وشعره مجرد نحو مائتي ورقة، وفي صنعة أبي سعيد السكري نحو خمسمائة ورقة، وقد صنعه الصولي، فلم يأت بشيء.

ولشعره قيمة عند اللغويين والنحاة إذ وقفوا بالاستشهاد بالشعر العربي على مسائل اللغة والنحو عنده، ولم يتجاوزوا إلى سواه، وذكر في الأغاني أنه كان أحد البخلاء. انظر ترجمته في:

الشعر والشعراء: ٧٥٧/٢ - ٧٥٨، طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٠ - ٢١، الأغاني: ٣٦٧/٤ - ٣٩٧، ٢٥٩/٥ - ٢٦٣، الفهرست: ٢٢٧، سمط اللآلي: ٣٩٨/١.

(١) الدلائل، رضا: ٢٠٤، خفاجي: ٢٧٤، شاکر: ٢٦٢ - ٢٦٤.

دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على «الكناية» و«الاستعارة»، و«التمثيل»^(١).

وقال أيضاً:

«وجملة الأمر أن صور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ إلى لفظ حتى يكون هناك اتساع ومجاز، وحتى لا يُراد من الألفاظ ظواهر ما وُضعت له في اللغة، ولكن يُشار بمعانيها إلى معانٍ أُخر»^(٢).

وقد حلل السكاكي^(٣) كيفية انتقال المعاني الأول إلى المعاني الثواني، فقال:

«فإن جبن الكلب عن الهرير في وجه من يدنو من دار من هو بمرصد لأن يغشى دونها مع كون الهرير له والنباح في وجه من لا يعرف أمراً طبيعياً له، مركزاً في جبلته، مشعر باستمرار تأديب له لامتناع تغير الطبيعة، وتفاوت الجبلية بموجب لا يقوى. واستمرار تأديبه أن لا ينبج مشعر باستمرار موجب نباحه، وهو اتصال مشاهدته وجوهاً إثر وجوه واتصال مشاهدته لتلك، مشعر بكون ساحته مقصد أدانٍ وأقاصٍ، وكونه كذلك مشعر بكمال شهرة صاحب الساحة بحسن قرى الأضياف، فأنظر لزوم جبن الكلب للمضيافية كيف تجده بوساطة عدة لوزام، وكذلك هزال الفصيل يلزم فقد الأم، وفقدتها مع كمال عناية العرب بالنوق لا سيما بالمتليات منها لقوام أكثر مجاري أمورهم بالإبل يلزم كمال قوة الداعي إلى نحرها، وإذا لا داعي إلى نحر المتليات أقوى من صرفها إلى الطباخ، ومن صرف الطباخ إلى قرى الأضياف، فهزال الفصيل كما ترى يلزم للمضيافية بعدة وسائط»^(٤).

(١) الدلائل، رضا: ٢٠٢، خفاجي: ٢٧٢، شاکر: ٢٦٢.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٠٤، خفاجي: ٢٧٤، شاکر: ٢٦٥.

(٣) وقد نقل عنه الخطيب مع تصرف في عبارات السكاكي. الإيضاح: ٤٥٩/٢ - ٤٦٠.

(٤) المفتاح: ١٧١.

الشاهد السابع والسبعون بعد المائة^(١): (المنسرح)

لَا أُمْتِجُ^(٢) الْعُوذَ^(٣) بِإِلْفَصَالٍ وَلَا أُبْتَاغُ إِلَّا قَرِيبَةً^(٤) الْأَجَلَ^(٥)

ذُكِرَ الْبَيْتُ فِي الدَّلَائِلِ مِنْ غَيْرِ عَزْوٍ.
هُوَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ هَرَمَةَ^(٦)، وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ^(٧) مِنْ خَمْسَةِ أَيْيَاتٍ،
وَمُطْلَعُهَا:

يَا دَارَ سَعْدِي بِالْجَزْعِ^(٨) مِنْ مَلَلٍ^(٩) حُيِّيتُ مِنْ دِمْنَةٍ وَمِنْ طَلَلٍ

- (١) الدلائل، رضا. ٢٠٧، خفاجي: ٢٧٧، شاکر: ٢٦٤.
- (٢) رواية تاريخ ابن عساکر: «لا أمتع العوذ الفصال».
- (٣) العوذ: جمع «عائد» وهي الناقة الحديثة التاج، وناقة عائد عاذ بها ولدها. تاج العروس «عوذ»: ٥٧٠/٢.
- (٤) رواية محاضرات الأدباء: ٥٠٦/١، وتاريخ ابن عساکر «إلا قصيرة الأجل».
- (٥) انظر البيت في:
- ديوانه: ١٨٣، عيون الأخبار: ٢٤٩/٣، الأغاني: ٢٥٩/٥، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، أمالي القالي: ١١٠/٣، رسالة الغفران: ٥١٨، محاضرات الأدباء: ٣٩٥/١، ٥٠٦، تاريخ ابن عساکر: ٢٤٠/٢، ٢٣٩، المفتاح: ١٧١، الإيضاح: ٤٦٠/٢، «من غير نسبة»، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - رقم الشاهد (٣٠٤).
- (٦) وهذه النسبة مأخوذة من المصادر السابقة في تخريج البيت، وابن هرمة سبقت ترجمته في الشاهد السابق: ٦٥٦.
- (٧) ولهذه الأبيات قصة خلاصتها: أن عروة بن أذينة وقف على باب ابن هرمة وناداه، فأجابته ابنة له بأنه خرج آنفاً فسألها هل من قرى، قالت: لا والله، قال فأين قول أبيك: لَا أُمْتِجُ الْعُوذَ بِإِلْفَصَالٍ
قالت: بذلك أفناها.
- بلغ ابن هرمة ما قالت، فضمها إليه ووهبها داراً ومزرعة.
- وتروى نوادر أخرى في هذه الأبيات طارد بها الناس ابن هرمة.
- انظر عيون الأخبار: ٢٤٩/٣، الأغاني: ٢٦٠/٥.
- (٨) الجزع: «بالكسر والفتح» منعطف الوادي ووسطه، ومنقطعه، وقيل: هو ما اتسع من مضايقه انبتت أو لم تنبت. تاج العروس «جزع»: ٣٠١ - ٣٠٠/٥.
- (٩) ملل: بالتحريك ولا من بلفظ الملل من الملل اسم موضع في طريق مكة بين الحرمين، =

وبعده بيت قبل الشاهد:

إِنِّي إِذَا مَا الْبَخِيلُ آمَنَهَا بَاتَتْ ضُمُوزاً^(١) مِنِّي عَلَى وَجَلٍ

وبعده الشاهد وبعده:

لَا غَنَمِي فِي الْحَيَاةِ مُذْلَهَا إِلَّا دَرَاكَ الْقِرَى وَلَا إِبْلِي
كَمْ نَاقَةٌ قَدْ وَجَأَتْ^(٢) مِنْحَرَهَا بِمُسْتَهْلٍ الشُّؤْبِ^(٣) أَوْ جَمَلٍ

استشهد الشيخ بهذا البيت وبالشاهدين الآتين وهما: قول الشاعر:
وَصَدْرُ أَرَاخِ اللَّيْلِ عَازِبٌ هَمُّهُ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وفيه استعارة.

وقول الشاعر:

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ
وفيه تمثيل.

استشهد بها لبيان أن العبرة في هذه الأبواب إنما هي بالمعنى لا باللفظ، وإن جرت الصفات على اللفظ، وأن المراد باللفظ في علم البلاغة هو دلالة المعنى على المعنى، وأن البلاغة في الكناية والاستعارة، والتمثيل إنما ترجع إلى نظم عبارتها، وما بين المعاني من ارتباط، والبلاغة أيضاً في هذه الأبواب هو أن ينتقل الإنسان من المعنى الأول إلى المعنى الثاني في سهولة ويسر، ومن غير غموض وخفاء قال:

= فهو منزل على طريق المدينة إلى مكة على ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة. معجم البلدان: ١٩٤/٥.

(١) ضُمُوز: ضمز البعير يضمز ضُمُزاً وضَمَازاً وضُمُوزاً أمسك جرفته في فيه ولم يجتر من الفزع، وكذلك الناقة. تاج العروس «ضمز»: ٤٦/٤.

(٢) وَجَأَتْ بِمِنْحَرِهَا: ضربته. تاج العروس «وجأ»: ١٣١/١.

(٣) الشُّؤْبِ: الدُّفْعَةُ من المطر وغيره، ولا يقال للمطر شُؤْبِوبِ إِلَّا وفيه بَرَدٌ. اللسان «شأب»: ٤٧٩/١ - ٤٨٠.

«... إنَّ من شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول الذي تجعله دليلاً على المعنى الثاني ووسيطاً بينك وبينه متمكناً في دلالة، مستقلاً بوساطته، يسفر بينك وبينه أحسن سفارة، ويشير لك إليه أبين إشارة، حتى يُخَيَّل إليك أنك فهمته من حاقُّ اللفظ، وذلك لقلة الكلفة فيه عليك، وسُرعة وصوله إليك»^(١).

والمعنى الأول في بيت ابن هرمة هو أنه لا يترك الناقة الحديثة التناج مع فصيلها، وأنه لا يتناج من النوق إلاَّ ما دنا أجله، فهذا المعنى الأول معنى سطحي ساذج إلاَّ أنه بالتأمل، وإعمال الفكر يفضي بنا في سهولة ويسر إلى معنى ثانٍ تُسرُّ به النفس، ويعجب منه العقل، فالمعنى المستور هنا أنه كثير الكرم بالغ الجود.

الشاهد الثامن والسبعون بعد المائة^(٢):

(الطويل)

وَصَدْرٌ^(٣) أَرَاخَ^(٤) اللَّيْلُ عَازِبٌ^(٥) هَمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^(٦)

والشاهد أورده الشيخ من غير عزو، وهو للناطقة الذبياني، من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر^(٧) حين هرب إلى الشام ونزل به.

(١) الدلائل، رضا: ٢٠٧، خفاجي: ٢٧٦، شاعر: ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٠٧، خفاجي: ٢٧٧، شاعر: ٢٦٨.

(٣) رواية بيان إعجاز القرآن «للخطابي»: «بصدر أراح...».

(٤) أراح: رده إليه.

ورواية محاضرات الأدباء: «أراح».

(٥) العازب: البعيد. اللسان «عزب»: ٥٩٧/١.

(٦) انظر البيت في:

ديوانه: ٩، ديوانه - تحقيق فوزي عطوي -: ٤٨، البديع: ٨، مجالس العلماء: ٢٠٨،

الموشح: ٢٩، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن «رسالة الخطابي»: ٦٢، الصناعتين: ٣١٢،

زهر الآداب: ٨٠٢/٣ - ٨٠٣، محاضرات الأدباء: ٢٩٦.

وقد سبق الكلام عن هذا البيت، انظر: ١٨٢.

(٧) هو عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شَمِر، وأم

الحارث الأعرج مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرتع الكندي، =

ومطلعها:

كَلَيْلِنِي لَهُمْ يَا أَمِيمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَائِبِ

وبعده:

تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَيِّ

وبعده الشاهد وبعده:

عَلَيَّ لَعْمَرٍ وَنِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ لِوَالِدِيهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبٍ

فظاهر لفظ البيت يدل على أن الليل قد أعاد إلى صدر الشاعر همه الذي
بَعْدَ وتضاعف عليه الحزن وتكالب عليه من كل جانب.

ولكن المعنى الثاني هو ما نسجه الخيال وأدركه العقل في سهولة ويسر من
المعنى الأول، وذلك بالربط بين صورة المستعار منه وصورة المستعار له، حيث
شبه الشاعر حالته في الليل حين يُظلم عليه ويبدأ السكون والهجوع فيعيد إليه
همومه التي بددها النهار بمشاغله ومصالحه لتسكن وتهجع في صدره بصورة
الراعي الذي جَنَّ عليه الليل فأخذ يجد ويجتهد في إعادة إبله إلى حظائرها لتسكن
وترتاح.

جاء في الموشح للمرزياني:

«قال الصولي: فأما قول النابغة:

وَصَدْرُ أَرَاخِ اللَّيْلِ عَازِبٌ هَمِّهِ

فإنه جعل صدره مألفاً للهموم، وجعلها كالنعم العازبة بالنهار عنه، الرائحة

= وهي ذات القُرطين اللذين يُضْرَبُ بهما المثل فيقال له يُغْلَى به الثمن «حُذِّهِ ولو بِقُرْطَيِ
مارية»، وأختها هند الهنود امرأة حُجِرَ أَكْلُ المُرَّارِ، والد امرئ القيس، وعمرو بن الحارث
من ملوك الغساسنة، وقد نزل عليه النابغة حين صار إلى غسان، وأقام عنده، ومدح أخاه
النعمان ولم يزل مقيماً عنده حتى توفي عمرو، وملك أخوه النعمان، فصار النابغة معه.
انظر ترجمته:

الأغاني: ١٥/١١ - ١٦، خزانة البغدادي - دار صادر: ٣٧١/١.

مع الليل إليه كما تريح الرعاة السائمة بالليل إلى أماكنها، وهو أول من وصف أن
الهموم متزايدة بالليل وتبعه الناس..»^(١).
الشاهد التاسع والسبعون بعد المائة^(٢):

(المديد)

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ^(٣)

الشاهد مذكور في الدلائل من غير نسبة، وهو لأبي نواس من قصيدة يمدح
بها العباس بن عبيد الله^(٤). مطلعها:

أَيُّهَا الْمُتَّابُ^(٥) عَنْ عُفْرِهِ^(٦) لَسْتُ مِنْ لَيْلَى وَلَا سَمَرِهِ

وبعده البيت وبعده:

فَاتَّصِلْ إِنْ كُنْتَ مُتَّصِلًا بِقُوى مَنْ أَنْتَ مِنْ وَطَرِهِ

(١) الموشح: ٣٠، وانظر كذلك: زهر الآداب: ٨٠٣/٣.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٠٧، خفاجي: ٢٧٧، شاکر: ٢٦٨.

(٣) انظر البيت في:

ديوانه - دار الكتاب العربي -: ٤٢٧، الكامل - دار الفكر -: ١٤/٤، التمثيل والمحاضرة:

٨٠، زهرة الآداب: ٨٦٢/٣ - من غير نسبة -، بهجة المجالس: ١٨٤/٣، المثل السائر:

٦٦/٣، الموشى: ١٥٧/٢، نهاية الأرب: ٨٣/٣.

(٤) العباس بن عبيد الله: لم أقف له على ترجمة.

وقد مدحه أبو نواس في ديوانه بثلاث قصائد، ويُفهم من هذه القصائد أنه كان شهياً

جواداً، قد أغدق على أبي نواس العطايا الجزيلة، وهو أمير هاشمي حيث قال أبو نواس:

هَاشِمِيٌّ عَبْدَلِيٍّ عِنْدَهُ يَغْلُو الْمَدِيحُ

انظر: الديوان: ٤٢٧ - ٤٣٣ - ٤٣٤.

ولعله يكون العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، وقد استعمل

والده عبيد الله (١ هـ - ٨٧ هـ) على اليمن وقيل: أن والده هو أول من وضع الموائد على

الطرق.

انظر: خزنة البغدادى - دار صادر -: ٢٥٦/٣ - ٢٥٨، ٥٠٢، ٥٠٣، الأعلام: ١٩٤/٤.

(٥) المتتاب: المتردد مرة بعد مرة. اللسان «نوب»: ٧٧٥/١.

(٦) العُفر: من ليالي الشهر السابعة والثامنة والتاسعة، وذلك لبياض القمر. اللسان «عفر»: ٥٨٥/٤.

خَفْتُ مَأْثُورَ الْحَدِيثِ غَدَاً وَعَدُّ أَدْنَى لِمُنْتَظَرِهِ

ومناسبة الشاهد: أنه كان لأبي نواس عشيقة تختلف إليه، فقبل له: أنها تختلف إلى آخر من أهل الريب، فلم يصدق ذلك حتى تبعها يوماً، فراها تدخل منزل ذلك الرجل، ثم إن ذلك الرجل كان صديقاً له، فأتاه يوماً يكلمه، فأشاح عنه أبو نواس بوجهه، ثم قال أبياته هذه^(١).

فظاهر معنى البيت: أنني لا أمنع الطير عن الشجر الذي ذقت مرارته حتى تذوقه فتمتنع بنفسها، وهذا المعنى الأول قد ساقنا بخفة، ويسر، ومن غير تعقيد إلى معنى آخر قصده الشاعر، وهو أنه جرب صاحبته، فرأى فيها الغدر والخيانة مع صديق له، وذاق مرارة ذلك، لذا فهو لن يُحَدِّثَ ذلك الصديق، ولن يمنع أحداً من زيارتها حتى يرى كل أحد خيانتها بنفسه، فيذوق مرارة الغدر.

الشاهد الثمانون بعد المائة^(٢): (الطويل)

قول العباس بن الأحنف^(٣):

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ^(٤) عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا^(٥)

(١) المثل السائر: ٦٦/٣.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٠٧، خفاجي: ٢٧٧، شاکر: ٢٦٨.

(٣) سبقت ترجمته: ٢٥٧.

(٤) يروى «تسكب» بالرفع والنصب، والرفع أصح عطفاً على مجموع ساطلب، وقرر بعضهم أنه بالرفع عطفاً على أطلب، فالمعنى وتسكب، وفي المعنى الثاني نظر؛ لأن البكاء شعار المحبين؛ لأنه ينبيء عن شدة الشوق، فلا ينبغي التسويف به إلا أن يقال: إن التسويف به لا بهذا الاعتبار، بل باعتبار ما فيه من المشاق، وتكدير عيش العشاق.

انظر: شروح التلخيص، حاشية الدسوقي: ١٠٩/١.

ويجوز في قوله: «وتسكب» النصب عطفاً على «بعد» من باب «اللبس عباءة وتقر عيني» أي بتقدير «أن».

انظر: المطول: ٢٢، شروح التلخيص «عروس الأفراح»: ١١٢/١.

(٥) انظر البيت في:

استشهد به الشيخ للدلالة على أنَّ من الألفاظ ما يقصر عن أداء المعنى المراد، حيث استعمل الشاعر هنا جمود العين في الدلالة على ذهاب الحزن، وانجلاء الهم، وهو إنما يستعمل في الدلالة على بخل العين بالدموع عند إرادة البكاء، وذلك لفرط الحزن؛ لأنَّ الذهن لا ينتقل من جمود العين إلى معنى الفرح والسرور، وإنما ينتقل من جمود العين إلى معنى الحزن، وعدم المسرة، وبه بذلك إلى أنه لا بد للكناية من قرينة.

فالذي أراده الشاعر هو طلب الفراق والبعد لينعم بعد ذلك بالقرب؛ لأن من عادة الزمان الإتيان بضد المراد، وسيطلب الحزن الذي هو لازم البكاء ليحصل السرور بما هو من عادة الزمان، فكُنَى عما يوحيه دوام التلاقي من السرور بالجمود، لظنه أن الجمود هو خلو العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر، وأخطأ في مراده، إذ الجمود هو خلو العين من البكاء حالة إرادة البكاء منها^(١).

فالمعنى على هذا «إني اليوم أطيب نفساً بالبعد، والفراق وأوطئها على مقاساة الأحزان والأشواق وأتجرع غصصها وأتحمل لأجلها حزناً يفيض الدموع من عيني لأنسب بذلك إلى وصل يدوم ومسرة لا تزول فإن الصبر مفتاح الفرج، ولكل بداية نهاية، ومع كل عسر يسراً»^(٢).

وعلى هذا المعنى تكون السين في «سأطلب» لمجرد التأكيد^(٣) وذلك حملاً على المعنى.

= ديوانه: لم أجد البيت في ديوانه طبعة دار صادر. الكامل - دار الفكر -: ١٣٧/١، «من غير نسبة»، المطول: ٢٢، معاهد التنصيص: ٥٢/١، شاهد (٨)، الإيضاح: ٧٦/١، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -، الشاهد رقم (٩)، شروح التلخيص: ١٠٩/١، عقود الدرر: ٨ ب.

(١) الإيضاح: ٧٧/١، شروح التلخيص: ١١٠/١ - ١١١، معاهد التنصيص: ٥١/١.

(٢) شروح التلخيص «مختصر السعد»: ١١١/١ - ١١٢.

(٣) المطول: ٢٣.

ورأى الدسوقي أن التعبير هنا بالسين الموضوعية للاستقبال للإشارة إلى أن بُعد الديار وإن كان لغرض صحيح، وهو قرب الأحباب حقيق بأن يسوف به ولا يطلبه في الحال؛ لكون البعد في ذاته أردى من الردى والحاصل أن البعد، وإن كان وسيلة للقرب الذي هو مقصد العشاق الأقصى، إلا أنه من حيث إنه بعد في نفسه حقيق بأن يسوف عليه؛ ولكون البعد رديئاً أضافه الشاعر لداره لا لذاته؛ لأن العاشق لا يطلب بُعد ذاته، وأضاف القرب لذات المحبوبين^(١).

ورأى ابن يعقوب أن في معنى البيت وجهين:

الأول: «أنَّ الزمان والأحبة من عاداتهم عكس المراد، فأطلب خلاف المراد لعلني أغالطهم، فيأتون بالمراد».

والذي يُحسِّن هذا المعنى إظهار أن القائل طلب مغالطة الزمان على وجه الظرافة والتلميح.

والوجه الثاني: أنَّ المراد بالطلب هو ارتكاب فعل الطالب بإظهار عدم الضجر الحاصل بالصبر، وتوطين النفس على المكروه المؤدي إلى إفاضة الدموع؛ ليحصل عن ذلك دوام السرور بدوام التلاقي، فإنَّ الصبر مفتاح الفرج^(٢).

وذكر ابن يعقوب أن المبرد فسر هذا البيت في (الكامل) على غير هذا الوجه فقال: إنَّ هذا رجلٌ فقيرٌ يبعد عن أهله ويسافر ليحصل ما يوجب لهم القرب وتسكب عيناه الدموع في بعده عنهم لتجمد عند وصوله لهم وأنشد:

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتُ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَذِرْ أُنِّي لِلْمَقَامِ أَطْوَفُ^(٣)

ومختصر الكلام ما قاله الشيخ عبد القاهر:

(١) شروح التلخيص «حاشية الدسوقي»: ١٠٩/١.

(٢) شروح التلخيص «مواهب الفتاح»: ١١١/١ - ١١٢.

(٣) نقلاً عن مواهب الفتاح «شروح التلخيص»: ١١١/١ - ١١٢، لم أجد هذا النص في كتابه الكامل.

«إن أردت أن تعرف ما حاله بالضد من هذا، فكان منقوص القوة في تأدية ما أريد منه؛ لأنه يعترضه ما يمنعه أن يقضي حق السفارة فيما بينك وبين معنك، ويوضح تمام الإيضاح عن مغزاك فأنظر إلى قول العباس بن الأحنف: «سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لَتَقْرُبُوا...»

بدأ فدل بسكب الدموع على ما يوجبه الفراق من الحزن والكمد، فأحسن وأصاب؛ لأن من شأن البكاء أبداً أن يكون أمانة للحزن، وأن يجعل دلالة عليه، وكناية عنه... ثم ساق هذا القياس^(١) إلى نقيضه، فالتمس أن يدل على ما يوجبه دوام التلاقي من السرور بقوله: «لتجمدا» وظن أن الجمود يبلغ له في إفادة المسرة والسلامة من الحزن ما بلغ سكب الدمع في الدلالة على الكآبة والوقوع في الحزن، ونظر إلى أن الجمود خلل العين من البكاء وانتفاء الدموع عنها، وأنه إذا قال: «لتجمدا» فكأنه قال: «أحزن اليوم لثلاث أحزن غداً، وتبكي عيني جُهدهما لثلاث تبكياً أبداً» وغلط فيما ظن، وذاك أن الجمود هو أن لا تبكي العين، مع أن الحال حال بكاء، ومع أن العين يراد منها أن تبكي، ويستراب^(٢) في أن لا تبكي^(٣).

وقال:

«... ولو كان الجمود يصلح لأن يراد به السلامة من البكاء، ويصح أن يدل به على أن الحال حال مسرة، وحبور، لجاز أن يدعى به للرجل فيقال: «لا زالت عينيك جامدة» كما يقال: «لا أبكى الله عينك»، وذاك مما لا يشك في بطلانه، وعلى ذلك قول أهل اللغة: «عين جمود لا ماء فيها، وسنة جماد لا مطر فيها، ونافقة جماد لا لبن فيها»، وكما لا تجعل السنة، والنافقة جماداً إلا على معنى أن السنة بخيلة بالقطر، والنافقة لا تسخو بالدر كذا حكم العين لا تجعل

(١) أي قول خطان بن المعلّى:

أَبْكَايَ الدُّهْرَ وَبَا رُبَّمَا أَضْحَكُنِي الدُّهْرُ بِمَا يُرْضِي

(٢) وفي الدلائل، تحقيق شاعر «ويشتكي».

(٣) الدلائل، رضا: ٢٠٨، خفاجي: ٢٧٨، شاعر: ٢٦٨ - ٢٦٩.

«جَمُوداً» إلاً وهناك ما يقتضي إرادة البكاء منها، وما يجعلها إذا بكت محسنة موصوفة بأن قد جادت وسخت، وإذا لم تبك مسيئة موصوفة بأن قد ضُنت وَبَخِلَتْ»^(١).

ورأى ابن السبكي أنه لا حاجة إلى الكناية بالبكاء، ويجوز أن يكون أراد حقيقته، والمراد أنه انتقل عن المعنى الظاهر وهو جمود العين إلى السرور بالاجتماع^(٢).

وقد يقال: إنه استعمل الجمود في مطلق خلو العين من الدمع مجازاً من باب استعمال المقيد في المطلق ثم كُنِيَ به عن المسرة لكونه لازماً لها عادة، فَيُجَابُ أن هذا يكفي لصحة الكلام واستقامته ولا يخرج عن التعقيد المعنوي لظهور أن الذهن لا ينتقل إلى هذا بسهولة.

واعترض ابن السبكي على كون البيت مُخِلًّا بالفصاحة، بل هو عنده غير عربي، فَلَيْسَ هو من باب التعقيد المعنوي. قال:

«وفيه لطيفة؛ لأن الجمود بالحقيقة إنما يكون للمائع، ووصف العين بالجمود إِمَّا على إرادة دمعها، أو إرادتها على سبيل الاستعارة عن الدمع، فلا بد أن يتخيل أن الدمع موجود في العين، ولكن حصل له جمود منعه من الانسكاب، وذلك لا يتأتى في حال السرور؛ لأن المعدوم لا يوصف بالجمود، وأعلم أن هذا الاعتراض فيه نظر؛ لأن استعمال الجمود في هذا البخل إن لم يكن جائزاً، فليس هذا كلاماً غير فصيح بل هو غير عربي، وإن كان يستعمل، فمن أين جاء التعقيد؟»^(٣).

(١) الدلائل، رضا: ٢٠٨، خفاجي: ٢٧٨، شاکر: ٢٧٠.

(٢) شروح التلخيص «عروس الأفراح»: ١١٠/١.

(٣) شروح التلخيص «عروس الأفراح»: ١١٠/١ - ١١١.

الشاهد الواحد والثمانون بعد المائة^(١):

(السرير)

أُبَكَّانِي الدُّهْرُ وَيَا رُبَّمَا أَضْحَكَنِي الدُّهْرُ يَمَّا يُرْضِي^(٢)
الشاهد ورد من غير نسبة في الدلائل.

وهو لِحَطَّانِ بْنِ الْمَعْلَى، وذكر المرزوقي أن اسمه: خَطَّابُ بْنُ الْمَعْلَى^(٣)
وهو من أبيات أولها:

أَنْزَلَنِي الدُّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ مِنْ شَامِخٍ^(٤) عَالٍ إِلَى خَفْضٍ^(٥)
وَعَالَنِي الدُّهْرُ بِوَفْرِ الْغِنَى فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى عِرْضِي

وبعدهما الشاهد وبعده:

لَوْلَا بُنَيَّاتُ كَرْغَبِ الْقَطَا رُدَّدَنْ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ^(٦)

(١) الدلائل، رضا: ٢٠٨، خفاجي: ٢٧٧، شاکر: ٢٦٩.

(٢) انظر البيت في:

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٢٨٦/١، رقم (٨٦)، العقد الفريد: ٢٤٤/٢، بهجة المجالس: ج ٢، القسم الأول: ٧٦٩، سمط اللآلي: ٨٠٣/٢، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٥٢/١، التشبيهات لابن أبي عون: ٣٤٢ - ٣٤٣، ذكر ثلاث أبيات من القصيدة ولم يذكر بيت الشاهد وكذلك في شرح المضمون به على غير أهله: ١١٥، إلا أنه ذكر بيتين فقط.

(٣) لم أجد فيما رجعت إليه من مصادر شيئاً عن ترجمته غير أنه شاعر إسلامي اشتهر بقصيدته هذه التي منها بيت الشاهد:

انظر: المصادر السابقة في تخريج البيت. الأعلام: ٢٦٣/٢.

(٤) رواية بهجة المجالس والسمط «من شامخ».

(٥) جعل في بهجة المجالس بيت الشاهد هو البيت الأول وبعده: «أَنْزَلَنِي الدُّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ...».

(٦) هذا على رواية الحماسة للمرزوقي.

ووردت هذه الأبيات في المصادر السابقة مع اختلاف في ترتيب الأبيات.

استشهد به الشيخ في سياق حديثه عن الكناية بجمود العين، وذلك للتنظير به على أن من شأن البكاء أن يكون أمانة للحزن، وهو دليل وكناية عنه، كما أن قولهم: «أبكائي وأضحكني» على معنى ساءني وسرني. قال:

«بدأ فدل بسكب الدموع على ما يوجبه الفراق من الحزن والكمد، فأحسن وأصاب؛ لأن من شأن البكاء أبداً أن يكون أمانة للحزن، وأن يُجعل دلالة عليه وكناية عنه، كقولهم: «أبكائي وأضحكني» على معنى «سَاءَني وَسُرَّني»^(١).

والمعنى: «أبكائي الدهر بما أسخطني، ويا قوم ربما أضحكني الدهر فيما مضى بما أرضاني»^(٢).

«وقوله: يا ربما المنادى فيه محذوف كأنه قال: يا قوم ربما، وهذا النداء على وجه التحسُّر والتوجع من معاملة الدهر وسوء تنقله»^(٣).
الشاهد الثاني والثمانون بعد المائة^(٤):

(الطويل)

أَلَا إِنَّ عَيْنَا لَمْ تَجْدْ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعِهَا لَجْمُودٌ^(٥)

الشاهد لم ينسبه الشيخ، وهو لأبي عطاء السندي^(٦) يرثي ابن

(١) الدلائل، رضا: ٢٠٨، خفاجي: ٢٧٧، شاکر: ٢٦٩.

(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٢٨٦/١.

(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

وكذلك انظر: شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٥٢/١ - نقلاً عن المرزوقي -.

(٤) الدلائل، رضا: ٢٦٩، خفاجي: ٢٧٨، شاکر: ٢٦٩.

(٥) انظر البيت في:

الشعر والشعراء: ٧٧٣/٢، تاريخ الطبري: ٤٥٦/٧، أمالي القاضي: ٢٧١/١، العقد

الفريد: ٢٤٠/٣، شرح الحماسة للمرزوقي: ٧٩٩/٢، رقم (٢٦٦)، أمالي المرتضى:

٢٢٣/١، زهر الآداب: ٨٥٣/٣، سمط اللالي: ٦٠٢/١، شرح الحماسة للتبريزي:

١٥١/٢، الإيضاح: ٧٧/١، وفيات الأعيان: ٣١٧/٦، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -:

٥، الاقتضاب: ٢٩٢، شروح التلخيص: ١١٠/١.

(٦) أبو عطاء السندي قيل اسمه مرزوق، وهو قول ابن قتيبة في الشعر والشعراء وقيل اسمه =

هيرة^(١)، وكان المنصور قد قتله بمدينة واسط بعد أن أعطاه الأمان.

وبعد بيت الشاهد:

عَشِيَّةَ قَامَ النَّائِحَاتُ وَشَقَّقَتْ جُيُوبَ بَأْيَدِي مَاتِمٍ وَخُدُودُ
فَإِنْ تُمَسِّ مَهْجُورَ الْفَنَاءِ فَرُبَّمَا^(٢) أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودُ

= أفلح بن يسار مولى بني أسد، ثم مولى عنبر بن سَمَاك بن حصين الأسدي منشؤه الكوفة، وهو من مخضرمي الدولتين، وكان أبوه يسار سندياً أعجمياً لا يفصح وكان في لسان أبي عطاء لَكَنَةً شديدة ولثغة، وكان له غلام فصيح سماه عطاء، وتكنى به، وهو مع لَكَنَتِهِ أحسن الناس بديهة، وأشدّهم عارضة وتقديماً، وكان من شعراء بني أمية وشيعتهم، هجا بني هاشم، ومات عقب أيام المنصور.
انظر ترجمته:

الشعر والشعراء: ٧٧٠/٢ - ٧٧٤، رقم (١٨٤)، الأغاني: ٣٢٧/١٧ - ٣٣٩، المؤلف والمختلف: ٤٨٠، سمط اللالي: ٦٠٢/٢، وفيات الأعيان: ٣١٧/٦، خزائن البغدادى - مكتبة الخانجي -: ٥٤٥/٩ - ٥٤٧.

ونسب المرتضى بيت الشاهد لمعن بن زائدة بن عبدالله بن زائدة بن مطرب بن شريك بن عمرو بن مَظَر، وهو أخو الحوفزان بن شريك، وكان معن من أصحاب ابن هيرة، فلما قُتِلَ رثاه، وذكر ابن قتيبة أن الشعر لأبي عطاء قاله في رثاء عمر بن هيرة ونقل عنه البطليوسي في الاقتضاب، وأثبت الطبري في تاريخه أن الذي قتله المنصور بواسط سنة (١٣٢ هـ) والذي رثاه أبو عطاء هو يزيد بن عمر بن هيرة، وكذا الخبر في وفيات الأعيان، والعقد الفريد والبكري، وشذرات الذهب.
انظر الخبر مفصلاً في:

تاريخ الطبري: ٤٥٠/٧ - ٤٥٨، وفيات الأعيان: ٣١٣، ٣٢١، شذرات الذهب: ١٩٠/١، العقد الفريد - دار الكتب -: ٢٤٠/٣.

(١) ابن هيرة هو: أبو خالد يزيد بن أبي المشي عمر بن هيرة بن قُعبه بن سُكين بن عدي بن فزارة (٨٧ هـ - ١٣٢ هـ) قُتِلَ وله خمس وأربعون سنة، وقد كان أبو جعفر المنصور حصر يزيد بواسط شهوراً ثم أمّنه، وافتتح البلد صلحاً، وركب إليه يزيد في أهل بيته، وكان أبو جعفر يقول: لا يعزّ ملك هذا فيه، ثم قتله.

انظر المصادر السابقة في خبر مقتله.

(٢) رواية أمالي المرتضى: «فطانا».

فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مُتَعَهِّدٍ بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدٌ^(١)

استشهد به الشيخ في سياق حديثه عن جمود العين وذلك للتنظير على أن المعنى المقصود من الجمود هو بخلها وعدم جمودها في حالة إرادة البكاء. قال:

«... ولذلك لا ترى أحداً يذكر عينه بالجمود إلا وهو يشكوها ويندبها وينسبها إلى البخل، ويعُدُّ امتناعها من البكاء تركاً لمعونة صاحبها على ما به من الهم»^(٢).

وعلق على البيت بقوله:

«فأتى بالجمود تأكيداً لنفي الجود، ومحال أن يجعلها لا تجود بالبكاء، وليس هناك التماس بكاء؛ لأن الجود والبخل يقتضيان مطلوباً يُبْذَلُ أو يُمْنَعُ»^(٣).

وقد علق المبرد على هذا البيت مستحسناً إياه بقوله:

«وهذا معنى كثير حسن جميل»^(٤).

ومعنى الشاهد:

أنك يا ابن هبيرة حقيق بالبكاء عليك، فالعين التي لا تسمح بدمعها الجاري ولا تجود به عليك بخيلة مذمومة.

ولقد أجاد الشاعر نظم البيت وبلغ به مبلغاً عظيماً في التعبير عن النفس المكلومة.

(١) انظر الأبيات في:

أمالي القالي: ٢٧١/١ - ٢٧٢، شرح الحماسة للمرزوقي: ٧٩٩/٢ - ٨٠٠، زهر الآداب:

٨٥٣/٣، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٥١/٢.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٠٨، خفاجي: ٢٧٨، شاکر: ٢٦٩.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٠٨، خفاجي: ٢٧٨، شاکر: ٢٧٠.

(٤) الكامل: ١٣٧/١، دار الفكر.

فالموقف موقف تفجع وتحسر لذا افتتح الشاعر أبياته (بالا) الاستفتاحية لإيقاظ وتنبيه جميع الأحاسيس.

«ثم أخذ يعظم أمر الفجيعة، ويبين موقعها من النفوس، وشدة تأثيرها في القلوب، واشتراك الناس كافة في الجزع لها والهلوع عليها، فقال: إن عيناً لم تَسَخْ بدمعها الجاري على هذا المرثي يوم واسط لجمود الججاج على المصائب، شديدة البخل بما في شئونها من الذخائر»^(١).

واستعمل في التعبير عن ذلك «إن» التي تفيد التوكيد، ونكر عيناً؛ ليراد بها كل عين على الإطلاق مع «إضافة اليوم إلى واسط، وهو بلد؛ للتوضيح والتحديد»^(٢).

فنفسه الحزينة ألجأته لهذه الإضافة، لأن يوم واسط هو يوم الفجيعة. ففي ذكره تعظيم المصائب، ثم أكد بخل العين بإدخال لام التوكيد.

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٧٩٩/٢.

(٢) شرح أبيات الإيضاح «شرح أبيات تضمنها مقدمة الكتاب»: ١٠.

ج - شواهد إن ومواقعها

(الخفيف)

الشاهد الثالث والثمانون بعد المائة^(١):

قول بشار:

بَكْرًا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنَّ ذَاكَ النُّجَاحَ فِي التَّبَكِيرِ^(٢)

وهو من قصيدة قالها في سلم بن قتيبة الباهلي^(٣)، يهنئه على ولايته البصرة

سنة ١٤٥ هـ في خلافة المنصور، والشاهد مطلع القصيدة وبعده:

لَا تَكُونَا عَلَيَّ كَالْخَفْضِ الرَّيِّ ضَرَّ أَمْسَى بِنُورِهِ غَيْرُ نُورِ
أُولَعَ النَّاسَ بِالْمَلَامَةِ وَالْمَرِّ ؤ عَلَى خُطَّةٍ مِنَ التَّقْدِيرِ

استشهد به الشيخ على أن «إِنَّ» إذا وقعت بإثر كلام تقدمها، ولم يكن

المقصود بها الرد على إنكار منكر، فَإِنَّهَا تغني غناء «الفاء» في ربط الجملة بما قبلها.

(١) الدلائل، رضا: ٢١١ - ٢٤٣، خفاجي: ٢٨٠ - ٢٨١ - ٣١٦، شاکر: ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٣١٦.

(٢) انظر البيت في:

ديوانه - تحقيق محمد الطاهر بن عاشور -: ١٨٤/٣، الأغاني: ١٩٠/٣، المفتاح: ٧٥، الإيضاح: ٩٥/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٦ أ، شروح التلخيص: ٢١٢/١، القول الجيد: ١٧١.

(٣) هو سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي الخراساني، أبو عبدالله (١٤٩ - ٢٠٠ هـ) والي البصرة، وليها ليزيد بن عمر بن هبيرة في أيام مروان بن محمد ثم وليها في أيام أبي جعفر المنصور، فكان من الموثوق بهم في الدولتين: «الأموية والعباسية»، وكان من عقلاء الأمراء، عادلاً حَسُنَتْ سيرته، ومات بالري، قال ابن الأثير: كان مشهوراً عظيم القدر.

قال الشيخ :

«وأعلم أنَّ من شأن «إِنَّ» إذا جاءت على هذا الوجه أن تُغني غناء «الفاء» العاطفة مثلاً، وأن تفيد من ربط الجملة بما قبلها أمراً عجبياً، فانت ترى الكلام بها مستأنفاً غير مُستأنف، ومقطوعاً موصولاً معاً، أفلا ترى أنك لو أسقطت «إِنَّ» من قوله: «إِنَّ ذَاكَ النِّجَاحُ فِي التَّبْكِيرِ» لم ترَ الكلام يلتئم، ولرايت الجملة الثانية لا تتصل بالأولى، ولا تكون منها بسبيل، حتى تجيء «بالفاء» فتقول:

«بَكْرًا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجِيرِ، فَذَاكَ النِّجَاحُ فِي التَّبْكِيرِ»^(١).

فالموقف هنا موقف تهئة بمنصب كبير، ملأ نفس الشاعر بالابتهاج والسرور، فأراد أن يسرع بحمل تلك التهئة للممدوح، فبدأ قصيدته بفعل الأمر «بَكْرًا» وحذف حرف النداء من قوله: «صاحبي»؛ ليعين لهما أن المقام ضيق، فليس فيه متسع للإطالة في الحديث، وكذلك قيد التكبير بزمان معين بقوله: «قبل الهجير» كل ذلك ليشحذ الهمم، ويحثها على الإسراع بالرحيل، ولم يكتف بهذا الأسلوب في الحث، وإنما لجأ إلى «أَنَّ» التي أدت بدورها دوراً كبيراً في شحذ تلك الهمم إذ أنها لم تأت للتوكيد، والرد على المنكر كعادتها في الكلام، إنما جاءت لتربط جملة الأمر «بَكْرًا» بجملة الجزاء المترتب على هذا الأمر «إِنَّ ذَاكَ النِّجَاحُ»، فالنفس حين ينكشف لها جزاء العمل بهذه السرعة تسرع هي أيضاً بالقيام به عن سرور وحبور، وأنظر إلى قوله: «ذَاكَ النِّجَاحُ» وما يحويه من لطيف المعنى حيث جاء باسم الإشارة للبعيد بقصد تعظيم الجزاء في النفوس.

وَبَيَّنَ الشيخ أن النظم باب عجيب المسلك قد تناهى في الغموض والخفاء إلى أقصى الغايات حتى أنه خفي على كبار العلماء، وأورد الشيخ لذلك قصة بشار مع أبي عمرو بن العلاء، وخلف الأحمر. قال:

= انظر ترجمته في:

طبقات ابن سلام: ٣٥٥/١ - ٤٩٨ - ٤٩٩، ٧٦٢/٢، ٧٦٤، الكامل لابن الأثير: ٢٨/٥،

الأعلام: ١١١/٣.

(١) الدلائل، رضا: ٢١١، خفاجي: ٢٨١، شاکر: ٢٧٣.

«ثم لم ينفك العالمون به، والذين هم من أهله، من دخول الشبهة فيه عليهم، ومن اعتراض السهو والغلط لهم.

رُوي عن الأصمعي أنه قال: كنتُ أسير مع أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر، وكان يأتیان بشاراً فَيُسَلِّمان عليه بغاية الإعظام، ثم يقولان: يا أبا معاذ، ما أحدثت؟ فيخبرهما وينشدهما، ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له، حتى يأتي وقت الزوال، ثم ينصرفان، وأتياه يوماً فقالا: ما هذه القصيدة التي أحدثتها في سلم بن قتيبة؟ قال: هي التي بلغتكم قالوا: بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب. قال: نعم، بلغني أن سلم بن قتيبة يتباصر بالغريب، فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرف، قالوا: فأنشدناها يا أبا معاذ. فأنشدهما:

بَكْرًا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجْهِيرِ إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ
حتى فرغ منها، فقال له خلف: لو قلت يا أبا معاذ مكان:

«إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ»: «بَكْرًا فَالنَّجَاحُ فِي التَّبْكِيرِ» كان أحسن، فقال بشار: إنما بنيتها أعرابية وحشية فقلت: إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ، كما يقول الأعراب البدويون، ولو قلت: «بَكْرًا فَالنَّجَاحُ» كان هذا من كلام المولدين، ولا يشبه ذاك الكلام، ولا يدخل في معنى القصيدة. قال: «فقام خلف فقبل بين عينيه»، فهل كان هذا القول من خلف والنقد على بشار، إلاً للطف المعنى في ذلك وخفائه؟^(١)

وذكر الخطيب الشاهد في «القول في أحوال الإسناد الخبري» شاهداً على خروج الكلام على خلاف الظاهر. قال:

«وكثيراً ما يخرج على خلافه، فيَنزَلُ غير السائل منزلة السائل إذا قدم إليه ما يُلَوِّحُ له بحكم الخبر، فيستشرف له استشراف المتردد الطالب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾»^(٢).

(١) الدلائل، رضا: ٢١٠ - ٢١١، خفاجي: ٢٨٠ - ٢٨١، شاعر: ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٢) سورة هود: الآية ٢٦.

وقوله: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (١).

وقول بعض العرب:

فَغَنَّا وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْحُدَاءُ (٢)

ثم ذكر قصة بشار مع أبي عمرو بن العلاء، وخلف الأحمر حين أنشدهما بيت الشاهد.

الشاهد الرابع والثمانون بعد المائة (٣):

(الرجز)

قول بعض العرب (٤):

فَغَنَّا (٥) وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْحُدَاءُ (٦)

الشاهد فيه كسابقه.

قال الشيخ عبد القاهر:

«فانظر إلى قوله: «إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْحُدَاءُ» وإلى ملاءمته الكلام قبله، وحسن تَشْبِيهِه به، وإلى حسن تعطف الكلام الأول عليه ثم انظر إذا تركت «إِنَّ» فقلت: «فغناها وهي لك الفداء، غناء الإبل الحداء» كيف تكون الصورة؟ وكيف ينبو أحد الكلامين عن الآخر؟ وكيف يُشَبِّه هذا ويُعَرِّق ذاك؟ حتى لا تجد حيلة في

(١) سورة يوسف: الآية ٥٣.

(٢) الإيضاح: ٩٤/١ - ٩٥.

(٣) الدلائل، رضا: ٢١١ - ٢٤٣، خفاجي: ٢٨١ - ٣١٦، شاکر: ٢٧٣ - ٣١٦.

(٤) لم أقف على نسبه.

(٥) الهاء ترجع إلى الإبل.

(٦) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في الدلائل وكتب البلاغة المتأخرة عنه. ومن غير نسبة.

انظر البيت في:

المفتاح: ٧٥، الإيضاح: ٩٤/١، شرح أبيات الإيضاح: ٩٤/١، شروح التلخيص:

٢١٢/١.

اختلفهما حتى تجتلب لهما «الفاء» فتقول: «فغنها وهي لك الفداء، فغناء الإبل الحداء» ثم تعلم أن ليست الألفة بينهما من جنس ما كان وأن قد ذهبت الأنسنة التي كنت تجدد، والحسن الذي كنت ترى^(١).

والمعنى: «غني للإبل ونشطها للسير بالتغني فإن غناءها وما هو سبب لنشاطها واهتزازها حداؤك بها، وتغنيك لها، وهذا بعث لمن خاطبه على السير، وقوله: وهي لك الفداء جملة معترضة»^(٢).

ويبدو لي أن «إنَّ» التي تقع موقع الفاء تأتي في موقف الحث والتنشيط. وأن الجملة السابقة لها، جملة فعلية فعلها أمر.

(١) الدلائل، رضا: ٢١١ - ٢١٢، خفاجي: ٢٨١ - ٢٨٢، شاکر: ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٢) شرح أبيات الإيضاح «شرح الأبيات التي تضمنها القول في أحوال الإسناد الخبري»: ١٤/١.

د - شواهد كاد

(الطويل)

الشاهد الخامس والثمانون بعد المائة^(١):

قول ذي الرُّمَّة:

هِيَ الْبُرَّةُ وَالْأَسْقَامُ وَالْهَمُّ وَالْمُنَى^(٢) وَمَوْتُ الْهَوَى فِي^(٣) الْقَلْبِ مِنِّي الْمُبْرَحُ
وَكَانَ الْهَوَى^(٤) بِالنَّائِي يُمَحَى^(٥) فَيَمْحِي^(٦) وَحُبُّكَ عِنْدِي^(٧) يَسْتَجِدُّ وَيَرْبَحُ^(٨)
إِذَا غَيَّرَ النَّاسُ^(٩) الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكْدُ^(١٠) رَسِيسُ^(١١) الْهَوَى مِنْ حُبِّ^(١٢) مَيَّةٍ يَبْرَحُ^(١٣)

(١) الدلائل، رضا: ٢١٢، خفاجي: ٢٨٢، شاکر: ٢٧٣.

(٢) رواية الديوان: «هي البرء والأسقام والهم ذكرها».

(٣) رواية الديوان والزهرة: «وموت الهوى لولا التناهي المبرح».

(٤) رواية الديوان والزهرة: «أرى الحب بالهجران يمحي».

(٥) رواية المنازل والديار: «وينقض الهوى بالهجر».

(٦) رواية المنازل: «فينمحي»، ورواية الزهرة: «فيتمحي».

(٧) رواية الديوان: «وحبك ميا».

(٨) يربح: الريح والرياح: النماء في التبحر «لسان العرب» «ريح»: ٤٤٢/٢.

ورواية الزهرة: «وحبك مما يستجد ويتبع».

(٩) رواية أخبار القضاة: «وإذا غيّر اليأس».

ورواية الأشباه والنظائر للخالدين: «إذا غيّر الهجر».

(١٠) رواية الديوان والأشباه والنظائر، والأغاني، واللسان، والزهرة «لم أجد».

(١١) رسيس الحمى: أصلها، ورسيس الهوى أصله ومسه، والرسيس الشيء الثابت الذي قد لزم

مكانه، ورس الهوى في قلبه، والسقم في جسمه رساً، ورسيساً، وأرس: دخل وثبت،

ورس الحب ورسيسه بقيته وأثره. اللسان «رس»: ٩٧/٦.

والشاهد من قصيدته الحائية التي مطلعها:
أَمْنَزِلْتِي مَيَّ سَلَامَ عَلَيْكُمَا عَلَى النَّايِ وَالنَّايِ^(١) يَوْدُ وَيَنْصَحُ

وبعد البيت الثالث:
فَلَا الْقَرْبُ يُبْدِي مِنْ هَوَاهَا مِلَالَةً وَلَا حُبُّهَا - إِنْ تَنْزَحِ الدَّارُ - يَنْزَحُ
أَتَقْرَحُ أَكْبَادُ الْمُحِبِّينَ كُلِّهِمْ كَمَا كَيْدِي مِنْ ذِكْرِ مَيَّةَ تَقْرَحُ

ولبيت الشاهد قصة ذكرها الشيخ عبد القاهر - مع اختلاف في أسماء الرواة -:

روى أبو خالد زيد بن محمد المهلبى قال: زعم ابن المعذل^(٢) عن المعذل بن غيلان، عن أبيه قال: إنني لبالكناسة يوماً، فقدم ذو الرُّمَّة الكوفة، ووقف على ناقته ينشد الناس قصيدته الحائية، فمر منها حتى أتى على قوله:

= (١٢) رواية الديوان: «رئيس الهوى في ذكر مَيَّةَ يَنْزَحُ».
(١٣) الأبيات الثلاثة في الديوان، والزهرة مع اختلاف ترتيبها، فقله: «إِذَا غَيَّرَ النَّايَ الْمُحِبِّينَ»
مذكور قبل البيتين ويليهِ:

«وَكَاَنَّ الْهَوَى بِالنَّايِ» ثم «هِيَ الْبُرَّةُ وَالْأَسْقَامُ وَالْهَمُّ» مع وجود أبيات تفصل بينهم.
انظر: الديوان: ١١٩٢/٢ - ١١٩٦ - ١٢٠٦، الأغاني: ٢٩/١٨، الزهرة: ١/٤٦٤ - ٤٦٥، وانظر البيت الثاني والثالث في المنازل والديار: ٨٣/١ - ٨٤.
وانظر البيت الثالث فقط في:

الموشح: ١٦٣ - ١٦٤، الأشباه والنظائر للخالدين: ١٢٠/٢، أمالي المرتضى: ١/٣٣٢،
لسان العرب «رئيس»: ٩٧/٦، الحماسة البصرية: ٢/٢٠٤، شواهد التوضيح والتصحيح:
٨٠، خزانة الأدب للبغدادي - مكتبة الخانجي -: ٣٩/٩، الأشموني: ١/٢٢٩، مصارع
المشاق: ٢٦/١.

- (١) هذه رواية المصادر التي رجعت إليها في تخريج الشاهد.
ويبدو لي أن البيت على هذه الرواية مكسور، والأصح لوزن البيت «والنائي».
(٢) هو عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البختري بن المختار بن ذريح، سبقت ترجمته: ٢٧٢، وانظر الأغاني: ٣/٢٢٦ - ٢٥٧.

إِذَا غَيْرَ النَّسَائِي الْمُحِبِّينَ

فقال عبدالله^(١) بن شبرمة: أراه قد بَرَحَ، ففكر ذو الرُّمَّة، ثم قال: لم أجد رسيس الهوى من حب مَيَّة يَبْرَحُ، ثم قال: فرجعت إلى أَبِي الحكم البختري، فأخبرته، فقال: أخطأ ذو الرُّمَّة حيث قبل منه، وأخطأ ابن شبرمة حين رَدَّ عليه؛ لأنه إِنَّمَا أراد كقوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَمْ يَكْدُ يَرْبَهُ﴾^(٢) أَي لَمْ يَرْهَأَ، وَلَمْ يَكْدُ^(٣).

وساق الشيخ البيت شاهداً على أَنَّ «كاد» المسبوقه بالنفي إذا لم يسبقها ما يدل على وقوع الفعل وجب أن تلزم الظاهر، ويحمل الفعل على عدم الوقوع، ويكون المراد من قولنا: «لم يكد يفعل» و«ما كاد يفعل» أن الفعل لم يكن من أصله، ولا قارب أن يكون، ولا ظن أن يكون، وخاصة إذا وقعت «كاد المنفية» في جواب «إذا» كما هو الحال في البيت؛ لأن الماضي إذا وقع في جواب الشرط على هذا السبيل كان مستقبلاً في المعنى، وإذا كان الأمر كذلك استحال أن يكون المعنى في البيت على أن الفعل قد كان.

فكاد عند الشيخ عبد القاهر كأي فعل نفيها نفي وإثباتها إثبات.

قال الشيخ:

«وليس الأمر كالذي ظنناه، فإن الذي يقتضيه اللفظ إذا قيل: «لم يكد يفعل» و«ما كاد يفعل» أن يكون المراد أَنَّ الفعل لم يكن من أصله، ولا قارب أن يكون، ولا ظنَّ أنه يكون وكيف بالشك في ذلك؟ وقد علمنا أن «كاد» موضوع لأن يَدُلَّ على شدة قُرْبِ الفعل من الوقوع، وعلى أنه قد شارف الوجود، وإذا

(١) هو عبدالله بن شبرمة الضبي فقيه الكوفة وقاضيا (٠٠٠ - ١٤٤ هـ)، وقد سبقت ترجمته، انظر: ص ٥٣.

(٢) سورة النور: الآية ٤٠.

(٣) الخبر مذكور في:

الأغاني: ٣٤/١٨، الموشح: ١٦٣، ١٦٤.

كان كذلك، كان محالاً أن يُوجب نفيه وجود الفعل؛ لأنه يؤدي إلى أن يوجب نفي مُقاربة الفعل الوجود وجوده، وأن يكون قولك:

«ما قارب أن يفعل» مقتضياً على البيت أنه قد فعل»^(١).

ثم قال:

«وإذ قد ثبت ذلك فمن سبيلك أن تنظر، فمتى لم يكن المعنى على أنه قد كانت هناك صورة تقتضي أن لا يكون الفعل، وحال يبعد معها أن يكون ثم تغير الأمر، كالذي تراه في قوله تعالى: ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٢)، فليس إلا أن تلزم الظاهر وتجعل المعنى على أنك تزعم أن الفعل لم يقارب أن يكون، فضلاً عن أن يكون»^(٣).

أما ابن شبرمة فقد بنى رأيه على القول القائل:

أَنَّ «كَادَ» نفيها إثبات وإثباتها نفي، لذا فسر قول ذي الرمة «لم يكذب يرح» بمعنى برح أما معنى البيت على قول الشيخ عبد القاهر:

«على أن الهوى من رسوخه في القلب، وثبوته فيه، وغلبته على طباعه، بحيث لا يُتَوَهَّم عليه البراح، وأن ذلك لا يقارب أن يكون فضلاً عن أن يكون، كما تقول:

«إِذَا سَلَ الْمُحِبُّونَ وَفَتَرُوا فِي مُحِبَّتِهِمْ، لَمْ يَقَعْ لِي فِي وَهْمٍ، وَلَمْ يَجْرِ مِنِّي عَلَى بَالٍ: أَنَّهُ يَجُوزُ عَلَيَّ مَا يُشَبِّهُ السَّلْوَ، وَمَا يَعْدُ فِتْرَةً، فَضْلاً عَنْ أَن يُوْجَدَ ذَلِكَ مِنِّي وَأَصِيرَ إِلَيْهِ»^(٤).

وفي بيت الشاهد لفتات بلاغية جميلة منها: استخدام الشاعر لأداة الشرط

(١) الدلائل، رضا: ٢١٣، خفاجي: ٢٨٣، شاکر: ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٧١.

(٣) الدلائل، رضا: ٢١٣، خفاجي: ٢٨٣، شاکر: ٢٧٦.

(٤) الدلائل، رضا: ٢١٣، خفاجي: ٢٨٣، شاکر: ٢٧٦.

«إذا» التي من شأنها الدلالة على وقوع الفعل، ليجزم أَنَّ البُعْدَ من شأنه أن يغير قلوب المحبين، ثم جاء بلفظ «رسيس الهوى» والريسيس - كما ذكرت - هو الشيء الثابت الذي قد لزم مكانه لا يبرحه كل ذلك ليثبت أن حبه هو حب ثابت لا يغيره النأي الذي من شأنه أن يغير قلوب المحبين.

الشاهد السادس والثمانون بعد المائة^(١): (المقارب)

قول الشاعر^(٢):

دِيَارُ لِحْجَمَةٍ^(٣) بِالْمُنْحَى^(٤) سَقَاهُنَّ مُرْتَجِزٌ^(٥) بَاكِرٌ^(٦)
وَرَاخَ عَلَيْهِنَّ ذُو هَيْدَبٍ^(٧) ضَعِيفُ الْقَوَى مَأْوُهُ زَاخِرٌ
إِذَا رَامَ نَهْضاً بِهَا لَمْ يَكُدْ كَذِي السَّاقِ أَخْطَأَهَا الْجَايِرُ

وموضع الشاهد في البيت قوله:

«إِذَا رَامَ نَهْضاً بِهَا لَمْ يَكُدْ»

والشاهد فيه كسابقه.

والأبيات تحوي معاني جميلة، ولطائف دقيقة، حاولت قدر جهدي كشف النقاب عنها فظهر لي منها: أنه حين ينبعث الحنين في جوانب النفس يسيطر عليها الإحساس بالقرب، فالشاعر حين شعر بالحنين إلى محبوبته أحسَّ بقربها

(١) الدلائل، رضا: ٢١٤، خفاجي: ٢٨٤، شاکر: ٢٧٧.

(٢) لم أعثر على البيت ولا على قائله فيما رجعت إليه من مصادر.

(٣) جهمة: اسم محبوبته.

(٤) المنحنى: موضع في ديار بني غطفان بين خيبر ونجد.

انظر: معجم ما استعجم: ٩٨١/٧ - ١٢٦٨.

(٥) مرتجز: هو السحاب المتتابع الرعد البطيء الحركة لكثرة مائه.

اللسان «رجز»: ٣٥٢/٥.

(٦) باكر: أي وقت البكور، وهو أول النهار فبكر كل شيء أوله.. اللسان «بكر»: ٧٨/٤.

(٧) هيدب: إذا تدلى السحاب ودنا من الأرض مثل هُدْبِ القطيفة فهو الهيدب. فقه اللغة:

من نفسه، فحذف المبتدأ، وذكر الديار مباشرة وأعقب ذلك اسم محبوبته، ثم حدّد موقع تلك الدّيار كل ذلك ليزداد إحساسه بالقرب.

وحين تَفَعّمت نفسه بذلك الحنين والإحساس بالقرب لم تملك إلا أن تدعو لتلك الديار بسقيا الخير والبركة.

وهنا استرسل الشاعر في وصف المطر، ففي هذا الاسترسال تجد النفس مراحها وسلوها، فجاء بالدعاء بلفظ الماضي «سقاها» لتفاؤل الشاعر وإيقانه بالاستجابة.

ثم حدد وقت السّقيا بوقت البكور؛ لأن فيه تدب الحياة، وتكثر الحركة، وصورة البكور هذه جاءت محاكاة للحنين الذي دَبَّ في نفسه، وكلما زاد ديب الحنين في صدره ازدادت الحركة في تركيبه الشعري، فَوَصَفَ المطر بأنه «مرتجز» أي: سحاب متابع الرعد، وأنه ضعيف القوى، زاهر الماء.

وأنظر إلى قوله: «ضعيف القوى» وما فيها من جمال التصوير وروعته، فظاهر اللفظ يوهم بالضعف، ولكن حين يرسم العقل هذه الصورة في الخيال يتكشف له المعنى المراد، الذي تعجب له النفس ويضطرب له الخيال، فالسحاب كلما ضعف سيره دل ذلك على ثقله وامتلائه بالمطر، ويأبى خيال الشاعر إلا أن يزيد الصورة توضيحاً فجاء «بإذا الشرطية» وجعل جوابها «لم يكد»؛ ليدل على أن هذا المطر دائم الإقامة، فهو يكثر منه النهوض وطلب الرحيل إلا أنه لا يقدر على ذلك، وجاء بلفظ «لم يكد» لينفي عنه تلك القدرة نفياً تاماً؛ وليبين لنا قوة النفي الكامنة في «لم يكد» جاء بالتشبيه «كذي السّاق أخطأها الجابر».

فهذا السحاب مثله كمثل الإنسان المكسور الساق والذي أخطأ المجبر تجبيره فكلما عزم على النهوض أعجزه الألم.

وكذلك هذا السحاب كلما أراد الرحيل ألمه فراق تلك الديار فيعجز عن تركها.

هـ - شواهد كل

(الرجز)

الشاهد السابع والثمانون بعد المائة^(١):

قول أبي النجم^(٢):

قَدْ أَصْبَحْتُ^(٣) أُمَّ الْخِيَارِ تَدْعِي
عَلَيَّ ذَنْباً كُلَّهُ^(٤) لَمْ أَصْنَعْ^(٥)

- (١) الدلائل، رضا: ٢١٥، خفاجي: ٢٨٥، شاکر: ٢٧٨.
- (٢) هو الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن ربيعة بن نزار، وهو من رُجَّاز الإسلام الفحول المقدمين، وفي الطبقة الأولى منهم، وكان أبو النجم أبلغ في النعت من العجاج، وذكر أن الأصمعي كان يستجيد بعض رجز أبي النجم، ويضعف بعضاً؛ لأن له رديئاً كثيراً، وكان يقول: لا يعجبني شاعر اسمه الفضل بن قدامة يعني أبا النجم العجلي، وكانت وفاته آخر دولة بني أمية. انظر ترجمته:
- طبقات فحول الشعراء: ٧٤٥/٢، الشعر والشعراء: ٦٠٧، الأغاني: ١٥١/١٠ - ١٦١، الموشح: ١٩٣ - ١٩٤، معاهد التنصيص: ١٩/١ - ٢٦.
- (٣) رواية معاني القرآن للفراء: «قد عَلِقْتُ أُمَّ الْخِيَارِ».
- (٤) رواية معاني القرآن: «كُلَّهُ» بالنصب، وهذه الرواية تفسد المعنى - كما سنرى - ورواية الرفع أدخلها بعضهم تحت مَا يُسْتَفْح من الضرورات. قال ابن جني: «أفلا تراه كيف دخل تحت ضرورة الرفع، ولو نصب لحفظ الوزن، وحمل جانب الإعراب من الضعف». الخصائص: ٦١/٣، والصواب أن الرفع هنا ليس ضرورة وإنما أمر استوجه المعنى.
- (٥) انظر البيت في: ديوانه: ١٣٢، الكتاب: ٨٥/١، ١٢٧، ١٣٧، ١٤٦، معاني القرآن للفراء: ١٤٠/١ =

وهو مطلع أرجوزة لأبي النجم وبعده:

مِنْ أَنْ رَأَتْ رَأْسِي كَرَأْسِ الْأَضَلْعِ
مَيَّزَ عَنْهُ قُنْزَعًا عَنْ قُنْزَعِ
جَذْبُ اللَّيَالِي أَبْطَى أَوْ أَسْرَعِي
قَرْنَا أَشْيَبِيهِ وَقَرْنَا فَاَنْزَعِي
أَفْنَاهُ قِيلَ اللَّهُ لِلشَّمْسِ أَطْلَعِي
حَتَّى إِذَا دَارَاكَ^(١) أَفَقُ فَاَرْجِعِي^(٢)

والشاهد في البيت أَنَّ «كُلَّ» إذا تقدمت على الفعل المنفي، ولم تقع معمولة للفعل أفادت عموم النفي، فتنفي الفعل، والوصف عن الجملة واحداً واحداً، أمَّا إذا أدخلت في حيز النفي ووقعت معمولة للفعل، فإنَّها تفيد نفي العموم دون نفي الفعل والوصف نفسه.

قال الشيخ:

«واعلم أنك إذا أدخلت «كُلَّ» في حيز النفي، وذلك بأن تقدم النفي عليه لفظاً أو تقديراً، فالمعنى على نفي الشمول دون نفي الفعل والوصف نفسه، وإذا أخرجت «كُلَّ» من حيز النفي، ولم تدخله فيه، لا لفظاً ولا تقديراً، كان المعنى

= مجاز القرآن: ٨٤/٢، شاهد (٦٢٦)، شرح أبيات سيويه: ٥٥، شاهد (٧١)، معاني القرآن للأخفش الأوسط: ٢٥٣/١، الخصائص: ٦١/٣، المحتسب: ٢١١/١، الأغاني: ١٥٩/١٠، شرح المفصل: ٣٠/٢، مغني اللبيب: ٢٠١/١، ٤٩٨/٢، ٦١١، ٦٣٣، شرح جمل الزجاجي: ٣٥٠/١، الإيضاح: ٩٩/١، شرح شواهد المغني «مكتبة الخانجي»: ٥٤٤/٢، خزانة الأدب: ٣٥٩/١، معاهد التنصيص: ١٤٧/١، شروح التلخيص «عروس الأفراح»: ٤٣٢/١، المرجع السابق «مختصر السعد - مواهب الفتاح - حاشية الدسوقي»: ٤٤٤/١ - ٤٤٥، القول الجيد: ١٤٧.

(١) رواية خزانة البغدادي: «وَأَرَاكَ».

(٢) ديوانه: ١٣٢، ١٣٣، خزانة البغدادي «مكتبة الخانجي»: ٣٦٣/١، شرح شواهد المغني:

٥٤٤/٢ - ٥٤٥.

على أنك تتبعت الجملة، فنفيت الفعل والوصف عنها واحداً واحداً، والعلة في أن كان ذلك كذلك أنك إذا بدأت «بكل» كنت قد بنيت النفي عليه، وسلّطت الكلية على النفي، وأعملتها فيه، وإعمال معنى الكلية في النفي يقتضي أن لا يشذ شيء عن النفي، فأعرفه»^(١).

وقال أيضاً:

«... إذا تأملنا وجدنا إعمال الفعل في «كل» والفعل مَنفِيٌّ، لا يصلح أن يكون إلا حيث يُراد أن بعضاً كان وبعضاً لم يكن، تقول: «لم ألق كل القوم» و«لم آخذ كل الدراهم» فيكون المعنى أنك لقيت بعضاً من القوم ولم تلق الجميع، وأخذت بعضاً من الدراهم وتركت الباقي، ولا يكون أن تريد أنك لم تلق واحداً من القوم ولم تأخذ شيئاً من الدراهم»^(٢).

فمعنى البيت في حال النصب - أي كون «كل» معمولاً للفعل «أصنع» - أنه قد صنع من الذنب بعضاً، وترك بعضاً، وهذا المعنى لم يرده أبو النجم ولم يقتضه المقام، فهو في حال تبرئة نفسه من ذنب رمت به زوجته أم الخيار، ولكون الاتهام صادراً من أقرب الناس إليه، وهو أمر ينكره السامع أكد الجملة بقوله: «قد أصبحت...»، وقدم «كل» دليلاً قاطعاً ينفي به أن يكون قد صنع شيئاً من هذا الذنب قليلاً كان أو كثيراً.

وكذلك بيّن الشيخ أن حال الإثبات في هذا الأسلوب كحال النفي. قال:

«وأعلم أنك إذا نظرت وجدت الإثبات كالنفي فيما ذكرت لك، ووجدت النفي قد احتذاه فيه وتبعه، وذلك أنك إذا قلت: «جاءني القوم كلهم» كان «كل» فائدة خبرك هذا، والذي يتوجه إليه إثباتك، بدلالة أن المعنى على أن الشك لم يقع في نفس المجيء أنه كان من القوم على الجملة، وإنما وقع في شموله «الكل» وذلك الذي عناك أمره من كلامك»^(٣).

(١) الدلائل، رضا: ٢٢٠، خفاجي: ٢٩٠، شاکر: ٢٨٥.

(٢) الدلائل، رضا: ٢١٥، خفاجي: ٢٨٥، شاکر: ٢٧٨.

(٣) الدلائل، رضا: ٢١٧، خفاجي: ٢٨٧، شاکر: ٢٨٠.

والبيت من الشواهد التي يكثر دورانها في كتب النحاة، فيُستشهد به على نيابة ياء الإطلاق عن الضمير العائد حتى كأنه قال: لم أصنعه.

واستشهد به سيبويه والبغدادي في خزانته على أن الضمير العائد على المبتدأ من جملة الخبر يجوز حذفه قياساً عند الفراء إذا كان منصوباً مفعولاً به.

ويُستشهد به على أن «لم» ليست من الحروف المستحقة للصدارة حتى لا يجوز أن يعمل ما بعدها فيما قبلها؛ لأن ما بعدها هنا قد عمل فيما قبلها لامتزاجها بالفعل بتغييرها معناه إلى الماضي، فصارت كالجاء منه ويُستشهد به أيضاً على حذف المفعول به^(١).

الشاهد الثامن والثمانون بعد المائة^(٢).

(الطويل)

فَكَيْفَ وَكُلٌّ لَيْسَ يَعْدُو جَمَامَهُ وَلَا لِأَمْرِي عَمَّا^(٤) قَضَى اللَّهُ مَزْحَلٌ^(٥) (٦)

البيت ورد في الدلائل من غير نسبة، وهو لإبراهيم^(٧) بن كُتَيْف النبهاني، ونسبه العبيدي لعامر بن الطفيل^(٨) وهو من قصيدة مطلعها:

(١) انظر: الكتاب: ٨٥/١، ١٢٧، ١٣٧، ١٤٦، معاني القرآن للفراء: ١٤٠/١، شرح أبيات

سيبويه للنحاس: ٥٥، معاني القرآن للأخفش: ٢٥٣/١، الخصائص: ٦١/٣،

المحتسب: ٢١١/١، شرح المفصل: ٣٠/٢، مغني اللبيب: ٢٠١/١، ٤٩٨/٢ - ٦١١،

شرح جمل الزجاجي: ٣٥٠/١، شرح شواهد المغني: ٥٤٤/٢، خزانة الأدب: ٣٥٩/١.

(٢) الدلائل، رضا: ٢١٨، خفاجي: ٢٨٨، شاعر: ٢٨١.

(٣) رواية زهر الآداب والتبريزي وشرح المضمون به: «وما لأمرى».

(٤) رواية زهر الآداب: «مِمَّا قَضَى اللَّهُ».

(٥) «مزحل»: مصدر ميمي من «زَحَلَ»، وَالْمَزْحَلُ: الموضع الذي تَزَحَلُ إليه، يقال: إن لي

عنك مَزْحَلًا أي متدحاً. اللسان «زحل»: ٣٠٣/١١.

(٦) انظر البيت في:

زهر الآداب: ١٠٥٩/٤، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٣٧/١، شرح المضمون به على

غير أهله: ٤١، معاهد التنصيص: ٤/٤.

(٧) هذه نسبة الحماسة للتبريزي: ولم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من مصادر غير أن

البُكْرِي ذكر أنه شاعر إسلامي.

(٨) هذه نسبة العبيدي في شرح المضمون به على غير أهله.

تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحُرِّ أَجْمَلُ وَلَيْسَ عَلَى رَبِّ الزَّمَانِ مَعْوَلُ

وبعده:

فَلَوْ كَانَ يُغْنِي أَنْ يُرَى الْمَرْءُ جَارِعاً لِنَازِلَةٍ^(١) أَوْ كَانَ يُغْنِي التَّذَلُّ
لَكَانَ التَّعَزِّيَ عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَنَازِلَةٍ^(٢) بِالْحُرِّ أَوْلَى وَأَجْمَلُ

وبعدها الشاهد وبعده:

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ بِنُعْمَى^(٣) وَبُؤْسَى وَالْحَوَادِثُ تَفَعَّلُ
فَمَا لَيْنَتْ مِنَّا قَنَاءَ صَلِيبَةٍ وَلَا ذَلَّلْتَنَا لِلَّذِي لَيْسَ يَجْمَلُ^(٤)

والشاهد فيه كسابقه حيث قُدِّمَتْ «كُلُّ» على الفعل المنفي، وهي ليست معمولة له، فأفادت عموم النفي، ولعبت دوراً كبيراً في إظهار المعنى فـ«كل» جاءت هنا لتقرر حقيقة ثابتة مجزوماً بوقوعها، وهي أن الموت مقرر على جميع الخلائق، ولا يمكن أن يسلم أحدٌ من الموت، فلو أُخِّرَتْ «كل» لفسد المعنى، وفُهم أن هناك من يتعدَّى الموت ويخلد في الحياة.

قال الشيخ:

«والمعنى على نفي أن يعدو أحدٌ من الناس حِمَامَهُ، بلا شبهة، ولو قلت: «فَكَيْفَ وَلَيْسَ يَعْدُو كُلُّ حِمَامُهُ»، فأخرت «كلًّا» لأفسدت المعنى، وصرت كأنك تقول: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْلَمُ مِنَ الْحِمَامِ وَيَبْقَى خَالِداً لَا يَمُوتُ»^(٥).

= ونسبه الهجري في النوارد لبكر بن النطاح. نقلاً عن الدلائل - تحقيق شاكر -: ٢٨١،

ونسب في زهر الآداب لبعض الأعراب.

(١) رواية الحماسة وشرح المصنون به: «لِحَادِثَةٍ».

(٢) رواية الحماسة وشرح المصنون به: «وَنَائِبَةٍ».

(٣) رواية الحماسة: «بُؤْسَى وَنُعْمَى».

(٤) الأ - في:

زهر الآداب: ١٠٥٩/٤، الحماسة للتبريزي: ١٣٦/١ - ١٣٨، والبيت الثاني والثالث مع

بيت الشاهد في شرح المصنون به على غير أهله (٤١).

(٥) الدلائل، رضا: ٢١٨، خفاجي: ٢٨٨، شاكر: ٢٨٢.

وأنظر إلى دور الاستفهام «فكيف» الذي ساعد في إبراز حقيقة أزرية،
فالبيت السابق للشاهد أظهر أنه لو كان يُغني الإنسان رؤية الناس له وهو جزع أو
كان يغنيه التذلل لكان العزاء عند كل مصيبة هو الدواء الناجع، ثم جاء
بالاستفهام «فكيف» للتعجب واستبعاد حصول المنفعة من ذلك العزاء؛ لأن كل
إنسان مصيره الموت.

(الطويل)

الشاهد التاسع والثمانون بعد المائة^(١):

قول دعبل^(٢):

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي بِسَائِي سِهَامِيهَا رَمْتَنِي وَكُلُّ عِنْدَنَا لَيْسَ بِالمُكْدِي^(٣)
أَبِالجِيدِ أَمْ مَجْرَى الوِشَاحِ^(٤) وَإِنِّي لَأَتُهُمْ^(٥) عَيْنِيهَا مَعَ الفَاحِمِ^(٦) الجَعْدِ^(٧)

(١) الدلائل، رضا: ٢١٨، خفاجي: ٢٨٨، شاکر: ٢٨٢.

(٢) هو دعبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل بن خدّاش بن خالد بن عبد بن
دعبل، شاعر عباسي شيعي، كوفي مشهور، متقدم مطبوع، هجاء خبيث اللسان، لم يسلم
من لسانه أحد من الخلفاء، ولا من وزرائهم، ولا من أولادهم، ولا ذو نباهة أحسن إليه،
أو لم يحسن، ولا أفلت منه أحد، وممن هجاهم من الخلفاء الرشيد، والمأمون،
والمعتصم، والوائق.

ذكر ابن النديم أن شعره نحو ثلثمائة ورقة، وله من الكتب: «طبقات الشعراء»، «كتاب
الواحدة»، عُمر دعبل طويلاً، ومات سنة (٢٤٦ هـ).

انظر ترجمته في:

الشعر والشعراء: ٨٥٣/٢، طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٦٤ - ٢٦٨، الأغاني:

١٢٠/٢٠ - ١٨٤، الفهرست: ٢٢٩، الموشح: ٢٧٠، تاريخ بغداد: ٣٨٢/٨ - ٣٨٥،

سمط اللآلي: ٣٣٣/١.

(٣) المكدي: قليل الخير والعطاء وهو أيضاً الذي يخطيء ولا يصيب، وأصله الذي يحفر ولا
يجد الماء. اللسان «كدا»: ٢١٦/١٥ - ٢١٧، والمعنى: وليس من سهامها ما يخطيء.

(٤) الوشاح: كرسن من جوهر ولؤلؤ منظومان يخالف بينهما عطف أحدهما على الآخر، وشبه
قلادة ينسج من أديم عريض مرصع بالجوهر تصنعه المرأة بين عاتقها وكشحيها. اللسان
«وشح»: ٦٣٢/٢.

(٥) لأتهم: اتهمته أدخلت عليه تهمة. اللسان «وهم»: ٦٤٤/١٢، والمعنى أتهم عينيها =
وأرميها بالتهمة.

والبيتان من قصيدة قالها في العباس بن جعفر بن محمد الأشعث
 الخزاعي^(٦) وهما بيتا غزل، وقبلهما:
 أَمَا فِي ضُرُوفِ الدَّهْرِ أَنْ تَرْجِعَ النَّوَى بِهِمْ وَيُدَالُ الْقُرْبُ يَوْمًا مِنَ الْبُعْدِ
 بَلَى فِي ضُرُوفِ الدَّهْرِ كُلِّ الَّذِي أَرَى وَلَكِنَّمَا أَغْفَلُنَ حَظِّي عَلَى عَمْدٍ^(١)

والشاهد فيه كسابقه، وهو أن «كلا» تقدمت الفعل المنفي، وهي ليست
 معمولة له، فأفادت عموم النفي.

فأبيات الشاهد تصف لنا حالة شاعر قد بلغ به الوجد والتدله مبلغاً أصابه
 بالحيرة، فهو لا يعلم سر غلبة هذا الوجد عليه ليس على وجه الحقيقة، ولكنه
 تجاهل العارف، وفيه من المبالغة والخلابة ما فيه، وأكثر من الاستفهام في
 الأبيات، لحملها كل معاني الحيرة.

- (٦) = الفاحم الجعد: الشعر الأسود المجتمع بعضه إلى بعض بمعنى أنه غير سبط؛ لأن سبوبة
 الشعر هي الغالبة على شعور العجم من الزوم والفرس، وجعودة الشعر هي الغالبة على
 شعور العرب، وهذا من معاني المدح عند العرب. اللسان «جعد»: ١٢٢/٣.
- (٧) لم أجد البيتين فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:
 ديوانه - صنعة عبد الكريم الأشر - ١٢٦، رقم (٧٥)، الورقة: ٣٦ - ٣٧.
- (١) هو صاحب الإيغار الذي يسقي الفرات من عمل كوثي والفُلوجة، أجراه الرشيد كما أجرى
 المنصور يقطن بن موسى، وقاطعه عنه، وكان قد قلّده خراسان، وصير محمدًا الأمين في
 حجره، واستخلفه بمدينة السلام في وقت خروجه عنها، وكان الرشيد لا يقيم بمدينة السلام
 من السنة إلا شهراً أو شهرين، ومنزل جعفر بن محمد بن الأشعث بالباب المحوّل من
 الجانب الغربي، ومعنى الإيغار: يقال: أوغر الملك لرجل أرضاً وأوغره أرضاً جعلها لها من
 غير خراج، وسمى ضمان الخراج إيغاراً، وهي لفظة مولده.
 انظر ترجمته في:
 معجم الشعراء للمرزباني: ٣١١ - ٣١٢، الورقة: ٣٧.
- (٢) الأبيات الأربعة في ديوانه: ١٢٦، رقم (٧٥)، الورقة: ٣٦ - ٣٧.

ومن شدة غلبة الوجد عليه جاء بـ«الفاء» التي طوت أحداث القصة، وجاءت بالجزء المهم فيها رغبة منه في الوقوف على ذلك السر.

وجاء بالقسم، ليؤكد عظيم حيرته في أمره، ثم جاءت «كل» لتعلن استحكام ذلك الهوى في نفسه، فجزمت بأن سهامها جميعها لا تخطيء، فمن تلك السهام جمال الجيد وروعة مجرى الوشاح، إلا أن أصوب السهام مرمى وأشدّها استحكاماً تلك العيون، وذلك الشعر الغزير، ولأنهما السر في حيرته ووجده عبر عنهما بأن ولام التوكيد، وبلطف الاتهام.

الشاهد التسعون بعد المائة^(١):

(البسيط)

«مَا كُلُّ^(٢) مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ»

ذكر الشيخ عبد القاهر صدر البيت دون العجز، ومن غير نسبة، وهو للمتنبي وعجزه:

«تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ»^(٣)

وهو من قصيدة قالها حين بلغه أن قوماً نعوه^(٤) في مجلس سيف الدولة بحلب، وهو بمصر، وفيها يمدح كافور الإخشيدي، ومطلعها:

بِمَ السَّعْلُ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ؟

(١) الدلائل، رضا: ٢٢٠، خفاجي: ٢٨٩، شاکر: ٢٨٤.

(٢) يجوز في «كل» النصب والرفع، النصب على لغة بني تميم، لأن لفظ «ما» عندهم غير عاملة، ونصب «كل» بفعل مضمر فسرّه بقوله: «يدركه» كأنه قال: ما يدرك كل ما يمتنى المرء. والرفع على لغة أهل الحجاز، لأن «ما» عاملة عندهم، فهي كـ«ليس»، ويكون الخبر «يدركه». التبيان «شرح العكبري»: ٢٣٣/٤.

(٣) انظر البيت في: ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٢٣٣/٤، العرف الطيب: ٥٦٦/٤، التمثيل والمحاضرة: ١١٢ - ٢٤١، المغني: ٢٠١/١، الإيضاح: ١٥١/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٢٣ أ، شروح التلخيص: ٤٣٩/١، معاهد التنصيص: ١٤٥/١، الشاهد رقم (٢٤)، القول الجيد: ١٤٥.

(٤) الناعي: هو الذي يأتي بخبر الموت. اللسان «نعا»: ٣٣٤/١٥.

وقبل الشاهد:

يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ كُلُّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ
كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدِمْتُ عِنْدَكُمْ ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَرَزَالَ الْقَبْرِ وَالْكَفَنِ
قَدْ كَانَ شَاهِدَ دَفْنِي قَبْلَ قَوْلِهِمْ جَمَاعَةً ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا^(١)

وبعدها بيت الشاهد.

والشاهد فيه: أن «كل» إذا دخلت في حيز النفي سواء كانت معمولة للفعل بعدها أم لا أفادت نفي العموم، فقول أبي الطيب: «ما كل ما يتمنى المرء يدركه» أي أن الإنسان لا يمكن أن يدرك كل مبتغاه، وإنما يدرك البعض، ويفوته البعض الآخر.

قال العكبري في تفسير البيت:

«أعدائي يتمنون، ولا يدركون ما يتمنون، فالريح تجري، وليس كل ما تجري ترضى بها السفن، وإنما ترضى السفن بالرياح الطيبة، وهذا مثل ضربه، وهو من أحسن الكلام»^(٢).

ولقد عمم الشيخ عبد القاهر قوله في هذا الشاهد والذي يليه - بأن إعمال الفعل في «كل» والفعل منفي لا يصلح أن يكون إلا حيث يراد أن بعضاً كان وبعضاً لم يكن -، ولم يحترز لما قد يخالفه من الكلام البليغ، فاعترض عليه الشيخ سعد الدين التفتازاني، فجاء بآيات من القرآن الكريم لا تحتل المعنى الذي ذهب إليه الشيخ. قال العلامة سعد الدين:

«والحق أن هذا الحكم أكثرى لا كلي بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾^(٣)، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾^(٤)، ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ

(١) ديوانه بشرح العكبري: ٢٣٥/٤، العرف الطيب: ٥٦٦/٤.

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٢٣٦/٤.

(٣) سورة لقمان: الآية ١٨.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٧٦.

حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١﴾ (٢).

فمعنى الآيات لا يستقيم وقاعدة الشيخ حيث يصبح معنى الآية الأولى أن الله لا يكره كُلَّ مختال، وإنما يكره البعض، وكذلك الآية الثانية يكون معناها أن الله لا يكره كُلَّ كفار بل يكره البعض، وعلى هذا تقاس الآية الثالثة، وكل ما ورد في القرآن الكريم والكلام البليغ.

الشاهد الواحد والتسعون بعد المائة (٣):

(البسيط)

«مَا كُلُّ رَأْيٍ الْفَتَى يَدْعُو إِلَى رَشْدٍ» (٤)

ذكر الشيخ صدر البيت دون العجز، ومن غير نسبة (٥).
وعجزه:

«فَإِنْ بَدَا لَكَ رَأْيٌ مُشْكِلٌ فَقِفْ» (٦)

الشاهد فيه كسابقه، وهو أن «كل» إذا دخلت في حيز النفي سواء كانت معمولة للفعل أم لا أفادت نفي العموم، فالشاعر هنا يحذر المرء من الإسراع في اتخاذ القرارات، ويحثه على التروي في الأمور، فليس كل آراء الفتى صائبة، بل له آراء خاطئة أيضاً، فالمرء يصيب ويخطئ.

(١) سورة القلم: الآية ١٠.

(٢) شروح التلخيص: ٤٤١/١ - ٤٤٢.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٢٠، خفاجي: ٢٨٩، شاکر: ٢٨٤.

(٤) انظر صدر البيت في:

المغني: ٢٠٠/١، من غير نسبة، الإيضاح: ١٥١/١ من غير نسبة، شرح أبيات الإيضاح -

النسخة الأزهرية - شاهد رقم (٧٣).

(٥) ذكر محقق الدلائل الأستاذ محمود شاکر أن البيت أخذه النحاة من عبد القاهر، ولا يعرف

تمامه ولا قائله، ونسبه الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي في تحقيق الدلائل والإيضاح لأبي

العتاهية، وقد بحث في ديوانه فلم أجده، ولا أعلم على أي شيء اعتمد في نسبه.

(٦) نقلاً عن تحقيق الدلائل والإيضاح.

و- شواهد المجاز الحكمي

الشاهد الثاني والتسعون بعد المائة^(١): (الطويل)

قول الفرزدق:

سَقَاهَا^(٢) خُرُوقُ^(٣) فِي الْمَسَامِعِ لَمْ تَكُنْ عِلَاطًا^(٤) وَلَا مَخْبُوطَةً^(٥) فِي الْمَلَاغِمِ^(٦)

الشاهد فيه قوله:

«سَقَاهَا خُرُوقُ فِي الْمَسَامِعِ»

- (١) الدلائل، رضا: ٢٧٠، خفاجي: ٢٩٧، شاکر: ٢٩٣.
- (٢) رواية الكامل ورواية الدلائل تحقيق شاکر «أخذاً عن الكامل فيما يبدو»: «سقتها».
- (٣) وروي البيت باللفظ السابق «سقاها» في الدلائل تحقيق رضا، والدلائل تحقيق خفاجي.
- (٤) خروق: الخَرْقُ الفُرجة وجمعه خُرُوق، وَشَاءَ خَرَقَاء: مثقوبة الأذن. اللسان «خرق»: ٧٣/١٠، أساس البلاغة: ١٠٨.
- (٥) عِلَاطًا: العِلَاط: صفحة العُنق من كل شيء وهو سمة في عُرض عنق البعير والناقة وربما كان خطأً واحداً وربما كان خَطَّين، وربما كان خطوطاً في كل جانب. اللسان «علط»: ٣٥٣/٧.
- (٦) مخبوضة: الخِبَاط «بالكسر» سمة تكون في الفخذ طويلة عرضاً، وقيل: هي التي تكون على الوجه فوق الخد. اللسان «خبط»: ٢٨٣/٧.
- (٧) الملاغم: لغام الدابة: لعبها وزبدها، وقيل: زبدها وحده، سمي بالملاغم، وهي ما حول الفم مما يبلغه اللسان ويصل إليه. اللسان «لغم»: ٥٤٥/١٢.
- (٨) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في: الكامل - دار الفكر -: ٥٥/١.

وهو مجاز في الإسناد حيث أسند السقي إلى الخروق والخروق كناية عن الشهرة والذكر الحسن.

فالفرزدق أراد أن يفخر بقومه، وشجاعتهم المتناهية، فذكر أن إبلهم ترد الماء من غير قائد يقودها، أو سِمة تعرف بها سوى خروق في مسامعها أرشدت إلى أصحابها ومن ثم سقيت بسمعة أصحابها وشهرتهم، ولم يستطع أحد منعها. ولقد ذكر الأستاذ خفاجي في تحقيقه للدلائل تفسيراً للبيت يظهر فيه الإخلال بالمعنى الذي قصده الشاعر. قال:

«ذكر إبل قوم من السادة ضلّت فعرف الناس من علاطها أصحابها فسقوها وعُنوا بها»، ووجه الخطأ أن الشاعر نفى أن يكون بها علاط، فكيف سقيت بالعلاط؟.

فجمال المجاز هنا أنه أكد به مكانة قومه، فإذا كان مجرد ذكرهم قد أورد إبلهم الماء ولم يجرؤ أحد على منعها فكيف إذا كانوا هم معها؟. وفي البيت مجاز آخر، ولكنه مجاز في اللفظ وهو قوله: «علاط» فالعلاط في الأصل صفحة العنق وأراد به هنا السمة والعلامة فهو من إطلاق المحل وإرادة الحال.

قال الشيخ عبد القاهر:

«أنت ترى مجازاً في هذا كله ولكن لا في ذوات الكلم وأنفس الألفاظ ولكن في أحكام أجريت عليها...»

وهكذا الحكم في قوله: «سقاها خروق» ليس التجوز في نفس «سقاها» ولكن في أن أسندها إلى الخروق^(١).

ويبدو أن الشيخ عبد القاهر قد تفرد بالاستشهاد بهذا البيت في باب المجاز الحكمي فلم تذكره كتب البلاغة المتأخرة عنه، وقد بحثت في الكتب التي سبقت

(١) الدلائل، رضا: ٢٢٧ - ٢٢٨، خفاجي: ٢٩٧، شاکر: ٢٩٤.

الشيخ - بحسب المراجع المتوفرة لدي - فلم أجده إلا عند المبرد الذي أتى به لتوضيح معنى كلمة «الملاغم» وأن المراد بها العوارض، فلم يصرح بمصطلح المجاز وإنما فهم من شرحه أن في البيت مجازاً قال:

«يقول علم أرباب الماء لمن هي؟ فسقاها ما سمعوه من ذكر أصحابها لعزهم، ومنعتهم، ولم تحتج أن تكون بها سمة، والعلاط: وسم في العنق والخباط في الوجه»^(١).

ويبدو لي أن كلام المبرد دقيق، فقد نظر إلى مرحلتين:

١ - أن الناس عرفوا أصحابها بسبب الخروج.

٢ - أنهم سقوها لعة أصحابها.

فالأساس هي «الخروق» ولذلك نسب الفعل إليها مجازاً، وهذا أدق من قولنا أن سبب سقيها أساساً عزة أصحابها وشهرتهم. الشاهد الثالث والتسعون بعد المائة^(٢):

(الرجز)

«فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى^(٣) هَمِّي^(٤)»

ذكره الشيخ من غير نسبة، وهو لرؤية بن العجاج^(٥) يمدح الحارث بن سليم

(١) الكامل - دار الفكر -: ٥٥/١.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٢٩، خفاجي: ٢٩٩، شاکر: ٢٩٦.

(٣) رواية المقتضب: «وتَقَضَّى هَمِّي».

(٤) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

ديوان رؤية: ١٤٢، القطعة (٥٣)، مجاز القرآن: ٢٧٩/١، الكامل - مكتبة المعارف -:

٧٩/١، «غير منسوب»، المقتضب: ١٠٥/٣، «غير منسوب»، المحتسب: ١٨٤/٢،

خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي -: ٤٦٦/١، الإيضاح: ١٠٣/١، شرح أبيات الإيضاح -

فيض الله -: ٧ أ.

(٥) هو رؤية بن عبد الله العجاج بن رؤية التميمي السعدي، أبو الحجاج أو أبو محمد، راجز من

الفضحاء المشهورين من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية كان أكثر مقامه في البصرة،

من آل عمرو^(١) ومطلعها:

يَا أُمَّ حَوْرَانَ اكْتُمِي أَوْ نُمِّي

وقبل الشاهد:

حَارِثُ^(٢) قَدْ فَرَّجَتْ عَنِّي غَمِّي

وبعده الشاهد وبعده:

وَقَدْ تَجَلَّى كُرْبُ الْمُحْتَمِّ^(٣)

نِعَمَ عَمِيدُ الْقَوْمِ وَأَبْنُ الْعَمِّ

يَوْمًا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْأُسْطُمِ^(٤)

الشاهد قوله: «فنام ليلي».

استشهد به في بيان أسرار جمال المجاز الحكمي، وأن من شأنه أن يفخم به المعنى وتحدث فيه النباهة. قال الشيخ:

«واعلم أن الذي ذكرت لك في المجاز هناك من أن من شأنه أن يَفُخَّمَ عليه المعنى وتحدث فيه النباهة قائم لك مثله ههنا فليس يشتهه على عاقل أن ليس حال المعنى وموقعه في قوله: فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى هَمِّي، كحاله وموقعه إذا أنت تركت المجاز وقلت: «فَنُمْتُ فِي لَيْلِي وَتَجَلَّى هَمِّي»^(٥).

= أخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره، ويقولون بإمامته في اللغة، مات في البادية وقد أسن (١٠٠ - ١٤٥ هـ).

انظر ترجمته في:

الشعر والشعراء: ٥٩٨/٢ - ٦٠٥، المؤلف والمختلف: ١٢١، لسان الميزان: ٤٦٤/٢،

وفيات الأعيان: ٣٠٣/٢ - ٣٠٥، خزائن البغدادي - دار صادر: ٤٣/١، الأعلام: ٣٤/٣.

(١) لم أقف على ترجمته بعد.

(٢) رواية شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -: «يا رب قد فَرَّجَتْ عَنِّي غَمِّي»، وفي شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - ذكر أن أول الأبيات: قَدْ كُنْتُ ذَا هَمٍّ وَرَاعِي نَجْمٍ.

(٣) الْمُحْتَمِّ: الحتم: القضاء، وَالْحَتْمُ إحكام الأمر. اللسان «حتم»: ١١٣/١٢.

(٤) الْأُسْطُمُ: مجتمع البحر، وَأُسْطُمَةٌ كل شيء: معظمه. اللسان «سطم»: ٢٨٧/١٢.

(٥) الدلائل، رضا: ٢٢٨، خفاجي: ٢٩٨، شاکر: ٢٩٤.

ولعل سر الجمال في قوله: «فَنَامَ لَيْلِي» أَنَّ الشاعر أراد أن يجعل ممدوحه في الدرجة العالية من الكرم وحُسن الخُلُق، فذكر أن ممدوحه أزال عنه غَمَّهُ إِزَالَةً نَامَ معها مرتاح النفس هادئ البال، وعَبَّرَ عن هذا الارتياح بِإِسْنَادِ النَّوْمِ إِلَى اللَّيْلِ لِيَدُلَّ عَلَى عُمُومِ الْهُدُوءِ، واستغراقه كل كائن حي.

الشاهد الرابع والتسعون بعد المائة^(١): (الكامل)

بيت الفرزدق:

يَحْمِي إِذَا اخْتَرِطَ^(٢) السُّيُوفُ نِسَاءَنَا ضَرْبُ تَطِيرُ^(٣) لَهُ السَّوَاعِدُ أَرْغُلُ^(٤) (٥)

والشاهد من نقيضة للفرزدق قالها في هجاء جرير.

قال أبو عبيدة:

«فلم يزل الفرزدق وجرير يتهاجيان حتى هلك الفرزدق». ومطلع القصيدة:
إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

وبعده^(٦) أبيات قبل الشاهد:

أَيُّنَ الَّذِينَ بِهِمْ تُسَامِي دَارِمًا أُمُّ مَنْ إِلَى سَلَفِي طَهِيَّةٌ^(٧) تَجْعَلُ

(١) الدلائل، رضا: ٢٢٨، خفاجي: ٢٩٨، شاکر: ٢٩٥.

(٢) اخْتَرِطَ: سُلَّ من غمده. اللسان «خرط»: ٢٨٥/٧.

(٣) رواية الديوان والنقائض: «ضَرْبُ تَخِرُ».

(٤) أَرْغُل: الرَّعْلُ: شدة الطَّعْنِ والإِرْعَالِ سرعته وشدته، وأيضاً يقال: لكل شيء مُتَدَلٍّ مُسْتَرْخٍ.

أَرْغُلُ. اللسان «رعل»: ٢٨٦/١١ - ٢٨٨، فأراد أَنَّ سواعدهم مسترخية متدلية من شدة

الضرب. النقائض: ١٨٤/١.

(٥) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

ديوان الفرزدق: ١٥٥/٢، نقائض جرير والفرزدق: ١٨٤/١، رقم القصيدة (٣٩).

(٦) في النقائض بعد مطلع القصيدة ستة أبيات، تسبق البيت المذكور فاليبت المذكور هناك بعد

مطلع القصيدة:

بَيْتاً بَنَاهُ لَنَا الْمَلِيكُ وَمَا بَنَى حَكَمُ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لَا يُنْقَلُ

(٧) طَهِيَّةٌ: بنت عبد شمس بن سعد بن زَيْد مَنَاءُ بن تميم كانت عند مالك بن حنظلة بن مالك بن =

يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْحَدِيدِ كَمَا مَشَتْ جُرْبُ الْجَمَالِ بِهَا الْكُحَيْلُ^(١) الْمَشْعَلُ
وَالْمَانِعُونَ إِذَا النِّسَاءُ تَرَادَفَتْ^(٢) حَذَرَ السِّبَاءِ جَمَالُهَا^(٣) لَا تُرْحَلُ

وبعدها بيت الشاهد وبعده:

وَمُعَصَّبٍ بِالتَّاجِ يَخْفِقُ فَوْقَهُ^(٤) خِرَقُ^(٥) الْمُلُوكِ لَهُ خَمِيسٌ جَحْفَلُ

الشاهد قوله: (يحمي . . . ضرب).

استشهد به أيضاً على بيان بلاغة المجاز الحكمي وحسنه ورونقه قال:

«وإن أردت أن تزداد للأمر تبييناً فأنظر إلى بيت الفرزدق . . . وإلى رونقه ومائه وإلى ما عليه من الطلاوة، ثم أرجع إلى الذي هو الحقيقة وقل: نحمي إذا اخترط السيوف نساءنا بضرب تطير له السواعد أرعل، ثم أسبر حالك هل ترى مما كنت تراه شيئاً؟»^(٦).

قال أيضاً:

«وهذا الضرب من المجاز على حدته كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المفلق، والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والاتساع في طرق البيان، وأن يجيء بالكلام مطبوعاً مصنوعاً، وأن يضعه بعيد المرام قريباً من الأفهام»^(٧).

= زيد، فولدت له أبا سويد وعوفاً، وحُشَيْشاً فَقَلَبَتْ عَلَى بَنِيهَا «فَنَسَبُوا إِلَيْهَا». النقائض: ١٨٣/١.

(١) الْكُحَيْلُ: مَبْنِي عَلَى التَّصْغِيرِ الَّذِي تَطْلَى بِهِ الْإِبِلُ الْجُرْبُ، وَقِيلَ: هُوَ النَّفْطُ وَالْقَطِرَانُ، وَقِيلَ: هُوَ الْقَطِرَانُ فَقَط. اللسان «كحل»: ٥٨٦/١١.

(٢) تَرَادَفَتْ: وَيُرْوَى تَرُدَّدَتْ، وَتَرَادَفَتْ رَكِبَ بَعْضُهُنْ خَلْفَ بَعْضٍ. النقائض: ١٨٤/١.

(٣) وَيُرْوَى جَمَالُهَا، وَالرَّفْعُ هُنَاكَ بِقَوْلِهِ: لَا تُرْحَلُ. النقائض: ١٨٤/١.

(٤) وَيُرْوَى حَوْلَهُ. انظر: النقائض: ١٨٤/١.

(٥) خِرَقُ: الْمَقْصُودُ بِهَا هُنَا الرَّايات. النقائض: ١٨٤/١.

(٦) الدلائل، رضا: ٢٢٨، خفاجي: ٢٩٨، شاکر: ٢٩٥.

(٧) الدلائل، رضا: ٢٢٨، خفاجي: ٢٩٨، شاکر: ٢٩٥.

ولعل الحسن والرواق يظهر في أن الفرزدق أراد أن يفخر بقومه فخراً يطير إلى الأسماع، فلجأ إلى المجاز الحكمي؛ لأن في إسناد الحماية إلى الضرب إشارة إلى شدة الضرب وتميزه واستقلاله ونهوضه بالذود والحماية، وفي ذلك تأكيد وجزم لقدرة قومه على حماية جميع الحرمات؛ لأنه إن كان ضربهم قادراً على الحماية فهم عليها أقدر؛ لأنه إذا صح أن يقع الفعل من الفرع فإن حدوثه من الأصل أكد^(١).

وَحَصَّ النِّسَاءُ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْحَرَمَاتِ لِأَنَّهُنَّ أَشْرَفَ الْحَرَمَاتِ وَأَجْدَرُهَا بِالْحِمَايَةِ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْفِعْلِ (يَحْمِي) وَالْفَاعِلِ (ضَرَبَ) بِجُمْلَةِ الشَّرْطِ (إِذَا اخْتَرَطَ) لِيُبَيِّنَ حَرَجَ الْمَوْقِفِ وَشِدَّتِهِ وَصُعُوبَتِهِ عَلَى كُلِّ النَّفُوسِ إِلَّا أَفْرَادَ قَبِيلَتِهِ، وَأَوْقَعَ جُمْلَةَ الشَّرْطِ بِإِذَا دُونَ (إِنْ) لِيُزِيدَ مِنْ صُورَةِ الْإِحْتِدَامِ وَشِدَّةِ حَرَكَتِهِ وَيَجْزِمُ بِوُقُوعِهِ وَكَذَلِكَ بَنَى الْفِعْلَ (اخْتَرَطَ) لِلْمَجْهُولِ لِيُبَيِّنَ السَّرْعَةَ الرَّهِيْبَةَ فِي سَلِّ السِّيفِ حَتَّى كَانَهَا مِنْ شِدَّةِ سُرْعَتِهَا تُسَلِّ وَحْدَهَا مِنْ غَيْرِ فَاعِلٍ.

«وكلمة «أخترط» لها مغزى جليل؛ لأنها تعني اجتذاب السيوف وسلها بشدة واندفاع وتهور، فاللحظات لحظات موت خاطف سريع.. والكلمة تبعث في شطر البيت حركة مفاجئة وفارحة تناسب شعور الفخر الهائج، وتتلاقى مع الحركة الطائشة المتناثرة في شطر البيت الثاني «تطير له السواعد»^(٢).
الشاهد الخامس والتسعون بعد المائة^(٣):
(الطويل)

وَسَالَتْ بِأَغْنَاكِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ^(٤)

ذكره من غير نسبة.

استشهد به الشيخ للتنظير على أن من المجاز الحكمي ما يكون خاصياً.

(١) انظر: خصائص التراكيب: ٨٥.

(٢) خصائص التراكيب: ٨٤.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٢٨، خفاجي: ٢٩٨، شاکر: ٢٩٦.

(٤) سلف تخريجه في فصل: «الاستعارة»: ١٥٤.

وما يكون عامياً، مثله في ذلك مثل الاستعارة، والتمثيل منه ما يكون عامياً ومنه ما يكون خاصياً كبيت الشاهد.

قال الشيخ:

«... فكما أن من الاستعارة والتمثيل عامياً مثل: رأيت أسداً، ووردت بحراً، وشاهد بدرأ، وَسَلَّ مِنْ رَأْيِهِ سِيفاً، وخاصياً لا يكمل له كل أحد مثل قوله: وَسَأَلْتُ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ، كذلك الأمر في هذا المجاز الحكمي»^(١).
الشاهد السادس والتسعون بعد المائة^(٢):

(الوافر)

وَصَيَّرَنِي هَوَاكِ وَيِي لِحَيِّزِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ^(٣)

الشاهد في قوله: «وَصَيَّرَنِي هَوَاكِ».

استشهد به الشيخ على أنه ليس من الضروري أن يكون للفعل فاعل في التقدير، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَتَأْتِي فِي كُلِّ شَيْءٍ، فالفعل «صَيَّرَنِي» لا يمكن أن نزع أن له فاعلاً قد نقل عنه الفعل.

قال الشيخ:

«واعلم أنه ليس بواجب في هذا أن يكون للفعل فاعل في التقدير إذا أنت نقلت الفعل إليه عدت به إلى الحقيقة مثل أنك تقول في «رَبِحْتُ تِجَارَتُهُمْ» رَبِحُوا فِي تِجَارَتِهِمْ... وكذلك لا تستطيع... أن تزعم أَنَّ لِحَيِّزِي فَاعِلاً قَدْ نُقِلَ عَنْهُ الْفِعْلُ فَجَعَلَ لِلْهَوَى كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي «رَبِحْتُ تِجَارَتُهُمْ»»^(٤).

(١) الدلائل، رضا: ٢٢٩، خفاجي: ٩٩، شاکر: ٢٩٦.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٢٩، خفاجي: ٣٠٠، شاکر: ٢٩٦.

(٣) سبق تخريجه: ٢٧٠.

وهو لابن البواب ولغيره.

وأنظره كذلك في: نهاية الإيجاز: ٥٢.

(٤) الدلائل، رضا: ٢٢٩ - ٢٣٠، خفاجي: ٢٩٩، شاکر: ٢٩٦.

(الوافر)

الشاهد السابع والتسعون بعد المائة^(١):

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا^(٢)
ذكره الشيخ من غير نسبة، وهو لأبي نواس^(٣) من قصيدة مذكورة في باب
الهجاء. وذكره ابن رشيق في باب النسيب.

وذكر صاحب معاهد التنصيص أن البيت من قصيدة من الوافر يهجو فيها
الأعراب والأعرابيات ويذم عيشتهم، وتعشقهم النساء دون الغلمان^(٤).
ومطلع القصيدة:

دَعِ الرَّسْمَ الَّذِي دَثَرَا يُقَاسِي الرِّيحَ وَالْمَطَرَا

وقبل بيت الشاهد:

لَوْ أَنَّ مَرْقَشًا^(٥) حَيٌّ تَعَلَّقَ قَلْبَهُ ذِكْرًا
كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَعَتْ مِنْ أَزْوَارِهِ قَمَرًا

(١) الدلائل، رضا: ٢٢٩، خفاجي: ٣٠٠، شاکر: ٢٩٦.

(٢) ديوانه: ٥٥٩، رسائل الجاحظ «التربيع والتدوير»: ٨٥/٣، - من غير نسبة، الوساطة: ٣٩٣، ديوان المعاني: ٢٣١، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٥٢٥/٢ - من غير نسبة، - العمدة: ١٢١/٢، محاضرات الأدباء: ٢٩٥/٢، الإيضاح: ١٠٧/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٨، المطول: ٦٤، شروح التلخيص: ٢٦٠/١، عقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر: ١٢ ب، معاهد التنصيص: ٧٨/١، الشاهد (١٤)، القول الجيد: ٨١ - ٨٢.

(٣) ذكر صاحب عقود الدرر أن هناك من نسب لابن المعذل وأشار هذا القائل أن أبا نواس هو ابن المعذل فلا اختلاف ورد عليه صاحب عقود الدرر بقوله: «لو سكت هذا القائل لكان خيراً له فإن ابن المعذل اسمه عبد الصمد وهو شاعر مشهور، وأبو نواس كذلك، ولا يرتاب في اختلافهما من له أدنى اطلاع على أحوال الشعر». عقود الدرر: ١٢ ب، ١٣ أ.

(٤) معاهد التنصيص: ٧٨/١.

(٥) المرقش الأكبر، والمرقش الأصغر، والأصغر أشعرهما وأطولهما عمراً وقد عشق الأكبر ابنة عمه «أسماء» وقد تزوجت غيره، وعشق الأصغر فاطمة بنت المنذر. الشعر والشعراء: ٢١٦/١ - ٢٢٠.

وَمَرُّ يُرِيدُ دِيَوَانَ الـ خَرَّاجٌ مُضْمَخًا عَطِرًا
بِوَجْهِ سَابِرٍ لَوْ تَصَوَّبَ مَأْوُهُ قَطَرًا
وَقَدْ خَطَّتْ حَوَاضَتُهُ لَهُ مِنْ عُنْبَرٍ طُرًّا^(١)
بِعَيْنٍ خَالِطَ التُّفَةِ رُفِي أَجْفَانِهَا الْحَوْرَا
يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

وبعده:

لَأَيَقْنَ أَنَّ حُبَّ الْمُرِّ دِ يُلْفَى سَهْلُهُ وَعَرَا
وَلَا سِيَمَا وَبَعْضُهُمْ إِذَا حَيَّتَهُ أَنْتَهَرَا^(٢)

وموضع الشاهد قوله: «يَزِيدُكَ وَجْهُهُ».

والشاهد فيه كسابقه.

قال الشيخ:

«... ولا تستطيع كذلك أن تقدر ليزيد في قوله: يزيدك وجهه فاعلاً غير الوجه، فالاعتبار إذن بأن يكون المعنى الذي يرجع إليه الفعل موجوداً في الكلام على حقيقته معنى ذلك أن القدوم في قولك: أقدمني بلدك حق لي على إنسان موجود على الحقيقة، وكذلك الصيرورة في قوله: وصيرني هَؤَاك، والزيادة في قوله: يزيدك وجهه موجودتان على الحقيقة، وإذا كان معنى اللفظ موجوداً على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه، وإذا لم يكن المجاز في نفس اللفظ كان لا محالة في الحكم، فأعرف هذه الجملة وأحسن ضبطها حتى تكون على بصيرة من الأمر»^(٣).

(١) ورواية الديوان: «لو أن مرقش».

الطُّور: جمع طرة وهي الناصية، وطرة الجارية أن يُقطع لها في مُقَدِّم ناصيتها كالْعَلَم أو كالطُّرة تحت التاج. اللسان «طور»: ٥٠٠/٤.

(٢) الديوان: ٥٥٩.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٣٠، خفاجي: ٣٠٠، خفاجي: ٢٩٧.

يقول الشاعر: أنه كلما ازداد الناظر تأملاً في وجه هذا الغلام ازداد حسناً وإعجاباً، فالتأمل لا يمل النظر إليه مع التكرار، وهذا خلاف المعهود في الأشياء التي كلما كرر إليها النظر نقص حسنها، وأسند الزيادة إلى الوجه، وهو ليس الفاعل في زيادة الحسن وإنما هو سبب هذه الزيادة؛ لأن في هذا الإسناد إظهاراً لروعة ذلك الوجه ومنتهى حسنه.

وزاد من جمال التعبير مجيء إذا الشرطية التي جزمت بوقوع الحسن في نفس الناظر وتجدد وتكرار النظر منه.

ولقد اعترض الفخر الرازي على الشيخ عبد القاهر في مسألة عدم وجوب تقدير الفاعل ورأى أنه لا بد لكل فعل من فاعل حقيقي يسند إليه الفعل، قال بعد أن عرض كلام الشيخ:

«... وفيه نظر، وذلك لأن الفعل يستحيل وجوده إلا من الفاعل فالفعل المسند إلى شيء إما أن يسند إلى ما هو مستند في ذاته إليه فيكون الإسناد حقيقياً وإذا لم يسند إلى ذلك الشيء فلا بد من شيء آخر يكون هو مستنداً لذاته إليه وإلا لزم حصول الفعل لا عن الفاعل وهو محال»^(١).

وتبع الخطيب القزويني الإمام الفخر الرازي فيما ذهب إليه فقال:

«وأعلم أن الفعل المبني للفاعل في المجاز العقلي واجب أن يكون له فاعل في التقدير إذا أسند إليه صار الإسناد حقيقة»^(٢).

وقد اعترض السكاكي على الشيخ من جهة أخرى وهو أن المجاز فرع الحقيقة وكل فرع لا بد له من أصل قال:

«ولا يخلجن في ذهنك بعد أن اتضح لك كون المجاز فرع أصل تحقق مجازاً أي كان بدون حقيقة يكون متعدياً عنها لامتناع تحقق فرع من غير أصل فلا

(١) نهاية الإيجاز: ٥٢.

(٢) الإيضاح: ١٠٦/١.

يجوز في نحو سَرَّتْني رؤيتك، ونحو أقدمني بلدك حق لي على فلان ونحوه:
وَصَيَّرَنِي هَوَاكِ وَبِي لِحَيْنِي يُضْرَبُ الْمَثْلُ

ونحوه:

يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

أن لا يكون لكل من هذه الأفعال فاعل في التقدير إذا أنت أسندت الفعل إليه وجدت الحكم واقعاً في مكانه الأصلي عند العقل، ولكن حكم العقل منها فأياً شيء ارتضى بصحة استنادها فهو ذاك...»^(١).

والظاهر أن الشيخ عبد القاهر لم يعترض على وجود الفاعل، وإنما أراد أن يبين أن هناك أساليب في العربية جرت بها الألسنة من غير تقدير فاعل حقيقي لها، وقد رد ابن يعقوب على من اعترض على الشيخ عبد القاهر فقال:

«... وقد تبع^(٢) في هذا الرد الفخر الرازي حيث قال كل فعل لا بد له من فاعل لاستحالة صدوره بلا فاعل فإن كان ذلك الفاعل هو ما أسند إليه الفعل فلا مجاز وإلا فيمكن تقديره فاعتقد المصنف صحة هذا الكلام فقدر الفاعل في المثالين^(٣) (الله تعالى)؛ لأنه الفاعل الحقيقي وهذا الرد يتجه إن كان مراد الشيخ أَنَّ ثَمَّ أفعالاً لا يتصف بها شيء على وجه الحقيقة ولا يمكن فرض موصوف لها أصلاً وليس ذلك مراده بل المراد أن نحو سَرَّتْني رؤيتك وأقدمني بلدك حق لي على فلان ويزيدك وجهه حسناً لا يقصد في الاستعمال العرفي فيها فاعل الإقدام ولا فاعل السرور المتعدي، ولا فاعل الزيادة المتعدية، ولذلك لم يوجد في ذلك الاستعمال إسنادها لما يحق أن يتصف بها؛ لأنها لكونها اعتبارية ألغى عرفاً استعمالها لموصوفها الذي تعتبر به، وَلَوْ صَحَّ أَنَّ لها موصوفاً؛ لأن الغرض من ذلك التركيب ما وجد خارجاً من القدوم والسرور اللازمين والزيادة اللازمة فصار

(١) المفتاح: ١٦٨.

(٢) الضمير يعود إلى الخطيب القزويني.

(٣) يريد بالمثالين قوله: «سَرَّتْني رؤيتك» «يزيدك وجهه حسناً».

هذا التركيب في إسناده كالمجاز الذي لم تستعمل له حقيقة ولم يرد الشيخ أن هذه الأفعال الاعتبارية لا موصوف لها في نفس الأمر يكون الإسناد إليه حقيقة بل المراد أنه لم يستعمل لعدم تعلق الغرض به ولهذا كان ما ذهب إليه المصنف تكلفاً وتطلباً لما لا يقصد في الاستعمال ولا يتعلق به الغرض في التراكيب، وهذا إن سلم اندفع به الرد على الشيخ، وإلا فالرد وارد فلي تأمل»^(١).

ورأى الجاحظ أن معنى بيت الشاهد مسروق من كتبه في وصف أحمد بن عبد الوهاب ومدحه في رسالة «التربيع والتدوير» قال:

«... وكيف لا تكون كذلك، وأنت الغاية في كل فضل، والمثل في كل شكل، وأما قول الشاعر:

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

وقول الدمشقيين: ما تأملنا قط تأليف مسجدا، وتركيب محرابنا وقبة مُصَلَّانا إِلَّا أثار لنا التأمل، واستخرج لنا التفرس، غرائب حسن لم نعرفها، وعجائب صنعة لم نَفَقْ عليها، وما نذري أجواهر مقطعاته أكرم في الجواهر، أم تنضيد أجزائه في تنضيد الأجزاء، فإن ذلك معنى مسروق مني في وصفك، وماخوذ من كتبي في مدحك»^(٢).

وذكر القاضي الجرجاني^(٣) أن من سرقات المتنبي قوله:
وهو المضاغف حسنه إن كررا^(٤)

فقد أخذه من قول أبي نواس:

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

(١) شروح التلخيص، مواهب الفتاح: ٢٦١/١ - ٢٦٣.

(٢) رسائل الجاحظ: ٨٥/٣.

(٣) الوساطة: ٣٩٣.

(٤) وهو عجز بيت صدره:

فَهُوَ الْمُشَيِّعُ بِالْمَسَامِعِ إِنْ مَضَى

انظر: البيان: ١٦٧/٢.

وكذلك ذكر العكبري في التبيان^(١).

ورأى أبو هلال العسكري أن البيت من أبلغ ما قيل في حسن الوجه؛ لأنه ذكر ما يخالف المعهود، فذكر أن حسنه يزداد على تكرار النظر، والمعهود في كل شيء نقصانه على كثرة التأمل.

وقريب منه قول كشاجم^(٢):

بَيْضَاءُ يَحْضُرُ طَيْبُ الْعَيْشِ مَا حَضَرَتْ وَإِنْ نَأَتْ عَنْكَ غَابَ اللَّهُ وَالْفَرَحُ
كُلُّ اللَّبَاسِ عَلَيْهَا مَعْرُضٌ حَسَنٌ وَكُلُّ مَا تَتَغَنَّى فَهُوَ مُقْتَرَحُ

والمعارضة تتخير للجواري على حسب ألوانهن، فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر والأسود والأزرق، والسوداء في الأصفر، فذكر أن هذه تحسن في كل معرض فهو غاية.

وقريب من المعنى الأول قول كشاجم أيضاً:

مُنْعَمَةٌ يُقَرَّبُهَا هَوَاهَا وَإِنْ نَزَحَتْ بِمَنْزِلِهَا الْبِلَادُ
يُعَادُ حَدِيثُهَا فَيَزِيدُ حُسْنًا وَقَدْ يُسْتَقْبَحُ الشَّيْءُ الْمُعَادُ^(٣)

(١) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(٢) هو محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك الكاتب المعروف بكشاجم (٣٦٠ - ٤٠٠ هـ) وهو من أهل الرملة من نواحي فلسطين، كان رئيساً في الكتابة، ومقهماً في الفصاحة والخطابة، لُقِّبَ نفسه بكشاجم فُسِّلَ عن ذلك فقال: الكاف من كاتب، والشين من شاعر، والألف من أديب، والجيم من جواد، والميم من منجم، وكان طَبَّاحُ سيف الدولة، شعره أُنِيقَ، له كتب عدة منها: «المصايد والمطاردة» فيه كل لفظ ضائع ومعنى شارد، ومنها: «أدب النديم»، وذكر أنه انفرد بتصنيفه على التصانيف في المدام واحداً بعد واحد. انظر ترجمته:

الفهرست لابن النديم: ٢٠٠، شذرات الذهب: ٣٧/٣ - ٣٨، الأعلام: ١٦٧/٧ - ١٦٨.

(٣) ديوانه: ٤٩ وانظر كذلك: ديوان المعاني: ٢٣١.

قول حاجز بن عوف^(٢):

أَبِي عَبْرٍ^(٣) الْفَوَارِسَ يَوْمَ دَاجٍ وَعَمِّي مَالِكُ^(٤) وَضَعَ السَّهَامَا^(٥)
فَلَوْ صَاحَبْتِنَا لَرَضِيَتْ عَنَّا^(٦) إِذَا لَمْ تَغْبِقْ^(٧) الْمِائَةَ الْعُلَامَا^(٨)

- (١) الدلائل، رضا: ٢٣٠ - ٢٣١، خفاجي: ٣٠١، شاکر: ٢٩٧.
- (٢) هو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخثم بن عبدالله بن ذهل بن مالك بن سلامان... وهو حليف لبني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، وهو شاعر جاهلي مقل، ليس من مشهوري الشعراء، وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب، وممن كان يعدو على رجله عدواً يسبق به الخيل.
- انظر ترجمته في:
- الاشتقاق: ٥١٤، الأغاني: ٢٠٩/١٣ - ٢١٧، الأعلام: ١٥٣/٢.
- (٣) رواية الأغاني: «أبي ربيع الفوارس يوم داج» أي أخذ ربيع الغنائم. وأما رواية «عبر الفوارس» بمعنى استدل لهم وذلك لأن أباه قال لأصحابه حين أغار على بني هلال: «انزلوا حتى أعتبر لكم». نقلاً عن الدلائل تحقيق شاکر: ٢٩٧.
- انظر: الأغاني: ٢١٠/١٣.
- (٤) هو مالك بن ذهل بن مالك بن سلامان وهو عم أبي حاجز.
- (٥) وضع السهاما: يعني بقوله: وضع السهام، أن الحارث بن عبدالله بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صعقب بن دحمان بن نصر بن زهران، كان يأخذ من جميع الأزدي إذا غنموا الربيع؛ لأن الرياسة في الأزدي كانت لقومه، وكان يقال لهم: «الغطاريف» وهم أسكنوا الأسد بلد السراة، وكانوا يأخذون للمقتول منهم ديتين ويعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم، فغزتهم بنو فقيم بن عدي بن الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فظفرت بهم، فاستغاثوا ببني سلامان فأغاثوهم، حتى هزموا بني فقيم، وأخذوا منهم الغنائم وسلبوهم فأراد الحارث أن يحصل على الربيع كما كان يفعل، فمنعه مالك بن سلامان وهو عم أبي حاجز وقال: «هيات، ترك الربيع غدوة» فأرسلها مثلاً وهو في معنى المثل المشهور. «الصيف ضعيث اللبن». الأغاني: ٢١١/٣.
- (٦) رواية الأغاني: «لرضيت منا» وكذلك في الدلائل تحقيق شاکر: ٢٩٧.
- (٧) تغبق: الغبوق الشرب بالعشي. اللسان «غبق».
- (٨) الأغاني: ٢١١/١٣.

والشاهد من قصيدة قالها حاجز بن عوف حين أغار أبوه عوف بن الحارث على بني هلال بن عامر بن صعصعة في يوم داجٍ مظلم، فقال لأصحابه: انزلوا حتى أعتبر لكم، فانطلق حتى أتى جماعة من بني هلال، وقد عصب على فرسه عصابةً ليطلع^(١) فيطعموا فيه، فلما أشرف عليهم استرابوا به، فركبوا في طلبه، وانهزم من بين أيديهم، وطمعوا فيه، فهجم عليهم هو وأصحابه من بني سلامان، فأصيب بنو هلال وملا القوم أيديهم من الغنائم فقال حاجز بن عوف قصيدته التي مطلعها:

صَبَّاحِكَ وَأَسْلَمِي عَنَّا أَمَامَا تَحِيَّةَ وَامِقٍ وَعِمِي ظَلَامَا

وقبل الشاهد:

سَلِي عَنِّي إِذَا اغْبَرَّتْ جَمَادِي^(٢) وَكَانَ طَعَامُ ضَيْفِهِمُ الثَّمَامَا^(٣)
أَلْسَنَا عَصْمَةَ الْأَضْيَافِ حَتَّى يُضْحَى مَالَهُمْ^(٤) نَفْلًا تَوَامَا^(٥)

والشاهد قوله:

«إِذَا لَمْ تَغْبُتِ الْمَاءَ الْغُلَامَا»

حيث أسند الغبوق إلى الإبل إسناداً مجازياً، فالغابق في الحقيقة ليست الإبل إنما هم القوم يغبقون من لبن الإبل.

فالشاعر هنا يفتخر بشجاعة قومه، فأبوه هو الذي يقود الفوارس ويوجهها؛ لأنه خبير بالعدو ومكانه.

(١) الظَّلَع: الظلع كالغمز، ظَلَعَ الرجلُ والدابة في مشيه يَظْلَعُ ظَلْعًا: عَرَجَ وَغَمَزَ في مشيه. اللسان «ظلع»: ٢٤٣/٨.

(٢) اغبرت جمادي: قل الخير وذلك في الشتاء، والقول كناية.

(٣) الثمام: نبت معروف في البادية وهو نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص، وربما حشي به، وسد به خصاص البيوت. اللسان «ثمم»: ٧٩/١٢ - ٨١.

(٤) ضحى ماله: كناية عن رعاية الإبل في وقت الضحى، ضحيت الإبل عن الورد وعشبتها. اللسان: ٤٧٥/١٤ - ٤٧٦.

(٥) انظر القصة والأبيات في: ٢١٠/١٣ - ٢١١.

وحدد وقت خبرته «باليوم الدَّاج المظلم» وجاء به نكرة مضافة إلى نكرة للتخصيص؛ لأن معرفة مواقع العدو في الوقت الشديد الظلمة لا يستطيع أن يَخْبُرَهَا كل أحد، ثم افتخر بشجاعة عمه الذي حَدَّ من ظلم الحارث بن يشكر الذي كان يأخذ اغتصاباً من جميع الأزد الرُّبع إذا غنموا، ثم ربط بين صورة شجاعة قومه، وصورة كرمهم بالفاء ليدل على تلاصق هاتين الصفتين ولزومهما وثبوتهما لهما.

ووجه الحديث إلى صاحبه ليعث في الكلام نوعاً من الحركة فلفت الانتباه إلى صفات قومه فيشتد العجب بهم، وقُدِّم جواب الشرط «لرضيت عنا» وأدخل عليه لام التوكيد وأوقع الشرط بإذا ليؤكد، ويجزم سخاء قومه في أشد الأوقات وأصعبها، وهو الوقت الذي يندر فيه وجود الكرماء، ونبه بقوله: «لرضيت عنا» إلى أنه لا يهمه غير رضا صاحبه - وهكذا هم الغزليون.

وأسند الغبوق إلى الإبل وهو لا يصدر منها إنما يصدر من الغابق، وإنما هي سبب فيه ليبين قلة درها للبن ليدل بذلك على عظيم الجذب. قال الشيخ:

«يريد إذا كان العام عام جذب، وَجَفَّتْ ضُرُوعُ الْإِبِلِ وانقطع الدَّر حتى إن حلب منها مائة لم يحصل من لبنها ما يكون غُبُوقُ غلام واحد، فالفعل الذي هو غَبَقَ مستعمل في نفسه على حقيقته غير مخرج عن معناه وأصله إلى معنى شيء آخر، فيكون قد دخله مجاز في نفسه، وإنما المجاز في أن أسند إلى الإبل وجعل فعلاً لها، وإسناد الفعل إلى الشيء حكم في الفعل وليس هو نفس معنى الفعل فأعرفه»^(١).

والشاهد مع أنه مجاز عقلي، فهو كناية عن صفة.

الشاهد التاسع والتسعون بعد المائة^(٢):

(الطويل)

تَنَاسَ طِلَابَ الْعَامِرِيَّةِ إِذْ نَأَتْ بِأَسْحَجَ^(٣) مِرْقَالَ^(٤) الضُّحَى قَلَقِ الضُّفْرِ^(٥)

(١) الدلائل، رضا: ٢٣١، خفاجي: ٣٠١، شاعر: ٢٩٨.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٣١، خفاجي: ٣٠٢، شاعر: ٢٩٨.

إِذَا مَا أَحْسَنَهُ الْأَفَاعِي تَحَيَّرَتْ شَوَاةُ^(١) الْأَفَاعِي مِنْ مُثَلِّمَةٍ^(٢) سُمِّرِ
تُجُوبُ لَهُ الظُّلَمَاءُ عَيْنُ كَانَهَا زُجَاجَةٌ شُرِبَ غَيْرُ مَلَأَى وَلَا صِفْرِ^(٣)

الآبيات أوردها الشيخ من غير نسبة، ونسبها صاحب شرح أبيات الإيضاح،
والأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي^(٤) لمجنون ليلي العامرية^(٥).

الشاهد فيه قوله:

«تُجُوبُ لَهُ الظُّلَمَاءُ عَيْنُ»

استشهد به الشيخ على أنه ليس كل شيء يصلح للمجاز الحكمي بسهولة
بل لا بد من تهيئة العبارة. قال الشيخ:

«واعلم أن من سبب اللطف في ذلك أنه ليس كل شيء يصلح لأن يتعاطى
فيه هذا المجاز الحكمي بسهولة بل تجدك في كثير من الأمر، وأنت تحتاج إلى
أن تهيء الشيء وتصلحه لذلك بشيء تتوخاه في النظم»^(٦).

(٣) الأسجح من الرجال: الحسن المعتدل، والسجحاء من الإبل: التامة طولاً وعظماً. اللسان
«سجح»: ٤٧٥/٢.

(٤) مرقال الضحى: الإرقال سرعة سير الإبل، وأرقلت الدابة والناقة إرقالاً: أسرع. اللسان:
٢٩٣/١١.

(٥) الضفر: ما شَدَّدَتْ به البعير من الشعر المضفور. اللسان «ضفر»: ٤٩٠/٤.

(١) شواة الأفاعي: الشواة جلدة الرأس. اللسان «شوا»: ٤٤٨/١٤.

(٢) مثلمة سمر: ثلم الإناء والسيف ونحوه يثلمه ثلماً، كسر حرفه. اللسان «ثلم»: ٧٨/١٢.

(٣) لم أجده في ديوانه:

انظر: الإيضاح: ١٠٦/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٨ أ.

(٤) الدلائل، تحقيق خفاجي: ٣٠١.

(٥) استبعد أن يكون هذا البيت للمجنون، فما أظن أنه خطر بباله يوماً أن يتناسى صاحبه، ثم
أن هذا الشعر لا يشبه شعر المجنون، فشعره سهل عذب واضح، وهذا شعر فيه جزالة،
وبعض الغريب.

(٦) الدلائل، رضا: ٢٣١، خفاجي: ٣٠١، شاكر: ٢٩٨.

وأنظر إلى الشاعر كيف هياً للمجاز هنا، حيث أسند فعل الجوب إلى العين، وهو من إسناد الشيء إلى آله، ولم يقل: «تجوب عين الظلماء» إنما هياً العبارة تهية لها وقعها في النفس والخيال، فأوقع الاستعارة في لفظ «تجوب» لأن الجوب في الأصل القطع، واستعير هنا لنفاذ البصر وحدته، ثم نكر لفظ «عين» ليبين أن هذه العين عين عجيبة من نوع خاص غير معهود، وقطع لفظ عين عن الإضافة إلى الجملة فلم يقل (عينه)؛ لأنه أراد أن يصل البيت كله بالجار والمجرور (له) وأيضاً أراد تأكيد أن هذه العين العجيبة إنما هي خاصة بجملة هذا، وزاد من جمال الوصف أن أوقع في البيت تشبيهاً تمثيلاً حيث شبه صورة عين جملة في شدة صفائها ولمعانها الدال على حدة نظره، وسرعة ودورانه في كل اتجاه لشدة الحذر، بصورة الزجاجاة الشديدة الصفاء وهي غير ممثلة بالخمير، فيهتز فيها ويدور بسرعة كلما تحركت. قال الشيخ:

«فانظر إلى قوله... يصف جملاً ويريد أن يهتدي بنور عينه في الظلماء، ويمكنه بها أن يخرقها، ويمضي فيها، ولولاها لكانت الظلماء كالسند والحاجز الذي لا يجد شيئاً يفرجه به ويجعل لنفسه فيه سبيلاً. فأتت الآن تعلم أنه لولا أنه قال: تجوب له، فعلق «له» بتجوب لما صلحت العين لأن يُسند «تجوب» إليها ولكان لا تتبين جهة التجوز في جعل «تجوب» فعلاً للعين كما ينبغي، وكذلك تعلم أنه لو قال مثلاً: تجوب له الظلماء عينه لم يكن له هذا الموقع ولاضطرب عليه معناه وانقطع السلك من حيث كان يُعيبه حينئذ أن يصف العين بما وصفها به الآن، فتأمل هذا واعتبره»^(١).

وشرح الأبيات كما جاء في شرح أبيات الإيضاح:

«يخاطب نفسه فيقول: تكلف في نسيان طلب هذه الحبيبة العامرية إذا بعدت عنك بالبعد عنها والمفارقة لها بركوب جمل أسجح مستقيم السير سهله، مرقال مسرع في الضحى، قلق الضفر تَقَلَّقَ ضُفْرَه، وهو حزامه لضمرة وهزاله من

(١) الدلائل، رضا: ٢٣٢، خفاجي: ٣٠٢، شاکر: ٢٩٨ - ٢٩٩.

كثرة السفر، تجوب لهذا الجمل الظلماء، ويقطعها ليهتدي فيها عينه التي هي من كثرة الأسفار غائرة كأنها في غورها زجاجة لشاربي الخمر غير ممتلئة، وغير صفر أي خالية بل ذهب بعضها وبقي البعض أن هذا الجمل تجوب لنفسه الظلماء بنور عينه لكنه أسند الفعل وهو الجوب إلى العين لكونها سبباً له^(١).
الشاهد المائتين^(٢):

(الطويل)

وَصَاعِقَةٌ^(٣) مِنْ نَصْلِهِ^(٤) يَنْكُفِي^(٥) بِهَا^(٦) عَلَى أَرْوُسِ الْأَقْرَانِ^(٧) خَمْسُ سَحَائِبٍ^(٨)

ذكر الشيخ البيت من غير عزو، وهو للبحري من قصيدة قالها في أبي سعيد^(٩)، في رفع أهل الجزيرة له، ومطلعها:
هَبِيهِ لِمَنْهَلِ الدُّمُوعِ السُّوَائِبِ وَهَبَاتِ شَوْقٍ فِي حَشَاهُ لَوَاعِبِ

(١) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٨ أ.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٣٢، خفاجي: ٣٠٢، خفاجي: ٢٩٩.

(٣) يُرَوَّى بالرفع والجبر، والرفع على الابتداء، وقوله: «من نصله» صفتها والخبر «تنكفي بها» وارتفع «خمس سحائب» بتنكفي، والجبر على إضمار «رُب». شروح التلخيص - حاشية الدسوقي - : ٧٤/٤.

(٤) رواية الأشباه والنظائر وديوان المعاني: «وصاعقة في كفه».

(٥) رواية الديوان والمفتاح والمثل السائر والإيضاح، وشرح أبيات الإيضاح، والمطول ومعاهد التنصيص: «تنكفي» بالتاء.

(٦) رواية المفتاح: «تنكفي بعدها».

(٧) رواية الأشباه والنظائر: «على أَرْوُسِ الْأَبْطَالِ»، ورواية المثل السائر: «على أَرْوُسِ الْأَعْدَاءِ».

(٨) انظر البيت في:

ديوانه: ٣٥٦/٢، الأشباه والنظائر: ٣١/١، ديوان المعاني: ١١٧، المفتاح: ١٥٩، من غير نسبة، المثل السائر: ١٠٥/٢، - من غير نسبة -، الإيضاح: ٤١٨/٢، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - رقم الشاهد (٣٥٧) - الحقيقة والمجاز -، المطول: ٣٦٤، شروح التلخيص: ٧٤/٤، معاهد التنصيص: ١٣١/٢، رقم الشاهد (١٠١)، عقود الدرر: ٤٩ ب.

(٩) هو محمد بن يوسف الثغري، أبو سعيد، طائي من أهل مرو، وكان من قواد حميد الطوسي، وقد كان الثغري حامياً للثغور، ثم ولّاه العباسيون الجزيرة والشام، وعزله المتوكل =

وقبل بيت الشاهد:

ظَلَّلْنَا نَهْدِيهِ، وَقَدْ لَفَّ عَزْمُهُ
تَثَبَّتْ فَمَا الدَّرْبُ الْأَصَمُّ بِمُسْهَلٍ
مَدِينَةَ قُسْطَنْطِينٍ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
إِلَيْهَا وَلَا مَاءَ الْخَلِيجِ بِنَاضِبٍ

وبعد الشاهد وبعده:

يَكَادُ النَّدَى مِنْهَا يَفِيضُ عَلَى الْعِدَى
لَدَى الْحَرْبِ فِي ثُنْيَيْ قَنَا وَقَوَاضِبٍ^(١)

استشهد به الشيخ للتنظير على أن التهيئة والاستعداد في المجاز الحكمي نظير التمهيد والاستعداد في الاستعارة، فالاستعداد في البيت جاء عن طريق معانٍ مربوط بعضها ببعض فهو حين استعار السحاب لأنامل الممدوح لم يأت بهذه الاستعارة دفعة واحدة، وإنما هيًا للخيال طريق التعرف عليها بأن ذكر ما يدل عليها، فذكر أن هناك صاعقة، وأنها من نصل سيف الممدوح ثم قال على أروس الأقران، وذكر أنها (خمس) فذكر العدد الذي دل على عدد الأنامل فربط المعاني بعضها ببعض هيًا النفس للتعرف على الاستعارة.

قال الشيخ:

«فهذه التهيئة وهذا الاستعداد في هذا المجاز الحكمي نظير أنك تراك في الاستعارة التي هي مجاز في نفس الكلمة وأنت تحتاج في الأمر الأكثر إلى أن تمهد لها وتقدم أو تؤخر ما يعلم به أنك مستعير ومشبه ويفتح طريق المجاز إلى الكلمة ألا ترى إلى قوله:

وَصَاعِقَةٌ مِنْ نَصْلِهِ...

= ثم أعاده إلى ولاية أرمينيا، توفي سنة (٢٣٦ هـ)، وأخبار الثغري منشورة في كتب التاريخ، والأغاني.

انظر ترجمته في:

تاريخ الطبري: ٣٦٦/٧، حوادث سنة (٢٣٦ هـ)، أخبار البحرني للصولي: ٢٩ - ٦٣ - ٦٤ - ٩٧ - ٩٨ - ١٢٣ - ١٤٦ - ١٥١ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٨٧، أخبار أبي تمام للصولي: ٢٢٧، الأغاني: ٢٣/٨، ١٠٨، ١٦٩، ١٧٠.

(١) الديوان: ٣٥٦/٢.

عنى بخمس السحائب أنامله، ولكنه لم يأت بهذه الاستعارة دفعةً، ولم يَرْمِها إليك بغتة، بل ذكر ما يُنبئ عنها، ويستدل به عليها، فذكر أن هناك صاعقة وقال: «من نصله»، فبين أن تلك الصاعقة من نصل سيفه ثم قال: أرؤس الأقران: ثم قال: «خمس» فذكر «الخمس» التي هي عدد أنامل اليد، فبان من مجموع هذه الأمور غرضه^(١).

وهذه التهيئة وهذا الاستعداد الذي يقصده الشيخ هو ما سماه المتأخرون «قرينة» والقرينة عندهم إما أن تكون معنى واحداً، أو أكثر يكون كل واحد منها قرينة، أو تكون معانيً مربوطاً بعضها ببعض يكون الجميع قرينة.

وذهب بعضهم إلى جواز تعدد القرينة ورأى الدسوقي أنه الصواب، وذهب بعضهم إلى عدم الجواز.

واعترض ابن السبكي على قول الشيخ: «عنى بخمس السحائب أنامله» ورأى أن الاستعارة هنا للأصابع، وليس للأنامل؛ لأن الأنامل على الإطلاق أكثر من خمس، وإرادة الأنملة العليا من كل إصبع تكلف قال:

«أما قوله^(٢) أراد أنامل الممدوح فالأحسن أن يقال الأصابع كما ذكره هو آخراً، والسكاكي ذكر الأنامل أولاً وآخرأ، وكان مقصودهما أن تشبيه الأنامل بالسحائب أبلغ من تشبيه الأصابع لكن قد يعكس لأن الأنامل على الإطلاق أكثر من خمس وإرادة الأنملة العليا من كل إصبع تكلف لا حاجة له»^(٣).

واعترض كذلك على أن القرينة في البيت معانٍ مرتبط بعضها ببعض، وإنما هي «قرائن منفصلة» فإن كان المراد استعارة الصاعقة للسيف فالقرينة لذلك هي قوله: «من نصله»، وذكر السحائب فإن السحائب ليس من شأنها أن تأتي بالصاعقة، ويكونان قرينتين متفاصلتين لا حقيقة ملتئمة منهما، «وأما على أرؤس

(١) الدلائل، رضا: ٢٣٢، خفاجي: ٣٠٢، شاکر: ٢٩٩.

(٢) الضمير يعود للخطيب القزويني.

(٣) شروح التلخيص، عروس الأفراح: ٧٥/٤.

الأقرا» فليس قرينة لأن الصاعقة الحقيقية تنكفي على الرؤوس إلا أن يقال: معناه على رؤوسهم دون غيرهم، والصاعقة من شأنها أنها تقصم من واجهته فإن سلّمنا هذا فهي قرينة ثالثة منفصلة، وأما قوله ثم قال: «خمس» فظاهره أن ذكر هذا العدد قرينة، وليس كذلك؛ لأن هذا العدد ليس مصروفاً أن ينسب إلى السحائب، والخمس، وإن لم يكن لها خصوصية بالسحائب وليس لها خصوصية فالمصروف معناها، بل القرينة ذكر السحائب فينبغي أن يقال: ثم قال: «خمس سحائب» وحاصله أن القرينة هنا ليست حقيقة ملتزمة، وإن كان المراد استعارة السحائب للأصابع. فالقرينة له ذكر الصاعقة؛ لأن السحائب الحقيقية لا تنكفي بها الصاعقة وكذلك قوله: «من سيفه» فإن السحائب لا تنكفي بها السيوف فهما قرينتان منفصلتان^(١).

وفي البيت مسألة وهي قوله: «وصاعقة من نصله».

هل هي تشبيه على اعتبار وجود الطرفين «الصاعقة والنصل» أي صاعقة هي نصله، أو هل هي استعارة على اعتبار أن المراد صاعقة ناشئة من نصله، فكان لنصله صاعقة تحرق الأعداء فاستعيرت الصاعقة لضرب السيف.

قال الدسوقي:

«قوله من نصله» بيان لصاعقة أي صاعقة هي نصله فجعله صاعقة، أو المراد صاعقة ناشئة من نصله فكان لنصله صاعقة تحرق الأعداء، والأول أظهر وإلى الثاني ذهب الشارح^(٢).

وذكر ابن يعقوب أنه قد يُحمل قوله: «وصاعقة من نصله» على التجريد بأن يجعل نصل السيف أصلاً تحدث منه صواعق أو هي استعارة، وهي كل حال تفيد الترشيح قال:

«من نصله» أي تكون تلك الصاعقة من نصل سيف الممدوح، والنصل

(١) شروح التلخيص، عروس الأفراح: ٧٥/٤.

(٢) شروح التلخيص، حاشية الدسوقي: ٧٤/٤.

حديدية السيف، وحدث الصاعقة منه إما على طريق التجريد كما يأتي في البديع بأن يجعل نصل السيف أصلاً تحدث منه صواعق على حد قولك لقيني منه أسد، أو على طريق الاستعارة بأن تستعير الصاعقة إلى ضرب السيف الذي يقع به الإهلاك، وعلى كل حال فهو يفيد الترشيح باعتبار أصله لأنه يلائم السحاب المستعارة لأنامل الممدوح في قوله: «تتكفي»^(١).

وفي البيت لفظة بلاغية جميلة، وهي قوله: «أرؤس الأقران» فكلاهما جمع قلة وآثره هاهنا على جمع الكثرة لما فيه من الإشارة إلى قلة أكفائه في الحرب وقلة أمثاله فيها أو إلى الاستخفاف بأمرهم، وتقليلهم في مقابلته، وأما أن يكون على استعارة صيغة القلة للكثرة^(٢).

ذكر الخالديان أن البحري أخذ قوله:

وَصَاعِقَةٍ فِي كَفِّهِ يَنْكُفِي بِهَا...
يَكَادُ النَّدَى مِنْهَا يَفِيضُ عَلَى الْعِدَا...

من قول القتال الكلابي:

لَقَدْ وَلَدْتُ عَوْفَ الطَّعَانِ وَمَالِكَا وَعَمَرُو الْعُلَى وَالْحَارِثَ الْمُتَنَجِّبَا
رِجَالُ بَأْيَدِيهَا دِمَاءٌ وَنَائِلُ يَكَادُ عَلَى الْأَعْدَاءِ أَنْ يَتَحَلَّبَا
إِلَّا أَنَّهُ أَجُودُ وَأَحْسَنُ، وفاق على وفاق الأول، فهو أحق به ممن ابتدعه،
جاء في الأشباه والنظائر للخالديين:

«والبحري وإن كان أخذ المعنى، وأتى به في بيتين فقد جود، وفاق الأول بما أبدع في المعنى الأول وزاد؛ لأنه صير السيف صاعقة، فيجوز أن يكون أراد حديدية من صاعقة، على ما يحكي بعض الناس في الصواعق، ويجوز أن يكون شبه السيف بالصاعقة لحدته، وأنه يتلف ما مر به، ثم ذكر أنه ينكفي به على أرؤس الأبطال خمس سحائب، يعني أصابع الممدوح، ومن النادر في هذا البيت

(١) شروح التلخيص، مواهب الفتاح: ٧٤/٤.

(٢) انظر: شروح التلخيص، مواهب الفتاح: ٧٥/٤، حاشية الدسوقي: ٧٤/٤.

أنه صَيَّرَ السحاب مع الصاعقة، إذ كانا من جنس واحد، وتقول الفلاسفة: إنَّ الصواعق تكون مع السحاب الصيفية دون الأمطار المطبقة في الشتاء، ومما يقوي هذا القول قول لبيد يرثي أخاه أُرَيْدُ، وقد أحرقت الصاعقة:

أُخْشَى عَلَى أُرَيْدِ النَحْشُوفِ وَلَا أُرْهَبُ نَوْءَ السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ

وهذان الكوكبان من منازل القمر مطلعهما في آخر الربيع وأول الصيف وهذا هو الحذق في الشعر، وأخذ معانيه، ومن أخذ المعنى هذا الأخذ فهو أحقُّ به ممن ابتدعه... وبعد وقبل فقد سبق البحري جميع الشعراء في هذا المعنى حسناً وملاحاً، وصحةً وفصاحةً^(١).

وكذلك ذكر أبو هلال العسكري في ديوان المعاني أن بيت البحري من أجود ما قيل في سكون الجأش وأنَّ أجود ما قيل في معناه: «جعل السيف صاعقة، وأصابع الضارب سحاب تجود على مؤملين بغيتها وتقتل معاديه بصاعتها»^(٢).

ورأى ابن الأثير أن هذا البيت من النمط العالي حسن السبك بارع المعنى، قال بعد أن ذكر البيت:

«وهذا من النمط العالي الذي شغلت براعة معناه وحسن سبكه عن النظر إلى استعارته»^(٣).

وقد أخذ الدكتور أحمد بدوي على الشيخ استحسانه لهذا البيت، ورأى أن ذوقه غير موفق في اختيار هذا الشاهد لما فيه من تضارب النفس، واضطراب الإحساس، وهذا أمر لم ينتبه له الشيخ، قال:

«ومن^(٤) ذلك أنه عندما عرض لقول الشاعر:

(١) ٣١/١ - ٣٢.

(٢) ١١٧.

(٣) المثل السائر: ١٠٥/٢.

(٤) أي من الأمثلة التي لم يوفق فيها ذوق الشيخ.

وَصَاعِقَةٌ مِنْ نَصْلِهِ يَنْكُفِي بِهَا...

لم ينبه إلى ما في هذه الصورة من تضارب نفسي، وقع فيه الشاعر، عندما أراد أن يصور مدوحه شجاعاً كريماً، ولكن فاته أنه عندما يصوره شجاعاً يمسك بيده سيفاً ينقض كالصاعقة على رؤوس أعدائه، لا توصف اليد الممسكة بالسيف حينئذ بالكرم المفرط، وإنما توصف بالحزم والقوة والمقدرة على إصابة المقاتل، فتكون الصورة بذلك متجانسة في الإحساس. أما اليد ذات الأصابع الخمس، تهمني بالكرم كأنها السحائب، فأخلق بها أن تكون رحيمة مشفقة، لا عاصفة مدمرة، ومن هنا جاء اضطراب الإحساس، وهو الذي نعيه على الشاعر، وتأخذ على عبد القاهر أنه لم يتنبه له، ولم ينبه إليه، مكتفياً بما في البيت من استعارة دل الكلام عليها، فكانت مستجادة عنده^(١).

الشاهد الواحد بعد المائتين^(٢):

(الرجز)

فَإِنْ تَعَاَفُوا الْعَدْلَ وَالْإِيمَانَ
فَإِنْ فِي أَيْمَانِنَا نِيرَانًا^(٣)

البيت في الدلائل منسوب لبعض العرب^(٤).

الشاهد فيه كسابقه، وهو ذكر ما يهبط للاستعارة ويصحح مجيئها، فقوله: تعافوا وتعلقه بالعدل والإيمان صحح وهياً استعارة النيران للسيوف، قال الشيخ عبد القاهر:

-
- (١) عبد القاهر الجرجاني - أحمد بدوي -: ٢٨٨.
- (٢) الدلائل، رضا: ٢٣٢، خفاجي: ٣٠٣، شاکر: ٢٩٩.
- (٣) لم أجد البيت فيما رجعت إليه من مصادر إلا في: الخصائص: ١٧٦/٣، - من غير نسبة -، الإيضاح: ٤١٧/٢، شرح أبيات الإيضاح: ٢٩٨/٢، شاهد رقم (٣٥٥) - من غير نسبة -، شروح التلخيص: ٧٢/٤، معاهد التنصيص: ١٣١/٢، رقم الشاهد (١٠٠).
- (٤) كذا في الإيضاح، ومعاهد التنصيص نقلاً عن الشيخ عبد القاهر فيما يبدو، وقد بحث عن قائله فلم أعر عليه - فيما لدي من مصادر -.

«يريد أن في أيماننا سيوفاً نضربكم بها، ولولا قوله أولاً: «فإن تعافوا العدل والإيمان» وأن في ذلك دلالة على أن جوابه أنهم يُحَارَبُونَ وَيُقَسَّرُونَ على الطاعة بالسيف، ثم قوله: «فإن في أيماننا» لَمَّا عَقِلَ مراده، ولما جاز له أن يستعير النيران للسيوف؛ لأنه كان لا يعقل الذي يريد»^(١).

والمتاخرون يرون أن القرينة هنا ليست مجموعة معان مرتبطة، وإنما هي عدة قرائن كل واحدة منفصلة عن الأخرى.

ومن أسرار التعبير في الشاهد أنه جاء بإن الشرطية؛ ليؤكد أن كرههم للحق أمر لن يستمر وقوعه منهم، وجعل جوابها جملة إسمية مؤكدة بإن، وقَدَّمَ المسند على المسند إليه «في أيماننا نيراناً»؛ ليؤكد انتصار الإيمان والحق على كرههم، وعيفهم العدل.

ذكر ابن جني البيت في باب «الاكتفاء بالسبب من السبب وبالمسبب من السبب» قال:

«هذا موضع من العربية شريف لطيف وواسع لمتأمله كثير، وكان أبو علي - رحمه الله - يستحسنه ويعني به، وذكر منه مواضع قليلة..»

ومنه قول الآخر:

فَإِنْ تَعَافَوْا الْعَدْلَ وَالْإِيْمَانَا
فَإِنْ فِي أَيْْمَانِنَا نِيرَانَا

يعني سيوفاً أي فَإِنَّا نضربكم بسيوفنا فأكتفى بذكر السيوف من ذكر الضرب بها»^(٢).

(١) الدلائل، رضا: ٢٣٢، خفاجي: ٣٠٣، شاکر: ٣٠٠.

(٢) الخصائص: ١٧٦/٣.

(الكامل)

الشاهد الثاني بعد المائتين^(١):

نَاهَضْتُهُمْ وَالْبَارِقَاتُ كَانَتْهَا شَعَلَ عَلَى أَيْدِيهِمْ تَتَلَهَّبُ^(٢)
والشاهد مذكور في الدلائل من غير عزو.

وهو للبحثري من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم^(٣) ومطلعها:
عَارَضْنَا أَصْلًا فَقُلْنَا الرَّبُّ حَتَّى أَضَاءَ الْأَقْحَوَانُ الْأَشْنَبُ^(٤)

وقبل الشاهد:

ضَرَبَ الْجِبَالَ بِمِثْلِهَا مِنْ عَزْمِهِ غَضِبَانَ يَطْعَنُ فِي الْجَمَامِ وَيَضْرِبُ
أَوْقَى، فَظَنُّوا أَنَّهُ الْقَدَرُ الَّذِي سَمِعُوا بِهِ فَمُصَدِّقٌ وَمَكْذِبٌ

وبعدهما الشاهد وبعده:

وَوَقَّتْ مَشْهُورَ الْمَقَامِ كَرِيمَهُ وَالْبَيْضُ تَطْفُؤُ فِي الْغُبَارِ وَتَرْسُبُ

استشهد به الشيخ على أن الاستعارة في قول الشاعر في الشاهد السابق
«فَإِنْ فِي أَيْمَانِنَا نِيرَانًا» أقوى في الدلالة على القوة من التشبيه في هذا الشاهد.
قال:

(١) الدلائل، رضا: ٢٢٣، خفاجي: ٣٠٣، شاکر: ٣٠٠.

(٢) ديوانه: ٣١٩/٢، الإيضاح: ٤١٨/٢، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - رقم الشاهد (٣٥٦).

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب، المصعبي الخزاعي، أبو الحسن (٠٠٠ - ٢٣٥ هـ) صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وكان وجيهاً مقرباً من الخلفاء، ذا رأي وشجاعة، سيرة المعتصم في جيش كبير لقتال أصحاب بابك الخرمي، فأوقع بهم في أطراف همذان وعاد ظافراً، مات في بغداد وقد جزع المتوكل لموته.

انظر: أخبار البحثري للصولي: ١٥١ - ١٧٨، الكامل في التاريخ: ٢٢٢/٥ - ٢٧٣ - ٢٨٣ - ٢٨٥، وفیات الأعيان: ٢٥/٢، ٨٥/٦، الأعلام: ٣٩٢/١.

(٤) ديوانه: ٣١٧.

«... لَأَنَا وَإِنْ كُنَّا نَقُولُ: فِي أَيْدِيهِمْ سِوْفٌ تَلْمَعُ كَأَنَّهَا شُعْلُ النَّيْرَانِ كَمَا

قال:

نَاهَضَتْهُمْ وَالْبَارِقَاتُ كَأَنَّهَا شُعْلٌ عَلَى أَيْدِيهِمْ تَتَلَهَّبُ

فإنَّ هذا التشبيه لا يبلغ مبلغ ما يعرف من الإطلاق كمعرفتنا إذا قال: رأيت أسداً: إنه يريد الشجاعة، وإذا قال: لقيت شمساً وبدراً: أنه يريد الحسن، ولا يقوى تلك القوة فاعرفه»^(١).

الشاهد الثالث بعد المائتين^(٢): (البيسط)

قول الخنساء:

تَرْتَعُ مَا رَتَعْتَ^(٣) حَتَّى إِذَا أَدَّكَرْتُ^(٤) فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالُ^(٥) وَإِذْبَارُ^(٦)

والبيت من قصيدة قالتها في رثاء أخيها صخر، ومطلعها:

قَدَزِي بِعَيْنِيكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارٌ أُمُّ دَرَفَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ

(١) الدلائل، رضا: ٢٣٣، خفاجي: ٣٠٣، شاکر: ٣٠٠.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٣٣، خفاجي: ٣٠٣، شاکر: ٣٠٠.

(٣) رواية البيان والتبيين والحيوان ومجالس العلماء والتاج واللسان «ما غفلت». ورواية المقتضب: «ما عقلت»، ورواية زهر الآداب: «ترتع في غفلة».

(٤) رواية معاني القرآن وعبد الوليد «حتى إذا دَكَّرْتُ».

ورواية ابن يعيش: «حتى إذا أَدَّكَرْتُ».

(٥) رواية شرح شواهد الكشف لصدر البيت:

لَا تَسَامُ الدَّهْرَ مِنْهُ كُلَّمَا دَكَّرْتُ

(٦) انظر البيت في:

ديوانها: ٤٨، الكتاب: ٣٣٧/١، معاني القرآن: ٩٧/١، شرح أبيات سيويه للنحاس:

٦٦ «العجز فقط» البيان والتبيين: ٢٠١/٣، الحيوان: ٥٠٧/٦، عبد الوليد: ٢٠٥،

الكمال - دار الفكر -: ١٩٥/١، «العجز فقط»، المحتسب: ٤٣/٢، «العجز»، المقتضب:

٣٠٥/٤، «غير منسوب»، الخصائص: ٢٠٣/٢ «العجز فقط ومن غير نسبة»، الموازنة -

تحقيق محمد محي الدين -: ١٥٣، الأشباه والنظائر في النحو: ٣١٧/٤، مجالس

العلماء: ٢٦٠، أمالي المرتضى: ٢٠١/١، زهر الآداب: ٩٩٩/٤، الأزمنة والأمكنة: =

وقبل الشاهد:

وَمَا عَجُولٌ^(١) عَلَى بَوٍّ^(٢) تُطِيفُ بِهِ^(٣) لَهَا حَنِينَانِ إِعْلَانٌ وَإِسْرَارٌ^(٤)

وبعده الشاهد وبعده:

لَا تَسْمُنُ الدَّهْرَ فِي أَرْضٍ وَإِنْ رَتَعَتْ فَإِنَّمَا هِيَ تَحْنَانٌ وَتَسْجَارٌ
يَوْمًا بِأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ فَارَقَنِي صَخْرٌ وَلِلدَّهْرِ إِحْلَاءٌ وَإِمْرَارٌ

استشهد به الشيخ على أن قول الشاعرة (فإنما هي إقبال وإدبار) مجاز حكمي حيث أسندت الإقبال والإدبار إلى الناقة والإقبال والإدبار أريد بهما معناهما الحقيقي.

وسر جمال هذا المعجاز أنه صور الناقة حين تذكر ولدها فتصيحها انتفاضة

= ٣١/١، ومن غير نسبة، بديع القرآن: ٦٠، «غير منسوب»، خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي -: ٤٣١/١، المقتصد في شرح الإيضاح: ٢٤٥/١، «العجز فقط»، الكشف: ٢٧٣/٢، عند قوله تعالى في سورة هود: «إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ»، «العجز فقط»، شرح الأسموني: ٢٦٤/٢، «العجز فقط»، اللسان «قبل»: ٥٣٨/١١، التاج «قبل»: ٧٢/٨، شرح شواهد الكشف: ٤٠٦/٤.

- (١) العَجُول من النساء والإبل: الواله التي فقدت ولدها، الثكلى لَعَجَلَتْهَا فِي جَيْبِهَا وذهابها جزعاً. اللسان «عجل»: ٤٢٧/١١.
- (٢) البو: هو جلد يحشى تبناً أو حشيشاً لتعطف عليه الناقة إذا مات ولدها، ثم يُقَرَّب إلى أم الفصيل لتعطف عليه وتلزمه فتدر عليه، والبو أيضاً ولد الناقة. اللسان «بوا»: ١٠٠/١٤.
- (٣) رواية أمالي المرتضى: «مَا أُمُّ سَقَبٍ عَلَى بَوٍّ تُطِيفُ بِهِ» والسقب: ولد الناقة، وقيل: الذكر من ولد الناقة بالسين لا غَيْرُ، وقيل: هو سَقَبٌ ساعة تضعه أمه. اللسان «سقب»: ٤٦٨/١.

(٤) رواية أمالي المرتضى وخزانة البغدادي:

«قَدْ سَاعَدَتْهَا عَلَى التَّحْنَانِ أَظَارٌ
وَالْأَظَارُ: جمع ظُرٍّ، وَالظُّرُّ «مهموز»: العاطفة
على غير ولدها المرضعة له، من الناس والإبل،
الذكر والأنثى في ذلك سواء والجمع أَظُورٌ، وَأَظَارٌ
وَأُظُورٌ، وَأُظُورٌ. اللسان «ظار»: ٥١٤/٤.

من الحزن، ولفرط وجدها أخذت تقبل وتدبر حتى كأنها من كثرة الإقبال والإدبار صارت الإقبال والإدبار نفسه. قال الشيخ:

«وذاك أنها لم ترد بالإقبال والإدبار غير معنيهما فتكون قد تجوّزت في نفس الكلمة، وإنّما تجوّزت في أن جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر، ولغلبة ذاك عليها واتصاله بها، وأنه لم يكن لها حال غيرهما كأنها قد تجسّمت من الإقبال والإدبار، وإنّما كان يكون المجاز في نفس الكلمة لو أنها كانت قد استعارت الإقبال والإدبار لمعنى غير معنيهما الذين وضعاً له في اللغة ومعلوم أن ليس الاستعارة مما أرادته في شيء»^(١).

جاء في «المقتضب»، و«عبث الوليد»، و«مجالس العلماء»، و«أمالي المرتضى» أن قولها: «فإنّما هي إقبال وإدبار» من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي «فإنّما هي ذات إقبال وإدبار».

وذكر البغدادي أن في البيت ثلاثة توجيهات - ذكرنا منها اثنين - والثالث أن المصدر في تأويل اسم الفاعل وتأويل اسم المفعول في نحو زيد خلق أي مخلوق - وسبق أن ذكر سبويه هذا الوجه.

ورفض الشيخ عبد القاهر كون الشاهد على هذين الوجهين أي كونه من باب حذف المضاف - أو على تأويل المصدر باسم الفاعل، أو المفعول؛ لأن هذا التقدير يفسد الشعر، فهو لا يصف، ولا يجسم إحساس الرعب والذعر والحزن الذي أصيبت به الناقة حال ادكارها.

قال الشيخ عبد القاهر:

«واعلم أن ليس بالوجه أن يعد هذا على الإطلاق معدّ ما حُذف منه المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه مثل قوله عز وجل: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾^(٢)»^(٣).

(١) الدلائل، رضا: ٢٣٣، خفاجي: ٣٠٣، شاکر: ٣٠٠ - ٣٠١.

(٢) سورة يوسف: الآية ٨٢.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٣٣، خفاجي: ٣٠٣، شاکر: ٣٠١.

ورد الشيخ على القول بجواز الحذف، بأن صنيعهم في تقدير المضاف كان له وجه لو أنها لم ترد المبالغة، وهي أرادت المبالغة، فلا مساغ لهذا التقدير، على أنه كان يجب على زعمهم أن تأتي كلمة «ذات».

«فالوجه أن يكون تقدير المضاف في هذا على معنى أنه لو كان الكلام قد جيء به على ظاهره، ولم يقصد إلى الذي ذكرنا من المبالغة والاتساع، وأن تجعل الناقه كأنها قد صارت بجملتها إقبالاً، وإدباراً حتى كأنها قد تجسمت منها لكان حقه حينئذ أن يجاء فيه بلفظ الذات فيقال: إنما هي ذات إقبال وإدبار»^(١).

وقد سبقه ابن جنّي في هذا الرفض فقال في:

«باب في الشيء يرد مع نظيره مورده مع نقيضه»:

«وأقوى التأويلين في قولها:

«فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ»

أن يكون من هذا، أي كأنها مخلوقة من الإقبال والإدبار لا على أن يكون من باب حذف المضاف أي ذات إقبال وذات إدبار»^(٢).

ويُفهم من كلام ابن أبي الإصبع أنه جعله من التشبيه الذي لا يمكن تقدير الأداة معه. قال:

«وفائدة حذف الأداة قرب المشبه من المشبه به، ومن علماء البيان من جعل المحذوف الأداة استعارة، ولم يجعله تشبيهاً وأكثرهم على خلافه، وفي المصادر ما لا يمكن تقدير الأداة معه كقول الشاعر» (البسيط):
«فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ»

(١) الدلائل، رضا: ٢٣٤، ٢٣٥، خفاجي: ٣٠٥، شاکر: ٣٠٢.

(٢) الخصائص: ٢٠٣/٢.

أي ذات إقبال وذات إدبار»^(١).

(المقارب)

الشاهد الرابع بعد المائتين^(٢):

قول النابغة الجعدي:

وَكَيْفَ^(٣) تُوَاصِلُ^(٤) مَنْ أَصْبَحَتْ خِلَالَتُهُ^(٥) كَأَيِّ مَرْحَبٍ^(٦)^(٧)

(١) بدیع القرآن: ٦٠.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٣٤، خفاجي: ٣٠٤، شاکر: ٣٠١.

(٣) رواية الاختيارين: «كيف».

(٤) رواية إصلاح المنطق: «وكيف وصالك».

ورواية أمالي القالي وسمط اللالي: «وكيف تصادق».

ورواية مجالس ثعلب: «وكيف يصاحب».

ورواية الأشباه والنظائر في النحو: «وكيف أوصل».

(٥) خللته: الخلّة الصداقة المختصة التي ليس فيها خلل، وجمعها خللال، وهي الخللة

والخلالة، والخلولة، والخللة. اللسان «خلل»: ٢١٦/١١.

(٦) أبو مرحب: كنية الظل، ويقال: هو كنية عُرقوب الذي قيل عنه: «مواعيد عُرقوب»، وفي

اللسان «رحب» ذكر أنه يعني به الظل، وذكر السيرافي أن أبا مرحب من بني عم الشاعر،

وقال أيضاً: أنه من بني قشير، وقال الغندجاني: أن أبا مرحب هنا هو الذي يقول لك إذا

لقيك أهلاً ومرحباً.

انظر: اللسان «رحب»: ٢١٦/١، «خلل»: ٢١٧/١١، فرحة الأديب: ٣٤، شرح أبيات

سيبويه للسيرافي: ٩٤/١.

(٧) انظر البيت في:

ديوانه: ٢٦، الكتاب: ٢١٥/١، معاني القرآن للأخفش الأوسط: ٤٧/١ - من غير نسبة -،

نواذر أبي زيد: ١٨٩، شرح أبيات سيبويه للنحاس: ٧٨ - من غير نسبة -، إصلاح

المنطق: ١١٢ - من غير نسبة -، الاختيارين: ٥٦٥ - من غير نسبة -، شرح أبيات

سيبويه للسيرافي: ٩٤/١، المقتضب: ٢٣١/٣ - من غير نسبة -، المحتسب: ٢٦٤/٢،

الأمالي: ١٣٢/١، مجالس ثعلب: القسم الأول: ٦١ - من غير نسبة -، أمالي المرتضى:

٢٠٢/١ - من غير نسبة -، فرحة الأديب: ٣٤، سمط اللالي: ٤٦٥/١، المقتصد في

شرح الإيضاح: ٣٧٠/١ - من غير نسبة -، الإنصاف: ٦٢/١، اللسان «رحب»:

٤١٦/١، «خلل»: ٢١٧/١١، التاج: ٩٦/١، الأشباه والنظائر في النحو: ٢٢١/٤.

وهو من قصيدة له مطلعها:

سَمَاكَ هُمْ وَلَمْ تَطْرَبِ^(١) وَيَتُّ يَبْتُ^(٢) وَلَمْ تَنْصَبِ^(٣)

وقبل الشاهد:

وَيَعْضُ الْأَخْلَاءُ عِنْدَ الْبَلَا وَالرُّزْءُ^(٤) أَرْوَعُ^(٥) مِنْ ثَعْلَبٍ

وبعده الشاهد وبعده:

رَأَاكَ يَبْتُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْكَ وَقَالَ كَذَاكَ أَذَابِ

الشاهد في قوله: «خلالته كأبي مرحب».

أراد خلالته كخلالة أبي مرحب، حيث حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه للإيجاز.

واستشهد به الشيخ على أن ما في بيت الخنساء لا يُعَدُّ من قبيل ما في هذا البيت من حذف المضاف.

ومعنى الشاهد:

«يريد أن أبا مرحب قطعه وجفاه في سبب كان احتاج إليه فيه»^(٦).

هذا على اعتبار أن «أبا مرحب» كنية شخص.

(١) الطرب: الفرح والحُزن وقيل: الطرب خفة تعتري عند شدة الفرح، أو الحزن والهم،

وقيل: حلول الفرح وذهاب الحُزن. اللسان «طرب»: ٥٥٧/١.

(٢) البث: الحال والحُزن والغَمُّ الذي تفضي به إلى صاحبك، وقيل: هو شدة الحزن،

والمرض الشديد. اللسان «بث»: ١١٤/٢.

(٣) تنصب: النَّصْبُ الإعياء من العناء، والفعلُ نَصَبَ الرجل بالكسر نصباً: أعيا وتعب، وهم

نَاصِبٌ منصَّبٌ ذُو نَصَبٍ. اللسان «نصب»: ٧٥٨/١.

(٤) رزء: الرُّزْءُ المصيبة. اللسان «رزا»: ٨٦/١.

(٥) أروغ: رَاغٌ يَرُوغُ رَوْغاً وَرَوْغَاناً: حاد، ومال، وأراغهُ وَرَاوَعُهُ: خَادَعُهُ. اللسان «روغ»:

٤٣٠/٨ - ٤٣١.

(٦) شرح أبيات سيويه للسيرافي: ٩٥/١.

ويجوز أن يكون المعنى: كيف نرجو أن تصل من كانت صداقته صداقة وهمية كوهم الظل الذي يظهر ويختفي، واستعمل أداة الاستفهام «كيف» للتعجب والاستبعاد.

هذا على اعتبار أن «أبا مرحب» كنية للظل.

الشاهد الخامس بعد المائتين^(١): (الوافر)

قول الأعرابي:

حَسِبْتُ بُغَامَ^(٢) رَاحِلَتِي عَنَاقًا^(٣) وَمَا هِيَ وَبَّ^(٤) غَيْرِكَ بِالعَنَاقِ^(٥)
نسب الشيخ البيت للأعرابي^(٦)، وهو لذي الخرق الطهوي^(٧) يخاطب ذنباً تبعه في طريقه.

- (١) الدلائل، رضا: ٣٣٤، خفاجي: ٣٠٤، شاکر: ٣٠١.
- (٢) بُغَام: بُغَام الطَّيِّبَةِ: صَوْتُهَا. بَغَمَتِ الطَّيِّبَةُ تَبْغُمُ وَتَبْغُمُ، وَتَبْغُمُ بُغَامًا، وَيُغْمُوا، وَهِيَ بُغُومٌ صَاحَتْ إِلَى وَلَدِهَا بِأَرْحَمَ مَا يَكُونُ مِنْ صَوْتِهَا. اللسان «بغم»: ٥١/١٢.
- (٣) عناقا: العَنَاقُ: الْأُنْثَى مِنَ الْمَعَزِ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الْعَنَاقُ الْأُنْثَى مِنْ أَوْلَادِ الْمِعْزَى إِذَا أَنْتَ عَلَيْهَا سَنَةً وَجَمَعَهَا عُتُقُ. اللسان «عتق»: ٢٧٤/١٠ - ٢٧٥.
- (٤) وب: كلمة مثل وُئِلَ، وَبَّأَ لِهَذَا الْأَمْرِ أَيَّ عَجَبًا لَهُ، وَوَبَّأَ كَوَيْلَةٍ، تَقُولُ: وَبَّكَ، وَوَبَّ زَيْدٌ: كَمَا تَقُولُ: وَبَّكَ: مَعْنَاهُ أَلْزَمَكَ اللَّهُ وَيَلَأُ. اللسان «وب»: ٨٠٥/١.
- (٥) لم أجد البيت فيما أطلعت عليه من مصادر إلا في:
معاني القرآن للفراء: ١٢٤/٢، تفسير الطبري: ٤٤١/١، ٥٦/٢، ١٠٣/٣، ٦٠/٤، ١٤/١٥، نوادر أبي زيد: ١١٦، الأمثال للضيبي: ٥٣، مجالس ثعلب: القسم الأول: ١٥٤، - من غير نسبة -، اللسان «وب»: ٨٠٥/١، «عقا»: ٨٠/١٥، «عتق»: ٢٧٤/١٠، «بغم»: ٥١/١٢، الإنصاف: ٣٧٢/١، «من غير نسبة»، التاج «عتق»: ٢٧/٧، «بغم»: ٢٠٣/٨.
- (٦) وفي اللسان والتاج: «أنشد ابن الأعرابي لقُرَيْطٍ»، فالأعرابي إذا أنشد البيت فقط وليس هو بقائله.
- (٧) اسمه قرط، وقال: ذو الخرق بن قرط، أخو بني سعيدة بن عوف «عمرو» بن مالك بن حنظلة بن طهية بنت عبد شمس بن سعد بن تميم شاعر فارس.

وقبل الشاهد:

أَلَمْ تَعْجَبْ لِذَنْبِ بَاتٍ يَسْرِي لِيُوْذَنَ صَاحِباً لَهُ بِاللَّحَاقِ

وبعد البيت وبعده:

وَلَوْ أَنِّي رَمَيْتُكَ مِنْ قَرِيبٍ لَعَاقَكَ عَنْ دُعَاءِ الذُّبِّ عَاقٍ^(١)
وَلَكِنِّي رَمَيْتُكَ مِنْ بَعِيدٍ فَلَمْ أَفْعَلْ وَقَدْ أَوْهَتْ بِسَاقِي
عَلَيْكَ الشَّاءَ شَاءَ بَنِي تَمِيمٍ فَعَافَقَهُ^(٢) فَإِنَّكَ ذُو عِنَاقٍ^(٣)

الشاهد فيه كسابقه، حيث حذف المضاف «صوت أو بغام» وأقام المضاف إليه مقامه «عناق»، أي حسبت بغام راحتي صوت عناق، فحذف الصوت، واكتفى منه «بالعناق»، فَإِنَّ العرب تفعل ذلك فيما كان مفهوماً مراد المتكلم منهم به من الكلام، فأما فيما لا دلالة عليه إلا بظهوره، ولا يوصل إلى معرفة مراد المتكلم إلاً ببيانه فَإِنَّهَا لا تحذف^(٤).

فأشار الشيخ بهذا الشاهد إلى أن المجاز في بيت الخنساء مغاير لهذا النوع من الحذف.

ومعنى الشاهد: أن الشاعر هنا يخاطب ذنباً لحقه في الطريق يقول له: ظننت صوت ناقتي صوت معز، وهو ليس كذلك، فأراد زجره بشدة، فجاء بالنفي: «وما هي»، ثم جاء بكلمة «ويب» أي ويلك للزجر الشديد والإنكار.

= انظر ترجمته:

المؤتلف والمختلف: ١١٩.

(١) عاق: أراد بقوله: «عاق» عائق قلبه، وقيل: هو على توهم عَقَوْتُهُ. قال الأزهرى: يجوز

عَاقَتِي عَنْكَ عَاقِي، وَعَاقَانِي عَنْكَ عَاقٍ بمعنى واحد على القلب، والعَاقِي الكاره للشيء.

اللسان «عق»: ٨١/١٥.

(٢) عافقه: عافقه، مُعَافَقَةً وَعِافَاً: عالجه وخادعه. اللسان «عق»: ٢٥٣/١٠.

(٣) اللسان «عقا»: ٨١/١٥.

(٤) تفسير الطبري: ١٤/١٥.

بيت المتنبي:

بَدَتْ قَمْرًا وَمَالَتْ^(٢) خُوطَ^(٣) بَانَ وَفَاحَتْ عَنَبْرًا وَرَنْتَ^(٤) غَزَالًا^(٥)

والبيت من قصيدة قالها في مدح «بدر بن عمار» مطلعها:

بَقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمْ^(٦) أَرْتَحَالَ^(٧) وَحُسْنَ الصَّبْرِ زُمُوا^(٨) لَا الْجَمَالَ^(٩)

(١) الدلائل، رضا: ٢٣٤، خفاجي: ٣٠٥، شاکر: ٣٠٢.

(٢) رواية أمالي المرتضى: «وماست».

(٣) خوط بان: الغصن الناعم، وقيل: الغصن لِسَنَةً، وقيل: هو كلُّ قَضِيْبٍ ما كان، يقال: خُوطَ بان، الواحدة خُوطَةٌ والخُوطُ من الرجال الجسيم الخفيف، وجارية خُوطَانِيَّة: مشبهة بالخُوط. اللسان «خوط»: ٢٩٧/٧ - ٢٩٨.

(٤) قوله: «قمرًا - خُوط بان - عنبرًا - غزالًا» هذه الأربعة أحوال تتأول بمشتقات، فيقال: بدت مشرقة، وماست متشبية، وفاحت طيبًا، وَرَنْتَ مَلِيحَةً، ويجوز أن تكون بتقدير مثل، وهو الأوجه، والدليل على هذا وقوع المعرفة بعد «لا» النافية للجنس مثاله: لَا هَيْثَمَ اللَّيْلَةَ لِلْمَطْيَى، وَقَضِيَّةٌ وَلَا أَبَا حَسَنِ، وتقديره: وَلَا مِثْلَ هَيْثَمَ وَلَا مِثْلَ أَبِي حَسَنِ. التبيان للعكبري: ٢٢٤/٣.

(٥) لم أجد البيت فيما رجعت إليه من مصادر إلا في:

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٢٢٤/٣، العرف الطيب: ٢٦٤/٤، يتيمة الدهر:

١٨٠/١، الإبانة عن سرقات المتنبي: ١٣١، أمالي المرتضى: ١٢٩/٢، العمدة:

٢٩٣/١، الإيضاح: ٣٧٠/٢، وفيات الأعيان: ٣٧٢/٣، خزانة البغدادي - الخانجي -:

٢٢٢/٣، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد رقم (٢٩٧).

(٦) اسم ليس مضمّر فيها، و«هَمْ» ابتداء، وخبره محذوف أي ليس الأمر، والخبر هم شاؤوا، فحذف شاؤوا لتقدمه في أول الكلام، ويجوز أن يكون «هم» اسم ليس إلاَّ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ الضمير المنفصل موضع المتصل ضرورة، والتقدير: بقائي شاء الارتحال ليسوا شاؤوه. التبيان للعكبري: ٢٢١/٣.

(٧) زُمُوا: زممت البعير خطمته، وزممت البعير إذا عَلَّقْتَ عليه الزَّمامَ، والزَّمام الخيط الذي يشد في الخشاش ثم يشد في طرفه المَقْوَد، وقد يسمى المقود زمامًا، وقد زُمَ يَزُمُ إذا تقدم في السير. اللسان «زمم»: ٢٧٢/١٢ - ٢٧٣.

وقبل الشاهد:

بِجَسْمِي مَنْ بَرَّتْهُ فَلَوْ أَصَارَتْ وَشَاحِي ثُقُبَ لَوْلُوَ لَجَالَا
وَلَوْلَا أَنَّنِي فِي غَيْرِ نَوْمٍ لَبِثُ^(١) أَظُنُّنِي مِنِّي خَبَالَا

وبعدهما البيت وبعده:

كَأَنَّ الْحُزْنَ مَشْعُوفٌ بِقَلْبِي فَسَاعَةً هَجَرَهَا يَجِدُ الْوَصَالَا^(٢)

استشهد به الشيخ للتنظير على أنه لو جعل بيت الخنساء من باب حذف المضاف كان شيئاً مغسولاً كما لو قدرنا المضاف في بيت الشاهد فقلنا: بدت مثل قمر، ومالت مثل خطوط بان، وَفَاحَتْ مثل عنبر، ورنت مثل غزال، إذاً للذهب رونق البيت، وخرجنا إلى كلام عامي مردول.

قال الشيخ:

«... وليس الأمر كذلك في بيت الخنساء لأننا إذا جعلنا المعنى فيه الآن كالمعنى إذا نحن قلنا: فَإِنَّمَا هِيَ ذَاتُ إِقْبَالٍ وَإِدْبَارٍ: أفسدنا الشعر على أنفسنا وخرجنا إلى شيء مغسول، وإلى كلام عامي مردول، وكان سبيلنا سبيل من يزعم مثلاً في بيت المتنبي:
بدت قمراً...»

أنه في تقدير محذوف وأنَّ معناه الآن كالمعنى إذا قلت: بدت مثل قمر، ومالت مثل خطوط بان وفاحت مثل عنبر، ورنت مثل غزال: في أنا نخرج إلى

(٨) = ديوان المتنبي بشرح العكبري: ٢٢١/٣، العرف الطيب: ٢٦٤/٤.

(١) رواية العرف الطيب: «لَكُنْتُ».

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٢٢٣/٣ - ٢٢٤، العرف الطيب: ٢٦٤/٤ - ٢٦٥.

وفي العرف الطيب ذكر قبل هذا البيت قول الشاعر:

وَجَارَتْ فِي الْحُكُومَةِ ثُمَّ أَبَدَتْ لَنَا مِنْ حُسْنِ قَامَتِهَا أَعْتِدَالَا

الغثاة وإلى شيء يعزل البلاغة عن سلطانها، ويخفض من شأنها، ويصدُّ أوجها
عن محاسنها، ويسدُّ باب المعرفة بها، وبلطائفها علينا^(١).

(١) الدلائل، رضا: ٢٣٤، خطاجي: ٣٠٤ - ٣٠٥، شاکر: ٣٠٢.

ز - شواهد الكناية

(الكامل)

الشاهد السابع بعد المائتين^(١):

قول زياد الأعجم^(٢):

إِنَّ السَّمَاخَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالنُّدَى فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى آبِنِ الْحَشْرَجِ^(٣) (٤)

والشاهد أحد أبيات أربعة أنشدتها زياد حين وفد على عبدالله بن الحشرج وهو بنيسابور أميراً عليها فأمر بإنزاله وألطفه وبعث إليه ما يحتاج إليه ثم غدا عليه زياد فأنشده الأبيات أولها بيت الشاهد وبعده:

(١) الدلائل، رضا: ٢٣٧، خفاجي: ٣٠٨، شاکر: ٣٠٦.

(٢) سبقت ترجمته: ٣١٢.

(٣) ابن الحشرج: هو الممدوح واسمه عبدالله بن الحشرج بن الأشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وكان عبدالله بن الحشرج سيداً من سادات قيس وأميراً من أمرائها، وَلِيَّ أَكْثَرِ أَعْمَالِ خُرَاسَانَ، ومن أعمال فارس، وَكَرْمَانَ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ، وكان جواداً، وكان أبوه الحشرج بن الأشهب سيداً شاعراً وأميراً كبيراً.

انظر ترجمته في:

الأغاني: ٢٣/١٢ - ٣٤، معاهد التنصيص: ١٧٤/٢.

(٤) انظر البيت في:

الأغاني: ٣٤/١٢، ٣٨٦/١٥، المفتاح: ١٧٢، الإيضاح: ٤٦٢/٢، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد (٣١٠)، شروح التلخيص: ٢٥٩/٤، معاهد التنصيص: ١٧٣/٢، رقم الشاهد (١١٣)، المطول: ٤١١، عقود الدرر: ٥٣ ب، القول الجيد: ٤٠٧.

مَلِكٌ أَغْرُ مُتَوَجِّحٌ ذُو نَائِلٍ لِمُعْتَفِينَ يَمِينُهُ لَمْ تَشْنَجِ
يَا خَيْرَ مَنْ صَعِدَ الْمَنَابِرَ بِالتَّقَى بَعْدَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْمُتَحَرِّجِ
لَمَّا أَتَيْتُكَ رَاجِعاً لِنَوَالِكُمْ أَلْفَيْتُ بَابَ نَوَالِكُمْ لَمْ يُرْتَجِ (١)

استشهد به الشيخ عبد القاهر على إثبات الصفة عن طريق الكناية، ورأى أنه فَنُ من القول دقيق المسلك لطيف المأخذ تبدو فيه محاسن تملأ الطرف، ودقائق تُعجز الوصف، وترى فيه شعراً شاعراً، وسحراً ساحراً، وبلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المفلق والخطيب المِصْقَعُ (٢).

وهذا النوع من الكناية أطلق عليه المتأخرون كناية عن نسبة. والمراد بالنسبة إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، قال الشيخ عبد القاهر:

«... أنهم يرومون وصف الرجل ومدحه، وإثبات معنى من المعاني الشريفة له، فَيَدْعُونَ التصريح بذلك، وَيَكُونُونَ عن جعلها فيه بجعلها في شيء يشتمل عليه ويتلبس به، ويتوصلون في الجملة إلى ما أرادوا من الإثبات، لا من الجهة الظاهرة المعروفة، بل من طريق يخفى، ومسلوك يدق» (٣).

فزياد الأعجم أراد أن يثبت الصفات الثلاث، السماحة «هي بذل ما لا يجب بذله من المال عن طيب نفس سواء كان ذلك المبدول قليلاً أو كثيراً، والنَّدَى بذل الأموال الكثيرة لاكتساب الأمور الجليلة العامة كثناء كل أحد، وجمعها والمروءة في العرف سعة الإحسان بالأموال وغيرها كالعفو عن الجناية وتفسير بكمال الرجولية» (٤).

(١) ذكر الأستاذ محمود شاکر أن هذه الأبيات موجودة في هامش إحدى مخطوطات الدلائل والتي رمز إليها بـ (ج).

والأبيات موجودة في:

الأغاني: ٣٤/١٢، ٣٨٦/١٥.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٣٦، خفاجي: ٣٠٨، شاکر: ٣٠٦.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٣٧، خفاجي: ٣٠٨، شاکر: ٣٠٦.

(٤) شروح التلخيص، مواهب الفتح: ٢٥٩/٤، وانظر: حاشية الدسوقي: ٢٥٩/٤.

فترك التصريح بهذه الصفات كأن يقول: «إنَّ السَّماحةَ والمروءةَ والنَّدَى لَمَجْمُوعَةٌ فِي ابْنِ الْحَشْرَجِ، أَوْ مَقْصُورَةٌ عَلَيْهِ، أَوْ مَخْتَصَةٌ بِهِ، أَوْ ثَابِتَةٌ لَهُ، وَعَدَلُ عَنْ ذَلِكَ بِأَنْ جَعَلَ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِي قَبَةِ مَضْرُوبَةٍ عَلَيْهِ.

قال الشيخ عبد القاهر:

«أراد كما لا يخفى أن يُثبت هذه المعاني والأوصاف خلافاً للممدوح وضرائب فيه، فترك أن يصرِّح فيقول: «إنَّ السَّماحةَ والمروءةَ والنَّدَى لَمَجْمُوعَةٌ فِي ابْنِ الْحَشْرَجِ، أَوْ مَقْصُورَةٌ عَلَيْهِ، أَوْ مَخْتَصَةٌ بِهِ» وما شاكل ذلك مما هو صريح في إثبات الأوصاف للمذكورين بها، وعدل إلى ما ترى من الكناية والتلويح، فجعل كونها في القَبَةِ المضروبة عليه عبارة عن كونها فيه، وإشارة إليه، فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة، وظهر فيه ما أنت ترى من الفخامة، ولو أنه أسقط هذه الوساطة من البَيِّن، لما كان إلا كلاماً غفلاً، وحديثاً ساذجاً»^(١).

ولقد وضح ابن يعقوب وجه دلالة إثبات هذه الصفات في القبة على ثبوتها لابن الحشرج، وذلك أنه لما جعل ظرف حصولها قبة ابن الحشرج، ومن المعلوم أن تلك الصفات لا تخلو من محل تقوم به في تلك القبة، وهي صالحة لصاحب القبة الحائز لها، والأصل عدم مشاركة سواه له في تلك القبة كان ذلك دليلاً على أنه موصوفها، وأنه هو الذي قامت به لاستحالة قيامها بنفسها، وفي إثباتها في قبة تنبيه ولفت على أن صاحبها أو موصوفها هو ذو القبة؛ لأن كون الشيء في حيز الإنسان مع صلاحيته له، والأصل عدم ما سواه يتبادر منه أن ذلك الشيء لمن حصل في خبره^(٢).

وذكر ابن السبكي أن الشيخ عبد القاهر جعل هذا النوع من الكناية من قبيل المجاز الإسنادي قال:

(١) الدلائل، رضا: ٢٣٧، خفاجي: ٣٠٨، شاكِر: ٣٠٧.

(٢) شروح التلخيص، مواهب الفتاح: ٢٦٠/٤ - ٢٦١.

«وجعله الجرجاني من قبيل المجاز الإسنادي»^(١).

ولقد بحث في كتابي عبد القاهر «الدلائل والأسرار» ولم أجد أن عبد القاهر جعل هذا النوع من المجاز الإسنادي، ولا أدري على أي شيء اعتمد ابن السبكي في قوله هذا، ويرى ابن السبكي أن هذا النوع قريب من المجاز الإسنادي قال:

«فإنه أراد أن يثبت اختصاص ابن الحشر بهذه الصفات فترك التصريح بذلك، والتصريح به أن يقول هو مختص بها، أي ثابتة له دون غيره إلى أن جعلها في قبة مضروبة عليه، فأخبر باختصاص القبة المضروبة عليه بالسماحة ليفهم منه اختصاصه بالسماحة؛ لأنه إذا اختص بالسماحة لزم أن تختص قبة بها وهو قريب من المجاز الإسنادي»^(٢).

وقسم السكاكي هذا النوع من الكناية قسمين: لطيفاً وألطف، وجعل بيت الشاهد من اللطيف قال:

«القسم الثالث» في الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف هي أيضاً تتفاوت في اللطف فتارة تكون لطيفة وأخرى ألطف، وأنا أورد عدة أمثلة منها قول زياد الأعجم وهو لطيف»^(٣).

ولعل من أوجه اللطف في البيت أنه أكد الكلام بـ «إن» لدفع إنكار من عساه ينكر من السامعين، وعرف السماحة بلام العهد للإشارة إلى الفرد الكامل منها، أو أن اللام للجنس والمراد بها عموم الأفراد، وفي عطف الندى على السماحة إطناب حسن غير مخل لدخول الندى في السماحة، واختار لفظ القبة دون الخيمة مع كونها بمعناها للإشارة إلى أنه من الأكابر، لأن القبة خيمة خاصة لا يتخذها إلا ذو مكانة من الرؤساء والعظماء، واختار ضربت على نصبت؛ لأن الضرب في الخيمة ونحوها أشهر، وقيد الفعل بعلى للدلالة على تحقق اجتماع

(١) شروح التلخيص، عروس الأفراح: ٢٥٩/٤ - ٢٦٠.

(٢) مفتاح العلوم: ١٧٢.

هذه الخصال فيه؛ لأنه لو قال: ضُرِبَتْ له، لم يلزم كونه فيها، فلا يتحقق الجزم بكونها فيه^(١).

الشاهد الثامن بعد المائتين^(٢):

(الواف)

وَمَا يَكُ فِي مَنْ عَيْبٍ فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ^(٣)

استشهد به الشيخ على أن الصنعة في طريق إثبات الصفة للموصوف - أي الكناية عن النسبة كما في الشاهد السابق - هي نظير الصنعة في المعاني إذا جاءت كنايات عن معانٍ آخر فالكناية هنا حصلت بعد انتقال الذهن من عدة معانٍ أفضى فيها المعنى الأول إلى معنى ثانٍ يتبع المعنى الأول، وهكذا حتى نصل إلى المعنى الكنائي. قال الشيخ عبد القاهر:

«فكما أنه إنما كان من فاخر الشعر ومما يقع في الاختيار لأجل أن أراد أن يذكر نفسه بالقرى والضيافة فكُنِيَ عن ذلك بجبن الكلب وهزال الفصيل، وترك أن يصرح فيقول: قد عرف أن جنابي مألوف وكلبي مؤدَّب لا يهر في وجوه من يغشاني من الأضياف، وإني أنحر المَتَالِي من إبلي، وأدع فصالتها هَزْلَى^(٤)».

فقوله: جبان الكلب مهزول الفصيل انتقل فيه الذهن من جبن الكلب عن الهرير في وجه من يقرب ويدنو من الدار، وخروج الكلب عن طبعه، وهو كون الهرير في وجه من لا يعرفه طبيعياً له، ثم إلى استمرار تأديبه؛ لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى، ثم انتقل من ذلك إلى استمرار موجب نباحه، وهو اتصال مشاهدته وجوهاً إثر وجوه، ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قرى الأضياف، وكذلك قوله: (مهزول الفصيل) انتقل فيه الذهن من هزال الفصيل إلى فقد الأم، ومنه إلى قوة الداعي إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق التي يتلوها

(١) عقود الدرر: ٥١ أ، «شواهد الحقيقة والمجاز».

(٢) الدلائل، رضا: ٢٣٧، خفاجي: ٣٠٩، شاکر: ٣٠٧.

(٣) سبق تخريجه ونسبته: ٦٦٥.

(٤) الدلائل، رضا: ٢٣٨، خفاجي: ٣٠٩، شاکر: ٣٠٧ - ٣٠٨.

ويتبعها فصيلها، ومنها إلى صرفها إلى الطبائخ، ومنها إلى أنه مضياف^(١).
وهذا النوع سماه المتأخرون الكناية البعيدة وهي الوصول إلى المعنى
الكنائي عن طريق الوسائط.

ومثله للكميت يمدح قوماً:
وَلَا لِقَاحَهُمْ إِلَّا مُعَوَّدَةٌ ذُلُّ الْكِلَابِ وَأَنْ لَا تَسْمَنَ الْفُضُلُ
ذل الكلاب أن لا تنبح الأضياف، وأن لا تَسْمَنَ الْفُضُلُ؛ لأنهم يسقون
ألبان الأمهات^(٢).

واستشهد به الشيخ أيضاً على أنه لا يمكن أن يكون قوله: (جبان الكلب)
نظيراً لقوله: «مهزول الفصيل» بل كل واحدة من هاتين الكنائتين أصل بنفسه،
وجنس على حدة. قال الشيخ:

«وقد تجتمع في البيت الواحد كنائتان، المغزى منهما شيء واحد، ثم لا
تكون إحداهما في حكم النظم للأخرى، مثال ذلك أنه لا يكون قوله: «جبان
الكلب» نظيراً لقوله: «مهزول الفصيل» بل كل واحدة من هاتين الكنائتين أصل
بنفسه، وجنس على حدة»^(٣).

الشاهد التاسع بعد المائتين^(٤):

(المنسرح)

قول يزيد بن الحكم^(٥):

(١) انظر: المفتاح: ١٧١، وكذلك: الإيضاح: ٤٥٩/٢، شروح التلخيص - عروس الأفراح -: ٢٥٧/٢.

(٢) المعاني الكبير: ٢٣٤/١.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٤١، خفاجي: ٣١٣، شاکر: ٣١٢.

(٤) الدلائل، رضا: ٢٣٨، خفاجي: ٣٠٩، شاکر: ٣٠٨.

(٥) قيل: هو يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله ﷺ، والأصح أنه
يزيد بن الحكم بن أبي العاص، وأن عثمان عمه، وأبو العاص بن بشر بن عبد دهمان بن
عبدالله بن همام بن أبان بن جشم بن قيس. وهو ثقيفي، وعثمان جدّه أو عم أبيه أحد من =

أَصْبَحَ فِي قَيْدِكَ السَّمَاحَةُ وَالْمَجْدُ^(١) لَدْ وَفَضْلُ الصَّلَاحِ وَالْحَسَبِ^(٢)

والشاهد مع بيتين آخرين قالهما يزيد بن الحكم في يزيد بن المهلب حين دخل عليه في سجن الحجاج وهو يعذب، وقد حلَّ عليه نَجْمٌ^(٣) كان قد نُجِمَ عليه، وكانت نجومه في كل أسبوع ستة عشر ألف درهم، فأنشده الأبيات، فالتفت يزيد إلى مولى له وقال: أعطه نَجْمَ هذا الأسبوع، ونصبر على العذاب إلى السبت الآخر.

ذكر أبو الفرج الأصفهاني أن بيت الشاهد مع بيتين آخرين - سأوردهما قريباً - تُنسب لحمزة بن بَيْضٍ^(٤) مع يزيد بن المهلب^(٥) وهو أول ثلاثة أبيات وبعده:

لَا بَطْرٌ إِنْ تَتَابَعْتُ نَعَمَ وَصَابِرٌ فِي الْبَلَاءِ مُخْتَسِبٌ

= أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بكرة. وَشَطُّ عثمان بالبصرة منسوب إليه، وقد رَوَى عن رسول الله ﷺ الحديث، وروى عنه الحسن بن أبي الحسن ومُطَرِّف بن عبد الله بن الشخير وغيرهما من التابعين.

انظر ترجمته في:

الأغاني: ٢٨٦/١٢ - ٢٩٦.

(١) رواية الأغاني: «والجود».

(٢) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

الأغاني: ٢٩١/١٢، شروح التلخيص «عروس الأفراح»: ٢٥٨/٤.

(٣) تنجيم الدّين: هو أن يُقدَّر عطاؤه في أوقات معلومة متتابعة وأصله أن العرب كانت تجعل

مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت حلول دُبُونِهَا وغيرها. اللسان «نجم»: ٥٧٠/١٢.

(٤) هو حمزة بن بَيْضٍ بن نمر بن عبد الله بن شمر الحنفي من بني بكر بن وائل (٠٠٠ -

١١٦ هـ) وقيل (١٢٠ هـ)، شاعر مجيد سائر القول، كثير المجون، من أهل الكوفة، كان

منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة، وولده ثم إلى بلال بن أبي بردة، وحصلت له أحوال

كثيرة، وأخباره مع عبد الملك بن مروان وغيره كلها طُرف.

انظر: أخبار الحمقى والمغفلين: ٤٣، الأغاني: ٢٠٢/١٦ - ٢٢٥، فوات الوفيات:

٣٩٥/١ - ٣٩٨، الأعلام: ٢٧٧/٢.

(٥) الأغاني: ٢٩١/١٢.

بَزَزْتَ سَبَقَ الْجِيَادِ فِي مَهَلٍ وَقَصَّرْتَ دُونَ سَعْيِكَ الْعَرَبُ^(١)

استشهد به الشيخ عبد القاهر على أَنَّ الشاهد نظير بيت زياد، فكلمة «القيد» هنا نظير كلمة «القبة» هناك، وكما أَنَّ من شأن الكناية الواقعة في نفس الصفة أَن تأتي على صور مختلفة كذلك الكناية في النسبة، فإنها تأتي على هذا الحد.

قال الشيخ:

«... وكما أَنَّ من شأن الكناية الواقعة في نفس الصفة أَن تجيء على صور مختلفة كذلك من شأنها إذا وقعت في طريق إثبات الصفة أَن تجيء على هذا الحد، ثم يكون في ذلك ما يتناسب كما كان ذلك في الكناية عن الصفة نفسها»^(٢).

الشاهد العاشر بعد المائتين^(٣):

(الطويل)

رَجَزْتُ كِلَابِي أَنْ يَهْرَّ عَقُورُهَا^{(٤)(٥)}

ذكر الشيخ عجز البيت فقط دون الصدر، ولم ينسبه، وصدره:

رَفَعْتُ لَهُ نَارِي فَلَمَّا اهْتَدَى بِهَا^(٦)

(١) الأغاني: ٢٩١/١٢.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٣٨، خفاجي: ٣٠٩، شاکر: ٣٠٨.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٣٨، خفاجي: ٣١٠، شاکر: ٣٠٨.

(٤) عَقُورُهَا: العَقِيرَةُ، منتهى الصوت، ويقال: لكل من رفع صوته بالغناء قد رفع عقيرته.

اللسان «عقر»: ٥٩٣/٤.

(٥) انظر البيت في:

منتهى الطلب: ١٤٠/١ ب، المفضليات: ١٧٦، الأغاني: ٢٧٥/١٢، المرزباني: ٢٧٥،

بهجة المجالس: م ١ القسم الأول: ٢٩٦، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١١٥/٤،

مجموعة المعاني: ٣٢.

(٦) رواية بهجة المجالس ومنتهى الطلب: «فلما اهتدى لها».

وهو لعوف بن الأحوص^(١)، وقيل لأخيه شريح بن الأحوص^(٢)، وقيل لشبيب بن البرصاء^(٣).

ومطلع القصيدة:

وَمُسْتَنْبِحٌ يَخْشَى الْقَوَاءَ وَدُونَهُ مِنْ اللَّيْلِ بَابًا ظُلْمَةً وَسُورَهَا

وبعده الشاهد وبعده:

فَلَا تَسْأَلْنِي وَأَسْأَلِي عَنْ خَلِيقَتِي إِذَا رَدَّ عَافِي الْقَدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرَهَا

استشهد به الشيخ على أنه نظير قول الشاعر:

«جبان الكلب».

حيث جعل العقور في كلابه حتى احتاج إلى زجرها عن ضيفه كأنه كان في الكلاب ما لم يكن يلزم الفناء، وإنما يكون مع الراعي في السرح للحفظ، فانفق أن حضر مع كلاب الحي، فلذلك احتاج إلى زجره^(٤).

قال الشيخ:

«... كما أنك تنظر إلى قوله: جبان الكلب: فتعلم أنه نظير لقوله: «زَجَرْتُ كِلَابِي أَنْ يَهْرُ عَقُورُهَا» من حيث لم يكن ذلك الجبن إلا لأن دام منه

(١) ذكر ذلك المفضل الضبي في «المفضلية رقم ٣٦»، وكذلك نسبها له المرزباني وابن عبد البر.

وعوف هو ابن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن مضر، وهو شاعر جاهلي، واسم أبيه ربيعة، والأحوص لقبه، وأصل الحوص ضيق في العين، وكان الأحوص سيداً في قومه، وذا رأي فيهم.

انظر ترجمته في:

المرزباني: ٢٧٥ - ٢٧٦، سمط اللالي: ٣٧٧/١.

(٢) وجاء ذلك في الحماسة للتبريزي.

(٣) سبقت ترجمته: ٥٩١ من الكتاب.

(٤) الدلائل، رضا: ٢٣٨، خضاجي: ٣١٠، شاعر: ٣٠٨ - ٣٠٩.

الزجر، واستمر حتى أخرج الكلب بذلك عما هو عادته من الهرير والنبج في وجه من يدنو من دارٍ هو مرصد لأن يُعَسَّ دونها»^(١).

الشاهد الحادي عشر بعد المائتين^(٢): (المنسرح)

قول ابن هرمة:

«لَا أُمْتِعُ الْعُودَ بِالْفِصَالِ»

في هذا الموضع ذكر صدر البيت فقط، وعجزه:

«وَلَا أُبْتِغِ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ»

استشهد به الشيخ ليدل على أن قول الشاعر:

«مَهْزُولٌ فَصِيلٌ»

نظير قول الشاعر:

«لَا أُمْتِعُ الْعُودَ بِالْفِصَالِ»

قال الشيخ:

«وتنظر إلى قوله: مهزول الفصيل، فتعلم أنه نظير قول ابن هرمة:

«لَا أُمْتِعُ الْعُودَ بِالْفِصَالِ»»^(٣).

والطريق الكنائي في البيت وضَّحه الإمام القزويني فقال:

«فإنه ينتقل من عدم إمتاعها إلى أنه لا يُبقي لها فصالها لتأنس بها،

ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر إليها، ومن ذلك إلى نحرها، أو لا يُبقي العود

إبقاءً على فصالها، وكذا قرب الأجل ينتقل منه إلى نحرها، ومن نحرها إلى أنه

مضياف»^(٤).

(١) الدلائل، رضا: ٢٣٨، خفاجي: ٣١٠، شاکر: ٣٠٩.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٣٨، خفاجي: ٣١٠، شاکر: ٣٠٩.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٣٨، خفاجي: ٣١٠، شاکر: ٣٠٩.

(٤) الإيضاح: ٤٦١/٢.

فالببت كناية عن صفة، وهو من الكناية البعيدة.

واستشهد به أيضاً على اختلاف الكنايتين، وإن كان المكنى بهما عنه واحداً، فلا تكون إحداهما نظيراً للأخرى، فالكناية في قوله: (لا أمتع العوذ بالفصال)، والكناية في قوله: «ولا أبتاع إلا قريبة الأجل» ليس إحدى الكنايتين في حكم النظر للأخرى وإن كان المكنى بهما هو الكرم.

قال الشيخ:

«... ليس إحدى كنايته في حكم النظر للأخرى، وإن كان المكنى بهما عنه واحداً»^(١).

ذكره أبو هلال العسكري في باب الأرداف والتوابع، وهو أن يريد المتكلم الدلالة على معنى فيترك اللفظ الدال عليه الخاص به، ويأتي بلفظ هو ردفه، وتابع له فيجعله عبارة عن المعنى الذي أرادته^(٢).

الشاهد الثاني عشر بعد المائتين^(٣):

(المتقارب)

قول نُصَيْب^(٤):

- (١) الدلائل، رضا: ٢٤١، خفاجي: ٣١٣، شاکر: ٣١٢.
- (٢) الصناعتين: ٣٨٥، ولم يذكره في باب الكناية والتعريض وكان هذا النوع عنده قسم قائم برأسه ونوع خاص غير الكناية.
- (٣) الدلائل، رضا: ٢٣٨، خفاجي: ٣١٠، شاکر: ٣٠٩.
- (٤) هو نُصَيْب بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان، وكان لبعض العرب من بني كِنانة السُّكَّان بُوْدَّان، فاشتراه عبد العزيز منهم، وقيل: بل كانوا أعتقوه، فاشترى عبد العزيز ولاءه منهم، وقيل: بل كاتب موالیه، فأدَّى عنه عبد العزيز مُكاتبته، وقيل: كان أبوه من كِنانة من بني ضَمْرَةَ، وكان شاعراً فحلاً فصيحاً، مُقَدِّماً في النسيب والمدح، ولم يكن له حظ في الهجاء، وكان عفيفاً، يقال: أنه لم يُنْسَب قط إلا بامرأته، وكان نُصَيْب عبداً أسوداً، وكنيته أبا الحُجْناء، وهو غير نُصَيْب مولى المهدي، فهو متأخر عن نُصَيْب بن رباح قائل الشاهد. انظر ترجمته:

الشعر والشعراء: ٤١٧/١ - ٤١٩، طبقات فحول الشعراء: ٦٧٥/٢، الأغاني: ٣٢٤/١ - ٣٧٧، معجم الأدباء: ٢٢٨/١٩ - ٢٣٤، تزيين الأسواق: ٨٣ - ٨٤.

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ ^(١)
فَبَابِكَ أَسهَلُ ^(٢) أَبْوَابِهِمْ
وَكَلْبِكَ آنَسُ ^(٣) بِالزَّائِرِينَ ^(٤) ^(م)
وَعَغيرِهِمْ مِنْ ^(٥) ظَاهِرَةِ ^(٦)
وَدَارِكَ مَاهُولَةِ عَامِرَةِ
مِنَ الْأُمِّ بِالْإِنْتَةِ ^(٧) الزَّائِرَةِ ^(٨)

وبعد أبيات الشاهد:

وَكَفُّكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِينَ
فَمِنْكَ الْعِطَاءُ وَمِنْهَا (٩) الشَّاءُ
نَ أَنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَةِ
بِكُلِّ مُحِبَّةٍ سَائِرَةٍ (١٠)

وَنَسَبَ الْجَاحِظُ وَصَاحِبَ شَرْحِ أَيْيَاتِ الْإِيضَاحِ لِعِمْرَانَ بْنِ عَصَامٍ، وَهُوَ عِمْرَانُ بْنُ عَصَامِ الْفَزْرِيِّ، خَطِيبُ شَاعِرٍ، مِنَ الشُّجْعَانِ، اشتهر في أيام عبد الملك بن مروان، ولما نشبت فتنة عبد الرحمن بن محمد الأشعث اتهمه الحجاج بالانحياز إليه، وطلبه حتى قتله سنة (٨٥ هـ).

انظر ترجمته فی :

الاشتقاق: ٨/٨٦، الوحشيات: ٢٦٤، الأعلام: ٥/٧١.

- (١) رواية تزيين الأسواق: «على عثرته».
- (٢) رواية الديوان والأغاني: «نعم».
- (٣) رواية الحيوان، والشعر والشعراء، والأغاني، ومعجم الأدباء، وشرح الحماسة للتبريزي: «غامره».
- (٤) رواية الديوان، والحيوان، والشعر والشعراء، والأغاني، وشرح الحماسة للتبريزي: «الين».
- (٥) رواية الديوان، وأمالى الزجاجي، وتزيين الأسواق: «أراف».
- (٦) رواية الحيوان، والشعر والشعراء والأغاني، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي: «بالمعتفين».
- (٧) رواية الديوان، والحيوان، والشعر والشعراء، وأمالى الزجاجي، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي، وشرح أبيات الإيضاح: «بأنتها».
- (٨) انظر الأبيات في: ديوانه: ٩٩، الحيوان: ٣٨٢/١، الشعر والشعراء: ٤١٩، أمالي الزجاجي: ٣٢، الأغاني: ٣٣٣، معجم الأدباء: ٢٢٩/١٩، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٤١/٣، المفتاح: ١٧١، الإيضاح: ٤٦٠/٢، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - رقم الشاهد - (٤٠٢)، تزيين الأسواق: ٨٣.
- (٩) رواية الأغاني: «ومني».
- (١٠) انظر الأبيات في:

الشاهد فيه: أن الكناية في الأبيات نظير الكناية في قول الشاعر:
يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يَكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ

فهو حين أراد أن يكني عن عظيم إحسان عبد العزيز، وعظيم أياديه على القريب، والبعيد، والخاص، والعام جاء بالمعنى الكنائي بطريق خفي تعجب له النفس حين تتكشف المعاني، فجعل كلبه أنساً فرحاً بالزائرين ذلك الأنس المبالغ، فدل بمعنى أنسه بالزائرين على أنهم معروفون لديه، فالكلب لا يأنس إلا بمن يعرف، ودلّ بمعنى كونهم معارف عنده على اتصال مشاهدته إياهم ليلاً ونهاراً، ودلّ بمعنى ذلك على لزومهم سدة عبد العزيز، ودل بمعنى لزومهم سدته على تسني مباغيهم هنالك تسنياً بالاتصال لا ينقطع ثم دلّ بمعنى ذلك على ما أراد، فأنظر كيف لوح مع بُعد المسافة بين أنس الكلب بالزائرين وبين إحسان عبد العزيز^(١).

وذكر الشيخ عبد القاهر أن بين الشاهدين «.. قرابة شديدة ونسباً لاصقاً، وأن صورتها في فرط التناسب صورة بيتي «زياد»^(٢) و«يزيد»^(٣)»^(٤).

ورأى القزويني أنه على الرغم من التنظير القائم بينهما يرى في قول الشاعر «يكلّمه من حبه وهو أعجم» زيادةً لُطْفٍ، ولم يذكر وجه هذا اللطف - وسأوضحه في موضعه إن شاء الله - ومعنى الأبيات واضح، إلا أن هناك بعض اللطائف أحب أن أشير إليها منها:

الكناية في قوله: «أسهل أبوابهم» كناية عن أنه لا يشق على الوافد إتيانه ولا ينبو بالمقيمين فيه.

= ديوانه: ٩٩، الحيوان للجاحظ: ٣٨٢/١، الأغاني: ٣٣٣/١، أمالي الزجاجي: ٣٢، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٤١/٣، ذكر البيت الثاني بعد أبيات الشاهد دون الأول.

(١) انظر: المفتاح: ١٧١، وكذلك الإيضاح: ٦٠/٢.

(٢) يقصد به الشاهد: الثالث عشر بعد المائتين.

(٣) يقصد به الشاهد: التاسع بعد المائتين.

(٤) الدلائل، رضا: ٢٣٩، خفاجي: ٣١١، شاکر: ٣٠٩.

وأنظر إلى الالتفات في قوله: «فبابك» «ودارك» فهو التفات من الغيبة إلى الخطاب، ليلفت الأنظار إلى عظيم كرمه.

وفي وصف الإبنة (بأنها زائرة) زيادة مبالغة في استئناس الأم بها^(١).

الشاهد الثالث عشر بعد المائتين^(٢):

(الطويل)

يَكَادُ^(٣) إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا^(٤) يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ^(٥)

البيت ذكره الشيخ من غير نسبة، وهو لإبراهيم بن هرمة^(٦)، وذكر محقق الإيضاح أنه لابن هرمة أو للناطقة الجعدي.

وقبل بيت الشاهد ثلاثة أبيات:

وَمُسْتَبِحٌ تَسْتَكْشِطُ الرِّيحُ نَوْبَهُ لَيْسَقُطَ عَنْهُ وَهُوَ بِالشُّوبِ مُعْصِمٌ
عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نَوْمٌ
فَجَاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرَى لَهُ مَعَ^(٧) إِيَّانِ الْمُهَيَّنِ مَطْعَمٌ^(٨)

- (١) انظر: شرح أبيات الإيضاح: ٣/٣٢٩، شاهد (٤٠٢)، أبيات تضمنها القول في الكناية.
- (٢) الدلائل، رضا: ٢٣٩، خفاجي: ٣١٠، شاکر: ٣٠٩.
- (٣) رواية البيان والتبيين، والموشع، وسر الفصاحة: «تراه».
- (٤) رواية البيان والتبيين والموشع: «تراه إذا ما أبصر الضيف كلبه».
- (٥) ديوانه: ٢٠٩، الحماسة - تحقيق عسيان: ٢/٢٥٦، رقم (٦٨٩) - بلا نسبة -، البيان والتبيين: ٣/٢٠٥، الحيوان: ١/٣٧٨ - بلا نسبة -، الشعر والشعراء: ٢/٧٥٨، نقد الشعر: ٢١٠، ديوان المعاني: ٣٣، الموشع للمرزباني: ٢٠٢، سر الفصاحة: ٢٣٢، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٤/٦٦ - ٦٧، سبط اللآلي: ١/٥٠٠، المفتاح: ١٧١ - من غير نسبة -، الحماسة البصرية، الإيضاح: ٢/٤٦٠، شرح أبيات الإيضاح: ٣/٣٣٨، شاهد (٤٠٣)، الكشكول: ٢/٤٣٨٦.

(٦) سبقت ترجمته: ٦٦٥.

(٧) رواية الحماسة: «عند».

(٨) انظر الأبيات في:

- ديوان - إبراهيم بن هرمة - ٢٠٨، الحماسة: ٢/٢٥٦، رقم (٦٨٩)، الحيوان: ١/٣٧٧ - ٣٧٨، ديوان المعاني: ٣٣، سبط اللآلي: ١/٤٩٩ - ٥٠٠.

استشهد به على أنه نظير بيت نصيب.

فالكناية هنا في قوله: «يكلمه من حبه وهو أعظم».

وقد توصل إليها بأن جعل الكلب يبصر الزائرين وانتقل من ذلك إلى ألفته ومحبته إياهم إلى محادثته لهم للمبالغة في ذلك الأنس، ودل ذلك على كثرة الزائرين، والقاصدين له، ومنه توصل إلى شدة كرمه.

وقد سبق أن ذُكرت في الشاهد السابق أن الخطيب القزويني أشار إلى زيادة لطف في هذا الشاهد عن سابقه، ولم يبين وجه هذا اللطف، ولعل زيادة اللطف التي أشار إليها تكمن في أن ابن هرمة جعل الكلب أشدُّ ألفةً، وأبلغ أنساً بأن جعله من فرط أنسه، ووجه للضيف يكاد يخرج عن المجهود، فينطق مُرحباً به، وأكد حب الكلب للضيفان بأن جاء بإذا - دون إن الشرطية - لأنها تدل على جزم المتكلم بوقوع الشرط، والتي من شأنها أن تأتي في الأحوال الكثيرة الوقوع.

وقد اعترض قدامة بن جعفر والمرزباني على ابن هرمة في جعله الكلب متكلماً، ثم أعقب ذلك بوصفه بالعجمة، قال المرزباني:

«فإنه أفتى الكلب في قوله أنه يكلمه، ثم عدمه إياه عند قوله إنه أعجم من غير أن يزيد في القول ما يدل على أن ما ذكره إنما أجراه على طريق الاستعارة»^(١).

ورد الخفاجي في سر الفصاحة على هذا الاعتراض بأن العجمة ليس معناها عدم الكلام، وإنما هو الذي يتكلم مع عدم القدرة على الإفصاح. قال:

«وقد ذهب أبو الفرج قدامة بن جعفر إلى أن قول ابن هرمة في صفة الكلب... من المتناقض؛ لأنه أفتى الكلب الكلام في قوله - يكلمه -، ثم أعدمه إياه عند قوله - إنه أعجم - وهذا غلط من أبي الفرج طريف؛ لأن الأعجم ليس هو الذي قد عدم الكلام جملة كالأخرس، وإنما هو الذي يتكلم بعجمة، ولا يفصح. قال الله تبارك وتعالى:

(١) الموشح: ٢٠٢، نقد الشعر: ٢١٠.

﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^(١)، وإذا قيل فلان يتكلم وهو أعجم لم يكن ذلك متناقضاً^(٢).

ويبدو لي أن نقد قدامة، ورد ابن سنان مردودان، وذلك أن الشاعر لم يقل «يكلمه»، وإنما قال: «يكاد» أي يقرب من كلامه، وهذا لا يتناقض مع العجمة إذ هذه حالة الكلب تشبه من يريد أن يتكلم، والعبارة تدل على نفي الكلام، وهو المذهب الصحيح في كاد، فقد أخطأ قدامة حين نقده، وأخطأ ابن سنان حين رد: بأن الأعجم ليس كالأخرس؛ لأن المراد هنا - فعلاً - العجمة التي لا يمكن معها الكلام، ولعل سبب خطئهما أنهما اعتقدا المذهب القائل في «كاد» أن إثباتها إثبات للفعل، وليس كذلك بل إثباتها إثبات لقرب الفعل، ولكن لا تدل على وقوعه.

الشاهد الرابع عشر بعد المائتين^(٣):

(البيسط)

وَحَيْثُمَا يَكُ أَمْرٌ صَالِحٌ تَكُنْ^(٤) (٥)

ذكر الشيخ العجز دون الصدر، ومن غير نسبة، وهو لزهير بن أبي سلمى،
وصدرة:

هَنَّاكَ رَبُّكَ مَا أَعْطَاكَ مِنْ حَسَنِ

وهو من قصيدة قالها في مدح هرم بن سنان بن أبي حارثة المُرِّي^(٦).

(١) سورة النحل: الآية ١٠٣.

(٢) سر الفصاحة - مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح - : ٢٣٢.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٣٩، خفاجي: ٣١١، شاعر: ٣١٠.

(٤) رواية الديوان، والدلائل تحقيق شاعر: «تَكُنْ».

ويبدو لي أن رواية «تكن» أفضل لأن «تكن» إثبات للكيونة أما «كن» فمجرد أمر وهو أولاً لا يليق وثانياً ربما لا يتحقق.

(٥) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

شعر زهير بن أبي سلمى - صنعة الأعلام الششمري - : ٢٨٢.

(٦) سبقت ترجمته: ٣٧٥.

ومطلعها:

كَمْ لِمَنْزِلٍ مِنْ عَامٍ وَمِنْ زَمَنِ لَأَلِ أَسْمَاءَ بِالْقَفَيْنِ^(١) فَالرُّكْنِ^(٢)

استشهد به الشيخ على إثبات الصفة في الممدوح عن طريق إثباتها في المكان الذي يكون فيه فتلزمه للزومها الموضع الذي يحل به .

والبيت كناية عن المقدرة على كل أمر، وهي كناية عن نسبة، وقد توصل إلى تلك الكناية بأن جعل كينونته حاصلة في كل مكان فيه أمر صالح .

وهو في ذلك كقول زياد السابق:

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالنُّدَى فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى أَبْنِ الْحَشْرِجِ

حيث توصل إلى إثبات هذه الصفات لابن الحشرج بأن جعلها في القبة التي هو جالس فيها .

الشاهد الخامس عشر بعد المائتين^(٣):

(المتقارب)

يَصِيرُ^(٤) أَبَانُ^(٥) قَرِينُ^(٦) السَّما حِ وَالْمَكْرُمَاتِ مَعاً حَيْثُ صَارَا^(٧)^(٨)

(١) القَفَّان: مثني «قَف» بضم أوله وتشديد ثانيه: وَادٍ من أودية المدينة. معجم ما استعجم: ١٠٨٧/٢.

(٢) الرُّكْنُ: بضمّتين: موضع باليمامة، وقد يُسَكَنُ ثانيه. معجم البلدان: ٦٤/٣.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٣٩، خفاجي: ٣١١، شاکر: ٣١٠.

(٤) رواية الديوان: «يسير».

(٥) هو أَبَانُ بن الوليد بن مالك الزبيدي من بني زيد بن الغوث البجلي، كان من أشرف بجيلة في العراق أيام ولاية خالد بن عبدالله القسري، وكان خَيًّا حين وصول يوسف بن عمر الثقفي والياً على العراق سنة (١٢٠ هـ) وله خبر معه في وساطة بينه وبين نائب خالد القسري في الكوفة، لقي إياس بن معاوية، وقامت بينهما محاوراة، توفي سنة (١٢٥ هـ). انظر ترجمته في:

البيان والتبيين: ٩١/٤، الوزراء والكتاب: ٦٣، الكامل لابن الأثير: ٢٣٧/٤.

(٦) رواية الديوان والوساطة: «قَرِيع».

(٧) رواية الديوان: «حيث سارا».

(٨) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

ذكره الشيخ من غير نسبة، وهو للكميت بن زيد^(١) في مدح أبان بن الوليد، وهو بيت مفرد لا ثاني له.

الشاهد فيه كسابقه.

فالشاعر هنا توصل للكناية عن النسبة، وهو إثبات الصفة للموصوف عن طريق إثباتها في المكان الذي يحل به، فجعل المكرمات محل وتصير في المكان الذي يصير فيه أبان، وكأنهما صديقان حميمان لا يفترقان، وتوصل بعدم افتراقهما، وبكونهما قرينين إلى لزوم المكرمات له.

الشاهد السادس عشر بعد المائتين^(٢): (الطويل)

قول أبي نواس:

فَمَا جَاؤُهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونُهُ وَلَكِنْ يَصِيرُ^(٣) الْجُودُ^(٤) حَيْثُ يَصِيرُ^(٥)

= شعر الكميت بن زيد الأسدي: ٢١٠/١، رقم (٢٨٢)، الوساطة: ٢٨٦.

(١) هو الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي، كنيته أبو المستهل، شاعر الهاشمين، من أهل الكوفة، اشتهر في العصر الأموي، وكان منحازاً إلى بني هاشم، كثير المدح لهم، متعصباً للمضرية على القحطانية وهو من أصحاب الملحمة، أشهر شعره «الهاشميات» وهي عدة قصائد في مدح الهاشمين ترجمت إلى الألمانية، وكان عالماً بآداب العرب ولغاتها، وأخبارها وأنسابها ثقة في علمه.

اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في شاعر، كان خطيب بني أسد، وفقه الشيعة، وكان فارساً شجاعاً سخياً رامياً لم يكن في قومه - في ذلك الوقت - أرمى منه.

انظر ترجمته في:

الشعر والشعراء: ٥٨٥/٢ - ٥٨٨، المؤلف والمختلف: ١٧٠، الأغاني: ١/١٧ - ٤١، معجم الشعراء للمرزباني: ٣٤٧ - ٣٤٨، الموشح: ١٧٤، سمط اللآلي: ١١/١، الأعلام: ٢٣٣/٥.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٣٩، خفاجي: ٣١١، شاکر: ٣١٠.

(٣) رواية زهر الآداب وشرح المضمون به على غير أهله: «يسير».

(٤) رواية الدلائل، تحقيق رضا: «الجواد» وهي رواية غير صحيحة لأنه بزيادة الألف ينكسر البيت.

(٥) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

والبيت من قصيدة مطلعها:
أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكِ غَيُورٌ وَمَيْسُورٌ مَا يُرْجَى لَدَيْكَ عَسِيرٌ

وقبل الشاهد:
إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ الْخَصِيبِ رِكَابُنَا فَأَيُّ فِتْنٍ بَعْدَ الْخَصِيبِ تَزُورُ
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ

وبعدهما الشاهد وبعده:
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي سُودْدًا مِثْلَ سُودِّدٍ يَجِلُّ أَبُو نَضْرٍ بِهِ وَيَسِيرُ
الشاهد فيه كسابقه.

قال الشيخ عبد القاهر معلّقاً على هذا النوع من الكناية:
«كل ذلك توصل إلى إثبات الصفة في الممدوح، بإثباتها في المكان الذي يكون فيه، وإلى لزومها له بلزومها الموضع الذي يحله»^(١).

ورأى السكاكي وتبعه القزويني أنَّ في البيت كنايتين، فإنَّه نكر لفظ (جود)، فكُنِّيَ به عن جميع الجود، ونفى أن يتعدَّى الجود ممدوحه، ويحلُّ دونه، فيكون متوزعاً يقوم منه شيء بهذا وشيء بهذا، وكُنِّيَ عن إثباته له بتخصيصه بجهته، وذلك بعد تعريفه باللام التي تفيد العموم، فكُنِّيَ بالشرط الأول عن اتصافه بالجود، وبالثاني عن لزوم الجود له^(٢).

قال السكاكي:
«فإنَّه أراد أن يجمع الجود لا على سبيل التصريح، ويثبته للممدوح لا على

= ديوانه: ٤٨١، الوساطة: ٢٨٦، زهر الآداب: ٩٩٣/٤، شرح المضمون به على غير أهله: ١٦١، المفتاح: ١٧٣، الإيضاح: ٤٦٣/٢، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (٣١١).

(١) الدلائل، رضا: ٣٢٩، خفاجي: ٣١١، شاکر: ٣١٠.

(٢) انظر: المفتاح: ٧٣، الإيضاح: ٤٦٤.

سبيل التصريح أيضاً، فعمد إلى نفس الجود، فنفى أن يكون متوزعاً يقوم منه جزء بهذا، وجزء بذلك، فنكر الجود قصداً إلى فرد من أفراد الحقيقة، ونفى أن يجوز ممدوحه، فقال: فما جازه جود بالتنكير كما ترى تنبيهاً بذلك على أن لو جازه، لكان قائماً بمحل هناك لامتناع قيامه بنفسه، ثم لمثل هذا قال، ولا حلّ دونه كناية بذلك عن عدم توزعه، وتقسمه، ثم خصصه من بعد بجهة تلك الجهة لممدوحه بعد أن عرفه باللام الاستغرافية، فقال: ولكن يصير الجود حيث يصير كناية عن ثبوته له^(١).

وذكر القزويني أن البيت يحتمل وجهاً آخر، وهو «أن يكون كل منهما كناية عن اختصاصه به، وعدم الاقتصار على أحدهما للتأكيد والتقرير، وذكرهما على الترتيب المذكور؛ لأن الأولى بواسطة بخلاف الثانية»^(٢).
الشاهد السابع عشر بعد المائتين^(٣):
(الطويل)

قول الشنفرى^(٤):

يَبِيتُ^(٥) بِمَنْجَاةٍ^(٦) مِنْ اللَّوْمِ^(٧) يَبِيتُهَا إِذَا مَا يَبِيتُ بِالْمَلَامَةِ^(٨) حُلَّتِ^(٩)

(١) المفتاح: ١٧٣.

(٢) الإيضاح: ٤٦٤/٢.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٣٩، خفاجي: ٣١١، شاکر: ٣١٠.

(٤) هو شاعر جاهلي من بني الحرث بن ربيعة بن الإواس بن الحجر بن الهنو «الهنء» بن الأزد بن الغوث والشنفرى اسمه وقيل: لقب له، واسمه عمرو بن مالك، ومعناه عظيم الشفة، وهو ابن أخت تابط شراً.

كان أحد العدائين الثلاثة المشهورين حتى قيل: «أعدى من الشنفرى».

انظر ترجمته في:

الأغاني: ١٧٩/٢١ - ١٩٥.

(٥) رواية المفضليات: «تَحُلُّ» ورواية الأغاني: «يَحُلُّ».

(٦) ذكر الأستاذ محمود شاکر أنه ورد في هامش إحدى المخطوطات أن الصواب «بمنحاة» بالحاء غير المعجمة، ورجح أن يكون هذا التصويب للشيخ عبد القاهر، فذكر ما نصه: «وفي هامش المخطوطة بخط كاتبها فوق كلمة «بمنحاة» وكأنه قول عبد القاهر، ما نصه: «الرواية الصحيحة: بمنحاة، بالحاء غير المعجمة».

وهو من قصيدة قالها في قتله حزاماً قاتل أبيه^(١)، ومطلعها:
أَلَا أُمُّ عَمْرٍو أَجْمَعَتْ فَاسْتَقَلَّتْ وَمَا وَدَّعْتُ جِيرَانَهَا إِذَا تَوَلَّتْ

وقبل الشاهد:

تَبَيَّتْ بُعِيدَ النَّوْمِ تُهْدِي غُبُوقَهَا لِجَارَتِهَا إِذَا الْهَدْيَةُ قَلَّتْ

وبعده الشاهد وبعده:

كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًّا تَقْصُهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تُكَلِّمُكَ تَبَلَّتْ^(٢)
أُمِيمَةً لَا يَخْزِي نَهَاها حَلِيلُهَا إِذَا ذَكَرَ النَّسْوَانُ عَفْتُ وَجَلَّتْ

استشهد به الشيخ على الكناية عن نفي الصفة عن الموصوف والبيت كناية عن العفة، وتوصل إلى نفي اللوم عنها، بأن نفاه عن بيتها، فهو حين أراد أن يثبت عفافها وبراءة ساحتها عن التهمة، وكمال نجاتها من أنواع الفجور قصد إلى نفس النجوة عن اللوم، وَلَمَّا رَأَاهَا غير مختصة وحدها بتلك العفيفة لوجود عفاف كثيرات في الدنيا، نسبها إلى ما يحيط بها، وهو البيت تخصيصاً للنجاة عن اللوم

= (٧) رواية الدلائل، تحقيق شاكر «من اللوم».

(٨) رواية المفضليات: «بالمذمة».

(٩) انظر البيت في:

المفضليات: ١٠٩، الأغاني: ١٨٧/٢١، نهاية الإيجاز: ١٠٣، المفتاح: ١٧٣، الإيضاح: ٤٦٥/٢، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد رقم (٣١٢)، شروح التلخيص «عروس الأفراح»: ٢٧٤/٤.

(١) أخذ بنو سلامان بن مفرج الشنفرى أسير فداء وهو غلام صغير، فتربى فيهم، ولما كَبُرَ عَلِمَ بأمره وغضب لذلك غضباً شديداً وتوعدهم أن يقتل مائة رجل منهم فقتل تسعة وتسعين وكان ممن قتل رجل يقال له حزام بن جابر قتل بمنى حين أخبر أنه قاتل أبيه.

انظر: القصة مطولة في الأغاني: ١٧٩/٢١.

(٢) تَبَلَّتْ: أي تَبَلَّتْ الكلام وتقطعه بما يعتربها من البُهِرِ والبَلَّتْ بالتحريك: الانقطاع، وقبل:

تَبَلَّتْ فِي بَيْتِ الشَّنْفَرَى: تفصل الكلام. اللسان «بلت»: ١١/٢.

بها، فنه بنفي اللوم عن بيتها عن انتفاء جميع أنواع الفجور عنها، وبه على برائتها منها.

ولقد اختار الشاعر لفظ «بيت» بدلاً من «يظل» لمزيد اختصاص الليل بالفواحش^(١).

وأشار الشيخ عبد القاهر إلى أن هذا الشاهد شبيه بقول زياد السابق:
إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالنَّدَى...

إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ الشَّاهِدِينَ، فَهُوَ هُنَاكَ يَثْبُت، وَالشَّاعِرُ هُنَا يَنْفِي.
قال الشيخ:

«وهكذا إن اعتبرت قول الشنفرى يصف امرأة بالعفة... وجدته يدخل في معنى بيت زياد، وذلك أنه توصل إلى نفي اللوم عنها، وإبعادها عنه، بأن نفاه عن بيتها، وباعد بينه، وكان مذهبه في ذلك مذهب زياد في التوصل إلى جعل السماحة والمروءة والندي في ابن الحشرج، بأن جعلها في القبة المضروبة عليه، وإنما الفرق أن هذا ينفي، وذاك يثبت، وذلك فرق لا في موضع الجمع، فهو لا يمنع أن يكونا من نصاب واحد»^(٢).

وأشار القزويني إلى أن الشاهد يحتوي على كنايتين «فإن حلول البيت بمنجاة من اللوم كناية عن نسبة العفة إلى صاحبه، والمنجاة من اللوم كناية عن العفة»^(٣).

وفي البيت كناية ثالثة في قوله: «إذا ما بيوت بالملامة حُلَّت» وهي كناية عن عدم طهارة أصحابها.

وفي البيت لطائف بلاغية جميلة منها قوله:

(١) انظر: المفتاح: ١٧٣، الإيضاح: ٤٦٥/٢.

(٢) انظر: الدلائل، رضا: ٣٣٩، خفاجي: ٣١١-٣١٢، شاکر: ٣١٠.

(٣) الإيضاح: ٤٦٥/٢.

«بيت... بيتها»، فهو مجاز عقلي حيث أسند البيات إلى المنزل، وهو إنما يصدر من أهل البيت، وسر هذا المجاز دلالة على عموم الهدوء، والسكون في دارها.

وقوله: «من اللوم» مجاز مرسل علاقته المسببية، فقوله من اللوم أي من الفجور الذي هو سبب في اللوم.
الشاهد الثامن عشر بعد المائتين^(١):
(الطويل)

قول حسان:
بَنَى الْمَجْدُ بَيْتاً فَاسْتَقَرَّتْ عِمَادُهُ عَلَيْنَا فَأَعْيَى النَّاسَ أَنْ يَتَحَوَّلَا^(٢)

وهو من قصيدة مطلعها:
لَكَ الْخَيْرُ غُضِي اللَّوْمُ عَنِّي فَإِنِّي أُجِبُّ مِنَ الْأَخْلَاقِ مَا كَانَ أَجْمَلًا

قبل الشاهد:
فَنَحْنُ الدَّرَى مِنْ نَسْلِ آدَمَ وَالْعُرَا تَرَبَّعَ فِيْنَا الْمَجْدُ حَتَّى تَأْتَلَا

وبعد الشاهد:
وَإِنَّكَ لَنْ تَلْقَى مِنَ النَّاسِ مَعْشَرًا أَعَزُّ مِنَ الْأَنْصَارِ عِزًّا وَأَفْضَلًا

الشاهد فيه الكناية عن النسبة، وهو إثبات الصفة للموصوف بإثباتها في المكان الذي يحل به، فجعل للمجد بيتاً، ثم ذكر أن عماد هذا البيت مستقرة على الممدوحين، إلا أن الشيخ ذكر أن هذا الشاهد يمتاز على الشواهد السابقة، بأن خرج في صورة أغرب وأبدع، ولم يبين جمال تلك الصورة ووجه غرابتها.

ولعل جمالها وسر غرابتها يكمن في أنه جاء بالكناية عن النسبة عن طريق التجسيد والتصوير، فَشَبَّهَ المجد بصورة إنسان قوي قام بتشيد منزل شامخ مستقر

(١) الدلائل، رضا: ٢٤٠، خفاجي: ٣١٢، شاکر: ٣١١.

(٢) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

شرح ديوان حسان: وضعه وصححه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي: ٤٠٥.

الدعائم، وأضمر التشبيه في النفس كناية، فحذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو البناء، ثم ذكر استقرار تلك الدعائم على قبيلته، وجاء بـ«الفاء» في قوله: «فاستقرت» دون الواو أو ثم، ليثبت ويؤكد ثبات المجد لهم، فهو بمجرد أن بناء أسرع فاستقر عليهم دون غيرهم وزيادة في تأكيد نسبة ذلك المجد لهم زاد من بيان متانته، وشدة رسوخه عليهم، فهو قد أعيا الناس فلم يتمكنوا من تحويله عنهم، فهو ثابت لهم على مر العصور.

قال الشيخ:

«... ذاك لأن مدار الأمر على أنه جعل المجد، والممدوح في مكان، وجعله يكون حيث يكون»^(١).

الشاهد التاسع عشر بعد المائتين^(٢): (الكامل)

قول البحري:

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ الْقَمَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ^(٣)

وهو من قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب^(٤)،

(١) الدلائل، رضا: ٢٤٠، خفاجي: ٣١٢، شاکر: ٣١١.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٤٠، خفاجي: ٣١٢، شاکر: ٣١١.

(٣) لم أجده فيما لدي من مصادر إلا في:

ديوانه: ٣٦٨/٢، إعجاز القرآن للباقلاني: ٢٣٤، شرح أبيات الحماسة للتبريزي: ٤٨/٤،

المفتاح: ١٧٤، الإيضاح: ٤٦٧/٢، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد

(٣١٥)، عقود الدرر: ٥٢ ب.

(٤) هو أبو جعفر محمد بن علي بن عيسى بن موسى بن طلحة بن محمد بن السائب بن مالك

الأسعري القمي، أخذ نسبة هذا من بيت في قصيدته رقم (٥٧٨) - ديوانه تحقيق الصيرفي -

يقول فيه:

عَلِيّ بْنَ عِيْسَى بْنِ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ بـ مِّنْ سَائِبِ بْنِ مَالِكِ حِينَ يَرْمُقُ

كان والده قائداً مشهوراً، وللبحري في أبي جعفر اثنا عشرة قصيدة ومقطوعة.

وكان البحري كثيراً ما يستسقي منه النبيذ، وتردد على بيته.

ومطلع القصيدة:

أَهْلًا بِذَلِكَ خَيَالِ الْمُقْبِلِ فَعَلَ الَّذِي نَهَوَاهُ أَوْ لَمْ يَفْعَلِ

وقبل الشاهد:

سَارَ إِذَا أَدْلَجَ الْعُفَاةُ إِلَى النَّدَى لَا يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ غَيْرَ مُعْجَلِ
عَالٍ عَلَى نَظَرِ الْعَيُونِ^(١) كَأَنَّمَا جَذَبَتْهُ أَفْرَادُ النُّجُومِ بِأَخْبَلِ

وبعدهما الشاهد وبعده:

صَيْفٌ لَهُمْ يُقْرِى الضُّيُوفَ وَنَازِلٌ مُتَكَفِّلٌ فِيهِمْ بِبِرِّ النُّزُلِ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ فَتَى يُسَوِّفِي عَلَى ظُلْمِ الْخُطُوبِ فَتَنْجَلِي

والشاهد فيه كابقه وهو مجيء الكناية عن النسبة، أو إثبات الصفة للموصوف بصورة بديعة غريبة. حيث صور الشاعر المجد برجل شريف له رَحْلٌ يخص بها من يريد، وحذف المشبه به، وجاء بشيء من لوازمه، وهو إلقاء الرَّحْلِ، وخص به آل طلحة، ووصفه بعدم التحول، فلزم من ذلك كون محله، وموصوفه آل طلحة. قال ابن يعقوب:

«... فَإِنَّ إلقاء المجد رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ مَعَ عَدَمِ التَّحَوُّلِ مَعْنَى مُجَازِي إِذْ لَا رَحْلَ لِلْمَجْدِ، وَلَكِنْ شُبِّهَ بِرَجُلٍ شَرِيفٍ لَهُ رَحْلٌ يَخْصُ بِنَزُولِهِ مِنْ شَاءَ، وَوَجْهَ الشَّبْهِ الرِّغْبَةُ فِي الْإِتِّصَالِ بِهِ، فَأَضْمَرَ التَّشْبِيهَ فِي النَّفْسِ كِنَايَةً، وَاسْتَعْمَلَ مَعَهُ مَا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ الْمَشْبَهِ بِهِ، وَهُوَ إلقاء الرَّحْلِ أَيْ الْخِيْمَةِ وَالْمَنْزِلِ، وَلَمَّا جَعَلَ الْمَجْدَ مُلْقِيًا رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ بَلَا تَحَوُّلٍ لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ كَوْنُ مُحَلِّهِ مَوْصُوفَهُ آلِ طَلْحَةَ لِعَدَمِ وَجْدَانِ غَيْرِهِمْ مَعَهُمْ، وَذَلِكَ بِوَاسِطَةِ أَنَّ الْمَجْدَ وَلَوْ شَبَّهَ بِذِي الرَّحْلِ هُوَ صِفَةٌ لَا بَدَلَ لَهُ مِنْ مُحَلٍّ وَمَوْصُوفٍ، وَهَذَا السُّوْطُ بَيِّنٌ بِنَفْسِهِ، فَكَانَتْ هَذِهِ

= انظر: أخبار البحري: ٥٣ - ٥٩، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٩، ١٥٣، ١٥٩، ١٨٣،

١٨٥، ذيل الأخبار: «الخبر» (١٢٤)، جمهرة الأنساب: ٤٦١، تحقيق ديوانه - صيرفي -:

٢٠/١.

(١) رواية إعجاز القرآن للباقلاني: «على نظر الحسود».

الكناية ظاهرة، والواسطة واحدة، فقد قُلَّت الوسائط مع الظهور^(١).

وهذا النوع سَمَّاه السكاكي «الإيماء والإشارة»^(٢).

وهو أن تشير إلى قريب منك مع عدم الخفية، ومع قلة الوسائط.

فالسكاكي قد قسم الكناية خمسة أقسام تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء، وإشارة. وهذه الأقسام قد تتداخل، وتختلف، والضابط لها اختلاف الاعتبارات من الوضوح والخفاء وقلة الوسائط أو كثرتها.

ولعل من أوجه اللطف في الشاهد أنه بدأه بالهمزة المفيدة للإنكار والتعجب وجعل الواو عاطفة للجملة على جملة مقدرة، والتقدير كيف يُنكر كرم آل طلحة أو ما رأيت المجد^(٣).

وأنه جاء بـ (ثم) في قوله: (ثم لم يتحول) - والتي تفيد التراخي في الزمن - بدلاً من الواو ليدل على ثبات المجد واستمراره لهم.

الشاهد العشرون بعد المائتين^(٤):

(الطويل)

قال البحتري:

ظَلَّلْنَا نَعُودَ الْجُودِ مِنْ وَعْكَكَ الَّذِي وَجَدْتَ وَقُلْنَا آغْتَلْ عُضْوٌ^(٥) مِنْ الْمَجْدِ^(٦)

وهو من قصيدة في مدح إبراهيم بن المدبر، ويذكر علة نالته ومطلعها:
بِأَنْفُسِنَا لَا بِالطَّوَارِفِ وَالتُّلْدِ نَقِيكَ الَّذِي تُخْفِي مِنَ الْوَجْدِ أَوْ تُبْدي

وبعده بيت قبل الشاهد:

بِنَا مَعْشَرَ الْعَافِينَ مَا بِكَ مِنْ أَدَى فَإِنْ أَشْفَقُوا مِمَّا أَقُولُ فِيَّ وَخِدي

(١) شروح التلخيص - مواهب الفتاح -: ٢٧٠/٤.

(٢) المفتاح: ١٧٤.

(٣) عقود الدرر: ٥٣ أ.

(٤) الدلائل، رضا: ٢٤٠ - ٣٧٥، خفاجي: ٣١٢ - ٤٤٥، شاکر: ٣١١ - ٤٩٠.

(٥) رواية الدلائل، تحقيق شاکر «عضو» بكسر العين، وأعتقد أنه خطأ مطبعي.

(٦) ديوانه: ٢٤٤/١.

وبعده الشاهد وبعده:

وَلَمْ تُنْصَفِ اللَّيْثَ اقْتَسَمْنَا نَوَالَهُ وَلَمْ نَقْتَسِمْ حُمَاهُ إِذْ أَقْبَلَتْ تُرْدِي

استشهد به الشيخ على أنه ليس كل ما جاء كناية في إثبات الصفة يصلح أن يحكم عليه بالتناسب، وأن يكون كل منهما نظيراً للآخر، فالبحتري جعل الجود والكرم والمجد يمرض بمرض الممدوح، وقصد من ذلك إثبات الجود والمجد. . للممدوح، وهذا ليس معناه أنه نظير لبيت «زياد» فالغرض وإن كان واحداً إلا أن طريقة الإثبات قد اختلفت.

قال الشيخ عبد القاهر:

«وأعلم أنه ليس كل ما جاء كناية في إثبات الصفة يصلح أن يحكم عليه بالتناسب، معنى هذا أن جعلهم الجود والكرم والمجد يمرض بمرض الممدوح كما قال البحتري. . . وإن كان يكون القصد منه إثبات الجود والمجد للممدوح، فإنه لا يصح أن يقال أنه نظير لبيت «زياد»^(١).

والشاهد يشتمل على صورة رائعة للكرم والجود، حيث صور الجود بإنسان معتل، وجعل سبب علته اعتلال الممدوح؛ لأن الجود ممثل فيه، وهذا تعليل لطيف.

وزاد من جمال الصورة مجيء الاسم الموصول (الذي وجدت) لاستهجان ذكر المرض، وإبراز الأسى والحزن على الممدوح.

ثم زاد الشاعر من إبراز صورة الكرم، بأن شبه المجد الذي يشمل جميع الفعال من الجود والكرم، وغيرها بإنسان وحذف المشبه به، وأتى بشيء من لوازمه، وهو العضو والاعتلال.

وفي جعل اعتلال الجود والكرم تابعاً لاعتلال الممدوح إثبات لاختصاص الجود بالممدوح، وأن كل جود كائن تابع له.

(١) الدلائل، رضا: ٢٤٠، خفاجي: ٣١٢، شاکر: ٣١١-٣١٢.

قول أبي تمام:

أَبِينُ^(٢) فَمَا يَزُرُنْ سِوَى كَرِيمٍ وَحَسْبُكَ أَنْ يَزُرُنْ أَبَا سَعِيدٍ^(٣)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري^(٤)، ومطلعها:
حَمَمَتُهُ فَاحْتَمَى طَعْمَ الْهُجُودِ غَدَاةَ رَمَتُهُ بِالطَّرْفِ الصِّيُودِ

وقبل بيت الشاهد:

فَلَا تَصْ شَوْقُهُنَّ يَزِيدُ شَوْقاً وَإِذَا أَنْبَعَثَتْ عَلَى أَمَلٍ بَعِيدٍ
وَيَمْنَعُنَ الرُّقَادَ مِنَ الرُّقُودِ فَقَدْ أَذْنَتْ مِنَ الْأَمَلِ الْبَعِيدِ

وبعدهما الشاهد وبعده:

فَحَيِّهْ لَا يَذْكُرَاهُ وَكَرِيمٍ بِهِ مِنْ مَعْدِنِي كَرَمٍ وَجُودٍ
فَتَى لَا يَسْتَظِلُّ غَدَاةَ حَرْبٍ إِلَى غَيْرِ الْأَسْنَةِ وَالْبَنُودِ

والشاهد كناية عن نسبة، فهو حين جعل الإبل تأبى زيارة كل كريم إلا أبا سعيد أثبت بذلك الكرم له دون غيره.

ذكر الأستاذ محمود شاکر أنه جاء في إحدى المخطوطات تعليق على هذا البيت، وكأنه من كلام الشيخ عبد القاهر قال:

«أي وحسبك في الدلالة على أنهم لا يزرن سواه، أنهم يزرن أبا سعيد، والخطاب في مثل هذا لكل من سمع الشعر»^(٥).

(١) الدلائل، رضا: ٢٤١، خفاجي: ٣١٣، شاکر: ٣١٣.

(٢) الضمير في «أبين» و«يزرن» يرجع إلى الإبل التي يصفها.

(٣) ديوانه: ٩٧، المقتاح: ١٧٤، الإيضاح: ٤٦٧/٢، شرح أبيات الإيضاح: ٣٣٣/٣، شاهد (٣١٤).

(٤) ستأتي ترجمته: ٩٧٤.

(٥) الدلائل، رضا: ٢٤١، خفاجي: ٣١٣، شاکر: ٣١٣.

وذكر الشيخ أيضاً أن الشاهد من اللطيف النادر في باب الكناية قال:
 «وليس لشعب هذا الأصل، وفروعه، وأمثله، وصوره، وطرقه، ومسالكه
 حد، ونهاية، ومن لطيف ذلك ونادره قول أبي تمام...»^(١).
 فالشيخ لم يبين وجه تلك الندرة، وموضع ذلك اللطف، ولعل من أوجه
 اللطف في البيت أنه جعل الإبل هي التي تأبى زيارة غيره، وتألف وتأنس
 لزيارته، فالعلم بكرمه وجوده غير قاصر على البشر بل تعدّاهُ إلى الإبل، وهذا
 دليل على عموم ذلك الكرم.

ونكر لفظ كريم ليدل على أنه كريم من نوع خاص تعجب له النفس،
 ويقره الحس، فقد بلغ من الكرم مبلغاً عظيماً لا يبلغه سواه.
 وهذا الشاهد جعله السكاكي من قسم (الإيماء والإشارة) فالإيماء - كما
 ذكرت سابقاً - هو أن تشير إلى قريب منك من غير خفاء فَإِنَّ إفادة أن أبا سعيد
 كريم غير خاف^(٢).

الشاهد الثاني والعشرون بعد المائتين^(٣):

(الوافر)
 مَتَى تَخْلُو تَمِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ وَمَسْلَمَةُ بْنُ عَمْرٍو مِنْ تَمِيمٍ^(٤)
 ذكره الشيخ من غير نسبة^(٥).

استشهد به الشيخ على أنه من باب الكناية عن نسبة.
 فإثبات الصفة هنا جاء عن طريق نفي خلو تميم من الكرم، واشترط لنفي
 هذا الخلو وجود ودوام مسلمة بن عمرو، فأثبت بهذا الشرط ثبات الجود له.

(١) الدلائل: شاکر: ٣١٣.

(٢) المفتاح: ١٧٤.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٤١، خفاجي: ٣١٣، شاکر: ٣١٣.

(٤) المفتاح: ١٧٤، الإيضاح: ٤٦٧/٢، شرح أبيات الإيضاح: ٣/٣٣٣، شاهد (٣١٧).

(٥) لم أقف عليه.

ومن الأوجه البلاغية في البيت أنه جاء بالاستفهام بمتى، ومعناها هنا النفي أي «لا تخلو تميم» ويفيد أيضاً الإنكار أي إنكار أن تخلو تميم من كريم.

ونُكر كريم ليدل على أنه كريم من نوع خاص منفرد، قد بلغ من الكرم مبلغاً لا يبلغه أحد، وذكر اسم الممدوح وتلاه باسم والده، تعظيماً له وفخراً به. ولم يعلق الشيخ على البيت إلا أنه ذكر أنه لم يبلغ مبلغ قول أبي تمام: **أَبْنَى فَمَا يَزُرْنَ سِوَى كَرِيمٍ...**

الشاهد الثالث والعشرون بعد المائتين^(١):

(المقارب)

إِذَا اللَّهُ لَمْ يَسْقِ إِلَّا الْكَرَامَ فَسَقَى وَجْهَ بَنِي حَنْبَلٍ
وَسَقَى دِيَارَهُمْ بَاكِراً مِنَ الْغَيْثِ فِي الزَّمَنِ الْمُمَجَّلِ^{(٢)(٣)}

نسبهما الشيخ لبعض العرب، وهما لزُهَيْر بن عروة بن جلهمة^(٤)، حين غاضب قومه في شيء ذمه منهم، وفارقهم إلى غيرهم من بني تميم، فلحقه فيهم ضيم، وأراد الرجوع إلى عشيرته، فأبت نفسه ذلك عليه، فقال الأبيات المذكورة آنفاً يتشوق ناساً منهم كانوا بني عمه يقال لهم بنو حنبل.

(١) الدلائل، رضا: ٢٤١، خفاجي: ٣١٣، شاکر: ٣١٣.

(٢) الممجل: المجل الجذب، وهو انقطاع المطر وييس الأرض من الكلا، وقال ابن السكيت: أمجل البلد فهو ماحل، ولم يقولوا مُمَجَّل، قال: وربما جاء في الشعر، والزمن الممجل المجدب القاحل. اللسان «مجل»: ٦١٧/١١.

(٣) انظر البيتين في:

الأغاني: ٢٦٩/٢٢ - ٢٧٠، سمط اللالي: ٤٤١/١، المفتاح: ١٧٤، «بدون نسبة»، الإيضاح: ٤٦٧/٢، «بدون نسبة»، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (٣١٦)، «لم ينسبه».

(٤) هو زهير بن عروة بن جلهمة بن حُزاعي شاعر جاهلي يلقب «بالسكب»، وكان زهير بن عروة من أشراف بني مازن وأشدائهم وفرسانهم وشعرائهم. انظر ترجمته:

الأغاني: ٢٦٩/٢٢ - ٢٧١، وفي اللسان نُسِب البيت الأول من الشاهد مع أبيات أخرى لعبد الرحمن بن حسان، وجاء في اللسان:

وبعد الشاهد:

مُلِثًا^(١) أَحَمَّ^(٢) دَوَانِي السَّحَا بِ هَزِيمَ الصَّلَاصِلِ^(٣) وَالْأَزْمَلِ^(٤)
تُكَرِّكِرُهُ^(٥) خَضَخَضَاتُ الْجُنُو^(٦) بِ وَتُفْرِغُهُ هِزَّةُ الشَّمَالِ^(٧)

الشاهد فيه كسابقه أي أنه من باب الكناية عن نسبة حيث أثبت صفة الكرم لهم، وذلك حين نفى السقيا عن جميع الناس إلا الكرام، ثم خُصَّص وجوه بني حنبل، بالسقيا، ففي هذا إثبات الكرم لهم.

= «قال الأصمعي: أحسن بيت قالته العرب في وصف الرباب، قول عبد الرحمن بن حسان على ما ذكره الأصمعي في نسبة البيت إليه، قال ابن بري: ورأيت من ينسبه لعمرو بن جلهمة المازني.

وانظر: اللسان «رب»: ٤٠٢/١.

ويعني قوله: أحسن بيت قالته العرب:

كَأَنَّ الرَّبَّابَ دَوَّيْنُ السَّحَا بِ نَعَامُ نَعَلْتُ بِالأَرْجُلِ
وقد نُسبت بعض أبيات هذه القصيدة لبعض بني مازن، كما في الأزملة والأمكنة: ٢٤٦/٢ - ٢٤٧، ونسب المبرد بيتاً منها في الكامل - طبعة مكتبة المعارف -: ٧٨/٢، للمازني دون التصريح باسمه، ونُسب بيتٌ منها في النقاظ: لعبد الرحمن بن حسان: ١٥٩ - ٩٣٥.

(١) مُلِثًا: المُلْتُ: اختلاط الضوء بالظلمة، وهو عند العشاء، وعند طلوع الفجر. اللسان «ملت»: ١٩٢/٢.

(٢) أَحَم: الحَمَمُ: مصدر الأحَم والجمع الحُم، وهو الأسود من كل شيء. اللسان «حمم»: ١٥٦/١٢.

(٣) صلاصل: الصلصلة: صفاء صوت الرعد. اللسان «صلل»: ٣٨٢/١١.

(٤) الأزمل: كل صوت مختلط. اللسان «زمل»: ٣٠٩/١١.

(٥) تَكَرَّكِرُهُ: تكركر الشيء إذا جمعه، ورد أطراف ما انتشر منه. اللسان «كرر»: ١٣٨/٥.

(٦) الجنوب: ريح الجنوب، وهي الريح التي تقابل الشمال، وإذا جاءت الجنوب جاء معها خيرٌ وتلقيح. الصحاح «جنب»: ١٠٣/١، اللسان «جنب»: ٢٨١/١.

(٧) الشَّمَال: ريح تهب من قبل الشام عن يسار القبلة، وقيل: الشمال من الرياح التي تأتي من قبل الجُحُر وقيل: الشمال من الرياح: ما استقبلك عن يمينك إذا وقفت في القبلة. اللسان «شمل»: ٣٦٦/١١.

ومما زاد هذا الإثبات وأكده بدء الجملة بإذا الشرطية التي من شأنها الجزم بوقوع الشرط، فجزمت بوقوع السقيا على الكرام، ثم جاء بـ «الفاء» ليسرع بنقل السقيا إلى وجوه بني حنبل، فهم أهل لها، وفي ذلك إثبات اختصاصهم بها، وجاء بـ «الواو» ووصل بين جملة «فَسَقَى وجوه بني حنبل» وجملة «وَسَقَى ديارهم» للتأكيد، وبالغ في معنى السقيا، وذلك بقوله: «سَقَى» بالتضعيف، ولم يقل: «سَقَى»، وَخَصَّصَ وقت السقيا بالبكور؛ لأنه أفضل الأوقات للسقيا، وفيه تكثر وتغرز.

وقوله: «من الغيث» بيان لقوله: «سَقَى»، وإِنَّمَا جاء به زيادة توكيد.

وإِنَّمَا دَعَا للممدوح بالسقيا لِيَزِيدَ الله في ماله، ويكثر هو في نواله.

وهذا البيت عند السكاكي من النوع المسمى «إيماء وإشارة»^(١).

الشاهد الرابع والعشرون بعد المائتين^(٢): (الطويل)

تَبَدَّلْتُمَا دُلًّا بِعِزٍّ مُؤَيَّدٍ ^(٣)	سَأَلْتُ النَّدَى وَالْجُودَ مَالِي أَرَاكُمَا
فَقَالَا أَصْبْنَا بِأَبْنٍ يَخْيِي مُحَمَّدٍ	وَمَا بَالُ رُكْنِ الْمَجْدِ أَمْسَى مُهْدَمًا
فَقَدْ كُنْتُمَا عَبْدَيْهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ	فَقُلْتُ فَهَلَا مِتُّمَا عِنْدَ مَوْتِهِ
مَسَافَةً يَوْمٍ ثُمَّ نَتَلَوُهُ فِي غَدٍ ^(٤)	فَقَالَا أَقْمَنَا كَيْ نَعَزَّى بِفَقْدِهِ

ذكرها الشيخ من غير نسبة^(٥).

وأشار إلى أنها قول بعضهم في البرامكة^(٦).

(١) المفتاح: ١٧٤.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٤٢، خفاجي: ٣١٤، شاکر: ٣١٤.

(٣) وذكر الأستاذ محمود شاكر في تحقيقه للدلائل رواية أخرى «بعز مؤيد» من أيده «إذا قواه وعززه»، ورأى أنها أفضل من رواية «مؤيد» بالباء، الدلائل، تحقيق شاكر: ٣١٤.

(٤) المفتاح: ١٧٤، شرح أبيات الإيضاح: ٣٣٣/٣، شاهد (٣١٧).

(٥) لم أعثر على قائله بعد.

(٦) البرامكة: أسرة فارسية من أبنائها الوزراء الأول في الخلافة الإسلامية، كانوا قديماً على =

والشاهد في الأبيات كسابقتها، وهو أنها من باب الكناية عن نسبة، فالشاعر هنا يريد أن يثبت للممدوح صفة الجود، فهو حين ذكر أن الجود والندى قد أصبحا في ذلٍّ بعد عز، وأنَّ المجد قد تَهَدَّم ركنه بعد أن كان راسخ البنيان، وجعل كل ذلك لموت الممدوح «ابن يحيى محمد» دل ذلك على بالغ جوده وكرمه، والبيت تصوير رائع لحادثة نفسية أصيب بها الشاعر أخرجها عن طريق الحوار ليخفف من آلامه وأحزانه، فتخيل الندى والجود شخصين ماثلين أمامه، وقد بدت عليهما أمارات الحزن وتبدَّل الحال، وقد كان يعرفهما من قبل وهما يلبسان ثياب المجد، فتعجب من حالهما فبادرهما بالسؤال عن سبب تبدل الحال، ثم تلا سؤاله لهما بسؤال آخر من غير أن يترك لهما فرصة للإجابة؛ لأن الأمر بالغ الغرابة، والموقف عظيم على نفس الشاعر وهنا سارع الجود والندى بالإجابة ليخففا من وطأة الحزن. فقالا: «أصبنا بابن يحيى محمد» وهنا أسرع هو بالرد عليهما متعجباً من عدم موتهما، لموت الممدوح، فهما عباده في كل موقف، وأن الحياة بعده ليس لها طعم ولا مذاق، وجاءت الإجابة بسرعة أيضاً وهي إجابة لم يتوقعها الخيال، وإنما فوجيء بها، فسبب إقامتهما ليس حب الحياة إنما وفقاً لتقبل الغزاء في الممدوح وفاء له، ثم بعد ذلك يَفْنَى الكرم من الوجود لفناء الممدوح.

والموقف كله يدل على التَّفجع والحزن، فجاءت الإجابات كلها بسرعة فائقة لتهدىء من روع النفس وتهدىء من آتِفَاضَةِ الحزن التي اعترتهما، واستعمل في ذلك «الفاء» حيث قال:

«فَقَالَا أَصْبَنَا بِأَبْنِ يَحْيَى مُحَمَّد»
«فَقُلْتُ فَهَلَّا مِتُّمَا عِنْدَ مَوْتِهِ»
«فَقَالَا أَقْمَنَا كَيْ نَعَزَى بِفَقْدِهِ»

= دين المجوس، ثم أسلم منهم من أسلم وحسن إسلامهم، استوزر المنصور جداهم خالد بن برمك ثم نبغ أبناؤه في الوزراء وامتد سلطانهم إلى أن نكبوا في أيام الرشيد. انظر: الفخري في الآداب السلطانية: ١٥٦ - ١٩٧، دائرة المعارف الإسلامية: ٤٩٢/٣.

الشاهد الخامس والعشرون بعد المائتين^(١):

(الطويل)

إِذَا طَمَعُ^(٢) يَوْمًا عَرَائِي^(٣) قَرَيْتُهُ^(٤) كَتَائِبُ^(٥) يَأْسٍ^(٦) كَرَّهَا وَطَرَادَهَا
أُكْدُ^(٧) ثِمَادِي^(٨) وَالْمِيَاهُ كَثِيرَةٌ أَعَالِجُ^(٩) مِنْهَا حَفَرَهَا^(١٠) وَآكِيدَادَهَا
وَأَرْضِي بِهَا مِنْ بَحْرِ آخِرَانِهِ^(١١) هُوَ الرَّيُّ^(١٢) أَنْ تَرْضَى النَّفُوسُ ثِمَادَهَا^(١٣)

نسبها الشيخ لبعض الحجازيين.

- (١) الدلائل، رضا: ٢٤٥، خفاجي: ٣١٨، شاکر: ٣١٨.
- (٢) رواية ديوان المعاني: «إِذَا مَطْمَعُ»، ورواية البصائر والذخائر: «إِذَا أَمَلٌ».
- (٣) رواية ديوان المعاني وسمط اللآلي: «عَرَائِي»، وعلق محقق سمط اللآلي الأستاذ عبد العزيز الميمني بقوله: الأصل: «غدايي» فلعله «غزائي» أو «عَدَايِي» وبالمغربية «عَرَائِي». هامش سمط اللآلي: ٢٤١/١.
- (٤) رواية ديوان المعاني: «غزوتُهُ»، ورواية البصائر: «حَبَوْتُهُ»، ورواية سمط اللآلي: «منحتُهُ»، وكذلك في الطرائف الأدبية أخذاً عن السمط.
- (٥) وروى صدر البيت في البصائر والذخائر: «إِذَا أَمَلٌ عَرَائِي حَبَوْتُهُ».
- (٦) رواية البيان والتبيين: «بَأْسٌ».
- (٧) رواية ديوان المعاني، ومجالس ثعلب، وعنه أخذ في اللسان: «أَمْضُ».
- (٨) الثماد: جمع ثمد، والثمَد: الماء القليل الذي لا مَادَّ له، وقيل: هو القليل يبقى في الجَلَد، وقيل: هو الذي يظهر في الشتاء، ويذهب في الصيف. اللسان «ثمَد»: ١٠٥/٣.
- (٩) رواية مجالس ثعلب، وعنه أخذ في اللسان: «أحاول».
- (١٠) رواية ديوان المعاني: «حضرها».
- (١١) رواية مجالس ثعلب: «أَنْتِي أَرَى الرَّيُّ»، وعليها فلا شاهد.
- (١٢) رواية ديوان المعاني: «هو الرأي».
- (١٣) انظر الأبيات في:

شعر إبراهيم بن العباس الصولي «الطرائف الأدبية»: ١٨٣، ذكر البيت الأول مع بيت آخر نقلاً عن سمط اللآلي.

البيان والتبيين: ٣٣٨/٣، منسوبة لبعض الحجازيين، ديوان المعاني: ١٢٠، مجالس ثعلب: القسم الثاني: ٥٩٦ «من غير نسبة»، البصائر والذخائر لأبي حيان: ٩٣. ذكر البيت الأول من أبيات الشاهد مع بيت آخر، سمط اللآلي: ٢٤١/١، ذكر البيت الأول من أبيات الشاهد مع بيت آخر، اللسان «كدد»: ٣٧٨/٣ البيت الثاني فقط وبدون نسبة.

وهي لإبراهيم بن هرمة^(١)، أو لإبراهيم بن العباس^(٢).

وموضع الشاهد قوله: «إِنَّهُ هُوَ الرَّيُّ».

استشهد به الشيخ على أن دخول «إِنَّ» على ضمير الشأن يزيد الأسلوب حُسناً ولطفاً، وأنه لا يحسن إلّا بها قال:

«ومن خصائصها أَنَّ تَرى لضمير الأمر، والشأن معها من الحسن واللفظ ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليه بل تراه لا يصلح حيث يصلح إلّا بها»^(٣).

ولعل الأسلوب حَسَنٌ وَلَطْفٌ؛ لأن من أسرار ضمير الشأن المفسر بما بعده أن يثير النفس ويشوقها إلى معرفة ما يحويه الضمير حتى إذا جاءت الجملة المفسرة، وكشفت النقاب عن المعنى حسن وقعه، وحلا مذاقه، فَإِذَا دخلت «إِنَّ» المؤكدة على هذا الضمير زادت بلا شك من تمكين المعنى في النفس، وزادتها قبولاً به.

وذكر الشيخ أن البيت من لطيف ما جاء في هذا الباب ونادره.

وذكر أن الضمير في قوله: «إِنَّهُ» يحتمل وجهين:

١ - أن يكون ضمير الأمر، ويكون قوله: «هو» ضمير «أن ترضى» وقد أضمره قبل الذكر على شريطة التفسير، والأصول «إِنَّ الأمر أن ترضى النفوس ثمادها الري».

٢ - أن تكون الهاء في «إِنَّهُ» ضمير «أن ترضى» قبل الذكر ويكون «هو» ضمير فصل، وأصل الكلام «إِنَّ أَنْ تَرْضَى النَّفُوسَ ثِمَادَهَا هُوَ الرَّيُّ» ثم أضمر

(١) ذكر ذلك أبو هلال العسكري في ديوان المعاني، وأعتقد أن هذه النسبة أرجح؛ لأن في نسبة البكري لإبراهيم بن العباس بعض الظن.

(٢) ذكر ذلك البكري مع الظن في نسبته قال:

«وقال آخر، وأظنه إبراهيم بن العباس». سمط اللالي: ٢٤١/١.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٤٤، خفاجي: ٣١٧، خفاجي: ٣١٧.

على شريطة التفسير، وأياً ما كان التقدير، فإنه لا بد من دخول (إن) ولا سبيل لإسقاطها؛ لأن في إسقاطها شناعة^(١).

● الشاعر هنا يصف نفسه بالقناعة والرضا، وعبر عن هذا المعنى تعبيراً رائعاً متمكناً، فعبر عن مزادة الطمع له بـ «إذا» الشرطية ليجزم أنه إذا ألح عليه الطمع يوماً من الأيام فإنه لا شك قاتله، ونكّر لفظ «طمع» لتعظيم هذا الأمر، فالتعظيم هنا يناسب كئيب اليأس، ونكّر لفظ «يوماً» لتحقير اليوم الذي يعتريه الطمع فيه أو للتقليل، وكأنه يقول: «إن الطمع القوي يأتيني قليلاً».

وقال: «عَرَانِي» بدلاً من «أَعْتَرَانِي»، فنقص من بناء الكلمة ليدل على عدم تمكنه في نفسه.

وأنظر إلى الصورة التي رسمها في دفع هذا الطمع، بأن جعله ضعيفاً نازلاً عليه، وجعل قراءه كئيب اليأس.

وفي التعبير عن الإزهاق والقتل بالقرى استخفاف وأستهزاء وتحقير.

فالصورة التي رسمها الشاعر صورة مليئة بالحركة «الكئيب - الكر - الطراد». وهذه الحركة تصوير لنفسية الشاعر النائرة الراضية للطمع.

وكنى عن الكد والاجتهاد في طلب القليل مع القناعة به، وأنه خير من الكثير مع الطمع - بالكد والحفر - في طلب الثماد على الرغم من وجود المياه الكثيرة.

وبعد أن صور ما يريد وهياً النفس لقبول الحقيقة، أعلنها عن طريق «إن» المؤكدة المتصلة بضمير الشأن، ليشوق النفوس إلى معرفة تلك الحقيقة، ويزيد من تمكينها في النفس، فقرر أن الرأي الحقيقي هو أن تقنع النفوس بالقليل، وترضى به.

فالشاعر عبّر في البيت الأول عن مقاومته للطمع، وفي الثاني عن قناعته

(١) الدلائل، رضا: ٢٤٥، خفاجي: ٣١٨، شاكِر: ٣١٩.

بالقليل، وفي الثالث قرر، وأكَّد معنى البيت الثاني زيادة في تمكينه في النفس.
وهكذا جاء تركيبه الشعري مُتداخِل الحَلَقات، مترابط الأجزاء.
ولقد ذكر أبو هلال العسكري أنَّ هذه الأبيات من أجود ما قيل في
القنّاعة^(١).

(١) ديوان المعاني: ١١٩.

ح - عود إلى شواهد إن ومواقعها

الشاهد السادس والعشرون بعد المائتين^(١): (البيسط)

إِنَّ^(٢) شِوَاءَ وَنَشْوَةَ وَخَبَبَ^(٣) الْبَازِلِ^(٤) الْأُمُونِ^(٥) (٦)

ذكره الشيخ من غير نسبة، وهو لسَلَمَى بن ربيعة التيمي^(٧).

- (١) الدلائل، رضا: ٢٤٦، خفاجي: ٣١٩، شاکر: ٣٢٠.
- (٢) خبر «إِنَّ» قوله: «من لَذَّة العيش والفتى...» البيت الخامس.
- (٣) الخبب: ضرب من العدو، وقيل: الخبب السرعة، وقيل: هو أن ينقل الفرس أيامه جميعاً، وأياسره جميعاً، وقيل: هو أن يراوح بين يديه ورجليه، وكذلك البعير. انظر: فقه اللغة: ١٨٦ - ١٨٧، اللسان «خبب»: ٣٤١/١.
- (٤) البازل: بزل الشيء يبزله بَزْلاً، وبزله فتبَزَّل: شقه وتَبَزَّل الجسد: تَفَطَّر بالدم، بزل البعير يبزل بزولاً، فُطِر نابه أي انشق، فهو بازل ذكراً كان أو أنثى، وذلك في السنة التاسعة. اللسان «بزل»: ٥٢/١١.
- (٥) الأمون: ناقة أمون: أمينة وثيقة الخلق، قد أُمِنَتْ أن تكون ضعيفة، وهي التي أُمِنَتْ العِثَار والإعياء. اللسان «أمن»: ٢٥/١٣.
- (٦) لم أجده فيما أطلعت عليه من مصادر إلا في:
الحماسة - «ت: عسيلان»: ٥٦٨/١، رقم (٤١٢)، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٨٣/٣.
- قال التبريزي: «هذه الأبيات خارجة من العروض التي وضعها الخليل بن أحمد، ومما وضعه سعيد بن مسعدة، وأقرب ما يقال فيها أنها تجيء على السادس من البسيط»: ٣ - ٨٣.
- (٧) هو سَلَمَى بن ربيعة بن زيان بن عامر بن ثعلبة بن ذئب بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن =

وهو أول خمسة أبيات وبعده:

يُجْشِمُهَا^(١) الْمَرْءُ فِي الْهَوَى مَسَافَةَ الْغَائِطِ^(٢) الْبَاطِنِ^(٣)
وَالْبَيْضَ يَرْفُلْنَ كَالدَّمَى فِي الرِّيطِ^(٤) وَالْمَذْهَبِ الْمُصُونِ
وَالْكُثْرَ وَالْخَفْضَ أَمْنًا وَشِرْعَ^(٥) الْمِزْهَرِ الْحَنُونِ
مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ وَالْفَتَى لِلدُّهْرِ وَالْدُّهْرِ ذُو فُنُونِ

استشهد به الشيخ على تهية «إِنَّ» النكرة؛ لأن يكون لها حكم المبتدأ في الحديث عنها. قال:

«ومما تصنعه «إِنَّ» في الكلام أنك تراها تهىء النكرة، وتصلحها؛ لأن يكون لها حكم المبتدأ أعني أن تكون محدثاً عنها بحديث بعدها»^(٦).

«ومعنى هذا أن «إِنَّ» انتقل تأثيرها على نوع معين من الوحدات اللغوية أعطتها حكماً لم يكن، وأصلحتها له، وهذا هو دورها الوظيفي، فمن المعروف في النحو التقليدي بداهة أن النكرة لم يكن لها أن تأخذ حكم المبتدأ إلا

= ضبة، وهو شاعر جاهلي، وابناه أبي، وُعُوَّة شاعران، وكان سلمي متلاًفاً للمال. انظر ترجمته:

سمط اللالي: ٢٦٧/١، خزانة الأدب - دار صادر: ٤٠٨/٣، شرح الحماسة للمرزوقي: ٥٤٦/٢٦.

(١) يُجْشِمُهَا: جَشِمَ الْأَمْرُ: مِنْ بَابِ فَهَمَ، وَتَجَشَّمَهُ: أَي تَكَلَّفَهُ عَلَى مَشَقَّةٍ، وَجَشِمَهُ الْأَمْرُ تَجَشُّمًا، وَأَجَشِمَهُ: أَي كَلَفَهُ إِيَّاهُ. مختار الصحاح «جشم»: ١٠٤.

(٢) الغائط: المطمئن من الأرض الواسع. مختار الصحاح «غوط»: ٤٨٤.

(٣) البطين: البعيد. مختار الصحاح «بطن»: ٥٦.

(٤) الرِّيط: جمع رِيطة وهي الملاءة الواسعة: إذا كانت قطعة واحدة، ولم تكن لِفَقَيْنِ، وقيل: الرِّيطَة كل ملاءة غير ذات لِفَقَيْنِ كلها نسج واحد، وقيل: هو كل ثوب لين دقيق، والجمع رِيط ورِباط. اللسان «رِيط»: ٣٠٧/٧.

(٥) الشرعة: الوتر الرقيق، وقيل: هو الوتر مَا دَامَ مشدوداً، وقيل: هو الوتر مشدوداً كان على القوس، أو غير مشدود، وجمعه شِرْع على التفسير. اللسان «شرع»: ١٧٧/٨.

(٦) الدلائل، رضا: ٢٤٦، خفاجي: ٣١٩، شاکر: ٣٢٠.

بشروط، غير أنَّ «إنَّ» يحكم دورها الصرفي الوظيفي تعطي للنكرة هذا الحكم فتتهىء النكرة؛ لأن يكون لها حكم المبتدأ^(١).

● تظهر نفس الشاعر في البيت وهي ترفل في ثياب المتعة واللذة، لذا جاء بـ «إنَّ» قبل النكرة ليهيئ النفوس ويشوقها لتقبل حديثه الممتع، ونكَّر الشاعر لفظ «شواء» ولفظ «نشوة» لتفخيم وتعظيم أمر الشواء والنشوة، فتطرب لهما النفس، ويزداد الاستمتاع بهما. ولو أنه قال:

الشَّوَاءُ وَالنُّشُوءُ وَحَبَبُ الْبَازِلِ الْأُمُونِ
مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ البيت الخامس

لخرج الكلام عن الشعر إلى العامي المرذول.

قال الشيخ:

«.. قد ترى حسنها، وصحة المعنى معها، ثم إنك إن جئت بها من غير «إنَّ»، فقلت: شواء ونشوة وخيب البازل الأمون، لم يكن كلاماً»^(٢).
الشاهد السابع والعشرون بعد المائتين^(٣):

(الخفيف)

إِنَّ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِسُعْدَى^(٤) لَزَمَانَ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ^(٥)

ذكره الشيخ من غير عزو.

(١) عالم اللغة: «عبد القاهر الجرجاني»: ١٣١.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٤٦، خفاجي: ٣١٩، شاکر: ٣٢٠.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٤٦، خفاجي: ٣٢٠، شاکر: ٣٢٠.

(٤) رواية تفسير الطبري، وتأويل مشكل القرآن، وأمالى المرتضى: «بجُمْل». ورواية الصناعتين: «شملي بسلمى».

(٥) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

تفسير الطبري: ١٨٧/١٥، تأويل مشكل القرآن: ١٣٣، الصناعتين: ٣٠٥، أمالي المرتضى: ١٤٥/٢، والبيت ذكر في هذه المصادر من غير نسبة.

ونسبه الأستاذ عبد السلام هارون^(١) لحسان بن ثابت^(٢).

وموضع الشاهد قوله: «إِنَّ دَهْرًا».

والشاهد فيه دخول «إِنَّ» على «المبتدأ» وهو نكرة موصوفة فزادت الكلام حسناً، والمعنى صحة ومكانة. قال:

«... فَإِنْ كَانَتِ النَّكْرَةُ مَوْصُوفَةً، وَكَانَتْ لَذَلِكَ تَصْلَحُ أَنْ يَبْتَدَأَ بِهَا، فَإِنَّكَ تَرَاهَا مَعَ «إِنَّ» أَحْسَنَ، وَتَرَى الْمَعْنَى حِينَئِذٍ أَوْلَى بِالصَّحَّةِ، وَأَمْكَنَ، أَفَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ:

إِنَّ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي...

ليس بخفي - وإن كان يستقيم أن تقول: دهر يلف شملِي بِسُعْدَى دَهْرٌ صالح - أن ليس الحالان على سواء^(٣).

وفي تنكير «دهراً» مع اكتسابه نوعاً من التخصيص لوصفه بجملة «يلف شملِي» تعظيم وتفخيم، وفي ابتداء الجملة «بِإِنَّ» تمكين لهذا التعظيم في النفس للمبالغة في شكر هذا الدهر الذي أحسن إليه، بأن جمعه بمحبوبته «سعدى» وهذا أقصى ما يتمناه.

الشاهد الثامن والعشرون بعد المائتين^(٤):

(مشطور المديد)^(٥)

إِنَّ أَمْرًا فَادِحًا عَنْ جَوَابِي شَغْلَكَ^(٦)

(١) معجم شواهد العربية: ٤١٢.

(٢) لم أجده في ديوانه، طبعة - دار صادر -.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٤٦، خفاجي: ٣٢٠، شاکر: ٣٢٠.

(٤) الدلائل، رضا: ٢٤٦، خفاجي: ٣٢٠، شاکر: ٣٢٠.

(٥) قال التبريزي: «قال أبو العلاء: هذا الوزن لم يذكره الخليل، ولا سعيد بن مسعدة، وذكره الزجاج، وجعله سابقاً للرمل، وقد يحتمل أن يكون مشطوراً للمديد». شرح الحماسة للتبريزي.

(٦) لم أعر عليه فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

ذكره الشيخ من غير نسبة، وهو لام السُّليكَ^(١) ترثي ابنها السُّليكَ، وقد قتله رجل من بني خثعم؛ لأن السليكَ خلفه على امرأته^(٢)، وقيل: هي لام تابط شراً^(٣).

والشاهد من قصيدة مطلعها:

طَافَ يَبْغِي نَجْوَةً مِنْ هَلَاكِ فَهَلَكْ

وقبل الشاهد:

كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ حِينَ تَلْقَى أَجَلَكَ
طَالَمَا قَدْ نِلْتَ فِي غَيْرِ كَدٍّ أَمْلَكَ

وبعدهما الشاهد وبعده:

سَاعَزِي النَّفْسَ إِذْ لَمْ تُجِبْ مَنْ سَأَلَكَ^(٤)

= الحماسة «ت- عسيلان»: ٤٤٧/١، رقم (٣١٢)، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي:

٩١٧/٢، رقم (٣١٠)، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٩٢/٢.

(١) هي أم السُّليكَ بن السلَكة السعدي الشاعر المعروف وهو أحد الشعراء الصعاليك العدنانيين،

ومن اللصوص الفتاك، وهو ممن نسب لأمه، واسمها «سلَكة» عاشت في الجاهلية وهي أمة

سوداء، وكان يقال للسليكَ: سليك المقانب.

انظر ترجمتها «ضمن ترجمة ابنها»:

الشعراء والشعراء: ٣٧٢/١، الأغاني: ٣٧٥/٢٠، المؤتلف والمختلف: ١٣٧، نوادر

المخطوطات «تحفة الأبيه فيمن نسب لغير أبيه»: ١٠٥ - ١٠٦. وقد ذكر في العقد الفريد

بعض أبيات القصيدة دون ذكر بيت الشاهد، ونسبت لأعرابي يرثي ابنه.

انظر: العقد الفريد - دار الكتب العلمية -: ١٤٣/٣، ١٢/٤.

(٢) انظر القصة في:

شرح الحماسة للتبريزي: ١٩٢/٢، الأغاني: ٣٨٥/٢٠.

(٣) جاء ذلك في:

الحماسة «ت: عسيلان»: ٤٤٧/١، رقم (٣١٢)، شرح الحماسة للتبريزي: ١٩٢/٢.

(٤) هذه الأبيات نُسبت في العقد الفريد لأعرابي يرثي ابنه.

انظر: العقد - دار الكتب العلمية -: ١٤٣/٣ - ١٢/٤.

استشهد به الشيخ لتوضيح، وتقرير مذهبه في أن دخول «إِنَّ» على النكرة الموصوفة يزيد الأسلوب حسناً وطلاوة قال:

«... وكذلك ليس بخفي أنك لو عمدت إلى قوله:
«إِنَّ أَمراً فَادِحاً»

فأسقطت منه «إِنَّ» لعدم منه الحسن والطلاوة، والتمكن الذي أنت واجده الآن، ووجدت ضعفاً وفتوراً»^(١).

لما كان المقام مقام تفجع ورثاء، لجأت الشاعرة إلى تنكير لفظ «أمر» وتخصيصه بالوصف «فادحاً»؛ لأن في التصريح بهذا الأمر وفي ذكره ما يثير الأشجان.

قال المرزوقي:

«قوله: «إِنَّ أَمراً فَادِحاً» اكتسب أمرٌ وهو نكرة من النعت الذي تبعه بعض الاختصاص، فلذلك صلح الابتدأ به حتَّى دخلت «إِنَّ» عليه، ألا ترى أن فائدته مع إبهامه كاملة في المراد، والمعنى:

إِنَّ عَظِيماً من الأمور صرفك عن رَسْمِكَ ودأبك في مباسطتي ومُبائتي؛ ولأن الكلام قد يُحمَل على المعنى فيما يُستفاد منه، فكأنه قال: ما صرفك وشغلك عن جوابي إلا أمرٌ عظيم فادح، إذ كانت العادة قَدِّمَتْ منك في حُسن التوفُّر عليّ والإقبالِ لتَوَجُّه خطابي نحوكَ»^(٢).

(١) الدلائل، رضا: ٢٤٦، خفاجي: ٣٢٠، شاکر: ٣٢٠.

(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٩١٧/٢ - ٩١٨.

وانظر كذلك:

شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٩٢/٢، وكأنه ناقل عن المرزوقي.

الشاهد التاسع والعشرون بعد المائتين^(١): (المنسرح)

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنَّ مُرْتَحَلًا وَإِنَّ فِي النَّفْسِ^(٢) إِذْ^(٣) مَضَوْا^(٤) مَهَلًا^(٥) (٦)

ذكر البيت في الدلائل تحقيق رضا، وتحقيق خفاجي من غير نسبة، وذكر في الدلائل تحقيق شاکر^(٧) أن الشيخ نسبة للأعشى^(٨) وهو له في ديوانه. وهو من قصيدة^(٩) قالها في مدح سلامة ذي فائش^(١٠) هو مطلع القصيدة وبعده:

- (١) الدلائل، رضا: ٢٤٧، خفاجي: ٣٢٠، شاکر: ٣٢١.
- (٢) رواية الديوان والكتاب والحماسة، وشرح أبيات سيبويه للنحاس، والمعاني الكبير، والمقتضب، والخصائص، والإيضاح، والمغني، وشرح شواهد المغني: «في السفر» ورواية محاضرات الأدباء: «وإن للسفر».
- ورواية شرح المفصل: «وإن في الركب».
- ورواية معاهد التنصيص: «وإن في شعر مَنْ مَضَى مثلاً».
- (٣) (٤) رواية الديوان والكتاب وشرح أبيات سيبويه للنحاس، والمعاني الكبير، ومحاضرات الأدباء، والمقرب: «ما مضى».
- ورواية الحماسة والمقتضب: «إذا مضى».
- ورواية الأغاني ومعاهد التنصيص: «من مضى».
- (٥) رواية معاهد التنصيص: «مثلاً»، ومَهَلًا: «بفتح الميم والهاء» مصدر بمعنى الإمهال والتؤدة، وعدم العجلة. اللسان «مهمل»: ٦٣٢/١١.
- (٦) انظر البيت في: ديوانه - دار بيروت -: ١٧٠، الكتاب: ١٤١/٢، الحماسة «ت: عسيلان»: ٩٧٩/٢، شرح أبيات سيبويه للنحاس: ١٦٦ - ١٦٧، المعاني الكبير: ١٢٥٦/٢، المقتضب: ١٣٠/٤، المحتسب: ٣٤٩/١، الخصائص: ٣٧٣/٢، الأغاني: ١٢٥/٩، الإيضاح: ٢١٤، محاضرات الأدباء - دار الآثار -: ٤٦، شرح المفصل: ١٠٣/١ - ١٠٤، المقرب: ١٠٩/١، الإيضاح: ١٧٠/١، مغني اللبيب: ٨٢/١، شرح شواهد المغني: ٢٣٨/١، ٦١٢/٢، همع الهوامع: ١٣٦/١، «صدرالبيت فقط»، معاهد التنصيص: ١٩٤/١، خزانة الأدب للبغدادی - دار صادر -: ٣٨١/٤.
- (٧) الدلائل، شاکر: ٣٢١.
- (٨) الأعشى: ميمون قيس، وقد سبق تعريفه، انظر: ٨٧.
- (٩) عن سمالك بن حرب قال: قال الأعشى:

اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْعَدْلِ وَوَلَّى الْمَلَأَةَ الرَّجُلَ
وَالْأَرْضُ حَمَالَةً لِمَا حَمَلَ اللَّهُ (م) وَمَا إِنْ تَرَدَّ مَا فَعَلَا^(١)

استشهد به على أن من أثر «إِنَّ» في الجملة أنها إذا كانت فيها أغنت عن الخبر أحياناً قال:

«ومن تأثير «إِنَّ» في الجملة أنها تغني إذا كانت فيها عن الخبر في بعض الكلام، ووضع صاحب الكتاب^(٢) في ذلك باباً فقال: هذا باب ما يحسن عليه السكوت في الأحرف الخمسة، لإضمارك ما يكون مُسْتَقَرّاً لها، وموضعاً لو أظهرته، وليس هذا المضمّر بنفس المظهر...»^(٣).

وقال أيضاً:

«فقد أراك في هذا كله أن الخبر محذوف، وقد ترى حسن الكلام وصحته مع حذفه، وترك النطق به، ثم أنك إن عمدت إلى «إِنَّ» فأسقطتها، وجدت الذي كان حسن من حذف الخبر لا يحسن أولاً يسوغ فلو قلت: ... وَمَحَلٌّ وَمُرْتَحَلٌ... لم يكن شيئاً، وذلك أن «إِنَّ» كانت السبب في أن حَسُنَ حَذْفُ

= أُنِيتُ سَلَامَةً ذَا فَائِشٍ فَاطَلَتْ الْمُقَامَ بِيَابِهِ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَيْهِ، فَأُنْشِدْتَهُ. وَأَمْرٌ لِي بِمِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ وَكِسَانِي حُلّاً وَأَعْطَانِي كَرِشاً مَدْبُوعَةً مَمْلُوءَةً غَنيراً وَقَالَ: إِيَّاكَ أَنْ تُخَدَعَ عَمَّا فِيهَا، فَأُنِيتُ الْحِيرَةَ فَبِعْتُهَا بِثَلَاثَةِ نَاقَةٍ حَمْرَاءِ.

انظر: الأغاني: ١٢٥/٩، معاهد التنصيص: ١٩٤/١ - ١٩٥.

(١٠) هو سلامة بن يزيد بن مرة اليحصبي أحد ملوك اليمن وقد مدحه الأعشى، وكان يظهر للناس في العام مبرقعاً، وقال هشام الكلبي: الأعشى مدح سلامة الأصغر، وهو سلامة بن يزيد بن سلامة ذي فائش.

انظر: القاموس المحيط «دار الجبل»: مادة «فيش»: ٢٩٤/٢، معاهد التنصيص: ١٩٤/١.

(١) ديوانه «دار بيروت»: ١٧٠.

(٢) الكتاب: ١٤١/٢.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٤٧، خفاجي: ٣٢٠، شاکر: ٣٢١.

الَّذِي حُذِفَ مِنَ الْخَبَرِ، وَأَنَّهَا حَاضِرَةٌ وَالْمُتَرْجِمُ عَنْهُ وَالْمُتَكَفِّلُ بِشَأْنِهِ»^(١).

ذكر الدكتور البدراوي زهران أنَّ للشيخ عبد القاهر دوراً عظيماً في الكشف عن بعض الأوجه الصرفية الجديدة لوحدة (إن) قال:

«من المعلوم بداهة أن للوحدة الصرفية «إن» دورها على مستوى التركيب. أي أنَّ لها أثراً في عدد الوحدات الداخلة في التركيب، ولها تأثيرها الإعرابي المعروف، ولا يكفي عبد القاهر بهذا، وقد يكون فيه الغناء، ولكنه يتبع تلك الوحدة في أوضاعها المختلفة، وفي كل حالاتها، ويدرس دورها الصرفي تأثيراً وتأثراً، ويقعد لها، ويضع على ضوء درسه أسساً لدراسة منهج الصرف بطريقة لم يعرض لها سابقوه بالصورة التي عرض لها، وإن كان مطوراً لأفكارهم مستفيداً من دراستهم»، ثم قال بعد ذلك: «لوحدة «إن» الصرفية أدوار جديدة غير ما هو معروف لها، منها على سبيل المثال:

إنقاص عدد الوحدات الداخلة في التركيب، وهذا في حد ذاته يعد قانوناً صرفياً مؤداه أن بعض الوحدات الصرفية قد يكون تأثيرها هو إنقاص عدد الوحدات اللغوية التي تؤلف العبارة أو التركيب»^(٢).

وذكر من هذا النوع بيت الشاهد.

ومعنى الشاهد: إِنَّ لَنَا فِي الدُّنْيَا حُلُولاً، وَلَنَا عَنْهَا إِلَى الْآخِرَةِ ارْتِحَالاً، فَقَدْ مَضَى مِنْ كَانَ قَبْلَنَا وَلَمْ يَعُدْ لَهُمْ رَجُوعٌ.

وشرح ابن قتيبة البيت بقوله: «أراد إِنَّ لَنَا مُحَلًّا يَرِيدُ الْآخِرَةَ، وَمُرْتَحَلًّا عَنْهُ يَرِيدُ الدُّنْيَا، وَإِنْ فِي السَّفَرِ تَقْدَمًا مِنْ يَقْدَمُ شَيْئًا مِنَ الْعَمَلِ أَصَابَهُ كَمَا تَقُولُ: أَخَذَ لَذَلِكَ الْأَمْرَ مَهْلَتَهُ - أَيِ تَقْدَمَ فِيهِ»^(٣).

(١) الدلائل، رضا: ٢٤٧ - ٢٤٨، خفاجي: ٣٢١، شاکر: ٣٢٢.

(٢) عالم اللغة «عبد القاهر الجرجاني»: ١٢٨.

(٣) المعاني الكبير: ١٢٥٦/٤.

والمعنى في الإيضاح: «أي إن لنا محلاً في الدنيا وإن لنا مرتحلاً عنها إلى الآخرة»^(١).

ولعل الحذف حسن هنا؛ لأن الموقف موقف تذكير بفناء الدنيا، ودوام الآخرة، فحذف الشاعر الخبر، ونكر المبتدأ ليثبت المحل والارتحال فيثير بهذا الإثبات نوعاً من الرهبة والتخويف في النفوس.

وقد أشار ابن يعيش إلى أن الحذف هنا لإثبات المحل^(٢).

ورأى سيويه أن الخبر حذف هنا للعلم به^(٣).

وقد اختلف النحاة في حذف خبر «إن»، فأجازه سيويه سواء كان الاسم معرفة أو نكرة وأجازه الكوفيون إذا كان نكرة، واشترط الفراء أن يكون الاسم مكرراً، فلا يجوز عنده الحذف سواء كان الاسم معرفة أو نكرة إلا إذا كان بالتكرير كبيت الشاهد^(٤).

استشهد به الراغب الأصبهاني في محاضرات الأدباء عند حديثه عن أقسام الشعر، فجعله من الضرب الذي قصر معناه ولفظه^(٥).

الشاهد الثلاثون بعد المائتين^(٦):

(الرجز)

«يَا لَيْتَ أَيَّامَ الصَّبَا رَوَّاجِعَا»^(٧)

(١) الإيضاح: ١٧٠/١.

(٢) شرح المفصل: ٦/٨/٢.

(٣) الكتاب: ١٤١/٢.

(٤) انظر الكتاب: ١٤٢/٢ - ١٤٣، خزانة الأدب للبغدادي - دار صادر: ٣٨١/٤ - ٣٨٢،

معاهد التنصيص: ١٩٥/١.

(٥) محاضرات الأدباء - دار الآثار: ٤٦.

(٦) الدلائل، رضا: ٢٤٧، خفاجي: ٣٢١، شاکر: ٣٢١.

(٧) لم أجده في ديوان المعاج - مكتبة دار الشرق -، ولا ابنه رؤية.

انظر الشاهد في:

ذكره الشيخ من غير نسبة، وهو للعجاج^(١). وقيل لابنه رؤبة^(٢).
استشهد به الشيخ للتنظير على حذف خبر «إن» فبيت الشاهد حُذِفَ منه
الخبر «أقبلت» فأصل الجملة:

«يَا لَيْتَ أَيَّامَ الصَّبَا أَقْبَلْتَ رَوَاجِعَا»

وقُدِّرَ أيضاً:

«يَا لَيْتَ لَنَا أَيَّامَ الصَّبَا رَوَاجِعَا»

قال سيبويه:

«فهذا كقوله: أَلَا مَاءَ بَارِدًا، كَأَنَّهُ قَالَ: أَلَا مَاءَ لَنَا بَارِدًا، وكأنه قال:

يَا لَيْتَ لَنَا أَيَّامَ الصَّبَا، وكأنه قال: يَا لَيْتَ أَيَّامَ الصَّبَا أَقْبَلْتَ رَوَاجِعَا»^(٣).

وذكر البغدادي في خزانته:

«على أَنَّ الفراء استشهد به على نصب المبتدأ والخبر بـ «ليت»، وقد ر
الكسائي رواجع خبراً لِكَانَ المحذوفة؛ لأن كَانَ تستعمل كثيراً هنا.

= الكتاب: ١٤٢/٢، طبقات فحول الشعراء: ٧٨/١، شرح أبيات سيبويه للنحاس: ١٦٧،
شرح المفصل: ١٠٤/١، الإيضاح: ٢٢٧/١، المغني: ٢٨٥/١، شاهد رقم
(٤٦٨)، شرح شواهد المغني: ٦٩٠/٢، معجم الهوامع: ١٣٤/١، الدرر اللوامع:
١١٢/١، الأشموني: ٢٣٠/١، خزانة البغدادي - دار صادر: ٢٩٠/٤.

(١) كما صرح بذلك ابن سلام في طبقاته. والعجاج هو: عبدالله بن رؤبة بن ليبد بن صخر
السعدي التميمي أبو الشعثاء (٠٠٠ نحو ٩٠ هـ)، راجز مجيد من الشعراء، ولد في
الجاهلية، وقال الشعر فيها، ثم أسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك، وهو أول من
رفع الرجز وشبهه بالقصيد، وكان لا يهجو.

انظر: الشعر والشعراء: ٥٩٥/٢ - ٥٩٧، الأعلام: ٨٦/٤ - ٨٧.

(٢) ذكر ذلك محقق الدلائل: محمد عبد المنعم خفاجي قال: «هو العجاج أو ابنه رؤبة» ولم
يذكر مرجع تلك النسبة، ولم أجد أحداً نسبها إلى ابنه رؤبة فيما رجعت إليه من مصادر.

(٣) الكتاب: ١٤٢/٢، وانظر: كذلك: المغني: ٢٨٥/١، خزانة البغدادي - دار صادر: ٢٩١/٤.

قال تعالى: ﴿يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾^(٢).

وقال الشاعر: «يَا لَيْتَهَا كَانَتْ لِأَهْلِي إِيلاً».

وقد بين الشارح المحقق ضعفه ومثله في مغني اللبيب، واعترض عليه بأن تقدم «أن ولو» الشرطيتين شرط لكثرة حذف كان مع اسمها وبقاء خبرها، ولا محذور في كون البيت من القليل، والبصريون يقدرون خبر ليت محذوفاً ورواجع حال من ضميره والتقدير يا ليت لنا أيام الصبا رواجع، ويا ليتها أقبلت رواجع...»^(٣).

وقال ابن سلام في طبقاته:

«وهي لغة لهم سمعت أبا عون الحرمازي يقول: «ليت أباك منطلقاً، وليت زيدا قاعداً» وأخبرني أبو يعلى: أن منشأه^(٤) بلاد العجاج فأخذها عنهم»^(٥).

وقد ساقه القزويني شاهداً على الإنشاء الطلبي «للتمني»^(٦).

الشاهد الواحد والثلاثون بعد المائتين^(٧): (السريع)

قول أبي نواس:

عَلَيْكَ بِسَأْلِئِاسٍ مِنَ النَّاسِ إِنَّ غِنَى نَفْسِكَ^(٨) فِي الْيَاسِ^(٩)

(١) سورة الحاقة: الآية ٢٧.

(٢) سورة النساء: الآية ٧٣.

(٣) خزائن الأدب: ٤/ ٢٩٠ - ٢٩١.

(٤) الضمير في «منشأه» يعود إلى أبي عون الحرمازي.

(٥) طبقات فحول الشعراء: ١/ ٧٨ - ٧٩.

(٦) الإيضاح: ١/ ٢٢٧.

(٧) الدلائل، رضا: ٢٥٠، خفاجي: ٣٢٣، شاعر: ٣٢٥.

(٨) رواية الديوان: «إِنَّ الْغِنَى وَنَحَكَ فِي الْيَاسِ».

(٩) لم أجد البيت إلا في:

الشاهد هو مطلع القصيدة، وبعده أربعة أبيات:

كَمْ صَاحِبٍ قَدْ كَانَ لِي وَامِقًا^(١) إِذْ كَانَ فِي حَالَاتِ إِفْلَاسٍ
أَقُولُ لَوْ قَدْ نَالَ هَذَا الْغِنَى أَقْعَدَنِي حُبًّا عَلَى الرَّاسِ
حَتَّى إِذَا صَارَ إِلَى مَا اشْتَهَى وَعَدَّهُ النَّاسُ مِنَ النَّاسِ
قَطَعَ بِالْقَنْطِيرِ^(٢) حَبْلَ الصُّفَا مِنِّي وَلَمَّا يَرْضَ بِالْفَاسِ

الشاهد فيه مجيء «إِنَّ» للتوكيد إذا كان الأمر يبعد مثله في الظن، وقد جرت عادة الناس على خلافه، قال:

«ثم إن الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه البناء هو الذي دُونَ في الكتب من أنها للتأكيد، وإذا كان قد ثبت ذلك فإذا كان الخبر بأمر ليس للمخاطب ظن في خلافه ألبته، ولا يكون قد عقد في نفسه أن الذي تزعم أنه كائن غير كائن، وأن الذي تزعم أنه لم يكن كائن فأنت لا تحتاج هناك إلى «إِنَّ» وإنما تحتاج إليها إذا كان له ظن في الخلاف، وعقد قلب على نفي ما تُثبت أو إثبات ما تنفي ولذلك تراها تزداد حسنًا إذا كان الخبر بأمر يبعد مثله في الظن وبشيء قد جرت عادة الناس بخلافه»^(٣).

فأبو نواس في بيت الشاهد يتحدث عن أمر غريب يخالف المعهود في طبائع البشر. إذ أن المعروف أن غنى النفس في النفس، وليس في اليأس، وهذا الأمر المخالف للظن لا بد أن تستغربه النفس، لذا جاء بـ «إِنَّ» ليؤكد هذا الأمر، ويقره في الإحساس. قال الشيخ:

«فقد ترى حُسْنَ موقعها، وكيف قَبُول النفس لها، وليس ذلك إلا لأن الغالب على الناس أنهم لا يحملون أنفُسهم على اليأس ولا يَدْعُونَ الرَّجَاءَ، والطمع،

= ديوانه: ٦٠١، عيون الأخبار: ١٩٤/٣.

(١) وَامِقًا: مجبأ. مختار الصحاح: ٧٣٧.

(٢) الْقَنْطِير، والقَنْطَر بالكسر الداهية. اللسان «قنطر»: ١١٩/٥.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٥٠، خفاجي: ٣٢٣، شاکر: ٣٢٥.

ولا يَعْتَرِفُ كلَّ أَحَدٍ، ولا يُسَلِّمُ أَنَّ الغنى في اليأس، فَلَمَّا كان كذلك كان
الموضع موضعَ فقْرٍ إلى التأكيد، فلذلك كان من حسنِها ما ترى»^(١).

(الطويل)

الشاهد الثاني والثلاثون بعد المائتين^(٢):

قول محمد بن وَهَّيب^(٣):

أَجَارَتْنَا إِنَّ التَّعَفُّفَ بِسَالِيَّاسٍ وَصَبْرًا^(٤) عَلَى اسْتِدْرَارِ دُنْيَا بِإِسْكَاسٍ^(٥)
حَرِيْبَانِ أَنْ لَا يَقْذِفَا بِمَذَلَّةٍ كَرِيْمًا وَأَنْ لَا يُحَوِّجَاهُ إِلَى النَّاسِ
أَجَارَتْنَا إِنَّ الْقِدَاحَ كَوَاذِبٌ وَأَكْثَرَ أَسْبَابِ النَّجَاحِ مَعَ الْيَاسِ^(٦)

موضع الشاهد قوله:

«إِنَّ التَّعَفُّفَ بِالسَّالِيَّاسِ».

«وَصَبْرًا عَلَى اسْتِدْرَارِ دُنْيَا بِإِسْكَاسٍ».

(١) الدلائل، رضا: ٢٥٠، خفاجي: ٢٢٤، شاکر: ٣٢٥.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٥١، خفاجي: ٣٢٤، شاکر: ٣٢٥.

(٣) هو محمد بن وَهَّيب الجُمَيْرِي، شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية وأصله من البصرة وله أشعار كثيرة يذكرونها فيها، وَيَتَشَوَّقُهَا، ويصف إبطانه إياها ومنشأه بها. وكان يستمنح الناس بشعره، ويتكسَّب بالمديح، ثم توسل إلى الحسن بن سهل بالحسن بن رجاء بن أبي الضَّحَّاك ومَدَّحَه، فأوصله إليه، وسمع شعره فأعجب به واقتطعه إليه، وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له، وأحسن جائزته، ثم لم يزل منقطعاً إليه حتى مات، وكان يتشيع، وله مَرَاثٍ في أهل البيت، وهو متوسط من شعراء طبقة، وفي شعره أشياء نادرة فاضلة، وأشياء متكلفة.

انظر ترجمته في:

الأغاني: ٧٤/١٩ - ٩٦.

(٤) رواية الأغاني، والدلائل تحقيق شاکر: ٣٢٥ «وصبراً».

(٥) الإسكاس: التصويت للناقة بلطف لتسكن، وتدر اللبن. الصحاح «بس»: ٩٠٨/٣.

(٦) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

الأغاني: ٧٥/١٩ - ٧٧.

«إِنَّ الْقِدَاحَ كَوَازِبٌ».

الشاهد فيه كسابقه، وهو أن «إِنَّ» أفادت التوكيد؛ لأن الكلام يبعد مثله في الظن.

حيث ذكر الشاعر أن التعفف لا يكون إلا بالْيَاسِ، وهذا أمر تعجب له النفس وتستبعده.

ثم ذكر أن الصبر على ضَنْ الدنيا وشحها يكون بالرفق واللين ومسايرة الأمور والرضى بها، وهذا أمر يندر صدوره من الطبيعة البشرية، فجاء بـ «إِنَّ» ليؤكد ضرورة التمثل به.

ثم أخبر أن التمسك بهذين الأمرين، والإلتزام بهما يعصم الإنسان من المذلة، وسؤال الناس.

ثم جاء بقوله: «إِنَّ الْقِدَاحَ كَوَازِبٌ» مؤكداً بـ «إِنَّ»؛ لأنه إنما يخاطب إنساناً يؤمن ويوقن بضرب القداح، وفي تكذيب صدقها أمر يستبعده ظنه، فجاء بـ «إِنَّ» ليؤكد له الأمر ويفتح ذهنه على الحقيقة ومما يلفت النظر أنه لم يأت بـ «إِنَّ» في قوله:

«وَأَكْثَرُ أَسْبَابِ النَّجَاحِ مَعَ الْيَاسِ»

مع أنه من الأمور التي تبعد عن الذهن فالذي يقره العقل هو أن النجاح يكون مع الطموح، فهو كقول أبي نواس:

«إِنَّ غِنَى نَفْسِكَ فِي الْيَاسِ»

ولعل السر في عدم مجيء التوكيد هنا: ثقته بذكاء القارئ، فقد أكد سابقاً ما يشبه معنى هذه الأبيات وهي قول أبي نواس: (إِنَّ غِنَى نَفْسِكَ فِي الْيَاسِ). قال الشيخ:

«هو كما لا يخفى كلام مع من لا يرى أَنَّ الأمر كما قال بل ينكره، ويعتقد

خلافه، ومعلوم أنه لم يقله إلا والمرأة تحدوه، وتبعته على التعرض للناس، وعلى الطلب»^(١).

والمعنى: أن الصبر على العمل، والكد فيه مع التعفف يبعدان الكريم عن المذلة، ويغنيانه عن الحاجة للناس، فالرجل يريد أن يحلب الناقة، فيحتال لها حتى تدر اللبن، وهذا هو الإيساس، وكذلك الذي يريد أن يصون كرامته ينبغي أن يتحمل الصبر على مشاق الكسب، والاحتياال له.

ذكر الأصفهاني أن هذه الأبيات قد استحسناها أبو تمام ودعبل بن علي، وأبو سعد المخزومي ورأوا أنها من الأشعار الحسنة الجيدة التي تُلَقَّى بها الملوك. قال:

«أخبرني عَمِّي قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَنِ مَرْوَانَ بَنِ مُوسَى قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ وَهَيْبٍ الشَّاعِرُ قَالَ:

لَمَّا تَوَلَّى الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءِ بْنِ أَبِي الضَّحَّاكِ الْجَبَلَ قُلْتُ فِيهِ شِعْرًا، وَأَنْشَدْتُهُ أَصْحَابَنَا دِعْبِلَ بْنَ عَلِيٍّ، وَأَبَا سَعْدَ الْمَخْزُومِيَّ، وَأَبَا تَمَامَ الطَّائِيَّ، فَاسْتَحْسَنُوا الشَّعْرَ وَقَالُوا: هَذَا لِعَمْرِي مِنَ الْأَشْعَارِ الَّتِي تُلَقَّى بِهَا الْمُلُوكُ، فَخَرَجْتُ إِلَى الْجَبَلِ، فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى هَٰذَا أَمْرًا أَخْبَرَهُ الْحَاجِبُ بِمَكَانِي، فَأَذِنَ لِي فَأَنْشَدْتُهُ الشَّعْرَ فَاسْتَحْسَنَ مِنْهُ قَوْلِي . . . - «أَبْيَاتُ الشَّاهِدِ» - فَأَمَرَ حَاجِبَهُ بِإِصَافَتِي فَأَقَمْتُ بِحَضْرَتِهِ كُلَّمَا دَخَلْتُ إِلَيْهِ لَمْ أَنْصَرِفْ إِلَّا بِحُمْلَانٍ، أَوْ خَلْعَةٍ، أَوْ جَائِزَةٍ حَتَّى أَنْصَرِمَ الصَّيْفُ فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الشِّتَاءَ عِنْدَنَا عِلْجٌ فَأَعِدْ يَوْمًا لِلْوَدَاعِ فَقُلْتُ: خِدْمَةُ الْأَمِيرِ أَحَبُّ إِلَيَّ، فَلَمَّا كَادَ الشِّتَاءُ أَنْ يَشْتَدَّ قَالَ لِي: هَذَا أَوَانُ الْوَدَاعِ، فَأَنْشَدَنِي الثَّلَاثَةَ الْأَبْيَاتِ فَقَدْ فَهَمْتُ الشَّعْرَ كُلَّهُ، فَلَمَّا أَنْشَدْتُهُ:

أَجَارَتْنَا إِنَّ الْقِدَاحَ كَوَازِبٌ وَأَكْثَرُ أَسْبَابِ النَّجَاحِ مَعَ الْيَاسِ

قال: صدقت، ثم قال: عُدُّوا أَبْيَاتَ الْقَصِيدَةِ فَأَعْطُوهُ لِكُلِّ بَيْتٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَعُدَّتْ فَكَانَتْ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ بَيْتًا، فَأَمَرَ لِي بِاثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ»^(٢).

(١) الدلائل، رضا: ٢٥١، خفاجي: ٣٢٤، شاکر: ٣٢٦.

(٢) الأغاني: ٧٥/١٩ - ٧٦.

الشاهد الثالث والثلاثون بعد المائتين^(١): (السريع)

جَاءَ شَقِيقٌ^(٢) عَارِضاً رُمَحَهُ إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحٌ^(٣)

أورده الشيخ من غير عزو، وهو لِحَجَل^(٤) بن نضلة.
وبعده:

هَلْ أَحَدَتْ الدَّهْرُ لَنَا نَكْبَةً^(٥) أَمْ هَلْ رَقَتْ^(٦) أُمُّ شَقِيقِي سِلَاحٌ

موضع الشاهد: «إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحٌ».

استشهد به على مجيء «إِنَّ» للتهكم، وذلك أَنْ يُدْعَى عَلَى الْمُخَاطَبِ ظَنُّ
لَمْ يَظْنَهُ.

قال الشيخ:

«ومن لطيف مواقعها أَنْ يُدْعَى عَلَى الْمُخَاطَبِ ظَنُّ لَمْ يَظْنَهُ، وَلَكِنْ يَرَادُ

(١) الدلائل، رضا: ٢٥١، خفاجي: ٣٢٤، شاکر: ٣٢٦.

(٢) يعني شقيق بن جزء بن رباح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيان أحد بني قتيبة بن معن.
المؤتلف: ٨٢.

(٣) انظر البيت في:

البيان والتبيين: ٣/٣٤٠، رسالة في أعجاز أبيات تغني عن صدورها «نوادير المخطوطات»:
١٧١/١، «ذكر العجز دون الصدر»، المؤتلف: ٨٢، الموشح: ٢٣١ - بدون عزو -،
شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٢/٥٨٠، جمع الجواهر في الملح والنوادر: ٢٦٥ -
٢٦٦، المفتاح: ٧٥، الإيضاح: ٩٥/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٦ أ، معاهد
التنصيص: ٧٢/١ رقم الشاهد (١١).

(٤) ذكر الأمدى في المؤتلف أن اسمه «جَحَل» بالميم قال: «من يقال له جَحَلٌ وَجَحَلٌ» فأما
جَحَلٌ فهو من باهلة، وهو جَحَلٌ بن نضلة أحد بني عمرو بن عبد بن قتيبة بن معن بن
أعصر، وهو شاعر جاهلي. المؤتلف: ٨٢.

ونسب المبرد البيت في «رسالة في أعجاز أبيات تغني في التمثيل عن صدورها» للبكري.

(٥) رواية المؤتلف ومعاهد التنصيص: «ذلة».

ورواية جمع الجواهر في الملح والنوادر: «توبة».

(٦) رواية معاهد التنصيص: «رُمَتْ».

التهكم به، وأن يقال: إن حالك، والذي صنعت يقتضي أن تكون قد ظننت ذلك^(١).

فالشاعر حين رأى شقيقاً مقبلاً، وهو واضع رمحاً عرضاً غير متهيء للقتال، ودلّ ذلك على الإعجاب الشديد بنفسه، وشجاعته، وأنه لن يقوم له أحد، فهيته التي قدم بها هيئة منكر وإن كان في حقيقته غير منكر، فجاء الشاعر بـ «إِنَّ» للتهكم والسخرية والاستهزاء منه فقيل له: «تَنَكَّبَ وَخَلَّ لَهُمْ طَرِيقَهُمْ لَثَلَا تَتَرَا حَمَّ عَلَيْكَ رَمَاحَهُمْ وَتَتَرَا حَمَّ عَلَيْكَ أَسْتَهَا، فَإِنَّ الرَّمَاحَ فِيهِمْ كَثِيرَةٌ»^(٢).

قال الشيخ:

«يقول: إِنَّ مجيئه هكذا مُدِلًّا بنفسه، وبشجاعته قد وضع رمحاً عرضاً دليل على إعجاب شديد، وعلى اعتقاد منه أنه لا يقوم له أحد حتى كأن ليس مع أحد منا رُمَحٌ يدفعه به، وَكَأَنَّا كُلُّنَا عَزَلٌ»^(٣).

وللبيت قيمة أدبية كبيرة، فمن معجب به، ومفضل له، ومن مجيد، ومن مضمن له.

ذكر المرزباني في الموشح أنه سُئِلَ أبو برزة الأعرابي أحد بني قيس بن ثعلبة: أيعجبك قول أبي العتاهية:

أَلَا يَا عُتْبَةُ السَّاعَةِ أُمُوتُ السَّاعَةِ السَّاعَةِ^(٤)

فقال له: لا والله ما يعجبني، ولكن يعجبني قول الآخر:

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضاً رُمَحُهُ إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحُ

(١) الدلائل، رضا: ٢٥١، خفاجي: ٣٢٤، شاکر: ٣٢٦.

(٢) شرح أبيات الإيضاح: «أحوال الإسناد الخبري» - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (١٩) وعنه نقل صاحب معاهد التنصيص: ٧٢/١.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٥١، خفاجي: ٣٢٤، شاکر: ٣٢٦.

(٤) لم أجده في ديوانه - دار صعب -.

هَلْ أَحَدَتْ الدَّهْرُ البيت^(١)

ويبدو أن أبا برزة اعتمد في إعجابه وتفضيله على تذوقه وإحساسه، فلم يعلل سبب ذلك التفضيل والإعجاب.

وذكر القيرواني في جمع الجواهر ما يبين قيمة هذا البيت وجودته فروى:
«وقد قال بعض أصحابنا: قلت لفلان: لا تُناظر فلاناً فإنه يغلبك. قال:
أُمثلي يغلب وعندي دَفتر مجلَّد.

ووجدنا عندنا دفاتر مجلَّدة، وأجزاء مجودة، وأنشدناه قول حجل بن نضلة:
جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضاً الأبيات^(٢)

وهذا البيت لوجودته أعجب الشعراء بمعناه فضمنوه أبياتهم، فهذا ابن جابر الأندلسي يشير - «ويسمى التلميح» - إلى شطر البيت الأول قوله (من السريع):
قَدِّي وَخَدِّي خَفَهُمَا يَا فَتَى هَذَا هُوَ السَّرْمُحُ وَهَذَا شَقِيقُ

وفي البيت توريتان في قوله: «الرُّمَح» وقوله: «شقيق»، وقد ضمنه أبو جعفر الأندلسي أيضاً فقال (من السريع):

أَبَدْتُ لَنَا الصُّدْغَ عَلَى خَدِّهَا فَأَطْلَعَ اللَّيْلُ لَنَا صُبْحَهُ
فَخَدُّهَا مَعَ قَدِّهَا قَائِلُ هَذَا شَقِيقٌ عَارِضُ رُمَحِهِ

وأيضاً ضمَّه ابن الوردی^(٣)، فقال (من السريع):
لَمَّا رَأَى السَّرْهَرُ الشَّقِيقَ انشَنَى مُنْهَزِمًا لَمْ يَسْتَطِعْ لَمَحَهُ

(١) الموشح: ٢٣١.

(٢) جمع الجواهر في الملح والنوادر: ٢٦٥، ٢٦٦.

(٣) هو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين بن الوردی المعري الكندي (٦٩١ هـ - ٧٤٩ هـ)، شاعر أديب، مؤرخ، ولد في معرة النعمان «بسورية» وولي قضاء منبج، وتوفي بحلب، وله مؤلفات كثيرة منها: تاريخ ابن الوردی «تنمة المختصر»، «اللباب في الإعراب»، «شرح ألفية ابن مالك»، وله ديوان شعر فيه بعض شعره ونثره.

وَقَالَ: مَنْ جَاء؟ فَقُلْنَا لَهُ جَاءَ شَقِيقُ عَارِضٍ أَرْمَحَهُ^(١)

وذكر المرزوقي أن بيت جحل بن نضلة جاء على طريقة قول أبي ثمامة^(٢):
قُلْتُ لِمُحْرِزٍ لِمَا التَّقَيْنَا تَنَكُّبٌ لَا يُقَطِّرُكَ الزُّحَامُ^(٣)

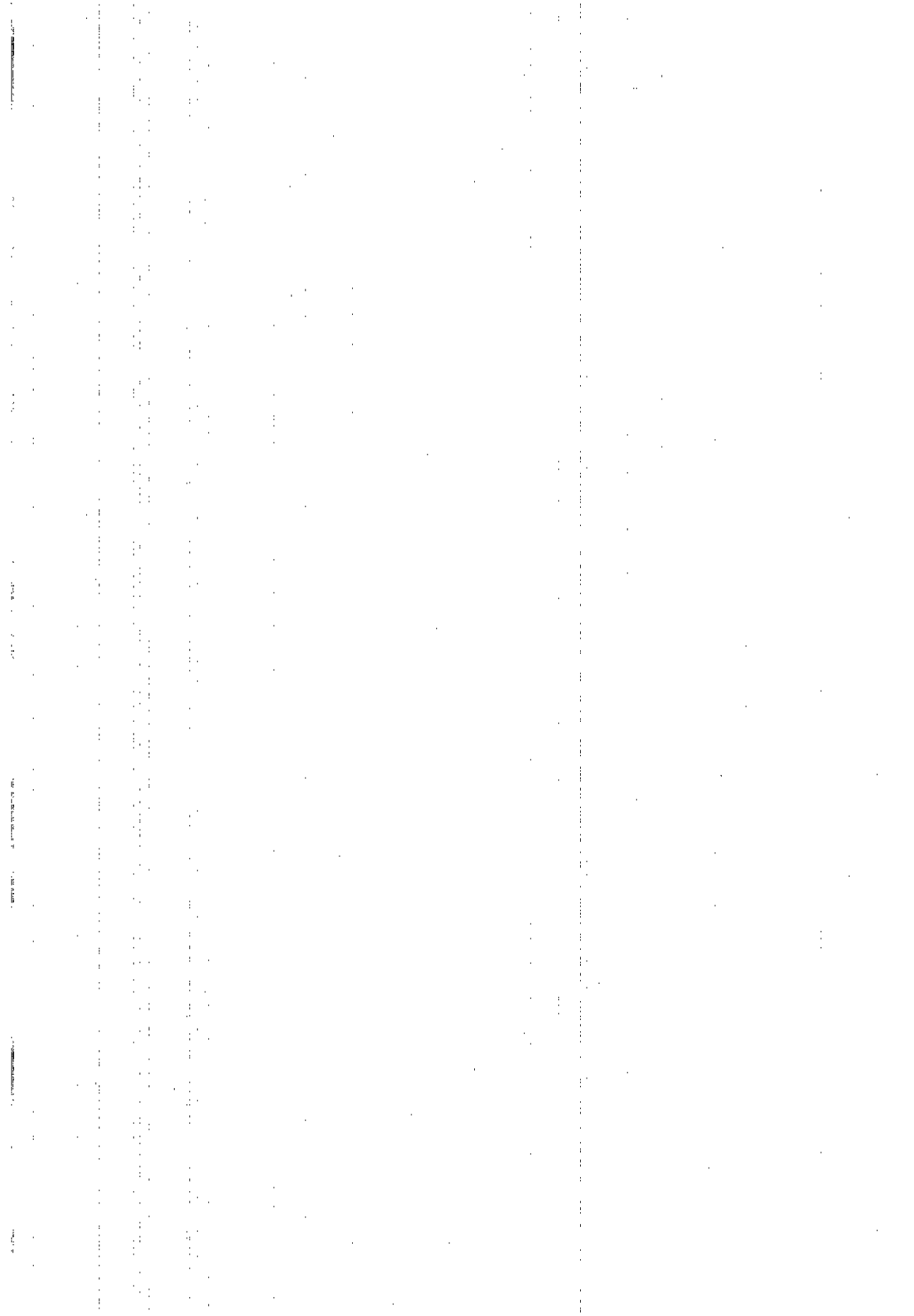
= انظر ترجمته في:

الدرر الكامنة: ١٩٥/٣، بغية الوعاة: ٢٢٦/٢، ريحانة الألباء، ٣٢/١، ١٤٣، ٤٠/٢ - ٥٧، الأعلام: ٦٧/٥.

(١) معاهد التنصيص: ٧٢/١ - ٧٣، شاهد رقم (١١).

(٢) هو أبو ثمامة بن عازب شاعر حماسي من الشعراء المغمورين. معجم شعراء الحماسة: ١٩.

(٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٥٨٠/٢.



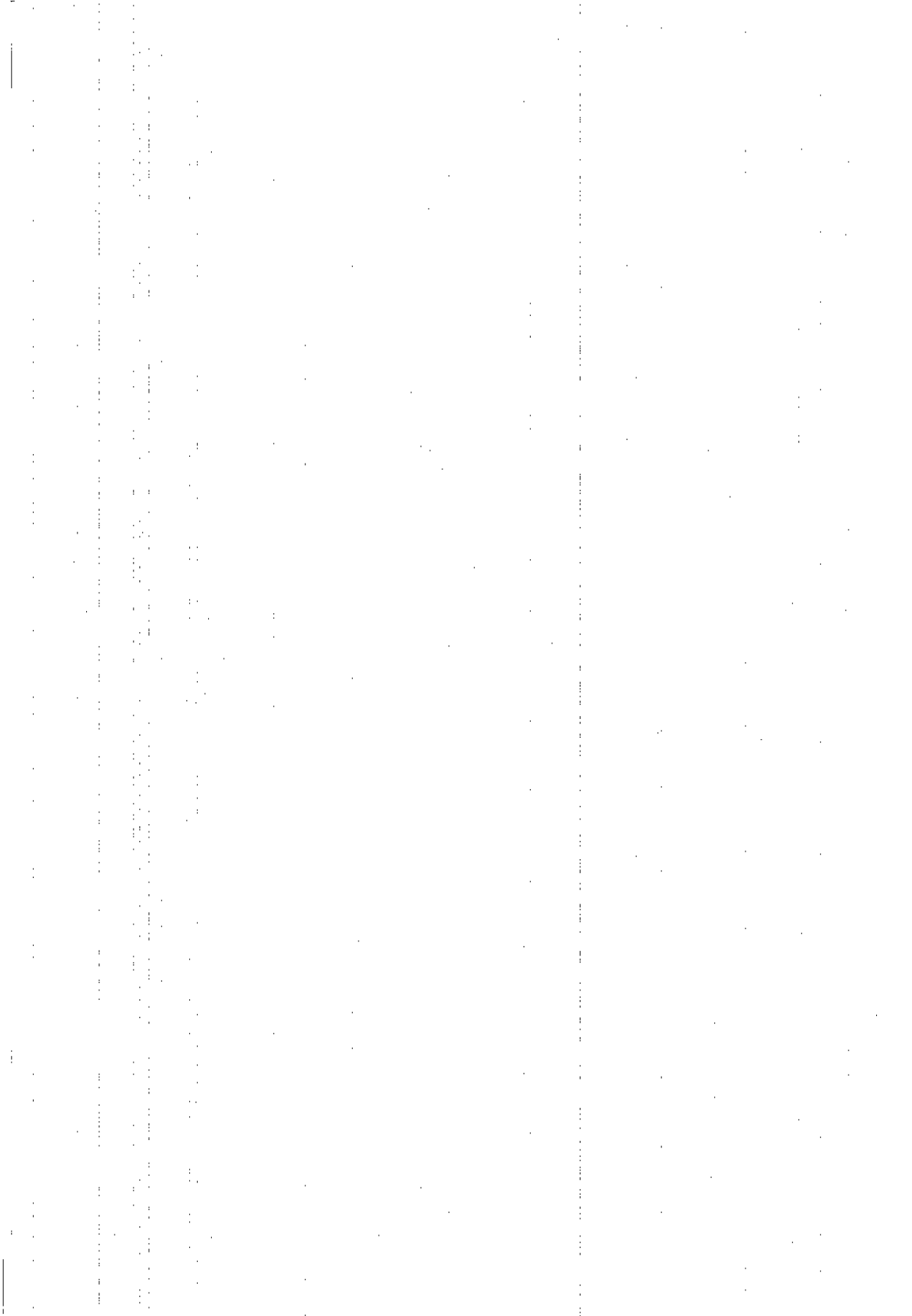
الفصل العاشر

شواهد القصر والاختصاص

أ — إنما ومواقعها.

ب — ما وإلا.

ج — عود إلى مباحث إنما.



أ - شواهد إنما ومواقعها

الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائتين^(١): (الطويل)

قول الفرزدق:

أَنَا الذَّائِدُ^(٢) الْحَامِي الذَّمَّارَ وَإِنَّمَا^(٣) يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ^(٤) أَنَا أَوْ يَمْلِي^(٥)

والشاهد من قصيدة قالها الفرزدق حين استنجدت به نساء قبيلته (بني مجاشع) لما بلغهن هجاء جرير لهن، وكان الفرزدق قد قيد نفسه، وحلف أن لا يطلق قيده حتى يحفظ القرآن، أتبه وقلن له: قبح الله قيدك فقد هتك جرير عورات نسائك فلحيت شاعر قوم فأحفظته، ففرض قيده، وقال قصيدته:

(١) الدلائل، رضا: ٢٥٣، خفاجي: ٣٢٦، شاکر: ٣٢٨.

(٢) رواية المحتسب: «أنا الدافع».

(٣) رواية الديوان والنقائض لهذا الشطر «أنا الضامن الراعي عليهم وإنما».

(٤) رواية شرح المفصل: «عن أعراضهم».

(٥) ديوان الفرزدق: ١٥٢/٢. النقائض: ١٢٨/١، المحتسب: ١٩٥/٢، الاقتضاب في شرح

أدب الكتاب: ١٨، المفتاح: ١٢٦، شرح المفضل: ٩٥/٢/١، شرح جمل الزجاجي:

١٧/٢، الإيضاح: ٢١٦/١، مغني اللبيب ٣٠٩/١ رقم (٥١٠)، شرح أبيات شواهد

شروح الألفية للعيني: ٧٥/١، شرح أبيات الإيضاح: ١٣٦/١ شاهد رقم (١١٩)، شرح

التصريح على التوضيح: ١٠٦/١، شرح شواهد المغني: ٧١٨/٢، همع الهوامع:

٦٢/١، الدرر اللوامع: ٣٩/١، معاهد التنصيص: ٨٩/١، شروح التلخيص: «عروس

الأفراح»: ١٩٤/٢، مختصر السعد: ٢٠٠/٢، مواهب الفتاح: ٢٠٠/٢، حاشية

الدسوقي: ٢٠٠/٢.

ومطلعها:

أَلَا اسْتَهْزَأَتْ مِنِّي هُنَيْدَةُ أَنْ رَأَتْ أَسِيرًا يُدَانِي خَطْوُهُ حَلَقَ الْحَجَلِ

وقبل الشاهد:

فَإِنْ يَكُ قَيْدِي كَانَ نَذْرًا نَذَرْتُهُ فَمَا بِي عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي مِنْ شُغْلٍ

وبعده الشاهد وبعده:

وَلَوْ ضَاعَ مَا قَالُوا ارْغَ مِنَّا وَجَدْتُهُمْ شِحَاحًا عَلَى الْعَالِي مِنَ الْحَسْبِ الْجَزَلِ^(١)

استدل به الشيخ على أن «إنما» هنا جاءت بمعنى «ما وإلا» في إفادة القصر، وذلك لصحة انفصال الضمير معها.

والمعنى ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا أو مثلي. قال الشيخ قال أبو علي الفارسي:

«فليس يخلو هذا الكلام من أن يكون موجباً أو منفيّاً فلو كان المراد به الإيجاب لم يستقم، ألا ترى أنك لا تقول: «يدافع أنا ولا يقاتل أنا». وإنما نقول أَدَافِعْ وأَقَاتِلْ، إِلَّا أَنَّ الْمَعْنَى لَمَّا كَانَ: مَا يَدَافِعُ إِلَّا أَنَا، فَصَلَّتِ الضَّمِيرُ كَمَا تَفْصِلُهُ مَعَ النَّفْيِ إِذَا أَلْحَقْتَ مَعَهُ (إِلَّا) حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى»^(٢) وكذلك استدل به الشيخ على أنه ليس كل كلام يصلح فيه (ما وإلا) يصلح فيه (إنما) قال:

«اعلم أنهم وإن كانوا قد قالوا هذا الذي كتبه لك، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَعْنُوا بِذَلِكَ أَنَّ الْمَعْنَى فِي هَذَا هُوَ الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ بَعِينَةٌ، وَأَنْ سَبِيلَهُمَا سَبِيلُ اللَّفْظَيْنِ يَوْضَعَانِ لِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَفَرَقُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ فِي الشَّيْءِ مَعْنَى الشَّيْءِ، وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، يَبِينُ لَكَ أَنَّهُمَا لَا يَكُونَانِ سِوَاءً أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ كَلَامٍ يَصْلَحُ فِيهِ (مَا) وَ(إِلَّا) يَصْلَحُ فِيهِ (إِنَّمَا)»^(٣).

(١) الديوان: ١٥٢/٢.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٥٣، خفاجي: ٣٢٦، شاکر: ٣٢٨.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٥٣، خفاجي: ٣٢٧، شاکر: ٣٢٩.

واستشهد به أيضاً في موضع آخر من نفس الباب على أن المقصور عليه في إنما هو المتأخر دائماً قال:

«وإذ قد عرفت أن الاختصاص مع «إلا» يقع في الذي تؤخره من الفاعل والمفعول، فكذلك يقع مع «إنما» في المؤخر منها دون المقدم... وكما لا يجوز أن يستوي الحال بين التقديم والتأخير مع (إلا) كذلك لا يجوز مع (إنما)»^(١).

فلو أنه قال: «وإنما أدافع عن أحسابهم» صار المعنى أنه يخص المدافع عنه، فيزعم بذلك أن المدافعة منه تكون عن أحسابهم دون غيرها؛ لأن قوله: «عن أحسابهم» يكون متأخراً عن الفاعل المستكن في (أدافع)، وهذا المعنى لم يرد الفرزدق؛ لأن المقام هنا مقام مفاخرة، وتعداد مآثر، فيحتاج إلى المبالغة.

قال الشيخ:

«وجملة الأمر أن الواجد أن يكون اللفظ على وجه يجعل الاختصاص فيه للفرزدق، وذلك لا يكون إلا بأن يقدم «الأحساب» على ضميره، وهو لو قال: «وإنما أدافع عن أحسابهم»، استكن ضميره في الفعل، فلم يتصور «تقديم الأحساب» عليه، ولم يقع «الأحساب» إلا مؤخراً عن ضمير الفرزدق، وإذا تأخرت انصرف الاختصاص إليها لا محالة...»^(٢).

وأشار إلى أن فصل الضمير هنا ليس للضرورة. كما يزعم البعض^(٣)،

(١) الدلائل، رضا: ٢٦٢ - ٢٦٣، خفاجي: ٣٣٦، شاکر: ٣٤٠.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٦٣، خفاجي: ٣٣٧، شاکر: ٣٤٣.

(٣) ذهب سيويه إلى أن الفصل هنا ضرورة، ولم يلتفت إلى المعنى، وكذلك ذهب ابن عصفور إلى مذهبه بحجة أنه لو كان هذا الموضع موضع فصل للضمير، لوجب أن لا يؤتى به متصلاً، كما لا يجوز ذلك مع إلا فقول العرب: «إنما أدافع عن أحسابهم»، وأمثاله دليل على أنه من مواضع الاتصال، وأن الانفصال فيه ضرورة. وذهب الزجاجي إلى أنه غير ضرورة؛ لأن المعنى: «ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا أو مثلي».

لأن «أدافع» و«يدافع» واحد في الوزن^(١).

وفي الشاهد قصر آخر عن طريق تعريف الجزأين، وهو قوله: «أَنَا الذَّائِدُ» والغرض منه المبالغة أي أنا هو الذَّائِدُ الحقيقي لا غيري إِلَّا من كان على وصفي^(٢).

الشاهد الخامس والثلاثون بعد المائتين^(٣):
(الخفيف)

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَا طِعُ أُحْنَى مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ^(٤)
والشاهد ذكره الشيخ من غير نسبة.

وهو لأبي الطيب المتنبي من قصيدة يمدح بها كافور الإخشيدي، ويذكر فيها الصلح بينه وبين ابن الإخشيد مولى كافور بعدما جرت بينهما وحشة وقطيعة بأن اتصل قوم من الغلمان بابن الإخشيد، وأوغروا صدره عليه، وكان ابن الإخشيد صغيراً وكافور وليه والقائم على ملكه، فطالب كافوراً بتسليم الغلمان فسلّموا إليه واصطلحا فأنشد المتنبي قصيدته التي مطلعها:

حَسَمَ الصُّلْحُ مَا اشْتَهَتْهُ الْأَعَادِي وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الْحُسَّادِ
وقبل الشاهد:

وَأَطَاعَ الَّذِي أَطَاعَكَ وَالطَّا عَةً لَيْسَتْ خَلَائِقُ الْأَسَادِ
وبعده الشاهد وبعده:

لَا عَدَا^(٥) الشَّرُّ مَنْ بَغَى لَكُمْ الشَّرَّ (م) وَخَصَّ الْفَسَادُ أَهْلَ الْفَسَادِ

وجزم ابن مالك أنه يتعين فيه فصل الضمير.

انظر شرح جمل الزجاجي: ١٧/٢، همع الهوامع: ٦٢/١.

(١) الدلائل، رضا: ٢٦٣، خفاجي: ٣٣٧، شاکر: ٣٤٢.

(٢) شروح التلخيص: (مواهب الفتح): ٢٠٠/٢.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٥٤، خفاجي: ٣٢٨، شاکر: ٣٣٠.

(٤) ديوان المتنبي بشرح العكبري: ٣١/٢، التمثيل والمحاضرة: ٤٦٠، الإيضاح: ٢٢٠/١.

شرح أبيات الإيضاح: - النسخة الأزهرية - رقم الشاهد: (١٢١).

(٥) لاعداد: أي لا يجاوز.

أَنْتُمْ - مَا اتَّفَقْتُمَا - الْجِسْمُ وَالرُّوحُ فَلَا أَحْتَجُّنِي إِلَى الْعُودِ

الشاهد فيه: أن من مواضع إنما أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته، وإنما يراد تنبيهه لهذا الخبر. قال الشيخ:

«اعلم أن موضوع (إنما) على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته أو لِمَا يُنْزَلُ هذه المنزلة، تفسير ذلك أنك تقول للرجل: إنما هو أخوك، وإنما هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقرُّ به إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ، وحرمة الصاحب»^(١).

فالمتنبي لم يرد أن يعلم كافوراً، بأنه والد، وكذلك كافور لا يحتاج إلى هذا الإعلام، ولكن أراد تنبيهه إلى ما يجب عليه من حق الأبوة قال الشيخ:

«لم يرد أن يُعلم كافوراً أنه والد، ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام، ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم ليبيّن عليه ما يوجبه كونه بمنزلة الوالد»^(٢).

وأشار الشيخ إلى أنه لا يصح في هذا المقام استعمال «ما وإلا» بدلاً من «إنما» فلا يصح أن يقول: «ما أنت إلا والد» لأن «ما وإلا» إنما تأتي لأمر يجهله المخاطب.

والمقام هنا يخالف ما ترمي إليه «ما وإلا»^(٣).

الشاهد السادس والثلاثون بعد المائتين^(٤): (الخفيف)

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ^(٥) مِنْ اللَّهِ (م) تَجَلَّيْتُ عَنْ وَجْهِهِ^(٦) الظُّلُمَاءُ^(٧)

(١) الدلائل، رضا: ٢٥٤، خفاجي: ٣٢٨، شاکر: ٣٣٠.

(٢) الدلائل نفس الصفحات السابقة.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٥٦، خفاجي: ٣٢٩، شاکر: ٣٣٢.

(٤) الدلائل، رضا: ٢٥٥، خفاجي: ٣٢٨، شاکر: ٣٣١.

(٥) رواية البداية والنهاية: «إن مصعباً شهابٌ مِنَ اللَّهِ» وعليه فلا شاهد في البيت.

أورد الشيخ البيت ^(١) من غير عزو، وهو لعبيد الله بن قيس الرقيات ^(٢)

(٦) رواية الموشح: «٢٠٠» تجلت عن نوره الظلماء.

(٧) انظر البيت في:

الديوان: ٩١، الشعر والشعراء: ٥٣٦/١، طبقات فحول الشعراء: ٦٤٩/٢، عيون الأخبار: ١٠٣/١، الكامل: ١٩٤/٢، الفاضل: ١١٧، مجالس ثعلب: ١٧/١، العقد الفريد - دار الكتب العلمية - ١٥٥/٥، نقد الشعر: ١٨٩، الأغاني: ٧٩/٥، المختار من شعر بشار: ٩٥، الموشح: ١٦٩ - ٢٠٠، الصناعتين: ١١٤، المنصف في نقد الشعر: ٢٦٤، العمدة: ٧٠/١، المحاسن والمساوي: ٥٠٦، سر الفصاحة: ٢٥٧، سمط اللالي: ٢٩٤/١، مختارات ابن الشجري: ١٨٠/١، محاضرات الأدباء: ٢٣٥/١، المفتاح: ١٢٨، الإيضاح: ٢٢١/١، البداية والنهاية: ٣٢٠/٨، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - ٣٧ ب، شرح شواهد المغني: ٦٢٣/٢.

(١) وللبيت قصة طريفة شاعت في كتب الأدب تتلخص في أن مصعب بن الزبير أمر بضرب عنق أحد الأسرى فاستعطفه الرجل واستلطفه، فعفا مصعب عنه وأمر له بمائة ألف فقال الرجل:

بأبي أنت وأمي أشهد الله أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفاً فقال له مصعب: ولم؟ قال: لقوله فيك:

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِّنَ اللَّوْهِ (م) تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

فضحك مصعب وقال: أرى فيك موضعاً للصنعة، فأمره بلزومه، وأحسن إليه، فلم يزل معه حتى قتل.

انظر: عيون الأخبار: ١٠٣/١، المحاسن والمساوي: ٥٠٦، محاضرات الأدباء: ٢٣٥/١.

(٢) هو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن أهيب بن ضباب بن جُحَيْر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب (٠٠٠ - نحو ٨٥ هـ) وأمه قتيبة بنت وهب بن عبد الله بن ربيعة، ويكنى عبيد الله ابن الرقيات بأبي هاشم، وأبي هشام، وإِنَّمَا لُقِّبَ الرقيات؛ لأنه شَبَّ بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقية، وقيل لأن جدَّات له توالين يسمين رقية، جعله ابن سلام في الطبقة السادسة من فحول الإسلام، وكان مصاحباً لمصعب بن الزبير، وله فيه أشعار كثيرة.

يمدح مصعب بن الزبير^(١).

ومطلع القصيدة:

أَقْفَرْتُ بَعْدَ عَبْدِ شَمْسٍ كَدَاءً^(٢) فَكُدِّي^(٣) فَالرُّكْنَ^(٤) فَالْبَطْحَاءَ^(٥)

وقبل الشاهد:

إِنْ تَعِشْ لَا نَزْلَ بِخَيْرٍ وَإِنْ تَهْ لِكَ نَزْلٌ مِثْلَ مَا يَزُولُ الْعَمَاءُ

وبعده الشاهد وبعده:

مُلْكُهُ مُلْكُ قُوَّةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ وَلَا بِهِ كِبَرِيَاءُ
يَتَّقِي اللَّهَ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفْلَحَ (م) مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْاِتِّقَاءُ

استشهد به الشيخ على أن من مواضع «إنما» تنزيل المخاطب منزلة من لا يجهل الخبر، ولا يدفع صحته بإثبات أن الخبر معلوم ظاهر، فالشاعر هنا قصر مصعباً على صفة الشهاب قصر موصوف على صفة، فادّعى أن اتصاف بمدوحه بهذه الصفة أمر معلوم، وذلك لينبه، ويبالغ في إثبات هذه الصفة له. قال الشيخ: «ادّعى في كون الممدوح بهذه الصفة أنه أمر ظاهر معلوم للجميع على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدّعوا في الأوصاف التي يذكرون بها الممدوحين أنها

انظر ترجمته:

طبقات فحول الشعراء: ٦٤٩/٢، ٦٥٥، الشعر والشعراء: ٥٤٦/١ - ٥٤٧، الأغاني:

٧٣/٥ - ١٠٠، ٢٧١/١٧، ٢٧٥، سمط اللالي: ٢٩٤/١، خزانة البغدادي - دار صادر -

٢٦٥/٣ - ٢٦٩، شرح شواهد المغني: ١٢٧/١، الأعلام: ١٩٦/٤، ٢٦٤/١، ٢٩٦.

(١) سبقت ترجمته عند الشاهد (السادس والأربعون بعد المائة): ٥٧٢.

(٢) كدَاء: الممدودة بأعلى مكة عند المحضّب دار النبي ﷺ. معجم البلدان: ٤٣٩/٤.

(٣) كُدِّي: مصغر، طريق لمن خرج من مكة إلى اليمن. معجم البلدان: ٤٣٩/٤ - ٤٤١.

(٤) الرُّكْن: المقصود به الرُّكْن اليماني. ركن البيت الحرام. معجم البلدان: ٦٤/٣.

(٥) البطحاء: جمعها بطاح وهي بطحاء مكة يقال لقريش الداخلة «وهم بنو كعب بن لؤي» البطاح وهم الذين ينزلون الشعب بين أخشي مكة.

والبطحاء في اللغة: مسيل فيه دقاق الحصى. معجم البلدان: ٤٤٤/١.

ثابتة لهم، وأنهم قد شهرُوا بها، وأنهم لم يَصِفُوا إِلَّا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد»^(١).

«وفي قوله من الله تعظيم للشهاب، وفيه زيادة تفخيم لشأن مصعب شبهه في الشدة، واهتداء الناس به، وأرتفاع محله بكوكب ثاقب تجلى عن وجهه الظلام، فهو في غاية الإضاءة والإنارة»^(٢).

ثم ذكر أنه يصح في هذا الموضع - وهو تنزيل المخاطب منزلة من لا يجهل - أن تجي بـ (ما وإلا) فتقول: «ما مصعب إلا شهاب من الله»؛ لأن الصفة ليست معلومة على الحقيقة، وإنما أدعى الشاعر له ذلك، إلا أن المعنى على ذلك يخرج عن حد المبالغة، قال الشيخ:

«... وإذا كان الأمر ظاهراً كالذي مضى لم تقله كذلك، فلا تقول للرجل ترققه على أخيه وتنبه للذي يجب عليه من صلة الرّحم ومن حسن التحاب: ما هو إلا أخوك، وكذلك لا يصلح في «إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ» مَا أَنْتَ إِلَّا وَالِدٌ: فأما نحو: «إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ»، فيصلح فيه أن تقول: ما مصعب إلا شهاب؛ لأنه ليس من المعلوم على الصحة، وإنما أدعى الشاعر فيه أنه كذلك، وإذا كان هذا هكذا جاز أن نقوله بالنفي والإثبات إلا أنك تخرج المدح حينئذ عن أن يكون على حد المبالغة من حيث لا يكون قد أدعيت فيه أنه معلوم، وأنه بحيث لا ينكره منكر، ولا يخالف فيه مخالف»^(٣).

ولقد أعجب بهذا البيت عبد الملك بن مروان، وفضله على قول عبيد الله بن قيس الرقيات في مديحه:

يَأْتِلِقُ^(٤) التَّاجَ فَوْقَ مِفْرَقِهِ عَلَى جَبِينِ كَسَائِهِ الذَّهَبُ

(١) الدلائل، رضا: ٢٥٥، خفاجي: ٣٢٨، شاکر: ٣٣١.

(٢) شرح أبيات الإيضاح «شرح أبيات يضمنها القول في القصر»: شاهد رقم ١٢٢.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٥٦، خفاجي: ٣٢٩، شاکر: ٣٣٢.

(٤) رواية الفاضل: «يعتقد».

وقال لعبيد الله :

أعطيته المدح بكشف الغم، وجلاء الظلم وأعطيتني من المدح ما لا فخر فيه، وهو اعتدال التاج فوق جيني الذي هو كالذهب في النضارة^(١).

ورأى قدامة بن جعفر، وأبو هلال العسكري أن بيت الشاهد من أبيات المدح الجياد؛ لأن المدح فيه كان بالفضائل النفسية الخاصة التي هي العقل، والعفة والعدل، والشجاعة، وما جانس ذلك وبُعْدُ ذلك عن عيون المديح، وهي عدول المادح عن الفضائل التي تختص بالنفس إلى ما يليق بأوصاف الجسم من الحسن، والبهاء، والزينة^(٢)، واستشهد على ذلك بقول عبد الملك في تفضيله البيت، واعترض الأمدي، وتبعه ابن سنان الخفاجي، على علة تفضيل البيت، وهي كون المدح فيه بالفضائل النفسية.

ورأى الأمدي أن قدامة قد خالف بمذهبه هذا مذاهب الأمم كلها عريها وأعجميها؛ لأن الوجه الجميل يزيد في الهيبة، ويتيمن، به، ويدلُّ على الخصال المحمودة^(٣).

وأيده في قوله هذا ابن سنان، فقال:

«وهذا الذي ذكره أبو القاسم صحيح، ولو لم يكن في ذلك إلا ما قد جُبلت النفوس عليه من الميل إلى الوجوه الحسان لكفى وأغنى، فإن كان قدامه يعتقد أن ذاك ليس بفضيلة لَمَّا كان الإنسان قد خلق عليه، فهذا حكم جميع الفضائل النفسانية، فإن الكريم قد خُلِقَ كريماً، والشجاع شجاعاً، والعاقِل عاقلاً، وكما لا يقدر القبيح الوجه على أن يستبدل صورة غير صورته، كذلك

(١) انظر القصة مفصلة في:

الكامل: ١٩٤ - ١٩٥، الفاضل: ١١٧، مجالس ثعلب: القسم الأول: ١٧، الموشح: ١٩٦ - ٢٠٠، سر الفصاحة: ٢٥٧.

(٢) نقد الشعر: ١٨٩. الصناعتين: ١١٤.

(٣) سر الفصاحة: ٢٥٧.

لا يقدر الجاهل على أن يستبدل عقلاً فوق عقله، ويلزم قدامه ألا يجيز المدح بشرف النفس، والنسب، وكرم الأصل؛ لأن ذلك أيضاً يجري مجرى الصور، ولا صنيع للممدوح في شيء منهما، والأمر في هذا ظاهر^(١)، وعلل ابن سنان إنكار عبد الملك على ابن قيس الرقيات مدحه له بالتاج، أنه إنَّمَا أنكره؛ لأن التيجان كانت من زي ملوك العجم، ولم يكن خلفاء العرب يعرفونها.

ورأى أن القوة في البيت أنه مدح مصعب بأنه شهاب من الله تعالى، وهذا أبلغ من مدح الخليفة باعتدال التاج فوق مفرقه^(٢).

ويبدو أن قوة البيت ليست في استعماله الفضائل النفسية، وإنَّمَا ترجع إلى قوة الأسلوب الذي استخدمه الشاعر، فمكن المعاني في النفس وأكدّها.

الشاهد السابع والثلاثون بعد المائتين^(٣):
(الطويل)

وَتَعَذُّلْنِي^(٤) أَفْنَاءُ^(٥) سَعْدٍ عَلَيْهِمْ وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي^(٦) عَلِمْتُ سَعْدُ^(٧)

أورده الشيخ عبد القاهر من غير عزو.

(١) سر الفصاحة: ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٢) المصدر السابق: ٢٥٧.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٥٥، خفاجي: ٣٢٩، شاکر: ٣٣١.

(٤) رواية مختارات ابن الشجري: «وَقَدْ لَأْمَنِي».

ورواية ديوان المعاني: «وَتَعَذُّلْنِي» بالياء.

ومعنى «أفناء سعد» أي بطون سعد.

(٥) رواية الديوان وديوان المعاني وزهر الآداب:

«وَتَعَذُّلْنِي أَبْنَاءُ سَعْدٍ»

(٦) رواية المفتاح والإيضاح: «إِلَّا بِالَّتِي».

(٧) انظر البيت في:

ديوانه - رواية ابن حبيب: ٤٢، ديوان المعاني: ٣٨، زهر الآداب: ٩٧٨/٤، مختارات

ابن الشجري: ١٤، المفتاح: ١٢٨، الإيضاح: ٢٢١، شرح أبيات الإيضاح: -

فيض الله: - ٣٧ ب.

وهو للحطيئة من قصيدة يمدح بها بني سعد^(١) مطلعها:
أَلَا طَرَقْتَنَا^(٢) بَعْدَمَا هَجَدُوا هِنْدُ وَقَدْ سِرْنَ خُمْسًا وَأَتْلَابُ^(٣) بِنَا نَجْدُ

والشاهد آخر بيت في القصيدة^(٤) وقبله:
فَمَنْ مُبْلِغُ أَبْنَاءِ سَعْدٍ فَقَدْ سَعَى إِلَى السُّورَةِ^(٥) الْعُلْيَا لَهُمْ حَازِمٌ جَلْدُ
جَرَى حِينَ جَارَى لَا يُسَاوِي عَنَانُهُ عِنَانٌ وَلَا يَثْنِي أَجَارِيهِ^(٦) الْجَهْدُ
رَأَى مَجْدَ أَقْوَامٍ أُضِيعَ فَحَثُّهُمْ عَلَى مَجْدِهِمْ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ الْجَهْدُ
وبعدها الشاهد:

وفي رواية ديوان المعاني ذكر قبل^(٧) الشاهد:
وَإِنْ كَانَتْ النُّعْمَاءُ^(٨) فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا
وبعده الشاهد وبعبده:
يُسُوسُونَ أَحْلَامًا بَعِيدًا أَنَّاتُهَا وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْحَفِيزَةُ وَالْجَدُّ^(٩)

-
- (١) بنو سعد: وهم من بني أشرس بن كندة، فولد أشرس: السُّكُونُ والسُّكَّاسُكُ، فمن بطون السُّكُونِ: بنو عدي، وبنو سعد، ابني أَشْرَسَ بن شبيب، أمهما تُجِيبُ بنت ثوبان بن سليم بن رُهاء، من مَذْجِج. جمهرة أنساب العرب: ٤٢٩.
 - (٢) الطروق: الإتيان والزيارة ليلاً. التاج «طرق»: ٤١٨/٦.
 - (٣) أَتْلَابُ: انطلق وتتابع، والمتلئب: الطريق الممتد المنبسط. التاج «تلب»: ١٦١/١.
 - (٤) هذا على رواية الديوان.
 - (٥) السُّورَةُ: الفضل والمنزلة الرفيعة، والسُّورَةُ من المجد أثره، وعلامته، وارتفاعه. أساس البلاغة «سور»: ٢٢٤، التاج: «سور»: ٢٨٣/٣.
 - (٦) الأجاري: جمع أجريا وهو ضرب من الجري. اللسان «جرا»: ١٤٠/١٤.
 - (٧) وفي رواية زهر الآداب ذكر قبل الشاهد:
مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَكَاثِيفٌ لِلذَّجَى بَنَى لَهُمْ آبَسَاؤُهُمْ وَيَنِي الْجَدُّ
وبعده الشاهد.
 - (٨) رواية الديوان:
 - (٩) رواية الديوان: «وَالْجَدُّ».

استشهد به الشيخ للتنظير على أن من معاني «إنمّا» ادعاء كون الأمر معلوماً ظاهراً، وهذا من عادة الشعراء إذا مدحوا، فإنّهم يدعون الشهرة، فيما يصفون به الممدوحين، ويدعون أن أوصافهم جليلة واضحة، فالشاعر هنا متعجب من أمر هؤلاء الذين يلومونه في وصفه لممدوحيه، فأكد أن كل ما أثبت له من الصفات أمر معلوم، ومشهور لديهم.

ومعنى البيت:

«تلومني جماعات قبيلة سعد على هؤلاء القوم وعلى مدحهم، وإنّي ما قلت فيهم إلا ما علمته هذه القبيلة، وما مدحتهم إلا بالأوصاف التي سلمتها إليهم، وأقرت بها لهم، فلا وجه لعذلم إياي في مدحهم. إذ لم أقل فيهم إلا ما هو مسلم عندهم»^(١).

وذكر أبو هلال العسكري في ديوان المعاني عن ابن شبرمة أنه قال: «أمدح ما قالت العرب قول الحطيئة...»^(٢) ثم ذكر أبياتاً منها بيت الشاهد، وعلق عليها بقوله:

«ولعمري أن معاني هذه الأبيات أبكار ليس للعرب مثلها، وكل من تناولها، فإنمّا استعارها من الحطيئة، وهي جامعة لخصال المدح كلها»^(٣).

وذكر الحصري في زهر الآداب أن أبيات الحطيئة هذه من حر المدح وجيد الشعر^(٤).

(الكامل)

الشاهد الثامن والثلاثون بعد المائتين^(٥):

(١) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٧ ب.

(٢) ديوان المعاني : ٣٨.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) زهر الآداب : ٩٧٧/٤.

(٥) الدلائل، رضا : ٢٥٥، خفاجي : ٣٢٩، شاکر : ٣٣١.

قول البحرى:

لَا أَذْعِي لِأَبِي الْعَلَاءِ فَضِيلَةً حَتَّى يُسَلِّمَهَا إِلَيْهِ عِدَاهُ^(١)

والبيت من قصيدة يمدح بها صاعد بن مخلد^(٢)، ويمدح أبا عيسى ابنه^(٣)، ومطلعها:

أَرْجُ إِرْيَا طَلَّةَ رِيَّاهُ^(٤) لَا يُبْعِدُ الطِّيفَ الَّذِي أَهْدَاهُ^(٥)

وقبل الشاهد:

خَفَضُ^(٦) أَسَى عَمَّا شَاكَ طِلَابُهُ مَا كُلُّ شَائِمٍ بَارِقٍ^(٧) يُسْقَاهُ^(٨)

وبعده البيت وبعده:

مَا الْمَرْءُ تُخْبِرُ عَنْ حَقِيقَةِ سَرَوِهِ كَالْمَرْءِ تَخْبِرُ سَرَوَهُ وَتَرَاهُ
طَمَحَتْ عُيُونُ الْحَاسِدِينَ فَغَضُّهَا شَرَفُ بَنَاهُ اللَّهُ حَيْثُ بَنَاهُ^(٩)

الشاهد فيه كسابقه.

فالشاعر هنا ينفي أن يكون قد أثبت لأبي العلاء فضيلة ليست فيه، ففضائله

(١) انظر البيت في:

ديوانه - دار بيروت -: ٣٣٥/١، المفتاح: ١٢٨، الإيضاح: ٢٢١/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٣٧ ب.

(٢) مضت ترجمته، انظر ص: ٢٨٨.

(٣) مضت ترجمته، انظر: ٢٨٨.

(٤) رِيَّاء: اسم امرأة.

طَلَّةَ رِيَّاهُ: طيبة ولذيذة رائحته. اللسان «روى»: ٣٥٠/١٤.

(٥) الديوان: ٣٣٥.

(٦) خَفَضُ: هون. مختار الصحاح «خفض»: ١٨٢.

(٧) شائم بارق؛ شام السحاب والبرق شيماً: نَظَرَ إِلَيْهِ أَيْنَ يَقْصِدُ، وَأَيْنَ يَمْطُرُ، وَقِيلَ هُوَ النَّظَرُ إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ. اللسان «شيم»: ٣٣٠/١٢.

(٨) الديوان: ٣٣٥.

(٩) الديوان: ٣٣٦.

مشهورة معلومة. وبالع في وصفها بالشهرة حيث ذكر أنه لم يمدحه بصفة إلا وقد
سَلَّمَ الأعداء له بها.

الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائتين^(١): (السريع)

قَدْ عَلِمْتُ سَلْمَى وَجَارَاتُهَا مَاقَطَرَ^(٢) الْفَارِسِ إِلَّا أَنَا^(٣)

البيت المذكور في الدلائل من غير نسبة، وهو لعمر بن معدى كرب^(٤) من
قصيدة قالها في حرب القادسية^(٥).

(١) الدلائل، رضا: ٢٦٠، خفاجي: ٣٣٤، شاعر: ٣٣٧.

(٢) قطر الفارس: طعنه فَقَطَرَهُ أي ألقاه على قطره أي جانبه فتَقَطَّرَ أي سقط، وأيضاً إذا صَرَخ
الرجل صَرَغَةً شديدة قيل قَطَرَهُ. اللسان «قطر»: ١٠٦/٥.

(٣) وجاء في الديوان أن البيت يروى:

قَدْ عَلِمَ الْأَحْيَاءُ مِنْ مَذْجِ مَا قَتَلَ الْأَسْوَدَ إِلَّا أَنَا

وهذه رواية التنبيه والإشراف، ويُنسب البيت على هذا الوجه لقيس بن مكشوح.

انظر: التنبيه والإشراف: ٢٥٧.

(٤) انظر البيت في:

الديوان: ١٧٥، الكتاب: ٣٥٣/٢، شرح أبيات سيويه للنحاس: ٢٠٢، - من غير

عزو، - مقياس اللغة: ١٠٥/٥، شرح جمل الزجاجي: ١٦/٢ - من غير عزو، - التنبيه

والإشراف للمسعودي: ٢٥٧، الأغاني: ٢١٦/١٥، أبيات سيويه للسيرافي: ١٩٩/٢،

الصناعتين: ٧٤، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٤١١/١، فرحة الأديب: ١٣٥ - ١٣٦،

البيديع لأسامة بن منقذ: ١٦٠، شرح المفصل: ١٠١/٣ - ١٠٣، المغني: ٣٠٩/١، شرح

شواهد المغني: ٧١٩/٢، المقاصد النحوية - بهامش خزنة الأدب - دار صادر: ٥١٨/١،

الإيضاح: ٢١٧/١، شرح أبيات الإيضاح: - فيض الله -: ٣٦ أ، اللسان: «قطر»:

١٠٦/٥. من غير عزو، مختار الأغاني: ٣٧٢/٧.

(٥) ذكر صاحب شرح أبيات الإيضاح أن هناك من ينسب البيت للفرزدق وصحح ذلك بقوله:

«والظاهر أنه لعمر بن معدى كرب»، وقد بحث بدوري عن البيت في ديوان الفرزدق، فلم

أجده.

كما ينسب البيت برواية أخرى - ذكرتها سابقاً - لقيس بن مكشوح.

(٦) وقد ذكر الغندجاني في تعقبه السيرافي أن البيت لا يمكن أن يُعْهِم إلا إذا عُرِفَتْ قصته،

قال ابن السيرافي:

والشاهد أحد أبيات ثلاثة أولها:
أَلَيْمٌ بِسَلَمَى قَبْلَ أَنْ تَطْعَنَا إِنَّ لَنَا^(١) مِنْ حُبِّهَا دَيْدَنَا

وبعده الشاهد وبعده:
شَكَّتُ بِالرُّمَحِ حَيَازِيمَهُ^(٢) وَالْخَيْلُ تَعْدُو^(٣) زَيْمًا^(٤) بَيْنَنَا^(٥)

«قَطَرَ الفارس الفاه على أحد قطريه». شرح أبيات سيبويه: ٢٠٠/٢ وعلق الغندجاني على ذلك بقوله:

«قُلْ غَنَاءٌ عَلَى الْمُسْتَفِيدِ هَذَا الْقَدْرُ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ السِّيرَافِيِّ مِنْ تَفْسِيرِ هَذَا الشَّعْرِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَكَادُ يُعْرَفُ حَقِيقَةُ مَعْنَاهُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْقِصَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ هُوَ بِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ عَمْرُو بْنَ مَعْدِي كَرِبَ حَمَلٍ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى مَرْزَبَانَ - وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ رَسْتَمٌ - فَقَتَلَهُ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ: ... الأبيات». فرحة الأديب: ١٣٥ - ١٣٦.

وجاء في الأغاني:
حضر عمرو الناس وهم يقاتلون، فرماه رجل من العجم بنشاب، فوقع في كتفه، وكانت عليه درع حصينة، فلم تنفذ، وحمل على العِلْجِ فعانقه فسقطا إلى الأرض، فقتله عمرو، وسلبه ورجع بسلبه، وهو يقول:

أَنَا أَبُو نُورٍ وَسَيْفِي ذُو النُّونِ
أَضْرِبُهُمْ ضَرْبَ غُلَامٍ مَجْنُونِ
يَالِ زَيْدٍ إِنَّهُمْ يَمُوتُونَ

قال أبو عبيدة: وقال في ذلك عمرو بن معدي كرب ... الأبيات التي منها الشاهد.
انظر الخبر في:

الأغاني: ٢١٦/١٥ - ٢١٧.

وحرب القادسية كانت في أيام عمر بن الخطاب بين المسلمين والفرس سنة (١٦ هـ) وكان قائد المسلمين سعد بن أبي وقاص، وقائد الفرس «رستم» وكانت الغلبة والنصر فيها للمسلمين. فتوح البلدان للبلاذري: ٢٥١ - ٢٥٨.

(١) رواية الغندجاني:

«إِنَّ لِسَلَمَى عِنْدَنَا دَيْدَنَا»

(٢) الحيازيم جمع حيزوم، وهو ما حول الصدر. السيرافي: ٢٠٠/٢، واللسان: «حزم»:
١٣٢/١٢، ورواية الصنائع «سرايله».

(٣) رواية السيرافي: «تجري».

استشهد به الشيخ على أن تقطير الفارس خاصٌّ به، وليس المراد أنَّ هناك شركة بينه وبين غيره، فأفرد نفسه بالتقطير، وأدَّعى أن سلمى تعلم أن هذا فعله خاصة. قال الشيخ:

«المعنى أنا الذي قَطَّرَ الفارس، وليس المعنى على أنه يريد أن يزعم أنه انفرد بأن قَطَّرَه، وأنه لم يَشْرِكْه فيه غيره»^(١).

فأفاد كلام الشيخ أن معنى البيت على قصر الأفراد.

ولقد استشهد به أبو هلال العسكري في باب «تمييز الكلام جيده من رديئه، وناديه من بارده»، وذكر أنه من الشعر البارد، قال:

«وإذا كان المعنى صواباً، واللفظ بارداً وفاتراً، والفاتر شر من البارد، كان مستهجنًا ملفوظًا، ومذمومًا مردوداً، والبارد من الشعر، قول عمرو بن معدي كرب... الأبيات»^(٢).

والبيت يستشهد به النحاة على وجوب انفصال الضمير إذا كان محصوراً بـ «إلا» قال السيرافي:

«الشاهد فيه أنه أتى بالضمير المنفصل وهو (أنا) حين لم يمكنه أن يأتي به متصلاً، وإنَّما لم يمكنه أن يصله بالفعل فيقول: «مَا قَطَّرْتُ الْفَارِسَ»؛ لأن المعنى كان يبطل؛ لأنه يكون نافياً عن نفسه أنه قَطَّرَ الفارس، والأمر الذي يقع بعد (إلا) هو مثبت مستثنى مما نفي، فلما احتاج أن يأتي بالضمير بعد «إلا» أتى

= (٤) الزَّيْمُ: المتفرقة. السيرافي: ٢٠٠/٢، اللسان «زيم»: ٢٧٩، والمعنى «طعنت بالرمح في

صدره والخيـل تجري بفرسانها تحمل بعضهم على بعض. (وزيما) منصوبة على الحال.

شرح أبيات سيويه للسيرافي: ٢٠٠/٢.

(٥) رواية الصناعتين: «حولنا».

(١) الدلائل، رضا: ٢٦١، خفاجي: ٣٣٤، شاکر: ٣٣٨.

(٢) الصناعتين: ٧٤.

به منفصلاً؛ لأن موضع انفصال، وإنّما هو موضع اتصال، الاتصال أن يتصل بالفعل ويليّه، والانفصال أن يبعد عن الفعل ولا يليّه^(١). واستشهد به البلاغيون المتأخرون في سياق الحديث عن إفادة (إنّما) القصر، فمن أدلة إفادتها القصر صحة انفصال الضمير عنها كقولك «إنّما يضرب أنا» كما تقول: «ما يضرب إلا أنا»، ومثاله أيضاً قول عمرو بن معدى كرب^(٢).

الشاهد الأربعون بعد المائتين: (الطويل)

«وإنّما يُدافعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي»^(٣).

الشاهد الواحد والأربعون بعد المائتين: (الهمز)

كَأَنَّا يَوْمَ قُرَى^(٤)، إِنَّمَا (م) نَقْتُلُ إِيَّانَا^(٥)

ذكره الشيخ^(٦) من غير نسبة، وهو لذي الإصبع العدواني^(٨).

- (١) شرح أبيات سيويه للسيرافي: ١٩٩/٢ - ٢٠٠، وانظر: شرح ابن عقيل: ١٠٠/١.
- (٢) انظر: المفتاح: ١٢٧، الإيضاح: ٢١٧/١.
- (٣) انظر: الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائتين: ٨٠٠. من البحث.
- (٤) الدلائل، رضا: ٢٦٣، خفاجي: ٣٣٦، شاکر: ٣٤٢.
- (٥) قُرَى: بضم أوله، وتشديد ثانيه، وبعده ياء على وزن فُعْلَى: موضع ببلاد بني الحارث، وقال أبو حنيفة؛ قُرَى: مائة قرية من تَبَالَة. معجم ما استعجم: ١٠٦٢/٣.
- وتَبَالَة بفتح المشاة الفوقية على وزن فَعَالَة: بلدٌ وهي التي يضرب بها المثل، فيقال: «أهون من تبالة على الحجاج»، وهي بلدة صغيرة من اليمن، وهي أول عمل وليه الحجاج، ووقعت في هذا الموضع واقعة عرفت بيوم قُرَى. معجم البلدان: ٩/٢.
- (٦) انظر البيت في:
- ديوانه: ٧٨، الكتاب: ١١١/٢، ٣٦٢، إعراب ثلاثين سورة من القرآن: ٢٥، الخصائص: ١٩٤/٢، شرح جمل الزجاجي: ١٨/٢، الأمالي الشجرية: - دار المعرفة: ٣٩/١، شرح المفصل: ١٠١/٣، ١٠٢، الإنصاف: ٦٩٩/٢، خزنة الأدب: - مكتبة الخانجي: - ٢٨٠/٥ - ٢٨٢.
- (٧) الدلائل، رضا: ٢٦٣، خفاجي: ٣٣٦، شاکر: ٣٤٢.
- (٨) هذه نسبة أمالي ابن الشجري، وخزانة البغدادي.

والبيت أحد أبيات خمسة هي :

لَقِينَا مِنْهُمْ جَمْعاً فَأَوْفَى الْجَمْعُ مَا أَنَا
كَأَنَّا يَوْمَ قُرَى إِنَّمَا (م) نَقْتُلُ إِيَّانَا
قَتَلْنَا مِنْهُمْ كُلَّ (م) فَتَى أَبْيَضَ حُسَّانَا
يُرَى يَرْقُلُ فِي بُرْدَيْنِ (م) مِنْ أُرَادِ نَجْرَانَا
أَذَا يُسْرِحُ ضَانًا مَائَةً (م) أَتَبَعَهَا ضَانًا^(١)

استشهد به الشيخ على أنه لا يجوز أن يجعل قول الفرزدق: «إِنَّمَا يدافع
عن أحسابهم» نظيراً لهذا البيت؛ لأن فصل الضمير هنا للضرورة^(٢)، أما قول
الفرزدق فهو غيره إذ لا ضرورة فيه. قال الشيخ :

وُنُسِبَ الْبَيْتُ فِي الْكِتَابِ لِبَعْضِ اللَّصُوصِ، وَفِي الْخَصَائِصِ لِأَبِي بَجِيلَةَ، وَذُو الْأَصْبَعِ
الْعَدَوَانِي هُوَ :

حرثان بن الحارث بن مُحَرَّثِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَيَّارِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ هَبِيرَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ظَرْبِ بْنِ
عَمْرُو بْنِ يَشْكُرِ بْنِ عَدَوَانَ، وَهُوَ شَاعِرُ فَارَسَ مِنْ قُدَمَاءِ الشُّعْرَاءِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَهُ غَزَائِلُ
كثيرة في العرب، ووقائع مشهورة، عاش ذو الأصبع مائة وسبعين سنة، وقيل ثلثمائة سنة،
وهو أحد حكام العرب في الجاهلية، ويقال أنه سُمِّيَ بِذِي الْإِصْبَعِ؛ لِأَنَّهُ كَانَتْ لَهُ إِصْبَعٌ
زَائِدَةٌ، وَقِيلَ لِأَنَّهُ خَبِثَ نَهَشَتْ إِصْبَعَهُ، فَقَطَعْتُهَا، وَقَالَ الْمُرْتَضَى فِي أَمَالِيهِ: أَنَّهُ سُمِّيَ
«عَدَوَانَ» لِأَنَّهُ عَدَا عَلَى أَخِيهِ «فَهْمٍ» فَقَتَلَهُ، وَقِيلَ بَلْ فَقَا عَيْنَهُ.

انظر ترجمته في :

الأغاني: ٨٩/٣ - ١٠٩، الشعر والشعراء: ٧١٢/٢، الاشتقاق: ٢٦٨، المؤلف
والمختلف: ١١٨، سطر اللآلي: ٢٨٩ - ٢٩٠، الخزانة: ٢٨٤/٥، المعمرين لأبي
حاتم: ٥٨ - ١١٣.

(١) انظر الأبيات في :

ديوانه: ٧٨ - ٧٩، أمالي ابن الشجري: ٣٩/١ - ما عدا البيت الأخير، - خزانة البغدادي -
مكتبة الخانجي -: ٢٨٢.

(٢) والضرورة هنا: «لأنه لا يمكنه أن يأتي بالمتصل فيقول نقتلنا، لأنه يتعدى فعله إلى ضميره
المتصل، فكان حقه أن يقول: نقتل أنفسنا، لأن المنفصل والنفس يشتركان في الانفصال،
ويقعان بمعنى نحو قولك: ما أكرمت إلا نفسك، وما أكرمت إلا إياك، فلما كان المتصل لا

«هذا ولا يجوز أن يُنسب فيه»^(١) إلى الضرورة، فيجعل مثلاً نظير قول الآخر:

كَأَنَّا يَوْمَ قُرِئَ إِنَّمَا (م) نَقْتُلُ إِيَّانَا

لأنه ليس به ضرورة إلى ذلك، من حيث أن «أدافع» و«يدافع» واحد في الوزن، فأعرف هذا أيضاً»^(٢).

ومعنى. الشاهد: «قال ابن الشجري: ومعنى قوله كَأَنَّا نَقْتُلُ إِيَّانَا تشبيه المقتولين بنفسه، وقومه في الحُسن والسيادة، فلذلك وصفه بما بعده أي هم سادة يلبسون أبراد اليمن، فكأننا بقتلنا إِيَّاهم قتلنا أنفسنا. انتهى.

وقال ابن الأعرابي: أي لا ينبغي أن نقتل منهم لنفاستهم، ولكن أَلْجَأُونَا إلى ذلك.

وقال الأعلام: وصف قوماً أوقعوا ببني عمهم فكأنهم بقتلهم قاتلون أنفسهم»^(٣).

ب - شواهد «ما وإلا»:

الشاهد الثاني والأربعون بعد المائتين^(٤): (السريع)

السيد الحميري^(٥):

= يمكن وقوعه ههنا لما ذكرناه، وكان النفس والمنفصل مترادفين استعمل أحدهما. شرح المفصل: ١٠٣/٣.

(١) الضمير هنا يعود على بيت الفزدق «إنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي».

(٢) الدلائل، رضا: ٢٦٣، خفاجي: ٣٣٦ - ٣٣٧، شاعر: ٣٤٢.

(٣) خزائن الأدب - مكتبة الخانجي -: ٢٨٢/٥.

(٤) الدلائل، رضا: ٢٦٥، خفاجي: ٣٣٨، شاعر: ٣٤٤.

(٥) السيد لقبه، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ الحميري، وقيل هو يزيد بن مُفَرِّغ، ومن قال؛ إنه يزيد بن معاوية فقد أخطأ، ومُفَرِّغ لقب ربيعة؛ لأنه راهن أن يشرب عُسًا من لبن فشربه حتى قَرَّغَه، فَلَقَّبَ مُفَرِّغًا، وأم السيد الحميري امرأة من الأزد =

لَوْ خَيْرَ الْمُنْبَرِ فُرْسَانَهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسًا^(١)

وهو من قصيدة قالها في مدح بني العباس، وذم بني أمية^(٢).

أولها:

دُونَكُمْوَهَا يَا بَنِي هَاشِمٍ فَجَدُّوْا مِنْ عَهْدِهَا الدَّارِسَا

وبعده أبيات قبل الشاهد:

دُونَكُمْوَهَا لَا عَلَا كَعْبُ مَنْ كَانَ عَلَيْكُمْ مُلْكُهَا نَافِسَا
دُونَكُمْوَهَا فَالْبَسُوا تَاجَهَا لَا تَعْدُمُوا مِنْكُمْ لَهُ لَا بَسَا

وبعدهما بيت الشاهد وبعده:

قَدْ سَاسَهَا قَبْلُكُمْ سَاسَةٌ لَمْ يَتْرَكُوا رَطْبًا وَلَا يَابِسًا
وَلَسْتُ مِنْ أَنْ تَمْلِكُوهَا إِلَى مَهِيْطِ عَيْسَى فِيكُمْ آيِسًا^(٣)

الشاهد فيه: أن المقصور عليه في النفي والاستثناء هو ما بعد «إلا»

من بني الحُدَّان، وجده يزيد بن ربيعة شاعر مشهور. وهو الذي هجا زياداً وبنيه ونفاهم عن آل حرب، وحبه عبيد الله بن زياد لذلك وعذبه ثم أطلقه معاوية.

وكان السيد شاعراً متقدماً مطبوعاً يقال إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة: بشار، وأبو العتاهية والسيد، فإنه لا يعلم أن أحداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع، وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يُقرط فيه من سب أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه في شعره ويستعمله في قذفهم والطعن عليهم. توفي سنة ١٧٣.

انظر ترجمته:

الأغاني: ٢٢٩/٧ - ٢٧٨.

(١) الأغاني: ٣٤٠/٧. المفتاح: ١٣٠، الإيضاح: ٢٢٥/١، شرح أبيات الإيضاح: ١٤٠/١، شاهد رقم «١٢٨».

(٢) جاء في الأغاني: ٢٤٠/٧:

«لما استقام الأمر لبني العباس قام السيد إلى أبي العباس السُّفَّاح حين نزل عن المنبر فقال: ... الأبيات فسرَّ أبو العباس بذلك وقال له: أحسنت يا إسماعيل سلني حاجتك، قال: تُولِّي سليمان بن حبيب الأمواز ففعل».

(٣) الأغاني: ٢٤٠/٧.

مباشرة، فالاختصاص هنا في الجار والمجرور «منكم» دون فارساً. قال الشيخ :
«وأعلم أنَّكَ إِنَّ عمدت إلى الفاعل والمفعول فأخرتهما جميعاً إلى ما بعد
«إلاً»، فَإِن الاختصاص يقع حينئذ في الذي يلي «إلاً» منهما... وَحُكِمَ المفعولين
حُكْمَ الفاعل والمفعول فيما ذكرت لك. تقول: «لَمْ يَكُسْ إِلَّا زَيْدًا جُبَّةً»، فيكون
المعنى أَنَّهُ خَصَّ «زيداً» من بين الناس بكسوة الجبة، فَإِن قلت: «لَمْ يَكُسْ إِلَّا
جُبَّةً زَيْدًا»، كان المعنى: أَنَّهُ خَصَّ الجبة من أصناف الكُسوة». وكذلك الحُكْم حيث يكون بَدَل أحد المفعولين جارٍ ومجرور.
كقول السيد الحميري: ...

الاختصاص في «منكم» دون «فارساً» ولو قلت: «ما أختار إِلَّا فَارِساً منكم»، صار الاختصاص في «فارساً»^(١).
والمعنى: أَنه لو خير أحد المنبر في فرسانه أي في اختيار فصحاءه وخطبائه، فَإِنَّه لَنْ يَخْتَارَ إِلَّا خطباء بني العباس لفصاحتهم وبلاغتهم، وأكد هذا المعنى بآن قصر الاختيار عليهم دون غيرهم.
وَبُيِّنَ الفعل للمجهول (خَيْرٌ) ليدل على سرعة اختياره لهم. وعلى أن التخيير لو وقع من أي إنسان لكان هذا هو الجواب، فليس المهم من يقع منهم التخيير، ولكن المهم وقوع التخيير نفسه فيكون الاختيار منكم لا من غيركم.

* * *

د - عود إلى مباحث «إنما» :
الشاهد الثالث والأربعون بعد المائتين^(٢) :
(الرمل)
قول لبيد^(٣) :

(١) الدلائل، رضا: ٣٦٤ - ٣٦٥، خفاجي: ٣٣٧ - ٣٣٨، شاعر: ٣٤٤ - ٣٤٥.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٧١، خفاجي: ٣٤٤، شاعر: ٣٥٣.

(٣) ستاتي ترجمته: ٩٤٣.

إِنَّمَا يَخْزِي الْفَتَى (١) لَيْسَ (٢) الْجَمَلُ (٣) (٤)

ذكر الشيخ عجز البيت دون الصدر، وصدره:

فَإِذَا (٥) جُوزِيَتْ (٦) قَرْضاً فَاجْزِهِ

والشاهد من قصيدة قالها في رثاء أخيه، ومطلعها:

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَفْلٌ وَيَأْذِنُ اللَّهُ رَيْثِي وَعَجَلٌ

وقبل الشاهد:

وَعُلَامٍ أُرْسَلَتْهُ أُمُّهُ بِأَلْوَكٍ (٧) فَبَدَّلْنَا مَا سَأَلَ

-
- (١) الفتى: أي اللبيب. خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي: - ٣٠٠/٩.
- (٢) رواية الكتاب وشرح أبيات سيويه للنحاس «غير الجمل». استشهد به على جواز وصف «الفتى» المحلى بأل الجنسية بـ «غير» وهي نكرة مضافة إلى معرفة، والذي سوغ هذا أن التعريف بالآلف واللام يكون للجنس، فلا يخص واحداً بعينه، فهو مقارب للنكرة، وأن «غيراً» مضافة إلى معرفة فقاربت المعارف لذلك، وإن كانت نكرة.
- (٣) الجمل: الجاهل البليد. خزانة البغدادي: - مكتبة الخانجي: - ٣٠٠/٩، وقيل المراد به «الحيوان» المعروف. شرح أبيات سيويه للسيرافي: ٤٠/٢.
- (٤) انظر البيت في:
- الديوان: ١٤٢، شرح ديوان لبید: ١٧٩، الكتاب: ٣٣٣/٢، شرح أبيات سيويه للنحاس: ١٩٨ - من غير نسبة - فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: ١٧٣، حماسة البحتري: ١٦١، المقتضب: ٤١٠/٤، - من غير نسبة -، مجالس ثعلب: ٤٤٧/٢ - من غير نسبة -، شرح أبيات سيويه للسيرافي: ٤٠/٢، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٣٧٠/١، التمثيل والمحاضرة: ٣٣٤ - ذكر العجز فقط ومن غير نسبة -، شرح جمل الزجاجي: ٢٢٥/١ - من غير نسبة -، أوضح المسالك: ٣٨/٣ - ذكر العجز فقط، ومن غير نسبة -، اللسان «قرض»: ٢١٧/٧، خزانة البغدادي «ت: عبد السلام هارون»: ٢٩٦/٩ - ٢٩٧ - ٣٠٠، التصريح بمضمون التوضيح: ١٩١/١، ذكر عجز البيت وبدون نسبة -.
- (٥) رواية الكتاب، وشرح أبيات سيويه للسيرافي والمقتضب، وشرح جمل الزجاجي، وخزانة البغدادي: «وإذا».
- (٦) رواية الكتاب، وفصل المقال، وخزانة البغدادي «أقرضت»، ورواية المقتضب وشرح جمل الزجاجي: «وإذا وُلِّت».

أَوْ نَهَتْهُ فَأَتَاهُ رِزْقُهُ فَاشْتَوَى لَيْلَةً رِيحٍ وَاجْتَمَلَ^(١)
مِنْ شِوَاءٍ لَيْسَ مِنْ عَارِضَةٍ^(٢) بِيَدِي كُلِّ هُضُومٍ ذِي نَزَلٍ^(٣)

وبعدها الشاهد وبعده:

أَعْمِلِ الْعَيْسَ عَلَى عِلَاتِهَا إِنَّمَا يُنْجِحُ أَصْحَابُ الْعَمَلِ^(٤)

استشهد به الشيخ على أنه لا يحسن العطف بـ «لا» بعد إنما إذا كان الوصف مختصاً بالموصوف، وقد جاء النفي هنا متأخراً عن «إنما».

فقد اعتبر الشيخ أن «ليس» هنا بمعنى «لا»^(٥) العاطفة أي «إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَا الْجَمْلُ».

والمعنى: «إِنَّمَا يَعْرِفُ النَّعَمَ وما يجب لها من شكر المنعم أرباب العقول، وذوو التمييز، لا البهائم، فمتى أزلت إليك نعمة فكن من المجازاة عليها بمرصود فإن معرفة ذلك والأخذ به من تمام العقل، ويوجبه المميزون، وأولو الحجة لا

(٧) = الأولك: الرسالة. لسان العرب (لوك): ٤٨٥/١٠.

(١) اجتمع: أذاب شحم الجمل لينتفع به، جمعت الشحم أجمله جملاً واجتمعت إذا أذنته. اللسان «جمل»: ١٢٧/١١.

(٢) العارضة: هي الناقة التي تنحر إذا ما أصيبت بكسر، أو داء. اللسان «عرض»: ١٧٨/٧.

(٣) النزل: كثير الفضل والعطاء والبركة. اللسان «نزل»: ٦٥٩/١١.

(٤) الديوان: ١٤٤ - ١٤٥.

(٥) وقد اختلف النحاة في اعتبار ليس بمعنى «لا» العاطفة، فهي عند البغداديين بمعنى «لا» العطفة في أنها تقتضي التشريك في اللفظ دون المعنى بإثبات لما بعده، ما انتفى عما قبله أي أن تنفي عما بعدها ما ثبت لما قبلها، وقد منع ذلك آخرون، لاحتمال أن تكون ليس حرفاً ناسخاً، والجمل اسمها، وخبره محذوف، وقدره البعض «ليس الجمل مجزياً» على قراءة يجزىء بالبناء للمجهول وقدره بعضهم «ليسه الفتى» والأصح أن يقدر ليس الجمل جازياً.

انظر المقتضب: ٤١٠/٤، مجالس ثعلب: ٤٤٦ - ٤٤٧، شرح جمل الزجاجي: ٢٢٥/١،

أوضح المسالك: ٣٩/٣، خزنة البغدادي - مكتبة الخانجي: ٢٩٩/٩ - ٣٠٠.

غيرهم مما لا تمييز له، ولا معرفة بذلك عنده، وذكر الجمل مُكتفياً، وإن كان القَصْدُ جنسه أو أجناس مثله^(١).

وهو مثل يُضرب في الحث على مجازاة الخير والشر^(٢).

قال الشيخ :

«ومما يجب أن يعلم أنه إذا كان الفعل بعدها فعلاً لا يصح إلا من المذكور، ولا يكون من غيره، كالذكر الذي يعلم أنه لا يكون إلا من أولي الألباب لم يحسن العطف بلا فيه كما يحسن فيما لا يختص بالمذكور، ويصح من غيره، تفسير هذا أنه لا يحسن أن تقول: ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٣) لا الجُهَال. كما يحسن أن تقول إِنَّمَا يَجِيءُ زيد لا عمرو، ثم إِنَّ النفي فيما يجيء فيه النفي يتقدم تارة ويتأخر أخرى، فمثال التأخير ما تراه في قولك: «إنما يجيء زيد، لا عمرو، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾^(٤) لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ»^(٥) وكقول لبيد: «إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ»^(٥).

وقد اشترط السكاكي في مجامعة إِنَّمَا بـ «لا» العاطفة أن لا يكون الوصف مختصاً بالموصوف، ورأى الخطيب أن ما ذهب إليه الشيخ عبد القاهر هو الصواب، فالشيخ جعله شرطاً في حسن العطف لا شرطاً في جوازه؛ لأنه لا دليل على امتناع أن يقال: إِنَّمَا يفهم العاقل لا غيره عند قصد التأكيد^(٦).

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١/٣٧٠ - ٣٧١.

(٢) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: ١٧٣، خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي -: ٣٠٠/٩.

(٣) سورة الرعد: الآية ١٩.

(٤) سورة الغاشية: الآيتين ٢١، ٢٢.

(٥) الدلائل، رضا: ٢٧١، خفاجي: ٣٤٤، شاکر: ٣٥٣.

(٦) المفتاح: ١٢٧، الإيضاح: ٢١٨/١، شروح التلخيص: «مختصر السعد»: ٢١٢/٢، «مواهب الفتاح»: ٢١٣/٢، «عروس الأفراح»: ٢١١/٢، «حاشية الدسوقي»: ٢١٣/٢.

الشاهد الرابع الأربعون بعد المائتين^(١): (المديد)

أَنَا لَمْ أَرْزُقْ مَحَبَّتَهَا^(٢) إِنَّمَا لِلْعَبْدِ مَا رَزَقَا^(٣)

ذكره الشيخ من غير عزو، وهو للعباس بن الأحنف، وهو من قصيدة مطلعها: «وهي خمسة أبيات فقط»:

نَامَ مَنْ أَهْدَى لِي الْأَرْقَا مُسْتَبْرِحاً سَاقِنِي^(٤) قَلَقَا
وقبل الشاهد:

لَوْ يَبِيتُ النَّاسُ كُلُّهُمْ بِسُهُادِي بَيُضَ الْحَدَقَا
وبعده الشاهد وبعده:

غَالَهُمْ وَدِّيَ فَمَا عَقِلُوا حِينَ سَدُّوا دُونَهُ الطُّرُقَا
كَانَ لِي قَلْبٌ أَعِيشُ بِهِ فَاصْطَلَى بِالْحُبِّ فَاحْتَرَقَا

استشهد به الشيخ على أن أحسن مواقع إنمّا، وأعلقها بالقلب إذا كان الغرض منها التعريض بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعدها. قال الشيخ:

«ثم أعلم أنك إذا استقرت وجدتها أقوى ما تكون، وأعلق ما ترى بالقلب، إذا كان لا يُرَادُ بالكلام بعدها نَفْسُ معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه»^(٥).

ففي البيت تعريض بأنه قد يش من وصلها، ولا رجاء له فيه قال الشيخ: «الغرض أن يُفْهَمَ من طريق التعريض أنه قد صار يَنْصَحُ نفسه، ويعلم أنه ينبغي له أن يقطع الطمع من وصلها، ويأس من أن يكون فيها إسعاف»^(٦) ويظهر

(١) الدلائل، رضا: ٢٧٢، خفاجي: ٣٤٥، شاکر: ٣٥٥.

(٢) رواية الديوان والأغاني: «أنا لم أرزُقْ مَوَدَّتْكُمْ».

(٣) ديوانه: دار صادر: ٢١٧، الأغاني: ٣٦٧/٨، الإيضاح: ٢٢٢/١، شرح أبيات الإيضاح: - النسخة الأزهرية: - شاهد رقم «١٢٥».

(٤) رواية الأغاني: «زادني».

(٥) الدلائل، رضا: ٢٧٢، خفاجي: ٣٤٥، شاکر: ٣٥٤.

(٦) الدلائل، رضا: ٢٧٢، خفاجي: ٣٤٦، شاکر: ٣٥٥.

سر جمال إنما إذا حذفناها من الجملة، وقلنا: للعبد ما رزقا، فإنه يكون مجرد إخبار ووصف بأن للعبد ما رزقه الله، فلا يكون وراءه كبير معنى.

قال الشيخ:

«ثم إن العجب في أن هذا التعريض الذي ذكرت لك لا يحصل من دون «إنما» فلو قلت: «يتذكر أولو الألباب» لم يدل ما دل عليه في الآية، وإن كان الكلام لم يتغير في نفسه، وليس إلا أنه ليس فيه «إنما»^(١) ثم قال: «وهذا موضع فيه دقة وغموض، وهو مما لا يكاد يقع في نفس أحد أنه ينبغي أن يتعرف سببه ويبحث عن حقيقة الأمر فيه»^(٢).

الشاهد الخامس والأربعون بعد المائتين^(٣): (البسيط)

«وإنما يَعْدِرُ العشاقَ مَنْ عَشِقًا»^(٤).

ذكره الشيخ من غير نسبة. وهو للباخرزي^(٥)، وصدر البيت:

«يَلُومُ فِي الْحُبِّ مَنْ لَمْ يَدْرِ طَعَمَ الْهَوَى»^(٦).

الشاهد فيه كسابقه، وهو أن الغرض من إنما هنا التعريض. قال الشيخ يقول: إنه ليس ينبغي للعاشق أن يلوم من يلومه في عشقه، وأنه ينبغي أن لا

(١) الدلائل، رضا: ٢٧٣، خفاجي: ٣٤٧، شاکر: ٣٥٦.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٧٣ - ٢٧٤، خفاجي: ٣٤٧، شاکر: ٣٥٧.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٧٢، خفاجي: ٣٤٦، شاکر: ٣٥٥.

(٤) لم أعثر عليه فيما أطلعت عليه من مصادر إلا في: الإيضاح: ٢٢٢/١.

(٥) نسبة الأستاذ خفاجي في تحقيق كتاب الدلائل للباخرزي، وأضاف أنه يُنسب أيضاً لأحمد بن دواد، وذكر في تحقيقه لكتاب الإيضاح أنه ينسب للعباس بن الأحنف، وكذلك ذكر الأستاذ عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية.

ولقد بحثت عن مصدر هذه النسب، فيما لدي من مصادر، فلم أعثر عليه.

(٦) نقلاً عن الدلائل، تحقيق: خفاجي: ٣٤٦.

ينكر ذلك منه، فإنه لا يعلم كنه البلوى في العشق، ولو كان آتلي به لعرف ما هو فيه فعذره»^(١).

الشاهد السادس والأربعون بعد المائتين^(٢):
(الكامل)

مَا أَنْتَ بِالسَّبَبِ الضَّعِيفِ وَإِنَّمَا نَجْحُ الْأُمُورَ بِقُوَّةِ الْأَسْبَابِ
فَالْيَوْمَ حَاجَّتُنَا إِلَيْكَ وَإِنَّمَا يُدْعَى الطَّيِّبُ لِسَاعَةِ الْأَوْصَابِ^(٣)
أوردهما^(٤) الشيخ من غير نسبة^(٥)، وهما للباخرزي^(٦)، أو لمحمد بن
أحمد بن سلمان^(٧).

- (١) الدلائل، رضا: ٢٧٢، خفاجي: ٣٤٦، شاکر: ٣٥٥.
- (٢) الدلائل، رضا: ٢٧٣، خفاجي: ٣٤٦، شاکر: ٣٥٥.
- (٣) لم أقف عليه فيما لدي من مصادر إلا في:
معجم الشعراء للمرزباني: ٤٤٧، أمالي ابن الشجري: ٢٣٠، الإيضاح: ٢٢٢/١، شرح
أبيات الإيضاح: - فيض الله -: ٣٧ ب.
- (٤) الدلائل، رضا: ٢٧٣، خفاجي: ٣٤٦، شاکر: ٣٥٥.
- (٥) ذكر الشيخ رضا في تحقيق الدلائل أن البيت ورد في نسخة المدينة منسوباً للباخرزي.
- (٦) هو أبو الحسن الباخريزي الرئيس الأديب علي بن الحسن بن أبي الطيب مؤلف كتاب دمية
القصر كان رأساً في الكتابة والإنشاء والشعر، كان في شبابه مشتغلاً بالفقه على مذهب
الإمام الشافعي رضي الله عنه، وكتابه دمية القصر، وعصرة أهل العصر، هو ذيل يتيمة الدهر
للثعالبي، وقد وضع على هذا الكتاب أبو الحسن علي بن زيد كتاباً سَمَّاهُ وشاح الدمية،
وهو كالذيل لها، وقتل الباخريزي في الأندلس، وذهب دمه هدرًا، وذلك سنة (٤٦٧ هـ).
وسُمِّي الباخريزي نسبة لباخرز، وهي ناحية من نواحي نيسابور، تشتمل على قرى، ومزارع
خرج منها جماعة من الفضلاء.
انظر ترجمته:
- تمة يتيمة الدهر، ٢٢٠، شذرات الذهب: ٣٢٧/٣ - ٣٢٨.
- (٧) ذكر المرزباني أن هذين البيتين لمحمد بن أحمد بن سلمان يقولهما لعبيد الله بن يحيى بن
خاقان، وذكر رواية محمد بن داود بن الجراح، وذكر أن غيره يرويهاما للزبير بن بكار، جاء
في معجم الشعراء - ٤٤٧ -: «أبو عمرو العمراواني الراوية، وأسمه «محمد» بن أحمد بن
سلمان، هو القائل لعبيد الله بن يحيى بن خاقان. في رواية محمد بن داود بن الجراح، وغيره
يرويهما للزبير بن بكار.

والشاهد فيه كسابقه، وهو التعريض، حيث أراد بالبيت الأول أنه يجب عَلَيَّ أن أنجح في أموري، لأنني جعلتك السبب، وأراد بالبيت الثاني: أننا سننجح في الوصول إلى حاجتنا؛ لأننا استعنا بك كما يُستعان بالطبيب في حالة المرض.

قال الشيخ:

«يقول في البيت الأول: إنه ينبغي أن أنجح في أمري حين جعلتك السبب إليه. ويقول في الثاني: إِنَّا قد وضعنا الشيء في موضعه، وطلبنا الأمر من جهته، حين استعنا بك فيما عَرَضَ من الحاجة، وعوّلنا على فضلك، كما أَنَّ مَنْ عَوَّلَ على الطبيب فيما يعرض له من السُّقْم، كان قد أصاب بالتعويل موضعه، وطلب الشيء من مَعْدِنه»^(١).

الشاهد السابع والأربعون بعد المائتين^(٢):

«إِنَّمَا مُضَعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّهِ»

سبق تخريجه والاستشهاد به على نفس الموضع^(٣).

الشاهد الثامن والأربعون بعد المائتين^(٤):

قول قس^(٥) بن حصن^(٦).

وذكر الأستاذ خفاجي في تحقيق الدلائل أن ابن النديم في «الفهرست» ينسبهما لابن الرومي وقد رجعت «الفهرست» لابن النديم في ترجمة ابن الرومي فلم أجد الأبيات.

(١) الدلائل، رضا: ٢٧٣، خفاجي: ٣٤٦ - ٣٤٧، شاکر: ٣٥٥ - ٣٥٦.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٧٤، خفاجي: ٣٤٧، شاکر: ٣٥٧.

(٣) انظر: ٨٠٥. من البحث.

(٤) الدلائل، رضا: ٢٧٤، خفاجي: ٣٤٨، شاکر: ٣٥٧.

(٥) هذه نسبة الدلائل تحقيق رضا، ونسبة الدلائل تحقيق خفاجي «قيس بن حصن» وفي تحقيق شاکر: «قَتَب بن حصن».

(٦) وينسب البيت في الوحشيات لأبي حرجة الفزاري، ونسبه أبو الفرج في مقاتل الطالبين لعوف القوافي، وهو عوف بن معاوية بن عقبة بن حصن، شاعر مقل من شعراء الدولة =

أَلَا أَيُّهَا النَّاهِي فَرَاةَ بَعْدَمَا أَجَدْتُ لِعَزْوٍ^(١) إِنَّمَا أَنْتَ حَالِمٌ^(٢)

وبعد الشاهد:

أَبَى^(٣) كُلُّ حُرٍّ أَنْ يَبْتَ بِوَتْرِهِ^(٤) وَيُمْنَعَ مِنْهُ النَّوْمُ إِذْ أَنْتَ نَائِمٌ
أَقُولُ لِفَتَيَانِ الْعَشِيِّ تَرَوْحُوا عَلَى الْجُرْدِ فِي أَفْوَاهِهِنَّ الشُّكَايُمُ^(٥)
قَفُّوا^(٦) وَقَفَّةً مَنْ يَحْيَى^(٧) لَا يَخْزُبَعْدَهَا وَمَنْ يُخْتَرَمُ^(٨) لَا تَتَّبِعُهُ اللَّوَائِمُ^(٩)

الأموية من ساكني الكوفة، وبيته أحد البيوت المقدمة الفاخرة في العرب. وكذلك ذكره أبو الفرج في ترجمته في الأغاني. ونسب المرزباني البيت في معجم الشعراء لقتب بن حصن، من بني شمع بن فزارة، ونسب البيت في السمط لبعض بني فزارة، وذكر البيت في أمالي القالي، وحماسة ابن الشجري، من غير نسبة.

(١) رواية الأغاني: «أَجَدْتُ بِسِيرٍ».

(٢) انظر البيت في:

الوحشيات «الحماسة الصغرى»: ٩٩ رقم (١٥٦)، مقاتل الطالبين: ٣٧٦، الأغاني: ١٩٢/١٩، الأمالي للقالي: ٢٥٨/١، معجم الشعراء للمرزباني: ٣٤٠، سمط اللّالي: ٥٧٥/١، حماسة ابن الشجري: ٤٨.

(٣) رواية الوحشيات والأمالي: «أَرَى».

(٤) رواية الوحشيات: «أَرَى كُلُّ ذِي قَبْلِ كَرِيمٍ يَهْمُهُ».

(٥) لم يذكر هذا البيت في الوحشيات وأمالي القالي.

ورواية المرزباني: «وقد قلت للقوم الذين تروحو».

ورواية حماسة ابن الشجري:

«أقول لفتيان كرام تَرَوْحُوا».

رواية الوحشيات:

وَقُلْتُ لِفَتَيَانِ مَصَالِيَتْ إِنْكُمْ قُدَامَى وَإِنَّ الْعَيْشَ لَا هُوَ دَائِمٌ

(٦) رواية الوحشيات والأمالي للقالي، وحماسة ابن الشجري:

«قَفُّوا وَقَفَّةً».

والبيت بكامله غير مذكور في سمط اللّالي.

(٧) رواية حماسة ابن الشجري: «... من يحيى لا تجر بعدها».

(٨) رواية الوحشيات: «وَمَنْ يُخْتَرَمُ». ورواية أمالي القالي: «وَإِنْ يُخْتَرِمَ لَمْ تَتَّبِعْهُ».

(٩) رواية الوحشيات وأمالي القالي ومعجم الشعراء للمرزباني: «الملاوم».

وَهَلْ أَنْتَ إِنْ بَاعَدْتَ^(١) نَفْسَكَ مِنْهُمْ لَتَسْلَمَ فِيهَا^(٢) بَعْدَ ذَلِكَ سَالِمٌ^(٣)
وموضع الشاهد قوله: «إِنَّمَا أَنْتَ حَالِمٌ».

والشاهد فيه: أن من أغراض «إِنَّمَا» أن تأتي لأمر لا يجهله المخاطب، أو ما ينزل هذه المنزلة.

ولم يعلق الشيخ على بيت الشاهد إلا بقوله:

أنه من اللطيف في هذا الباب^(٤).

أراد الشاعر أن يفتخر بشجاعة قبيلة فزارة، فهي إن جَدَّت في الغزو، فلن يمنعها مانع، فبدأ البيت بـ «ألا» الاستفتاحية، وجاء بأداة النداء «أيها»، ليوقظ الأذهان، وبلغت الأنظار إلى أهمية حديثه، ثم نزل كل من تراوده نفسه في نهى فزارة عن الغزو منزلة من لا يجهل شجاعتها، فأدعى أن أمر شجاعتهم معلوم مشهور، لينبه المخاطب إلى الخطأ الذي وقع فيه، وذلك بقصره على الحلم، وهو عدم اليقظة، وفي هذا استهانة وتهكم، ومبالغة كبيرة في وصف قبيلته بالشجاعة والثبات.

(١) رواية المرزباني: «... إن أحررت نفسك بعدهم».

(٢) رواية المرزباني: «مما بعد».

(٣) ذكر البيت الأول والثاني والرابع مع بيت آخر في الوحشيات.

وذكر في أمالي القالي البيت الأول والثاني والثالث.

وذكر البيت الأول والثاني والثالث والرابع والخامس في الأغاني.

وكذلك ذكروا في حماسة ابن الشجري، مع اختلاف في ترتيب الأبيات.

فذكر فيها البيت الثالث والرابع، ثم البيت الأول، ثم البيت الثاني، ثم الخامس.

وذكر البيت الأول والثاني والثالث والرابع في معجم المرزباني.

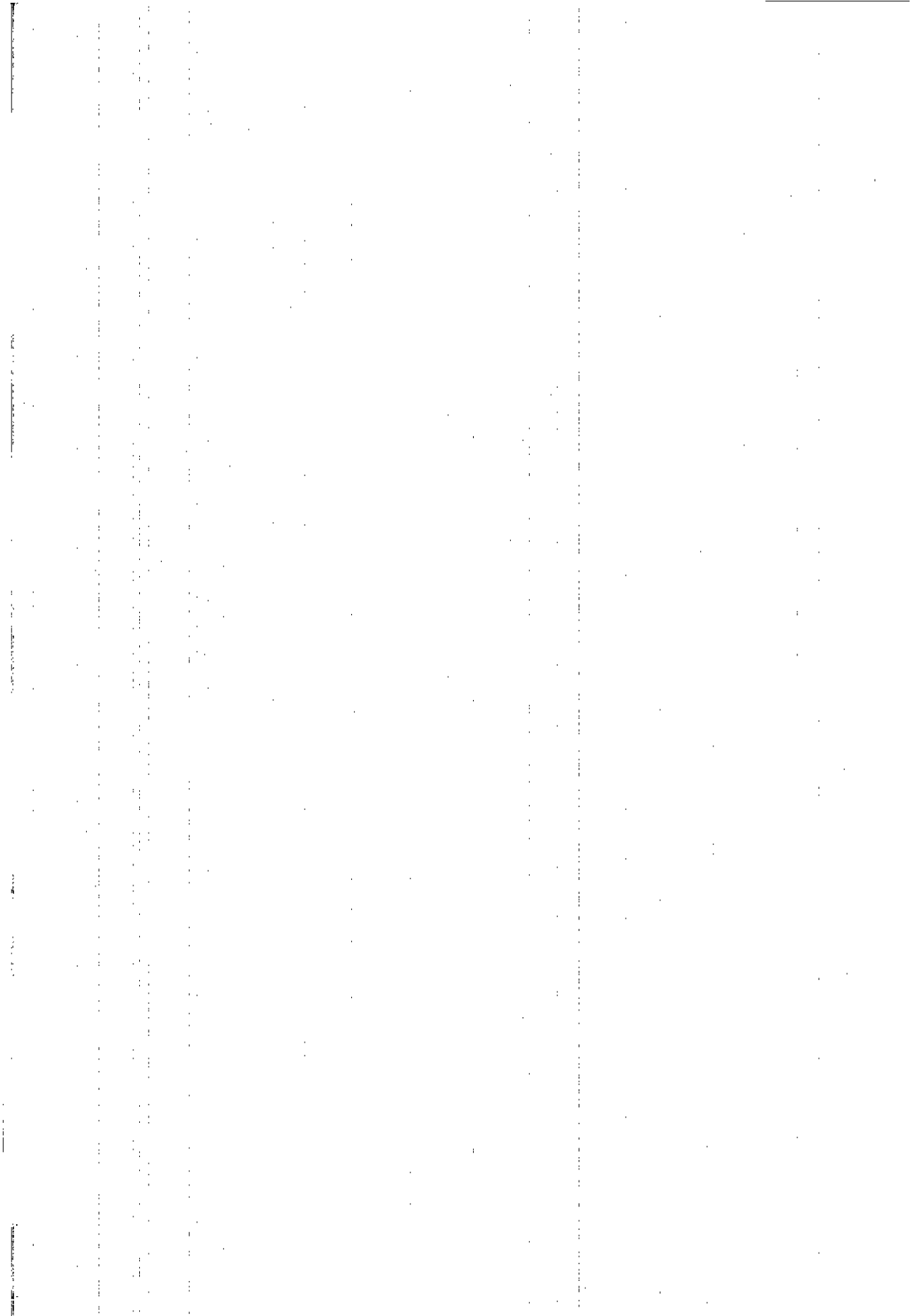
وذكر البيت الأول والثاني في سمط اللآلي.

(٤) الدلائل، رضا: ٢٧٤، خضاجي: ٣٤٨، شاکر: ٣٥٧.

الفصل الحادي عشر

أ — شواهد — فصل من باب اللفظ والنظم.

ب — شواهد تحرير القول في: الإعجاز والفصاحة والبلاغة.



أ - شواهد فصل من باب اللفظ والنظم

(الطويل)

الشاهد التاسع والأربعون بعد المائتين^(١):

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْذَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً بِكُلِّكُلٍ^(٢)

استشهد به الشيخ على أنَّ هناك فرقاً بين حكاية الكلام وبين نظمه، فحكاية الكلام لا تتعدى الألفاظ، أما نظمه فهو عبارة عن تجربة إنسانية، ومعاناة ذاتية يعيشها المؤلف فتتعدى الألفاظ إلى المعاني، فالنظم والترتيب عمل يعمل به مؤلف الكلام، ومحال أن يقال أن منشد الشعر قد مر بنفس تجربة الشاعر، وأنه قد عمل في المعاني وترتيبها واستخراج النتائج والفوائد مثل عمل الشاعر نفسه.

قال: «اعلم أنه لا يصلح تقدير الحكاية في «النظم والترتيب» بل لن تعدو الحكاية الألفاظ وأجراس الحروف، وذاك أن الحاكي هو من يأتي بمثل ما أتى به المحكي عنه، ولا بُدَّ من أن تكون حكايته فعلاً له، وأن يكون بها عاملاً عملاً مثل عمل المحكي عنه... «والنظم والترتيب» في الكلام كما بينا، عمل يعمل به مؤلف الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها، وهو بما يصنع في سبيل من يأخذ الأصباغ المختلفة، فيتوخى فيها ترتيباً يحدث عنه ضروب من النقش والوشي.

وإذا كان الأمر كذلك، فإننا إن تعدينا بالحكاية الألفاظ إلى النظم والترتيب أدى ذلك إلى المحال، وهو أن يكون المنشد شعر امرئ القيس قد عمل في

(١) الدلائل، رضا: ٢٧٥، خفاجي: ٣٤٩، شاعر: ٣٥٩.

(٢) سبق تخريجه: ١٩٦.

المعاني وترتيبها، واستخراج النتائج والفوائد، مثل عمل امرئ القيس، وأن يكون حاله إذا أنشد قوله:

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ

حال الصائغ ينظر إلى صورة قد عملها صائغ من ذهب له أو فضة، فيجيء بمثلها من ذهبه وفِضَّتْه؛ وذلك يخرج بمرتكب إن ارتكبه إلى أن يكون الراوي مستحقاً؛ لأن يوصف بأنه: «استعار» و«شبه» وأن يُجْعَلَ كالشاعر في كل ما يكون به ناظماً^(١).

وقال أيضاً:

«وجملة الحديث أنا نعلم ضرورة أنه لا يتأتى لنا أن ننظم كلاماً من غير روية وفكر، فإن كان راوي الشعر، ومنشده يحكي نظم الشاعر على حقيقته، فينبغي أن لا يتأتى له رواية شعره إلا بروية، وإلا بأن ينظر في جميع ما نظر فيه الشاعر من أمر «النظم» وهذا ما لا يبقى معه موضع عذر للشاك»^(٢).

الشاهد الخمسون بعد المائتين^(٣):
(الطويل)

قول امرئ القيس:

«قَفَا نَبْلِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ»^(٤)،^(٥)

(١) الدلائل، رضا: ٢٧٥، خفاجي: ٣٤٩ - ٣٥٠، شاعر: ٣٥٩ - ٣٦٠.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٧٦، خفاجي: ٣٥٠، شاعر: ٣٦٠.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٧٨، خفاجي: ٣٥٢، شاعر: ٣٦٣.

(٤) رواية الكتاب: «ومنزلي» قال:

«أما إذا تَرَنَّمُوا فإنهم يُلْحَقُونَ الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون؛ لأنهم أرادوا مد الصوت». الكتاب: ٢٠٥/٤. ورواية شرح المفصل: «ومنزِلن» وذكر أنه إنشاد كثير من بني تميم. قال:

«وهذا التنوين يستعمل في الشعر والقوافي للتطريب معاقباً بما فيه من الغنة لحروف المد واللين، وقد كانوا يستلذون الغنة في كلامهم»، وذكر أنه على ضربين، وبیت امرئ القيس من الضرب الأول، وهو أن يلحق متمماً للبناء مكماً للوزن. شرح المفصل: ٣٣/٩/٢.

(٥) انظر: الديوان «تحقيق السندوي»: ١٤٣، نقد الشعر: ٥١، الموشح: ٢٢٦، المنصف في =

ذكر الشيخ صدر البيت دون العجز، وعجزه:
«بَسَقَطَ اللَّوَى»^(١) يَبَيِّنُ الدُّخُولَ^(٢) فَحَوَمَلَ^(٣)

وهو مطلع معلقته المشهورة^(٤)، وبعده:
فَتُوضِحُ^(٥) فَالْمِمْقَرَاةُ^(٦) لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ

نقد الشعر: ٦٥، إعجاز القرآن للباقلاني: ١٥٩، العملة: ١٧٤/١، سر الفصاحة: ٢٧٨، مجالس العلماء: ١٥٧، المقتصد في شرح الإيضاح: ١٠٢٠/٢، الإنصاف في مسائل الخلاف: ٦٥٦/٢، المنازل والديار: ٦٠/١. المثل السائر: ٣٣٩/١، الفلك الدائر: ١٨١/٤، شرح المفصل: ٣٣/٩/٢، تحرير التحيير: ١٦٩/١، الإيضاح: ٥٩١/٢، أوضح المسالك: ٤٠/٣، شرح شافية ابن الحاجب: ٢٤٢/٤، المستطرف: ٦/٢، الإرشاد الشافي: ١٢١، المغني: ١٦١/١، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد رقم ٥٩٧، شرح شواهد المغني: ٤٦٣/١، معاهد التنصيص: ١٥٧/٤، ٢٢٤ شاهد رقم: ٢١٧.

(١) اللَّوَى: بالكسر، ففتح الواو، والقصر، وهو في الأصل منقطع الرمل، يقال: قد أَلَوَيْتُمْ فَأَنْزَلُوا إذا بلغوا منقطع الرمل، وهو أيضاً موضع بعينه، قد أكثر الشعراء من ذكره، وخلطت بين ذلك اللوى والرمل، فعز الفصل بينهما، وهو وادٍ من أودية بني سليم، ويوم اللوى وقعة كانت فيه لبني ثعلبة على بني يربوع.

انظر: معجم البلدان: ٢٣/٥، مراصد الاطلاع: ١٢٠٩/٣.

(٢) الدُّخُول: على وزن فَعُول: موضع اختلف في تحديده، فقال: محمد بن حبيب: الدخول وحومل: بلاد أبي بكر بن كلاب، وقال أبو الحسن الدُّخُولُ وَحَوْمَلُ: بَلَدَانِ بِالشَّامِ، وأنشد لامرئ القيس: قفا نيك... معجم ما استعجم: ٥٤٨/٢.

(٣) ذكر السندوبي في تحقيق الديوان أن بعض الرواة زعم أن هذه القصيدة ليست لامرئ القيس، وأنها ألحقت بشعره، وإنما هي من شعر بعض النمرين. وعلق السندوبي على هذا الزعم بقوله:

وهذا بلا شك زعم باطل وأدعاء قاتل، وإلا لما سكت عنها الرواة من قبيلة النمرين قاسط، وَلَحَاجُوا في شأنها، وليست هذه القبيلة بالخاملة، ولا بالضعيفة، وقد كان فيها شعراء، ورواة فليس من المعقول أن يسلموا حقوقهم، ويتركوا حبل الرواة على عواتقهم، فتتزع منهم قصيدة لها قيمتها، وشهرتها بين العرب.

(٤) توضح: بضم أوله وبالضاد المعجمة المكسورة، والحاء المهملة: موضع ما بين رمل =

استشهد به على أن الشعر يختص بقائله من جهة توحيه معاني الكلم التي ألف منها شعره، ولا يختص به من جهة أنفس الكلم، وأوضاع اللغة، فهناك فرق بين قائل الشعر، وبين راوي الشعر وحاكه، فقائل الشعر هو الذي ابتداء نسقه وترتيبه عن قصد منه إلى صورة وصفة، فأمرؤ القيس حين قال:

«قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ»

كان قاصداً إلى نظم صورة معينة، فجاء بالبيت على هذا الترتيب من كون «نبك» جواباً للأمر، وكون «من» مُعَدِّية له إلى «ذكرى» مضافة إلى «حبيب»، وكون «منزل» معطوفة على «حبيب».

قال:

«اعلم أنا إذا أضفنا الشعر أو غير الشعر من ضروب الكلام إلى قائله، لم تكن إضافتنا له من حيث هو كَلِمٌ وأوضاعٌ لُغَةٌ، ولكن من حيث تُوَحِّي فيها النَّظْمُ» الذي بينا أنه عبارة عن توحي معاني النحو في معاني الكلم.

وذاك أن من شأن الإضافة الاختصاص، فهي تتناول الشيء من الجهة التي تختص منها بالمضاف إليه، فإذا قلت: «غلام زيد» تناولت الإضافة «الغلام» من الجهة التي تختص منها بزيد، وهي كونه مملوكاً^(١).

وقال أيضاً:

السبخة وأود. والسبخة يفتح أوله وثانيه وبالحاء المعجمة موضع بالمدينة بين موضع الخندق، وبين سلع الجبل المتصل بالمدينة، وقيل أود والمِقْرَة جذاء اليمامة. معجم ما استعجم: ٢٠٩/١ - ٣٢٤، ٧١٧/٣/٢.

وقال أبو عبيدة: أن المِقْرَة ليس موضعاً، وإنما يريد أمرؤ القيس الحوض الذي يُجمع فيه الماء. معجم ما استعجم: ٥٤٨/١.

وقال أبو الفرج: أن الدُّخُول وحومل وتوضح والمقراة كلها مواضع ما بين أَمْرَة إلى أسود العين، وأَمْرَة وأسود العين في ضَرْبَةٍ، وضَرْبَةٍ في أوسط الحمى، والحمى أرض منبت كثير العشب بالقرب من المدينة. معجم ما استعجم: ١٥٠/١، ٨٦٠/٣/٢.

(١) الدلائل، رضا: ٢٧٦ - ٢٧٧، خفاجي: ٣٥١، شاکر: ٣٦٢.

«وإذا كان الأمر كذلك فينبغي لنا أن ننظر في الجهة التي يختصُّ منها الشعر بقائله، وإذا نظرنا وجدناه يختصُّ به من جهة توحيه في معاني الكلم التي أَلَفَهُ منها، ما توخَّاه من معاني النحو، ورأينا أنفس الكلم بمعزلٍ عن الاختصاص...»^(١).

وقال أيضاً:

«وجملة الأمر أنه لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصْدٌ إلى صورة وصفة إن لم يُقَدِّم فيه ما قُدِّم، وَلَمْ يُؤَخَّرْ مَا أُخِّرَ، وبُدِئَ بِالَّذِي تُنْبِئُ بِهِ، أَوْ تُنْبِئُ بِالَّذِي تُلْتَبِئُ بِهِ، لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصفة وإذا كان كذلك فينبغي أن تنظر إلى الذي يَقْصِدُ واضعُ الكلام أن يحصل له من الصورة والصفة: أفي الألفاظ يحصل له ذلك، أم في معاني الألفاظ؟ وليس في الإمكان أن يشكَّ عاقلٌ إذا نظر، أن ليس ذلك في الألفاظ، وإنما الذي يُتَصَوَّرُ أن يكون مقصوداً في الألفاظ هو «الوزن» وليس هو من كلامنا في شيء، لأننا نحن فيما لا يكون الكلام كلاماً إلّا به، وليس للوزن مَدْخَلٌ في ذلك»^(٢).

الشاهد الواحد والخمسون بعد المائتين^(٣): (الطويل)

قول أبي تمام:

لُعَابُ^(٤) الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرْيُ^(٥) الْجَنَى^(٦) اشْتَارَتْهُ^(٧) أَيْدِ عَوَاسِلِ^(٨) (٩)

(١) الدلائل، رضا: ٢٧٧، خفاجي: ٣٥١، شاکر: ٣٦٢.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٧٨، خفاجي: ٣٥٢، شاکر: ٤٦٤.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٨٣، خفاجي: ٣٥٨، شاکر: ٣٧١.

(٤) لعاب الأفاعي: اللعاب ما يسيل من الفم، والمراد هنا سمها. اللسان: «لعب»: ٧٤١/١.

(٥) الأري: بفتح الهمزة وسكون الراء ما لَزَقَ من العسل في جوف الخلية، وقيل عسلها حين

ترمي به من أفواهها. اللسان «أرى»: ٢٨/١٤.

(٦) الجنى: اسم عام يقع على كل ما اجتنى، فجاز أن يُسمى «الأرى» جنى، لأنه يُجنى من

مواضع النحل، ولعموم الجنى في اللفظ حُسُنَتْ إضافة الأرى إليه، لأن بعض الشيء

يضاف إلى كله. ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ١٢٣/٣.

والبيت من قصيدته التي قالها في مدح محمد بن عبد الملك الزيات، والتي
مطلعها:

مَتَى أَنْتَ عَنْ دُهْلِيَّةٍ^(١) الْحَيِّ ذَاهِلُ وَقَلْبِكَ مِنْهَا مُدَّةَ الدَّهْرِ أَهْلُ^(٢)

والشاهد من أبيات قالها في وصف القلم، وقبله:
لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابِهِ نَصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكَلِيِّ وَالْمَفَاصِلِ

وبعده البيت وبعده:

لَهُ رِبْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتُهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتُهُ وَهُوَ رَاجِلُ^(٣)

استدل به الشيخ على أن النظم ليس معناه رصف الكلمات بعضها بجوار
بعض كيفما اتفق، وإهمال توحي معاني النحو.

(٧) اشتارته: جنته واستخرجته. اللسان «شور»: ٤٣٤/٤.

(٨) العواسل جمع عاسل وعاسلة، وهي التي تستخرج العسل. لسان العرب «عسل»:
٤٤٦/١١، القاموس المحيط «عسل»: ١٦/٤.

(٩) انظر البيت في:

ديوان أبي تمام - الخطيب التبريزي -: ١٢٣/٣، ديوان أبي تمام «دار صعب»: ٢٢٨،
الحيوان: ٦٧/١، أمالي المرتضى: ٥٣٧/١، أدب الكتاب: ٧٦، المفتاح: ٩٢،
الإيضاح: ١٦٥/١ شرح أبيات الإيضاح: النسخة الأزهرية - شاهد رقم (٨٤)، خزانة الأدب
للبيгдаدي - مكتبة الخانجي -: ٤٤٥/١.

(١) «دُهْلِيَّةُ الْحَيِّ»: يجوز أن يكون نكرة، فيكون المعنى: متى أنت من امرأة دُهْلِيَّةٍ حَيِّها، كما
تقول متى أنت عن حَسَنَةِ الْوَجْهِ ذَاهِلُ، أي عن امرأة حَسَنٍ وَجْهها، ويجوز أن تكون
«دُهْلِيَّةٌ» مُعْرَفَةٌ بِالْإِضَافَةِ، فلا يكون الغرض كالأول، وتكون «الدُهْلِيَّةُ» في هذا الوجه ليست
في النسب من الحي، وهو في المتقدم من حيِّ كلهم دُهْلِيٌّ. الديوان بشرح الخطيب
التبريزي: ١١٢/٣.

(٢) الديوان بشرح الخطيب: ١١٢/٣، الديوان - دار صادر -: ٢٢٦.

(٣) الديوان بشرح الخطيب: ١٢٣/٣.

الديوان - دار صعب -: ٢٢٨.

فلو أن عامداً عمد إلى بيت أبي تمام، وجعل «لعاب الأفاعي» مبتداً، و«لعابه» خبراً كما يوهم الظاهر، لأفسد الصورة التي وضعها الناظم، بأن جعل المراد تشبيه «لعاب الأفاعي» بالمداد، وهذا المعنى لم يقصده أبو تمام، وإنما قصد تشبيه مداد قلمه بلعاب الأفاعي إذا كتب في إقامة السياسات، وبأرى الجَنَى إذا كتب في العطايا والصلات. قال الشيخ:

«... فإن ههنا استدلالاً لطيفاً تكثر بسببه الفائدة، وهو أنه يتصور أن يعمدَ عامداً إلى نظمِ كلامِ بعينه، فيزيله عن الصورة التي أرادها الناظم له، ويُفسدُها عليه، من غير أن يُحوّلَ منه لفظاً عن موضعه، أو يُبدّلَه بغيره، أو يُغيّرَ شيئاً من ظاهر أمره على حالٍ، مثال ذلك: أنك إن قدّرت في بيت أبي تمام:

أن «لُعَابُ الأفاعي» مبتداً و«لُعَابُهُ» خبرٌ، كما يوهمه الظاهر، أفسدتَ عليه كلامه، وأبطلت الصورة التي أرادها فيه، وذلك أنَّ الغرض أن يُشَبَّهَ مداد قَلَمِهِ بِلُعَابِ الأفاعي، على معنى أنه إذا كَتَبَ في إقامة السياسات أتلَفَ به النفوسَ، وكذلك الغرض أن يُشَبَّهَ مِدَادُهُ بِأَرَى الجَنَى على معنى أنه إذا كَتَبَ في العطايا والصلات أوصلَ به إلى النفوس ما تحلّو مذاقته عندها، وأدخل السُرُورَ، واللذةَ عليها، وهذا المعنى إنما يكون إذا كان «لعابه» مبتداً، و«لعاب الأفاعي» خبراً فاما تقديرُك أن يكون «لُعَابُ الأفاعي» مبتداً، و«لُعَابُهُ» خبراً، فيُطِلُّ ذلك، ويَمْنَعُ منه أَلْبَتَهُ، ويخرُجُ بالكلام إلى ما لا يجوز أن يكون مراداً في مثل غَرَضِ أبي تمام، وهو أن يكون أراد أن يُشَبَّهَ «لُعَابُ الأفاعي» بالمداد، ويُشَبَّهَ كذلك «الأرى» به»^(١).

وَأستدل بهذا على أن الألفاظ تبع للمعاني، وليست المعاني تبعاً للألفاظ. قال:

«واعلم أنه إن نظر ناظر في شأن المعاني والألفاظ إلى حال السامع، فإذا رأى المعاني تقع في نفسه من بعد وقوع الألفاظ في سمعه ظن لذلك، أن

(١) الدلائل، رضا: ٢٨٣، ٢٨٤، خفاجي: ٣٥٧-٣٥٨، شاکر: ٣٧١-٣٧٢.

المعاني تبع للألفاظ في ترتيبها، فإن هذا الذي بيناه يريه فساد هذا الظن، وذلك أنه لو كانت المعاني تكون تبعاً للألفاظ في ترتيبها، لكان محالاً أن تتغير المعاني، والألفاظ بحالها لم تزل عن ترتيبها، فلما رأينا المعاني قد جاز فيها التغير من غير أن تتغير الألفاظ، وتزول عن أماكنها علمنا أن الألفاظ هي التابعة، والمعاني هي المتبوعة^(١).

وفي البيت لطائف بلاغية منها:

إضافة الأرى إلى الجني، وذلك للدلالة على طيب العسل ولطافته^(٢)، وإفادة معنى الكمال فيه.

وقصد من وصف اليد بعد إسنادها إلى فعل من معنى الصفة أن يكسبها معنى الخبرة، والبراعة في العمل^(٣).

واستشهد به السكاكي على خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر، وهو من القلب أي أنه عكس التشبيه للمبالغة^(٤).

ذكر المرتضى في أماليه أنه قد أجمع العلماء على أن هذه الأبيات أحسن وأفخم من جميع ما قيل في القلم^(٥).

وهذا أيضاً ما رآه البغدادي في خزائنه^(٦).

(١) الدلائل، رضا: ٢٨٥، خفاجي: ٣٥٩، شاکر: ٣٧٢ - ٢٧٣.

(٢) شرح أبيات الإيضاح: - النسخة الأزهرية - شاهد رقم (٨٤).

(٣) هامش الإيضاح: ١٦٥/١.

(٤) المفتاح: ٩٢ - ٩٣، وانظر: الإيضاح: ١٦٥/١.

(٥) أمالي المرتضى: ٥٣٦/١.

(٦) خزانة الأدب: - مكتبة الخانجي -: ٤٤٦/١.

«نَمْ وَإِنْ لَمْ أَنْمُ كَرَايَ كَرَاكَ»^(٢)

أورد الشيخ الصدر دون العجز، ومن غير نسبة، وإنما ذكر أن الشيخ أبا علي^(٣) أنشده في التذكرة^(٤).

وصدر البيت لأبي تمام وعجزه:

«شَاهِدُ مِنْكَ»^(٥) أَنْ ذَاكَ كَذَاكَ»^(٦)

وهو أول خمسة أبيات وبعده:

طَالَ صَبْرِي تَفْدِيكَ نَفْسِي وَقُلْتُ	نَفْسُ مِثْلِي عَنْ أَنْ تَكُونَ فِدَاكَ
فِي سَبِيلِ الْهَوَى قُوَادِي وَمَا آسَى (م)	عَلَيْهِ لَكِنْ عَلَى ذِكْرَاكَ
ذَهَبَتْ مُقْلَتَايَ بِالْذَّمِّ وَالذَّمْعِ (م)	فَفِي النَّارِ إِذْ نَجَتْ مُقْلَتَاكَ
لَسْتُ أَبْكِي ذَهَابَ عَيْنِي لِعَيْنِي	غَيْرَ أَنِّي أَبْكِي لِأَنْ لَا أَرَاكَ» ^(٧)

ساقه الشيخ لتوضيح قوله: إن الألفاظ تبع للمعاني وليس المعاني تبعاً

(١) الدلائل، رضا: ٢٨٥، خفاجي: ٣٥٩، شاکر: ٣٧٣.

(٢) لم أجده في ديوانه بشرح الخطيب التبريزي، وكذلك لم أعر عليه، فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

ديوانه - دار صعب -: ٤٠٦، المفتاح: ٩٢ - من غير نسبة - شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٢٩ ب.

(٣) هو أبو علي الفارسي.

(٤) التذكرة في علوم القرآن.

(٥) رواية شرح أبيات الإيضاح: - فيض الله -: ٢٩ ب.

«شَاهِدِي السَّقْمُ أَنَّ ذَاكَ كَذَاكَ»

(٦) ذكر الأستاذ شاکر أنه جاء في هامش إحدى المخطوطات ما نصه: «أوله:

«شَاهِدِي الذَّمُّعُ أَنَّ ذَاكَ كَذَاكَ»

لأبي تمام الطائي».

(٧) الديوان «دار صعب»: ٤٠٦.

للألفاظ، فإنه إن أشكل الأمر في معرفتين هما مبتدأ وخبر كان فاصل الإشكال هو المعنى وليس اللفظ. قال الشيخ:

«واعلم أنه ليس من كلام يعمد واضعه فيه إلى معرفتين فيجعلهما مبتدأ وخبراً، ثم يقدم الذي هو الخبر إلا أشكل الأمر عليك فيه، فلم تعلم أن المقدم خبر، حتى ترجع إلى المعنى وتحسن التدبر»^(١).

ثم ذكر أن أبا علي الفارسي قد أنشد في «التذكرة» بيت الشاهد وأنه قال: «ينبغي أن يكون «كراي» خبراً مقدماً، ويكون الأصل: «كراك كراي» أي نم، وإن لم أنم فنومك نومي، كما تقول: «قم، وإن جلست، فقيامك قيامي، هذا هو عُرِف الاستعمال في نحوه» ثم قال:

«وإذا كان كذلك، فقد قُدِّم الخبر وهو معرفة وهو ينوي به التأخير من حيث كان خبراً»^(٢).

ومعنى الشاهد: أن الشاعر هنا يخاطب محبوبته فيقول:

«نم واسترح طول الليل، وإن أنا لا أنام فيه، فإن نومك، واستراحتك نومي واستراحتي، ثم قال شاهدي بأن ذلك القول كذلك حق، وليس بكذب سقمي في هواك؛ لأن من ابتلى بالهوى يعدُّ راحة حبيبته راحته»^(٣).

الشاهد الثالث والخمسون بعد المائتين^(٤):

بُنُونَا بَنُو أَبْنَائِنَا^(٥) وَبَنَاتِنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الْأَبَاعِدِ^(٦)(٧)

(١) الدلائل، رضا: ٢٨٥، خفاجي: ٣٥٩، شاکر: ٣٧٣.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٨٥ - ٢٨٦، خفاجي: ٣٥٩، شاکر: ٣٧٣ - ٣٧٤.

(٣) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (٩٠).

(٤) الدلائل، رضا: ٢٨٦، خفاجي: ٣٥٩، شاکر: ٣٧٤.

(٥) رواية حماسة أبي تمام - عسيلان -: «أبائنا».

(٦) ذكر ابن الأنباري في الإنصاف أنه يروى «الأكارم».

(٧) لم أجده في ديوانه - طبعة دار الباز -، الحماسة لأبي تمام - ت: عسيلان -: ٢٧٤/١.

رقم (١٧٥)، الإنصاف: ٦٦، شرح المفصل: ٩٩/١/١، محاضرات الأدباء: ٣٦٦/١ =

ذكره الشيخ من غير نسبة، وإنما أشار أنه من أبيات الحماسة، وهو للفرزدق^(١) استشهد به الشيخ للتنظير على أن الشاهد السابق نظير هذا البيت في أنه قدم الخبر وهو معرفة، وهو ينوي به التأخير لوجود قرينة معنوية. وعلى هذا استشهد به النحاة^(٢).

فلا يحسن أن يكون بنونا هو المبتدأ؛ لأنه يلزم منه تشبيه البنين بأبناء الأبناء، وليس هذا هو المعنى الذي قصده الشاعر إنما قصد تشبيه بني الأبناء بالأبناء^(٣).

ذكر العيني أنه قيل لا تقديم في البيت ولا تأخير؛ لأن البيت على التشبيه المعكوس لقصد المبالغة، فلا شاهد في البيت^(٤).

وذكر ابن هشام أن حمل البيت على التشبيه المعكوس للمبالغة رأي ضعيف؛ لأن ذلك نادر الوقوع ومخالف للأصول إلا أن يقتضي المقام المبالغة^(٥).

المغني: ٤٥٢/٢، شاهد: ٦٩٢، أوضح المسالك: ١٤٥/١ - ذكر بعض الشطر الأول فقط -، شرح شواهد المغني: ٨٤٨/٢، شاهد رقم (٦٨٧)، التصريح بمضمون التوضيح: ١٧٣/١، خزانة الأدب: - مكتبة الخانجي -: ٤٤٤/١، همع الهوامع: ١٠٢/١، شرح الأشموني: ١٦٣/١، شرح الشواهد للعيني: ١٦٣/١.

(١) هذا البيت على الرغم من شهرته، ودورانه في كتب النحاة لم ينسب فيها إلى قائل، ونسبه في الخزانة للفرزدق، نقلاً عن الكرمانی في شرح شواهد الكافية للخبیصي قال: «ورأيت في شرح الكرمانی في شواهد شرح الكافية للخبیصي أنه قال: هذا البيت قائله أبو فراس همام الفرزدق بن غالب ثم ترجمه، والله أعلم بحقيقة الحال» الخزانة للبغدادي - مكتبة الخانجي -: ٤٤٤/١.

(٢) شرح المفصل: ٤٥٢/٢، خزانة الأدب: ٤٤٤/١، شرح الشواهد للعيني: ١٦٣/١.

(٣) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٤) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٥) المغني: ٤٥٢/٢.

وذكر العيني أن البيت يستشهد به الفرضيون على دخول أبناء الأبناء في الميراث، وأن الأنساب إلى الآباء.

واستشهد به الفقهاء في الوصية، وأهل المعاني والبيان في التشبيه^(١).

الشاهد الرابع والخمسون بعد المائتين^(٢):
(المتقارب)

فَالْفَيْتَةُ^(٣) غَيْرُ مُسْتَعْبٍ وَلَا ذَاكِرٌ^(٤) اللَّهُ إِلَّا قَلِيلًا^(٥)

ذكره الشيخ من غير عزو، وهو لأبي الأسود الدؤلي.

والبيت من قصيدة قالها أبو الأسود في هجاء امرأة أغرته بجمالها، وزعمت أنها صناع الكف حسنة التدبير، وعرضت عليه أن يتزوجها، ففعل، فألفاها قد أسرعت في ماله، ومدت يدها إلى خيافته^(٦).

(١) شرح الشواهد للعيني: ١٦٣/١.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٨٧، خفاجي: ٣٦١، شاعر: ٣٧٦.

(٣) وفي إحدى روايات شرح شواهد المغني: «وألفيتة».

(٤) رواية الديوان، ومجاز القرآن، وعبث الوليد، والمقتضب، والإنصاح، وشرح جمل الزجاجي، «ولا ذاكِر» بالنصب.

(٥) ديوانه: ١٢٣، الكتاب: ١٦٩/١، معاني القرآن للفراء: ٢٠٢/٢، مجاز القرآن: ٣٠٧/١ - من غير نسبة، شرح أبيات سيويه للنحاس: ١٠٣ - من غير نسبة - عبث الوليد: ٣٨٥ - من غير نسبة، المقتضب: ١٥٧/١، من غير نسبة، وذكر في: ٣١٢/٢، منسوباً لأبي الأسود، مجالس ثعلب: ١٢٣/١ - من غير نسبة، الخصائص: ٣١١/١، العجز فقط وبدون نسبة، الأغاني: ٣١٠/١٢، تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات - الكشف: ٤٧٩/٤، وذلك عند تفسير قوله تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، الإنصاف: ٦٥٩/٢ - من غير نسبة، اللسان: «عبث»، شرح المفصل: ٣٤/٩/٢، شرح شافية ابن الحاجب: ٣١٤/٤، شرح جمل الزجاجي: ٤٤٧/٢ - من غير نسبة، المغني: ٥٥٥/٢ رقم (٧٩٣)، شرح شواهد المغني: ٩٣٣/٢، شاهد رقم (٨٢٦) الخزانة: - دار صادر: ٥٥٤/٤.

(٦) ورد في الديوان والأغاني:

«كان أبو الأسود يجلس إلى فناء امرأة بالبصرة، فيتحدث إليها، وكانت برزة جميلة، فقالت =

وأول هذه الأبيات:

أَرَبْتُ امْرَأً كُنْتُ لَمْ أَبْلُهُ^(١) أَتَانِي فَقَالَ: أَتَخِذْنِي خَلِيلًا
فَخَالَئُهُ ثُمَّ أَكْرَمْتُهُ فَلَمْ أَشْفِذْ مِنْ لَدُنْهِ فَتَيْلًا
وَأَلْفَيْتُهُ حِينَ جَرَيْتُهُ كَذُوبَ الْحَدِيثِ سَرُوقًا بَخِيلًا
فَذَكَّرْتُهُ ثُمَّ عَاتَبْتُهُ عِتَابًا رَفِيقًا وَقَوْلًا جَمِيلًا
فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا ذَاكِرَ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا
أَلَسْتُ حَقِيقًا بِتَوْدِيْعِهِ وَاتَّبَاعِ ذَلِكَ صَرْمًا طَوِيلًا^(٢)

استشهد به الشيخ عند حديثه عن توسيع مجال التفسير، والتأويل، وتعدد أوجه تفسير الكلام، وأن سببه هو توخي معاني النحو. قال الشيخ:

«واعلم أن الفائدة تعظم في هذا الضرب من الكلام إذا أنت أحسنت النظر، فيما ذكرت لك، من أنك تستطيع أن تنقل الكلام في معناه عن صورة إلى صورة، من غير أن تغير من لفظه شيئاً، أو تحوّل كلمة عن مكانها إلى مكان آخر، وهو الذي وسع مجال التأويل والتفسير، حتى صاروا يتأولون في الكلام

له: يا أبا الأسود، هل لك في أن أتزوجك؟ فإني صنّاع الكف، حسنة التدبير، قانعة بالميسور، قال: نعم، فجمعت أهلها، فتزوجته، فوجد عندها خلاف ما قدره، وأسرعت في ماله، ومدّت يدها إلى خيائنه، وأفشّت سره، فغدا على من كان حضر تزويجه إياها، فسألهم أن يجتمعوا عنده، ففعلوا فقال لهم... الأبيات.

وبعد أن انتهى من أبياته قالوا له:

بلى والله يا أبا الأسود! قال: تلك صاحبكم، وقد طلقته لكم، وأنا أحب أن أستر ما أنكرته من أمرها، فانصرفت معهم.

انظر القصة في:

الديوان: ١٢٢ - ١٢٣، الأغاني: ٣١٠/١٢ - ٣١١، شرح شواهد شافية ابن الحاجب: ٣١٥/٤، شرح شواهد المغني: ٩٣٤/٢.

(١) أَبْلُهُ: بضم اللام والهاء، من بلاه يبلوه بلواً إذا جربه. اللسان: «بلاه»: ٨٣/١٤.

(٢) الديوان: ١٢٢ - ١٢٣، الأغاني: ٣١٠/١٢، شرح شواهد شافية ابن الحاجب: ٣١٥/٤، شرح شواهد المغني: ٩٣٤/٢.

الواحد تأويلين، أو أكثر، ويفسرون البيت الواحد عدة تفاسير، وهو على ذلك الطريق المزلّة الذي ورط كثيراً من الناس في الهلكة، وهو مما يعلم به العاقل شدة الحاجة إلى هذا العلم، وينكشف معه عوار الجاهل به، ويفتضح عنده المظهر الغني عنه؛ ذاك لأنه قد يدفع إلى الشيء لا يصح إلا بتقدير غير ما يريه الظاهر، ثم لا يكون له سبيل إلى معرفة ذلك التقدير إذا كان جاهلاً بهذا العلم، فيتسكع عند ذلك في العمى، ويقع في الضلال»^(١).

فاستشهد الشيخ بالبيت على أن حذف التنوين في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾^(٢).

وقوله: ﴿وَلَا أَلِيلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾^(٣)، لالتقاء الساكنين لا للإضافة^(٤)، ونظيرهما في ذلك بيت الشاهد^(٥)، وقيل إن الحذف هنا للضرورة، وذكر ابن جني أن الحذف هنا للمبالغة، قال في باب «غلبة الفروع على الأصول»:

«هذا فصل من فصول العربية طريف تجده في معاني العرب كما تجده في معاني الإعراب، ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة»^(٦).

(١) الدلائل، رضا: ٢٧٦ - ٢٨٧، خفاجي: ٣٦٠، شاکر: ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٢) سورة التوبة: الآية رقم ٣٠.

(٣) سورة يس: الآية رقم ٤٠.

(٤) وعلى هذا يكون: عزيرٌ مبتدأ، وابنٌ خبر، وذكر الشيخ عبد القاهر وجهاً آخر، وهو أن عزير خبر لمبتدأ محذوف تقديره «هو»، وابن صفة، أو أن يكون عزير مبتدأ، والخبر محذوف تقديره «معبودنا» ويكون التنوين قد سقط على حد سقوطه في قولنا: «جاءني زيدٌ بن عمرو» ويكون في الكلام محذوف.

انظر: الدلائل، رضا: ٢٨٧ - ٢٨٨، خفاجي: ٣٦١ - ٣٦٢، شاکر: ٣٧٥ - ٣٧٩.

(٥) انظر: شرح المفصل: ٣٤/٩/٢، شرح شافية ابن الحاجب: ٣١٥/٤، شرح جمل الزجاجي: ٤٤٧/٢.

(٦) الخصائص: ٣٠٠/١.

«ظَرُفٌ»^(٢) عَجُوزٌ^(٣) فِيهِ ثِنْتَا حَنْظَلٍ^(٤)

أورد الشيخ عجز البيت دون الصدر، ومن غير عزو، وهو لخطام المجاشعي^(٥)، ولغيره^(٦).

وصدره:

«كَأَنَّ خُصِيَّهِ مِنَ التَّدْلُذِلِ»^(٧)

(١) الدلائل، رضا: ٢٩١، خفاجي: ٣٦٤، شاکر: ٣٨٠.

(٢) رواية الحماسة «ت: عسيلان»: وشرح ديوان الحماسة للتبريزي: «سَحَقُ جَرَابٍ».

(٣) رواية فصيح ثعلب، ومعاني أبيات الحماسة:

«ظَرُفُ جَرَابٍ»

(٤) انظر البيت في:

الكتاب؛ ٥٦٩/٣، ٦٢٤، «بدون نسبة»، الحماسة «ت: عسيلان»: ٤٣٢/٢، إصلاح

المنطق: ١٦٨، «من غير نسبة»، المقتضب: ١٥٣/٢ «من غير نسبة»، فصيح ثعلب:

٨٥، معاني أبيات الحماسة ٢٤٩ «الحماسية رقم ٨٤٣» «بدون نسبة»، المخصص:

١١٠/١٢/٣، ١٩٩/١٣/٤، ٩٨/١٦/٥، ٨٩/١٧/٥ «بدون نسبة»، شرح ديوان الحماسة

للتبريزي: ١٦٦/٤، المقرب: ٣٠٥/١، ٤٥/٢، شرح المفصل: ١٦/٦، ١٨، شرح شذور

الذهب: ٥٤٤، ٥٤٥، شرح شواهد شروح الألفية للعيني على «هامش خزانة الأدب»:

٤٨٥/٤، التصريح بمضمون التوضيح: ٢٧٠/٢، همع الهوامع: ٢٥٣/١، خزانة الأدب

للبيгдаدي: - دار صادر: - ٣١٤/٣ - ٣٦٧.

(٥) هو خطام بن نصر بن رباح بن عياض بن يربوع من بني الأبيض بن مجاشع بن دارم.

المؤتلف والمختلف: ١٦٠، وهذه نسبة الخزانة للبيгдаدي.

(٦) وذكر منسوباً لجندل بن المثنى في شرح شواهد الألفية للعيني، وفي التصريح بمضمون

التوضيح، وجاء في فصيح ثعلب أنه لجندل أو دُكين، ونقل العيني عن شرح الفصيح

للسيرافي أنه لسلمى الهذلية، وذكر الأستاذ عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية أنه

ينسب أيضاً لشماء الهذلية.

(٧) ذكر في شرح المفصل أنه يُروى: «من التهذل».

وقبل الشاهد:

رَخَوُ الْيَدِ الْيُمْنَى مِنَ التَّرْسُلِ مِنَ الرِّضَى جَنَعْدَلُ^(١) التَّكْتُلِ^(٢)

استشهد به الشيخ في سياق تقريره أن الألفاظ تبع للمعاني لا العكس^(٣)، وأن النظم هو توخي معاني النحو، وأنه السبب في تعدد أوجه الكلام، فجاء بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾^(٤) ليقرر أن حذف الموصوف بالعدد شائع إذا عُلم المراد، فثلاثة هنا صفة لمبتدأ محذوف تقديره «آلِهَةٌ ثَلَاثَةٌ»^(٥) وحذف «آلِهَةٌ» للعلم به، فالعدد إلى عشرة يحتاج إلى تمييز مجموع مخفوض، وإذا حذف المقصود بالعدد هنا فلا فرق بين أن تجعل المقصود بالعدد مميزاً، وبين أن تجعله موصوفاً بالعدد.

أما بيت الشاهد فقد جاء شاذاً مخالفاً للاستعمال العربي حيث ذكر «ثنتان» مع المعدود، وليس ذلك مستعملاً في العربية إنما المستعمل أن يقول: «حفظلتان» فالعدد «واحد - اثنان - وواحدة واثنان - وثنتان» لا يحتاج إلى تمييز أصلاً ولا يجوز فيهما الإضافة؛ لأن ذكر المعدود يُغني عن ذكر العدد، وإذا حذف المقصود بالعدد فإنه لا يقدر إلا موصوفاً، ولا يكون مميزاً ألبتة^(٦).

جاء في شرح المفصل:

«فأما قول الراجز... فشاهد على حذف التاء في الثنية، وذلك قول من لا

(١) جنعدل: شديد، الجنعدل من الجمال الشديد القوي. اللسان «جعدل»: ١١٣/١١.

(٢) التكتل: ضرب من المشي، فلان يَتَكْتَلُ في مشيه إذا قارب في خطوه كأنه يتدحرج. اللسان «كتل»: ٥٨٢/١١ - ٥٨٣.

(٣) فصيح ثعلب: ٨٥.

(٤) سورة النساء: الآية رقم ١٧١.

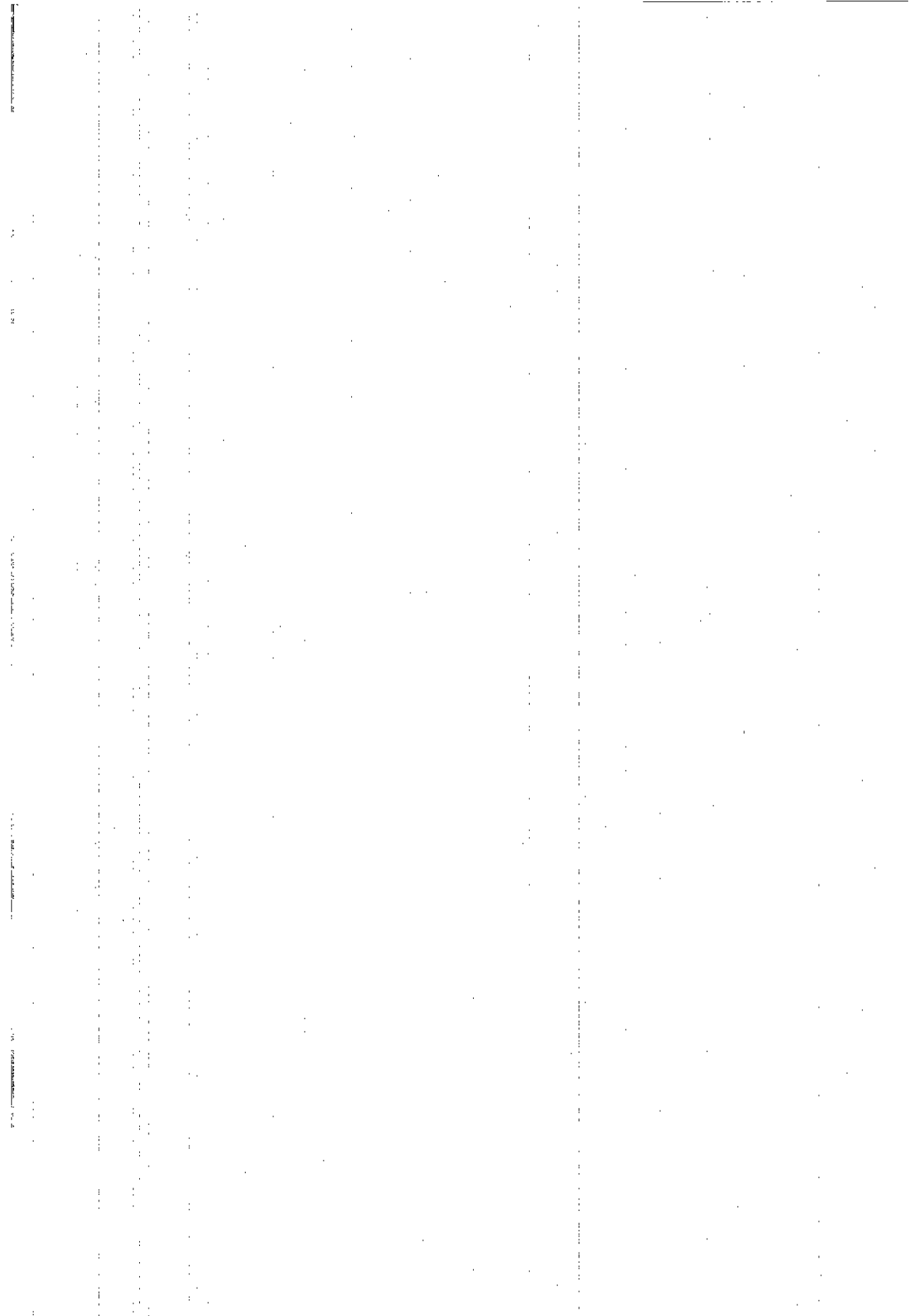
(٥) وحذف الخبر «لنا - أو في الوجود» لاطراد حذف هذه الأخبار في كل ما معناه التوحيد، ونفي أن يكون مع الله - تعالى عن ذلك - إله. الدلائل، رضا: ٢٩٠ - ٢٩١، خفاجي: ٣٦٣، شاکر: ٣٧٩.

(٦) التصريح بمضمون التوضيح: ٢٧٠/٢، شرح شذور الذهب: ٥٤٥، خزانة الأدب:

٣١٤/٣ - ٣١٥.

يفرق، وفيه شذوذان: أحدهما حذف التاء من خصييه في الشنية، هذا الشذوذ من جهة القياس دون الاستعمال. والآخر قوله ثنتا حنظل، والقياس أن يقول حنظلتان^(١).

(١) شرح المفصل: ١٤٤/٤/١.



ب — شواهد تحرير القول في: الإعجاز والفصاحة والبلاغة

- أ — الإعجاز بنظم الكلام لا بالكلم.
- ب — عدم تعلق الفكر بمعاني الكلم مجردة من معاني النحو.
- ج — فصل آخر في أن الفصاحة والبلاغة للمعاني.
- د — فصل آخر في كشف شبهة أخرى للقائلين بأن
الفصاحة للألفاظ.
- هـ — دلالة مراتب التشبيه على أن الفصاحة والبلاغة للمعاني.
- و — فصاحة الكناية.
- ز — فصاحة الاستعارة.

أ - الإعجاز بنظم الكلام لا بالكلم:

الشاهد السادس والخمسون بعد المائتين^(١): (الطويل)

«سَقَّتْهَا خُرُوقٌ فِي الْمَسَامِعِ»^(٢)

استشهد به الشيخ على أن المزية التي توجب الإعجاز، والتي تحتاج إلى حدة ذهن وقوة خاطر، هو العلم بالوصف الموجب للإعراب لا العلم بالإعراب نفسه، وذلك كالعلم بما يوجب الفاعلية للشيء إذا كان إيجابها من طريق المجاز مما يجعل الشيء فيه فاعلاً على تأويل يدق، ومسلك يلفظ. قال الشيخ:

«ثم إنا نعلم أنا المزية المطلوبة في هذا الباب مزية فيما طريقه الفكر والنظر من غير شبهة، ومحال أن يكون اللفظ له صفة تستنبط بالفكر، ويستعان عليها بالروية، اللهم إلا أن تريد تأليف النغم، وليس ذلك مما نحن فيه بسبيل، ومن ههنا لم يجز إذا عدَّ الوجوه التي تظهر بها المزية أن يعد فيها الإعراب، وذلك أن العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلهم، وليس هو مما يستنبط بالفكر، ويستعان عليه بالروية، فليس أحدهم بأن إعراب الفاعل الرفع أو المفعول النصب، والمضاف إليه الجر باعلم من غيره، ولا ذاك المفعول به مما يحتاجون فيه إلى حدة ذهن، وقوة خاطر، إنما الذي تقع الحاجة فيه إلى ذلك العلم بما يوجب الفاعلية للشيء إذا كان إيجابها من طريق المجاز، كقوله تعالى: ﴿فَمَا

(١) الدلائل، رضا: ٣٠٢، خفاجي: ٣٧٥، شاکر: ٣٩٦.

(٢) سبق تخريجه: ٧٠٤.

رَبِّحَتْ يَحْتَرُفُهُمْ ﴿١﴾ وكقول الفرزدق:

«سَقَّتْهَا خُرُوقٌ فِي الْمَسَامِعِ»

وأشبه ذلك مما يجعل الشيء فيه فاعلاً على تأويل يدق، ومن طريق تلمظ، وليس يكون هذا علماً بالإعراب، ولكن بالوصف الموجب للإعراب^(٢).

الشاهد السابع والخمسون بعد المائتين^(٣): (الكامل)

قول أبي تمام:

عَذْلًا شَبِيهَاً بِالْجُنُونِ كَأَنَّمَا قَرَأْتُ بِهِ الْوَرَهَاءَ شَطْرَ^(٤) كِتَابِ^(٥)

والبيت من قصيدة قالها في مدح مالك بن طوق التغلبي^(٦)، ومطلعها:
لَوْ أَنَّ ذَهْرًا رَدَّ رَجَعَ جَوَابِي أَوْكَفَّ مِنْ شَأْوِيهِ طُولُ عِتَابِي
لَعَذْلَتُهُ فِي دِمْنَتَيْنِ تَقَادَمَا مَمْحُوتَيْنِ لِزَيْنَبٍ وَرَبَابِ

وقبل الشاهد:

أَذَكَّتْ عَلَيْكَ شِهَابَ نَارٍ فِي الْحَشَا بِالْعَذْلِ وَهَنًا أَخْتُ آلِ شِهَابِ

وبعد الشاهد:

أَوْ مَا رَأَتْ بُرْدِيٍّ مِنْ نَسَجِ الصَّبَا وَرَأَتْ خِضَابَ اللَّهِ وَهَوَ خِضَابِي

استشهد به الشيخ للتنظير على قوله إِنَّ الْأَلْفَاظَ لَا يَتَعَلَقُ بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ مِنْ

سورة البقرة: الآية رقم ١٦.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٠٢، خفاجي: ٣٧٤، شاکر: ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٣) الدلائل، رضا: ٣١١، خفاجي: ٣٨٢، شاکر: ٤٠٦.

(٤) رواية الديوان: «صدر»، رواية أدب الكتاب: «سطر».

(٥) لم أعثر عليه فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

الديوان «دار صعب»: ٢٣، أدب الكتاب: ١٤٩، سر الفصاحة: ١٣٢.

(٦) (٠٠ - ت ٢٥٩ هـ - ٢٦٠ هـ) سبقت ترجمته. انظر الشاهد «الستون»: ص ٣٣٠.

حيث هي ألفاظ دون النظر إلى معانيها، ولو كانت يتعلق بعضها ببعض بمعزل عن المعنى لكانت شبيهة بالجنون، وشبيهة بقراءة الحمقاء لأنصاف الكتب؛ لأن قراءة أنصاف الكتب لا يمكن أن تدل على معنى الكتاب. قال الشيخ:

«ومعلوم علم الضرورة أن لن يتصور أن يكون للفظه تعلق بلفظة أخرى من غير أن يُعتبر حال معنى هذه مع معنى تلك، ويراعى هناك أمرٌ يصل إحداهما بالأخرى... ولو كانت الألفاظ يتعلّق بعضها ببعض من حيث هي ألفاظ، ومع أطراح النظر في معانيها، لأدّى ذلك إلى أن يكون الناس حين ضحكوا مما يصنعه المُجَنُّون من قراءة أنصاف الكتب، ضحكوا عن جهالة، وأن يكون أبو تمام قد أخطأ حين قال:

عَذْلًا شَبِيهًا بِالْجُنُونِ كَأَنَّمَا قَرَأْتُ بِهِ الْوَرَهَاءَ شَطَرَ كِتَابِ

لأنهم لم يضحكوا إلا من عدم التعلق، ولم يجعله، أبو تمام جنوناً إلا لذلك، فانظر إلى ما يلزم هؤلاء القوم من طرائف الأمور»^(١).

(١) الدلائل، رضا: ٣١١، خفاجي: ٣٨١-٣٨٢، شاکر: ٤٠٦.

— ب — «عدم تعلق الفكر بمعاني الكلم مجردة من معاني النحو» —

الشاهد الثامن والخمسون بعد المائتين^(١): (الطويل)

«قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ»^(٢)

استشهد به الشيخ ليقرر ويبرهن أن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم مجردة من معاني النحو، فلو أننا عمدنا إلى بيت الشاهد ووضعنا الألفاظ وضعاً يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو، فقلنا: «مِنْ نَبْكَ قَفَا حَبِيبٍ ذِكْرِي مَنْزِلٍ».

لم يتعلق معناه بالفكر. قال الشيخ:

«ومما ينبغي أن يَعْلَمَهُ الإنسان ويجعله على ذكر، أَنَّهُ لَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَتَعَلَّقَ الْفِكْرُ بِمَعَانِي الْكَلِمِ أَفْرَاداً وَمُجَرَّدَةً مِنْ مَعَانِي النُّحُو، فَلَا يَقُومُ فِي وَهْمٍ، وَلَا يَصِحُّ فِي عَقْلِ، أَنْ يَتَفَكَّرَ مَتَفَكَّرٌ فِي مَعْنَى «فَعْلٍ» مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرِيدَ إِعْمَالَهُ فِي «اسْمٍ» وَلَا أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي مَعْنَى «اسْمٍ» مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرِيدَ إِعْمَالِ «فَعْلٍ» فِيهِ، وَجَعَلَهُ فَاعِلاً لَهُ، أَوْ مَفْعُولاً، أَوْ يَرِيدَ فِيهِ حَكْماً سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ مِثْلَ أَنْ يَرِيدَ جَعْلَهُ مُبْتَدَأً، أَوْ خَبِراً، أَوْ صِفَةً أَوْ حَالاً أَوْ مَا شَاكَلَ ذَلِكَ.

وإن أردت أن ترى ذلك عياناً فاعمد إلى أي كلام شئت، وأزل أجزائه عن مواضعها، وضعها وضعاً يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها فقل في:

«قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ»

(١) الدلائل، رضا: ٣١٤، خفاجي: ٣٨٦، شاکر: ٤١٠.

(٢) سبق تخريجه: ٨٣٦.

«مِنْ تَبَكِّ قِفَا حَبِيبٍ ذِكْرَى مَنَزَلٍ» ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها؟^(١).

الشاهد التاسع والخمسون بعد المائتين^(٢): (الطويل)

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَاسِيَفَانَا لَيْلُ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ^(٣)
الشاهد فيه كسابقه.

فالشَّيْخُ هُنَا قَدْ اسْتَحْسَنَ التَّشْبِيهَ فِي بَيْتٍ بِشَارٍ؛ لِأَنَّ صَوْرَةَ التَّشْبِيهِ فِيهِ مُرْتَبِطٌ بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ بِمَا يَقْتَضِيهِ النِّظْمُ وَمَعَانِي النُّحُو، فَهُوَ حِينَ جَاءَ بِأَدَاةِ التَّشْبِيهِ «كَأَنَّ» كَانَ قَاصِداً إِلَى إِيقَاعِ التَّشْبِيهِ، وَحِينَ قَالِ «مُثَارَ النَّقْعِ» إِنَّمَا فَكَّرَ فِي إِضَافَةِ الْأَوَّلِ إِلَى الثَّانِي. . وَهَكَذَا فَكَّلَ كَلِمَةً فِي الْبَيْتِ كَانَ قَاصِداً تَعْلِيْقَهَا بِمَعْنَى الْكَلِمَةِ الَّتِي تَلِيهَا، فَبَيْتُهُ كَالْحَلْقَةِ الْمَفْرُغَةِ لَا تَقْبَلُ التَّقْسِيمَ، فَهُوَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ كَلَامٌ وَاحِدٌ، حَيْثُ اتَّحَدَتِ مَعَانِي الْبَيْتِ، فَصَارَتِ الْأَلْفَاظُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَفْظَةً وَاحِدَةً، قَالَ الشَّيْخُ:

«وَانْظُرْ هَلْ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ بِشَارٌ قَدْ أَخْطَرَ مَعَانِي هَذِهِ الْكَلِمِ بِبَالِهِ أَفْرَاداً عَارِيَةً مِنْ مَعَانِي النُّحُو الَّتِي تَرَاهَا فِيهَا، وَأَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ «كَأَنَّ» فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ قَصْدُ إِيقَاعِ التَّشْبِيهِ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ، وَأَنْ يَكُونَ فَكَّرَ فِي «مُثَارِ النَّقْعِ» مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ إِضَافَةَ الْأَوَّلِ إِلَى الثَّانِي، وَفَكَّرَ فِي «فَوْقَ رُؤُوسِنَا» مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَرَادَ أَنْ يَضِيفَ «فَوْقَ» إِلَى «الرُّؤُوسِ» وَفِي «الْأَسْيَافِ» مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ عَطْفَهَا بِالْوَاوِ عَلَى «مُثَارِ» وَفِي «الْوَاوِ» مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ الْعَطْفَ بِهَا، وَأَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ فَكَّرَ فِي «اللَّيْلِ» مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهُ خَبِيراً «لِكَأَنَّ» وَفِي «تَهَاوَى كَوَاكِبِهِ» مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ «تَهَاوَى» فِعْلاً لِلْكَوَاكِبِ، ثُمَّ يَجْعَلُ صِفَةً لِلَّيْلِ، لِيَتِمَّ الَّذِي أَرَادَ مِنَ التَّشْبِيهِ أَمْ لَمْ يُخْطِرْ هَذِهِ

(١) الدلائل، رضا: ٣١٤، خفاجي: ٣٥٢، شاکر: ٤١٠.

(٢) الدلائل، رضا: ٣١٥، خفاجي: ٣٨٧، شاکر: ٤١١.

(٣) سبق تخريجه: ٣٠٥.

الأشياء بباله إلا مراداً فيها هذه الأحكام والمعاني التي تراها فيها؟»^(١).

وقال في موضع آخر من نفس الفصل:

«وليت شعري، كيف يتصور وقوع قصد منك إلى معنى كلمة من دون أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى؟ ومعنى «القصد إلى معاني الكلم» أن تعلم السامع بها شيئاً لا يعلمه، ومعلوم أنك، أيها المتكلم لست تقصد أن تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها»^(٢).

وأشار إلى أن النظم وتوخي معاني النحو يسبب الكلام سبكاً واحداً، ويجعله في اتصاله، وترابطه كالجملّة الواحدة. قال الشيخ:

«فبيت بشار إذا تأملته وَجَدْتُهُ كالحلقة المفرغة التي لا تقبل التقسيم، ورأيت أنه قد صنع في الكلم التي فيه ما يصنعه الصانع حين يأخذ كِسْراً من الذهب، فيذيبها، ثم يصبها في قالب، ويخرجها لك سواراً أو خلعاً، وإن أنت حاولت قطع بعض ألفاظ البيت عن بعض، كنت كمن يكسّر الحلقة ويفصم السوار، وذلك أنه لم يُرد أن يُشَبَّه «النقع» بالليل على جذّة، و«الأسياف» بالكواكب على حدة، ولكنه أراد أن يُشَبَّه النُقْعُ والأسيافُ تجول فيه بالليل في حال ما تنكدرُ الكواكب، وتهاوى فيه. فالمفهوم من الجميع مفهوم واحد، والبيت من أوله إلى آخره كلام واحد»^(٣).

وقال أيضاً:

«فانظر الآن ما تقول في اتحاد هذه الكلم التي هي أجزاء البيت أقول إن ألفاظها اتحدت فصارت واحدة أم تقول إن معانيها اتحدت فصارت الألفاظ من أجل ذلك كأنها لفظة واحدة»^(٤).

(١) الدلائل، رضا: ٣١٥، خفاجي: ٣٨٧، شاکر: ٤١٢.

(٢) الدلائل، رضا: ٣١٥، خفاجي: ٣٨٧، شاکر: ٤١٢.

(٣) الدلائل، رضا: ٣١٧، خفاجي: ٣٨٩، شاکر: ٤١٤.

(٤) المصدر السابق نفس الصفحات.

جـ - فصل آخر في أن الفصاحة والبلاغة للمعاني:

الشاهد الستون بعد المائتين^(١): (الوافر)

وَدَاكَ لَهُ إِذَا الْعَنْقَاءُ^(٢) صَارَتْ مُرَبَّيَّةً وَشَبَّ ابْنُ الْخَصِي^(٣)

ذكره الشيخ من غير نسبة، وهو لأبي تمام من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب^(٤)، ومطلعها:

أَيَا وَئِلَ الشَّجِيِّ مِنَ الْخَلِيِّ وَيَالِي الرَّبْعِ مِنْ إِحْدَى بَلِيٍّ
وقبل الشاهد:

وَمَحْدُودِ^(٥) الذَّرِيعَةِ سَاءَ مَا تُرَشِّحُ لِي مِنَ السَّبَبِ الْحَظِيِّ

- (١) الدلائل، رضا: ٣٢٢، خفاجي: ٣٩٤، شاکر: ٤٢٠.
- (٢) العنقاء: طائر ضخم غريب سُميت بذلك؛ لأنه كان في عنقها بياض كالطوق، وقيل هو طائر يكون عند مغرب الشمس، وقد شك الجاحظ في وجوده، وقيل هو العقاب. الحيوان: ١٠٥/٧، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ٤٣٨/٣، حياة الحيوان الكبرى: ٨٦/٢ - ٩٠.
- (٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في: ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ٣٥٩/٣، ديوان أبي تمام «دار صعب» ٣٠٨، الطرائف الأدبية «المختار من شعر أبي تمام»: ٣٠٤.
- (٤) هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي، أبو علي (٢٥٠ - ٢٥٠ هـ)، كاتب من الشعراء كان معاصراً لأبي تمام، وله معه أخبار، وكان وجهاً استكتبه الخلفاء، ومدحه أبو تمام، وهو أخو سليمان «وزير المعتمد والمهتدي»، ولما مات رثاه البحتري. انظر ترجمته:
- فوات الوفيات: ٣٦٧/١ - ٣٧٠، سمط اللآلي: ٥٠٦/١، الأعلام: ٢٢٦/٢.
- (٥) محدود الذريعة: أراد به دعبلاً الشاعر، وكان يحسد الطائي، و«المحدود» المحروم. اللسان «حدد»: ١٤٣/٣.

يَدْبُ إِلَيَّ فِي شَخْصٍ ضَّئِيلٍ وَيَنْظُرُ مِنْ شَفَا طَرْفٍ خَفِيٍّ
وَيُتْبَعُ نِعَمَتِي بِكَ عَيْنَ ضِفْنٍ كَمَا نَظَرَ الْيَتِيمُ إِلَى الْوَصِيِّ
رَجَاءً أَنَّهُ يُورِي بِزُنْدِي إِلَيْكَ وَأَنَّهُ يَفْرِي فَرِيٍّ (١)(٢)

وبعد الشاهد:

أَرَى الْإِخْوَانَ مَا عُيِّتَ عَنْهُمْ بِمَسْقَطِ ذَلِكَ الشَّعْبِ الْقَصِيِّ
وَمَرْدُوداً صَغَاؤُهُمْ عَلَيْهِمْ كَمَا رَدَّ النُّكَاحُ بِلَا وَلِيِّ (٣)

استشهد به الشيخ مثلاً على استحالة اتصال الكلم بعضها ببعض من غير توخي معاني النحو، فإن من ادعى أنه أوتي علماً قد حُجِبَ عن الناس، وأنه قد علم لاتصال الكلم بعضها ببعض وانتظام الألفاظ بعضها مع بعض معاني غير معاني النحو، فإنه يسلم له بذلك إذا أصبحت العتقاء تُرْبَى بين الناس كما يرى الحمام، وإذا صحَّ أن يكون للمخصي ولد.

قال الشيخ:

«ولولا أَنَا نُحِبُّ أَنْ لَا يَنْبَسَ أَحَدٌ فِي مَعْنَى السُّؤَالِ وَالْإِعْتِرَاضِ بِحَرْفٍ إِلَّا أَرَيْنَاهُ الَّذِي اسْتَهْوَاهُ، لَكَانَ تَرَكُّ التَّشَاغُلِ بِإِيرَادِ هَذَا وَشِبْهِهِ أَوْلَى. ذَاكَ لِأَنَّا قَدْ عَلِمْنَا عِلْمَ ضَرُورَةٍ أَنَّا لَوْ بَقِينَا الدَّهْرَ الْأَطْوَلَ نُصْعِدُ وَنُصَوِّبُ، وَنَبْحَثُ وَنَنْقُبُ، نَبْتَغِي كَلِمَةً قَدْ اتَّصَلَتْ بِصَاحِبَةٍ لَهَا، وَلَفْظَةٌ قَدْ انْتَضَمَتْ مَعَ أُخْتِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ

(١) يفري فريي: أي يعمل عملي، وأصل الفري: قطع الأديم والجلد، ثم استعير لغير ذلك.

مختار الصحاح «فرا»: ٥٠٢.

(٢) لم أجد البيت إلا في:

الديوان بشرح الخطيب التبريزي: ٣/٣٥٨.

الديوان «دار صعب»: ٣٠٧ - ٣٠٨.

الطرائف الأدبية: ٣٠٤.

(٣) انظر الأبيات في:

الديوان بشرح الخطيب التبريزي: ٣/٣٥٩.

الديوان «دار صعب»: ٣٠٨، الطرائف الأدبية: ٣٠٤.

تُوخِّي فيما بينهما معنى من معاني النحو طلبنا ممتنعاً، وثنيها مطايا الفكر ظُلماً،
 فإن كان ههنا من يَشْكُ في ذلك، ويزعم أنه قد علم لاتصال الكلم بعضها
 ببعض، وانتظام الألفاظ بعضها مع بعض، معاني غير معاني النحو، فإننا نقول له:
 هات، فبين لنا تلك المعاني، وأرنا مكانها، وأهدنا لها، فلعلك قد أوتيت علماً
 قد حُجِبَ عَنْنا، وفتح لك بابٌ قد أُغْلِقَ دوننا:
 وَذَلِكَ لَهُ إِذَا الْعَنْقَاءُ صَارَتْ مُرَبَّيَّةً وَشَبَّ ابْنُ الْخَصِيٍّ^(١)

(١) الدلائل، رضا: ٣٢٢، خفاجي: ٣٩٣ - ٣٩٤، شاکر: ٤٢٠.

د - «فصل آخر في كشف شبهة أخرى» للقائلين بأن الفصاحة للألفاظ:

الشاهد الواحد والستون بعد المائتين^(١): (المقارب)

المتنبى:
يَرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نَسْيَانُكُمْ وَتَأْيِي^(٢) الطَّبَاعِ عَلَى النَّاقِلِ^(٣)

(١) الدلائل، رضا: ٣٢٤ - ٣٢٥، خفاجي: ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٤٠٠، شاكِر: ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٨.

(٢) الطباع والطبيعة والطبع بمعنى واحد وهي الخليفة والسجية، ورواية الديوان: «يأبي»، جاء في شرح الديوان للعكبري: «قال ابن القطاع: قد أفسد هذا البيت سائر الرواة فرووه، وتأبى بالتاء، وهو غلط لا يجوز قال: قال لي شيخي:

أخبرني أبو علي بن رُشدَين، قال: لما قرأت هذا البيت قرأته بالتاء، فقال: لم أقل هكذا، إلا أن الطبع والطباع والطبيعة واحد، والطبع مصدر لا يشئ ولا يجمع والطبيعة مؤنثة، وجمعها طبائع، والطباع واحد مذكر، وجمعه طبع ككتاب وكُتِبَ، وليس الطباع جمعاً لطبع، وهذا البيت من كلام الحكيم، قال الحكيم:

نقل الطباع من رديء الأطماع شديد الامتناع. الديوان بشرح العكبري: ٢٢/٣، والذي جاء في اللسان ييطل كلام ابن القطاع حيث جاء فيه أن الطباع جمع طبع، وأن الطباع كالطبيعة مؤنثة، وليس فيه ما يؤيده إلا كلام الزجاج. جاء في اللسان:

الطبع والطبيعة: الخليفة والسجية التي جُبِلَ عليها الإنسان والطباع كالطبيعة مؤنثة، وقال أبو القاسم الزجاجي الطباع واحد مذكر كالتَّحَاس والنَّجَار.

قال الأزهرى: ويجمع طبع الإنسان طباعاً.
وهو ما طبع عليه من طباع الإنسان في مأكله، ومشربه وسهولة أخلاقه، وحزونها وعسرهما =

وهو من قصيدة قالها في سيف الدولة يمدحه ويذكر استفادته أبا وائل تغلب بن داود من الأسر، ومطلعها:

إِلَّامَ طَمَاعِيَّةُ الْعَاذِلِ وَلَا رَأْيَ فِي الْحُبِّ لِلْعَايِلِ^(١)
وَأَنِّي لَأُعْشَقُ مِنْ عَشِيقِكُمْ نُحُولِي وَكُلُّ أَمْرِي نَاجِلِ
وَلَوْ زُلْتُمْ ثُمَّ لَمْ أَبْكِكُمْ بَكَيتُ عَلَى حُبِّي الرَّائِلِ^(٢)

استشهد به الشيخ في الرد على من قال إن الفصاحة وصف للفظ من جهة أنه يجوز أن يعبر عن المعنى الواحد بلفظين مختلفين، ويوصف أحدهما بأنه فصيح، والآخر بأنه غير فصيح، فذكر الشيخ أن الجواب عن هذا يحتمل أمرين:

أن يكون المراد باللفظين كلمتين معناهما واحد في اللغة، وهذا الأمر خارج عن المسألة؛ لأن الشيخ يتحدث عن فصاحة تحدث في اللفظ بعد التأليف.

الأمر الثاني: أن يراد باللفظين كلامان، وهذا هو المراد.

ثم ذكر أن ههنا أصلاً من عرفه عرف سقوط هذا الاعتراض وهو أن المعاني منها ما يكون غفلاً ساذجاً عامياً موجوداً في كلام الناس، فيأخذه الحاذق العالم بفنون التعبير، فيصوغه في صورة بديعة، فقول الناس: «الطبع لا يتغير» «ولست تستطيع أن تخرج الإنسان عما جبل عليه» معنى غفل ساذج أخذه المتنبي فأحسن صياغته، وأحكم تأليفه، فأخرجه في أبهى صورة.

ويسرها وشدته ورخاوته وبخله وسخائه والطَّبَاع واحد طِبَاع الإنسان. اللسان «طبع»: ٢٣٢/٨.

(٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري: ٢٢/٣، الوساطة: ٣٢٢، يتيمة الدهر: ١٩٨/١، الإبانة عن سرقات المتنبي: ١٤٠.

(١) الديوان بشرح العكبري: ٢١/٣.

(٢) المصدر السابق: ٢٢/٣.

قال الشيخ :

«فإن العقلاء إلى هذا قصدوا حين قالوا: «إنه يصح أن يُعَبَّرَ عن المعنى الواحد بلفظين، ثم يكون أحدهما فصيحاً والآخر غير فصيح» كأنهم قالوا: إنه يصح أن تكون ههنا عبارتان أصلُ المعنى فيهما واحدٌ، ثم يكون لإحدهما في تحسين ذلك المعنى وتزيينه، وإحداث خصوصية فيه تأثير لا يكون للآخرى»^(١).

وقال أيضاً:

«... إن سبيل المعاني سبيل أشكال الحُلِيِّ، كالخاتم والشَّنْف والسَّوَار، فكما أن من شأن هذه الأشكال أن يكون الواحد منها غُفلاً ساذجاً، لم يعمل صانعه فيه شيئاً أكثر من أن أتى بما يقع عليه اسم الخاتم إن كان خاتماً، والشَّنْفُ إنْ كَانَ شَنْفًا، وأن يكون مصنوعاً بديعاً قد أغْرَبَ صانعه فيه، كذلك سبيلُ المعاني، أن ترى الواحدَ منها غُفلاً ساذجاً عامياً موجوداً في كلام الناس كلهم، ثم تراه نفسه وقد عمد إليه البصير بشأن البلاغة وإحداث الصور في المعاني، فيصنع فيه ما يصنع الصَّنْعُ الحَاقِظُ حتَّى يُغْرِبَ في الصَّنعة، ويُدِقَّ في العمل، ويُبدِعَ في الصياغة، وشواهدُ ذلك حاضرةٌ لك كيف شئت، وأمثله نُصب عينيك من أين نظرت.

تَنظُرُ إلى قول الناس: «الطبع لا يَتَغَيَّرُ» و«لستَ تَسْتَطِيعُ أن تخرج الإنسانَ عَمَّا جُبِلَ عليه»، فترى معنى غُفلاً عامياً معروفاً في كل جِيلٍ وأمةٍ، ثم تنظر إليه في قول المتنبي:

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاكِيلِ

فتجده قد خرج في أحسن صورة وتراه قد تحول جوهرة بعد أن كان خرزة، وصار أعجب شيء بعد أن لم يكن شيئاً^(٢).

(١) الدلائل، رضا: ٣٢٤ - ٣٢٥، خفاجي: ٣٩٦ - ٣٩٧، شاکر: ٤٢٢ - ٤٢٣.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٢٥، خفاجي: ٣٩٧، شاکر: ٤٢٢ - ٤٢٣.

قول أبي نواس:

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ^(٢)

الشاهد فيه كسابقه.

فقول أبي نواس قد حصل له الحسن وفاق على قولنا: «غيرُ بديع في قدرة الله تعالى أن يجمع فضائل الخلق كلَّهم في رجلٍ واحد» لمزية حصلت في معناه.

قال الشيخ:

«إن اللفظ يكون فصيحاً من أجل مزية تقع في معناه لا من أجل تجزئته وَصَدَاهُ»^(٣).

(١) الدلائل، رضا: ٣٢٥ - ٣٢٨، خفاجي: ٣٩٧ - ٤٠٠، شاکر: ٤٢٤ - ٤٢٨.

(٢) سبق تخريجه: ٥٤٦.

(٣) الدلائل، رضا: ٣٢٥، خفاجي: ٣٩٧، شاکر: ٤٢٤.

— ه — «دلالة مراتب التشبيه على أن الفصاحة والبلاغة للمعاني» —

الشاهد الثالث والستون بعد المائتين^(١): (الطويل)

أَنَّ أُرْعِشْتَ^(٢) كَفَّا أُبَيْكَ وَأَصْبَحْتَ يَدَاكَ يَدَي لَيْثٍ فَإِنَّكَ غَالِيَةٌ^(٣)

والبيت أورده الشيخ من غير عزو، وهو للفرزدق من أبيات قالها في ابنه لَبْطَةُ^(٤)، وكان ممن عق أباه^(٥).

(١) الدلائل، رضا: ٣٢٦، خفاجي: ٣٩٨، شاکر: ٤٢٥.

(٢) رواية الحماسة لأبي تمام - ت: عسيلان -: «أُرْعِشْتَ» بالبناء للمجهول.

(٣) رواية حماسة أبي تمام: «فَأَنَّكَ ضَارِبُهُ».

ورواية الديوان والأغاني: «فَأَنَّكَ جَاذِبُهُ»

ورواية «العققة والبررة»: «فَأَنَّكَ حَارِبُهُ».

(٤) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

الديوان: ١٠٥، الحماسة - لأبي تمام - «عسيلان»: ١٦٦/٢ رقم الشاهد (٦٠٩)، العققة

والبررة - ضمن نوادر المخطوطات -: ٣٥٦/٢، الأغاني: ٣٢٧/٢١.

(٥) نُسب البيت في حماسة أبي تمام لفرعان بن الأعرف في ابنه منازل، وكذلك ذكر أبو عبيدة

في كتابه العققة والبررة بعض أبيات القصيدة دون ذكر بيت الشاهد ونسبها - أيضاً - لفرعان.

جاء في كتاب العققة والبررة (ص ٣٦٠) أن فرعان قد تزوج على أم منازل - وهو ابنه - امرأة

شابة، فغضب منازل لأنه فاستاق ماله من أبيه واعتزل مع أمه، فقال فرعان هذه الأبيات.

وذكر أبو عبيدة في موضع آخر من كتابه أنها للفرزدق قال:

«وممن عق أباه لبطه بن الفرزدق، وكان يطيع امرأته، وكانت تحرشه عليه، فقال الفرزدق..»

الأبيات. ٣٥٦/٢.

وذكر الأستاذ عبد السلام هارون أنها تنسب لفرعان أو للفرزدق أو للبطه بن الفرزدق، ويبدو =

وهو أول^(١) الأبيات وبعده:

إِذَا غَلَبَ^(٢) ابْنُ الشَّبَابِ أَباً لَهُ
رَأَيْتُ تَبَاشِيرَ الْعُقُوقِ هِيَ الَّتِي
وَلَمَّا رَأَيْتُ قَدْ كَبِرْتُ وَأَنْتِي
أَصَاحُ لِغُرَبَانِ^(٣) النَّعْيِ وَإِنَّهُ
كَبِيراً فَإِنَّ اللَّهَ لَا بُدَّ غَالِبُهُ
مِنْ ابْنِ امْرِئٍ مَا إِنَّ يَزَالَ يُعَاتِيهِ^(٤)
أَخُو الْحَيِّ وَاسْتَفْنَى عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُهُ
لَا زُورَ عَنْ بَعْضِ الْمَقَالَةِ جَائِيهِ

لي أن البيت أصلاً لفرعان أخذه الفرزدق، وكان كثيراً ما يغير على أشعار الشعراء، وكان يقول: ضَوَّالُ الشعراء أحب إليَّ من ضَوَّالِ الإبل وفرعان هو ابن الأعراف أحد بني مرة بن عبيدة بن الحارث بن عمرو بن مقاعس بن كعب بن سعد شاعر مخضرم، وله ابن اسمه منازل كان قد عَقَّه في الجاهلية، ولوى يده، فدعا عليه فلويت يده، وبعد منازل في الصحابة التقى به عمر بن الخطاب وسأله عن التواء يده فذكر له ما حدث، فقال عمر: الله أكبر هذا دعاء آبائكم في الجاهلية، فكيف في الإسلام؟ انظر ترجمته:

العققة والبررة: ٣٦٠ - ٣٦٢، المؤلف: ٥١، معجم الشعراء: ٣١٦، الإصابة: ٤٧٧/٣
«ضمن ترجمة ابنه منازل»

(١) هذا علي رواية الديوان أما رواية الحماسة «وهي منسوبة لفرعان» فإن أول الأبيات:
جَزَتْ رَجْمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنَازِلٍ جَزَاءُ كَمَا يَسْتَنْزِلُ الدِّينَ طَالِبُهُ
وقبل الشاهد:

وَكَانَ لَهُ عِنْدِي إِذَا جَاعَ أَوْ بَكَى
وَرَبَيْتُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَرَكْتُهُ
عَلَى الزَّادِ أَخْلَى زَادَنَا وَأَطَايِبُهُ
أَخَا الْقَوْمِ وَاسْتَفْنَى عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُهُ
وبعدهما الشاهد وبعده:

وَجَمَعْتُهَا دُفْماً جَلَاداً كَانَتْهَا
فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا سَلِيماً كَأَنِّي
أَشَاءُ نَجِيلٍ لَمْ تُقَطِّعْ جَوَائِبُهُ
حُسَامٌ يَمَانٍ فَارَقْتُهُ مَضَارِبُهُ
الحماسة: ١٦٦/٢.

(٢) رواية الأغاني: «إِذَا غَالَبَ».

(٣) رواية «العققة والبررة»: «يَغَالِبُهُ».

(٤) رواية «العققة والبررة» «الغريان النجى» يقال فلان غريان النجى: إذا كان ينجي امرأته ويشاورها ويصدر عن رأيها، وهذه الرواية أشبه بالقصة.

ورواية الأغاني: «الغربان النجى».

وغربان النجى: قرناء السوء.

استشهد به على أن التشبيه أبين وأوضح شيء في الكشف عن شبهة من قال أن المزية للفظ لا للمعنى.

فقول الفرزدق حصلت له المزية ووجب له الحسن؛ لأنه أراد أن يثبت لابنه قوة الليث فبالغ في وصفه بأن حذف الأداة ووجه الشبهة، وجعل يديه هي يدي الليث بعينه. قال الشيخ:

«واعلم أنه ليس شيء أبين وأوضح وأحرى أن يكشف الشبهة عن متامله في صحة ما قلناه من «التشبيه»، فإنك تقول: «زيد كالأسد» أو «مثل الأسد» أو «شبيه بالأسد» فتجد ذلك كله تشبيهاً غفلاً ساذجاً ثم تقول: «كأن زيداً الأسد»، فيكون تشبيهاً أيضاً، إلا أنك ترى بينه وبين الأول بوناً بعيداً؛ لأنك ترى له صورة خاصة، وتجدك قد فحمت المعنى، وزدت فيه، بأن أفدت أنه من الشجاعة، وشدة البطش، وأن قلبه قلب لا يخامره الذعر، ولا يدخله الرُّوع، بحيث يتوهم أنه الأسد بعينه، ثم تقول: «لئن لقيته ليلقيَنَّك منه الأسد»، فتجده قد أفاد هذه المبالغة، لكن في صورة أحسن، وصفة أخص، وذلك أنك تجعله في «كأن» يتوهم أنه الأسد، وتجعله هنا يرى منه الأسد على القطع، فيخرج الأمر عن حد التوهم إلى حد اليقين ثم إن نظرت إلى قوله:

أَنَّ أُرْعِشْتُ كَفَا أَيْيَكَ وَأَصْبَحْتُ يَدَاكَ يَدَيَّ لَيْثٍ فَإِنَّكَ غَالِبُهُ

وجدته قد بدا لك في صورة آتق وأحسن^(١).

الشاهد الرابع والستون بعد المائتين^(٢): (البسيط)

قول أُرطاة بن سُهَيْبَة:

إِنْ تَلَقَّنِي لَا تَرَى غَيْرِي بِنَاطِرَةٍ تَسَّ السَّلَاحَ وَتَعْرِفُ جِبْهَةَ الْأَسَدِ^(٣)

استشهد به الشيخ على أنه كلما ارتقينا في درجات التشبيه كلما ازدادت

(١) الدلائل، رضا: ٣٢٦، خفاجي: ٣٩٨، شاکر: ٤٢٥.

(٢) الدلائل، رضا: ٤٢٥، خفاجي: ٣٩٨، شاکر: ٣٢٦.

(٣) سبق تخريجه: ٥٩١.

الصورة حسناً ورونقاً، وفي هذا دليل على أن الفصاحة والبلاغة للمعاني، وما ذاك إلا أنه قد فُحِّمَ المعنى، وبُولِغَ فيه، فبيت الشاهد ازداد حسناً عن الشاهد السابق؛ لأنه بولغ فيه في التشبيه، فحذف المشبه وبقي المشبه به، فَجَعَلَ نفسه الأسد بعينه على القطع لا على التوهم. قال الشيخ:

«ثم إن نظرت إلى قول أوطاة بن سمية:

وجدته قد فَصَّلَ الجميع، ورأيته قد أُخْرِجَ في صورة غير تلك الصُّور
كلُّها»^(١) ويظهر من كلام الشيخ أنه ربط بين التشبيه والاستعارة ربطاً محكماً، وجعل التشبيه كالأصل في الاستعارة، وأن حسنهما يتوقف على قدر إخفاء التشبيه. فالاستعارة عنده تشبيه بولغ فيه.

(١) الدلائل، رضا: ٣٢٦، خفاجي: ٣٩٨، شاكرو: ٤٢٥.

و - فصاحة الكناية

الشاهد الخامس والستون بعد المائتين^(١): (المنسرح)

بيت ابن هرمة:
«وَلَا أُبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ»^(٢).

استشهد به في الرد على من قال:

«إن التفسير يجب أن يكون كالمُفسّر» أي أنه لا يجوز أن يكون للفظ المُفسّر فضل من حيث المعنى على لفظ التفسير فرد عليهم الشيخ ببيت الشاهد وأنه محال أن يكون المعنى في قول الشاعر:
«وَلَا أُبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ».

كحال من قال: «أنا مضياف»، فإن من شأن المعاني أن تختلف بها الصور قال الشيخ:

«أعلم أن قولهم: «إن التفسير يجب أن يكون كالمُفسّر» دَعْوَى لا تصحُّ لهم إلا من بعد أن ينكروا الذي بيناه من أنَّ مِنْ شَأْنِ المعاني أن تختلف بها الصُّور، ويدفعوه أصلاً، وحتى يدَّعوا أنه لا فَرْقَ بين «الكناية» و«التصريح» وأنَّ حال المعنى مع «الاستعارة» كحاله مع ترك الاستعارة، وحتى يُبْطِلُوا مَا أَطْبَقَ عليه

(١) الدلائل، رضا: ٣٢٧ - ٣٣١، خفاجي: ٣٩٩ - ٤٠٢، شاکر: ٤٢٧ - ٤٣١.

(٢) مضي: ص ٦٦٨.

العقلاء من أن «المجاز» يكون أبداً أبلغ من الحقيقة، فيزعموا أن قولنا: «طويل النجاد» و«طويل القامة» واحد، وأنَّ حال المعنى في بيت ابن هرمة: «وَلَا أُبْتَاعُ إِلَّا قَرِيْبَةً الْأَجَلِ»

كحاله في قولك: أنا مضاف^(١).

واستشهد به بعد ذلك على أن حقيقة الكناية أنها إثبات لمعنى من طريق المعقول دون طريق اللفظ^(٢).

(١) الدلائل، رضا: ٣٢٧، خفاجي: ٣٩٩، شاکر: ٤٢٦ - ٤٢٧.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٣١، خفاجي: ٤٠٢، شاکر: ٤٣١.

ز - فصاحة الاستعارة

الشاهد السادس والستون بعد المائتين^(١): (الخفيف)

قول المتنبي:

نَحْنُ رَكْبٌ^(٢) يَلْجَأُ^(٣) فِي زِيِّ نَاسٍ فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُحُوصُ الْجَمَالِ^(٤)

وهو من قصيدة قالها في مدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي^(٥)

ومطلعها:

صِلَّةُ الْهَجْرِ لِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ نَكْسَانِي فِي السُّقْمِ^(٦) نَكْسَ الْهَلَالِ^(٧)

(١) الدلائل، رضا: ٣٣٣، خفاجي: ٤٠٤، شاکر: ٤٣٤.

(٢) رواية سر الفصاحة والمفتاح والإيضاح وشرح أبيات الإيضاح: «نَحْنُ قَوْمٌ»

ورواية «مواهب الفتح»: «نَحْنُ جُنٌّ بَرَزْنَا فِي زِيِّ نَاسٍ»

(٣) يريد «مِنَ الْجِنِّ» فحذف النون.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري: ١٩٤/٣، العرف الطيب: ٣٣٨/٤،

الخصائص: ٣٠٢، الوساطة: ٢٨٤، الإنابة عن سرقات المتنبي: ١١٤، سر الفصاحة:

١٠٦، المفتاح: ١٥٨، الإيضاح: ٤١٦/٢، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -:

رقم الشاهد (٣٥٢)، وشروح التلخيص «مواهب الفتح»: ٦٦/٤، «عروس الأفراح»:

٦٧/٤.

(٥) لم أقف له على ترجمة بعد.

(٦) السُّقْمُ والسُّقْمُ: المرض وهما لغتان فصيحتان. الصحاح «سقم»: ١٩٤٩/٥.

(٧) نَكَسْتُ الشيءَ أَنْكَسُهُ نَكْسًا: قلبته على رأسه فَأَنْتَكَسَ، وَنَكَسْتُه تَنْكِيسًا، وَالتَّكْسُ «بالضم»: =

وقبل الشاهد:

وَلَحْتَفٍ فِي الْعِزِّ يَذْنُو مُحِبٍ وَلَعُمَرِ يَطُولُ فِي الذَّلِّ قَالِي^(١)

وبعده الشاهد وبعده:

مِنْ بَنَاتِ الْجَدِيلِ تَمْشِي بِنَا فِي الْبَيْدِ (م) مَشْيَ الْأَيَّامِ فِي الْأَجَالِ^(٢)

استشهد به الشيخ على أن الاستعارة ليست نقل اسم عن شيء إلى شيء ولكنها أدعاء معنى الاسم لشيء، فالاستعارة إما أن تنفي عن المشبه اسم جنسه، فتقول: ليس هو آدمياً وإنما هو ملك.

أو هو عدم إرادة إخراج الشيء عن جنسه جملة فتقول هو ملك في صورة آدمي، وعلى القول الأخير خرج قول المتنبي، فبالغ وأدعى أن ركه ركب من الجن في صدور الأمور العجيبة منهم قد تزيوا بزي الناس، وأدعى أن جمالهم تخيل للناظر في سرعتها أنها طير على الحقيقة، لكنها في شكل الجمال، قال الشيخ:

«واعلم أن العقلاء بنوا كلامهم، إذا قاسوا وشبهوا، على أن الأشياء تستحق الأسماء لخواص معانٍ هي فيها دون ما عداها، فإذا أثبتوا خاصة شيء لشيء، أثبتوا له اسمه، فإذا جعلوا «الرجل» بحيث لا تنقص شجاعته عن شجاعة الأسد، ولا يعدم منها شيئاً قالوا: «هو أسد»، وإذا وصفوه بالتناهي في الخير والخصال الشريفة، أو بالحسن الذي يَبْهَرُ قالوا: «هو ملك» وإذا وصفوا الشيء بغاية الطيب قالوا: «هو مسك» وكذلك الحكم أبداً. ثم إنهم إذا استقصوا في ذلك نفوا عن المشبه اسم جنسه فقالوا: «ليس هو بإنسان، وإنما هو أسد» و«ليس هو آدمياً»

عَوْدُ الْمَرِيضِ بَعْدَ النَّقْهِ، وَالنُّكْسُ «بضم النون»، الاسم «وبفتحها»: المصدر والمعنى: كنت صحيح الجسم كامل الخلق، فنكسني وصل الهجر، وبعد الوصال إلى أن أعادني إلى السقم، كما يعاد الهلال إلى المحاق بعد تمامه. الصحاح «نكس»: ٩٨٦/٣، لسان العرب «نكس»: ٢٤٣/٦. شرح العكبري للديوان: ١٩١/٣.

(١) الديوان بشرح العكبري: ١٩٣/٣.

(٢) المصدر السابق: ١٩٤/٣.

وإنما هو ملك» كما قال الله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا كَرِيمٌ﴾^(١) ثم إن لم يريدوا أن يخرجوه عن جنسه جملةً قالوا: «هو أسد في صورة إنسان» و«هو ملك في صورة آدمي» وقد خرج هذا للمتنبي في أحسن عبارة وذلك في قوله:

..... البيت^(٢)

وإنما لجأ المتنبي لهذه الطريقة من أجل المبالغة في المعنى. قال ابن جني في «باب من غلبة الفروع على الأصول»:

«هذا فصل من فصول العربية طريف تجده في معاني العرب، كما تجده في معاني الإعراب، ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة...

وآخر من جاء به شاعرنا فقال:

نَحْنُ رَكْبٌ مِلْجِنٌ فِي زِيِّ نَاسٍ فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الْجَمَالِ
فجعل كونهم جنّاً أصلاً، وجعل كونهم ناساً فرعاً، وجعل كون مطاياهم طيراً أصلاً، وكونها جمالاً فرعاً فشبّه الحقيقة بالمجاز في المعنى الذي منه أفاد المجاز من الحقيقة ما أفاد^(٣).

وذكر ابن سنان الخفاجي أن ابن جني قد حمل البيت على الكلام المقلوب، وهذا يُفسد المعنى وذكر أنه جعل تقديره نحن ركبٌ من الإنس في زي الجن فوق جمال لها شخوص طير وعلق على ذلك بقوله:

«وهذا عندي تعسف من أبي الفتح لا تقود إليه ضرورة، ومراد أبي الطيب المبالغة على حسب ما جرت به عادة الشعراء، فيقول: نحن قومٌ من الجن لجوبنا الفلاة والمهامة والقفار التي لا تسلك وقلة قرقنا^(٤) فيها، إلا أننا في زي

(١) يوسف: ٣١.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٣٢ - ٣٣٣، خفاجي: ٤٠٤، شاعر: ٤٣٣ - ٤٣٤.

(٣) الخصائص: ٣٠٠/١ - ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٤) الفرق: الجماعة. اللسان «فرق»: ٣٢٢/١٠.

الإنس، وهم على الحقيقة كذلك، ونحن فوق طير من سرعة إبلنا، إلا أن شخوصها شخوص الجمال، ولا شك أيضاً في ذلك»^(١).

ولقد ذكرت آنفاً رأي ابن جني في البيت، وأنه بناء على المبالغة، وجعل كونهم جنأ أصلاً، فهو على خلاف ما أورده ابن سنان عن ابن جني.

وفي البيت لطيفة بلاغية أحيت الإشارة إليها وهي الحذف في قوله «ملجن»، فيبدو لي أن سر الحذف هنا يرجع إلى أن الشاعر يتحدث عن موقف غريب، وهو كونهم جنأ، فالحذف هنا يزيد من غرابة الموقف، ويضفي عليه نوعاً من الغموض، أو لأن الشاعر تحدث عن وجه كونهم جنأ، وهو سرعة صدور الأفعال منهم، فَحَذَفَ النون يرمز إلى تلك السرعة.

الشاهد السابع والستون بعد المائتين^(٢): (الكامل)

قول لبيد^(١):

وَعَصَاةٌ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ^(٣) وَقِرَّةٌ إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا^(٤)»^(٥)

(١) سر الفصاحة: ١٠٦.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٣٤، خفاجي: ٤٠٦، شاکر: ٤٣٧.

(٣) وقد أعاد الشيخ الاستشهاد بالبيت على نفس الموضع.

انظر الدلائل، رضا: ٣٥٤، خفاجي: ٤٢٤، شاکر: ٤٦٠ - ٤٦١.

(٤) رواية الديوان والعمدة: «قد وزعت».

ورواية البديع لابن المعتز، والدلائل تحقيق خفاجي، شاکر، ورواية الإيضاح وشرح أبيات الإيضاح: «قد كشفت».

(٥) جعل الشيخ عبد القاهر، الضمير هنا، والضمير في أصبحت عائداً إلى «الغداة»، وجعله الزمخشري عائداً للقرة.

ورأى الخطيب القزويني أن ما ذهب إليه الزمخشري أظهر.

ويبدو أن قول الزمخشري هو الأفضل كما قال الخطيب لأن المراد أن القرة، وهي البرد الشديد، قد عم جميع النواحي والجهات حتى كأنها بعير زمامه في يد ربح الشمال، فهي تذهب بها في نواحيها المختلفة.

(٦) انظر البيت في:

شعر لبيد بن ربيعة: ٤٣، ديوان لبيد بن ربيعة العامري: ٢٢٨، البديع لابن المعتز: ١١، =

وهو من قصيدة. مطلعها:

عَفَّتِ الدَّيَّارُ مَحَلُّهَا فَمَقَامُهَا بِمَنَى^(١) تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا^(٢)

وقبل الشاهد:

بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدُّجَاجَ بِسُحْرَةٍ لِأَعْلَى مِنْهَا حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا

وبعده الشاهد وبعده:

بِضُبُوحٍ صَافِيَةٍ وَجَذْبِ كَرِينَةٍ^(٣) بِمُوتَرٍ^(٤) تَأْتَالُهُ^(٥) إِنْهَامُهَا

استشهد به الشيخ على أن القول بأن الاستعارة هي: «تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل» فتكون بذلك صفة للفظ - تعريف غير جامع، لأن هناك نوعاً من الاستعارة لا ينطبق عليه هذا التعريف لأنه لا يتصور تقدير النقل فيه ألبتة. وعلى ذلك يسقط القول بأن الاستعارة صفة للفظ قال الشيخ:

رسائل ابن المعتز: ١٠، الوساطة: ٣٤، بديع القرآن: ١٨، الموازنة - ت: محي الدين عبد الحميد - ١٨، العمدة: ٢٦٩، الصناعتين: ٣١٤، الإيضاح: ٤٤٤/٢، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (٣٩٢)، شروح التلخيص: «عروس الأفراح»: ١٥٤/٤ عقود الدرر: ٥١ ب.

(١) مِنَى: هو جبل أحمر عظيم، ليس بالحمى جبل أطول منه، وهو يُشرف على ما حوله من الجبال، وفي أصله ماء لبني زُبَّان في أرض غَنِيٍّ، وَمِنَى عن يسار طريق أهل البصرة إلى مكة للمُصَيْدِ. معجم ما استعجم: ٨٧٧/٣/٢.

غول: جبل داخل الحمى في غربي جبل جَلِيت، وله هضاب خُمُسٌ يُدْعَى هَضَبَاتِ غُول. معجم ما استعجم: ٨٧٦/٣/٢.

(٢) الرَّجَامُ: جبل آخر مستطيل في الأرض بناحية طخفة ليس بينه وبينها إلا طريقٌ يُدْعَى الْغُرْجَ وهو طريق أهل أضاح إلى ضرية، وبين الرَّجَامِ وضرية ثلاثة عشر ميلاً ونحوها، وفي أصل الرَّجَامِ ماء عذب لبني جعفر. معجم ما استعجم: ٨٧٧/٣/٢.

(٣) الكرينة: المغنية الضاربة بالعود أو الصنج. التاج «كرن»: ٣٢٠/٩.

(٤) بِمُوتَرٍ: أي بعود ذي أوتار. معجم مقاييس اللغة «وتر»: ٨٣/٦.

(٥) تَأْتَالُهُ: تصلحه. اللسان «أتل»: ٩/١١.

«واعلم أنه قد كثر في كلام الناس استعمال لفظة «النقل» في «الاستعارة»، فمن ذلك قولهم: «إنَّ الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وُضِعَتْ له في أصل اللغة على سبيل النقل».

وقال القاضي أبو الحسن: «الإستعارة ما اُكْتُفِيَ منه بالاسم المستعار عن الأصلي، ونُقلت العبارة فجُعِلت في مكان غيرها»^{(١)(٢)}.

فرد الشيخ على ذلك ببيت الشاهد، وأنه لا يتصور تقدير النقل فيه ألبته فلا نستطيع أن نزع أن لفظ «اليد» قد نقل عن شيء إلى شيء، وذلك لأنه ليس المعنى على أنه شبه شيئاً باليد، فنزعم أنه نقل لفظ «اليد» إليه، وإنما المعنى المراد هو إثبات أنَّ الشمال في تعريفها «الغداة» على طبيعتها شبه الإنسان قد أخذ يقلب الأمور، ويصرفها بيديه كيف شاء، فلما أثبت لها فعل الإنسان باليد استعار لها «اليد».

قال الشيخ:

«واعلم أن في «الاستعارة» ما لا يُتَصَوَّر تقدير النقل فيه ألبته وذلك مثل قول لبيد: وَغَدَاةٍ رِيحٍ...»

لا خلاف في أن «اليد» استعارة، ثم إنك لا تستطيع أن تزعم أن لفظ «اليد» قد نقل عن شيء إلى شيء. وذلك أنه ليس المعنى على أنه شبه شيئاً باليد، فيمكنك أن تزعم أنه نقل لفظ «اليد» إليه، وإنما المعنى على أنه أراد أن يُثَبَّتَ للشَّمال في تعريفها «الغداة» على طبيعتها، شبه الإنسان قَدْ أَخَذَ الشَّيْءَ بيده يقلبه ويصرفه كيف يريد، فلما أثبت لها مثل فعل الإنسان باليد، استعار لها «اليد» وكما لا يمكنك تقدير «النقل» في لفظ «اليد» كذلك لا يمكنك أن تجعل الاستعارة فيه من صفة اللفظ. ألا ترى أنه مُحَال أن تقول: إنه استعار لفظ «اليد» للشَّمال؟ وكذلك سبيل نظائره، مما تجدهم قد أثبتوا فيه للشَّيء عُضْواً من أَعْضَاءِ

(١) الوساطة: ٤١.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٣٣، خفاجي: ٤٠٥، شاکر: ٤٣٤.

الإنسانه من أجل إثباتهم له المعنى الذي يكون في ذلك العضو من الإنسان...»^(١).

وهكذا يثبت الشيخ أن الاستعارة ليست نقل الاسم عن الشيء إنما هي ادعاء معنى الاسم للشيء، وأن ما قالوه من أنها نقل للعبارة عما وضعت له كلام قد تسامحوا فيه، قال الشيخ:

«... فقد تبين من غير وجه أن «الاستعارة» إنما هي ادعاء معنى الاسم للشيء. لا نقل الاسم عن الشيء. وإذا ثبت أنها ادعاء معنى الاسم للشيء علمت أن الذي قالوه من «أنها تعليق للعبارة على غير ما وضعت له في اللغة، ونقل لها عمّا وضعت له» كلام قد تسامحوا فيه؛ لأنه إذا كانت «الاستعارة» ادعاء معنى الاسم، لم يكن الاسم مزالًا عمّا وضع له. بل مُقرأ عليه»^(٢).

واستشهد الشيخ بالبيت في أسرار البلاغة على الاستعارة المفيدة مبيناً صورة هذه الاستعارة، وأنها قائمة على التخيل والوهم والتقدير في النفس، فعنده أن الاستعارة المفيدة إما أن تكون اسماً أو فعلاً، فإذا كانت اسماً فإنه يقع مستعاراً على قسمين:

الأول: أن تنقله عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم فتجريه عليه، وتجعله متناولاً له تناول الصفة مثلاً للموصوف، وذلك قولك: «رأيت أسداً» وأنت تعني رجلاً شجاعاً.

الثاني: أن يؤخذ الاسم عن حقيقته، ويوضع موضعاً لا يبين فيه شيء يشار إليه، فيقال هذا هو المراد بالاسم، والذي استعير له، وجعل خليفة لاسمه الأصلي ونائباً منابه.

وجاء بالبيت شاهداً على هذا القسم، فقد جعل للشمال يداً ومن المعلوم

(١) الدلائل، رضا: ٣٣٤، خفاجي: ٤٠٦، شاكر: ٤٣٥ - ٤٣٦.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٣٥، خفاجي: ٤٠٧، شاكر: ٤٣٧.

أن ليس هناك مشار إليه يمكن أن تجري اليد عليه^(١)، ثم قال:
«بل ليس أكثر من أن تخيل إلى نفسك أن الشمال في تصريف الغداة على
حكم طبيعتها كالمُدبّر المصرف لما زمامه بيده، ومقادته في كفّه، وذلك كله لا
يتعدى التخيل والوهم والتقدير في النفس من غير أن يكون هناك شيء يُحسّ،
وذاً تتحصل، ولا سبيل لك إلى أن تقول: كنى باليد عن كذا، وأراد باليد هذا
الشيء، أو جعل الشيء الفلاني يداً كما تقول: كنى بالأسد عن زيد وعنى به
زيداً، وجعل زيداً أسداً، وإنما غايتك التي لا مُطلع وراءها أن تقول: أراد أن
يُثبت للشمال في الغداة تصرفاً كتصرف الإنسان في الشيء يقلّبه فاستعار لها اليد
حتى يبالغ في تحقيق الشبه، وحكم الزمام في استعارته للغداة حكم اليد في
استعارتها للشمال إذ ليس هناك مشار إليه يكون الزمام كناية عنه، ولكنّه وفي
المبالغة شرطها من الطرفين فجعل على الغداة زماماً، ليكون أتم في إثباتها
مصرفاً كما جعل للشمال يداً ليكون أبلغ في تصييرها مصرفاً»^(٢).

فالشيخ عبد القاهر يرى أن في هذه الصورة استعارة واحدة حصلت لا من
التشبيه ذاته؛ لأنه لا معنى لأن تقول: «إذ أصبح شيء مثل اليد للشمال» إنما
حصلت الاستعارة من إضافة اليد للشمال.

فالشاعر جعل الشمال كذي اليد من الأحياء، ولم يرد أن يجعل شيئاً كاليد،
أما دور التشبيه هنا فإنه وقع كالمناسبة التي يعتمد عليها الخيال في إثبات
الاستعارة. قال الفخر الرازي ملخصاً رأي الشيخ:-

«وأما الثاني» فعندما تكون جهة الاشتراك وصفاً إنما يثبت كما له في
المستعار منه بواسطة شيء آخر فيثبت ذلك الشيء للمستعار مبالغة في إثبات ذلك
المشترك»^(٣).

(١) أسرار البلاغة - هـ ريت - ٤٢ - ٤٣.

(٢) أسرار البلاغة - هـ ريت - ٤٣ - ٤٤.

(٣) نهاية الإيجاز: ٩٥.

أما رأي الشيخ بالتفصيل فهو:

«يفصل بين القسمين أنك إذا رجعت في القسم الأول إلى التشبيه الذي هو المغزى من كل استعارة تفيد وجدته يأتيك عفواً، كقولك في «رأيت أسداً» رأيت رجلاً «كالأسد» أو «رأيت مثل الأسد» أو «شبيهاً بالأسد»، وإن رُمته في القسم الثاني، وجدته لا يأتيك تلك المؤاتاة إذ لا وجه لأن تقول: «إذ أصبح شيء مثل اليد للشمال»، أو «حصل شبيه باليد للشمال»، وإنما يترأى لك التشبيه بعد أن تخرق إليه سترًا، وتعمل تأملًا وفكرًا، وبعد أن تغيّر الطريقة، وتخرج عن الحد الأول كقولك: «إذ أصبحت الشمال، ولها في قوة تأثيرها في الغداة شَبُّ المالك تصريف الشيء بيده، وإجراؤه على موافقته، وجذبُه نحو الجهة التي تقتضيها طبيعته، وتنحوها إرادته» فأنت كما ترى تجد الشبه المنتزع هنا - إذا رجعت إلى الحقيقة ووضعت الاسم المستعار في موضعه الأصلي - لا يلقاك من المستعار نفسه بل مما يضاف إليه، ألا ترى أنك لم تُرد أن تجعل الشمال كاليد ومشبهة باليد كما جعلت الرجل كالأسد، ومشبهًا بالأسد، ولكنك أردت أن تجعل الشمال كذي اليد من الأحياء، فأنت تجعل في هذا الضرب المستعار له - وهو نحو الشمال - ذا شيء، وغرضك أن تثبت له الحكم من يكون له ذلك الشيء في فعل أو غيره لا نفس ذلك الشيء فاعرفه»^(١).

والملاحظ أن الشيخ لم يصرح بمصطلح الاستعارة التخيلية، وإنما يفهم من قوله: «ليس أكثر من أن تخيل إلى نفسك أن الشمال في تصريف الغداة على حكم طبيعتها كالمُدبّر المَصْرُف لما زمامه بيده، ومقادته في كفّه، وذلك كله لا يتعدى التخيل والوهم»^(٢).

وكذلك لم يصرح الشيخ بالاستعارة المكنية، وإن كان الذين جاؤوا بعده استضاؤوا بكلامه عند تقسيم الاستعارة إلى تصريحية ومكنية، وقد مهد لذلك الفخر الرازي، وإن لم يذكر الاصطلاحين. قال:

(١) الأسرار هـ ريت: ٤٤ - ٤٥.

(٢) المصدر السابق: ٤٤.

«اعلم أن الاستعارة تارة تعتمد نفس التشبيه وتارة لوازمه» فالأول: ما إذا اشترك شيان في وصف وأحدهما أنقص من الآخر، فيعطى الناقص اسم الزائد مبالغة في تحقيق ذلك الوصف له كقولك رأيت أسداً، وأنت تعني رجلاً شجاعاً وعنت لنا ظبية، وأنت تريد امرأة «وأما الثاني» فعندما تكون جهة الاشتراك وصفاً إنما يثبت كماله في المستعار منه بواسطة شيء آخر، فيثبت ذلك الشيء للمستعار له مبالغة في إثبات ذلك المشترك كقوله:

وَعَدَاةٍ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقِرَّةٍ قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا^(١)

ولقد استشهد الخطيب القزويني بالبيت في الإيضاح. وكان موافقاً للشيخ في أن إثبات اليد للشمال تخيلية والظاهر أنه ناقل عنه قال الخطيب: «قد يضمن التشبيه في النفس، فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه، ويُدلُّ عليه بأن يُثبت للمشبه أمرٌ مختص بالمشبه به، من غير أن يكون هناك أمرٌ ثابت حساً أو عقلاً أجري عليه اسم ذلك الأمر فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنياً عنها، وإثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخيلية والعلم في ذلك قول لبيد:

وَعَدَاةٍ رِيحٍ البيت^(٢)

فإنه جعل للشمال يداً، ومعلوم أنه ليس هناك أمرٌ ثابت حساً أو عقلاً تجري اليد عليه، كإجراء الأسد على الرجل الشجاع، ... ولكن لما شبه الشمال - لتصريفها القِرَّةَ على حكم طبيعتها في التصريف - بالإنسان المصرف لما زمامه بيده، أثبت لها يداً على سبيل التخييل، مبالغة في تشبيهها به، وحكم الزمام في استعارته للقِرَّة - حكم اليد في استعارتها للشمال، فجعل للقِرَّةَ زماماً؛ ليكون أتم في إثباتها مُشْرِفةً، كما جعل للشمال يداً؛ ليكون أبلغ في نصيرها مُتَصَرِّفةً، فوفى المبالغة حقها من الطرفين^(٣).

وقد ذهب السكاكي إلى خلاف ما ذهب إليه الشيخ، فالاستعارة التخيلية عنده هي اللفظ المستعمل في صورة وهمية اخترعها الخيال لتلائم لازم المشبه

(١) نهاية الإيجاز: ٩٤ - ٩٥.

(٢) الإيضاح: ٤٤٤/٢ - ٤٤٥.

به، فاليد في قول لبيد مستعارة من معناها الحقيقي إلى شيء متوهم ومتخيل في الشمال يشبه اليد في الإنسان، وكان لبيداً اجتهد في أن يشكل الشمال في شكل إنسان ويجري عليها أحواله وصفاته. قال السكاكي:

«هي - أي الاستعارة التخيلية - أن تسمي باسم صورة متحققة صورة عندك وهمية محضة تقدرها مشابهة لها مفرداً في الذكر في ضمن قرينة مانعة عن حمل الاسم على ما يسبق منه إلى الفهم من كون مسماه شيئاً متحققاً وذلك مثل أن تشبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس وانتزاع أرواحها بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار، ولا رقة لمرحوم، ومساس بقيا على ذي فضيلة تشبيهاً بليغاً حتى كأنها سبع من السباع فيأخذ الوهم في تصويرها في صورة السبع واختراع ما يلزم صورته ويتم بها شكله من ضروب هيات وفنون جوارح، وأعضاء وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتيال السبع للنفوس بها وتماثل افتراسه للفرائس بها من الأنياب والمخالب ثم تطلق على مخترعات الوهم عندك أسامي المتحققة»^(١).

ذكر ابن المعتز في رسائله أن أحسن استعارة اشتمل عليها بيت واحد من الشعر قول لبيد:

وَعَدَاةٌ رِيحٍ البيت^(٢)

ومعنى الشاهد: أراد الشاعر أن يصف نفسه بالكرم البالغ والجود النادر لذا وصف نفسه بالكرم في الوقت الذي يشتد فيه القحط، وقد وصفه بأنه أشد الأوقات وأصعبها على الناس، فكم من غداة تهب فيها الشمال وهي أبرد الرياح قد كفَّ بجوده عادية البرد عن الناس، وذلك بنحر الجزر، وتوفير المؤونة لهم.

وبالغ في وصف الشمال بالشدة بأنه أثبت لها يداً ليدل على شدة تحكمها وتسلط بردها، وانتشاره في جميع النواحي وكذلك أثبت الزمام لها، أو للقرة.

(١) مفتاح العلوم: ١٥٩ - ١٦٠.

(٢) رسائل ابن المعتز: ١٠.

الشاهد الثامن والستون بعد المائتين^(١): (الطويل)

إِذَا هَزَّهُ^(٢) فِي عَظَمِ قِرْنٍ^(٣) تَهَلَّلَتْ نَوَاجِذُ أَفْوَاهِ الْمَنَابِيا الضُّوَاكِ^(٤)

ذكره الشيخ من غير عزو، وأشاد إلى أنه من أبيات الحماسة، وهو لتأبط شراً^(٥)، في ابن عم له يصفه بركوب الأهوال، وبذل الأموال.

وأول الأبيات:

إِنِّي لَمُهْدٍ مِنْ نَنَائِي فَقَاصِدٌ بِهِ لَابِنِ عَمِّ الصَّدْقِ شَمْسِ بْنِ مَالِكٍ

وقبل الشاهد:

إِذَا حَاصَ^(٦) عَيْنِيهِ كَرَى^(٧) النَّوْمَ لَمْ يَزَلْ لَهُ كَالِيٍّ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانَ^(٨) فَاتِكَ

(١) الدلائل، رضا: ٣٣٥، خفاجي: ٤٠٦، شاکر: ٤٣٦.

(٢) الضمير يعود إلى سيفه.

(٣) قِرْنٍ: أي المثل والكفؤ، هو قِرْنَه في السن، وقِرْنَه في الحرب، القِرْن بالفتح مثلك في السن، وبالكسر: مثلك في الشجاعة. أساس البلاغة «قرن»: ٣٦٤.

(٤) انظر البيت في:

الحماسة - ت: عسيلان - : ٧٦/١ رقم (١٣)، الحيوان: ٢٥٦/٦، العقد الفريد: ٣٣٧/٢، أمالي القاضي: ١٣٨/٢، نقد الشعر: ٨٩، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٦٩١/٢، زهر الأداب: ٣٥٨/٢، سمط اللالي: ٧٦٢/٢، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٤٩/١.

(٥) هو ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير الفهمي، من مضر (١٠٠ - ٨٠ ق هـ) وأمه امرأة يقال لها أميمة، يقال أنها من بني القين بطن من فهم، وهو شاعر عداء من فتاك العرب في الجاهلية، كان من أهل تهامة، شعره فحل، وسمي تأبط شراً لأنه أخذ سيفاً تحت إبطه فُسِّلَتْ أمه عنه فقالت: تأبط شراً وخرج، وقيل إنه لُقِّبَ به حين تأبط جراباً ملأه أفاعي. انظر ترجمته:

الأغاني: ١٢٧/٢١ - ١٧٣، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٣٧/١ - ٤١، شرح شواهد المغني: ٥١/١ - ٥٢، خزانة الأدب (دار صادر): ٦٦/١، ٣٥٨/٣، ٤٦٧، المحجر: ١٩٦ - ١٩٧، الأعلام: ٩٧/٢.

وذكر في الحماسة - ت: عسيلان - أن الأبيات تنسب لتأبط شراً وغيره.

(٦) رواية نقد الشعر: إذا خاط، وخَاصَّ بمعنى خاط، حاص الثوب يَحْصُهُ حَوْصاً وَحِيَاَصَةً: خاطه. اللسان «حوص»: ١٨/٧.

إِذَا طَلَعَتْ أُولَى الْعَدِيِّ فَنَفَرُهُ إِلَى سَلَةِ مِنْ صَارِمِ الْغَرْبِ بَاتِكِ

وبعدهما الشاهد وبعده:

يَرَى الْوَحْشَةَ الْأَنْسَ الْأَنْيَسَ وَيَهْتَدِي بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ^(٣) الشَّوَابِكِ^(٤)

وجاء في نقد الشعر أن بعد بيت الشاهد قوله:

قَلِيلُ التَّشْكِي لِلْمُهْمِّ يُصِيبُهُ رَجِيبٌ مُنَاخِرِ الْعِيسِ سَهْلُ الْمُبَارِكِ^(٥)

الشاهد فيه كسابقه.

ففي البيت استعارة تخيلية، فإنه لما جعل المنايا تضحك جعل لها الأفواه والنواجذ التي يكون الضحك فيها، فلا يمكن أن يقال أنه استعار لفظ «النواجذ» ولفظ «الأفواه»؛ لأن ذلك يوجب أن يكون في المنايا شيء يشبه الأفواه والنواجذ وهذا محال.

قال الشيخ:

«... فأنت الآن لا تستطيع أن تزعم في بيت الحماسة أنه استعار لفظ «النواجذ» ولفظ «الأفواه» لأن ذلك يُوجب المحال وهو أن يكون في المنايا شيء قد شبهه بالنواجذ، وشيء قد شبهه بالأفواه، فليس إلا أن تقول: إنه لما ادعى أن المنايا تُسَرُّ وتُسْتَبْشِرُ إذا هو هَزَّ السيف، وجعلها لسرورها بذلك تضحك أراد أن

(٧) الكرى: النوم، والكرى النعاس. اللسان «كرا»: ٢٢١/١٥.

(٨) شيحان؛ الشيحان والشائح والشيخ: الحازم الحذر. اللسان «شيخ»: ٥٠١/٢.

(١) أم النجوم: المَجْرَّة. الصحاح «أمم»: ١٨٦٣/٥.

(٢) الشوابك: المشتبكة شبكت النجوم واشتبكت وتشابكت: دخل بعضها في بعض، واختلطت، وكذلك الظلام. اللسان «شيك»: ٤٤٧/١٠.

(٣) انظر الأبيات في:

الحماسة «ت - عسيلان»: ٧٥/١ - ٧٦، نقد الشعر ٨٨ - ٨٩.

يُبَالِغُ فِي الْأَمْرِ، فَجَعَلَهَا فِي صُورَةٍ مِنْ يَضْحَكُ حَتَّى تَبْدُو نَوَاجِذُهُ مِنْ شِدَّةِ السَّرُورِ^(١).

ومعنى الشاهد:

أراد الشاعر أن يصف ممدوحه بالشجاعة المتناهية، والبطولة التي لا تُدَانِي، فذكر أن ممدوحه إذا سَقَطَ سيفه على عَظْمٍ شَجَاعٍ مِثْلَهُ كَانَ ذَلِكَ إِذَاناً بِالْقَضَاءِ عَلَيْهِ، وَلَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَفْرَحَ الْمَنَايَا وَتَهْتَلِلَ سُرُوراً لِهَذَا النَصْرِ الْعَظِيمِ، وَبَالِغٍ فِي تَصْوِيرِ انْتِصَارِهِ هَذَا حَيْثُ شَبِهَ الْمَنَايَا بِالْإِنْسَانِ الضَّاحِكِ الْمُسْتَبْشِرِ، وَلَمَّا كَانَ مِنْ مُسْتَلْزِمَاتِ الضَّحْكِ ظُهُورُ النَوَاجِذِ اسْتَعَارَهَا لِلْمَنَايَا، لِلْمَبَالِغَةِ فِي تَصْوِيرِ شِدَّةِ فَرَحِهَا.

قال التبريزي في شرح البيت:

«قوله في عظم قرن إيدان بأنه لا يتعرض له إلا من يقاربه بأساً وشدة، ونسبة التهلل إلى النواجذ مجاز وسعة، وهذا كما يقال سُرُّ فلان بكذا حتى صار كل سن له ضحك، وقد سمي ما يبدو من الأسنان عند الضحك الضواحك وقوله: إذا هزَّه في عظم قرن أي إذا هزه وضربه به ضحك الموت، وهو مثل فكأنه قال إذا هزه لعظم قرن، وقد تقام حروف الصفات بعضها مقام بعض إذا لم يشكّل ويحتمل أن يكون المراد أنه إذا ضربه به نشب في عظمه، فهزه فيه أي حركه ليتخلص منه والتهلل الضحك، شبه بتهلل البرق ولمعانه وهو خلاف قوله والموت خزيان ينظر^(٢)».

الشاهد التاسع والستون بعد المائتين^(٣): (الطويل)

المتنبي:

خَمِيسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ رَحْفُهُ

(١) الدلائل، رضا: ٣٣٥، خفاجي: ٤٠٧، شاکر: ٤٣٧.

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٤٨/١ - ٤٩.

(٣) الدلائل، رضا: ٣٣٥، خفاجي: ٤٠٦، شاکر: ٤٣٦.

والبيت من قصيدة قالها في مدح سيف الدولة الحمداني، ومطلعها:
عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ^(١)

وقبل الشاهد:

أَتَوْكَ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ سَرَوْا بِجِيَادِ مَالِهِنَّ قَوَائِمُ
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ يُيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ^(٢)

وبعدهما البيت وبعده:

تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لِسَنٍ وَأُمَةٍ فَمَا تُفْهِمُ الْحُدَاثَ إِلَّا التَّرَاجِمُ^(٣)
الشاهد فيه كسابقه.

فإنه لا يمكن الزعم، بأن المتنبي قد استعار لفظ «الأذن» لأن ذلك يوجب أن يكون في الجوزاء شيء أريد تشبيهه بالأذن. وهذا محال.

فالقصد أنه لما جعل الجوزاء تسمع أثبت لها «الأذن» التي يكون بها السمع من الإنسان. قال الشيخ:

«لما جعل» الجوزاء «تسمع» - على عادتهم في جعل النجوم تعقل، ووصفهم لها بما يُوصَف به الأناسي - أثبت لها «الأذن» التي بها يكون السمع من الأناسي»^(٤).

= (٤) الزمزمة: صوت خفي لا يكاد يُفْهِم، والزمزمة صوت الرعد المتتابع، والزمزمة أيضاً الصوت البعيد تسمع له دوي. اللسان «زمم»: ٢٧٤/١٢.

(٥) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

الديوان بشرح العكبري: ٣٨٤/٣.

(١) الديوان: ٣٧٨/٣.

(٢) الديوان: ٣٨٤/٣.

(٣) الديوان: ٣٨٥/٣.

(٤) الدلائل، رضا: ٣٣٥، خفاجي: ٤٠٧، شاکر: ٤٣٦.

وقال:

«... لا تستطيع أن تزعم أن المتنبي قد استعار لفظ «الأذن»، لأنه يوجب أن يكون في «الجوزاء» شيء قد أراد تشبيهه بالأذن، وذلك من شنيع المحال»^(١).

ومعنى الشاهد:

أن هذا الجيش لكثرتة وعظمه قد ملأ الأفاق، فسمع له ضجيج ودوي عظيم بلغ أذن الجوزاء، وهذه الأصوات لشدتها زمازم لا تبين ولا تفسر. جاء في التبيان للعكبري:

«المعنى: يقول: هذا الجيش لكثرتة قد عمَّ الشرق والغرب، وبلغ صوتهم الجوزاء، وخصَّها بالذكر من سائر البروج؛ لأنها على صورة الإنسان، هذا قول الواحدي.

وقال أبو الفتح: لو كان لها أذن سمعت بها، والمعنى: أن هذا الجيش لعظم أمره، وكثرة أهله قد ملأ ما بين الشرق والغرب، وفي أذن الجوزاء من أصوات أهله زمازم لا تفسر، وأخلاق لا تبين، وأشار بهذا أن الأصوات تبلغ السماء بكثرتها، وتقطع أبعد المسافات بشدتها، ولم نسمع في وصف جيش مثل هذا»^(٢).

(البسيط)

الشاهد السبعون بعد المائتين^(٣):

قوله:

فَأَسْبَلْتُ^(٤) لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ^(٥) وَرَدًّا وَعَظَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ^(٦)

(١) المصدر السابق، رضا: ٣٣٥، خفاجي: ٤٠٧، شاکر: ٤٣٧.

(٢) البيان في شرح الديوان: ٣٨٤/٣.

(٣) الدلائل، رضا: ٣٤٥، خفاجي: ٤١٦، شاکر: ٤٤٩.

(٤) رواية الديوان وخاص الخاص، والمثل السائر «أمطرت»، ورواية ديوان الصبابة: =

وذكره الشيخ من غير عزو. وهو للوأاء الدمشقي^(١).

والبيت ثاني أبيات أربعة وقبلة:
قَالَتْ وَقَدْ فَتَكْتُ فِينَا لَوَاحِظَهَا كَمْ ذَا؟ أَمَا لِقَتِيلِ الْحُبِّ مِنْ قَوْدِ^(٢)

وبعده الشاهد وبعده:
إِنْسِيَّةٌ لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَيْهَا يَوْمًا عَلَى أَحَدِ
كَأَنَّمَا بَيْنَ غَابَاتِ الْجُفُونِ لَهَا أَسْدُ الْجَمَامِ مُقِيمَاتٍ عَلَى الرُّصْدِ^(٣)

استشهد به الشيخ على أن المزية في الاستعارة هي في إثبات شدة الشبه، أي أنَّها ليست في نفس المعنى الذي يقصد إليه المتكلم، والذي يوجب نقل معنى لفظ إلى معنى لفظ آخر، ولكن في طريق إثباته للمعنى وتقريره إيَّاه، فبلاغة الاستعارة لا تكون في المثبت وإنما في الإثبات.

= «فأمطرت»، ورواية أمالي المرتضى، والدلائل تحقيق خفاجي وشاكر: «وأسبلت»، ورواية تزيين الأسواق: «واستمطرت».

(٥) ورد في الدلائل تحقيق شاكر:

«وسقمت» بزيادة ميم واعتقد أنه خطأ مطبعي.

(٦) الديوان: ٨٤. ديوان المعاني: ٢٥٦/١ - نسب للمحدثين -، يتيمة الدهر: ٢٧٥/١، خاص الخاص: ١٥٠، أمالي المرتضى: ١٣٠/٢، سر الفصاحة: ١٠٩ - من غير عزو -، فوات الوفيات: ٢٤٠/٣، المثل السائر: ٧٥/٢، تحرير التحبير: ١٦٤/١، تزيين الأسواق: ٢٢٨، ديوان الصبابة: ٦٩، الكشكول: ٤/٣/٢.

(١) الوأواء الدمشقي: هو محمد بن أحمد الفسَّاني الدمشقي أبو الفرج المعروف بالوأواء (١٠٠ - نحو ٣٨٥ هـ) شاعر مطبوع، حلو الألفاظ، في معانيه رقة، كان مبدأ أمره منادياً بدار البطيخ في دمشق له ديوان شعر مطبوع.

انظر ترجمته:

يتيمة الدهر: ٢٧٢/١ - ٢٨٢، فوات الوفيات: ٢٤٠/٣ - ٢٤٥، الأعلام: ٣١٢/٥.

(٢) ديوانه: ٨٣.

(٣) ديوانه: ٨٥.

قال الشيخ :

«واعلم أنه قد يهجنس في نفس الإنسان شيء يَظُنُّ من أجله أنه ينبغي أن يكون الحكم في المزية التي تحدث بالاستعارة، أنها تحدث في المُشَبَّ دون الإثبات، وذلك أن تقول: إِنَّا إِذَا نظرنا إلى «الاستعارة» وجدناها أنما كانت أبلغ من أجل أنها تدل على قُوَّة الشبه، وأنه قد تَنَاهَى إلى أن صار المُشَبَّ لا يَتَمَيَّز عن المشبه به في المعنى الذي من أجله شُبَّ به. وإذا كان كذلك كانت المزية الحادثة بها حادثة في الشَّبه، وإذا كانت حادثة في الشَّبه كانت في المُشَبَّ دون الإثبات.

والجواب عن ذلك أن يقال: إن الاستعارة، لَعَمْرِي، تقتضي قُوَّة الشَّبه، وكونه بحيث لا يَتَمَيَّز عن المُشَبَّ به، ولكن ليس ذاك سبب المزية، وذلك لأنه لو كان ذاك سبب المزية، لكان ينبغي إذا جئت به صريحاً، فقلت «رأيت رجلاً مساوياً للأسد في الشجاعة، وبحيث لولا صورته لظننت أنك رأيت أسداً، وما شاكل ذلك من ضروب المبالغة، أن تجد لكلامك المزية التي تجدها لقولك: «رأيت أسداً» وَلَيْسَ يخفى على عاقل أن ذلك لا يكون»^(١) ثم قال:

«... فانت الآن إذا نظرت إلى قوله:

فَأَسْبَلْتُ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجَسٍ...

فرايته قد أفادك أن «الدَّمْع» كان لا يحرم^(٢) من شَبَّه اللؤلؤ، و«العَيْن» من شبه النرجس - شيئاً، فلا تَحَسِّنْ أن سبب الحُسْنِ الذي تراه فيه، والأريحية التي تجدها عنده، أنه أفادك ذلك فحسب، وذلك أنك تستطيع أن تجيء به صريحاً فتقول: «فأسبلت دمعاً كأنه اللؤلؤ بعينه، من عين كأنها النرجس حقيقة»، ثم لا ترى من ذلك الحسن شيئاً. ولكن اعلم أن سبب أن راقك، وأدخل الأريحية

(١) الدلائل، رضا: ٣٤٤، خفاجي: ٤١٥، شاعر: ٤٤٨ - ٤٤٩.

(٢) وفي تحقيق شاعر: «لا يَحْرُم».

عليك، أنه أفادك في إثبات شدة الشبه مزية، وأوجدك فيه خاصّة قد غرّز في طبع الإنسان أن يرتاح لها، ويجد في نفسه هزة عندها»^(١).

وهذا البيت عدّه المرتضى في أماليه من التشبيه قال:

«وأما تشبيه خمسة بخمسة فقول الوأواء الدمشقي...»^(٢).

وكذلك عدّه ابن سنان الخفاجي من التشبيه وليس هو عنده باستعارة. قال: «وليس يقع الفرق عندي بين التشبيه والاستعارة بأداة التشبيه فقط؛ لأن التشبيه قد يرد بغير الألفاظ الموضوعية له، ويكون حسناً مختاراً، ولا يعدّه أحد في جملة الاستعارة لخلوه من آلة التشبيه، ومن هذا قول الشاعر^(٣):

سَفَرْنَ بُدُوراً وَانْتَقَيْنَ أَهْلَةً وَمِسْنَ غُضُونِناً وَالتَفَتْنَ جَاذِرَا

وقول الآخر:

وَأَسْبَلَتْ لَوْلُؤاً مِنْ نَرْجِسٍ فَسَقَتْ وَرَدّاً وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

وكلاهما تشبيه محض، وليس باستعارة. وإن لم يكن فيهما لفظ من ألفاظ التشبيه، وإنما^(٤) «الفرق بين الاستعارة والتشبيه ما حكيناه أولاً»^(٥).

والظاهر أن ابن سنان قد خلط في مقاله هذه بين التشبيه والاستعارة وخرج عن الحد الذي وضعه في الفرق بينهما فقول الوأواء:

وَأَسْبَلَتْ لَوْلُؤاً..

(١) الدلائل، رضا: ٣٤٥، خفاجي: ٤١٥ - ٤١٦، شاعر: ٤٥٠.

(٢) أمالي المرتضى: ١٣٠/٢.

(٣) هو أبو القاسم الزاهي.

(٤) يقصد بقوله ما حكيناه أولاً ما ذكره من رأي الرماني في الفصل بين الاستعارة والتشبيه حيث ذكر أن الفرق هو «أن التشبيه على أصله لم يغير عنه في الاستعمال، وليس كذلك الاستعارة؛ لأن مخرج الاستعارة مخرج ما ليست العبارة له في أصل اللغة». سر الفصاحة: ١٠٩.

(٥) سر الفصاحة: ١٠٩ - ١١٠.

جعله تشبيهاً، وهو في الحقيقية استعارة؛ لأن لفظ «أَسْبَلْتُ» خرج مخرج ما ليست العبارة له في أصل اللغة، فالمراد باللؤلؤ هنا «الدمع» فجاء بالمشبه به وحذف المشبه وهكذا النرجس والورد والعناب، فأدخل صور الاستعارة في التشبيه.

وكذلك عدّه الثعالبي من التشبيه قال:

«هذا البيت مما أحسن فيه، وضمنه خمس تشبيهات بغير أداة التشبيه»^(١) وقال في خاص الخاص «أبو الفرج الوأواء من عجائبه أنه خَمَسَ مَا رَبَّعَ أَبُو نَوَاسٍ من التشبيهات في بيت واحد فقال: ... البيت»^(٢).

وكذلك عدّه ابن أبي الإصبع من التشبيه، ووازن بينه وبين بيت أبي نواس: تَبْكِي فَتُذْرِي الدَّرَّ مِنْ نَرْجَسٍ وَتَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَابٍ
فذكر أن بيت الوأواء هو عين بيت أبي نواس إلا أن بيت أبي نواس ثبت له الفضل بالسبق إلى نفس المعنى، ونفس التشبيه. قال:

«وعندي أن بيت الوأواء هو عين بيت أبي نواس، وإنما حصلت فيه زيادة التشبيه لاتساع وزنه، فثبت الفضل لبيت أبي نواس بالسبق إلى نفس المعنى، ونفس التشبيه، واعلم أن زيادة التشبيه بما زاد في بيت أبي الفرج الوأواء عن اللفظ لاتساع الوزن»^(٣).

وعدّه ابن الأثير من الاستعارة؛ لأنه إذا أظهر التشبيه صار البيت ضرباً من الكلام الغث المستكره. قال:

«وقد عَلِمَ وتحقق أن من الواجب في حكم الفصاحة والبلاغة ألا يظهر المستعار له، وإذا أظهر ذهب ما على الكلام من الحُسن والرونق.

(١) يتيمة الدهر: ٢٧٥/١.

(٢) خاص الخاص: ١٥٠.

(٣) تحرير التحبير: ١٦٤/١.

ألا ترى أنَّا إذا أوردنا هذا البيت الذي هو:
فَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجَسٍ وَسَقَتْ وَرْدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

وجد عليه من الحُسن والرُّونق ما لا خفاء به، وهو من باب الاستعارة، فإذا أظهرنا المستعار له صرنا إلى كلام غث، وذلك أنَّنا نقول: «فأمطرت دمعاً كاللؤلؤ من عين كالنرجس وسقَّت خدّاً كالورد، وعضَّت على أنامل مخضوبة كالعُناب بأسنان كالبرد، وفرَّق بين هذين الكلامين للمتأمل واسع»^(١).

وهذا البيت قد استحسنته النقاد القدماء - كما رأينا - حتى أن أبا هلال العسكري رأى أنه أجمع بيت قيل^(٢).

إلا أن ناقدنا المعاصر الدكتور شوقي ضيف رأى أن بيت الوأواء الدمشقي مليء بالاستعارات الساذجة التي لا حياة ولا حركة فيها، وإنما هي ركام من الصور التي لا تثير شعوراً ولا تطرب إحساساً، قال بعد أن ذكر بيت الوأواء الدمشقي:

«فإنك تراه يملأ بيته بالاستعارات إذ استعار اللؤلؤ للدمع، والنرجس للعين، والورد للخد، والعُناب للأصابع، والبرد للأسنان ولكن كأن هذه الاستعارات لا تثير فينا شيئاً من اللذة الفنية التي كنا نشعر بها في أثناء القرنين الثاني والثالث، وأنظر إلى أصل هذا البيت عند أبي نواس:

يَا قَمَرًا أَبْرَزَهُ مَاتَمٌ يَنْدُبُ شَجَوًا بَيْنَ أَتْرَابِ
يَبْكِي فَيَذِرِي السُّرَّ مِنْ نَرْجَسٍ وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ

فإنك ترى الوأواء يأخذ ناحية التشبيه من أبي نواس دون أن يأخذ معها ما فيها من حياة وحركة، وبذلك غدا التشبيه كأنه جامد، فالشاعر لا يُشيع فيه شيئاً من الحركة، إنما شيء واحد هو الذي يهتم به، وهو هذا الركام من الصور التي لا نحس فيها شعوراً، فقد تحجَّرت في التاريخ، وأصبحت تراثاً محفوظاً في

(١) المثل السائر: ٧٥/٢.

(٢) ديوان المعاني: ٢٥٦/١.

الفن، ولا بد للشاعر إذا كان يريد أن يستخدمها من أن يعيد لها حياتها وشعورها
أما أن يأتي بها على هذا النظام، فإننا نحس بثقل التعبير، وأنه لا يكاد ينهض بما
يحملة، وكأنني بهذه الصور المحفوظة من اللؤلؤ والنجس والعُنب والبرد والورد
إذا وضعناها متلاصقة على هذا النحو تعبر تعبيراً أوسع من المعنى الذي أراد
الشاعر، وماذا يريد أن يقول؟ إنه يقول إن صاحبتة بكت وَعَضَتْ أَنَامِلَهَا، ولكنه
أبى إلا أن يشق على نفسه في تعبيره حتى يُرضي ذوق عصره من تصنعه وتكلفه
فجعل البكاء أمطاراً والدموع لؤلؤاً والعين نرجساً والخد ورداً والبنان عُنباً والأسنان
برداً، وما فائدة الزمن؟ وما الرقي الذي أصابه الشعر في القرن الرابع إن لم
يجنح الشاعر إلى مثل هذا التعقيد في صورة؟ وإنه لرقى معكوس أن يشق الشاعر
على نفسه في التعبير على هذا النمط، فإذا بالبيت لا يعبر إلا عن تعقيد في
التصوير والخيال»^(١).

الشاهد الواحد والسبعون بعد المائتين^(٢): (السريع)

قول أبي نواس:

تَبْكِي (٣) فَتُذْرِي (٤) الدُّرَّ عَنْ نَرْجِسٍ (٥) وَتَلْطِمُ (٦) الوردَ (٧) بِعُنبٍ (٨)

(١) الفن ومذاهبه: ٢٨٥.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٤٥، خفاجي: ٤١٦، شاکر: ٤٥٠.

(٣) رواية المنصف في نقد الشعر والعمدة: «يبكي».

(٤) رواية الديوان والعمدة وديوان المعاني (٣٧): «فيذري».

ورواية ديوان المعاني (٢٤٥)، وخاص الخاص، وأحسن ما سمعت:

«فيلقي الدُّرَّ من»

ورواية رسائل الثعالبي «فتلقي».

(٣) رواية المنصف: «الدمع».

ورواية تحرير التجبير «فتذري الطلَّ من نَرْجِسٍ».

(٥) رواية المنصف: «من عينه».

ورواية أمالي المرتضى: «من طرفها».

وذكر ابن رشيق في العمدة أن هناك من يرويه: «فيذري الدُّرَّ من جفنه».

(٦) رواية ديوان المعاني: (٣٧): «الوجه».

والشاهد أحد أبيات قالها أبو نواس حين رأى صاحبه جنان، وهي تلطم خديها^(١).

وقبل الشاهد:
يَا قَمْرًا أَبْرَزُهُ^(٢) مَاتُمْ يَنْدُبُ^(٣) شَجَوًا بَيْنَ أَثْرَابِ

وبعد الشاهد:
لَا تَبْكِ مَيْتًا حَلَّ فِي حُفْرَةٍ وَأَبْكِ قَتِيلًا لَكَ بِالسَّبَابِ
أَبْرَزُهُ الْمَاتُمْ لِي كَارِهًا بِرَغَمِ دَايَاتٍ وَحُجَابِ
لَا زَالَ مَوْتًا دَابُّ أَحْبَابِهِ وَلَمْ تَزَلْ رُؤْيُهُ دَايِي

الشاهد فيه كسابقه، فليست بلاغة الاستعارة في أنه نقل لفظ الدر إلى الدمع، والنرجس للعين، والورد للخد، والعناب للإصبع، وإنما في طريقة توكيد الحكم، فالشاعر هنا يصف محبوبته حال البكاء، وحتى في هذه الحالة التي يكون الإنسان فيها في حالة غير محببة، نراه يصف محبوبته بأرق المعاني والطفها مبالغة في وصفها بكمال الحسن، فتخيل الدمع وهو ينحدر من عينيها الدر في

= (٧) انظر البيت في:
الديوان: ٢٤٢، البديع لابن المعتز: ٧٤، الوساطة: ٣٨، ديوان المعاني: ٣٧، ٢٥٤،
المنصف في نقد الشعر: ١٩٨، رسائل الثعالي: «دار صعب»: ١٦١، خاص الخاص:
١١١، أحسن ما سمعت: ٩٧، أمالي المرتضى: ٢٥٥/٢، العملة: ٢٩٣/١، تحرير
التجوير: ١٦٤/١.

(١) جاء في شرح الديوان:
«وحدث أن مات بعض آل عبد الوهاب الثقفي، فذهب أبو نواس إلى دار قريبة من منازل
الثقفيين، وأطل منها على الماتم ليرى جنان وهي تلطم خديها وفي يدها خضاب، وقد راعه
اللؤلؤ المتحدر من عيناها على خدين من ورد».

(٢) رواية ديوان المعاني ورسائل الثعالي، وخاص الخاص، وأحسن ما سمعت: «يا قمرًا أَبْصُرْتُ
في».

(٣) رواية رسائل الثعالي: «تندب».

حسنه، والعين في صفاتها وجمالها النرجس بعينه، وتخيل خدها عند الندب الورد
في حمرة، ولون الأصابع العناب في روعة لونه.

ذكر ابن المعتز أن من محاسن الكلام «حسن التشبيه»، وذكر منه بيت
الشاهد.

قال:

«ومن عجائب التشبيه قوله^(١) أيضا (من السريع):
تَبْكِي فَتَذْرِي الدُّرَّ عَنْ نَرْجِسٍ وَيَلْطُمُ الْوَرْدَ بِعُنَابٍ^(٢)
وقد أعجب بهذا البيت واستحسنه سفيان بن عيينة^(٣).

جاء في خاص الخاص (في عجائب الشعر والشعراء):

«وقال عمر بن شبة قال سفيان بن عيينة لرجل من أهل البصرة قد أحسن
والله أبو نواسكم في قوله:

يَا قَمَرًا أَبْصَرْتُ فِي مَائِمٍ يَنْدُبُ شَجَوًا بَيْنَ أَتْرَابِ
يَبْكِي فَيُلْقِي الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَيَلْطُمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ
وإذا أعجب به سفيان مع زهده وورعه فما الظن بغيره^(٤).

(١) أي أبو نواس.

(٢) كتاب البديع - ابن المعتز - ٧٤.

(٣) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي (ت: ١٩٨ هـ) بمكة،
وهو أحد الزهاد، وكان من الحفاظ المتقين وأهل الورع والدين، ثقة، ثبت.
انظر ترجمته:

تاريخ الثقات: ١٩٤ - ١٩٥، رقم (٥٧٧)، مشاهير علماء الأمصار: ١٤٩ - ١٥٠، كتاب
الثقات: ٤٠٣/٦، ذكر أسماء التابعين: ١٦٥/١، ١٠٣/٢، الكاشف: ٣٠١/١، تهذيب
التهذيب: ١١٧/٤ - ١٢٢، تقريب التهذيب: ٣١٢/١ رقم (٣١٨).

(٤) خاص الخاص: ١١١.

ولقد ذكر أبو هلال في ديوان المعاني أن بيت أبي نواس مأخوذ من قول
الأسود بن يعفر^(١):
يَسْعَى بِهَا^(٢) ذُو تَوَمَتَيْنِ^(٣) مُقَرَّطُ^(٤) قَنَاتٍ^(٥) أَنَامِلُهُ مِنَ الْفِرْصَادِ^(٦) ^(٧)

(١) هو الأسود بن يعفر النهشلي الدارمي التميمي، أبو نهشل، وأبو الجراح
(... نحو ٢٢ ق هـ) شاعر جاهلي من سادات تميم من أهل العراق، كان فصيحاً جواداً
نادم النعمان بن المنذر، ولما أسن كف بصره، ويقال له «أعشى بني نهشل» له ديوان شعر
مطبوع جمعه الدكتور: نوري حمودي القيسي.
انظر ترجمته:

الشعر والشعراء: ٢٦١/١، ٢٦٢. طبقات فحول الشعراء: ١٤٧/١، سمط اللالي:
٢٤٨/١، نهاية الأرب: ٦٦/٣، خزانة البغدادي - دار صادر: ١٩٥/١، الأعلام:
٣٣٠/١.

(٢) الهاء في قوله «بها» تعود على سُلَافَةٍ ذكرها في بيت قبله، وهو:
وَلَقَدْ لَهَوْتُ وَلِلشَّبَابِ بَشَاشَةٌ بِسُلَافَةٍ مُزَجَّتْ بِمَاءِ غَوَادِي
والسلافة أول الخمر، والغواضي جمع غادية وهي السحابة التي تأتي غدوة. اللسان
«فرصد»: ٣٣٤/٣.

(٣) التومة: الحبة من الدُر. اللسان «فرصد»: ٣٣٤/٣.

رواية ديوان المعاني: «ذو تومتين».

رواية اللسان والتاج: «ذو نومتين».

(٤) القرط: القباء وهو تعريب كُرْتِه (أي الثوب). اللسان (قرط): ٣٢٣/١٠.
ورواية الديوان: «مُشَمَّر».

رواية جمهرة اللغة والصناعتين: «كأنما».

رواية ديوان المعاني «مقرط».

رواية أساس البلاغة واللسان والتاج: «منطق».

(٥) قنات: قنأ الشيء يَقْنَأُ قَنْوَأً: اشْتَدَّتْ حُمْرَتُهُ. اللسان «قنأ»: ١٣٤/١.

(٦) الفرصاد: العنب أو التوت وهو الأحمر منه، والفرصاد الحُمْرة. اللسان «فرصد»: ٣٣٣/٣.

(٧) انظر البيت في:

ديوانه: ٢٩، جمهرة اللغة: ٢٨٧/٣، ديوان المعاني: ٢٥٤/١، أساس البلاغة: ٣٧٨،

اللسان: «قنأ»: ١٣٤/١، «فرصد»: ٣٣٣/٣، التاج «فرصد»: ٤٥١/٢.

قال: «أجود ما قيل في الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول
الأسود بن يعفر:

يَسْعَى بِهَا ذُو تُوْمَتَيْنِ...

فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبي نواس:

يَا قَمَرًا أَبْصَرْتُ فِي مَاتَمٍ
يَبْكِي فَيُلْقِي الدُّرَّ مِنْ نَرْجَسٍ

وقال ديك الجن^(١):

وَدَّعْتُهَا لِفِرَاقٍ فَاشْتَكَّتْ كَبِيدِي
وَحَاذَرْتُ أُعْيْنَ الرَّاشِينَ وَأَنْصَلَفْتُ
وَشَبَّكَتْ^(٢) يَدَهَا مِنْ لَوْعَةٍ بِيَدِي
تَعْصُ مِنْ غِيْظِهَا الْعُنَابَ بِالْبَرْدِ
بِالدَّمْعِ آخِرَ عَهْدِ الْقَلْبِ بِالْجَلْدِ^(٣)

ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر:

قَالُوا الرَّجِيلُ فَأَسْرَعَتْ أَطْرَافُهَا
فِي خَدِّهَا وَقَدْ اكْتَسَيْنَ خَضَابًا

(١) هو أبو محمد عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام الكلبي الحمصي (١٦١ - ٢٣٥ هـ) من ساكني حمص، وهو من شعراء الدولة العباسية، لُقِّبَ بديك الجن لخروجه إلى البساتين كثيراً ومعاقرة الخمر، وديك الجن: دوية توجد في البساتين، وقيل لُقِّبَ بذلك؛ لأن عينيه كانتا خضراوين، لم يبرح زبوع الشام طوال حياته، وهو استاذ أبي تمام، عشق فتاة نصرانية اسمها «ورد بنت الناعمة» أو «دنيا» كما يذكر ابن خلكان ويعتبر ديك الجن في طليعة شعراء القرن الثالث الهجري، كان يتشيع لأهل البيت فلم يجاره في مدحهم وراثتهم إلا السيد الحميري، وكان ديك الجن ماجناً خليعاً عاكفاً على اللهو، متلافاً لما ورثه، وشعره في غاية الجودة.

انظر ترجمته:

الوزراء والكتاب: ١٠٢، الأغاني: ٥١/١٤ - ٦٨، وفيات الأعيان: ١٨٤/٢ - ١٨٨، حياة الحيوان الكبرى: ٤٩٧/١، الأعلام: ٥/٤، معجم المؤلفين: ٢٢٤/٥/٣.

(٢) رواية الديوان: «إِذْ شَبَّكَتْ».

(٣) ديوانه: ١٣٦، رقم (٣٣).

فَاخْضَرَّ مَوْضِعُ كَفِّهَا فَكَأَنَّهَا غَرَسَتْ بِأَرْضٍ بَنَفْسِجٍ عُنَابًا

وقال الناشئ وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى :

مِنْ كَفِّ جَارِيَةٍ كَأَنَّ بَنَانَهَا مِنْ فِضَّةٍ قَدْ طَرَفَتْ عُنَابًا
وَكَأَنَّ يُمْنَاهَا إِذَا نَطَقَتْ بِهِ يُلْقِي عَلَى يَدِهَا الشَّمَالِ جَابًا^(١)

ورأى الثعالبي أن أحسن ما سُمع في النساء والتشبيب قول أبي نواس^(٢)،
وذكر المرتضى في أماليه أن قول أبي نواس مأخوذ من قول المجنون:
وَيَبْدِي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا قَذَفْتُ بِهِ مِنْ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ^(٣)

قال بعد أن ذكر بيت المجنون:

«وهذا هو الأصل استعاره الناس من بعد، فقال الشاعر^(٤):

النُّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوهُ دَنَّا نَيْرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَمٌ

وأغرب أبو نواس في قوله:

تَبْكِي فِتْذِرِي الدُّرَّ فِي طَرَفِهَا وَتَلْطُمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ^(٥)

وذكره ابن رشيق في تشبيه أربعة بأربعة، وعلق عليه بأنه مليح جداً. قال:

«وقد تقدم أبو نواس فقال:

يَبْكِي فَيُذِرِي الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَيَلْطُمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ

(١) ديوان المعاني: ٢٥٤/١.

(٢) أحسن ما سمعت: ٩٦ - ٩٧.

(٣) ديوان مجنون ليلى: ٦٤.

(٤) البيت للمرقش الأكبر، وهو جاهلي (ت: ٧٥ ق هـ)، فهو إذاً سابق للمجنون «قيس بن

الملوح» ت: ٦٨ هـ، فكيف يكون قد أخذ منه!

يبدو أن الثعالبي لم يكن يعرف قائل البيت مع أن القصيدة مشهورة؟

انظر البيت في:

المفضليات: ٢٣٨، رقم القصيدة (٥٤)، الصناعتين: ٢٧٤.

(٥) أمالي المرتضى: ٢٥٥/٢.

وهذا مليح جداً، سئل ابن منذر: مَنْ أشعر الناس؟ فقال: الذي يقول:

يَا قَمَرًا أَبْصَرْتُ فِي مَاتَمٍ يَنْدُبُ شَجَوًا بَيْنَ أَتْرَابِ
يَيْكِي فَيُذِرِي الدَّرَّ مِنْ نَرْجَسٍ وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ

هذا أشعر الجن والإنس، وقد جاء بالشعر على سجيته - أعني أبا نواس - وشاهد ذلك ظاهر في لفظه، وإلاً فهو قادر أن يجعل مكان الدَّرِّ الطل حتى يتناسب الكلام، لكنه لم يكن يؤثر التصنيع، ولا يراه فضيلة لما فيه من الكلفة، ومن الناس من يرويه كذلك، ومنهم من يرويه «فيذري الدَّرَّ من جفنه»^(١).

وقد قلب بعضهم بيت أبي نواس فقال:

وَأَعْوَرَ أَبْصَرْتُ فِي مَاتَمٍ يَنْدُبُ شَجَوًا بِتَخَالِيطِ^(٢)

ولقد وزن صاحب الوساطة بين بيت أبي نواس، وبيت أبي تمام الذي يقول فيه:

مَلْطُومَةٌ بِالْوَرْدِ أَطْلَقَ دُونَهَا^(٣) فِي الْخَلْقِ فَهَوَ مَعَ الْمُنُونِ مُحَكَّمُ

فقال:

«فسبق أبو نواس بفضل التقدم والإحسان، وحصل هو على نقص السرق والتقصير، لكنه أحسن في بقية البيت فجبر بعض ذلك النقص»^(٤).

ولم يستحسن ناقدنا المعاصر الدكتور شوقي ضيف بيت المتنبي - بيت الشاهد - فرأى أن غرض المتنبي هنا ليس هو التعبير عن صورة وإنما زخرفة وتعقيد هذه الصور، وهذه الصور وإن كانت تحوي شعوراً إلا أنه شعور بغير لذة. قال:

(١) العملة: ٢٩٣/١.

(٢) ديوان المعاني: ٣٧.

(٣) رواية الديوان - دار صعب -: «مظلومة للورد أطلق طرفها»: ٣٥١.

(٤) الوساطة: ٣٨.

«فإنك تحس كأن الشاعر لا يريد أن يعبر عن صورته فقط، وإنما يريد قبل كل شيء أن يعقد في هذه الصور، فتراه يأتي بالقمر وخطوب البان والعنبر والغزال، أما حبه وأما أفكاره نحو صاحبه فكأنني بها لا تعنيه، ولقد كان حرياً بالمتنبي أن يصف لنا اللذة والرغبة والحيرة والانفعالات التي يسببها الحب، ثم يتركنا نرسم الجمال نحن لأنفسنا رسماً خيالياً، لا هذا الرسم الذي يتحكم فيه، والذي لا يعطينا حسه إلا عن طريق هذا التركيب والتعقيد في جلب صورته ووضعها متعاقبة بهذا الشكل الذي قد يحوى شعوراً، ولكنه شعور بغير لذة»^(١).

الشاهد الثاني والسبعون بعد المائتين^(٢): (الوافر)

قول المتنبي:
بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانَ وَقَاحَتْ عَنبَرًا وَرَنْتَ غَزَالًا^(٣)

الشاهد فيه كسابقه، ومعنى الشاهد:

أنها بدت في طلعتها وحسنها قمرًا، ومالت في مشيتها كأنها الغصن الذي يتمايل مع النسيم، وفاحت رائحتها عنبرًا، ونظرت نظرة الغزال، وفي قوله «رنت» من الحسن ما ليس في (نظرت) وبيت الشاهد يستشهد به المتأخرون على التشبيه المفروق وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم آخر وآخر^(٤).

الشاهد الثالث والسبعون بعد المائتين^(٥): (المديد)

قول ابن المعتز:

- (١) الفن ومذاهبه: ٢٨٦.
- (٢) الدلائل، رضا: ٣٤٥، خفاجي: ٤١٦، شاکر: ٤٥٠.
- (٣) سبق الاستشهاد به في فصل المجاز الحكمي.
- انظر الشاهد السادس بعد المائتين ص: ٧٣٦.
- (٤) انظر: التلخيص: ٢٧٣، معاهد التنصيص: ٨٣/٢.
- (٥) الدلائل، رضا: ٣٤٦، خفاجي: ٤١٦، شاکر: ٤٥١.

أَثْمَرْتُ أَغْصَانُ رَاحَتِهِ بِجَنَانٍ^(١) الْحُسْنِ عُنَابًا^(٢)
وهو من قصيدة مطلعها:

جَارَ هَذَا الدُّهْرُ أَوْ آبَا وَقَرَاكَ الْهَمُّ صَابَا
وقبل الشاهد:

غُصْنٌ يَهْتَزُّ فِي قَمَرٍ رَاكِضًا لِلْوَشْيِ سَحَابَا
وبعده الشاهد وبعده:

لَامَهُ فِي الْوُشَاةِ وَكَمْ ذَا مَنِي مِنْهُمْ وَكَمْ عَابَا^(٣)

استشهد به الشيخ على أن حُسن الاستعارة وروعها يظهر كلما ازداد التشبيه خفاءً، فإن ظهر التشبيه قُبُحَتْ. فلو أننا عمدنا إلى البيت وأظهرنا التشبيه وقلنا:
أثمرت أصابع يده التي تشبه الغصن لطلاب الحسن ما يشبه العناب من أطرافها المخضوبة لكان كلاماً، ولذا كان بيت ابن المعتز أحسن من بيت الواواء الدمشقي:

«وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ».

لأن بيت الواواء لم يظهر فيه التشبيه، وإنما يمكن إظهاره بسهولة بخلاف ما جاء في بيت ابن المعتز. قال الشيخ:

واعلم أن من شأن الاستعارة أنك كلما زدت إرادتك التشبيه إخفاءً ازدادات الاستعارة حسناً، حتى أنك تراها أغرب ما تكون إذا كان الكلام قد أُلِفَ تأليفاً إن أردت أن تفصح فيه بالتشبيه خرجت إلى شيء تعافه النفس ويلفظه السمع، ومثال ذلك قول ابن المعتز:

-
- (١) رواية الديوان والدلائل تحقيق شاكر، وكذلك استحسناها الخفاجي في تحقيقه: «الجنة الحسن» والجنة: القاطفون، ويبدو أن هذه الرواية أدق وألطف. لما فيه من زيادة المعنى.
(٢) لم أجده فيما لدي من مصادر إلا في: ديوانه: ٤٠.
(٣) انظر الأبيات في: ديوانه: ٤٠.

أَثْمَرْتُ أَغْصَانُ رَاحَتِهِ بِجَنَانِ الْحُسْنِ عُنَابَا
 ألا ترى أنك لو حملت نفسك على أن تظهر التشبيه، وتفصح به احتجت
 إلى أن تقول: أثمرت أصابع يده التي هي كالأغصان لطالبي الحسن شبيه العناب
 من أطرافها المخضوبة، وهذا ما لا تخفى غثائته من أجل ذلك كان موقع العناب
 في هذا البيت أحسن منه في قوله:

«وَعَضْتُ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ»

وذاك لأن إظهار التشبيه فيه لا يقبح هذا القبح المفرط؛ لأنك لو قلت:
 وعضت على أطراف أصابع كالعناب بثغر كالبرد كان شيئاً يتكلم بمثله، وإن كان
 مردولاً، وهذا موضع لا يتبين سره إلا من كان ملتهب الطبع حادّ القريحة^(١).

الشاهد الرابع والسبعون بعد المائتين^(٢): (الكامل)

قول لبيد:

وَعَدَاةٌ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وَقَرَّةً إِذْ أَصْبَحْتُ بِبِدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا^(٣)
 سبق الاستشهاد به على نفس الموضع عند الشاهد السابع والستين بعد
 المائتين.

الشاهد الخامس والسبعون بعد المائتين^(٤): (الرجز)

«سَقَّتْهُ كَفُّ اللَّيْلِ أَكْؤُسَ^(٥) الْكَرَى^(٦)»

- (١) الدلائل، رضا: ٣٤٦، خفاجي: ٤١٦، شاکر: ٤٥٠ - ٤٥١.
- (٢) الدلائل، رضا: ٣٥٤، خفاجي: ٤٢٤، شاکر: ٤٦٠.
- (٣) انظر: ٨٧٧. من البحث.
- (٤) رواية الدلائل، تحقيق شاکر: «أَكْؤُسَ» وهو جمع كأس، ويجمع أيضاً على كؤوس وكئاس، ويحكى كياس بغير همز، فإن صح ذلك فهو على البدل، قلب الهمزة في كأس ألفاً في نية الواو، فقال كَأَسْ كَنَارٍ ثم جمع كاساً على كياس، والأصل كِؤاس فقلبت الواو ياء للكسرة التي قبلها. اللسان (كأس): ١٩٠/٦.
- (٥) الدلائل، رضا: ٣٥٥، خفاجي: ٤٢٥، شاکر: ٤٦١.
- (٦) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:
 الوساطة: ٢١١ بدون عزو.

ذكره الشيخ من غير نسبة، وذكر هذا الشطر فقط، ونسبه الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي لأبي نواس، وذكر أن هذه النسبة المذكورة في الوساطة، والصحيح أن البيت المذكور في الوساطة من غير عزو^(١).

الشاهد فيه: عاد الشيخ مرة أخرى يدلل ويثبت أن الاستعارة ليست هي نقل لفظ شيء لشيء، فهناك نوع من الاستعارة لا يصح أن يكون المستعار فيه اللفظ ألّبتة، ولا يصح أن تقع الاستعارة فيه إلا على المعنى، وهي ما أطلق عليه الاستعارة التخيلية.

فالشاعر هنا لم يرد أن يشبه شيئاً بالكف، فإنه لما جعل الليل ساقياً جعل له كفاً؛ لأن الساقى إنما يتناول الكأس بالكف. وكذلك «الأكواس»، فإنه لما جعل الكرى كالشراب استعار له الأكواس؛ لأن الشراب إنما يُسقى في الأكواس. قال الشيخ:

«وليس هذا الضرب من الاستعارة بدون الضرب الأول في إيجاب وصف «الفصاحة» للكلام، لا بل هو أقوى منه في اقتضاها، والمحاسن التي تظهر به، والصّور التي تحدث للمعاني بسببه، آنق وأعجب، وإن أردت أن تزدد علماً بالذي ذكرت لك من أمره فأنظر إلى قوله:

سَقَّتْهُ كَفُّ اللَّيْلِ أَكْوَسَ الْكَرَى

وذلك أنه ليس يخفى على عاقل أنه لم يرد أن يشبه شيئاً بالكف، ولا أراد ذلك في «الأكواس»، ولكن لما كان يقال: «سَكَّرُ الْكَرَى»، و«سَكَّرُ النَّوْمِ» استعار للكرى «الأكواس»...

ثم إنه لما كان الكرى يكون في الليل، جعل الليل ساقياً، ولما جعله ساقياً جعل له كفاً، إذ كان الساقى يتناول الكأس بالكف^(٢).

(١) لم أقف على قائله، وقد بحث في ديوان أبي نواس فلم أجده فيه.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٥٥، خفاجي: ٤٢٥، شاکر: ٤٦١.

وذكر القاضي الجرجاني أن معنى الشاهد سرقة آخر، فقال:
 سَقَاهُ الْكَرَى كَأْسَ النَّعَاسِ فَرَأُسُهُ لِدَيْنِ الْكَرَى فِي آخِرِ اللَّيْلِ سَاجِدُ
 فالسرقة عنده قد وقعت؛ لأن الأخذ كان في اللفظ المستعار قال:
 «... بل جميع الشعر كذلك؛ لأن الألفاظ منقولة متداولة، وإنما يدعى
 ذلك في اللفظ المستعار أو الموضوع...»^(١).

الشاهد السادس والسبعون بعد المائتين^(٢): (البسيط)

وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأْسَ النَّعْسَةِ السُّهْرِ^(٣)(٤)

ذكر الشيخ عجز البيت دون الصدر، ومن غير نسبة، وهو لأبي ذَهَبَل
 الجمحي^(٤)، وصدره:

(١) الوساطة: ٢١١.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٥٥، خفاجي: ٤٢٥، شاکر: ٤٦١.

(٣) هذه رواية الحماسة «ت: عسيلان»، وشرح الحماسة للمرزوقي، وشرحها للتبريزي،
 والحماسة البصرية.

ورواية الديوان وأمالى المرتضى: «وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأْسَ النَّشْوَةِ السُّهْرِ».

ورواية الأغاني: «وَقَدْ سَقَاهُمْ بِكَأْسِ الشَّقْوَةِ السُّفْرِ».

ورواية الأشباه والنظائر: «وَقَدْ سَقَاهُمْ بِكَأْسِ النَّشْوَةِ السُّهْرِ».

ورواية إصلاح ما غلط فيه النمرى: «وَقَدْ سَقَاهُمْ بِكَأْسِ النُّومَةِ السُّفْرِ».

(٤) انظر البيت في:

ديوانه؛ ٩٢، الحماسة «تحقيق: عسيلان»: ١٠٢/٢ رقم (٥٥٣)، الأغاني: ١١٨/١٦،

الأشباه والنظائر: ١٥٥/٢، أمالي المرتضى: ١١٨/١، إصلاح ما غلط فيه النمرى: ١٣٣،

الحماسة البصرية: ١٢٧/٢، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٣٥٠/٣ رقم (٥٤٨)،

شرح الحماسة للتبريزي: ١٦٦/٣.

(٥) أبو ذَهَبَل: بفتح «الดาล والباء» هو وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيدة بن خلف بن وهب بن
 حذافة بن جمح، من أشراف بني جمح بن لؤي بن غالب من قريش أحد الشعراء العشاق
 المشهورين من أهل مكة. قال المرتضى: هو «من شعراء قريش، ومنهم جمع إلى الطبع
 التجويد»، وهو شاعر محسن مداح، له مدائح في معاوية، وعبد الله بن الزبير وأخبار كثيرة
 مع عمرة الجمحية، وعاتكة بنت معاوية، في شعره رقة وجزالة، ولأه عبد الله بن الزبير =

أَقُولُ وَالرَّكْبُ قَدْ مَالَتْ عَمَائِمُهُمْ^(١)

وهو من قصيدة أولها:

يَا أَحْسَنَ النَّاسِ لَوْلَا أَنَّ قَائِلَهَا قَدِمَا لِمَنْ يَتَنَبَّي مِسُورَهَا عِيسُرُ

وبعده أبيات قبل الشاهد:

وَأِنَّمَا دَلَّهَا سِحْرُ لَطَالِبِهِ هَلْ تَذْكُرِينَ كَمَا لَمْ أُنْسَ عَهْدَكُمْ
وَأِنَّمَا قَلْبُهَا لِلْمُسْتَكْبِي حَجَرُ وَقَدْ يَدُومُ لِعَهْدِ الْخُلَّةِ الذِّكْرُ

وبعدها الشاهد وبعده:

يَا لَيْتَ أَنِّي بِأَثَوَابِي وَرَاحِلَتِي فَقَدْ أَطْلَتِ اعْتِلَالًا دُونَ حَاجَتِنَا
عَبْدُ لَأَهْلِكَ هَذَا الشَّهْرُ مُوتَجَرُ بِالْحَجِّ امْضِ فَهَذَا الْجِلُّ وَالنَّفَرُ^(٢)

استشهد به الشيخ على أن استعارة الكأس هنا نظيرها قول الشاعر في الشاهد السابق «أكؤس الكرى» فقد شبه السهر بالساقى، وشبه النعسة بالشراب، ولما كان الشراب يستلزم أن يكون له كأس استعار الكأس للنعسة على سبيل الاستعارة التخيلية.

والمعنى كما شرحه المرزوقي:

قوله: «وقد مالت عمائمتهم» يريد لغلبة النوم عليهم، ومجاهدة السير

= بعض أعمال اليمن، توفي بعليب سنة (٦٣ هـ)، وفي معجم البلدان: «عليب موضع بتهامة». انظر ترجمته:

الأغاني: ١١٤/٧ - ١٤٥، المؤلف والمختلف: ١١٧، أمالي المرتضى: ٧٩/١، الشعر والشعراء: ٦١٨/٢، ٦٢١، الموشح: ٦٣، ١٧٢، شرح الشواهد الكبرى للعيني - على هامش خزانة الأدب - دار صادر: ١٤١/١ - ١٤٢، ذيل سمط اللائي: ٨٨/٣، الأعلام: ٥/٣، ١٢٤/٨، ١٢٥.

(١) رواية الأغاني، وإصلاح ما غلط فيه النمري، والحماسة البصرية: «قولي وَرَكْبُكَ قَدْ مَالَتْ عَمَائِمُهُمْ».

(٢) ديوانه: ٩٢ - ٩٣.

والسرى فيهم، ومزاولتهم السهر، حتى كأنهم سقاهم كؤوس النعاس فسكروا^(١).
الشاهد السابع والسبعون بعد المائتين^(٢):
(الطويل)

الحكم بن قنبر^(٣):
وَلَوْلَا^(٤) أَعْتَصَامِي بِالْمُنَى كُلَّمَا بَدَا
وَلَوْلَا أُنْتَظَرِي كُلَّ يَوْمٍ جَدَى غَدٍ
وَقَدْ رَأَيْتِي وَهْنُ الْمُنَى وَأَنْقِبَاضُهَا
لِي الْيَأْسُ مِنْهَا لَمْ يَقُمْ بِالْهَوَى صَبْرِي
لَرَأَحَ بِنَعْشِي الدَّفْئُونَ إِلَى قَبْرِي
وَبَسَطَ جَدِيدُ الْيَأْسِ كَفِّهِ فِي صَدْرِي^(٥)

الشاهد فيه كسابقه وموضعه قوله:
وَبَسَطَ جَدِيدُ الْيَأْسِ كَفِّهِ فِي صَدْرِي

فإنه لما شبه اليأس في غلبته على نفسه بالشخص المتمكن من الشيء
القادر عليه، وكانت اليد في الإنسان هي موضع الإمساك بالشيء، استعار الكفين
لليأس.

وهذه الأبيات هي نفثة شاعر يعيش بين الرجاء واليأس وإن كان اليأس

-
- (١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٣٥١/٣.
(٢) الدلائل، رضا: ٣٥٥، خفاجي: ٤٢٥، شاکر: ٤٦٢.
(٣) هو الحكم بن معمر بن قنبر بن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب،
وهو شاعر إسلامي، وكان مع تقدمه في الشعر سجعاً كثير السجع، وكان هجاءً خبيث
اللسان، وكان بينه وبين الرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة مهاجرة ومواقف، وهو متأخر
أدركه الأصمعي، توفي سنة (١٥٠ هـ).
انظر ترجمته:
الأصمعيات: ٣٢، ٣٣، الأغاني: ٢٦٢/٢، ٢٦٣، الموشح: ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١، سمط
اللاللي: ١٦/١، تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٤٠٧/٤، ٤٠٩، معجم الأدباء: ٢٤٠/١٠ -
٢٤٥، الخزانة للبغدادي - دار صادر: ٢٠٤، الأعلام: ٢٦٧/٢.
وذكر الأستاذ خفاجي أنه توفي سنة (٢٠٧ هـ) وأنه كان يتهاجى ومسلم بن الوليد، ولم يذكر
على أي شيء اعتمد في ترجمته هذه.
(٤) رواية الدلائل تحقيق رضا: «لو اعتصامي».
(٥) لم أقف على الأبيات فيما اطلعت عليه من مصادر.

يغلب عليه، وهي أسوأ حالة يكون فيها أمثاله يعتصم بالأمانى في مواجهة اليأس، ويمسك عليه حياته رجاءه في الغد، ولكن اليأس المتجدد يتمكن من نفسه فما أشقاه!

قال الشيخ :

«ليس المعنى على أنه استعار لفظ الكفين لشيء ولكن على أنه أراد أن يصف اليأس بأنه قد غلب على نفسه، وتمكن في صدره، ولما أراد ذلك وصفه بما يصفون به الرجل بفضل القدرة على الشيء، وبأنه متمكن منه وأنه يفعل فيه كل ما يريد كقولهم: قد بسط يديه في المال ينفقه ويصنع فيه ما يشاء، وقد بسط العامل يده في الناحية وفي ظلم الناس: فليس لك إلا أن تقول أنه لما أراد ذلك جعل لليأس كفين، واستعارهما له فأما أن توقع الاستعارة فيه على اللفظ فمما لا تخفى استحالاته على عاقل»^(١).

الشاهد الثامن والسبعون بعد المائتين^(٢) : (الرجز)

فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى هَمِّي^(٣)

استشهد به الشيخ على أن المجاز كالاستعارة بل هو أدل في إثبات أن الفصاحة والبلاغة للمعاني لا للألفاظ، فلا يمكن الزعم أن المجاز أكسب لفظ (نام) ولفظ «الليل» مذاقاً لم يكن لهما من قبل.

قال الشيخ :

والقول في «المجاز» هو القول في «الاستعارة» لأنه ليس هو بشيء غيرها، وإنما الفرق أن «المجاز» أعم من حيث أن كل استعارة مجاز، وليس كل مجاز استعارة.

(١) الدلائل، رضا: ٣٥٥، خفاجي: ٤٢٥، شاعر: ٤٦٢.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٥٦، خفاجي: ٤٢٦، شاعر: ٤٦٣.

(٣) الرجز لرؤية وقد سلف ذكره: ٧٠٦.

وإذا نظرنا من «المجاز» فيما لا يُطلق عليه أنه «استعارة ازداد خطأ القوم قبحاً وشناعة...»

وكذلك يلزم أن يكون السبب في أن كان قول الشاعر:
فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى هَمِّي

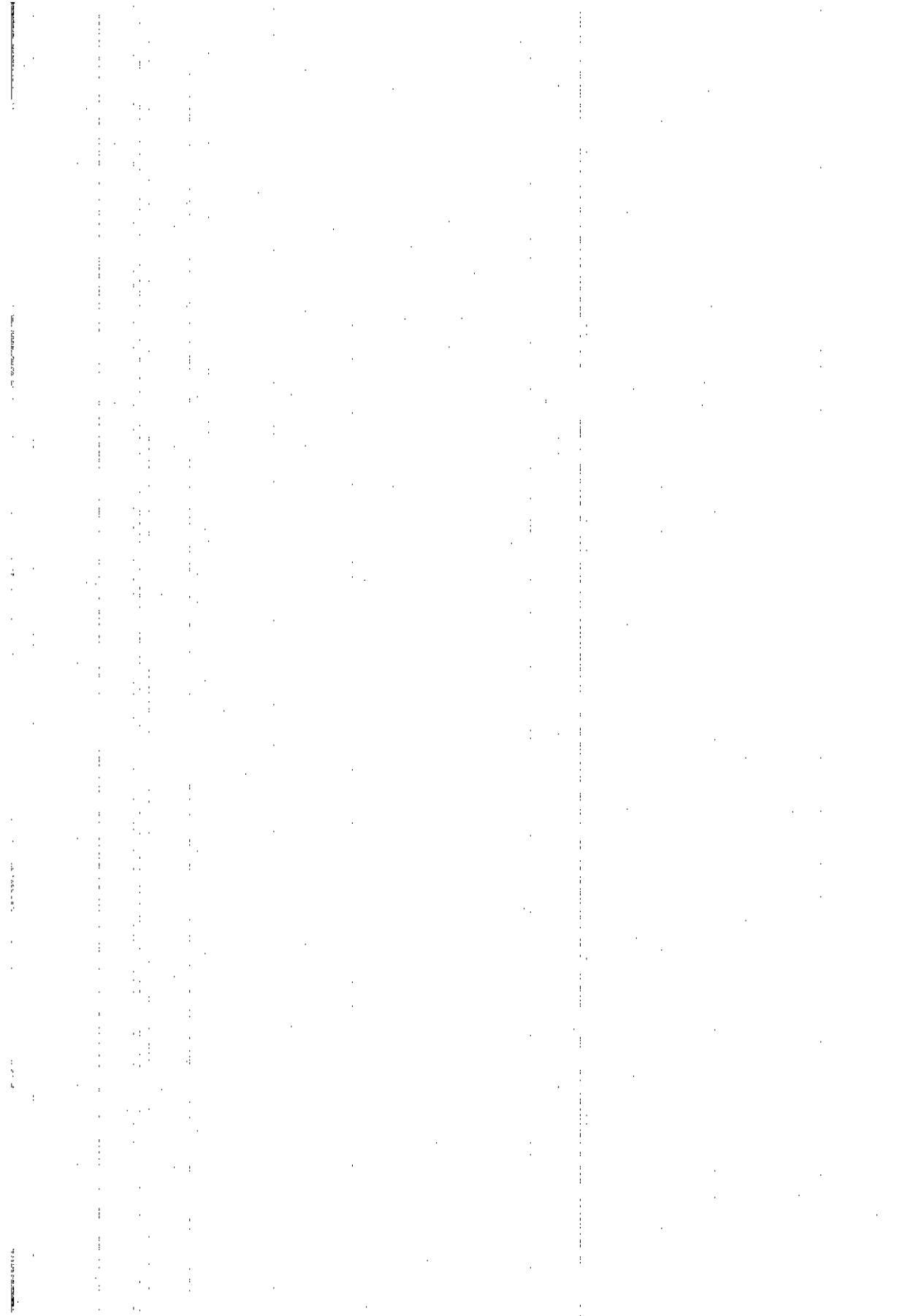
أفصح من قولنا: فَنَمْتُ في ليلي أن كسب هذا المجاز لفظ «نَامَ» ولفظ «الليل» مذاقة لم تكن لهما. وهذا مما ينبغي للعاقل أن يستحي منه وأن يأنف من أن يهمل النظر إهمالاً يؤديه إلى مثله، ونسأل الله تعالى العِصمة والتوفيق»^(١).

الشاهد التاسع والسبعون بعد المائتين^(٢):
(الطويل)

فَقَا نَبَكٍ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ^(٣)

سبق الاستشهاد به على نفس الموضع^(٤).

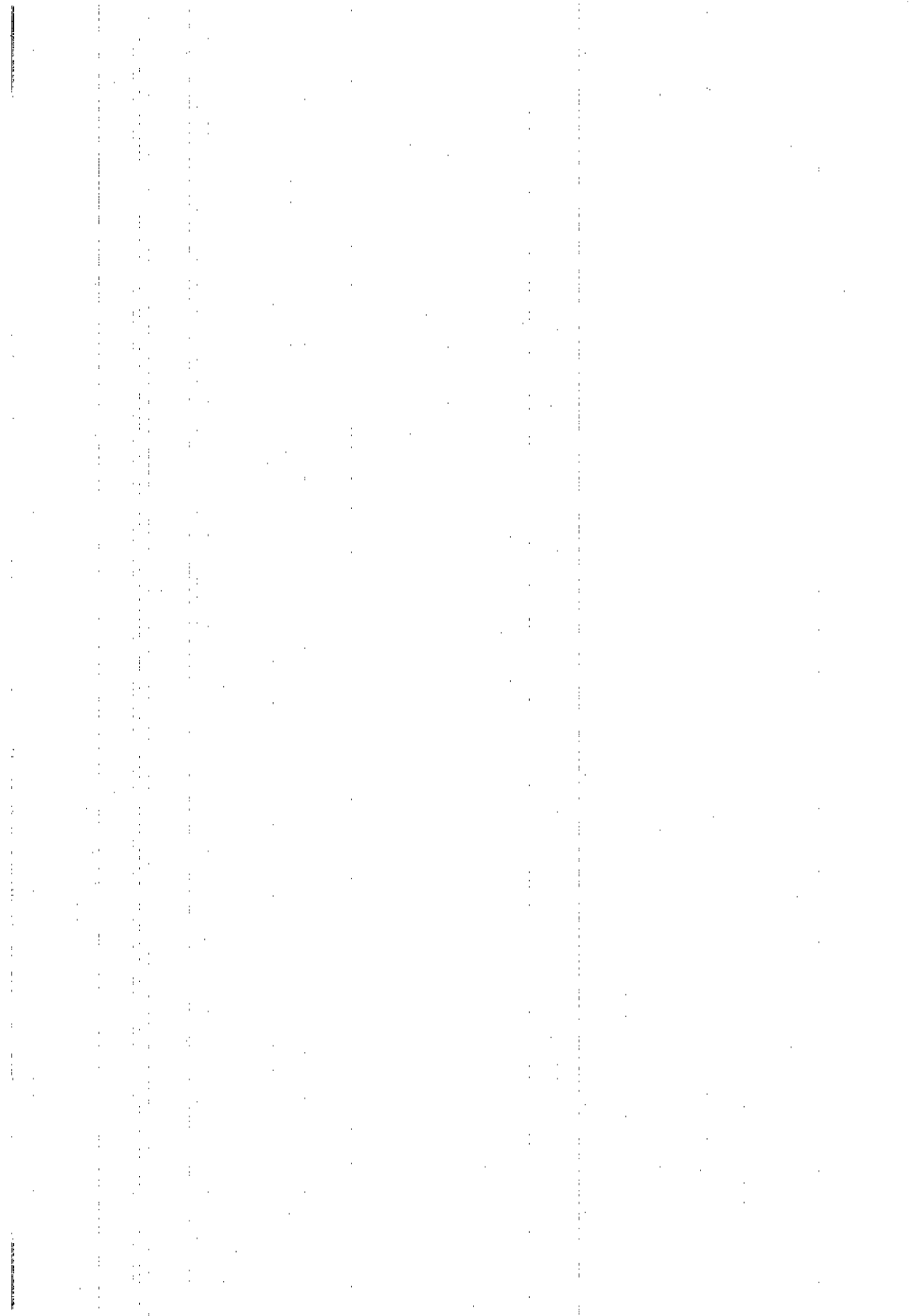
-
- (١) الدلائل، رضا: ٣٥٦، خفاجي: ٤٢٦، شاعر: ٤٦٢ - ٤٦٣.
(٢) الدلائل، رضا: ٣٦٠، خفاجي: ٤٣٠، شاعر: ٤٦٨.
(٣) هذا صدر بيت لامرئ القيس، وقد سبق تخريجه: ٨٣٦.
(٤) انظر: ٨٣٦. من الكتاب.



الفصل الثاني عشر

شواهد الأخذ والسرقة

- أ — الموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المتعدد.
- ب — الموازنة بين الشعرين والإجادة فيهما من الجانبين.
- ج — وصف الشعر والإدلال به.



تمهيد:

إن مشكلة السرقات الأدبية في النقد العربي مشكلة ذات جذور ضاربة في القدم، فقد شغلت حيزاً كبيراً من تفكير واهتمام النقاد القدماء، فتفاوتت جهودهم وآراؤهم في هذه القضية، فلا يعدو جهد بعضهم عن أن يكون مجرد تعليقات خاطفة وملحوظات عابرة كما في كتب الطبقات والتراجم (الشعر والشعراء، طبقات فحول الشعراء) على أن هذه التعليقات لا يستهان بها، فقد مهدت الطريق أمام اللاحقين.

وأول دراسة نقدية قامت حول السرقات نجدها في كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي.

إلا أن أبرز الدراسات الجادة ذات القيمة النقدية العالية نجدها في كتابي «الوساطة» للجرجاني، و«الموازنة» للآمدي، حيث وضعنا حجر الأساس لهذه القضية، فرأى الآمدي أن من المعاني ما هو عام مشترك، وهذا لا تدخله السرقة، ومنها ما هو خاص مبتكر، وهذا ما تكون فيه السرقة، ويحصل فيه الأخذ.

وفُصل القاضي الجرجاني القول في هذه القضية ووسع أبعادها، فجعل للسرقة أنواعاً، وفرق بين كثير من المصطلحات المتشابهة، ورأى أن هناك سرقة ممدوحة، وسرقة مذمومة.

كما فصل القول في المعاني المشتركة، والمعاني الخاصة.

ثم جاء أبو هلال العسكري، وصرح بأن قضية الأخذ والنسخ على منوال الآخرين ليس عيباً، وإنما هو أمر لازم حتمي، وهو باب للمفاضلة بين الناس. قال: «ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم،

والصب على قوالب من سبقهم»^(١).

وقال أيضاً:

«إنما تفاضل الناس في الألفاظ ورصفها، وتأليفها ونظمها»^(٢).

ثم جاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني، وأدار دفة هذه القضية ووجهها، وجهة جديدة، وسلك بها مسلكاً طريفاً كان له أكبر الأثر في النقد العربي.

ونحن لا ننكر أن لابن قتيبة أيضاً فضل السبق في هذا الاتجاه حيث فاضل في كتابه الشعر والشعراء بين كثير من المعاني المتفقة للشعراء، إلا أنه لم يخرج عن ذلك. والفرق بين ابن قتيبة وأبي هلال العسكري، والشيخ عبد القاهر يكمن في أن الشيخ رعى هذه النواة التي وضعها السابقون، وسقاها بفكره حتى ترعرعت، فكانت نظرية فنية، ومقياساً ثابتاً للموازنة، ومعياراً محكماً للمفاضلة بين الشعراء.

ولقد رسم الشيخ نظريته هذه رسماً واضحاً، ووضع لها منهجاً ثابتاً، فرأى أن الاتفاق بين الشاعرين إما أن يكون في الغرض على وجه الجملة والعموم كان يتجه كل منهما إلى وصف ممدوحه بالشجاعة والسخاء، وهذا الأمر لا يكون فيه أخذ ولا سبق.

وإما أن يكون الاتفاق في وجه الدلالة على الغرض، وهذا الاتفاق يكون على وجهين:

— أن يكون مما يشترك الناس في معرفته، وهو مستقر في العقول والعادات، كالتشبيه بالأسد في الشجاعة، وبالبحر في السخاء، فهذا لا أخذ فيه.

— أن يكون مما ينتهي إليه المتكلم بنظر وتدبر، ويناله بطلب واجتهاد، فهذا النوع الذي قد يدّعي فيه التفاضل والسبق.

أما العامي الذي لحقته الصنعة، ورُكِبَ عليه معنى جديد، ودخل إليه من باب الكناية والتعريض، فإنه يصير من قبيل الخاص الذي قد يقع فيه الأخذ^(٣).

(١) الصناعتين: ٢١٧.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) أسرار البلاغة: - هـ، ريتز: ٣١٣ - ٣١٥.

هذا ما مهد به الشيخ لنظريته الفنية الجديدة في السرقات، والتي كانت نتاجاً لنظرية النظم، وذلك بعكس دراسة السابقين لهذه القضية، فقد اعتمدوا فيها على الفصل بين اللفظ والمعنى، وقد عاب الشيخ في كتابه الدلائل نظرتهم هذه، فرأى أنه قد يتحد الغرض، ولكن لا يمكن أن يتحد تركيب الصورة؛ لأن لكل شاعر أسلوبه وشخصيته المميزة، ومن هنا فلا سرقة، وإنما تأثير اللاحق بالسابق في معنى صيغ في قالب جديد، وفي هذه الصياغة الجديدة تقع المفاضلة والممايزة بين المؤثر والمتأثر.

قال الشيخ عبد القاهر شارحاً نظريته:

«واعلم أن قولنا «الصورة» إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البيئونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة فكان تبين إنسانٍ من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك، وكذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان تبين خاتمٍ من خاتمٍ، وسوارٍ من سوارٍ بذلك، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين، وبينه في الآخر بيئونة في عقولنا، وفرقاً عبّرنا عن ذلك الفرق، وتلك البيئونة بأن قلنا: «للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك»...»

واعلم أنه لو كان المعنى في أحد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الآخر، وكان التالي من الشاعرين يجيئك به معاداً على وجهه لم يُحدث فيه شيئاً ولم يغيّر له صفةً، لكان قول العلماء في شاعر: «إنه أخذ المعنى من صاحبه فأحسن وأجاد» وفي آخر «إنه أساء وقصر» لغواً من القول، من حيث كان محالاً أن يُحسّن أو يُسيء في شيء لا يصنع به شيئاً وكذلك كان يكون جعلهم البيت نظيراً للبيت ومناسباً له خطأ منهم، لأنه محال أن يُناسب الشيء نفسه، وأن يكون نظيراً لنفسه.

وأمر ثالث، وهو أنهم يقولون في واحد: «إنه أخذ المعنى فظهر أخذه» وفي آخر: «إنه أخذه فأخفى أخذه»، ولو كان المعنى يكون معاداً على صورته وهيئته وكان الأخذ له من صاحبه لا يصنع شيئاً غير أن يبدّل لفظاً مكان لفظ، لكان

الإخفاء فيه مُحالاً؛ لأن اللَّفْظ لا يُخْفِي المعنى، وإنما يخفيه إخراجُه في صورةٍ غير التي كان عليها»^(١).

ويقول في موضع آخر من الدلائل:

«وإننا لنراهم يقيسون الكلام في معنى المعارضة على الأعمال الصناعية كنسج الديباج وصوغ الشَّنْف والسوار وأنواع ما يصاغ وكل ما هو صنعة وعمل يد بعد أن يبلغ مبلغاً يقع التفاضل فيه ثم يعظم حتى يزيد فيه الصانع على الصانع زيادة يكون له بها صيتٌ ويدخل في حد ما يعجز عنه الكثيرون وهذا القياس وإن كان قياساً ظاهراً معلوماً وكالشيء المركوز في الطباع حتى ترى العامة فيه كالخاصة فإنَّ فيه أمراً يجب العلم به وهو أنه يتصور أن يبدأ هذا فيعمل ديباجاً ويبدع في نقشه وتصويره فيجيء آخر ويعمل ديباجاً آخر مثله في نقشه وهيته وجملته صفته حتى لا يفصل الرائي بينهما ولا يقع لمن لم يعرف القصة ولم يخبر الحال إلا أنهما صنعة رجل واحد وخارجان من تحت يد واحدة، وهكذا الحكم في سائر المصنوعات كالسوار يصوغه هذا ويجيء ذاك فيعمل سواراً مثله ويؤدي صناعته كما هي حتى لا يغادر منها شيئاً ألبتة، وليس يتصور مثل ذلك في الكلام؛ لأنه لا سبيل إلى أن تجيء إلى معنى بيت من الشعر أو فصل من النثر فتؤديه بعينه وعلى خاصيته وصنفته بعبارة أخرى حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك لا يخالفه في صفة ولا وجه ولا أمر من الأمور، ولا يَغُرَّنكَ قول الناس: قد أتى بالمعنى بعينه وأخذ معنى كلامه فأدَّاه على وجهه فإنه تسامح منهم والمراد أنه أدَّى الغرض فأما أن يؤدي المعنى بعينه على الوجه الذي يكون عليه في كلام الأول حتى لا تعقل ههنا إلا ما عقلته هناك وحتى يكون حالهما في نفسك حال الصورتين المشبهتين في عينك كالسوارين والشنفين ففي غاية الإحالة وظن بفضي بصاحبه إلى جهالة عظيمة...»^(٢).

ونخلص من هذا كله أن المَعْوَل عنده ليس هو اتحاد معاني الشعراء

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٩ - ٣٩٠، خفاجي: ٤٦٢ - ٤٦٣، شاکر: ٥٠٨ - ٥٠٩.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٠١ - ٢٠٢، خفاجي: ٢٧٠ - ٢٧١، شاکر: ٢٦٠ - ٢٦١.

وتتلاقى بل المهم في الأمر هو تلك الصورة التي صيغت بها تلك المعاني .

فموضوع السرقة عند الشيخ عبد القاهر «لون من ألوان اشتراك الشعراء في المعنى وسبب يمهّد للموازنة بين المعاني، ويرى الفرق في الصور التي يتناول بها الشعراء معنى واحداً، بل إنه يرى الشاعر عندما يأخذ معنى غيره أهلاً لأن يوازن بين معناه والمعنى الأصلي الذي استوحاه»^(١).

وقال الأستاذ أحمد بدوي معلقاً على دراسة الشيخ :

«لقد كانت دراسة عبد القاهر للسرقة وسيلة لدراسة ألوان المعاني الشعرية، وأصول هذه المعاني، وما يحدثه التخيل فيها من ألوان الجمال، وكيف يمهّد السابق لللاحق سبيل الإجابة، وكيف يزيد الشاعر في المعنى، أو يأخذ العامي من المعاني، فيضيف إليه ما يجعله طريفاً»^(٢).

ورأى الدكتور شوقي ضيف أن الشيخ بنظرته هذه قد أنكر السرقات في الشعر جملة بحجة أن لكل شاعر أسلوبه. قال:

«كان من أطرف ما وصل إليه عبد القاهر عن طريق نظريته في النظم أنه أنكر السرقات في الشعر جملة؛ لأن لكل شاعر أسلوبه ونظمه في عرض المعنى الذي يشترك فيه مع غيره، ومن ثم يخطيء من يظن أن شاعراً أخذ معنى من شاعر آخر، فلم يترك فيه شيئاً، وأن مثل من يزعم هذا الزعم مثل من يرى خيال الشيء فيظنه الشيء نفسه»^(٣).

ويبدو لي أن الشيخ لم ينكر السرقات جملة كما ذكر الدكتور شوقي ضيف، فقد وافق من سبقوه في أن الشاعر قد يأخذ من شاعر آخر، فيجيد الأخذ، وقد يقصر ويسيء^(٤).

(١) عبد القاهر الجرجاني، أحمد بدوي: ٢٧٧.

(٢) المرجع السابق: ٢٧٨.

(٣) النقد من فنون الأدب العربي: ٦٠ - نقلاً عن كتاب النقد التحليلي: ٣٣٩.

(٤) الدلائل، رضا: ٣٨٩، أسرار البلاغة: ٢١٣.

ووافقهم في أن السرقة منها ما يكون ظاهراً، ومنها ما يكون خفياً، إلا أننا نستطيع أن نقول بأن الشيخ لم ينكر السرقات في الشعر جملة، بل إنه جعل لكلمة السرقة مدلولاً مغايراً لمدلولها عند من سبقوه، فهي عنده تعني الاختصاص والسبق والتقدم والأولية والتفاضل، وليس عنده سارق ومسروق بل مفيد ومستفيد قال:

«... نعم إذا كان هذا شأنه، وههنا مكانه، وبهذا الشرط يكون إمكانه، فهو الذي يجوز أن يدعي فيه الاختصاص والسبق والتقدم والأولية، وأن يجعل فيه سلف وخلف، ومفيد ومستفيد، وأن يقضي بين القائلين فيه بالتفاضل والتباين»^(١).

وهكذا نرى أن الشيخ عبد القاهر قد ترفع عن استعمال لفظ سرقة، فهي لم ترد عنده إلا على سبيل الحكاية، وذلك إيماناً منه بأن الأخذ ليس عيباً يُعَرَّب به الشاعر، فَيُعَد عمله لأجلها سرقة، فلفظ سرقة فيه نوع من التجريح للأديب أما لفظ الأخذ فهو أخف وقعاً على النفس.

ويبدو لي أن تسمية القضية بقضية التأثير والتأثر أدق علمياً - والله أعلم - «ولا شك في أن عبد القاهر بهذا قد نأى بمشكلة السرقات عن دائرة الاتهام والظن، وتلفيق أخذ المعاني، وجعلها جزءاً من علم البلاغة يتوصل عن طريقها إلى أسرارها، ومواطن جماله ودقائقه، وأصبحت بذلك مشكلة فنية خالصة تخص بالمعاني، وتطورها، وتأثر الشعراء بعضهم ببعض إلى غير ذلك من دقائق تنفي وجود سرقة إلا أن يكون نسخاً ومكابرة»^(٢).

ولقد أخذ الدكتور شوقي ضيف على نظرية الشيخ في السرقات مأخذاً، فرأى أن هذا الاتجاه جعل الشعراء يقفون مكانهم لا يحاولون التقدم بحثاً عن معاني جديدة مخترعة بل اكتفوا بالالتكاء على المعاني القديمة، ومحاولة إخراجها في صورة جديدة.

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٩، أسرار البلاغة: ٢١٣.

(٢) النقد التحليلي عند الشيخ عبد القاهر: ٣٣٨.

قال :

«... كان التحوير عند هؤلاء الشعراء^(١) عملاً فنياً طريفاً، غير أنا لا نتقدم إلى القرن الرابع حتى نحس بتحول في هذا التحوير، إذ يصبح نوعاً من التلفيق، فالشعراء لا يضيفون إلى الأفكار عناصر جديدة من زخرف أو حضارة أو ثقافة، وبذلك أصبحت تشبه «الصور الفوتوغرافية» فهي تحافظ على الأصل بأشكاله، وأوضاعه، وهذا كل ما تستطيع آلة المصور أن تقدمه، ومع ذلك فلا بد لها من صلاحية في استعمالها واستخدامها، ولكن ليس للمصور عمل في صوره إنما هي أشياء آلية هي آلة تُخرج، وعليه أن يرصد ما تخرج»^(٢) وقال أيضاً:

«مهما يكن فإن الناقد لا يحس إزاء شعراء القرن الرابع، وما بعده من قرون بالإعجاب الذي كان يحسه إزاء أسلافهم من شعراء القرنين الثاني والثالث، فقد شمل الحياة الفنية غير قليل من الركود والجمود، فالماء ساكن، وليس عليه أمواج ولا رياح، وكأني بالحضارة العربية قد ضلت طريقها، فوقفت عند تقليد الأوضاع القديمة، وقلما ظهر جديد في الشعر والفن إلا هذا التلفيق الواسع للماضي، وأفكاره وصوره»^(٣).

ولقد أيدته في هذه النظرة الدكتور الصاوي، فقال:

«ولقد صدق الدكتور شوقي ضيف حين ذكر أن هذا الاتجاه جعل الشعراء لا يبحثون عن موضوعات جديدة إنما انصب عملهم على التحوير في المعاني القديمة ما دامت هي محك الجمال الفني عند أنصار الصورة الشعرية الذين جعلوا من الشعر صناعة يجهد الشاعر نفسه فيها حتى يصل إلى صياغة جديدة تعجب أهل البلاغة، وتحمل الصياغة الجديدة للمعنى القديم»^(٤).

(١) يقصد بهم شعراء القرنين الثاني والثالث.

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٣) المرجع السابق: ٣٠١.

(٤) النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني: ٣٣٨.

ومن المؤكد أن الشيخ عبد القاهر لم يقصد من وراء عمله هذا تعقيم الخيال الأدبي، وصرف الشعراء عن ابتكار المعاني، ولا ترتب على عمله ما ادَّعاه الكاتبان بدليل أن الشعراء في عصره وبعد عصره ظلوا في ابتكار المعاني، وفي استحداث الصور البديعية.

حتى العصور التي يرى بعض مؤرخي الأدب أنها عَقمت من المعاني كانت حافلة بالمعاني الجديدة، وبالصياغات الرائعة.

الشاهد الثمانون بعد المائتين^(١): (الطويل)

شواهد الاحتذاء

قال الفرزدق:

أَتَرْجُو^(٢) رُبَيْع^(٣) أَنْ تَجِيءَ^(٤) صِغَارُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا رُبَيْعاً^(٥) كِبَارُهَا^(٦)
وهو من أبيات يهجو بها بني ربيع بن الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم^(٧).

وهو أول أبيات ثلاثة وبعده:

عُتِلُّوا صَخَابُ الْعَشِيِّ كَأَنَّهُمْ جَدَاءٌ مِنَ الْمِعْزَى شَدِيدُ يِعَارُهَا
إِذَا النَّجْمُ وَافَى مَغْرِبَ الشَّمْسِ حَارَدَتْ مَقَارِي عُبَيْدٍ وَاشْتَكَى الْقِدْرَ جَارُهَا^(٨)

(١) الدلائل، رضا: ٤٣١، خفاجي: ٤٦١، شاکر: ٤٦٩.

(٢) رواية التمثيل والمحاضرة: «تَرْجَى رُبَيْعٌ».

(٣) رواية بهجة المجالس: «كَلْبَاءٌ».

(٤) رواية التمثيل والمحاضرة: «أَنْ يَجِيءَ».

رواية التمثيل والمحاضرة وبهجة المجالس: «عليك».

(٥) ورواية الديوان: «رُبَيْعاً» بفتح الراء.

(٦) انظر البيت في:

ديوانه: ٢٧٢/١، ونقائض جرير والفرزدق: ١٢٤/١، البيان والتبيين: ٢٠٨/٣، الشعر

والشعراء: ١٣٧، الأغاني: ١٥/١٩، الصناعتين: ٢٥٠، التمثيل والمحاضرة: ٦٩، بهجة

المجالس: ٥٣٠/٢، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٢٦/٤، نهاية الأرب: ٧٢/٣.

(٧) نقائض جرير والفرزدق: ٢٧٢/١، الاشتقاق: ٢٤٥، القاموس: «ربيع»: ٢٧/٣.

(٨) ديوان الفرزدق: ٢٧٢/١، النقائض: ١٢٤/١.

وفي النقائص ذكر بيت الشاهد وبعده:
كَأَنَّ رُبِعاً حِينَ تُبْصَرُ مِنْقَرًا أَتَانُ دَعَاها فَاسْتَجَابَتْ جَمَارُها
واحتذاه البعيث فقال:

(الطويل)
أَتَرْجُو كُليبَ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُها بِخَيْرٍ وَقَدْ أُعْيَا كُليباً قَدِيمُها^(١)
وهو من قصيدة مطلعها:

أَنَّ أَمْرَعَتَ^(٢) مِعْزَى عَطِيَّةٍ وَأَزْنَعَتْ بِلَاعاً^(٣) مِنَ الْمَرْوَتِ^(٤) أُخْوَى^(٥) جَمِيمُها^(٦)
وقبل الشاهد:

كُليبٌ لِقَامُ النَّاسِ قَدْ تَعْلَمُونَهُ وَأَنْتَ إِذَا عُذْتُ كُليبَ لَثِيمُها
لَقِيَ^(٧) مُقْعَدُ الْأَحْسَابِ مُنْقَطِعَ بِهِ إِذَا الْقَوْمُ رَامُوا خُطَّةً لَا يَرُومُها
وبعد الشاهد:

عَلَى عَهْدِ ذِي الْقَرْنَيْنِ كَانَتْ مُجَانِحُ أَعْزَاءَ لَا يَسْطِيعُها مَنْ يَضِيمُها
استشهد الشيخ بهذين الشاهدين على جليّ الاحتذاء فمضمون معنى البيتين
واحد وهو أن الخير لم يأت من كبار القوم وعظمائهم فهل يرجى من صغارهم؟

-
- (١) انظر البيت في: الصناعتين: ٢٥٠، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٢٧/٤، نقائص جرير والفرزدق: ١٢٥/١، ١٠٩/١.
(٢) أمرعت: أخصبت. القاموس المحيط «مرع»: ٨٧/٣.
(٣) التلاع: مسايل الماء. القاموس المحيط «تلع»: ١٠/٣.
(٤) المَرْوَت: بالفتح ثم التشديد والضم وسكون الواو وتاء مثناة، اسم نهر، وقيل موضع في ديار بني تميم. معجم البلدان: ١١١/٥.
(٥) الأخوى: الشديد الخضرة. القاموس المحيط «حوى»: ٣٢٣/٤.
(٦) جميمها: الجَمُّ والجَمُّ الكثير من كل شيء، والجميم من النبات ما كثر منه. اللسان «جمم»: ١٠٤/١٢.
(٧) لَقِيَ: رجل شَقِيٌّ لَقِيَ لا يزال يلقى شراً. اللسان «لقا»: ٢٥٤/١٥.

وهما من ناحية التركيب لا اختلاف بينهما إلا في أسماء الأشخاص (ربيع - كليب) وفي آخر صدر البيت (صغارها - حديثها)، وآخر العجز (كبارها - قديمها) وهذه الفروق لم تغير في التركيب ولم تزد في المعنى شيئاً وهذا من الحدو المعيب.

قال الشيخ:

«واعلم أن «الاحتذاء» عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يتبدى الشاعر في معنى له وغرض أسلوبياً - والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه - فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره، فيشبه بمن يقطع من أديمه نعلًا على مثال نعل قد يقطعها صاحبها، فيقال: «قد آحتذى على مثاله» وذلك مثل أن الفرزدق قال... واحتذاء البعيث»^(١) الاحتذاء هنا في الأسلوب، وكأن الشيخ يحاول أن يبتعد عن القول بأن المعنى متحد في البيتين، ولعله يعلل ذلك بأن قديمها غير كبارها، وحديثها غير صغارها عند التدقيق في معاني الألفاظ وما توحى به.

ثم قال الشيخ:

«وهذا الذي كتبت من جلي الأخذ في «الحدو»^(٢).

ورأى أبو هلال العسكري أن هذا من الأخذ المعيب وإن ادعى الأخذ أنه لم يأخذه وإنما وقع له ما وقع للأول.

قال:

«وقبح الأخذ أن تعمد إلى المعنى فتتناوله بلفظه كله أو أكثره، أو تخرجه في معرض مستهجن، والمعنى إنما يحسن بالكسوة... فمما أخذ بلفظه ومعناه، وأدعى أخذه (أو أدعى له) أنه لم يأخذه، ولكن وقع له كما وقع للأول كما سئل

(١) الدلائل، رضا: ٣٦١، خفاجي: ٤٣٠، شاکر: ٤٦٨ - ٤٦٩.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٦٢، خفاجي: ٤٣١، شاکر: ٤٧٠.

أبو عمرو بن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى... فقال: عقول رجال توافت على ألسنتها...

وقال البعيث:

أَتَرْجُو كُلِّبَ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أُغْيَا كُلِّبًا قَدِيمُهَا

وقال الفرزدق:

أَتَرْجُو رُبَيْعَ أَنْ يَجِيءَ صِغَارُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أُغْيَا رُبَيْعًا كِبَارُهَا

ومثل هذا كثير في أشعارهم جداً... والأخذ إذا كان كذلك كان معيياً، وإن أدعي أن الآخر لم يسمع قول الأول بل وقع لهذا كما وقع لذلك، فإن صحة ذلك لا يعلمها إلا الله عز وجل والعيب لازم للآخر...^(١).

والفرزدق أخذ بيته من بيت شعيب بن عبد الله من كنانة بلقين^(٢):

أَتَرْجُو حَيِّئُ أَنْ تَجِيءَ صِغَارُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أُغْيَا عَلَيْكَ كِبَارُهَا^(٣)

يهجو به رجلاً من بلقين يقال له عقاب بن هاشم، وعقاب يقول فيهم: فَمَا كِنَانَةٌ فِي خَيْرٍ بِخَائِرَةٍ وَلَا كِنَانَةٌ فِي شَرٍّ بِأَشْرَارٍ^(٤)
وقال ابن سلام في أخذ الفرزدق:

«وكان الفرزدق في أكثرهم مقلداً، والمقلد البيت المستغني بنفسه المشهور الذي يُضرب به المثل»^(٥).

(١) الصناعتين: ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٢) ذكر الأملدي في المؤلف والمختلف أن البيت لحريث بن عئاب وهو أحد بني نيهان بن عمرو بن الغوث بن طيء شاعر محسن مكثر عاش في عصر عمر بن الخطاب إلى زمن معاوية.

انظر المؤلف والمختلف: ١٦١.

(٣) الصناعتين: ٢٥٠، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٤٧٩/٣، رقم (٦٢٤).

(٤) شرح الحماسة للمرزوقي: ١٤٨٠/٣.

(٥) طبقات فحول الشعراء: ١٣٧.

وللفرزدي في هذا المعنى - أيضاً - يهجو بني فقيم:
تَرْجَى أَنْ تَزِيدَ بَنُو فُقَيْمٍ صِغَارُهُمْ وَقَدْ أَعْيَوْا كِبَارًا^(١)

قال الفرزدق:

إِذَا مَا قُلْتُ قَافِيَةً شَرُودًا تَنَحَّلَهَا^(٢) أَبْنُ حَمْرَاءِ^(٣) الْعِجَانِ^(٤)
ساقه الشيخ دليلاً على احتذاء البعيث للفرزدق، وأن ما صنعه بالبيت كان انتحالاً.

الشاهد الواحد والثمانون بعد المائتين^(٥):
(الطويل)

قال البُعَيْثُ^(٦):

كُلَيْبٌ لِشَأْمِ النَّاسِ قَدْ يَعْلَمُونَهُ^(٧) وَأَنْتَ إِذَا عُدْتُ كُلَيْبٌ لَيْمُهَُا^(٨)
وقبل الشاهد^(٩):

تَعَرَّضْتُ لِي حَتَّى ضَرَبْتُكَ ضَرْبَةً^(١٠) عَلَى الرَّأْسِ يَكْبُو لِلْيَدَيْنِ أَمِيمُهَا^(١١)

(١) ديوانه: ٣٠٩/١.

(٢) رواية النقائض: «تنخلها» وجاء في شرحها: «تنخلها» أي أخذ خيارها، وتنخلها انتخلها.

(٣) يعني بابن حمراء العجان «البُعَيْث».

(٤) انظر البيت في:

شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٢٧/٤، نقائض جرير والفرزدق: ١٢٥/١.

(٥) الدلائل، رضا: ٣٦١، خفاجي: ٤٣١، شاکر: ٤٦٩.

(٦) هو خداش بن بشر بن خالد، أبو زيد التميمي (١٠٠ - ١٣٤ هـ) المعروف بالبعيث المجاشعي، خطيب شاعر من أهل البصرة كانت بينه وبين جرير مهاجاة دامت نحو أربعين سنة.

انظر ترجمته:

البيان والتبيين: ٤٥/١، ٣٧٤، ١٠/٣، الشعر والشعراء: ٥٠٤/١، المؤلف والمختلف:

٥٦، الأعلام: ٣٠٢/٢.

(٧) رواية النقائض: «قد تعلمونه».

وذكر في النقائض أن الشطر الأول يروى: «أَلَيْسَ كُلَيْبٌ أَلَامُ النَّاسِ كُلُّهُمْ».

(٨) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في: نقائض جرير والفرزدق: ١٠٩/١.

(٩) سبق ذكر مطلع القصيدة عند الشاهد: «الثمانون بعد المائتين: ص ٩٢١».

(١٠) ذكر في النقائض أنه يروى أيضاً «صَكَّكَتْكَ صَكَّةً».

إِذَا قَاسَهَا الْأَسِي^(١) النَّطَاسِي^(٢) أَرْعَشَتْ أَنْامِلُ كَفَيْهِ وَجَاشَتْ هُزُومُهَا^(٣)

وبعدهما الشاهد وبعده:

لَقَى مُقْعَدُ الْأَحْسَابِ مُنْقَطِعٌ بِهِ إِذَا الْقَوْمُ رَامُوا خُطَّةً لَا يَرُومُهَا^(٤)

قال البحرى:

(الطويل)

بَنُو هَاشِمٍ فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ كِرَامُ بَنِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ كَرِيمُهَا^(٥)

وهو من قصيدة يمدح بها المهدي بالله ومطلعها:

سَقَى دَارَ لَيْلَى حَيْثُ حَلَّتْ رُسُومُهَا عَهْدًا مِنَ الْوَسْمِيِّ وَطَفٌ^(٦) غُيُومُهَا

وقبل الشاهد:

هَتَّكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاهِبُ مِنَ اللَّهِ مَشْكُورٌ لَدَيْكَ جَسِيمُهَا
وَتَأْيِيدُ دِينَ اللَّهِ إِذْ رُدَّ أَمْرُهُ إِلَيْكَ فَرَوَى فِي الْأُمُورِ عَلِيمُهَا

وبعدهما الشاهد وبعده:

إِذَا مَا مَشَتْ فِي جَانِبِكَ بِأَوْجِهِ تَهَضُّمُ أَقْمَارِ الدُّجَى وَتُضْمِيمُهَا

= (١١) الأميم: أمه: شجّه أمّه، وهي التي تبلغ أمّ الدِّماغِ حينَ يَبْقَى بينها وبين الدِّماغِ جلدٌ رقيقٌ، وَيُقَالُ رجلٌ أَمِيمٌ للذي يَهْدِي مِنْ أُمِّ رَأْسِهِ. الصحاح «أمم»: ١٨٦٥/٥.

(١) الأسى: جمعها الإساءة أي الأظبة. الصحاح: «أسا»: ٢٢٦٨/٦، ٩٨٣/٣.

(٢) النطاسي: المتطلب الحاذق بالطب العالم بالأمور. الصحاح «نطس»: ٩٨٣/٣، اللسان «نطس»: ٢٣٢/٦.

(٣) هزومها: صدوعها، وكل نقرة في الجسد هزمة، وهي من هزم الشيء يهزمه هزماً فانهمز: غمزة بيده فصارح فيه وقرة. الصحاح «هزم»: ٢٠٥٨/٥. اللسان «هزم»: ٦٠٨/١٢ - ٦٠٩.

(٤) ديوان البحرى: ١٢٥/١.

(٥) المصدر السابق: ١٢٤/١.

(٦) وطف: أي مسترخية الجوانب لكثرة ماثها. الصحاح «وطف»: ٧٢٨.

رَأَيْتَ قُرَيْشاً حَيْثُ أَكْمَلَ مَجْدَهَا وَتَمَّتْ مَسَاعِيهَا وَثَابَتْ حُلُومُهَا^(١)

الشاهد فيه كسابقه، فالبحتري أخذ بيت البعيث، ولم يزد عليه إلا أن عكس معناه، فالبعيث وصف مهجوه باللؤم، فجعل قبيلته كلياً ألام الناس، ومهجوه ألام بني كليب، أما البحتري، فجعل بني هاشم أكرم الناس في الشرق والغرب، وجعل ممدوحه أكرم بني هاشم.

ويبدو لي أن قول البحتري «أنت كريمها» أبلغ في التركيب من قول البعيث «وأنت إذا عُدَّتْ كليب لثيمها» فالبحتري لم يفصل بين المبتدأ «أنت»، والخبر «كريمها» بل جاء به تالياً له ليدل على أن صفة الكرم ثابتة له لاصقة به.

أما البعيث فقد فصل بين المبتدأ، وهو ضمير المهجو، والخبر الذي أراد إثباته له، فكان الهجاء فيه أخف وطأة من أنه لو قال: «وأنت لثيمها»، فهذا التعبير أشد هجاء، وألهب سوطاً للمهجو.

الشاهد الثاني والثمانون بعد المائتين^(٢):
(الطويل)

قول أبي نواس:

وَلَمْ أَذِرْ^(٣) مَنْ هُمْ^(٤) غَيْرَ مَا شَهِدْتُ لَهُمْ^(٥) بِشَرْقِيٍّ سَابَاطٍ^(٦) الدِّيَارِ الْبَسَاسِ^(٧) (٨)

(١) ديوان البحتري: ١٢٥/١.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٦١ - ٣٦٢، خفاجي: ٤٣١، شاکر: ٤٧٠.

(٣) رواية زهر الآداب: «لم أذِر».

(٤) رواية الوساطة وزهر الآداب: «منهم».

ورواية أمالي الزجاجي، والدرر اللوامع: «ما هم».

(٥) رواية زهر الآداب وتحرير التحرير والدرر اللوامع: «ما شهدت به».

(٦) الساباط: سقيفة بين حائطين أو بين دارين من تحتها طريق نافذ والجمع سوابط

وساباطات، وقيل هو ساباط كسرى بالمدائن، وقيل هو اسم موضع. اللسان «سبط»:

٣١١/٧.

(٧) البساس: البئر المُقْفَر الواضع. اللسان «بسبس»: ٢٩/٦.

(٨) انظر البيت في:

ديوانه - دار الكتاب العربي -: ٣٧، أمالي الزجاجي: ٩٣، الوساطة: ٢٠٦، ديوان =

والشاهد من أبيات أولها:
وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وَأَذَلَّجُوا بِهَا أَثَرُ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ

وبعده أبيات قبل الشاهد:
مَسَاجِبُ مِنْ جَرِّ الرَّقَاقِ عَلَى الثَّرَى وَأَضْعَافُ رِيحَانٍ جَنِيٍّ وَيَاسِسُ
حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي فَجَدَّدْتُ عَهْدَهُمْ وَإِنِّي عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لَحَاسِسُ

وبعدها الشاهد وبعده:
أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَحُّلِ خَامِسُ
قول أبي خراش الهذلي^(١):

(الطويل)

وَلَمْ أَذِرْ^(٢) مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ^(٣) رِدَاءَهُ سِوَى^(٤) أَنَّهُ قَدْ سُلِّ مِنْ^(٥) مَا جِدَّ مَحْضُ^(٦)

الحماسة للمرزوقي: ٧٨٣/٢، زهر الآداب: ٧٩٤/٣، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٤٣/٢، المثل السائر: ٣٤٦/٢ - ٣٤٧، ذكر بعض أبيات القصيدة وأغفل الشاهد - تحرير التحبير: ٥٠٨، الدرر اللوامع: ١٦٨/٢.

(١) هو خويلد بن مرة الهذلي أحد بني قرد، اسم قرد عمرو بن معاوية بن سعد بن هذيل، وأبو خراش شاعر فحل من شعراء هذيل المذكورين الفصحاء، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، أسلم ومات في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - نهشته أفعى فمات، وكان من عذائي العرب المشهورين. انظر ترجمته:

الشعر والشعراء: ٦٤٦ - ٦٤٨، الأغاني: ٢١/٢٠٤، الإصابة: ١/٤٥٧ رقم (٢٣٤٥). وقد نسب ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير الأبيات لدريد، وفي نسبه خطأ، فجميع المصادر التي اطلعت عليها تنسبه لأبي خراش الهذلي.

(٢) رواية الإنصاف: «ولا أذير».

(٣) جاء في ديوان الهذليين أن الرجل الذي ألقى عليه رداءه من أسد شنوءة.

(٤) رواية الكامل والوساطة، ومعاني أبيات الحماسة، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي: «على أنه».

رواية ديوان الهذليين وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي، والإصابة، ورواية بهجة المجالس: «ولكنه».

وأول هذه الأبيات :

حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةٍ^(١) إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وبعد أبيات قبل الشاهد:

فَوَاللَّهِ لَا أُنْسَى^(٢) قَتِيلًا رُزِئَتْهُ^(٣) بِجَانِبِ قَوْسَى^(٤) مَا مُشِيتُ عَلَى الْأَرْضِ

ورواية سمط اللّالي: «خلا أنه».

(٥) رواية الكامل وعيار الشعر والأغاني والأشباه والنظائر للخالدين ومعاني أبيات الحماسة،

وبهجة المجالس، وسمط اللّالي، والإنصاف وشرح شواهد المغني، والإصابة: «عن».

(٦) انظر البيت في:

ديوان الهذليين: ١٥٨/٢، الكامل: ١٣٥/٢، عيار الشعر: ١١٢، الأغاني: ٢١/٢٠٤،

الوساطة: ٢٠٦، الأشباه والنظائر للخالدين: ١٧٢/١، معاني أبيات الحماسة: ١١٢،

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٧٨٧/٢، زهر الأداب: ٧٩٥/٣، بهجة المجالس:

٥٠٣/٢، تحرير التعبير: ٥٠٧/٣، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٤٣/٢، ١٤٥،

معجم البلدان «قوسى»: ٤١٣/٤، شرح المفصل: ١١٧/٣/١، الإنصاف في مسائل

الخلافا: ٣٩٠/١، الإصابة: ٤٥٧/١، شرح شواهد المغني: ٤٢٠/١.

وللأبيات قصة مشهورة مؤداها أن خراش بن أبي خراش وعروة بن مرة أخا أبي خراش

أَسَرَّهُمَا بنو دارم وبنو هلال، وهما حَيَّان من ثمالة، فأخذ بنو هلال عروة، وقتلوه، أما بنو

دارم، فأخذوا خراشاً، واختلفوا في أمر قتله، وشُغِلُوا في أمره، وبينما هم كذلك ألقى عليه

رجل منهم ثوبه وطلب منه أن يفر وينجو بنفسه، فحين وصل الخبر إلى أبي خراش مدح

هذا الشخص، وهو لا يعرفه، وقد اختلفت الروايات فيمن ألقى عليه الرداء، أهو خراش أم

عروة ويبدو لي أن البيت واضح في أن الذي نَجَا هو خراش. كما أن هناك بعض

الاختلافات في رواية القصة.

انظر: الكامل: ١٣٥/٢، الأشباه والنظائر للخالدين: ١٧٥/١، معاني أبيات الحماسة:

١١٢، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٤٣/٢.

(١) عروة: أخو أبي خراش.

(٢) رواية معجم البلدان: «ما أنسى».

(٣) رزئته: الرزئية المصيبة. القاموس المحيط «رزأ»: ١٧/١.

(٤) قوسى: بالفتح ثم السكون، وسين ثم ألف مقصورة تكتب ياء، يجوز أن يكون فعلى من =

بَلَى إِنَّهَا تَعْفُو الْكُلُومَ وَإِنَّمَا نُؤَكِّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

وبعدهما الشاهد وبعده:

وَلَمْ يَكْ مَثْلُوجٌ^(١) الْفُؤَادُ مُهَبَّجًا^(٢) أَضَاعَ الشُّبَابَ فِي الرِّبِيلَةِ^(٣) وَالْخَفْضِ^(٤)

كذلك استشهد بهما الشيخ على أنهما من جلي الأخذ في «الحدو»، وساق لذلك قصة حكاها العسكري جرت بين ابن الرومي والبحري مؤداهما أن البحري رأى أن بيت أبي نواس مأخوذ من بيت أبي خراش وعلق ابن الرومي على هذا، بأن المعنى قد اختلف.

وأجابه البحري قائلاً: أما ترى حدو الكلام حدواً واحداً.

ويبدو لي أن البيتين ليسا من الحدو الجلي كما ذكر الشيخ وإن كان الغرض واحداً، وهو مدح مجهول بفعل حميد.

فالمعنى كما قال ابن الرومي قد اختلف، وطريقة التركيب قد تباينت، فأبو نواس صرح بعدم معرفته للأشخاص فقال (ولم أدر من هم) أما أبو خراش فقد فاقه في التعبير، وزاد عليه في المعنى حيث جاء بصورة شعرية أثبت فيها عدم معرفته ذات الممدوح وفي نفس الوقت دلت وأشادت بمكرمة ذلك المجهول فأين قول (من هم) من قول (من ألقى عليه رداءه) وأبو نواس جعل الديار الساباس هي الشاهد عليهم، والدليل على معرفتهم، أما أبو خراش فنصب المجد الخالص والأصل الكريم دليلاً على ممدوحه، فأكد كونه ماجداً (بأن) المؤكدة

القوس بالضم، وهو معبد الراهب، أو من القوس، وهو الزمان الصعب، أو من الأقوس، وهو الرجل المشرف، قيل: بلد بالسراة وبه قُتل عُروة أخو أبي خراش الهذلي ونجا ولده. انظر: معجم البلدان: «قوس»: ٤١٣/٤.

(١) المثلوج الفؤاد: البليد. القاموس المحيط «ثلج»: ١٨٧/١.

(٢) المهيج: الثقل النفس. القاموس المحيط: «هيج»: ٢١٩/١.

(٣) الربيلة: النعمة والسمن. القاموس المحيط: «ربل»: ٣٩١/٣.

(٤) الخفض: الدعة والعيش الحسن. القاموس المحيط: «خفض»: ٣٤١/٢.

و(قد) التي تدل على تحقق وقوع الفعل، وأنظر إلى كلمة (سَلَّ) وكيف دلت على تغلغله في ذلك المجد وتمكنه منه.

فأين شهادة الديار القفر، من شهادة المجد المؤكد؟

الشاهد الثالث والثمانون بعد المائتين^(١):
(الطويل)

قول البحري:

وَلَنْ يَنْقُلَ الْحُسَادُ مَجْدَكَ بَعْدَمَا تَمَكَّنَ رَضْوَى^(٢) وَأَطْمَأَنَّ مُتَالِغُ^(٣)

وهو من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان، ومطلعها:
أَلَمْتُ وَهَلْ إِلْمَامُهَا لَكَ نَافِعُ وَزَارَتْ خَيَالاً وَالْعُيُونُ هَوَاجِعُ

(١) الدلائل، رضا: ٣٦٢، خفاجي: ٤٣١ - ٤٣٢، شاکر: ٤٧٠ - ٤٧١.

(٢) رَضْوَى: يفتح أوله وسكون ثانيه جبل بالمدينة وقيل هو من ينبع على مسيرة يوم ومن المدينة على سبع مراحل ميامنه طريق مكة، ومياسره طريق البرراء لمن كان مصعداً إلى مكة. وهو على ليلتين من البحر، وقيل هو جبل لجهينة، وحدّده ووصفه صاحب معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية بأنه جبل ضخّم شامخ يضرب إلى الحمرة يقع على الضفة اليمنى لوادي ينبع، ثم يشرف على الساحل ليس بينه، وبين البحر شيء من الأعلام، وإذا كنت في مدينة ينبع البحر رأيت رضى رأى العين شمالاً شرقياً، مكانه جهينة، وله أودية كثيرة يصب معظمها في وادي ينبع.

انظر: معجم البلدان: ٥١/٣، معجم المعالم الجغرافية: ١٤١.

(٣) متالع: جبل بنجد فيه عين يقال لها الخُرّارة، وقيل هو جبل بناحية البحرين بين السّودة والاحساء، وفي سفح هذا الجبل عين يسبح ماؤها يقال لها عين متالع، وقيل هو ماء في شرقي الظهران عند الفؤارة في جبل القنّان لبني عميلة، وحدّده صاحب معجم المعالم الجغرافية بأنه جبل بالقصيم، والقصيم إقليم من نجد ينتظمه وادي الرمة، وقيل متالع أحد أبانين فكان يقال: أبان ومتالع فغلب عليهما اسم أبانين، وهما جبلا القصيم، يمر وادي الرمة بينهما، ثم يمر ببريدة القصيم.

انظر: معجم البلدان: ٥٢/٥، معجم المعالم الجغرافية: ٢٨٠.

(٤) ديوانه - دار بيروت - : ٦٨/١.

ديوانه صيرفي -: ١٣٠٥/٢، أخبار البحري: ١٥٦، أخبار أبي تمام: ٨٤، الموازنة -

محمد محيي الدين -: ٣٢٠، الموشح: ٢٩٨.

وقبل الشاهد:

وَلَا يَعْلَمُ الْأَعْدَاءُ مِنْ فَرَطٍ عَزْمِهِ مَتَى هُوَ مَضْبُوبٌ عَلَيْهِمْ فَوَاقِعُ
خَلَائِقُ مَا تَنْفُكُ تَوْقُفُ حَاسِدًا لَهُ نَفْسٌ فِي إِثْرِهَا مُتَرَا جِعُ

وبعدهما الشاهد وبعده:

أَكْفُرُكَ النُّعْمَاءَ عِنْدِي وَقَدْ نَمَتْ عَلَيَّ نُمُوُ الْفَجْرِ وَالْفَجْرِ سَاطِعُ
وَأَنْتَ الَّذِي أَعَزَّزْتَنِي بَعْدَ ذِلَّتِي فَلَا الْقَوْلُ مَخْفُوضٌ وَعَلَا الطَّرْفُ خَاشِعُ

قول أبي تمام:

(الكامل)

وَلَقَدْ جَهِدْتُمْ أَنْ تُزِيلُوا عِزَّهُ^(١) فَإِذَا أَبَانَ^(٢) قَدْ رَسَا وَيَلْمَلُمُ^(٣)^(٤)

وهو من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق^(٥) حين عُزِلَ من الجزيرة مطلعها:
أَرْضٌ مُصَرَّدَةٌ وَإِخْرَى تُشْجَمُ يَلْكَ الَّتِي رُزِقْتُ وَأُخْرَى تُحْرَمُ

(١) رواية أخبار البحري وأخبار أبي تمام والموشح:
«وَلَقَدْ أَرَدْتُمْ مَجْدَهُ وَجَهِدْتُمْ».

(٢) أبان ويللمم جيلان:
وَأَبَانَ؛ بفتح أوله: جبل، وهما أَبَانَان: أبان الأبيض، وأَبَانُ الأسود بينهما نحو فرسخ،
ووادي الرِّمَّةُ يقطع بينهما، كما يقطع بين عَدَنَةَ وبين الشَّرْبَةِ، فَأَبَانَ الأبيض لبني جُرَيْدٍ من
بني فَزَارَةَ خاصة، والأسود لبني والبة من بني الحارث بن ثعلبة بن دُودَانَ بن أسد.
انظر: معجم ما استعجم: ٩٥/١.

ويللمم، ويقال ألملم والململم المجموع: موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل
اليمن وفيه مسجد مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وقال المرزوقي هو جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث.
انظر: معجم البلدان (باب الباء واللام وما يليها) ٤٤١/٥.

(٣) رواية الموشح:

«فَإِذَا أَبَانَ قَدْ رَسَا وَمَتَلَمُ».

(٤) ديوان أبي تمام (الديوان الكامل) دار صعب: ٢٤٢.
ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ٢٠٠/٣، أخبار أبي تمام للصولي: ٨٤، أخبار
البحري للصولي: ١٥٦، الموازنة: ٣٢٠، الموشح: ٢٩٨.

(٥) سبقت ترجمته: ٣٣٠.

وقبل الشاهد:

وَأَخَافُكُمْ كَيْ تَغْمِدُوا أَسْيَافَكُمْ إِنَّ الدَّمَ الْمُغْتَرَّ يَحْرُسُهُ الدَّمُ

وبعده الشاهد وبعده:

وَطَعْنْتُمْ فِي مَجْدِهِ فَثَنَّتْكُمْ زُعْفٌ^(١) يَقُلُ بِهَا السَّنَانُ اللَّهُذُمُ

قول الفرزدق:

(الكامل)

فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أُرِدْتَ بِنَاءَنَا ثَهْلَانُ^(٢) ذَا الْهَضْبَاتِ هَلْ^(٣) يَتَحَلَّلُ^(٤)

وهو من قصيدته التي مطلعها:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

وقبل الشاهد:

أَحْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً وَتَخَالُنَا جُنَا إِذَا مَا نَجْهَلُ

وبعده الشاهد وبعده:

وَأَنَا آتِنُ حَنْظَلَةَ الْأَعْرُ وَإِنِّي فِي آلِ ضَبَّةٍ لِلْمُعَمِّ الْمُخَوَّلِ

استشهد الشيخ بهذه الأبيات على أنها من خفي الأخذ وذهب الصولي والمرزباني إلى أن البحثري نقل بيت أبي تمام معنى ولفظاً. قال الصولي:

(١) زُعْف: وصف للسيوف بشدة الفتك وسرعته. اللسان «زعف»: ١٣٤/٩.

(٢) رواية ثمار القلوب وأمالى المرتضى «ثهلان ذو الهضبات».

(٣) رواية أمالى المرتضى «ثهلان ذو الهضبات لا يتحلل».

رواية أراجيز العرب «ثهلان ذو الهضبات ما يتحلل».

ورواية اللسان: «ثهلان ذو الهضبات ما يتحلل».

(٤) انظر البيت في:

ديوان الفرزدق - جمعه عبد الله الصاوي - ٧١٧، نقائض جرير الفرزدق: ١٨٨/١،

الموازنة: ٣٢٠، أمالى المرتضى: ٤٥/٢، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب:

٥٥٦/٢، أراجيز العرب: ٥٥، لسان العرب: «حلل»: ١٧٣/١١.

«وقال أبو تمام: وَلَقَدْ أَرَدْتُمْ مَجْدَهُ وَجَهْدُكُمْ فَإِذَا أَبَانَ قَدْ رَسَا وَيَلْمَلَمْ

فقال البحرى ونقله لفظاً ومعنى: وَلَنْ يَنْقُلَ الْحُسَادُ مَجْدَكَ بَعْدَمَا تَمَكَّنَ رَضْوَى وَأَظْمَأُ مُتَالِيعُ»^(١)

وقد قصر الاثنان في الأخذ عن الفرزدق حيث بنوا ذلك الأخذ بناءً واهناً، فالبحرّى عبر تعبيراً مباشراً عن المعنى، أما أبو تمام فقد زاد في المعنى قليلاً بأن أكد نفاذ طاقة الحساد وعدم مقدرتهم على زعزعة عزهم بقوله (ولقد) وتصريحه بأنهم جهدوا.

أما الفرزدق فصاغ معناه في صورة أدق وأنق فقال: «فَادْفَعْ بِكَفِكَ» وهي صورة فيها حث على الحركة والجهد، وفعل الأمر (فادفع) يدل على التعجيز، وكذلك تقديم الجار والمجرور (بكفك) والفصل بين الجملة الفعلية والمفعول به (بناءً) بجملة (إن) للتهكم والسخرية وإظهار العجز التام.

وعبر عن رسوخ مجدهم بقوله (ثَهْلَانِ ذَا الْهَضَبَاتِ) فزاد على من سبقه بوصف الجبل بأنه ذو هضبات، وهذا تأكيد لعظمه وقوة رسوخه وتمكنه.

وكذلك جاء بالاستفهام الدال على التعجيز (هل يتحلحل) أو الدال على النفي أي (لا يتحلحل) ليزيد صورة رسوخه تأكيداً.

جاء في الموازنة:

«أَفْتَرَى الْبَحْرِي مَا سَمِعَ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْفَرَزْدَقِ، وَلَا مِنْ قَوْلِ غَيْرِهِ فَتَنَلَهُ كَمَا سَمِعَهُ أَبُو تَمَامٍ فَتَنَلَهُ؟»^(٢).

(١) أخبار البحرى للصولي: ١٥٦.

وكذلك انظر: الموشح: ٢٩٨.

(٢) الموازنة - محمد محبي الدين عبد الحميد -: ٣٢١.

فكانه يشير إلى أن البحري، وأبا تمام قد أخذتا بيتيهما عن الفرزدق،
فللفرزدق فضل السبق والتصوير الدقيق.

الشاهد الرابع والثمانون بعد المائتين^(١):
(الوافر)

قال ذو الرمة:

وَشِعِرٌ قَدْ أَرَفْتُ لَهُ غَرِيبَ^(٢) أَجْنَبَةٍ^(٣) الْمُسَانِدِ^(٤) وَالْمُحَالَا^(٥)
فَبِتُّ أَقِيمُهُ وَأَقْدُ مِنْهُ قَوَافِي لَا أُرِيدُ^(٦) لَهَا مِثَالًا^(٧)

والشاهد من قصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة^(٨)، ومطلعها:
أَرَاخَ فَرِيقُ جَيْرَتِكَ الْجَمَالَ كَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَحْتِمَالًا

وبعد الشاهد:

غَرَائِبَ قَدْ عُرِفْنَ بِكُلِّ أَقْفٍ مِنْ الْآفَاقِ تُفْتَعَلُ أَفْتَعَالًا
استشهد به الشيخ على أن الشاعر لا يكون محتدياً إلا بما يكون به آخذاً،
أما إنشاد الشعر وقراءته فلا يسمى احتذاءً. قال:

«وجملة الأمر أنهم لا يجعلون الشاعر «مُحْتَدِيًا» إلا بما يجعلونه به آخذاً

(١) الدلائل، رضا: ٣٦٢، خفاجي: ٤٣٢، شاکر: ٤٧١.

(٢) رواية الموشح: «طريف»، ورواية كتاب القوافي: «كريم».

(٣) رواية تأويل مشكل القرآن، والصاحح واللسان: «سند»: «أجانبه المساند».

(٤) والمساند من السناد وهو عيب في الشعر: وهو اختلاف ما يجب مراعاته قبل الروي من
الحروف والحركات. كتاب القوافي: ١٢٩.

(٥) المُحَال من الكلام - بالضم -: ما عدل عن وجهه كالمستحيل وأحال: أتى به. القاموس
المحيط: (حول): ٣٧٤/٣.

(٦) رواية الديوان: «لا أعُد».

(٧) انظر البيت في:

ديوانه: ١٥٣٢/٣، الموشح: ١٢، تأويل مشكل القرآن: ٢٠، كتاب القوافي: ١٢٩،

الصاحح: «سند»: ٤٩٠/٢، اللسان: «سند»: ٢٢٢/٣.

(٨) سبقت ترجمته: ص ٤٨٧.

وَمُسْتَرْقًا... فَأَمَّا أَنْ يُجْعَلَ إِنْشَادُ الشُّعْرِ وقراءته «احتذاء» فما لا يعلمونه كيف؟^(١).

الشاهد الخامس والثمانون بعد المائتين^(٢): (البسيط)

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِيُغَيِّتَهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي^(٣)^(٤)

ذكره الشيخ من غير نسبة، وهو للحطيئة يمدح بغيضاً^(٥)، ويهجو الزبرقان بن بدر وقد شكاه الزبرقان بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٦).

(١) الدلائل، رضا: ٣٦٢، خفاجي: ٤٣٢، شاکر: ٤٧١.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٦٢-٣٦٣، خفاجي: ٣٣٢، شاکر: ٤٧١.

(٣) أي ذو طعم وذو كسوة، وجاء في شرح شافية ابن الحاجب أنه لا ضرورة إلى جعل طاعم بمعنى النسبة بل الأولى أن يقال هو اسم فاعل من طعم يطعم مَسْلُوباً منه معنى الحدوث، إلا أن الشارح رد ذلك وجعله من النسبة مثله مثل «الكاسي».

انظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٨٨/٢.

وانظر كذلك:

شرح المفصل: ١٥/٦/١، شرح الأشموني: ٥٠٥/٢.

(٤) انظر البيت في:

ديوانه: ١٠٨، معاني القرآن للفراء: ١٦/٢، الأمثال لابن سلام: ١٦٨، عيون الأخبار: ١٩٥/٥/٢، الشعر والشعراء: ٣٣٤/١، الكامل للمبرد- دار الفكر- ٢٥٠/١/١، عيار الشعر: ١١٣، العقد الفريد- دار الفكر-: ٢٩٩/٢، الأشباه والنظائر للخالدين: ١٠٤/١، الموشح: ٢٦، ديوان المعاني: ١٧٤/١، الصناعتين: ٥٠٨، الإعجاز والإيجاز: ١٤٦، التمثيل والمحاضرة: ٦٣، جمع الجواهر في الملح والنوادر: ٢٧٧، محاضرات الأدباء: ٤٤٧/٢، شرح المفصل: ١٥/٦/١، شرح الأشموني مع شرح الشواهد للمعني: ٥٠٥/٢ - ذكر الشطر الثاني فقط - شرح المضمون به على غير أهله: ٤٨٢، شرح شافية ابن الحاجب: ٨٨/٢ نهاية الأرب للتويري: ٢٧٥/٣، شرح شواهد المعني: ٣٧٨/١، معاهد التنصيص: ٦/٤.

(٥) هو بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن أنف الناقة جعفر بن قريع، كان من رؤساء بني تميم في الجاهلية وقد أدرك الإسلام، ولم يرد في شيء من الطرق أنه وفد على النبي ﷺ.

الإصابة: ١٧٧/١، رقم (٧٨١).

(٦) وقصة أبيات هذه القصيدة التي منها بيت الشاهد مشهورة في كتب الأدب، وملخصها: أن =

والشاهد من قصيدة مطلعها:

وَاللَّهِ مَا مَعَشَرَ لَأَمُوا أَمْرَاءَ جُنُباً^(١) فِي آلِ لَآئِي بْنِ شَمَّاسٍ بِأَكْيَاسٍ

وقبل الشاهد:

جَارَ لِقَوْمٍ أَطَالُوا هُونَ مَنْزِلِهِ وَغَادَرُوهُ مُقِيمًا بَيْنَ أَرْمَاسٍ
مَلُّوا قِرَاءَهُ وَهَرَّتْهُ كِلَابُهُمْ وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسٍ

وبعدهما الشاهد وي بعده:

وَأَبْعَثْ يَسَاراً^(٢) إِلَى وَفَرٍ^(٣) مُذَمِّمَةٍ^(٤) وَأَحْدِجٍ^(٥) إِلَيْهَا بِذِي عَرْكَيْنِ^(٦) قِنْعَاسٍ^(٧)

واستشهد به الشيخ على أن نقل كلمة من البيت ووضع أخرى مكانها لا يسمى احتذاء، وإنما يسمى سلخاً^(٨)، وهو أمر مستقبح عند نقاد العرب.

قال الشيخ:

«وإذا عمد عامد إلى بيت شعر فوضع مكان كل لفظة لفظاً في معناه، كمثل أن يقول في قوله:

الحطيئة جاور الزبرقان بن بدر فلم يَحْمَدِ جَوَارَهُ، فتحول عنه إلى بغيض، فأكرمه، وأحسن جواره، فقال أبياته هذه يهجو الزبرقان ويمدح بغيضاً، فشكاه إلى عمر، فقال عمر: ما هجأك؟ أما ترضى أن تكون طاعماً كاسياً. قال: إنه لا يكون في الهجاء أشد من هذا، فأرسل عمر إلى حسان بن ثابت يحكمه في الأمر، فقال حسان لم يَهْجُهُ ولكن سَلَحَ عليه - أي بال عليه - فحبسه عمر، ثم أطلقه وأخذ عليه عهداً ألا يهجو أحداً من المسلمين.

- (١) الجُنُب: الغريب. مختار الصحاح: «جنب»: ١١٢.
- (٢) يسار: راعي الزبرقان. ديوان الحطيئة: ١٠٨.
- (٣) وفَر: وطاب وافرة، والوطاب سقاء اللبن. اللسان «وطب»: ٧٩٧/١.
- (٤) مذممة: يذمها الضيفان والذم ضد الحمد. مختار الصحاح «ذمم»: ٢٢٤.
- (٥) وأحْدِج: أي أرحل. القاموس «حدج»: ١٨٩/١.
- (٦) بذِي عَرْكَيْنِ: العرك الضاغط، والعرك حز مرفق البعير جنبه حتى يخلص منه. اللسان «عرك»: ٤٦٥/١، تاج العروس «عرك»: ١٦٠/٧.
- (٧) قِنْعَاسٍ: بعير قنعاس ضخيم شديد. القاموس المحيط: «قنعس»: ٢٥٣/٢.
- (٨) السلخ: هو أن تعمد إلى بيت، فتضع مكان كل لفظ لفظاً في معناه. التعريفات: ١٢١.

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِغَيْتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
ذَرِ الْمَائِرَ لَا تَذْهَبْ لِمَطْلَبِهَا وَأَجْلِسْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْإِكْلُ اللَّابِسُ

لم يجعلوا ذلك «احتذاءً» ولم يُوهَّلوا صاحبه لأن يسموه «مُحتَذياً» ولكن يُسمون هذا الصنيع «سَلْحاً»، ويرذَلونه وَيُسَخِّفُونَ المتعاطيَ له^(١).

ومعنى الشاهد: «اترك المكارم ولا تسافر ولا ترحل من منزلك لطلب المكارم، ولا تسع في حصولها، واقعد في مكانك، فإنك ذو طعم، وذو كسوة يعني همتك مصروفة إلى طعام تطعمه ولباس تلبسه لا على أن تحصل المكارم والمنازل الشريفة»^(٢).

وقد جعل بعضهم بيت الحطيئة أهجى بيت قالته العرب^(٣) وقد أخذه الحطيئة من قول الأعشى:

أَبَا نَابِتٍ لَا تَعْلَقَنَّكَ رِمَاحُنَا أَبَا نَابِتٍ وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ طَاعِمُ
طَعَامِ الْعِرَاقِ الْمُسْتَجَادِ الَّذِي تَرَى وَفِي كُلِّ عَامٍ كُسُوءٌ وَدَرَاهِمُ^(٤)

إلا أن الحطيئة زاد عليه زيادة بينة.

وما أقرب هذا المعنى من قول الآخر:

إِذَا مَا كُنْتَ ذَا أَكْلٍ وَشَرِبٍ فَلَا تَطْمَحْ إِلَى نَيْلِ الْمَعَالِي^(٥)
ومثله أيضاً قول الآخر:

وَإِنِّي وَجَدْتُ مِنَ الْمَكَارِمِ حَسْبُكُمْ أَنْ تَلْبَسُوا حُرَّ الثُّيَابِ وَتَشْبَعُوا
فَإِذَا تُذَوِّكِرَتِ الْمَكَارِمُ مَرَّةً فِي مَجْلِسٍ أَنْتُمْ بِهِ فَتَقْنَعُوا^(٦)

(١) الدلائل، رضا: ٣٦٢-٣٦٣، خفاجي: ٤٣٢، شاکر: ٤٧١.

(٢) شرح المضمون به على غير أهله: ٤٨٢.

(٣) ديوان المعاني: ١/١٧٤، الإعجاز والإيجاز: ١٤٥-١٤٦، نهاية الأرب للنويري: ٢٧٥/٣.

(٤) الأشباه والنظائر للخالدين: ١/١٠٣.

(٥) الأشباه والنظائر للخالدين: ١/١٠٤.

(٦) الأمثال لابن سلام: ١٦٨.

وهذا المعنى ضد قول امرئ القيس:
 فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
 وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يُذْرِكُ الْمَجْدُ الْمُؤْتَلُ امْثَالِي^(١)

ولقد ذكر ابن قتيبة بيت الشاهد في الأبيات التي لا مثل لها^(٢).

وذكره ابن طباطبا في الشعر المحكم النسخ وقال:

«فقوله «الكاسي» عجيبة الوقع»^(٣).

الشاهد السادس والثمانون بعد المائتين^(٤):
 (الطويل)

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلْكِ^(٥)

ساقه الشيخ شاهداً على أن منشد الشعر لا يسمى محتدياً، ولو كان كذلك لقل أنه قائل شعر. قال:

«... فمن أين يجوز لنا أن نقول في صَبِي يقرأ قصيدة امرئ القيس: إنه

احتذاه في قوله:

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ

والعجب من أنهم لم ينظروا فيعلموا أنه لو كان منشد الشعر «محتدياً» لكان

يكون قائل شعر، كما أن الذي يحذو النعل بالنعل يكون قاطع نعل»^(٦).

(١) الأشباه والنظائر للخالدين: ١٠٤/١.

(٢) عيون الأخبار: ١٩٥/٥/٢.

(٣) عيار الشعر: ١١٣.

(٤) الدلائل، رضا: ٣٦٣، خفاجي: ٣٣٢، شاعر: ٤٧٢.

(٥) البيت لامرئ القيس وقد سبق تخريجه: ١٩٩.

(٦) الدلائل، رضا: ٣٦٣، خفاجي: ٤٣٢، شاعر: ٤٧١ - ٤٧٢.

بيت أبي نخيلة^(٢) في مسلمة بن عبد الملك^(٣):
 أَمْسَلَمَ إِنِّي يَا آبَنَ^(٤) كُلَّ خَلِيفَةٍ وَيَا جَبَلَ الدُّنْيَا وَيَا وَاحِدَ الْأَرْضِ^(٥)
 شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ^(٦) مِنَ الثَّقَى وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ^(٧) صَالِحاً^(٨) يَقْضِي
 وَانْبَهَتْ^(٩) لِي ذِكْرِي وَمَا كَانَ^(١٠) خَامِلاً وَلَكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ^(١١)

- (١) الدلائل، رضا: ٣٧٠، خفاجي: ٤٣٩ - ٤٤٠، شاعر: ٤٧٢.
 (٢) أبو نخيلة: قيل هو اسمه لأن أمه ولدته تحت نخلة وكنيته أبو الجنيد، وقيل: أن اسمه الجنيد بن الجون وهو مولى لبني حماد، وقيل: هو يعمر بن حزن (وقيل حزم) بن زائدة بن لقيط بن أبزي بن ظالم بن مخاشن بن حمان وحمان هو عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وقيل له حمان لأنه كان يحمم شفثيه. وأبو نخيلة شاعر راجز محسن متقدم في القصيد والرجز. وهو كثير المحاسن.
 انظر ترجمته:
 المؤلف والمختلف: ١٩٣، سمط اللآلي: ١٣٥/١، زهر الآداب: ٩٩٦/٤.
 (٣) ذكر الأمدى في المؤلف والمختلف أنه يقوله في مسلمة بن هشام بن عبد الملك.
 (٤) رواية زهر الآداب (أمسلم يا نجل خير خليفة).
 (٥) رواية أمالي القالي:
 «ويا فارس الهيجاً ويا قمر الأرض».
 ورواية زهر الآداب والمؤتلف والمختلف:
 «ويا فارس الهيجاً ويا جبل الأرض».
 (٦) رواية الفاضل:
 «شكرتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ مِنِّي سَجِيَّةٌ».
 (٧) رواية عيون الأخبار: «وما كل من أقرضته».
 (٨) رواية المؤلف والمختلف وعيون الأخبار: «ما كل من أوليته نعمة».
 (٩) ومعنى (أنبهت): (نبّه) الرجل شَرُفَ واشتهر فهو نبيه ونابه وهو ضد الخامل ونَبَّهَ تنبيهاً رفعه من الخمول.
 رواية الموازنة وأمالي القالي: «نَوَّهْتُ مِنْ ذِكْرِي».
 ورواية الفاضل وزهر الآداب: «وَنَبَّهْتُ مِنْ ذِكْرِي».
 ورواية بهجة المجالس والعمدة: «وَأُخَيِّتَ مِنْ ذِكْرِي».
 ورواية المؤلف والمختلف: «وَأُخَيِّتَ لِي ذِكْرِي».

قول أبي تمام:

(الطويل)

لَقَدْ زِدْتَ أَوْضَاحِي (٣) آمْتِدَاداً وَلَمْ أَكُنْ
بِهِمَا (٤) وَلَا أَرْضِي (٥) مِنَ الْأَرْضِ مَجْهَلًا (٦)
وَلَكِنْ أَيْادٍ صَادَفْتَنِي جِسَامُهَا
أَغْرَ فَأَزَفْتُ (٧) بِي أَغْرَ (٨) مُحَجَّلًا (٩) (١٠)

= (١٠) رواية بهجة المجالس: «وما كُنْتُ حَامِلًا».

(١١) انظر الأبيات في:

المؤتلف والمختلف: ١٩٣، أمالي القالي: ٣٠/١، زهر الآداب: ٩٩٥/٤ - ٩٩٦.

وانظر الشطر الأول في:

سمط اللآلي: ١٣٥/١.

والبيت الثاني والثالث في: عيون الأخبار: ١٦٥/٣، الفاضل ٩٩، بهجة المجالس:

٣١٣/١.

والبيت الثالث في:

الموازنة - (محمد محيي الدين عبد الحميد): ٩٠، العملة: ٤٣/١.

(٣) الأوضح: جمع وَضَحَ وهو البياض يقال هذا فرس به أوضح وهذا كالمثل المضروب لما

يملكه من المال، أو لما يبلغه من الرتب والجاه. ديوان أبي تمام بشرح الخطيب: ٩٩/٣.

القاموس المحيط «وضح»: ٢٦٤/١.

(٤) بهيماً: البهيم من الخيل الأسود. القاموس المحيط «بهيم»: ٨٣.

(٥) ضبطت كلمة (أرضي) في الديوان بشرح الخطيب بفتح الضاد على أنها فعل مضارع.

وذكر محقق دلائل الإعجاز الأستاذ محمود شاكر أن من ضبط (أرضي) بالفتح فقد أخطأ

المعنى.

والصواب ضبطها بالكسر ويعني بها أرضه ودياره.

(٦) المجهل المفازة التي لا أعلام فيها يهتدى بها، وضربه مثلاً للخمول بمعنى أن ديار قومه ديار

مشهورة. مختار الصحاح «جهل»: ١١٥.

(٧) رواية الديوان - دار صعب -:

«فألفت» بمعنى (لقيت)، ورواية حماسة ابن الشجري: «فخلتني» وما جاء في الدلائل

موافق لرواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي.

(٨) الغرّة بالضم بياض في جنبه الفرس فوق الدرهم. مختار الصحاح، «غرر»: ٤٧١.

والبيتان من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات ومطلعها:
لَهَانْ عَلَيْنَا أَنْ نُقُولَ وَتَفْعَلَا وَتَذْكُرَ بَعْضَ الْفَضْلِ مِنْكَ^(١) فَتَفْضَلَا^(٢)

وقبل الشاهد:

رَدَدَتْ^(٣) الْمَنَى خُضْرًا تَتْنَى غُصُونُهَا عَلَيْنَا وَأَطْلَقَتْ الرَّجَاءَ الْمُكَبَّلَا
وَمَا يَلْحَظُ الْعَافِي جَدَاكَ مُؤْمَلَا سِوَى لَحْظَةٍ حَتَّى يَعُودَ^(٤) مُؤْمَلَا

وبعد الشاهد:

إِذَا أَحْسَنَ الْأَقْوَامُ أَنْ يَتَطَاوَلُوا بِلا مِنةٍ^(٥) أَحْسَنْتَ أَنْ تَتَطَوَّلَا

استشهد بهما الشيخ على أن الشاعر المحتذي يكون أحق بالبيت من صاحبه إن هو أحدث فيه صورة جديدة لم تكن فيه، فالفضيلة هنا للصورة، لا للفظ.

فقول العلماء «كساه لفظاً» إنما أرادوا باللفظ هنا الصورة الحادثة في البيت. فالبيتان مثال على ما تفعله صنعة الشاعر في الصورة والمعنى واحد.

قال الشيخ :-

«ومما إذا تفكر فيه العاقل أطال التعجب من أمر الناس، ومن شدة غفلتهم

= (٩) التحجيل: بياض في قوائم الفرس أو في ثلاث منها. مختار الصحاح «حجل»: ١٢٤.
(١٠) انظر الشاهد في: ديوان أبي تمام (الديوان الكامل) - دار صعب -: ٢٢٣. ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ٩٩/٣ - ١٠٠، العمدة: ٤٢/١، سمط اللالي: ١٣٥/١، حماسة ابن الشجري: ١١٤.

(١) رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي: «عنك».

(٢) رواية الديوان بشرح التبريزي: «وتفضلاً».

(٣) رواية الديوان بشرح التبريزي: «رَجَعَتْ».

(٤) رواية الديوان بشرح التبريزي: «يؤوب».

(٥) رواية الديوان بشرح التبريزي: «بلا نعمة».

قول العلماء حيث ذكروا «الأخذ» و«السرقه»: إِنَّ مَنْ أَخَذَ مَعْنَى عَارِياً فَكَسَاهُ لَفْظاً مِنْ عِنْدِهِ كَانَ أَحَقُّ بِهِ، وَهُوَ كَلَامٌ مَشْهُورٌ مُتَدَاوِلٌ يَقْرُؤُهُ الصَّبِيانُ فِي أَوَّلِ كِتَابِ «عَبْدِ الرَّحْمَنِ»^(١).

ثم لا ترى أحداً من هؤلاء الذين لهجوا بجعل الفضيلة في «اللفظ»، يفكر في ذلك فيقول: مَنْ أَيْنَ يَتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ هَهُنَا مَعْنًى عَارٍ مِنْ لَفْظٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ؟ ثم من أَيْنَ يعقل أن يجيء الواحد منا لمعنى من المعاني بلفظ من عنده، إن كان المراد باللفظ نطق اللسان؟

ثم هَبْ أَنَّهُ يَصِحُّ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ فَمَنْ أَيْنَ يَجِبُ إِذَا وَضَعَ لَفْظاً عَلَى مَعْنًى أَنْ يَصِيرَ أَحَقُّ بِهِ مِنْ صَاحِبِهِ الَّذِي أَخَذَهُ مِنْهُ، إِنْ كَانَ هُوَ لَا يَصْنَعُ بِالْمَعْنَى شَيْئاً، وَلَا يُحْدِثُ فِيهِ صِفَةً، وَلَا يَكْسِبُهُ فَضِيلَةً؟ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَهَلْ يَكُونُ لِكَلَامِهِمْ هَذَا وَجْهٌ سِوَى أَنْ يَكُونَ «اللفظ» في قولهم: «فكساه لفظاً من عنده» عبارةً عَنْ صُورَةٍ يُحْدِثُهَا الشَّاعِرُ أَوْ غَيْرِ الشَّاعِرِ لِلْمَعْنَى؟ فَإِنْ قَالُوا: بَلَى يَكُونُ، وَهُوَ أَنْ يَسْتَعِيرَ لِلْمَعْنَى لَفْظاً.

قيل: الشَّانُ فِي أَنَّهُمْ قَالُوا: «إِذَا أَخَذَ مَعْنَى عَارِياً فَكَسَاهُ لَفْظاً مِنْ عِنْدِهِ كَانَ أَحَقُّ بِهِ» و«الاستعارة» عندكم مقصورة على مُجَرَّدِ اللَّفْظِ، وَلَا تَرَوْنَ الْمُسْتَعِيرَ يَصْنَعُ بِالْمَعْنَى شَيْئاً، وَتَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُحْدِثُ فِيهِ مَزِيَّةً عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَمَنْ أَيْنَ، لَيْتَ شَعْرِي، يَكُونُ أَحَقُّ بِهِ فَأَعْرِفْهُ»^(٢).

فالمعنى المشترك في البيتين أن للشاعر ذكراً قديماً حسناً إلا أن للممدوح فضلاً في إبرازه وإظهاره والزيادة عليه، فأبو تمام عمد إلى بيت أبي نخيلة الأخير وكساه صورة جديدة، فأحسن وأجاد، وإن كان أبو نخيلة فاقه حين عبر عن علو ذكره بقوله (وأنبهت لي ذكرى)، فأظهر الأمر المعنوي في صورة الحسي، فالرفع

(١) هو في مقدمة «الألفاظ الكتابية» لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني، (ت: ٣٢٤ هـ)، نقلاً عن هامش الدلائل: رضا، خفاجي، شاكِر.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٦٩ - ٣٧٠، خفاجي: ٤٣٨ - ٤٣٩، شاكِر: ٤٨٣ - ٤٨٤.

أمر حسي، والذكر معنوي وهذه استعارة مكنية فيها روعة وجمال، وهي مقتبسة من قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(١).

أما أبو تمام فقد عبر عن ذبوع ذكره الحسن بالبياض الممتد ليؤكد نقاءه وصفاءه بقوله: (لَقَدْ زِدْتَ أَوْصَاجِي امتداداً).

ومن الصور التي أحسن فيها أبو تمام وأجاد، أن أبا نخيلة نفى أن يكون مجهول الذكر خامله بقوله: «وما كان خاملاً».

أما أبو تمام فلم يرض بهذا النفي الساذج فقال: «ولم أكن بهيماً ولا أرضي من الأرض مجهلاً» فجاء بصورة البهيم وصورة الأرض المجهولة، ونفى أن تكون إحدى الصورتين متمثلة فيه.

واكتفى أبو نخيلة في بيان أثر الممدوح في إعلاء ذكره بقوله:

«ولكن بعض الذكر أنه من بعض».

وهو تعبير مباشر لا يوفي الممدوح حقه من الشكر أما أبو تمام فقد كان أجود مدحاً، وأكثر وفاءً في إظهار كرم الممدوح. فاستعمل لفظ «أياد» وهو مجاز مرسل علاقته الآلية أو المحلية، وفي التجوز بالمحل عن الحال دليل على سعة كرمه، ثم جاء بصورة الأغر المحجل فهذه الأيادي قد صادفته أغر ولكنها لم تتركه كما هو إنما زادت في إبرازه بأن جعلته أغر محجلاً وشرح التبريزي البيت بقوله: «يقول: لَمَّا أَكْرَمْتَنِي زِدْتَ فِي شَرَفِي، وَقَدَّرِي، وهذا المعنى مثل قولهم بَيَّضَ فلان وجهي إذا فعل به فعلاً حسناً». وقوله: «ولم أكن بهيماً» لما ذكر الأوصاح التي تكون في الخيل دَعَاهُ ذلك إلى أن يذكر «البهيم» وهو الذي ليس به وضَح، ولا يخالط لونه لون غيره، يقول: رَفَعْتَنِي بين الناس وشهرتني؛ لأنهم يصفون الفرس إذا كان أبلق بالشهرة، وإنما ذلك لكثرة أوصاحه، إلا أنهم لا

(١) الشرح: ٤.

يحمدون البلق كحمدهم المحجلة، وقد بين معناه البيت الذي بعده، فزعم أن الممدوح وجده أغر فزاده حُجُولاً^(١).

ورأى البكري في السمط أن أبا تمام قد أخذ قول أبي نخيلة «ونبهت من ذكري وما كان خاملاً».

إلا أنه كشف معناه وحسنه بالصناعة^(٢).

وعلق ابن رشيق على قول الطائي بقوله:

«فطمع بنفسه إلى حيث ترى وجعل الغرة من كسبه - وهي في الوجه مشهورة - والتحجيل من زيادات الممدوح - وهو في القوائم»^(٣).

ومثل هذا المعنى قول علي بن الجهم في مدح المتوكل:
وَمَا الشُّعْرُ مِمَّا اسْتَظِلُّ بِظِلِّهِ وَلَا زَادَنِي قَدْرًا وَلَا حَطُّ مِنْ قَدْرِي
ثم قال:

وَلَكِنْ إِحْسَانُ الْخَلِيفَةِ جَعَفَرٍ دَعَانِي إِلَى مَا قُلْتُ فِيهِ مِنَ الشُّعْرِ^(٤)
الشاهد الثامن والثمانون بعد المائتين^(٥):
(الكامل)

وَحَذِرْتُ مِنْ أَمْرِ فَمَرٍ بِجَانِبِي لَمْ يَنْكِني^(٦) وَلَقِيتُ مَا لَمْ أُحَذِرْ^(٧)

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ٩٩/٣ - ١٠٠.

(٢) سمط اللالي: ١٣٥/١.

(٣) العمدة: ٤٣/١.

(٤) ديوان علي بن الجهم: ١٤٧.

العمدة: ٤٢/١.

(٥) الدلائل، رضا: ٣٧١، خفاجي: ٤٤٠ - ٤٤١، شاکر: ٤٨٥.

(٦) نكی العَدُو وفيه نكابة قَتْل وَجَرَح. القاموس المحيط «نكى»: ٤٠٠/٤.

ورواية المؤلف والمختلف وخزانة الأدب: «لم يُنكِني»، ورواية الموازنة: لم يلقيني.

(٧) انظر البيت في:

الموازنة: ٢٧٧ - من غير نسبة -، المؤلف والمختلف: ١٣٦، خزانة الأدب: ٤٣٥/٩.

ذكره الشيخ من غير نسبة وهو لسهم بن حنظلة بن حلوان^(١).

وقبل الشاهد:

كُم مِّنْ عَدُوٍّ قَدْ رَمَانِي كَاشِحٍ وَنَجَوْتُ مِّنْ أَمْرِ أَغْرَ مُشْهَرٍ
قال ليبد^(٢):

(المنسرح)

أَخْشَى عَلَى أَرْبَدٍ^(٣) الْحُتُوفَ وَلَا أَرْهَبُ^(٤) نَوَاءَ السَّمَاءِ^(٥) وَالْأَسَدِ^(٦)^(٧)

(١) هو سهم بن حنظلة بن جأوان وقيل بن حلوان وقيل بن خاقان بن خويلد أحد بني شيبه بن غني بن أعصر فارس مشهور شاعر محسن، أدرك الجاهلية والإسلام وهو شامي ذكر الميمني في تحقيق السمط أنه وجد له بيتان في الألفاظ: ٢٤٨، يدلان على أنه أدرك إمارة عبد الملك بن مروان، توفي نحو (٧٠ هـ).
انظر ترجمته:

المؤتلف والمختلف: ١٣٦، جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ٢٤٨، سمط اللالي: ٧٤٠، الإصابة: ١١٥/٢ رقم (٣٧٠٨)، خزنة الأدب: ٤٣٥/٩ الأعلام: ١٤٤/٣، من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني: ٧٢.

(٢) هو ليبد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وكان يقال لأبيه ربيع المقترين لجوده وسخائه، قتلته بنو أسد في يوم ذي علق، ولم يكن ليبد قد تجاوز سن الطفولة.

وعم ليبد أبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة، وكان ليبد كثيراً ما يصاحبه في أسفاره. وليبد أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها، والمخضرمين ممن أدرك الإسلام وأسلم، وهو من أشرف الشعراء المجيدين الفرسان القراء المعمرين.
انظر ترجمته:

طبقات فحول الشعراء: ١٣٥/١، الشعر والشعراء: ٢٨٠/١ - ٢٩١، تاريخ الطبري: ١٤٥/٣، ١٨٥/٦، الأغاني: ٣٦١/١٥ - ٣٧٩، الإعجاز والإيجاز: ١٤٤، أمالي المرتضى: ١٩٠/١، نهاية الأرب: ٧٠/٣، خزنة البغدادي - دار صادر: ٣٣٧/١.

(٣) هو عمرو بن زهير بن جذيمة بن جزء بن خالد بن جعفر وفي بعض المصادر: «هو أربد بن قيس»، وكنيته أبو المغوار، وقيل «أبو الحزاز»، أمه فاطمة بنت زهير بن جعونة، وقيل أسماء بنت زهير سباهها قيس، فولدت له أربد، ثم تزوجها ربيعة، فولدت له ليبدًا، وحرامًا. =

والشاهد من أبيات يرثي بها ليبد أخاه لأمه أريد، وقد أحرقت الصاعقة^(٥).

انظر ترجمته:

الأغاني: ٥٦/١٧، معجم الشعراء: ٢١٠، سمط اللآلي: ٢٩٧/١، خزانة الأدب - دار صادر: ٢٥٠/٢.

(٤) رواية معجم الشعراء: «أخاف».

(٥) السَّمَاء: أحد نجمين نيرين أحدهما السَّمَاء الأعزل والآخر السَّمَاء الرامح، ويقال أنهما رجلا الأسد، والذي هو من منازل القمر الأعزل، وبه يتزل القمر وهو شام، وسمي أعزل؛ لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب كالأعزل الذي لا رمح معه، ويقال سمي أعزل لأنه إذا طلع لا يكون في أيامه ريح ولا برد، وهو أعزل منها، والرامح وليس هو من المنازل ولا نزل له، وهو إلى جهة الشمال، والأعزل إلى جهة الجنوب.

وطلوع السماء الأعزل مع الفجر في تشرين الأول. اللسان «سمك»: ٤٤٤/١٠.

(٦) الأسد: يطلق في الفلك على البرج الخامس والكوكبة التي يحتويها وهو مشتق من أسد نيميان الذي قتله هرقل كما تقول الأساطير الإغريقية وألمع نجمين في الكوكبة قلب الأسد والصفرة، وبها أربع منازل قمرية هي الصفرة والجهة والزبرة والطرف، ويطلق اسم الأسديات على وابل من الشهب يتشعب من الكوكبة، وتمر به الأرض في نوفمبر، ويشاهد في أعداد كبيرة كل ٣٣ سنة. الموسوعة العربية: ١٤٧.

(٧) انظر البيت في:

ديوانه: ٣٩ رقم (١٣)، شرح ديوان ليبد: ١٥٨، الكامل - مكتبة المعارف: ٣٢٥/٢، الأغاني: ٥٥/١٧ - ٦٢، الأشباه والنظائر للخالدين: ٣٢/١، معجم الشعراء: ٢١٠، سمط اللآلي: ٢٩٨/١، الحماسة البصرية: ٢٠٩/١، السيرة النبوية - بهامش الروض الأنف: ٢٠٧/٤.

(١) وملخص قصته: أنه وفد أريد مع عامر بن الطفيل على الرسول ﷺ، وأراد به سوءاً فدعا عليهما الرسول ﷺ، فأرسل الله على أريد في طريقه صاعقة فأحرقت، ومات عامر بن الطفيل بالطاعون، وهو نازل في خي من بني سلول.

انظر الخبر في:

الكامل - مكتبة المعارف: ٣٢٥/٢، الأغاني: ٥٦/١٧، معجم الشعراء: ٢١٠، سمط اللآلي: ٢٩٨، خزانة الأدب - مكتبة الخانجي: ٢٥٠/٢.

والبيت من قصيدة مطلعها:
مَا إِنْ تُعَرِّيَ الْمُنُونُ مِنْ أَحَدٍ لَا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ
وبعده بيت الشاهد وبعده:
فَجَعَنِي الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ بِأَلٍ فَارِسِ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ النُّجْدِ
... قال البحرى:

(الكامل)
لَوْ أَنَّنِي أَوْفِي التَّجَارِبِ حَقَّهَا فِيمَا أَرْتُ لَرَجَوْتُ مَا أَخْشَاهُ^(١)
وهو من قصيدة يمدح بها أبا عيسى بن صاعد بن مخلد^(٢) مطلعها:
أَرْجُ لِرِيًّا طَلَّةً رِيَّاهُ لَا يُبْعِدُ الطَّيْفُ^(٣) الَّذِي أَهْدَاهُ

وقبل الشاهد:
عَيْشٌ لَنَا بِالْأَبْرَقِينَ تَأْبَدَتْ أَيَّامُهُ، وَتَجَدَّدَتْ ذِكْرَاهُ
وَالْعَيْشُ مَا فَارَقْتَهُ فَذَكَرْتَهُ لَهْفًا وَلَيْسَ الْعَيْشُ مَا تَنْسَاهُ
وبعد الشاهد وبعده:
وَالشَّيْءُ تُمْنَعُهُ تَكُونُ بِفَوْتِهِ أَجْدَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي تُعْطَاهُ

فالأبيات مأخوذة من معنى المثل القائل:

«حَرًّا أَخَافُ عَلَى جَانِي كَمَاءٍ لَا قُرًّا»^(٤).

وهو مثل يضرب «للذي يخاف من شيء فيسلم منه، ويصيبه غيره مما لم

(١) ديوانه: ٣٣٥/١.

(٢) سبقت ترجمته: (٢٨٨).

(٣) ويبدولي أن الضبط بالرفع أجود «لا يبعد الطيف» على أن الطيف فاعل، وهو دعاء ورجاء، ويمكن أن تكون يبعد مضارع بُعد ضد قرب، ويمكن أن تكون مضارع يبعد بمعنى «هلك».

وأما على الضبط بالنصب فتكون الجملة مجرد إخبار لا روعة فيه.

(٤) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري: ٣٧٣/١.

يَخْفَهُ»^(١) فالشاعر الأول ربط المعنى بصورة حسية، فقلبه «مَرَّ بِجَانِبِي» صور الأمر الذي يحذر منه، وكأنه شخص، أو جسم من الأجسام قاربه، ولم يلحقه منه ضرر، وهو تصوير لطيف.

أما لبيد، فقد استعان بنوء السماء والأسد، فهو قد خشي على أخيه الموت، ولم يخطر له على بال أن حتفه سيكون بسبب نوء السماء والأسد هذان الكوكبان اللذان يستبشر بهما لأنه لا ريح فيهما ولا برد.

وجاء الثالث وزاد المعنى اتساعاً فقال: لو كنت أعطي التجارب والمصائب حقها وأعرف كيف أقرها وأعالجها لتمنيت المكروه لما فيه من الخير، فالمصائب كثيراً ما تكون نعمة في ثوب نقمة، وهذا المعنى هو معنى قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾^(٢).

وفي هذا المعنى قال أبو تمام:

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبُلُوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَتَلَيَّ اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنُّعْمِ^(٣)

وعلق المرزباني على بيت البحتري - وهو البيت الثالث من أبيات الشاهد -، فقال: «وأخذه البحتري، فأحسن وطفى اقتداراً على العبارة واتساعاً في المعنى»^(٤).

الشاهد التاسع والثمانون بعد المائتين^(٥): (السريع)

قال إبراهيم بن المهدي^(٦):

(١) الدلائل، رضا: ٣٧٠، خضاجي: ٤٤٠، شاکر: ٤٨٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

(٣) ديوانه - دار صعب -: ٢٧٩.

(٤) الدلائل، رضا: ٣٧١، خضاجي: ٤٤١، شاکر: ٤٨٥.

(٥) الدلائل، رضا: ٣٧١، خضاجي: ٤٤١، شاکر: ٤٨٦.

(٦) هو إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، المعروف بابن شكلة، الهاشمي، وشكلة أمه كان أبوها من أصحاب المازيار يقال له شاه أفرند فقتل مع المازيار وسُبيت بنته شكلة، فحُمِلت إلى المنصور، فلما كبرت تزوجها محمد المهدي. «وإبراهيم أخو هارون =

يَا مَنْ لِقَلْبٍ صِيغَ مِنْ صَخْرَةٍ فِي جَسَدٍ مِنْ^(١) لَوْلُؤِ رَطْبٍ
جَرَحْتُ خَدِّيهِ بِلَحْظِي فَمَا بَرِحْتُ أَقْتَصُّ مِنْ قَلْبِي^(٢)
قال أحمد بن أبي فتن^(٣):

(الكامل)

أَدْمَيْتُ^(٤) بِاللَّحْظَاتِ^(٥) وَجَنَّتْهُ^(٦) فَأَقْتَصُّ نَاطِرُهُ^(٧) مِنْ الْقَلْبِ^(٨)

= الرشيد» وكان إبراهيم بن المهدي رجلاً عاقلاً فهماً ديناً أديباً شاعراً، راوية للشعر وأيام العرب خطيباً فصيحاً حسن المعارضة إلى أن تبدل الغناء. انظر ترجمته:

تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٢٦٦/٢ - ٢٨٨، الأغاني: ١٠/٦٩ - ٧٠، ٩٦ - ١٤٩، من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني: ١٣.

(١) رواية تهذيب تاريخ ابن عساكر:

«في جسد لَوْلُؤِ رَطْبٍ».

ويبدو أن الرواية ناقصة للوزن.

(٢) لم أجد البيتين إلا في:

تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٢٨٥/٢.

(٣) ورد ذكره في الموشح: ٣١١ - ٣١٢.

نسب البيت في المثل السائر لأبي تمام، وهو غير موجود في ديوانه ونسب في تهذيب تاريخ ابن عساكر لأحمد بن أبي قين.

هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المنصور، وقيل مولى الربيع بن يونس، وقيل مولى بني هاشم. كنيته أبو عبد الله، وكان أسود اللون، وهو شاعر مجيد من شعراء بغداد في أيام المتوكل، أكثر المدح للفتح بن خاقان.

انظر ترجمته:

طبقات ابن المعتز: ٣٩٦ - ٣٩٧، أخبار أبي تمام: ٧٠، ٧١، ١٩٦، تاريخ بغداد:

٢٠٢/٤ - ٢٠٣، سبط اللآلي: ١/٢٤٥، فوات الوفيات: ١/٧٠.

(٤) رواية الموشى: «أَدْمَيْتُ» بالفتح.

(٥) رواية ديوان المعاني: «بِاللَّحَاطِ».

(٦) رواية الموشى: «وَجَنَّتْهَا».

(٧) رواية الموشى: «نَاطِرُهَا».

(٨) انظر البيت في:

وقبل بيت الشاهد ثلاثة أبيات:

صَبُّ بِحُبِّ مُتَيَّمِ صَبُّ حَبِيهِ فَوْقَ نَهَايَةِ الْحُبِّ
أَشْكُو إِلَيْهِ صَنِيعَ جَفْوَتِهِ فَيَقُولُ مَتَّ فَايَسِرُ الْخَطْبُ
وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى مَحَاسِنِهِ أَخْرَجْتُهُ عَطْلًا مِنَ الذُّنْبِ^(١)

الشاهد فيه كسابقه. فأبن أبي فتن أخذ بيت إبراهيم بن المهدي معنى ولفظاً ولكنه بنقاء عبارته وحسن مأخذه صار أولى به. قال الشيخ:

«... ففي هذا دليل لمن عقل أنهم لا يعنون بحسن العبارة مجرد اللفظ، ولكن صورة، وصفة، وخصوصية تحدث في المعنى، وشيئاً طريق معرفته على الجملة العقل دون السمع، فإنه على^(٢) كل حال لم يَقُلْ في البحري أنه «أحسن فطغى اقتداراً على العبارة» من أجل حروف:

«لَوْ أَنَّنِي أَوْفِي التَّجَارِبِ حَقَّهَا».

وكذلك لم يصف ابن أبي فتن بنقاء العبارة من أجل حروف:

«أَذَمَّتْ بِاللَّحْظَاتِ وَجَنَّتْ»^(٣).

ولعل البيت الثاني حسن وفاق البيت الأول، لأنه أدق تركيباً وألطف معنى، فقد قدم الجار والمجرور «باللحظات» لأهميتها عند الشاعر، فهو يريد أن يدل على قوة وعمق تأثير اللحظات، وليس قصده وهمه بيان موقعها من أنها كانت على الوجنات، كما فعل الأول، وقد لفظ «خديه».

= شعر أحمد بن أبي فتن - ضمن (شعراء عباسيون) -: ١٤١، الموشى: ٢٢٤، ديوان المعاني: ٢٨٤/١، تاريخ بغداد: ٢٠٣/٤، تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٢٨٥/٢، المثل السائر: ٢٤٠/٣.

(١) تهذيب ابن عساكر: ٢٨٥/٢.

(٢) الضمير هنا عائذ على المرزباني أو علي بن هارون.

انظر: الدلائل، رضا: ٣٧٠ - ٣٧١، خفاجي: ٤٤٠ - ٤٤١، شاعر: ٤٨٥ - ٤٨٦.

(٣) الدلائل، رضا: ٣٧١، خفاجي: ٤٤١، شاعر: ٤٨٦.

ومن أسرار الجمال في البيت الثاني مجيء «الفاء» في قوله: «فأقتص»، والتي دلت على سرعة ذلك الاقتصاص، فهي قد أسرعت بجرح قلبه بالمحاطة كما جرح هو بلحظه خديها.

«فالفاء» هنا حلت محل العبارة الطويلة في البيت الأول «فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى». وابن أبي فنن كان أكثر شوقاً، وتلهفاً لرؤية ذلك الحبيب من إبراهيم بن المهدي، ومحبوه أكثر جمالاً ورقة، فابن المهدي جاء بلفظ «لحظي» مفرداً، وجعله يُعقب جرحاً، أما ابن أبي فنن فجاء به جمعاً «اللمحظات»، وجعلها دامية، فصوّر حدة تلك النظرات وتلهفها على تأمل جمال ذلك الحبيب الذي لا تشبع النفس من النظر إليه، فاللحظ يدافع بعضه بعضاً ليحظى بالنظر إلى ذلك الوجه الصبوح. وإن كُنْتُ أرى أن صورة الجراح والدماء لا تناسب هذا الموقف الذي يتطلب رقة الإحساس.

وبعد هذا التحليل أقول: إن بيت ابن المهدي لا يخلو من اللمحات الجميلة، فأنظر مثلاً إلى كلمة «خديه»، فهي أرق من كلمة «وجنته» بل أدق لأن الحمرة تظهر على الخدين أوضح مما تظهر على الوجنة، ثم إن قوله «من لؤلؤ رطب» تمهيد لما أدعاه من أنه جرح خديه، وبيت ابن أبي فنن خال من ذلك.

وأخيراً هذه المقابلة بين القلب الصخر والجسد الرطب مقابلة جميلة، فما أقسى أن يكون صاحب الوجه الجميل والجسم الناعم قاسي القلب، وهذا وإن لم يكن في المعنى المشترك لكنه يمهد له.

ذكر أبو هلال العسكري أن بيت ابن أبي فنن من بديع المعاني^(١).

وجعله ابن الأثير من الضرب الثالث من السلخ وهو:

(١) ديوان المعاني: ٢٨٤/١.

«أخذ المعنى ويسير من اللفظ، وذلك من أقبح السرقات، وأظهرها شناعة على السارق»^(١).

وبذلك خالف أبا هلال العسكري والشيخ عبد القاهر.

وقد بينت من خلال تحليل الشاهدين ما يخالف قول ابن الأثير.

وأخذ ابن الرومي بيت الشاهد فقال:

جَرَحَتْهُ الْعُيُونُ فَأَقْتَصَّ مِنْهَا بِجَوَى فِي الْقُلُوبِ دَامِي النَّدُوبِ^(٢)

الشاهد التسعون بعد المائتين^(٣): (البيسط)

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُغْيَتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي^(٤)

قول القائل:

(البيسط)

ذَرِ الْمَفَاخِرَ لَا تَذْهَبْ لِمَطْلَبِهَا وَاجْلِسْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْأَكِلُ اللَّائِسُ

استشهد به الشيخ على أن البلاغة والفصاحة للمعاني وليست للألفاظ فالتفاضل بين صورتين معناهما واحد إنما يعود إلى المعنى لا إلى اللفظ، فلا يمكن أن يتصور أن تكون صورة المعنى في أحد البيتين هي نفسها في البيت الآخر. إلا أن يعمد عامد إلى البيت فيغير فيه بعض الألفاظ من غير تغيير في صورة التركيب، وما كان كذلك لا يُعْتَدُّ به ولا يسمى صاحبه صانعاً؛ لأنه لم يصنع شيئاً يُعَدُّ به صانع كلام فبيت الحطيئة لم يكن شعراً من أجل معاني الألفاظ مفردة وهي بمعزل عن معاني النظم والتأليف، فهو لم يسم شعراً إلا للنظم الواقع فيه من كون «المكارم» مفعولاً (لَدَع) وكون قوله «لَا تَرَحَّلْ لِبُغْيَتِهَا» جملة أكدت الجملة قبلها، وكون «أَقْعُدْ» معطوفاً بالواو على مجموع ما مضى، وكون جملة

(١) المثل السائر: ٢٤٠/٣.

(٢) ديوان ابن الرومي: ١٧٣/١.

(٣) الدلائل، رضا: ٣٧٢، خفاجي: ٤٤٢، شاکر: ٤٨٧.

(٤) سبق تخريجه: ٩٣٥.

«أنت الطاعم الكاسي» معطوفة بالفاء على «اقعد» فالذي يجيء فلا يُغير شيئاً من هذا التركيب لا يعد صانعاً شيئاً ألبتة^(١).

قال الشيخ :

«وجملة الأمر أنه كما لا تكون الفضة أو الذهب خاتماً أو سواراً أو غيرهما من أصناف الحُلْيِ بأنفسهما، ولكن بما يحدث فيهما من الصورة، كذلك لا تكون الكلم المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف، كلاماً وشعراً، من غير أن يُحدث فيها النظم الذي حقيقته تَوَخِّي معاني النحو وأحكامه.

فإذن ليس لمن يتصدى لما ذكرنا، من أن يعمد إلى بيت فيضع مكان كل لفظة منه لفظة في معناها، إلا أن يُسْرَكَّ عقله، ويُسْتَحَفَّ^(٢).

الشاهد الواحد والتسعون بعد المائتين^(٣) : (الكامل)

قال حَسَن :

يُغْشَوْنَ حَتَّى^(٤) مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ^(٥)

(١) الدلائل، رضا: ٣٧٢ - ٣٧٣، خفاجي: ٤٤٣، شاکر: ٤٨٨.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٧٣، خفاجي: ٤٤٣، شاکر: ٤٨٨.

(٣) الدلائل، رضا: ٣٧٣، خفاجي: ٤٤٣، شاکر: ٤٤٨.

(٤) رواية كتاب سيويه، وشرح أبيات سيويه للسيرافي:

«حتى لا تهر».

(٥) انظر البيت في:

ديوانه - دار الكتاب العربي -: ٣٦٢، الكتاب: ١٩/٣، الشعر والشعراء: ٣١٢/١، النوادر للقبالي: ١١٧، شرح أبيات سيويه: ٦٩/٢، المنصف في نقد الشعر: ٢٥٠، المصون: ٢٣، ديوان المعاني: ٣٢/١، ٣٧، زهر الآداب: ١١٥٨/٤، العملة: ١٣٩/٢، بهجة المجالس: ٢٩٧/١، ٥٠٤/٢، المحاسن والمساوي: ٧٥، الأمالي لابن الشجري: ١٠/٢، محاضرات الأدباء: ٥٣٢/٢، شرح المفصل: ٢٦/٣/١، ١٣٣/٦/٢، شرح جمل الزجاجي: ١٦٨/٢، مغني اللبيب: ١٢٩/١، شرح شواهد المغني: ٣٧٨/١، ٣٨٢، ٤٧٦، همع الهوامع: ٩/٢، الأشموني: ٢٩٦/٢، الدرر اللوامع: ٧/٢.

وقول القائل:

(الكامل)

يُغَشُونَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ أَبَدًا وَلَا يَتَسَلُونَ مَنْ ذَا الْمُقْبِلِ

وهو من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الغساني من أولاد جفنة الغسانيين، ومطلعها:

أَسَأَلْتُ رَسَمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ بَيْنَ الْجَوَابِي (١) فَالْبُضِيعِ (٢) فَحَوَمَلِ

وقول الشاهد:

أُولَادُ جَفْنَةَ حَوَلِ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

وبعده:

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ (٣) عَلَيْهِمْ بَرَدَى (٤) يُصَفَّقُ (٥) بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

والشاهد يُستشهد به في كتب الأدب على أنه أمدح بيت قالته العرب (٦).

(١) الجابية: بكسر الباء وياء مخففة وأصله في اللغة «الحوض» الذي يجيى فيه الماء للإبل، وهي قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الحيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران، وبالقرب منها تل يسمى تل الجابية فيه حَيَاتٌ صغار نحو الشبر عظيمة النكاية، والجولان بالفتح ثم السكون قرية، وقيل جبل من نواحي دمشق ثم من عمل حوران. معجم البلدان: ١٨٨/٢.

(٢) البضيع: وقيل البصيع بالصَّاد غير المعجمة، وهو جبل أسود بالشام. معجم البلدان: ٤٤٤/١.

(٣) البريص: بالصاد المهملة: اسم نهر دمشق، وهو في شرَحسان يدل على أن البريص اسم الغوطة بأجمعها، فإنه يقول: يسقون ماء بَرَدَى - وهو نهر دمشق - مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ. معجم البلدان: ٤٠٧/١.

(٤) بَرَدَى: بثلاث فتحات أعظم نهر بدمشق، مخرجه من قرية يقال لها «قنوا» من كورة الزبداني على خمسة فراسخ من دمشق من جهة بعلبك من عيون هناك تنصب إلى الفيحة مراصد الاطلاع: ١٨١/١.

(٥) يصفق: يمزج. اللسان «صفق»: ٢٠٢/١٠.

(٦) زهر الآداب: ١١٥٨/٤.

ويستشهد به النحاة على أنَّ «حتى» هنا حرف ابتداء بدليل رفع «ما تهر» إلَّا أنَّ الكسائي رأى جواز نصب «ما تهر» ورد بعدم السماع.
ورأى ابن مالك أنَّ حتى هنا جارة وبعدها «أن» مضمرة^(١).
والشاهد فيه كسابقه، فالزاعم هنا حاول تغيير التركيب إلَّا أنه قد فشل في ذلك.

قال:

«... فإذا نزل من بيت يصدي لما ذكرنا من أن يعتمد إلى بيت فيضع مكان كل لفظة منها لفظة في معناها، إلَّا أن يُستركَّ عقله، ويُستخفَّ، ويُعدَّ معدَّ الذي حُكي أنه قال: إني قلت بيتاً هو أشعر من بيت حسان... ففيل هو بيت حسان، ولكنك قد أفسدته»^(٢).

ومن أوجه الفساد في قول الزاعم، أنه وصل بين الجملتين بالواو «ولا يسلون» مع أن الفصل هنا أمكن كما فعل حسان لأن غرض الشاعر أن يبالغ في امتداح القوم، فغشيان الناس ديارهم دون أن تهر كلابهم دليل على كرمهم، وعدم سؤالهم عن السواد القادم مبالغة في بيان عظيم ذلك الكرم.

وقوله «من ذا» ليس كقوله حسان «عن السواد» فكلمة السواد صرحت بكثرة القاصدين، أما قوله: «من ذا» فهو استفهام على الحقيقة ليس فيه تصريح بالكثرة.

فمعنى الشاهد:

أن أبناء جفنة بلغوا من الكرم مبلغاً لا يدانيهم فيه أحد، فجعل لذلك

(١) انظر في ذلك:

كتاب سيبويه: ١٨/٣، شرح أبيات سيبويه للسيرافي: ٦٩/٢، شرح جمل الزجاجي:

١٦٨/٢، مغني اللبيب: ١٢٩/١، الدرر اللوامع: ٧/٢.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٧٣، خفاجي: ٤٤٣، شاکر: ٤٨٨.

كلاهم لا تنجح من يغشاهم لاعتيادها على الأضياف، وهم على كثرة من يأتيهم -
بدليل يُغشون للمجهول فدل على الكثرة - لا يسألون عن الشخص المقبل
لعلمهم بأنهم طُلاب إحسان ومعروف، فيستقبلونهم ويضيفونهم ولا يحملونهم
مشقة الطلب والسؤال.

ذكر ابن وكيع أن أبا نواس قد أخذ هذا المعنى فقال:
إِلَى بَيْتِ حَانَ لَا تَهْرُ كِلَابُهُ عَلَيَّ وَلَا يَخْشَوْنَ^(١) طَوْلَ ثَوَائِي^(٢)
وأنه لا فرق بين المعنيين^(٣).

وقال حاتم الطائي في هذا المعنى:
فَإِنْ^(٤) كِلَابِي قَدْ أَقْرَتْ^(٥) وَعُودَتْ قَلِيلٌ عَلَيَّ مَنْ يَعْتَرِينِي هَرِيرُهَا^(٦)
تمهيد:

بعد أن شرح الشيخ فكرته في أن الفصاحة للمعاني لا للألفاظ، واستدل
على ذلك بأنه ما من بيتين اتحد معناهما واختلفت صورهما إلا وكان مرّد ذلك
إلى التركيب ثم أهاب بالعقول أن تدقق النظر فيما كتبه العلماء من الموازنات
قال:

«واعلم أنه إنما أتى القوم من قلة نظرهم في الكتب التي وضعها العلماء
في اختلاف العبارتين على المعنى الواحد، وفي كلامهم في أخذ الشاعر من
الشاعر، وفي أن يقول الشاعران على الجملة في معنى واحد، وفي الأشعار التي
دونوها في هذا المعنى، ولو أنهم كانوا أخذوا أنفسهم بالنظر في تلك الكتب،

(١) رواية الديوان «ولا يُكْرَن».

(٢) ديوانه: ٤٠٢.

(٣) المنصف في نقد الشعر: ٢٥.

(٤) رواية الديوان: «وإن».

(٥) رواية الديوان: «أهرت».

(٦) ديوانه - دار صادر: - ٦٣.

وتدبروا ما فيها حقَّ التدبر، لكان يكون ذلك قد أيقظهم من غفلتهم، وكشف الغطاء عن أعينهم»^(١).

ثم قسم هذا الفصل قسمين:

القسم الأول:

الموازنة بين شعريين أحدهما كان معناه غفلاً ساذجاً، والآخر فيه صنعة.

والقسم الثاني:

كلا طرفي الموازنة فيه صنعة وإجادة.

قال:

«وقد أردت أن أكتب جملة من الشعر الذي أنت ترى الشاعرين فيه قد قالوا في معنى واحد وهو ينقسم قسمين: قسم أنت ترى أحد الشاعرين فيه قد أتى بالمعنى غفلاً ساذجاً، وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق وتُعجب. وقسم أنت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى وصوراً»^(٢).

(١) الدلائل، رضا: ٣٧٣ - ٣٧٤، خفاجي: ٤٤٤، شاعر: ٤٨٩.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٧٤، خفاجي: ٤٤٤، شاعر: ٤٨٩.

أ- الموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المتعدد

الشاهد الثاني والتسعون بعد المائتين^(١): (المنسرح)

قول المتنبي:

يُثَمِّى اللَّيَالِي سَهْرُ^(٢) مِنْ طَرَبِي^(٣) شَوْقاً إِلَى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدُهَا^(٤)

وهو من قصيدة قالها في صباه مادحاً محمد بن عبد الله العلوي المشطوب^(٥)

- (١) الدلائل، رضا: ٢٧٤، خفاجي: ٤٤٥، شاکر: ٤٨٩.
- (٢) رواية العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ورواية الدلائل تحقيق شاکر: «سَهْرُ». ويبدو لي أن هذه الرواية أبلغ لأن بعض أهل العربية فرّقوا بين السهر «بالراء»، والسهد «بالدال»، فجعلوا السهر لكل شيء، أما السهد فهو خاص باللديغ والعاشق. خزانة البغدادي - الخانجي -: ١٦٣/٦.
- (٣) رواية العرف الطيب: «من طَرَبٍ» والطرب خفة تصيب الإنسان لشدة سرور أو حزن، ويبدو أن رواية العرف الطيب «من طَرَبٍ» أولى؛ لأن في التنكير معنى التكثير والتعظيم، أي حزن عظيم كثير.
- (٤) لم أجد البيت إلا في: ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٢٩٨/١، العرف الطيب: ٣٣/٣، خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي: ١٦١/٦.
- (٥) قال ابن ماکولا: «الأشتر النقيب أبو الحسين محمد بن عبد الله بن علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، مدحه المتنبي، وكان يلقب: المصهرج، قاله لنا الشريف النساب». وذكر العكبري أن الممدوح كان جواداً شهماً جميل الصورة، فقد واقع قوماً من العرب =

ومطلعها:

أَهْلًا بِدَارِ سَبَاكَ أَغْيَدَهَا أَبْعَدَ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا^(١)

وقبل الشاهد:

يَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعِ فِتْنَةً أَضْلَهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا
لَيْسَ يَجِيكَ الْمَلَامُ فِي هَمِّهِ أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا

وبعدهما الشاهد وبعده:

أَحْيَيْتُهَا وَالْدُمُوعُ تَنْجِدُنِي شُوْنَهَا وَالظَّلَامُ يُنْجِدُهَا

ذكر العكبري أن المتنبي نظر إلى قول أبي نواس في هذا المعنى:

شَكُونَا إِلَى أَحْبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا^(٢)

وذلك أن طول الليل كناية عما يكون فيه من الهموم والآلام، ومنها السهر، وقصر الليل كناية عما يكون فيه من المسرات، والمباهج ومنها النوم الهادي العميق.

ومن هنا كان بيت أبي نواس أغزر معنى، وأدق تصويراً لما يعانيه الشاعر، ولما يعيش فيه أحبابه، وألطف أداء لما فيه من الكنايتين، ولعل ذلك سر قول العكبري «نظر» ولم يقل أخذ مثلاً.

بظاهر الكوفة، وهو شاب دون العشرين سنة، فقتل منهم جماعة، وجرح في وجهه فكسته الضربة حسناً، فمدحه المتنبي بقصيدته التي منها بيت الشاهد.

وذكر الأستاذ محمد شاعر في كتابه «المتنبي» أن المشطب هذا كان من لِدَات أبي الطيب وأسنانه، وكان يدرس معه في «كتاب فيه أولاد أشرف الكوفة» ثم رجح الأستاذ شاعر أن يكون المتنبي أخا المشطب من الرضاع.

انظر التبيان للعكبري: ٣٠٧/١، الإكمال: ٨١/١، المتنبي - محمود شاعر - : ٢٧/١ -

٢٨ - ٤٢ - ٧٤.

(١) خُرْدُهَا: جمع خَرِيْدَة، وخَرِيْد، وخَرُود، وهي الفتاة البكر التي لم تمس قط. اللسان: «خرد»: ١٦٢/٣.

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٣٠١/١.

مع قول البحري:

(الكامل)

لَيْلُ يَصَادِفُنِي وَمُرْهَقَةُ الْحَشَا ضِدَّيْنِ أَشْهُرُهُ لَهَا وَتَمَامُهُ^(١)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا العباس أحمد بن محمد بن بسطام^(٢)،
مطلعها:

عَهْدِي بِرَبِّكَ مُثَلًّا أَرَامُهُ^(٣) يُجَلِّي بِضَوْءِ خُدُودِهِنَّ ظِلَامُهُ

وبعده بيتان قبل الشاهد:

إِلْمَامُهُ^(٤) بِالْذَّارِ إِنَّ مُتَيَّمًا يَكْفِيهِ أَكْثَرَ شَوْقِهِ إِلْمَامُهُ
أَمْسَى يُضَرِّمُ فِي جَوَانِحِهِ الْجَوَى بَرَقَ يَشُبُّ مَعَ الْعَشِيِّ ضِرَامُهُ

وبعدهما البيت وبعده:

مَحْجُوبَةٌ فَإِذَا بَدَتْ فَكَأَنَّهَا بَذَرُ السَّمَاءِ تَمَامُهُ وَمَرَامُهُ

فالمتنبى جاء بالمعنى مباشراً، فهو «يريد ذم الليالي التي سهر فيها، ولم ينم لما أخذه من القلق، وخفة الشوق إلى من يحب، وهو كان يرقد الليالي، لأنه

(١) لم أجده في ديوانه طبعة - بيروت -، وهو موجود في ديوانه - صيرفي - ٢٠٣٧/٤.

(٢) هو أحد القواد في عصر المأمون والواثق، ولأه المأمون حصناً من حصون الروم سنة (٢١٧ هـ). قال اليعقوبي:

«وغزا المأمون بلاد الروم في هذه السنة، وهي سنة (٢١٧ هـ)، وصار إلى حصن من حصون الروم يقال له للؤلؤة، فأقام عليه حيناً لم يفتحه، فبنى عليه حصنين أنزل فيهما أبا إسحاق والرجال، ثم قفل متوجهاً إلى قرية يقال لها: «سَلْفُوس» وخَلَّفَ على حصنه أحمد بن بسطام.» وفي عهد الواثق وجهه إلى نصيبين، فضرب وحبس، وحرَّق الدور.
انظر: تاريخ اليعقوبي: ٤٦٧/٢ - ٤٨١.

(٣) أرامه: الأرام الطِّبَاءُ الخالصة البيضاء الواحدة ريم. حياة الحيوان الكبرى: ٥٢٨/١.

(٤) إلمامة؛ الزيادة القصيرة، يقال هو يزورنا لِمَمًا - بالكسر - أي غِبًّا. القاموس المحيط: ١٧٩/٤.

كان خالياً من الشوق، لا يجد من أسباب امتناع الرقاد ما يجده العاشق، وأين الخلي من الشَّجِي»^(١).

على أن بيت المتنبي لا يخلو من اللطائف، والأسرار، فقوله: «من بيت يرقدها» محكم البناء والتركيب، فالاسم الموصول «مَنْ» حمل كل معاني اللوم والعتاب لتلك المحبوبة التي تنام قريرة العين.

وفي تكرار معنى «بيت - ويرقد» تأكيد لعدم مبالاتها.

أما البحري، فقد تأنق في صياغة هذا المعنى، فجاء بتركيب ضمنه كل ما تحمله نفسه من ضيق وتبرم، وما يقاسيه من آلام الشوق وتباريح الوجد، فحذف المسند إليه «هو»، وجاء مباشرة بالمسند «ليل»؛ لأنه سبب بلواه، ومحط شكواه، وجاء به مُنْكَراً استعظاماً لقسوته، ففيه يكابد آلام الحنين. وتشتد عليه وطأة الوجد، فما أن يجن الليل حتى تظهر صورة مرهفة الحشا في الخيال، فالواو هنا دلت على تلازمهما واقترانهما.

وفي استحضار صورة تلك المحبوبة، ووصفها بأدق الصفات، وهو كونها ضامرة الخاصرة تصوير لذلك الحب، وذلك الشوق الذي تعج به النفس.

وقوله «ضِدَّين» تصريح بالمعنى الذي يدور في نفسه، وفي هذا التصريح غاية اللوعة والحسرة أن يكون هو وصاحبته «ضِدَّين»، ولو في النوم والسهر مع أن لهما دلالتهما على كل علاقة بينهما، وذلك ما يعنيه بيت المتنبي:

أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُجِبًّا غَيْرَ مَحْبُوبٍ^(٢)

الشاهد الثالث والتسعون بعد المائتين^(٣):

(البيسط)

قول البحري:

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٣٠١/١.

(٢) ديوانه بشرح العكبري: ١٧٦/١.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٧٤، خفاجي: ٤٤٥، شاکر: ٤٩٠.

وَلَوْ مَلَكَتُ رَمَاعاً^(١) ظَلَّ بِجَذْبِي قَوْداً^(٢) لَكَانَ نَدَى كَفْيِكَ مِنْ عُقْلِي^(٣)

وهو من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المديبر^(٤)، ومطلعها:
لَيْثُنْ ثَنَى الدَّهْرُ مِنْ سَهْمِي فَلَمْ يَصِلْ وَرَدُّ مِنْ يَدَيِ الطُّولَى فَلَمْ تَنْتَلِ

وقبل الشاهد:

أَتْرَكَ السَّهْلَ مِنْ جَذْوَاكَ أَتْبَعُهُ وَأَطْلُبُ النَّائِلَ الْأَقْصَى إِلَى الْجَبَلِ
نَعَمْ وَجَذْتُ الْمُخَلَى لَيْسَ يُحَمَّدُ مِنْ مَرَعَاهُ مَا يُحَمَّدُ الْمَحْظُورُ فِي الطُّولِ^(٥)
أَقْصِرْ بِرَأْيِي إِنْ شَرَقَتْ عَنْكَ غَدَاً وَمَرَّ بَعْدَكَ لِي لَيْلٌ فَلَمْ يَطْلُ

وبعدها الشاهد وبعده:

مَا بَعْدَ جُودِكَ لَوْلَا مَا يُجَاوِرُهُ بِسُرٍّ مَنْ رَأَى مِنْ جَهْلٍ وَمِنْ بَخْلِ
فَكَيْفَ أَنْظُرَ مُخْتَاراً إِلَى بَلَدٍ يَكُونُ يَأْسِي أَعْلَى فِيهِ مِنْ أَمَلِي

مع قول المتنبي:

-
- (١) الزماع: المضاء في الأمر والعزم عليه. اللسان «زمع»: ١٤٣/٨.
 - (٢) القود: نقيض السوق، يقود الدابة من أمامها، ويسوقها من خلفها، فالقود من أمام، والسوق من خلف، قذت الفرس وغيره أقوده قوداً ومقاد، وقيدودة، وقاد البعير واقتاده: جرّه خلفه. اللسان «قود»: ٣٧٠/٣.
 - (٣) العقل: جمع عقال وهو جبل يشد به البعير في وسط ذراعه. المصباح المنير: ٧٣.
 - (٤) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في: ديوانه - صيرفي -: ١٨٧٣/٣، ولم يرد البيت في طبعة بيروت.
 - (٥) هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المديبر (أبو إسحاق) (١٠٠ - ٢٧٩ هـ) وزير من الكتاب المترسلين الشعراء من أهل بغداد، تولى ولايات جليلة، واستوزره المعتمد العباسي لما خرج من سامراء يريد مصر سنة (٢٦٩ هـ) وتقلد ديوان الضياع للمعتمد. انظر ترجمته:
 - الوزراء والكتاب: ١٠٢، أخبار البحري للصولي: ٧٦ - ٨٢ - ١١٣، ١١٤، ١١٨، ١١٩، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٤، ١٥٧، الكامل لابن الأثير: ٧٥/٦، الأعلام: ٦٠/١.
 - (٦) الطول: الحبل الذي يطول للدابة فترعى فيه. اللسان «طول»: ٤١٣/١١.

(الطويل)

وَقَيْدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ^(١) مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقْيِيدًا^(٢)

فالبحتري صرّح بأنّه لو كان يزعم الرحيل، وكان في هذا الرحيل منافع تجذبه وتغريه، وتقوده قوداً، لكان كرم الممدوح من القيود التي تعوقه وتقيدته عن الرحيل.

أما المتنبي فلم ينتظر الرحيل ليمتحن وفاءه للممدوح بل أكد حبس نفسه باستعمال الفعل الماضي «وقيدت» أي نفسي رهينة محبتك منذ أمد، ولم يقل «وأقيد» فيكون التقييد أمراً مستحدثاً.

والبحتري صرّح بأن الذي قيده هو كرم الممدوح، أما المتنبي فكان أنزه حيث جعل نفسه مترفعة غير طامعة، فالذي قيده هو محبته للممدوح «وقيدت نفسي في ذراك محبة»، ثم بعد ذلك إحسان الممدوح وتفضله. وفي قوله: «قيداً تقيداً» تأكيد على تأكيد.

(الطويل)

الشاهد الرابع والتسعون بعد المائتين^(٣):

قول المتنبي^(٤):

إِذَا أَعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ أَعْتَلَّتِ الْأَرْضُ وَمَنْ قَوْفَهَا وَالْبَاسُ وَالْكَرْمُ الْمَحْضُ^(٥)

(١) الذري بالفتح كل ما استترت به، يقال: أنا في ظل فلان، وفي ذراه أي في كنفه وستره ودفته. اللسان «ذرا»: ٢٨٤/١٤.

(٢) سبق تخريجه والحديث عنه. انظر الشاهد (الحادي والستين): ٣٣٤.

(٣) الدلائل، رضا: ٣٧٥، خفاجي: ٤٤٥، شاکر: ٤٩٠.

(٤) جاء في الوساطة، والتبيان للعكبري أن بيت المتنبي مأخوذ من قول أبي تمام: وَإِنْ نَجِدُ عِلَّةً نَغْمُ بِهَا حَتَّى تَسْرَانَا نَعَادُ مِنْ مَرَضَةٍ وللمتنبي بيت آخر في هذا المعنى ذكره صاحب الوساطة، وهو قوله:

وَمَا أَخْصُكَ مِنْ بُرٍّ بِتَهْنِئَةٍ إِذَا سَلِمْتَ فِكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري: ٢/٢١٨، العرف الطيب: ٢٣/٤، الوساطة:

٢٤٠، يتيمة الدهر: ١٤٢/١، العملة: ٧٠/٢.

والشاهد أحد أبيات ثلاثة قالها المتنبي لما مرض سيف الدولة، وبيت

الشاهد أولها، وبعده:

وَكَيْفَ أَنْفَعَايَ بِالرُّقَادِ وَإِنَّمَا يِعْلَتُهُ يَعْتَلُ فِي الْأَعْيُنِ الْغُمُضُ
شَفَاكَ الَّذِي يَشْفِي بِجُودِكَ خَلْقَهُ لَأَنَّكَ (١) بَحَرَ كُلِّ بَحْرٍ لَهُ بَعْضُ

ومعنى الشاهد:

«إذا اعتل سيف الدولة - الممدوح - اعتلت لعلته الأرض، ومن عليها من الناس والقوة، والكرم الخالص؛ لأنه قوام كل شيء، فإذا اعتل اعتل له كل شيء» (٢).

ولقد خصص البأس والكرم المحض بالذكر بعد أن ذكرهما في الاعتلال العام، وهو قوله: «والأرض ومن عليها»، لأنهما أبرز، وأعظم صفات الممدوح.

وذكر ابن رشيقي أن قوله: «والبأس والكرم» حشو، وهو ما يسميه البعض - الاتكاء (٣) - إلا أن يُحمل على قوله تعالى: ﴿فَكَيْهَةٌ وَفَخْلٌ وَرِمَانٌ﴾ (٤)، فأعاد ذكرهما، وهما من الفاكة لفضلهما، فهو في هذه الحالة أمر سائع. قال:

«فقوله: «والبأس» حشو؛ لأن قوله: «ومن فوقها» دال على الإنس والجن جميعاً، والبأس والكرم جميعاً، اللهم إلا أن يحمله على تأويلهم في قول الله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَفَخْلٌ وَرِمَانٌ﴾، فأعاد ذكرهما هما في الفاكة لفضلهما، وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ (٥).

(١) رواية العرف الطيب: «فإنك».

(٢) التبيان: ١٣٥/٢.

(٣) وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن، فإن كان في القافية فهذا استدعاء.

انظر: العمدة: ٧٠/٢.

(٤) سورة الرحمن: الآية ٦٨.

(٥) سورة البقرة: الآية ٩٨.

فإن هذا سائق وليس بحشو حيثنذ^(١).

وبيت المتنبي من ذكر الخاص بعد العام، وله في البلاغة مكان، فهو من الاطناب، ومنه قوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصُّلُوكِ وَالصُّلُوكِ الْوُسْطَى﴾^(٢) وهو كثير في القرآن، وفي الفصح من كلام العرب.

مع قول البحرى:

(الطويل)

ظَلَّلْنَا نَعُودَ الْجُودِ^(٣) مِنْ وَعْكَكَ الَّذِي وَجَدْتَ وَقُلْنَا أَعْتَلْ عُضُومَ الْمَجْدِ^(٤)

وهو من قصيدة قالها في مدح إبراهيم بن المدبر، ويذكر علة نالته، ومطلعها:

بِأَنْفُسِنَا لَا بِالْطَّوَارِفِ وَالتُّلْدِ نَقِيكَ الَّذِي تُخْفِي مِنَ الْوَجْدِ أَوْتُبْدِي

وبعده بيت قبل الشاهد:

بِنَا مَعَشَرَ الْعَافِينَ مَا بِكَ مِنْ أَدَى فَإِنْ أَشْفَقُوا مِمَّا أَقُولُ فَبِي وَحْدِي

وبعده الشاهد وبعده:

وَلَمْ نُنْصِبِ اللَّيْثَ اقْتَسَمْنَا نَوَالَهُ وَلَمْ نَقْتَسِمِ حُمَاهُ إِذْ أَقْبَلْتُ تُرْدِي

إذا تأملنا البيتين وجدنا أن الغرض المشترك بينهما يعتمد على معنيين، أحدهما أصل، وهو اعتلال الممدوح، والآخر فرع، وهو اعتلال الأرض ومن عليها، وقد عمد المتنبي إلى الأصل، وجاء بالمعنى صريحاً، فقيّد اعتلال الأرض باعتلال الممدوح، وذلك عن طريق الشرط بـ «إذا».

وقوله: «ومن فوقها» بعد ذكر «الأرض» ليدل على أن كرمه وإحسانه قد

(١) العمدة: ٧٠/٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٨.

(٣) رواية الديوان: «المَجْد».

(٤) ديوان البحرى: ٢٤٤/١، الوساطة: ٢٤٠، العمدة: ٧٠/٢.

شمل كل كائن حي يدب على الأرض، وكل جماد قائم عليها، فهو قوام كل شيء.

أما البحثري فذكر الفرع أولاً وجعله عماد الصورة، ثم ذكر الأصل صريحاً «مِنْ وَعَيْكَ الَّذِي وَجَدْتُ»، وعول في الفرع على الفحوى، ودلالة الفحوى على اعتلال الأرض هي قوله: «ظَلَّلْنَا نَعُودُ الْجُودَ»، فعيادة الجود تدل على اعتلاله، واعتلال الجود دل على اعتلال الأرض، وهذه صورة بارعة حية فيها حركة وتجسيد تفتح لخيال السامع جنان المعاني.

وقوله: «ظَلَّلْنَا نَعُودُ» دل على كثرة زيارة الجود، وقلق واضطراب الزائرين عليه، لحاجتهم الماسة إليه.

وقوله: «وقلنا اعتل عضو من المجد»، وصف للممدوح بالمجد الخالد، فهذا الجود الذي عمَّ الأرض إنما هو عضو من أعضاء مجده التليد، فصفاته لا تنحصر في هذا الجود، فإن كان اعتلال عضو منه قد أحدث في الكون ما أحدث فكيف إذا اعتلت كل أعضائه؟ ولعلي بن الجهم^(١) في هذا المعنى: وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنَ الدَّهْرِ رَبِّ عَمَّ مَا خَصَّكُمْ جَمِيعَ الْأَنَامِ^(٢)

(١) هو علي بن الجهم بن بدر، أبو الحسن (٢٤٩ - ٣٠٠ هـ) من بني لؤي بن غالب، شاعر رقيق الشعر أديب، من أهل بغداد كان معاصراً لأبي تمام، وخص بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه المتوكل، فنفاه إلى خراسان، فأقام مدة، وانتقل إلى حلب، ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو، فاعترضه فرسان من بني كلب فقاتلهم، وجرح، ومات من جراحه، له ديوان شعر مطبوع. انظر ترجمته:

تاريخ الطبري: ١٥٢/٩، ١٦١، ١٧٠، ١٧٥، ١٩٦، ٢٦٤، الأغاني: ٢٠٣/١٠، ٢٣٤، معجم الشعراء: ٢٨٦، سمط اللآلي: ٥٢٦، طبقات الحنابلة: ٢٢٣/١، تاريخ بغداد: ٣٦٧/١١، الأعلام: ٢٧٠/٤.

(٢) ديوان: ١٨٢، ورواية الديوان «فإذا»، الوساطة: ٢٣٩.

ولأبي هفان^(١):

قَالُوا أَعْتَلَّتْ فَقُلْتُ كَلًّا (م) إِنَّمَا أَعْتَلُّ الْعِبَادُ
وَالَّذِينَ وَالْذُّنْيَا لِعِلَّتْ هِ وَأَظْلَمَتِ الْبِلَادُ^(٢)

الشاهد الخامس والتسعون بعد المائتين^(٣): (الكامل)

قول المتنبي:

يُعْطِيكَ مُبْتَدَأُ^(٤) فَإِنْ أَعْجَلْتَهُ أَعْطَاكَ مُعْتَذِرًا كُفِّنَ قَدْ أَجْرَمَا^(٥)

والشاهد من قصيدة له قالها في صباه يمدح بها إنساناً، وأراد أن يستكشف

مذهبه، ومطلعها:

كُفِّي أَرَانِي وَيِّكَ لَوَمِّكَ الْوَمَا هُمْ أَقَامَ عَلَى فُؤَادٍ أَنْجَمَا^(٦)

وقبل الشاهد:

لَمْ تَجْمَعْ الْأَضْدَادَ فِي مُتَشَابِهِ إِلَّا لِتَجْعَلَنِي لِبُغْرِي مَغْنَمًا
كَصِفَاتٍ أَوْحَدِنَا أَبِي الْفَضْلَ الَّتِي بَهَرْتُ فَأَنْطَقَ وَاصِفِيهِ وَأَفْحَمَا

وبعد الشاهد:

وَيَرَى التَّعَظُّمَ أَنْ يُرَى مُتَوَاضِعًا وَيَرَى التَّوَاضُّعَ أَنْ يُرَى مُتَعَظِّمًا

(١) أبو هفان: عبد الله بن أحمد بن حرب المهزبي العبدي، شاعر وراوي من أهل البصرة، سكن بغداد وأخذ عن الأصمعي وغيره، كان فقيراً يلبس ما لا يكاد يستر جسده، له عدة مؤلفات منها: (أخبار أبي نواس)، (أخبار الشعراء)، (صناعة الشعر). انظر ترجمته:

سمط اللالي: ٣٣٥/١، نزهة الألبا: ١٥٦، لسان الميزان: ٢٤٩/٣ - ٢٥٠.

(٢) الوساطة: ٢٣٩، التبيان للعكبري: ٢١٨.

(٣) الدلائل، رضا: ٣٧٥، خفاجي: ٤٤٦، شاعر: ٤٩٠.

(٤) رواية العرف الطيب، والدلائل تحقيق شاعر: «مبتدأ».

(٥) انظر البيت في:

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٣٠/٤، العرف الطيب: ٤٦٨/٤، المنصف في نقد

الشعر: ١٢٤.

(٦) أنجم: أقلع. التكملة والذيل والصلة «نجم»: ١٥٢/٦.

ومعنى بيت المتنبي:

«أنه يعطي من قبل أن تسأله، فإن أعجلته أعطاك معذراً إليك، كأنه قد أتى بذنب»^(١).

مع قول أبي تمام:

(الطويل)

أَخُو عَزَمَاتٍ^(٢) فِعْلُهُ فِعْلُ مُحْسِنٍ إِلَيْنَا وَلَكِنْ عُذْرُهُ عُذْرُ مُذْنِبٍ^(٣)

وهو من قصيدة يمدح بها خفافش بن لهيعة الحضرمي^(٤)، مطلعها:
تَقِي جَمَحَاتِي لَسْتُ طَوَّعَ مُؤْنَبِي وَلَيْسَ حَيْنِي إِنْ عَذَلْتِ بِمُضْجِي

وقبل الشاهد:

رَأَيْتُ لِعِيَّاشٍ خَلَائِقَ لَمْ تَكُنْ لِنَكْمَلِ إِلَّا فِي اللَّبَابِ الْمُهَذَّبِ
لَهُ كَرَمٌ لَوْ كَانَ فِي الْمَاءِ لَمْ يَغْضُ وَفِي الْبَرْقِ مَا شَامَ أَمْرُ بَرْقِ خُلْبٍ^(٥)

(١) التبيان في شرح الديوان: ٣٠/٤.

(٢) رواية الديوان، رواية المنصف في نقد الشعر:
«أخو أزمات».

ويبدو لي أنها أجود؛ لأن الموقف هنا موقف عطاء، وفك أزمات.

(٣) لم أجده إلا في:

ديوان أبي تمام - دار صعب - ٢٧، المنصف في نقد الشعر: ١٢٤.

(٤) ورد اسم «خفافش» في ديوانه - دار صعب - وفي أخبار البحتري وأبي تمام للصولي، وفي العقد الفريد، ورد اسم «عِيَّاش»، وفي النجوم الزاهرة، ورد اسم «عباس»، وعيَّاش بن لهيعة قصده أبو تمام في مصر، وكان قائد شرطتها سنة (٢٠١ هـ) ومدحه في بادئ الأمر، ونال منه العطايا، ثم حدث أن استسلفه أبو تمام مائتي مثقال، فشاور زوجته، فقالت: هو شاعر يمدحك اليوم ويهجوك غداً فأحتل عليه واعتذر إليه، ولم يقض حاجته، فهجاه أبو تمام، وظل يهجوّه حتى بعد موته.

انظر: العقد الفريد - دار الفكر -: ١٦٥/١، ١٩٦، ٢٣٩/٤، أخبار أبي تمام: ١٢١، أخبار البحتري: ١٤٥، النجوم الزاهرة: ١٦٨/٢.

(٥) شام البرق: نظر إليه أين يقصد وأين يطر. اللسان «شيم»: ٣٣٠/١٢.

وبعد الشاهد:

إِذَا أُمُّهُ الْعَافُونَ أَلْفَوْا جِيَاظَهُ مِلَاءً وَأَلْفَوْا رَوْضَهُ غَيْرَ مُجْدِبٍ

ولأبي تمام بيت آخر في هذا المعنى:

يُعْطِي عَطَاءَ الْمُحْسِنِ الْخَضِلِ النَّدِي عَفْوًا وَيَعْتَذِرُ أَعْتَذَارَ الْمُذْنِبِ^(١)

ولقد ذكر ابن وكيع التنيسي صاحب كتاب المنصف في نقد الشعر أن

المتنبي أخذ معنى بيته من قول ابن المعتل:

يُعْطِيكَ فَوْقَ الْمَنَى مِنْ فَضْلِ نَائِلِهِ وَلَيْسَ يُعْطِيكَ إِلَّا وَهُوَ مُعْتَذِرٌ

ولقد فاضل بين بيت ابن المعتل هذا، وبين بيت المتنبي، وبيت أبي

تمام. فرأى أن بيت ابن المعتل أجودها لأنه شرط أن عطاء الممدوح فوق المنى

وأنه لا يُعْطِي مبتدئاً ولا معاوداً إلا وهو معتذر أما أبو تمام فلم يشترط هذا الشرط

إنما قال (بذل محسن) ولفظ محسن قد يطلق على من أعطى أقل العطاء.

أما بيت أبي الطيب فأقلها جودة لأنه لم يَحُدَّ العطية بقلة ولا كثرة.

قال:

«وقول ابن المعتل أجودها؛ لأنه شرط أن عطاءه فوق المنى؛ ولأنه لا

يُعْطِي مبتدئاً ولا معاوداً إلا وهو معتذر، وأبو تمام لم يشترط هذا الشرط إنما ذكر

فقال: «بذل محسن» «واعتذار مذنّب»، ولم يقل إن عطيته فوق المنى وقد يستحق

المعطى اسم المحسن بأقل إعطاء، ويجوز أن يعتذر لعلمه بقلة العطية.

وبيت ابن المعتل أرجح لفظاً، وإن كان في بيت أبي تمام مُطَابَقَةٌ مليحة،

ولم يحصل لأبي الطيب غير أنه يُعْطِيكَ ولم يَحُدَّ العطية بقلة ولا كثرة، فإن

أعجلته أعطاك واعتذر.

= وَبَرَقَ خُلْبُ: الذي لا غيث فيه كأنه خادع يومض حتى تطمع بمطره ثم يخلفك. اللسان

«برق»: ٣٦٤/١.

(١) ديوان أبي تمام: ١٩.

وما يقع اعتذاره بعد الإعجال إلا لأمرين:

أحدهما: أنه أخرجك إلى المسألة أو قلّة ما خضّره من العطاء. كما حكى
أن شاعراً أعجل بعض الأمراء وهو عبد الله بن طاهر، فدفع إليه ما أمكنه أن يوجد
به وكتب إليه:

أُعْجَلْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بَرْنَا قُلًّا وَلَوْ أُمْهَلْتَنَا لَمْ نُقِيلْ
فَخُذِ الْقَلِيلَ وَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَسَلْ وَنَكُونُ نَحْنُ كَأَنَّا لَمْ نُسْأَلْ

ومن اعتذر بعد الإكثار أولى ممن اعتذر بالكرم من إعجال أو تقصير فعبد
الصمد أولى بشعره ممن أخذ منه^(١).

الشاهد السادس والتسعون بعد المائتين^(٢):
(الطويل)

قول المتنبي:

كَرِيمٌ مَتَى اسْتَوْهَيْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ وَقَدْ لَقِحتُ حَرْبٌ فَإِنَّكَ نَازِلٌ^(٣)

وهو من قصيدة قالها في مدح سيف الدولة عند دخول رسول الروم في
صفر سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ومطلعها:

دُرُوعُ لِمَلِكِ الرُّومِ هَذِي الرِّسَائِلُ يَرُدُّ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَيُشَاغِلُ

وقبل الشاهد:

إِذَا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَابٌ فَوَابِلُهُمْ طُلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلٌ

وبعد الشاهد:

أَذَا الْجُودُ أَعْطَى النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ وَلَا تُعْطِيَنَّ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلٌ

ومعنى بيت المتنبي:

(١) المنصف في نقد الشعر: ١٢٥ - ١٢٦.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٧٥، خفاجي: ٤٤٦، شاکر: ٤٩١.

(٣) ديوان أبي الطيب بشرح المعكبري: ١١٦/٣.

العرف الطيب: ٢٤٤/٤.

«يريد أنه جواد كريم ما يُسئل شيئاً إلا أعطاه، فيقول: أنت كريم لا يخل على من استوهبه، ولا يمنع من سألَه، فلو سئل من أحوج ما يكون إليه شيئاً لوهبه»^(١).

مع قول البحري:

(البيسط)

ماضٍ عَلَى عَزْمِهِ فِي الْجُودِ لَوَهَبَ الْ شَبَابَ يَوْمَ لِقَاءِ الْبَيْضِ مَا نَدِمَا^(٢)

وهو من قصيدة يمدح بها رافع بن هرثمة^(٣) مطلعها:

بِاللَّهِ آلِي يَمِيناً بَرَّةً قَسَمَا مَا كَانَ مَا زَعَمَ الْوَاشِي كَمَا زَعَمَا

وقبل الشاهد:

وَطَاوَلُوهُ إِلَى الْعَلِيَا فَفَاتَهُمْ نَجْمُ السَّمَاءِ تَعْلَى فَوْقَهُ وَسَمَا
يَأْتِي مُرَجَّوُهُ أَفْوَاجاً لِنَائِلِهِ يَسْتَرْفِدُ الْفَوْجُ بِالْفَوْجِ الَّذِي اقْتَحَمَا

وبعد الشاهد:

لَا يَبْرَحُ الْحَزْمُ يَسْتَوْفِي عَزِيمَتَهُ أَقَامَ مُتَيْدّاً أَوْ سَارَ مُعْتَزِماً

فالمعنى المتحد في البيتين تصوير كرم الممدوح وعطائه أفضل ما يملك.

فممدوح المتنبي إن استوهب فرسه الذي يركبه للقاء العدو والدفاع عن

(١) شرح العكبري (التيان): ١١٧/٣.

(٢) ديوان البحري: ١٤٨/٢.

(٣) رافع بن هرثمة، وقيل لم يكن هرثمة أباه وإنما كان زوج أمه، وهو رافع بن نُؤمرد، ولي خراسان من قِبَل محمد بن طاهر في سنة (٢٧١ هـ) عندما عزل الموفق عمرو بن الليث الصَّفَّار عن إمرة خُراسان، ثم وردت كتب الموفق على رافع بقصد جُرجان فحاصرها سنتين، واستولى على طبرستان، وعزل عن خراسان في ولاية المعتمد، فخرج على أمير خراسان، وقُتل رافع (٢٨٣ هـ)، وكان أميراً جواداً عالي الهمة واسع الممالك.

انظر: تاريخ الطبري: ٦٢١/٩، ٣١/١٠، ٤٤، ٥٠، الكامل لابن الأثير: ٣٦٧/٧ - ٣٦٩، ٤٥٧ - ٤٥٩، العبر: ٤٠٧/٢، البداية والنهاية: ٧٣/١١، شذرات الذهب:

١٨٢/٢، سير أعلام النبلاء: ٤٠٦/١٣.

العرض والحمى، ولو كان ذلك في أشد الأوقات حرجاً، وهو وقت اشتداد الحرب واحتدامها فإنه لا شك نازل.

والمتنبي قد أحسن حين بدأ البيت بالمنسند مباشرة (كريم) وحذف المنسند إليه (هو) لإبراز صفة الكرم فيه وتعظيمها، وقوله: (متى استوهبت) دل على أنه يهب في جميع الأوقات والأزمنة، فلا يحد عطاءه زمان ولا مكان.

ومجيء الاسم الموصول (ما أنت) لتفخيم عطائه وتعظيمه وبناء جملة الصلة على المبتدأ (أنت) والخبر (راكب) وبناء الخبر على اسم الفاعل تصوير لتأهب الممدوح واستعداده وحاجته الملحة لهذا الفرس.

والفصل بين فعل الشرط (استوهبت) وجوابه (فإنك نازل) بقوله: (وقد لقحت حرب) ومجيء هذه الجملة مسبوقة بقدر وتنكير المنسند إليه (حرب) تعظيم وتهويل لتلك الحرب وبيان شدة وطأتها. وهذه الصورة أشادت ببالغ كرم الممدوح فبينت أنه في هذا الوقت الحرج العصيب والذي يكون فيه أشد حاجة لذلك الفرس، فما أن يُطلب منه ويسأله إياه أحد حتى يبادر بالتزول عنه، وأنظر إلى قوله: (فإنك نازل) ولطيف موقع «الفاء» هنا والتي دلت على سرعة نزوله من غير أن تكون هناك مهلة للتفكير؛ ولأن عمل الممدوح هذا من البطولات النادرة العجيبة جاء بـ (إن) ليؤكد للسامعين هذه الصورة ويقرأها في نفوسهم.

أما البحري فقد زاد على المتنبي بقوله:

(ماضٍ)، فهو وإن كان ابتداء البيت مشابهاً لابتداء المتنبي في التركيب، من البناء على حذف المنسند إليه والإتيان مباشرة بالمنسند، إلا أن لفظة البحري هنا (ماضٍ) كانت أبرع وأدق، فهو ليس كريماً فقط بل ماضٍ وعازم على ذلك الكرم، لا يصده صاد ولا يمنعه مانع.

وفاق البحري المتنبي في تصوير جود ممدوحه، فممدوحه أجود؛ لأنه يهب شبابه، وعبر عن بذل نفسه (بالشباب) ليدل على نفاسة هذا الموهوب، وقيد

وهب شبابه بـ (لقاء البيض) ليدل على أن ممدوحه لا يهبه للهو أو لعبث، وإنما للحرب، وفي هذا غاية البذل والشجاعة.

أما ممدوح المتنبي فإنه أقل جوداً، فأقصى ما يهبه هو جَوَادُه، وأين بذل الشباب من بذل الجَوَادِ؟

وقوله: (لقاء البيض) أبرع تصويراً من قول المتنبي (لقحت الحرب) وإن كانت العبارتان كناية عن شدة الحرب إلا أن البحري نَقَلْنَا إلى أرض المعركة، وأَرَانَا صورة الاحتدام حية في قوله (لقاء البيض) فلشدة الحرب والاحتدام، فإنك لا ترى أجساداً، وإنما ترى سيوفاً يصطك بعضها ببعض.

وزاد البحري أيضاً على المتنبي بقوله «ما نَدِمَا» حيث صرَّح بعدم ندمه على ما يبذل وفي هذا تأكيد لسماحة نفسه في العطاء.

الشاهد السابع والتسعون بعد المائتين^(١):
(الخفيف)

قول المتنبي:

وَالَّذِي يَشْهَدُ الْوَعَى سَاكِنَ الْقَدِّ بِ كَأَنَّ الْقِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ^(٢)(٣)

وهو من قصيدة له في مدح أبي الحسين علي بن أحمد المري الخراساني^(٤)، وكان بينهما مودة وقد كان أبو الطيب نزل عليه ضيفاً فأراد أبو الحسن الإنصراف عن أنطاكية فقال فيه قصيدته هذه والتي مطلعها:
أَيْنَ أَرَمَعْتَ أَيُّ هَذَا الْهُمَامُ نَحْنُ نَبْتُ الرَّبَى وَأَنْتَ الْغَمَامُ

(١) الدلائل، رضا: ٣٧٥ - ٣٧٦، خفاجي: ٤٤٦، شاکر: ٤٩١.

(٢) الذِّمَامُ: الحُرْمَةُ والمُحَدِّد. مختار الصحاح: (ذم): ٢٢٣.

(٣) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٣/٣٤٧، العرف الطيب: ٤/٤٦٩.

(٤) هو والي جَمَى جَرَش، من أعمال دمشق نزل به المتنبي بعد أن رحل عن بدر بن عمار واحتفى بحماه، وذلك سنة (٣٣٣ هـ) تقريباً، وقد كانت بينهما مودة وهما بطبرية، واضطر المتنبي إلى الرحيل عنه بعد أن لاحقته مكابيد الأعورين كروس أو العلويين. المتنبي - محمود شاکر - ١٥٣/١ - ١٥٥ - ٥٧.

وقبل الشاهد:

كُلُّ عَيْشٍ مَا لَمْ تُطْبَهُ جَمَامَ كُلُّ شَمْسٍ مَا لَمْ تَكُنْهَا ظِلَامَ
أَزَلِ السَّوْحَةِ الَّتِي عِنْدَنَا يَا مَنْ بِهِ يَأْسُ الْخَمِيسُ اللَّهُامَ

وبعد الشاهد:

وَالَّذِي يَضْرِبُ الْكِتَابَ حَتَّى تَتَلَقَى الْفَهَاقُ وَالْأَقْدَامُ

وذكر^(١) العكبري أن قول المتنبي هذا مأخوذ من قول أبي تمام^(٢):
مُسْرَعِينَ^(٣) إِلَى الْحُتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْحُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ

ومن قول محمد بن نواس:

يَتَبَادَرُونَ إِلَى الْهَيْجِ كَأَنَّمَا بَدَرُوا إِلَى صِلَةٍ مِنَ الْأَرْحَامِ^(٤)

ومعنى بيت أبي الطيب:

«وَالَّذِي يَشْهَدُ الْحَرْبَ غَيْرَ مُضْطَرَبِ الْجَاشِ، كَانَ الْقِتَالُ عَاهِدَهُ أَنْ لَا يُقْتَلَ
فهو يسكن إلى القتل سكونه إلى الذمام، فهو يحضرها ثابت النفس غير حافل
بشدتها»^(٥).

قول البحري:

لَقَدْ كَانَ ذَاكَ الْجَاشُ جَاشٌ مُسَالِمٍ عَلَى أَنَّ ذَاكَ الزِّيَّ زِيٌّ مُحَارِبٍ^(٦)
(الطويل)

وهو من قصيدة قالها في رفع أهل الجزيرة لأبي سعيد^(٧)، ومطلعها:

(١) التبيان: ٣٤٧/٣.

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح الخطيب التبريزي: ١٥٦/٣.

(٣) رواية الديوان: «مسترسلين».

(٤) التبيان: ٣٤٧/٣.

(٥) نفس المرجع السابق والصفحة.

(٦) ديوان البحري: ٣٥٥/٢، ديوان المعاني: ١١٧/١، التشبيهات: ١٥١.

(٧) هو محمد بن يوسف الثغري طائي من أهل مرو وكان من قواد حميد الطوسي، وأخبار =

هَبِيهِ لِمُنْهَلِّ الدُّمُوعِ السُّوَائِبِ وَهَبَاتِ شَوْقٍ فِي حَشَاهُ لَوَاعِبِ

وقبل الشاهد:

وَعُدْوَةٌ تَنْبِيْنِ الْمَشَارِقِ إِنَّ عَدَا
وَهَذِهِ يَوْمَ لَابِنِ يُوسُفَ أَسْمَعَتْ
فَبَتْ حَرِيقاً فِي أَقْصَايِ الْمَغَارِبِ
مِنَ الرُّومِ مَنْ بَيْنَ الصُّفَا فَلَاخَاشِبِ

وبعد الشاهد:

مَفَازَةٌ صَدْرٍ لَوْ تَطَرَّقُ لَمْ يَكُنْ
تَسْرَعُ حَتَّى قَالَ مَنْ شَهِدَ الْوَعَى
لَيْسَلُكَهَا فَرْداً سُلَيْكُ الْمَقَانِبِ
لِقَاءِ أَغَادٍ أَمْ لِقَاءِ حَبَائِبِ

ذكر أبو هلال العسكري أن بيت البحري من أجود ما قيل في سكون
الجأش في الحرب^(١).

فبيت المتنبي لا يزيد معناه على أن ممدوحه ساكن القلب في الحرب،
فالقتال عنده لشجاعته كأنه ذمام وحرمة يطمئن إليها.

أما البحري فكان أسلوبه محكماً، فقد صاغ المعنى العميق ذا الشعب
والفروع في اللفظ اليسير مع براعة في التركيب ودقة في التصوير، فوصف
ممدوحه وصفاً مؤكداً فأبرزه في صورة رابط الجأش، وبدأ البيت بقوله: (لقد)
فجاء بلام التوكيد مقرونة بقد التي تفيد تحقيق وقوع الفعل. وجاء باسم الإشارة
(ذاك) الذي يُشار به للبعيد ليفخم ويعظم رباطة جأشه.

الثغري منشورة في كتب التاريخ، والأغاني، وقد كان الثغري حامياً للثغور، ثم ولاه
العباسيون الجزيرة والشام، وعزله المتوكل، ثم أعاده إلى ولاية أرمينيا، توفي عام
(٢٣٦ هـ).

انظر ترجمته:

تاريخ الطبري: ١١/٩ - ١٤، ١٦ - ٢٣، ٢٩، ٣٢، ٤٩، ٥٤، ٦٨، ٧٥، ١٨٥.
أخبار البحري للصولي: ٢٩ - ٦٣، ٦٤، ٩٧، ٩٨، ١٢٣، ١٤٦، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤،
١٥٧، ١٨٧.

(١) ديوان المعاني: ١١٧/١.

وانظر إلى قوله (ذاك الجأش جأش) بسكون طائر وخفض جناح، ودع النفس تقف وقفة قصيرة عند لفظ «ذاك الجأش» حتى يشيع فيها ذاك التشوف، فإذا جاء لفظ (جأش) الثاني مضافاً إلى (مسالم) كان ذاك بياناً للمراد من لفظ (الجأش) الأول فيقع معناه في النفس موقعاً متمكناً.

وحتى لا تسكن نفس السامع إلى هذا القرار وتظنه نهاية المطاف جاء بقوله: (على أن ذاك) فـ«على» هنا شددت الأسماع ولفتت الأنظار إلى معنى جديد، وهي دعوة جديدة للنفس أن تعود للتأمل والاستشراق، وجاء به مؤكداً (بأن) تعظيماً وتفخيماً لذاك الزي.

وفي تكرار هذا التركيب في شطري البيت.

(لَقَدْ كَانَ ذَاكَ الْجَاشَ جَاشَ ... عَلَى أَنَّ ذَاكَ الزَّيَّ زَيٌّ ...).

يجعل للبيت رنيناً قوياً يهز النفس عند سماعه، وهذا الرنين القوي يناسب قوة جأشه.

الشاهد الثامن والتسعون بعد المائتين^(١): (الكامل)

قول أبي تمام:

الصُّبْحُ مَشْهُورٌ بِغَيْرِ دَلَائِلٍ مِنْ غَيْرِهِ آتُبُعِيَتْ وَلَا أَعْلَامٌ^(٢)

وهو من قصيدة قالها في مدح الواثق^(٣)، يهنته فيها بالخلافة، ويرثي

(١) الدلائل، رضا: ٣٧٦، خفاجي: ٤٤٧، شاکر: ٤٩١.

(٢) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ٢٠٨/٣.

(٣) هو هارون بن أبي إسحاق محمد المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور بويج بالخلافة بسر من رأى بعد موت أبيه المعتصم (٢٢٧ هـ). ولد الواثق سنة (١٩٦ هـ)، أمه أم ولد اسمها قراطيس، كان فصيحاً شاعراً لبيباً أحسن إلى بني عمه، وبرهم، وأصلح الاضطرابات الداخلية، وافتتح جزيرة صقلية، مات بسر من رأى (٢٣٢ هـ) وكانت خلافته خمس سنين وستة أشهر وعمره ست وثلاثون سنة وأحد عشر شهراً وأربعة أيام.

انظر: تاريخ الطبري: ١٢/٩، ١٧ - ١١١ - ١١٣ - ١٢٠، ١٢٣ - ١٥٧، ١٦٦، ١٦٩،

٢١٦، ٢٢٣، ٢٣١، ٢٣٢، ٣٠٦، ٤١٣، ٤٣٩.

المعتصم، ومطلعها:

مَا لِلدُّمُوعِ تَرُومُ كُلِّ مَرَامٍ وَالْجَفْنُ ثَاكِلُ هَجَعَةٍ وَمَنَامٍ

وقبل الشاهد:

لَا قَدَحَ فِي عُودِ الْإِقَامَةِ بَعْدَمَا مَذْخُورَةٌ أَخْرَزَتْهَا بِحُكُومَةٍ
لَسْنَا مُرِيدِي حُجَّةٍ نَشْفِي بِهَا مَتَّتْ إِلَيْكَ بِحُرْمَةٍ وَذِمَامٍ
لِلَّهِ تَعْلُو أَرْؤُسَ الْحُكَّامِ مِنْ رِيَّةٍ سَقْمًا مِنَ الْأَسْقَامِ

وبعد الشاهد:

فَأَقِمْ مُخَالِفَنَا بِكُلِّ مَقَوْمٍ وَاحِصِمِ مُعَانِدَنَا بِكُلِّ حُسَامٍ

مع قول المتنبي:

(الوافر)

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ (١) شَيْءٌ إِذَا (٢) أَحْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ (٣)

والشاهد من قصيدة قالها حين حضر مجلس سيف الدولة، وبين يديه
أُتْرَجٌ (٤).....

= الفخري في الأدب السلطانية: ٢٣٦، التنبيه والإشراف: ٣٢٨، مروج الذهب: ٦٥/٤،
سمط النجوم العوالي: ٣/٣٣٠ - ٣٣٥.

(١) رواية الديوان والتمثيل والمحاضرة ودلائل الإعجاز ونهاية الأرب: «الأفهام».

(٢) رواية معاهد التنصيص: «متى احتاج».

(٣) انظر البيت في:

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٩٢/٣، العرف الطيب: ٣٦٧/٤، التمثيل والمحاضرة:

١١١، ٢٤٣، محاضرات الأدباء: ٧٥/١، يتيمة الدهر: ٢٠٣/١، بديع القرآن: ٢٨٠،

نهاية الأرب: ١٠٦/٣، معاهد التنصيص: ١١٨/٤.

(٤) الأُتْرَجُ: معروف واحدته تُرْنَجَةٌ وأُتْرَجَةٌ، ويقال: تُرْنَجَةٌ، وتُرْنَجٌ، واللغة الفصحى أُتْرَجٌ

وأُتْرَجَةٌ، وهو ثمر رائحته طيبة، وله فوائد طبية كثيرة ذكرها النويري في نهاية الأرب. التبيان

للعكبري: ٩٠/٣، اللسان «ترج»: ٢١٨/٢، نهاية الأرب: ١٧٨/١١ - ١٨٤، معجم

الألفاظ الفارسية المعربة: ٣٤.

وَطَلَعَ^(١)، وهو يمتحن الفرسان، وعنده ابن حبش شيخ المَصْنِصَةِ^(٢)، فَقَالَ لَهُ:
 لَا تَتَوَهَّمْ هَذَا لِلشَّرْبِ، فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:
 شَدِيدُ الْبُعْدِ مِنْ شُرْبِ الشُّمُولِ^(٣) تُرْنِجُ الْهِنْدِ أَوْ طَلَعَ النَّخِيلِ
 وَمَعَهُ آيَاتُ أُخَرِ.

فلم يتبين معنى البيت المذكور لبعض القوم، فقال المتنبي:
 أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ الْعَرَبِ الْأَصِيلِ وَكَانَ بِقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قَبْلِي
 فَعَارَضُهُ كَلَامٌ كَانَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ النِّسَاءِ مِنَ الْبُعُولِ
 وَهَذَا الدُّرُّ مَأْمُونُ التَّشْطِي وَأَنْتَ السَّيْفُ مَأْمُونُ الْغُلُولِ
 وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا أَحْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ
 وَمَعْنَى الشَّاهِدِ:

حين أنكر المنكر كلام المتنبي، ووصفه بالغموض، وعدم الوضوح قام
 المتنبي مدافعاً عن شعره، فذكر أن ما أتى به إنما هو من كلام العرب الخُلص،
 وقد أتى به بعد المعاينة، فأغناه ذلك عن أن يقول:

أنت شديد البعد عن شرب الشمول، وفي مجلسك ترنج الهند، وذلك

(١) الطَّلَعَ: هو أول ما يرى من عذق النخلة، والعذق «القَنَو» اللسان «طلع»: ٢٣٨/٨، «عذق»: ٢٣٩/١٠.

(٢) المَصْنِصَةُ: بالفتح ثم الكسر والتشديد، وباء ساكنة وصاد أخرى، وقيل بتخفيف الصادين: مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية، وبلاد الروم، كانت من الأماكن التي يُرابط بها المسلمون قديماً، والمَصْنِصَةُ أيضاً قرية من قرى دمشق قرب بيت لها، وجاء في اللسان والصحاح، المصيصة ثغر من ثغور الروم معروفة بتشديد الصاد الأولى، ومصيصة بلد بالشام، ولا تقل مصيصة بالتشديد.

انظر: الصحاح: «مصص»: ١٠٥٧/٣، مراصد الاطلاع: ١٢٨٠/٣، اللسان «مصص»: ٩٣/٧، آثار البلاد وأخبار العباد: ٥٦٤.

(٣) الشمول: اسم من أسماء الخمر، وقيل هي الباردة التي هبت عليها ريح الشمال، وقيل هي التي تشمل القوم يريحتها. فقه اللغة: ٢٧٤.

أنهم قالوا له لِمَ لَمْ تَقُلْ: بَعِيدٌ أَنْتَ مِنْ شُرْبِ الشُّمُولِ عَلَى النَّارَنْجِ أَوْ طَلْعِ النَّخِيلِ.

فسفه من هذه المعارضة، ورأى أنها كلام ساقط، وإنكار ضعيف، فوقع ذلك الضعيف من قوته، وذلك السقوط من رفعة موقع النساء من البعول، والرعية من الملك الجليل؛ لأنه قد أتى بكلام لا ينكر صوابه ولا تدفع صحته، ثم أشار إلى أنَّ شعره دُرٌّ لا يخاف تشققه وتغيره، فلا يمكن الاعتراض عليه، وهو ليس ككل دُرٍّ؛ لأنَّ الدُّرَّ الذي تعارف عليه النَّاسُ إذا طال عليه الأبد لا بد له من التغير والتبدُّل إلا هذا الدُّرُّ فإنه يزيد حسناً على مر الأيام، فشعره لقوته، ومثاقفه لا يحتاج إلى توضيح، فهو كالنَّهار لا يحتاج عاقل للاستدلال عليه بدليل؛ لأن من يحتاج إلى أن يعلم النَّهار بدليل يدل عليه لم يصح في فهمه شيء^(١).

فالمعنى المتحد في البيتين الاستدلال على الأمر بوضوح النَّهار.

فأبو تمام لم يزد على هذا المعنى شيئاً بل اقتصر على كون أمر خلافة ممدوحه واضحاً لا يحتاج إلى إعلام كالصبح مشهور ولا يحتاج إلى دليل.

أما المتنبي فقد نقل المعنى إلى شعره، وزاد المعنى اتساعاً، فهو لم يقتصر على كون شعره واضحاً ووضوح النَّهار، بل عرض بكل من يطلب الدليل على وضوحه بأنه لا يعقل ولا يفهم شيئاً، وصاغ اتهامه هذا «بإذا» الشرطية، ليحزم ويؤكد وقوع ذلك الاتهام كلما تكرر طلب الدليل.

الشاهد التاسع والتسعون بعد المائتين^(٢): (الوافر)

قول أبي تمام:

وَفِي شَرَفِ الْحَدِيثِ دَلِيلٌ صِدْقٍ لِمُحْتَبِرٍ عَلَى شَرَفِ^(٣) الْقَدِيمِ^(٤)

(١) التبيان للمكبري: ٩٢/٣.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٧٦، خفاجي: ٤٤٧، شاکر: ٤٩١.

(٣) رواية الديوان والدلائل، تحقيق شاکر: (على الشرف القديم).

(٤) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ١٦٣/٣، الموازنة محي الدين عبد الحميد:-

وهو من قصيدة قالها في مدح بني عبد الكريم الطائيين^(١) ومطلعها:
أَرَامَةٌ كُنْتُ مَأْلَفَ كُلِّ رِيمٍ لَوْ اسْتَمْتَعْتُ بِالْأَنْسِ الْقَدِيمِ

وقبل الشاهد:

فَلَوْ شَاهَدْتَهُمُ وَالزَّائِرِينَ لَمَّا مَزَتْ الْبَعِيدَ مِنَ الْحَمِيمِ
أَوْلَيْكَ قَدْ هُدُوا فِي كُلِّ مَجْدٍ إِلَى نَهْجِ الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
أَحْلَهُمُ النَّدَى سَطَاةَ الْمَعَالِي إِذَا نَزَلَ الْبَخِيلُ عَلَى التُّخُومِ
فُرُوعٌ لَا تَرِفُ عَلَيْكَ إِلَّا شَهِدَتْ لَهَا عَلَى طِيبِ الْأُرُومِ

وبعدها الشاهد وبعده:

لَهُمْ غُرْرٌ تُخَالُ إِذَا اسْتَنَارَتْ بَوَاهِرُهَا ضَرَائِرُ لِلنُّجُومِ

وذكر الأملدي في الموازنة أنه شبيه بقول أبي تمام قول البحري:
عَلَى أَنَا نُوكُلُ بِالْأَدَانِي وَتُخْبِرُنَا الْفُرُوعُ عَنِ الْأُصُولِ^(٢)

ولشيوع المعنى وتداوله بين الناس لا يعد الكلام فيه أخذاً ولا سرقة قال:
«وهذا معنى شائع في الكلام أيضاً، مشهور كثير على الأفواه أن يقولوا: إنَّ
العروق عليها ينبت الشجر، ومن أشبه أباه فما ظلم، والعصا من العصية،

(١) لم أقف على ترجمة لهم في كتب التاريخ المشهورة، وكل ما عثرت عليه ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية من أنهم كانوا يقطنون «حمص» وهم ولاية نعمة أبي تمام، ومن أجل الانتصار لهم ألّف قصائده الهجائية في أسرة عتبة بن أبي عاصم - وهم طائيون - جاء في دائرة المعارف:

«وانتقل - أبو تمام - من دمشق إلى حمص، وبدأ فيها حياته الشعرية، فنظم القصائد الهجائية في أسرة عتبة بن أبي عاصم، خدمة لولاية نعمته بني عبد الكريم». وأضاف صاحب كتاب «أبو تمام حياته وحياة شعره»: كما أن آل عبد الكريم هؤلاء ليسوا من الشهرة في التاريخ بحيث نضعهم في صف من اتصل بهم أبو تمام بعد سنة (٢١٤ هـ)، من كبار رجال الدولة الإسلامية وقوادها.

انظر دائرة المعارف الإسلامية: ١/٣٢٠، أبو تمام حياته وحياة شعره: ٩٩ - ١٠١.

(٢) لم أجده في ديوانه.

والغصن من الشجرة، ودلّت على الأم السُّخْلَةُ^(١)، ومثل هذا لا يكون مأخوذاً مستعاراً^(٢).

مع قول المتنبي^(٣):

(البيسط)

أَفْعَالُهُ نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَقُلْ مَعَهَا جَدِّي الْخَصِيبُ عَرَفْنَا الْعِرْقَ بِالْغُصْنِ^(٤)

وهو من قصيدة مدح بها أبا عبد الله محمد بن عبد الله القاضي الأنطاكي^(٥)، ومطلعها:

أَفَاصِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِيذَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنَ الْهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ

وقبل الشاهد:

الْفَاصِلُ الْحُكْمَ عَيَّ الْأَوَّلُونَ بِهِ وَالْمُظْهِرُ الْحَقَّ لِلْسَّاهِي عَلَى الدَّهْنِ

وبعده الشاهد وبعده:

الْعَارِضُ^(٦) الْهَتْنُ^(٧) أَبْنُ الْعَارِضِ الْهَتْنِ أَبْنُ الْعَارِضِ الْهَتْنِ

ومعنى الشاهد:

(١) السُّخْلَةُ: ولد الشاة من المعز والضأن ذكراً كان أو أنثى. اللسان وسخل: ٣٣٢/١١.

(٢) الموازنة - محيي الدين عبد الحميد -: ٣٢١.

(٣) الدلائل، رضا: ٣٧٦، خفاجي: ٤٤٧، شاكر: ٤٩١.

(٤) انظر البيت في:

ديوان المتنبي بشرح العكبري: ٢١٦/٤، الوساطة: ٣٠٧، المنصف في نقد الشعر: ٥٨٣.

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي، القاضي الأنطاكي، كان ينوب عن والده في مجلس القضاء بأنطاكية، وكان داهية من دهاة عصره، قصده المتنبي حين خرج من عند ممدوحه أحمد المري، ودخل أنطاكية سنة (٣٣٤ هـ).

انظر المتنبي - محمود شاكر -: ١٥٩/١ - ١٦٠.

(٦) العارض: السحاب الذي له رعد وظل. فقه اللغة: ٢٧٩.

(٧) الهتن: المتتابع، هتن المطر، والدمع يهتن هتناً وهتناً وتهتناً إذا مطر متتابعاً. الصحاح «هتن: ٢٢١٦/٦».

«هو معروف عند الناس بأفعاله الكريمة، وقد عرف أنه من ولد الخطيب، فلو لم يتسب مع أفعاله لعرفناه، كما يستدل بالغصن على الأصل»^(١).

ذكر ابن وكيع^(٢) أن قوله:

«أَفْعَالُهُ نَسَبٌ» مأخوذ من قول البحري:

وَلَسْتُ اَعْتَدُ لِفَتَى نَسَباً مَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعَالِهِ نَسَبٌ^(٣)

وعجز البيت مأخوذ من قول ابن الرومي:

كَذَابٌ عَلَيَّ فِي الْمَوَاطِنِ جَدُّهُ أَبِي حَسَنِ وَالْغُصْنُ مِنْ حَيْثُ يَخْرُجُ^(٤)

وقال غيره في هذا المعنى:

وَالْأَبْنُ يَنْشَأُ عَلَى مَا كَانَ وَالِدُهُ إِنَّ الْأَصُولَ عَلَيْهَا يَنْبُتُ الشَّجَرُ^(٥)

وهو أيضاً كقول الآخر:

وَإِذَا جَهِلْتَ مِنْ أَمْرِي أَغْرَاقَهُ وَأُصُولَهُ فَأَنْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ^(٦)

ولقد امتدح ابن وكيع بين المتنبي ورأى أنه أفضل الجميع لأنه ذكر المعنى الطويل في الموجز القصير.

قال بعد ذكر الأبيات السابقة:

«ولكنه جمع الطويل في الموجز القليل»^(٧).

وفي هذا المعنى قول أبي تمام:

(١) التبيان في شرح الديوان: ٢١٦/٤.

(٢) المنصف في نقد الشعر: ٥٨٣.

(٣) ديوانه: ٢٢٧/١ ورواية الديوان: (حَسْبُهُ).

(٤) ديوانه: ٤٩٥/٣.

(٥) المنصف في نقد الشعر: ٥٨٣.

(٦) التبيان في شرح الديوان: ٢١٦/٤، الوساطة: ٣٠٧.

(٧) المنصف في نقد الشعر: ٥٨٣.

فُرُوعٌ لَا تَرِفُ عَلَيْكَ إِلَّا شَهِدْتَ لَهَا عَلَى طَيْبِ الْأُرُومِ^(١)

فبيت أبي تمام معناه مباشر، فكل ما ذكره أنه جعل شرف ممدوحه دليلاً صادقاً على شرف نسبه.

أما المتنبي، فبدأ حديثه بجملة موجزة، وهي قوله: (أَفْعَالُهُ نَسَبٌ) وهذه الجملة تحوي معنى لطيفاً حيث قلبت المفاهيم المتعارف عليها في الأنساب، فجعل أفعال الممدوح الحميدة هي نسبه الذي يشتهر به، ثم أعقب هذا الإيجاز بتفصيل أفاد الكلام تأكيداً، وزاد، المعنى وضوحاً وتقريراً، فجاء بجملة الشرط (لَوْ لَمْ يَقُلْ مَعَهَا جَدِّي الْخَصِيبُ).

ثم أخذ يحرك الخيال وينشطه لفهم المعنى المراد، فجعل جواب الشرط صورة (الْعَرَقُ وَالْغُصْنُ)، فالغصن إن كان يحمل الثمار الناضجة الياقة، عرفنا أصالة ذلك العرق وطيب أصله.

الشاهد الثلاثمائة^(٢): (الكامل)

قول البحري:

وَأَحَبُّ أَفَاقٍ^(٣) الْبِلَادِ إِلَى فَتَى^(٤) أَرْضُ يُنَالُ بِهَا كَرِيمَ الْمَطْلَبِ^(٥)

وهو من قصيدة قالها في مدح أبي صالح^(٦)، مطلعها:

(١) ديوانه: (دار صعب): ٢٥٦، الوساطة: ٣٠٧.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٧٦، خفاجي: ٤٤٧، شاعر: ٤٩١ - ٤٩٢.

(٣) رواية التبيان «أوطان»، رواية الوساطة: «أقطار».

(٤) رواية الديوان والوساطة والدلائل تحقيق شاعر والتبيان: «إلى الفتى».

(٥) انظر البيت في:

الديوان: ١٤١/١ الوساطة: ٢٧٧، الإبانة عن سرقات المتنبي: ٧٩، التبيان للمعبري:

١٨٣/١.

(٦) هو عبد الله بن محمد بن يزداد، كان أخص الناس بالبحري، وكان عنده أدب وفضل، وكانت توقيعاته وأجوبته من أحسن التوقيعات والأجوبة، تولى الوزارة للمستعين، وضبط الأموال، فصعب ذلك على أمراء الدولة، وكان قد ضيق عليهم فتهددوه بالقتل، فهرب، وهو الذي قتل أوتامش وكتبه شجاعاً - «أوتامش من رؤساء الأتراك استوزره المستعين إثر =

إِذَا أَلَمْتُ فَبَعْدَ فَرْطٍ تَجَنَّبُ أَوْ آيَهُ هَمٌّ، فَمِنْ مُتَأَوِّبٍ

وقبل الشاهد أبيات عدة، سأذكر منها ما يوضح المعنى وهو قوله:

إِنَّ الْفِرَاقَ جَلًّا لَنَا عَنْ غَادَةٍ يَبْضَاءُ تَجْلُو عَنْ شَيْتٍ^(١) أَشْنَبٍ^(٢)
أَلَوْتُ بِمَوْعِدِهَا الْقَدِيمِ وَأَيْسَتْ مِنْهُ بَلِيَّ بَنَانَةٍ لَمْ تُخْضَبِ
وَعَذَرْتُ سَيْفِي فِي نُبُو غَرَارِهِ أَنِّي ضَرَبْتُ فَلَمْ أَقْعَ بِالْمَضْرِبِ

وبعدها البيت وبعده:

كَمْ مَشْرِقِي قَدْ نَقَلْتُ نَوَالَهُ فَجَعَلْتُهُ عُذَّةً بِالْمَغْرِبِ

مع قول المتنبي:

وَكُلُّ أَمْرِي يُؤَلِي الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّ مَكَانٍ يُبْتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ^(٣) (الطويل)

وهو من قصيدة قالها في مدح كافور الإخشيدي^(٤)، وكان قد حمل إليه ستمائة دينار، مطلعها:

أَغَالِبُ فِيكَ الشُّوقَ وَالشُّوقُ أَغْلَبُ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَضْلُ أَعْجَبُ

مبايعته بالخلافة، وأطلق يده في بيوت المال، فاقتطع لنفسه أموالاً كثيرة، مما أوجر صدر

الوالي وبقية الجند عليه، فقتلوه وقتلوا معه كاتبه شجاع بن القاسم ونهبوا دورهما» -

انظر: تاريخ الطبري: ٢١٧/٩، ٢٦٤، ٣٨٨، ٣٩٨، ٤٤٠ - ٤٤١، ٤٥٨، ٤٦١، ٤٦٧،

والفخري في الآداب السلطانية: ٢٤٢، أخبار البحري: ١١٣، الفهرست: ١٧٩، معجم

الشعراء: ٤٣٩، تاريخ ابن الأثير: ٣١٣/٥.

(١) الشنيت: الثغر المَفْرَجُ الْمُفْلَج. اللسان «شتت»: ٤٨/٢.

(٢) الشنب: ماء ورقة تجري على الثغر، وقيل رقة وبَرْد وعذوبة في الأسنان. اللسان «شنب»:

٥٠٦/١.

(٣) ديوان أبي الطيب بشرح العكيري: ١٨٣/١، الوساطة: ٢٧٧، الإعجاز والإيجاز: ٢١٧،

يتيمة الدهر: ٢٠١/١، التمثيل والمحاضرة: ١١١، الإبانة عن سرقات المتنبي: ٧٩، نهاية

الأرب: ١٠٥/٣.

(٤) سبقت ترجمته، انظر: ١٣١، من البحث.

وقبل الشاهد:

أَجْنُ إِلَى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ وَأَيْنَ مِنَ الْمُشْتَاكِ عَنَقَاءُ مُغْرِبُ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَبُو الْمِسْكِ أَوْ هُمْ فَإِنَّكَ أَحْلَى فِي فُؤَادِي وَأَعَذْبُ

ذكر الثعالبي في الإعجاز والإيجاز^(١) أن أبا بكر الخوارزمي، جعل أبا
الطيب المتنبي أمير الشعراء في عصره لقصيدته التي أولها:
مَنْ الْجَاذِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ^(٢)

وقوله:

وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ

وذكره في التمثيل والمحاضرة على أنه من أمثال المولدين السائرة^(٣).
 وذكره صاحب الوساطة على أنه من سرقات المتنبي من البحر^(٤).
 وذكره العميدي على أنه من سرقات المتنبي^(٥).

فالبحتري صاغ فكرته في قالب جامد، ولو أننا حاولنا تفسير البيت لما
اختلف التفسير كثيراً عن صياغة الشاعر، ولقلنا إن مقصده: أن أحب البلاد إلى
الفتى هي التي ينال فيها المطلب الكريم.

أما المتنبي فقد تفنن في صياغة الفكرة، فبدأها بصيغة العموم «كل» وبنى
عليها كلامه، وصيغة العموم هذه زادت المعنى اتساعاً وامتداداً.

ولم يكتف المتنبي بذلك بل أعاد بناء فكرته بناءً خيالياً يساعد في تقريرها
وتوكيدها في النفوس، فجعل العزّ نباتاً ينمو، وجعل الأرض التي ينمو فيها العزّ
أرضاً طيبة خصبة، ووصل صدر البيت بعجزه عن طريق الواو ليبين اتحاد

(١) ٢٥١.

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ١٥٩/١.

(٣) : ١١١.

(٤) : ٢٧٧.

(٥) الإبانة عن سرقات المتنبي: ٧٩.

الفكرتين، ويؤكد أنهما جملة واحدة مما يزيد تقريرها وتوكيدها.

الشاهد الواحد بعد الثلاثمائة^(١):
(الطويل)

يقول المتنبي:

يُقَرُّ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يَوُدُّهُ وَيَقْضِي لَهُ بِالسُّعْدِ مَنْ لَا يُنْجِمُ^(٢)

وهو من قصيدة قالها في مدح سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله العدوي، ويصف الجيش سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة بمياً فارقين^(٣)، ومطلعها:
إِذَا كَانَ مَدْحُ فَالنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ أَكُلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْراً مُتِمَّ

وقبل الشاهد:

بَغْرَتِهِ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ وَالْحِجَا وَبَذَلَ اللَّهُا وَالْحَمْدِ وَالْمَجْدِ مُعْلَمٌ

وبعد الشاهد وبعده:

أَجَارَ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ تُطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادَ وَجُرْهُمُ

مع قول البحري:

(الكامل)

لَا أَدْعِي لِأَبِي الْعَلَاءِ فَضِيلَةً حَتَّى يُسَلِّمَهَا إِلَيْهِ عِدَاهُ^(٤)

وهو من قصيدته التي قالها في مدح صاعد بن مخلد، ويمدح أبا عيسى

(١) الدلائل، رضا: ٣٧٦، خفاجي: ٤٤٨، شاکر: ٤٩٣.

(٢) لم أجده إلا في:

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٣٥٥/٣، العرف الطيب: ٤٠٨/٤.

(٣) أشهر مدينة بديار بكر، وديار بكر ناحية ذات قرى ومدن كثيرة بين الشام والعراق قصبتها الموصل وحران وبها دجلة والفرات، وميافارقين من أبنية الروم بها بيعة من عهد المسيح عليه السلام.

انظر: آثار البلاد وأخبار العباد: ٣٦٨، ٥٦٥، معجم البلدان: ٢٣٥/٥ - ٢٣٨.

(٤) لم أجده إلا في:

ديوان البحري - بيروت -: ٣٣٥/١، ديوانه - صيرفي: ٢٤٠٣/٤.

ابنه^(١) وبعد الشاهد^(٢):

مَا الْمَرْءُ تُخْبِرُ عَنْ حَقِيقَةِ سَرُّوهِ كَالْمَرْءِ تَخْبِرُ سَرُّوهُ وَتَرَاهُ
طَمَحَتْ عُيُونُ الْحَاسِدِينَ فَغَضُّهَا شَرَفَ بَنَاهُ اللَّهُ حَيْثُ بَنَاهُ

ذكر العكبري أن بيت الشاهد مأخوذ من قول الآخر:
وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ^(٣)

فالمعنى المشترك في البيتين: الاعتراف بالفضل للممدوح ممن لا يحب،
فالممتنبي باشر الأذهان بالمعنى، فبدأ البيت بالإقرار والاعتراف.

«يقول: من لا يؤدّه يقر بفضلّه، ولا يدفعه لبيانه، ومن لا ينجم يقضي له
بالسعد، ولا ينكره لاتصاله...»

فلظهوره ووضوحه لا يُنكر فضلّه، ولظهور آثار السعادة عليه يحكم له
بالسعادة من لا يعرف أحكام النجوم من السعادة والنحوسة^(٤).

أما البحرّي فكان بيته يعتمد على عنصر المفاجأة والإثارة، فبدأ بيته بالنفي
(لا أدعي)، وأوقع هذا النفي على لفظ «فضيلة» فأشعر النفس بذم الممدوح،
وآثار فيها الغرابة، إذ كيف يكون نفي الفضيلة مدحاً؟

ثم جاءت «حتّى» وكشفت النقاب عن المعنى المخبوء، وفاجأت السامع
بمعنى لم يتوقعه بعد ذلك النفي، فجعل أعداءه يسلمون له بالفضائل، ويعترفون
له بها قبل ذويه ومعارفه.

وتقديم الجار والمجرور (إليه) أكّد أنه حقيق بهذا التسليم، وبتأخير لفظ
(عداه) إلى آخر الشطر يكتمل عنصر المفاجأة والاستغراب. حين تَطَّلِع النفس
على أن التسليم كان من الأعداء.

(١) سبقت ترجمته ومطلع القصيدة. انظر: ص ٢٨٨.

(٢) لم أذكر أبياتاً قبل الشاهد لأن فكرتها مستقلة عن بيت الشاهد.

(٣) التبيان للعكبري: ٣٥٥/٣.

(٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

قول خالد الكاتب^(٢):

رَقَدْتُ وَلَمْ تَرُثْ لِسَاهِرٍ وَلَيْلُ الْمُحِبِّ بِلاَ آخِرِ^(٣)

وهو أول بيتين وبعده:

وَلَمْ تَدِرْ بَعْدَ ذَهَابِ الرُّقَا دِ مَا صَنَعَ^(٤) الدُّمُعُ مِنْ^(٥) نَاطِرِي

ذكر القالي في أماليه عن البزار أن علي بن الجهم كان يستنشه شعر خالد الكاتب، فلا يراه شيئاً حتى أنشده يوماً بيت الشاهد فقال:

«قاتله الله لقد أدمن الرِّمِيَّةَ حتى أصاب الغِرَّةَ»^(٦).

وبمثل هذا قال الثعالبي في المضاف والمنسوب:

(١) الدلائل، رضا: ٣٧٦، خفاجي: ٤٤٨، شاکر: ٤٩٢.

(٢) هو خالد بن يزيد البغدادي، أبو الهيثم المعروف بالكاتب، شاعر غزل من الكتاب، كان أحد كتاب الجيش في أيام المعتصم العباسي، وكان يهاجي أبا تمام، أكثر شعره في الغزل، ويتصف بالرقة، توفي في بغداد سنة (٢٦٢ هـ).

انظر ترجمته:

الأغاني: ٢٧٤/٢٠ - ٢٨٧، تاريخ بغداد: ٣٠٨/٨، سمط اللآلي: ٣١١/١، الأعلام: ٣٠١/٢.

(٣) انظر البيت في:

ديوانه: ٤٨٤، الأمالي للقالي: ١٠٠/١، التشبيهات: ٢١، المختار من شعر بشار: ١٣، خاص الخاص: ١١٥ «منسوباً لخالد بن زيد»، التمثيل والمحاضرة: ٢١٠ - ذكره كاملاً من غير نسبة - وفي «٢٤٢» - ذكر العجز فقط وبدون نسبة أيضاً - ثمار القلوب: ٦٣٤/٢ - عجز البيت فقط، بهجة المجالس: ٩٢/٣، سمط اللآلي: ٣١١/١، التبيان للمكبري: ١١٨/٢ نثر الأزهار: ٢٣، الغيث المسجم: ٣٤٣/١.

(٤) رواية التشبيهات، وبهجة المجالس، والمختار من شعر بشار، ونثر الأزهار: «ما فعل».

(٥) رواية بهجة المجالس، والمختار من شعر بشار، ونثر الأزهار: «بالناظر».

(٦) ١٠٠/١.

«قد أكثر الشعراء في وصف ليل المحب بالطول فما طالوا، وحصل خالد الكاتب على الغرّة والنكته»^(١).

ووصف الصفدي بيت الشاهد بالرّشاقة، قال:

«وما أرشق قول خالد الكاتب... البيت»^(٢).

ولخالد الكاتب في هذا المعنى أبيات كثيرة منها:

يَا لَيْلَةً طَالَتْ عَلَى نَاطِرِي كَأَنَّهَا كَانَتْ بِلَا آخِرِ
سَهَرْتُهَا شَوْقاً إِلَى رَاقِدٍ عَذَا الْكَرَى عَنْ طَرْفِي السَّاهِرِ^(٣)

وقال أيضاً:

نَامَ الْخُلْيُ وَلَيْلُ طَرْفِي سَاهِرُ يَا مُقْلَتِي أَمَا لَيْلِي آخِرُ^(٤)

مع قول بشار:

(الطويل)

لِخَدِّكَ مِنْ كَفِّكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى أَنْ تَرَى ضَوْءَ الصُّبْحِ وَسَادُ
نَيْتُ تَرَاعِي اللَّيْلَ تَرْجُو نَفَادَهُ وَلَيْسَ لِلَّيْلِ الْعَاشِقِينَ نَفَادُ^(٥)

وهما من قصيدة له يتغزل بسُعدى (سعاد)، ومطلعها:

نَبَا بِكَ خَلْفَ الظَّاعِنِينَ وَسَادُ وَمَا لَكَ إِلَّا رَاخَتِيكَ عِمَادُ

وبعده بيت الشاهد الأول وبعده:

كَأَنَّكَ لِلشُّوقِ الْغَرِيبِ إِذَا سَرَى مِنْ الْوَجْهِ مَشْدُودٌ عَلَيْكَ صِفَادُ

وبعده بيت الشاهد الثاني وبعده:

تَقَلَّبُ فِي دَاجٍ كَانَ سَوَادَهُ إِذَا أَنْجَابَ مَوْصُولٌ إِلَيْهِ سَوَادُ

(١) ٦٣٤/٢.

(٢) الغيث المسجم: ٣٤٣/١.

(٣) ديوانه: ٢٣٦.

(٤) ديوانه: ٢٧٤.

(٥) ديوان بشار: ١٢٧/٣، المختار من شعر بشار: ١٣.

المعنى المتحد في البيتين. طول ليل المحبين.

فخالد الكاتب جاء بهذا المعنى مباشراً وأعلن حقيقة ليل المحبين، وهو كونه طويلاً ليس له آخر.

أما بشار، فقد زاد على خالد الكاتب حيث بَصُر بالحركة الداخلية التي تمرور في نفس المحب، فعاش معه بوجدانه، وتغلغل في أعماق نفسه، فرأى ما فيها من حركة الوجد الدائبة، والشوق الملح، فهذه الحالة من النزاع الوجداني جعلته يشعر بطول الليل وعدم انقضائه.

وقوله «تَرَاعِي الليل» يصور ملل ذلك المحب، ومحاولته اليائسة في التخلص من ذلك التبرم.

وقوله (ترجو نفاذه) وصلت النفس فيه إلى قمة الضيق والتبرم، فأخذت تبتهل وترجو نفاذ الليل.

وهنا أشفق الشاعر عليها، فأعلن لها حقيقة ليل المحب، وأنه ليس له نفاذ، لعل في وقوفها على هذه الحقيقة ما يسكن هذا الرجاء اليائس.

وفي تقديم المسند (لليل العاشقين) على المسند إليه (نفاذ) تخصيص لذلك الليل بعدم النفاذ. وفي هذا تأكيد لهذه الحقيقة.

الشاهد الثالث بعد الثلاثمائة^(١):
(الوافر)

قول أبي تمام:

ثَوَى^(٢) بِالْمَشْرِقَيْنِ^(٣) لَهْمٌ^(٤) ضِجَاجٌ أَطَارَ قُلُوبَ أَهْلِ الْمَغْرِبَيْنِ^(٥)

(١) الدلائل، رضا: ٣٧٧، خفاجي: ٤٤٨ - ٤٤٩، شاکر: ٤٩٢.

(٢) ثوا: الثواء: طولُ المُقام، وثوى بالمكان: نزل فيه وأقام. اللسان «ثوا»: ١٢٥/١٤.

(٣) قال التبريزي:

«القول في «المشرقين» مشهور، لأنهما مَشْرُقُ الصَّيْفِ ومشرق الشتاء، وكذلك المغربان.

الديوان بشرح الخطيب التبريزي: ٢٩٩/٣.

(٤) رواية الديوان: - دار صعب -، والدلائل تحقيق شاکر: «لها ضجاج».

(٥) انظر البيت في:

وهو من قصيدة قالها في مدح إسحاق بن إبراهيم المصعبي^(١)، ويذكر إيقاعه بالمُحَمَّرَةِ أصحاب بابك^(٢)، وكانوا تواعدوا إلى موضع علم به، فوقف لهم فيه، فكلُّ من جاء قُتِلَ وحُزَّتْ أذنه، حتى وَجَّهَ إلى المعتصم بستين ألف أذن.

ومطلعها:-

خَشُنَتْ عَلَيْهِ أُخْتُ بَنِي خُشَيْنٍ وَأَنْجَحَ فِيكَ قَوْلُ الْعَاذِلِينَ

وقبل الشاهد:

لَقَيْتَهُمْ بِحَلَابِ الْمَنَايَا بَعِيدِ الرَّزِّ^(٣) نَائِي الْحَجَرَتَيْنِ^(٤)
فَمَا أَبْقَيْتَ لِسَيْفِ الْيَمَانِي شَجاً فِيهِمْ وَلَا الرُّمَحِ الرُّدْنِي
وَقَائِعُ أَشْرَقَتْ مِنْهُنَّ جَمْعُ^(٥) إِلَى خَيْفِي مَنَى^(٦) فَالْمَوْقِفَيْنِ^(٧)

= ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ٢٩٩/٣، ديوانه - دار صعب - ٢٨٥، أخبار أبي تمام للصولي: ٧٨، أخبار أبي تمام للبحري: ١٥١.

(١) سبقت ترجمته: ٧٣١.

(٢) انظر: الكامل في التاريخ: ٣٣٣/٥ - ٣٧٣ - ٣٨٣ - ٣٨٥، ٣٨٦.

(٣) الرَّزُّ: بالكسر الصوت، وقيل هو الصوت تسمعه من بعيد، وقيل هو الصوت تسمعه ولا تدري ما هو، يقال سمعت رزاً الرعد. اللسان «رزز»: ٣٥٣/٥.

(٤) الحجرتان: التاحيتان. اللسان «حجر»: ١٦٨/٤.

(٥) جَمْعٌ: اسم للمزدلفة سميت بذلك للجمع بين صلاتي المغرب والعشاء فيها، وذكر التبريزي في شرح الديوان أن «جَمْعٌ» اسم لِمَنَى أو أنه موضع قريب منه.

انظر: الديوان بشرح الخطيب التبريزي: ٢٩٩/٣، معجم ما استعجم: ٣٩٢/٢/١.

(٦) خَيْفِي مَنَى: الخيف: ارتفاع وهبوط في سفح جبل أو غلظ، وخَيْفٌ اسم يقع مضافاً إلى مواضع كثيرة، ولا يكون خفياً إلا بين جبلين، وأشهرها خيف مَنَى، ومسجده مسجد الخيف، وقال التبريزي: والخيف من مَنَى على التوحيد إلا أن التثنية والجمع في مثل هذه الأشياء جائز.

الديوان بشرح الخطيب التبريزي: ٢٩٩/٣، معجم ما استعجم: ٥٢٦.

(٧) الموقفين: أراد الموقف بعرفة والموقف بالمزدلفة، أو موقف إبراهيم، أو نحو ذلك من المواضع.

انظر: الديوان بشرح التبريزي: ٢٩٩/٣.

وبعدها الشاهد وبعده:

عَمَمَتِ الْخَلْقَ بِالنُّعْمَاءِ حَتَّى غَدَا الثَّقَلَانِ مِنْهَا مُثْقَلَيْنِ
مع قول البحري:

(الطويل)

تَنَادَرَ أَهْلُ الشَّرْقِ مِنْهُ وَقَائِعَاءُ أَطَاعَ لَهَا الْعَاصُونَ فِي بَلَدِ الْغَرْبِ^(١)

وهو من قصيدة قالها في مدح عبد الله بن دينار بن عبد الله^(٢)، ومطلعها:
رَأَى الْبَرْقَ مُجْتَازاً فَبَاتَ بِلا لُبٍّ وَأَصْبَاهُ مِنْ ذِكْرِ الْبَخِيلَةِ مَا يُضْيِي

وقبل الشاهد:

إِذَا أَثْقَلَ الْهَلْبَاجُ^(٣) أَحْنَاءَ سَرْجِهِ غَدَا طَرْفُهُ يَخْتَالُ بِالْمُرْهَقِ الضَّرْبِ

وبعد الشاهد:

لَجَرْدَ نَصْلِ السَّيْفِ حَتَّى تَفَرَّقَتْ عَنِ السَّيْفِ مَخْضُوباً جُمُوعُ أَبِي حَرْبِ

وقول مسلم:

(البيسط)

لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى أَذْنَى دِيَارِهِمْ^(٤) أَلْقَى إِلَيْكَ الْأَقَاصِي بِالْمَقَالِيدِ^(٥)

(١) ديوانه - طبعة بيروت - ٦/٢.

ديوانه - صيرفي - : ١٠٦/١.

(٢) لم أقف على ترجمة وافية له، فكل ما وجدته عنه أنه اشترك في محاربة أبي حرب المبرقع اليماني الذي خرج على السلطان بفلسطين (٢٢٧ هـ)، وكان والده دينار من قواد المأمون المشهورين، وكان أخوه أحمد من أمراء البحر، وللبحري فيه مدائح، وولي أخوه يزيد مصر سنة (٢٤٣ هـ) ورجح محقق الديوان الأستاذ الصيرفي أنه كانت هناك مضاهرة بين أسرة دينار وأسرة سهل.

انظر: الطبري: ٣٩٤/٦، ٥٦٩/٨ - ٥٩٣، ٦٠٧، ٣٧٧/٩، ٦٥٤، ثمار القلوب: ٦١٤ - ٦١٥، تحقيق ديوانه - صيرفي - : ١٠٤/١.

(٣) الْهَلْبَاجُ، وَالْهَلْبَاجَةُ، وَالْهَلْبِجُ، وَالْهَلَابِجُ: الأحمق الذي لا أحق منه، الجامع كل شر. اللسان «هليج»: ٣٩٢/٢.

(٤) رواية شرح ديوان صريع الغواني: «بلادهم».

وهو من قصيدة قالها في مدح «داود بن يزيد المهلبى»^(١). ومطلعها:
لَا تَدْعُ بِي الشُّوقَ إِنِّي غَيْرُ مَعْمُودٍ^(٢) نَهَى النَّهْيَ عَنِ هَوَى الْهَيْفِ الرَّعَادِيدِ^(٣)

وقبل الشاهد:

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا دَاوُدُ إِذْ عَلِقْتُ دَاوَيْتَ مِنْ دَائِهَا كَرَمَانَ وَانْتَصَفْتُ
مَلَأْنَهَا فَرْعًا أَخْلَى مَعَاقِلَهَا أَيْدِي الرَّدَى بَنَوَاصِي الضُّمْرِ الْقُودِ
بِكَ الْمَنُونُ لِأَقْوَامٍ مَجَاهِيدِ مِنْ كُلِّ أْبْلَغٍ^(٤) سَامِي الطَّرْفِ صِنْدِيدِ^(٥)

وبعدها الشاهد وبعده:

لَمَسْتَهُمْ يَبْدٍ لِلْعَفْرِ مُتَّصِلٍ أَيْتَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْأَمْنِ مُطْلِعًا
بَهَا الرَّدَى بَيْنَ تَلَيْنٍ وَتَشْدِيدِ بِالْخَيْلِ تَرْدَى بِأَبْطَالٍ مَنَاجِيدِ^(٦)

(٥) لم أقف عليه إلا في: شرح ديوان صريع الغواني: ١٦١.

(١) هو داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الطائي المهلبى، أمير من الشجعان العقلاء، وكان مع أبيه بإفريقية، تولى إمارتها وأحسن التصرف فيها (١٧٠ هـ) ثم عزل عنها بولاية عمه روح بن حاتم سنة (١٧٢ هـ) من قبل الرشيد، ثم ولّى الرشيد داود إمرة مصر في أواخر سنة (١٧٣ هـ) فقدمها سنة (١٧٤ هـ) وهذا الاضطرابات السائدة فيها، ثم عزل عنها سنة (١٧٥ هـ) وولاه الرشيد أمر السند (١٨٤ هـ) وبقي على إمرتها حتى توفي (٢٠٥ هـ).

انظر: تاريخ الطبري: ٢٧٢/٨، ٥٨٠، الكامل لابن الأثير: ٨٥/٥. ١٩٧، النجوم الزاهرة: ٣/٢، ٧٥-٨٧، ١١٦، الأعلام: ٣٣٦/٢.

(٢) مَعْمُودٌ وَعَمِيدٌ وَمَعْمَدٌ: هذه العشق. القاموس المحيط (عمد): ٣٢٩/١.

(٣) الرعادي: امرأة رعديدة؛ يترجرج لحمها من نعيمها. اللسان «رعد»: ١٧٩/٣.

(٤) أْبْلَغُ: البَلَّغُ مصدر الأَبْلَغِ وهو العظيم في نفسه، الجريء على ما أتى من الفجور، والبَلَّغُ التكبر. اللسان «بلغ»: ٩/٣.

(٥) شرح ديوانه: ١٦١.

(٦) المصدر السابق: ١٦٢.

ذكر الصولي في أخبار أبي تمام، وأخبار البحتري أن أبا تمام أخذ قوله من قول مسلم بن الوليد، وأن البحتري قال في هذا المعنى:

غَدَا غَدْوَةٌ بَيْنَ الْمَشَارِقِ إِذْ غَدَا قَبْتُ حَرِيقاً فِي أَقَاصِي الْمَغَارِبِ^(١)

فالمعنى المتحد بين هذه الأبيات: خضوع الشرق والغرب للممدوح. فأبو تمام جعل ممدوحه يقيم في المشرقين، ولكن بفضل ذلك الجيش العظيم الذي يُسمع له غلبةً وضجيجاً، أثبت حكمه في بلد الغرب.

وقوله «ضَجَاج» صفة مشبهة على وزن فعال دلت على عظيم الجلبة وقوتها، فالضجيج صفة قائمة بهم قياماً ثابتاً لا حادثاً متجدداً.

وتقديم المسند - الجار والمجرور - «لهم» على المسند إليه «ضَجَاج» للتوكيد وتقوية الحكم، وفي هذا ما فيه من كشف لمعاني القوة والشجاعة الكامنة في هذا الجيش. وانظر إلى دقة اختيار أبي تمام للألفاظ التي بعثت في موسيقى البيت جلبة ورنيناً «ضَجَاج - أطار».

أما البحتري فممدوحه أكثر شجاعة من ممدوح أبي تمام، فهو لم يكلفه تجهيز الجيوش العظيمة، فمجرد سماع أهل الشرق لإذاره بالوقائع يخضع له العاصون في بلاد الغرب، وقوله: «تناذر» بدلاً من «نذر» دل على شدة الإنذار وقوته، وتركيب الفعل على هذا الوجه دل على أن هناك حركة فزع وخوف دبت في النفوس، فأخذ بعضهم ينذر بعضاً.

وتقديم الجار والمجرور في قوله: «أطاع لها العاصون» جزم بانتصار تلك الوقائع، وخضوع العاصين وتسليمهم.

أما مسلم بن الوليد، فممدوحه أكثر شجاعة ورهبة في صدور أعدائه من ممدوح سابقه، فليس هناك ضجيج، ولا معارك، ولا تناذر بالوقائع، ولا إجبار على الخضوع والطاعة، فهو لم يكلفه هذا العناء، فهو بمجرد نزوله على أول أطراف الديار يقبل عليه أهل الأقاليم بالإذعان طائعين مختارين، فقوله: «ألقي

(١) أخبار أبي تمام: ٧٨، أخبار البحتري: ١٥١.

إليك الأفاصي»، تركيب بديع فـ «الإلقاء» صَوَّرَ إسرائعهم للطاعة بمحض إرادتهم، وتقديم الجار والمجرور «إليك» على المسند إليه «الأفاصي» تعظيم وإكبار لهذا الممدوح، وتنويه بشجاعته.

ومجيء لفظ الأفاصي بالجمع دليل على شمول الطاعة وعموم التسليم.

الشاهد الرابع بعد الثلاثمائة^(١):
(البيسط)

قول محمد بن بشير^(٢):

أَفْرُغْ لِحَاجَتِنَا مَا دُمْتَ مَشْغُولًا فَلَوْ فَرَعْتَ لَكُنْتَ الدَّهْرَ مَبْدُولًا^(٣)

مع قول أبي علي البصير^(٤):

فَقُلْ لِسَعِيدٍ أَسْعَدَ اللَّهُ جَدَّهُ لَقَدْ رَثَ حَتَّى كَادَ يَنْصَرِمُ الْجَبَلُ
فَلَا^(٥) تَعْتَذِرُ بِالشَّغْلِ عَنَّا فَإِنَّمَا تُنَاطُ بِكَ الْأَمَالُ مَا أَتَّصَلَ الشَّغْلُ^(٦)

(١) الدلائل، رضا: ٣٧٧، خفاجي: ٤٤٩، شاکر: ٤٩٣.

(٢) سبقت ترجمته: ص ١٣٩.

(٣) لم أقف عليه فيما اطلعت عليه من مصادر.

(٤) هو الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس الكاتب الأنباري، وهو فارسي الأصل، وكان ضريراً، لُقِّبَ بالبصير لدكائه، وكان يتشيع وهو أحد الأدباء البلغاء الظرفاء، وكان مترسلاً بليغاً، قدم «سُرَّ مَنْ رَأَى» في أول خلافة المعتصم، ومدحه والخلفاء بعده، ورؤساء أهل العسكر، توفي بسر من رأى (٢٥٥ هـ).

انظر ترجمته وبعض أشعاره في:

طبقات ابن المعتز: ٣٩٧، ٣٩٨، الفهرست: ١٧٨، معجم الشعراء للمرزياني: ٣١٤،

ثمار القلوب: ٥٦، ٧٣، زهر الآداب: ٤٣٥/٢ - ٤٣٧، سمط اللآلي: ٢٦٦/١، نهاية

الأرب ٩٣/٣، نكت الهميان: ٢٢٥، الأعلام: ١٤٧/٥.

(٥) رواية عيون الأخبار، معجم الشعراء، وديوان المعاني، وبهجة المجالس: «ولا تعتذر».

(٦) انظر البيت في:

عيون الأخبار: ١٢٥/٨/٣ - ذكر البيت الثاني فقط ومن غير نسبة - معجم الشعراء

للمرزياني: ٣١٤ - ذكر البيت الثاني وقبله بيت آخر - ديوان المعاني: ١٦٩/١، ذكر البيت

الثاني وقبله بيت آخر - ومن غير نسبة -، التمثيل والمحاضرة: ٩١ - البيت الثاني فقط -، =

وقبل بيت الشاهد الثاني :

وَكُنْ^(١) عِنْدَ مَا نَرْجُوهُ^(٢) مِنْكَ فَإِنَّا^(٣) جَمِيعاً لِّمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ أَهْلٍ^(٤)

وذكر بعد الشاهد الثاني قوله :

وَلَا تَرْتَفِعْ عَنَّا بِشَيْءٍ وَلَيْتَهُ كَمَا لَمْ يُصَغِّرْ عِنْدَنَا شَأْنَكَ الْعَزْلُ^(٥)

والمعنى الذي يجمع البيتين هو عتاب الممدوح على الانشغال عنهم ورجاؤه بأن يلتفت إليهم .

وبتأمل البيتين نجد أن أبا علي البصير أرق مشاعر، وألين عتاباً، وألطف رجاء فهو أخبر بتحريك العواطف، واجتذابها، فقوله : «أسعد الله جدّه» دعاء من شأنه أن يشير عاطفة الحنو عند المعاتب، ويرقق مشاعره .

وقوله : «لقد رثّ» تأكيد بأن العطاء قد قل .

وقوله : «رثّ حتى كادَ يَنْصَرِمُ الحَبْلُ» كناية عن قرب انقطاع أوشاج الصلات، وفي هذه الكناية عتاب ولوم على القطيعة التي كادت تحل، فهو لم يجزم بالقطيعة، ولم يعلن الجفاء إعلاناً .

فـ«كاد» هنا أفادت أن القلوب ما زالت راغبة في الوصل، وقوله : «فَلَا تَعْتَذِرْ بالشُّغْلِ عَنَّا» مبدوءاً بلا الناهية يحمل الرجاء والاستعطاف، فهو يترجاه أن لا يجعل الشغل هو عذره .

= بهجة المجالس : ٤٩٠/٢ - البيت الثاني فقط وبعده بيت آخر ومن غير نسبة - نهاية الأرب :

٩٣/٣ - البيت والثاني فقط .

(١) رواية معجم الشعراء : «فكن» .

(٢) رواية معجم الشعراء : «ما أملت فيك» .

(٣) رواية معجم الشعراء : «فإنّا» .

(٤) انظر البيت في :

معجم الشعراء للمرزباني : ٣١٤ ، ديوان المعاني : ١٦٩/١ .

(٥) انظر البيت في :

بهجة المجالس : ٤٩٠/٢ .

وقوله: «فَإِنَّمَا تُنَاطُ بِكَ الْأَمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ، أَلْطَفَ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ «فَلَوْ
فَرَّغْتَ لَكُنْتَ الدَّهْرَ مَبْدُولًا»، فأبو علي البصير أخلص عاطفة وأكبر حُبًّا للمُعَاتَبِ،
وأكثر رجاءً واستعطافاً، فقد أكد له إناطة الآمال به في جميع الأوقات حتى في
وقت انشغاله، فجاء بأسلوب القصر «إنما» لتذكير المخاطب وتنبيهه من غفلته،
فإناطة الآمال به وحاجتهم إليه أمر يعلمه.

وفي تقديم الجار والمجرور «تُنَاطُ بِكَ الْأَمَالُ» كشف عن كثير من مشاعر
الرجاء المخبوءة في نفس الشاعر، والعرب يقدمون مثله، لأن بيانه عندهم أهم،
وهم بشأنه أعنى أما محمد بن بشير فجعل رجاءه في كرم الممدوح مشروطاً بفرار
المُعَاتَبِ، فإن فرغ لهم كان كريماً، وفيما عدا ذلك تُنفَى وتمتنع عنه هذه
الصفة، فجاء بـ «لو» وهي حرف امتناع لامتناع، وفي هذا تقليل لمعنى الرجاء.
الشاهد الخامس بعد الثلاثمائة^(١):
(الكامل)

وقول البحري:

مِنْ غَاذَةٍ مُنِعَتْ وَتَمَنَعُ وَصَلَهَا^(٢) فَلَوْ أَنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلْ^(٣)

وهو من قصيدة قالها في مدح محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب^(٤)
ومطلعها:

أَهْلًا بِذِكْكُمْ الْخَيَالِ الْمُقْبِلِ فَعَلَ الَّذِي تَهَوَّاهُ^(٥) أَوْ لَمْ يَفْعَلْ

وبعده بيت قبل الشاهد:

بَرَقَ سَرَى فِي بَطْنٍ وَجَرَةً فَاهْتَدَتْ بِسَنَاهُ أَعْنَاقُ الرُّكَّابِ الضُّلَّلِ

(١) الدلائل، رضا: ٣٧٧، خفاجي: ٤٤٩، شاکر: ٤٩٣.

(٢) رواية الديوان والموازنة والصناعتين وإعجاز القرآن للباقلاني: «وَتَمَنَعُ نَيْلَهَا».

(٣) لم أجد البيت إلا في: ديوانه: ٣٦٦/٢، ديوانه - صيرفي -: ١٧٤٢/٣، الموازنة: ٢٨٣،

الصناعتين: ٢٥٤، إعجاز القرآن للباقلاني: ٢٢٢.

(٤) سبقت ترجمته: ٧٦٦.

(٥) رواية الديوان - صيرفي -: «نهواه» بالنون.

وبعده الشاهد وبعده:

كَالْبَدْرِ غَيْرَ مُخِيلٍ وَالْغُصْنِ غَيْرَ مُهِيلٍ
رَ مُمِيلٍ وَالْدَّعْصِ^(١) غَيْرَ مُهِيلٍ

مع قول ابن الرومي^(٢):

وَمِنْ الْبَلِيَّةِ أَنَّنِي
عُلِّقْتُ مَمْنُوعاً مَمْنُوعاً^(٣)

وهو من قصيدة مطلعها:

وَهَبْتُ لَهُ عَيْنِي الْهُجُوعَا
فَأَثَابَهَا مِنْهُ الدُّمُوعَا

وبعده بيت قبل الشاهد:

ظَنِّي كَانَ بِخَضِرِهِ
مِنْ ضُمْرَةٍ^(٤) ظَمًا وَجُوعًا^(٥)

وبعد الشاهد:

مَنْ سَائِلٌ قَمَرَ الدُّجَى مَابَالُهُ تَرَكَ الطُّلُوعَا

ذكر الأملدي في الموازنة بعد قول الشاعر:

ظَنِّي كَانَ بِخَضِرِهِ

قوله:

إِنِّي عُلِّقْتُ لِشِقْرَتِي يَا قَوْمٍ مَمْنُوعاً مَمْنُوعًا^(٦)

واعتقد أنه بيت الشاهد مع اختلاف الرواية.

ذكر الأملدي أن البُحتري قد أخذ بيته (مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ) من قول

(١) الدَّعْص: ما استدار من الرمل. فقه اللغة: ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٢) ونُسب البيت في الموازنة والصناعتين لعبد الصمد بن المعذل، وقد سبقت ترجمته: ٢٧٢.

(٣) انظر البيت في:

ديوان ابن الرومي: ١٤٦٢/٤، الصناعتين: ٢٥٤، الموازنة - محمد محيي الدين -: ٢٨٣.

(٤) رواية الموازنة: «مِنْ رَقَّةٍ»، ورواية الصناعتين «مِنْ دَقَّةٍ».

(٥) الموازنة: - محمد محيي الدين -: ٢٨٣، ديوان المعاني: ٢٥١، الصناعتين: ٢٥٤.

(٦) الموازنة: - محمد محيي الدين -: ٢٨٣.

عبد الصمد بن المعذل إلا أنه زاد على عبد الصمد بقوله :
«لَوْ بُدِّلَتْ لَنَا لَمْ تُبْدَلْ»^(١).

وذهب أبو هلال العسكري غير مذهب الأمدى ، فرأى أن البحترى قد أخذ
بيته من عبد الصمد بن المعذل إلا أنه قصر فيه . قال :

«بيت عبد الصمد أبين معنىً مع شدة الاختصار، وبيت البحترى كالعويص
لا يقام (إعرابه) إلا بعد نظر طويل»^(٢).

وعلق الباقلاني على بيت البحترى ورأى أنه قد طول فيه وتكلف المطابقة،
وَتَجَشَّم الصنعة . قال :

«فالبیت الأول - على ما تكلف فيه من المطابقة، وَتَجَشَّم الصنعة - ألفاظه
أوفر من معانيه، وكلماته أكثر من فوائده، وتعلم أن القصد وضع العبارات في
مثله، ولو قال: هي ممنوعة مانعة، كان ينوب عن تطويله، وتكثيره الكلام،
وتهويله، ثم هو معنى متداول مكرّر على كل لسان»^(٣).

وذهب الدكتور أبو موسى إلى غير ما ذهب إليه الباقلاني، فعنده أن بيت البحترى
من الشعر الرائع الذي لا يقوله إلا من كان في طبقته، فهو رصين البناء محكم
النسج، قال :

«... فالشعر هو البنية التي أقامها الشاعر، وحين ندخل فيها تغييراً ما
نكون بذلك قد هدمناها، وصيرنا إلى غيرها وقولنا: «هي ممنوعة مانعة» كلام
تحت كل لسان، أما قول البحترى، فهو شعر لا يقوله إلا من كان في طبقته.

وانظر كيف بدأ الحديث عنها بذكر «الغَيْد» وهو شارة النعمة والرّفه
والصون، والغادة هي الناعمة البيئة الغَيْد.

وتأمل كيف انتقل الكلام إلى وصف صونها، وعفافها وكيف سلك سبيله

(١) الموازنة: ٢٨٣.

(٢) الصنائع: ٢٥٤.

(٣) إعجاز القرآن: ٢٢٢ - ٢٢٣.

في بيان ذلك، فقال: «مُنَعَتْ» وأشار بذلك إلى من حولها من أهل بيتها وعشيرتها، وأنهم أهل حفاظ ومنعة ثم قال: «وتمنع نيلها» فانتقل الكلام إلى ذات نفس الغيداء لأن صونها وعفافها لا يجوز أن يكون أمراً جاءها من خارج نفسها، نعم.. إن من تمامه أن تكون هذه الخلال خلال الأهل والعشيرة؛ لأن شرف النفوس يجري مع كرم العروق.

ثم إن الشاعر وقف هذا المعنى وأعطاه البيت كله، وهو في ذلك يترقى بالمعنى، ويسمو به، ويزيد في تأصيله وتقديره، ويفتقن في الإبانة عنه، انظر إلى الجملة الخاصة بوصف منعة العشيرة لها، تجدها كلمة واحدة «مُنَعَتْ» ولما انتقل الكلام إلى وصف عفافها الذي هو خلقها، طالت الجملة «وتمنع نيلها» وكأن الشاعر يريد أن يُسمع بها، وانتقل إلى صيغة المضارع بعد الماضي في الأولى مشيراً بذلك إلى أنه خلق يتجدد في ذات نفسها، وكأنها تستمدده من نبع قِيَّاض، ثم انظر كيف رجع الكلام ونفى أن يكون صون رهطها لها مما له مدخل في تصوُّنها، وحفاظها، وكيف سلك إلى ذلك سبيلاً من التوكيد لا تراه إلا في حر الكلام «فلو أنها بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلْ» و«لو» هذه أكثر ما تكون لبيان امتناع جوابها لامتناع شرطها، ولهذا عُرِفَتْ في كلام المعربين بأنها حرف امتناع لامتناع...^(١)

ويبدو لي أن ذكره «بذلها» وإن كان على سبيل الافتراض مما تنبؤ عنه الطباع السليمة، والأنفة والحفاظ، إذ كيف يفترض الشاعر أن قومها ربما بذلوها في حين أنه ذكر «المنع» في أول البيت؟ وما قيمة هذا المنع إذا كانوا بغرض أن يبذلوها هم فتأبى هي؟

(الطويل)

الشاهد السادس بعد الثلاثمائة^(٢):

قول أبي تمام:

(١) الإعجاز البلاغي: ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٧٨، خفاجي: ٤٥٠، شاکر: ٤٩٣ - ٤٩٤.

لَيْثٌ^(١) كَانَ ذُنُوبِي أَنَّ أَحْسَنَ^(٣) مَطْلَبِي أَسَاءَ^(٤) فَفِي سُوءِ الْقَضَاءِ لِي الْعُدْرُ^(٥)

وهو من قصيدة قالها يفخر بقومه عند انصرافه من مصر مطلعها:
تَصَدَّتْ وَحَبْلُ الْبَيْنِ مُسْتَحْصِدٌ شَزُرُ وَقَدْ سَهَّلَ التَّوْدِيعُ مَا وَعَرَ الْهَجْرُ

وقبل الشاهد:

وَمَا الْفَقْرُ بِالْيَدِ الْقَوَاءِ^(٥) بَلِ الْتِي نَبْتُ بِي وَفِيهَا سَاكِنُوهَا هِيَ الْفَقْرُ
وَمَنْ قَامَرَ الْأَيَّامَ عَنْ ثَمَرَاتِهَا فَأَحْجَ بِهِ أَنْ تَنْجِلِي وَلَهَا الْقَمَرُ

وبعدهما الشاهد وبعده:

قَضَاءُ الَّذِي مَازَالَ فِي يَدِهِ الْغِنَى ثَنَى غَرَبَ آمَالِي وَفِي يَدِي الْفَقْرُ
رَضِيْتُ وَهَلْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مُسْخِطِي مِنْ الْأَمْرِ مَا فِيهِ رِضًا مِنْ لَهُ الْأَمْرُ

مع قول البحري:

(البيسط)

إِذَا مَحَاسِنِي السَّلَاطِي^(٦) أُدِلُّ بِهَا كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أُعْتَذِرُ^(٧)

وهو من قصيدة له في مدح علي بن مر الأرمني^(٨)، ومطلعها:

(١) رواية الديوان وأخبار أبي تمام: «فإن كان».

(٢) رواية الديوان: «أحسن».

(٣) رواية الديوان: «أساء».

(٤) انظر البيت في:

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ٥٧١/٤، ديوانه - دار صعب -: ٤٢٣، أخبار أبي تمام:

٥١، أخبار البحري: ١٦٠.

(٥) رواية الديوان - دار صعب -: «القفار».

(٦) رواية أخبار البحري، أخبار أبي تمام: «اللائي».

(٧) انظر البيت في:

ديوانه: ٣٠٨/٢، أخبار أبي تمام: ٥١، أخبار البحري: ١٦٠، التمثيل والمحاضرة:

٩٩، محاضرات الأدباء: ٢٣٩/١، نهاية الأرب: ٩٨/٣.

(٨) ذكر محقق الديوان - الصيرفي - أنه ليس هناك مراجع تشير إلى أن علي بن مر (ويلقب بالطائي) كان يلقب بالأرمني، ولكن هناك علي بن يحيى الأرمني، أبو الحسن الذي ولي =

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ وَبَالِغٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرٌ

وقبل الشاهد:

قَالَتْ مَشِيْبٌ وَعِشْقُ أَنْتَ بَيْنَهُمَا وَذَاكَ فِي ذَنْبٍ لَيْسَ يُغْتَفَرُ
وَعَيَّرْتَنِي سَجَالَ الْعَدَمِ جَاهِلَةً وَالنَّبْعُ عَرِيَانُ مَا فِي فَرْعِهِ ثَمَرٌ

وبعدهما أبيات، وبعدها البيت وبعده:

أَهْزُ بِالشَّعْرِ أَقْوَاماً ذَوِي وَسْنٍ فِي الْجَهْلِ لَوْ ضَرَبُوا بِالسَّيْفِ مَا شَعَرُوا
ذكر الصولي أن البحري قد أخذ بيته من أبي تمام السابق، «فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي
أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي ... البيت».

وقد أخذه جميعاً من قول أبي حنشل الفزاري^(١) حين قرأ عن حذيفة بن بدر
يوم الهباءة^(٢):

وَكَمْ مِنْ مَوْقِفٍ حَسَنِ أُحِيلَتْ مَحَاسِنُهُ فَعُدَّ مِنَ الذُّنُوبِ^(٣)

فمعنى البيتين أنه قد يقع اللوم على الإنسان من حيث يتوقع الشكر، وهذا
أشد ألماً للنفس، وتظهر معالم هذا الألم في بيت البحري أكثر من بيت أبي
تمام.

= مصر، وقد هجا البحري علي بن مر في قصيدة أخرى وكذلك فعل مع ابنه مربي علي
حيث مدحه مرة ثم هجاه أخرى.

انظر: تحقيق الديوان - صيرفي -: ٩٥٣/٢، الطبري: ٥٤/٩.

(١) لعله أبو حنشل «عصم» بن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير من جشم بن بكر،
وقيل هو أحد بني ثعلبة بن بكر، وهو فارس العصاء، وهو قاتل شرحبيل الملك بن
الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار الكندي يوم الكلاب.

انظر: معجم الشعراء للمرزباني: ٢٧٤.

(٢) يوم الهباءة «وهو يوم الجفرة» لعبس على ذبيان، والهباءة أرض ببلاد غطفان كانت فيها
الموقعة، وجفُرُ الهباءة وهو مستنقع في هذه الأرض، وفي هذه الموقعة قُتل حذيفة بن بدر.

انظر: العمدة: ٢٠٢/٢، معجم البلدان: ٣٨٩/٥.

(٣) أخبار البحري للصولي: ١٦٠.

ويلاحظ أن كلا البيتين بُني على الشرط، إلا أن البحري كان أدق في اختيار شرطه.

فأبو تمام جاء بـ (إن) الشرطية، والبحري جاء بـ (إذا) وفرق كبير بين معنى الأداتين، فأبو تمام اقتصر على أن بين أن حسن مطلبه كان ذنباً له، واعتذر لذلك بسوء القضاء، واحتججه يسور القضاء احتجاج غير قوي؛ لأنه مبني على «إن» الشرطية التي لا تجزم بوقوع الشرط، وتأتي في الأحوال النادرة الوقوع أما البحري فكان أرهف حساً وأشدّ ألماً، فجاء بـ (إذا) الشرطية التي تجزم بوقوع الخبر، وتأتي في الأفعال الكثيرة الوقوع فأفادت أن محاسنه كثيرة دائمة، مشهود لها بهذه الكثرة فكيف وقع فيها الشك؟

وانظر إلى فعل الأمر (فقل لي) وما يحمله من معاني التضرع والرجاء، وبناء الأمر على طريقة الحوار فيه إحياء للعبارة ففيها أخذ ورد يجعل القارئ أو السامع وكأنه أمام مشهد يسمعه ويراه.

ثم انظر إلى الاستفهام (كيف أعتذر) وما فيه من معنى الحيرة وانعدام الحيلة، والاستغراب في أن يُشكَّ في محاسنه.

الشاهد السابع بعد الثلاثمائة^(١):
(البسيط)

قول أبي تمام:

قَدْ يُقَدِّمُ الْعَيْرُ مِنْ دُغْرِ عَلَى الْأَسَدِ^(٢)

ذكر الشيخ صدر البيت، وعجزه:

أَطَلَّتْ رَوْعَكَ حَتَّى صِرْتُ لِي غَرَضًا

وهو من قصيدة له يهجو فيها محمد بن يزيد^(٣)، ومطلعها:

(١) الدلائل، رضا: ٣٧٨، خفاجي: ٤٥٠، شاکر: ٤٩٤.

(٢) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ٣٥١/٤، الموازنة: ٣١٦، التمثيل والمحاضرة: ٣٤٤.

(٣) لم أقف على ترجمة له، ولعله يقصد بمحمد بن يزيد، أبا العباس «المبرد» النحوي =

أَفِي تَنْظُمُ قَوْلِ الزُّورِ وَالْفَنَدِ وَأَنْتَ أَنْزَرُ مِنْ لَا شَيْءٍ فِي الْعَدَدِ

وقبل الشاهد:

أَنْحَفْتُ جِسْمَ حَتَّى لَوْ هَمَمْتُ بَأَنَّ أَلْهُوَ بِصَفْعِكَ يَوْمًا لَمْ تَجِدْكَ يَدِي

قول البحري:

(الطويل)

فَجَاءَ مَجِيءَ الْعَيْرِ قَادَتُهُ حَيْرُهُ إِلَى أَهْرَتِ^(١) الشُّدْقَيْنِ تَدْمِي أَظَافِرُهُ^(٢)

وهو من قصيدة له قالها في مدح يوسف بن محمد، ومطلعها:

لَهُ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ بِطَاءٍ أَوَّاحِرُهُ وَوَشْكُ نَوَى حَيٍّ تَزُمُ أَبَاعِرُهُ

وقبل الشاهد:

وَمَا كَانَ بُقْرَاطُ بْنُ أَشْوَطَ عِنْدَهُ وَقَدْ شَاغَبَ الْإِسْلَامَ خَمْسِينَ حِجَّةً وَلَمَّا التَقَى الْجَمْعَانِ لَمْ تَجْتَمِعْ لَهُ وَلَمْ يَرْضَ مِنْ جَرْزَانٍ جَرْزًا يُجِيرُهُ
بِأَوَّلِ عَبْدٍ أَسْلَمَتْهُ جَرَائِرُهُ فَلَا الْخَوْفُ نَاهِيهِ وَلَا الْجُلْمُ زَاجِرُهُ
يَدَاهُ وَلَمْ يَثْبُتْ عَلَى الْخَوْفِ نَاطِرُهُ وَلَا فِي جِبَالِ الرُّومِ رَيْدًا^(٣) يُجَاوِرُهُ

فَجَاءَ مَجِيءَ الْعَيْرِ... البيت.

وبعده:

وَمَنْ كَانَ فِي اسْتِسْلَامِهِ لَا ئِمًّا لَهُ فَإِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ عَاقِرُهُ

ورأى الأمدى أن هذا المعنى متداول كثير الاستعمال. قال:

المشهور (٢١٠ - ٢٨٥ هـ، وقيل: ٢٨٦ هـ) ولكن لا أعلم الداعي إلى هجائه؟! =

(١) الْهَرْتُ: سعة الشُّدْقِ، والهِرْتُ وَأَسْعُ الشُّدْقَيْنِ، وقد هَرَّتْ - بالكسر - وهو أَهْرَتُ الشُّدْقِ

وهريته، وَأَسْدُ أَهْرَتُ بَيْنَ الْهَرَّتِ، فالشاعر أراد هنا بأهرت الشدقين الأسد. اللسان

«هزت»: ١٠٣/٢ - ١٠٤.

(٢) ديوانه: ٢٨٤/١، الموازنة: ٣١٦.

(٣) ريداً: الريد الحَيْدُ، وهو الحرف النائي من الجبل والجمع ريود. الصحاح «ريد»:

٤٧٩/٢.

«أو لم يسمع ما هو كالمجمع عليه من أن العير إذا رأى السبع أقبل إليه من شدة خوفه منه حتى صار مثلاً يتمثل به، كما يتمثل بالفراشة إذا تهافتت في النار، وفي ذلك أمثال، وأشعار كثيرة، فما أظن علمها سقط عن البحري»^(١) وكان الأمدي يرى أنه لا أخذ هنا.

فالصورة المشتركة في البيتين هي صورة إقبال العير على الأسد لفرط ذعره. فأبو تمام صاغ هذه الحقيقة كما هي واقعة ومشاهدة بمعنى صريح مباشر، فذكر أن العير إذا أشدت خوفه وذعره من الأسد أقبل عليه.

أما البحري، فصاغ المعنى صياغة أجود، فقله: «فجاء مجيء العير» دل على انقياد واستسلام تام من ذلك العير، وجعله الحيرة قائداً دل على فرط الذعر والتخبط في الأمر، وفي تنكير لفظ «حيرة» دليل على عظمها وهولها فهي حيرة غير معهودة.

وانظر كيف أنه لم يصرح بلفظ «أسد» كما فعل أبوتمام بل جاء له بصورة صوّرت المنظر المفزع المرعب، والذي أصاب العير بتلك الحيرة الشديدة. «إلى أَهْرَتِ الشُّدْقَيْنِ تَذْمَى أَظَافِرُهُ»

الشاهد الثامن بعد الثلاثمائة^(٢): (الطويل)

قول معن بن أوس^(٣):

- (١) الموازنة: ٣١٦.
 - (٢) الدلائل، رضا: ٣٧٨، خفاجي: ٤٥٠، شاکر: ٤٩٤.
 - (٣) هو معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني (٠٠ - ٦٤ هـ) شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام، مدح جماعة من الصحابة، كف بصره في أواخر أيامه، وكان كثير التردد إلى عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فيبالغان في إكرامه، له أخبار مع عمر بن الخطاب، وكان معاوية بن أبي سفيان يفضلّه ويقول: «أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى، وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب، ومعن بن أوس»، مات في المدينة، وله ديوان شعر مطبوع.
انظر ترجمته:
- جمهرة أنساب العرب: ٢٠٢، سمط اللالي: ٧٣٣/٢، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: =

إِذَا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكْذُ^(١) إِلَيْهِ^(٢) يَوْجِهِ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ^(٣)

وهو من قصيدة قالها في صديق له كان معن متزوجاً بأخته، فاتفق أنه طلقها، وتزوج غيرها، فألى صديقه أن لا يكلمه أبداً، فأنشأ معن أبياته يهز بها قلب صديقه، ومطلع القصيدة:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجِلُ^(٤) عَلَى أَيْنَا تَغْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

وقبل الشاهد:

وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبُ رَامَ ظَنَّتِي وَيَدَّلَ سُوءاً بِأَلْذِي كُنْتُ أَفْعَلُ
قَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمَجْنُ^(٥) فَلَمْ أَدُمُ عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثَمَا أَتَحَوَّلُ

وبعدهما البيت، وهو آخر أبيات القصيدة.

يقول المرزوقي في شرح البيت:

«يقول: وإذا رأيت صاحبي يتجني عليّ ويتجرّم، ويتطلّب على ما ينتج ظنّة، ويولّدُ تهمة، وطفق يُقبح آثارِي ويبدّل حسناتي، اتّخذته عدوّاً، وقلبتُ له ظهر التّرس متقيّاً منه، ومُدّفعاً له، ولم أَدُمُ على تلك الحال المتقدّمة معه إلّا قَدَرَ

= ٧٨/٣، شرح شواهد المغني: ٨٠٨/٢، خزانة البغدادى: - دار صادر: ٢٥٨/٣،
الأعلام: ٢٧٣/٧.

(١) رواية عيون الأخبار: «لم تكن».

(٢) رواية زهر الآداب: ٨٧٣/٣ «على».

ورواية زهر الآداب ٨٧٤/٣ هـ «عليه».

(٣) انظر البيت في:

ديوانه: ٧٤، عيون الأخبار: ٢٤/١/١، معجم الشعراء للمرزباني: ٤٠٠، شرح ديوان

الحماسة للمرزوقي: ١١٣١/٣، أمالي المرتضى: ٢٦١/٢، زهر الآداب: ٨٧٣/٣،

٨٧٤، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٨٠/٣، لباب الآداب: ٤٠٠، شرح الشواهد

للعيّني - هامش خزانة البغدادى - دار صادر: ٤٤٠/٣.

(٤) رواية زهر الآداب: «على أينَا تأتي».

(٥) المجن: الترس، قوله: قلبتُ له ظهر المجن مثل يضرب لمن كان صاحبه على مودة ورعاية

ثم حال عن العهد. اللسان «جنن»: ٩٤/١٣.

ما أتحوّل، وبُطء ما أثنّقل، فقلوه: «رام ظنّتي» أي رام ارتفاع التهمة عليّ، وقلوه: «بالذي كنتُ أفعل» أي أفعله فحذف الضمير استطالةً لصلة الذي.

وقوله: «إذا انصرفت نفسي» يريد أني أمدّ نفسَ التصبر ما أمكن، فإذا أعجزتني الحالُ العارضة عن الاحتمال انصرفتُ مالكاً عناني، ثم لا يشينني على ما أعرضت عنه شيء أبد الدهر، وقلوه: «بوجه» الباء تعلّق بقوله: «تقبل» أي لم تكدُ تقبل إليه بوجهٍ من الوجوه، وعلى لون من الألوان^(١).

مع قول العباس بن الأحنف:

(البسيط)

نَقْلُ^(٢) الْجِبَالِ الرَّوَاسِي مِنْ^(٣) أَمَاكِهَا^(٤) أَخَفُّ مِنْ رَدِّ^(٥) قَلْبٍ^(٦) حِينَ يَنْصَرِفُ^(٧)

وبعده:

هَمُّوا بِهَجْرِي وَكَانَتْ فِي نَفْسِهِمْ بَقِيَّةٌ مِنْ هَوَى بَاقٍ فَمَا وَقَفُوا
وهما بيتان لا ثالث لهما.

فالمعنى الجامع بين البيتين عدم إقبال النفس على الشيء بعد انصرافها عنه، أي ثبات النفس على ما استقر فيها.

فعمد معن بن أوس إلى أسلوب الشرط، وبنى عليه المعنى، فجاء بـ «إذا» ليؤكد دوام واستمرار انصرافه عن ذلك الشيء، وقلوه: «لم تكد» تأكيد آخر لذلك

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١١٣١/٣.

(٢) رواية الشعر والشعراء: «رد».

(٣) رواية الشعر والشعراء: «عن».

(٤) رواية الديوان والشعر والشعراء: «مواضعها».

(٥) رواية الديوان: «من نقل».

(٦) رواية الديوان والشعر والشعراء: «نفس».

(٧) رواية الديوان والشعر والشعراء: «تنصرف» بالتاء.

(٨) انظر البيت في:

ديوانه: - دار صادر: - ٢١١، الشعر والشعراء: ٨٣٤/٢.

الانصراف، وتقديم الجار والمجرور «إليه» على الفعل «تقبل» حمل معنى الاستياء والتحقير لذلك الشيء.

أما العباس بن الأحنف، فكان أروع تصويراً، فقد استعان بالخيال، واستقى منه صورة الجبال الرواسي، وجعلها رمزاً لذلك القلب المنصرف، وحملها كل معاني العزة والإباء التي تختلج في نفسه، فهو لم يكتب بذكر لفظ «الجبال»، وإنما اتبعه بوصف «الرواسي»، ليدل على متانة تلك الجبال وهذه المتانة، وهذه الصلابة هي نفسه التي تنطوي على العزم القوي الجازم.

وانظر إلى قوله «من أماكنها» وكيف أن هذا القيد قد زاد في وصف الجبال بالرسوخ، فصور بهذا القيد استحالة تحركها وزعزعتها.

وما أبرع الشاعر حين نكر لفظ «قلب» فدل على أنه قلب قوي، فكل معاني القوة التي رسمتها صورة الجبال نراها قد تمثلت في تنكير لفظ «قلب».

وقوله «حين» دل على العزم والسرعة في الانصراف والتعبير عن الانصراف بالجملة الفعلية دليل على تجدد وحدث الانصراف منه مرة بعد مرة.

الشاهد التاسع بعد الثلاثمائة^(١):
(الطويل)

قول أمية بن أبي الصلت^(٢):

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِامْرِئٍ إِنْ أَصَبَتْهُ^(٣) بِخَيْرٍ^(٤) وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ^(٥)

(١) الدلائل، رضا: ٣٧٨، خفاجي: ٤٥١، شاکر: ٤٩٤.

(٢) ذكر البكري في السمط أنهما للخريمي، وبقيّة المراجع ثبت أنها لأمية بن أبي الصلت. وأضاف صاحب الوساطة أنها تنسب، لأمية ولغيره.

(٣) رواية الديوان والاشتقاق والموازنة والصناعتين والأغاني، وديوان المعاني، وشرح المضمون به على غير أهله، وشعراء النصرانية: «إن حيوته»، وهي أجود؛ لأن الحباء العطاء بلا مَنْ وَلَا جَزَاء. اللسان «حبا»: ١٦٢/١٤، ورواية طبقات فحول الشعراء: «لامرئٍ بذل وجهه» واعتقد أنها خطأ لأن هذه الجملة كررت في البيت الثاني. ورواية تاريخ ابن عساکر: «إن حموته».

وبعدده بيت آخر فقط:
وَلَيْسَ بِشَيْنٍ^(١) لَأَمْرِي بَذْلُ وَجْهِهِ إِيَّاكَ كَمَا بَعْضُ السُّؤَالِ يَشِينُ

وهما بيتان قالهما في عبد الله بن جدعان^(٢).

ومعنى الشاهد:

«يقول عطاؤك زينة وشرف لمن يصل إليه عطاؤك وليس كل العطاء يزِين بل بعض العطاء يشِين، كما إذا أنعم اللئيم الخسيس غير ذي القدر والأصل، وغير ذي العلم والفضل، ثم قال: وليس بعيب ونقصان لإنسان سؤال العطاء منك، كما يشِين بعض السؤال، وهو السؤال من اللئام؛ لأنك من الكرام، فكُنِّي عن السؤال ببذل الوجه؛ لأن من سأل من غيره، فكأنه امتنهن وجهه.
قوله: «وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ» جملة حالية.

(٤) رواية الديوان، وديوان المعاني، والأغاني: «ببذل».

ورواية الصناعتين، وشرح المضمون به على غير أهله: «بَسِيْب».

(٥) انظر البيت في:

ديوانه: ٨٠، طبقات فحول الشعراء: ٢٦٥/١، الاشتقاق: ١٤٤، الوساطة: ٣١٤،

الأغاني: ٣٢٨/٨، الموازنة - محمد محي الدين عبد الحميد: ٩٣، الصناعتين: ٥٢،

ديوان المعاني: ٤٦/١، سمط اللآلي: ٢٤٢/١، التبيان للعكبري: ٧٥/٤، المثل السائر:

٢٤٦/٣، شرح المضمون به على غير أهله: ١٧٤، تهذيب تاريخ ابن عساكر: ١٢٧/٣،

شعراء النصرانية: ٢٢١/١.

(١) رواية الوساطة:

«ليس بعارٍ لأمري».

(٢) هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن

غالب، وكان ابن جدعان سيداً جواداً.

انظر ترجمته:

الأغاني: ٣٢٧/٨ - ٣٣٣.

قيل هو من المديح الجيد في عبد الله بن جدعان^(١).

ونظير هذا المعنى قول المتنبي:

وَقَبْضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ وَقَبْضُ نَوَالِ بَعْضِ الْقَوْمِ دَامُ^(٢)

ولقد ذكر القاضي الجرجاني أن المتنبي قد سفسف فيه^(٣).

وبيت أمية بن أبي الصلت جعله ابن الأثير من الضرب الخامس من السليخ، وهو أن يؤخذ بعض المعنى^(٤).

مع قول أبي تمام:

(السيط)

تُدْعَى عَطَايَاهُ وَفَرًا^(٥) وَهِيَ إِنْ شَهَرَتْ
كَانَتْ فَخَارًا لِمَنْ يَعْفُوهُ^(٦) مُؤْتَنَفًا^(٧)
مَا زِلْتُ مُتَنَظِّرًا أَعْجُوبَةً عَنَّا^(٨)
حَتَّى رَأَيْتُ سُؤَالَ يَجْتَنِي شَرْفًا^(٩)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا دلف العجلي^(١٠)، ومطلعها:

(١) شرح المضمون به على غير أهله: ١٧٤.

(٢) ديوانه بشرح العكبري: ٧٥/٤.

(٣) الوساطة: ٣١٤.

(٤) المثل السائر: ٢٤٦/٣.

(٥) الوفر: المال الكثير. الصحاح «وفر»: ٨٤٧/٢.

(٦) يعفوه: العافي السائل والطالب. اللسان «عفا»: ٧٤/١٥.

(٧) مؤتنفا: استأنف الشيء واتتفه أخذ أوله وابتدأه، وقيل استقبله. اللسان «أنف»: ١٤/٩.

(٨) رواية الموازنة والمثل السائر: «زمنًا».

(٩) انظر البيت في:

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ٣٦٥/٢ - ٣٦٦، ديوانه - دار صعب - ١٧٨، الموازنة:

٩٣ - ٢٩٧، المثل السائر: ٢٤٦/٣.

(١٠) هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل من بني لجيم أمير الكرخ، وسيد قومه، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء، قلده الرشيد العباسي أعمال «الجبيل»، ثم كان من قادة جيوش المأمون، وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة، وللشعراء فيه أماديح، وله مؤلفات منها «سياسة الملوك» و«اليزاة والصيد» وهو من العلماء بصناعة الغناء يقول الشعر ويلحنه، توفي ببغداد «٢٢٦ - ٠٠٠ هـ».

أَمَّا الرُّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرَنَ مَا سَلَفَا فَلَا تُكْفَنُ عَنْ شَأْنِكَ أَوْ يَكْفَا

وقبل الشاهد:

قَصْدُ^(١) الْخَلَائِقِ إِلَّا فِي نَدَى وَوَعَى كِلَاهُمَا سُنَّةٌ مَا لَمْ يَكُنْ سَرَفَا

وبعد الشاهد:

يَقُولُ قَوْلَ الَّذِي لَيْسَ الْوَفَاءُ لَهُ عَزْمًا وَيُنْجِزُ إِنْجَازَ الَّذِي حَلَفَا

ومعنى الشاهد:

«يقول: عطاياه وفر أي مال، فإذا شُهرت كانت فخراً للمُعطي، وهذا على سبيل الدَّعوى من المادح؛ لأنَّ الْمُعْتَفَى لَا فَخْرَ لَهُ فِي أَخْذِ الرَّفْدِ، ويجوز أن يعنى سعة العطية، وَأَنَّهَا تُمَكِّنُ أَخْذَهَا أَنْ يُعْطَى وَيَتَكْرَّمُ، فيؤدي ذلك إلى الفخر»^(٢).

ذكر الآمدى: أن البحري أخذ البيت الأول فقال:

وَإِذَا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَذُونَ فَإِنَّهُ يَهْبُ الْعُلَى فِي سِيهِ الْمَوْهُوبِ^(٣)

وذكر كذلك أن أبا تمام أخذ البيت الثاني من قول أمية بن الصلت: عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لَامِرِيٍّ إِنْ حَبَوْتَهُ...^(٤).

ورأى ابن الأثير أن أخذ أبي تمام هذا من الضرب الخامس من السلخ^(٥)،

انظر ترجمته:

طبقات ابن المعتز: ١٧٠ - ١٧٩ - ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٧، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٥٣، ٣٨١، ٣٨٢. أخبار أبي تمام: ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ٢٢٢، معجم الشعراء للمرزباني: ٣٣٤، تاريخ بغداد: ٤١٦/١٢ - ٤٢٣. سمط اللالي: ٣٣١، نهاية الأرب: ٢٤٩/٤، الأعلام: ١٧٩/٥.

(١) القَصْدُ: بين الإسراف والتقتير، والقَصْدُ الْعَدْلُ. الصحاح «قصد»: ٥٢٥/٢.

(٢) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي: ٣٦٥/٣.

(٣) الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد -: ٢٩٧.

(٤) المرجع السابق: ٩٣.

(٥) وهو أن يؤخذ بعض المعنى. المثل السائر - مكتبة نهضة مصر -: ٢٤٦/٣.

ورأى أن أمية فاق أبا تمام؛ لأنه أتى بمعنيين اثنين، وهو أن عطاء الممدوح زين،
والآخر أن عطاء غيره شين، أما أبو تمام فإنه أتى بالمعنى الأول لا غير^(١).

فالمعنى المشترك هو مدح الممدوح بوفرة العطاء الذي يشرف أخذه لكونه
من كريم نبيل.

إلا أن صيغة البيتين قد تباينت، فأمية بن أبي الصلت مدح عطاء ممدوحه
بأنه زين، وأن عطاء غيره شين وبدأ البيت بالجملة الاسمية «عطاؤك زين»؛ ليدل
على ثبوت ذلك العطاء وزينه.

ويبدو لي أن مجيء الشرط بـ «إن» تقصير في المدح، حيث جعل عطاء
ممدوحه غير موثوق فيه، وغير مجزوم به، وأن إصابته المرء بالخير أمر نادر، ولو
أنه استعمل «إذا» لكان أؤكد في العطاء وكثرته.

وتذييل البيت بقوله: «وما كل العطاء يزين» زيادة توكيد لعطاء ممدوحه.

أما أبو تمام فقد أحسن وأجاد حيث قرر أن عطايا ممدوحه يسميها الناس
«وفراً» أي غنى، وهذا دليل على كثرة عطائه، فبناء الفعل «تُدعى» للمجهول دلٌّ
على كثرة من يدعوها وفراً، وهذا دليل على كثرة المعتفين.

ويبدو لي أن أبا تمام قد قَصَّرَ أيضاً في بيان مدى اشتها هذه العطايا حين
استعمل «إن» الشرطية التي من شأنها عدم الجزم بوقوع الشرط، فكأن أمر
اشتهارها غير واقع، فلو أنه استعمل «إذا» لكان أفخم وأدل على الاشتها
والفخار، ولظهر أن أمر اشتهاها أمر مجزوم بوقوعه.

وبيت أبي تمام الثاني، فيه تشويق حرَّك النفوس، وجعلها تستشرف وتتطلع
لمعرفة تلك الأعجوبة التي ظل الشاعر ينتظرها.

وانظر إلى مجيء «حتى» هنا وكيف أيقظت الأسماع وشدت الانتباه لمعرفة
تلك الأعجوبة.

(١) المثل السائر - مكتبة نهضة مصر: - ٢٤٦ - ٢٤٧.

ثم أنظر كيف استطاع أبو تمام أن يكشف للنفس تلك الأعجوبة بصياغة أعجب، فقد جعل العبارة حية متحركة مشاهدة.

فالسؤال كائن حي يُرى بالعين «حتى رأيت سؤالاً» والسؤال عامل نشط دائب في اجتناء الشرف، وقوله: «يجتبي» بعثت روح الحركة والعمل الدائب في البيت، فدللت على أن الممدوح دائم العطاء.

الشاهد العاشر بعد الثلاثمائة^(١):
(الطويل)

قول جرير^(٢):

بَعَثَنَ^(٣) الْهَوَىٰ ثُمَّ آرَتَمَيْنَ قُلُوبَنَا بِأَسْهُمٍ^(٤) أَعْدَاءٍ وَهَنَّ صَدِيقُ^(٥)

والبيت من قصيدة له في مدح الحجاج^(٦)، مطلعها:

(١) الدلائل، رضا: ٣٧٩، خفاجي: ٤٥١، شاکر: ٤٩٥.

(٢) نُسب البيت في زهر الآداب لمزاحم العقيلي، ونُسب في الحماسة البصرية لذي الرُّمة، وهو غير موجود في ديوانه.

(٣) رواية ديوان جرير، وديوان المعاني:

«دَعَيْنَ الْهَوَىٰ»

ورواية زهر الآداب: «قَضَيْنَ».

ورواية شرح شافية ابن الحاجب والحماسة البصرية: «دَعُونْ».

(٤) رواية شرح شافية ابن الحاجب، وشرح جمل الزجاجي:

«بَاعَيْنَ».

ورواية بأسهم أجمل وأدق؛ لأنها تعبر عن قوة تلك الأعين وشدتها.

انظر البيت في:

ديوانه: ٣٩٨، الخصائص: ٤١٢/٢، الوساطة: ٢٠٦، ديوان المعاني: ١٨١/٢، زهر

الآداب: ٩٤/١، شرح جمل الزجاجي: ٤٢١/١، شرح شافية ابن الحاجب: ١٣٨/٤،

الحماسة البصرية: ١٧٧/٢.

(٥) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أمه الفارعة بنت همام بن عروة بن

مسعود الثقفي، تقلد جيش عبد الملك بن مروان، واشتط في الأمر، وحارب ابن الزبير،

وقتل، وولي أمر الكوفة، والعراق، واستطاع أن يخضع أهلها، كان فصيحاً حسن البيان

(ت: ٩٥ هـ) بمدينة واسط ودفن بها.

بِتُّ أَرَأَيْي صَاحِبِي تَجَلُّدًا وَقَدْ عَلِقْتَنِي مِنْ هَوَاكِ عُلُوقُ

وقبل الشاهد:

أَعَالِجُ بَرْحاً مِنْ هَوَاكِ وَشَفْنِي فَوَادٍ إِذَا مَا تُذَكِّرِينَ خَفُوقُ
أَوَانِسُ أَمَا مَنْ أُرْدَنَ عَنَاءُهُ فَعَانٍ وَمَنْ أَطْلَقَنَ فَهُوَ طَلِيقُ

وبعدهما الشاهد وبعده:

عَجِبْتُ مِنَ الْغَيْرَانِ لَمَّا تَذَارَكْتُ جَمَالَ يُخَالِجُنَ^(١) الْبُرَيْنَ^(٢) وَنُوقُ

مع قول أبي نواس:

إِذَا آمَتَحَنَ^(٣) الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفْتُ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ^(٤) (الطويل)

وهو أحد أبيات خمسة مطلعها:

أَيَا رَبِّ وَجْهِ فِي الثُّرَابِ عَتِيقِ وَيَا رَبِّ حُسْنٍ فِي الثُّرَابِ رَفِيقِ

وقبل الشاهد:

أَرَى^(٥) كُلَّ حَيٍّ هَالِكاً وَابْنَ هَالِكٍ وَذَا نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقِ

انظر ترجمته:

وفيات الأعيان: ٢٩/٢ - ٥٤.

(١) يخالجن: خلجه يخلجه خلجاً واختلجه إذا جذبته وانتزعه. الصحاح «خلج»: ٣١١/١.

(٢) البرين: جمع برة وهي الحلقة في أنف البعير، وقيل هي الحلقة من صُفْرٍ أو غيره تجعل في لحم أنف البعير، وقيل تجعل في أحد جانبي المنخرين. اللسان «بري»: ١٧/١٤.

(٣) رواية عيون الأخبار: «إذا اختبر».

(٤) انظر البيت في:

ديوانه: ٦٢١، عيون الأخبار: ٣٢٢/٦/٢، ذيل الأمالي: ٩٣، الوساطة: ٢٠٦،

الصناعتين: ٥٠٩، ديوان المعاني: ١٨١/٢، الإعجاز والإيجاز: ١٦٢، التمثيل

والمحاضرة: ٧٩، الإنابة عن سرقات المتنبي: ١٠٨، شرح مقامات الشريشي: ٢٧٢/١،

زهر الآداب: ٩٤/١، المحاسن والمساوى: ٣٦٤، بهجة المجالس: ٢٩٥/٣، المثل

السائر: ١٤٩/٢، شرح المضمون به على غير أهله: ٤٣، نهاية الأرب: ٨٣/٣.

(٥) رواية زهر الآداب: ٩٣/١.

فَقُلْ لِقَرِيبِ الدَّارِ إِنَّكَ ظَايِنٌ إِلَى مَنْزِلٍ^(١) نَائِي الْمَحَلِّ سَجِيقِ

وبعدهما البيت وهو آخر القصيدة:

«ذُكِرَ أَنَّ بَيْتَ أَبِي نَوَاسٍ هُوَ أَصْدَقُ مَا وُصِفَتْ بِهِ الدُّنْيَا^(٢)، وَأَنَّ الْمَأْمُونِ^(٣) - وَقِيلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ^(٤) - قَالَ:

لَوْ سَأَلْتُ الدُّنْيَا أَنْ تَصِفَ نَفْسَهَا لَمَا وَصَفَتْهَا بِفَوْقِ هَذَا الْوَصْفِ.

وَذَكَرَ الْقَاضِي الْجَرَجَانِيُّ وَأَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ أَنَّ الْبَيْتَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ جَرِيرٍ فِي وَصْفِ النِّسَاءِ:

دَعَيْنَ الْهَوَى ثُمَّ أَرْتَمِينَ قُلُوبَنَا . . . الْبَيْتُ السَّابِقُ.

وَذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ^(٥) أَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

وَلَمْ أَرْ كَالدُّنْيَا وَكَشَفِي لِأَهْلِهَا فَمَا أَنْكَشَفُوا لِي عَنْ صَفَاءٍ وَعَنْ صِدْقٍ^(٦)

استشهد به أبو هلال العسكري في الصناعتين في الفصل الثاني من الباب العاشر في ذكر المقاطع والقول في الفصل والوصل^(٧).

وَذَكَرَ أَنَّ كَلِمَةَ «صَدِيقٍ» وَقَعَتْ مَوْقِعًا جَيِّدًا؛ لِأَنَّ مَعْنَى الْبَيْتِ يَقْتَضِيهَا، وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا.

وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَأَبْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ

(١) يريد بالمنزل هنا القبر.

(٢) ديوان المعاني: ١٨١/٢.

(٣) عيون الأخبار: ٣٢٢/٦/٢، الإعجاز والإيجاز: ١٦٢، المحاسن والمساوي: ٣٦٤.

(٤) ذيل الأمالي: ٩٣.

(٥) بهجة المجالس: ٢٩٥/٣.

(٦) ديوانه: ١٧١.

ورواية الديوان: «فَمَا أَنْكَشَفُوا لِي عَنْ وَقَاءٍ وَلَا صِدْقٍ».

(٧) قال: «والضرب الثالث أن تكون الفاصلة لائقة بما تقدمها من ألفاظ الجزء من الرسالة أو

البيت من الشعر، وتكون مستقرة في قرارها، ومتمكنة في موضعها، حتى لا يسد مسدها

غيرها، وإن لم تكن قصيرة قليلة الحروف». الصناعتين: ٥٠٨.

قال: «والصديق - ها هنا جيد الموقع؛ لأن معنى البيت يقتضيه، وهو محتاج إليه»^(١).

واستشهد به ابن الأثير في تشبيه المفرد بالمركب^(٢).

ومعنى الشاهد:

«إذا اختبر الدنيا عاقل ظهرت الدنيا لأجل ذلك العاقل عن عدو هو لابس ثياب الصديق أي إذا تأمل الدنيا عاقل علم أن الدنيا ظاهرها صداقة وموافقة، وباطنها عداوة ظاهرة، ومخالفة بينة، ما خالط مع أحد إلا وقد تركه، وامتزج مع عدوه كذا كان حال الدنيا الدنية إنها شرك الردي، ولا يُنتفع منها أبداً»^(٣).

فالصورة المشتركة في البيتين صورة العدو في ثياب الصديق، فجزير جعل هذه الصورة معنى غزلياً، أما أبو نواس، فجعلها في آمتحان الدنيا واختبارها.

فجزير يتحدث في بيت الشاهد عن جماعة من الأوانس اللاتي ذكرهن في البيت قبله، فهو لم يصرح بأن صاحبه ترميه رمي الأعداء، وإنما جعلها من جماعة حالهن ذلك تطفأ وتحبباً.

ولعله جعل الحديث في بيت الشاهد بصورة الجمع مع أنه أفرد صاحبه بالحديث في المطلع وقبل الشاهد؛ ليثبت أن حاله معها حال عامة متكررة مع كل فرد يعاني مما يعانيه.

فهو يريد أن يؤكد استقرار هوى المحبوبة في نفسه، وكيف أن نظراتها القوية الحادة كانت الباعث القوي لهذا الاستقرار انظر إلى قوله: «بعثن الهوى». وما فيه من تصوير رائع لاستحكام هواها في قلبه حيث جعل الهوى كائناً حياً يُبعث ويتحرك. فحبها مبعوث في نفسه يتحرك في حنايا صدره.

(١) المصدر السابق: ٥٠٩.

(٢) المثل السائر: ١٤٩.

(٣) شرح المصنوع به على غير أهله: ٤٣.

ثم أنظر إلى قوله: «ثم» وما دلت عليه من مكوث ذلك الهوى زمناً في نفسه حتى استحکم وتمکن.

وقوله: «ارتمين» دل على شدة ذلك الرمي، فهذا الفعل بهذا التركيب يحمل معنى التمكن والسيطرة والافتدار، فهو أدل على هذه المعاني من الفعل «رمين» لما فيه من زيادة المبنى.

وقوله: «قلوبنا» يحمل معنى الاستسلام والضعف، وقوة ذلك الهوى. وفي تشبيه العين بالسهم، وإضافة السهم للعدو ما يظهر غرابة تلك النظرات وقوتها.

وقوله: «وهن صديق» يشيع في النفس كوامن الإحساس بالغرابة، ويوقظ فيها عنصر المفاجأة، فذلك الرمي بالسهم، والتمكن في الرمي، والافتدار عليه صادر من صديق.

وأنظر إلى تنكير «صديق»، وكيف دل على أنه صديق حميم ذو مكانة، وأنه أعز وأحب صديق.

أما أبو نواس فمعنى بيته: أن الدنيا ظاهرها الاطمئنان والأمان كما يطمئن الشخص إلى صديقه، وباطنها عدااء محض.

فالدنيا لا بد من امتحانها امتحاناً دائماً، وأن لا يغفل الإنسان عن هذا الاختبار، فاكشف أمرها، والوقوف على حالها، وعدم الاغترار بها لا يستطيعه إلا من أوتي الحكمة والحنكة والصبر الدائم.

ووصف الممتحن بكونه «لبيب» دليل على ندرة الواقفين على حقيقتها، وأن أكثر الناس منخدعون بمظهرها إلا اللبيب ذو الحنكة.

وقوله: «تكشفت» حيث جاء بالجملة فعلية فعلها مضارع مسند إلى الدنيا مسبوق بأداة الشرط «إذا»، فيه فضح لأمر الدنيا وزيفها، فزيتها وزخرفها أمر زائل فمجرد أن يطلع عليها اللبيب الفطن تتعري من تلقاء نفسها وتنقشع وتزول أمام عينه بسهولة ويسر.

فهذا التركيب تركيب متمكن فيه دلالة القوة على المراد منه.

وفي قوله: «له» قيد دل على كثرة المنخدعين بها، وأنها مأكرة خادعة لا يمكن أن يقف على زيفها، ولا يمكن أن تتكشف إلا لذلك اللبيب.

وأنظر إليه كيف جسد صورة المكر والخديعة، وأكدها في الأذهان حيث شبه الدنيا بإنسان سيء المخبر حسن المظهر جميل الثياب، يخدع الناظر بمظهره، ويذهب عن لبه أن هذا الإنسان هو ألد أعدائه، وهكذا الدنيا تبهر الناظر بزيتها وزخرفها، وتصرفه عن النظر إلى حقيقتها، وفي هذا قمة الخديعة.

الشاهد الحادي عشر بعد الثلاثمائة^(١):
(الطويل)

قول كثير:

إِذَا مَا أَرَادَتْ^(٢) خَلَّةٌ^(٣) أَنْ تُزِيلَنَا^(٤) أَبِينَا^(٥) وَقُلْنَا الْحَاجِيَّةُ أَوَّلُ^(٦)

(١) الدلائل، رضا: ٣٧٩، خفاجي: ٤٥١-٤٥٢، شاکر: ٤٩٥.

(٢) رواية عيون الأخبار، والمحاسن والأضداد، أخبار أبي تمام، والموازنة والخزانة للبغدادي، ومحاضرات الأدباء: «إذا وصلتنا»، ورواية تزيين الأسواق: «ما أتينا».

(٣) الخلّة: بالضم: الصديقة والصاحبة. اللسان «خلل»: ٢١٧/١١.

(٤) رواية عيون الأخبار وتزيين الأسواق: «كي تزيلنا».

ورواية الموازنة وخزانة البغدادي: «كي تزيلها».

ورواية أخبار أبي تمام: «لتزيلها».

ورواية التمثيل والمحاضرة: «أن تريدنا».

ورواية بهجة المجالس: «تستميلنا».

ورواية بديع أسامة: «أن تزورها».

(٥) رواية محاضرات الأدباء: «عرضنا».

(٦) انظر البيت في:

ديوانه: ٢٥٥، الشعر والشعراء: ٥١٥/٢، عيون الأخبار: ٢٨/١٠/٤.

المحاسن والأضداد: ١٢٤، أخبار أبي تمام: ٢٦٤، الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد -: ٦١، الصناعتين: ٢٢٥، التمثيل والمحاضرة: ٧٢، محاضرات الأدباء:

٥٠/٣/٢، بهجة المجالس: ٨٢٥/٢، بديع أسامة بن منقذ: ١٩٨، تزيين الأسواق: ٤٠،

خزانة البغدادي - دار صادر -: ٣٨٢/٢.

وهو من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان^(١)، مطلعها:
صَحَا قَلْبُهُ يَاعَزْرُ أَوْ كَادَ يَذْهَلُ وَأُضْحَى يُرِيدُ الصَّرْمَ أَوْ يَتَبَدَّلُ

وقبل الشاهد:
إِذَا قُلْتُ أَسْلُو غَارَتِ الْعَيْنُ بِالْبُكََا غِرَاءَ وَمَدَّتْهَا مَدَامِعُ حُفْلُ

وبعدها الشاهد وبعده:
سَنُؤَلِّقُ عُرْفًا إِنْ أُرْدِتِ وَصَالَنَا وَنَحْنُ لِنِتْلِكَ الْحَاجِيَّةِ أَوْصَلُ

ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء مناسبة الشاهد، فقال:

«بعثت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله إلى كثير، فقالت له: يا ابن أبي جمعة ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشعر في عزة، وليست على ما تصف من الحسن والجمال لو شئت صرفت ذاك إلى غيرها ممن هو أولى به منها أنا، أو مثلي، فأنا أشرف، وأوصل من عزة، وإنما جريته بذلك، فقال:

إِذَا مَا أَرَادَتْ خُلَّةٌ أَنْ تُزِيلَنَا أَبِينَا وَقُلْنَا الْحَاجِيَّةُ أَوَّلُ»^(٢)

مع قول أبي تمام^(٣):

(الكامل)

نَقْلُ فُؤَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ^(٤)

(١) سبقت ترجمته: انظر: ٥٣٤.

(٢) الشعر والشعراء: ٥١٥/١ - ٥١٦.

(٣) ذكر في موضع محاضرات الأدباء أنه لأبي الشيص.

انظر: محاضرات الأدباء: ٢٣/٣/٢.

(٤) انظر البيت في:

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ٢٥٣/٤، ديوان أبي تمام - دار صعب -: ٤٠٧، البيان والتبيين: ٣١٣/٣، الخصائص: ١٧١/٢، أخبار أبي تمام: ٢٦٣، الموازنة - محمد محيي الدين -: ٦٠، الصنائع: ٢٢٤، ٤٧٢، التمثيل والمحاضرة: ٩٤، ٢٠٩، محاضرات الأدباء: ٢٣/٣/٢، ٥١، المحاسن والمساوي: ٣٠٤، تحرير التحير: ٢١٩/١، نهاية الأرب: ٩٤/٣، معاهد التنصيص: ٢٢٩/٤، تزيين الأسواق: ٣.

وهو أحد أبيات أربعة أولها:

وَالْبَيْنُ جَرَّعَنِي نَقِيعَ الْحَنْظَلِ وَالْبَيْنُ أَثْكَلَنِي وَإِنْ لَمْ أَثْكَلِ

وقبل الشاهد:

مَا حَسَرْتِي أَنْ كَسَدْتُ أَقْضِي إِنَّمَا حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنِّي لَمْ أَفْعَلِ

وبعد الشاهد وبعده:

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

ذكر الصولي والآمدي أن هناك من قال بأن أبا تمام أخذ معنى بيته من قول

ابن الطرية:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا فَارِعَاً^(١) فَتَمَكَّنَا^(٢)

ورأى الآمدي أن قول ابن الطرية أجود ما قيل في هذا المعنى؛ لأنه ذكر

العلة^(٣).

ورأى الصولي والآمدي أن قول أبي تمام أشبه بقول كثير، ومنه أخذ^(٤).

ورأى أبو هلال العسكري أن قول أبي تمام أبين وأدخل في الأمثال من قول

كثير^(٥).

وذكره الثعالبي على أنه من الأمثال السائرة للمحدثين^(٦).

وذكر أسامة بن منقذ أن أبا تمام أخذ بيته من قول كثير، إلا أنهما متساويان

في الحسن، فذكرهما في باب المساواة، وهو مساواة الأخذ منه للأخذ عنه،

(١) رواية الديوان: «خالياً».

(٢) ديوانه: ١٠٩.

(٣) الموازنة: ٦١.

(٤) أخبار أبي تمام: ٢٦٣، الموازنة: ٦١.

(٥) الصناعتين: ٢٢٤.

(٦) التمثيل والمحاضرة: ٩٤.

والأول أحق به؛ لأنه ابتدع، والثاني اتبع، فالأول سابق، والثاني لاحق^(١).

فالمعنى الجامع بين البيتين أن القلب ثابت على الحب الأول. فإذا نظرنا إلى البيتين وجدنا أن كل ما دل عليه بيت كثير أنه إذا أرادت محبة من المحبات أن تزيل ما في النفس من محبة للحاجبية، أبت النفس ذلك لأن حب الحاجبية هو أول حب طرق القلب.

وتركيب البيت لا يخلو من بعض اللطائف، فمجيئه بضمير الجمع «تزيلنا» - أي «قلنا» - وكذلك مجيء «إذا» الشرطية، يكشف عن قوة إحساس بالمعنى الذي يطور في نفس الشاعر، فهو عازم، جازم مصمم على الوفاء للحاجبية، لكنه ضعف حين قال: «سنوليک وصلاً... البيت» فليس هذا شأن المحب الصادق.

فيبدو أنه طمع في عائشة بنت طلحة وكانت من أجمل نساء زمانها، وكانت من أعفهن، ولكن لعله كان يأمل في الحديث معها، فهذا شرف عظيم له، وأياً ما كان فالمحب الصادق المحبة لا يفكر في غير من يحب.

وقول كثير هذا لا يداني معنى أبي تمام اتساعاً وحركة أنظر إلى حركة تنقيل الفؤاد التي أتى بها أبو تمام، واختياره لفعل الأمر «نقل» وما فيه من ثقل الحركة، وما يدل عليه من معنى التعجيز، فتحول الفؤاد، وتغير النفس من أشق الأمور وأصعبها.

وقوله: «حيث شئت من الهوى» فهذا الإطلاق وهذه الحرية في التنقل في أرجاء الهوى دليل وحجة على ضعف النفس وعجزها؛ فالقلب مهما تنقل في الهوى فلن يجد مستقره إلا في الحب الأول وتأمل كيف جاء الشاعر بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، وهو من أشد أساليب التوكيد وأقواها، ليثبت ويؤكد المعنى الذي يشيع في نفسه، والذي يحس به إحساساً كاملاً، فالحب الذي فتق أكماد المشاعر، وأيقظ الأحاسيس النابضة في القلوب هو الذي يسكن الفؤاد، ويقيم فيه، ولا يمكن أن يتحول عنه.

(١) بدیع أسامة: ١٩٤.

وقد حصل بين أبي تمام وبعض الشعراء اختلاف على هذا المعنى فقال
ديك الجن:

كَذَّبَ الْبَذِينَ تَحَدُّثُوا أَنَّ الْهَوَىٰ لَا شَكَّ فِيهِ لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
مَالِي^(١) أَجْنُ إِلَى خَرَابٍ مُّقْفِرٍ دَرَسَتْ مَعَالِمُهُ كَأَنَّ لَمْ يُوهَلِ^(٢)

فقال حبيب حين بلغه قول ديك الجن:

كَذَّبَ الْبَذِينَ تَخَرَّصُوا فِي قَوْلِهِمْ مَا الْحُبُّ لِلْحَبِيبِ الْمُقْبِلِ
أَفْطَيْبٍ فِي الطَّعْمِ مَا قَدْ دُقَّتْهُ مِنْ مَأْكَلٍ أَوْ طَعْمٍ مَا لَمْ يُوَكَّلِ^(٣)

فقال ديك الجن أيضاً حين بلغه قول أبي تمام:

ارْغَبْ عَنِ الْحُبِّ الْقَدِيمِ الْأَوَّلِ وَعَلَيْكَ بِالْمُسْتَأْنَفِ الْمُسْتَقْبِلِ
نَقْلُ فُؤَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ فَلَنْ تَرَى كَهْوَى جَدِيدٍ أَوْ كَوْضَلٍ مُّقْبِلِ^(٤)

ثم ذكر الشيخ الأنطاكي صاحب تزيين الأسواق أن أبا البرق سلك بينهما
جادة الإنصاف ويقوله يجب الاعتراف؛ لأنه أحسن في المقال حيث قال:
زَادُوا عَلَى الْمَعْنَى فَكُلُّ مُحْسِنٍ وَالْحَقُّ فِيهِ مَقَالَةٌ لَمْ تُجْهَلِ
الْحُبُّ لِلْمُخْبُوبِ سَاعَةً وَضَلِيلُهُ مَا الْحُبُّ فِيهِ لِأَخِيرٍ وَلَأَوَّلِ^(٥)
ويبدو لي أن الأنطاكي لم يصب في حكمه بحسن المقال لأبي البرق بل
الفصل في هذا أن الحب الأول إذا كان صادقاً فلا تحول عنه، وإنما يحسن
الحب بالوصل لمن يطلب المتعة، ولمن شأنه التنقل دون أن يملك عليه الحب
نفسه.

وديك الجن ليس صادقاً في قوله؛ لأنه ظل وفيّاً لصاحبه حتى بعد أن قتلها
وظل ييكها طوال حياته.

(١) رواية الديوان «ما إن أجْنُ».

(٢) الديوان: ١٨٤، - البيت الثاني فقط..

(٣) لم أجده في ديوانه.

(٤) لم أجده في ديوانه.

(٥) تزيين الأسواق: ٤.

الشاهد الثاني عشر بعد الثلاثمائة^(١):

(الطويل)

وقول المتنبي:

وَعِنْدَ مَنْ الْيَوْمَ الْوَفَاءُ لِصَاحِبٍ شَيْبٌ وَأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخَوَانِ^(٢)

وهو من قصيدة يذكر فيها خروج شبيب العقيلي^(٣) على كافور الإخشيدي، وقتله بدمشق سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة^(٤)، ومطلعها:

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ

وقبل الشاهد:

أَتَمَسَّكَ مَا أَوْلَيْتَهُ يَدُ عَاقِلٍ وَتَمَسَّكَ فِي كُفْرَانِهِ بَعْنَانٍ
وَبَرَكَبُ مَا أَرْكَبْتَهُ مِنْ كَرَامَةٍ وَبَرَكَبُ لِلْعُضَيَّانِ ظَهْرَ حِصَانٍ

وبعدهما بيت وبعده الشاهد وبعده:

قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أَنَّكَ أَوَّلُ وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانِي

يقول الشاعر:

أنه لا وفاء اليوم عند أحد، فإنَّ أوفى الناس غادر مثله مثل شبيب في الغدر
قال العكبري:

«لم يبق في الناس وافي لمن يصحبه أي من يفي لصاحبه يومنا هذا؟ وأوفى
الناس غادر، كشبيب في الغدر»^(٥).

مع قول أبي تمام:

(١) الدلائل، رضا: ٣٧٩، خفاجي: ٤٥٢، شاکر: ٤٩٥.

(٢) لم أجده إلا في:

ديوان المتنبي بشرح العكبري: ٢٤٦/٤، العرف الطيب: ٦٠٢/٤.

(٣) سبقت ترجمته: ١٣١.

(٤) العرف الطيب: ٥٩٨/٤.

(٥) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٢٤٦/٤.

(الطويل)

فَلَا^(١) تَحَسِّبَا هَذَا لَهَا الْغَدْرُ وَحَدَّهَا سَجِيَّةَ نَفْسٍ كُلِّ^(٢) غَائِيَةٍ هَذَا^(٣)

وهو من أبيات قالها في مدح محمد بن الهيثم بن شابة^(٤)، مطلعها:
تَجَرَّعَ أَسَىٌ قَدْ أَقْفَرَ الْجَرْعُ^(٥) الْفَرْدُ وَدَعَّ حَسِي عَيْنٍ يَحْتَلِبُ مَاءَهَا الْوَجْدُ

وبعده أبيات قبل الشاهد:

إِذَا أَنْصَرَفَ الْمَحْزُونُ قَدْ فَلَّ صَبْرَهُ سُؤَالُ الْمَغَانِي فَالْبُكَاءُ لَهُ رَدُّ^(٦)
بَدَتْ لِلنَّوَى أَشْيَاءُ قَدْ خِلْتُ أَنَّهَا سَيِّدًا^(٧) بِي رَيْبِ الزَّمَانِ إِذَا تَبَدَّلُو
نَوَى كَانَتْ نَتِيجَةُ النَّجْمِ كَانَتْ نَتِيجَةُ مِنَ الْهَزْلِ يَوْمًا إِنْ هَزَلَ النَّوَى^(٨) جُدَّ

وبعدها الشاهد وبعده:

وَقَالُوا أَسَى^(٩) عَنْهَا وَقَدْ خَصِمَ الْأَسَى جَوَانِحُ مُشْتَاقٍ إِذَا خُوصِمَتْ^(١٠) لُدَّ

(١) رواية الإبانة عن سرقات المتنبي: «ولا».

(٢) رواية الإبانة عن سرقات المتنبي: «سجية طبع».

(٣) انظر البيت في:

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ٨١/٢، ديوان أبي تمام - دار صعب: ١٠٧،
الخصائص: ٢٧١/٣، الإبانة عن سرقات المتنبي: ٤٥، بهجر المجالس: ٥٥/٣.

(٤) هو محمد بن الهيثم بن شابة الخراساني، ذكر المسعودي أن له كتاباً عنوانه «كتاب الدولة»
ولأبي تمام والبحري، مدائح فيه.

انظر: مروج الذهب: ١٣/١، أخبار أبي تمام: ١٨٨، أخبار البحري للصولي: ١٥٣،
١٥٦، ١٦٤.

(٥) الجرع والجرعاء: ما سهَّل من الأرض. القاموس المحيط (جرع): ١٢/٣، والأسى:
الحزن. اللسان «أسا»: ٣٤/١٤ - ٣٥.

(٦) ردُّ: معين. الديوان بشرح الخطيب: ٨٠/٢، اللسان «ردد»: ١٧٤/٣.

(٧) رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي: «سيدوني».

(٨) رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي: «الهوى».

(٩) أَسَى عنها: اصبر صبراً، والأسى: التعزي والتبصر. اللسان «أسا»: ٣٥/١٤ - ٣٦.

(١٠) رواية الديوان بشرح الخطيب: «خاصمت».

ذكر ابن جني أن الطائي قد أحسن في استخلاص الصفة من العلم^(١)، قال: «وقد مر بهذا الموضع الطائي الكبير، فأحسن فيه، واستوفي معناه، فقال: فَلَا تَحْسَبَا هِنْدًا لَهَا الْغَدْرُ وَحَدَهَا سَجِيَّةً نَفْسٍ كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدٌ فقوله: («كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدٌ» متناه في معناه، وأخذ لأقصى مداه ألا ترى أنه كأنه قال: «كُلُّ غَانِيَةٍ غَادِرَةٌ أَوْ قَاطِعَةٌ أَوْ خَائِنَةٌ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ»^(٢)).

وذكر العميدي^(٣) أن أبا تمام أخذ معنى بيته من ديك الجن. حيث يقول (طويل):

أَخَا الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ لَا تَرَكِبِ الْهَوَى فَإِنَّ الْهَوَى يُرِيدُكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي
وَلَا تَتَّقُنْ بِالْغَانِيَاتِ وَإِنْ وَقْتُ وَفَاءُ الْغَوَانِي بِالْمُعْهُودِ مِنَ الْغَدْرِ^(٤)

وقال المتنبي:

إِذَا غَدَرْتَ حَسَنَاءَ وَقْتُ بَعْدِهَا فَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ^(٥)

ولمحمد بن سوار^(٦):

يَقُولُونَ هِنْدٌ لَا تَدُومُ وَزَيْنَبُ عَلَى الْعَهْدِ كُلِّ النَّاسِ هِنْدٌ وَزَيْنَبُ

(١) وذلك في «باب في الاستخلاص من الأعلام معاني الأوصاف»، ومنه قولهم في الخبر إنما سُمِّيَتْ هَانِئًا لَهَا، وعليه جاء نابغة؛ لأنه نبغ قُسْمِيَّ بذلك، فهذا لعمري صفة غلبت، فبقي عليها بعد التسمية بها بعض ما كانت تفيد من معنى الفعل من قبل، وعليه مذهب الكتاب في ترك صرف أحمر إذا سُمِّيَ به ثم نُكِّرَ، وقد ذكرنا ذلك في غير موضع إلا أنك على الأحوال قد انتزعت من العلم معنى الصفة، وقد مر بهذا الموضع الطائي الكبير فأحسن فيه. «الخصائص: ٢٧١/٣».

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) الإبانة عن سرقات المتنبي: ٤٥.

(٤) ديوانه: ١١٥، رقم (٢٢).

(٥) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٤/٢.

(٦) هو محمد بن سوار بن إسرائيل الشيباني، نجم الدين أبو المعالي (٦٠٣ هـ - ٦٧٧ هـ).

الشاعر المشهور مدح الرؤساء والقضاة وغيرهم.

انظر: فوات الوفيات: ٣٨٣/٣ - ٣٨٩.

تَطَلَّبْتُ وُدًّا لَا يَكُونُ لِمَعْلَةٍ فَأَعْوَزَنِي وَجْدَانُ مَا أَتَطَلَّبُ
وَحَاوَلْتُ مَنْ يُوفِي بِعَهْدٍ فَلَمْ أَجِدْ كَأَنَّ الَّذِي حَاوَلْتُ عَنَقَاءَ مُعْرَبٍ^(١)

فالمعنى الجامع بين الشاهدين هو تَفَشَّى الغدر في النفوس إلا أن لكل من
الشاعرين طريقة خاصة في التعبير.

فالمعنى بنى بيته على الاستفهام «وَعِنْدَ مَنْ الْيَوْمَ الْوَفَاءُ لِصَاحِبٍ»
والاستفهام هنا يلامس العصب الحساس في المعنى، فنفس الشاعر مفعمة
بإحساس الخيانة والغدر، وهذا الاستفهام الإنكاري أبرز هذا المعنى وجَسَّدَ هذا
الإنكار، وكذلك ساعد تقديم الظرف «عند» على المبتدأ «الوفاء» في إبراز
المعنى، لأن هذه العنصرية هي لب المعنى وأساسه.

وتنكير لفظ «صاحب» يظهر ما عليه الناس من التقليل لشأن الصُّحبة،
والاستهانة بها، فكأن هذه الاستهانة أصبحت سمة في الناس جُبلوا عليها، فأكثر
الناس شهرة بالوفاء تنطوي نفسه على الخيانة والغدر، وجاء بشبيب وجعله نموذجاً
بشرياً للغدر.

أما بيت أبي تمام، فهو من حر الكلام وفاخره، فقد جمع المعنى الكثير في
اللفظ القليل، فهو لم يقتنع بالقول بأن أوفى الناس موسوم بالخيانة والغدر.

فيبدو أن أبا تمام قد أحس بوخز الغدر، واستشعر ألمه، وتجرع كؤوسه
حتى تشربت نفسه بذلك الألم فامتدت معانيه إلى صورة تلك المحبوبة التي هي
رمز العطاء والسخاء، فحطَّم صورتها، ونصبها نموذجاً بشرياً يرمز إلى كل معاني
الخيانة والغدر.

وكان أبو تمام بارعاً في تحطيم تلك الصورة، وإزالتها من النفوس إزالة
تامة. وإحلال الصورة التي يريد حلولاً لا انتقال معه. فهو لم يحطمها دفعةً
واحدةً، فالنفوس متعلقة بكون هند رمز العطاء، ومخو هذه الصورة محواً مباشراً
أمر تنفر منه النفس، إلا أن أبا تمام استطاع أن يمسك بزمام الإحساس وقيادته

(١) المصدر السابق: ٣٨٧/٣.

إلى حيث يريد، فتدرج في طمس تلك المعالم، فبدأ البيت بالنهي «فلا تحسبا» فأوهم النفس بدفاعه عن تلك المحبوبة، ثم لجأ إلى خطاب صديقين له ترويحاً لنفسه المثقلة بآلام الغدر، فوجدت الراحة في خطاب الصاحب.

وأنظر إلى تقديم الجار والمجرور «لها» وكيف زاد في إبعاد التهمة عنها، ثم تفاجأ النفس بلفظ «وحدها» هذه اللفظة التي كشفت عن إحياءات كثيرة تدور في نفس الشاعر، وفَجَرَت المعاني المحبوسة في نفسه، فأعلن الحقيقة الجاثمة في صدره، فقطع الكلام واستأنف بقوله: (كُلُّ غَائِيَةٍ هُنْدُ).

وجاء بلفظ العموم (كُلُّ) ليؤكد عموم هذا النموذج وشموله لكل أفراد الغواني.

ففرق بين نموذج أبي تمام وبين النموذج الذي نصبه المتنبي، وكذلك فرق بين إثبات كل من النموذجين.

الشاهد الثالث عشر بعد الثلاثمائة^(١):
(الطويل)

قول البحري:

فَلَمْ أَرِ^(٢) فِي رَنْقِ^(٣) الصَّرَى^(٤) لِي مَوْرداً فَحَاوَلْتُ وَرَدَ النَّيْلِ^(٥) عِنْدَ أَحْتِفَالِهِ^(٦) (٧)

(١) الدلائل، رضا: ٣٧٩، خفاجي: ٤٥٢، شاکر: ٤٩٥ - ٤٩٦.

(٢) رواية الديوان - صيرفي -: ١٦٢٤/٣.

(٣) الرَنْق: الكدر. معجم مقاييس اللغة «رنق»: ٤٤٥/٢.

(٤) الصرى: الماء يطول مكثه ويتغير، والصرى: اسم نهر يتشعب من الفرات، ويجري إلى بغداد، ويقال الصرا بلا هاء أيضاً سُمي بذلك لأنه صُري من الفرات أي قطع. معجم ما استعجم: ٨٢٩/٢.

(٥) نهر من أنهار الرقة، حفره الرشيد، وسُمي باسم نيل مصر. معجم البلدان: ٣٣٤/٥.

(٦) احتفاله: امتلائه، والحفل اجتماع الماء في مَحْفَلِهِ، تقول: حَفَلَ الماءَ يَحْفِلُ حَفْلاً وَحُفُولاً، وَحَفَلَ الوادي بالسَّيل وَاحْتَفَلَ جاء بملء جنبيه. اللسان «حفل»: ١٥٦/١١.

(٧) ديوانه - الصيرفي -: ١٦٢٤/٣.

ديوانه: ٢٢٤/١ - الوساطة: ٢٥٢، التبيان للعكبري: ٣٨٧/٤.

وهو من قصيدة يمدح بها علي بن يحيى^(١)، ومطلعها:
عَذِيرِي مِنْ وَاشٍ بِهَا لَمْ أَوَالِهِ عَلَيْهَا وَلَمْ أُحِطْ قَلَاهَا بِأَلِهِ

وقبل الشاهد:

وَيَأْمُرُنِي بِالصَّبْرِ مَنْ لَيْسَ وَجْدُهُ كَوَجْدِي وَلَا إِعْلَانُ حَالِي كَحَالِهِ
فَإِنْ أَفْقِدَ الْعَيْشَ الَّذِي فَاتَ بِاللَّوَى فَقَدِمًا فَقَدْتُ الظِّلَّ عِنْدَ اتِّقَالِهِ
تَرَكْتُ مُلَاحَاةَ اللَّثِيمِ وَإِنَّمَا نَصِيْبِي فِي جَاءِ الْكَرِيمِ وَمَالِهِ

وبعدهما الشاهد وبعده:

خَلَفْتُ بِمَا يَتْلُو الْمُصَلُّونَ فِي مِنَى وَمَا اعْتَقَدُوهُ لِلنَّبِيِّ وَأَلِهِ
لَيَعْتَسِفَنَّ الْبَيْدَ وَهُمْ مُشِيعُ عُنُوفٍ بِهَا فِي حَلِّهِ وَارْتِحَالِهِ
إِلَى فَارِغٍ مِنْ كُلِّ شَأْنٍ يَشِينُهُ فَإِنْ يَشْتَغِلْ فَالْمَجْدُ عِظْمُ اشْتِغَالِهِ

مع قول المتنبي:

(الطويل)

قَوَاصِدُ^(٢) كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِقَا^(٣)

وهو من قصيدة مدح بها كافور سنة ست وأربعين وثلاثمائة مطلعها:
كَفَى بِكَ ذَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا وَحَسْبُ الْمَنَآيَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

(١) هو علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم، من خاصة ندماء المتوكل، ومن بعده من الخلفاء إلى المعتمد، شاعر راوية، صديق للفتح بن خاقان، وهو الذي جمع له مكتبته الشهيرة، مات سنة (٢٧٥ هـ). انظر الفهرست: ٢٠٥، وفيات الأعيان: ٧٣/٣ - ٧٤.
وجاء في ديوانه - صيرفي -: أنه ورد في بعض مخطوطات الديوان أنها قيلت في أبي جعفر بن نهيك.

(٢) قواصد: حال من الجرد، أي هن يقصدنه توارك غيره. ديوان المتنبي بشرح العكبري: ٢٨٧/٤.

(٣) انظر البيت في:
ديوانه بشرح العكبري: ٢٨٧/٤، العرف الطيب: ٦٣٤/٤، الوساطة: ٢٥٢.

وقبل الشاهد:

وَجُرْدًا^(١) مَذْدَنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَا فِتْنَنَ خِفَاقًا يَتَّبِعْنَ الْعَوَالِيَا^(٢)

وبعده أبيات وبعدها:

بِعَزْمٍ يَسِيرُ الْجِسْمُ فِي السَّرَجِ رَاكِبًا بِهِ وَيَسِيرُ الْقَلْبُ فِي الْجِسْمِ مَاشِيًا

وبعده الشاهد، وبعده:

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانٌ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَمَاقِيَا

ومعنى الشاهد: أن هذه الخيل لا يشتد عزمها على السير إلا إذا كان السير إلى ذلك الممدوح، وتحرن عن السير إلى غيره، وشبه الممدوح بأنه كالبحر في سخائه وغيره من الملوك بالنسبة لعطائه كماء الساقية إذا قيس بماء البحر.

قال العكبري شارحاً معنى البيت:

«إن الجرد، وهي التي تحتنا قصادة هذا البحر، وتركت السواقي، وطالب البحر بغير سلاف يرى غيره قليلاً؛ لأن السواقي تستمد من البحر»^(٣).

وذكر أن سيف الدولة لما سمع هذا البيت غضب غضباً شديداً، وقال: له الويل جعلني ساقية، وجعل الأسود بحراً^(٤).

والمعنى المشترك في البيتين: عدم الاحتفال بالأدنى عند قصد الأكمل، ولكن رسم هذه الصورة، وإبراز خطوطها يختلف في لوحة كل من الشعارين.

فالبحتري هنا أقل مدحاً، فقله: «حاولت ورد النيل» فيه نوع من التخوف والتردد وعدم الاطمئنان، بل عدم الوثوق في عطاء الممدوح.

(١) جرداً: يقال فرس أجرد إذا زُقت شَعْرَتُهُ، وهو حسن الجُرْدَةِ والمتجَرَّد. معجم مقاييس اللغة (جرد): ٤٥٢/١.

(٢) العوالي: أي عوالي الرِّمَاح وهي أستنها، واحدها عالية. اللسان «علا»: ٨٧/١٥.

(٣) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٢٨٧/٤.

وقوله: «عند احتفاله» تقييد للاحتفال بالظرف، وهذا التقييد يومىء إلى أن الممدوح ليس بدائم الغنى، وهذا انتقاص من قدره.

أما بيت المتنبي فنحت الكلام فيه غير نحته في بيت البحتري، فهو أجود سبكاً، وأغزر معنى.

انظر إليه وقد جعل الخيل هي التي تقصد الممدوح، وتترك غيره، لمحبتها له، وثقتها بكرمه.

وفي وصله الشطر الأول من البيت بالشطر الثاني «بالواو» إبراز للصورة التي يريد رسمها وتجسيد للمعنى الذي يدور في داخله.

والشطر الثاني يجري مجرى المثل، فمعناه غزير وعميق حيث شبه الممدوح بالبحر في وفرة عطائه، وجعل من دونه في العطاء سواقي قليلة الدفع ناضبة.

وفي بناء الشطر الثاني على الشرط وجوابه نوع من الإيجاز الحي الملىء بمعنى العطاء.

الشاهد الرابع عشر بعد الثلاثمائة^(١):
(المنسرح)

وقول المتنبي:

كَأَنَّمَا يُولَدُ النَّدى مَعَهُمْ لَا صَغَرُ عَاذِرُ وَلَا هَرَمُ^(٢)

وهو من قصيدة في مدح علي بن إبراهيم التنوخي^(٣)، ومطلعها:
أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الْهَمُّ أَحَدْتُ شَيْءٍ عَهْدًا بِهَا الْقَدَمُ

(١) الدلائل، رضا: ٣٧٩ - ٣٨٠، خفاجي: ٤٥٢، شاکر: ٤٩٦.

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٢٨٧/٤.

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٦٥/٤.

(٣) سبقت ترجمته: ٥٥١.

وقبل الشاهد:

قَوْمٌ بُلُوغُ الْغُلَامِ عِنْدَهُمْ طَعْنُ نُحُورِ الْكُمَاةِ لَا الْحُلُمُ

وبعده الشاهد وبعده:

إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَمُوا

مع قول البحري:

(الطويل)

عَرِيقُونَ فِي الْإِفْضَالِ يُوتَنَفُ^(١) النَّدَى لِنَاشِيَتِهِمْ مِنْ حَيْثُ يُوتَنَفُ الْعُمُرُ^(٢)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا عامر الخضر بن أحمد^(٣)، ومطلعها:

لَمَّا وَصَلْتَ أَسْمَاءَ مِنْ حَبْلِنَا شُكْرُ وَإِنْ حُمٌ بِالْبَيْنِ الَّذِي لَمْ نُرِدْ قَدْرُ

وقبل الشاهد:

فَمَا يَتَعَاطَى مَا يَنَالُونَهُ يَدٌ وَلَا يَتَقَصَّى مَا يَنَالُونَهُ شُكْرُ

وبعده الشاهد وبعده:

إِذَا تَجَرَّوْا فِي سُودِدٍ وَتَزَايَدُوا فَأَنْفَقُ مَا أَبْضَعَتْ^(٤) عِنْدَهُمُ الشُّعْرُ

(١) يُوتَنَفُ: الْجَمْلُ الْأَنْفُ الذَّلُولُ الَّذِي يَأْتَفُ مِنَ الزَّجَرِ وَمِنَ الضَّرْبِ فَهُوَ ذَلُولٌ مُنْقَادٌ، أَرْضٌ

أَنْفٌ وَأَنْيَقَةٌ: مُنْبَتَةٌ اسْتَأْنَفَتْ الشَّيْءَ إِذَا ابْتَدَأَتْهُ. اللِّسَانُ «أَنْفٌ»: ١٣/٩ - ١٤.

(٢) لَمْ أَجِدْهُ إِلَّا فِي:

ديوان البحري: ٢٧٦/١، ديوانه - صيرفي -: ٨٧٢/٢، التبيان للعكبري: ٦٥/٤.

(٣) هو أبو عامر الخضر بن أحمد بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي عامل المعتمد على

الموصل سنة (٢٦١ هـ) وهو من أسرة كان لها شأنها في أيام الدولة العباسية، فابن أخيه هو

الحسن بن أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب الذي جمع عسكر الموصل لقتال مساور بن

عبد الحميد الشاري وذلك سنة (٢٥٤ هـ) ومنها إسحاق بن أيوب أخو الحسن، وقد كان

أميراً لديار ربيعة والتقى مع إسحاق بن كنداج سنة (٢٦٦ هـ) وهزم.

انظر: الكامل لابن الأثير: ٣٣٩/٥، ٧/٦، ٢٤.

(٤) مَا أَبْضَعَتْ: اتَّخَذَتْ بَضَاعَةً. معجم مقاييس اللغة: «بضع»: ٢٥٦/١.

المعنى المشترك في البيتين: قدم عهد الممدوح بالكرم، فالمتنبى جاء
بالمعنى مباشراً، ورمى به في أول البيت، فصرّح بأن الكرم يولد مع قبيلة
الممدوح، فلا فرق بين صغيرهم وكبيرهم.

أما البحري، فكان أدق تركيباً، وأغزر معنى حيث جعل عهد قبيلة
الممدوح بالتدنى أقدم، فعهدهم به من قبل الولادة، فهو ينشأ، وترعرع معهم
بنشوء الحياة فيهم، أي وهم أجنة.

فكان البحري دقيقاً في قوله: «يؤتف العمر»، لأن عمر الإنسان يبدأ في
وقت ديب الروح في جسده؛ وذلك لأن معنى العُمُر، والعُمُر: الحياة^(١).

وكلمة «يؤتف» كلمة نامية ذات دلالات موحية، فهي تحمل معنى النشوء
والترعرع والنمو، والإنبات، فأرض أنف وأنيفة: أي منبئة، وأنظر إليه كيف أثبت
عراقتهم في الكرم حيث ابتدأ البيت بالمسند «عريقون»، وحذف المسند إليه،
وكان هذه الصفة معروفة فيهم، وهم مشهورون بها.

الشاهد الخامس عشر بعد الثلاثمائة^(٢):
(الطويل)

وقول البحري:

فَلَا تُغْلِيَنَّ بِالسَّيْفِ كُلَّ غَلَائِهِ لِيَمْضِيَ فَإِنَّ الْكَفَّ لَا السَّيْفَ تَقْطَعُ^(٣)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا عيسى بن صاعد^(٤) مطلعها:

أَحَاجِيكَ^(٥) هَلْ كَالذَّارِ تُجْمَعُ وَلَلْهَائِمِ الظَّمَانِ كَالظَّلْمِ^(٦) يَنْقَعُ^(٧)

(١) اللسان «عمر»: ٦٠١/٤.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٨٠، خفاجي: ٤٥٣، شاکر: ٤٩٦.

(٣) ديوان البحري: ٣٤٦/١، الوساطة: ٢٨٨.

(٤) سبقت ترجمته: ص ٢٨٨.

(٥) أحاجيك: أغالبك في الجحج، والجحج: العقل والفتنة. اللسان «حجج»: ١٦٥/١٤.

(٦) الظلم: ماء الأسنان وبريقها. مختار الصحاح: «ظلم»: ٤٠٥.

(٧) ينقع: يسكن العطش. مختار الصحاح «نقع»: ٦٧٧.

وقبل الشاهد:

يَقِلُّ غَنَاءَ الْقَوْسِ نَبْعٌ^(١) نَجَارَهَا^(٢) وَسَاعِدُ مَنْ يَرْمِي عَنِ الْقَوْسِ خَرُوعٌ^(٣)

وبعده الشاهد وبعده:

إِذَا شِئْتَ حَاَزَ الْحَظُّ دُونَكَ وَاهِنٌ وَنَازَعَكَ الْأَقْسَامَ عَبْدٌ مُجَدِّعٌ

مع قول المتنبي:

(الطويل)

إِذَا الْهِنْدُ سَوَتْ بَيْنَ سَيْفِي كَرِيهَةٍ^(٤) فَسَيْفُكَ فِي كَفِّ تُزَيْلِ التَّسَاوِيَا^(٥)

وهو من قصيدة مدح بها كافور الأخشيدي، وذلك حين فارق المتنبي سيف الدولة، ورحل إلى دمشق فكاتبه كافور بالمسير إليه، فلما ورد مصر أخلى له كافور داراً وخلع عليه وحمل إليه آلافاً من الدراهم فقال قصيدته هذه مادحاً إياه وذلك سنة ست وأربعين وثلاثمائة، ومطلعها:

كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِئاً وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنْ أَمَانِيَا

وقبل الشاهد:

وَأَنْتَ الَّذِي تَغْشَى الْأَسِنَّةَ أَوَّلًا وَتَأْتِفُ أَنْ تَغْشَى الْأَسِنَّةَ ثَانِيَا

وبعده الشاهد وبعده:

وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوْ رَأَى لِنَسْلِهِ فَدَى ابْنَ أَحِي نَسْلِي وَنَفْسِي وَمَالِيَا

ومعنى الشاهد:

(١) النَّبْعُ: شَجَرٌ تُتَّخَذُ مِنْهُ الْقِصِيُّ وَتُتَّخَذُ مِنْ أَغْصَانِهِ السَّهَامُ، الْوَاحِدَةُ «نَبْعَةٌ» مَخْتَارُ الصَّحَاحِ: ٦٤٣.

(٢) النِّجَارُ: الْأَصْلُ. الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ «نَجْرٌ»: ١٤٣/٢.

(٣) الْخُرُوعُ: الرِّخْوُ اللَّيِّنُ. مَخْتَارُ الصَّحَاحِ: ١٧٣.

(٤) الْكَرِيهَةُ: الشَّدَّةُ فِي الْحَرْبِ. مَخْتَارُ الصَّحَاحِ: ٥٦٨.

(٥) دِيوَانُ أَبِي الطَّيِّبِ بَشْرُوحِ الْعَكْبَرِيِّ: ٢٩٣/٤، الْعَرَفُ الطَّيِّبُ: ٦٣٨/٤، الْوَسَاطَةُ: ٢٨٨، تَفْسِيرُ أَبْيَاتِ الْمَعَانِي: ١٨٠.

«إذا طبعت الهند سيفين فجعلتهما سواء في الحدة والمضاء، فالسيف الذي يصاحبك يكون أمضى؛ لأنك تزيل مساواتهما بشدة الضرب، وكذا قال الواحدي»^(١).

وقد نقل المتنبي معنى هذا البيت إلى الخيل، فقال:
فَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلُ الْكِرَامَ وَلَا الْقَنَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامٌ^(٢)
فالمعنى المشترك في البيتين هو أن القوة في الضارب لا في المضروب به. وفي كلا البيتين لطائف وأسرار، فالبحتري جاء بأسلوب النهي، وفيه ما فيه من معنى الاستهانة والتقليل من شأن ذلك السيف «فلا تغلين»، وقوله: «كل غلاؤه...» وقوله: «ليمضي» تصوير لعجز ذلك السيف أمام قوة الممدوح، ثم أكد كون الممدوح أشد وأسرع من السيف، فجاء بأداة التوكيد «إن» وقرنها بـ «الفاء»، ليبالغ في توكيد سرعة تلك الكف، ولو أنه جاء بـ «الواو» العاطفة بدلاً من «الفاء» لما كان لتوكيده مثل هذه القوة.

أما المتنبي فكان أفخم عبارة، وأدق تصويراً، فلجأ إلى الشرط وجوابه، لتتم المقارنة في أوضح صورها، وأجمل معانيها، ولتظهر نتيجة تلك المقارنة جازمة قاطعة جاء بـ «إذا» ليجزم بمضاء كف الممدوح.

فالهند إذا سوت بين سيفين في الحدة والقوة والمضاء، فإن السيف الذي يكون في كف الممدوح أعلى جودة من بقية السيوف، وما ذاك إلا لأنه في كف الممدوح.

وأسلوب الشرط هذا بعث نوعاً من الحركة تلائم حركة السيوف الدائرة فيه. وأنظر إلى تفخيمه شأن تلك السيوف، وما ينطوي علي هذا التفخيم من معنى، فذكر «الهند» وهي أكثر البلدان شهرة في صناعة السيوف ليجعلها رمزاً للجودة والفخامة، وفي ذكره لفظ «كريهة» - وهو مأخوذ من الكراهة - كناية عن الحرب،

(١) التبيان للعكبري: ٢٩٣/٤.

(٢) ديوانه: ٣٩٤/٣.

وفي هذه الكناية تصوير دقيق حي للحرب وما يدور فيها، وما يعقبها من دمار وخراب كانت تلك السيوف سبباً فيه.

وفي الإعلاء من جودة تلك السيوف وتفخيمها، تفخيم للممدوح؛ لأن تلك السيوف مهما عَظُمَت، فإن قوة الممدوح هي التي تعطيها القوة الحقيقية.

وتنكير لفظ «كف» تعظيم وتفخيم وتصوير للكف بأنها كف عجيبة في قوتها وجبروتها.

الشاهد السادس عشر بعد الثلاثمائة^(١):
(الكامل)

قول البحرى:

سَامُوْكُ^(٢) مِنْ حَسَدٍ فَأَفْضَلَ مِنْهُمْ غَيْرُ الْجَوَادِ وَجَادَ غَيْرُ الْمُفْضَلِ
فَبَذَلْتُ فِينَا مَا بَذَلْتَ سَمَاحَةً وَتَكْرُماً وَبَذَلْتَ مَا لَمْ تَبْذُلِ^(٣)

وهو من قصيدة - عدد أبياتها ستة أبيات - يمدح بها إبراهيم بن سهل^(٤)، ومطلعها:

لَوْ أَنَّ كَفَّكَ لَمْ تَجِدْ لِمُؤْمَلٍ لَكَفَّاهُ عَاجِلُ وَجْهِكَ الْمُتَهَلِّلِ

وبعده أبيات قبل الشاهد:

رَغَبْتُ قَوْماً فِي السَّمَاحِ وَأَيْنَ هُمْ إِنْ سَاجَلُوكَ مِنَ السَّمَاءِ الْأَعَزَلِ

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٠، خفاجي: ٤٥٣، شاکر: ٤٩٦.

(٢) ساموك: تساموا أي تباروا. مختار الصحاح «سما»: ٣١٦.

(٣) ديوانه: ٣١٩/١.

(٤) هو إبراهيم بن الحسن بن سهل، وكنيته أبو الفضل له مع البحرى مواقف عديدة منها أن البحرى هجاه مرة فتركه أبو الفضل أياماً، وأظهر قلة المبالاة والإهمال لهجائه، ولم يظهر الموجدة بذلك. حضره يوماً فقال: يا أبا عبادة تبعني غلامك نسيماً - وهو رومي ليس بحسن الوجه - فقال: كيف أبيعك من لو فارقت ساعة فارقتي روعي!.. «ثم باعه أياه بألفي دينار، وما مر يوم حتى ندم البحرى وسأل أبا الفضل رد الغلام إليه فأبى، ثم رده إليه بعد ذلك وقال له: «إياك أن تهجو الأحرار، فإن لهم مكاييد يضل فيها هجوك ومدحك».

انظر أخبار البحرى للصولي: ١٢٧ - ١٣٠.

وبعده الشاهد وبعده:

وَتَصَرَّفَتْ بِكَ فِي الْمَنَازِلِ هِمَّةٌ نَزَلَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ أَعْلَى مَنَزِلٍ

ومعنى الشاهد:

«أراد أنهم من الحسد أخذوا يسامونه - «فعل مشاركة من السمو» - في العطاء، فبدلوا، ولا جود عندهم، فكان بذله بذلين بذل السماحة الصادر منه مباشرة، وبذل هؤلاء البخلاء الذي صدر عنهم بسببه»^(١).

مع قول أبي تمام:

(الطويل)

أَرَى النَّاسَ مِنْهَاجَ النَّدى بَعْدَمَا عَفَتْ مَهَايِعُهُ^(٢) الْمُثْلَى وَمَحَتْ لَوَاجِبُهُ^(٣)
فَفِي كُلِّ نَجْدٍ فِي الْبِلَادِ وَغَائِرِ مَوَاهِبُ لَيْسَتْ مِنْهُ وَهِيَ مَوَاهِبُهُ^(٤)

والشاهد من قصيدة طويلة مدح بها عبد الله بن طاهر^(٥)، ومطلعها:
أَهْنُ غَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ فَعَزْماً فَقَدْماً أَذْرَكَ السُّؤْلَ طَالِيَهُ

(١) هامش الدلائل - تحقيق رشيد رضا -: ٣٨٠.

(٢) مهايعة: المهايح جمع «مهيح» وهو الطريق الواسع المنبسط. القاموس المحيط «هيح»:
١٠٤/٣.

(٣) اللواحب: جمع لاحب وهو الطريق الواضح. القاموس المحيط «لحب»: ١٣٢/١.

(٤) ديوان أبي تمام - دار صعب -: ٤٥.

(٥) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي بالولاء، أبو العباس (١٨٢ هـ - ٢٣٠ هـ)، أمير خراسان في عصر المأمون، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي، فكانت له طبرستان، وكرمان، وخراسان، والري، والسواد، وما يتصل بتلك الأطراف، واستمر إلى أن توفي بنيسابور وقيل بمرور، كان سيداً نبيلاً من أكثر الناس بذلاً للمال شهماً، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه.

انظر ترجمته:

المخبر: ٣٧٦، الطبري: ٥٨٠/٨ - ٥٨١، ٥٩٢ - ٥٩٥، ٥٩٨، ٦٠١، ٦٠٩، ٦١٣،
٦١٥، ٦١٦، ٧/٩، ٨٠، ٨٥، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٥، ٩٩، ١٠٣، ١٠٧، ١١٠، ١٢٢،
١٣١، ٣٣٨، وفيات الأعيان: ٨٣/٣، الأعلام: ٩٤/٤.

وقبل الشاهد:

وَذُو يَقْظَاتٍ مُسْتَمِرٍّ مَرِيرُهَا إِذَا الْخَطْبُ لَاقَاهُ اضْمَحَلَّتْ نَوَائِبُهُ
وَأَبْنِ بِوَجْهِ الْحَزْمِ عَنْهُ وَإِنَّمَا مَرَائِي الْأُمُورِ الْمُشْكِلَاتِ تُجَاوِبُهُ

وبعد الشاهد:

لِتَحْدِثْ لَهُ الْأَيَّامُ شُكْرَ صَنَاعِهِ تَطِيبُ صَبَا نَجْدٍ بِهِ وَجَنَائِبُهُ

فالمعنى المتحد في الشاهدين هو وصف الممدوح بالكرم العام، وأن كل صور الكرم الموجودة تنسب إليه.

أما نسج الشاهدين وتركيبهما، فيختلف بيت البحري عن بيت المتنبي، فمحور الصورة في بيت البحري هو صورة الحاسد، فالحسد هو الدافع إلى منافسته على الجود، فصورة الحسد وما ينتج عنها من خراب قلبها البحري، وجعلها صورة مثمرة لشرف الممدوح، فإليه يضاف شرف ما بذل، وإليه أيضاً يُضاف شرف ما بذله له الحاسدون؛ لأنه السبب في هذا البذل، فهو الذي حرَّك في نفوسهم دافع العطاء.

وانظر إلى قيمة «الفاء» في بداية البيت الثاني، وكيف ربطت بين البيتين. وأحكمت الصلة بينهما وأظهرت حب الممدوح وسرعته في العطاء.

وقوله «فينا» اعتراف من المادح بفضل ذلك الممدوح.

وما أدق قوله «ما بذلت»، فالاسم الموصول هنا فتح أفقاً رحباً من معنى العطاء والبذل، ذلك البذل لتكامله وعظمه كأنه لا يوجد إلا في الوهم والخيال.

أما أبو تمام فقد استمد ألوان صورته من الطبيعة الرحبة، فجعل الندى كالأرض الفسيحة المنبسطة المترامية الأطراف، والممدوح هو الذي عرَّف الناس طرق الكرم ومهداها لهم بعد أن عفت ودرست، وأصبحت أرضاً قاحلة خربة غير واضحة المعالم، فكل ما طرأ بعد ذلك على كل مرتفع ومنخفض من ينع واخضرار، وإن لم يكن الممدوح هو القائم به، فإنه يُنسب إليه وهو من صنع كرمه ونداه؛ لأنه هو البادئ والمظهر لمعالم ذلك الطريق.

قول المتنبي:

بِضَاءٍ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوباً إِذَا طُلِبَا^(٢)

وهو من قصيدة يمدح بها المغيث بن علي بن بشر العجلي^(٣)، ومطلعاها:
دَمْعٌ جَرَى فَقَضَى فِي الرَّبْعِ مَا وَجَبَا لِأَهْلِهِ وَشَفَى أَنَّى^(٤) وَلَا كَرَبَا^(٥) (٦)

وقبل الشاهد:

هَامَ الْفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنْتَ بَيْتاً مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمُدْ لَهُ طُنْباً^(٧)
مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُضْنَا مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرْباً^(٨)

وبعدهما الشاهد وبعده:

كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْنَى كَفَّ قَابِضِهِ شُعَائُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِباً^(٩)

ذكر القاضي الجرجاني^(١٠) أنه مأخوذ من قول عبد الله بن الحسن العلوي،

وهو متداول:

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٠، خفاجي: ٤٥٣، شاکر: ٤٩٦.

(٢) انظر البيت في:

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ١١١/١، العرف الطيب: ٩٣/١.

(٣) ستاتي ترجمته: ١٠٧٠.

(٤) أنى: كيف. التبيان للعكبري: ١٠٩/١.

(٥) وَلَا كَرَبَا: كرب أن يفعل كذا، أي كاد وقارب. التبيان للعكبري: ١٠٩/١.

(٦) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

(٧) طُنْب الخيام حبالها التي تشد بها. معجم مقاييس اللغة «طنب»: ٤٢٦/٣.

(٨) ضَرْباً: الضرب «بفتح الراء» العسل الأبيض الغليظ. معجم مقاييس اللغة «ضرب»:

٣٩٩/٣، القاموس المحيط «ضرب»: ٩٩/١.

(٩) التبيان للعكبري: ١١١/١.

(١٠) الوساطة: ٣١٨.

يُحَسِّنَ مِنْ لَيْنِ الْكَلَامِ^(١) زَوَانِيَا وَيُصُدُّهُمْ عَنِ الْخَنَاءِ^(٢) الْإِسْلَامُ
ومعنى الشاهد: «من لين حديثها وأنسها يطمع فيما تحت ثوبها، فإذا طُلب
عز ذلك مطلوباً وَبَعْدُ»^(٣).

ويبدو لي أن كلمة «زوانيا» هنا ركيكة، وقد عاب عبد القاهر مثل هذه
الكلمة في كتابة أسرار البلاغة عند قول ابن المعتز:
إِنْ زَنْتَ عَنْهُ بِغَيْرِكَ فَاضْرِبْ بِهَا بِطُولِ السُّهَادِ وَالْدَّمْعِ حَدًّا
قال:

«ولفظ «زنت» وإن كان ما يتلوها من أحكام الصنعة يحسنها وورودها في الخبر
«العينُ تزني»^(٤) يؤنس بها، فليست تدع ما هو حكمها من إدخال نفرة على
النفس»^(٥).

مع قول البحري:

(الكامل)

تَبْدُو بِعَظْفَةٍ^(٦) مُطْمِعٍ حَتَّى إِذَا شُغِلَ الْخَلْيُ^(٧) تَنَّتْ بِصَدْفَةٍ^(٨) مُؤَيِّسٍ^(٩)

(١) رواية التبيان: «لين الحديث».

(٢) رواية التبيان: «وَيُهَيِّئُ عَنْ رَقَبِ الرَّجَالِ نِفَارًا».

(٣) ديوان أبي الطيب بشرح المكبري: ١١١/١.

(٤) مسند الإمام ومسنند أبي هريرة: ٣٢٩/٢.

(٥) أسرار البلاغة - هـ، ريتز - ٢٧٧.

(٦) عطف الشيء يعطفه عطفاً وعطوفاً فانعطف وعطفه فتعطف: حناه وأماله، شُدُّد للكثرة،
ويقال: عطف رأس الخشبة فانعطف أي حنيته فانحنى وعطفت أي حلت. اللسان
«عطف»: ٢٥٠ - ٢٤٩/٩.

(٧) الْخَلْيُ: الفارغ الذي لا هم له. اللسان «خلا»: ٢٣٩/١٤.

(٨) صَدَفَ عنه: أي أعرض. اللسان «عرض»: ١٨٧/٩.

(٩) ديوان البحري: ١٧٨/١.

وهو من قصيدة قالها في دعوة كانت ليونس بن بغا^(١) دعاه فيها، مطلعها:

هَلْ فِيكُمْ مِنْ وَاقِفٍ مُتَفَرِّسٍ بَعْدِي عَلَى نَظَرِ الطَّبَّاءِ الْأَنْسِ

وبعده أبيات قبل الشاهد:

أُثِرْنَ فِي قَلْبِ الْخَلِيِّ مِنَ الْجَوَى وَمَلَكَنَ مِنْ فَوْدِ الْأَيِّ الْأَشْوَسِ
مِنْ كُلِّ مُرْهَفَةِ الْقَوَامِ غَرِيزَةَ جُعِلَتْ مَحَاسِنُهَا هَوَى لِلْأَنْفُسِ

وبعدهما الشاهد وبعده:

شَاهَدْتُ أَيَّامَ السُّرُورِ فَلَمْ أَجِدْ يَوْمًا يَسِرُّ كَيَوْمِ دَعْوَةِ يُونُسِ

المعنى الظاهر للبيتين: شدة المنع مع شدة الأطماع.

ويبدو لي أن بيت البحري آتق وألطف من بيت المتنبي، فالذي أورده المتنبي أن محبوبته، لأنسها ولين حديثها يُطمع فيما تحت ثوبها، فإذا طُلب منها ذلك، عز ذلك المطلوب، وبعُد؛ لعفتها ونقاء سريرتها.

وأنظر إلى قوله «بيضاء» حيث حذف المسند إليه، وابتدأ البيت بالمسند، وأصل الكلام «هي بيضاء»، وإنما حذف المسند، ليظهر أجمل صفاتها، ويبين مواطن إعجابه بها.

وما ألطف تلك الملائمة بين وصفها بالبياض - هذه الصفة التي أعلنها في بداية البيت - وبين وصفها بصفاء الشرف «وعز ذلك مَطْلُوباً إِذَا طُلِبَ»، فهي نقية المظهر والمخبر، وفي تقديم جواب الشرط على فعله، وصياغة الشرط بـ «إذا» تأكيد لعزتها وشرفها، فهي إذا أُلِحَّ عليها في الطلب فإنها عزيزة ممتنعة. ولكن ما أقبح وأشنع قوله: «فيما تحت حلتها».

ومع هذا كله فبيت البحري أكثر خفة، وأرشق حركة.

(١) هو من ندماء ابن المعتز وخاصته، وكان أثيراً لديه، وهو من أحسن الناس وجهاً، له أخبار مع ابن المعتز.

انظرها في: الأغاني: ٣١٨/٩ - ٣٢٠.

أنظر إلى المقابلة بين جملتي «تبدو بعطفة مطمع» وجملة «ثنت بصدفة مؤيس» وما بعثته في البيت من رشاقة ولطف، أضف إلى ذلك أن محبوبة البحري أكثر حنكة ومراناً في استمالة القلوب، فالذي جذبه إليها ليس الصفات الجسدية الظاهرة من بياض وغيره، وإنما جذبه دلالتها وتمايلها وخفة حركتها، حتى إذا أسرت القلب الخلي، وانشغل بها وطمع فيها أعرضت عنه إعراضاً بعث اليأس في نفسه.

الشاهد الثامن عشر بعد الثلاثمائة^(١): (الكامل)

قول المتنبي:

إِذَا كَارَ مِثْلُكَ تَرَكْ إِذْكَارِي لَهُ إِذْ لَا تُرِيدُ لِمَا أُرِيدُ مُتَرْجِمًا^(٢)

وهو من قصيدة قالها في صباه يمدح بها إنساناً، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه، مطلعها:

كُفِّي أَرَانِي وَكَ لَوْمَكَ الْوَمَا هُمْ أَقَامَ عَلَى فُؤَادٍ أَنْجَمًا

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبلة:

يَسَا مَنْ لِحُجُودِ يَدَيْهِ فِي أُمُورِهِ نَقَمٌ تَعُودُ عَلَى الْيَتَامَى أَنْعَمًا
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مَاذَا عَاقِلًا وَيَقُولُ بَيْتُ الْمَالِ مَاذَا مُسْلِمًا

معنى الشاهد: «مثلك إذا لم أذكره حاجتي فهو تذكاري له؛ لأنه يعلم ما يريد^(٣)، فلا يحتاج إلى من يترجم له عما في مرادي، فترك إذكراره إذكرار^(٤)».

وذكر العكبري أنه مأخوذ من قول أبي تمام:

وَإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ تَقَاضِيَّتُهُ يَتْرُكُ التَّقَاضِيَّ^(٥)

(١) الدلائل، رضا: ٣٨١، خفاجي: ٤٥٣ - ٤٥٤، شاعر: ٤٩٧.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري: ٣٣/٤، العرف الطيب: ٥٠٠/٤.

(٣) هكذا وجدتها في التبيان، ولعلها «ما أريد»، وهو ما يتفق مع طبيعة المعنى.

(٤) التبيان للعكبري: ٣٣/٤.

(٥) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

مع قول أبي تمام:

(الخفيف)

وَإِذَا الْمَجْدُ (١) كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ التَّقَاضِي (٢)

وهو من قصيدة قالها في مدح أحمد بن أبي دؤاد (٣) ومطلعها:
بُدِّلَتْ عِبْرَةٌ مِنَ الْإِيْمَاضِ (٤) يَوْمَ شَدُّوا الرَّحَالَ بِالْأَغْرَاضِ

والشاهد آخر بيت في القصيدة، وقبله:
أَنْتَ أَمْضَى مِنْ أَنْ تُصَدَّ عَنِ الرَّمْلِ سِي إِذَا مَا جَدَدْتَ فِي الْإِنْبَاضِ
وذكر أبو هلال العسكري أن بيت الشاهد من أحسن ما قيل في حسن
الاقتضاء.

ومثله قول الآخر:
أَرْوَحُ بِتَسْلِيمٍ وَأَعْدُو بِمِثْلِهِ وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا
ومثله أيضاً قول الآخر:
أَنْتَ أَمْضَى مِنْ أَنْ تُحَرِّكَ لِلْمَجْدِ دِ وَلَكِنْ شَرَاهَةُ الشُّعْرَاءِ

وفي خلاف هذا المعنى:
أَرْوَحُ وَأَعْدُو نَحْوَكُمْ فِي حَوَائِجِي فَأَصْبَحُ مِنْهَا غَدَوَةً كَالَّذِي أَمْسِي
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو لِلصَّدِيقِ شَفَاعَتِي فَقَدْ صِرْتُ أَرْضَى أَنْ أُمْقَعَ فِي نَفْسِي (٥)

(١) رواية التبان للعكبري: «إذا الجود».

(٢) انظر البيت في:

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ٣١٦/٢، ديوان أبي تمام - دار صعب - ١٦٦،

عيون الأخبار: ١٤٩/٨/٣، ديوان المعاني: ١٦٨/١.

(٣) سبقت ترجمته: ٣٩٢.

(٤) الإيماض: مسارقة النظر. القاموس المحيط «ومض»: ٣٦١/٢.

(٥) ديوان المعاني: ١٦٨/١.

فالمعنى الجامع بين الشاهدين: أن الممدوح بالغ الجود، فهو وجود دون أن يُسأل.

فالمتنبى جاء بالمعنى مباشرة، وبناء على فكرة «الإذكار والتذكير» فرأى أن الإذكار الحقيقي ليس هو الإلحاح في الأمر والمطالبة به إنما الإذكار في ترك التذكير، وهذا دليل الفطنة، ونفاذ البصيرة.

أما بيت أبي تمام، فهو أغزر معنى، وأبعد مرمى، حيث بنى البيت على فكرة المقاضاة - وهي الطلب بحجة وطمع شديد -، وفرق بين الإذكار والتقاضي في هذا الموقف الذي يحتاج إلى نوع من الجزالة والفخامة في الفكرة واللفظ.

ثم انظر إلى قوله «وإذا المجد كان عوني» حيث صرح بأن عونه على ترك المقاضاة هو مجد الممدوح، والتصريح بكلمة المجد هنا أفخم من الكناية في قول المتنبى «مثلث».

وتأمل صورة هذا التصريح، وكيف جاء به متلفعاً في ثوب الاستعارة الممكنة حيث شبه المجد بإنسان، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو «العون».

وفي بناء البيت على الشرط بـ «إذا» توكيد بأن مجده مجد عريق عظيم.

الشاهد التاسع عشر بعد الثلاثمائة^(١):
(الكامل)

قول أبي تمام:
فَنِعِمَّتِ^(٢) مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ مِنْ خِدْرِهَا^(٣) فَكَأَنَّهَا لَمْ تُحَجَّبِ^(٤)

(١) الدلائل، رضا: ٣٨١، خفاجي: ٤٥٤، شاکر: ٤٩٧.

(٢) رواية الموازنة: «فعميت».

(٣) رواية الديوان والموازنة: «من نورها».

(٤) الديوان - دار صعب -: ١٨، الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد - ٦٧، الوساطة:

والشاهد من قصيدة مدح بها عمر بن طوق التغلبي^(١)، ومطلعها:
أَحْسِنُ بِأَيَّامِ الْعَقِيقِ وَأَطِيبِ وَالْعَيْشِ فِي إِظْلَالِهِنَّ الْمُعْجِبِ
وقبل الشاهد:

لِلَّهِ لَيْلَتُنَا وَكَأَنْتَ لَيْلَةٌ دُخِرَتْ لَنَا بَيْنَ اللَّوَى فَالْعَلِيبِ^(٢)
مَالَتْ وَقَدْ أَغْلَقْتُ كَفِّي كَفُّهَا جَلًّا وَمَا كُلُّ الْحَلَالِ بِطَيِّبِ
وبعدهما الشاهد وبعده:

وَإِذَا رَنْتَ خِلْتَ الطَّبَاءَ وَلَذَنْهَا رُبْعِيَّةٌ^(٣) وَاسْتُرِضِعْتُ فِي الرُّتَبِ
انْسِيَّةٌ إِنْ حَصَلَتْ أَنْسَابُهَا جِنِيَّةُ الْأَبْوِينَ مَا لَمْ تُنْسَبِ
مع قول قيس بن الخطيم^(٤):

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا^(٥) الـ خَالِقُ أَنْ لَا يُكْنَهَا^(٦) سَدْفُ^(٧) (المنسرح)
^(٨)

(١) لم أقف على ترجمة له، ولعله أخو مالك بن طوق ممدوح أبي تمام.

(٢) الْعَلِيبُ: بفتح أوله وسكون ثانيه، ثم ياء مثناة من تحت مفتوحة، وآخره باء موحدة: موضع، وقيل: جبل بتهامة. مواصد الاطلاع: ٩٥٨/٢.

(٣) ربعية: الربيعي ما نتج أيام الربيع، ويكنى به عن ولد الرجل في شبابه. الصحاح «ربيع»: ١٢١٥/٣.

(٤) هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سود بن ظفر، كنيته أبو زيد، كان شاعر الأوس، وبينه وبين حسان بن ثابت منافسات، وقد قدم مكة، فدعاه الرسول ﷺ إلى الإسلام، وتلا عليه القرآن، فقال: إني لأسمع كلاماً عجياً، وطلب من الرسول ﷺ إمهاله، لينظر في الأمر هذه السنة، ثم يعود، فمات قبل تمام الحول. انظر ترجمته:

الأغاني: ٢٦/٣، خزانة البغدادي - دار صادر: ١٦٨/٣، ١٦٩، الإصابة: ٢٦٦/٣، رقم (٧٣٥٠).

(٥) رواية الديوان: «حين يَخْلُقُهَا».

(٦) رواية المختار من شعر بشار: «إلا تجنبها» ورواية الأشباه والنظائر «بأنها لا يكنها»، ومعنى تجنبها ويكنها: يحجبها ويسترها. اللسان «جنن»: ٩٢/١٣، «كنن»: ٣٦٠/١٣.

(٧) رواية بديع أسامة «لا يكنها السدف» بآل التعريف. والسدف: الظلمة. اللسان «سدف»: ١٤٦/٩.

(٨) انظر البيت في:

والشاهد من قصيدة قالها في حرب^(١) كانت بين الخزرج وبين بني جحجبي^(٢) وبني خطمة^(٣)، ولم يشهدا قيس ولا كانت في عصره، وإنما أجاب بها شاعراً منهم يقال له: درهم بن زيد بن ضبيعة^(٤).

ومطلعها:

رَدَّ الْخَلِيطُ^(٥) الْجَمَالَ فَأَنْصَرَفُوا مَادَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ وَقَفُوا

وقبل الشاهد:

بَيْنَ شُكُولِ النِّسَاءِ خَلَقْتُهَا قَصْدُ، فَلَا جَبَلَةٌ وَلَا قَصْفُ^(٦)
تَغْتَرِقُ^(٧) الطَّرْفَ وَهِيَ لَاهِيَةٌ كَأَنَّما شَفَّ وَجْهَهَا نَزْفُ

وبعدهما الشاهد وبعده:

ديوانه: ١٠٥، الأصمعيات: ١٩٦، رقم (٦٨)، الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد -: ٦٧، الأغاني: ٢٣/٣، المختار من شعر بشار: ١٤٢، الوساطة: ٢٩٧، الأشباه والنظائر للخالدين: ١٥٩/١، العملة: ٧١/١، بديع أسامة: ١٩٧.

(١) وهي حرب سُمير للأوس على الخزرج.

انظر خبر هذه الحرب في: الأغاني: ٣٩/٣ - ٤٢، خزانة البغدادي - دار صادر -: ١٩٠/٢ - ١٩٣، أيام العرب في الجاهلية: ٦٢ - ٧١.

(٢) بنو جَحْجَبِي: بقاء ساكنة بين جيمين مفتوحتين حي من الأوس. خزانة البغدادي - دار صادر -: ١٩٣/٢.

(٣) خَطْمَةٌ: بفتح المعجمة وسكون الطاء وبعدها ميم هو عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس قيل له لأنه ضرب رجلاً بسيفه على خطمه أي أنفه، فسمي خطمة، وجحجبي وخطمة حيان لقبيلة قيس بن الخطيم. / خزانة البغدادي - دار صادر -: ١٩٣/٢.

(٤) هو شاعر جاهلي من الأوس من بني زيد ثم هو أحد بني عمرو بن عوف، وهو أخو سُمير بن زيد الذي من أجله قامت أول حرب بين الأوس والخزرج. انظر:

الأغاني: ٤٠/٣، خزانة البغدادي - دار صادر -: ١٩٣/٢.

(٥) الخَلِيط: المخالط والمشارك لهم. القاموس المحيط (خلط): ٣٧١/٢.

(٦) الْقَصْفُ: النحافة. القاموس المحيط «قصف»: ١٩١/٣.

(٧) تَغْتَرِقُ: تُشْغِلُ النظر. القاموس «غرق»: ٢٨١/٣.

تَنَامُ عَنْ كُبَرِ شَأْنِهَا فَإِذَا قَامَتْ رُويْدًا تَكَادُ تَنْغْرِفُ^(١)

ذكر القاضي الجرجاني^(٢) والآمدني^(٣) أن أبا تمام قد أخذ هذا المعنى من قيس ابن الخطيم. أو أنه أخذه من قول أبي نواس:

تَرَى ضَوْءَهَا مِنْ بَاطِنِ^(٤) الْكَأْسِ ظَاهِرًا^(٥) عَلَيْكَ وَلَوْ^(٦) غَطَّيْتُهَا بِغِطَاءٍ^(٧)

وكذلك أخذ المتنبّي قول قيس بن الخطيم، فقال:

قَلَقُ الْمَلِيحَةِ وَهِيَ مِنْكَ هَتَكُهَا وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهِيَ ذُكَاءُ^(٨)^(٩)

فالمعنى المباشر في البيتين ظهور الشيء على الرغم من استتاره لقوته.

فأبو تمام نظر إلى هذا المعنى، وكساه صورة جديدة، فأتخذ من الشمس وضوئها مادة يرسم بها ذلك المعنى، ففتاته شمس حقيقية إذا حجبها الغيوم بددت تلك الحُجب بضوئها المستمر.

وفي مجيء فعل الشرط مبنياً للمجهول، وهو قوله: «حُجِبَتْ» إظهار لقوة تلك الحُجب، فكلما كانت الحُجب أقوى - وهي مع ذلك تبدو - كان المعنى أروع وأبلغ وأدل على أنها ذات جمال فائق.

وفي بناء البيت على الشرط بـ «إذا» وعدم الفصل بين الفعل وجوابه بأي

(١) تنغرف: تتشى وقيل تنقصف من دقة خصرها، وانغرف العظم: انكسر. اللسان «غرف»:
٢٦٤/٩.

(٢) الوساطة: ٢٩٧.

(٣) الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد -: ٦٧.

(٤) رواية ديوانه والموازنة: «من ظاهر».

(٥) رواية الديوان: «ساطعاً».

(٦) رواية الديوان: «وإن غطيتها».

(٧) ديوانه: ٤٠٢.

(٨) ذكاء: اسم للشمس معرفة لا ينصرف مثل هُنيدة. التبيان للعكبري: ١٣/١.

(٩) المختار من شعر بشار: ١٤٢، ديوانه بشرح العكبري: ١٣/١.

فاصل «إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ» دليل على سرعة ذلك البُدُو، فليس هناك فاصل زمني بين وقت الحجب وبين وقت الظهور.

وقوله: «من خدرها» قَيْدٌ كشف أن المراد بتلك الشمس هي فتاته، وليست الشمس الحقيقية، وأيضاً هو تصريح بأنها من ذوات الخدور، فهي مصونة كريمة على أهلها، شريفة في قومها.

وقوله: «فكانها لم تحجب» تذييل لطيف زاد المعنى جمالاً وروعة وتأكيذاً. واستعارة الشمس في قول أبي تمام معروفة، ولكن وضعها في هذه الصورة جعلها بديعة غريبة.

أما قيس بن الخطيم فكانت فكرته أقوى في الإثبات، وحجته أبلغ، حيث أكد للخيال أن ضوء محبوبته ضوء ثابت لا يتبدد، فهو من قضاء الله، ويديع تصويره، فالله منذ أن خلقها قضى بأن لا يسترها، ولا يحجبها ظلام، فهي تضيء كل ظلمة تحل بها، وقضاء الله أمر محقق محتوم لا جدال في ذلك.

وفي تكرير لفظ الجلالة «الله» «الخالق» إشعار بعظم ذلك القضاء وثبوته.

والجار والمجرور «لها» مَعْقَدٌ معنى البيت، ولمجيئه في البيت حلاوة ومذاق خاص. فلو أن الشاعر قال:

«قَضَى اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا

لم نجد للبيت تلك الحلاوة التي في قوله «قضى لها الله».

الشاهد العشرون بعد الثلاثمائة^(١):
(الخفيف)

قول المتنبي:

رَامِيَاتٍ^(٢) بِأَسْهُمٍ رِيْشُهَا الْهُدُ بُ تَشُقُّ الْقُلُوبَ قَبْلَ الْجُلُودِ^(٣)

(١) الدلائل، رضا: ٣٨١، خفاجي: ٤٥٤، شاکر: ٤٩٧.

(٢) راميات نعت للبدور في البيت الذي قبل الشاهد.

(٣) انظر البيت في:

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٣١٤/١، العرف الطيب: ٣/٣.

والشاهد من قصيدة قالها في صباه، ومطلعها:

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قُتِلْتُ شَهِيدٍ بَبَيَاضِ الطُّلَى وَوَرْدِ الْخُدُودِ

وقبل الشاهد:

عَمَرَكَ اللَّهُ هَلْ رَأَيْتَ بُدُوراً طَلَعَتْ فِي بَرَاقِعٍ وَعُقُودِ

وبعد الشاهد:

يَتَرَشَّفْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ^(١)^(٢)

ومعنى الشاهد:

«يريد «بالأسهم»: الأعين، ولما سماها أسهماً جعل لها ريشاً، لأن الريش يقوي السهام، كذلك لحظاتهم إنما تصل إلى القلوب بحسن أشعارهن وأهدابهن، وتنفذ إلى القلوب، أي تصل إلى القلوب، فتنفذ فيها قبل الجلود»^(٣).

مع قول كثير:

(الطويل)

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ رِيشُهُ الْكُحْلُ^(٤) لَمْ يَجْزْ^(٥) ظَوَاهِرَ جِلْدِي وَهُوَ فِي الْقَلْبِ^(٦) جَارِحٌ^(٧)

(١) المراد بها كلمة التوحيد.

(٢) رواية العرف الطيب: «هن فيه حلاوة التوحيد».

(٣) والبيت على كلا الروایتين فيه مبالغة رديئة، قال الشيخ في الأسرار معلقاً على البيت - وهو من تشبيه المحسوس بالمعقول -:

«وأبعد ما يكون الشاعر من التوفيق إذا دعت شهوة الإغراب إلى أن يستعير للهزل والعبث من الجد، ويتغزل بهذا الجنس: الأسرار - هـ، ريت - ٣١٥.

(٣) التبيان للعكبري: ٣١٥/١.

(٤) رواية التبيان: «ريشة الهُذْب».

وببدو لي أن هذه الرواية أنسب وأدخل في الصورة.

(٥) رواية الديوان: «لم يُصَبِّ»، ورواية التبيان: «لم يَضُرَّ».

(٦) رواية التبيان: «جارحي».

(٧) انظر البيت في:

والشاهد أول أبيات أربعة، وبعده:

وَجِدْتُ بِهَا وَجْدَ الْمُضِلِّ قُلُوصَهُ^(١) بِمَكَّةَ^(٢) وَالرُّكْبَانَ غَادٍ وَرَائِحُ
وَجِدْتُ بِهَا مَا لَمْ يَجِدْ ذُو حَرَارَةٍ يُمَارِسُ جَمَاتِ^(٣) الرُّكْبَى النُّوَارِ
وَجِدْتُ بِهَا مَا لَمْ تَجِدْ أُمَّ وَاحِدٍ بِوَاحِدِهَا تُطْوِي عَلَيْهِ الصَّفَائِحُ

ذكر العكبري أن قول المتنبي مأخوذ من قول كثير هذا، أو أنه مأخوذ من

قول جميل بن معمر، - «وقيل هو لكثير أيضاً»:-

مَا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفْتُ بِهِ يَدُ وَمَمَرُ الْعُقَدَتَيْنِ وَثِيقُ
بِأَوْشَكَ قَتْلًا مِنْكَ يَوْمَ رَمَيْتَنِي نَوَافِدَ لَمْ يُعْلَمْ^(٤) لَهُنَّ خُرُوقُ^(٥)

فالمعنى الجامع بين الشاهدين هو سرعة نفاذ نظرات المحبوبة، وتأثيرها في

القلب.

ولكن إذا تأملنا البيتين، وجدنا أن ألوان الصورتين متقاربة إلا أن توزيعها

مختلف.

فكلا الصورتين فيهما: رمي، وسهام، وریش، وجلد، وقلوب، إلا إن

ديوانه: ١٨٨، التبيان للعكبري: ٣١٥/١.

وجعل محقق الديوان هذه الأبيات مضافة إلى قصيدته التي مطلعها:

لِعَزَّةٍ هَاجَ الشُّوقُ فَالِدُمْعُ سَافِحُ مَنَانٍ وَرَسْمٌ قَدْ تَقَادَمَ مَاصِحُ

ولم يحدد موقع الأبيات الأربعة من القصيدة، وإنما ذكرها منفردة.

(١) ذكر القلوص، وهي الشابة من النوق؛ لأن الوجد من فقدتها أشد، ولم يقل - مثلاً - «بَعِيرَةٌ».

(٢) وذكر «مكة» لأن من أصعب الصعب وجدان الضالة بها، ولذلك ذكر «الركبان غاد ورائح».

(٣) جَمَاتِ الرُّكْبَى: جَمَاءُ كُلِّ شَيْءٍ اجْتِمَاعُهُ وَحَرَكَتُهُ، تَجَمُّى القَوْمُ إذا اجتمع بعضهم إلى بعض، والرُّكْبَى جَمْعُ رَكْبَةٍ وهي البئر تحفر. اللسان: ١٥٣/١٤، ٣٣٤.

الظاهر أن البيت لجميل، فقد ورد في ديوانه وورد بعده بيت فيه ذكر بئنة وهو قوله:

كَأَنَّ لَمْ تُحَارِبْ يَا بَيْتُ لَوْ أَنَّهَا تَكْشَفُ غَمَاهَا وَأَنْتِ صَدِيقُ

(٤) رواية الديوان: «لم تظهر».

(٥) ديوان جميل بئنة: ٤٩، التبيان للعكبري: ٣١٥/١.

المتنبى شبه الهدب بالريش، أما كثير فالريش عنده هو الكحل.
والمتنبى كان أغرق نزعاً وأبعد مرمى، فمحبوبته كانت أقوى تأثيراً، فكلمة
«تشق» أقوى من كلمة «جارج»، ففي الشق قوة ليست في الجرح.
ولسهم صاحبة المتنبى تأثير حسي في الجلد وتأثير معنوي في القلب، فهو
بذلك أقوى.

وقول كثير: «وهو في القلب جارج» تركيب حي يحمل في باطنه معنى
الالتئاع والألم، فتعبيره عن هذه الآلام بالجملة الإسمية الحالية، وتقدير الجار
والمجروح «في القلب» ومجيء الخبر على وزن فاعل «جارج» دليل قوي على
شدة تلك النظرات، وثبوتها ودوام فعلها في النفس.
الشاهد الواحد والعشرون بعد الثلاثمائة^(١):
(الكامل)

قول بعض شعراء الجاهلية، ويعزى إلى لبيد^(٢):
وَدَعَوْتُ رَبِّي^(٣) بِالسَّلَامَةِ جَاهِداً لِيُصَحِّنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءٌ^(٤)
وقبله بيت متصل به:
كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِفَاغِرٍ فَأَلَانَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
مع قول أبي العتاهية:

- (١) الدلائل، رضا: ٣٨١، خفاجي: ٤٥٤، شاکر: ٤٩٨.
- (٢) نسبه ابن طباطبا للنمرين تولب، ونسبه الثعالبي في الإعجاز والإيجاز للناطقة الجعدي،
ونُسب أيضاً - لعمر بن قميئة، ونُسب البيتان في مجموعة المعاني لعبد الرحمن بن سويد
المُرِّي.
- (٣) رواية الكامل: «في السلامة».
- (٤) انظر البيت في:
شعر النمرين تولب «شعراء إسلاميون»: ٤٠٠.
عيون الأخبار: ٣٢٢/٦/٢، الكامل - دار الفكر: ١٤٨/١، عيار الشعر: ٨٣، الإعجاز
والإيجاز: ١٤٥، زهر الآداب: ٢٦٨/١، التثبيات: ٢١٧، شرح ديوان الحماسة
للتبريزي: ٨١/٣.

(الرجز)

أَسْرَعَ فِي نَقْصٍ (١) أَمْرِي تَمَامُهُ تُدْبِرُ فِي إِقْبَالِهَا أَيَّامُهُ (٢) (٣)

فالمعنى العام في الشاهدين هو أن الداء والعلّة في طول عمر الإنسان.

فليبد جاء بالمعنى مباشراً، فهو لم يزد على أن اجتهد في دعاء ربه وطلب السلامة. إلا أن قوله: «إذا السلامة داء» إيجاز مفعم بالمعنى. وتركيب هذا الإيجاز على الطباق بين لفظ «السلامة»، ولفظ «الداء» فيه محاورة للفكر، وتنشيط للذهن؛ لأن فيه قلباً للمعنى المألوف، فالمعروف أن في الصحة السلامة، وليس فيها الداء.

وما أبرع مجيء الفاء هنا (إذا) حيث دلت على المفاجأة والمباغطة، وعدم التوقع.

أما أبو العتاهية، فكان أكثر تحريكاً للخيال، فجاء بالطباق في شطري البيت:

«نقص - تمام»

«تدبر - تقبل»

وحركة المخادعة هذه حركة لطيفة فيها نوع من الإثارة التي تحرك الفكر.

وأنظر إلى قوله: «تدبر في إقبالها أيامه»، وتأمل الدور الذي قام به تقديم الجار والمجرور «في إقبالها» على الفاعل «أيامه» وكيف استحكمت به حلقات المعنى حيث جعل الإقبال والإدبار وكأنهما حركة واحدة لها نفس السرعة بل نفس الاتجاه.

(١) رواية الحيوان: «نقص» بالضاد.

(٢) رواية التشبيهات للشرط الثاني: «يَاذَا الَّذِي قَدْ بَعْدَتْ أَيَّامُهُ».

(٣) لم أجده في ديوانه:

انظره في عيون الأخبار: ٣٢٢/٦/٢، البيان والتبيين: ١٥٤/١، الحيوان: ٥٠٢/٦ -

الشرط الأول فقط -، والبيت بتمامه في: التشبيهات: ٢١٧.

وهذه الحركة السريعة في الإقبال والإدبار تنبيه قوي للنفس بسرعة انقضاء أجلها بل سرعة فناء الدنيا بأسرها.

الشاهد الثاني والعشرون بعد الثلاثمائة^(١):
(الكامل)

قوله:

أَقْلِيلُ^(٢) زِيَارَتِكَ الْحَبِيبِ^(٣) بَ تَكُونُ كَالثُوبِ^(٤) أَسْتَجِدُّهُ
إِنَّ الصَّدِيقَ يُمِلُّهُ^(٥) أَنْ لَا يَزَالَ يَرَاكَ عِنْدَهُ^(٦)
ذكر الشيخ من غير نسبة^(٧).

مع قول أبي تمام:

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ^(٨) لِدِيَابَجَتِيهِ^(٩) فَأَعْتَرِبُ تَجَدُّدٌ^(٩)
(الطويل)

(١) الدلائل، رضا: ٣٨١ - ٣٨٢، خفاجي: ٤٥٤ - ٤٥٥، شاعر: ٤٩٨.

(٢) رواية محاضرات الأدباء: «أغيب زيارتك».

(٣) رواية محاضرات الأدباء: «الصديق».

(٤) رواية محاضرات الأدباء: «كالشيء».

(٥) رواية محاضرات الأدباء: «إن الصديق يميل من».

(٦) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

محاضرات الأدباء: ٣٦/٣/٢.

(٧) لم أقف عليه.

(٨) مخلق: بال. مختار الصحاح: ١٨٧.

(٩) الديباجتان: الديباجة تستعار للوجه في الوصف بالحسن، وفي الوصف بوفور الحياء، والماء، وعلى المعنى الثاني بيت أبي تمام. ثمار القلوب: ٥٩٧/٢ وجاء في شرح التبريزي:

«أهل اللغة يقولون: الديباجتان الخَدَّان، وربما قالوا اللَّيْتَان ويحوز أن يكون الطائي عنى الخَدَّين؛ لأنهما في معنى الوجه، وقد يحتمل أن يكون جعل «الديباجتين» مثلاً، ولم يُرد الخَدَّين، ولكنهما جرياً مجرى البُرْدَيْن والثَّوْبَيْن، فيكون الواحد، والجمع في معنى واحد؛ لأنه إذا قيل فلان مُخْلِقُ البُرْدِ، أو البُرْدَيْن، فالمعنى: أنه مُخْلِقُ الثَّيَاب، وأراد «بالديباجتين» ما يظهر من أمره، لأن مَلْبَسَ الإنسان يدل على باطنه. الديوان بشرح التبريزي: ٢٣/٢.

(١٠) انظر البيت في:

وهو من قصيدة له في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الطائي،
ومطلعها^(١):

غَدَتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمَعَ خَوْفَ نَوَى غَدٍ وَعَادَ قَتَاداً عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدٍ

وقبل الشاهد:

وَلَمْ تُعْطِنِي الْأَيَّامُ نَوْمًا مُسْكِنًا أَلَذُّ بِهِ إِلَّا بِنَوْمٍ مُشْرِدٍ

وبعد الشاهد وبعده:

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ^(٢) لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ

ذكر أبو هلال العسكري في ديوان المعاني أن بيت أبي تمام في معنى قوله

تعالى:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(٣).

قال بعد أن ذكر الآية:

«فأخرج الكلام مخرج العموم، ولم يخص أرضاً دون أرض، ولا قُرباً دون

بعد، ويُشد في هذا المعنى قول أبي تمام:

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ الْبَيْتِ^(٤)

وذكر ابن أبي عون أن من جيد هذا المعنى قول ابن المعتز:

= ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ٢٣/٢، ديوانه - دار صعب -: ٩٠، البيان والتبيين:

١٨٧/٢، عيون الأخبار: ٢٣٣/٣/١، الموشى: ٢٤، ديوان المعاني: ١٩٠/٢،

التشبيهات: ٣٤٨، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٥٩٨/٢، أسرار البلاغة - هـ،

ريتر -: ١١٢، محاضرات الأدباء: ٣٦/٣/٢، المحاسن والمساوي: ٢٨٥، بهجة المجالس:

٢٤٠/١.

(١) سبقت ترجمته، انظر: ص ٧٢٣.

(٢) رواية بهجة المجالس: «إذ ليست».

(٣) سورة الجمعة: الآية ١٠.

(٤) ديوان المعاني: ١٩٠/٢.

كَمَا يُخْلِقُ الثَّوْبَ الْجَدِيدَ آتِيْدَالَهُ كَذَا يُخْلِقُ الْمَرْءَ الْعُيُونُ اللَّوَامِحُ

وذكر بيت أبي تمام على أنه أجود الأمثال في هذا المعنى قال:

«وقال ابن المعتز (الطويل):

كَمَا يُخْلِقُ الثَّوْبَ الْجَدِيدَ آتِيْدَالَهُ البيت

وهذا قول الطائي (الطويل):

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقُ البيت

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتْ مَحَبَّةً البيت»^(١)

وفي هذا المعنى قول أبي الفتح البستي:

مَنْزِلَتِي يَخْفِظُهَا مَنْزِلِي وَبَاحَتِي تَحْفَظُ دِيْبَاجَتِي^(٢)

ويبدو لي أن أصل هذا المعنى مأخوذ من قول الرسول ﷺ: «زُرْ غِبًّا تَزِدْ حُبًّا»^(٣).

المعنى العام في الشاهدين: ندرة الرؤية تزيد الرغبة في الإنسان، وكثرتها تُبَلِّغ منه.

فلو نظرنا إلى طريقة تناول كل من الشاعرين لهذا المعنى، وجدنا الأول قد رمى بنصيحته رمياً مباشراً، ولم يراعِ الأحوال النفسية لمُتَلَقِي النصيحة.

وقوله «كالثوب استجده» تشبيه لا عمق فيه، وهو تشبيه لا يخدم المعنى كثيراً.

أما أبو تمام فكان أخبر بأحوال النفس، وأمهر في قيادتها نحو استجابة

(١) التشبيهات: ٣٤٨.

(٢) ثمار القلوب: ٥٩٨/٢.

(٣) مسند الشهاب: ٣٦٦/١ - ٣٦٧، رقم (٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢)، المستدرک علی

الصحيحين: ٣٤٧/٣، مجمع الزوائد: ١٧٥/٨.

النصح، إذ أنه كان حريصاً كل الحرص على أن تُستجاب نصيحته وأن تؤثر في النفوس.

فصورة الثوب الخلق التي رسمها أبو تمام أليق بالمقام، وأبلغ في التنفير، فتصوير النتيجة للنفس، ثم إخبارها بالأمر يفتح منافذ الحذر في جوانبها.

ثم بعد هذه التهيئة النفسية، وتصوير نتائج طول الإقامة ألقى الأمر على السامع «فَأَغْتَرِبْتُ تَجَدُّدًا».

وإني لأسمع رنين الشدة في الحضّ على سرعة الاستجابة ينبعث من فعل الأمر المقترن بـ «الفاء».

وفي مجيء الأمر مقترناً بالجواب «فَأَغْتَرِبْتُ تَجَدُّدًا» تأكيد من الشاعر بأن النفس قد وصلت إلى مرحلة من التقبل لا مجال للرفض معها.

وهذا البيت مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبيت بعده، وهو قوله:
«فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتْ مَحَبَّةً»

فـ «الفاء» هنا قامت بدور فعال في تسلسل المعاني والأحداث حيث ربطت وأحكمت وثاقهما، فالبيت الثاني تجسيد وتصوير لقوله: «فَأَغْتَرِبْتُ تَجَدُّدًا».

ولقد كان الشاعر دقيقاً بارعاً في اختيار صورته، فاخترها صورة حسية قريبة من حس الإنسان وشعوره، وهي صورة متكررة أمام النظر، وفي هذا تذكير، وبعث للتفكير تجاه الموقف المرسوم.

قال الشيخ عبد القاهر:

«... فأنا نعلم أن المشاهدة تؤثر في النفوس مع العلم بصدق الخبر كما أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾^(١)، الشواهد في ذلك كثيرة، والأمر فيه ظاهر، ولولا أن الأمر كذلك لما كان لنحو قول أبي تمام:

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ
فَأَيْسَى رَأَيْتُ الشَّمْسَ

معنى ، وذلك أن هذا التجدد لا معنى له إن كانت الرؤية لا تفيد أنساً من حيث هي رؤية، وكان الأنس لتفيها الشك والريب، أو لوقوع العلم بأمر زائد لم يُعلم من قبل»^(١).

ثم انظر إلى قوله: «زِيدَتْ مَحَبَّةٌ»، وبناء الفعل «زَادَ» للمجهول والذي صور عظيم المحبة المنبعثة في القلوب، وفي هذا إحياء للنفس وحث لها وترغيب في الابتعاد لتعظم محبتها في النفوس.

الشاهد الثالث والعشرون بعد الثلاثمائة^(٢):
(الرمز)

وقول الخُرَيْمِي^(٣):

زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظْمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَحْقُورٌ^(٤) صَغِيرٌ
تَتَنَاسَاهُ^(٥) وَكَأَنَّ لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ^(٦) مَشْهُورٌ^(٧) كَبِيرٌ^(٨)

(١) أسرار البلاغة - هـ، ريتز - ١١٣.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٨٢، خفاجي: ٤٥٥، شاکر: ٤٩٨.

(٣) سبقت ترجمته: ٤٦٧.

(٤) رواية الديوان، والموشى، لباب الآداب والبيان للعكبري «مستور حقير».

(٥) رواية لباب الآداب «وتناساه».

رواية الوزراء والكتاب «مستور يسير».

(٦) رواية لباب الآداب «عند الله».

(٧) رواية الديوان: «مشهور خطير».

رواية الوزراء والكتاب: «مذكور كثير».

رواية الوساطة والبيان للعكبري: «مشهور كثير».

رواية لباب الآداب: «مشكور كبير».

(٨) ديوانه: ٢٥، عيون الأخبار: ١٦٠/٨/٣، الشعر والشعراء: ٨٦٠/٢، الفاضل: ٩٦ - من

غير نسبة -، الموشى: ٤٥، الوزراء والكتاب: ٢٦٨، الوساطة: ٢٥٤، لباب الآداب:

٢٥٧، البيان للعكبري: ٦٥/٤.

وهو من قصيدة له في مدح محمد بن منصور بن زياد^(١) مطلعها:
لَا يُنَاجِي فِي النَّدَى إِلَّا النَّدَى وَإِذَا هُمْ بِهِ لَا يَسْتَشِيرُ

وبعده بيتا الشاهد وبعدهما:
كَمْ وَكَمْ أَوْلَيْتَنِي مِنْ نِعْمَةٍ تَدْعُ الْمُشْنِي بِهَا وَهُوَ حَسِيرُ

والشاهد في معنى بعض الحكماء:

«أحيي معروفك بإماتة ذكره، وعظمه بتصغيرك له»^(٢).

ومثال هذا المعنى أيضاً قول الخريمي:
لَأَنَّكَ تُعْطِينِي الْجَزِيلَ بَدَاهَةً وَأَنْتَ لِمَا اسْتَكْثَرْتَ مِنْ ذَاكَ حَاقِرُ^(٣)

وأقول الخريمي في معنى قول طريح الثقفي^(٤):
سَعَيْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فِيمَا صَنَعْتَ بِي فَقَصَّصْتُ مَغْلُوباً وَإِنِّي لَشَاكِرُ^(٥)

ولقد علق ابن قتيبة^(٦) على بيت الشاهد بأنه من جيد شعر الخريمي،
وكذلك ذكر القاضي الجرجاني^(٧) أن هذا البيت من أملح شعره.

(١) من كتاب البرامكة، كان ثرياً سخياً أكثر الخريمي من مدحه ومن رثاء أبيه. الوزراء
والكتاب: ٢٦٦ - ٢٦٨.

(٢) الموشى: ٤٥.

(٣) ديوانه: ٢٦، عيون الأخبار: ١٦٠/٨/٣.

(٤) هو طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقفي، أبو الصلت (١٦٥ - ٢٠٠ هـ) وهو شاعر
الوليد بن يزيد الأموي وخطيله، انقطع إليه قبل أن يلي الخلافة، واستمر اتصاله به، وأكثر
شعره في مدحه، وكان الوليد يستشير به في مهماته.
انظر ترجمته:

الوزراء والكتاب: ٩٥، سمط اللآلي: ٧٠٥/٢، شرح ديوان الحماسة للتبريزي:
١٤٠/٢، تهذيب ابن عساكر: ٥٦/٧، الأعلام: ٢٢٦/٣.

(٥) شعر طريح الثقفي: ٨٦، عيون الأخبار: ١٦٠/٨/٣.

(٦) الشعر والشعراء: ٨٦٠/٢.

(٧) الوساطة: ٣٥٤.

مع قول المتنبي:

(المنسرح)

تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ أَعْتِدَادَهُمْ أَنَّهُمْ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا^(١)

وهو من قصيدته^(٢) التي مدح بها علي بن إبراهيم التنوخي^(٣) وقبل الشاهد:
قَوْمٌ بُلُوغُ الْغُلَامِ عِنْدَهُمْ طَعْنُ نُحُورِ الْكُمَاةِ لَا الْحُلُمُ
كَأَنَّمَا يُولَدُ النَّدَى مَعَهُمْ لَا صَغَرُ عَاذِرٍ وَلَا هَرَمُ
إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَمُوا

وبعدها الشاهد وبعده:

إِنْ بَرَّقُوا فَالْحُتُوفُ حَاضِرَةٌ أَوْ نَطَقُوا فَالْصَّوَابُ وَالْحِكْمُ

ومعنى الشاهد:

«يريد أنهم لا يعتدون بصنيعهم، وإنعامهم، كأنهم لم يعلموا بذلك
لتناسيهم وغفلتهم عنه»^(٤)

وفي هذا المعنى قول يزيد بن حمار^(٥):

وَمِنْ تَكْرُمِهِمْ فِي الْمَحَلِّ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ الْجَارُ^(٦)

والمعنى العام في الشاهدين: أن المعروف يعظم إذا استصغره صاحبه،
وتناساه.

(١) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري: ٦٥/٣، العف الطيب: ٤٢٤/٤.

(٢) سبق ذكر المطلع: ١٠٣٠.

(٣) سبق ترجمته: ٥٥١.

(٤) التبيان للعكبري: ٦٥/٤.

(٥) هو يزيد بن حمار السكوني من فرسان الجاهلية، شهد حرب «ذي قار»، وكان حليفاً لبني
شيبان، وقام بحركة «عسكرية» كانت من أسباب هزيمة الفرس.

انظر: النقائض: ٦٤٢ - ٦٤٤، الأعلام: ١٨١/٨.

(٦) التبيان للعكبري: ٦٥/٤.

ويبدو لي أن الموازنة بين البيتين تكون من جهة أن الخريمي جعل فاعل الخير عالمياً بما يفعل بصيراً به إلا أنه يحقره، ويصغره، ولا يتعالى به، وقد أكد هذا التحقير بتقديم الظرف «عندك» على الخير «محقور»، وجاء بالجملة مؤكدة بـ «أن»، ثم زاد ذلك التأكيد بوصف الخبر بلفظ «صغير» مبالغة في التحقير.

وقوله: «تتناساه» دل على السرعة والاقتدار على التناسي، فهذا البناء للفعل أبلغ من قوله: «تنسى».

أما المتنبي فكان أبلغ في وصف ممدوحه بالكرم والسماحة في العطاء، فجعل اعتدادهم بما يفعلون مفقوداً لا محقوراً فقط.

وقد أجاد الشاعر حين بنى بيته على لفظة «تظن» هذه اللفظة التي تحمل في معاطفها كل معاني الدهشة، والتي تثير في النفس كل كوامن الاستغراب والاستعظام والإكبار لأولئك المنعمين، وظهرت معنى النفي في قوله: «وما علموا» بأنه ليس على الحقيقة إنما هو للمبالغة في إكبار شأنهم، فهم لعدم اعتدادهم بما صنعوا، وعدم تفاخرهم كأنهم لم يعلموا.

وانظر إلى تعبيره عن الإنعام كيف جاء به مؤكداً بـ «أن»، ليثبت أن إنعامهم كان حقيقة لا ظناً.

وما ألفت الوصل بين جملة الإنعام، وبين جملة عدم علمهم، ففيه إشارة إلى تلازم واقتران الإنعام بعدم العلم، وأن هذا هو شأنهم، وديدنهم.

الشاهد الرابع والعشرون بعد الثلاثمائة^(١): (الوافر)

وقول البحري:

أَلَمْ تَرَ لِلنُّوَابِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ النُّوَابِلِ وَالْفُضُولِ^(٢)

والشاهد من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان^(٣)، ومطلعها:

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٢، خفاجي: ٤٥٥، شاکر: ٤٩٩.

(٢) ديوان البحري - بيروت -: ٦٠/١، ديوانه - صيرفي -: ١٧٣٩/٣.

(٣) سبقت ترجمته: ١١١.

أَكُنْتَ مُعَنِّفِي يَوْمَ الرَّجِيلِ وَقَدْ لَجَّتْ دُمُوعِي فِي الْهُمُولِ

وقبل الشاهد:

وَلَمَّا أَعْتَلَّ أَصْبَحَتِ الْمَعَالِي مُحَبَّسَةً عَلَى خَطَرِ مَهُولٍ^(١)

وبعد الشاهد:

وَكَيْفَ تَرُومُ ذَا الشَّرَفِ^(٢) الْمُعْلَى وَتَخْطُو صَاحِبَ الْقَدْرِ الضَّيِيلِ

مع قول المتنبي:

(البيسط)

أَفْاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضُ لَذَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنَ الْهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ^(٣)

والشاهد هو مطلع قصيدة مدح بها أبا عبد الله القاضي الأنطاكي^(٤).

وبعده:

وَأِنَّمَا نَحْنُ فِي جِيلٍ سَوَاسِيَةٍ شَرٌّ عَلَى الْحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ
حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خِلَقٌ تُخْطِي إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِمَنِ

ومعنى الشاهد:

«يقول: الفضلاء من الناس للزمان، كالأغراض يرميهم بنوائبه وصروفه، ويقصدهم بالمحن، فلا يزالون محزونين، وإنما يخلو من الحزن، والفكر من كان خالياً من الفطنة والبصيرة، وهذا من أحسن الكلام، وهو من كلام الحكيم. قال الحكيم: على قدر الهم تكون الهموم، وذلك أن العاقل يفكر في

(١) ذكر في ديوانه - صيرفي - بعد هذا البيت بيت هو مثل الشاهد:

فكائن فض من دمع غزير وَأَصْرِمُ مِنْ جَوَى كَمَدٍ دَخِيلِ

(٢) رواية ديوانه - صيرفي -: «ذَا الْفَضْلِ الْمَرْجَى».

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري: ٢٠٩/٤، العرف الطيب: ٥٨٣/٤، الوساطة:

١٥٩، يتيمة الدهر: ١٧٥/١، ٢٠٢، زهر الآداب: ٢٥٦/١.

(٤) سبقت ترجمته: ٩٨١.

عواقب الأمور، فلا يزال مهموماً، وأما الجاهل، فلا يفكر في شيء من هذا^(١).

ورأى ابن وكيع التنيسي أن قول المتنبي هو من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر^(٢):

أَتُنْكَرُ مِنِّي أَلْهَمٌ وَأَلْهَمٌ مَالُهُ مِنْ الْأَرْضِ مَاوَى غَيْرَ قَلْبِ الْمُمَيِّزِ

وقال آخر:

مَنْ كَانَ ذَا غَفْلَةٍ وَجَهْلٍ كَانَ خَلِيًّا مِنَ الْهُمُومِ

وعلق بقوله:

«وقد اختصر أبو الطيب اللفظ الطويل في الموجز القليل»^(٣).

وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى، فقال صاحب بن عباد:
وَقَائِلَةٌ لِمَ عَرُتْكَ الْهُمُومُ (م) وَأَمْرُكَ^(٤) مُتَثَلٌ فِي الْأُمَمِ
فَقُلْتُ ذَرِينِي لِمَ أَشْتَكِي فَإِنَّ الْهُمُومَ بِقَدْرِ الْهِمَمِ^(٤)

وقال أبو الفتح البستي:

صَاحِبُ السُّلْطَانِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ هُمُومٍ تَغْتَرِيهِ وَغَمَمٍ
وَالَّذِي يَرْكَبُ بَحْرًا سَيْرِي قُحَمَ الْأَهْوَالِ مِنْ بَعْدِ قُحَمٍ^(٥)

وقال ذو الإصبع العدواني:

أَطَافَ بِنَا رَبُّ الزَّمَانِ فَدَاسَنَا لَهُ طَائِفٌ بِالصَّالِحِينَ بَصِيرٌ^(٦)

وأحسن ما قيل في هذا المعنى، قول قابوس بن وشمكير^(٧):

(١) زهر الآداب: ٢٥٦/١.

(٢) سبقت ترجمته: ص ٦٠٦.

(٣) المنصف في نقد الشعر: ٥٧٩.

(٤) زهر الآداب: ٢٥٦/١.

(٥) لم أجده في ديوانه، التبيان للعكبري: ٢٠٩/٤.

(٦) ديوانه: ٣٥.

(٧) هو قابوس بن وشمكير بن زياد بن وردان شاه الجيلي، أبو الحسن (١٠٠ - ٤٠٣ هـ)، الملقب =

قُلْ لِلَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَمَرْنَا هَلْ حَارَبَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جَيْفٌ وَيَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدُّرُ
فَإِنْ تَكُنْ نَشِبَتْ أَيْدِي الزَّمَانِ بِنَا وَنَالْنَا مِنْ تَمَادِي بُؤْسِهِ الضَّرَرُ
فَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ^(١)

والمعنى الجامع بين البيتين: أنه على قدر الهمم تأتي المصائب،
فالبحتري جعل النوايب تقصد أهل النوافل، والفضول، وقد تناول معناه هذا
تناولاً لطيفاً، فبدأ البيت بهمزة الاستفهام المفيد للتعجب «ألم تر»، والذي فتح
منافذ الإحساس، وشد الانتباه للمعنى الغريب المثار. وانظر إلى الفعل (ترى)
وكيف نقل الأمر المعنوي إلى المحسوس المشاهد عن طريق الاستعارة.

وانظر إليه كيف قدم الجار والمجرور «لنوايب»؛ لأنه محط التعجب، وعليه
يدور المعنى، فمراد الشاعر ليس هو التعجب من السمو وحده، ولكن أن يكون
من النوايب.

ولهذا التقديم أثر كبير في تركيب البيت، فلو أنه قال: «ألم تر كيف تسمو
النوايب إلى أهل النوافل والفضول لفسد مذاق البيت، وخرج عن كونه شعراً.
وتأمل الاستفهام في قوله: «كيف تسمو» فكيف هنا لها مذاق خاص فهي
تتعجب من طريقة وصول النوايب إلى هذا الشخص بذاته. وانظر إلى اختيار
الشاعر للفظ (تسمو) فهي عبارة تغوص في قلب المعاني، وتستخرج خباياها، فقد
أظهرت سمو هؤلاء الأفاضل، ورفعتهم، فهم يجلسون عالياً؛ لأنهم أهل عزة
وكرم.

شمس المعالي، أمير جرجان، وبلاد الجبل، وطبرستان، أخرجه منها عضد الدولة، ثم
استعادها، وهو ديلمى الأصل، نابغة في الأدب، والإنشاء، جمعت رسائله في كتاب سمي
«كمال البلاغة»، وله شعر جيد بالعربية والفارسية.
انظر ترجمته:

طبقات ابن المعتز: ٨٤ - ١٩٥، يتيمة الدهر: ٥٩/٤ - ٦١، الإعجاز والإيجاز: ٩٦ -
١٢٢، وفيات الأعيان: ٧٩/٤ - ٨٢، الأعلام: ١٧٠/٥.

(١) يتيمة الدهر: ٦١/٤/٢.

ومجيء جملة «تسمو» بالفعل المضارع أثار في البيت نوعاً من الحركة والنشاط.

أما بيت المتنبي ففيه من الرقة والسلاسة ما يجعله من السهل الممتنع، فقد أشار إلى أن الفضلاء من الناس للزمان كالأغراض يرميهم بنوائبه وصروفه. وزاد في المعنى عن الأول حين جعل الخلو من الهم دليلاً على عدم الفطنة، وهذا معنى غريب لطيف.

واستعمال الكلمة «غرض» أقوى في هذا المقام من كلمة «تسمو» حيث جعل الزمن هؤلاء الأفاضل هدفاً من أهدافه يترقبهم ويترصدهم، وقد بنى هذه اللفظة على الاستعارة المكنية، حيث شبه الزمن بالإنسان، ثم حذف المشبه به، وجاء بشيء من لوازمه، وهو الهدف والغرض، ويمكن أن يكون التركيب مجازاً عقلياً، فالغرض يكون من عاقل، والزمن لا يعقل، فأسند الفعل لغير ما هو له، وهذا قياس على قول الخنساء «فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالُ وَإِدْبَارُ».

وانظر إليه كيف ابتدأ البيت بوصف من تكالبت عليهم المصائب بقوله «أفاضل»، وفي هذا تعظيم وإكبار لشأنهم.

وفي بناء البيت على الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ «أفاضل»، والخبر «أغراض» دليل على ثبوت ودوام صفة الفضل لهم.

وفي جعلهم «أغراضاً» بصيغة الجمع تصوير لتوالي، واستمرار ودوام إصابتهم بالمصائب، وكونهم مقصداً لها.

وانظر إلى قوله «لِذَا الزَّمَنِ»، وكيف أشار إلى الزمن بالقرب قصداً إلى تعظيم أهواله ومصائبه.

الشاهد الخامس والعشرون بعد الثلاثمائة^(١):

(الطويل)

وقول المتنبي:

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٢، خفاجي: ٤٥٥، شاکر: ٤٩٩.

تَذَلَّلْ لَهَا وَأَخْضَعْ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذِلُّ وَيَخْضَعُ^(١)

وهو من قصيدة قالها في صباه، مدح بها علي بن أحمد المرّي
الخراساني^(٢)، ومطلعها:

حُشَّاشَةُ نَفْسٍ وَدَعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا فَلَمْ أَذِرْ أَيَّ الظَّاعِنِينَ أَشْبِعُ

وقبل الشاهد:

فَيَا لَيْلَةَ مَا كَانَ أَطْوَلَ^(٣) بُتْهَا وَمُسُّ الْأَفَاعِي عَذْبُ مَا أَتَجَرَّعُ

وبعد الشاهد:

وَلَا ثَوْبٌ مَجْدٍ غَيْرَ ثَوْبِ ابْنِ أَحْمَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِلُومٍ مُرَقَّعُ

ومعنى الشاهد: «الزم الطاعة والانقياد في القرب، والبعد، وأرض وسلم
لفعلها، فهذا من علامة الحب»^(٤).

ولقد أكثر الشعراء في هذا المعنى، فمне قول أبي نواس:

سُنَّةُ الْعُشَّاقِ وَاحِدَةٌ فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكِنْ^(٥)

ومنه قول البحتري:

وَتَذَلَّلْتُ خَاضِعاً^(٦) لِمَلِكِي وَقَلِيلٌ مِنْ عَاشِقٍ أَنْ يَذِلَّ^(٧)

ومنه قول العباس بن الأحنف:

تَحْمَلُ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تُجِبُهُ وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُوماً فَقُلْ أَنَا ظَالِمُ

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٢٣٨/٢، العرف الطيب: ٢٧/٤، الوساطة: ٣١٣،

المنصف في نقد الشعر: ١٧٧.

(٢) سبقت ترجمته: ٩٧٣.

(٣) يريد: ما كان أطولها، فحذف الضمير لإقامة الوزن. التبيان: ٢٣٨/٢.

ورواية المنصف: «ما كان أطول بُتْها». المنصف: ١٧٧.

(٤) التبيان: ٢٣٨/٢.

(٥) ديوانه: ٤١٢، التبيان: ٢٣٨/٢.

(٦) رواية الديوان: - بيروت - «جاهداً».

(٧) انظر البيت في:

فَإِنَّكَ إِلَّا تَغْفِرَ^(١) الذَّنْبَ فِي الْهَوَى يُفَارِقُكَ مَنْ تَهَوَى وَأَنْفَكَ رَاغِمٌ^(٢)
 ذكر العكبري أن العباس قد أحسن في قوله هذا^(٣).

وعلق ابن وكيع على بيت المتنبي بقوله:

«هذا مستعمل كثير إلا أنه ما حقره، وقد ساوى البحري في قوله:
 وَتَذَلَّلْتُ خَاضِعاً لِمَلِيكِي البيت»^(٤)

مع قول بعض المحدثين^(٥):

(الرملي)

كُنْ إِذَا أَحْبَبْتَ عَبْدًا لِلَّذِي تَهَوَى مُطِيعًا
 لَنْ تَنَالَ الْوَصْلَ حَتَّى تُلْزِمَ النَّفْسَ الْخُضُوعًا^(٦)

المعنى المشترك في الشاهدين: أن الهوى والحب الحقيقي يبنى على
 التذلل والخضوع.

ومن الغريب أن يتناول المتنبي مثل هذا المعنى لما عُرِفَ من كبريائه إلا
 إذا قيل إنه ليس في الحب.

وقد أحسن العكبري في استحسان بيتي ابن الأحنف، فهما فعلاً أحسن ما
 قيل في هذا المعنى.

= ديوانه: ١٧٦/١، التبيان للعكبري: ٢٣٩/٢.

- (١) رواية التبيان: «إِنْ لَمْ تَحْمِلْ».
- (٢) ديوانه: ٢٧٢، التبيان للعكبري: ٢٣٩/٢.
- (٣) التبيان للعكبري: ٢٣٩/٢.
- (٤) المنصف في نقد الشعر: ١٧٧.
- (٥) نسبة الأستاذ عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية لأبي نواس، ولم يذكر على أي المصادر اعتمد.

ولقد بحثت عن بيت الشاهد في ديوان أبي نواس فلم أقف عليه.

ويبدو لي أن هذين البيتين خاليان من كل صنعة جيدة، والمعاني فيهما سطحية.

- (٦) الوساطة: ٣١٣، - من غير نسبة وذكر البيت الأول فقط - التبيان للعكبري: ٢٣٨/٢.

وفي معنى الشطر الثاني من بيت الأحف قول المؤمل بن أميل^(١):
إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيَكُمْ فَنَعْتِزُّ^(٢)

وعلى الجملة، فهذه معان غير كريمة، وأردأ منها التعبيرات عنها، مثل «تذلل، واخضع» في قول المتنبي، و«قَلِيلٌ مِنْ عَاشِقٍ أَنْ يَذِلَّ» في قول البحري.

وأفضل منها جميعاً قول أبي فراس:
إِذَا اللَّيْلُ أَضْوَانِي بَسَطْتُ يَدَ الْهَوَى وَأَذَلْتُ دَمْعاً مِنْ خَلَائِقِهِ الْكَبِيرِ^(٣)

وقريب من هذا المذهب ما ذكره الأمدى لكثير، وقدم له بقوله:

«ولكنَّ الحرَّ الكريم الأَنَفَ كثير بن عبد الرحمن إذ يقول:
وَلَمَّا رَأَتْ وَجْدِي بِهَا وَتَيَّيَنْتُ صَبَابَةً حَرَّانِ الصَّبَابَةِ صَادٍ
أَدَلَّتْ بِصَبْرِ عِنْدَهَا وَجَلَادَةٍ وَتَحْسِبُ أَنَّ النَّاسَ غَيْرُ جَلَادٍ
فَيَا عَزَّ صَادِي الْقَلْبَ حَتَّى يَوَدَّنِي فُوَادُكُ أَوْ رُدِّي عَلَيَّ فُوَادِي

ثم قال: «وكان هذا مما ينشده أبو العباس ثعلب كثيراً، ويستحسنه»^(٤).

الشاهد السادس والعشرون بعد الثلاثمائة^(٥):
(الطويل)

وقول مضر بن ربعي^(٦):

(١) المؤمل بن أميل: بن أسيد المحاربي من محارب بن خصفة بن قيس عيلان كوفي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، واشتهر أكثر في دولة بني العباس لأنه كان من الجند المرتزقة، انقطع إلى المهدي قبل خلافته وبعدها، توفي سنة (١٩٠ هـ) تقريباً.

انظر: الأغاني: ٢٢/٢٤٥ - ٢٥٢، معجم الشعراء للمرزباني: ٣٨٤، - سبط اللالي:

١/٥٢٤، نكت الهميان: ٢٩٩، خزائن البغدادي - دار صادر: ٣/٥٢٣ - ٥٢٥.

(٢) الإعجاز والإيجاز: ١٧٨، نهاية الأرب: ٩٢/٣.

(٣) ديوانه: ١٥٧.

(٤) الموازنة تحقيق السيد صقر: ٢/١٢٦.

(٥) الدلائل، رضا: ٣٨٢ - ٣٨٣، خفاجي: ٤٥٥ - ٤٥٦، شاعر: ٤٩٩.

(٦) ذكرت هذه النسبة في الوساطة، والبيان للعسكري. ونسب البيت في المؤتلف والمختلف، =

لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْخَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَيَّ دَلَالٌ وَاجِبٌ لِمُفْجَعٍ
وَإِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَائِرِي فَقْدَانُهُ لِمَمْتَعٍ^(١)

والشاهد من أبيات خمسة، وقبله ثلاثة أبيات هي:

أَبْعَدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا أَرْجَى الْحَيَاةِ أَمْ مِنَ الْمَوْتِ أَجْزَعُ
ثَمَانِيَةً كَانُوا ذَوَابَّةَ قَوْمِهِمْ بِهِمْ كُنْتُ أُعْطِي مَنْ أَشَاءُ وَأَمْنَعُ
أَوْلَيْكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رُزْتُهُمْ وَمَا الْكَفُّ إِلَّا إِصْبَعٌ ثُمَّ إِصْبَعُ

وشرح التبريزي البيت الأول فقال:

«عَلَيَّ دَلَالٌ وَاجِبٌ أَيُّ لَهُ أَنْ يَدُلَّ عَلَيَّ وَأَنْ أَحْتَمِلَ»^(٢).

ومعنى البيت الثاني:

والحماسة - ت: عسيلان -، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي، للبراء بن ربيعي الفقعسي وهو شاعر جاهلي من بني فقعس، كنيته «أبو الحنَّاك» وهو الصواب، وقيل «أبو الجبال»، ولم أجده غير هذه الترجمة اليسيرة.

انظر: المؤلف والمختلف: ٨٦، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٦٧/٢، التاج: «حنك»: ١٢٤/٧.

أما مضر بن ربيعي فهو مضر بن ربيعي بن لقيط بن خالد بن نضلة بن فقعس بن أسد، شاعر حسن التشبيه والرصف، أورد له البغدادي أبياتاً جيدة في وصف ليلة ويوم، ومقطوعة فيها حكمة، وقال: «هو شاعر جاهلي»، واختار أبو تمام في الحماسة قطعتين من شعره، وروى له المرزباني عدة مقطوعات، وقال: «له خبر مع الفرزدق»، فإن صح هذا، فلا يكون جاهلياً.

انظر: المؤلف والمختلف: ١٩١، معجم الشعراء للمرزباني: ٣٩٠ - ٣٩١، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٠٢/٣، خزنة البغدادي - دار صادر - ٢٩٢/٢، الأعلام: ٢٥٠/٧.

(١) انظر البيت في:

الحماسة - تحقيق عسيلان -: ٤٠٨/١، رقم (٢٨٠)، الوساطة: ٣٣٧، المؤلف والمختلف: ٨٧، التبيان للعكبري: ١٧٧/١، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٦٨/٢.

(٢) التبيان للعكبري: ١٦٨/٢.

«أي مُقَى، يقال: امتع الله فلاناً بفلان أي أبقاء، ومنه متع النهار، وذلك قبل الزوال»^(١).

مع قول المتنبي:

(الطويل)

أَمَا تَغْلَطُ الْأَيَّامُ فِيَّ بَأَنَّ أَرَى بَغِيضاً تُنَائِي^(٢) أَوْ حَبِيْباً تُقَرِّبُ^(٣)

وهو من قصيدة مدح بها كافور الإخشيدي، وكان قد حمل إليه ستمائة دينار. والبيت الذي قبل الشاهد، هو مطلع القصيدة:

أَغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقُ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ

وبعد الشاهد:

وَلِلَّهِ سِيرِي مَا أَقَلَّ تَيْبَةً^(٤) عَشِيَّةَ شَرْقِي الْحَدَالِي^(٥) وَغُرْبُ^(٦)

ومعنى الشاهد:

«يقول: هذه الأيام مولعة بإدناء من أبغض، وإبعاد من أحب، فَمَا تَغْلَطُ مرة بتقريب الحبيب، وإبعاد البغض، فلو غلطت مرة، وفعلت هذا، وجعله غلطاً من الدهر؛ لأنه خلاف ما يفعله الدهر»^(٧).

(١) المصدر السابق: نفس الجزء والصفحة.

(٢) تُنَائِي: تفاعل من النأي، وهو البعد: أنأيت الرجل ونأيته أبعدته. اللسان «نأى»: ٢٠٠/١٥.

(٣) لم أقف على الأبيات فيما لدي من مصادر إلا في: الواسطة: ٣٣٧، يتيمة الدهر: ٢١٠/١، التبيان للعكبري: ١٧٧/١.

(٤) تَيْبَةً: التيبة التلبث والتمكث. التبيان للعكبري: ١٧٨/١.

(٥) الْحَدَالِي: موضع بالشام وقيل جبل بإزاء غُرْب. معجم ما استعجم: ٩٩٤/٢.

(٦) غُرْب: بضم أوله، وتشديد ثانيه، وآخره باء موحدة اسم جبل دون الشام في ديار بني كلب، وعنده عين تسمى غُرْبَةً، وقيل غُرْبُ ماء بنجد من مياه بني نمير. معجم ما استعجم: ١٩٢/٤.

(٧) التبيان للعكبري: ١٧٧/١.

ذكر القاضي الجرجاني أن قول المتنبي أصله من قول مضر بن ربيعي إلا أن المتنبي أحسن وأطاب^(١).

وفي هذا المعنى قول الطرماح:
يُفَرِّقُ مِنَّا مَنْ نُحِبُّ اجْتِمَاعَهُ وَيَجْمَعُ مِنَّا بَيْنَ أَهْلِ الضَّغَائِنِ^(٢)

ومنه قول الآخر:
عَجِبْتُ لِتَطْوِيْعِ النَّوَى مِنْ نُجْبِهِ وَإِذْنَاءِ مَنْ لَا يُسْتَلَدُّ لَهُ قُرْبُ^(٣)

ذكر القاضي الجرجاني أن الشعر في هذا المعنى كثير، وأصله من قول المضر بن ربيعي^(٤).

المعنى الجامع بين الشاهدين: بُعد الحبيب، وقرب البغيض، فالشاعر في الشاهد الأول تظهر نفسه وهي تتلوَّى ألماً وحزناً، فمصابه عظيم جلل، فقد أصيب بفقدان ثمانية من إخوته كانوا ذؤابة قومهم، ولشدة وقع هذه الفجعة على النفس لاذ الشاعر بأسلوب التوكيد ليُخمد نار الحزن المتأججة في نفسه، فبدأ البيت بالقسم (لعمرك)، ثم جاء بإن المؤكدة (إني)، وجعل الخبر مقترناً بلام التوكيد (لَمَفْجَعٍ)، وهذا التشديد في الكلمة دل على شدة الفجعة وعظمتها وكذلك في البيت الثاني نشعر أن هناك أمراً ترفضه عاطفة الشاعر، وتألّم له، وهي مثقلة به، فأخذ يؤكد ألمه هذا في حسرة وتوجع، فجاء بإن المؤكدة (إني) ولام التوكيد في الخبر (لَمَمْتَعٌ) والتشديد في الكلمة يدل على شدة ثقل هذا التمتع، وأنه غير مرغوب فيه.

وفي قوله: (بِالْخَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَيَّ دَلَالٌ) جاء بالاسم الموصول (الذي) وقدم الخبر الجار والمجرور (له) على المبتدأ (دَلَالٌ) ثم وصف الدلال بأنه واجب

(١) الوساطة: ٣٣٧.

(٢) المصدر السابق: ٣٣٦، التبيان للمكبري: ١/١٧٧.

(٣) المصدران السابقان، نفس الجزء والصفحة.

(٤) الوساطة: ٣٣٧.

تنوياً بمقام ذلك الخليل، واعترافاً بعظيم مكانته في النفس، وفي هذا التنويه إقرار وتوكيد.

أما المتنبي فبنى بيته على الاستفهام، وكأنه وجد فيه المأمن الذي بيته حزنه، وحيرته، ويُفرغ فيه كل معاني الكرب والحزن، وهذا الاستفهام يتولد منه معنى الرجاء العقيم، والتضرع اليأس في أن تغلط الأيام (أَمَا تَغْلُطُ الْأَيَّامُ فِيَّ). وحرف العطف (أو) في قوله: (بَغِيضاً تُنَائِي أَوْ حَبِيْباً تُقَرِّبُ) يحمل معنى اللوعة والحنين لذلك الحبيب.

الشاهد السابع والعشرون بعد الثلاثمائة^(١):
(البسيط)

قول المتنبي:

مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصْنًا مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرْبًا^(٢)

وهو من قصيدته^(٣) التي مدح بها المغني العجلي، سنة: ٣٢٧ هـ تقريباً^(٤).

وقبل الشاهد:

هَامَ الْفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنَتْ بَيْتاً مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمُدُّ لَهُ طُبَا

وبعد الشاهد:

بَيْضَاءُ تُطِمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَظْلُوباً إِذَا طُلِبَا

ومعنى الشاهد: «يريد أن من شبهها بالغصن ظلمها، ومن شبه ريقها

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٣، خفاجي: ٤٥٦، شاکر: ٤٩٩.

(٢) لم أقف على البيت إلا في:

ديوانه بشرح العكبري: ١١١/١، العرف الطيب: ٩٣/١.

(٣) سبق ذكر مطلعها: ١٠٣٨.

(٤) هو المغني بن علي بن بشر العجلي، قصده المتنبي حين نزل المغني بأنطاكية، ومدحه،

ثم رحل عنها المغني لأنه لم يكن من أهلها، وقد مدحه بقصيدتين رائعتين:

انظر: المتنبي - محمود شاکر: ١٣٠/١، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧.

بالعسل ظلمها؛ لأنها ذات قوام أعدل، وأحسن من الغصن، وذات رضاب أحلى من العسل الخالص»^(١).

مع قوله^(٢):

(الطويل)

إِذَا نَحْنُ شَبَّهْنَاكَ بِالْبَذْرِ طَالِعَا بَخَسْنَاكَ حَظًّا أَنْتَ أَبْهَى وَأَجْمَلُ
وَنَظْلِمُ إِنْ قَسْنَاكَ بِاللَّيْثِ فِي الْوَعَى لِأَنَّكَ أَحْمَى لِلْحَرِيمِ وَأَبْسَلُ^(٣)

فالفكرة الدائرة في الشاهدين هو ظلم الممدوح إن جئنا له بما يشابهه في الوصف.

فالمتنبي اكتفى ببيان أنها مظلومة القد إن شُبه بالغصن، ومظلومة الرقيق إن شُبه بالعسل، ولم يعلل لهذا الظلم، ولم ينصفها بإثبات الأوصاف اللائقة بها.

ذكر الأستاذ محمود شاكر أنه وجد في إحدى النسخ أمام هذا البيت حاشية، ورجَّح أن تكون من كلام الشيخ عبد القاهر، وفيها يعلل القصور في هذا البيت، قال: «سبب ما ترى فيه من القصور: أنَّ الواجب أن تُجْعَلَ هي نفسها مظلومة من أجل تشبيهه قَدْهَا بالغصن وريقها بالضرب، لا أن يُجْعَلَ القَدُّ والريقَ مظلومين.

ألا ترى أن اللائق أن يقول: إن شَبَّهت قَدْهَا بالغصن ظلمتها، ولا يُحسن أن يقول: شَبَّهت قَدْهَا بالغصن ظلمته»^(٤).

ويبدو لي أن كلام عبد القاهر هنا كأنه ليس كلامه؛ لأن القول بظلم قَدْهَا، وبظلم ريقها أجمل وأروع من القول بظلمها، فما أبعد الفرق بين أن نقول: ظلمنا قَدْهَا، وأن نقول ظلمناها.

أما الشاعر الثاني، فكان أبلغ وصفاً، وأغزر معنى إذ أنه جاء بالمشبه به،

(١) التبيان للعكبري: ١١١/١.

(٢) لم أقف على قائله.

(٣) لم أقف على البيتين فيما اطلعت عليه من مصادر.

(٤) الدلائل، شاكر: ٥٠٠.

وهو في أجمل صورة، وأبهى منظر، فهو لم يكتفِ بذكر البدر، وإنما جعله في أروع صورة وهو حال كونه طالعاً مضيئاً، وعلى الرغم من هذا التصوير الرائع للمشبه به جزم الشاعر بأن تشبيهه ممدوحه بهذا البدر المضيء بخس وظلم، لذا جاء بـ (إذا) ليؤكد ويجزم بهذا الظلم.

وكذلك جاء بصورة الليث، وقيدها بكونها في الوغى؛ لأن الليث في هذه الحالة يكون في كامل قواه، وبالع شجاعته.

وجاء بـ (إن) في موضع الجزم، لأن تقديم الجواب (نظلم) دل على الجزم. فالطريف والغريب في صورة الشاعر أنه خرج عن الصورة المتعارف عليها عند الشعراء، فهم إذا أرادوا مدح أحد بالحسن شبهوه بالبدر وإذا أرادوا مدح أحد بالشجاعة شبهوه بالليث، إلا أن الشاعر بالغ في وصف ممدوحه، وجعل هذا التشبيه ظُلماً وبخساً ثم إن الشاعر لم يكتفِ بإعلان هذا الظلم كما فعل الأول، وإنما نراه بعد سرد كل مظلمة يذكر العلة، والسبب في هذا الظلم، فممدوحه ظُلم لأنه أبهى وأجمل من البدر، وأحمى وأبسل من الليث.

وأنظر إلى تكرار أسلوب التفضيل في البيت مبالغة في الوصف، وقيد الحمى بكونه للحريم، لأنه أعظم وأشرف ما يدافع عنه.

السَّوَاهِدُ الشَّعَرِيَّةُ فِي كِتَابِ

«دَلَالَةُ الْإِعْجَازِ»

لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَاهِرِ الْجَزَّائِي

تَوْثِيقٌ وَتَحْلِيلٌ وَنَقْدٌ

تَأَلَّفَ

الدُّكْتُورُ نَجَّاحُ أَحْمَدُ الظَّهْرِي

الجزء الثالث

الشواهد الشعرية في كتابي
«دلائل الإعجاز»

بسم الله الرحمن الرحيم

حَقُوقُ الطَّبَعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبَعَةُ الْأُولَى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

أصل هذا الكتاب رسالة أُعِدَّتْ لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة العربية
من كلية اللغة العربية (جامعة أم القرى بمكة المكرمة)
إشراف: الأستاذ الدكتور علي محمد حسن العماري
وكانت لجنة المناقشة مكونة من:
د. عبد الفتاح لاشين.

د. علي البدري.
ونوقشت الرسالة في ١٣/١٠/١٤٠٨ هـ الموافق ٢٨/٥/١٩٨٨ م
وحصلت على درجة دكتوراه بتقدير ممتاز.

بسم الله الرحمن الرحيم

ب - الموازنة بين الشعرين والإجادة فيهما من الجانبين

الشاهد الثامن والعشرون بعد الثلاثمائة^(١): (الرمل)

قول لبيد:

وَكَذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزِيرِي بِالْأَمَلِ^(٢)

والشاهد من قصيدة مطلعها:

إِنَّ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرُ نَفْلٍ وَإِذْنُ اللَّهِ رَيْثِي وَعَجَلُ

وقبل الشاهد:

وَإِذَا رُمْتَ رَجِيلاً فَارْتَحِلْ وَأَعَصِ مَا يَأْمُرُ تَوْصِيُمُ الْكَسَلِ

وبعد الشاهد:

غَيْرَ أَنْ لَا تَكْذِبْنَهَا فِي الثَّقَى وَاخْزُهَا بِالْإِثْرِ لِلَّهِ الْأَجَلُ

ومعنى الشاهد كما أورده ابن سلام:

«ومعناه الرجل يَهُمُ بركوب أمر جسيم يقول: فلا تُحَدِّثْ نفسك بأنك لا

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٣، خفاجي: ٤٥٦، شاکر: ٥٠٠.

(٢) انظر البيت في:

شرح ديوان لبيد: ١٨٠، كتاب الأمثال لابن سلام: ١١٦ - ١١٧، الشعر والشعراء:

٢٨٦/١، البيان والتبيين: ١٨٧/٢، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٤٨/١، الإعجاز

والإيجاز: ١٤٤، التمثيل والمحاضرة: ٦١، يتيمة الدهر: ٢٠٧/١، محاضرات الأدباء:

١٦٧، اللسان «كذب»: ٧٠٨/١، نهاية الأرب: ٧٠/٣، أنوار الربيع: ٢٤/٤.

تظفر، فإن ذلك يُبْطِك عن السُّمِّ إلى معالي الأمور، ولكن حَدَّثَ نفسك بالظَّفَرِ
لِتُشَيِّعَكَ نَفْسُكَ عَلَى مَا تُرِيدُ»^(١).

وجاء في اللسان:

«مَنْ نَفْسُكَ الْعِيشَ الطَّوِيلَ لِتَأْمَلَ الْأَمَالَ الْبَعِيدَةَ، فَتَجِدَ فِي الطَّبِّ؛ لِأَنَّكَ
إِذَا صَدَقْتَهَا، فَقُلْتَ لَعَلَّكَ تَمُوتِينَ الْيَوْمَ، أَوْ غَدًا قَصُرَ أَمْلُهَا، وَضَعَفَ طَلِبُهَا»^(٢).

وبدو لي أن الإنسان إذا تذكر الموت، وداوم على تذكير النفس به، كان
ذلك دافعاً قوياً للنفس لتجتهد في العمل وقد قال الرسول ﷺ: «أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ
هَادِمِ اللَّذَاتِ»^(٣).

وأحسن ما قيل في تفسير هذا البيت، قول ابن معصوم المدني:

«أَيُّ لَا تَحْدِثُ نَفْسُكَ بَعْدَ الظَّفَرِ أَبَدًا، بَلْ بَشْرَهَا بِحَصُولِ الْأَمَلِ، فَإِنَّ
صَدَقَهَا بِالْجَبَنِ عَنْ مِلَاقَةِ الْأَهْوَالِ يَشْطُهَا عَنْ بُلُوغِ الْأَمَالِ»^(٤).

وفي هذا المعنى قول سعد بن ناشب:

إِذَا هَمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا
سَاعِغِلْ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبًا عَلَيَّ قَضَاءُ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبًا^(٥)

وذكر المرزوقي أن ابن زبابة^(٦) قد بنى قوله:

أَنَا ابْنُ زِبَابَةَ إِنْ تَدْعُنِي آتِكَ وَالظَّنُّ عَلَى الْكَاذِبِ

(١) كتاب الأمثال: ١١٦ - ١١٧.

(٢) اللسان «كذب»: ٧٠٨/١.

(٣) مسند الشهاب: ٣٩١/١، رقم (٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١)، المستدرک علی الصحیحین:

٣٢١/٤، مصابيح السنة: ٥٣٣/١، رقم (١١٤١)، مجمع الزوائد: ٣٠٩/١٠.

(٤) أنوار الربيع: ٢٤/٤.

(٥) سبق تخريجه انظر: ٦٠٨.

(٦) ابن زبابة وقيل ابن زبابة، والزبابة فأرة من فئران الحرة. وهو شاعر من شعراء الجاهلية من

بنی تمیم.

على قول لبيد «بيت الشاهد»^(١).

ذكر ابن قتيبة أن بيت الشاهد مما يُستجاد له^(٢).

وذكر ابن سلام أن بشار بن برد سئل أي بيت قالت العرب أشعر؟ فقال: إن تفضيل بيت واحد على الشعر كله لشديد، ولكن أحسن لبيد... ثم ذكر بيت الشاهد^(٣).

وجاء في الإعجاز الإيجاز أنه قال حين سئل عن أجود بيت قالته العرب: «إن تفضيل بيت على أشعار العرب لشديد، ولكن أحسن كل الإحسان، وأوجز، وأعجز لبيد في قوله...»^(٤) ثم ذكر بيت الشاهد.

وذكر الجاحظ أن بيت الشاهد من الأبيات التي تصلح للرواية والمذاكرة^(٥).

وجعله الثعالبي في التمثيل والمحاضرة من الأبيات السائرة للمخضرمين^(٦).

= ذكر البغدادي أنه قد اختلف في اسمه، قال:

«... واختلف في اسمه، فقال أبو رياش في شرح الحماسة هو عمرو بن لأي أحد بني تيم اللات بن ثعلبة، وهو فارس مجلز، وقال أبو محمد الأعرابي والمرزباني اسمه سلمة بن ذهل، وقال أبو عبيد البكري في شرح أمالي القالي: اسمه عمرو بن الحرث بن همام أحد بني تيم اللات بن ثعلبة.

واستبعد الميمني قالة البكري.

والحق أن المرزباني ذكر أن اسمه: عمرو بن الحرث بن همام، وأنه من بني تيم الله بن ثعلبة، ثم قال: وقيل اسمه سلمة بن ذهل.

انظر: الحماسة لأبي تمام - ت عسيلان - : ٨٩/١، معجم الشعراء: ٢٠٨، سمط اللالي: ٥٠٤/١، خزائن البغدادي - دار صادر - : ٣٣٣/٢.

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٤٨/١.

(٢) الشعر والشعراء: ٢٨٦/١.

(٣) كتاب الأمثال: ١١٧.

(٤) ١٤٤.

(٥) البيان والتبيين: ١٨٧/٢.

(٦) ٦١.

مع قول نافع بن لقيط^(١):

(الكامل)

وَإِذَا صَدَقْتَ النَّفْسَ لَمْ تَتْرُكْ لَهَا أَمَلًا وَيَأْمُلُ مَا اشْتَهَى الْمَكْذُوبُ^(٢)

ولعل البيت الذي قبله هو قوله:

ذَهَبَتْ لِدَاتِي وَالشَّبَابُ قَلَيْسَ لِي فِيمَنْ تَرَيْنَ مِنَ الْأَنَامِ ضَرْبُ

وبعده الشاهد ولعل الذي بعده قوله:

وَإِذَا السُّنُونُ دَأْبَنَ فِي ظَلَبِ الْفَتَى لِحَقِّ السُّنُونِ وَأَذْرَكَ الْمَطْلُوبُ

يَسْمَى الْفَتَى لِيَنَالَ أَفْضَلَ سَعْيِهِ هَيْهَاتَ ذَاكَ وَدُونَ ذَاكَ خُطُوبُ^(٣)

المعنى الجامع بين الشاهدين أَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ إِنْ هَمَّ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى لَا تَبْطِئَ هِمَمُهُ.

وَإِذَا دَقَقْنَا النَّظَرَ فِي الْبَيْتَيْنِ، وَجَدْنَا أَنَّ كُلِيهِمَا قَدْ بُنِيَ عَلَى الشَّرْطِ بـ (إِذَا) بَدَلًا مِنْ (إِنْ)؛ لِأَنَّ (إِذَا) تَأْتِي فِيمَا يَجْزَمُ الْمَتَكَلِّمُ بِوُقُوعِهِ، وَكَلَا الشَّاعِرَيْنِ يَجْزَمُ

(١) نافع «ويقال تُؤفَع، ونُفِيع» ابن لقيط الفقعسي الأسدي توفي نحو (٩٠ هـ) جعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من الشعراء الإسلاميين وقال عنه: «وكان يُؤفَعُ من رجالات العرب شعراً ونجدة، وكان ربما أخاف السبيل فأطردَهُ الحجاج لجناية، فلم يزل خائفاً» وقد أورد بعض أشعاره.

كانت إقامته مع قومه بني أسد في «القنن» جبل لبني فقعس مجاور لبلاد غطفان، بالقرب من سميراء يقال له اليوم «القنينات» وكان «نافع» معاصراً للحجاج الثقفي والمعجير السلولي. انظر: طبقات فحول الشعراء: ٦٣٧/٢ - ٦٤٥، أمالي اليزيدي: ١٤٥ - ١٤٦، أمالي الزجاجي: ٧٩ - ٩١، معجم البلدان: ٤٠١/٤، معجم ما استعجم: ١٠٩٧/٣/٢ الأعلام: ٥/٨.

(٢) هناك قصيدة طويلة ذكرها الزجاجي في أماليه: ٧٩ - ٨١، وابن منظور في اللسان «مرط»: ٣٩٩/٧ - ٤٠٠، ولكن لم يذكر فيها بيت الشاهد، ويبدو أنه منها، وذكر صاحب اللسان أن القصيدة هي لنافع بن نفيع الفقعسي، ويقال أنها لنافع بن لقيط الأسدي.

(٣) أمالي الزجاجي: ٨٠، اللسان: «مرط»: ٣٩٩/٧ - ٤٠٠.

ويحث على تكذيب النفس على الدوام كلما همَّ الإنسان بأمر جليل وأن لا يحيد عن هذا الطريق.

وأنظر إلى لطافة قوله: (إِذَا حَدَّثْتَهَا) وما فيه من إشارات خفية إلى تلك الغمغمات التي تدور في الباطن.

ونلاحظ أن لبيداً يؤمن إيماناً كاملاً بفكرة تكذيب النفس فنراه يعود، ويؤكد في الشطر الثاني بأن صدق النفس يضعف الأمل، فجاء بالجملة مؤكدة (بيان).

أما نافع بن لقيط فبدأ بيته بعكس ما ابتدأ به الأول فأعلن وأكد أن صدق النفس يمحو الأمل من النفس.

وقوله: (ويأمل ما انتهى المكذوب) أرسله حكمة سائر ومثلاً يُضرب.

وأنظر إلى اختياره لفظ (انتهى) بدلاً من (يريد) وما فيها من ترغيب وحث على الكذب على النفس.

فلاشتهاء هو كل ما ترغبه النفس مع الإلحاح في طلبه^(١).

الشاهد التاسع والعشرون بعد الثلاثمائة^(٢):
(الكامل)

وقول رجل^(٣) من الخوارج أتى به الحجاج^(٤) في جماعة من أصحاب

(١) شهى الشيء وشهاه يشهاه شهوة واشتهاه وتشهَّاه أحبه ورغب فيه والتَّشهى: اقترح شهوة بعد شهوة. اللسان «شها»: ٤٤٥/١٤.

(٢) الدلائل، رضا: ٤٨٣ - ٣٨٤، خفاجي: ٤٥٦ - ٤٥٧، شاعر: ٥٠٠ - ٥٠١.

(٣) نسبت الأبيات في زهر الآداب لعمران بن حطان، وكذلك في ديوان الخوارج - إحسان عباس -، ونُسبت في العفو والاعتذار لعامر بن حطَّان - وكذلك نسبها الأستاذ شاعر في تحقيق الدلائل -.

وخطأ صاحب إعتاب الكتاب نسبتها لعمران بن حطَّان قال: ذكر عمران بن حطَّان في هذه الحكاية وَهُمْ، وكذا وقعت في زهر الآداب للحصري، وفي غيره؛ لأن عمران كان من القُعد، ولم يكن يحضر القتال، وإنما هو عامر أخو عمران.

إعتاب الكتاب: ٦٢ - نقلاً عن تحقيق العفو والاعتذار - ونسبه في الموازنة لبعض الخوارج، وفي أخبار أبي تمام وتهذيب ابن عساكر لرجل من أصحاب قطري.

قَطْرِي^(١)، فقتلهم، وَمَنْ عَلَيْهِ لَيْدٌ كَانَتْ عِنْدَهُ، وعاد إلى قَطْرِي، فقال له قَطْرِي:
عاود قتال عدو الله الحجاج فأبى وقال^(٢):

أَقَاتِلُ الْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ^(٣) بِإِدِّ تُقِرُّ بِأَنَّهَا مَوْلَانُهُ
مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ^(٤) إِزَاءَهُ فِي الصَّفِّ وَأَحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَانُهُ

= وعمران بن حطَّان هو عمران بن حطَّان بن ظبيان بن لوزان بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيان، و هو شاعر فصيح من شعراء الشُّرَّة، ودعاتهم والمقدمين في مذهبهم «الشُّرَّة»: هم فرقة الخوارج سموا أنفسهم بذلك لأنهم قالوا شربنا أنفسنا في طاعة الله - أي بعناها -، وكان من المعمرين، فلما ضعف عن الحرب اقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه، وكان قبل أن يُفتن بهذا المذهب مشتهراً بطلب العلم والحديث، أدرك صدرًا من الصحابة وروى عنهم، وروى عنه أصحاب الحديث.

انظر ترجمته:

الأغاني: ١٠٩/١٨ - ١٢٠، زهر الآداب: ٩٢٥/٤، ميزان الاعتدال: ٢٣٥/٣ تهذيب التهذيب: ١٢٧/٨ - ١٢٩.

(٤) انظر ترجمته: ١٠١٣.

(١) وقطري بن الفجاءة اسمه جمونة بن مازن بن يزيد المازني الخارجي «أبو نعمة» خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله، وقطري معدود في جملة خطباء العرب المشهورين بالبلاغة والفصاحة.

انظر ترجمته:

سمط اللآلي: ٥٩٠، العبر: ٩٠/١، وفيات الأعيان: ٩٣/٤ - ٩٥.

(٢) وقصة الأبيات كما جاءت في زهر الآداب: (٩٢٤/٤): «ولما ظفر الحجاج بعمران بن حطَّان الشاري، قال: اضربوا عُقْبَ ابن الفاجرة، فقال عمران: لبسما أدبك أهلك يا حجاج! كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما لقيتني به، أبعث الموت منزلة أصانئك عليها؟ فاطرق الحجاج استحياءً، وقال: خلُّوا عنه، فخرج إلى أصحابه، فقالوا: والله ما أطلقك إلا الله، فأرجع إلى حربه معنا، فقال: هيهات! غل يدأ مُطْلِقُهَا، واسترق رقبته مُعَيِّقُهَا، وأنشد... الأبيات».

(٣) رواية العفو والاعتذار: «ملكوته».

(٤) رواية الديوان وزهر الآداب: «وقفت موازيا».

وَتَحَدَّثَ (١) الْأَقْوَامُ (٢) أَنْ صَنَائِعاً (٣) غُرِسَتْ لَدَيَّ فَحَنَظَلْتُ (٤) نَخْلَاتُهُ (٥)

وبعد البيت الأول بيت متصل به، وهو قوله:

إِنِّي إِذَنْ لِأَخُو الدَّنَاءَةِ (٦) وَالَّذِي عَفْتُ (٧) عَلَى عِرْقَانِهِ (٨) جَهْلَاتُهُ

وبعد البيت الثالث:

أَقُولُ جَارَ (٩) عَلَيَّ؟ إِنِّي فِيكُمْ (١٠) لَأَحِقُّ مَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ وَلَأَنَّهُ

تَاللَّهِ مَا كَذْتُ الْأَمِيرَ بِالَةِ وَجَوَارِحِي وَسِلَاحُهَا آلَاتُهُ (١١)

مع قول أبي تمام:

(الطويل)

أَسْرِبُلُ (١٢) هُجِرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إِذَنْ لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي (١٣)

(١) رواية أخبار أبي تمام: «وَيُحَدِّثُ».

(٢) رواية الديوان وزهر الآداب، والعفو والاعتذار: «وتحدث الأكفاء».

(٣) رواية أخبار أبي تمام: «صنيعه».

(٤) حنظلت: الحنظل الشجر المر. اللسان: «حنظل»: ١٨٣/١١.

والمقصود هنا أنها لم تثمر.

(٥) انظر الأبيات في:

ديوان الخوارج - إحسان عباس - ١٨٧، رقم القطعة (٢١٧)، العفو والاعتذار: ٥٦١/٢،

أخبار أبي تمام: ٢٠٦، الموازنة - محمد محيي الدين - ٦٧، الصناعتين: ٢٣٦، زهر

الآداب: ٩٢٥/٤، تهذيب ابن عساكر: ٧٠/٤.

(٦) رواية تاريخ ابن عساكر: «لأخو الجهالة».

(٧) رواية الموازنة: «عَطْتُ»، ورواية ابن عساكر: «طَمْتُ».

(٨) رواية الموازنة: «على إحسانيه»، ورواية ابن عساكر: «على أحشائه».

(٩) رواية العفو والاعتذار: «جُرْتُ».

(١٠) رواية العفو والاعتذار، وأخبار أبي تمام، والموازنة: «لا إِنِّي إِذَا».

(١١) وفي أخبار أبي تمام بيت آخر:

هَذَا وَمَا طَبَّيْتُ بُجْبِنِي إِنْ نِي فِيكُمْ لِمَطَرُكَ مَشْهَدٍ وَعَلَاتُهُ

الطب: بالكسر العادة والشأن، والملاءة: السندان.

(١٢) أصل الكلام: «أَسْرِبُل» استفهام انكاري.

وهو من قصيدة^(١) يمدح بها أبا المغيث الرافعي^(٢) ويعتذر إليه.

وقبل الشاهد:

وَأَصْلَتْ شِعْرِي فَأَعْتَلَى رَوْنَقَ الضُّحَى وَلَوْلَاكَ لَمْ يَظْهَرْ زَمَانًا مِنَ الْغَمْدِ
وَكَيْفَ وَمَا أَخْلَلْتُ بَعْدَكَ بِالْحَجَا وَأَنْتَ فَلَمْ تُخْلِلْ بِمَكْرُمَةٍ بَعْدِي

وبعد الشاهد:

كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحُهُ أَمَدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِي وَمَتَى مَا لُئِمْتُ لُئِمْتُ وَخَدِي

المعنى الجامع: تأنيب النفس على الإساءة إلى من أحسن إليها.

فالنَّظَرُ إِلَى الشَّاهِدِينَ يَجِدُ أَنَّ كَلًّا مِنَ الشَّاعِرِينَ قَدْ أَحْسَنَ وَأَجَادَ لِبَنَائِهِ
مَعْنَاهُ عَلَى الِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ، وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْفَخَامَةِ مَا فِيهِ؛ لِأَنَّ الْمَوْقِفَ
مَوْقِفَ مُحَاسَبَةِ لِلنَّفْسِ وَفِي الْإِنْكَارِ لَوْمٌ وَتَأْنِيبٌ.

وَأَنْظُرْ إِلَى الْخَارِجِيِّ وَقَدْ كَرَّرَ الِاسْتِفْهَامَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي (مَاذَا أَقُولُ) فَصَوَّرَ

= ورواية الديوان بشرح الخطيب، والصناعتين، وزهر الآداب: «الْبَيْسُ هُجَرَ الْقَوْلُ».

(١٣) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ١١٦/٢، رقم (٥٦) ديوانه - دار صعب -: ١١٤، أخبار
أبي تمام: ٢٤٠، الموازنة - محمد محيي الدين -: ٦٦، الصناعتين: ٢٣٦، زهر الآداب:
٩٢٥.

(١) سبق ذكر مطلعها: ص ١٤٢.

(٢) هو موسى بن إبراهيم الرافعي (بالعين كما في تاريخ الطبري والكمال)، أبو المغيث، عامل
أهل حمص على المعونة في عصر المتوكل، وقد وثب عليه أهلها سنة (٢٤٠ هـ)، لقتله
رجلاً من رؤسائهم، فقتلوا جماعة من أصحابه، ثم أخرجوه، وأخرجوا صاحب الخراج من
مدينتهم، فبلغ ذلك المتوكل، فوجه إليهم عتاب بن عتاب، ومعه محمد بن عبدويه
الأنباري، وحل محل أبي المغيث، ولكن ما لبثوا أن وثبوا عليه سنة (٢٤١ هـ) فأرسل لهم
المتوكل جيشاً لإخضاعهم، فتوسط لهم الفتح بن خاقان، وقبل الخليفة وساطته.

انظر: تاريخ الطبري: ١٩٧/٩، الكامل لابن الأثير: ٢٩٣/٥، النجوم الزاهرة: ٢٤٩/٢ -

٣٠١.

الحيرة والاضطراب الدائر في نفسه، وجسد الخجل، والشعور بالذنب من الوقوف أمام ذلك المحسن.

وحركة الاعتذار الدائبة في نفس الشاعر ولَّدت صوراً حية تتحرك، وتنطق، وتعتذر، فقوله: (بَيِّدُ تُقِرُّ) جعل اليد تنطق وتعتزف بموالة ذلك المحسن.

وقوله: (وَأَحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَاتُهُ) جعل إحسانه وكأنه كائن حي يقف مدافعاً ناصباً الحجج والبراهين على كرم وِجُودِ الحجاج، وفي تقديم الجار والمجرور (له) على الفاعل «فَعَلَاتُهُ» اعتراف بالفضل والإدانة له بالإحسان.

وقوله: (أَنْ صَنَائِعاً غُرِسَتْ) تركيب حسن حيث جاء بصورة (الغرس) وبنى الفعل للمجهول «غُرِسَتْ» ليدل على تمكن ذلك المعروف في نفسه، وأنه قد ضرب بجذوره في أعماقه وبذلك أكد استحالة اقتلاعه من نفسه.

فالخارجي على الرغم من اتساع صورته وتعدد ألوانها، قَصَرَ عن أبي تمام، فقد جمع هذا المعنى الكثير في اللفظ القليل، فصورة المعروف عند الخارجي كانت تدافع وتحتج فقط أما معروف أبي تمام فكان يهجو، وهذا أبلغ في زجر النفس وقمعها، ولم يقتصر أبو تمام على جعل المعروف هاجياً بل جعله أقدر على الهجاء من أبي تمام نفسه.

فقوله: (أُسْرِبِل) أي ألبس دل على قدرة أبي تمام على الهجاء، وأنه لشدة هجائه يستر المهجو ويغطيه ويحجبه عن الأنظار لما يلبسه إياه من قبيح الصفات وقدم همزة الاستفهام المفيدة للإنكار على الفعل، وجاء بـ (لو) الشرطية ليدل على عدم قدرته على الهجاء وعجزه عنه أمام هجاء المعروف.

وفي الفصل بين فعل الشرط وجوابه (بِإِذْنِ) واقتران الجواب بلام التوكيد (لهجاني) تأكيد لشدة أثر هجاء المعروف. وتقديم المفعول به - الضمير في هجاني - على الفاعل (معروفه) لإظهار أن صاحب الضمير محط الإنكار، وفيه تسليم من أبي تمام بقوة ذلك الهجاء وقوة وقعه على نفسه.

وتقديم الجار والمجرور (عنه) على الفاعل (معروفه) دل على تسابق

المعروف، وسرعته في الدفاع عن ذلك المحسن، فكفاه بذلك مشقة الدفاع عن نفسه.

الشاهد الثلاثون بعد الثلاثمائة^(١): (الطويل)

وقول النابغة:

إِذَا مَا غَدَا^(٢) بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُ^(٣) عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا أَلْتَقَى الصَّفَّانِ^(٤) أَوَّلُ غَالِبٍ^(٥)

وهو من قصيدة مدح بها عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر^(٦)، حين هرب إلى الشام، ونزل به.

وهو من قصيدته التي مطلعها:

كَلِّينِي لَهُمْ يَا أُمَيَّةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

وقبل البيت الأول:

وَنَفَتْ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أَشَائِبِ

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٤، خفاجي: ٤٥٧، شاکر: ٥٠١.

(٢) رواية الدلائل تحقيق شاکر، والمثل السائر، وشرح التصريح بمضمون التوضيح: «إِذَا مَا غَزَا».

ورواية الديوان، وغيار الشعر، والموازنة، والمنصف في نقد الشعر، وشرح جمل الزجاجي: «إِذَا مَا غَزَا».

(٣) رواية الديوان، وغيار الشعر، والموازنة، والمنصف في نقد الشعر، وشرح جمل الزجاجي وشرح التصريح بمضمون التوضيح: «فوقهم».

(٤) رواية الديوان وأخبار أبي تمام والموازنة والمنصف، والصناعتين، والمثل السائر: «الجمعان».

(٥) ديوانه: - تحقيق فوزي عطوي: - ٤٩ - ٥٠، غيار الشعر: ٣٣، أخبار أبي تمام: ١٦٥ - ١٦٦، الوساطة: ٢٧٤، الموازنة: ٥٩، المنصف في نقد الشعر: ٧٨ - ٥٥٥ الصناعتين: ٢٤٦، زهر الآداب: ١٠٦٩/٤، المثل السائر: ٢٨١/٣، شرح جمل الزجاجي: ٥٥٢/٢، شرح التصريح على التوضيح: ٢٢٧/٢.

(٦) سبقت ترجمته: «٦٧٠».

بَنُو عَمِّهِ دُنْيَا، وَعَمْرُو بْنُ عَامِرٍ أُولَئِكَ قَوْمٌ بِأَسْهُمٍ غَيْرُ كَاذِبٍ

وبعده:

يُصَاحِبُهُمْ حَتَّى يُغَرَّنَ مُغَارُهُمْ مِنْ الضَّارِيَاتِ بِالدِّمَاءِ الدَّوَارِبِ

وبعده بيت هو قبل البيت الثاني من الشاهد:

تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْراً عُيُونُهَا جُلُوسَ الشُّيُوخِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ

وبعده الشاهد وبعده:

لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرِفْنَهَا إِذَا عُرِّضَ الْخَطِيُّ فَوْقَ الْكَوَائِبِ

وجعل ابن طباطبا قول النابغة:

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

من الابتداء الذي يحس السامع بما ينقاد إليه القول فيه قبل استتمامه،

فقدم في هذا البيت معنى ما تحلق الطير من أجله، ثم أوضحه بقوله:

يَصَاحِبُهُمْ حَتَّى يُغَرَّنَ مُغَارُهُمْ مِنْ الضَّارِيَاتِ بِالدِّمَاءِ الدَّوَارِبِ

وما بعده من أبيات سبق ذكرها^(١).

وجعل ابن الأثير قول النابغة من الضرب الحادي عشر من السلخ وهو:

«اتحاد الطريق واختلاف المقصد، ومثاله أن يسلك الشاعران طريقاً واحدة

فتخرج بهما إلى موردين أو روضتين وهناك يتبين فضل أحدهما على الآخر»^(٢).

مع قول أبي نواس:

(المديد)

وَإِذَا مَجَّ الْقَنَا عَلَقاً وَتَرَأَى الْمَوْتَ فِي صُورِهِ
رَاحَ فِي ثَنِيٍّ مُفَاضِّهِ أَسَدٌ يَدْمَى شَبَا ظُفْرِهِ

(١) عيار الشعر: ٣٣.

(٢) المثل السائر: ٢٦٥/٣.

تَتَأَيَّى (١) الطَّيْرُ غَدَوْتَهُ (٢) ثِقَةً بِالشَّبَعِ مِنْ جَزِيرَةٍ (٣)

وهو من قصيدة مدح بها العباس بن عبيد الله (٤)، ومطلعها:
أَيُّهَا الْمُنْتَابُ عَنْ عُفْرِهِ لَسْتُ مِنْ لَيْلِي وَلَا سَمَرِهِ

وقبل الشاهد:

سَبَقَ التَّفْرِيطُ رَأْدَهُ وَكَفَاهُ الْعَيْنُ مِنْ أَثَرِهِ

وبعده:

وَتَرَى السُّادَاتِ مَائِلَةً لِسَلِيلِ الشَّمْسِ مِنْ قَمَرِهِ

وأول من قال في هذا المعنى الأفوه الأودي (٥)، وذلك قوله:

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأْيَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنَّ سَتُمارُ (٦)

ثم تبعه النابغة فقال:

إِذَا مَا غَدَا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُ البيت (٧)

(١) رواية الديوان والوساطة والمنصف:

«تَتَأَيَّى» ومعنى تتأَيَّى وتَتَأَيَّى واحد، وهو تعتمد وتقصد. ورواية المثل السائر (تَمَيَّى)

(٢) ورواية الموازنة وزهر الآداب: «غزوته».

(٣) ديوانه: ٤٣١، الكامل: ١٤/٢، أخبار أبي تمام: ١٦٥، الوساطة: ٢٧٤، الموازنة: ٥٩،

المنصف في نقد الشعر: ٧٨ - ٥٥٥، الصناعتين: ٢٤٦، زهر الآداب: ١٠٦٩/٤، المثل السائر: ٢٨٢/٣، ذكر البيت الأخير فقط.

(٤) سبقت ترجمته: «٦٧٢».

(٥) هو صلاة بن عمرو بن مالك بن الحارث الأودي، وأود هو ابن ضعب بن سعد العشيرة بن

مذحج، ويكنى الأفوه أبا ربيعة وهو جاهلي قديم، وذكر بعض المؤرخين أنه أدرك المسيح عليه السلام.

انظر ترجمته:

سمط اللالي: ٣٦٥/١، ٨٤٤، الأغاني: ١٦٩/١٢ - ١٧٣.

(٦) ديوانه - الطرائف الأدبية - ١٣، الموازنة - محمد محيي الدين - ٥٩، الوساطة: ٢٧٤.

(٧) سبق تخريجه: ١٠٨٢، من البحث.

وقد استجاد بعض المحدثين قول النابغة فقال:

من أين للأفواه مثل ابتداء النابغة؟.

وَرُدَّ هذا القول بأن الأفواه له فضل سبق، وهو أعظم الفضل، وهو قد اقتصر، وشرح مراده في بيت، أما النابغة فقد أطال وأتى بمراده في أبيات^(١).

ولقد تطرق كثير من الشعراء بعدهما لهذا المعنى، فقال حميد بن ثور يصف ذئباً:

إِذَا مَا غَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غَمَامَةً مِنْ الطَّيْرِ يَنْظُرْنَ الَّذِي هُوَ صَانِعُ^(٢)
وقال أبو نواس:

تَنَابَى الطَّيْرَ غَزْوَتُهُ بيت الشاهد^(٣)

وقال مسلم بن الوليد:

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقْنَ بِهَا فَهَنْ يَتَّبَعْنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحِلٍ^(٤)

وقال أيضاً في هذا المعنى:

أَشْرَبْتَ أَرْوَاحَ الْجَدَا وَقُلُوبَهَا خَوْفًا فَأَنْفُسُهَا إِلَيْكَ تَطِيرُ
لَوْ حَاكَمْتُكَ فَطَالَبْتُكَ بِذَخْلِهَا شَهِدْتُ عَلَيْكَ ثَعَالِبَ وَنُسُورٍ^(٥)

وقال أبو تمام:

وَقَدْ ظَلَلْتُ أَغْنَاكَ أَعْلَامِهِ ضُحَى يَعْقَبَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ
أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ^(٦)

(١) المنصف في نقد الشعر: ٧٨ - ٧٩.

(٢) ديوانه: ١٠٦، الموازنة: ٥٩.

(٣) سبق تخريجه: ١٠٨٤.

(٤) شرح ديوان صريع الغواني: ١٢، أخبار أبي تمام: ١٦٤، المثل السائر: ٢٨٢/٣، زهر الأداب: ٢٤٦.

(٥) شرح ديوان صريع الغواني: ٢٢٣.

(٦) ديوانه - دار صعب -: ٢١٩، أخبار أبي تمام: ١٦٤، المثل السائر: ٢٨٢/٣، زهر الأداب: ١٠٦٩/٤.

وقال أبو الطيب المتنبي:

يُفْدَى أُنْثَى الطَّيْرِ عُمْراً سِلَاحَهُ نُسُورُ الْمَلَا أَحْدَانُهَا وَالْقَشَاعِمُ^(١)
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبٍ وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَرَوَائِمُ^(٢)

ثم أورد هذا المعنى في موضوع آخر من شعره فقال:

سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَرْجُفُ^(٣) تَحْتَهَا سَحَابٌ إِذَا اسْتَسَقَتْ سَقَّتْهَا صَوَارِمُهُ^(٤)

وقد رأى أبو بكر الصولي أن قول أبي نواس أحسن من قول مسلم بن الوليد، وأبي تمام إلا أن النابغة قد فاقهم جميعاً.

قال بعد ذكر بيتي أبي تمام ومسلم بن الوليد:

«وأحسن من هذا قول أبي نواس في العباس بن عبيد الله».

ثم قال بعد نهاية أبيات أبي نواس:

«ولا أعلم أحداً قال في هذا المعنى أحسن مما قاله النابغة وهو أولى بالمعنى، وإن كان قد سبق إليه؛ لأنه جاء به أحسن»^(٥).

ورأى القاضي^(٦) الجرجاني، وتبعه أبو هلال^(٧) العسكري أن أبا تمام قد زاد على الأفوه، والنابغة، وأبي نواس، ومسلم بن الوليد فرأى أبو هلال العسكري أن الزيادة في قوله: «إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلْ».

ورأى القاضي الجرجاني أن الحسن والتقدم في بيت أبي تمام ليس من

(١) القشاعم: «المُسَن من الرجال والنسور والضخم العظيم منها». القاموس المحيط «قشعم»: ١٦٧/٤.

(٢) ديوانه بشرح العكبري: ٣٧٩/٣ - ٣٨٠، المثل السائر: ٢٨٣/٣.

(٣) رواية المثل السائر «تَرْجُفُ».

(٤) ديوانه بشرح العكبري: ٣٣٨/٣، المثل السائر: ٢٨٣/٣.

(٥) اختيار أبي تمام: ١٦٥.

(٦) الوساطة: ٢٧٤.

(٧) الصناعتين: ٢٤٥.

هذه الزيادة فقط، وإنما لقوله: «في الدَّمَاءِ نَوَاهِلٍ» وإقامتها مقام الرايات، وبذلك يتم حسن قوله: «إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَاتِلْ».

ورأى أن الأفوه الأودي قد فضل الجماعة بأمر: منها السبق وهي الفضيلة العظمى، والآخر قوله: (رأي عين) فخير عن قُرْبِهَا؛ لأنها إِذَا بَعُدَتْ تُخَيَّلَتْ ولم تر، وإنما يكون قُرْبُهَا متوقعاً للفريسة، وهذا يؤيد المعنى، ثم قال: «ثقة أن ستمار» فجعلها واثقة بالميرة، ولم يجمع هذه الأوصاف غيره، أما أبو نواس فإنه نقل اللفظ فقط، فلم يزد شيئاً حتى يُفَضَّل، وأما قول المتنبي: سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا البيت

فزاد أن جعل ها هنا سحابتين وجعل السحابة السفلى تسقي ما فوقها، وهذا غريب وقد يعيبه بعضهم لأمرين:

أحدهما أن السحاب لا يسقي ما فوقه، والآخر أن العقبان، والطيور لا تستسقى، وإنما تستطعم، فأما إسقاء ما فوقه فهو الذي أغرب به، فهو لم يجعل الجيش سحاباً في الحقيقة فيمتنع إسقاؤه ما فوقه، وإنما أقامه مقام السحاب من وجهين لتزاحمه وكثافته، وقد فعلت العرب ذلك في أشعارها، وقال يستسقى؛ لأنه لما جعله سحاباً جعله يستسقى^(١).

وعن بيت المتنبي هذا قال ابن الأثير:

«وهذا معنى قد حوى طرفي الإغراب والإعجاب»^(٢).

ورأى ابن الأثير أن أبا نواس، ومسلم بن الوليد، وأبا تمام، والمتنبي أحسن من أجاد في هذا المعنى، وأنه قد تطرق إليه الكثيرون إلا أنهم جاءوا بشيء واحد لا تفاضل بينهم فيه إلا من جهة حسن السبك، أو من جهة الإيجاز في اللفظ، ورأى أن أفضل هؤلاء الأربعة مسلم بن الوليد والمتنبي، فقال عن بيتي مسلم:

(١) الوساطة: ٢٧٤، المثل السائر: ٢٨٣/٣.

(٢) المثل السائر: ٢٨٣/٣.

أَشْرَبْتَ أَرْوَاحَ الْعِدَا وَقُلُومَهَا
لَوْ حَاكَمْتِكَ فَطَالَبْتِكَ بِذُحْلَهَا

«فهذا من المليح البديع الذي فضل به مسلم غيره في هذا المعنى»^(١).

وقال عن بيتي المتنبي:

يُقَدِّي أَتَمُّ الطَّيْرِ عُمْراً سِلَاحَهُ
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبٍ

«وكذلك فعل أبو الطيب المتنبي فإنه لما انتهى إليه الأمر سلك مسلك من سبقوه، إلا أنه خرج إلى غير المقصد الذي قصدوه، فأغرب وأبدع وحاز الإحسان بجملته، وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى دون غيره»^(٢).

ولم يتطرق لبيتَي الأفوه الأودي، والنابعة الذبياني بالنقد.

وقد أظهر الشيخ عبد القاهر الفرق بين البيتين، ودلل واستشهد بهما على أن المعنى يُنقل من صورة إل صورة، وشرح ذلك بأن ها هنا معنيين. أحدهما: أصل وهو علم الطير بأن الممدوح إذا غزا عَدُوًّا كان الظفر له، وكان هو الغالب.

والآخر: فرع وهو طمع الطير في أن تتسع عليها المطاعم من لحوم القتلى، فعمد النابعة إلى الأصل، وذكره صريحاً، وجعله مكشوفاً، واعتمد في كشف الفرع، وهو طمعها في لحوم القتلى على دلالة الفحوى، وعكس أبو نواس الصورة.

نقل الشيخ عن المازباني قال:

«حدثني عمرو الوراق قال: رأيت أبا نواس يُنشد قصيدته التي أولها: «أَيُّهَا الْمُتَنَابُ عَنْ عُفْرَةٍ».

(١) المثل السائر: ٢٨٣/٣.

(٢) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

فحسدته، فلما بلغ إلى قوله:
تَنَابَى الطَّيْرُ غَدَوَتُهُ ثِقَّةً بِالشُّبْعِ مِنْ جَزِيرَةٍ
قلت له ما تركت للنابعة شيئاً حتى يقول: «إِذَا مَا غَدَا بِالْجَيْشِ»، البيتين،
فقال: اسكت، فلئن كان سبق فما أسأتُ الاتباع»^(١).

وعلق الشيخ على هذه القصة محللاً الفرق بين الصورتين:

«وهذا الكلام من أبي نواس دليلٌ بَيِّنٌ في أن المعنى يُنقل من صورة إلى صورة؛ ذاك لأنه لو كان لا يكون قد صنع بالمعنى شيئاً لكان قوله: فما أسأتُ الاتباع» مُحالاً، لأنه على كل حال لم يَتَّبِعْهُ في اللفظ، ثم إن الأمر ظاهر لمن نظر في أنه قد نقل المعنى عن صورته التي هو عليها في شعر النابغة إلى صورة أخرى وذلك أن ههنا معنيين:

أحدهما: أصل وهو علم الطير بأن الممدوح إذا غزا غَدَوًا كان الظفر له، وكان هو الغالب.

والآخر: فرع وهو طمع الطير في أن تتسع عليها المطاعم من لحوم القتلى.

وقد عمد النابغة إلى «الأصل» الذي هو علم الطير بأن الممدوح يكون الغالب، فذكره صريحاً، وكشف عن وجهه، واعتمد في «الفرع» الذي هو طمعها في لحوم القتلى، وأنها لذلك تحلَّق فوقه على دلالة الفحوى.

وعكس أبو نواس القصة، فذكر «الفرع» الذي هو طمعها في لحوم القتلى صريحاً فقال كما ترى:

«ثِقَّةً بِالشُّبْعِ مِنْ جَزِيرَةٍ».

وَعَوَّلَ في «الأصل» الذي هو علمها بأن الظفر يكون للممدوح على

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٤ - ٣٨٥، خفاجي: ٤٥٧ - ٤٥٨، شاکر: ٥٠٢.

الفحوى، ودلالة الفحوى على علمها أن الظفر يكون للممدوح، هي في أن قال: «من جَزَرَةٍ» وهي لا تثق بأن شعبها يكون من جَزَر الممدوح حتى تعلم أن الظفر يكون له.

أفيكون شيء أظهر من هذا في النقل عن صورة إلى صورة^(١).

الشاهد الواحد والثلاثون بعد الثلاثمائة^(٢):
(الخفيف)

قول أبي العتاهية:

شَيْمٌ فَتَحَتْ مِنَ الْمَدْحِ^(٣) مَا قَدْ كَانَ مُسْتَغْلِقاً عَلَى الْمُدَّاحِ^(٤)

ومثل معنى بيت الشاهد قول أبي تمام:

وَلَوْلَا خِلَالُ سَنِّهَا الشُّعْرُ مَا دَرَى بُغَاةَ الْعُلَا مِنْ أَيْنَ تَأْتِي الْمَكَارِمُ

وقول المتنبي:

وَعَلَّمُوا النَّاسَ مِنْكَ الْمَجْدَ وَاقْتَدَرُوا عَلَى دَقِيقِ الْمَعَانِي مِنْ مَعَانِيكََا

ذكر القاضي الجرجاني أن بيت أبي العتاهية هو كالمحتوي على معنى بيتي أبي تمام والمتنبي^(٥).

مع قول أبي تمام:

(الكامل)

نَظَّمْتُ لَهُ خَرَزَ الْمَدِيحِ مَوَاهِبُ^(٦) يَنْفُثْنَ فِي عَقْدِ اللِّسَانِ الْمُفْحَمِ^(٧) (٨)

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٥، خفاجي: ٤٥٨، شاعر: ٥٠٣.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٨٦، خفاجي: ٤٥٩، شاعر: ٥٠٣.

(٣) رواية الصبح المنبي: «من المجد».

(٤) لم أجده في ديوانه - طبعة دار صعب -.

انظر: الصبح المنبي: ٢٣٦، الوساطة: ٣٠٤.

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٦) رواية الديوان بشرح الخطيب، وكذلك الديوان الكامل - دار صعب -: «مَكَارِمُ».

(٧) الْمُفْحَمُ: العَيَّ الضعيف الذي لا يقول الشعر. اللسان «فحم»: ٤٤٩/١٢.

(٨) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ٢٥٢/٣، ديوان أبي تمام - دار صعب -: ٢٧٧.

والشاهد من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة^(١)
ومطلعها:

نَثَرْتُ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تُنْظَمْ^(٢) وَالذَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ شَجْوِ^(٣) الْمُغْرَمِ

وقبل الشاهد:

كَلِّفَ بِرَبِّ الْمَجْدِ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يُبْتَدَأْ عُرْفٌ إِذَا لَمْ يُتَمَمِ

وبعد الشاهد:

فِي قُلَّةِ كُثْرِ السَّمَاكِ وَإِنْ غَدَا هَاطِلًا وَعَفْوُ يَدَيْهِ جُهْدُ الْمِرْزَمِ

المعنى الجامع بين الشاهدين أن أخلاق الممدوح وشيمه الرفيعة هي التي حركت دوافع المدح عند الشعراء، إلا أن لكل من الشاعرين صورته التي أجاد فيها، فأبو العتاهية بنى بيته على صورة الفتحة والإغلاق.

وأبو تمام بنى معناه على صورة العقد والنفث.

ولكلا الصورتين وجه من الحسن، فأبو العتاهية ابتداء بيته بالمسند، وحذف المسند إليه فقال: (شيم) أي «هي شيم» وإنما حُسن الحذف هنا للإشادة بعظم تلك الشيم والخصال.

وقوله: «مستغلقاً» بزيادة البناء دلٌّ على قوة الإغلاق واستعصاء المعاني على الشعراء.

إلا أن قوله (فَتَحَّتْ) بالتضعيف أظهر أن هذه الشيم لحسنها ورفعتها وعظمتها، وتأثيرها في نفوس الشعراء فَجَّرَتْ لديهم القوى الشعرية، ومدت الخيال بالمعاني الغزيرة.

(١) سبقت ترجمته: ١٠٢٤.

(٢) رواية الديوان بشرح الخطيب: «لَمْ يُنْظَمْ».

(٣) رواية الديوان بشرح الخطيب: «بَعْضُ يُقْل».

أما أبو تمام فكانت صورته أحلى مذاقاً وأدق تركيباً، وأغزر معنى، فهي صورة مستمدة من القرآن الكريم من قوله تعالى:

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾^(١)، وقد حَسُنَ هذا التلميح في هذا الموضع.

وأين قوة الفتح من قوة «النفث في العقد».

وأنظر إلى تركيب صورة النفث هذه، حيث جاء بلفظ (عُقْد) بصيغة الجمع بدلاً من (عُقْدَة) بصيغة المفرد؛ ليدل على أنها عقد كثيرة قوية فهي عُقْدَة بعد عُقْدَة، وفي إضافة العُقْد إلى اللسان تصوير لعجزه، وفي وصفه بأنه مُفْحَم مبالغة في وصفه بالعجز التام.

وأضفى على اللسان هذه الصورة العاجزة؛ ليظهر قوة تلك المواهب التي استطاعت أن تحل ذلك اللسان، وجعلته يتغنى في طرب وخفة بتلك القصائد المتينة، ففي تشبيه المدائح بصورة العقد الذي نظمت خزره دليل على قوة تلك القصائد وتلاحم بنائها.

فهذه المواهب إذاً مواهب عظيمة عجيبة عجب السحر نفسه.

الشاهد الثاني والثلاثون بعد الثلاثمائة^(٢):

(الوافر)

وقول أبي وجزة^(٣):

(١) سورة الفلق: الآية ٤.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٨٦، خفاجي: ٤٥٩، شاکر: ٥٠٣.

(٣) هو يزيد بن عُبيد وقيل يزيد بن أبي عُبيد، انتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم، وأصله من سليم، وبنو سعد أظَّارَ رسول الله ﷺ حيث أرضعته حليلة السعدية. كان أبو وجزة شاعراً مجيداً، وهو أحد من شُيِّبَ بعجوز وكان من التابعين، روى الحديث عن جماعة من رسول الله ﷺ سكن المدينة، فانقطع إلى آل الزبير، ومات بها سنة (١٣٠ هـ).

انظر ترجمته:

الشعر والشعراء: ٧٠٦/٢ - ٧٠٧، الأغاني: ٢٣٩/١٢ - ٢٥٢، القاموس المحيط: «وجزة» =

أَتَاكَ الْمَجْدُ مِنْ هُنَا وَهُنَا وَكُنْتَ لَهُ كَمُجْتَمِعٍ^(١) السُّيُولِ^(٢)
مع قول منصور النمري^(٣):

(البسيط)

إِنَّ الْمَكَارِمَ^(٤) وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةً أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ^(٥)
مَا تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزَعُ إِذَا ذَكَرْتُ شَبَاباً لَيْسَ يُرْتَجَعُ

وقبل الشاهد:

مُبَاشِرٌ لِأُمُورِ الْمُلْكِ مُبْتَذِلٌ فِيهَا قَرِيحَةً رَأْيٍ مَا بِهِ طَبَعُ
تَهْدِيهِ فِي ظُلُمَاتِ الرَّأْيِ تَحْزُبُهُ^(٦) عَيْنٌ مِنَ الْحَزْمِ مَا فِي مَاقِهَا قَمْعُ

= ٢٠٢/٢، غاية النهاية: ٣٨٢/٢، خزانة الأدب - دار صادر: ١٥٠/٢، الأعلام: ١٨٥/٨.

(١) رواية ديوان المعاني، والدلائل تحقيق شاکر: «بمجمع السيول».

(٢) ديوان المعاني: ٥٩/١.

(٣) هو منصور بن الزبرقان بن سلمة - وقيل منصور بن سلمة بن الزبرقان - بن شريك بن مطعم بن مالك بن سعد بن عامر.

كان منصور شاعراً من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وراويته، وعنه أخذ، ومن بحره استقى، وبمذهبه تشبه.

وقد مدح منصور النمري هارون الرشيد وأعجب بشعره إلا أن بعضهم أثار حفيظة الرشيد عليه فبعث من يقتله فوجده قد توفي.

انظر: الشعر والشعراء: ٨٦٣/٢، الأغاني: ١٤٠/١٣ - ١٥٧. تاريخ بغداد: ٦٥/١٣ - ٦٩، خاص الخاص: ١١٢.

(٤) في إحدى روايات ديوان المعاني روي صدر البيت:

«خليفة الله إن الجود أودية»

(٥) انظر البيت في:

ديوانه: ١٠٠، الأغاني: ١٤٥/١٣، ديوان المعاني: ٢٨/١، ٥٩/١، التمثيل والمحاضرة:

٤٣٥، الإعجاز والإيجاز: ١٦٧، أسالي المرتضى: ٢٧٧/٢، زهر الآداب: ٧٠٣/٣،

تاريخ بغداد: ٦٨/١٣، الحماسة البصرية: ١٤٨/١.

(٦) تحزبته: تشده. القاموس المحيط «حزب»: ٥٦/١.

وبعدهما الشاهد وبعده:

إِذَا رَفَعْتَ امْرَأً قَالَتْ يَرْفَعُهُ^(١) وَمَنْ وَضَعَتْ مِنَ الْأَقْوَامِ يَتَضَعُ^(٢)

الصورة المجتمعة في البيتين هي صورة اجتماع المكارم والمجد في الممدوح بمجتمع السيول. وقد أجاد كل من الشاعرين في إبراز صورته فأبو وجزة جعل المجد شخصاً يمشي ويتحرك، فهو يسعى نحو الممدوح سعياً حثيثاً وينسل إليه طائعاً مختاراً من كل حذب وصوب.

وأنظر إليه وقد ابتدأ البيت بالجملة الفعلية ليدل على شدة الإنسيال وتأمل قوله «وكنث له» والدور الفعال الذي يقوم به الجار والمجرور في الربط بين حلقات البيت حيث أثبت الصلة بين صورة المجد وصورة الممدوح.

أما منصور النمري فبدأ بيته بالجملة الإسمية المؤكدة (بأن) ليؤكد ثبوت ودوام تلك المكارم في الممدوح، وصرح بكونها أودية ليستحضر الخيال غزارة تلك الأودية وامتلاءها، فتقف النفس إجلالاً وإكباراً حين تعلم أن مجتمع هذه المكارم الرفيعة هو الممدوح.

وقوله: «أحلك الله منها» كلام بليغ من حر المديح إذ إنه جعل مجتمع السيول هو مكان الممدوح وحده بلا منازع لأن حلوله كان بأمر من الله والأمر من الله قضاء، وهذا إثبات أن المكارم والمعروف خُصلة جُبِلَ عليها، وأمر فُطِرَ عليه. ومجيء الجار والمجرور «منها» هو مُخِ المعنى ومعقده.

وعبر عن اجتماع تلك المكارم في الممدوح بالجملة الفعلية (حيث تجتمع) ليؤكد تجدد اجتماعها فيه مرة بعد مرة.

الشاهد الثالث والثلاثون بعد الثلاثمائة^(٣):

(البسيط)

قول بشار^(٤):

(١) رواية زهر الآداب والحماسة البصرية: «رافعه».

(٢) رواية الأغاني: «مُتَضِع».

(٣) الدلائل، رضا: ٣٨٦، خفاجي: ٤٥٩، شاعر: ٥٠٤.

(٤) هو له في: أمالي المرتضى، وهو لمسلم بن الوليد في:

١ - الشَّيْبُ (١) كُرَهُ وَكُرَهُ أَنْ يُفَارِقَنِي (٢) أُعْجِبُ (٣) بِشَيْءٍ (٤) عَلَى الْبَغْضَاءِ مَوْدُودٍ (٥)

والشاهد أحد أبيات ثلاثة وهو ثانيها وقبله:

٢ - نَامَ الْعَوَاذِلُ وَاسْتَكْفَيْنَ لِأَيْمَتِي وَقَدْ كَفَاهُنَّ نَهْضُ الْبَيْضِ فِي السُّودِ

= ذيل ديوانه، ديوان المعاني، التشبيهات، التمثيل والمحاضرة، أحسن ما سمعت، زهر الآداب، تاريخ بغداد، سبط اللالي، حماسة ابن الشجري، نهاية الأرب للنويري.

وهو لأبي العتاهية في الفاضل

وذكر في مجموعة المعاني أنها لمسلم بن الوليد، وأنها رويت لبشار أيضاً.

(١) رواية تاريخ بغداد لصدر البيت:

«أكره شيبي وأخشى أن يزايلني»

(٢) رواية المختار من شعر بشار والتشبيهات: «أن تفارقه».

رواية زهر الآداب: «أن أفارقه».

(٣) رواية ديوان المعاني: «أحب».

(٤) رواية أحسن ما سمعت، وزهر الآداب ونهاية الأرب «أعجب لشيء».

(٥) ذيل ديوان صريع الغواني: ٢٩٢، ذكرت الأبيات الثلاثة (أي التي ستذكر بعد الشاهد)،

الفاضل: ٧٥، البيت الأول والثالث.

المختار من شعر بشار: ٢٨٣ البيت الأول.

ديوان المعاني: ١٥٨/٢، البيت الأول فقط.

التشبيهات: ٢٢١ البيت الأول والثالث.

التمثيل والمحاضرة: ٨٢ - ٣٨٧ البيت الأول فقط.

أحسن ما سمعت: ١٢٣ البيت الأول والثالث.

أمالي المرتضى: ٦٠٧/١ البيت الأول والثالث.

زهر الآداب: ٩٧١/٤ البيت الأول والثالث.

تاريخ بغداد: ٩٧/١٣ - ٩٨، الأبيات الثلاثة وذكر البيت الثاني والثالث عن رواية أبي

تمام.

سبط اللالي: ٣٣٤/١، البيت الأول والثالث.

حماسة ابن الشجري: ٢٤٥، البيت الأول والثالث.

نهاية الأرب للنويري: ٢٢/٢، البيت الشاهد فقط، مجموعة المعاني: ١٢٣.

وبعد الشاهد:

٣- يَمْضِي الشَّبَابُ وَقَدْ يَأْتِي لَهُ خَلْفٌ^(١) وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُوداً بِمَفْقُودِ

ولقد استحسّن أبو هلال العسكري بيت الشاهد فقال:

«وذكر مسلم بن الوليد كراهة الشيب وكراهة مفارقتها إذ جاء فأحسن حيث يقول: ... البيت»^(٢).

وكذلك رأى الثعالبي أنه من أحسن ما قيل في الإشفاق من الشيب^(٣) وكذلك رأى ابن الشجري أن مسلماً قد أحسن في بيته هذا^(٤).

مع قول البحتري:

(الوافر)

تَعِيبُ الْغَانِيَاتُ عَلَيَّ شَيْبِي وَمَنْ لِي أَنْ أُمْتَعَ بِالْمَعِيبِ^(٥)

وهو من قصيدة يمدح بها هيثم بن هارون بن المعمر^(٦)، ومطلعها:
أَمِنْكَ تَأَوُّبُ الطَّيْفِ الطُّرُوبِ حَيْبُ جَاءَ يُهْدَى مِنْ حَيْبِ

(١) رواية زهر الآداب «فيأتي بعده بدل».

رواية تاريخ بغداد: «أما الشباب فمفقود له خلف»، ورواية حماسة ابن الشجري ومجموعة المعاني: «يمضي الشباب ويأتي بعده خلف».

(٢) ديوان المعاني: ١٥٨/٢.

(٣) أحسن ما سمعت: ١٢٣.

(٤) حماسة ابن الشجري: ٢٤٥.

(٥) ديوانه - بيروت -: ٤٤٠/١، ديوانه - صيرفي -: ٩٩/١، الشهاب في الشيب والشباب:

١٦.

(٦) جاء في تحقيق الديوان - صيرفي -:

«والهيثم بن عبد الله بن المعمر التغلبي، ثم العدوي قلده أساتكين سنة (٢٦١ هـ) الموصل، وأرسل إليه الخلع واللواء، وكان بديار ربيعة متوليها بعد موت إسحاق بن أيوب سنة (٢٨٧ هـ) فجمع جموعاً كبيرة وسار إلى الموصل، ونزل بالجانب الغربي وزحف إلى باب البلد، فخرج له أهلها فقاتلوه حتى عاد عنها: ٩٨/١. ويبدو لي أن محقق الديوان خلط =

وقبل الشاهد:

أَقُولُ لِمَلَّتِي^(١) إِذْ أُسْرَعْتُ بِي إِلَى الشَّيْبِ اخْسَرِي فِيهِ وَخِيبِي
مُخَالَفَةً بِضَرْبٍ بَعْدَ ضَرْبٍ وَمَا أَنَا وَأَخْتِلَافَاتِ الضُّرُوبِ
وَكَانَ حَدِيثُهَا فِيهَا غَرِيباً فَصَارَ قَدِيمُهَا حَقُّ الْغَرِيبِ

وبعد الشاهد:

وَوَجَدِي بِالشَّبَابِ وَإِنْ تَقْضَى^(٢) حَمِيداً دُونَ وَجْدِي بِالمَشْيِبِ

المعنى الجامع بين الشاهدين كراهة الشيب مع محبته. وإذا تأملنا الشاهدين وجدنا أن كلا من الشاعرين قد تناول هذا المعنى بصورة تختلف عن صورة الآخر.

فبشار ابتداء بيته بجملة خبرية «الشيب كره» أعلن بها حقيقة شعوره نحو الشيب الذي هو رمز أقول الشباب، وهذا الخبر على عظمه جاء خالياً من ضروب التوكيد، لأنه حقيقة مسلم بها عند الشاعر.

وإنني لأسمع رنات الأسى والتحسر ترن في جوانب هذا الخبر إلا أن الشاعر فاجئنا بخبر آخر تعجب له النفس، فأخبرنا أنه على كرهه للشيب يكره أن يفارقه، وجاء بالواو، ووصل بين الجملتين ليزيد النفس عجباً، فهو قد جعلهما كأنهما جملة واحدة على الرغم مما بينهما من تضاد، وهذا التضاد له طعنة حسنة في النفس لما أثاره فيها من التعجب، ثم جاء بقوله (أعجب) بصيغة الأمر ليوقف معنى العجب في النفس.

= بين عبد الله بن الهيثم «الابن» وبين الهيثم بن عبد الله «الأب»، فالذي وجدته في تاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير أن الذي تولى أمر ديار ربيعة بعد وفاة إسحاق بن أيوب سنة (٢٨٧ هـ) هو عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعمر «المعتمر».

انظر تاريخ الطبري: ٧٦/١٠، والكامل لابن الأثير: ٩٨/٦.

(١) لمتي: اللمة: شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة، وفي الصحاح: الشعر يجاوز شحمة الأذن.

الصحاح: «لمم»: ٢٠٣٢/٥. اللسان: «لمم»: ٥٥١/١٢.

(٢) رواية الديوان - صيرفي -: «وإن تَوَلَّى».

ونكر لفظ «شيء» ليولد في الخيال نوعاً من الغموض المثير للعجب، ثم أعلن أن هذا الشيء على بغضه وكرهه مودود محبوب.

أما البحثري فقد جعل الشيب عيباً تغيره به الغانيات وهذا أوجع في النفس وأشد إيلاماً لها؛ لأن في مجيء صورة الغانيات، تذكيراً بأيام الشباب، وهذا التذكير يبعث الحسرة في النفس، إلا أن الشاعر يفاجئنا بجعل هذا العيب وما يصدر عنه من آلام أجمل ما يتمتع به الإنسان، وهو غاية ما يتمناه ويرجوه، وانظر كيف صور كره مفارقة الشيب بقوله: «من لي» وهو استفهام يحمل معنى التمني والترجي وبني الفعل «أمتع» للمجهول ليبالغ في عظم ذلك التمتع.

الشاهد الرابع والثلاثون بعد الثلاثمائة^(١):
(المنسرح)

وقول أبي تمام:

يَسْتَأْفَهُ مِنْ كَمَالِهِ غَدُهُ وَيُكْثِرُ الْوَجْدَ نَحْوَهُ الْأَمْسُ^(٢)

وهو من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب^(٣)، ومطلعها:

هَلْ أَثَرٌ مِنْ دِسَارِهِمْ دَعَسُ^(٤) حَيْثُ تَلَاقَى الْأَجْرَاعُ^(٥) وَالْوَعَسُ^(٦)

وقبل الشاهد:

أَرْوَعُ^(٧) لَا مِنْ رِيَاكِهِ الْحَرْجَفُ^(٨) الـ صِرُّ^(٩) وَلَا مِنْ نُجُومِهِ النَّحْسُ

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٦، خفاجي: ٤٥٩، شاکر: ٥٠٤.

(٢) ديوانه - بشرح الخطيب التبريزي -: ٢٣٢/٢، ديوانه - دار صعب -: ١٤٨.

(٣) سبقت ترجمته: ص ٨٦٠.

(٤) الدعس: الكثير الواضح من الآثار. القاموس المحيط «دعس»: ٢٢٣/٢.

(٥) الأجراع: الرملة الطيبة المنبت، أو الكثيب جانب منه رمل، وجانب حجارة كالأجرع والجرعاء. القاموس المحيط «جرع»: ١٢/٣.

(٦) الوعس: السهل اللين من الرمل. اللسان «وعس»: ٢٥٦/٦.

(٧) أروع: الأروع من يُعجبك بحسنه، وجهارة منظره، أو بشجاعته كالرائع. القاموس المحيط «روع»: ٣٣/٣.

(٨) الحرجف: الريح الباردة الشديدة الهبوب. القاموس المحيط «حرجف»: ١٣٠/٣.

(٩) الصر: الباردة الشديدة الصوت. القاموس المحيط «صر»: ٧١/٢.

وبعد الشاهد:

رَدِّي لِطَرْفِي عَنْ وَجْهِهِ زَمَنٌ وَسَاعَتِي مِنْ فَرَاقِهِ حَرْسٌ^(١)

مع قول ابن الرومي:

(الطويل)

إِمَامٌ يَظَلُّ الْأَمْسُ يُعْمِلُ نَحْوَهُ تَلَفَتْ^(٢) مَلْهُوفٍ وَيَشْتَاقُهُ الْغَدُ^(٣)

والشاهد ثالث أبيات أربعة، قالها في مدح المعتضد بالله^(٤).

وقبل الشاهد:

هَنِيئاً بَنِي الْعَبَّاسِ إِنَّ إِمَامَكُمْ إِمَامُ الْهُدَى وَالْجُودِ وَالْبَاسِ^(٥) أَحْمَدُ
كَمَا بِأَيِّ الْعَبَّاسِ أَنْشِئَ مُلْكُكُمْ كَذَا بِأَيِّ الْعَبَّاسِ مِنْكُمْ يُجَدِّدُ

وبعدهما الشاهد وبعده:

يَوَدُّ الزَّمَانُ الْمُنْقِضِي عَنْهُ أَنَّهُ عَلَيْهِ لِزَامٌ آخِرَ الدُّهْرِ سَرْمَدُ

فالصورة الجامعة بين الشاهدين هي اشتياق الغد للممدوح، وتذكر الأمس

له.

(١) الحَرْسُ: الدهر. القاموس المحيط «حرس»: ٢/٢١٤.

(٢) رواية تاريخ الخلفاء: «تلهف».

(٣) انظر البيت في:

ديوانه - مطبعة دار الكتب -: ٢/٦٦٠، تاريخ الخلفاء: ٣٦٩.

(٤) هو أحمد أبو العباس، ابن ولي العهد موفق طليحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد (٢٤٢ هـ - نحو ٢٨٩ هـ)، أمه أم ولد اسمها «صواب» وقيل «حز» وقيل «ضرار»، كان ملكاً شجاعاً مهيباً ظاهر الجبروت، وافر العقل، شديد الوطأة، وكان يسمى السُّفاح الثاني؛ لأنه جدد ملك بني العباس.

انظر: تاريخ الطبري: ٩/٥٣٠، ٥٤٠، ٥٤٤، ٥٥٧ - ٦٦٣، ١٠/١٠، ٨، ٩، ١٥،

٢٠ - ٢٢، ٢٨ - ٨٩، ٩٤، ١٢٨، ١٣٣، الفخري في الأدب السلطانية: ٢٥٦، مروج

الذهب: ٢٢٩ - ٢٧٤، التنبيه والإشراف: ٣٣٦، تاريخ الخلفاء: ٣٦٨ - ٣٧٥.

(٥) رواية تاريخ الخلفاء: «والباس والجود أحمد»

فأبو تمام وابن الرومي صوروا الغد بصورة واحدة، وهي صورة المشتاق، إلا أن أبا تمام زاد على الآخر بقوله:

«مِنْ كَمَالِهِ»، وفي هذا إشادة بالممدوح.

أما تذكر الأمس له، فأبو تمام جعل الأمس إنساناً كثير الوجد، وهي صورة لطيفة، ولكن صورة ابن الرومي كانت أكثر لطافة، فهو لم يكتف بأن جعل الأمس إنساناً كثير الوجد، بل صور آثار ذلك الوجد، فجعله إنساناً دائم التلفت كثيره، ثم أضاف هذا التلفت إلى كلمة «ملهوف»، وفي هذا ما فيه من الدلالة على عظم الشوق، والبراعة في تجسيد تبايرح الوجد.

قال الشيخ عبد القاهر:

«لا تنظر إلى أنه قال: «يشتاقه الغد»، فأعاد لفظ أبي تمام، ولكن انظر إلى قوله:

«يُعْمِلُ نَحْوَهُ تَلَفَتْ مَلْهُوفٍ»^(١).

الشاهد الخامس والثلاثون بعد الثلاثمائة^(٢):
(الطويل)

وقول أبي تمام:

لَيْتَ^(٣) دَمَّتِ الْأَعْدَاءُ سُوءَ صَبَاحِهَا فَلَيْسَ يُؤَدِّي شُكْرُهَا الذُّبُّ وَالنَّسْرُ^(٤)

وهو من قصيدة قالها يفخر بقومه عند انصرافه من مصر^(٥).

وقبل الشاهد:

ضَبِيْبَةٌ^(٦) مَا إِنْ تُحَدِّثُ أَنْفُسًا بِمَا خَلَفَهَا مَا دَامَ قُدَامُهَا وَتُرُ^(٧)

(١) الدلائل: شاکر: ٥٠٤.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٨٦، خفاجي: ٤٥٩، شاکر: ٥٠٤.

(٣) رواية الديوان بشرح الخطيب، والديوان - دار صعب -: «فَإِنْ دَمَّتْ».

(٤) الديوان بشرح الخطيب التبريزي: ٥٧٧/٤، الديوان - دار صعب -: ٤٢٤، الموازنة:

١٢٢.

(٥) سبق ذكر مطلعها: ١٠٠١، من البحث.

(٦) ضبيبة: منسوبة إلى الضبيب، وهو فرس كان لرجل من طيء حمل عليه بعض ملوك =

وبعد الشاهد:

بِهَا عَرَفْتُ أَقْدَارَهَا بَعْدَ جَهْلِهَا بِأَقْدَارِهَا قَيْسُ بْنُ عِيْلَانَ وَالْفِرَزُ^(١)

ذكر الآمدى أن هناك من يقول بأن بيت أبي تمام مأخوذ من قول مسلم بن الوليد:

لَوْ حَاكَمْتِكَ فَطَالَبْتُكَ بِذَخْلِهَا شَهِدْتُ عَلَيْكَ ثَعَالِبٌ وَنُسُورُ

وهو يرى غير ذلك؛ لأن المعنيين مختلفان، فمسلم أراد أن يقول لممدوحه: لو حاكمتك - الفرقة والعُصب التي لقيتك - بثأر من قَتَلَتْ منها لشهدت عليك الثعالب والنسور.

أما أبو تمام، فقال على سبيل الاستهزاء:

لئن ذمت الأعداء سوء صباحها فليس يؤدِّي الذئب والنسر شكرها لكثرة ما أكلا منها، وهذا المعنى غير ذاك^(٢).

مع قول المتنبي:

(المتقارب)

وَأَنْبَتُ^(٣) مِنْهُمْ رَبِيعَ السَّبَاعِ فَأَنْتَ بِإِحْسَانِكَ الشَّامِلِ^(٤)

= الفرس، وذلك أنه كان معه في حرب، فهزم ذلك الملك، وَقَصَّرَ فرسه، فحملة الطائي على الضبيب، فعرف له الملك ذلك، وأقطعته مواضع بالسواد.

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ٥٧٧/٤.

(٧) الوتر: الظلم. القاموس المحيط «وتر»: ١٥٧/٢.

(١) الفرز: سعد بن زيد مناة بن تميم سموا بذلك؛ لأن أباهم سعداً كان له قطيع من معز فجاء به إلى الحرم، فأنبهه الناس، فقالوا في المثل: لا أفعل ذلك حتى يجتمع مِعْزَى الْفِرَزِ.

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ٥٧٧/٤.

(٢) انظر: الموازنة - تحقيق محيي الدين عبد الحميد -: ١٢٢.

(٣) رواية الديوان بشرح العكبري: «فأنبت منهم».

(٤) انظر البيت في: =

وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة، ويذكر استنفاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان العدوي من أسر الخارجي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، ومطلعها:

إِلَّامَ طَمَاعِيَةِ الْعَاذِلِ وَلَا رَأْيَ فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ

وقبل الشاهد:

تَرَكْتُ جَمَاجِمَهُمْ فِي النَّقَا وَمَا يَتَخَلَّصَنَّ لِلنَّاحِلِ

وبعد الشاهد:

وَعُدْتُ إِلَى حَلَبٍ ظَافِرًا كَعَوْدِ الْحُلِيِّ إِلَى الْعَاطِلِ^(١)

ومعنى البيت كما ذكره العكبري:

«يقول: لو قدرت السباع على النطق، لأثنت بما شملها من إحسانك بكثرة القتلى، فكأنك بما أوليتها من لحوم القتلى أنبت لها ربيعاً، وهذا ترشيح للاستعارة، بأن السباع لا تأكل الحشيش، ولما استعار الربيع، استعار النبت له. والمعنى: أنبت من أجسادهم ربيع السباع، فأخصبت في لحومها إخصاب السائمة في ربيعها، فأثنت بما عمها من فضلك، وشملها من إحسانك».

ورأى العكبري أن هذا البيت من إحسان الكلام، وهو مبني على الاستعارة، ومثله قوله:

وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ وَمِنْ جُثْبِ الْقَتْلِ عَلَيْهَا تَمَائِمُ

فالصورة المشتركة في البيتين هي كثرة القتلى، وشكر الذئاب والسباع. فأبو تمام عبر عن كثرة القتلى بالمعنى الكنائي، وفي هذا ما يثير الفكر، ويحرك الخيال، فقله: «لئن ذمت الأعداء سوء صباحها» صورة حية لحالة الأعداء، وهم يسخطون، ويدمون، ويندبون ذلك الصباح لكثرة ما رأوا فيه من قتلاهم.

ثم أكد هذا المعنى بصورة أخرى فقال: «فليس يؤدي شكرها الذئب

= الذبيان بشرح العكبري: ٣١/٣، العرف الطيب: ٣٧٦/٤.

(١) المرأة التي لا حلي لها. القاموس المحيط «عطل»: ١٧/٤.

والنسر»، فجعل الذئب والنسر يعجزان عن شكر تلك الليلة، لكثرة ما أكلوا من لحوم الأعداء.

أما المتنبي فاخترع صورة أعمق، وأدق، تجعل المتأمل لها يقف مندهشاً من كثرة القتلى، فجاء بصورة الربيع، وما فيه من كثرة الإنبات والإخضرار، فجعل القتلى ربيعاً يخصب أجسام السباع كما يخصب الربيع أجسام السائمة.

وصورة الإنبات التي أتى بها، وإن كانت صورة معهودة إلا أنه صاغها صياغة أخرجتها في أبهى حللها، فالجار والمجرور في قوله: «أُنبتُ منهم» صَوَّرَ تمكن الممدوح من الأعداء، وأثبت ضعفهم وتخاذلهم أمام قوته وسطوته.

وانظر إلى الإضافة في قوله: (ربيع السباع) وكيف أضفت على الصورة نوعاً من الغرابة واللطافة وجعلتها من الاستعارات الخاصة النادرة، واختيار المتنبي للسباع أكثر خدمة للصورة وأدل على كثرة القتلى؛ لأن السباع أكثر الحيوانات افتراساً، وأشدّها حاجة للحوم.

وتأمل «الفاء» في قوله: «فأُنبت» وكيف دلت على سرور تلك السباع لإحساسها بالشبع، فأسرعت بالشناء على الممدوح.

وفي وصف الإحسان بكونه شاملاً دليل على عظم ذلك الممدوح.

الشاهد السادس والثلاثون بعد الثلاثمائة^(١): (البسيط)

وقول أبي تمام:

وَرُبَّ نَائِي الْمَعَانِي رُوحُهُ أَبَدًا لَصِيقُ رُوجِي وَدَانٍ لَيْسَ بِالدَّانِي^(٢)

وهو من قصيدة يمدح بها سليمان بن وهب^(٣)، ويشفع في رجل يُقال له سليمان بن رزين ابن أخ دُعبل الخُزاعي: ومطلعها:

(١) الدلائل: شاکر: ٥٠٥.

(٢) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ٣/٣٣٥.

ديوان أبي تمام - دار صعب -: ٢٩٥.

(٣) هو سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي، أبو أيوب أحد كتاب الدنيا ورؤسائها فضلاً =

إِنَّ الْأَمِيرَ جَمَامَ الْجَارِمِ الْجَانِي وَمُسْتَرَادٌ^(١) أَمَانِي الْمُؤْتَقِ الْعَانِي

وقبل الشاهد:

عَصَابَةٌ جَاوَرَتْ آدَابُهُمْ أَدَبِي فَهُمْ وَإِنْ فُرُقُوا فِي الْأَرْضِ جِيرَانِي
أَرْوَاحُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَعَدَتْ أَبْدَانُنَا فِي شَامٍ أَوْ خُرَاسَانٍ

وبعدهما الشاهد وي بعده:

أَفِي أَخٍ لِي فَرْدٍ لَا قَسِيمَ لَهُ فِي خَالِصِ الْوُدِّ مِنْ سِرِّي وَإِعْلَانِي
لَنَا وَلَأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ تَلَاقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلَاقَى^(٢) (الوافر)

وهو من قصيدته التي مدح بها سيف الدولة حين أمر له بفرس وجارية ومطلع القصيدة، وهو البيت الذي قبل الشاهد:

أَيَذْرِي الرَّبْعُ أَيَّ دَمٍ أَرَاكَ وَأَيَّ قُلُوبٍ هَذَا الرُّكْبُ شَاقَا
وبعده الشاهد وي بعده:

وَمَا عَفَتْ الرِّيحُ لَهُ مَحَلًّا عَفَاءُ مَنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقَا
ومعنى الشاهد:

يقول أن لنا وللراجلين من أهل هذا الربع قلوباً تتلاقى على الدوام، بما

= وأدباً وكتابة، وأحد عقلاء العالم وذوي الرأي منهم، كتب للمأمون وهو حدث صغير، وتولى خراج مصر سنة (٢٤٢ هـ)، وولي الوزارة للمعتز وللمهتدي ثم للمعتز سنة (٢٦٣ هـ)، ونقم عليه الموفق فحبسه في سنة (٢٦٥ هـ) هو وابنه عبيد الله، وأخذ أموالهما وعقارهما، ثم صولحا على تسعمائة ألف دينار، ثم نقم عليه مرة أخرى فحبسه، فمات في حبسه سنة (٢٧٢ هـ).

(١) المستراد: المكان الذي يزناده الرجل ويجول فيه. القاموس المحيط «رود»: ٣٠٧/١.

انظر: الطبري: ٥٤٠/٩، الفخري في الآداب السلطانية: ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩ - ٢٥٢، ٢٥٤، الوزراء والكتاب: ١٣٤، وفيات الأعيان: ٤١٥/٢.

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٢٩٤/٢، العرف الطيب: ٩٣/٤.

هي عليه من الشوق والحنين والتذكار لسالف العهد، وأيام الوصال، على الرغم من تباعد الأجساد، وعدم تلاقيها^(١).

ورأى العكبري أنه منقول من قول ابن المعتز:
إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنَلْتَقِيَ بِالدُّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ^(٢)
المعنى الجامع بين الشاهدين هو قُرب الأرواح مع بُعد الأجساد، وإذا تأملنا
كلًّا من الصورتين، وجدنا أن أبا تمام قد بدأ بيته بقوله: «ورب نائي المغاني»
فجاء برُبٍّ مع ذكر ثنائي الديار وبعدها ليزيد في النفس صورة البُعد بعداً، فهذا
الإغراق في البعد إنما هو تصوير لوحشة نفسه التي ما تلبث أن تفيض حيناً لأهل
تلك المغاني.

وقوله «أبدأ» لفظة نفيسة صورت حركة الحنين والشوق الدائبة في نفسه.
وهذا التضاد في قوله: «ودان ليس بالداني» إنما هو وليد ذلك التنازع
الناشب في صدره بين البُعد والحنين.

وإذا تأملنا صورة المتنبي وجدناها تجيش بألوان الحس والشعور، انظر إليه
كيف نكر المسند إليه «قلوب» ليظهر شفافية تلك القلوب، الجياشة بالعواطف،
وكانها قلوب من نوع خاص، وقصر هذه القلوب على كونها له ولأهل تلك
الديار، بتقديم المسند الجار والمجرور على (قلوب)؛ ليؤكد أن هذه القلوب
فريدة في عاطفتها لا يملكها كل أحد.

وانظر إلى (واو) العطف، وكيف كشفت عن ذلك الرباط المتين بين
الشاعر، وأهل تلك الديار.

وتأمل لفظ «تلاقي» وما فيه من تشخيص حيٍّ لإلحاح الشوق والحنين،
وقوله «تلاقي» بدلاً من «تتلاقى» مع تقييده بكونه «في جسوم» أظهر أن ذلك اللقاء
إنما هو لقاء معنوي لا حسي يتم في عالم الروح.

(١) التبيان للعكبري: ٢٩٤/٢.

(٢) ديوانه: ٣٣٧.

وأنظر إليه كيف فصل بين المسند والمسند إليه بقوله: «أبدأ» ليؤكد دوام ذلك التلاقي الروحي واستمراره.

وانصت إلى النفي في قوله: «ما تلاقى» لتسمع دندنات الشوق واللوعة لتلك النفس الحزينة اللاهقة.

الشاهد السابع والثلاثون بعد الثلاثمائة^(١):
(الرمل)

وقول أبي هِفَّان^(٢):

أَصْبَحَ الدُّهْرُ مُسِيئاً كُلُّهُ مَا لَهُ إِلَّا آتِنَ يَحْيَى حَسَنَةً^(٣)
مع قول المتنبي:

(الطويل)

أَزَالَتْ بِكَ الْأَيَّامُ عَتِي كَأَنَّمَا بُنُوها لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُذْرٌ^(٤)

وهو من قصيدة يمدح بها علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي^(٥) مطلعها:

أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدُّهْرُ وَجِيداً وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٧، خفاجي: ٤٦٠، شاکر: ٥٠٥.

(٢) هو عبد الله بن أحمد بن حرب المهزبي العبيدي الخرنوبي، راوية، عالم بالشعر والأدب،

شعره جيد إلا أنه مُقِلٌّ، من أهل البصرة، سكن بغداد: وأخذ عن الأصمعي وغيره، وكان

متهتكاً فقيراً يلبس ما لا يكاد يستر جسده، له «أخبار الشعراء» و«صناعة الشعر» و«أخبار

أبي نواس»، مات سنة سبع وخمسين ومائتين من الهجرة.

انظر: تاريخ بغداد: ٣٧٠/٩، لسان الميزان: ٢٤٩/٣، سمط اللالي: ٣٣٥، بغية الوعاة:

٣١/٢، الأعلام: ٦٥/٤.

(٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

الوساطة: ٢٣٢، التبيان: ١٥٩/٢.

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري: ١٥٩/٢، العرف الطيب: ٦٧/٣، الوساطة:

٢٣٢، الإبانة عن سرقات المتنبي: ١٣٦.

(٥) لم أقف على ترجمة له بغد.

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقوله:
وَإِنِّي وَإِنْ نِلْتِ السَّمَاءَ لَعَالِمٌ بِأَنَّكَ مَا نِلْتِ الَّذِي يُوجِبُ الْقَدْرُ
ومعنى الشاهد:

«يقول: الأيام لها إساءات كثيرة، فلما سمحت بمثلك زال عتبي عليها،
فكانها أتت بك عذراً»^(١).

ذكر العكبري أن معنى المصراع الأول من الشاهد مأخوذ من قول حبيب
«أبي تمام»:

نَوَالِكَ رَدُّ حُسَايِ فُلُولًا وَأَصْلَحَ بَيْنَ أَيَّامِي وَبَيْنِي^(٢)

والمصراع الثاني من الشاهد من قوله:
كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وَقَدْ يُرَى بِنَدَاكَ وَهُوَ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبٌ^(٣)

ومثله لابن الرومي:
أَنْتُمْ أَنْاسٌ بِأَيَادِيكُمْ يُسْتَعْتَبُ^(٤) الدَّهْرُ إِذَا أَذْنَبَا
إِذَا جَنَى الدَّهْرُ عَلَى أَهْلِهِ وَزَادَ فِي عَذْلِكُمْ^(٥) أَعْتَبَا^(٦)

ولأبي نواس:
يَرْمِي إِلَيْكَ بِهَا بَنُوا أَمَلٍ عَتَبُوا فَأَعْتَبَهُمْ بِكَ الدَّهْرُ^(٧)

المعنى الجامع بين البيتين أنه لا خير في الدهر إلا وجود الممدوح. وقد
اعتمد كل من الشاعرين على صورة واحدة هي صورة إساءة الدهر، ومحو

(١) التبيان للعكبري: ١٥٩/٢.

(٢) التبيان: ١٥٩/٢، ديوانه بشرح التبريزي: ٣٠٧/٣.

(٣) التبيان للعكبري: ١٥٩/٢، ديوانه - دار صعب -: ٣٢.

(٤) رواية الديوان: «يستغفر».

(٥) رواية الديوان: «عذتكم».

(٦) التبيان للعكبري: ١٥٩/٢، ديوانه: ٢٣٣/١.

(٧) التبيان للعكبري: ١٥٩/٢، ديوانه: ٤٧٩.

الممدوح لتلك الإساءة فأبو هفان جاء بالصورة مؤكدة حيث أعلن أن الدهر كله إساءات، وجاء بلفظ (كُلُّهُ) عقب الجملة ليؤكد شمول وعموم تلك الإساءات، وبعد أن أكد هذا المعنى في الأذهان جاء بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، وانظر إلى تركيب هذا القصر، وكيف زاد الأسلوب تأكيداً على تأكيد، ومكّن المعنى وقرره في النفس، حيث قدم المسند الجار والمجرور (له) على المسند إليه «حَسَنَةً»، وقدم المقصور عليه (ابن يحيى) على المقصور «حسنة» وقصر الحسنة على (ابن يحيى) وحده ونفاها عن جميع ما عداه مبالغة وادعاء.

أما المتنبي فنراه عائباً لائماً للأيام لكثرة إساءتها، ولم تجد الأيام ما تزيل به عتبه ولومه إلا ذلك الممدوح، ولم يكتف المتنبي بهذا المعنى بل جاء بصورة حية تبرز حسن أخلاق ذلك الممدوح، وعظيم فضله، فصنع من الدنيا أمّا عَقَّها بنوها جميعهم إلا ابناً واحداً، ولك أن تتصور حالة هذه الأم التي أفنت ربيع أيامها في تربية هؤلاء الأبناء ثم تُكافأ بالعقوق، فإذا ما تصورت هذا المعنى وامتألت به نفسك، فما ظنك بها حين تجد بعد هذا العقوق ابناً باراً يخلص لها الطاعة ويدين لها بالبر، وما عساها أن تكون مكانته في نفسها؟

وانظر إلى الجار والمجرور، والدور العظيم الذي قام به في إبراز المعنى، فقلوه: «أزالت بك» أضفى على الإزالة معنى القوة، والذهاب التام، وأرجع للممدوح وحده فضل تلك القوة، وفضل تلك الإزالة، فالباء هنا دلت على استعانتها به ولجوئها إليه.

وتأمل كذلك قوله: «بنوها لها ذنب» وما فيه من معنى العقوق التام، والأسف والحسرة على هؤلاء الأبناء.

وانظر إلى قوله: «وأنت لها عذر» وما يحمله من معنى الرضى والطاعة والاستبشار والفرح بذلك الابن البار.

وقول علي بن جبلة^(٢):

وَأَرَى اللَّيَالِي مَا طَوَتْ مِنْ قُوَّتِي^(٣) رَدَّتْهُ^(٤) فِي عِظْتِي^(٥) وَفِي إِفْهَامِي^(٦)

والشاهد أول بيتين وثانيهما:

وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَرَّةَ مِنْ سُنَنِ الرَّدَى حَيْثُ الرَّمِيَّةُ مِنْ سِهَامِ الرَّامِي^(٧)

مع قول ابن المعتز:

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٧، خفاجي: ٤٦٠، شاکر: ٥٠٥.

(٢) هو علي بن جبلة بن عبد الله - وفي تاريخ بغداد - بن مسلم بن عبد الرحمن ويكنى أبا الحسن ويلقب بالعكوك، من أبناء الشيعة الخراسانية من أهل بغداد، وبها نشأ، وولد بالحرية من الجانب الغربي، كان ضريراً كَفَّ بصره بالجدي وهو ابن سبع سنين. وقيل كان أكمه، كان من الموالي، وكان أسود أبرص، وهو شاعر مطبوع، عذب اللفظ جزله، لطيف المعاني، مَذَّاح حسن التصرف جيد المدح وصاف محسن، مدح المأمون، وحميد بن عبد الحميد الطوسي وأكثر من مدح أبي ذلف العجلي والحسن بن سهل قال عنه الجاحظ: «كان أحسن خلق الله إنشاداً، ما رأيت مثله بدويّاً ولا حضريّاً». ولد سنة (١٦٠ هـ) وتوفي بمدينة السلام، وقيل قتله المأمون سنة (٢١٣ هـ).

انظر ترجمته:

البرصان والعرجان: ٨٦ - ٨٧، الشعر والشعراء: ٨٦٨/٢ - ٨٧٢، طبقات ابن المعتز: ١٧٠ - ١٨٥، الورقة: ١٠٦، الأغاني: ١٤/٢٠ - ٤٢، تاريخ بغداد: ٣٥٩/١١، وفيات الأعيان: ٣٥٠/٣، رقم ٤٦١، نكت الهميان: ٢٠٩ - ٢١٠، شذرات الذهب: ٣٠/٢.

(٣) رواية التمثيل والمحاضرة: «من شِرتي».

والشِّرة: النشاط والرغبة، وشِرة الشباب حرصه ونشاطه. اللسان «شور»: ٤٠١/٤.

(٤) رواية الديوان: «زادته».

(٥) رواية الديوان: «في عقلي».

(٦) لم أجده إلا في:

ديوانه: ١٠٤، الوساطة، ٢٤٥، التمثيل والمحاضرة: ٨٧، نهاية الأرب: ٨٩/٣، التبيان:

١٧٠/١.

(٧) ديوانه: ١٠٤، التمثيل والمحاضرة: ٨٧، نهاية الأرب: ٨٩/٣.

(المتقارب)

وَمَا يُتَقَصُّ مِنْ شَبَابِ الرِّجَالِ (م) يَزِدُّ فِي نَهَاها وَالْبَابِهَا^(٧)

وهو من قصيدة يفتخر بها مطلعها:

أَلَا مَنْ لِعَيْنٍ وَتَسْكَابِهَا تَشْكِي الْقَدَى وَيُكَاهَا بِهَا

وقبل الشاهد:

فَإِنْ فُرْصَةً أُمَكَّنْتُ فِي الْعَدِّ وَفَلَا تُبْدِ فِعْلَكَ إِلَّا بِهَا
فَإِنْ لَمْ تَلِجْ بَابَهَا مُسْرِعاً أَتَاكَ عَدُوُّكَ مِنْ بَابِهَا

وبعدهما الشاهد وبعده:

وقد أَرَجَلُ الْعَيْسِ فِي مَهْمَةٍ تَفْصُ الرِّحَالُ بِأَصْلَابِهَا

وقد أخذ المتنبي هذا المعنى فقلبه، وقال:

لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذْتُ مِنِّي بِحِلْمِي الَّذِي أُعْطْتُ وَتَجَرَّبِي^(٨)

المعنى العام في الشاهدين: أن قَدَمَ السن يزيد الإنسان حكمة، وخبرة. وإذا تأملنا الشاهدين، وجدنا أن كلا من الشاعرين صاغ المعنى صياغة حسنة جيدة.

فصورة علي بن جبلة تولدت عن نفس تتفجر نفاجة واقتداراً، فهو قوي دائم العطاء في شبته وشبابه، انظر إليه كيف استطاع أن يثبت قوته عن طريق صورة الضعف التي تعترى الإنسان في كبره، فَصَوَّرَ ذهاب القوة الجسدية بالشوب المطوي، وأسند فعل الطي إلى الليالي ليشير إلى سرعة انصرام الزمان، وكأنه ينبه الإنسان إلى الحقيقة الأزلية وهي ضعف الإنسان.

إلا أن هذا الضعف الذي يصيب الخلق عامة يتحول عند الشاعر إلى صورة من القوة عجيبة. انظر إليه كيف صور هذا التحول، وكأنه حقيقة مشاهدة، فلجأ

(١) ديوانه: ٣١، الوساطة: ٢٤٥، التبيان: ١٧٠/١.

إلى أسلوب الالتفات، فعبّر عن الماضي بالمضارع (أرى). فالموقف عنده موقف تحدّد مع الأيام، فهو يريد أن يثبت أن قوته قوة غريبة لذا استحضرها، وجعلها حية متحركة ليراها من يسمعه من خلال هذا التحول في الفعل الذي استطاع أن ينقل الحدث من واقعه الذي مضى إلى مقام الحضور، وهذا الأسلوب أشدّ تأكيداً، وأشدّ تخيلاً، وأنظر إليه كيف ركّب المعنى على الشرط وجوابه (ما طوت - رده) مع عقْد الطباق بين الفعل والجواب، ليؤكد أن ما أخذته الأيام من قوته الجسميّة، رده في عظته وفهمه.

وكذلك نجد بيت ابن المعتز يحتوي على دقائق نفيسة منها: بناء الفعل «يُنْتَقَص» للمجهول مع زيادة في مبناه، فدل بذلك على سرعة انقضاء الشباب، وفي هذا تنبيه للإنسان من الغفلة التي تصيبه في هذه الفترة وقوله: «من شباب الرجال» كناية عن القوة، وإضافة الشباب إلى الرجال مبالغة في تجسيد تلك القوة.

وهذا أبلغ من التصريح في بيت الأول «من قوتي»، والشاعر بنى بيته أيضاً على الشرط وجوابه مع عقد الطباق بين الفعل والجواب (يُنْتَقَص - يزد)، وهذا أشدّ تحريكاً للخيال، وأبلغ تصويراً للمعنى.

الشاهد التاسع والثلاثون بعد الثلاثمائة^(١):
(الطويل)

وقول بكر بن النطاح^(٢):
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ^(٣) فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ^(٤) لَجَادَ بِهَا فَلَيُتَّقِيَ اللَّهَ سَائِلُهُ^(٥)

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٧، خفاجي: ٤٦٠، شاکر: ٥٠٦.

(٢) وهو له في:

محاضرات الأدباء، الإنابة عن سرقات المتنبي، التبيان للعكبري.
وقد سبقت ترجمة بكر بن النطاح: ٤٣٩، وهو لأبي تمام في: ديوان المعاني، التمثيل والمحاضرة، شرح المضمون به على غير أهله، خزانة البغدادي.
وجاء في الوساطة أنه يروى لبكر بن النطاح وقد دخل في شعر أبي تمام. وهو في العمدة لزياد الأعجم، أو لأخت يزيد بن الطثرية، وقد استحلفه أبو تمام في شعره.

(٣) يروى «يكن» بالياء «وتكن» بالتاء.

ذكر العميدي أن بكر بن النطاح قال البيت في أبي دلف العجلي حين كان يقوم على خدمته.

وقبل الشاهد:

هُوَ الِيمٌ^(١) مِنْ أَيِّ النَّوَاجِي أَتَيْتُهُ فَلَجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهُ

وبعدهما الشاهد وبعده:

عَطَاءٌ لَوْ اسْطَاعَ الَّذِي يَسْتَمِيحُهُ لِأَصْبَحَ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى هُوَ عَاذِلُهُ

وقد أخذ أبو الطيب معنى الشاهد فقال:

يَا أَيُّهَا الْمُجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ إِذْ لَيْسَ يَأْتِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاءُ
أَحْمَدُ عُفَاتِكَ لَا فَجِئَتْ بِفَقْدِهِمْ فَلَتَرْتُكَ مَا لَمْ يَأْخُذُوا إِعْطَاءُ^(٢)

وعلق القاضي الجرجاني على بيت أبي تمام (أو بكر بن النطاح) وبيتي المتنبي بقوله:

(٤) رواية الوساطة: «نفسه»، وكذلك رواية ديوان المعاني، والعمدة، وشرح شواهد المغني، وخزانة الأدب للبغدادي.

(٥) شعره «شعراء مقلون»: ٣٦٠.

ديوان أبي تمام بشرح التبريزي: ٢٩/٣، ديوان أبي تمام - دار صعب -: ٢٠٥، المحاسن والمساوي -: ٢٠٨ غير منسوب، الوساطة: ٢١٦، ديوان المعاني: ٢٥/١، التمثيل والمحاضرة: ٤٣٥.

محاضرات الأدباء: ٥٨٥/٢، الإبانة عن سرقات المتنبي: ٧٤، العمدة: ٢٨٣/٢، التبيان للعكبري: ٢٦/١، شرح المضمون به على غير أهله: ١٥٦، شرح شواهد المغني: ٦٣٥/٢.

(١) رواية المحاسن والمساوي، ديوان المعاني، شرح المضمون به على غير أهله: «هو البحر».

(٢) ديوانه بشرح العكبري: ٢٦/١.

«وبيت أبي تمام أو بكر بن النطاح أملح لفظاً وأصح سبكاً وزاد أبو الطيب بقوله: إنه يجدي عليه روحه، ولكن في اللفظ قصور والأول نهاية في الحسن»^(١) وذكر أن المتنبي قد نقل هذا المعنى عن الروح إلى الجسد في قوله: لَوْ اشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا خَرَاذِلُ فِيهِ فِي الشَّيْزَى وَأَوْصَالُ ورأى أن هذا البيت هو الأول لأن من جاد بأوصاله فقد جاد بروحه ورأى أنه قد يكون من قول ابن الرومي: لَوْ حَزَّ مِنْ جِسْمِهِ^(٢) لِسَائِلِهِ أَنْفَسَ أَعْضَائِهِ لَمَّا أَلَمَّا^(٣) ثم كرره وغيره بعض التغيير فقال: مِلْتُ إِلَى مَنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا لَوْ كُتِّمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ^(٤) وذكر أبو نعيم الأصبهاني أن بيت الشاهد مأخوذ من مدح رجل لآخر حيث قال:

«كيسه محلول، وماله مبذول، يطعمك نفسه إن أكلتها، ويسقيك روحه إن شربتها»^(٥).

وذكر أبو هلال العسكري أن بيت الشاهد من أبيات مشهورة وقد قبلها الناس على ما فيها من الغلو، قال: «ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس، واستحسنوه، ورددوه بكل لسان قول أبي تمام في المعتصم»^(٦) ثم ذكر أبياتاً من ضمنها بيت الشاهد. وذكر العميدي أنه من مليح الشعر^(٧).

(١) الوساطة: ٢١٦.

(٢) رواية الديوان: «من نفسه».

(٣) ديوانه: ٢١٤٣/٥.

(٤) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٦٣/٤.

(٥) محاضرات الأدباء: ٥٨٥/٢.

(٦) ديوان المعاني: ٢٤/١.

(٧) الإبانة عن سرقات المتنبي: ٧٤.

مع قول المتنبي :

(المنسرح)

إِنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا^(١)

وهو من قصيدة مدح بها بدر بن عمار^(٢)، وقد فصد لعله، ومطلعا:

أُبْعِدَ نَأْيَ الْمَلِيحَةِ الْبَخْلُ فِي الْبُعْدِ مَا لَا تُكَلِّفُ الْإِبِلُ

وقبل الشاهد:

يَا بَذْرُ يَا بَحْرُ يَا عَمَامَةُ يَا لَيْتَ الشَّرَى يَا حِمَامُ يَا رَجُلُ
إِنَّ الْبَنَانَ الَّذِي ثَقَلَتْهُ عِنْدَكَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مَثَلُ

وبعدهما الشاهد وبعده:

قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءٍ مَا امْتَشَقُوا قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامٍ مَا اعْتَقَلُوا

ومعنى الشاهد:

«قال أبو الفتح: بخلوا عند أنفسهم؛ لأنهم لم يفعلوا الواجب عندهم ويجوز أن يكون بخلوا: نسبهم الناس إلى البخل، لاقتصارهم على مادون أعمارهم، أي من عاداتهم بذل أعمارهم، والأول أقوى»^(٣).

ذكر القاضي الجرجاني أن بيت المتنبي هذا قد جاء به معنى مُفْرَدًا، وقد أحسن فيه ما شاء^(٤).

وليشار بن برد في هذا المعنى:

وَيَسْبِقُ إِنْجَاؤُهُ وَعَدَهُ وَلَيْسَ يَحِيلُ عَلَى بَاطِلٍ

(١) ديوان أبي الطيب بشرح المعكري: ٢١٦/٣، العرف الطيب: ١٧٩/٤، الوساطة: ٢١٧،

يتيمة الدهر: ١٩٠/١، الإبانة عن سرقات المتنبي: ٧٤.

(٢) سبقت ترجمته: ٦٤٤.

(٣) التبيان للمعكري: ٢١٦/٣.

(٤) الوساطة: ٢١٧.

يَرَى أَنَّهُ أَبْخَلُ الْبَاحِلِينَ (م) إِذَا جَادَ بِالرُّوحِ لِسَائِلِ
المعنى العام: المدح بالجود والكرم البالغ.

فإذا نظرنا إلى بيت بكر بن النطاح وجدناه، وقد بنى بيته على نوع من
المبالغة لطيف، حيث جعل الممدوح لشدة كرمه لا يتوانى عن الجود بروحه،
وقدم الجار والمجرور «في كفه» ليدل على تسابق تلك الروح إلى اليد، وأنها
خرجت من مكانها، واستقرت في يده طائفة مختارة.

وقوله: «لجاد بها» قرن الفعل بلام التوكيد؛ ليؤكد إصراره في التفاني في
الجود، وعدم تردده في بذل تلك الروح.

وقوله: «فليتق» قرن فعل الأمر (بالفاء) لحث السائلين على الإسراع في
الكف عن مطالبته، وزجرهم عن الإلحاح في سؤاله.

أما المتنبي فقد جعل كل إنفاق دون العُمَرُ بُخْلاً ومذمة فوصف الممدوح،
بأنه من معشر كثيري العطاء والهبة، فإن أُعْطُوا دون أعمارهم شعروا بمذمة
البخل.

وأنظر إلى دقته في تركيب الصورة حيث بدأ البيت (بان) المؤكدة، ليثبت
في النفوس، ويشعرها بعظم وفخامة ذلك الممدوح.

وجاء بـ (مع) دون (من) (إنك مع معشر) ليدل على مصاحبة الممدوح
لألئك المعشر، وملازمته ومشاركته لهم في كل الصفات، فالمتنبي لم يجعل ذلك
الكرم العجيب مقصوراً على ممدوحه وحده بل جعله عاماً في معشره، فالفخر
بالقبيلة كلها أدل على العزة والمنعة، وأعظم في الفخر، ونكر لفظ «معشر»
لتعظيمهم وتفخيمهم.

وجاء (بإذا) الشرطية، ليجزم أنهم دائمو الهبة والعطاء، وأن عطاءهم مستمر
لا ينقطع، وقرن جواب الشرط (بالفاء) و«قد» التي هي للتحقيق ليدل على سرعة
تحقق البخل منهم إن هم وهبوا دون أعمارهم، وفي هذا تأنيب وزجر لأنفسهم
أن تهب دون الأعمار.

قول البحري:

وَمَنْ ذَا يَلُومُ الْبَحْرَ إِنْ^(٢) بَاتَ زَاخِرًا يَفِيضُ وَصَوَّبَ الْمُزْنَ أَنْ^(٣) رَاحَ^(٤) يَهْطُلُ^(٥)

وهو من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر^(٦)، ومطلعها:
فَوَادٍ بِذِكْرِ الطَّاعِنِينَ مُوَكَّلُ وَمَنْزِلُ حَيٍّ فِيهِ لِلشُّوقِ مَنْزِلُ

وقبل الشاهد:

فَتَى لَا نَدَاهُ عَجْزُهُ^(٧) حِينَ يَتَّيْدِي
إِذَا نَحْنُ أَمْلَنَاهُ لَمْ يَرِ حَظَّهُ
لَهُ قَدَمٌ فِي الْمَجْدِ تَعْلَمُ أَنَّهُ
إِذَا جَادَ أَغْضَى الْعَاذِلُونَ وَكَفَّهُمْ
وَلَا مَالُهُ مِلْكٌ لَهُ حِينَ يُسْأَلُ
زَكَا أَوْ يَرَى جَدْوَاهُ حَيْثُ يُؤْمَلُ
بِسُودِّهَا يُرْبِي مِرَاراً وَيُفْضَلُ
قَدِيمُ مَسَاعِيهِ الَّذِي^(٨) يَتَقِيلُ^(٩)

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٧، خفاجي: ٤٦١، شاکر: ٥٠٦.

(٢) رواية الديوان - صيرفي -: «أَنْ».

(٣) رواية الديوان - صيرفي -: «أَنْ».

(٤) رواية الديوان - بيروت -: «صيرفي»، «بَاتَ».

(٥) لم أقف عليه فيما رجعت إليه من مصادر إلا في:

ديوانه - بيروت -: ٢١٣/٢، ديوانه - صيرفي -: ١٧٩٤/٣.

(٦) هو محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب، أبو العباس الخزاعي (٢٠٩ هـ -

٢٥٣ هـ) أمير بغداد في أيام المتوكل، وهو الذي قضى على يحيى بن عمر - من الطالبين -

وكان قد خرج على المتوكل ونادى لنفسه بالخلافة في الكوفة وتبعه أهلها من أهل التشيع

وبعض الأعراب - كان محمد بن طاهر أديباً شاعراً جواداً، عظم سلطانه في دولة المعتز إلى

أن مات.

انظر: تاريخ الطبري: ١١١/٩، ١٨٨، ١٩٠، ٢٠١، ٢٢١، ٢٣٤، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٥٧،

٢٥٨، وصفحات أخرى إلى: ص ٣٧٧، ١١/١٠، الفخري في الآداب السلطانية: ٢٤٠ -

٢٤١.

(٧) رواية الديوان - صيرفي -: «حَجْرَةُ».

(٨) رواية الديوان - صيرفي -: «التي».

(٩) يتقيل: يتشبه. اللسان «قيل»: ٥٨٠/١١.

وبعدها الشاهد وبعده:
وَلَمْ أَرْ مَجْدًا كَالْأَمِيرِ «مُحَمَّدٍ» إِذَا مَا غَدَا يَنْهَلُ أَوْ يَنْتَهَلُ

مع قول المتنبي:

(البيسط)

وَمَا ثَنَّاكَ كَلَامُ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْهَطَلُ^(١)

وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة، ويعتذر إليه، وذلك في شعبان سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، ومطلعها:
أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى ظَلَلٍ دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرُّكْبِ وَالْإِبِلِ

وقبل الشاهد:

لَعَلَّ عَثَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ فَرُبَّمَا صَحَّتْ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ
وَلَا سَمِعْتُ وَلَا غَيْرِي بِمُقْتَدِرٍ أَذَبٌ مِنْكَ لِزُورِ الْقَوْلِ عَنْ رَجُلٍ
لَأَنَّ جِلْمَكَ جِلْمٌ لَا تَكْلُفُهُ لَيْسَ التُّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ

وبعد الشاهد:

أَنْتَ الْجَوَادُ بِلَا مَنٍّْ وَلَا كَذِبٍ وَلَا مِطَالٍ وَلَا وَعْدٍ وَلَا مَذَلٍ^(٢)

ومعنى الشاهد:

«يقول: لا يصرفك كلام الناس في إفساد ما بيننا، كما لا يقدر أن يصرفوك عن الكرم، ومن يقدر على هذا إلا كمن يقدر أن يرد صوب السحاب

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٨٧/٣، العرف الطيب: ٣٣٥/٤، التمثيل والمحاضرة: ٢٣٧ - ٢٤٠ - عجز البيت فقط.

(٢) الضجر والقلق وأصله من إفشاء السر، وهو أن لا يقدر على ضبط ما عنده لقلقه به. اللسان «مذل»: ٦٢١/١١.

الممطر، فالذي يصرفك عن جودك كالذي يرد السحاب، لأن جودك أغزر من فيض السحاب»^(١).

المعنى العام: عجز المغرضين عن تثبيط كرم الممدوح.

فالبحتري افتتح بيته بالاستفهام «من» وأعقبه باسم الإشارة «ذا» للتحقير، والتقليل من شأن من يلوم الممدوح، ثم أخذ بعد ذلك يصور كرم الممدوح فجاء له بصورتين، صورة البحر الفياض، وصورة المزن الهاطل، وقد أبدع في إبراز صورة البحر حيث جاء بالفعل (بات) فدل على استمرار فيضانه ثم وصفه بقوله: «زائحاً» ثم أعقبه بالفعل (يفيض) وهذه الألفاظ الثلاثة دلت على كثرة فيضه، وغزير مائه ثم وصل (بالواو) صورة البحر بصورة المزن الهاطل وجعلها كأنهما صورة واحدة مبالغة في وصف الممدوح بغزارة العطاء.

وقد بنى الصورتين على الشرط (بأن) وإن كان الموقع هنا موقع «إذا».

أما المتنبي، فكانت صورته أقوى في الدلالة على عجز من يحاول صرف الممدوح عن الكرم، فأعلن في الشرط الأول عن طريق الجملة الخيرية إخفاق كلام الناس في ثنيه عن الكرم، وفي الشطر الثاني رسم هذا المعنى وصوره ليكون أشد تقريراً في النفس، فبدأ الصورة بالاستفهام «ومن يسد» للتعجيز والتحقير، ثم جاء بصورة العارض الهطل، فالذي يحاول تثبيط الممدوح كمن يحاول دفع السحاب الممطر ويمنعه من النزول، وهذه الصورة أكدت استحالة ثني الممدوح عن كرمه واستمرار عطائه وغزارته.

ويتضح بعد هذا التحليل أن البحتري كان مهتماً بتصوير كرم الممدوح، أما تصوير عجز المغرضين فأشار إليه بقوله (من ذا).

أما المتنبي فكانت صورته أقوى في الدلالة على عجز المغرضين، وجعل من صورة العجز هذه دليلاً على كرم الممدوح. فأين قول البحتري «مَنْ ذَا يُلُومُ» من قول المتنبي: «وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْهَطْلِ».

(١) التبيان للعكبري: ٨٧/٣.

وقول الكندي^(٢):

عَزُّوا وَعَزَّ بِعِزِّهِمْ مَنْ جَاوَرُوا فَهُمْ الذُّرَى وَجَمَاجِمُ الْهَامَاتِ
إِنْ يَطْلُبُوا بِتِرَاتِهِمْ يُعْطُوا بِهَا أَوْ يُطْلَبُوا لَا يُذَرُّونَ بِتِرَاتِ^(٣) (٤)

مع قول المتنبي:

(الطويل)

نُفْتُ^(٥) اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذَتْهُ وَهَنْ لَمَّا يَأْخُذَنَّ مِنْكَ غَوَارِمُ^(٦)

وهو من قصيدته التي مدح بها سيف الدولة ومطلعها:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعِزِّ تَأْتِي الْعِزَّائِمُ^(٧)

وقبل الشاهد:

هَلْ الْحَدَّثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا وَتَعْلَمُ أَيُّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمَائِمُ^(٨)

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٨، خفاجي: ٤٦١، شاکر: ٥٠٦.

(٢) هو محمد بن ظفر بن عمير «وقيل عميرة» بن أبي شمربن فرعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولادة بن عمرو بن معاوية بن كندة لُقِبَ بالمقنع لأنه كان لا يمشي إلا مقنعا فقد كان أجمل الناس وجهاً، وكان إذا أسفر عن وجهه أصابته عين فيمرض ويصيبه العنت الشديد، فكان يتقنع دهره، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية، وكان له محل كبير وشرف ومروءة، وسؤدد في عشيرته. كان متخرقاً في عطاياه سمح اليد بعاله لا يرد سائلاً عن شيء حتى أتلف كل ما خلفه أبوه من مال.

انظر ترجمته:

الشعر والشعراء: ٧٤٣/٢ رقم (١٧٥)، الأغاني: ١٠٨/١٧ - ١١٠، سمط اللآلي: ٦١٥/١ - ٦١٦.

(٣) الترات: جمع تِرة وهي المطالبة بدم القتلى والثأر لهم. اللسان «وتر»: ٢٧٤/٥.

(٤) لم أجده بعد فيما اطلعت عليه من مصادر.

(٥) الفوت: الفوات، وفاتني الأمر فوتاً وفواتاً ذهب عني. اللسان «فوت»: ٦٩/٢.

(٦) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٣٨٢/٣، العرف الطيب: ٤٨١/٤.

(٧) سبق ذكره: ٨٨٧.

(٨) الديوان بشرح العكبري: ٣٨٠/٣.

طَرِيدَةٌ دَهْرٍ سَاقَهَا فَرَدَدَتْهَا عَلَى الدِّينِ بِالْخُطِيِّ وَالْدَّهْرُ رَاغِمٌ^(١)

وبعدهما الشاهد وبعده:

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلاً مُضَارِعاً مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ

ومعنى الشاهد:

«قال الواحدي: الليالي إذا أخذت شيئاً ذهبت به، فإن أخذت منك غَرِمْتَ؛ لأنك تلزمها الغرامة.

قال: ويجوز أن يكون تفيت مخاطبة على رواية من روى أخذته «بالتاء».

يقول: إذا سلبت الليالي شيئاً أفْتَهَ عليها، فلم تقدر على استرداده، وهي إذا أخذت منك شيئاً غَرِمْتَ، يعني أنت أقوى من الدهر، فإنه لا يقدر على مخالفتك»^(٢).

ثم ذكر العكبري أنه قُرِئَ على المتنبي أخذه بالنون، فذكر أن في هذا تصحيحاً، وفساداً للمعنى، والإعراب، ونقضاً لقوله في آخر البيت، وذلك أن «تفيت» يتعدى إلى مفعولين، فإذا جُعِلت «الليالي» فاعلة، ونُصِبَ «كل شيء» لم يكن مفعول ثانٍ، ففسد الإعراب، وإذا قيل «بالتاء» جُعِلت «الليالي» مفعولاً أول و«كل شيء» ثانياً.

وأما فساد المعنى، فلو جُعِلت «الليالي» الفاعلة كان المعنى أنها تفيت كل شيء ولا تغرمه ثم ينقض بقوله: «وهن لما يأخذن منك غوارم»، وإنما المعنى: تفيت يا سيف الدولة الليالي كل شيء أخذته منها، فلا تغرمه لها، وهن غوارم لك ما يأخذن، وبهذا يصح المعنى^(٣).

(١) الديوان بشرح العكبري: ٣٨٢/٣.

(٢) التبيان للعكبري: ٣٨٢/٣.

(٣) التبيان للعكبري: ٣٨٢/٣.

والمعنى على رواية «التاء» هو الذي يتفق، وبيت الكندي الثاني - موضع الشاهد -.

فالمعنى المشترك في البيتين ظهور قوة الممدوح، فهو يأخذ حقه إذا طلبه، وإذا طُلب منه الحق لا يُدرك.

وكلا البيتين فيه روعة وجمال، وحسن تركيب إلا أن بيت المتنبي - فيما يبدو - أفخم وأقوى لأنه يغالب الزمن والمصائب، أما ممدوح الكندي فهو يغالب الأعداء ومغالبة الزمن أقوى من مغالبة الأعداء.

وانظر إلى روعة الاستعارة المكنية في قوله: «تفيت الليالي» حيث شبه الليالي بأناسي، ثم حذف المشبه به، وجاء بشيء من لوازمه، وهو الفوت، وهذه الاستعارة بعثت في البيت حركة ونشاطاً، وأخرجت قوة الممدوح في صورة مؤكدة.

وبيت الكندي فيه مقابلة حسنة لطيفة بين الشطرين أثبتت قوة الممدوح، وكشفت عن مراد الشاعر في سهولة ويسر.

وفي معنى بيتي الشاهد قول الآخر:
فَمَا أَذْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا بِوَتَرِهِمْ وَلَا فَاتَنَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَاتِرُ
وكقول الطرماح:

إِنْ نَأْخُذِ النَّاسَ لَا تُدْرِكُ أُخِيذَتُنَا أَوْ نَطْلُبُ نَتَعَدُّ الْحَقَّ فِي الطَّلَبِ^(١)
الشاهد الثاني والأربعون بعد الثلاثمائة^(٢):
(الطويل)

وقول أبي تمام:
إِذَا سَيْفُهُ أَضْحَى عَلَى الْهَامِ حَاكِماً غَدَا الْعُقُومُنُهُ وَهُوَ فِي السَّيْفِ حَاكِمٌ^(٣)

(١) التبيان للمكبري: ٣/٣٨٢.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٨٨، خفاجي: ٤٦١، شاکر: ٥٠٦.

(٣) ديوانه بشرح الخطيب: ٣/١٨١.

وهو من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد^(٣)، ومطلعها:
 أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تَرَوْى الظَّمَاءُ الْحَوَائِمُ وَأَنْ يَنْظِمَ الشَّمْلُ الْمُشْتَتَّ نَاطِمُ
 وقبل الشاهد:

أُنَاسٌ إِذَا رَاحُوا إِلَى الرُّوعِ لَمْ تَرَحْ مُسَالِمَةً أَسْيَافُهُمْ وَالْجَمَاجِمُ
 بَنُو كُلِّ مَشْبُوحٍ^(٢) الذَّرَاعُ إِذَا الْقَنَا ثَنَّتْ أَذْرَعُ الْأَبْطَالِ وَهِيَ مَعَاصِمُ

وبعدهما الشاهد وبعده:

أَخَذَتْ بِأَعْضَادِ الْعَرِيبِ^(٣) وَقَدْ خَوَتْ عُيُونُ كَلِيلَاتٍ وَذَلَّتْ جَمَاجِمُ

ذكره ابن المعتز في «باب رد أعجاز الكلام على ما تقدّمها» وعنده هذا
 الباب على ثلاثة أقسام: منها ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول
 وذكر من هذا النوع بيت الشاهد^(٤).

وذكر الأمدى أن هناك من^(٥) يقول بأن بيت أبي تمام مأخوذ من قول مسلم
 ابن الوليد:

يَغْدُو عَدُوُّكَ خَائِفًا فَإِذَا رَأَى أَنْ قَدْ قَدَرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَاكَ

وهو يرى غير ذلك لأن المعنيين مختلفان، فأبو تمام قال:

إِذَا حَكَمَ سَيْفُ الْمَمْدُوحِ عَلَى الْهَامِ حَكَمَ عَفْوُهُ عَلَى السَّيْفِ.

أما مسلم بن الوليد فأراد بقوله: إن عدو الممدوح يخافه فإذا رأى أن قد

= ديوانه - دار صعب - : ٢٥٤، كتاب البديع : ٥٢، الموازنة : ١٢٠.

(١) سبقت ترجمته : ٣٩٢.

(٢) مشبوح الذراع: رجل شبح الذراعين ومشبوحهما عريضهما. القاموس المحيط «عرض» : ٢٣٨/١.

(٣) العريب: تصغير عَرَب.

(٤) البديع : ٥٢.

(٥) المقصود هنا هو ابن أبي طاهر.

قدر على العقاب رجاء، فليس هذا المعنى من ذلك من شيء^(١).
مع قول المتنبي:

(الطويل)

لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّعْرِ فِي الْحَرْبِ مُتَنَضٍ^(٢) وَمِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدٌ^(٣)

وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر هجوم الشتاء الذي عاقه من غزو خَرْشَنَةَ^(٤)، ويذكر الوقعة، ومطلع القصيدة:

عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدُ وَإِنْ ضَجِيعَ الْخُودِ مِنِّي لَمَاجِدُ

وقبل الشاهد:

خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَلِمَ مِنْهُمْ الدُّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ

وبعدهما الشاهد وبعده:

وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدُ

ومعنى الشاهد:

إن للممدوح سيف يجرده وينضيه كرم طبعه بما فيه من الشجاعة والأنفة، ويغمد ما تعود من العفو والإحسان والصفح، أي أنه يجرد ويغمد من تلقاء نفسه، فهو ليس كسيوف الحديد التي تتصرف فيها أيدي الفرسان بالتجريد والغمد^(٥).

(١) الموازنة: ١٢٠.

(٢) نضا السيف نضوا وانتضاه: سله من غمده ونضا ثوبه عنه نضوا: خلعه وألقاه عنه، ونضاه من قوته جرده. اللسان «نضا»: ٣٢٩/١٥.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح المعكبري: ٢٧٢/١، العرف الطيب: ١٠٢/٣، الإبانة عن سرقات المتنبي: ٨٨.

(٤) خَرْشَنَةُ: بفتح أوله وتسكين ثانيه، وشين معجمة، ونون، بلد قرب مَلَطِيَّةَ، من بلاد الروم. معجم البلدان: ٣٥٩/٢، مراصد الاطلاع: ٤٦٠/١.

(٥) انظر: التبيان للمعكبري: ٢٧٢/١، العرف الطيب: ١٠٢/٢ - ١٠٣.

والمعنى الجامع بين الشاهدين هو وصف شجاعة الممدوح في الحرب
وكرم طبعه وعفوه عند الاقتدار.

فأبو تمام استطاع أن يصور لنا شجاعة الممدوح تصويراً حياً مشاهداً، حيث
نقلنا إلى أرض المعركة وهي في أشد الأوقات احتداماً، وأرانا الممدوح وهو يقف
على الهامات مسيطراً عليها. فابتدأ تصوير المشهد بتقديم لفظ «سيفه» - وهو اسم
أضحى - على الفعل الناسخ نفسه، ليصور لنا قدرة ذلك السيف، وكأنه نوع من
السيوف عجيب.

وجاء بفعل الشرط (أضحى) بدلاً من كان أو ظل أو أحد أخواتها، ليصور
لنا احتدام المعركة، وحمى وطيسها إذ أن وقت الضحى هو أشد الأوقات قتالاً.
وقدم الجار والمجرور (على الهام) على الخبر (حاكماً) ليبرز لنا شجاعة
الممدوح في تلك المعركة، ويصور اقتداره وتمكنه من الهامات، ومجيء لفظ
«الهام» على صيغة الجمع دون الأفراد للمبالغة في عظم شجاعته حيث تمكن من
السيطرة على مطلق الهام لا على هامة واحدة.

وبناء المعنى على الشرط بـ «إذا» جزم بوقوع ذلك التمكن منه. إلا أن
مجيء جواب الشرط بـ «غدا» دل على أن عفوه أسبق من انتقامه.

وانظر إلى قوله: «وهو في السيف حاكم»، فتقييد الكلام بهذه الجملة
الحالية مع ما فيها من دقة التركيب حيث قدم الجار والمجرور «في السيف» على
الخبر «حاكم»، ومجيء الخبر على وزن «فاعل» تأكيداً لتحكم عفوه في السيف،
وإنما لجأ الشاعر إلى هذا التركيب الدقيق في تأكيد تحكم العفو؛ لأن الخيال قد
تشرب سابقاً بقوة ذلك السيف العجيبة، وتحكمه في الهامات، فكون العفو
يتحكم في هذا السيف العظيم أمر لا بد وأن تعجب له النفس، وتحتار فيه،
فاحتاجت إلى أسلوب يقرر لها المعنى ويؤكد.

أما المتنبي فقد بنى بيته على التجريد حيث انتزع للممدوح من صفة كرم
الطبع وصف (الانتضاء)، وانتزع له من صفة الإحسان والصفح صفة «الإغماد»

وذلك مبالغة في كمال هذه الأوصاف فيه، ولفناً للأنظار إلى حسن هذه الصفات.

وانظر إلى فصله بين المبتدأ «منتض» والخبر «له» بقوله: «مِنْ كَرِيمِ الطُّبْعِ»، وتأمل هذا التركيب، وكيف جاء بالاسم المجرور على وزن «فعليل» - وهو صفة مشبهة - ثم أضافه إلى لفظ الطبع، مبالغة في وصفه بكرم الطبع، وتأكيذاً لملازمة هذه الصفة له تلازم المضاف والمضاف إليه، فكرمه ليس بالكرم المصطنع، أو المؤقت، بل هو متأصل في جذور طبعه.

ويأبى الشاعر إلى أن نقف أمام ممدوحه إجلالاً وإكباراً، حيث أوصله إلى درجة من كرم الطبع تتطاحن دونها المفآخر والمآثر، فقيد كون كرم طبعه «في الحرب» وفي ذلك ما فيه من إبراز عظيم أخلاقه؛ لأن هذه الخصال تندر في الحرب، ويشح وجودها.

وقبل هذا كله انظر إلى دقة التركيب، وكيف بنى معناه كله على تقديم «المسند» - الجار والمجرور - له - «على المسند إليه» منتضٍ، «غامد»، وكيف حذف المسند في الشطر الثاني، وكأن عادة الإحسان والصفح أمر معلوم، ومسلم له به.

وفي هذا التقديم قصر لجميع ما جاء في الشطرين من الصفات على الممدوح وحده دون غيره مبالغة وادعاءً.

وتأمل كيف وصل الشطر الأول بالشطر الثاني عن طريق «الواو» التي جعلت الجملتين وكأنهما جملة واحدة، فقررت في النفوس أن كرم طبعه عام في الحرب والسلام.

الشاهد الثالث والأربعون بعد الثلاثمائة^(١): (المديد)

بيت أبي نواس:
خُلِّيتُ^(٢) وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ^(٣)

(١) الدلائل، رضا: ٣٩٠، خفاجي: ٤٦٣، شاعر: ٥٠٩.

(٢) رواية الديوان «خُلِّيتُ»، ويبدو لي أن رواية الدلائل أفضل، فهي تفيد أن الحسن ترك لها ملكاً بين يديها لا يمنع أحد منه شيئاً عنها.

وهو من قصيدة في الغزل مطلعها:

مَا هَوَى إِلَّا لَهُ سَبَبٌ يَبْتَدِي مِنْهُ وَيَنْشَعِبُ

وبعده بيت قبل الشاهد:

فَتَنَنْتُ قَلْبِي مُحَجَّبَةً وَجْهَهَا بِالحُسْنِ مُنْتَقِبُ

وبعده الشاهد وبعده:

فَاكْتَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ وَاسْتَزَادَتْ فَضْلَ مَا تَهَبُ

مع بيت عبد الله بن مصعب^(١):

كَأَنَّكَ جِئْتَ^(٢) مُحْتَكِمًا عَلَيْهِمْ تَخَيَّرُ فِي الْأَبْوَةِ مَا تَشَاءُ^(٣) (الوافر)

= وفي رواية الديوان وصفها بأنها حالية، وهي زينة طارئة، والأفضل أن توصف المرأة بالجمال مع خلوها من الحلي، فإذا ذكروا الحلي قالوا: زانت حليها، وفي ذلك شعر كثير، ومنه: وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنٌ وَجُوهُ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زِينَا وَتَزِيدِينَ طَيْبَ الطَّيِّبِ طَيْبًا أَيْنَ فِي النَّاسِ مِثْلُ حُسْنِكَ أَيْنَا (٣) انظر البيت في:

ديوانه: ٢٣٩، الوساطة: ٢٠٥، العمدة: ٢٨٨/٢.

(١) هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو بكر، القرشي الأسدي (١١١ هـ - ١٨٤ هـ) أمير من أهل العدل والورع والشعر والفصاحة، ولد بالمدينة، ولي اليمامة في عهد المهدي ثم الهادي وولي المدينة للرشيد وعمره (٧٠ سنة)، كان محموداً في ولايته، جميل السيرة مع جلالة قدره وعظم شرفه، توفي بالرقعة في عصر الرشيد. انظر ترجمته:

تاريخ بغداد: ١٧٣/١ - ١٧٦، سمط اللآلي: ٥٧٠/١، البداية والنهاية: ١٨٥/١٠، الاعلام: ١٣٨/٤.

(٢) رواية العمدة: كَأَنَّكَ كُنْتَ.

(٣) انظر: البيت في:

الوساطة: ٢٠٥ - محاضرات الأدباء: ٣٣٢/١ - العمدة: ٢٨٨/٢.

وبيت بشار:

(الطويل)

خُلِقْتُ^(١) عَلَى مَا فِي غَيْرِ مُحْيِرٍ هَوَايَ وَلَوْ خَيْرْتُ كُنْتُ الْمُهَذَّبَا^(٢)

وهو من قصيدة له يشبب بامرأة يقال لها صفراء، ويلوم فيها يحيى بن زيد على قطع خلته، وجاء في الأغاني: أنه قال بيت الشاهد وما بعده حين ردُّ عليه بعضهم مذهبه في الإلحاد، فاعترف بأن ما هو عليه خذلان، وأنه طبع على أن لا يعرف إلا ما عاين^(٣)، ومطلع القصيدة:

خَلِيلِي قَوْمًا فَأَعْذِرَا أَوْ تَعْتَبَا وَلَا تَعْذُلَانِي أَنْ أَلْذَّ وَأَطْرَبَا

وقبل الشاهد:

خَطَبْتُ^(٤) عَلَى حَبْلِ^(٥) الزَّمَانِ لَعَلَّهُ يُسَاعِفُنِي يَوْمًا وَقَدْ^(٦) كَانَ أَنْكَبَا

وبعد الشاهد:

أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُعْطَى فَلَمْ^(٧) أَرِدْ وَقَصَّرَ عَلَيَّ أَنْ أُنْسَالَ الْمَغْيَبَا^(٨)

وبيت أبي تمام:

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ^(٩)

(١) رواية الأغاني: طُبِعْتُ.

(٢) انظر البيت في:

ديوانه: ٢٦٩/١، الأغاني: ٢٢٧/٣، الوساطة: ٢٠٥، المختار من شعر بشار: ١١٨.

(٣) الأغاني: ٢٢٧/٣.

(٤) كأنه يريد تشبيه الزمان براحلة هو راكبها وأنه تَمَكَّنَ منها حتى أنه يخطب على حبل الزمان أي زمامه إذ قد ذلله وطمع من ذلك أن يصير الزمان مساعفاً له مع علمه بأن الزمان بعير أنكب في مشيته ميل فلا يساعف راكبه تمام المساعفة.

انظر هامش الديوان: ٢٦٩/١.

(٥) رواية المختار من شعر بشار: «على ظهر الزمان».

(٦) رواية المختار: «وإن كان».

(٧) رواية المختار: «ولم أرد» وهي المناسبة.

(٨) ديوانه: ٢٦٩/١.

وهو من قصيدة قالها في مدح مهدي بن أصرم^(١)، ومطلعها:
خُذِي عِبْرَاتٍ عَيْنِكَ عَنْ زَمَاعِي^(٢) وَصُونِي مَا أُرْلَتْ مِنَ الْقِنَاعِ

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبله:

فَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَرَفٍ يَفَاعُ سُبِقْتَ بِهِ وَلَا خُلُقٍ يَنْفَاعُ
لَعَزْمُكَ مِثْلَ عَزْمِ السَّيْلِ شُدَّتْ قُوَاهُ بِالْمَذَانِبِ وَالتَّلَاعُ
وَرَأْيُكَ مِثْلُ رَأْيِ السَّيْفِ صَحَّتْ سُبُورُهُ^(٣) حَدَّهُ عِنْدَ الْمِصَاعِ^(٤)

هذه الشواهد استشهد بها الشيخ عبد القاهر على أنه لا يمكن أن يكون
المعنى في البيت على هيئته وصفته في البيت الآخر، ولو كان الأمر كذلك لكان
قول العلماء في شاعر أنه أخذ المعنى من صاحبه فأحسن وأجاد، وفي آخر أنه
أساء وقصر ضرب من اللغو.

= (٩) انظر البيت في:

ديوانه بشرح الخطيب: ٣٤٠/٢، ديوانه - دار صعب -: ١٧٢، عيون الأخبار: ٢٢٨/٣/١،
الوساطة: ٢٠٥، المنصف في نقد الشعر: ٣١٧، التمثيل والمحاضرة: ٤٣٥، الإعجاز
والإيجاز: ١٨٧.

(١) وهو من قواد محمد بن حميد الطوسي، جعله على ميمنة الجيش الذي حارب به الخرمية
سنة (٢١٤هـ) في أيام المأمون، وذكر ابن الأثير اسم السعدي بن أصرم.
انظر: تاريخ ابن الأثير: ٢١٨/٥، تاريخ يعقوبي: ٤٦٣/٢، حياة أبي تمام وحياة شعره:
١٠٣.

(٢) زماع: اسم من أزمعت: يقول لها: نَحْيِ عن عزمي بكاءك وتقنعي بالقناع الذي أَلْقَيْتَهُ عن
رأسك: ٣٣٦/٢.

(٣) رواية الديوان بشرح الخطيب: «مشورة».
سبورة حده: أي تجربة واختبار حده، السَّبْرُ التجربة وسبر الشيء سبراً: حَزَرَهُ وَخَبَرَهُ،
والسَّبْرُ: استخراج كنه الأمر، والسَّبْرُ مصدر سَبَرِ الْجُرْحِ يَسْبُرُهُ سَبْرًا نَظَرَ مَقْدَارَهُ وَقَاسَهُ لِيَعْرِفَ
غوره. اللسان «سبر»: ٣٤٠/٤.

(٤) المِصَاعُ: المُجَالِدَةُ والمُضَارَبَةُ. اللسان «مصع»: ٣٣٧/٨.

وكذلك يكون من الخطأ أن يقال إن هذا البيت نظير ذاك أو مناسباً له، لأن الشيء لا يناسب نفسه، وكذلك لو كان المعنى معاداً مكرراً في البيتين لكان قولهم عن شاعر أنه أخذ المعنى فأخفاه، أو أخذه فقصر فيه، من المحال.

قال الشيخ :

«واعلم أنه لو كان المعنى في أحد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الآخر، وكان التالي من الشعارين يجيئك به معاداً على وجهه لم يحدث فيه شيئاً، ولم يغير له صفة؛ لكان قول العلماء في شاعر أنه أخذ المعنى من صاحبه، فأحسن وأجاد، وفي آخر: إنه أساء وقصر لغواً من القول من حيث كان محالاً أن يحسن أو يسيء في شيء لا يصنع به شيئاً، وكذلك كان يكون جعلهم البيت نظيراً للبيت، ومناسباً له خطأ منهم، لأنه محال أن يناسب الشيء نفسه، وأن يكون نظيراً لنفسه، وأمر ثالث، وهو أنهم يقولون في واحد: إنه أخذ المعنى فظهر أخذه، وفي آخر إنه أخذه فأخفى أخذه، ولو كان المعنى يكون معاداً على صورته وهيئته، وكان الأخذ له من صاحبه لا يصنع شيئاً غير أن يبدل لفظاً مكان لفظ لكان الإخفاء فيه محالاً، لأن اللفظ لا يخفى المعنى وإنما يخفيه إخراجاه في صورة غير التي كان عليها»^(١).

ثم ذكر عن القاضي الجرجاني أن هناك تناسباً بين معاني الأبيات الثلاثة الأولى، إلا أن أبا تمام قد تناول المعنى من طريق خفي.

وإذا تأملنا الأبيات الثلاثة الأولى، وجدنا أنها على اختلاف أغراضها، تجمعها مناسبة جليلة واضحة، فبيت أبي نواس في الغزل، وعبد الله بن مصعب في المديح، وبشار في الاعتذار، والتناسب القائم بينها هو معنى الانتقاء والاختيار.

فأبو نواس يريد أن يبرز محبوبته في أبرع صور الجمال فقد مكنت من

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٩ - ٣٩٠، خفاجي: ٤٦٣، شاکر: ٥٠٩.

الحسن تأخذ منه ما تشاء، فهي في غاية الجمال لأنها لا تختار إلا أحسن ما في الحسن، وهذا ما يؤديه البيت الأخير «فَاكْتَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفَهُ».

أما عبد الله بن مصعب، فهو يريد أن يصف ممدوحه بشدة العفو، فإذا ذهبت إليهم وجدت نفسك أمام خلق تملكهم عاطفة العفو والصفح، فهم لسعة عفوهم كأن عاطفتهم عاطفة الأبوة تختار منها ما تشاء؛ لأن عاطفة الأبوة من أسمى العواطف، وأكثرها رحابة وسعة وتسامحاً.

أما بشار، فقد أخذ هذا المعنى ونقله إلى الاعتذار عن سوء أخلاقه، فهو قد خلق مسيراً غير مُخير، فكل ما يصدر عنه من سوء ليس باختياره، فلو أن الاختيار تُرك له لاختار أن يكون ذا خلق رفيع مهذب.

وهذا المعنى أخذه أبو تمام، فأخفاه، فلم يأت بلفظ الاختيار والانتقاء مباشرة بل جاء بقوله «فلو صورت نفسك» وما التصوير هنا إلا في معنى الانتقاء، فهو يريد أن يقول: إن حاولت رسم نفسك ونصبها أمام عينيك لتضفي عليها ملامح في الحسن، فإنك لن تزيدها شيئاً؛ لأنك بلغت الدرجة المتناهية من كرم الطباع.

الشاهد الرابع والأربعون بعد الثلاثمائة^(١): (الكامل)

قول أبي العتاهية:

جَزِي الْبَخِيلَ عَلَيَّ صَالِحَةً عَنِّي بِخَفْتِهِ عَلَيَّ ظَهْرِي
أَعْلَى^(٢) وَأَكْرَمَ عَنْ يَدَيْهِ يَدِي فَعَلْتُ وَنَزَهُ قَدْرُهُ قَدْرِي
وَرَزَقْتُ مِنْ جَدَّوَاهُ عَافِيَةً أَنْ لَا يَضِيقُ^(٣) بِشُكْرِهِ صَدْرِي

(١) الدلائل، رضا: ٣٩٠، خفاجي: ٤٦٤، شاکر: ٥١٠.

(٢) وهناك رواية بالبناء للمجهول «أعْلَى وَأَكْرَمُ» وهي غير مستقيمة لأن الضمير يعود على الشاعر ولا فضل في ذلك للبخیل، وهو يريد أن يثبت له فضلاً.

(٣) رواية المرزوقي: «أَلَّا يَضِيقُ».

ذكر المرزوقي أنه يجوز في الفعل النصب والرفع، فالنصب على أن تكون «أَنْ» الناصبة =

وَعَنَيْتُ خِلَواً مِنْ تَفَضُّلِهِ أَخْنُو عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الْعُذْرِ
مَا فَاتَنِي خَيْرُ أَمْرٍ وَضَعْتُ عَنِّي يَدَاهُ مَوْوَنَةَ الشُّكْرِ^(١)

ومعنى الشاهد: «يقول: جزي الله البخيل عليّ بماله خصلةً سالحةً، فقد خَفْتُ مَحْمِلَهُ على ظهري، لسقوط مِثْيِهِ عَنِّي، وذاك أنه أَجَلَّنِي عن صنيعته، وأكرم مَحَلِّي إذ أَخْلَانِي من عارفِيهِ، وصان قَدْرِي حين لم يَتَذَلَّهُ لِعَطِيَّتِهِ، ورفع يدي وَكَرَّمَهَا حين لم يَشْنُهَا بِمَرِزِيَّتِهِ، فرزقني الله عافيةً من ضيق الدُّرْع بِشُكْرِهِ والتَّطَوُّق بِأَفْضَالِهِ، واستغنيت عنه خالياً من بَرِّهِ، مُنْصَرِّفاً من تَفَضُّلِهِ، متعطِّفاً عليه بِبَسْطِ عُذْرِهِ حين لم يَجِدْ عَلَيَّ، ولم يَتَلَقَّ إِقْبالي عليه بقبوله لي»^(٢).

ومعنى البيت الأخير:

«أنَّهُ لم يفتني إحسان رجل لم يلزمني له شكر إفضال، ولم يجب بفعله بي عليّ اعتداءً»^(٣).

مع قول القائل:

(المنسرح)

= للأفعال، والرفع على أن تكون «أن» مخففة من الثقيلة ويكون الاسم مضمراً، كأنه قال: أنه لا يضيق، والجملة خبره.

(١) لم أجد في ديوانه - دار صعب -: إلا البيت الأخير وقبله بيتان هما:
إِنَّ الْبَخِيلَ وَإِنْ أَفَادَ غِنًى لَتَرَى عَلَيْهِ مَخَايِلَ الْفَقْرِ
لَيْسَ الْغِنَى بِكُلِّ ذِي سَعَةٍ فِي الْمَالِ لَيْسَ بِوَاسِعِ الصُّدْرِ
ديوانه - دار صعب -: ١١٧، الحماسة - تحقيق عسيلان -: ٢٣٩/٢، رقم (٦٧٤)، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٥٤٤/٣، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٥٥/٤، أسرار البلاغة - هـ، ريتو -: ١٤٣.

(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٥٤٥/٣.

(٣) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٥٥/٤.

أَعْتَقَنِي سُوءُ مَا صَنَعْتَ^(١) مِنْ أَلْ رَقُّ فَيَا بَرْدَهَا عَلَى كَيْدِي
فَصِرْتُ عَبْدًا لِلْسُّوءِ فِيكَ وَمَا أَحْسَنَ سُوءَ قَبْلِي^(٢) إِلَى^(٣) أَحَدٍ^(٤)

ذكره الشيخ من غير نسبة، وهو من شعر إبراهيم بن العباس الصولي^(٥)
وهذان البيتان من قصيدة قالها في محمد بن عبد الملك، وقبل الشاهد:
إِنْ كَانَ رِزْقِي إِلَيْكَ فَأَرْمِ بِهِ فِي نَاطِرِي حَيَّةً عَلَى رَصْدِ

(١) رواية شعر إبراهيم بن العباس - الطرئف الأدبية: «سوء ما فعلت»، وهناك رواية أخرى في «الطرئف»، و«معجم الأدباء»:

«سوء ما أتيت».

(٢) إحدى روايتي الطرائف: ما أحسن سوءاً قلبي «وهي رواية خاطئة لأنه يريد أن يقول أن
السوء أحسن إليه، ولا يتأتى ذلك في رواية النصب.

(٣) رواية الطرائف - ص ١٨٤ -: «على أحد».

(٤) انظر البيتين في:

شعر إبراهيم بن العباس الصولي - الطرائف الأدبية -: ١٤٤ - ١٨٤ العقد الفريد - دار الكتب
العلمية -: ١٤٩/٦، معجم الأدباء: ١٩٣/١، أسرار البلاغة - هـ، ريتز -: ١٤٣ - من غير
عزو، حماسة ابن الشجري: ٧٨ - من غير عزو، تحرير التحبير: ٣١٣/٢.

(٥) وتُنسب هذه الأبيات مع أبيات أخرى لأبي الأسد الدينوري: وهو بُناتة بن عبد الله الشيباني
من أهل الدينور من شعراء الدولة الهاشمية.
انظر سبط اللالي: ٥٤٥/١.

وذكر صاحب العقد الفريد بعض أبيات القصيدة - دون ذكر الشاهد - ونسبها لأبي زيد، وقد
خطأه محقق الطرائف الأدبية، وذكر أنه وهم، وإنما هي لأبي الأسد بإجماع الرواة.
وذكر أنه أخذ هذا الإجماع عن ديوان المعاني لأبي هلال العسكري.
والذي وجدته في ديوان المعاني بيتين لا يوجد بينهما بيت الشاهد. جاء في ديوان
المعاني -: ٢٠٣/٢ -:

وأنشدني عم أبي لأبي الأسد الدينوري:

لَيْتَكَ أَذْبَتَنِي بِوَاحِدَةٍ تُفْنِعُنِي مِنْكَ آخِرَ الْأَسَدِ
تَحْلِفُ لِي لَا تَبْرُنِي أَبَدًا فَإِنَّ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَيْدِي
ولا يوجد في ديوان المعاني ما يشير إلى إجماع الرواة. وكذلك ذكر الأستاذ الميمني أنها
نسبت في معجم الأدباء لأبي زيد والذي وجدته في معجم الأدباء نسبتها لإبراهيم الصولي.

لَوْ كُنْتُ حُرًّا كَمَا زَعَمْتَ وَقَدْ كَدَدْتَنِي بِالسِّطَالِ لَمْ أُعِدْ
لِكِنِّي عُدْتُ ثُمَّ عُدْتُ فَإِنْ عُدْتُ إِلَى مِثْلِهَا إِذَا فَعُدْتُ^(١)

وعلق ابن أبي الإصبع على بيتي الشاهد بقوله:

«وهذان البيتان في معنهما من أحسن ما سُمِعَ، وأكمل وأمتن شعر،
وأفضل، ولولا الإفراط في الإطالة بينت ما فيهما»^(٢).

فالمعنى الجامع بين الشاهدين هو أن الحرمان من المعروف تحرير لرقبة
الإنسان من قيود الرُّق.

فإذا تأملنا أبيات الشاعرين، وجدنا أبا العتاهية قد اعتمد في تركيب معناه
على صورة البخيل، والغريب في هذه الصورة أن يكون البخيل الذي هو محط
المذمة موضع المدح والتقدير.

انظر إليه كيف بدأ أبياته بالدعاء العريض لهذا البخيل فقال: «جُزِي» ببناء
الفعل للمجهول؛ ليدل على عظيم الجزاء والامتنان، وقوله «رُزِقْتُ» بالبناء
للمجهول تصوير لوفرة ما رزق من العافية.

وأنظر إلى قوله: «أحنو بأحسن العذر» وكيف دل على أنه أصبح هو في
مقام المتفضل إذ صار يحنو ويعطف عليه باتخاذ العذر له.

وتأمل قوله: «مؤونة الشكر» ففي جعله للشكر مؤونة دليل على أن في
المعروف مشقة على نفس المتفضل عليه، وعبئاً ثقيلاً يفيد.

وإذا انتقلنا إلى أبيات إبراهيم بن العباس، وجدنا نحتة غير نحت سابقه،
فالأول بنى معناه على صورة البخيل، أما هذا فأقامه على صورة الرُّق، وهي
أفخم وأبعد مرمى، فجعل الإساءة موطن الشكر ومعقل الإحسان، فهي عتق لمن
تصبيه من رق الشكر.

(١) الطرائف الأدبية: ١٨٤، وهذه الأبيات موجودة أيضاً في معجم الأدباء مع اختلاف في روايتها.

(٢) تحرير التحبير: ٣١٣/٢.

ثم انظر إلى طرافة صورته وغرابتها، وكيف جعل نفسه عبداً للسوء لعظيم امتنانه وشكره وجهه لهذا السوء. فعبودية السوء أبرد على كبده من رق المعروف. ثم صرح بأن السوء لم يحسن قط إلى أحد كما أحسن إليه، كذلك تأمل كيف نكّر لفظ «سوء» تقديراً وتعظيماً.

الشاهد الخامس والأربعون بعد الثلاثمائة^(١):
(الطويل)

قول نُصِيب^(٢):

«وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ^(٣)»^(٤)

ذكر الشيخ عجز البيت فقط، وصدره:
«فَعَاجُجُوا^(٥) فَأَثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ»

- (١) الدلائل، رضا: ٣٩١، خفاجي: ٤٦٥، شاکر: ٥١١.
(٢) سبقت ترجمته: ص ٧٥٣.
(٣) الحقائق: جمع حقيقة وهي الرفادة في مؤخر القتب وكل ما شُدَّ في مؤخر رَحْلٍ أَوْ قَتَبٍ فَقَدْ احْتَقَبَ. القاموس المحيط (حقب): ٥٩/١، اللسان «حقب»: ٣٢٥/١.
(٤) انظر البيت في:
ديوانه: ٥٩. عيون الأخبار: ٢٩٩/٣/١، الشعر والشعراء: ٤١٨/١، الكامل - دار الفكر -: ١٢٣/١، التشبيهات: ٣٥٨، نقد الشعر: ٨٣، الأغاني: ٣٣٧/١، الأمالي للزجاجي: ٣٣، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: ٣٠٧، الصناعتين: ٢٣٥، ديوان المعاني: ١٣٠/١، إعجاز القرآن: ٧٧، الإعجاز والإيجاز: ١٥٥، محاضرات الأدباء: ٣٧٦/٢، زهر الأدب: ٣٩٠/٢، الإبانة عن سرقات المتنبي: ٨٧، العمدة: ٧٤/١، تحرير التحرير: ٤٨٨/٣، المثل السائر: ٧٠/٣، معجم البلدان لياقوت الحموي: ٣٦٥/٥.

- (٥) رواية ديوان المعاني: «فعادوا». وعاجوا: أي عادوا ونزلوا، عاج عوجاً ومَعَاجاً لازم متعد. القاموس المحيط «عوج»: ٢٠٨/١.

والشاهد من مقطوعة^(١) يمدح بها سليمان بن عبد الملك^(٢).

وقبل الشاهد:

أَقُولُ لِرَكْبٍ قَافِلِينَ^(٣) رَأَيْتَهُمْ^(٤) قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ^(٥) وَمَوْلَاكَ قَارِبُ
قَفُّوا خَبْرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ آلِ^(٦) وَدَّانٍ^(٧) طَالِبُ^(٨)

(١) ومناسبة هذه المقطوعة أنه حضر عند سليمان بن عبد الملك الفرزدق ونُصِب، فطلب سليمان من الفرزدق أن ينشده أبياتاً، فأنشده:

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدَهُمْ لَهَا بَرَّةٌ مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ
سَرَوْا يَرْكَبُونَ الرِّيحَ وَهِيَ تَلْفَهُمْ عَلَى شُعَبِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
إِذَا آنَسُوا نَاراً يَقُولُونَ لَيْتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارٌ غَالِبِ

فغضب سليمان لأنه كان يظن أن الفرزدق سيقول أبياتاً يمدحه فيها، فإذا هو ينشده أبياتاً في الفخر، فقام نُصِب، وأنشده أبياتاً على روي أبيات الفرزدق - وهي الأبيات التي منها بيت الشاهد - فأجزل سليمان عطاءه.

(٢) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب الخليفة الأموي (٥٤ هـ - ٩٩ هـ) ولي الخلافة (سنة ٩٦ هـ)، وكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليال، وكان فصيح اللسان، كثير الأدب، لين الجانب، شديد العجب بشبابه، وجماله، أكلوا نهماً. انظر ترجمته:

المحبر: ٢٦، الفخري: ١٢٨، التنبيه والإشراف: ٢٩١، سمط النجوم: ١٨٧ - ١٩١.

(٣) رواية الأغاني: «صَادِرِينَ».

(٤) رواية الأغاني: «لَقَيْتُهُمْ».

ورواية معجم البلدان «عَشِيَّة».

(٥) ذات أوشال: وهو جمع «وَشَل»، والوَشَل بالتحريك الماء القليل يَتَحَلَّبُ من جبل أو صخرة يقطر منه قليلاً قليلاً، وذات أوشال موضع بين الحجاز والشام.

انظر: معجم ما استعجم: ٢١٢/١، اللسان «وشل»: ٧٢٥/١١.

(٦) رواية الأغاني: «مِنْ أَهْلِ».

(٧) وَدَّان: قرية جامعة من نَوَاحِي الْفُرْع قريبة من الجحفة، وهي بين مكة والمدينة، وهي لضمرة وغفار وكثانة قديماً، وقال صاحب معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية أن هذه القرية اندثرت من زمن بعيد وقد توهم بعض الباحثين أنها «مستورة» اليوم، وليس كذلك، =

وبعدهما الشاهد وبعده:

فَقَالُوا تَرَكْنَاهُ وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ يُطِيفُ بِهِ مِنْ طَالِبِي الْعُرْفِ رَاكِبٌ^(١)
وَلَوْ كَانَ فَوْقَ النَّاسِ حَيٌّ فِعَالُهُ كَفِعْلِكَ أَوْ لِلْفِعْلِ مِنْهُ يُقَارِبُ
لَقُلْنَا لَهُ شِبْهُهُ وَلَكِنْ تَعَذَّرْتُ سِوَاكَ عَلَى الْمُسْتَشْفِعِينَ الْمَطَالِبُ
هُوَ الْبَذَرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلُهُ وَهَلْ تُشْبِهُ الْبَذَرَ الْمُنِيرَ الْكَوَاكِبُ^(٢)

وقد أثنى ابن قتيبة على بيت الشاهد، فقال:

«لله در نُصَيْبٍ حيث يقول...»^(٣)

وعلق المبرد على بيت نُصَيْبٍ بقوله:

«وهذا في باب المدح حسن، ومتجاوز ومبتدع لم يسبق إليه» ثم ذكر أنه قد فُضِّلَ قول نُصَيْبٍ على الفرزدق إلا أنه لا يرى ذلك؛ لأن التفاضل عنده إنما يقع بين شيئين متناسبين، قال: وليس شعر نُصَيْبٍ هذا الذي ذكرناه في المدح بأجود من قول الفرزدق في الفخر، وإنما يُفاضل بين الشيئين إذا تناسبا، وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نُصَيْبٍ، كيف تراه. قال: هو أشعر أهل جلدته، فقام الفرزدق، وهو يقول:

وَحَيْرُ الشُّعْرِ أَشْرَفُهُ رَجَالًا وَشَرُّ الشُّعْرِ مَا قَالَ الْعَيْدُ^(٤)

= وموضع ودان شرق مستورة إلى الجنوب في حرة الأبواء، وبينها وبين مستورة قريبا من اثني عشر كيلو مترا. واهلها اليوم بنو محمد من بني عمرو من حرب.

معجم البلدان لياقوت الحموي: ٣٦٥/٥، معجم المعالم الجغرافية: ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٨) رواية معجم البلدان: «راغب».

(١) رواية الأغاني للبيت:

وَقَالُوا عَهْدَنَاهُ وَكُلُّ عَشِيَّةٍ بِأَبْوَابِهِ مِنْ طَالِبِ الْعُرْفِ رَاكِبُ

(٢) ديوانه: ٥٩، الأغاني: ٣٣٧/١.

(٣) عيون الأخبار: ٢٩٩/٣/١.

(٤) الكامل: ١٢٤/١.

وذكر الزجاج في أماليه أن معنى بيت نُصِيب الأخير مأخوذ من قول حاجب بن زرارة بن عدس^(١) :

أَغْرَكُمُ أَنِّي بِأَحْسَنِ شَيْمَتِي رَفِيقُ وَأَنِّي بِالْفَوَاحِشِ أَخْرَقُ
وَمَثَلِي إِذَا لَمْ يُجْزَ أَحْسَنَ صُنْعِهِ تَكَلَّمُ نَعْمَاهُ بِغِيهِ فَتَنْطَلِقُ^(٢)

ورأى أبو أحمد العسكري^(٣)، وتبعه الباقلاني^(٤) أن بيت نُصِيب مأخوذ من قول الأعشى :

وَإِنَّ عِتَاقَ الْعِيسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ ثَنَاءً عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقُ^(٥)

وذكر ابن الأثير أنه يروى عن الجاحظ أنه أدخل بيت نُصِيب في باب الكناية، وهو ليس منه، بل هو من التشبيه المضمحل الأداة، قال :

«... وقد أدخل في باب الكناية ما ليس منه كقول نُصِيب... البيت. فهذا يروى عن الجاحظ، وما أعلم كيف ذهب عليه مع شهرته بالمعرفة بفن الفصاحة والبلاغة، فإن الكناية هو ما جاز حمله على جانب الحقيقة كما يجوز حمله على جانب المجاز، وها هنا لا يصح ذلك، ولا يستقيم؛ لأن الثناء

(١) هو حاجب بن زرارة بن عدس الدارمي التميمي (٥٠٠ - نحو ٣ هـ) من سادات العرب في الجاهلية كان رئيس تميم في عدة مواطن، وهو الذي رهن قومه عند كسرى على مال عظيم، ووفى به. وقد أدرك الإسلام، وأسلم، وبعثه النبي ﷺ على صدقات بني تميم، فلم يلبث أن مات.
انظر ترجمته :

طبقات فحول الشعراء: ٥٨/١، ١٤٨، ٢٧٢، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٥٤، ٤٩٧، الأغاني :

١٥٠/١١، الإصابة: ٢٧٢/١، رقم (١٣٥٨)، الأعلام: ١٥٣/٢.

(٢) أمالي الزجاج: ٣٣.

(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: ٣٠٧.

(٤) إعجاز القرآن: ٧٧.

(٥) ديوان الأعشى - مؤسسة الرسالة -: ٢٧٢ رقم ٣٣.

للحقائب لا يكون إلا مجازاً، وهذا من باب التشبيه المضمّر الأداة الخارج ع: الكناية^(١) ويبدو لي أن قول ابن الأثير ليس بشيء:

أولاً: أنه لا يلزم - دائماً - في الكناية جواز إرادة المعنى الحقيقي، فأكثر كنايات النسبة لا يمكن فيها إرادة المعنى الحقيقي.

ثانياً: أين المشبه والمشبه به في العبارة: «أثنت عليك الحقائق».

ثالثاً: هذا من باب المجاز العقلي «وهو إسناد الفعل إلى ما ليس هو له».

رابعاً: قول ابن الأثير «لأن الثناء للحقائب لا يكون إلا مجازاً»، ثم قوله: «وهذا من باب التشبيه المضمّر الأداة»، قولان يتعارضان، والجواب عنه أن ابن الأثير يجعل التشبيه قسماً من المجاز^(٢).

أو لعله يقصد ما سمي بعد الاستعارة المكنية، أي التشبيه المضمّر في النفس، كما يقول الخطيب، والعبارة تفيد المبالغة في الجود، وهي ثمرة المجاز العقلي، فإذا أطلق عليها الجاحظ لقب الكناية فله نظره لأن هذه المصطلحات لم تكن متميزة كل التميز على عهد الجاحظ، فتخطئة ابن الأثير له محاسبة للجاحظ على اصطلاح لم يتميز في عهده، والذي يمكن أن يُقال إن الجاحظ كان يطلق على مثل هذا التعبير اصطلاح الكناية.

... وكتب الجاحظ إلى ابن الزيات:

«نَحْنُ أَعَزُّكَ اللَّهُ نَسَحَرُ بِالْبَيَانِ، وَنُمَوِّهُ بِالْقَوْلِ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَى الْحَالِ، وَيَقْضُونَ بِالْعَيَانِ، فَأَثَرُ فِي أَمْرِنَا أَثَرًا يَنْطِقُ إِذَا سَكَّتْنَا، فَإِنَّ الْمُدَّعِي بَغِيرِ بَيِّنَةٍ مُتَعَرِّضٌ لِلتَّكْذِيبِ».

ورأى الشيخ أن ما صنعه الجاحظ بقول نُصِيب أمر في غاية الندرة، فقد أخذ المعنى، وأخفاه إخفاءً لا يكاد يبين. إلا أننا إذا تأملنا بيت نُصِيب، وقارناه

(١) المثل السائر: ٧٠/٣.

(٢) المثل السائر: ١٠٦/١.

بكلام الجاحظ، وجدنا أن الجاحظ قد كشف المعنى وأسهب في بيانه. أما نُصِيب فكان تركيبه أدق وأجمل مع اختصاره وجعل نطق الأثر دليلاً على جود صاحبه، ولولا ذلك لتعرض من يمدحه للتكذيب.

انظر إلى الشطر الأول من بيت نُصِيب، وكيف تتابعت فيه «الفاء» «فعا جوا»، «فأثنوا»، فهي ذات دلالات لطيفة بارعة، وإيحاءات خفية تبرز المعنى في أجمل صورة.

«فالفاء» في قوله: «فعا جوا» أبرزت الحركة السريعة لرجوعهم وصورت تلهفهم على الإجابة لما يشعرون به نحو الممدوح من الحب والاعتراف بالجميل، ولما يروونه فيه من كريم الخصال، فهم بمجرد ما طرق السؤال آذانهم - «قفوا خبروني عن سليمان إنني . . . لمعروفه من آل ودان طالب» - أسرعوا بالعودة دون تمهل أو تباطؤ.

و«الفاء» في قوله: «فأثنوا» دلت على إسراعهم بالثناء وعلى تتابع الثناء منهم. فهم حين عا جوا ونزلوا لم يترثوا في النزول بل نزلوا بسرعة عجيبة ليباشروا بالثناء.

وفي بناء الشطر الثاني على الشرط بـ (لو) تصوير رائع لامتناعهم عن السكوت عن مديحه، فهم إن سكتوا عن مديحه والثناء عليه، فإنَّ الحقائق - وهي موضع المتاع - ستنطق بالثناء لما شعرت به من حسن صنيعك، وإنعامك وإعلائك لها.

وفي إسناد فعل الثناء للحقائق مجاز عقلي، فهي ليست فاعل الثناء إنما هي سببه، وما ذاك الإسناد إلا ليدل على سعة عطاياه وعظيم إنعامه.

جـ - وصف الشعر والإدلال به

إن غرض الشيخ عبد القاهر من هذا الفصل وإسهابه في سرد كثير من الشواهد الحافلة بوصف الشعر هو تصوير المعاناة التي يعانيتها الشاعر، وهو يصوغ قصائده، تبصيراً لمن ظن أن الإعجاز هو في مذاقة الحروق وسلامتها. وغفل عن النظر في تركيبها وصياغتها وفي هذا تحذير لمن تراوده نفسه على ركب المخاطر، وارتياح طريق الشعر مع قلة الزاد ونضوب المعين.

قال الشيخ :

«الغَرَضُ من كتب هذه الأبيات، الاستظهارُ حتَّى إن حمل حاملُ نفسه على الغرر، والتَّقَحُّمُ على غيره بصيرة، فزعم أن الإعجاز في مذاقة الحروف، وفي سلامتها مما يثقل على اللسان، عَلِمَ بالنظر فيها فساد ظنه، وقُبِحَ غلطه، من حيث يرى عياناً أن ليس كلامهم كلامَ من خَطَرَ ذلك منه ببالٍ ولا صِفَاتُهم صفاتٌ تصلح له على حال. إذ لا يَخْفَى على عاقل أن لم يكن ضرب «تميم» لحزون جبال الشعر؛ لأن تَسَلَّمَ الفاظه من حروفٍ تثقل على اللسان، ولا كان تقويمُ «عدي» لشعره وتشبيهه نَظَرَ فيه بنَظرِ المثَقَّفِ في كعوب قناته لذلك، وأنه مُحَالٌ أن يكون لَهُ جَعَلَ «بشار» نُورَ العين قد غَاصَ فصار إلى قلبه، وأن يكون اللؤلؤ الذي كان لا ينام عن طلبه، وأن ليس هو صَوْبُ العُقُولِ الذي إذا انجلت سَحَابٌ منه أَعْقَبَتْ بسحاب، وأن ليس هو الدُّرُّ والمرجان مؤلفاً بالشَّذر في البَعْدِ، ولا الذي له كان «البحري» مقدراً «تقدير داود في السُّرد» كيف؟ وهذه كلها عباراتٌ عَمَّا يُدْرِكُ بالعقلُ وَيُسْتَنْبَطُ بالفكر، وليس الفكر الطريقُ إلى تمييز ما

يُثْقَلُ عَلَى اللِّسَانِ مِمَّا لَا يُثْقَلُ، إِنَّمَا الطَّرِيقُ إِلَى ذَلِكَ الْحِسِّ^(١).

الشاهد السادس والأربعون بعد الثلاثمائة^(٢):
(الكامل)

أبو حية النميري^(٣):

إِنَّ الْقَصَائِدَ قَدْ عَلِمَنْ بِأَنِّي صَنَعُ اللَّسَانَ بِهِنٌ لَا أَتَنَحَّلُ^(٤)
وَإِذَا أَبْتَدَأْتُ عَرُوضَ^(٥) نَسَجٍ رِيضٍ^(٦) جَعَلْتُ تَذِلُّ لِمَا أُرِيدُ وَتُسَهِّلُ
حَتَّى تُطَاوِعَنِي وَلَوْ يَرْتَاضُهَا غَيْرِي لِحَاوَلِ صَعْبَةً لَا تَقْبَلُ^(٧)

بهذه الأبيات يصف أبو حية النميري قوة ملكته الشعرية واقتداره وتمكنه من تذليل اللغة، وتطويع الأساليب.

انظر إليه كيف أكد ملكته هذه بقوله: «بِأَنِّي صَنَعُ اللَّسَانَ» فجاء بأداة التوكيد «إِنَّ» وجاء بالصفة المشبهة «صَنَعُ» ليدل على أنها صفة متأصلة فيه ثابتة في طبعه لا يصيبها فتور، ولا تضطره إلى الانتحال.

وفي إضافة هذه الصفة إلى اللسان غاية التمكن والاقتدار، واستطاع أبو حية أن يصور الحركة الداخلية التي تمرور في نفسه حين يهيم بقول الشعر، فجعل القصائد كأنها حياً يحس، ويشعر، فهي ما إن تعلم برغبته في قول الشعر حتى

(١) الدلائل، رضا: ٣٩٧-٣٩٨، خفاجي: ٤٧١، شاعر: ٥١٨-٥١٩.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٩١، خفاجي: ٤٦٥، شاعر: ٥١١.

(٣) سبقت ترجمته: ١٢٧.

(٤) الانتحال: هو أن ينسب الشاعر إلى نفسه شعر غيره جملة. ولا يقال منتحل إلا لمن ادعى شعراً لغيره، وهو يقول الشعر. وأما أن كان لا يقول الشعر فهو مُدَّعٍ غير منتحل.
انظر: العمدة: ٢/٢٨٢، معاهد التنصيص: ٤/٤.

(٥) عروض: هي الناقصة الصعبة التي لم تذلل ولم ترض. اللسان «عرض»: ١٧٥/٧.

(٦) رِيض: بتشديد الياء المكسورة هي الدابة التي لم تقبل الرياضة، ولم تذلل لراكبها، أو هي الناقصة أول ما تراض وهي صعبة بعد، وكذلك العروض والعسير والقضيب من الإبل كله، والأنثى والذكر فيه سواء. اللسان «ريض»: ١٦٤/٧-١٦٥.

(٧) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر.

وهو ليس في شعره الذي جمعه: رجيح صخي التويلي.

تنشال رهواً، وتسرع في ذلة وطاعة بعد أن كانت جامحة شاردة كالناقة الجسور التي لم ترض ولم تذلل حين تهرب في الفلاة.

وبناء البيت الثاني على «إذا» الشرطية دل على أن هذه حاله على الدوام كلما همّ بقول الشعر.

ونأمل قوله: «حتى تطاوعني» وكيف دلت «حتى» على انتهاء الغاية في الطاعة، فكأنها استهلكت فعل الطاعة حتى نهايته وفي انهاء صورته بقوله: «ولو يرتاضها غيري لحاول صعبة لا تقبل» وفي بنائها على الشرط بـ«لو» تأكيد على امتناع وعجز غيره عن الترويض، فلو أن غيره حاول ترويض تلك الناقة وبذلك أقصى جهده في كبح جماحها، فإنه يحاول صعباً لأنها لن تقبل الترويض ولن تذلل له.

الشاهد السابع والأربعون بعد الثلاثمائة^(١):
(الطويل)

تميم بن مقبل^(٢):
إِذَا مِتُّ عَنْ ذِكْرِ الْقَوَافِي فَلَنْ تَرَى لَهَا قَائِلًا^(٣) بَعْدِي أَطْبُ وَأَشْعِرَا

- (١) الدلائل، رضا: ٣٩١-٣٩٢، خفاجي: ٤٦٥، شاکر: ٥١٢.
(٢) هو تميم بن أبي بن مقبل من بني العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، يكنى أبا كعب، وجاء في الاشتقاق أنه يكنى أبا الحرّة، وهو شاعر مخضرم «جاهلي - إسلامي»، جعله ابن سلام الرابع من الطبقة الخامسة من فحول الجاهلية وهو شاعر مجيد رثى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهاجى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فغلبه عبد الرحمن، وكان ابن مقبل أعور جافياً في الدين، فكان بعد إسلامه يبكي أهل الجاهلية ويذكرها.
انظر ترجمته:

طبقات فحول الشعراء: ١٥٠/١، الشعر والشعراء: ٤٦٢/١، الاشتقاق: ١٢، الإصابة: ١٨٩/١ - ١٩٠ رقم (٨٦٢)، سمط اللآلي: ٦٨/١، الخزائن: - دار صادر: ١١٣/١.

- (٣) رواية الديوان، الشعر والشعراء: «فَلَنْ تَرعى تَالِيًا بَعْدِي». ورواية منتهى الطلب: «تَالِيًا مثلي». ورواية أمالي ابن الشجري: «لها شاعراً مثلي».

وَأَكْثَرَ بَيْتًا سَائِرًا^(١) ضَرَبَتْ لَهُ^(٢) حُزُونُ جِبَالِ الشَّعْرِ^(٣) حَتَّى تَيْسَرَ
أَغْرَ غَرِيبًا يَمْسَحُ النَّاسُ وَجْهَهُ كَمَا تَمْسَحُ الْأَيْدِي الْأَغْرَ^(٤) الْمُشْهَرَا^(٥)

وهو من قصيدة مطلعها:

تَأْمُلُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ يَمَانٍ مَرَّتُهُ رِيحُ نَجْدٍ فَفْتَرَا^(٦)

وقبل الشاهد:

وَإِنِّي لَأَسْتَجِي وَفِي الْحَقِّ مُسْتَحٍ إِذَا جَاءَ بَاغِي الْعُرْفِ أَنْ أَتَعَذَّرَا^(٧)

وبعد الشاهد:

فَإِنْ تَكُ عِرْسٍ نَامَتْ اللَّيْلَ كُلَّهُ فَقَدْ وَكَلْتَنِي أَنْ أَصَبَّ وَأُسْهَرَا^(٨)

الشاعر في هذه الأبيات شديد الافتخار بشعره ومتانته، فانصرافه عن حوك القصائد اعتلال للشعر عامة، وقد جاء تركيبه لهذا المعنى تركيباً بليغاً يجسد المعنى تجسيداً حيث شبه انصرافه عن قول الشعر بالموت، فقوله «إِذَا مَت» ينبض بمعاني ثرة تفصح عن شاعرية ابن مقبل وجهه لنظم الشعر، وغرامه به، إذ لا حياة له إن امتنع عن نظمها إذ أن الشعر إحياء للشعور والإحساس، وفي الإنصراف عنه إزهاق لروح هذا الشعور، وإذا تجرد الإنسان من الإحساس

(١) رواية الديوان والشعر والشعراء، ومنتهى الطلب:

«وَأَكْثَرَ بَيْتًا مَرْدًا».

ورواية أمالي ابن الشجري: «وَأَكْثَرَ بَيْتًا شَاعِرًا».

(٢) رواية الشعر والشعراء: «بِهِ».

(٣) رواية الشعر والشعراء: «حُزُونُ جِبَالِ الشُّعْلَةِ».

والحزون جمع «حزن» والحزن ما غلظ من الأرض. اللسان «حزن»: ١١٢/١٣.

(٤) رواية الشعر والشعراء: «الْجَوَادُ الْمَشْهَرَا».

(٥) ديوانه: ١٣٦، الشعر والشعراء: ٤٦٤/١، الأمالي الشجرية - دار المعرفة -: ٧٢/١،

منتهى الطلب: ٣٧/١ ب.

(٦) الديوان: ١٢٩.

(٧) الديوان: ١٣٦.

(٨) الديوان: ١٣٧.

تجردت منه الحياة، و(إذا) الشرطية «هنا زادت صورة الموت تأكيداً إذ أنها جازمت بتحقيق وقوع الموت إن هو انصرف عن الإنشاد.

وانظر إليه كيف جعل القوافي تعتل لانصرافه اعتلالاً لا تجد من يطبها منه.

وانظر إليه كيف أقام معناه على أفعل التفضيل «أطب - أشعر أكثر - أغر» مبالغة في الافتخار.

وترث قليلاً وتأمل قوله «ضُربتَ لَهُ حُزُونُ جِبَالِ الشَّعْرِ» وكيف استطاعت هذه العبارة بمتانة تركيبها، ودقة سبكها ووفرة خصوصياتها أن تصور محاورة الشاعر للألفاظ، وإخضاعها لأحاسيسه، وسيطرته على أوابد الخواطر، وشوارد الأفكار، فجعل للشعر جبلاً، وجعل هذه الجبال مليئة بالحزون الغليظة، وقد ركب هذه الصورة عن طريق تتابع الإضافات فأضاف الحزون إلى الجبال، والجبال إلى الشعر، ليصور جسارة هذه الجبال ورسوخها وصلابتها، إلا أن بناء الفعل «ضُربت» للمجهول وتقديم الجار والمجرور «له» أظهر قدرة الشاعر على تمهيد هذه الحزون، وقوله «حتى تسرا» دل على تمكنه المطلق من اللغة فقد وصل بها إلى نهاية اليسر.

وما تزال المعاني التي تزخر بها نفس الشاعر تتصاعد وترقى، فها هو ذا بعد أن يسَّرَ حزون جبال الشعر، يتغنى بقصائده وأشعاره، فجاء بصورة الفرس الأغر الذي تتسابق إليه الأيدي لتطوف مسحاً على وجهه محبة له، وغراماً به، فكذلك أشعاره يتسابق الناس للاستماع إليها وإنشادها إعجاباً بها.

الشاهد الثامن والأربعون بعد الثلاثمائة^(١) :

(الكامل)

عدي بن الرقاع^(٢) :

(١) الدلائل، رضا: ٣٩٢، خفاجي: ٤٦٦، شاکر: ٥١٢.

(٢) هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عشرين شعل بن معاوية بن الحارث. وهو من عاملة حيٍّ من قُضاعة، ويقال له عدي بن الرقاع العالمي. كان شاعراً مقدماً عند بني =

وَقَصِيدَةٌ قَعْدَتْ أَجْمَعُ يَنْهَهَا حَتَّى أَقْوَمَ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا^(١)
نَظَرَ الْمُثَقَّفِ^(٢) فِيهِ كُعُوبٌ قَاتِهِ حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا^(٣)^(٤)

وهو من قصيدة مطلعها:

= أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك، وله بنت شاعرة يقال لها سَلَمَى .
جعله ابن سلام الرابع من الطبقة السابعة من فحول الإسلام «جاء في الأغاني أن ابن سلام
جعله في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام» وكان منزله في دمشق وهو من حاضرة الشعراء لا
من باديتهم .

انظر ترجمته:

طبقات فحول الشعراء: ٦٩٩/٢ - ٧٠٨، الشعر والشعراء: ٦٢٢/٢ - ٦٢٥، الأغاني:
٣٠٧/٩ - ٣١٧، المؤلف والمختلف: ١١٦، معجم الشعراء للمزباني: ٢٥٣، نهاية
الأرب: ٢٤٧/٤ .

(١) السناد: عيب يحدث في القافية قبل الروي، و الروي هو أثبت حروف البيت، وعليه بُنِيَ
المنظومات، وهو يكون من أي حروف المعجم وقع إلا حروفاً تضعف ولا تثبت، كآلف
الترنم وواوه، ويائه، وهاء الوقف وهاءات التأنيث إذا كان ما قبلها متحركاً، والألف التي
تلحق علماً للتثنية في مثل ضرباً وذهباً، والواو التي تدل على الجمع إذا كان مضموماً ما
قبلها في مثل ضربوا وقتلوا، وغير ذلك من الحروف، فإن اتفق غير ما ذكر فهو شاذ
مرفوض .

والروي له ثلاث منازل: يكون آخر حرف في الشعر المقيد ولا ينكسر هذا القياس في رأي
المتقدمين، ويكن بينه وبين انقضاء البيت حرف أو حرفان، وذلك في الشعر المطلق،
والذي ين رويه وبين انقضاء وزنه حرف واحد فإنما تجيء بعد رويه الصلة لا غير، وهي
تكون أحد أربعة أحرف، وتكون الأحرف الواو والألف والياء والهاء وأما الذي يقع بعد رويه
حرفان فهو ما تحرك هاء وصله فلزمها الخروج .

انظر: مقدمة اللزوميات: ٦/١، كتاب القوافي: ١٢٩، العمدة: ١٦٩/١ .

(٢) المثقف: الثقافة بالكسر آلة تسوى بها الرماح. اللسان: «ثقف»: ٢٠/٩ .

(٣) منادها: المناد المعوج. اللسان «أود»: ٧٥/٣ .

(٤) انظر البيتين في:

ديوانه: ٥٢، تأويل مشكل القرآن ١٩/٢، الشعر والشعراء: ٦٢٣/٢، البيان والتبيين:
٢٤٤/٣، الحيوان: ٦٤/٣، الخصائص: ٣٢٥/١، التشبيهات: ٢٢٥، الأغاني: ٣١٧/٩،
معجم الشعراء: ٢٥٣، الموشح: ١٢، إعجاز القرآن للباقلاني: ١٢٢، الروض الأنف:
١٨٠/٣، كتاب القوافي: ١٢٩، تحرير التحبير: ٤١٤/٣، الطرثف الأدبية: ٨٩ .

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْهُمًا فَأَعْتَادَهَا مِنْ بَعْدِ مَا دَرَسَ الْبَلَى أَبْلَادَهَا^(١)

وقبل الشاهد:

وَأَصَاحِبُ الْجَيْشِ الْعَرْمَرَمَ فَارِسًا فِي الْخَيْلِ أَشْهَدُ كَرَهَا وَطَرَادَهَا

وبعد الشاهد:

وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَذَّةً وَلَقِيتُ مِنْ شَطَفِ الْأُمُورِ شِدَادَهَا

فَسَتَرْتُ عَيْبَ مَعِيشَتِي بِتَكْرُمٍ وَأَتَيْتُ فِي سَعَةِ النَّعِيمِ سِدَادَهَا

وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ وَاحِدًا عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لِكَيِ أُرْدَادَهَا^(٢)

وجاء في الأغاني أن كثيراً قد انتقد عدياً حين سمع قوله:

وَقَصِيدَةٍ قَدْ بَتُّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا

فقال له: لو كنت مطبوعاً، أو فصيحاً، أو عالماً لم تأت فيها بميل ولا

سناد، فحتاج إلى أن تقومها، ثم أنشد:

نَظَرَ الْمُثَقَّفَ فِيهِ كُعُوبُ قَنَاتِهِ حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا

فقال له كثير: لا جرم أن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء؛ ولأن

تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها، ثم أنشد:

وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ وَاحِدًا عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لِكَيِ أُرْدَادَهَا

بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك. وما كنت قط

أحمق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك^(٣).

قال المرزباني:

«أخبرني الصولي، قال: حدثني يحيى بن علي قال، قال أبو جعفر

محمد بن موسى المنجم:

(١) ديوانه: ٤٩.

(٢) ديوانه: ٥٢، الطرائف الأدبية: ٨٩.

(٣) ديوانه: ٥٢، الطرائف الأدبية: ٨٩.

(٤) الأغاني: ٣١٦/٩ - ٣١٧.

كنت أحب أن أرى شاعرين، فأؤدب أحدهما - وهو عدي بن الرقاع -
لقوله:

وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ وَاجِدًا مِنْ^(١) عِلْمٍ وَاجِدَةٍ لِكَي أُرْدَادَهَا
ثم أسأله عن جميع العلوم، فإذا لم يجب أدبته، وأقبل رأس الآخر - وهو
زياد بن زيد - لقوله:

إِذَا مَا انْتَهَى عِلْمِي تَنَاهَيْتُ عَنْدَهُ أَطَالَ فَأَعْلَى أَمْ تَنَاهَى فَقَصَّرَا^(٢)
والمأمل لأبيات عدي يرى أنه كان دقيقاً في تصوير ما يعتمل في نفسه من
معاناة عند كتابة قصيدته، وهو أمر طبيعي ينتاب الشاعر حين يروض كلماته لتسير
وفقاً لأحاسيسه، فتقويم الميل والسناد في القصيدة، وهي ما تزال جنيئاً في
باطن الإحساس ليس عيباً يُنتقد عليه الشاعر، وإنما العيب كل العيب إذا أخرجها
للوجود بميلها وسنادها، فزهير بن أبي سلمى - وهو من عظماء الشعراء - كان
يهذب قصائده، وينقحها سنة كاملة، حتى عُرفت قصائده بالحوليات^(٣).

وأبيات عدي لها أوجه من الحسن لا يمكن حجبها عن الإحساس فقوله:
«قد بت» يتولد منه معانٍ دقيقة، فهو يشير إلى حرص الشاعر على اختيار الوقت
الذي ينظم فيه قصائده، فالبيات يكون ليلاً، وفي الليل تسكن الحياة، ويسكونها
تهدأ النفس، وتشف الروح، فتتضح الرؤى، وتتكشف المعاني أمام النفس
الشاعرة.

(١) رواية الديوان «عن علم».

(٢) الموشح: ١٧٣.

(٣) كان الأصمعي يقول: زهير والحطيئة، وأشباههما عبيد الشعر؛ لأنهم نقحوه، ولم يذهبوا به
مذهب المطبوعين. قال:

وكان زهير يُسمي كُبرى قصائده الحوليات. الشعر والشعراء: ٨٤/١ - ٨٥.

وجاء في خزنة الأدب:

وروي أن زهيراً كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة، وكانت تسمى
قصائده حوليات. - دار صادر: ٣٧٦/١ - ٣٧٧، وكان الحطيئة يقول:

«خير الشعر الحوليُّ المُنقَّح المحكَّك» الشعر والشعراء: ٨٤/١.

وتصوير حالته، وهو ينقح قصائده بصورة المثقف في كعوب قناته «هي نتاج خيال خصب دقيق، فالمثقف لكعوب القناة حريص كل الحرص على تقويم اعوجاجها؛ لأن في تقويمها استمراراً لحياته، وفي اعوجاجها لقاء حتفه، وكذلك الشاعر حريص على تنقيح قصائده؛ لأن في تنقيحها فخراً له وشهرة، وفي شهرته رفع لذكره، واستمرار لحياته، وفي اعوجاج قصائده مذمة له، ووضع لذلك الذكر. وانظر إليه حين رسم الصورة فقال: «نظر المثقف» فأضاف النظر إلى المثقف ليدل على دقة الشكيف.

وقوله في كلا شطري البيت الأول والثاني «حتى أقوم» و«حتى يقيم» دل على أنه لا يذيع قصائده ولا يخرجها إلا بعد أن يصل بها إلى غاية النهاية في التقويم.

الشاهد التاسع والأربعون بعد الثلاثمائة^(١): (الطويل)

قول كعب بن زهير:
فَمَنْ (٢) لِلْقَوَافِي شَانَهَا مَنْ يَحُوكُهَا إِذَا مَا تَوَى (٣) كَعْبٌ وَفَوْزٌ (٤) جَرُولُ (٥)
يُقَوْمُهَا (٦) حَتَّى تَعْلِينَ (٧) مُتُونُهَا فَيَقْصُرُ عَنْهَا كُلُّ مَا يَتَمَثَّلُ (٨) (٩)

- (١) رضا: ٣٩٢، خفاجي: ٤٦٦، شاكر: ٥١٢.
- (٢) رواية الشعر والشعراء: «وَمَنْ»،
- (٣) رواية الديوان والأغاني، واللسان: «ثوى» بالثاء المثناة. وثوى - وتوى بمعنى هلك. اللسان «ثوا: ١٢٦/١٤.
- وجاء في الديوان أنه يروى «إِذَا مَا مَضَى كَعْبٌ».
- (٤) فَوْز: بمعنى مات أي كأنه صار في مفازة ما بين الدنيا والآخرة. اللسان «فوز: ٣٩٢/٥.
- (٥) المقصود بجرول هنا الحطينة.
- (٦) رواية الأغاني وخزانة الأدب: «تنقفها» ويروى «يثقفها» بالياء.
- (٧) رواية الديوان: «حتى تقوم»، وذكر في الديوان أنه يروى أيضاً: «فيمضين غراً كلها يتمثل».
- (٨) يتمثل: يضرب مثلاً، يقال: تمثل هذا البيت، وتمثل به: ضربه مثلاً. اللسان «مثل: ٦١٢/١١.
- (٩) انظر البيتين في:

والشاهد من قصيدة مطلعها:

أَلَا بَكَرَتْ عِرْسِي تَلُومُ وَتَعْذُلُ وَغَيْرُ الَّذِي قَالَتْ أَعْفُ وَأَجْمَلُ

وقبل بيت الشاهد الأول وأبيات في الغزل آخرها:

وَصَافِيَةٌ^(١) تَنْفِي الْقَذَاةَ كَأَنَّهَا عَلَى الْأَيْنِ يَجْلُوهَا جَلَاءً وَتُكْحَلُ

وقبل بيت الشاهد الثاني:

يَقُولُ فَلَا نَعْيَا بِشَيْءٍ يَقُولُهُ^(٢) وَمِنْ قَائِلِيهَا مَنْ يُسِيءُ وَيَعْمَلُ^(٣)

وبعد بيت الشاهد الثاني:

كَفَيْتُكَ لَا تَلْقَى مِنَ النَّاسِ شَاعِرًا تَنْخُلُ مِنْهَا مِثْلَ مَا أَتَنْخُلُ^(٤)

وقد أخذ الكميّ بيت الشاهد الأول فقال:

وَمَا ضَرُّهَا أَنْ كَعْبًا تَوَى وَفَوْزٌ مِنْ بَعْدِهِ جَرُولُ

في هذين البيتين يفتخر كعب بقدرته على نظم الشعر وصياغته، وتظهر رنة هذا الافتخار قوية عالية في هذا الاستفهام الذي افتتح به صورته «فمن للقوافي» والذي حمل معنى الاستبعاد والتعجيز التام، فهذا الاستفهام ينبعث من داخل نفس شاعرة تحس إحساساً عميقاً بصعوبة الموقف الشعري، فاتخذت منه مادة

= ديوانه - صنعة أبي سعد السكري -: ٥٩، الشعر والشعراء: ١٥٩/١، الأغاني: ١٦٥/٢،

اللسان: ١٢٦/١٤، مادة «ثوا»، خزانة البغدادي - دار صادر -: ٤١١/١.

(١) صافية: يعنى عين محبوبته، وتنفى القذاة: ليس يريد أن هناك قذاة تنفيها، ولكن معناه أنها لم تقذ قط.

والأين: التّعْب. شرح ديوان كعب بن زهير - صنعة السكري -: ٥٩.

(٢) رواية الأغاني: «نقول فلا نعيًا بشيء نقوله» بنون الجمع.

(٣) رواية الأغاني: «وُجِّمِلُ»، يريد بيجمل: يتعنى ويجتهد. أساس البلاغة «عمل»: ٣٣١.

(٤) وقد اختلف ترتيب الأبيات في الأغاني، فذكر بعد بيت الشاهد الأول قوله:

كَفَيْتُكَ لَا تَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاجِدًا

نَقُولُ فَلَا نَعْيَا بِشَيْءٍ نَقُولُهُ

وبعدهما بيت الشاهد الثاني.

للفخر، فكل من يحاول حوك القصائد بعد كعب وجرول، فإنه يشينها ويعينها، لجهله بفن الحوك أما الشاعر، فإنه يعمل في القصيدة بيد صنع ماهر يذلل صعابها، ويلين متونها فتشال كلماتها عفواً حتى تقع كل كلمة في موقعها المتمكن. فيعجز عن الإتيان بمثلها كل من يقرض الشعر.

الشاهد الخمسون بعد الثلاثمائة^(١):

(الطويل)

بشار:

عَمِيْتُ جَنِيناً وَالذُّكَاةَ مِنَ الْعَمَى فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْثِلاً^(٢)
غَاصَ^(٣) ضِيَاءُ الْعَيْنِ لِلْعِلْمِ^(٤) رَافِداً^(٥) لِقَلْبٍ^(٦) إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلاً
وَشِعْرٍ كَنُورٍ^(٧) الرُّوضِ لَأَمَّتْ^(٨) بَيْنَهُ يَقُولُ^(٩) إِذَا مَا أَحْزَنَ الشُّعْرُ أَسْهَلاً^(١٠)

وقبل الشاهد:

- (١) الدلائل، رضا: ٣٩٢، خفاجي: ٤٦٦، شاکر: ٥١٢-٥١٣.
- (٢) رواية الديوان: «معقلاً».
- (٣) رواية أمالي المرتضى، وتاريخ بغداد: «غاص».
- (٤) رواية الديوان، وأمالي المرتضى، وتاريخ بغداد: «للقلب».
- (٥) رواية الديوان: «فاغتدي» بدلاً من رافداً، ورواية تاريخ بغداد: «رائداً».
- (٦) رواية الديوان وأمالي المرتضى: «بقلب»، ورواية تاريخ بغداد: «بحفظ».
- (٧) رواية تاريخ بغداد «كزهر».
- والنور، والنورة: الزهر، أو الأبيض منه، وأما الأصفر، فزهر. القاموس المحيط «نور»:
١٥٥/٢.
- (٨) رواية أمالي المرتضى وتاريخ بغداد:
«لَأَمَّتْ بِالْفَتْحِ وَمَعْنَاهُ «لا عوج»، ويبدو لي أن رواية «لَأَمَّتْ» أنسب وأقرب للصواب لأن
التعبير «لَأَمَّتْ بَيْنَهُ» بمعنى لا عوج بينه غير مناسب، والأنسب أن يقال: لَأَمَّتْ فِيهِ» أي لا
عوج فيه، وأيضاً لا يستقيم المعنى مع قوله «بقول» فيكون المعنى لا عوج بينه بقول - وهذه
الأخيرة من رواية أمالي المرتضى.
- (٩) رواية تاريخ بغداد: «نقي».
- (١٠) انظر الأبيات في:

ديوانه: ١٥٨/٤، الأغاني: ١٤٢/٣، أمالي المرتضى: ٥٠٩/١، تاريخ بغداد: ١١٤/٧.

إِذَا وُلِدَ الْمَوْلُودُ أَعْمَى وَجَدْتَهُ وَجَدَّكَ أَهْدَى مِنْ بَصِيرٍ وَأَجْوَلَا

في هذه الأبيات يفتخر بشار ذلك الشاعر الأعمى الضريع بقدرته الشعرية العجيبة، فالشعراء يغذون خيالهم بالصور المرئية المحسوسة، فيلائم الخيال بين هذه الصور وبين الأحاسيس والمعاني التي تنبض بها نفس الشاعر، فتخرج نتاجاً شعرياً.

أما بشار، فإنه يُغذي الخيال من الخيال، فتركيبه الشعري هو نتيجة تصور داخلي فقط، وعلى هذا المقياس تكون حركة الملاءمة بين المعاني والصور في النفس عملية شاقة على الشاعر. إلا أن بشاراً يعلن في افتخار أن شعره يخرج كنور الروض بهاء وحسناً وتناسقاً.

وانظر إليه، وقد بدأ البيت بقوله «وشعري» فالواو هنا واو «رُبَّ» أي «رُبَّ شِعْرٍ» فدلّت هذه الواو على كثرة شعره وغزارته، وهو مع كثرة متناغم الصور، متلاحم البنية، وَقَفَ متعجباً من ذلك الخيال السحري الذي لاءم بين تناسق صورته الشعرية وبين نور الروض وبهائه.

ثم قف متعجباً من خيال استعان بصورة «الحزن - والسهل» ليظهر سهولة شعره وسلاسته.

فكل مقام يحزن ويعسر فيه الشعر، تراه سرعان ما ينبسط، ويسهل أمام خيال الشاعر، وبنى الشاعر هذه الصورة على الشرط «بإذا» ليدل على سرعة البسط ويجزم بتحقيق وقوعه.

وبناء فعل الشرط، وجوابه على أفعل التفضيل «أحزن - أسهل» مبالغة في الوصف، فقوله «أحزن» مبالغة في وصف الطريق بشدة وعورة المسلك. وقوله «أسهلاً» مبالغة في وصف الطريق بالسهولة والبسط.

بشار:

زَوَّرَ مُلُوكُ عَلَيْهِ أَهْبَةٌ يَعْرِفُ^(٢) مِنْ شَعْرِهِ وَمِنْ خُطْبَةٍ
لِلَّهِ مَا رَاحَ فَهِيَ جَوَانِحِهِ مِنْ لَوْلُؤٍ لَا يَنَامُ^(٣) عَنْ طَلْبَةٍ
يَخْرُجُ^(٤) مِنْ فِيهِ لِلنَّدَى كَمَا يَخْرُجُ ضَوْءُ السَّرَاجِ مِنْ لَهَبٍ^(٥)

والأبيات من قصيدة قالها حين نهاء الخليفة المهدي عن مغازلة النساء مرة بعد مرة، فوصف في هذه القصيدة حال وفاته وأنه لا يحتاج إلى تأكيد النهي ولا يتهم بعدم الامتثال.

ومطلع القصيدة:

يَا مَالِكَ النَّاسِ فِي مَسِيرِهِمْ وَفِي الْمَقَامِ الْمُطِيرِ مِنْ رَهَبِهِ

وقبل الشاهد:

يَصْدُقُ فِي دِينِهِ وَمَوْعِدِهِ نَعَمْ وَيُعْطَى النَّدَى عَمَلِي كَذِبِهِ

وبعد أبيات الشاهد:

يَقُومُ بِالْقَوْمِ يَوْمَ جِئْتَهُمْ وَلَا يَخِيبُ الرُّوَادُ فَهِيَ سَبَبُهُ

في هذه الأبيات يفخر بشار بشعره ومتانته، فهو زَوَّرَ ملوك، فزيارة الملوك لا تتسنى إلا لمن كان ضليعاً في قول الشعر.

(١) الدلائل، رضا: ٣٩٢، خفاجي: ٤٦٦، شاکر: ٥١٣.

(٢) رواية الديوان: «تَعْرِفُ»، ورواية عيون الأخبار: «يَعْرِفُ» بضم الياء.

(٣) رواية الديوان وعيون الأخبار: «لَا يَنَامُ» بضم الياء أي يفتاؤون يطلبونه فيسهرون لأجل طلبه من شدة الرغبة فيه.

(٤) رواية الديوان وعيون الأخبار: «يَخْرُجُنْ».

(٥) لم أجده إلا في:

الديوان: ١٨٤/١.

عيون الأخبار: ١٨٢/٥/٢.

وقوله «عليه أبهة» بتقديم المسند «الجار والمجرور» عليه «على المسند إليه أبهة»، للاهتمام به مبالغة وادعاء، وهذا تأكيد لتعاليه وارتفاع مقامه وانظر إلى قوله (يُعرف من شعره ومن خطبه) وكيف أراد أن يرفع شعره غمزة نسبة، ويغطي به ما يخامر من نقص، فجعل الشهرة والمعرفة في الشعر والخطب لا في النسب إلى القبائل كما هو معروف عندهم.

وبعد هذا التعالي بالشعر جاء بصورتين يصف بهما ذلك الشعر ونفاسته، فهو كاللؤلؤ المخبوء في باطن البحر، والذي يجهد الناس في استخراج، ولا يفتر عن طلبه بل ويؤرقون أنفسهم للحصول عليه لشدة رغبتهم فيه.

وفي الصورة الثانية سَجَل المعاناة التي تدور في نفسه عند صياغة شعره، فجاء بصورة ضوء السراج، ولهبه ليظهر لنا أن الشعر أصبح سهلاً عليه، فهو ينبثق من نفسه تلقائياً كما يخرج السراج من اللهب.

(الوافي) الشاهد الثاني والخمسون بعد الثلاثمائة^(١):

أبو شريح العُمير^(٢):

(١) الدلائل، رضا: ٣٩٣، خفاجي: ٤٦٧، شاکر: ٥١٣.

(٢) لم أقف على ترجمة له.

وقد ورد البيتان في البيان والتبيين، وديوان المعاني من غير نسبة، ونُسباً في مجموعة المعاني لشاعر جاهلي.

ونسبهما ابن الشجري لابن ميادة - وهو الرُمّاح بن أبراد بن سراقه، وميادة أمه - من شعراء الدولتين الأموية والعباسية - وكان شاعراً مجيداً.

انظر ترجمته:

الشعر والشعراء: ٧٧٥/٢ - ٧٧٧، المؤلف والمختلف: ١٢٤، الأغاني: ٢٦١/٢ - ٣٤٠،

سمط اللالي: ٣٠٦/١، تاريخ ابن عساكر: ٣٣١/٥ - ٣٣٤، الخزانة للبغدادي - دار

صادر: ٧٦/١ - ٧٧، والبيتان في ملحقات ديوانه فيما نسب إليه وإلى غيره.

ولقد رأى الأستاذ شاکر في تحقيقه الدلائل، أن نسبة ابن الشجري إنما هي سهو منه

وخطأ، ورجح أنه أخذها من البيان والتبيين، فقد عقد الجاحظ باباً ذكر فيه أبياتاً، ثم قال:

وانشدني لابن ميادة، وذكر بيتاً من الشعر، ثم أتبعه بقوله: وأنشد، ثم ذكر البيتين، فاختلط

الأمر على ابن الشجري في نقله إلى حماسته. الدلائل - شاکر: ٥١٣.

فَإِنْ أَهْلِكَ فَقَدْ أَبْقَيْتُ بَعْدِي قَوَافِي تُعْجِبُ الْمُتَمَثِّلِينَ
لَذِيذَاتِ (١) الْمَقَاطِعِ (٢) مُحْكَمَاتٍ لَوْ أَنَّ الشُّعْرَ يُلْبَسُ لَأَرْتَدِينَا (٣)

يبدو أن بيتي أبي شريح ليس فيهما عمق، ولا جدة ولا طرافة في التصوير، حيث صور أشعاره مرة بالشيء الذي يؤكل ويلد طعمه «لذيزات المقاطع» وصورها ثانية بالشيء الذي يلبس - وهذه صورة عامية قريبة قاحلة المعنى.

الشاهد الثالث والخمسون بعد الثلاثمائة (٤): (الوافي)

الفرزدق:

بَلَّغْنَ الشَّمْسَ حِينَ (٥) تَكُونُ شَرْقًا وَمَسْقَطَ قَرْنِهَا مِنْ حَيْثُ غَابَا
بِكُلِّ نَيْيَةٍ وَيَكُلُّ نَغْرٍ فَرَائِبُهُنَّ (٦) تَنْتَسِبُ أَنْتَسَابَا (٧)

ونسب الأستاذ عبد السلام هارون البيتين في معجم شواهد العربية لعمير بن الحباب، وهو عمير بن الحباب بن جعدة السلمي (٧٠٠ - ٧٠ هـ) رأس القيسية في العراق، وأحد الأبطال الدهاة، كان ممن قاتل عبيد الله بن زياد مع إبراهيم بن الأشتر، ونشبت بينه وبين اليمانية، وبني كلب وتغلب وقائع منها: يوم «ماكسين»، ويوم «الثرثار الأول» ويوم «الثرثار الثاني»، وقُتل ابن الحباب في ويوم «الحشاك»، قتله بنو تغلب. انظر ترجمته:

معجم الشعراء للمرزباني: ٢٤٥، الموشح: ١٢٥، الأعلام: ٨٨/٥.
ونسب البيتان في ألف باء لحسان بن ثابت، ولم أقف عليهما في ديوانه.

(١) رواية كتاب ألف باء: «رقيقات».

(٢) رواية كتاب ألف باء: «القواطع».

(٣) انظر البيتين في:

ديوان ابن ميادة: ٢٥٨ - ٢٥٩، رقم (١٠٥)، البيان والتبيين: ٢٢٢/١، ديوان المعاني:

٨، حماسة ابن الشجري: ٢٣٨، كتاب ألف باء: ٥٧/١ - ٥٨، مجموعة المعاني: ١٧٨.

(٤) الدلائل، رضا: ٣٩٣، خفاجي: ٤٦٧، شاکر: ٥١٣ - ٥١٤.

(٥) رواية النقائض: «حَيْثُ تَكُونُ».

(٦) رواية النقائض: «غَوَارِبُهُنَّ».

(٧) لم أجد البيتين إلا في:

ديوانه: ١٠٤/١.

نقائض جرير والفرزدق: ٤٧٦/١.

والشاهد من قصيدة له يناقض بها جريراً ومطلعها:
أَنَا أَبْنُ الْعَاصِمِينَ بَيْنِي تَمِيمٌ إِذَا مَا أُعْظِمُ الْحَدَثَانِ نَابَا

وقبل الشاهد:
وَعُرٍّ^(١) قَدْ نَسَقْتُ مُشْهَرَاتٍ طَوَالِعَ لَا تُطِيقُ لَهَا جَوَابَا

وبعد الشاهد:
وَخَالِي بِالنُّقَا تَرَكَ ابْنَ لَيْلَى أَبَا الصُّهْبَاءِ مُحْتَفِرًا لِهَابَا
إن المتأمل في أبيات الفرزدق يشعر بتلك الروح المفعمة بالافتخار، والاعتزاز بتتاجها الفكري المشرق، هذه الحقيقة التي تمتلئ بها نفس الفرزدق، وتفيض بها جوانحه تحتاج إلى مؤكدات لتقررها في نفوس السامعين، شأنها في ذلك شأن الحقائق العظيمة والصفات الجليلة، إلا أن الفرزدق ضرب عن ذلك صفحاً، زاعماً أن بلوغ قصائده مشرق الشمس ومغربها أمر مقرر في النفوس بداهة.

وأنظر إلى روعة الصورة التي أبرزت حفاوة الشاعر بشعره فقصائده قد بلغت من السمو والعلو مقاعد الشمس، وبلغت من الانتشار والعموم كل ما يبلغه ضوء الشمس ويصل إليه على الدوام، فقلوه «ومسقط قرنهما من حيث غابا» فيه إشارة إلى حركة الانتشار والذوب، فقصائده مصاحبة للشمس في رحلتها الدائبة، ومع كل إشراقه شمس تبعث قصائده الإشراق والأنس في النفوس، فقصائده تصاحب الشمس في دورتها، وشهرته تصاحب قصائده وترحل معها، فقرنَ مع دورة الشمس دورة أخرى عجيبة هي في ظنه أوسع وأعم انتشاراً، فما من ثنية، وما من ثغر إلا وقد عمته نسبة القصائد إليه.

فقلوه «تنتسب انتساباً» تأكيد بأن أمر نسبتها إليه أمر بديهي مسلم به، فسامعها لا يبذل جهداً ولا يجد عناءً في معرفته.

وانظر إلى الباء في قوله «بكل ثنية، وبكل ثغر» وكيف دلت على تمكن

(١) أراد بالغر قصائده.

تلك النسبة من كل ثغر وكل ثنية وعمومها فيهما ولو أنه جاء (بالفاء) لما دلت على هذا التمكن.

الشاهد الرابع والخمسون بعد الثلاثمائة^(١):
(الطويل)

ابن ميادة^(٢):

فَجَرْنَا يَنَابِيعَ الْكَلَامِ وَبَحْرَهُ فَأَصْبَحَ فِيهِ ذُو الرُّوَايَةِ يَسْبَحُ
وَمَا الشُّعْرُ إِلَّا شِعْرُ قَيْسٍ وَخِنْدِفٍ وَشِعْرُ^(٣) سِوَاهُمْ كُفْلَةٌ وَتَمْلُحُ^(٤)

وهما بيتان لا ثالث لهما، قالهما حين اجتمع مع عقال بن هاشم يباب الوليد بن زيد، وكان عقال شديد الرأي في اليمن، فغمز عقال ابن ميادة، واعتلاه، فقال ابن ميادة أبياته، فأجابه عقال بأبيات^(٥) ستذكر بعد هذا الشاهد.

وقد أجاد ابن ميادة في اختيار صورة البحر والينابيع المتفجرة، والسباحة في أعماقها للتعبير عن قصائده الشعرية، فالبحر يشير إلى ما تمتلئ به عباراته من عمق الخيال وغزارته، وما يحويه من أسرار عجيبة نادرة، لا يكشف خبيثها النظرة الشريفة العابرة.

وانظر إلى الفاء في قوله «فأصبح» وكيف دلت على تلهف وشوق أصحاب الرواية، فهم حين رأوا تلك الينابيع الثرة الغزيرة أسرعوا يسبحون في أعماق معانيها شوقاً إلى افتضاض أسرارها.

ومجيء الجملة الفعلية «يسبح» دل على تجدد رغبتهم في السباحة، لما وقعوا عليه من عجب الأسرار، فكلما أمعنوا النظر في هذه الأشعار تكشفت لهم معاني عجيبة تزيدهم شوقاً إلى تجديد البحث.

(١) الدلائل، رضا: ٣٩٣، خفاجي: ٤٦٧، شاکر: ٥١٤.

(٢) سبقت ترجمته: ١١٥٣.

(٣) رواية الديوان والرسالة الشافية: «وَقَوْلُ».

(٤) انظر البيتين في:

ديوانه: ٩٧، الأغاني: ٣٠٩/٢، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - الرسالة الشافية: - ١٣٦.

(٥) الأغاني: ٣٠٩/٢.

ثم أكد هذه الصورة عن طريق القصر بـ «ما وإلا» ليزيدها تقريراً في النفوس. فأثبت أن الشعر الحقيقي هو شعر قيس وخندف، وأن شعر سواهم إنما هو مصطنع متكلف.

الشاهد الخامس والخمسون بعد الثلاثمائة^(١):
(الطويل)

قال عقّال بن هشام القيني^(٢) - يرد على بيتي ابن ميادة السابق الذكر -:
أَلَا أُبْلِغِ الرَّمَّاحَ نَقْصَ مَقَالَةٍ بِهَا خَطِلَ الرَّمَّاحُ أَوْ كَانَ^(٣) يَمَزَحُ
لَقَدْ خَرَقَ الْحَيَّ الْيَمَانُونَ قَبْلَهُمْ بُحُورَ الْكَلَامِ تُسْتَقَى وَهِيَ^(٤) طُفَحُ
وَهُمْ^(٥) عَلَّمُوا مَنْ بَعْدَهُمْ فَتَعَلَّمُوا وَهُمْ أَغْرَبُوا هَذَا الْكَلَامَ وَأَوْضَحُوا
فَلِلْسَابِقِينَ الْفَضْلُ لَا تَجْحَدُونَهُ^(٦) وَلَيْسَ لِمُسْبِقِي^(٧) عَلَيْهِمْ تَبَجُّحُ^(٨)

وذكر أبو الفرج الأصفهاني بيتاً بعد البيت الأول، وهو:
لَيْثٌ كَانَ فِي قَيْسٍ وَخَنْدِفٍ أَلْسُنٌ طَوَالٌ وَشِعْرٌ سَائِرٌ لَيْسَ يُقْدَحُ

- (١) الدلائل، رضا: ٣٩٣، خفاجي: ٤٦٧، شاکر: ٥١٤.
- (٢) لم أقف على ترجمة له، ولكن يفهم من خبره مع ابن ميادة - الذي أورده أبو الفرج الأصفهاني - أنه من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، وقد لقي الوليد بن يزيد، وكان عقّال شديد الرأي في اليمن. الأغاني: ٣٠٩/٢.
- (٣) رواية الرسالة الشافية «كاد»، وكذلك ذكر في تحقيق الأغاني أنه ورد في عدد من المخطوطات: «كاد» بدلاً من «كان».
- (٤) رواية الأغاني: «وَهِيَ تَطْفَحُ»، وعلق المحقق على رواية «طُفَحُ» بأنه لا يوجد في كتب اللغة أَنَّ طافحاً يجمع على طُفَحَ، ولكن علماء العربية يقولون: إن فَعْلاً يطرده جمعاً لفاعل متى كان وصفاً صحيح اللام نحو عاذل، وعذل، وشاهد وشهد.
- (٥) رواية الرسالة الشافية «وقد».
- (٦) رواية الرسالة الشافية «لا تنكرونها».
- (٧) ورواية الأغاني والدلائل تحقيق شاکر: «لا يجحدونه».
- (٨) رواية الرسالة الشافية والأغاني: «وليس لمخلوق».
- (٨) لم أجدها فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:
الرسالة الشافية - ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ١٣٦ - ١٣٧، الأغاني: ٣٠٩/٢.

فابن عقال في أبياته هذه يردُّ على ابن ميادة، وينقض مقالته السابقة، فليس لقيس وخندف ما لليمانيين من الأشعار الغزيرة الطُّفَح التي يُستقى منها، فلا ينضب معينها، فهم أصحاب هذا العلم ورواده، ولهم فضل سبق، ولا يستطيع أحد أن يتبجح بسبقه.

فأبيات ابن عقال إذاً إنما جاءت لنقض مقالة، وإسقاط رأي، ففيها من معاني التحدي ما فيها، لذا افتتحها بأداة الاستفتاح «ألا» هذه الأداة القوية الرنانة التي تستفتح نوافذ الحس، وتوقظ غوافي الإدراك، فتنبه الأسماع، وتهبُّ النفوس لتلقي ذلك النقص.

ثم نكر لفظ «مقالة» لتحقير هذه المقالة، والتقليل من شأنها، فهي مقالة واهنة مستركة.

واستمع إلى رنين الكلمات حين بدأت تقرر الحقائق «لَقَدْ خَرَقَ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ» فاجتمع في العبارة أداتان من أدوات التوكيد «اللام - قد»، ولفظ «خرق» وما فيه من شدة وقوة وتغلغل.

ثم تأمل لفظ «تُستقى» وما أحدثه في النفس من تعميق صورة شعرهم، وإظهار غزارتها واتساعها فبناء الفعل للمجهول دل على كثرة السقااة وتوافدهم المستمر على بحور اليمانين لإرواء النفوس من معانيها العذبة، وإرواء الخيال بصورها الخصبة.

وانظر إلى قوله «وهي طُفَح» وكيف أكد وقرر غزارتها وعدم نُضوب معينها. وتظل رنة الافتخار تعلو ويسمع صداها في تكرار الضمير «وهم علّموا - وهم أعربوا» فالشاعر يحس إحساساً عميقاً بفضلهم ومكانتهم، فأبى إلا أن يسجل هذا الإحساس ويقرر لهم هذا الفضل.

ويأتي اسم الإشارة «هذا الكلام» مشيراً إلى شرف وفخامة علمهم. وحذف المفعول به من الجملة «وأوضحوا» ليثبت وقوع عموم الإيضاح منهم، وشموله لكل لفظة، وكل كلمة، وهذا دليل على اتساع علمهم وتبحرهم.

أبو تمام:

كَشَفْتُ قَنَاعَ الشَّعْرِ عَنْ حُرٍّ وَجْهِهِ وَطَيَّرْتُهُ عَنْ وَكْرِهِ وَهُوَ وَاقِعٌ
بِغُرٍّ يَرَاهَا بِسَمْعِهِ وَيَذْنُو^(٢) إِلَيْهَا ذُو الْحَجَى وَهُوَ شَاسِعٌ
يَوْدُ وَدَاداً أَنَّ أَعْضَاءَ جِسْمِهِ إِذَا أَنْشَدَتْ شَوْقاً إِلَيْهَا مَسَامِعُ^(٣)

وهو من قصيدة له يفخر بقومه ومطلعها:

أَلَا صَنَعَ الْبَيْتُ الَّذِي هُوَ صَانِعٌ فَإِنْ تَكُ مِجْزَاعاً فَمَا الْبَيْتُ جَانِعٌ

وقبل الشاهد بيت متصل به وهو قوله:

فَكَمْ شَاعِرٍ قَدْ رَأَيْتَنِي فَقَذَعْتُهُ بِشِعْرِي فَأَمْسَى وَهُوَ خَزْيَانُ ضَارِعُ^(٤)

إن أبيات أبي تمام هذه من حر الشعر وجيده، فهي تزخر بالصور الكريمة الرائعة.

انظر إليه وقد كشف قناع الشعر عن أجمل وجوهه، فكان الشعر كان قبله محجوباً مستوراً، فجاءت قصائده بحسن تراكيبها، وحسن صياغتها، وروعة خيالها، فأظهرت وجوه جمال الشعر.

ثم تأمل الصورة الأخرى، وهي صورة إبعاد الطير عن وكره وهذه السورة مألوفة معروفة، ولكن أبا تمام أضفى على هذه الصورة غرابة وطرافة بقوله «وهو

(١) الدلائل، رضا: ٣٩٤، خفاجي: ٤٦٧، شاکر: ٥١٤.

(٢) رواية الديوان بشرح التبريزي: «فيدنو» بالفاء ويبدو لي أن رواية الفاء أجمل لأن الفاء تدل على سرعة استجابة السامع فيبادر ليتوه إلى الدنو منها.

(٣) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ٥٩٠/٤ - ٥٩١.

لم أجده في ديوانه طبعة دار صعب.

كذلك لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر.

(٤) نقلاً عن الدلائل تحقيق رضا ولم أجده هذا البيت في ديوانه ورأيت أن من الصواب إثباته لصلته الوثيقة بالشاهد؛ لأن الضمير في البيت الأول من الشاهد «عن حر وجهه» يرجع إلى الشاعر. ولذا أثبتته.

واقع» فالغرابية في كون الطير طائراً واقعاً في نفس الوقت، فقصائده طائرة إلى
الأسماع واقعة متمكنة في قلب كل من يتصل إلى سمعه.

وتأمل قوله «من يراها بسمعه» بسكون طائر، وخفض جناح، وتفرغ لب،
وجمع عقل، فإنه تركيب رائع يصور دقة قصائده، وبراعتها في الوصف والتجسيد
ومهارتها في إيقاع كل كلمة موقعها في النفس والخيال حتى غدا السمع عيناً مبصرة.
وأنظر إلى مهارته في رسم صورة المستمع لها:

«يدنو إليها... وهو شاسع»، فهذا الطباق كشف عن خيال أبي تمام
البارع، فمن هذه المتناقضات ولد صورة اللفه والشوق لقصائده، وحين يكون
الشوق والتلف من أصحاب العقول والحجى، تكون تلك القصائد في الدرجة
المتناهية من علو الطبقة.

وقف وتأمل كيف وصف إعجاب المنصتين بها بقوله: «يود وداداً».

فالمستمع وصل إلى قمة الطرب النفسي، والانسجام الخيالي فجمحت
رغبته وهي تلح إلحاحاً في أن تتحول أعضاء جسمه كلها مسامع تصغى إلى حلول
القول وعذب الحديث، فتانس وتطرب.

وصياغة الكلام عن طريق الشرط «بإذا» وبناء فعل الشرط «أنشدت»
للمجهول دل على أنه كلما أنشدت قصائده زادت في نفسه هزة الطرب، والفصل
بين الشرط وجوابه بقوله «شوقاً إليها» إثبات وتأكيد لشدة الشوق وحرارته.

الشاهد السابع والخمسون بعد الثلاثمائة^(١): (الكامل)

أبو تمام:

حَذَاءُ^(٢) تَمْلَأُ أُذُنَ حِكْمَةٍ وَبَلَاغَةً وَتُذِرُ^(٣) كُلَّ وَرِيدٍ^(٤)

(١) الدلائل، رضا: ٣٩٤، خفاجي: ٤٦٨، شاکر: ٥١٥.

(٢) الحذاء: القارصة أو الطاعنة. اللسان «حذاء»: ١٧١/١٤ - ١٧٢.

(٣) الذر: من ذر اللبن والدمع ونحوهما تذر، وتذر، ذراً وذروراً، وكذلك الناقة إذا حليت فأقبل
منها على الحالب شيء كثير قيل: درت. اللسان: «درر»: ٢٧٩/٤.

(٤) الوريد: هو كل عرق ينفض في جسم الإنسان. اللسان «ورد»: ٤٥٩/٣.

كَالدَّرِّ وَالْمَرْجَانِ أَلْفَ نَظْمُهُ بِالشُّذْرِ^(١) فِي عُتْقِ^(٢) الْفَتَاةِ الرُّودِ^(٣)
كَشَقِيقَةِ الْبُرْدِ الْمُتَمَنِّمِ^(٤) وَشَيْهِ فِي أَرْضِ مَهْرَةٍ أَوْ بِلَادِ تَزِيدِ^(٥)
يُعْطِي بِهَا الْبُشْرَى الْكَرِيمَ وَيَرْتَدِّي بِرِدَائِهَا فِي الْمَحْفِلِ الْمَشْهُودِ
بُشْرَى الْغَنِيِّ أَبِي الْبَنَاتِ تَتَابَعَتْ بُشْرَاؤُهُ بِالْفَارِسِ الْمَوْلُودِ^(٦)

والأبيات من قصيدته التي قالها في مدح أبي عبد الله أحمد بن أبي دؤاد،
ويستشفع بخالد بن يزيد^(٧)، ومطلعها:

أَرَأَيْتَ أَيَّ سَوَالِفٍ وَخُدُودِ عُنْتُ لَنَا بَيْنَ الْلَوَى فَزُرُودِ
وقبل أبيات الشاهد:

(١) المقصود بالشذر هنا، ما يلقط من الذهب من المعدين من غير إذابة الحجارة. مختار الصحاح «شذر»: ٣٣٣.

(٢) رواية الديوان: «في عتق الكعاب الرود».

(٣) الرود: الجارية الناعمة، أو هي الفتاة التي تطوف في بيوت جاراتها والمقصود المعنى الأول. اللسان «ورد»: ١٨٨/٣.

(٤) رواية ثمار القلوب: «المسهم».

(٥) برود ومهرة وتزيد يضرب بها المثل كما يضرب ببرود اليمن، والعرب تنسب البرود الفاخرة إلى تزييد، وترغم أنها قبيلة للجن، ثمار القلوب: ٥٩٨/٢.

وقيل: إن مهرة - بالفتح -، وتزيد حي من عرب اليمن من قضاة تُنسب إليهم الإبل المهرية، والبرود ذات الخطوط الحمر، وقالوا تُنسب الإبل المهاري إلى مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة، وقالوا: تزييد بن الحاف بن قضاة، وإليه تنسب البرود التزيديّة، وغلط في القاموس، فقال: تزييد بن حلوان، كما غلط من قال: ابن حيدان فهو عم مهرة لا أخوه.

انظر: اللسان «مهر»: ١٨٦/٥، القاموس المحيط: «زيد»: ٣١٠/١، الدلائل - تحقيق رضا -: ٣٩٤.

(٦) ديوانه - دار صعب -: ٧٧، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٥٩٨/٢، المثل السائر: ١٣١/١ - البيت الأول فقط -، ١٥٠/٢ البيت الثاني فقط مع بيت آخر لم يذكر ضمن أبيات الشاهد، وإن كان وثيق الصلة بها، - وسيأتي ذكره -.

(٧) هو خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني، وقد مضت ترجمته: ٣٤٧.

خُذَهَا مُتَّقَفَةً الْقَوَافِي رَبُّهَا لِسَابِغِ النُّعْمَاءِ غَيْرُ كُنُودٍ^(١)
وبعد الشاهد:

كَرَفَى الْأَسَاوِدَ وَالْأَرَاقِمَ طَالَمَا نَزَعَتْ حِمَاتٍ سَخَائِمٍ وَحَقُودٍ

ولقد أورد ابن الأثير بعض أبيات الشاهد في موضعين: فذكر البيت الأول من الشاهد عند حديثه عن حل الأبيات الشعرية حيث قسم الموضوع ثلاثة أقسام، وجعل الشاهد من القسم الثاني، وهو أن يُنشر المعنى المنظوم ببعض ألفاظه ويعزَم عن البعض بألفاظ آخر ورأى أن أجمل ما في البيت قوله:

«تَمَلُّ كُلُّ أُذُنٍ حِكْمَةً» وهو عنده من الكلام الحسن الذي إن أُريد نثره لم يمكن إلا باستعمال ذات لفظه؛ لأنه في الغاية القصوى من الفصاحة والبلاغة، فينبغي مؤاخاته بمثله، وهذا عسر جداً، وهو أصعب مثلاً من نثر الشعر بغير لفظه؛ لأنه مسلك مضيق؛ لما فيه من التعرض لمماثلة ما هو في غاية الحسن والجودة^(٢).

أما البيت الثاني من أبيات الشاهد فقد أورده في القسم الثالث من التشبيه وهو تشبيه المفرد بالمركب^(٣).

لقد أجاد أبو تمام في استثمار اللغة تركيباً وتصويراً ونعماً، فأبياته هذه تزخر بالصور الحية التي تبرز فخر الشاعر واعتزازه بقوة شعره، وجزالته وفخامة صياغته، وتنوع أغراضه، فقصائده «حذاء» تطعن كل شعر قيل وتفنيه.

وحذف المسند إليه، وابتدأ البيت بالمسند؛ لأن الموقف هنا يتطلب نوعاً من السرعة والعجلة، فصورة الطعن والفناء تحتاج إلى سرعة وخفة في الحركة، والحذف هنا ناسب هذه الخفة وساعد في إبرازها.

(١) الديوان: ٧٧.

(٢) المثل السائر: ١٥٠/٢.

(٣) المثل السائر: ١٣٠/١ - ١٣١.

وقصائده كذلك تحمل من كرائم المعاني، ونادر الأساليب ما يملأ الأذان
حكمة وبلاغة.

وقوله «وتدر كل وريد» أظهر جمال قصائده ومدى تأثيرها في النفوس، فهي
تبعث الحياة في نفس كل من استمع إليها.

ثم أخذ يصور قصائده في تلاحم بنائها وانسجام كلماتها بالعقد المنظم من
الدر والمرجان، وقد ألف بين جوهره بالشذر، وزاد الصورة جمالاً حين جعل هذا
العقد معروضاً في عنق الفتاة الناعمة المتميلة دلاً.

ثم أعقب هذه بصورة أخرى يأنس لها الذوق العربي، ففي قصائده من
التحسين والتنقيح، ولباقة الصنعة وطرافة الخيال، ما يجعلها كالبرود المنقوشة
نقشاً دقيقاً محكماً، والمزدانة بالتصاوير والألوان الجميلة، وفي تقييد هذه البرود
بكونها من بلاد مَهرة أو بلاد «تزيد» دليل على نفاستها وندرتها ودقتها؛ لأن بلاد
«مَهرة» وبلاد تزيد أشهر بلاد تصنع فيها هذه البرود، وقصائده قدّم خير يأنس بها
الناس، فهي حافز للكريم يدفعه للعطاء والسخاء، فقوله «يُعطي بها البشري
«فقدم الجار والمجرور تعظيماً لها، وسمى العطايا «بُشري» لوفرّتها وكثرتها، فهي
عطايا كثيرة تستبشر بها النفس، ويهش لها الفؤاد، ثم رسم صورة رائعة لتلك
البُشري فهي بُشري غني يملك الأموال الطائلة، وليس عنده إلا البنات، فهو دائم
القلق والتفكير كثير الاضطراب والخوف من ضياع ماله وبينما هو في هذه الحال،
يسرع إليه المبشرون بذلك الفارس المنتظر، فما عساها أن تكون فرحته؟! وكيف
عساها أن تكون عطاياء؟!

وهذه القصائد لفخامتها وعظمتها أعلنت من ذكر هذا الكريم وعظّمت من
شأنه فجعلته يرتدي رداء الفخر والعظمة في المحافل المشهودة.

الشاهد الثامن والخمسون بعد الثلاثمائة^(١):

(الكامل)

أبو تمام:

(١) الدلائل، رضا: ٣٩٥، خفاجي: ٤٦٨، شاکر: ٥١٥.

جَاءَتْكَ مِنْ نَظْمِ اللِّسَانِ قِلَادَةٌ سِمَاطَانِ فِيهَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ
أَحْذَاكُهَا^(١) صَنَعَ الضَّمِيرُ^(٢) يَمُدُّهُ جَفَرُ^(٣) إِذَا نَضَبَ الْكَلَامُ مَعِينُ^(٤) (٥)

وهو من قصيدة يمدح بها الواصل بالله^(٦)، ومطلعها:

وَأَبِي الْمَنَازِلِ أَنَّهَا لَشُجُونٌ وَعَلَى الْعُجُومَةِ إِنَّهَا لَتَبِينُ

وقبل بيت الشاهد الأول:

مَا فَوْقَ مَجْدِكَ مُرْتَقَى مَجْدٍ وَلَا كُلُّ آفِتْخَارٍ دُونَ فَخْرِكَ دُونَ

وقبل بيت الشاهد الثاني أبيات، وثيقة الصلة بالبيتين، وهي:

حَذَيْتَ حِذَاءَ الْحَضْرَمِيَّةِ^(٧) أَرْهَفْتُ وَأَجَادَهَا التَّخْصِيرُ^(٨) وَالتَّلْسِينَ^(٩)

(١) أحذاكها: أعطاكها. اللسان «حذا»: ١٧٠/١٤.

(٢) رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي: «صَنَعَ اللِّسَانِ».

وَالصَّنْعَ وَالصَّنْعُ: الصَّانِعُ الْحَاقِقُ الْمَاهِرُ. اللسان «صنع»: ٢٠٩/٨.

(٣) الْجَفَرُ: البئر الواسعة التي لم تُطَوَّرْ. اللسان «جفر»: ١٤٣/٤.

(٤) معين: الماء الذي يجري على وجه الأرض، وقيل الماء العذب الغزير، وقال الخطيب

التبريزي: و«المعين» الذي يجري على وجه الأرض، وقد كَثُرَ ذلك حتى صار الناس

يُسَمُّونَ الماءَ الذي يُسْتَقَى مِنَ الْآبَارِ مَعِينًا؛ لِأَنَّهُ يَنْبَعُ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَفْرُقُونَ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ

الْمَخْتَزَنِ مِنَ مَاءِ الْمَطَرِ وَغَيْرِهِ.

انظر: اللسان «معن»: ٤١٠/١٣، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب: ٣٣١/٣.

(٥) انظر البيتين في:

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ٣٢٨/٣ - ٣٣١، ديوانه - دار صعب -: ٢٩٣، زهر

الأدب: ٦٦٢/٣.

(٦) سبقت ترجمته: ٩٧٦.

(٧) يعني بالحضرمية «النعال» تَسَبَّهَا إِلَى حَضْرَمَوْتِ، رُبَّمَا لِأَنَّهَا أَشْهَرُ النُّعَالِ - وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ

الْأَبْيَاتِ يَشْبَهُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَمَا أَنَّ النَّعْلَ الْمَحْدُودَةَ تُشَاكِلُ أَحْتَهَا، فَلَا تَزِيدُ عَلَيْهَا، وَلَا تَقْصُرُ

دُونَهَا، وَهُوَ مِنْ هَذَا النَّعْلِ حَذْوًا، وَجِدَاءَ قَدْرُهَا، وَقَطْعَهَا عَلَى مِثَالِ، أَيْ تَقْطَعُ إِحْدَى

النَّعْلَيْنِ عَلَى قَدَرِ الْآخَرَى.

انظر:

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ٣٢٨/٣ - ٣٢٩، اللسان «حذا»: ١٦٩/١٤.

إِنْسِيَّةٌ^(١) وَحَشِيَّةٌ^(٢) كَثُرَتْ بِهَا حَرَكَاتُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَهِيَ سَكُونُ
يَنْبُوعِهَا خَضِلٌ وَحَلِيٌّ قَرِيضُهَا حَلِيُّ الْهَدْيِ وَنَسْجُهَا مَوْضُونٌ^(٣)
أَمَّا الْمَعَانِي فَهِيَ أَبْكَارٌ إِذَا نُصِتْ وَلَكِنَّ الْقَوَافِي عَوْنٌ^(٤)

في هذين البيتين شبه أبو تمام القصيدة في نظمها بنظم قلادة اللؤلؤ، وقد زاد هذه القلادة جمالاً بأن جعلها سمطين.

وبوصفه اللؤلؤ بأنه مكنون زاد المعنى دلالة وعمقاً، فقصائده لا يذهب رونقها بقدومها بل إنها كلما قدم بها العهد ازدادت نفاسة شأنها، شأن اللؤلؤ كلما قَدُمَ، ومضى عليه الزمان ازدادت قيمته، وغلا ثمنه.

وبعد أن أمكن في النفوس الإعجاب بشعره، أخذ يلفتها إلى ذاته الشاعرة،

(٨) = التخصير: خَصَرُ النُّعْلِ مَا اسْتَدَقَّ مِنْ قَدَامِ الْأَذْنَيْنِ مِنْهَا، وَنُعْلٌ مُخَصَّرَةٌ لَهَا خَصْرَانِ، والتخصير هنا بمعنى التدقيق.

انظر: ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ٣/٣٢٨، اللسان «خسر»: ٤/٢٤١.

(٩) التلسين: مُلْسَنَةٌ إِذَا كَانَتْ تَسْتَدِيقُ مِنْ طَرَفِهَا الَّذِي تَلِي الْأَصَابِعَ، وَالْمُلْسَنُ مِنَ النَّعَالِ الَّذِي فِيهِ طَوْلٌ وَلَطَافَةٌ عَلَى هَيْئَةِ اللِّسَانِ. وديوانه بشرح الخطيب: ٣/٣٢٨، اللسان «لسن»: ١٣/٣٨٧.

(١) إنسية: أَي أَنَّ الْقُلُوبَ تَأْنِسُ بِرَوَايَتِهَا، أَوْ أَنَّ النَّاسَ يُؤْنِسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِهَا، أَوْ الْمَقْصُودُ أَنَّهَا مِنْ صَنْعِ الْإِنْسِ.

انظر: ديوانه بشرح التبريزي: ٣/٣٢٩.

(٢) وحشية: أَي تَرُودُ فِي الْبِلَادِ كَمَا تَرُودُ الْوَحُوشُ، أَوْ أَنَّهُ يُتَعَذَّرُ الْإِتْيَانُ بِمِثْلِهَا كَمَا يُتَعَذَّرُ اصْطِيَادُ الْوَحُوشِ. ديوانه بشرح التبريزي: ٣/٣٢٩.

(٣) الموضون: الْمَنْسُوجُ نَسْجاً مُتَقَارِباً كَنَسْجِ الدَّرُوعِ وَالسَّرِيرِ بِالذَّهَبِ، أَوْ الْمِثْنِيِّ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ.

انظر: ديوانه بشرح التبريزي: ٣/٣٣٠، اللسان «وضن»: ١٣/٤٥٠.

(٤) عَوْنٌ: جَمْعُ عَوَانٍ، وَهِيَ الَّتِي وَلَدَتْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، أَي أَنَّ الْقَوَافِي يَشْتَرِكُ فِيهَا الشُعْرَاءُ، وَلَكِنَّ الْمَعَانِي الَّتِي أَتَى بِهَا أَبْكَارٌ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا.

انظر: ديوانه بشرح التبريزي: ٣/٣٣٠، اللسان «عون»: ١٣/٢٩٩.

فأخذ يفخر بنفسه «أحذاكها صنع الضمير» واختار لفظ «صنع» وهي كلمة تفيد المبالغة لأن معناها الحاذق، ليبصر النفوس بدقته وحذقه، فهو متمكن من صنعته خبير بدقائقها وأسرارها، وهو حاذقٌ ماهرٌ ثر المعاني خصب الخيال غزير الفكر لا ينضب معينه.

وبناء الكلام على الشرط (بإذا) وتقديم جواب الشرط، تأكيد وجزم على أنه دائم المد والعطاء.

وإضافة «صنع» إلى الضمير دليل على أن قصائده ليست مجرد ألفاظ راکدة لا حياة فيها ولا شعور، إنما هي وليدة إحساس جياش، ودخيلة صادقة.

الشاهد التاسع والخمسون بعد الثلاثمائة^(١):
(الكامل)

قول أبي حية: (٢)

صَنَعَ اللِّسَانَ بِهِنَّ لَا أَتَنَحَّلُ^(٣).

استشهد به الشيخ على أن قول أبي تمام السابق «أحذاكها صنع الضمير» مأخوذ من قول أبي حية «صنع اللسان»، إلا أنه نقله إلى الضمير.

الشاهد الستون بعد الثلاثمائة^(٤):
(البسيط)

حسان:

أَهْدَى لَهُمْ مَدْحًا^(٥) قَلْبٌ مُؤَاوِرُهُ^(٦) فِيمَا أَحَبَّ^(٧) لِسَانٌ حَائِكٌ^(٨) صَنَعَ^(٩)

(١) الدلائل، رضا: ٣٩٥، خفاجي: ٤٦٨، شاکر: ٥١٥.

(٢) هو أبو حية النميري.

(٣) لم أقف عليه في ديوانه الذي جمعه: رحيم صخي التويلي.

(٤) الدلائل، رضا: ٣٩٥، خفاجي: ٤٦٩، شاکر: ٥١٥.

(٥) رواية الديوان والبيان والتبيين واللسان: «مدجي».

(٦) رواية الديوان والبيان والتبيين واللسان: «يؤاوِرُهُ».

وهو من قصيدته التي عارض بها الزبرقان بن بدر^(١)، مطلعها:
إِنَّ الدَّوَائِبَ مِنْ فِيهِمْ وَإِخْوَتَهُمْ قَدْ بَيْنُوا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ

وقبل الشاهد:
أَكْرَمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ شِيعَتُهُمْ إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ

وبعده:
فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا^(٢)
استشهد به الشيخ للتنظير، فَحَسَّانَ قَدْ اسْتَعْمَلَ لَفْظَ «صَنَعَ» وجعله لِللَّسَانِ.
الشاهد الواحد والستون بعد الثلاثمائة^(٣):
(الطويل)

ولأبي تمام:
إِلَيْكَ أَرْحَنًا^(٤) عَازِبَ^(٥) الشَّعْرِ بَعْدَمَا تَمَهَّلَ فِي رَوْضِ الْمَعَانِي الْعَجَائِبِ
غَرَائِبُ لَاقَتْ فِي فَنَائِكَ أَنْسَهَا مِنْ الْمَجْدِ فَهِيَ الْآنَ غَيْرُ غَرَائِبِ

-
- (٧) رواية الديوان: «فيما يُجِبُّ»، ورواية اللسان: «فيما أراد».
- (٨) حائك: الحائك النسيج وحاك الشعر حوكاً: نسجه ولائم بين أجزائه كما يصنع الحائك. اللسان «حوك - حيك»: ٤١٨/١، وذكر محقق البيان والتبيين أنه ورد في إحدى المخطوطات «خائط» بدل حائك وهو تحريف.
- (٩) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:
ديوانه: ١٤٦. البيان والتبيين: ٢٦٢/٣، اللسان «صنع»: ٢١٠/٨.
- (١) سبقت ترجمته: ٢٩٠.
- (٢) شمعوا: مزحوا ولعبوا. اللسان «شمع»: ١٨٦/٨.
- (٣) الدلائل، رضا: ٣٩٥، خفاجي: ٤٦٩، شاکر: ٥١٦.
- (٤) أرحنا: أراح الإبل إذا ردها إلى مراحتها الذي تبيت فيه بعد غروب الشمس. اللسان «روح»: ٤٦٤/٢.
- (٥) عازب: العازب من الإبل التي خرج بها صاحبها للرعي بعيداً عن ديار الحي. اللسان «عزب»: ٥٩٧/١.

وَلَوْ كَانَ يَفْنَى الشَّعْرُ أَفْنَاهُ مَا قَرَّتْ (١)
حَيَاضُكَ مِنْهُ فِي السَّيْنِ (٢) الذَّوَاهِبِ
وَلَكِنَّهُ صَوْبُ (٣) الْعُقُولِ إِذَا أَنْجَلَتْ
سَحَابُ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَابِ (٤)

والأبيات من قصيدة له يمدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي (٥)
ومطلعها:

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَاعِبِ أَذِلْتُ مَصُونَاتِ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ
وقبل الشاهد:

فَأَنْتَ لَدَيْهِ حَاضِرٌ غَيْرُ حَاضِرٍ بِذِكْرِ وَعَنْهُ غَائِبٌ غَيْرُ غَائِبِ (٦)
وبعد الشاهد:

أَقُولُ لِأَصْحَابِي هُوَ الْقَاسِمُ الَّذِي بِهِ شَرَحَ الْجُودُ التَّيَّاسَ الْمَذَاهِبِ
وَأَنِّي لِأَرْجُو عَاجِلاً أَنْ تَرُدَّنِي مَوَاهِبُهُ بَحْرًا تُرْجَى مَوَاهِبِي

إن صورة الراعي الذي يعود ليلاً بإبله، وقد تغذت من طيب المراعي صورة مألوفة متداولة إلا أن أبا تمام أخذها، وصاغها صياغة تدل على خصب خياله حيث أضاف لفظ «عازب» إلى «الشعر» وهذه الإضافة أكسبت الصورة جدة وطرافة، وصورت عناية أبي تمام بانتقاء تراكيبه، وغرامه باختيار صوره، فهو لا يصدر الشعر إلا بعد أن يعزب به بعيداً في مراعي خياله وروض معانيه، ثم يعود به إلى الممدوح وقد تغذى بروائع المعاني والصور.

-
- (١) قرت: جمعت. اللسان «قرا»: ١٧٨/١٥.
(٢) رواية الديوان والإبانة عن سرقات المتنبي: «في العصور الذواهب».
(٣) الصوب: المطر، ورواية الإبانة: «فيض العقول».
(٤) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:
ديوانه دار صعب: ٤٣.
الموازنة: ٩٢، البيت الرابع فقط.
الإبانة عن سرقات المتنبي: ٢٦٧ - ٢٦٨، البيت الثالث والرابع.
(٥) سبقت ترجمته: ١٠١٠.
(٦) الضمير يعود للخليفة المعتصم.

ومن جيد المديح أنه قصر هذه المعاني التي أمرت. على الممدوح وحده دون غيره وأنه هو الحقيق بها مبالغة وادعاء، فقدم الجار والمجرور «إليك» على متعلقه «أرحنا» وتقديم الجار والمجرور هذا قد ربط كل حلقات المعاني التي زخرت بها صور أبي تمام.

ويزداد أبو تمام احتفالاً بصورته، فجعل المعاني تائهة غريبة في نفسه حتى تلاقت مع معنى المجد في رحاب صفات الممدوح، فكان الأنس وكان التراحم. وما زال أبو تمام يترقى بالمعنى ويسمو به، ويزيد في تأصيله وَيَفْتَنُ في الإبانة عنه حيث أوضح لنا أن تلك القصائد لا ينضب معينها، لأنها تُروى من عقول تفيض بالمعاني.

وانظر إليه كيف صور تدفق تلك المعاني في مخيلته بالسحاب المثقلة بالأمطار، وجعل هذه السحاب متتابعة لا ينقطع ماؤها، وما أبرعه حين بنى صورته على الشرط «بإذا» ليدل على تتابع تلك السحاب وتعاقبها، ويجزم بعدم انقطاعها.

(الطويل)

الشاهد الثاني والستون بعد الثلاثمائة^(١):

البحثري:

أَلَسْتُ الْمُؤَالِي فِيكَ نَظْمٌ^(٢) قَصَائِدٍ هِيَ الْأَنْجُمُ اقْتَادَتْ^(٣) مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمًا
ثَنَاءً كَأَنَّ^(٤) الرُّوضُ مِنْهُ مُنُورًا ضُحَى وَكَأَنَّ الْوَشْيَ مِنْهُ^(٥) مُنَمَّنًا^(٦) (٧)^(٨)

(١) الدلائل، رضا: ٣٩٦، خفاجي: ٤٦٩، شاکر: ٥١٦.

(٢) رواية الديوان ورواية العمدة: «أَلَسْتُ الْمُؤَالِي فِيكَ غُرَّ قَصَائِدٍ».

(٣) اقتادت: تلالأت. اللسان «وقد»: ٤٦٦/٣.

(٤) رواية زهر الآداب: «ثَنَاءً تَخَالُ».

(٥) رواية زهر الآداب: «وَتَخَالُ الْوَشْيَ».

(٦) رواية زهر الآداب والعمدة والتشبيهات: «فيه».

(٧) رواية الديوان والتشبيهات: «مُسَهَّمًا» ومعناه: المخطط بخطوط كالسهام. معجم مقاييس

اللغة «سهم»: ١١١/٣.

(٨) انظر البيت في:

وهو من قصيدة له يمدح بها الفتح بن خاقان مطلعها:
يَهُونُ عَلَيْهَا أَنْ أُبَيِّتَ مُتَيْمًا أَعَالِجُ شَوْقًا^(١) فِي الضَّمِيرِ مُكْتَمًا

وقبل الشاهد:

أَعِيدُكَ أَنْ أَخْشَاكَ مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ تَبَيَّنَ أَوْ جُرِمَ إِلَيْكَ تَقَدَّمًا

وبعد الشاهد:

وَلَوْ^(٢) أَنَّنِي وَقَرْتُ شِعْرِي وَقَارَهُ وَأَجَلَلْتُ مَدْحِي فِيكَ أَنْ يَتَهَضَّمَا
لَأَكْبَرْتُ أَنْ أُوْمِي إِلَيْكَ بِإِصْبَعٍ تَضَرَّعُ أَوْ أُذْنِي لِمَعْذِرَةٍ فَمَا

ذكر ابن رشيقي القيرواني أن بيتي البحتري من أحسن أبيات العتاب وأجودها

قال:

«العتاب - وإن كان حياة المودة، وشاهد الوفاء - فإنه باب من أبواب
الخدعة يسرع إلى الهجاء، وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء، فإذا قل
كان داعية الألفة، وقيد الصحبة وإذا كثر خشن جانبه وثقل صاحبه، وأحسن
الناس طريقاً في عتاب الأشراف شيخ الصناعة وسيد الجماعة أبو عبادة البحتري
الذي يقول... الأبيات»^(٣).

وذكر القيرواني في زهر الآداب خبراً عن الحاتمي يتضمن موازنة بين أبي
تمام والبحتري، حيث فضل أحدهم بيتي البحتري ورآها من حسن الانتهاء الذي
ليس لأبي تمام مثلها، أما الحاتمي فرأى أن بيتي البحتري مأخوذان من أبي تمام
فقوله:

«وتخال الوشي فيه منمنما» مأخوذ من قول أبي تمام:

= ديوانه - بيروت -: ١٠٩/١ - ١١٠، ديوانه - صيرفي -: ١٩٨٤/٣، التشبيهات: ٢٢٧،

ديوان المعاني: ٢٢٠، البيت الأول فقط.

زهر الآداب: ٦٥٦/٣. العمدة: ١٦١/٢.

(١) رواية الديوان - صيرفي -: «وَجَدًا».

(٢) رواية الديوان - صيرفي -: «فلو».

(٣) العمدة: ١٦٠/٢.

حَلُّوا بِهَا عَقْدَ النَّسَبِ وَنَمْنَمُوا مِنْ وَشِيهَا نَشْرًا^(١) لَهَا وَقَصِيدًا
وقول البحرى: «هِيَ الْأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجَمًا»

مأخوذ من قول أبى تمام مقصراً عنه كل تقصير عن استيفاء إحسانه حيث
يقول:

أَصِخْ تَسْتَمِعْ حُرَّ الْقَوَافِي فَإِنَّهَا كَوَاكِبُ إِلَّا أَنَّهِنَّ سَعُودُ
وَلَا تُمَكِّنُ الْأَخْلَاقُ مِنْهَا فَإِنَّمَا يَلْدُ لِبَاسُ الْبُرْدِ وَهُوَ جَدِيدُ^(٢)^(٣)

في هذين البيتين تظهر قدرة البحرى على استثمار الأحوال اللغوية،
استثماراً يجعلها حافلة غنية بالمعاني الياعة، فهمزة الاستفهام التي افتتح بها
معناه حلمت كل معاني العتاب والاستعطاف.

وقوله «قصائد» بالجمع والتكثير دلٌّ على عظم تلك القصائد وكثرتها
وندرتها، ثم أخذ الشاعر ينطلق مع إحساسه وشعوره بروعة معانيه، فأكد للخيال
بأنها لجمالها ووضوحها وإنارتها جوانح النفوس بمعانيها الثرة هي الأنجم المَعْتَدَّة
بها. فالجنسية في قوله «الأنجم» قصرت جنس النجوم عليها وحدها، ولم
يعتد بنجوم الليل الحقيقية مبالغة وادعاء.

ويأبى خيال البحرى إلا أن يزيد النفس طرباً، فجاء بقوله: «اقتادت مع
الليل أنجما» وهو تصوير خيالي بارع لا تملك النفس حياله إلا أن تقف مسحورة
بتلك القصائد التي تلالأت معانيها ووضحت صورها كما تتلألأ نجوم الليل.

وهنا أحس البحرى أن المعنى قد بلغ مداه وتمكن في النفس، فقطع
واستأنف معنى جديداً هو معقد كلام الشاعر، فما المبالغة في وصف قصائده إلا

(١) رواية الديوان - دار صعب -: «رَجَزَ بِهَا».

وهو من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني.

(٢) لم أقف عليه في ديوانه - دار صعب -، وديوانه بشرح التبريزي.

(٣) انظر الخبر مفصلاً في:

زهر الآداب: ٦٥٥/٣ - ٦٥٨.

خدمة لهذا المعنى الذي تعمّر به نفسه، فحذف المسند إليه، وجاء بالمسند «ثناء» ولم يقل «هي ثناء»؛ لأن المقام مقام مدح وإطراء، والشاعر تعج نفسه بالولاء لذلك الممدوح، فأراد أن يسرع بتقديم قرايين الوفاء. فكان الحذف، وكان الكشف عن صورة ذلك الولاء النفسي.

ويجول بنا خيال الشاعر في أعماق ذلك الولاء، فيمدنا بصورتين تُبرز عظيم الثناء. وتعمّد أن يبينها على التشبيه المقلوب مبالغة في المدح.

فاستعن بخيالك وتأمل قوله «ثناء كأن الروض منه منوراً ضحى» فما تحمله قصائده من عظيم الثناء، وبالغ المدح، وكريم الصفات بعث روح الاطمئنان والسرور في الكائنات، فأيقنت أنه سيعمها فضل ذلك الممدوح، فانتعشت ودبت فيها الحياة، فهذا هو ذا الروض قد استمد نور الوجود من ذلك الثناء، فاخضر وأينع سروراً وطرباً وما أبرع ذلك الخيال حين قيد صورة الروض بوقت الضحى مبالغة في بيان ذلك التأثير، فهو خيال ذكي أدرك حقائق العلاقات الطبيعية، فالضحى أشد الأوقات إنارة، وهذه الإنارة أشد تأثيراً في إحياء الروض.

ثم جاء بصورة الوشي المنمنم، وجعل صانع الوشي يقف مفتناً متأملاً دقة قصائده، مبهوراً بحسن تصويرها ودقة تراكيبها، فاستقى منها خياله ما استقى فكان الوشي المنمنم إنمّا هو من وحي قصائده.

وبهذا التشبيه المقلوب خرج البحري عن عادة الشعراء في تشبيه الشعر بالروض وتشبيه دقته وحسنه بالوشتي المنمنم، فاكست صورته ثوباً أجده.

الشاهد الثالث والستون بعد الثلاثمائة^(١):
(البيط)

قال البحري:

أَحْسِنُ أَبَا حَسَنِ بِالشَّعْرِ إِذْ جَعَلْتَ عَلَيْكَ أَنْجُمُهُ بِالْمَدْحِ تَتَثَرُّ
فَقَدْ أَتَتْكَ الْقَوَافِي غِبٌّ^(٢) فَائِدَةٌ كَمَا تَفْتَحُ غِبُّ الْوَابِلِ الزَّهْرُ^(٣)

(١) الدلائل، رضا: ٣٩٦، خفاجي: ٤٦٩، شاعر: ٥١٦.

(٢) غِبُّ الأمر ومغبته عاقبته وآخره، وغِبُّ كل شيء عاقبته وجتته غِب الأمر أي بعده، والغِبُّ =

والشاهد من قصيدة يمدح بها علي بن الأرمي^(١)، ومطلعها:
فِي الشَّيْبِ رَجْرُ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ وَبَالِغٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرُ

وقبل الشاهد:

رَأَيْتَ مَجْدًا عَيَانًا فِي بَنِي أَدَدٍ إِذْ مَجْدُ كُلِّ قَبِيلٍ دُونَهُمْ خَبَرُ

وبعد الشاهد:

فِيهَا الْعَقَائِقُ وَالْعَقِيَانُ إِنْ لُسْتُ يَوْمَ التَّبَاهِي وَفِيهَا الْوَشْيُ وَالْحَبْرُ
وَمَنْ يَكُنْ فَاخِرًا بِالشُّعْرِ يُمْدَحْ فِي أَضْعَافِهِ فَبِكَ الْأَشْعَارُ تَفْتَخِرُ

في هذين البيتين يصف الشاعر قدرته الشعرية، وأن المعاني والصور تنثال عليه انثيالاً إذا ما أراد مدح هذا الممدوح الكريم «أبا حسن»، فابتدأ البيت بمخاطبته وأمره إياه أمر رجاء أن يحسن بالشعر ويقدره، فإحسانه هذا هو السبب في إيقاظ إحساسه الشعري.

وتأمل حذف أداة النداء في قوله «أبا حسن» وذلك ليحثه على تقدير الشعر والإحسان إليه.

ثم انظر إلى مجيء أداة التوكيد «قد» واقترانها بـ «الفاء» في البيت الثاني، وكيف ربطت «الفاء» معنى البيت الأول بالثاني كل ذلك ليرز أهمية إحسان الممدوح بالشعر وأثره في سرعة توارد المعاني الشعرية عليه.

ولقد لجأ الشاعر إلى المجاز المرسل، فجاء بلفظ «القافية» وهو يريد الشعر كله - أي ذكر الجزء وأراد الكل - فتوارد القوافي المناسبة لمعاني الشعر أصعب عمل يمر به الشاعر أما هو فتأتيه القوافي طائعة مختارة بأتم فائدة وأحسنها،

= وَرُدُّ يَوْمٍ وَظِمُّ آخِر. اللسان «غب»: ٦٣٤/١ - ٦٣٥.

(٣) ديوان البحري: - بيروت: - ٣١٠/٢.

ديوانه - صيرفي: - ٩٥٨/٢.

(١) سبقت ترجمته: ١٠٠١.

وزيادة في الإثبات لجأ إلى التشبيه وعرض أمام الذهن صورة تفتح أكنام الزهر
بآخر المطر وشبه بها قوافيه التي تعرض وتتفتح أمامه عن آخرها.

الشاهد الرابع والستون بعد الثلاثمائة^(١):
(الطويل)

وقال البحرني:

إِلَيْكَ الْقَوَافِي نَازِعَاتٌ قَوَاصِدًا^(٢) يُسِيرُ صَاحِي وَشَيْهَا وَيُنْمَمُ^(٣)
وَمُشْرِقَةٌ فِي النَّظْمِ غُرٌّ يَزِينُهَا بَهَاءً وَحُسْنًا أَنَّهَا لَكَ^(٤) تُنْظَمُ^(٥)

وهو من قصيدته التي يمدح بها الفتح بن خاقان، ومطلعها:
خَسِيَالٌ مُلِمٌ أَوْ حَبِيبٌ مُسَلَّمٌ وَبَرَقٌ تَجَلَّى أَوْ حَرِيقٌ مُضَرَّمٌ

وقبل الشاهد:

وَمَا الْبَذْلُ بِالشَّيْءِ الَّذِي يَسْتَطِيعُهُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْأَرْوَغُ الْمُتَهَجِّمُ
وَيُحْجِمُ أحيانًا عَنِ الْجُودِ بَعْضُ مَنْ تَرَاهُ عَلَى مَكْرُوهِةِ السَّيْفِ يُقَدِّمُ

وبعد الشاهد:

صَوَامِنُ لِلْحَاجَاتِ إِمَّا شَوَافِعًا مُشَفَّعَةً أَوْ حَاكِمَاتٍ تُحَكِّمُ
وَكَأَيِّنْ غَدَتْ لِي وَهِيَ شِعْرٌ مُسِيرٌ وَرَاحَتْ عَلَيَّ وَهِيَ مَالٌ مُقَسَّمُ

إن للبحرني نفساً شاعرة كشفت نقابها اللغة الموحية، والتصوير الحي،
انظر إلى قوافيه نازعات قواصد، وتأمل ما في هذا التركيب من إحياءات الشوق
والحنين، ولهفة اللقاء فهي وقت صياغتها تتدافع إلى الخيال تسبقها الرغبة في

(١) الدلائل، رضا: ٣٩٦، خفاجي: ٤٧٠، شاکر: ٥١٦.

(٢) رواية زهر الآداب: «شواردًا».

(٣) رواية الديوان: «وَيُنْمَمُ».

(٤) رواية الديوان ودلائل الإعجاز، تحقيق شاکر «أنها فيك».

(٥) لم أجدهما إلا في:

ديوانه: ١١٣/١. زهر الآداب: ٦٥٦/٣.

اللقاء، وكأنني بتلك القوافي عاشقة تزينت بكامل حليها، وقشيب ثيابها، أخذت تنزع في السير لهفة وشوقاً للقاء ذلك الحبيب.

وزاد من صورة الشوق هذه تقديم المسند - الجار والمجرور - «إليك» على المسند إليه «القوافي نازعات»، حيث قصر القوافي التُّزَع على الممدوح دون غيره مبالغة وادعاء، فهي لا تشناق، ولا تنزع إلا إليه.

وقوله: «قواصد» على وزن «فواعل» واستعمال جمع الكثرة بدلاً من قاصدات (وهو جمع مؤنث يدل على القلة) يُظهر كثرة قاصديه.

وبناء الفعل «يُسِير» للمجهول صَوَّرَ صاحي معانيها بعد أن اكتست وشيها المنمنم، وهي تسير من تلقاء نفسها كأنَّ هناك قوة خفية تحثها على السير.

ويتنامى إحساس الشاعر بعظمة هذه القصائد، فيشرع في إبراز حسناتها، فهي مشرقة، والإشراق في النظم يعني الوضوح الذي يتولد من تراحم الكلمات، وتعايق الدلالات، ومزج ذلك كله بخيال الشاعر الذي سقى من روحه وعاطفته. وهي غُرٌّ ناصعة الصفاء كاملة النقاء.

ودعك من هذا كله، وأنظر إلى دُرِّ المدح، وكيف استطاعت عبقرية الشاعر أن تزيد الممدوح رفعة وإكباراً، فما ذاك الحسن، وما ذاك البهاء إلا لأنها تُنظَّم في ذلك الممدوح.

الشاهد الخامس والستون بعد الثلاثمائة^(١):
(الطويل)

قال البحرى:

بِمَنْقُوشَةِ نَفْسِ الدَّنَائِرِ يُتَقَى لَهَا اللَّفْظُ مُحْتَاراً كَمَا يُتَقَى التَّبَرُّ^(٢)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا عامر الخضر بن أحمد^(٣)، ومطلع القصيدة:

(١) الدلائل، رضا: ٣٩٦، خفاجي: ٤٧٠، شاکر: ٥١٧.

(٢) لم أجده إلا في:

ديوانه: ٢٧٧/١.

(٣) سبقت الترجمة له: ١٠٣١.

لَمَّا وَصَلْتُ أَسْمَاءَ مِنْ حَبْلِنَا شُكْرُ وَإِنْ حَمَّ بِالْبَيْنِ الَّذِي لَمْ نُرِدْ قَدْرُ

وقبل الشاهد:

أَبَا عَامِرٍ إِنَّ الْمَعَالِي وَأَهْلَهَا إِذَا جِئْتُمْ وَأَكْرَوْمَةً تَبْهَرُ الْوَرَى
يَوْدُونَ وَدَاً أَنْ يَطُولَ بِكَ الْعُمْرُ فَمَا هِيَ بِدَعٍ مِنْ عُلَاكُمْ وَلَا يَكُرُ
إِذَا نَحْنُ كَافَأْنَاكُمْ عَنْ صَنِيعَةٍ أَنْفَنَا فَلَا التَّقْصِيرُ مِنَّا وَلَا الْكُفْرُ

وبعدها الشاهد وبعده:

تَبَيَّتْ أَمَامَ الرِّيحِ مِنْهَا طَلِيعَةٌ وَغَدَوْتُهَا شَهْرٌ وَرَوَحْتُهَا شَهْرٌ
تُقْضَى دَيُونُ الْمُتَعَمِّينَ وَيُقْتَنَى لَهُمْ مِنْ بَوَاقِي مَا أَعَاضَتْهُمْ فَخْرُ

وهذا شاهد آخر يبرز لنا طريقة البحرّي في عمل الشعر، فهو حريص كل الحرص على صقل معدن الألفاظ، وهو يعنى أشد العناية باختيار ألفاظه. فالنقش على الدنانير، وانتقاء التبر لها، وتخليصه من الشوائب، من أشد الصناعات صعوبة، فهي تحتاج إلى حذق ومهارة وصبر وجهد من نوع خاص، فكيف إذا كان هذا النقش، وهذا الانتقاء عملاً ذهنياً نفسياً؟!

وانظر إلى تقديم الجار والمجرور في قوله «يُتَقَى لها اللفظ» وكيف دل على بالغ عنايته بقصائده.

الشاهد السادس والستون بعد الثلاثمائة^(١):

(الطويل)

قال البحرّي:

أَيَذْهَبَ هَذَا الدَّهْرُ لَمْ يُرَ مَوْضِعِي وَلَمْ يَدْرِ مَا بِمِقْدَارِ حَلِي وَلَا عَقْدِي
وَيَكْسُدُ مِثْلِي، وَهُوَ تَاجِرٌ سُودِدِ يَبِيعُ ثِمِينَاتِ الْمَكَارِمِ وَالْمَجْدِ^(٢)
سَوَائِرُ^(٣) شِعْرِ^(٤) جَامِعٍ بِدَدِ^(٥) الْعُلَا تَعْلَقُنْ مِنْ قَبْلِي وَأَتَعَبُنْ مِنْ بَعْدِي^(٦)

(١) الدلائل، رضا: ٣٩٦، خفاجي: ٤٧٠، شاکر: ٥١٧.

(٢) رواية الديوان - تحقيق الصيرفي -، والموازنة، والطرائف الأدبية: «الْحَمْد».

(٣) ضبط محقق الموازنة: «سوائِر».

(٤) ضبط محقق الموازنة: «شِعْر». ويبدو أن هذا خطأ من الطابع.

(٥) البَدَد: التبديد التفريق، يقال: شَمِلُ مُبَدَّد، وَبَدَّدَ الشَّيْءَ قَبَدَدًا: فَرَّقَهُ فَتَفَرَّقَ، وَتَبَدَّدَ الْقَوْمُ إِذَا =

يُقَدِّرُ فِيهَا صَانِعٌ مُتَعَمِّلٌ لِأَحْكَامِهَا^(١) تَقْدِيرَ دَاوُدَ فِي السَّرْدِ^(٢) (٣)

والأبيات من قصيدة يمدح بها ابن ثوبة^(٤)، ومطلعها:
ضَلَّالٌ^(٥) لَهَا مَاذَا أَرَادَتْ إِلَى الصَّدِّ وَنَحْنُ وَقُوفٌ مِنْ فِرَاقٍ عَلَى حَدِّ

وقبل الشاهد:
أَصْنُ أَجِلَاءٍ وَضُنَّ أَجِبَةٌ فَلَا خِلَّةَ تُصْفِي وَلَا خِلَّةَ تُجِدِّي
وبعد الشاهد:

- = تَفَرَّقُوا، وَتَبَدَّدَ الشَيْءُ: تَفَرَّقَ. اللسان «بدد»: ٧٨/٣، القاموس المحيط: «بدد»: ٢٨٥/١.
- (٦) لم أجد الأبيات فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:
ديوانه - تحقيق الصيرفي -: ٧٤٧/٢، ديوانه - طبعة بيروت -: ٢٠٨/١، الموازنة - تحقيق سيد صقر -: ٢٦١، الطرائف الأدبية: ٢٣٧ - البيت الأول والثاني فقط -.
- (١) رواية الموازنة: «لأحكامها».
- (٢) السرد: حلق الدرغ. أساس البلاغة «سرد»: ٢٠٨.
- (٣) لم يرد هذا البيت في ديوانه - طبعة بيروت -.
- (٤) هو أحمد بن محمد بن ثوبة بن يونس، أبو العباس الكاتب أصلهم نصاري، وقيل إن يونس يُعرف بلبابة، وكان حجاجاً، وقيل أمهم لبابة، وكان أبوه كاتباً ليأكبأك التركي في عهد المهتدي، تَوَلَّى أخوه جعفر بن محمد بن ثوبة ديوان الرسائل في أيام عبيد الله بن سليمان الوزير، وله ابن اسمه محمد بن أحمد كان أيضاً مترسلاً بليغاً.
- وكان أبو العباس من الثقلاء البغضاء، وله كلام مدون مستهجن مستنقل، كان بين أبي العباس وبين الوزير أبي الصقر وحشة لمهاترة وقعت بينهما ثم اعتذر عنها ابن ثوبة، فولاه أبو الصقر طساسيج بابل وغيرها، وظل والياً إلى أن توفي سنة (٢٧٧ هـ)، وقال الصولي سنة (٢٧٣ هـ).
- انظر ترجمته:
- طبقات ابن المعتز: ٤٠٩، أخبار أبي تمام: ١٥ - ١٦، الفهرست: ١٨٧ - ١٨٨، معجم الأدباء: ١٤٤/٤ - ١٧٤.
- (٥) رواية الديوان - صيرفي -: ضلالاً.

خَلِيلِي لَوْ فِي الْمَرْخِ^(١) أَقْدَحُ إِذَا أَبَى رَجَالٌ مُؤَاتَاتِي إِذَا لَحَبَا^(٢) زَنْدِي

إن المتأمل في هذه الأبيات يلمح فيها تلك النفس الممتلئة فخراً واعتزازاً بقدرتها الشعرية، فهمزة الاستفهام المفيدة للتعجب والإنكار والتي قد بدأ بها أبياته كشفت ذلك الامتلاء النفسي، فإحساسه بعظمته ومقدرته أملئ عليه أن ينكر ذهاب الدهر وفناءه من غير أن يرى موضعه ومكانته.

واستمع إلى رنات التحقير تنبعث من اسم الإشارة «هذا الدهر» فالدهر إن لم يحظ برؤية موضعه ومكانته فهو دهر وضع الشآن، وكأنه يريد أن يثبت أنه لا رفعة له إلا في رؤية تلك القصائد، ويبدو أن البحري وجد مراح نفسه في هذا الاستفهام، فكرره في معنى البيت الثاني، فهو ينكر ويتعجب من أن يكسد تاجر بضاعته السؤدد والمجد والمكارم.

وهنا أحس الشاعر أنه استطاع أن يُفرغ في النفوس إحساسه بعظمته الشعرية، فإن جزءاً هاماً من المعنى أخذ يلح عليه راعباً في الظهور، فقطع البحري الكلام، واستأنف، فحذف المسند إليه، وبدأ بالمسند «سواثر» فرغبته في التغني بجمال أشعاره تطلبت منه هذا الحذف، وفي بناء المسند «سواثر» فرغبته في التغني بجمال أشعاره تطلبت منه هذا الحذف، وفي بناء المسند «سواثر» على وزن «فواعل» - وهو صيغة تنتهي الجموع - مبالغة في وصف قصائده بكثرة الانتشار والذيع.

وانظر إلى قوله «جامع» وكيف أتى على وزن «فاعل» فدل على أن أشعاره تحمل كل معاني الغلا على الثبات.

وكذلك تأمل قوله: «صانع - متعمل» وكيف جاء به - أيضاً - على صيغة اسم الفاعل وما ذاك إلا ليصور صبره ودأبه وثباته على صناعة الشعر من غير أن يتسرب لملكته الملل أو الكلل. وهذا الثبات يكشف عن روح مشغقة محبة

(١) المرخ: شجر يستقدح به، كثير الوري سريعه. اللسان «مرخ»: ٥٣/٣.

(٢) حبا: لم يقدح، خبت النار والحرب، والجدّة تخبو خبواً وخبواً: سكنت وطفقت وخمد لهاها. اللسان «حبا»: ٢٢٣/١٤، ورواية الديوان - صيرفي -: «لَكَبَا».

لصناعتها، وكذلك الفعل «تعمل» يدل على الرغبة والقصد والجهد في عملية الإحكام والبناء.

وما أبرع البحري حين أكد معنى الإحكام بصورة تقدير داود في السرد، وهي صورة محكمة متقنة مقتبسة من قوله تعالى:

﴿أَنْ أَعْمَلَ سَيِّئَاتٍ وَقَدْ رَفِئَ السَّرِيَّةُ﴾^(١).

وهذه الصورة نجحت في إقناع النفوس بإحكام نسج أبياته وتداخل حلقات صورها ومعانيها.

ولقد أعجب الأمدي بهذه الأبيات، وعلق عليها بقوله: «وهذا صدق أبي عبادة عن نفسه، وما كان له بد من أن ينفث، وما قال قولاً هو أصدق من هذا»^(٢).

الشاهد السابع والستون بعد الثلاثمائة^(٣):
(الكامل)

قال البحري:

لِلَّهِ^(٤) يَسْهَرُ فِي مَدِيحِكَ لَيْلَهُ مُتَمَلِّمًا وَتَنَامُ دُونَ ثَوَابِهِ
يَقْظَانُ يَتَنَحَّلُ^(٥) الْكَلَامَ كَأَنَّهُ جَيْشٌ لَدَيْهِ يُرِيدُ أَنْ يَلْقَى بِهِ
فَأَتَى بِهِ كَالسَّيْفِ رَقْرَقٌ صَيَقْلٌ مَا بَيْنَ قَائِمٍ سِنْخِهِ^(٦) وَذُبَابِهِ^(٧)^(٨)

(١) سورة سبأ: الآية ١١.

(٢) الموازنة - تحقيق السيد صقر -: ٢٦١/٢.

(٣) الدلائل، رضا: ٣٩٧، خفاجي: ٤٧٠، شاعر: ٥١٧.

(٤) رواية الديوان: (بيروت) «الله»، ورواية الديوان - صيرفي -، والدلائل تحقيق شاعر: «تالله».

(٥) رواية الديوان والمثل السائر «يتنحّل»، ورواية الدلائل تحقيق شاعر: «يتنحل»، ورأى الأستاذ شاعر أن رواية (يتنحل) تصحيف وفساد، ونخل الشيء وتنخله وانتخله «صفاه واختاره وعزل عنه ما يكرره أو يفسده وما ذهب إليه الأستاذ شاعر صحيح؛ لأنه لا معنى للانتحال في هذا السياق.

(٦) السنخ: الأصل، وسنخ النصل: الحديدية التي تدخل في طرف السهم. اللسان.

(٧) ذبابه: ذباب السيف: طرفه الذي يضرب به. اللسان. «ذباب»: ٣٨٣/١.

(٨) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

والأبيات من قصيدة قالها في عتاب اسماعيل بن شهاب^(١)، ومطلعها:
هَلْ لِلنَّدَى عَدْلٌ فَيَعْدُو مُنْصِفًا مِنْ فِعْلِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ شِهَابٍ^(٢)
وقبل الأبيات:

إِسْمَعُ لِعُضْبَانٍ تَثَبَّتْ سَاعَةٌ فَبَدَاكَ قَبْلَ هَجَائِهِ بِعَتَابِهِ
وبعد الشاهد:

وَحَجَبَتْهُ حَتَّى تَوَهَّمُ أَنَّهُ هَاجَ أَتَاكَ بِشْتَمِهِ وَسَبَابِهِ
ابتدأ البحري أبياته بالقسم «تالله» مؤكداً ومقرراً في النفوس ما يشعر به من حقيقة المعاناة الحادة حين يبيت ناظماً قصائده، فهو يقظان سهران في نخل الكلام وانتقائه، فمعانيه لكثرتها وعظمها، وجبها في أن تصف هذا الممدوح تتزاحم في مخيلته كالجيش المتحفز المحب للقاء العدو، فبذل في تنظيمها وصقلها من الجهد ما بذل حتى خرجت كالسيف المصقول في قوتها وتألئها.

ويبدو لي أن وصف نفسه «بالتملل» - وهو عدم الاستقرار من التوجع - حين صوغ قصيدته قدح في الممدوح لا مدح، فكان عليه أن يصف نفسه بالفرح، والغبطة والطرب؛ لأنه يبيت ليله مع وصف الممدوح.

و«التملل» أيضاً دليل عجز الشاعر، فكان عليه أن يصف نفسه بالاعتذار على الألفاظ من غير توجع.

= ديوانه - بيروت - : ١٦٣/٢، ديوانه : ٨٨/١.

المثل السائر : ١٦٨/١ البيت الثاني فقط.

(١) هو أبو القاسم إسماعيل بن شهاب، من صغار الكتاب، كان كاتباً للقاضي أحمد ابن أبي داود، قاضي القضاة في عهد المعتصم والواثق والمتوكل، ويبدو أن اتصال البحري بإسماعيل بن شهاب كان خلال سنة (٢٣٢ هـ) أي في خلافة الواثق على الأغلب حيث كان للقاضي نفوذ دؤاد، في هذا العهد، ويظهر أن إسماعيل لم يكن بمقدوره مجاراة جشع البحري، فيبدو أنه كان يأمر بحجبه ورده عن بابه، ولما وجد البحري من ابن شهاب أدناً صماً وسكوتاً مطبقاً، أخذ يهجو هجاء ينحو في بعضه منحى الفحش والبذاء.

انظر: البحري في سامراء حتى عصر المتوكل : ٢١/٢٠، ٧١ - ٧٤.

(٢) رواية الديوان - صيرفي - : (إسماعيله «ابن شهاب»).

وأبيات البحري هذه تحوي لطائف ودقائق عدة. انظر إلى طرافة الوصل بين جملة «يسهر في مديحك» وجملة «تنام دون ثوابه» حيث جعلهما كالجملة الواحدة، وجمع التضاد «السهر - النوم» في صورة واحدة أقوى وأبلغ في عتاب الممدوح ولومه.

ثم انظر إلى تلك الأفعال المضارعة التي وضعتها اللغة للدلالة على الأحوال المشاهدة «يسهر - تنام - يقظان - يتحلل - يريد» وكيف استطاعت أن تجعل النفس تستشعر ذلك الموقف وتبصره وكأن مشهد معاناته شاخص أمامها.

وفي انتقال الكلام من المضارع إلى الماضي «أتى» توكيد لوقوع الحدث، وقوى هذا التوكيد مجيء «الباء» الجارة الدالة على الإلصاق، فدل ذلك على تمكن الشاعر وقدرته على صقل الكلام.

الشاهد الثامن والستون بعد الثلاثمائة^(١):
(الخفيف)

ومن نادر وصفه^(٢) للبلاغة:

- ١ - فِي نِظَامٍ مِنْ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَّ (م) أَمْرُؤُ أَنَّهُ نِظَامُ فَرِيدٍ
- ٢ - وَبَدِيعٍ كَأَنَّهُ الزَّهْرُ الضَّاءُ جِكُ فِي رَوْنِقِ الرَّيِّعِ الْجَدِيدِ
- ٣ - مُشْرِقٌ^(٣) فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ مَا يَخْدُ لِقَهُ عَوْدُهُ عَلَى الْمُسْتَعِيدِ
- ٤ - حُجَجٌ تُخْرِسُ الْأَلْدُ بِالْفَا ظِ فُرَادَى كَالْجَوْهَرِ الْمَعْدُودِ^(٤)

(١) الدلائل، رضا: ٣٩٧، خفاجي: ٤٧٠ - ٤٧١، شاکر: ٥١٧ - ٥١٨.

(٢) أي البحري.

(٣) رواية الديوان - صيرفي - «مُشْرِقٍ».

(٤) ذكر في الديوان بل هذا البيت:

مَا أُعِيرَتْ مِنْهُ بَطُونُ الْقَرَاظِ سِرٍّ وَمَا حُمِلَتْ ظُهُورُ الْبَرِيدِ
مُسْتَمِيلٌ سَمِعَ الطَّرُوبِ الْمَعْنَى عَنْ أَغَانِي مُخَارِقٍ وَعَقِيدِ

رواية الديوان - صيرفي - للشطر الثاني من البيت الثاني:

«عَنْ أَغَانِي زُرُورٍ وَعَقِيدِ».

- ٥ - وَمَعَانٍ لَوْ فَضَّلْتَهَا^(١) الْقَوَافِي هَجَنْتَ شِعْرَ جَزُولٍ وَلَسِيدٍ
٦ - حُزْنَ^(٢) مُسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ اخْتِيَاراً وَتَجَنَّبَنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ
٧ - وَرَكِبَنَ اللَّفْظَ الْقَرِيبَ^(٣) فَأَدْرَكَ نَ بِهِ غَايَةَ الْمُرَادِ الْبَعِيدِ
٨ - كَالْعَذَارَى غَدَوْنَ فِي الْحُلَلِ الصُّفْدِ^(٤) - إِذَا رَحْنٌ فِي الْخُطُوطِ السُّودِ^(٥)

- (١) رواية العمدة، وتاريخ بغداد: «فَضَّلْتَهَا».
- (٢) حُزْنَ: جمع، فالحوز الجمع، وكل من ضم شيئاً إلى نفسه من مال أو غير ذلك، فقد حازَه حوزاً وحيازة وحازَه إليه واحتازَه إليه. اللسان: «حوز»: ٣٤١/٥.
- ورواية الدلائل - تحقيق شاکر: ٥١٨ - : «جُزْن» بالجيم، ورأى الأستاذ شاکر أن روايتها «بالحاء» تصحيف وفساد للشعر. قال:
- «وفي الديوان والمطبوعة قوله: «جُزْن مستعمل الكلام» بالحاء المهملة، وهكذا يجري في الكتب، وهو عندي خطأ لا شك فيه، وتصحيف مفسد للكلام والشعر معاً، وإنما هو «جُزْن» بالجيم المعجمة من «جاز المكان» إذا تعداه، وتركه خلفه يقول: إن معانيه تعدّين مبتدل اللفظ، والكلام وتركته، وتجنّب ظلمة التعقيد، وركب اللفظ القريب»، وهو اللفظ المختار الجيد الذي لا ابتذال فيه ولا تعقيد، وهو في بعض نسخ الديوان «جزن» بالجيم، وهو الصواب المحض، وأما «حزن» فهو تصحيف يتقّى، وكلام يُرَغَّبُ عن مثله.
- ولا أدري لما جعل الأستاذ شاکر رواية «حزن» بالحاء تصحيف يتقّى، وكلام يرغب عنه؟ فعزن - بالجيم - بمعنى «تعدّين»، وحُزن قد تأتي بمعنى، نَحْنٍ وَأُنْعَدْنَ - اللسان «حوز»: ٣٤١/٥، وهو المعنى الذي ذهب إليه الأستاذ شاکر وإن كنت أرى أن «حُزْنَ» هنا بمعنى جمع، وأنه أراد بمستعمل الكلام ما ليس غريباً ولا حوشياً، وأكد به بقوله «وركب اللفظ القريب» وتفسير الأستاذ شاکر «المستعمل» بالمبتدل، والقريب بالمختار تحكم منه، وإنما كان يفتخر البحري بأنه يؤثر السهل من الكلام وبذلك كان يفضل المعجبون به.
- (٣) رواية الدلائل - رضا - : «القوب»، واعتقد أنه خطأ مطبعي.
- (٤) رواية إعجاز القرآن: الحلل البيض، يعزز هذه الرواية قصد الطباق مع السود، لكن اللون الأصفر هو المفضل.
- (٥) انظر الأبيات في:
- ديوانه - الصيرفي -: ٦٣٦/١ - ٦٣٧.
- ديوانه - طبعة بيروت -: ٣٢٩/٢، الموازنة - محمد محي الدين -: ٣٨٠ - ٣٨١ - البيت الخامس والسادس والسابع -.
- إعجاز القرآن: ١١٥ - البيت الأول والثاني والسادس والسابع والثامن -.

والأبيات من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات ومطلعها:
بَعْضَ هَذَا الْعِتَابِ وَالتَّفْنِيدِ لَيْسَ ذُمْ الْوَفَاءِ بِالْمَحْمُودِ

وقبل الشاهد:

لَتَفَنَّنْتَ فِي الْكِتَابَةِ حَتَّى عَظَلَ النَّاسُ فَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ

وبعد الشاهد:

قَدْ تَلَقَّيْتَ كُلَّ يَوْمٍ جَدِيدٍ يَا أَبَا جَعْفَرٍ بِمَجْدٍ جَدِيدٍ

يصف البحري بلاغة قصائده بأنها كعقد اللؤلؤ في نظمها، ونظمها في رونقه كالزهر الضاحك في أوائل الربيع وقوله «وبديع» أي رَبُّ بديعٍ، وَحَسَنَ الحذف هنا للمبالغة في وصفها بكثرة الإبداع.

وقصائده لبلاغتها وحسنها لا تَبْلَى معانيها، ولا تَقْدَم على كثرة تردها على السمع بل يزيدها هذا التردد حسناً وإشراقاً.

ثم وصفها بأنها لإحكام معانيها ودقة ألفاظها في التعبير عن هذه المعاني، حججٌ قاطعة تخرس الألد.

وانظر إليه وقد حذف المسند إليه، وابتدأ البيت بالمسند «حججٌ» فأصل الجملة «هي حجج» وإنما حذفه ليباشر السمع، ويلفت الأذهان إلى عظيم هذا الوصف، وقوته، فيقرر في النفس.

ثم وصف قصائده بوفرة المعاني وأنها لفخامتها تهجن شعر جرول وليبد.
وحذف «رُبَّ» وجاء بـ «الواو» - «ومعانٍ» - ليدل على عظيم تلك المعاني ووفرتها.

= التمثيل والمحاضرة؛ ١٥٨ - البيت السابع -، زهر الآداب: ٣٣/١ - الأول والسادس والسابع -، العمدة: ٢٤٦/١، الخامس - والسادس والسابع -، تاريخ بغداد: ٣٤٢/٢، الأول والخامس والسادس والسابع.
العكبري: ١٦٧/٢ - الثالث فقط - نهاية الأرب: ١١/٧، السابع فقط.

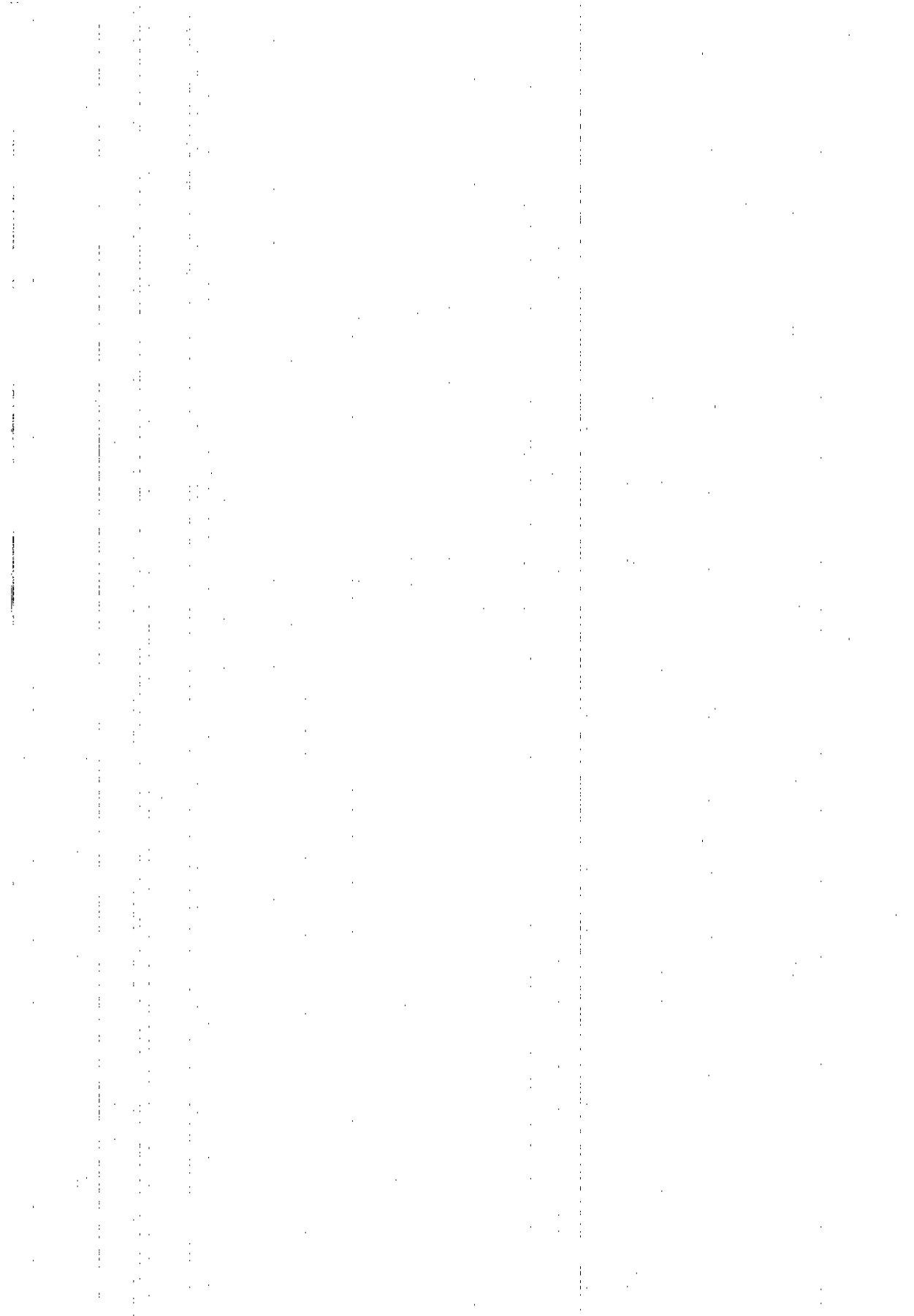
وتأمل «الفاء» في قوله «وركن... فأدركن» وكيف صورت سرعة تكشف المعاني البعيدة وسهولة إدراكها.

ثم انظر كيف شبه تلازم ألفاظه ومعانيه بالعداري وهن يلبسن أجمل ثيابهن وهي الحلل الصفرة تمر بها الخطوط السود، وكأن اختلاط هذين اللونين كان من أحب الألوان عند العرب.

الفصل الثالث عشر

أ - عود إلى الاحتجاج على بطلان مذهب اللفظ.

ب - شواهد الخبر وما يتحقق به الإسناد.



أ - عود إلى الاحتجاج على بطلان مذهب اللفظ .

ذم السجع والتجنيس المتكلف لأن الفصاحة تتبع المعنى :

الشاهد التاسع والستون بعد الثلاثمائة^(١) : (البسيط)

أبو تمام :

سَيْفُ الْإِمَامِ الَّذِي سَمَّيْتُهُ هَيْبَتُهُ^(٢) لَمَّا تَحَرَّمَ أَهْلُ الْأَرْضِ^(٣) مُخْتَرِمًا^(٤)
قَرَّتْ^(٥) بِقُرْآنِ^(٦) عَيْنِ الدِّينِ وَأَنْتَشَرَتْ^(٧) بِالْأَشْتَرَيْنِ^(٨) عُيُونُ الشُّرْكِ فَاصْطَلِمَا^(٩)^(١٠)

- (١) الدلائل، رضا: ٤٠٢، خفاجي: ٤٧٥، شاکر: ٥٢٣.
 - (٢) رواية الديوان - بشرح الخطيب التبريزي، والديوان - دار صعب -: «هَيْبَتُهُ».
 - (٣) رواية الديوان - بشرح الخطيب التبريزي -: «أهل الكفر».
 - ورواية الديوان - دار صعب -: «أهل الشرك».
 - (٤) مخترمًا: المخترم المستأصل للشيء. اللسان «خرم»: ١٧٢/١٢.
 - (٥) قَرَّتْ: ثبتت وسكنت واستقرت. القاموس المحيط «قَرَّ»: ١١٩/٢٠.
 - (٦) قُرْآن: موضع بأذربيجان حيث استوطن بابك الخرمي. مراصد الاطلاع: ١٠٧٤/٣.
 - (٧) رواية الديوان - دار صعب -، ورواية المثل السائر: «واشترت» والشر انقلاب جفن العين من أعلى وأسفل، وتشنجه؛ وانشقاقه، واسترخاء أسفله. القاموس المحيط «شتر»: ٥٧/٢، اللسان «شتر»: ٣٩٣.
 - (٨) الأشترين: ذكر الأستاذ رشيد رضا في تحقيقه «أسرار البلاغة» أن قران والأشترين أسماء مواضع وقد بينت موضع قران، أما الأشترين فلم يُذكر في معاجم البلدان «التي في متناول يدي» إلا أشرت واحد وهو ناحية بين نهاوند وهمذان «معجم البلدان»: ١٩٦/١ - وهذا ما ذكره أيضاً محقق الأسرار «هـ - ريت» - والمذكور في البيت أشتران.
- وذهب الأستاذ خفاجي أن المقصود بالأشترين مالك وإبراهيم النخعي وقد ذكر صاحب =

والشاهد من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم المصعبي^(١)، ومطلعها:
أَصْفَى إِلَى الْبَيْنِ مُفْتَرًّا فَلَا جَرَمًا أَنَّ النُّوَى أَسَارَتْ فِي قَلْبِهِ لَمَّا

وقبل الشاهد:

صُبَّ الْفِرَاقُ عَلَيْنَا صُبٌّ مِنْ كَثْبٍ عَلَيْهِ اسْحَقُ يَوْمَ الرُّوعِ مُتَقِمًا

اللسان هذا القول («شتر»: ٣٩٤/٤) وقد سكت الأستاذ شاكر عن المراد بالأشترين، وأقرب الأقوال هو ما ذهب إليه صاحب اللسان، وتبعه فيه الأستاذ خفاجي. ومالك النخعي (١٠٠٠هـ - ٣٧٧هـ) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بالأشتر: أمير من كبار الشجعان، كان رئيس قومه أدرك الجاهلية، وقد شهد اليرموك وذهبت عينه فيها وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع علي، ويعد مع الشجعان الأجواد والعلماء الفصحاء. الأعلام: ٢٥٩/٥.

وإبراهيم ابنه (١٠٠٠هـ - ٧١هـ) كان قائداً شجاعاً من أصحاب مصعب بن الزبير شهد معه الوقائع وولى له الولايات وقاد جيوشه في مواطن الشدة، وكان مصعب يعتمد عليه وثق به وآخر ما وجهه به حرب عبد الملك بن مروان بمسكن فقتل ابن الأشتر ودفن بقرب سامراء. الأعلام: ٥٨/١.

(٩) فاصطلما: قُطِعَ من أصله. القاموس المحيط «صلم»: ١٤١/٤.

(١٠) انظر البيتين في:

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ١٦٨/٣ - ١٦٩، ديوانه - دار صعب -: ٢٦٧، الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد -: ٢٥٠ - البيت الثاني فقط - الصنائع: ٣٦٧ - البيت الثاني فقط - أسرار البلاغة - هـ، ريت -: ١٥، المثل السائر: ٣٤٥/١ - البيت الثاني فقط -.

(١) قد مضت ترجمة إسحاق المصعبي (ص: ٧٣١)، وهو قائد الموقعة التي يذكرها أبو تمام في قصيدته، فقد حدث سنة (٢١٨هـ) أن دخل جماعة كثيرون من أهل الجبال من همدان وأصبهان، وماسبذان، وبهرجا نقذق، في دين الخُرُمِيَّة، وتجمعوا وعسكروا في عمل همدان، فوجه إليهم المعتصم عساكر، فكان آخر عسكر وجه إليهم بقيادة إسحاق المصعبي، وعقد له على الجبال، فشخص إليهم، وقتل في عمل همدان ستين ألفاً، وهرب الباقون إلى بلاد الروم.

انظر: تاريخ الطبري (٦٦٧/٨ - ٦٦٨) حوادث سنة (٢٠٨هـ)، الكامل لابن الأثير: (٢٣١/٥)، «حوادث سنة (٢٠٨هـ).

وقبل بيت الشاهد الثاني - أي ما بين البيتين - :
إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمَّا صَالَ كُنْتُ لَهُ خَلِيفَةُ الْمَوْتِ فِيمَنْ جَارَ أَوْ ظَلَمَا

وبعد الشاهد الثاني :

وَيَوْمَ خَيْرَجَ^(١) وَالْأَبَابُ طَائِرَةٌ لَوْ لَمْ تَكُنْ حَامِيَّ الْإِسْلَامِ مَا سَلِمَا

ذكر الأمدي أن قول أبي تمام من قبيح التجنيس ورديته قال في باب ردئ التجنيس في شعر أبي تمام :

«فانشتار عيون الشرك في غاية الغثاثة والقباحة، وأيضاً فإن انشتار العين ليس بموجب للاصطلام»^(٢).

وعنه نقل أبو هلال العسكري في الصناعتين، فقال بعد أن ذكر البيت الثاني من الشاهد :

«فهذا مع غثاثة لفظه، وسوء التجنيس فيه يشتمل على عيب آخر، وهو أن انشتار العين لا يوجد الاصطلام»^(٣).

وكذلك ذكره الشيخ عبد القاهر في الأسرار على أنه من التجنيس المتكلف، قال بعد أن ذكر التجنيس المستحسن :

«فذاك، وإلا أطلقت السنة العيب، وافضى بك طلب الإحسان من حيث لم يحسن الطلب، إلى أفحش الإساءة وأكبر الذنب، ووقعت فيما ترى من ينصرك لا يرى أحسن من أن لا يرويه لك، ويؤدُّ لو قدر على نفيه عنك، وذلك كما تجده لأبي تمام إذا أسلم نفسه للتكلف، ويرى أنه إن مرَّ على اسم موضع

(١) خيزج: بفتح أوله وبالزاي المعجمة المفتوحة والجيم، من رساتيق الجبل، ورُزداق، ورُستاق، والجمع الرساتيق، السواد والقرى، وهي تعريب روستا.

انظر: معجم ما استعجم: ٢٢٥/١، اللسان «رسق»: ١١٦/١، معجم الألفاظ الفارسية المعربة: ٧١.

(٢) الموازنة - محمد محيي الدين -: ٢٥١.

(٣) الصناعتين: ٣٦٨.

يحتاج إلى ذكره، أو يتصل بقصة يذكرها في شعره، من دون أن يشتق فيه تجنيساً أو يعمل فيه بديعاً، فقد باء بإثم، وأخلّ بفرض حتم، من نحو قوله... أبيات الشاهد»^(١).

وأيضاً ذكره ابن الأثير على أنه من التجنيس الكريه المستثقل^(٢).

عاد الشيخ مرة أخرى للاحتجاج بأن الفضيلة ليست للألفاظ وحدها من غير أن يُراعى فيها معنى ويؤلف منها كلام، واستشهد على ذلك بأن العلماء يذمون من يتكلف السجع، فيأتي بالألفاظ من غير مراعاة المعنى. قال:

«... وأنه لو عَمِدَ عامد إلى ألفاظ فجمعها من غير أن يراعى فيها معنى، ويؤلف منها كلاماً، لم تر عاقلاً يَعْتَدُ السهولة فيها فضيلة؛ لأن الألفاظ لا تُرَادْ لأنفسها، وإنما تُرَادْ لِتُجْعَلَ أدلة على المعاني، فإذا عَدِمَت الذي له تُرَادْ، أو آخَلَتْ أمرها فيه لم يُعْتَدَ بالأوصاف التي تكون في أنفسها عليها، وكانت السهولة، وغير السهولة فيها واحداً، ومن ها هنا رأيت العلماء يَذْمُونَ من يحمله تَطَلُّبُ السجع والتجنيس على أن يَضُمَّ^(٣) لهما المعنى، وَيُدْخِلُ الخلل عليه من أجلهما، وعلى أن يتعسف في الاستعارة بسببهما ويركب الوعورة، ويسلك المسالك المجهولة، كالذي صنع أبو تمام في قوله... ويصنعه المتكلفون في الأسجاع، وذلك أنه لا يتصور أن يجب بهما ومن حيث هما فضل، ويقع بهما مع الخلو من المعنى اعتداد»^(٤).

فأبو تمام في هذين البيتين أغرم بالتجنيس وافْتِنَنَ به فأكثر منه حيث جانس

(١) الأسرار - هـ، ريت - : ١٥.

(٢) المثل السائر: ٣٤٢.

(٣) يضم لهما المعنى أي يجعله تابعا لهما لا متبوعاً.

وفي نسخة - شاعر - : «يُضَيِّمُ لهما المعنى «أي يظلمه ويبخسه، وقد أشار الأستاذ «رضا» إلى هذه اللفظة فقال: «وقد يكون اللفظ «يُضَيِّمُ» من ضامه يضيئه أي ظلمة وقهره».

الدلائل - شاعر: ٥٢٣، رضا: ٤٠١.

(٤) الدلائل، رضا: ٤٠١ - ٤٠٢، خفاجي: ٤٧٤ - ٤٧٥، شاعر: ٥٢٢ - ٥٢٣.

الشاهد السعون بعد الثلاثمائة^(١):
(الكامل)

لَمَكَايِرُ الْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ أَطْيَبُ وَأَمْرٌ فِي حَنْكِ الْحُسُودِ وَأَعَذَبُ

وبعد الشاهد:

وَرَأَيْتُ غُرَّتَهُ صَبِيحَةَ نَكْبَةٍ جَلَلٍ فَقُلْتُ أَبَارِقُ أَمْ كَوُكْبُ
 الشاهد فيه كسابقه، فالجناس في «أَمْذَهَبُ أَمْ مُذَهَبُ» مجرد تكرار حروف
 لا زيادة للمعنى فيه، وكذلك ذكره ابن المعتز على أنه من التجنيس في الكلام
 والشعر^(٤).

(۱) الدلائل، رضا: ۴۰۲، خفاجی: ۴۷۵، شاکر: ۵۲۳.

(٢) ديوانه - دار صعب :- ٣٩، البديع : ٣٥، الوساطة : ٧٢، الموازنة: محمد محيي الدين : ٢٥١، الموشح : ٢٧٨، أسرار البلاغة، تحقيق، - هـ، ريتز - ٦، شرح مشكلات ديوان أبي تمام للمرزوقي : ٥٩، شرح التبريزي : ٤٩.

(۳) سبقت ترجمتہ: ۸۶۰.

(٤) البديع : ٣٥.

ورأى القاضي الجرجاني أنه في هذا البيت قد حمل نفسه على التكلف، وفارق الطبع إلى التعمق^(١).

وذكره الآمدي على أنه من رديء التجنيس في شعر أبي تمام، وعلق على هذا النوع بقوله:

«فهذا كله تجنيسٌ في غاية الشناعة، والركاكة والهجانة»^(٢).

قال المرزوقي: «المُذْهَبُ» الجنون، يقال به مُذْهَبٌ والمعنى: السباحة قد غلبت عليه، واستولت على شمائله وسجاياه، فهو يُفْرط فيها، ويُسرف في لزومها حتى قيل على طريق التشكك: أهذا خُلُقٌ، ومَذْهَبٌ؟ أم جنون ومُذْهَبٌ»^(٣).

ورأى التبريزي أن قوله: «ذهبت بمذهبه» يحتمل وجهين فتح الميم وضمها، فإذا فُتحت، فالمعنى: ذهبت بمذهبه أي طريقته السباحة أي غلبت عليه، كما يقال: ذهب فلان بالمجد أي حازه، وصار له.

وإذا ضُمت الميم، فالمعنى: ذهبت بشيابه المذهبة أي أنه يخلعها، وقد ادَّعى قوم أن الذهب يسمى مذهباً.

وقوله: «التوت فيه الظنون» أي اختلفت، ولم تحقق شيئاً واحداً، وقوله: «أَمْذَهَبٌ أَمْ مُذْهَبٌ» يقول: أ طريقة هو وخلق، أم مُذهب من قول العامة «بفلان مُذهب» إذا كان يلج في الشيء، ويغري به، وأكثر ما يستعمل ذلك في الطهارة، يقال: «بفلان مُذهبٌ» إذا كان يتطهر، ثم يظن أن طهارته لم تكمل فيعيدها»^(٤).

الشاهد الواحد والسبعون بعد الثلاثمائة^(٥):

(الرجز)

قول القائل:

(١) الوساطة: ٧٢.

(٢) الموازنة: ٢٥١.

(٣) شرح مشكلات ديوان أبي تمام: ٥٩.

(٤) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: ١٣٦/١ - ١٣٧.

(٥) الدلائل، رضا: ٤٠٢، خفاجي: ٤٧٥، شاکر: ٥٢٣.

حَتَّى نَجَا مِنْ خَوْفِهِ^(١) وَمَا نَجَا^(٢)

ذكره الشيخ من غير نسبة^(٣).

والشاهد في وصف سهم رام أصاب حماراً.

ذكره الجاحظ على أنه من الإيجاز المحذوف قال:

«ومن الإيجاز المحذوف قول الراجز، ووصف سهمه حين رمى عيراً كيف نفذ سهمه، وكيف صرعه»^(٤).

استشهد به الشيخ على الجنس المستحسن للزيادة التي حصلت في المعنى.

«فنجاً» الأولى من «النَّجْو»، وهو ما يخرج من الغائط و«نجاً» الثانية من «النجاة»، وهو التخلص والخروج من الشيء^(٥).

يريد أنه من خوفه أحدث، وما نجا من الهلاك.

هذا على رواية «من خوفه»، وهي أدق لأنها تكسو الجنس ملاحاً وحسناً.

وعلى رواية «من جوفه» يكون المعنى:

نجا السهم من جوف العير، وما نجا العير من المنية^(٦).

(١) رواية البيان والتبيين والحيوان: «من جوفه».

وذكر محقق البيان والتبيين أنه ورد في إحدى مخطوطات الكتاب «من شخصه».

(٢) لم أجده إلا في:

البيان والتبيين: ١٥٠/١، الحيوان: ٧٥/٣، أسرار البلاغة، تحقيق - هـ، ريتز - ٧.

(٣) لم أقف على نسبه.

(٤) الحيوان: ٧٥/٣.

(٥) جاء في اللسان: نجا النجاء: الخلاص من الشيء، نجا ينجر نجوا ونجاء ممدود، ونجاة

مقصورة، ونجى واستجى كنجا. اللسان «نجا»: ٣٠٤/١٥.

(٦) أسرار البلاغة - هـ، ريتز - ٧.

قول المحدث:

نَاطِرَاهُ^(٢) فِيمَا^(٣) جَنَى^(٤) نَاطِرَاهُ^(٥) أَوْ دَعَانِي^(٦) أُمْتُ^(٧) بِمَا أَوْدَعَانِي^(٨) (٩)

ذكره الشيخ من غير نسبة، وهو فيما يرجح لأبي الفتح البستي^(١٠).

وهو أحد أبيات ثلاثة قالها متغزلاً ببائع الفراني^(١١).

- (١) الدلائل، رضا: ٤٠٢، خفاجي: ٤٧٥، شاکر: ٥٢٣.
- (٢) رواية العمدة: «عارضاه بما جنى عارضاه».
- ناظره الأولى بمعنى: جادلناه، جاء في اللسان: التناظر: التفاوض في الأمر، ونظيرك الذي يراوضك، وتناظره، وناظره من المناظرة. اللسان «نظر»: ٢١٩/٥.
- (٣) رواية العمدة، وأنوار الربيع: «بما».
- (٤) رواية معجم الأدباء: «فيما جنت».
- (٥) ناظره هنا بمعنى عينه.
- (٦) أودعاني: أو هنا عاطفة دعاني بمعنى اتركاني.
- (٧) رواية نهاية الأرب: «رهناً».
- (٨) أودعاني الثانية: بمعنى الوديعة. والمراد أثرهما في نفسه.
- (٩) انظر البيت في:
- ديوان أبي الفتح البستي: ٣٢٣، يتيمة الدهر: ٤١٥/٣، زهر الآداب: ٤٢٧/٢، العمدة:
- ٣٢٨/١، معجم الأدباء: ٢٧١/١١/٦، نهاية الأرب: ٩٢/٧، معاهد التنصيص:
- ٢١١/٣، أنوار الربيع: ١٠١/١، ٢٢٣.
- (١٠) ذكر البيت منسوباً لأبي الفتح البستي في:
- ديوانه، زهر الآداب، العمدة.
- وذكر منسوباً لشمسويه البصري في أنوار الربيع: ١٠١/١، ونُسب إلى شمسويه البصري
- في يتيمة الدهر، ونُسب في معاهد التنصيص لشمسويه المصري، ونُسب إلى شداد بن
- إبراهيم الجزري: (ت: ٤٠١ هـ) في معجم الأدباء، ونُسب لظاهر البصري في: نهاية
- الأرب، وأنوار الربيع: ٢٢٣/١، ومن غاب عنه المطرب: ١٥٣.
- (١١) الفراني: جمع فرني أو فرنية، والفرنية: الخبزة المستديرة العظيمة، منسوبة إلى القرن،
- والفرني: طعام يتخذ، وهي خبزة مُسَلَّكَة، مُصَعَّبَة، مضمومة الجوانب إلى الوسط، يُسَلَّك
- بعضها في بعض، ثم تُروى لبناً وسمناً، وسكراً، واحدته فرنية. اللسان: «فرن»:
- ٣٢٢/١٣.

وقبل الشاهد:

قُلْتُ لِلْقَلْبِ مَنْ دَهَاكَ^(١) أَجِيبْنِي^(٢) قَالَ لِي بَائِعُ الْفَرَانِي^(٣) فَرَانِي^(٤) (٥)

وبعد الشاهد:

كُنْتُ فِي الْحُبِّ ذَا انْبِسَاطٍ وَلَكِنْ كَاشِحٌ مِنْ بَنِي الزَّوَانِي^(٦) زَوَانِي^(٧) (٨)

وهذا النوع من الجناس يسميه الشيخ الجناس المستوفى «وهو المتفق في الصورة»^(٩) وقد فرق الشيخ بين نوعين من الجناس المتفقين في الصورة، فما كان في كل منهما كلمة واحدة إحداهما اسم والثانية فعل فهو المستوفى مثل: ناظره - ناظره -، الزواني - زواني، وما كانت إحدى اللفظتين فيه مركبة من كلمتين مثل: أودعاني - أودعاني - فهو المرفو^(١٠).

وأورد ابن رشيقي بيت الشاهد في التجانس المنفصل^(١١).

ورأى النويري أنه من النوع الأول من الجناس المركب^(١٢).

(١) رواية يتيمة الدهر: «ما دهاك».

(٢) رواية معجم الأدباء: «أبْن، لي».

(٣) الفراني: المعنى المذكور في هامش: (١١) في ص ١١٩٤.

(٤) فراني الثانية: بمعنى شقني، وأهلكتني. اللسان «فرا»: ٥٢/١٥.

(٥) ديوان أبي الفتح: ٣٢٢، يتيمة الدهر: ٤١٥، معجم الأدباء: ٢٧١/١١/٦.

(٦) من بني الزواني: المقصود بها هنا جمع الزانية.

(٧) زواني الثانية: بمعنى نحاها، زوى الشيء يزويه زيا، وزويا فانزوى، نحتة فتنحى. اللسان «زوى»: ٣٦٣/١٤.

(٨) ديوان أبي الفتح: ٣٢٣.

(٩) الأسرار - هـ، ريت - ٨.

(١٠) الأسرار - هـ، ريت - ١٧.

(١١) ذكر أنه ليس بتجانس صحيح، ولكنه استظرف، فأدخل في هذا الباب تملحاً، وأكثر من يستعمله الميكالي، وقابوس، وأبو الفتح البستي وأصحابهم، ورأى أن فيه تكلفاً.

(١٢) وهو ما اتفق ركناه لفظاً وخطأً. معاهد التنصيص: ٢١٠/٣.

وكذلك رأى ابن معصوم المدني أنه من النوع الأول من الجناس المركب،
وسماه الجناس المقرون^(١).

والشاهد فيه كسابقه، فالجناس هنا مبني على زيادة المعنى لا زيادة اللفظ
فقط، فناظره الأولى بمعنى جادلاه، والثانية بمعنى عينيه.

و«أودعاني» الأولى: أو عاطفة، و«دعاني» بمعنى اتركاني.

و«أودعاني» الثانية بمعنى الوديعة، قال ابن رشيق: «فقوله: «أودعاني» إنما
هي «أو» التي للعطف، نسق بها «دعاني»، وهو أمر الاثنين من «دع» على قوله
«عارضاه» الذي في أول البيت، وقوله: «أودعاني» الذي في القافية. فعل ماض
من اثنين تقول في الواحد «أودَعُ يودَعُ» من الوديعة^(٢).

وقال الشيخ عبد القاهر معلقاً على البيت:

«... ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة، وقد
أعطاه، ويوهمك كأنه لم يزدك، وقد أحسن الزيادة، ووفأها»^(٣).

وقد استحسّن العباسي في معاهد التنصيص بيت الشاهد، وذكره في
الجناس المركب^(٤).

ولقد استنكر الدكتور أحمد بدوي استحسان الشيخ لهذا البيت، ورأى أن
ذوقه لم يوفق في الإعجاب بهذا التجنيس، فلفظة «ناظره» قلقة نابية، وهي
مجتلبة من أجل إيقاع الجناس وفي ذلك يقول:

«... فإننا إذا كنّا نتسامح في إطلاق الناظرين على العينين مع أننا نرى
الكلمة جلية لإحداث الجناس، وترى كلمة العين أحب وأجمل، وأكثر إيحاءً إذا

(١) ويسمى أيضاً المتشابه.

انظر: أنوار الربيع: ٩٨/١.

(٢) العمدة: ٣٢٨/١.

(٣) الأسرار- هـ، ريت-: ٨.

(٤) ٢١٠/٣.

كنا نتسامح في ذلك، فإننا نجد طلب المناظرة في أول البيت قلقاً غاية القلق، فلسنا نفهم معنى هذه المناظرة، ولا ماذا يُراد بها، وإنما نراها متكلفة ليست تابعة للمعنى، ولكنها مجتلبة ليتمكن الشاعر من صنع الجناس.

ذلك أن الشاعر يبدو أنه يطلب إلى صاحبيه أن يمضيا إلى حبيبه، ليطلبا منه رفقا بالشاعر، وعطفاً عليه، ولا نجد كلمة المناظرة موفية بهذا المعنى، ولا مؤدية إليه، إذ الحبيب لا تقوم بينه وبين الرسول مناظرة فيما جنى ناظره، وأخلق بمثل هذه المناظرة أن تبعث السخرية، والاستهزاء^(١).

وأنا لا أوافق الدكتور أحمد بدوي فيما ذهب إليه، بل يظهر لي أن الشيخ كان موفقاً كل التوفيق في إعجابه بهذا التجنيس فلفظة «ناظره» الأولى ليست بالقلقة ولا النابية، إنما هي كلمة يتطلبها الموقف، فقد بلغ الوجد بالشاعر مبلغه، ولكنه لم يجد من محبوبه إلا الصد والجفاء، حتى شقه وأهلكه، وقد أشار الشاعر إلى حالة الوجد هذه في البيت السابق للشاهد فقد ذكر أن حب بائع الفراني قد أهلكه وشقه. وأمام إلحاح الهوى، وعذاب الجفاء أخذ يستصرخ صاحبيه، ويتوسل إليهما أن يذهبا إلى ذلك المحبوب، ويجادلاه ويشرحاه له ما جنى ناظره.

فهذا المحبوب الجافي يحتاج إلى نبرة عالية في الكلام توقف كوامن الرفق النائمة في إحساسه، فإن لم يستجيبا لتوسله فليتركاه يموت بأثر عيني حبيبه فيه، وكأنه يحملهما تبعة موته قتيل الهوى.

قال الشيخ ذاماً السجع والتجنيس المتكلف:

«... وإذا نظرت إلى تجنيس أبي تمام: أَمْذَهَبَ أَمْ مُذَهَبٌ، فاستضعفته، وإلى تجنيس القائل: «حَتَّى نَجَا مِنْ خَوْفِهِ وَمَا نَجَا»، وقول المحدث: نَاطِرَاهُ فِيمَا جَنَى نَاطِرَاهُ أَوْ دَعَانِي أُمْتُ بِمَا أَوْدَعَانِي فاستحسنه لم تشك بحال أن ذلك لم يكن لأمر يرجع إلى اللفظ، ولكن

(١) عبد القاهر الجرجاني: أحمد بدوي: ٢٨٧.

لأنك رأيت الفائدة ضعفت في الأول وقويت في الثاني، وذلك أنك رأيت أبا تمام لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعك حروفاً مكررة لا تجد لها فائدة - إن وجدت - إلا متكلفة متمحلة، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظ كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويُوهمك أنه لم يَزِدْكَ، وقد أحسن الزيادة ووفّاها، ولهذه النكتة كان التجنيس، وخصوصاً المستوفى منه، مثل «نجا» و«نجا»، من حُلِيّ الشعر. والقول فيما يحسُن، وفيما لا يحسُن من التجنيس، والسجع يطول، ولم يكن غرضنا من ذكرهما شرح أمرهما، ولكن توكيد ما انتهى بنا القول إليه من استحالة أن يكون الإعجاز في مجرد السهولة وسلامة الألفاظ مما يثقل على اللسان»^(١).

وهكذا وضّح الشيخ أن التجنيس والسجع لا تكون لهما فضيلة الجمال إلا بنصرة المعنى، ولذا ذم الإكثار من الجناس والولوع به لأن المعاني لا تدين في كل موضع للجناس^(٢).

فأحلى تجنيس وأعلاه وأحقه بالحسن هو ما وقع من المتكلم من غير قصد إلى اجتلابه، وتأهّب لطلبه، أو ما هو لحسن ملاءمته وإن كان مطلوباً بهذه المنزلة^(٣).

وأشاد الشيخ بكلام المتقدمين. وكيف تركوا العناية بالسجع ولزموا سجية الطبع، فكان كلامهم أمكن في العقول، وأبعد من القلق وأوضح للمراد، وأسلم من التفاوت وأكشف عن الأغراض، وأبعد من التعمّد والتصنع الذي هو ضرب من الخداع بالتزويق^(٤).

ويلفتنا الشيخ عبد القاهر إلى مواطن الحسن في السجع والتجنيس، وأنها

(١) الدلائل، رضا: ٤٠٢ - ٤٠٣، خفاجي: ٤٧٥ - ٤٧٦، شاکر: ٥٢٣ - ٥٢٤.

وانظر كذلك: الأسرار: هـ، ريتز: ٨.

(٢) الأسرار - هـ، ريتز: ٨.

(٣) المصدر السابق: ١٠.

(٤) الأسرار - هـ، ريتز: ٨.

تكمّن حيث يتطلّبه المعنى، فإن قصر الكاتب في هذا الموضع، ولم يأت بالمحسن البديعي يكون فعله ذلك فعل المتكلّف للتجنيس المستكره، والسجع النافر^(١).

فالجناس والسجع إذاً يجب أن يكونا تابعين للمعنى «فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه، وساق نحوه، وحتى تجده لا تبغى به بدلاً، ولا تجد عنه جِوْلاً»^(٢).

لذا كان العارفون بجواهر الكلام لا يعرّجون على هذا الفن إلاّ بعد الثقة بسلامة المعنى وصحته وإلا حيث يأمنون جناية من اللفظ على المعنى وانتقاصاً له، وتعويقاً دونه^(٣).

(١) المصدر السابق: ١٠.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق: ٩.

ب - شواهد الخبر وما يتحقق به الإسناد

متعلقات الفعل تغير معنى جزئي الجملة:

الشاهد الثالث والسبعون بعد الثلاثمائة^(١):

(الطويل)

قول الفرزدق^(٢):

وَمَا حَمَلْتُ أُمَّ أَمْرِي فِي ضُلُوعِهَا أَعَقَّ مِنَ الْجَانِي عَلَيْهَا هَجَائِيَا^(٣)

والبيت من أول قصيدة هجا بها جريراً، والبعيث، ومطلعها:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ جَوْ^(٤) سُوَيْقَةٍ بَكَيتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةُ^(٥) مَالِيَا

وقبل الشاهد:

عَجِبْتُ لِحَيْنِ ابْنِ الْمَرَاغَةِ أَنْ رَأَى لَهُ غَنَمًا أَهْدَى إِلَيَّ الْقَوَافِيَا

وَهَلْ كَانَ فِيمَا قَدْ مَضَى مِنْ شَيْبَتِي لَهُ رُخْصَةٌ عِنْدِي فَيَرْجُو ذَكَايَا^(٦)

أَلَمْ أَكُ قَدْ رَاهَنْتُ حَتَّى عَلِمْتُمْ رَهَانِي وَخَلْتُ لِي مَعْدُ عَنَانِيَا

(١) الدلائل، رضا: ٤١٢ - ٤١٧، خفاجي: ٤٨٥، شاکر: ٥٣٤ - ٥٤٤.

(٢) نُسب البيت في بهجة المجالس لجرير، والأصح أنه للفرزدق.

(٣) ديوانه: ٣٦١/٢، نقائض جرير والفرزدق: ١٧١/١ رقم القصيدة (٣٤).

(٤) جو سويقة: اسم موضع قيل هو من أجوية الصَّمان، والصَّمان بالفتح ثم التشديد: أرض

غليظة دون الجبل، وهي أرض فيها غلظ وارتفاع، وفيها قيعان واسعة، ورياض معشبة،

وكانت الصَّمان في القديم لبني حنظلة، والصَّمان متاخم للدهناء، وقيل جبل في أرض

تميم. معجم البلدان: ٢٨٧/٣ - ٤٢٣، مراصد الاطلاع: ٧٥٩/٢.

(٥) هُنَيْدَةُ بنت صعصعة عمته.

(٦) ذَكَايَا: الذكاء السن. اللسان «ذكاء»: ٢٨٨/١٤.

وبعد الشاهد:

وَأَنْتَ بِوَادِي الْكَلْبِ لَا أَنْتَ ظَاعِنٌ وَلَا وَاجِدٌ يَا أَبْنَ الْمَرَاعَةِ بَايَا

استشهد به الشيخ على أن متعلقات الفعل تغير معنى جزئي الجملة، وليست هي مجرد زيادة في الفائدة يمكن الاستغناء عنها، فبيت الفرزدق لا تثبت له فضيلة سبق، والحسن والأستاذية لو أننا قصرناه على أصل الجملة التي بنى كلامه عليها وهي قوله: «وَمَا حَمَلْتُ أُمَّ امْرِئٍ»، كذلك لا يمكن أن نذكر المتعلقات وحدها دون أصل الجملة؛ لأنه يصير بنا إلى ضرب من الهذيان، قال الشيخ:

«... فإنك إذا نظرت لم تشك في أن الأصل والأساس هو قوله: «وَمَا حَمَلْتُ أُمَّ امْرِئٍ» وأن ما جاوز ذلك من الكلمات إلى آخر البيت، مستند إليه ومبني عليه، وأنت إن رفعتَه لم تجد لشيء منها بياناً، ولا رأيت لذكرها معنى بل تَرَى ذِكْرَ لَهَا إِنْ ذَكَرْتَهَا هَذِياناً. والسبب الذي من أجله كان كذلك، أن من حكم كل ما عدا جُزْئِي الجملة «الفعل والفاعل» و«المبتدأ والخبر» أن يكون تخصيصاً للمعنى المثبت أو المنفي فقوله: «فِي ضُلُوعِهَا» يفيد أولاً أنه لم يرد نفي الحمل على الإطلاق ولكن الحمل في الضلوع، وقوله: «أَعْقُ» يفيد أنه لم يرد هذا الحمل الذي هو حملٌ فِي الضلوع أيضاً على الإطلاق، ولكن حملاً فِي الضلوع محموله أَعْقُ من الجاني عليها هجاءه، وإذا كان ذلك كله تخصيصاً للحمل، لم يُتَصَوَّر أن يُعْقَلَ من دون أن يُعْقَلَ نَفِي الحمل، لأن لا يُتَصَوَّر تخصيص شيء لم يدخل في نفي ولا إثبات، ولا ما كان في سبيلها من الأمر به والنهي عنه، والاستخبار عنه»^(١).

فالمزية كل المزية إذاً في تلاحم أجزاء الجملة مع متعلقاتها بل إنه لا يمكن أن يتصور بيت الفرزدق إلا عند نهاية آخر حرف فيه، فهو أراد أن يبين فظيع هجائه، فأظْهَرَ من تعرض له، ولهجائه بمظهر العاقٍ لأمه لم تحمل أم أعق منه لأنه جعلها عرضة لهجاء الفرزدق المقذع. قال الشيخ:

(١) الدلائل، رضا: ٤١٧ - ٤١٨، خفاجي: ٤٩٦ - ٤٩٧، شاکر: ٥٤٤ - ٥٤٥.

«... أنك ترى البيت قد استحسنته الناس، وقضوا لقائله بالفضل فيه، وبأنه الذي غاص على معناه بفكره، وأنه أبو عُذْرَه، ثم لا ترى ذلك الحسن وتلك الغرابة كانا إلا لما بَنَاهُ على الجملة دون نفس الجملة، ومثال ذلك قول الفرزدق: وَمَا حَمَلْتُ أُمَّ أَمْرِي فِي ضُلُوعِهَا أَعْقُ مِنَ الْجَانِي عَلَيْهَا هِجَائِيَا فلولا أن معنى الجملة يصيرُ بالبناء عليها شيئاً غير الذي كان، ويتغير في ذاته، لكان مُحالاً أن يكون البيتُ بحيثُ تراه من الحسن والمزية، وأن يكون معناه خاصاً بالفرزدق، وأن يُقْضَى له بالسبق إليه، إذ ليس في الجملة التي بنى عليها ما يوجب شيئاً من ذلك فاعرفه.

والنكتة التي يجب أن تُراعى في هذا، أنه لا تتبين لك صورة المعنى الذي هو معنى الفرزدق، إلا عند آخر حرفٍ من البيت حتى إن قطعت عنه قوله «هجائياً» بل «الياء» التي هي ضمير الفرزدق، لم يكن الذي تعقله منه مما أرادَه الفرزدق بسبيل؛ لأن غرضه تهويل أمر هجائه، والتحذير منه، وأن من عَرَّضَ أمه له، كان قد عَرَّضَهَا لأعظم ما يكون من الشر»^(١).
الشاهد الرابع والسبعون بعد الثلاثمائة^(٢):
(البيسط)

قول القطامي^(٣):

- (١) الدلائل، رضا: ٤١٢-٤١٣، خفاجي: ٤٨٥، شاکر: ٥٣٤-٥٣٥.
 - (٢) الدلائل، رضا: ٤١٣، خفاجي: ٤٨٥، شاکر: ٥٣٥.
 - (٣) القطامي لقب غلب عليه - وهو اسم من أسماء الصقر، وأصل القطم العض أو قطع الشيء - واسمه عمير بن شبيب بن عمرو بن عباد بن عامر بن تغلب، كان نصرانياً، وهو شاعر إسلامي مقل مجيد، وهو أول من لُقِّبَ بصريع الغواني، وهو أحسن الإسلاميين ابتداءً قصيداً. جعله ابن سلام في الطبقة الثانية من الإسلاميين وقال عنه: «وكان شاعراً فحلاً رقيق الحواشي حلوا الشعر. انظر ترجمته:
- طبقات فحول الشعراء: ٥٣٥/٢، الشعر والشعراء: ٧٢٧/٢، الاشتقاق: ٣٣٩، الأغاني: ١٧/٢٤-٥٢، المؤلف والمختلف: ١٦٦، الموشح: ٢٤٤-٢٤٥. الخزانة - دار صادر:- ٣٩١/١-٣٩٤، ١٨٨/٣-١٩٠، ٤٤٢-٤٤٣.

فَهْنٌ^(١) يَنْبِذَنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصْبَنُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ^(٢) الصَّادِي^(٣) ^(٤)

وهو من قصيدة مطلعها:

مَا اعْتَادَ حُبُّ سُلَيْمَى حِينَ مَعْتَادَ وَلَا تَقْضَى بَوَاقِي دَيْنِهَا الطَّادِي

وقبل الشاهد:

يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينِ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي

وبعد الشاهد:

مَنْ مُبْلَغُ زَفَرِ الْقَيْسِ مِذْحَتَهُ مِنْ الْقَطَامِيِّ قَوْلًا غَيْرَ إِفْنَادِ

ذكر ابن طباطبا بيت الشاهد ضمن الأبيات التي أغرق قائلوها في معانيها فرأى أنه من الأشعار المحكمة المتقنة، المستوفية للمعاني، الحسنة الوصف، السلسلة الألفاظ التي خرجت خروج النثر سهولة وانتظاماً فلا استكراه في قوافيها ولا تكلف في معانيها^(٤).

واستشهد به أبو هلال العسكري في أحسن ما قيل في حديث النساء^(٥).

والشاهد فيه كسابقه، فغرض الشاعر من البيت لا يتحقق إذا قصرنا الكلام على أصل الجملة، وهو قوله: «فَهْنٌ يَنْبِذَنَّ» بل إن غرض الشاعر لا يتحقق إلا

(١) رواية عيون الأخبار: «وَهْنٌ».

(٢) العُلَّة: حرارة الجوف من العطش. اللسان «غلل»: ٤٩٩/١١.

(٣) الصادي: الصدى شدة العطش وقيل هو العطش ما كان. اللسان «صدي»: ٤٥٣/١٤.

(٤) انظر البيت في:

ديوانه: ٨، رسائل الجاحظ: ١١٥/٢، عيون الأخبار: ٨٢/١٠/٤، الشعر والشعراء: ٧٢٧/٢، الكامل: - دار الفكر: ٢٥٧/١، عيار الشعر: ٥٩، التشبيهات: ١١١، العقد الفريد: ٢٦٣/٦، الأغاني: ١٦/٢٤ - ١٧ - ٤٣، المختار من شعر بشار: ٥٥، ديوان المعاني: ٢٤٢/١، التمثيل والمحاضرة: ٢٥٦، بهجة المجالس: ٧/٣، سمط اللآلي: ١٨/١.

(٥) ديوان المعاني: ٢٤٢/١.

إذا وصلنا إلى آخر البيت، فالشاعر لم يرد أن يقول إنهن يبنذن القول فقط بل أراد أن يصف موقع حديثهن العذب من النفس، وتلهفها، وحنينها، وشوقها لسماع ذلك الحديث، فجاء بصورة «ذي الغلة الصادي»، وشغفه، وتلهفه حين يرى الماء العذب بعد طول ظمأ.

وانظر إلى موقع الجار والمجرور «من قول»، وكيف نكر لفظ «قول»، فدل على سحر ذلك القول، وعذوبته، وقوة فعله في النفس.
فبفضل ترابط هذه المتعلقات صار للبيت مزية وفضل.

قال الشيخ:

«إذا نظرت إلى قول القطامي... وجدتكَ لا تحصل على معنى يصح أن يقال إنه غرض الشاعر ومعناه إلا عند قوله: «ذِي الْغُلَّةِ»^(١).
الشاهد الخامس والسبعون بعد الثلاثمائة^(٢):
(السريع)

النَّشْرُ^(٣) مِسْكٌ وَالْجُجُوهُ^(٤) ذَنَّا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ^(٥) عَنَمٌ^(٦) (٧)

(١) الدلائل، رضا: ٤١٣، خفاجي: ٤٨٥ - ٤٨٦، شاکر: ٥٣٥.

(٢) الدلائل، رضا: ٤١٣، خفاجي: ٤٨٦، شاکر: ٥٣٥.

(٣) النشر: الريح الطيبة، أو أعم أو ريح فم المرأة وأعطاها بعد النوم. اللسان: «نشر»: ٣٠٦/٥.

(٤) رواية الصناعيتين: «والوجه»، وهذه الرواية لا تتفق مع الخبر «دنانير».

(٥) رواية المفضلين: «البنان».

(٦) العَنَمُ: شَجَرٌ لَيِّنٌ الْأَغْصَانُ لَطِيفٌ يُشَبِّهُ بِهِ الْبَنَانُ كَانَهُ بَنَانُ الْعَذَارَى، واحدها عَنَمَةٌ وهو ما يُسْتَاكُ بِهِ، وقيل العَنَمُ أغصان تنبت في سوق العضاء رطبة لا تشبه سائر أغصانها حُمْر اللون، وقيل: هو ضرب من الشجر له نَوْرٌ أَحْمَرٌ تُشَبِّهُ بِهِ الْأَصَابِعُ الْمُخَضَّوْبَةُ. اللسان «عنم»: ٤٢٩/١٢.

(٧) انظر البيت في:

المفضلين: ٢٣٨، الشعر والشعراء: ٢١٩/١، التشبيهات: ٨٤، الأغاني: ١٢٦/٦،
الآشياء والنظائر: ١٧٤/١، معجم الشعراء للمرزباني: ٢٠١، معاني أبيات الحماسة:
٢٥٢، رقم الحماسية ٨٧٢، الصناعيتين: ٢٧٢، شرح شواهد المغني: ٨٨٩/٢، معاهد
التنخيص: ٨١/٢.

ذكر الشيخ البيت من غير نسبة وهو للمرقش الأكبر^(١).

وهو من قصيدته التي قالها في رثاء^(٢) ابن عمه ثعلبة بن عوف بن مالك بن ضبيعة لما قتله بنو تغلب.

ومطلعها:

هَلْ بِالدِّيَارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمَ لَوْ كَانَ رَسْمٌ نَاطِقاً كَلَمَ

وقبل الشاهد:

دِيَارُ أَسْمَاءَ الَّتِي تَبَلَّتْ قَلْبِي فَعَيْنِي مَأْوَها يَسْجُمُ
أَضْحَتْ خَلَاءَ نَبْتِهَا ثِيْدُ نَوَّرَ فِيهَا زَهْوُهُ فَأَعْتَمُ
بَلْ هَلْ شَجَّتْكَ الظُّعْنُ بِاِكِرَةٍ كَأَنَّهُنَّ النُّخْلُ مِنْ مَلْهَمُ

وبعدها البيت وبعده:

لَمْ يُشْجِرْ قَلْبِي مِلْحَوْدَاثٍ إِلَّا (م) صَاحِبِي الْمَتْرُوكُ فِي تَغْلَمَ

وقد، استحسن ابن قتيبة بيت الشاهد في حين عاب القصيدة وتعجب من اختيار الأصمعي لها قال:

«والعجب عندي من الأصمعي^(٣) إذ أدخله في متخير، وهو شعر ليس

(١) هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن، ويقال هو ربيعة ويقال عوف. وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك وصاحبه هي ابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك وسمي المرقش بقوله:

الدَّارُ قَفْرٌ وَالرُّسُومُ كَمَا رَقَشَ فِي ظَهْرِ الْأَدِيمِ قَلَمُ
وهناك مرقش آخر ويعرف بالمرقش الأصغر وهو ابن أخ المرقش الأكبر، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد، وهو عم طرفة بن العبد.

انظر أخبار المرقش الأكبر في:

الشعر والشعراء: ٢١٦ - ٢١٩، الأغاني: ١٢٧/٦ - ١٣٥، شرح شواهد ابن عقيل: ٨٨٩/٢.

(٢) والقصيدة جاءت على خلاف المتعارف عليه عند الشعراء فقد بدأ الرثاء بالغزل.

(٣) لم أجد القصيدة في الأصمعيات والصحيح أنها مذكورة في المفضليات.

بصحيح الوزن ولا حسن الروي ولا متخير اللفظ، ولا لطيف المعنى، ولا أعلم فيه شيئاً يستحسن إلا قوله: النَّشْرُ مِسْكٌ...»^(١).

واستشهد به أبو هلال العسكري على التشبيه المحذوف الأداة ورأى أنه من بدیع التشبيه؛ لأنه شبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء في بيت واحد^(٢). وهذا ما عُرف بالتشبيه المقرون^(٣).

استشهد به الشيخ على أن خلو الجملة من المتعلقات، وعطفها على جمل لا يزيد من معناها شيئاً.

فقوله: «النَّشْرُ مِسْكٌ» لم يزد معنى النَّشْر شيئاً بعطف جملة «والوجوه دنانير، إليه، وكذلك لم تزد صورة الوجه شيئاً بعطفه جملة «أطراف الأكف عنم»، وإن كانت الواو قد ربطت بينها جميعاً، فجمعت أجمل محاسن المرأة وأدقها.

قال الشيخ:

«ويزيدك استبصاراً فيما قلناه، أن تنظر فيما كان من الشعر جُملاً قد عُطف بعضها على بعض بالواو، كقوله: النَّشْرُ مِسْكٌ، وَالْوُجُوهُ دَنَّا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنْمٌ وذلك أنك ترى الذي تعقله من قوله: «النَّشْرُ مِسْكٌ» لا يصير بانضمام قوله: «والوجوه دنانير» إليه شيئاً غير الذي كان، بل تراه باقياً على حاله. كذلك ترى ما تعقل من قوله: «والوجوه دنانير» لا يلحقه تغيير بانضمام قوله: «وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنْمٌ»، إليه^(٤)»

(١) الشعر والشعراء: ٧٩/١.

(٢) الصناعتين: ٢٧١ - ٢٧٢.

(٣) انظر: الإيضاح: ٣٧٠/٢.

(٤) الدلائل، رضا: ٤١٣، خفاجي: ٤٨٦، شاکر: ٥٣٥.

قول بشار:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ^(٢)

وقول أمريء القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَسَاساً لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي^(٣)

وقول زياد:

وَأِنْسَا وَمَا تُلْقِي لَنَا إِنْ هَجَوْتَنَا لَكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرَقُ^(٤)

استشهد الشيخ بهذه الشواهد الثلاثة، على أن الكلام إذا بُني على التشبيه كان عبارة عن جزأين مشبّه، ومشبّه به، ولا يمكن أن تكتمل الصورة إلاً بذكرهما معاً، فالمزية لهذه الصورة من الكلام تفوق المزية في بيت الفرزدق، من حيث أن في بيت الفرزدق جملة تؤدي معنى، أما الكلام هنا فهو صورة تؤدي معنى. قال الشيخ:

«وإذ قد عرفت ما قرّرناه من أن من شأن الجملة أن يصير معناها بالبناء عليها شيئاً غير الذي كان، وأنه يتغير في ذاته، فاعلم أن ما كان من الشعر مثل بيت بشار... وقول أمريء القيس... وقول زياد... كان له مزية على قول الفرزدق فيما ذكرناه؛ لأنك تجد في صدر بيت الفرزدق جملة تؤدي معنى، وإن لم يكن معنى يصح أن يقال إنه معنى فلان، ولا تجد في صدر هذه الأبيات ما يصح أن يعد جملة تؤدي معنى فضلاً عن أن تؤدي معنى يقال إنه معنى فلان. ذاك لأن قوله: «كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ» إلى: «وَأَسْيَافُنَا» جزء واحد و«لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ» بجملة الجزء الذي ما لم تأت به لم تكن قد أتيت بكلام.

(١) الدلائل، رضا: ٤١٣، خفاجي: ٤٨٦ - ٤٨٧، شاعر: ٥٣٦.

(٢) سبق تخريجه: ٣٠٥.

(٣) سبق تخريجه: ٢٩٩.

(٤) سبق تخريجه: ٣١٢.

وهكذا سبيل البيتين الآخرين، فقلوه: «كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرَهَا» جزء، وقوله: «الْمُنَابُّ وَالْحَشْفُ الْبَالِي» الجزء الثاني، وقوله: «وَأَنَا وَمَا تُلْقِي لَنَا إِنْ هَجَوْتَنَا» جزء، وقوله: «كالبحر، الجزء الثاني، وقوله: «مَهْمَا تُلْقِ فِي الْبَحْرِ تَفَرَّقَ» وإن كان جملة مُستأنفة ليس لها في الظاهر تعلق بقوله: «لكالبحر»، فإنها لما كانت مبيّنة لحال هذا التشبيه، صارت كأنها متعلقة بهذا التشبيه، وجرى مجرى أن نقول: «لكالبحر في أنه لا يُلقى فيه شيء إلا غرق»^(١).

ولقد عرض الشيخ عبد القاهر هذه الأفكار ليثبت بلاغة النظم، هذه النظرية التي بنى عليها كتابه، وأخذ يسوق لها الحجج في كل موضع، فالكلام الذي تتحد أجزاءه، ويدخل بعضها في بعض، ويشد ارتباط ثانٍ منها بأول، هو في النمط العالي من الكلام.

(١) الدلائل، رضا: ٤١٣ - ٤١٤، خفاجي: ٤٨٦ - ٤٨٧، شاکر: ٥٣٦.

الفصل الرابع عشر

شواهد إدراك البلاغة
بالذوق وإحساس النفس

الشاهد السابع والسبعون بعد الثلاثمائة^(١): (الكامل)

قوله:

لِي مِنْكَ^(٢) مَا لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ نَظَرٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى الطُّرُقِ^(٣)

ذكره الشيخ من غير نسبة وهو للشاعر شمرخ^(٤).

والشاهد أحد أربعة أبيات وقبله:

يَا مَنْ بَدَائِعُ حُسْنِ صُورَتِهِ تَثْنِي إِلَيْكَ^(٥) أَعْنَةَ الْحَدَقِ

وبعده:

لَكِنَّهُمْ سَعِدُوا بِأَمْنِهِمْ وَشَقِيتُ حِينَ أَرَاكَ بِالْفَرَقِ
سَلِمُوا مِنَ الْبَلَوَى وَلِي كَيْدٌ حَرَى وَدَمَعَةُ هَائِمٍ مَلِي^(٦)

استشهد به الشيخ على أن إدراك البلاغة يعتمد على الإحساس المرفف،

(١) الدلائل، رضا: ٤٢٠، خفاجي: ٤٩٩، شاکر: ٥٤٧ - ٥٤٩.

(٢) رواية الشعر والشعراء «لي مثل ما للناس».

(٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

معجم الشعراء: ٤٣٨، الزهرة: ٤٧ منسوبة لبعض الكلايين. مصارع العشاق: ٣٧٨ غير منسوب.

(٤) هو محمد بن أحمد بن أبي مرة أبو عمارة المكي يلقب بشمرخ كان في عصر الخليفة

المتوكل، أكثر شعره في الغزل. انظر معجم الشعراء: ٤٣٨.

(٥) رواية الزهرة: «إليه».

(٦) انظر الأبيات في: معجم الشعراء: ٤٣٨، الزهرة: ٤٧ - ما عدا البيت الرابع -.

والذوق المدرب على الكشف عن الأمور الخفية والمعاني الروحية.

ويبدو أن الحسن والمزية في البيت في أن قدم المسند «لي» على المسند إليه «نظر»، وفي تقديم الجار والمجرور «منك» وفي تنكير لفظ «نظر»، ولفظ «تسليم».

ويظهر أن السر في تقديم المسند «لي» والجار والمجرور «منك» هو أن الشاعر في حالة توجع وتحسر ولوم وتعجب من أن يكون له هو صاحب الخطوة، وصاحب الحق في النظر ما للناس كلهم، فهو يرغب ويتمنى بأن يكون النظر له هو وحده لا لغيره من الناس.

وفي تنكير لفظ «نظر» و«تسليم» ما يظهر احتجاج عاطفته وإنكارها وعدم اعترافها بذلك النظر؛ وذلك التسليم، فهو نظر خاطف لا يروي ظمأ نفسه، وتسليم عابر لا يسكن هوج روحه.

وحذف الجار والمجرور «على الطرق» من الجملة الابتدائية الأولى «نظر» لأن الشاعر في موقف عتاب ولوم فهو يريد أن يسرع في إظهار ما يضطرم في نفسه من الألم، لعله يجد بعض الراحة في هذا البوح السريع.

الشاهد الثامن والسبعون بعد الثلاثمائة^(١):
(الكامل)

قول البحري:

وَسَأْسْتُقِلُّ لَكَ الدُّمُوعَ صَبَابَةً وَلَوْ أَنَّ دِجْلَةَ لِي عَلَيْكَ دُمُوعٌ^(٢)

وهو من قصيدته التي قالها في وداع إبراهيم بن الحسن بن سهل^(٣) حين

خرج إلى البصرة، ومطلعها:

أَغْدَا يَشْتُ الْمَجْدُ وَهُوَ جَمِيعُ وَتُرْدُ دَارُ الْحَمْدِ وَهِيَ بَقِيعُ

(١) الدلائل، رضا: ٤٢٠، خفاجي: ٤٩٩، شاکر: ٥٤٨.

(٢) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في: ديوانه: ٣٢٠/١.

(٣) سبق ترجمته: ١٠٣٥.

وقبل الشاهد:
سَأُوذِّعُ الْإِحْسَانَ بَعْدَكَ وَاللَّهَى إِذْ حَانَ مِنْكَ الْبَيْنُ وَالتَّوَدِّعُ

وبعد الشاهد:
وَمِنْ الْبَدِيعِ أَنْ اِنْتَأَيْتَ وَلَمْ يَرُحْ جَزَعِي عَلَى الْأَحْشَاءِ وَهُوَ بَدِيعُ
أشار الشيخ عبد القاهر بأن البيت إنما وجبت له المزية والحسن، لتقديم
«لي» على «عليك» وتنكير «دموع». قال:

«... وما في قول البحتري: «لي عليك دموع» من شبه السحر، وأن ذلك
من أجل تقديم «لي» على «عليك» ثم تنكير «الدموع»^(١).

ولعل الحسن في تقديم «لي» على «عليك» يكمن في أن الشاعر أراد أن
يصور ما بدخلته من العطاء، والوفاء، وما يكابده هو من الجهد، والعناء في وداع
ذلك الحبيب.

وفي تنكير «دموع» بيان أنها دموع غزيرة كماء دجلة في غزارته.

وفي تقديم الجار والمجرور «لك» على المفعول به «الدموع» تجسيد
وتصوير لرهج الحب الثائر في نفسه، فلو أنه قال: «وسأستقل الدموع صباغة لك»
لما وجدنا لهذا التركيب ذلك الطعم، وتلك الحلاوة.

وعرّف الدموع «بأل» العهدية في الشطر الأول. وكأن الدموع شيء معهود
منه، فهي أعظم دليل لديه على الوجد المكنون اللاعج وأنظر إلى قيمة المفعول
لأجله «صباغة» هذا القيد الذي أضفى على الدموع قيمة خاصة، فهي ليست
دموع حزن، وليست دموع فرح، إنها دموع الشوق، وهذه الدموع ما هي إلا
عصارة أحاسيس عدة تتنازع نفس الشاعر منها إحساس الحب الذي يغمُر نفسه
وإحساس اللوم والعتاب لذلك المحب الجافي، وإحساس الحزن على الفراق،
وإحساس الفرح والأمل باللقاء.

(١) الدلائل، رضا: ٤٢١، خفاجي: ٥٠٠، شاکر: ٥٤٩.

وقول البحري:

رَأَتْ مَكْنَاتٍ^(٢) الشَّيْبِ فَأَبْتَسَمَتْ لَهَا وَقَالَتْ: نُجُومٌ لَوْ طَلَعْنَ بِأَسْعَدِ^(٣)^(٤)

وهو من قصيدته التي يمدح بها أحمد بن المديبر^(٥)، ومطلعها:
لَعَمْرُ الْمَغَانِي يَوْمَ صَحْرَاءٍ أُرْتَدِ^(٦) لَقَدْ هَيَّجَتْ وَجْداً عَلَى ذِي تَوْجِدٍ

وقبل الشاهد:

سَقَتْهَا الْغَوَادِي حَيْثُ حَلَّتْ دِيَارَهَا عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَسِقِ ذَا الْعُلَّةِ الصِّدِي

- (١) الدلائل، رضا: ٤٢٠، خفاجي: ٤٩٩، شاکر: ٥٤٨.
- (٢) رواية الديوان ودلائل الإعجاز - تحقيق شاکر -: «فلتات».
- ومعنى مكنات بيض الجراد ومفردها مكنة. اللسان «مكن»: ٤١٢/١٣.
- ومعنى فلتات أول ما يسرع بالظهور من الشيب. اللسان: «فلت»: ٦٦/٢.
- (٣) رواية الديوان - الصيرفي - والموازنة، أمالي المرتضى، الدلائل - شاکر -: «بأسعد».
- (٤) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:
ديوانه - الصيرفي -: ٧٧١/٢.
- ديوانه - بيروت -: ٢٦٢/١، الموازنة - السيد صقر -: ٢٠٧/٢، أمالي المرتضى:
٦٢١/١، الشهاب في الشيب والشباب: ١٧.
- (٥) هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبيد الله بن المديبر الكاتب، أديب شاعر مترسل بليغ أصله من سامراء كان من جلة الكتّاب وأفاضلهم، وكرامهم من أيام الوراق، حسده الكتاب على منزلته عند السلطان، فأغروه به حتى أخرجه إلى دمشق، تولى منصباً في ديوان الخراج أيام المأمون، وكتب للمأمون، وتقلد ديوان الخراج والضياع مجموعين للمتوكل، له كتاب المجالسة والمذاكرة، قتله ابن طولون: ٢٦٥ هـ، وقيل (٢٧٠ هـ) أو (٢٧١ هـ). انظر ترجمته:
- الفخري في الأدب السلطانية: ٢٤٨، الفهرست: ١٧٨، وفيات الأعيان: ٥٦/٧، من الضائع من الوزراء والكتاب: ٦٤، ٦٨، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠.
- (٦) أُرْتَد: وإد بين مكة والمدينة في وادي الأبواء. معجم البلدان: ١٤٢/١، وزاوية الديوان - الصيرفي -: أُرْتَد: - وهي قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين طريق المغرب. معجم البلدان: ١٣٦/١.

وبعده:

أَعَاتِكَ مَا كَانَ الشَّبَابُ مُقَرَّبِي إِلَيْكَ فَأَلْحَى الشَّيْبَ إِذْ صَارَ مُبْعِدِي

لعل من أسرار الجمال في البيت قوله:

«مكنات الشيب»، حيث جاء بصورة الجراد الأبيض المنتشر، وأضافها إلى الشيب، بدلاً من فعل الانتشار الصريح، فدل على سرعة انتشار الشيب واتصاله وكثرته.

وانظر إلى دور «الفاء» في قوله «فابتسمت»، وكيف أظهرت الألم النفسي الذي اعتري الشاعر، فهي ما إن رأتمكنات الشيب حتى أسرع إليها الابتسامة سخرية أو إشفاقاً.

وانظر إلى «الواو» وكيف وصلت بين الجمل، وجعلتها كالجملة الواحدة، حيث ربطت صورة الاستهزاء بعضها ببعض، وأكدتها، فأظهرت بذلك شدة سخريتها به. «رأت... فابتسمت وقالت».

وما أدق الحذف في قوله: «نجوم» - والأصل «هي نجوم»، فهي لشدة تعجبها أسرع بالخبر ولم تطل الكلام.

وقد استحسّن الآمدي بيت الشاهد، فقال:

«وهذا معنى في غاية الحسن والحلاوة، وقوله: فابتسمت لها» يريد استهزأت، وبهذا جرت عادة النساء أن يضحكن من الشيب، ويستهنئن، لا أن ييكن كما قال أبو تمام، ولم يقنع إلا ببكاء الدم^(١)»^(٢).

وقد رأى الشريف المرتضى أن قول الآمدي هذا فيه عصبية شديدة، وغمط لمحاسن أبي تمام. قال:

(١) يقصد قوله:

خَضِبَتْ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعَفْ

بِ دَمًا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيبًا

الموازنة - السيد صقر - : ٢٠٣/٢.

(٢) الموازنة - السيد صقر - : ٢٠٧/٢.

«ووجدت الأمدي يقول ها هنا بعد استحسانه هذه الأبيات، وهي لعمرى في غاية الحلاوة والطلاوة، وأن معنى تبسمت أنها استهزأت...» ثم بعد أن ذكر قول الأمدي الأنف الذكر، قال:

«... وهذه عصبية شديدة من الأمدي على أبي تمام، وغمط لمحاسنه، والنساء قد يستهزئن تارة بالشيب، ويكيّن أخرى لحلوله على حسب أحوالهن مع ذي الشيب، فإن كُنَّ عنه معرضات، وله غير محبات استهزأن بشيبه، وإن كُنَّ له وامقات، وعليه مشفقات يكيّن لحلول شيبه لفوت تمتعهن بشبابه، وتلهفاً على ما مضى من زمانه، فأما قوله: لو طلعت بأسعد، فإنما تمنى ذلك، وتلهف عليه كما قال في موضع آخر:

وَتَعَجَّبْتُ مِنْ لَسُوْعَتِي قَتَبَسُمْتُ عَنْ وَاضِحَاتِ لَوْ لُثِمْنَ عَذَابٍ
ولو لم يجعل ذلك شرطاً في أنهن عذاب واضحات كما لم يجعل تشبيه الشيب بالنجوم مشروطاً بطلوع السعود، وإنما تمنى ذلك، وتلهف عليه، أو لأنه حكى عن محبوبته أنها شبهت الشيب بالنجوم على سبيل التهجين له، والأزراء عليه إرادة أن تسلب فضيلة النجوم، وأنه أشبهها منظرًا، فما أشبهها فضلاً ومنفعة، فقالت: لو طلعت بأسعد أي طلوع الشيب بضد السعادة، وإن كان طلوع النجوم قد يكون بالسعد، وهذا تدقيق مليح، وتصرف قوي»^(١).

الشاهد الثمانون بعد الثلاثمائة^(٢):
(البيسيط)

قول أبي نواس:
رَكِبْتُ تَسَاقُوا عَلَى الْأَكْوَارِ^(٣) بَيْنَهُمْ
كَأَنَّ أَعْنَاقَهُمْ^(٥) وَالنُّومُ وَأَضْعَعُهَا
كَأَنَّ الْكَرَى فَانْتَشَى^(٤) الْمَسْقِيُّ وَالسَّاقِي
عَلَى الْمَنَاكِبِ لَمْ تُعَمَدْ^(٦) بِأَعْنَاقِي^(٧)

(١) الشهاب في الشيب والشباب: ١٨/١٧.

(٢) الدلائل، رضا: ٤٢٠، خفاجي: ٤٩٩، شاکر: ٥٤٨.

(٣) الأكوار: جمع كور، وهو الرُّحْلُ بأدائه. مختار الصحاح: «كور»: ٥٨٢.

(٤) رواية رسائل ابن المعتز، والموشح: «فاستوى».

(٥) رواية الحيوان، ورسائل ابن المعتز: «كَانَ هَامَهُمْ».

والشاهد من خمسة أبيات وردت في باب الغزل، وبعده:
خَاضُوا إِلَيْكُمْ بِحَارِ اللَّيْلِ آوِنَةً حَتَّى أَنَاخُوا إِلَيْكُمْ فَلْ^(١) أَشْوَاقِ

رأى المرزباني أن أبا تمام قد سرق البيت الأول فقال:
وَرَكَّبَ يُسَاقُونَ الرِّكَّابَ رُجَاجَةً مِنَ السَّيْرِ لَمْ تُقَطَّبْ لَهَا كَفٌّ قَاطِبٍ^(٢)

فأبو نواس «شبه تأثير النوم وفتوره بنشوة السكر، وما يكون من سريان النعاس بين الركب بتساقيقهم كؤوس الخمر، ومن المشهور أن النوم يعدي، فكان الذي يصيبه أولاً هو الذي سقاه لمن ينام بعده»^(٣).

ويظهر أن من أسرار الجمال والإبداع في بيتي أبي نواس أنه حذف المسند إليه «هم» وجاء مباشرة بالمسند «ركب»، والر في هذا الحذف أن صورة هؤلاء الركب قد آنست روحه، وأعجبت خياله، فعظم إحساسه بها، فلجأ إلى الإيجاز واللمح وقوله: «تساقوا» دل هذا الفعل على أن هناك حركة متتابعة تسري بين ذلك الركب.

وفي مجيء القيد «على الأكوار»، وتقديمه على الظرف «بينهم». دليل على

= يبدو لي أن هذه الرواية هي المتعينة هنا، إذ على رواية الديوان والدلائل يصير الكلام إلى «كَانَ أَغْنَاهُمْ لَمْ تُعْمَدْ بِأَغْنَانِي» وهو كلام واضح التهافت بل الاستخالة.

(٦) رواية الديوان: «لَمْ تُوصَلْ».

ورواية التشبيهات: «لَمْ تُعْدَلْ».

ورواية رسائل ابن المعتز، وزهر الآداب: «لَمْ تُخْلَقْ».

(٧) انظر الشاهد في:

ديوانه: ٢٨٥، الحيوان: ٢٥٨/٧ - البيت الثاني فقط - رسائل ابن المعتز: ٣١، ١٣٨،

التشبيهات: ١٨٩، الموشح: ٢٨٧ - البيت الأول فقط -، زهر الآداب: ٢٨٧/٢.

(١) فل: هزم. مختار الصحاح: ٥١٢.

(٢) الموشح: ٢٨٧.

(٣) الدلائل، رضا: ٤٢٠، نقلاً عن شرح الشيخ محمد رشيد رضا.

عجزهم عن مقاومة النعاس، وتغلبه عليهم. وهذا القيد أضفى نوعاً من الطرافة على الصورة.

وانظر إلى فصله بين اسم كأن «هامهم»، وخبرها «لم تعمد» بالجملة الحالية «والنوم واضعها على المناكب»، وهذا الفصل أكد استغراقهم في النوم، وانتشاهم به.

الشاهد الواحد والثمانون بعد الثلاثمائة^(١): (الكامل)

قول أبي نواس:

يَا صَاحِبِي عَصَيْتُ مُصْطَبِحًا^(٢) وَغَدَوْتُ لِذَاتٍ مُطْرَحًا
فَتَزَوَّدُوا مِنِّي مُحَادَّةً حَذَرُ الْعَصَا لَمْ يُبْقِ لِي مَرَحًا^(٣)

والشاهد أول بيتين من قصيدة له في باب الخمریات، وبعده:

إِنَّ الْإِمَامَ لَهُ عَلَيَّ يَدٌ فَتَرَقَّبًا بِمُسْهَدٍ صُبْحًا

ويظهر أن من أسرار التعبير في هذين البيتين افتتاح أولهما «بإاء النداء» هذه الأداة التي استطاعت أن ترسم إحساس الشاعر المقعم بالخوف، وتلك النفس التي فقدت المرح، فأصابها القلق والضيق، والتحسر على أيامه اللاهية، فصرخ منادياً صاحبيه ليشعر بنوع من الاطمئنان، ويخفف عن نفسه ما يثقلها من آلام، فقد كان يحيا حياة لاهية، وغدا طارحاً للذات، وما ذاك لتوبة أو ندم، إنما هو «حذر العصا» الذي أفقده مرحه.

وأنظر كيف صاغ البيت الثاني حيث بدأه، بقوله:

«فتزودوا» وفي هذا التفات حيث انتقل من الحديث بصيغة الماضي «عصيت - غدوت» إلى فعل الأمر «فتزودوا»، فكأن الكلام قد بلغ في نفس

(١) الدلائل، رضا: ٤٢١، خفاجي: ٥٠٠، شاکر: ٥٤٨.

(٢) مصطبحا: اصطبح شرب الصبوح.

(٣) لم أجده إلا في:

ديوانه: ٥٩.

الشاعر مبلغاً مهماً يجب على السامع أن يلتفت إليه، و«الفاء» هنا فيها حث وترغيب في التزود، وقوله: «مَنِي» قيدٌ نصٌّ على أن التزود منه هو، وهذا أوقع وأمكن في إثبات المعنى؛ لأن فيه إحضاراً لتلك النفس التي غدت رزينة طارحة للذات. فهو لم يبق عنده لصاحبيه إلا الحديث، وللحديث لذات، فهو يدعوهم لأن يتزودا من حديثه، فهو قد ترك اللذات لأنه يخاف الهرم الذي عبر عنه بـ«حذر العصا».

الشاهد الثاني والثمانون بعد الثلاثمائة^(١): (السريع)

قول إسماعيل بن يسار^(٢):
 حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ بَدَا ضَوْؤُهُ وَغَابَتِ^(٣) الْجَوَازُ وَالْمِرْزَمُ^(٤)
 خَرَجْتُ وَالْوَطْءُ خَفِيٌّ كَمَا يَنْسَابُ مِنْ مَكْمَنِهِ الْأَرْقَمُ^(٥)^(٦)
 وهو من قصيدة مطلعها:
 كَلَّمْتُ أَنْتِ الْهَمُّ يَسَا كَلَّمْتُ وَأَنْتِ دَائِي الَّذِي أَكْتُمُ

- (١) الدلائل، رضا: ٤٢١، خفاجي: ٥٠٠، شاکر: ٥٤٨.
 (٢) هو إسماعيل بن يسار النسائي مولى بني تميم بن مرة: تيم قريش، أصله من سبي فارس اشتهر بشعوبيته وشدة تعصبه للعجم، يفتخر بهم في شعره على العرب، كنيته أبو فايد، وكان منقطعاً إلى آل الزبير، فلما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان وفد إليه مع عروة بن الزبير، ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده، عاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخر سلطان بني أمية، ولم يدرك الدولة العباسية، وكان طيباً مليحاً كثير الهزل والمزاح، وكان مليح الشعر، (ت: ١٣٠ هـ).

انظر ترجمته:

الأغاني: ٤٠٨/٤ - ٤٢٩، شرح شافية ابن الحاجب: ٣١٨/٤، الأعلام: ٣٢٩/١.

- (٣) رواية الأغاني: «غارت».
 (٤) المرزم: من نجوم المطر وأكثر ما يذكر بصيغة المثني فيقال: المرزمان. اللسان «رزم»:
 ٣٤٠/١٢
 (٥) الأرقم: أنبت الحيات. اللسان «رقم»: ٢٤٩/١٢.
 (٦) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:
 الأغاني: ٤١٦/٤ - ٤١٧.

والشاهد آخر بيتين في القصيدة، وقبله:

ثُمَّ أَنْجَلَى الْحُزْنَ وَرَوَعَاتُهُ وَغُيِّبَ الْكَاشِحُ وَالْمُبْرَمُ
فَبِتْ فِيمَا شِئْتُ مِنْ نَعْمَةٍ يَمْنَحُهَا نَحْرُهَا وَالْقَمُ

لعل من صور الجمال في هذين البيتين مجيء «حتى» التي تدل على انتهاء الغاية، فصورت طول مكوثه في دار كلثم، وبعثت في الخيال معاني تكشف عن بلوغه غاية السرور بذلك المكوث الذي طال، فلم يخرج من عندها حتى غابت النجوم، وظهر ضوء الصباح.

ومن بديع التركيب تقديم الجار والمجرور «من مكمنه» على الفاعل «الأرقم»، وهذا التقديم صَوَّرَ الحذر والخفة والدقة في ذلك الإنسياب، فلو أنه قال: «ينساب الأرقم من مكمنه» لم يظهر الغرض من تلك الصورة، فليس الغرض إنسياب الأرقم وإنما تصوير دقته وحذره.

الشاهد الثالث والثمانون بعد الثلاثمائة^(١):

قال أبو نواس:

أَلَا لَا أَرَى^(٢) مِثْلَ امْتِرَائِي^(٣) فِي رَسْمٍ تَغْصُ^(٤) بِهِ عَيْنِي وَيَلْفِظُهُ وَهْمِي
أَتَتْ صُورُ الْأَشْيَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَظَنِّي كَلَّا ظَنًّا^(٥) وَعِلْمِي كَلَّا عِلْمًا^(٦)

(١) الدلائل، رضا: ٤٢٣، خفاجي: ٥٠٢، شاکر: ٥٥١.

(٢) رواية الصناعتين: «ألا لا ترى».

(٣) رواية الديوان والمنازل والديار، وزهر الآداب، والصناعتين، وجمع الجواهر في الملح والنوادر:

«أَلَا لَا أَرَى مِثْلِي امْتَرَى الْيَوْمَ فِي رَسْمٍ»

وامترى بمعنى شك.

(٤) رواية جمع الجواهر: «تعرفه».

(٥) رواية الديوان والمنازل والديار: «فجهلي كلا جهل».

(٦) انظر الشاهد في:

ديوانه: ٨٧، الصناعتين: ٣٢٦ - البيت الأول فقط - المنازل والديار: ٢٨٥/٢، زهر

الآداب: ٢٨٥/٢، العملة: ٦٨/١، جمع الجواهر في الملح والنوادر: ١٧٩.

والشاهد أول أبيات من قصيدة له في الخمریات وبعده:
فَطَبَّ بِحَدِيثٍ عَنْ نَدِيمٍ مُسَاعِدٍ وَسَاقِيَةٍ سِنَّ الْمُرَاهِقِ لِلْحَلَمِ

ولقد أخذ أبو نواس بيتي الشاهد من قول القائل:
لِمَنْ طَلَّلَ دَرَسَتْ آيُهُ وَغَيَّرَهُ سَالِفُ الْأَخْرُسِ
تُنْكِرُهُ الْعَيْنُ مِنْ حَدِيثٍ وَيَعْرِفُهُ شَغْفُ الْأَنْفُسِ

قال أبو إسحاق القيرواني:

«فأخذه أبو نواس إلا أنه قلبه، فجعل الإنكار للقلب، فقال: ألا لا أرى مثلي امترى اليوم في رسم... - الأبيات -. قال، ولو قال: تنكره عيني، ويعرفه وهمي لكان كالأول وكان أجود، فلعل أبا نواس قصد الخلاف، وأعجبه قوله، ويلفظه وهمي؛ لأنها لفظة جرت مليحة»^(١).

ذكر الشيخ عبد القاهر أنه من البلاء، والداء العياء كون الذوق والإحساس قليلاً في الناس، وكذلك يكون البلاء إذا ظن العادم لهذا الذوق أنه قد أوتيته، وأنه أهل للحكم والقضاء، فجعل يقول القول لو علم غيّه لاستحي منه.

وأما إذا أحس بالنقص من نفسه، فأنت منه في راحة، وهو رجل عاقل قد حماه عقله أن يعدو طوره، وأن يتكلف ما ليس هو بأهل له، أما من كان عنده طبع، فهو عون لك على نفسه، يرد الطبع إليك، فيفتح سمعه لك، ويصرف نظره إلى الجهة التي أومأت إليها، ويعمل على أن يصل إلى الحق.

فليس في أصناف العلوم الخفية، والأمور الغامضة أعجب طريقاً في الخفاء من إدراك البلاغة.

وفي معرض هذا الحديث ساق الشيخ بيتي أبي نواس للتدليل على أن الذوق من الأمور الغامضة التي يكد فيها الإنسان فكره ويجهد فيها كل الجهد حتى إذا أحس بأنه قد فهم، أدرك أنه ما يزال تراءى له الشُّبُهَة، ويعرض له الشك

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر: ١٧٩.

فحالته في ذلك حال أبي نواس، وهو يصف إحساسه برسم رآه، فغَصَّت عيناه من رؤيته، وظن أنه قد أدرك ما فيه، وعلم ما يحويه، حتى إذا كرر النظر فيه أدرك أنه عاد من حيث أتى، فظنه كلا ظن، وعلمه كلا علم.

وقوله: «تَغَصُّ به عيني» أي يقف الدمع ويتجمد في عيني فيؤلمها، وهو استعارة مكنية حيث شبه العين بالإنسان الذي يُغص ثم حذفه وجاء بشيء من لوازمه وهو الغص على سبيل الاستعارة المكنية.

وكذلك قوله: «يلفظه وهمي» حيث شبه الوهم بالإنسان الذي يُمج ثم حذفه وجاء بشيء من لوازمه وهو المج على سبيل الاستعارة المكنية.

الشاهد الرابع والثمانون بعد الثلاثمائة^(١):
(الكامل)

قول المتنبي:

عَجِباً لَهُ حَفِظَ الْعِنَانَ^(٢) بِأَنْمُلٍ مَا حَفِظَهَا الْأَشْيَاءُ مِنْ عَادَاتِهَا

وهو من قصيدة يمدح بها أبا أيوب أحمد بن عمران^(٣)، ومطلعها:
سِرْبٌ مَحَاسِنُهُ حُرِمَتْ ذَوَاتِهَا دَانِي الصُّفَاتِ بَعِيدٌ مَوْصُوفَاتِهَا

وقبل الشاهد:

لَيْسَ التَّعَجُّبُ مِنْ مَوَاهِبٍ مَالِهِ بَلْ مِنْ سَلَامَتِهَا إِلَى أَوْقَاتِهَا

وبعده:

لَوْ مَرَّ يَرْكُضُ فِي سَطُورِ كِتَابِهِ أَحْصَى بِحَافِرِ مُهْرِهِ مِيمَاتِهَا

استشهد به الشيخ على أن الإنسان الراغب في علم البلاغة محتاج إلى طول التأمل والصبر ودقة النظر، فالإنسان مهما اجتهد قد يقع في الخطأ وذلك لصعوبة هذا العلم وخفاء هذا المطلب.

(١) الدلائل، رضا: ٤٢٤، خفاجي: ٥٠٢، شاکر: ٥٥١.

(٢) ذكر الأستاذ شاکر أنه ورد في إحدى مخطوطات الدلائل «حفظ البنان» ورأى أن هذا خطأ صرف.

(٣) لم أقف على ترجمته بعد.

وأثبت الشيخ هذا الأمر من خلال تجربته الشخصية فعلى الرغم من تكرار قراءته لبیت المتنبي دهرًا طويلًا، لم يتنبه إلى خطأ الشاعر إلا بعد رده من الزمن. فالمتنبي أخطأ في قوله: «ما حفظها الأشياء من عاداتها» إذ كان الصحيح أن يضيف المصدر إلى المفعول، ولا يذكر الفاعل، فيقول: «ما حفظ الأشياء من عاداتها»، لأن المعنى أنه ينفي الحفظ عن أنامله، جملة، أما إضافته الحفظ إلى ضمير الأنمل فإنه يقتضي أن يثبت لها حفظًا.

وهذا الاعتراف من الشيخ يدل على كرم أخلاقه وتواضعه، إذ لم تمنعه غزارة علمه من الاعتراف بما وقع فيه من خطأ.

فأين طلاب العلم اليوم من مسلك الشيخ هذا؟!

قال الشيخ:

«وإنك لتنظر في البيت دهرًا طويلًا وتفسره، ولا ترى أن فيه شيئاً لم تعلمه، ثم يبدو لك فيه أمرٌ خفيٌّ لم تكن قد علمته مثال ذلك بيت المتنبي:

عَجِباً لَهُ حِفْظُ الْعِنَانِ بِأَنْمَلٍ مَا حِفْظُهَا الْأَشْيَاءِ مِنْ عَادَاتِهَا

مضى الدهر الطويل، ونحن نقرؤه، فلا ننكر منه شيئاً، ولا يقع لنا أن فيه خطأ، ثم بان بأخرة أنه قد أخطأ. وذلك أنه كان ينبغي أن يقول: «ما حِفْظُ الأشياء من عاداتها» فيُضيف المصدر إلى المفعول، فلا يذكر الفاعل، ذاك لأن المعنى على أنه ينفي الحفظ عن أنامله جملة، وأنه يزعم أنه لا يكون منها أصلاً، وإضافته الحفظ إلى ضميرها في قوله: «ما حفظها الأشياء» يقتضي أن يكون قد أثبت لها حفظاً. ونظيرُ هذا أنك تقول: «ليس الخروج في مثل هذا الوقت من عادتي»، ولا تقول: «ليس خروجي في مثل هذا الوقت من عادتي»، وكذلك تقول: «ليس ذمُّ الناس من شأني»، ولا تقول: «ليس ذمِّي الناس من شأني»، لأن ذلك يوجب إثبات الذم، ووجوده منك ولا يصحُّ قياس المصدر في هذا على الفعل، أعني أنه لا ينبغي أن يُظنَّ أنه كما يجوز أن يقال: «ما من عاداتها أن تحفظ الأشياء»، كذلك ينبغي أن يجوز: «ما من عاداتها حفظها

الأشياء»، ذاك أن إضافة المصدر إلى الفاعل يقتضي وجوده، وأنه قد كان منه، يُبين ذلك أنك تقول:

«أمرت زيدا بأن يخرج غداً»، ولا تقول: «أمرته بخروجه غداً»^(١).

الشاهد الخامس والثمانون بعد الثلاثمائة^(٢):
(اليسيط)

قول المتنبي:

وَلَا تَشْكُ^(٣) إِلَى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغُرَبَانِ وَالرَّخَمِ^(٤)^(٥)

والشاهد من قصيدة يذكر فيها مسيره من مصر، ويرثي فاتكاً^(٦)، ومطلعها:
حَتَّامٌ نَحْنُ نُسَارِي النُّجْمَ فِي الظُّلَمِ وَمَا سُرَاهُ عَلَى حُفٍّ وَلَا قَدَمٍ

وقبل الشاهد:

هَوْنٌ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنَظَرُهُ فَإِنَّمَا يَقْطَاطُ الْعَيْنِ كَالْحُلُمِ

وبعد الشاهد:

وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ وَلَا يَغْرُكَ مِنْهُمْ تَغَرُّ مُبْتَسِمٍ

رأى الشيخ عبد القاهر أن من الخطأ الخفي في البيت أن يقول: «ولا تشكُّ شكوى الجريح» لأنه يقتضي أن يكون ههنا جريح على الحقيقة قد عُرف من

(١) الدلائل، رضا: ٤٢٣ - ٤٢٤، خفاجي: ٥٠٢ - ٥٠٣، شاکر: ٥٥١ - ٥٥٢.

(٢) الدلائل، رضا: ٤٢٤، خفاجي: ٥٠٣، شاکر: ٥٥٢.

(٣) رواية التمثيل والمحاضرة: «لا تشكون».

(٤) الرِّخَم: من لثام الطير. انظر نهاية الأرب: ٢٠٧/١.

(٥) انظر البيت في:

ديوانه: ١٦٢/٤، التمثيل والمحاضرة: ٣٦٩، الإعجاز والإيجاز: ٢١٦.

(٦) هو فاتك الرومي (١٠٠ - ٣٥٠ هـ) الملقب بالمجنون لشجاعته ويقال له: فاتك الكبير مدح المتنبي، أخذ من بلاد الروم صغيراً، وتعلم الخط في فلسطين، وكان في خدمة الإخشيد، فأعتقه وأقطعته «الفيوم» وأعمالها، فأقام بها، وتعرّف بالمتنبي الشاعر، مات في مصر ورثاه المتنبي.

انظر: وفيات الأعيان: ٢١/٤، الأعلام: ١٢٦/٥.

حاله أن يكون له شكوى إلى الغربان والرخم، وهذا أمرٌ محال، فالعبارة الصحيحة أن تُقام على التصور والوهم فيقال: «لا تشك إلى خلق، فإنك إن فعلت كان مثل ذلك مثل أن تصور في وهمك أن بغيراً دبراً كشف عن جرحه ثم شكاه إلى الغربان والرخم.

قال الشيخ:

«ومما فيه خطأ هو في غاية الخفاء قوله: وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقِي فَتُشْمِتَهُ شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغُرَبَانِ وَالرَّخْمِ. وذلك أنك إذا قلت: «لا تضجر ضجر زيد»، كنت قد جعلت زيدا يضجر ضرباً من الضُّجَر، مثل أن تجعله يُفرط فيه أو يُسرع إليه هذا هو موجب العُرف. ثم إن لم تعتبر خصوص وصف، فلا أقل من أن تجعل الضجر على الجملة من عادته، وأن تجعله قد كان منه. وإذا كان كذلك، اقتضى قوله: «شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغُرَبَانِ وَالرَّخْمِ»

أن يكون ههنا «جريح» قد عرف من حاله أن يكون له «شكوى إلى الغربان والرخم» وذلك محال. وإنما العبارة الصحيحة في هذا أن يقال: «لا تشك إلى خلق، فإنك إن فعلت كان مثل ذلك مثل أن تصور في وهمك أن بغيراً دبراً كشف عن جرحه، ثم شكاه إلى الغربان والرخم»^(١).

ومعنى الشاهد كما ذكره العكبري:

«لا تشك إلى أحد من الناس ما تلقاه؛ لأنك لا تأمن أن يكون المشكو إليه شامتاً إذا علم بالشكية.

وقال الخطيب: الناس بعضهم أعداء بعض، فمن شكا حاله إليهم، فهو كمثل جريح اجتمعت عليه الطير لتأكل لحمه، فهو يشكو إلى من ليس عنده رحمة، لأن الغربان والرخم إنما يجتمعان حول الجريح ليأكلا لحمه»^(٢).

(١) الدلائل، رضا: ٤٢٤، خفاجي: ٥٠٣، شاکر: ٥٥٢ - ٥٥٣.

(٢) التبيان للعكبري: ١٦٢/٤.

بيت البحري:

فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ ثَبَرٍ وَمِنْ وَرَقٍ وَحَاكَ مَا حَاكَ مِنْ وَشِيٍّ وَدِيَاخٍ^(٢)
وهو من قصيدة قالها في مدح إسحاق بن كنداج^(٣)، مطلعها:
كُنْتُ إِلَى وَضَلٍ سَعْدَى جِدِّ مُحْتَاجٍ لَوْ أَنَّهُ كَتَبَ لِلْأَمَلِ الرَّاجِي

وقبل الشاهد:

أَسْقَى دِيَارَكَ وَالسُّقْيَا يَقْلُ^(٤) لَهَا
يُلْقِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ حَلِيٍّ وَمِنْ حُلَلٍ
إِغْزَارُ كُلِّ مُلْثٍ^(٥) الْوَدْقِ ثَجَاجٍ
مَا يُمْتَعُ الْعَيْنُ مِنْ حُسْنٍ وَإِبْهَاجٍ

(١) الدلائل، رضا: ٤٢٥، خفاجي: ٥٠٣، شاکر: ٥٥٣.

(٢) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

ديوانه - بيروت -: ٤٣٨/١، ديوانه - صيرفي -: ٤١١/١، الموازنة - السيد صقر -: ٤٩٨/١، أسرار البلاغة - هـ، ريتز -: ٣٥٢.

(٣) إسحاق بن كنداج، ويقال كنداجيق، وهو من أشهر القواد في الدولة العباسية في عصر المعتمد، أصله من الخزر، كان في أول أمره من جند موسى بن بغا، ثم فارقه سنة (٢٦٦ هـ)، سيره الخليفة المعتمد (٢٥٩ هـ) لمحاربة الزنج فقطع عنهم الميرة. وحين فارق موسى بن بغا قصد «بلد» وهي مدينة قديمة على دجلة وتعرف بشهراباذ - فالوقع بالأكراد اليعقوبية وهزمهم، وهو الذي قبض على المعتمد حين قصد مصر ماراً بسامراء، وقيده ومن معه.

وفي سنة (٢٦٩ هـ) خلع على ابن كنداج، وقلد سيفين، فسمي بذي السيفين، وعقد له على أعمال ابن طولون من باب الشمالية إلى أفريقية، وولي الشرطة خاصة، ثم أدير عنه الحظ، فانهزم عدة مرات في وقعات كانت بينه وبين محمد بن أبي الساج، وفي آخر الأمر تم الصلح بينهما وتصاهرا.

انظر: الطبري: ٥٠٤/٩، ٥٠٦، ٥٤٤، ٥٥١، ٥٥٣، ٥٨٧، وأخبار متفرقة في هذا الجزء، ثم انظر: ١٢/١٠، ٣٣.

(٤) رواية الديوان - صيرفي -: «تَقْلُ لَهَا».

(٥) المثلث: المطر الذي يدوم أياماً، ألث المطر إلثاً: دام أياماً لا يقطع. اللسان «لث»: ١٨٣/١٢.

وبعد الشاهد:

إِلَى عَلِيٍّ بَنِي الْقِيَّاسِ بَلَّغْنِي سُرَايَ مِنْ حَيْثُ لَا يَسْرِي وَإِذَا لَاجِي

الشاهد السابع والثمانون بعد الثلاثمائة^(١):
(الطويل)

أبو تمام:

إِذَا الْغَيْثُ غَادَى نَسْجَهُ^(٢) خَلَّتْ^(٣) أَنَّهُ خَلَّتْ^(٤) حِقَبُ^(٥) حَرْسٍ^(٦) لَهُ وَهُوَ حَائِكُ^(٧)^(٨)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري^(٩)، ومطلعها:
قَرَى دَارِهِمْ مِنِّي الدُّمُوعُ السَّوَاغُ وَإِنْ عَادَ صُبْحِي بَعْدَهُمْ وَهُوَ حَالِكُ

وقبل الشاهد:

إِذَا غَاوَلَ الرُّوْضُ الْغَزَالََةَ نُشِرَتْ زُرَّابِي^(١٠) فِي أَكْنَافِهِمْ وَدَرَانِكُ^(١١)

(١) الدلائل، رضا: ٤٢٦، خفاجي: ٥٠٤، شاکر: ٥٥٣.

(٢) رواية الموزانة: «نسجها».

(٣) رواية الموزانة: «خَلَّتْ» بالضم.

(٤) رواية الديوان: «أَتَتْ».

ورواية الديوان، والصناعتين: «مَضَتْ».

(٥) رواية الديوان والموزانة، والصناعتين: «حِقَبَةٌ».

(٦) حَرْسٌ: الْحَرْسُ الدهر. القاموس المحيط «حرس»: ٢/٢١٤.

(٧) حَائِكٌ: حَاكُ الثَّوبِ حَوَكًا وَحَيَاكَةً، وَآوِيَةً، وَبَائِيَةً، نَسَجَهُ، فَهُوَ حَائِكٌ. القاموس

المحيط «حوك - حيك»: ٣/٣١٠.

(٨) انظر البيت في:

ديوانه - دار صعب -: ١٩٨، الموزانة - محمد محيي الدين عبد الحميد -: ٢٣٢،

الصناعتين: ٣٣٧.

(٩) سبق ترجمته: ٧٢٣.

(١٠) الزَّرَّابِي: جَمْعُ زُرْبِيَّةٍ وَهِيَ الْبُسْطُ وَقِيلَ كُلُّ مَا يُبْسَطُ وَاتَكِيءُ عَلَيْهِ، وَقِيلَ هِيَ الطَّنَافِسُ لَهَا خَمَلٌ رَقِيقٌ. اللسان «زرب»: ١/٤٤٧.

(١١) الدَرَانِكُ: جَمْعُ دُرْنُوكٍ وَدِرْنِيكٍ وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْبُسْطِ لَهُ خَمَلٌ قَصِيرٌ كَخَمَلِ الْمَنَادِيلِ وَبِهِ

يُشَبِّهُ فُرُوعَ الْبَعِيرِ وَالْأَسَدِ، وَالْدَرَانِكُ تَكُونُ سِتُورًا وَفَرْشًا وَالْدُرْنُوكُ فِيهِ الصَّفْرَةُ وَالْخَضْرَاءُ،

وَيَقَالُ هِيَ الطَّنَافِسُ. اللسان «درنك»: ١٠/٤٨١.

وبعده:

أَلْكِنِي^(١) إِلَى حَيِّ الْأَرَاقِمِ إِنَّهُ مِنَ الطَّائِرِ الْأَحْشَاءِ تُهْدَى الْمَالِكُ^(٢)

ذكر الأمدى بيت الشاهد في مرذول استعارات أبي تمام وبعيدها^(٣). وذكره أبو هلال العسكري في رديء الاستعارة، وقبل أن يذكر الأبيات قال: «وقد أكثر أبو تمام من هذا الجنس اغتراراً بما سبق منه في كلام القدماء... فأسرف، فنعي عليه ذلك، وعيب به، وتلك عاقبة الإسراف»^(٤).

وقال بعد أن ذكر الأبيات:

«وقد جنى أبو تمام على نفسه بالإكثار من هذه الاستعارات، وأطلق لسان عائبه، وأكد الحجة على نفسه، واختيارات الناس مختلفة بحسب اختلاف صورهم وألوانهم»^(٥).

أوردتهما^(٦) الشيخ ليؤكد أمر الخفاء في هذا العلم «علم البلاغة»، وأنه قد يعتمد الإنسان على ما يتأوله بعض العلماء، ويبقى على ذلك زمناً، ثم يتبين له الخطأ، ولذلك فعلى الناقد ألا يتأثر في حكمه بآراء غيره بل عليه أن يعتمد على ذوقه، وإحساسه المدرب، فذكر أن الأمدى حين قرأ بيت البحري صرّح بأن صوغ الغيث وحوكه للنبات ليس باستعارة، بل هو مبني على الحقيقة، وعلى هذا الحكم بنى نقده لبيت أبي تمام، فرأى أن لفظ حائك يصير إلى القبح والركاكة إذا أخرج على قول أبي تمام «وهو حائك»، والخطأ الذي وقع فيه الأمدى أنه اعتقد أن «خِلْتُ» هنا تعود على «الحوك»، أي: خلت ما فعله الغيث حوكاً، والصحيح أن الخيلولة واقعة على كون زمن الحوك حقباً.

(١) ألكني: أبلغه عني. اللسان «لاك»: ٤٨١/١٠.

(٢) المالك: جمع مألكة وهي الرسالة. اللسان «لاك»: ٤٨١/١٠ - ٤٨٢.

(٣) الموازنة: ٢٣٢.

(٤) الصناعتين: ٣٣٤.

(٥) المصدر السابق: ٣٣٧.

(٦) أي الشاهد السادس والثمانون والسابع والثمانون بعد الثلاثمائة.

قال الشيخ :

«ومن ذلك أنك ترى من العلماء من قد تناول في الشيء تأويلاً، وقضى فيه بأمرٍ، فتعقده اتباعاً له، ولا ترتاب أنه على ما قضى وتناول، وتبقى على ذلك الاعتقاد الزمان الطويل، ثم يلوح لك ما تعلم به أن الأمر على خلاف ما قدر ومثال ذلك أن أبا القاسم الأمدي ذكر بيت البحري... ثم قال: «صَوَّغُ الغَيْثَ وَحَوَّكُهُ لِلنبات ليس استعارة بل هو حقيقة، ولذلك لا يقال: «هو صائغ»، ولا «كأنه صائغ»، وكذلك لا يُقال: «هو حائك»، و«كأنه حائك»، قال على أن لفظ «حائك» في غاية الركاقة إذا أُخْرِجَ على ما أخرجه أبو تمام في قوله: إِذَا الْغَيْثُ غَادَى نَسَجَهُ

قال: وهذا قبيح جداً^(١)»^(٢).

ثم قال الشيخ :

«والذي قاله البحري: «فحاك ما حاك»، حَسَنٌ مستعمل، والسبب في هذا الذي قاله: أنه ذهب إلى أن غرض أبي تمام أن يقصد «بِخَلَّتْ» إلى «الحوك»، وأنه أراد أن يقول: «خَلَّتْ الْغَيْثُ حَائِكاً»، وذلك سهو منه؛ لأنه لم يقصد «بِخَلَّتْ» إلى ذلك، وإنما قصد أن يقول: إنه يظهر في غداة يومٍ من حوك الغيث ونسجه بالذي ترى العيون من بدائع الأنوار، وغرائب الأزهار، ما يُتَوَهَّمُ معه أن الغيث كان في فعل ذلك، وفي نسجه وحوكه، حِقْباً من الدهر، فالخيلولة واقعة على كون زَمان الحوك حِقْباً، لا على ما فعله الغيث حوكاً، فاعرفه»^(٣).

وقد أورد الشيخ بيتي أبي تمام والبحري في كتابه الأسرار، وذكر العلة في عدم اعتبار الصوغ والحوك من الاستعارة، وقد جُعِلَا فعلاً للربيع، فإنه يمتنع أن يقال: كأنه صائغ، وكأنه حائك؛ لأن القول بالتشبيه يقتضي مشبهاً ومشبهاً به،

(١) لم أجده في الموازنة - طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد -، وهو في طبعة دار المعارف -: ٤٩٧/١ - ٤٩٨.

(٢) الدلائل، رضا: ٤٢٥، خفاجي: ٥٠٣ - ٥٠٤، شاکر: ٥٥٣.

(٣) الدلائل، رضا: ٤٢٦، خفاجي: ٥٠٤، شاکر: ٥٥٣ - ٥٥٤.

وينقسم إلى الصريح، وغير الصريح، والصريح أن تذكر كل واحد من المشبه والمشبه به باسمه، وغير الصريح أن تسقط المشبه به من الذكر، وتجري اسمه على المشبه مبالغة وإيهاماً أنه لا فصل بين المشبه والمشبه به، هذا إذا شبهنا شخصاً بشخص وكذلك الأمر إذا شبهنا فعلاً بفعل كقولنا: إنما ينظم دُرّاً تجعله كأنه ناظم دُرّاً على الحقيقة، فإذا كان لا تشبيه حتى يكون معك شيان، وكان معنى الاستعارة أن نغير المشبه لفظ المشبه به، ولم يكن معنا في «صاغ الربيع»، أو «حاك الربيع» إلا شيء هو الصوغ أو الحوك كان تقدير الاستعارة جارياً مجرى أن تشبه الشيء بنفسه، وتجعل اسمه عارية فيه، وذلك فساد بين، وكذلك لا يمكن أن يكون تشبيهاً أي تشبيه الربيع بالقادر في تعلق وجود الصوغ والنسج؛ لأن هذا التشبيه ليس هو التشبيه الذي يُعقد في الكلام، ويفاد بكأن والكاف، ونحوهما، وإنما هو إسناد الفعل لغير ما هو له على الحقيقة، حيث أعطى الربيع حكم القادر من جهة إسناد الفعل، وإن كان ههنا تشبيه، فهو في الربيع لا في الفعل المسند إليه، وأصل الاختلاف في صاغ وحاك هل يكون تشبيهاً واستعارة أم لا؟^(١).
الشاهد الثامن والثمانون بعد الثلاثمائة^(٢):
(الطويل)

ابن الرومي:

بَجْهَلٍ كَجَهْلِ السَّيْفِ وَالسَّيْفِ مُتَضَيٍّ وَجَلْمٍ كَجَلْمِ السَّيْفِ وَالسَّيْفِ مُغْمَدٌ^(٣)

وهو من قصيدة يمدح بها صاعد بن مخلد^(٤)، ومطلعها:

أَبَيَّنَ ضُلُوعِي جَمْرَةَ تَتَوَقَّدُ عَلَى مَا مَضَى أُمَّ حَسْرَةَ تَتَجَدَّدُ

وقبل الشاهد:

يُلَاقِي الْعِدَا وَالْأَوْلِيَاءَ ابْنُ مُخَلَّدٍ لِقَاءَ أَمْرِي فِي اللَّهِ يَرْضَى وَيُعْبَدُ^(٥)

(١) أسرار البلاغة: - هـ، ريتز- ٣٥٢ - ٣٥٥.

(٢) الدلائل، رضا: ٤٢٦، خفاجي: ٥٠٥، شاکر: ٥٥٤.

(٣) انظر البيت في:

ديوانه: ٥٩٠/٢، الصناعتين: ٤٧٩، الإبانة عن سرقات المتنبي: ٨٨.

(٤) سبقت ترجمته: ٢٨٨. عند ترجمة ابنه.

وبعد الشاهد:

وَلَيْسَ بِجَهْلٍ الْأَعْيَاءُ ذَوِي الْعَمَى وَلَكِنَّهُ جَهْلٌ بِهِ اللَّهُ يُعْبَدُ^(١)
استشهد به الشيخ على أن هناك مسائل تدرك بالذوق المدرب، والحس
المرهف، فتقع في النفس موقعاً عجيباً، يُظهر وحي الكلمة، وعملها، من تلك
المسائل مواضع الإظهار مع إمكان الإضمار، وساق لذلك بيت الشاهد، وحكى
قصة عن الصاحب بن عباد مع الأستاذ أبي الفضل الذي رأى أن البيت قبيح؛ لأنه
كرر لفظ السيف أربع مرات، ورأى الصاحب عكس ما رآه، فعنده أن فساد البيت
في ترك هذا التكرار. وإلى هذا ذهب الشيخ عبد القاهر وعلل لذلك الفساد، بأن
البلاغة تقتضي منك إن حدثت باسم مضاف، ثم أردت أن تذكر المضاف إليه أن
تذكره باسمه الظاهر ولا تضمّره، فمن الحسن الجميل أن تقول: «جاءني غلام
زيد وزيد» ولا تقول: «جاءني غلام زيد وهو».

قال الشيخ:

«ومما يدخل في ذلك ما حكي عن الصاحب من أنه قال:
«كان الأستاذ أبو الفضل يختار من شعر ابن الرومي، وَيُنْقِطُ عَلَيْهِ، قال فدفع إليّ
القصيدة التي أولها:

أَتَحْتَ ضُلُوعِي جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ

وقال: تأملها فتأملتها، فكان قد ترك خير بيت فيها، وهو: بِجَهْلٍ كَجَهْلٍ
السيف...»

فقلت: «لم ترك الأستاذ هذا البيت؟ فقال: لعل القلم تجاوزه؟» قال: «ثم
رأني من بعد فاعتذر بعذرٍ كان شراً من تركه. قال: إنما تركته؛ لأنه أعاد السيف
أربع مرّات». قال الصاحب: لو لم يُعِدّه أربع مرّات فقال: «بجهل كجهل السيف
وهو منتضى، حلّم كحلّم السيف وهو مغمد» لفسد البيت، والأمر كما قال
الصاحب، والسبب في ذلك أنك إذا حدثت عن اسم مضاف، ثم أردت أن تذكر
المضاف إليه، فإن البلاغة تقتدي أن تذكره باسمه الظاهر، ولا تضمّره.

(١) يَعْْبَدُ: يغضب. اللسان «عبد»: ٢٧٥/٣.

تفسير هذا أن الذي هو الحسن الجميل أن تقول: «جاءني غلام زيدٍ وزيدٌ»
ويُقْبَحُ أن تقول: «جاءني غلام زيد وهو»^(١).

وبيت الشاهد وثيق الصلة بالأبيات قبله وبعده، ففيه مع البيت قبله محسن
بديعي وهو اللف والنشر المرتب^(٢) حيث ذكر أولاً العدا، والأولياء، ثم ذكر في
بيت الشاهد الجهل، والحلم، وفي هذا مبالغة طريفة، وتشويق لطيف إذ أن
الشاعر أجمل المعنى ثم فصله، وما ذاك الإجمال إلا لأنه واثق بأن السامع بصير
بمراده وغرضه.

ثم جاء بالبيت بعده وزاد الأمر تفصيلاً فالجهل الذي هو مراده ليس جهل
الأغبياء، إنما هو جهل من نوع فريد، فهو القوة والجهاد في سبيل الله، وهو
الغضب على أعداء الله. فهو من جهلت القدر إذا اشتد غليانها^(٣).

الشاهد التاسع والثمانون بعد الثلاثمائة^(٤):
(السيط)

قول دعبيل^(٥):

أَضْيَافُ^(٦) عِمْرَانَ^(٧) فِي خِصْبٍ^(٨) وَفِي سَعَةٍ^(٩) وَفِي حَبَاءٍ وَخَيْرٍ^(١٠) غَيْرِ مَمْنُوعٍ

- (١) الدلائل، رضا: ٤٢٦ - ٤٢٧، خفاجي: ٥٠٤ - ٥٠٥، شاکر: ٥٥٤ - ٥٥٥.
- (٢) وهو من المحسنات البديعة: وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما
لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يردده إليه. الإيضاح: ٥٠٣/٢.
- (٣) وانظر: شرح الكافية البديعية: ٧٦.
- (٤) أساس البلاغة: ٦٨.
- (٥) الدلائل، رضا: ٤٢٧، خفاجي: ٥٠٥، شاکر: ٥٥٥.
- (٦) نسب البيتان لدعبيل في: ديوانه، الكامل.
- (٧) ونسب لبشار في: ديوانه، نهاية الأرب.
- (٨) وذكر البيت الثاني من غير نسبة في: عيون الأخبار.
- (٩) رواية ديوان بشار: «أبناء عمرو».
- (١٠) رواية ديوان دعبيل والكامل: «سالم».
- (١١) رواية ديوان بشار: «لفي».
- (١٢) رواية ديوان بشار وديوان دعبيل والكامل: «في خفض».
- (١٣) رواية ديوان بشار وديوان دعبيل والكامل: «وفي دعة».

وَضَيْفُ عَمْرٍو وَعَمْرٍو يَسْهَرَانِ^(١) مَعَاً عَمْرٍو لِبَطْنَتِهِ^(٢) وَالضَّيْفُ لِلْجُوعِ^(٣)

الشاهد فيه كسابقه، فبعد أن ذكر الشاعر المضاف إليه اسماً ظاهراً «ضيف عمرو» أراد أن يذكره ثانية، فأعاده اسماً ظاهراً «وعمرو يسهران... عمرو لبطنته...». وهذه الإعادة أشد وأبلغ في الهجاء من أن يذكره ضميراً.

الشاهد التسعون بعد الثلاثمائة^(٤):

قول الآخر:

وَإِنْ طُرَّةٌ^(٥) رَأَيْتَكَ فَانْظُرْ^(٦) فَرُبَّمَا أَمَرَ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ^(٧)

= (١١) رواية ديوان بشار:

وَفِي عَطَاءٍ لَعَمْرِي غَيْرِ مَمْنُوعٍ

رواية ديوان دعبل والكامل:

«وَفِي شَرَابٍ وَلَحْمٍ غَيْرِ مَمْنُوعٍ»

(١) رواية ديوان بشار وعيون الأخبار: «ساهران».

(٢) رواية عيون الأخبار:

«فَذَاكَ مِنْ كِطَّةٍ وَالضَّيْفُ مِنْ جُوعٍ».

(٣) انظر الشاهد في:

ديوان دعبل: ٤٠٠، ديوان بشار: ١١٧/٤، الكامل: ١٢٠/٢، مكتبة المعارف - عيون

الأخبار: ٢٦١/٩/٣ البيت الثاني فقط.

نهاية الأرب: ٣١١/٣ البيت الثاني فقط.

(٤) الدلائل، رضا: ٤٢٧، خفاجي: ٥٠٦، شاکر: ٥٥٥.

(٥) رواية الموشح: «فإن صورة».

(الطرة) كفة الثوب وهي جانبه الذي لا هذب له، وطرة كل شيء حرفه والجمع (طرر)

و(الطرة) الناصية.

(٦) رواية الموشح: «فاخبر».

(٧) لم أجده إلا في:

الموشح: ٢١١، أسرار البلاغة: تحقيق - هـ، ريتز - ١٠٤.

ذكر الشيخ البيت في الدلائل والأسرار من غير نسبة وهو لخالد بن صفوان^(١) الشاهد فيه كسابقه.

فقد كرر الشاعر الاسم الظاهر «العود»، ولعل السر في هذا التكرار يرجع إلى أن للإظهار هنا خصوصية ودلالة يعجزك عن أدائها الضمير، فالتكرار في هذا البيت أدق في إظهار الصورة، وهو أمكن في تقرير معنى الحذر في النفس من مجيء الضمير. فالشاعر أراد أن يحث النفس على توخي مواطن الحذر، واتخاذ أسباب الحيلة في جميع الأمور، وأن لا ينخدع الإنسان بالمظهر الجميل البراق حتى يختبر ما ينطوي عليه، فقد ينبهر الإنسان باخضرار العود، فإذا اختبره وجده مرّ المذاق، وهذا المعنى يحتاج إلى أسلوب يفتح منافذ الحس، وينبه دواعي الحذر، فكان لتكرار الاسم الظاهر شرف القيام بهذه المهمة.

أضف إلى ذلك أن تكرار الاسم الظاهر جاء ضمن تشبيه ضمني، وفي ذلك زيادة توضيح وتنبيه.

وقد رأى المرزباني أن البيت معيب، فذكره شاهداً على أحد عيوب المعاني وهو:

«أن يُنسب الشيء إلى ما ليس منه» قال:
«فهذا الشاعر بقوله:

... .. ربما أمر مذاق العود والعود أخضر، كأنه يوميء إلى أن سبيل العود الأخضر في الأكثر أن يكون عذباً أو غير مر، وهذا ليس بواجب؛ لأنه ليس العود الأخضر بطعم من الطعم أولى منه بالآخر»^(٢).

(١) هو خالد بن صفوان القنّاص شاعر مغمور اشتهرت له قصيدة باسم العروس حتى قال بعض أهل الأدب كفى غنى بمن حفظ قصيدة خالد بن صفوان، وهي على قافية النون أوزدها الأستاذ الميمني في الطرائف الأدبية، وقال عن خالد بن صفوان:
«هذا نكرة لم أعرفه بعد طول البحث ويظهر أنه كان من عوام الصدر الأول سمع كلمات من مفردات اللغة فاستعملها كما جرى على لسانه من دون تعمق من جهة النحو واللغة والعروض».

(٢) الموشح: ٢١١.

يبدو لي أن نقد المرزباني هذا ليس له وجه؛ لأنه الشاعر لم يقصد مرارة ولا حلاوة، وإنما قصد أن المنظر الحسن قد يخدع الإنسان، فالعود الأخضر منظره رائق للعين، ومع ذلك فباطنه قد يكون مرأ، فلا تنخدع بالطرة التي راقتك فربما تؤلمك.

الشاهد الواحد والتسعون بعد الثلاثمائة^(١):
(الطويل)

قول المتنبي:

بِمَنْ نَضْرِبُ^(٢) الْأَمْثَالَ أَمْ مَنْ نَقِيسُهُ^(٣) إِلَيْكَ، وَأَهْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالذَّهْرُ^(٤)

وهو من قصيدة قالها في مدح أبي أحمد بن عبيد الله بن يحيى البحرني المنبجي^(٥)، ومطلعها:

أَرِيقُكَ أَمْ مَاءُ الْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ بِنِي بَرُودٌ وَهُوَ فِي كَيْدِي جَمْرُ

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبله:

هُمْ النَّاسُ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ مَكَارِمٍ يُغْنِي بِهِمْ حَضْرٌ وَيُخْذُو بِهِمْ سَفْرُ

= انظر: الطرائف الأدبية: ١٠٢ - ١١٤، القصيدة التاسعة، الأعلام: ٢٩٦/٢، - نقلاً عن الطرائف..

(١) الدلائل، رضا: ٤٢٧، خفاجي: ٥٠٦، شاکر: ٥٥٦.

(٢) رواية الديوان: «أَضْرِبُ»

(٣) رواية الديوان: «أَقِيسُهُ».

(٤) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

ديوانه بشرح العكبري: ١٢٧/٢.

العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب: ٥٧/٣.

(٥) وهو حفيد البحرني الشاعر مدحه المتنبي بقصيدتين الأولى ومطلعها:

بَكَيْتُ يَارَبُّعَ حَتَّى كَذْتُ أَبْكِيكَ وَجُذْتُ بِسِي وَبَدْمَعِي فِي مَغَايِكَ

ومطلع الثانية:

أَرِيقُكَ أَمْ مَاءُ الْغَمَامَةِ أَمْ خَمْرُ بِنِي بَرُودٌ وَهُوَ فِي كَيْدِي جَمْرُ

وكان هذا من شعره وهو في شمال سوريا، كما مدح المتنبي أخا أبي أحمد، وكنيته (أبو

عبادة). مع المتنبي - طه حسين - : ٦٢.

أراد الشاعر أن يبالغ في مدح ممدوحه، فجعله يبلغ من السمو، والرفعة مبلغاً لا تجد له مثيلاً يُقاس به، فأهل الدهر، والدهر نفسه دونه في المنزلة، ولأجل هذا المعنى أعاد الاسم الظاهر «الدهر» ولم يأت به مضمراً.

وجاء في التبيان للعكبري:

«قال الواحدي: ضرب المثل إنما يكون لشبه عين بعين، أو وصف بوصف، فإذا كان هو أجلاً، وأعلى من كل شيء لم يكن ضرب المثل بشيء في مدحه، وهذا معنى قوله: «أم من أقيسه إليك؟» ووصل القياس يالئ لأن فيه معنى الضم والجمع، كأنه قال: من أضم إليك في الجمع بينكما والموازنة، وأهل الدهر دونك، والدهر الذي يأتي بالخير والشر دونك؛ لأنه لا يتصرف إلا على مرادك، وأنت تحدث فيه النعمة والبؤس»^(١).

فوقوع الاسم الظاهر موقع المضمهر هنا له مذاق بلاغي خاص، فقد قرر وأكد هوان الدهر، وأظهر ضعفه، وقلة سطوته بإزاء الممدوح. وفي إسقاط عظمة الدهر بهذا الأسلوب ما يشيع في النفس شعور الإكبار والتعظيم لذلك الممدوح.

قال الشيخ معلقاً على بيت الشاهد والأبيات السابقة:

«ليس بخفي على من له ذوق أنه لو أتى موضع الظاهر في ذلك كله بالضمير فقيل: «وضيف عمرو، وهو يسهران معاً»، و«ربما أمر مذاق العود، وهو أخضر» و«أهل الدهر دونك وهو» لَعْدِيم حُسْن ومزينة لاخفاء بأمرهما، ليس لأن الشعر ينكسر، ولكن تنكره النفس»^(٢).

الشاهد الثاني والتسعون بعد الثلاثمائة^(٣):

(الهزج)

بيت الحماسة:

(١) التبيان للعكبري: ١٢٧/٢.

(٢) الدلائل، رضا: ٤٢٧، خفاجي: ٥٠٦، شاکر: ٥٥٦.

(٣) الدلائل، رضا: ٤٢٨، خفاجي: ٥٠٧، شاکر: ٥٥٧.

شَدَذْنَا^(١) شَدَّةَ اللَّيْثِ غَدَا^(٢) وَاللَّيْثُ غَضَبَانُ^(٣)

ذكره الشيخ من غير نسبة، وهو للفند الزماني^(٤).

(١) رواية رسائل الجاحظ، وأمالي القالي، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي، وسمط اللّالي، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي:

«مَشِينًا مِثْيَةَ اللَّيْثِ»

(٢) رواية رسائل الجاحظ: «بدا»

ورواية الحيوان: «عَدَا».

ذكر القالي في أماليه: «يروى عدا وغدا بالعين والغين ويروى شَدَذْنَا شَدَّةَ اللَّيْثِ، فمن روى شَدَذْنَا، فالأجود عدا بالعين غير المعجمة، ومن روى مَشِينًا فالأجود غدا بالغين المعجمة». وأضاف البكري:

«غدا بالغين معجمة، كذلك رواه أبو عليّ وهو الصواب، ومن روى شَدَذْنَا شَدَّةَ اللَّيْثِ يكون الاختيار عدا؛ لأن السمع يغدو جائعاً وتغدو المواشي أيضاً سارحة من مُراحها ويبرز الصيد أيضاً من مَجائمه وجِجَرته وكُنْسه وَمَكَامنه... ومن روى مَشِينًا مِثْيَةَ اللَّيْثِ، لم يصلح أن يقول عدا؛ لأن الليث لا يكون ماشياً عادياً في حال. فإن قيل عدا هنا من العُدوان، فالجواب أن الليث لا يمشي في حال عُدوانه، وإنما يُشَدُّ شَدًّا وهذا بين واضح، ومن روى شَدَذْنَا شَدَّةَ اللَّيْثِ جاز أن يقول عدا من العُدوان لا من العَدْو؛ لأن الشَّد هو العدو سمط اللّالي: ٥٧٨/١ - ٥٧٩.

(٣) انظر البيت في:

الحماسة لأبي تمام - تحقيق عسيلان - ٦٠/١، رسائل الجاحظ: ٣٦٥/١، الحيوان: ٤١٦/٦، أمالي القالي: ٢٦٠/١، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٣٥/١، سمط اللّالي: ٥٧٨/١، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ١٣/١، شرح شواهد المغني: ٩٤٥/٢.

(٤) وقد شك الجاحظ في هذه النسبة قال في كتاب الحيوان:

«وروي للفند الزماني ولا أظنه له» ثم ذكر الأبيات وهو منسوب له في بقية المصادر، ولا أعلم على أي شيء استند الجاحظ في شكه. والفند الزماني هو شَهْلُ بن شيبان بن ربيعة بن زمان بن مالك بن صععب بن علي بن بكر بن وائل، وهو شاعر جاهلي كان أحد فرسان ربيعة المشهورين المعدودين، شهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المائة فأبلى بلاءً حسناً، ولقب بالفند لأن بكر بن وائل بعثوا إلى بني =

والشاهد من قصيدة قالها في حرب البسوس أولها:
صَفَحْنَا عَنْ بَنِي دُهْلٍ وَقُلْنَا الْقَوْمَ إِخْوَانُ

وقبل الشاهد:

فَلَمَّا صَرَخَ الشُّرُّ (م) فَأَمْسَى وَهُوَ عُرْيَانُ
وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعَدُوِّ نِ دِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا

وبعد الشاهد:

بِضَرْبٍ فِيهِ تَوْهِينُ وَتَخْضِيعُ وَإِقْرَانُ
وَطَعْنٍ كَفَمِ الزُّقِّ (م) عَذَا وَالزُّقُّ مَلَانُ

الشاهد فيه كسابقه.

فالكناية والتعريض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والتكثيف -
والمقصود بالكناية هنا الضمير - وإن كان للضمير مقدرة على إحضار العائد عليه
في النفس بواسطة الإشارات الذهنية التي يرسلها إليه. إلا أن قدراً كبيراً من
التأثير يظل الاسم الظاهر محتفظاً به، ولا يستطيع الضمير حمله نيابة عنه لأنه
يتولد حين يقرع اللفظ السمع بجرسه وارتباطاته المختلفة جد الاختلاف والتي
اكتسبها من صحبته الطويلة للكلمات، والمواقف، والأحداث^(١).

ويظهر أن الفند الزماني كان خبيراً بأحوال النفس، ماهراً في تقرير المعنى
الذي يريد، وذلك حين أثر إحضار الاسم الظاهر بلفظه. فآثار فيها معاني الرهبة

= حنيفة في حرب البسوس يستنصرونهم فامدوهم به، فلما أتى بكراً وهو مُسْنٌ جداً قالوا: وما
يغني هذا عنا؟ قال أما ترضون أن أكون لكم فنداً تآوون إليه.
والفند القطعة العظيمة من الجبل.
انظر ترجمته:

المبهج: ١٤، الاشتقاق: ٣٤٤، الأغاني: ٩٣/٢٤ - ٩٦، شرح الحماسة للمروزي:
٣٢/١، سبط اللآلي: ٧٩/١، شرح الحماسة للتبريزي: ١٣/١، شرح شواهد المغني:
٩٤٥/٢.

(١) خصائص التراكيب: ١٩٢.

والروع من تلك الشدة العظيمة الهائلة، فأكد لها بالغ شجاعتهم. فلو أنه قال: «وهو غضبان» لما كان للمعنى وقعه الأول.

الشاهد الثالث والتسعون بعد الثلاثمائة^(١):

قول النابغة الذبياني:
نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ^(٢) عِصَامًا وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا^(٣)
وهو أول بيتين قالهما النابغة في «عصام بن شهيرة الجرمي»^(٤).

والبيت الثاني هو:
وَصَيَّرَتْهُ مَلِكًا هَمَامًا حَتَّى عَلَ وَجَاوَزَ الْأَقْوَامَا
وبيت الشاهد مثل يضرب في نباهة الرجل من غير قديم أي من يشرف بالاكْتِسَاب لا بالانْتِسَاب، ويسود بنفسه لا بقومه^(٥).
الشاهد فيه كسابقه.

فالشاعر هنا لم يرد القول «نفس عصام سودته» وإن كان الضمير يعود على

-
- (١) الدلائل، رضا: ٤٢٨، خفاجي: ٥٠٧، شاکر: ٥٥٧.
(٢) أي جعلته سيداً، ساد قومه يسود سيادة وسودداً وسيدودة، فهو سيدوهم سادة، والسيادة الشرف. اللسان «سود»: ٢٢٨/٣ - ٢٣٠.
(٣) انظر البيت في:
ديوانه - دار بيروت -: ١١٨، ديوانه - تحقيق فوزي عطوي -: ١٠١، عيون الأخبار: ٢٢٧/٣/١، التمثيل والمحاضرة: ٣٧، ثمار القلوب: ١٣٧/١، مجمع الأمثال: ٣٣١/٢، الفاخر: ١٤٥.
(٤) هو عصام بن شهيرة بن الحارث بن ذبيان بن عُذرة، فارس فصيح، جاهلي، يُضْرَب به المثل فيمن شرف بالاكْتِسَاب لا بالانْتِسَاب كان حاجباً للنعمان بن المنذر.
انظر: ثمار القلوب: ١٣٦/١ - ١٣٧ - وهو فيه الباهلي -، مجمع الأمثال: ٣٣١/٢، القاموس «شهير»: ٦٨/٢، (عصم): ١٥٢/٤، التاج: (عصم): ٣٩٩/٨ - وهو فيه - الجرمي -.
(٥) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ١٣٦/١، مجمع الأمثال للميداني: ٣٣١/٢، الفاخر في الأمثال: ١٤٥.

عصام من غير لبس، وما ذاك إلا لمعنى قصده الشاعر ورمى إليه، فمدوحه كان عبداً للنعمان بن المنذر، وهذه غمزة في الممدوح تشعر بانتقاص مكانته، لذا احتاج الشاعر إلى أسلوب فيه من القوى الخفية ما يرفع به تلك الغمزة. فرأى أن في التصريح بلفظ «عصام» ما يكبر في النفس شأن عصام هذا، ويُعلي من مكانته، ويقرر فيها أنه أهل لهذه السيادة.

قال الشيخ:

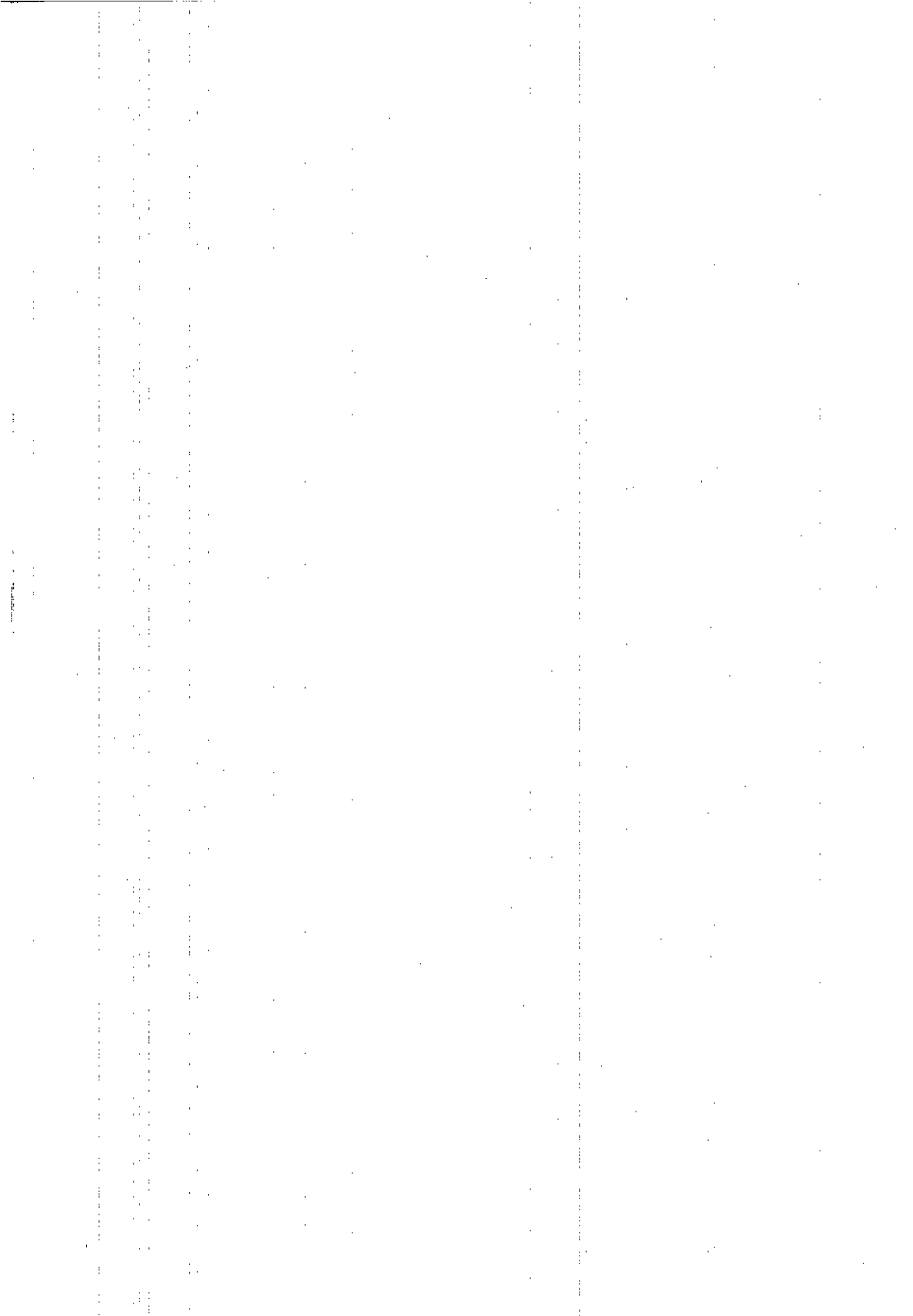
«لا يخفى على من له ذوق، حُسْنُ هذا الإظهار، وأنَّ له موقعاً في النفس، وباعثاً للأريحية، لا يكون إذا قيل:

«نَفْسُ عَصَامٍ سَوْدَتُهُ» شيء منه البتة»^(١)

(١) الدلائل، رضا: ٤٢٨، خفاجي: ٥٠٧، شاکر: ٥٥٧.

الفصل الخامس عشر

فصول ملحقة بالكتاب



فصول ملحقة بالكتاب

الشاهد الرابع والتسعون بعد الثلاثمائة^(١): (الوافر)

قول المتنبي:

وَفِيهَا قَبِيتُ^(٢) يَوْمَ لِقْرَادٍ^(٣)

ذكر الشيخ العجز فقط، وصدده:

فَلَمْ تَلَقْ أَبْنَ إِبرَاهِيمَ عَنَسِي^(٤)^(٥)

وهو من قصيدته^(٦) التي قالها في مدح علي بن إبراهيم التنوخي^(٧).

وقبل الشاهد:

أَرْضَى أَنْ أَعِيشَ وَلَا أَكْفِي عَلَى مَا لِأَمِيرٍ مِنَ الْيَادِي
جَزَى اللَّهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ خَيْرًا وَإِنْ تَرَكَ الْمَطَايَا كَالْمَزَادِ

وبعدهما الشاهد وبعده:

أَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا بَلَدٌ بَعِيدٌ فَصَيَّرَ طَوْلُهُ عَرْضَ النُّجَادِ

(١) الدلائل، شاکر: ٥٦٤.

(٢) رواية الديوان «قوت يوم»، وقيت وقوت بمعنى واحد، وهو ما يمسك الرمز.

(٣) القراد: انظر ص ٥٠١ من البحث.

(٤) عنسي: العنس الصخرة، والعنس الناقة القوية شبت بالصخرة لصلابتها وقيل هي التي اعنوس ذنبها أي وفّر. اللسان «عنس»: ١٥٠/٦.

(٥) ديوانه: ٣٥٧/١.

(٦) سبق ذكر مطلعها: ص ٥٥١ من الكتاب.

(٧) انظر: ص ٥٥١ من الكتاب.

ومعنى الشاهد يقول: لم تصل ناقتي إلى هذا الممدوح إلا وقد أضناها السير، حتى لم يترك فيها من الدم ما يقوت القُراد، وهذا مبالغة في الهزال^(١).
استشهد به الشيخ على أنه محال أن يكون البيت بزيادة تقع فيه لمجرد الإغراق من دون صنعة تكون في تلك الزيادة أشعر من البيت ذي الصنعة.
قال الشيخ:

«... فُمُحال أن يكون البيت بزيادةٍ تقع في مجرد الإغراق من دون صنعةٍ تكون في تلك الزيادة أشعر من البيت ذي الصنعة»^(٢).
الشاهد الخامس والتسعون بعد الثلاثمائة^(٣):
(الطويل)

قول المتنبي:
وَصَدْرُكَ^(٤) فِي الدُّنْيَا وَلَوْ دَخَلَتْ بِنَا وَبِالْجَنِّ فِيهِ مَا دَرَتْ كَيْفَ تَرْجِعُ^(٥)
وهو من قصيدة يمدح بها علي بن أحمد الخراساني^(٦)، ومطلعها:
حُشَاشَةُ نَفْسٍ وَدَعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ الظَّاعِنِينَ أَشِيعُ
وقبل الشاهد:
وَأَنَّكَ فِي ثَوْبٍ وَصَدْرُكَ فِيكُمَا عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الْأَرْضِ أَوْسَعُ
وبعد الشاهد:
أَلَا كُلُّ سَمْعٍ غَيْرَكَ الْيَوْمَ بَاطِلٌ وَكُلُّ مَدِيحٍ فِي سِوَاكَ مُضَيِّعُ
قول البحري:

- (١) ديوان المتنبي بشرح العكبري: ٢٤٧/١.
- (٢) الدلائل، شاکر: ٥٦٤.
- (٣) الدلائل، شاکر: ٥٦٥.
- (٤) رواية الديوان «وقلبك».
- (٥) ديوان المتنبي بشرح العكبري: ٢٤٧/٢.
- (٦) سبقت ترجمته: ص ٩٧٣.

مَفَازَةٌ صَدْرٍ لَوْ تُطَرَّقُ^(١) لَمْ يَكُنْ لِيَسْلُكَهَا فَرْدًا سُلَيْكُ^(٢) الْمَقَانِبِ^(٣) (٤)

وهو من قصيدة^(٥) قالها في مدح أبي سعيد^(٦)، وقبل الشاهد:
لَقَدْ كَانَ ذَاكَ الْجَاشُّ جَاشٌ مُسَالِمٌ عَلَى أَنَّ ذَاكَ الرِّزِّيُّ زِيٌّ مُحَارِبٌ

وبعد الشاهد:

تَسْرَعُ حَتَّى قَالَ مَنْ شَهِدَ الْوَعَى لِقَاءَ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءَ حَبَائِبٍ

استشهد بهما الشيخ على أن الموازنة تسخف إذا قامت على تفضيل البيت لمجرد الإغراق من دون صنعة على البيت ذي الصنعة، فمن السخف تفضيل بيت المتنبي الذي يحوي زيادة من غير صنعة على بيت البحتري ذي الصنعة، فالمتنبي أورد معناه مباشرة حيث ذكر أن صدر الممدوح من السعة والرحابة لو دخلت فيه الدنيا يأنسها وجنّها لتأهت فيه، وعجزت وحات في الرجوع، أما البحتري فجاء بصورة المفازة، وصورة سُلَيْكِ المقانِب، فَصَوَّرَ صدر ممدوحه في رحابته وسعته مفازة عظيمة الاتساع لا يستطيع أن يسلكها السليك الذي اشتهر بشدة عدوه.

(المتقارب) الشاهد السادس والتسعون بعد الثلاثمائة^(٧):

قال النَّمْرِيُّ في قوله في الحماسة^(٨):

- (١) تطرق: أي يصير فيها طرق تسلك.
- (٢) سُلَيْكُ: انظر ص ٧٨٤ من البحث.
- (٣) المقانِب: جمع مقنّب وهي جماعة الخيل والفرسان. اللسان «قنّب»: ٦٩٠/١.
- (٤) ديوانه: ٣٥٥/٢.
- (٥) سبق ذكر مطلعها: ص ٧٢٣.
- (٦) سبقت ترجمته: ص ٧٢٣.
- (٧) الدلائل، شاكر: ٥٦٧.
- (٨) هو من شعر حَزَازِ بْنِ عَمْرٍو من بني عبد مناف، ورد في الحماسة بشرح المرزوقي باسم «حرّان»، ورجح الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان في تحقيق الحماسة أنه شاعر جاهلي، ومما أيد ذلك عنده أنه رثى زيد الفوارس الشاعر الجاهلي. - تحقيق عسيلان -: ٥٠٠/١.

لَنَا إِيْلَ لَمْ تُهِنَ رَبُّهَا كَرَامَتُهَا وَالْفَتَى ذَاهِبٌ^(١)

وهو مطلع القصيدة، وبعده:

هَجَانٌ يُكَافَأُ مِنْهَا الصَّدِيقُ (م) وَذُرْكُ فِيهَا الْمُنَى الرَّاعِبُ

والمعنى يقول النمرى:

«يقول: لم يُكْرِمها فَتْهِنُهُ كَرَامَتُهَا، قال: وهذا كقولك: «لم تَبْدُلْنِي صِيَانَةً مَالِي»، أي لم أَصْنُهُ فَأَبْتَدِلْ، لا أنه أكرمها فلم يهنه ذاك» قال، ومثله قول النابغة:

مِثْلَ الرُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمْدِ^(٢)

أي: لَمْ تَرْمَدْ فَتُكْحَلْ مِنْهُ^(٣)»^(٤).

استشهد به الشيخ على أن الأولى في معنى بيت حزاز أن يكون: «لم تمنعنا كرامتها أن ننحرفها للأضياف، ونسخو بها، ويجوز أن يكون المعنى في قوله: «كرامتها» نفاستها في أنفسها، وأن لا تقدر فيه التعدية، وأن يقال: «كرامتها علينا أو عليه، أي على ربها» كما يقولون يهينون كرائم أموالهم لأضيافهم ولا تهنينهم بأن تدعوهم إلى الضن بها فتورثهم الهوان والسقوط في أقدارهم.

أما المعنى الذي ذكره النمرى لبيت حزاز، وهو قوله: «لم يُكْرِمها فَتْهِنُهُ كَرَامَتُهَا» فإنه لا يكون إلا على تقدير كَأَنَّ، فالنمرى إن كان قد نظر إلى ما جرت به العادة من كلام الناس من أن يقال عند وصف إنسان بالجدود: إنه لا خطر للمال عنده، فإنهم لا يقولونه إلا على تقدير «كأنه»، ولو كان الأمر على الظاهر

(١) انظر البيت في:

الحماسة: ٣١٨/٢ رقم (٧٤١).

(٢) ديوان النابغة: ٨٥، وصدرة: «يُحْفُهُ جَانِبَانِيْقِي وَتَتَّبَعُهُ».

(٣) معاني أبيات الحماسة: ٢٢٥، التعليق على الحماسة (٧٤١).

(٤) الدلائل، شاكر: ٥٦٧.

لكان ذلك يخرج به إلى أن يستحق على بذله الحمد، ولكان يكون ذلك للجهالة بنفاسة النفيس^(١).

الشاهد السابع والتسعون بعد الثلاثمائة^(٢):
(الكامل)

حَنِيقٌ عَلَى بَدْرِ^(٣) اللُّجَيْنِ^(٤) (٥)

ذكره الشيخ من غير نسبة، وذكر جزءاً من الصدر، وتكملة البيت:
..... وَمَا أَتَتْ بِإِسَاءَةٍ وَعَنِ الْمُسِيِّءِ صَفُوحٌ
وهو للمتنبّي من قصيدة قالها في مدح مساور بن محمد الرومي^(٦)،
ومطلعها:

جَلَلًا كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّبْرِيحُ أَغْذَاءُ ذَا الرُّشَاءِ^(٧) الْأَغْنُ الشَّيْحُ
وقبل الشاهد:

مَرْجُو مَنْفَعَةٍ مَخُوفٌ أُذِيَّةٌ مَقْبُوقُ كَاسٍ مَحَامِدٍ مَضْبُوحٌ
وبعده الشاهد وبعده:

لَوْفَرَّقَ الْكَرَمَ الْمُفَرَّقُ مَالُهُ فِي النَّاسِ لَمْ يَكُ فِي الزَّمَانِ شَحِيحٌ
والمعنى: أنه ييغض المال.

استشهد به الشيخ على أنه قد جرت عادة الناس، والشعراء عند مدح إنسان

(١) الدلائل، شاعر: ٥٦٧ - ٥٦٨.

(٢) الدلائل، شاعر: ٥٦٨.

(٣) بَدْر: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف. اللسان «بدر»: ٤٩/٤.

(٤) اللُّجَيْن: الفضة. اللسان «لجن»: ٣٧٩/١٣.

(٥) ديوان المتنبّي بشرح العكبري: ٢٥٠/١، العرف الطيب: ٥٦/٢، الدلائل، شاعر: ٥٦٨.

(٦) لم أقف له على ترجمة إلا ما ذكره الأستاذ محمود محمد شاعر من أن مساور هذه كان والياً على حلب سنة (٣٢٩ هـ)، وقد مدحه المتنبّي بقصيدتين. المتنبّي - محمود شاعر: ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٤.

(٧) الرُّشَاءُ: الظّي إذا قوى وَتَحَرَّكَ، ومشى مع أمّه. اللسان «رشاء»: ٨٦/١.

بالجود والكرم أن يظهر بغضه وكرهه للمال، وأن ذلك المعنى لا يكون إلا بتقدير «كَانَ»: فمعنى قول المتنبّي لا يكون إلا على تقدير كأن أي: «وَكَاثَهُ حَقٌّ عَلَى بَدْرِ اللَّجَيْنِ».

قال الشيخ: «الأولى أن يكون المعنى: لم تمنعنا كرامتها أن ننحصرها للأضياف، ونسخو بها، ونظر هو^(١) إلى ما جرت به العادة من أن يقال في وصف الجواد: إنه لا خطر للمال عنده، وذلك وإن كان معروفاً من كلام الناس، فإنهم يقولونه على معنى أنه كأنه من حيث الحمد والذكر الجميل، لا يكون النفيس من المال عنده نفيساً، وأنه يبذله بذل الشيء الذي لا يكون له قيمة، وإنهم ليخرجون لطلب المبالغة في ذلك إلى أن يزعموا أن يبغض المال، ويريد هلاكه، وأنه يطلّبه بترّة، وأنه حَقٌّ عليه كما قال: «حَقٌّ عَلَى بَدْرِ اللَّجَيْنِ».

وكل ذلك على تقدير «كَانَ»، وإلا فلو كان الأمر على الظاهر، لكان ذلك يَخْرُجُ به إلى أن لا يَسْتَحَقُّ على بذله الحمد، ولكان يكون ذلك للجهالة بنفاسة النفيس، ومن كان إعطاؤه المال على هذا السبيل، كان مُؤَوِّفاً...»^(٢)

(١) أي النمري.

(٢) الدلائل، شاعر: ٥٦٧ - ٥٦٨.

الباب الثاني

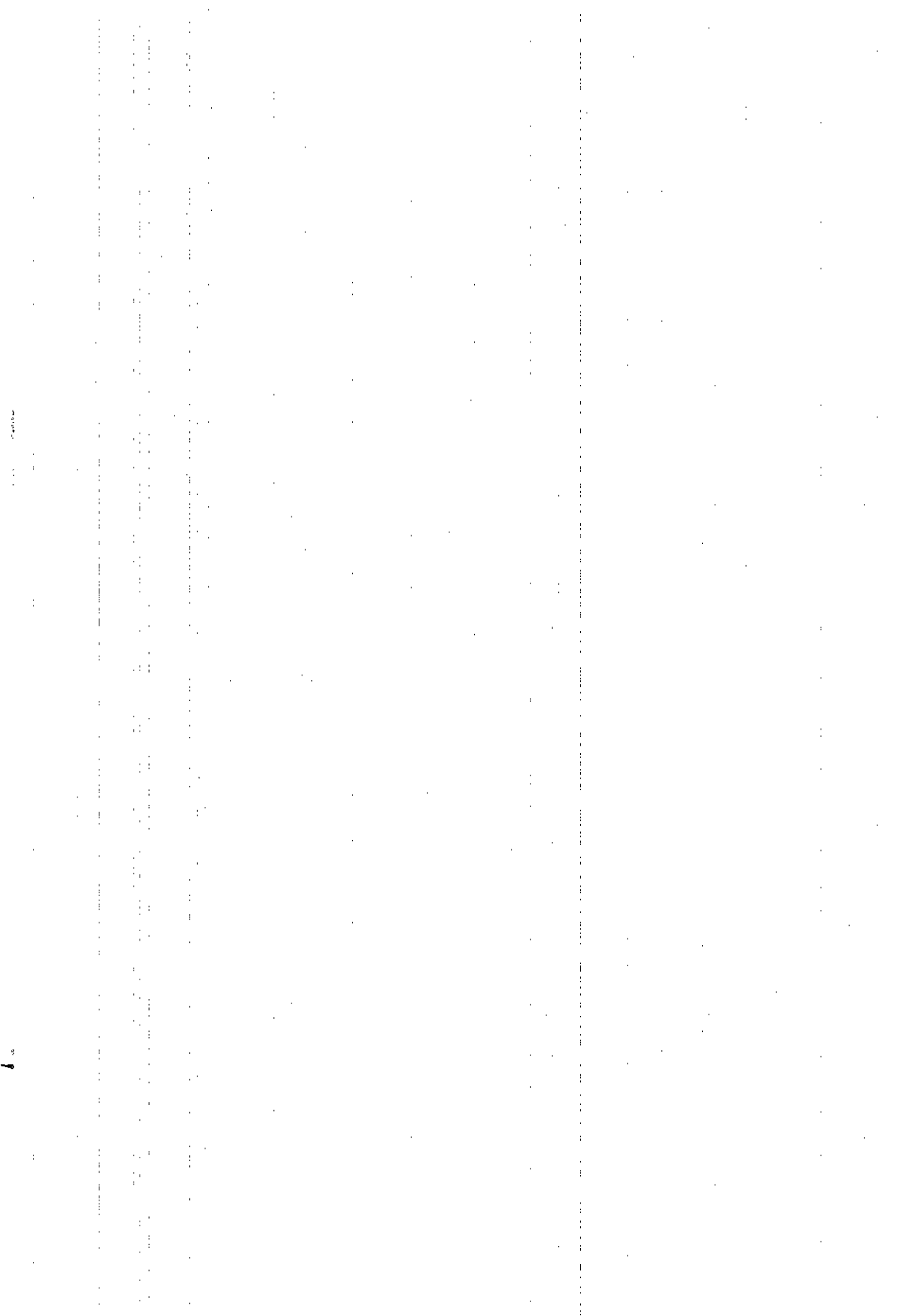
قضايا بلاغية ونقدية في الكتاب

ويتضمن ثلاث فصول:

الفصل الأول: قضية الإعجاز وصلة هذه الشواهد بها.

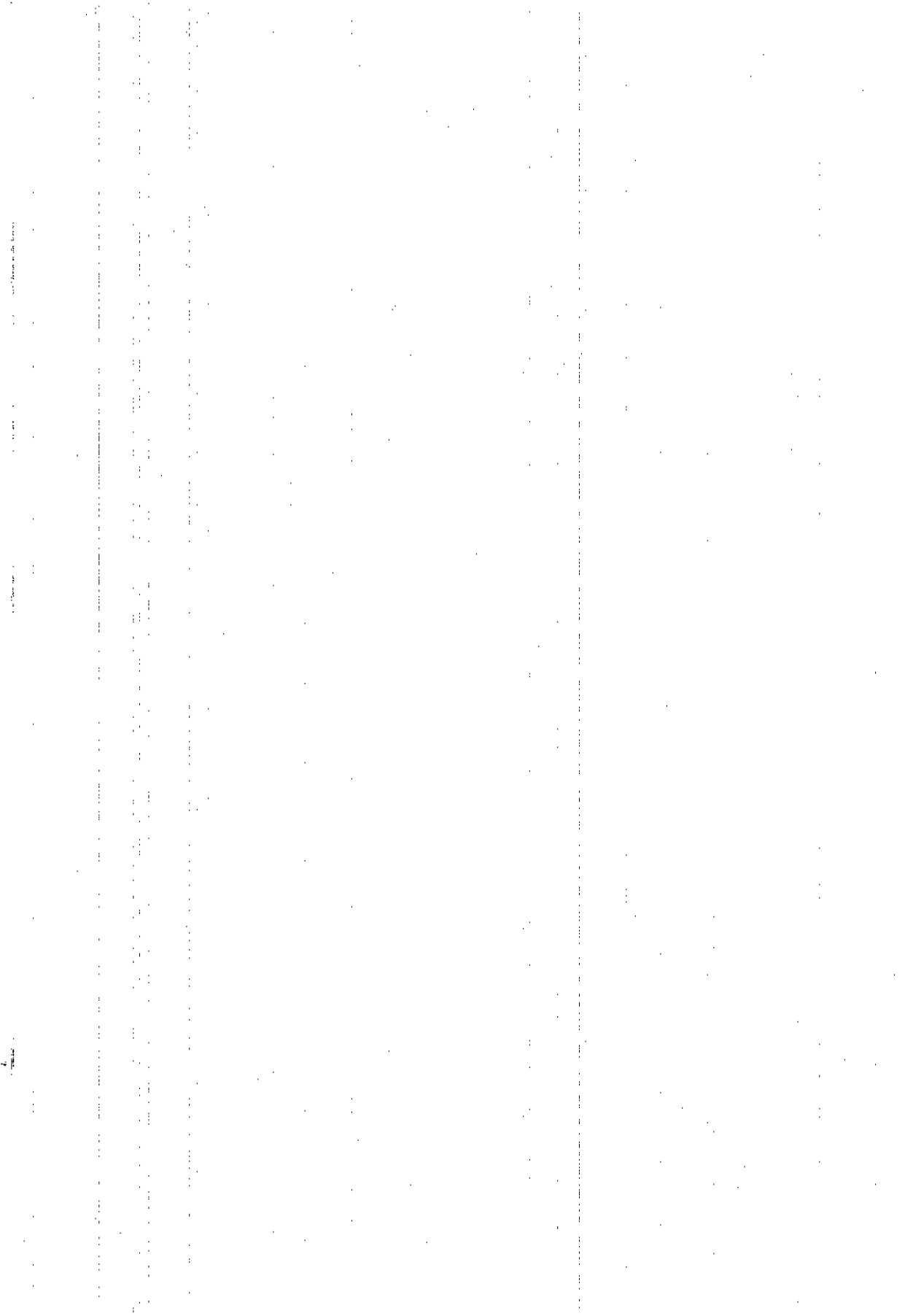
الفصل الثاني: قضية النقد الأدبي وأثر عبد القاهر فيها.

الفصل الثالث: قضية الذوق.



الفصل الأول

قضية الإعجاز
وصلة هذه الشواهد بها



قضية الإعجاز وصلة

هذه الشواهد بها

لكل نبي معجزة، ومعجزة النبي محمد ﷺ معجزة خالدة «عمت الثقلين، وبقيت بقاء العصرين، ولزوم الحجة بها في وقت ورودها إلى يوم القيامة على حد واحد»^(١).

تلك هي معجزة القرآن الكريم، فقد أنزله الله بلسان عربي مبين قال تعالى:

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٨﴾ بِلِسَانٍ عَرَبٍ مُبِينٍ ﴾^(٢).

وتحدى به العرب قاطبة، وهم الفصحاء والبلغاء، والشعراء، فعجزوا عن الإتيان بمثله قال تعالى:

﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾^(٣).

وقال تعالى:

(١) إعجاز القرآن للباقلاني: ٨.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٩٣ - ١٩٥.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ ^(١).

وقال تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَنْزِلُهُ قُلُوبَنَا فَنَنْزِلُ سُورَةً مِثْلَهُ مُقَرَّنَةً ۚ وَادْعُوا مِن آسَاطِنِهِم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٢).

وقد بذل علماء الإسلام جهوداً عظيمة لخدمة هذا القرآن، وبيان وجه إعجازه، فاهتموا اهتماماً بالغاً بالدراسات البيانية، فهي عندهم أحق العلوم بالتعلم وأولاهما بالحفظ بعد المعرفة بالله - جل ثناؤه - لأن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، وضمنه من الحلاوة، وجلله من رونق الطلاوة. مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها. إلى غير ذلك. من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيرت عقولهم فيها ^(٣).

وقال الشيخ عبد القاهر مشيداً بعلم البيان :

«... لا ترى عالماً هو أرسخ أصلاً، وأسبق فرعاً، وأحلى جنياً، وأعذب ورداً، وأكرم نتاجاً، وأنور سراجاً من علم البيان الذي لولاه لم تر لساناً يحوك الوشي، ويصوغ الحلي، ويلفظ الدرر، وينفث السحر، ويقرئ الشهد، ويبرك بدائع من الزهر، ويجنيك الحلو اليناع من الثمر، والذي لولا تحفيته بالعلوم، وعنايته بها، وتصويره إياها، لبقيت كامنّة مستورة، ولما استبنت لها يد الدهر صورة، ولا استمر السرار بأهلتها، واستولى الخفاء على جملتها إلى فوائد لا يدركها الإحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء» ^(٤).

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣.

(٢) سورة هود: الآية ١٣.

(٣) الصناعتين: ٩ - ١٠.

(٤) الدلائل، رضا: ٤ - ٥، خفاجي: ٥٥ - ٥٦، شاکر: ٦ - ٥.

وقد بلغ بهم الشغف بالدراسات القرآنية إلى البحث عن وجه إعجاز القرآن، وكانت لهم في ذلك أقوال كثيرة، وآراء عدة، وألفوا في ذلك الرسائل والكتب، فصرح الجاحظ (٢٥٥ هـ) في كتابه الحيوان أن نظم القرآن، وتأليفه ركن من أركان إعجازه^(١).

وألف في ذلك كتابه «نظم القرآن»^(٢)، وهو أول كتاب أفرد لبعض القول في الإعجاز أو فيما يهيم القول به^(٣).

ثم ظهر كتاب «إعجاز القرآن في نظمه، وتأليفه» لأبي عبد الله بن محمد بن زيد الواسطي (٣٠٦ هـ)^(٤)، وقد شرحه الشيخ عبد القاهر شريحين، شرحاً كبيراً وسماه «المعتضد»، وآخر صغيراً^(٥).

وقد افترض الدكتور محمد زغلول سلام أن الشيخ عبد القاهر قد تأثر به، واستفاد منه في كتابه «دلائل الإعجاز»، لاهتمامه به، وشرحه له مرتين.

قال الدكتور سلام:

«ويبدو أن كتاب الواسطي كان على شيء غير قليل من الأهمية لاهتمام عبد القاهر به، وتناوله له بالشرح مرتين، ولا يبعد أن يكون عبد القاهر، قد تأثر به في كتاباته، وخاصة في «دلائل الإعجاز»، لم نعثر على الكتاب أو على شيء من شرحي عبد القاهر»^(٦).

(١) الحيوان: ٩٠/٤.

(٢) معجم الأدباء: ١٠٧/١٦، كشف الظنون: ١٩٦٤/٢، هدية العارفين: ٨٠٣/٥.

(٣) تاريخ آداب العرب: ١٥١/٢.

(٤) عالم متكلم من علماء المعتزلة عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، توفي (٣٠٦ هـ)، وقيل (٣٠٧ هـ)، اشتهر بكتابه «الإمامة» و«إعجاز القرآن».

انظر ترجمته:

الفهرست: ٢٤٥، شذرات الذهب: ٢٩٩/٢، كشف الظنون: ١٢٠/١.

(٥) بغية الوعاة: ١٠٦/٢، طبقات الشافعية: ٢٤٢/٣، نزهة الالباب: ٣٦٣، كشف الظنون: ١٢٠/١.

(٦) أثر القرآن في تطور النقد العربي: ٢٣٤.

يبدو لي أن الذي شرح كتاباً مرتين، ثم يؤلف في موضعه كتاباً لا بد أن يكون تأثير به، فكلام الدكتور سلام دون ما ينبغي أن يقال. فمن الراجح تأثير عبد القاهر بالكتاب تأثيراً واضحاً.

ثم أخرج أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤ هـ) ^(١) رسالته: «النكت في إعجاز القرآن»، ورأى أن القرآن معجز من سبعة وجوه:

١ - ترك المعارضة مع توفر الدواعي.

٢ - شدة الحاجة.

٣ - التحدي للكافة.

٤ - الصرفة.

٥ - البلاغة.

٦ - الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية.

٧ - نقض العادة وقياسه بكل معجزة.

والذي يهمننا في هذا المقام حديثه عن بلاغة القرآن، فالقرآن عنده معجز ببلاغته ونظمه، فأعلى مرتبة في البيان ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع، ويسهل على اللسان، وتتقبله النفس تقبل البرد ^(٢).

وقسم البلاغة ثلاث مراتب:

١ - ما هو في أعلى مرتبة، وهو المعجز، وهو بلاغة القرآن.

(١) هو أحد الأئمة المشاهير جمع بين علم الكلام والعربية، وله قريب من مائة مصنف وهو من علماء المعتزلة.

انظر: شذرات الذهب: ١٠٩/٣، هدية العارفين: ٦٨٣/٥.

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن «النكت في إعجاز القرآن»: ١٠٧.

٢ - ماهو في مرتبة الوسط، وهو بلاغة الرسول ﷺ.

٣ - ما هو في أدنى طبقة، وهو بلاغة البشر^(١).

ثم ذكر أن عناصر البلاغة عشرة عناصر وهي:

الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التصريف،
التضمين، المبالغة، حسن البيان^(٢).

وكان في عصره أبو سليمان الخطابي «٣٨٨ هـ»^(٣) وقد صرح في رسالته
«بيان إعجاز القرآن» بأن إعجاز القرآن إنما كان؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ
المنظومة بأحسن نظوم التأليف مع صحة المعاني. قال:

«واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن
نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني»^(٤).

ورأى «أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع
من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي
إذا أبدل مكانه غيره جاء منه أما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وأما
ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة»^(٥).

فهو لم يرتضِ وجهاً للإعجاز غير الإعجاز البلاغي وتأثير القرآن في
النفوس وصنيعه في القلوب، أما كون القرآن معجزاً لتضمنه أخباراً مستقبلية، فهو
عنده وجه من وجوه الإعجاز ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من
سور القرآن^(٦).

(١) المصدر السابق: ٧٥.

(٢) المصدر السابق: ٦٧.

(٣) هو حمد بن إبراهيم بن خطّاب الخطابي البُستي كان أحد أوعية العلم في زمانه حافظاً فقيهاً
مبرزاً على أقرانه. شذرات الذهب: ١٢٧/٣.

(٤) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن «بيان إعجاز القرآن»: ٢٧.

(٥) المصدر السابق «المقدمة»: ٢٩.

(٦) المصدر السابق: ٢٣.

وقد رأى أن القائلين بإعجاز القرآن في بلاغته قَصَّروا في بيان وجه هذا الإعجاز، فهم لم يحددوا الوجوه التي اختلف بها القرآن وفاق بها سائر البلاغات^(١).

ثم جاء أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي «٤٠٣ هـ»^(٢) ونقل عن الأشاعرة ثلاثة أوجه للإعجاز:

أحدها: أنه يتضمن أخباراً عن الغيبات، وهذا أمر لا يقدر عليه بشر، ولا سبيل لهم إليه^(٣).

وثانيها: أنه كان معلوماً من حال النبي أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولا يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم، ومع هذا فقد أخبر بما وقع وحدث من عظيمات الأمور من حين خلق آدم عيه السلام إلى حين مبعثه ﷺ^(٤).

ثالثها: أنه بديع النظم عجيب التأليف متناوٍ في البلاغة إلى الحد الذي يُعلم عجز الخلق عنه^(٥).

ثم أخذ يفصل القول في الوجه الثالث، فالقرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد^(٦).

(١) المصدر السابق: ٢٤ - ٢٥.

(٢) هو مجدد الدين على رأس المائة الرابعة على الصحيح، وهو أصولي أشعري مالكي قال عنه ابن تيمية أنه أفضل المتكلمين الأشاعرة. شذرات الذهب: ١٦٩/٣.

(٣) إعجاز القرآن للباقلاني: ٣٣.

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني: ٣٤.

(٥) المصدر السابق: ٣٥.

(٦) المصدر السابق: ٣٥.

والقرآن على كثرته وطوله على قدر واحد من التناسب في الفصاحة، فليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة، والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة^(١).

ومن عجيب نظمه، وبديع تأليفه أنه لا يتفاوت، ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج، وإعذار، وإنذار، ووعد، ووعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف، وتعليم أخلاق كريمة، وشيم رفيعة، وسير مأثورة^(٢).

والقرآن على اختلاف فنونه وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة، والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد إلى حد الأحاد^(٣).

ونظم القرآن وقع موقعاً في البلاغة يخرج عن عادة كلام الجن والإنس^(٤). ومن أوجه الإعجاز أن الذي ينقسم عليه الخطاب من البسط، والاقتصار من الوجوه التي توجد في كلامهم موجودة في القرآن، وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة^(٥).

إن المعاني التي تضمنها في أصل وضع الشريعة والأحكام والاحتجاجات في أصل الدين والرد على الملحدين على تلك الألفاظ البديعة، وموافقة بعضها بعضاً في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ويمتنع^(٦).

(١) المصدر السابق : ٣٦ .

(٢) المصدر السابق : ٣٦ .

(٣) المصدر السابق : ٣٨ .

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني : ٣٨ .

(٥) المصدر السابق : ٤٢ .

(٦) المصدر السابق : ٤٢ .

إن الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام، أو تقذف ما بين شعر، فتأخذها الأسماع وتشوف إليها النفوس، ويرى وجه رونقها بادياً غامراً سائراً ما تُقرن به كالدرة التي تُرى في سلك من خرز، وكالياقوته في واسطة العقد^(١).

إن الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفاً، وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور نصف الجملة؛ ليدل على أن هذا القرآن مكون من هذه الحروف التي ينطقون بها^(٢).

إن القرآن سهل سبيله خارج عن الوحشي المستكره، وهو مع ذلك ممتنع المطلب عسير المتناول^(٣).

قال عن نظم القرآن:

فأما شأو نظم القرآن، فليس له مثال يحتذى عليه، ولا إمام يقتدى به، ولا يصح وقوع مثله اتفاقاً، كما يتفق للشاعر البيت النادر، والكلمة الشاردة، والمعنى الفذ الغريب، والشيء القليل العجيب^(٤).

ثم ألف القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادي (٤١٥ هـ) كتابه «المغني في أبواب التوحيد والعدل» وتعرض في الجزء السادس عشر إلى قضية الإعجاز، ورأى أن البلاغة والفصاحة لا تظهر في الكلم مفردة، وإنما تقوم على ضم الكلمات بعضها إلى بعض مع ملاحظة موقعها في السياق. قال:

«... إن العادة لم تجر بأن يختص واحد بنظم دون غيره، فصارت الطرق التي عليها يقع نظم الكلام الفصيح معتادة، كما أن قدر الفصاحة معتاد،

(١) المصدر السابق: ٤٢.

(٢) المصدر السابق: ٤٤.

(٣) المصدر السابق: ٤٦.

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني: ١١٢.

فلا بد من مزية فيهما، ولذلك لا يصح عندنا أن يكون اختصاص القرآن بطريقة في النظم دون الفصاحة التي هي جزالة اللفظ، وحسن المعنى، ومتى قال القائل: إني وإن اعتبرت طريقة النظم، فلا بد من اعتبار المزية في الفصاحة، فقد عاد إلى ما أردناه^(١).

ثم جاء الشيخ عبد القاهر، وألف في الإعجاز رسالة وكتاباً، فأما الرسالة فهي «الرسالة الشافية» أثبت فيها حقيقة الإعجاز عن طريق عجز العرب عن معارضة القرآن، وتعرض فيها لموضوع الصرفة، ودحض رأي القائلين بها. وأما الكتاب فهو «دلائل الإعجاز» وفيه بين سر إعجاز القرآن. قال موضحاً سبب تأليفه الكتاب:

«ثم إن التوق إلى أن تُقرأ الأمور قرارها، وتوضع الأشياء مواضعها، والنزاع إلى بيان ما يُشكل، وحل ما ينعقد، والكشف عما يخفى، وتلخيص الصفة حتى يزداد السامع ثقة بالحجة، واستظهاراً على الشبهة، واستبانةً للدليل، وتبييناً للسبيل، شيء في سوس العقل، وفي طباع النفس إذا كانت نفساً^(٢) فهو إذاً يذكر أن الآراء قد اضطربت في سر الإعجاز، وأن كتابه هذا سيضع حداً لهذه الاضطرابات، فهو يقوم على بيان الحجة، والدليل. مما يجعل السامع يزداد ثقة.

فسر الإعجاز عنده ينبغي أن يكون وصفاً قد تجدد بالقرآن، وأمرأ لم يوجد في غيره، فلا يمكن أن يكون القرآن معجزاً إذا ما نظرنا إلى الكلم مفردة؛ لأن ذلك يوجب في الألفاظ أن تكون لمذاقة حروفها واصداثها هيئات وصفات لا يمكن أن توجد لها خارج القرآن. وفي ذلك يقول الشيخ:

«ثم إن هذا الوصف ينبغي أن يكون وصفاً قد تجدد بالقرآن، وأمرأ لم يُوجد في غيره، ولم يُعرف قبل نزوله. وإذا كان كذلك، فقد وجب أن يُعلم أنه لا يجوز أن يكون في «الكلم المفردة»؛ لأن تقدير كونه فيها يؤدي إلى المُحال،

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل: ١٦/١٩٧ - ١٩٨.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٨، خفاجي: ٨٦، شاکر: ٣٤.

وهو أن تكون الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة، قد حدث في مذاقة حروفها وأصدائها أوصافاً لم تكن لتكون تلك الأوصاف فيها قبل نزول القرآن، وتكون قد اختصت في أنفسها بهيئات وصفات يسمعوها السامعون عليها إذا كانت متلوّة في القرآن، لا يجدون لها تلك الهيئات والصفات خارج القرآن^(١) ولا يمكن أن يكون الإعجاز في «معاني الكلم المفردة» التي هي لها بوضع اللغة؛ لأن ذلك يوجب أن يكون قد تجدد في معنى «الحمد» و«الرب»... وصف لم يكن قبل نزول القرآن. فيقول الشيخ:

«ولا يجوز أن تكون في «معاني الكلم المفردة»، التي هي لها بوضع اللغة، لأنه يؤدي إلى أن يكون قد تجدد في معنى «الحمد» و«الرب»، ومعنى «العالمين» و«الملك» و«اليوم» و«الدين»، وهكذا، وصف لم يكن قبل نزول القرآن. وهذا ما لو كان ههنا شيء أبعد من المحال وأشنع لكان إياه^(٢) وكذلك يرفض الشيخ أن يكون الإعجاز في ترتيب الحركات والسكنات حتى كأن الذي بان به القرآن من الوصف في سبيل بينونة بحور الشعر. قال:

ولا يجوز أن يكون هذا الوصف في «تركيب^(٣) الحركات والسكنات»، حتى كأنهم تحدّوا إلى أن يأتوا بكلام تكون كلماته على تواليه في زنة كلمات القرآن، وحتى كأن الذي بان به القرآن من الوصف في سبيل بينونة بحور الشعر بعضها من بعض؛ لأنه يخرج إلى ما تعاطاه مسيلمة من الحماقة «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْجَمَاهِرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَجَاهِرْ»، «وَالطَّاحِنَاتِ طَحْنًا»^(٤).

«لأن الوزن ليس هو من الفصاحة والبلاغة في شيء إذ لو كان له مدخل فيهما لكان يجب في كل قصيدتين اتفقتا في الوزن أن تتفقا في الفصاحة والبلاغة»^(٥).

(١) الدلائل، رضا: ٢٩٥ - ٢٩٦، خفاجي: ٣٦٩، شاکر: ٣٨٦.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٩٦، خفاجي: ٣٦٩، شاکر: ٣٨٦ - ٣٨٧.

(٣) في الدلائل، تحقيق شاکر «ترتيب»: ٣٨٧.

(٤) الدلائل، رضا: ٢٩٦، خفاجي: ٣٩٦، شاکر: ٣٨٧.

(٥) الدلائل، رضا: ٣٦٤، خفاجي: ٤٣٤، شاکر: ٤٧٤.

ولا يمكن أن يكون الإعجاز هو الإتيان بالفواصل والمقاطع في آخر الآية،
لأن سبيل الفواصل سبيل القوافي، وقد علم اقتدارهم عليها.
قال الشيخ :

«وكذلك الحكم إن زعم زاعم «أن الوصف الذي تحدوا إليه هو أن يأتوا
بكلام يجعلون له مقاطع، وفواصل، كالذي تراه في القرآن»؛ لأنه أيضاً ليس
بأكثر من التحويل على مُراعاة وزن. وإنما الفواصل في الآية كالقوافي في الشعر،
وقد علمنا اقتدارهم على القوافي كيف هو، فلو لم يكن التحدي إلا إلى فصول
من الكلام يكون لها أواخر أشباه القوافي، لم يعوزهم ذلك، ولم يتعذر عليهم،
وقد خيل إلى بعضهم - إن كانت الحكاية صحيحة - شيء من هذا، حتى وُضع
على ما زعموا فُصول كلام أواخرها كأواخر الآية، مثل «يعلمون» و«يؤمنون»
وأشبه ذلك»^(١).

ولا يمكن أن يكون غريب اللغة موضع الإعجاز ذاك لأنه لا يخلو إذا وقع
التحدي به من أن يُتحدى من له علم بأمثاله من الغريب، أو من لا علم له
بذلك، فلو تُحدي به من له علم بأفعاله لم يعجزه ذلك ولو تحدي به من لا علم
له بأمثاله كان ذلك بمنزلة من يتحدى العرب إلى أن يتكلموا بلسان الترك.

أضف إلى ذلك أن الغريب في القرآن أمر لم يتحقق في جميع السور.

قال الشيخ :

«أترى أن العرب تحدوا أن يختاروا الفتح في الميم من الشمع، والهاء من
النهر على الإسكان، وأن يتحفظوا من تخليط العامة في مثل «هذا يسوى
ألفاً»^(٢)، أو إلى أن يأتوا بالغريب الوحشي في الكلام يعارضون به القرآن؟ كيف
وأنت تقرأ السورة من السور الطوال فلا تجد فيها من الغريب شيئاً، وتأمل ما

(١) الدلائل، رضا: ٢٩٦ - ٢٩٧، خفاجي: ٣٦٩ - ٣٧٠، شاکر: ٣٨٧.

(٢) يسوى لغة أهل الحجاز - اللسان «سواء»: ٤١٠/١٤ - وَعَدُّ عبد القاهر لها من تخاليط العامة
سهو منه.

جمعه العلماء في غريب القرآن، فترى الغريب منه إلا في القليل إنما كان غريباً من أجل استعارة هي فيه كمثّل ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْبَعَجْلَ﴾^(١) ومثّل ﴿حَكَصُوا بِحَيْثُ﴾^(٢) ومثّل ﴿فَأَصْنَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(٣) دون أن تكون اللفظة غريبة في نفسها إنما ترى ذلك في كلمات معدودة كمثّل ﴿مَجَلَّ لَنَا قَطْنَا﴾^(٤) ﴿ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسِرَ﴾^(٥) و ﴿جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سِرِيًّا﴾^{(٦)(٧)}.

ثم قال:

«ثم إنه لو كان أكثر ألفاظ القرآن غريباً؛ لكان مُحالاً أن يدخل ذلك في الإعجاز، وأن يصحَّ التَّحْدِي به، ذاك لأنه لا يخلو إذا وقع التحدي به من أن يُتَّحَدَى من له علمُ بأمثاله من الغريب، أو من لا علم له بذلك.

فلو تُحْدِي به من يعلم أمثاله، لم يتعذر عليه أن يعارضه بمثله. ألا ترى أنه لا يتعذر عليك إذا أنت عرفت ما جاء من الغريب في معنى «الطويل» أن تعارض من يقول: «الشَّوْقُبُ»، بأن تقول أنت «الشَّوْدَبُ» وإذا قال «الأمق» أن تقول «الأشق»؟ وعلى هذا السبيل ولو تُحْدِي به من لا علم له بأمثال ما فيه من الغريب، كان ذلك بمنزلة أن يُتَّحَدَى العرب إلى أن يتكلموا بلسان الترك»^(٨).

ثم ذكر أن الغريب في اللغة أمر متفق على أنه ليس من الفضيلة في شيء. قال: «هذا، وكيف بأن يدخل الغريب في باب الفضيلة، وقد ثبت عنهم أنهم كانوا يرون الفضيلة في ترك استعماله وتجنبه، أفلا ترى إلى قول عمر رضي الله

(١) سورة البقرة: الآية ٩٣.

(٢) سورة يوسف: الآية ٨٠.

(٣) سورة الحجر: الآية ٩٤.

(٤) سورة ص: الآية ١٦.

(٥) سورة القمر: الآية ١٣.

(٦) سورة مريم: الآية ٢٤.

(٧) الدلائل، رضا: ٣٠٣ - ٣٠٤، خفاجي: ٣٧٥ - ٣٧٦، شاکر: ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٨) الدلائل، رضا: ٣٠٤، خفاجي: ٣٧٦، شاکر: ٣٩٧.

عنه في زهير: «إنه كان لا يُعَاظَل بين القول، ولا يتتبع حوشي الكلام»^(١) ففرن تتبع «الحوشي» - وهو الغريب من غير شبهة - إلى «المعاطلة التي هي التعقيد»^(٢).

ويستبعد الشيخ أن يكون الإعجاز هو في الجريان والسهولة، أي أنه لم يلتق في حروفه ما يثقل على اللسان؛ لأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون السوقي الساقط من الكلام، والسفساف الرديء من الشعر فصيحاً.

قال الشيخ:

وهكذا السبيل إن زعم زاعم أن الوصف المعجز هو الجريان والسهولة، ثم يعني بذلك سلامته من أن تلتقي فيه حروف تثقل على اللسان؛ لأنه ليس بذلك كان الكلام كلاماً، ولا هو بالذي يتناهى أمره إن عُذَّ في الفضيلة إلى أن يكون الأصل، وإلى أن يكون المعوّل عليه في المفاضلة بين كلام وكلام»^(٣).

وقال في موضع آخر:

«ثم إنه اتفاق من العقلاء أن الوصف الذي به تناهى القرآن إلى حد عجز عنه المخلوقون هو الفصاحة والبلاغة، وما رأينا عاقلاً جعل القرآن فصيحاً أو بليغاً بأن لا يكون في حروفه ما يثقل على اللسان؛ لأنه لو كان يصح ذلك لكان يجب أن يكون السوقي الساقط من الكلام، والسفساف الرديء من الشعر فصيحاً إذا خفت حروفه»^(٤).

ويرفض الشيخ أن تكون الاستعارة وحدها موضعاً للإعجاز، وإن كانت من مقتضيات النظم «لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون الإعجاز في أي معدودة في مواضع من السور الطوال مخصوصة».

(١) طبقات فحول الشعراء: ٦٣/١.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٠٤ - ٣٠٥، خفاجي: ٣٧٦، شاکر: ٣٩٧ - ٣٩٨.

(٣) الدلائل، رضا: ٣٦٤ - ٣٦٥، خفاجي: ٤٣٤، شاکر: ٤٧٤.

(٤) الدلائل، رضا: ٣٩٨ - ٣٩٩، خفاجي: ٤٧٢، شاکر: ٥٢٠.

قال:

«ولا يمكن أن تُجعل «الاستعارة» الأصل في الإعجاز، وأن يقصر عليها؛ لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون الإعجاز في أي معدودة في مواضع من السور الطوال مخصوصة»^(١).

فإذا كان الإعجاز لا يتحقق بهذه الأمور، فبماذا يتحقق إذاً في نظر الشيخ عبد القاهر؟

إنه يتحقق في النظم وحده، لأنه أمر يتحقق في جميع السور طویلها وقصیرها قال الشيخ:

«فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عَدَدناه، لم يبق إلا أن يكون في «النظم» لأنه ليس - من بعد أن أبطلنا أن يكون فيه - إلا «النظم» و«الاستعارة»، ولا يمكن أن تُجعل «الاستعارة» الأصل في الإعجاز، وأن يُقصر عليها؛ لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون الإعجاز في أي معدودة في مواضع من السور الطوال مخصوصة، وإذا امتنع ذلك فيها، ثبت أن «النظم» مكانه الذي ينبغي أن يكون فيه، وإذا ثبت أنه في «النظم» و«التأليف» وكنا قد علمنا أن ليس «النظم» شيئاً غير توخي معاني النحو، وأحكامه فيما بين الكلم»^(٢).

وقال في موضع آخر مبيناً أيضاً سر الإعجاز:

«إلا أن ههنا نكتة، إن أنت تأملتُها تأملَ المثبت، ونظرت فيها نظر المتأني، رجوت أن يحسن ظنك، وأن تنشط للاصفاء إلى ما أورده عليك، وهي: أنا إذا سقنا دليل الإعجاز فقلنا: لولا أنهم حين سمعوا القرآن وحين تحدوا إلى معارضته، سمعوا كلاماً لم يسمعوا قط مثله، وأنهم رازوا أنفسهم، فأحسوا بالعجز عن أن يأتوا بما يُوازيه أو يُدانيه، أو يَقَعُ قريباً منه؛ لكان محالاً أن يدعوا

(١) الدلائل، رضا: ٢٩٩ - ٣٠٠، خفاجي: ٣٧٢، شاکر: ٣٩١.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٩٩ - ٣٠٠، خفاجي: ٣٧٢، شاکر: ٣٩١ - ٣٩٢.

معارضته، وقد تُحْدُوا إليه، وَفَرَّعُوا فيه، وَطَوَّلُوا به، وأن يتعرضوا لِشِبا الأُسنة، ويقتحموا موارد الموت، فقليل لنا: قد سمعنا ما قلتم، فخبرونا عنهم عَمَّاذا عجزوا؟ أعن معاني من دقة معانيه، وحُسْنها وصِحَّتْها في العقول؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه؟ فإن قلتم: «عن الألفاظ»، فماذا أعجزهم من اللفظ، أم ما بهَرَّهم منه؟

فقلنا: أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مَضْرِب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبية، وإعلام وتذكير، وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعُشْرًا عُشْرًا، وآية آية، فلم يَجِدُوا في الجميع كلمة ينوبها مكانها، ولفظة يُنكر شأنها، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أخرى وأخلق، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاماً والثناءً وإتقاناً وإحكاماً، لم يدع في نفس بليغ منهم - وَلَوْ حَكَّ بيافوخه السماء - مَوْضِعَ طَمَعٍ، حتى خَرَسَتِ الألسن عن أن تَدَّعِي وتقول، وخلدت القُروم^(١)، فلم تملك أن تصول^(٢).

وهكذا ربط الشيخ سر الإعجاز بقضية النظم، ولم يكتفِ بما اكتفى به سابقوه من ذكر النظم بل خصص كتابه «دلائل الإعجاز» لشرح هذه النظرة، وإثباتها وتقريرها، مستعيناً في ذلك كله بخبرته النحوية، فليس النظم عنده إلا توخي معاني النحو، فلا نظم في الكَلِم ولا ترتيب، حتى يُعلَق بعضها ببعض، ويُنَى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك^(٣).

(١) وفي الدلائل تحقيق شاکر: «وَحَلَّيْتُ القُروم».

وخلدت القروم «أي أقامت في أماكنها كأخلدت. والقروم: الفحول وهي حقيقة في الإبل، ومجاز في الناس. اللسان «خلد»: ١٦٤/٣، «قرم»: ٤٧٣/١٢.

(٢) الدلائل، رضا: ٣١-٣٢، خفاجي: ٨٩-٩٠، شاکر: ٣٨-٣٩.

(٣) الدلائل، رضا: ٤٤، خفاجي: ١٠٢، شاکر: ٥٥.

قال:

«اعلم أن ليس «النظم» إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه «علم النحو» وتعمل على قوانينه، وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسِمت لك، فلا يُخلُ بشيء منها»^(١).

وليس النظم عنده هو ضم الشيء إلى الشيء على أي حال وكيفما اتفق بل النظم في ترتيب الألفاظ بحسب ترتيب المعاني في النفس مع توخي معاني النحو.

قال:

«وإذا كان لا يكون في الكلام نظم ولا ترتيب إلا بأن يُصنَع بها هذا الصنيع ونحوه، وكان ذلك كله مما لا يرجع منه إلى اللفظ شيء، ومما لا يُتصور أن يكون فيه ومن صفته، بأن ذلك أن الأمر على ما قلناه، من أن اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأنّ الكلام تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس، وأنها لو خَلَّت من معانيها حتى تتجرد أصواتاً وأصداء حروف، لما وقع في ضمير ولا هَجَس في خاطر، أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يُجعل لها أمكنة ومنازل، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك»^(٢).

وفي سبيل توضيح هذه النظرية عقد كثيراً من الأبواب التي تكون بها الجملة بليغة، فتعرض للتقديم والتأخير، والذكر والحذف، والتعريف والتنكير، وذكر المجاز، والتشبيه، والاستعارة، والكناية، وكذلك عالج بعض أبواب البديع، فذكر السجع والجناس.

وتعرض لموضوع السرقة، ورأى فيه باباً للمفاضلة، وعقد الموازنات والمفاضلات بين الشعراء كل ذلك ليثبت أن البلاغة من صفات التأليف لا

(١) الدلائل، رضا: ٦٤، خفاجي: ١٢٢، شاكر: ٨١.

(٢) الدلائل، رضا: ٤٥، خفاجي: ١٠٢، شاكر: ٥٥ - ٥٦.

المفردات، وأن الصياغة تكون بتوخي معاني النحو، وهذه هي نظرية النظم التي يدرك عن طريقها الإعجاز.

وعند هذا الحد نقف ونتساءل عن قيمة الشواهد الشعرية التي ساقها الشيخ، وأكثر منها، ودورها في إيضاح فكرة الإعجاز.

فمن الواضح أن الشيخ عبد القاهر قد عني بالشواهد الشعرية عناية خاصة، بجعلها أساساً في دراساته يستنبط منها القواعد والأصول، فهي أمر ضروري لمعرفة الإعجاز، فلا يمكن أن يدرك أمر الإعجاز إلا مَنْ كان عارفاً بالشعر عالماً به، ملماً بأحواله، وأصوله، كيف لا وهو ديوان العرب، وعنوان الأدب، ومن هذا المنطلق أخذ الشيخ يدافع عن النحو، والشعر، ويذم الزاهدين فيهما، ويثبت جهلهم المطبق، وفهمهم القاصر عن إدراك الحقائق، فليس الشعر كما تخيله بعضهم من «أنه ليس فيه كثير طائل، وأن ليس إلا مُلحة، أو فكاهة، أو بكاء منزل، أو وصف طلل، أو نعت ناقة أو جمل، أو إسراف قول في مدح أو هجاء وأنه ليس بشيء تمس الحاجة إليه في صلاح دين أو دنيا»^(١) وهذا بلا مرأى قول باطل يكشف عن فساد الدخيلة، وقصر الفهم للشعر مكانته الرفيعة، ودوره البارز في إدراك وجه الإعجاز لذا كان الصاد عن معرفة الشعر صاداً عن معرفة حجة الله، مثله في ذلك مثل من يمنع الناس حفظ كتاب الله، فسواء من منعك الشيء الذي تنتزع منه الشاهد، والدليل، ومن منعك السبيل إلى انتزاع تلك الدلالة، والإطلاع على تلك الشهادة. قال الشيخ:

«وذاك أنا إذا كنا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن، وظهرت وبانّت، وبهرت، هي أن كان على حدّ من الفصاحة تقصر عنه قُوى البشر، ومنتهاً إلى غاية لا يُطمح إليها بالفكر، وكان محالاً أن يعرف كونه كذلك إلا من عَرَف الشعر الذي هو ديوان العرب، وعنوان الأدب، والذي لا يُشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان، وتنازعوا فيها قَصَب الرّهان، ثم بحث عن العلل التي بها كان التباين في الفضل، وزاد بعض الشعر على بعض

(١) الدلائل، رضا: ٦، خفاجي: ٥٩، شاکر: ٨.

كان الصَّادُّ عن ذلك صادّاً عن أن تُعرف حجة الله تعالى، وكان مثله مثل من يتصدّى للناس فيمنعهم عن أن يحفظوا كتاب الله تعالى ويقوموا به، ويتلوه، ويُقرئوه، ويصنع في الجملة صنيعاً يؤدّي إلى أن يقلُّ حُفَاطُه، والقائمون به، والمُقرِّئون له، ذاك لأنّا لم نُتعب بتلاوته وحفظه، والقيام بأداء لفظه على النحو الذي أنزل عليه، وحراسته من أن يُغيّر ويبدّل، إلّا لتكون الحجة به قائمة على وجه الدهر، تُعرَف في كل زمان، وتُتوصّل إليها في كل أوان، ويكون سبيلها سبيل سائر العلوم التي يروّيها الخلف عن السلف ويأثُرُها الثاني عن الأول، فمن حال بيننا وبين ما له كان حِفْظُنَا إيَّاه، واجتهادُنَا في أن نُؤدّيَه ونرعاه، كان كمن رام أن يُنسيَنَاهُ جملةً، ويُذهبه من قلوبنا دفعةً فسواء مَنْ مَنَعَكَ الشيء الذي تنتزع منه الشاهد والدليل، وَمَنْ مَنَعَكَ السبيل إلى انتزاع تلك الدلالة والاطلاع على تلك الشهادة، ولا فَرْقَ بين من أعدمك الدواء الذي تستشفي به من دَأْثِكَ، وتستبقى به حُشاشةَ نفسك، وبين من أعدمك العلم بأنّ فيه شفاءً، وأنّ لك فيه استبقاءً^(١).

وقد صرّح الشيخ في وضوح أن الشعر هو أحد الطريقتين لمعرفة الإعجاز، فالذي أعجز القوم مزايا ظهرت لهم في نظم القرآن، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية، ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر وصورة كل عظة وتنبية، وإعلام وتذكير، وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان، وهذه المزايا لا تدرك إلّا بأحد طريقتين: معرفة الشعر، واستقراء كلام العرب. قال الشيخ:

«وصحّ أن لا غنى بالعاقل عن معرفة هذه الأمور، والوقوف عليها، والإحاطة بها، وأنّ الجهة التي منها يقف، والسبب الذي به يعرف، استقراء كلام العرب، وتتبع أشعارهم والنظر فيها. وإذ قد ثبت ذلك، فينبغي لنا أن نبتدىء في بيان ما أردنا بيانه، ونأخذ في شرحه والكشف عنه^(٢).

ولا أدل على مكانة الشعر، وعظيم فائدته من استعانة العلماء المسلمين به

(١) الدلائل، رضا: ٧-٨، خفاجي: ٦٠-٦١، شاکر: ٨-٩.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٣، خفاجي: ٩٠، شاکر: ٤٠-٤١.

في تفسير ما خفي عليهم من معاني القرآن. فقد ذكر السيوطي عن ابن الأنباري أنه «قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيراً الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر»، ثم ذكر أن هناك جماعة لا علم لهم بالشعر قد أنكروا على النحويين ذلك، وقالوا لهم:

«إذا فعلتُم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن، قالوا: وكيف يجوز أن يُحتج بالشعر على القرآن، وهو مذموم في القرآن والحديث».

قال ابن الأنباري: «وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلاً للقرآن، بل أردنا تبين الحرف الغريب من القرآن بالشعر؛ لأن الله تعالى قال:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾^(١) وقال: ﴿ يَلْسَانِي عَرَبِيًّا مُبِينًا ﴾^(٢) وقال ابن عباس: الشعر ديوان العرب، فإذا خُفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه، ثم أخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال:

«إذا سألتُموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب».

ثم ذكر السيوطي مسائل نافع بن الأزرق، واجتهاد ابن عباس في تفسيرها واستعانته بالشعر في ذلك.

فقد روي أن نافع بن الأزرق قال لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى ابن عباس الذي يجتري على تفسير القرآن ما لا علم له به فقاما إليه فقالا له: نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزله بلسان عربي مبين فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى:

(١) سورة الزخرف: الآية ٣.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٩٥.

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾^(١).

فقال ابن عباس: العِزُونَ: جِلَقُ الرفاق.

قال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال نعم: أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فَجَاؤُوا يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَكُونُوا حَوْلَ مَنِيرِهِ عِزِينَ^(٢)

قال نافع: أخبرني عن قوله تعالى:

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(٣).

قال الوسيلة: الحاجة.

قال نافع، وهل تعرف العرب ذلك؟

قال نعم: أما سمعت عنترة وهو يقول^(٤):

إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِنْ يَأْخُذُوكِ نَكَحْلِي وَتَخْضِي^(٥)

وإيماناً من الشيخ بمكانة الشعر، وعظيم فائدته في إدراك الإعجاز شرع في الاستشهاد به في كل موضع.

ولو أننا قارنا بين استشهاد الشيخ بالشعر، وبين استشهاد السابقين الذين كانت لهم يد في دراسة الإعجاز الخطابي، والباقلاني. وجدنا أن السابقين استشهدوا بالآيات من الشعر ليثبتوا أوجه التقصير فيه، ويكشفوا تفاوت بلاغته، فكانت تحليلاتهم للآيات فيها نوع من التكلف، والتعمل والقسر.

(١) سورة المearج: الآية ٣٧.

(٢) لم أقف عليه في ديوانه.

(٣) سورة المائدة: الآية ٣٥.

(٤) ديوان عنترة: ٣٣.

(٥) انظر الخبر مطولاً في:

الاتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١٥٧/١ وما بعدها.

أما الشيخ عبد القاهر فقد جعل الشعر طريقاً لإثبات فكرة النظم التي يكون بها الإعجاز، فأعلى من قدره، وأولاه عظيم عنايته، فكانت تحليلاته أكثر موضوعية؛ لأنها ارتكزت على أصول وقواعد.

وقد أكثر الشيخ من الشواهد الشعرية إلى حدٍ عابه عليه كثير من المحدثين، ورأوا أن في ذلك قصوراً في منهج الشيخ، فكان الأولى به أن يعني بالآيات القرآنية ويبين مدى تفوق القرآن على غيره من النصوص. قال الدكتور مصطفى ناصف:

«الواقع أن صاحبنا لم يحاول البتة أن يبين مدى تفوق العبارة القرآنية على غيرها من العبارات، ولو سألت أين دلائل الإعجاز في كتاب عبد القاهر لما كنت مسرفاً، إن جهد عبد القاهر في تبين ملامح العبارة القرآنية لا يكاد يذكر بخير...»^(١).

ويرى الدكتور أحمد بدوي أنه على الرغم من أن الكتاب معنون بدلائل الإعجاز، لا نجد فيه علاجاً طويلاً لآيات القرآن، كما أنه لم يتخذها أساساً في تطبيق فكرته، وأنه كان من المنتظر منه أن يجعل القرآن هو المحور لبيان الفصاحة والبلاغة، وتناهي بلاغته إلى أن تصل إلى درجة الإعجاز، فهذه الطريقة تفتح باباً للموازنات بين القرآن وغيره من الكلام البليغ ومن ثم يتضح سمو التعبير القرآني، وهو السبب الذي دعا عبد القاهر إلى إنشاء الكتاب^(٢).

وقال في موضع آخر:

«ولقد كان من الخير أن يأتي ببعض النماذج القرآنية هنا، ويوازن بينها وبين غيرها من الشعر، ليبين التفوق القرآني، ويأتي ببعض النماذج القرآنية عند ألوان النظم التي سبق أن تحدثنا عنها ليبين تفوقها على ما عداها»^(٣).

(١) نظرية المعنى في النقد العربي: ٣٠.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، أحمد بدوي: ٥٣.

(٣) عبد القاهر الجرجاني - أحمد بدوي -: ١٢٤.

ويرى كذلك أنه يقف من أمثلة القرآن والشعر موقفاً متشابهاً، فهو يعرض الفكرة، ويوضحها في الشعر، والقرآن على السواء من غير أن يخص القرآن بتفصيل يبين تفوقه وإعجازه بل إنه قد يعلق على الشعر الرائع تعليقاً يقرب من تعليقه على آي القرآن^(١)، بل ربما لم يعلق على الجمال الذي في آي القرآن كما يعلق على الشعر^(٢)، وفي بعض الأحيان يحلل الآية من القرآن، ولكنه تحليل لا يشفي القلب، ولا يصل إلى الأعماق^(٣).

وبعد أن زاد الدكتور أحمد بدوي وأعاد وأجمل وفصل في نقطة النقص هذه وكررها في غير موضع. قال:

«والقول الجملي أن عبد القاهر لم يخص آي القرآن التي جاء بها في كتابه «دلائل الإعجاز» بما لم- يأت به في نصوص الشعر التي جاء بها في الكتاب نفسه، أفليس ذلك مما يعدُّ نقصاً في منهج عبد القاهر، وانحرافاً بالكتاب عن الهدف الذي قصد إليه المؤلف يوم أنشأ هذا الكتاب؟ إن المؤلف لم يزد على أن بيّن أن القرآن جاء على المنهج السديد من الأداء، كما جاءت أبيات من الشعر منطبقة على هذا النهج السديد أيضاً، فبم امتاز القرآن على غيره من الكلام حتى صار معجزاً لا يدانيه سواه، وكان واجب عبد القاهر أن يجعل ذلك هدفه الذي لا يحيد عنه، ويصل إليه حيناً بالشرح، وأحياناً بالموازنة»^(٤).

وبعد هذا كله نجد الدكتور أحمد بدوي يعتذر للشيخ، ويجد له مخرجاً مما عابه عليه، فإكثاره من الشعر ما هو إلا طريقة لتقعيد نظريته حتى إذا هضمها القاريء، وآمن بها استطاع أن يطبقها بنفسه على القرآن، ومن ثم يصل بنفسه إلى إعجازه. قال:

«يبدو لي أن عبد القاهر ترك للقاريء تطبيق فكرته على القرآن، بعد أن

(١) المرجع السابق: ٥٥.

(٢) المرجع السابق: ٥٦.

(٣) المرجع السابق: ٥٧.

(٤) المرجع السابق: ٦٢.

يهضمها، ويؤمن بها، ليصل إلى إعجازه بنفسه بعد أن وضع عبد القاهر له الأساس الصالح الذي يبنى عليه، فكتاب «دلائل الإعجاز» إذن كتاب يُعطيك المفتاح، ويضع في يدك المقياس الذي تستطيع أن تقيس به بنفسك؛ لتصل به إلى معرفة الإعجاز^(١).

وكذلك يرى أن اهتمامه بالشعر أكثر من النثر يرجع إلى :

«إيمانه بأن طبيعة الفن الشعري تبرز فيها البلاغة المؤثرة أكثر مما تظهر في النثر، وأن الشعر هو الصورة الكاملة لبلاغة العربية، فاتخذ المصدر لفنون هذه البلاغة»^(٢).

وكذلك نجد الدكتور أحمد مطلوب يُدافع عن الشيخ، فهو يقر بأن ما أخذ عليه صحيح، ولكن ماذا كان بإمكان الشيخ أن يفعل أكثر مما فعل، فقد كان مشغولاً بترسيخ فكرته، وليس من العدل والإنصاف إن نطبق عليه مناهج الدرس الحديث، وأن نطلب منه أكثر مما كان في عصره.

قال بعد أن عرض بعض المآخذ التي أخذت على الشيخ :

«وفي هذا كثير من الصحة، ولكن ماذا يفعل عبد القاهر أكثر مما فعل إنه كان يصارع أفكاراً ظنها خاطئة، وظل في كتابه «دلائل الإعجاز» يعيد فكرته، ويذكر الأمثلة، والشواهد للتدليل عليها، وحينما ظن أنه وصل إلى ترسيخ فكرة النظم، صرّح بأن القرآن معجز بنظمه أي توخي معاني النحو وأحكامه، وقد لجأ ليثبت ذلك إلى إنكار مزية الألفاظ المفردة، وذكر مئات الآيات القرآنية، والشواهد الشعرية، ليصل إلى ذلك، وقد وفق توفيقاً كبيراً، وماذا كان عليه أن يقول أكثر من ذلك، وهل هناك حاجة إلى أن يقول بعد كل تعليق على آية أو بيت، أن القرآن معجزة، وأنه فاق كل كلام؟ أليس هذا معروفاً، وهل يشك فيه مؤمن؟ ولو فعل ذلك لأطال من غير فائدة، وليس من الإنصاف أن نطلب منه أكثر مما كان

(١) عبد القاهر الجرجاني، أحمد بدوي: ٣٥٢ - ٣٥٣.

(٢) المرجع السابق: ٦٥.

في عصره، وأن نطبق عليه مناهج الدرس الحديث، لقد أدى الواجب كما رآه، وأراح نفسه بعد أن ردَّ الشبهات، وفضح زيف تلك الآراء، وهو في ذلك يُعد في طليعة النقاد، والبلاغيين الذين فهموا القرآن، وتأثروا به، وحلوا مشكلة من قضايا إعجازه»^(١).

ويبدو لي أن الدكتور أحمد مطلوب لم يصب المحزَّ في دفاعه عن الشيخ، وكأنه كان يجيب على غير الاعتراض، فقلوله: «وهل هناك حاجة إلى أن يقول بعد كل تعليق على آية أو بيت إن القرآن معجزة، أو إنه فاق كل كلام؟ لم يقل به أحد، وإنما الذي أخذ على الشيخ أنه لم يعن بالتطبيق على الآيات كما فعل في الشعر.

وقول الدكتور مطلوب «أليس هذا معروفاً، وهل يشك فيه مؤمن؟» لا يصلح رداً على ما وُجَّه للشيخ في هذه المسألة؛ لأن كتب الإعجاز لم تؤلف للمؤمن العارف الوائق فيما أنزل إليه.

ويبدو لي أن ما أخذ على الشيخ فيه وجوه من الصحة، أما الاعتذار له بأنه كان في صدد ترسيخ فكرة النظم، حتى يهضمها القارئ، ويؤمن بها، ثم يعمد إلى تطبيقها على القرآن، وأنه كان يريد أن يضع بين يدي القارئ الأساس الصالح الذي يقس به ليصل إلى الإعجاز، فهذا ليس بعذر فهل كانت أي القرآن تحد أو تمنع من ترسيخ الفكرة؟ بالطبع لا، إذاً ما الذي يمنع أن يكون الأساس الصالح الذي يريد أن يضعه الشيخ بين يدي القارئ مبنياً على شواهد القرآن؟

صحيح أن الشيخ لم يهمل أي القرآن إهمالاً تاماً، إلا أنه جعل الشاهد الشعري هو الأساس، فقد ذكر ما يقرب من مائة وواحد وخمسين شاهداً قرآنياً إلى جانب أربعمائة وواحد وتسعين شاهداً شعرياً، وهذا بلا شك أمر لا يُعذر فيه الشيخ إذ أنه من المفروض أن يُعنى الشيخ عناية كبيرة بأي القرآن، ويجعلها هي

(١) عبد القاهر الجرجاني: أحمد مطلوب: ٢٦٧ - ٢٦٨.

الأساس في الدراسة، وكان عليه أن يُعنى كذلك بالبلاغة النبوية التي أهملها إهمالاً يكاد يكون تاماً، فقد ذكر ما يقرب من ثلاثة عشر حديثاً - في اعتقاده - كلها في فصل «الكلام في الشعر» أما ما استخدمه منها في تفعيد نظريته وشرحها، فكان حديثاً واحداً^(١) فقط ذكره في باب اللفظ والنظم عند حديثه عن استعمالات «كل».

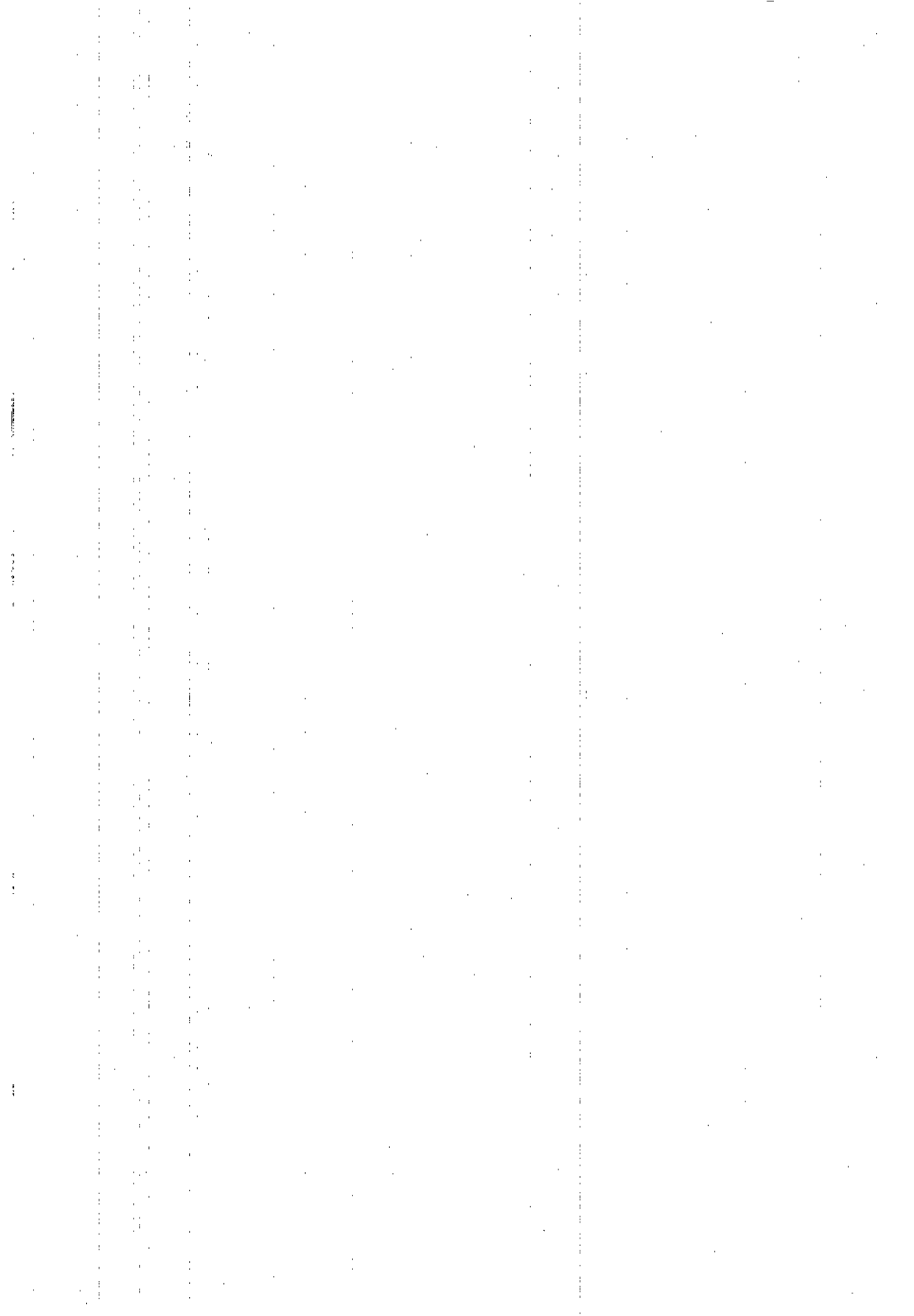
وهذا بلا شك تقصير من الشيخ؛ فلا بأس في أن يستعين بالشواهد الشعرية في توضيح الفكرة أما أن يتخذها هي الأساس، فهذا أمر لا يُعذر فيه؛ لأن طبيعة القرآن، وطبيعة أسلوبه لا تماثل الشعر، ولا تدانيه، فهو كما نعلم له أسلوبه المميز الخاص به الذي لا يمكن أن يرقى إليه كلام، فهو في الدرجة المتناهية من البلاغة.

والتطبيق على القرآن غير التطبيق على كلام البشر.

ويبدو لي لو أنّ الشيخ أولى أي القرآن عنايته وأسس عليها نظريته لوجدت في ذلك طريقاً أخصب، وارتقت ارتقاء أسمى وأعلى، ولأنت بدقائق وأسرار لم يتوقعها الشيخ عبد القاهر نفسه، ولكانت دليلاً أقوى على إعجاز القرآن، ولأظهرت سمو نظمه إلى الحد المتناهي الذي يثبت به الإعجاز.

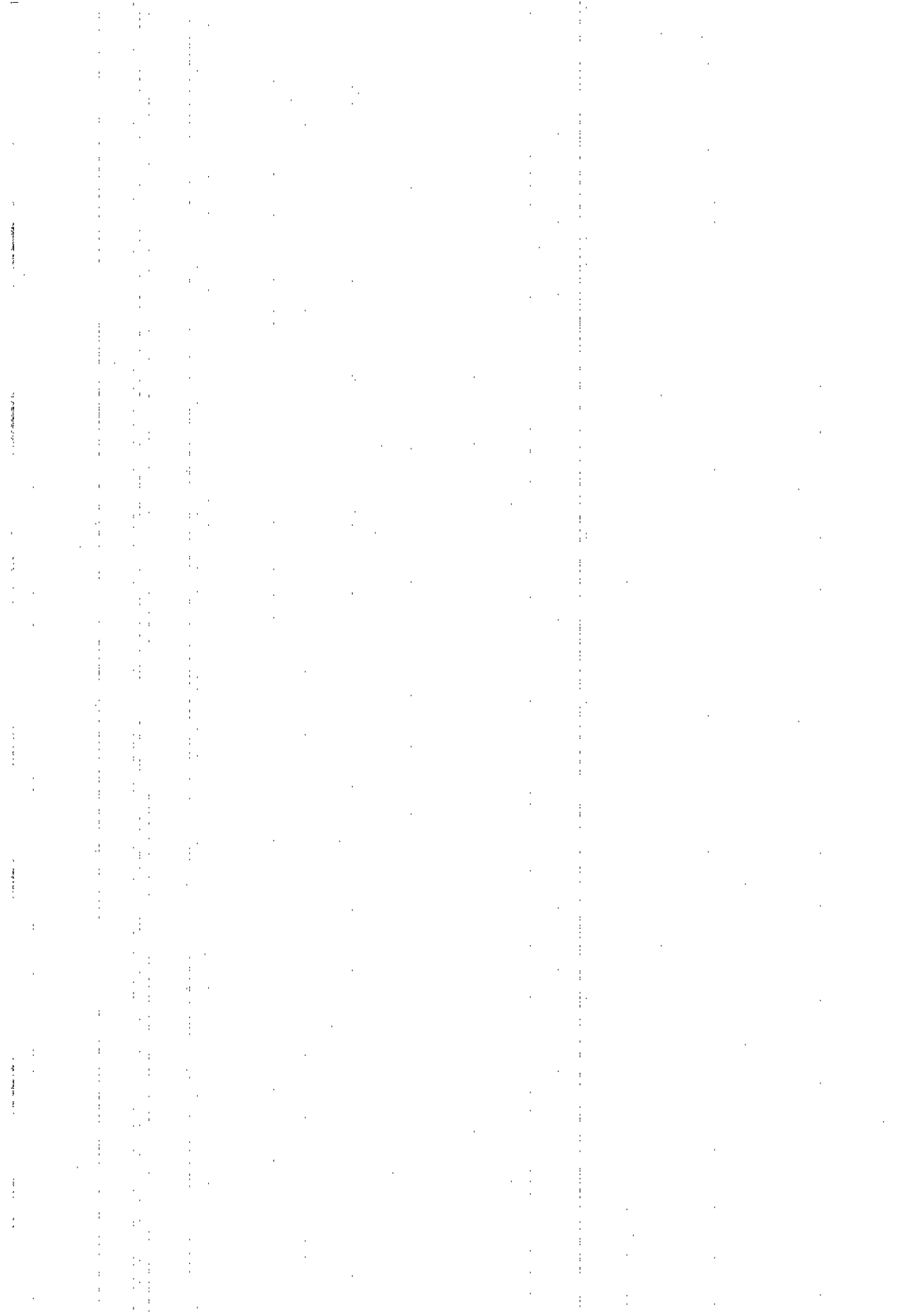
(١) هو حديث ذي اليدين حين قال للنبي ﷺ «أَقْصِرْتَ الصَّلَاةَ أَمْ نُسِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ ﷺ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ». فقال ذو اليدين: «بعض ذلك قد كان» وهو حديث مذكور في بعض كتب السنة من طريق «محمد بن سيرين عن أبي هريرة، وهو مذكور فيها بغير هذا اللفظ.

انظر: الإمام أحمد: ٤٦٠/٢، السنن الكبرى للبيهقي: ٣٥٦/٢.



الفصل الثاني

قضية النقد الأدبي وأثر عبد القاهر فيها



إن من أبرز القضايا النقدية التي ورّثها الشيخ عبد القاهر لعلماء البلاغة من بعده هي قضية التذوق الأدبي للنص.

فإذا ما تتبعنا المنهج التحليلي للعلماء الذين سبقوا الشيخ، والذين ألفوا في الإعجاز القرآني، اتضح لنا مذهبه الفرد، وطريقته التذوقية الفذة التي مكنته من التحليل البارع.

فالرماني مثلاً «٣٨٦ هـ» كان يستشهد لكل مسألة بالآية تلو الآية من القرآن الكريم، ونذر أن يستشهد ببيت من الشعر، أو قول مأثور من التراث ما استلزمته الموازنة بين الآية، وما في معناها من كلام العرب^(١).

واستطاع الرماني أن يدرك الأثر النفسي للكلام البليغ^(٢)، فإيجاز الحذف - مثلاً - جميل؛ لأن النفس تذهب فيه كل مذهب^(٣).

وأتبع الرماني في رسالته هذه الأسلوب العلمي المنطقي، فغلب عليه الطابع الكلامي^(٤).

وبين الدكتور أحمد الصاوي أنه ليس في الرسالة تطبيق وتحليل بالمعنى الذي سنجده عند الشيخ عبد القاهر. يقول:

-
- (١) مقدمة ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ١٦.
 - (٢) النقد التحليلي عند عبد القاهر: ٩٢.
 - (٣) النكت في إعجاز القرآن للرماني - ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن -: ٧٧.
 - (٤) مقدمة ثلاث رسائل: ١٧، وانظر كذلك: النقد التحليلي: ٩٢.

«وما أظن بعد هذا العرض أن الرسالة تطبيقاً وتحليلاً بالمعنى الذي سنراه عند عبد القاهر»^(١).

وقد أدرك الخطابي «٣٨٨ هـ» كذلك التأثير النفسي للقرآن، وصنيعه بالقلوب.

ومن الطريف في رسالته تحليله لبعض النصوص تحليلاً فنياً يفصح عن ذوق خبير بأسرار الجمال في الكلام^(٢).

ورأى الدكتور أحمد الصاوي أن تحليلاته لهذه الشواهد لا يمكن أن تكون هيكلاً لدراسة تحليلية أو طريقة متميزة واضحة الأسس، والمعالم؛ لأنها شواهد محدودة جداً، ولكن كان بالإمكان أن تكون دراسته مجدية خاصة وأنه وقف عند معنيين مهمين هما «الجمال» و«الجلال» وأثرهما في النفس الإنسانية. فعبر عن الجلال في الأثر الفني بالرصانة والجزالة والفخامة والمتانة، وعن «الجمال» بالعدوبة والسهولة، والسلاسة، وكذلك أدرك طبيعة الإبداع الفني، فتحدث عن المعاناة التي يعانها مبدع العمل الفني^(٣).

أما عن منهج الشيخ الباقلاني في التحليل، فقد تعمد أن يسوق نماذج من الشر والشعر البليغ مظهراً التمايز الذي بينها، وقد قام بدراسة قصيدتين كاملتين هما معلقة أمريء القيس «قفا نبك» وقصيدة البحتري «أهلاً بذككم الخيال المقبل» قاصداً إلى إثبات أن هاتين القصيدتين على الرغم من أنهما من مختار الشعر العربي يعتورهما الفتور والخلل كما يعتور الكلام البشري كله، وبهذا التحليل أثبت أن نظم القرآن متميز عن النظم البشري، فلا نجد فيه شيئاً من الفتور، أو النقص، ورأى الدكتور محمد أبو موسى أن الشيخ الباقلاني في سبيل إثبات قضيته قد تجنى على الشعر، وكدر صفوه، وأنه كان بالإمكان أن تظهر القضية دون ميل أو تعسف. قال:

(١) النقد التحليلي: ٩٢.

(٢) مقدمة ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ١٤.

(٣) النقد التحليلي: ٩٣.

«... وهذا تفكير مستقيم، واستدلال جيد، وكان تحقيقه ممكناً دون حاجة إلى الميل على الشعر، ولكن الباقلاني مال وجنف وألح على تكدير صفو الشعر، وتحايل، وتكلف، وتعمل، وجانب. وكان ذوقه يغلبه أحياناً، فيوقفه قسراً عند المستجاد البارع»^(١).

ورأى الدكتور أحمد الصاوي أن تحليلات الباقلاني تحليلات سطحية بعيدة عن روح الموضوعية، وهي ذوقية بحتة. قال:

«... ونظرة في تحليله نرى أنه اتسم بالسطحية دون العمق، فكلام أمريء القيس في نظره غير بديع، وبعضه حشو، وفيه تناقض وركاكة وتأنث في التعبير، كل ذلك دون أن يذكر تعليلاً أو يوضح سبباً لأحكامه هذه، ولذا فقد تقوض بنيان تحليله، وصار شكلياً، وذوقياً بحثاً بعيداً عن روح الموضوعية»^(٢).

وكذلك يرى الدكتور إحسان عباس أن طريقة الباقلاني التحليلية غير سليمة النتائج.

«وهذا المنهج الذي سار فيه الباقلاني أعني تحليله للقصيدة الواحدة، وبيان مبلغ التفاوت فيها غير سليم النتائج لأنه يوحى بالموازنة بين شيئين متباعدين رغم أن الباقلاني حاول جاهداً أن ينفي الموازنة بقوله:

«إن الكلام في الشعر لا يجوز أن يوازن به القرآن»^(٣).

وإنما تأتي خطورة هذا المنهج من محاولة بسط حديث إيجابي عن حقيقة الإعجاز، وقد قلنا في غير هذا الموطن أن تبين النواحي السلبية أمر سهل، فأما تقرير الصفات الإيجابية، فإنه شيء بالغ الصعوبة، ولهذا لا أرى الباقلاني جاء بشيء ذي بال، وهو يحاول أن يبين خصائص الآيات القرآنية التي درسها»^(٤).

(١) الإعجاز البلاغي: ٢٨٤.

(٢) النقد التحليلي: ٩٥.

(٣) إعجاز القرآن: ٢١٥.

(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٣٥٣.

ويبدو لي أنه على الرغم مما قيل فيه من آراء، فإن للشيخ الباقلاني تحليلاته البارة التي تكشف عن ذوق خبير متمرس.

أما الشيخ عبد القاهر فقد ترك للنقاد أروع طريقة تمكنهم من التذوق السليم، والنقد الهادف البناء تلك هي فكرة النظم التي بنى عليها كتابه «الدلائل»، والتي تُعد حقيقة منهجاً تحليلياً رائعاً في نقد الآثار الأدبية، وإن لم يكن هو مبتكر هذه النظرية وإنما يعتبر صاحبها؛ لأنه وسع مدلولها، ومدّ آفاقها، وبسط القول فيها، وقعد لها القواعد واستنبط لها الأصول. ودعمها بالشواهد.

فمعظم النظريات الخالدة في العلم لا تعدم أن تجد لها سوابق في إشارات المتقدمين وكتاباتهم، ولكن الفكرة التي تستحق اسم نظرية هي ما كان لصاحبها فضل عرضها وتحقيقها، وتعليلها، واستقراء أمثلتها، وإزالة ما يعرض لها من شبهات، ومحاولة تطبيقها في ميدان الدراسة الخاصة^(١).

فنظرية الشيخ تدعو النقاد إلى عدم الوقوف عند حدود اللفظ بل على الناقد البصير أن ينظر في العلاقات اللغوية التي تربط بين هذه الألفاظ، فاللغة عنده ليست مجموعة ألفاظ إنما هي مجموعة من العلاقات.

يقول:

«اعلم أن هنا أصلاً أنت ترى الناس فيه في صورة من يعرف من جانب وينكر من آخر، وهو أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة، لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد...»^(٢).

فالنقد القائم على إدراك العلاقات بين الألفاظ هو منهج علمي موضوعي؛ لأن الناقد في هذه الحالة ليس مجرد مستمتع بالأثر الفني، أو ناقل للإحساس الذي يشعر به، وإنما هو ناقد يعطيك الأسباب المعقولة لاستمتاعك، وذلك بما

(١) من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده: ١٢٤.

(٢) الدلائل، رضا: ٤١٥، خفاجي: ٤٩٥، شاکر: ٥٣٩.

يحلله من عناصر وما يكشفه من خصائص لا تخرج عما هو بين أيدينا من علاقات لغوية، وما دمنا دائماً مرتبطين بما أمامنا من علاقات أو سمات، فإن أحكامنا ستكون بالضرورة موضوعية، ومن ثم صادقة ونافعة^(١).

وهذا المنهج اللغوي الذي انتهجه الشيخ في نقد النصوص وتذوقها لاقى رواجاً وإقبالاً عند كثير من النقاد المحدثين.

فيرى الدكتور محمد مندور أن هذا المذهب الذي نادى به الشيخ يشهد لصاحبه بالعبقريّة المنقطعة النظير، وهو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة الحديث. يقول:

«وفي الحق أن عبد القاهر قد اهتدى في العلوم اللغوية كلها إلى مذهب لا يمكن أن نبالغ في أهميته مذهب يشهد لصاحبه بعبقريّة لغوية منقطعة النظير، وعلى أساس هذا المذهب كون مبادئه في إدراك «دلائل الإعجاز».

مذهب عبد القاهر هو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه، هو مذهب العالم السويسري الثبت فرناندي سوسير^(٢)... ونحن لا يهمنا الآن من هذا المذهب الخطير إلا طريقة استخدامه كأس لمنهج لغوي «فيولوجي» «في نقد النصوص»^(٣).

ويقول في موضع آخر:

«... هذا المنهج الذي وضعه عبد القاهر الجرجاني، خليق بأن يجدد فهمنا لتراثنا الأدبي كله، وإذا لم يكن بد من تدريس شيء نسميه البلاغة، فلتكن بلاغة «دلائل الإعجاز»^(٤).

(١) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي: ٣٧١.

(٢) ت: ١٩١٣ م.

(٣) النقد المنهجي عند العرب: ٣٣٣ - ٣٣٤.

(٤) النقد المنهجي عند العرب: ٣٣٩.

ويرى أنه باستطاعتنا تعميم هذا المنهج في أعمالنا النقدية ونحن مطمئنون لأنه أساس لغوي فقهي. يقول:

«وأما فلسفة عبد القاهر فتلك قد وضعت أساساً عاماً للنقد هو الأساس الوحيد الذي نستطيع أن نطمئن إلى تعميمه في عصرنا الحالي لأنه أساس لغوي فقهي، وتلك هي أصح نظرة في نقد النصوص، ولقد فرع عبد القاهر عن فلسفته مقياساً عاماً في النقد هو النظر في نظم الكلام نظراً يؤدي ما نريد من معان على خير وجه وأجمله»^(١).

ويرى الدكتور بدوي طبانة أن البيان العربي لم يظفر بمثل هذا الأسلوب التحليلي المتعمق في أية مرحلة من مراحل حياته. وأن القول الأكثر واقعية هو أن نقول بأن الشيخ عبد القاهر هو واضع أسس المنهج التحليلي لا أن نقول بأنه واضع أساس علم المعاني.

يقول الدكتور بدوي طبانة:

«والواقع أن البيان العربي لم يظفر بمثل هذا الأسلوب التحليلي الذي فيه مثل هذا البحث العميق، والاستقصاء الدقيق في أية مرحلة من مراحل حياته، وهذه الدراسة في حقيقتها دراسة نقدية عملية لأساليب التعبير، وبيان الصحيح منها والفاقد، والقوي والضعيف أكثر منها دراسة نظرية قاعدية بلاغية.

حقاً إن عبد القاهر لم يهمل القاعدة أساساً للدراسة، ولكن تلك القاعدة تزوي وتضاعل أمام هذا البحث العملي المتسع الأطراف، وتعود فلا تجد أمامك إلا أصداء لهذا الفكر المنظم تملك عليك جهات الحسن والذوق، وتعمل ذهنك حتى تستطيع أن تسير هذا التيار العقلي الذي يكشف لك عن المعاني التي أوغل في تبينها هذا الذهن العميق الكبير، ولا يسعك إلا التسليم بهذا التفكير الصحيح، والمنطق السليم»^(٢).

(١) المرجع السابق: ٣٣٣.

(٢) البيان العربي: ١٧٦.

ثم يقول:

«ولعل من الصواب أن يُقال إن عبد القاهر وازع أسس المنهج التحليلي في دراسة البيان أو المعاني العقلية ومسايرة العبارات لها ودالاتها عليها.

ولعل هذا القول أكثر صدقاً، وأكثر تقريراً للواقع من القول بأن عبد القاهر وازع أسس علم البيان أو وازع أسس علم المعاني بالمعنى الاصطلاحي الذي لا يعرف الناس سواه، وقد رأينا أن عبد القاهر، وهو رجل المعنى والفكر والمنطق لم يتخل عنه الذوق الأدبي الذي يسير بالقارئ نحو تلمس صفات الجمال في العمل الأدبي وذلك حيث لا تُجدي القاعدة ولا ينفع القياس»^(١).

فالشيخ عبد القاهر إذاً لم يكتف بالمطالبة والمناداة بموضوعية الذوق بل رأيناه، وهو يسعى جاهداً في تقويم الذوق البلاغي ليكون ذوقاً موضوعياً ووسيلة مشروعة للمعرفة.

وهنا نقف لتساءل ما حظ الشيخ من هذه الموضوعية التي نادى بها؟ وهل كان متذوقاً موضوعياً في جميع الشواهد التي تطرق إليها؟

يرى الدكتور السيد الصاوي أن الشيخ عبد القاهر قد وفق إلى منهج تحليلي، وأنه استطاع أن يطبق منهجه على كل ما أدلى به من أحكام، وأنه كان يتلمس الأسباب والعلل لكل حكم يدلي به.

يقول:

«وعلى هذا الأساس من هذا الإيمان مضى عبد القاهر وفق منهج تحليلي لغوي في كتابه دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة يتلمس الأسباب الجمالية والعلل المختلفة لكل حكم يدلي به ولكل رأي يقوله، ليثبت بكل ما يستطيع من قوة أنه من واجب الناقد أن يعلل لكل ما يصدره من أحكام»^(٢).

ويبدو لي من خلال معايشتي لكتاب عبد القاهر، واطلاعي على تحليلاته

(١) البيان العربي: ١٧٧.

(٢) النقد التحليلي: ٣٨٤.

للسواهد التي ضمنها كتابه أن الشيخ على الرغم من مطالبته بوجوب التعليل لكل حكم نصدره لم يلتزم بهذا المنهج بل نراه يميل كثيراً على الأريحية والذوق الخاص.

وسأعرض الآن بعض الأمثلة التي تؤيد ما ذهبت إليه. من ذلك قوله:

«ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر، كلفظ «الأخدع» في بيت الحماسة: تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُني وَجَعْتُ مِنَ الإِصْغَاءِ لَيْتاً وَأُخْدَعَا
وبيت البحتري:

وَإِنِّي وَإِنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الْغِنَى وَأَعْتَقْتُ مِنْ رِقِّ الْمَطَامِعِ أُخْدَعِي
فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن، ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام:

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أُخْدَعِيكَ فَقَدْ أَضْجَعْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ
فتجد لها من الثقل على النفس، ومن التنغيص والتكدير، أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة، ومن الإيناس والبهجة»^(١).

فكل ما فعله الشيخ هنا أنه وضع أيدينا على موطن الحسن، وموطن القبح، فلفت الأنظار إلى أن ها هنا فرقاً في استعمال لفظة «الأخدع» فهي في بيت الحماسة، وبيت البحتري لها مزية وحسن، إلا أنه لم يبين لنا وجه ذلك الاستحسان، ولم يعلل لنا سبب الروح والخفة، والإيناس والبهجة.

وهي في بيت أبي تمام ثقيلة على النفس، ولكن لم يظهر وجه ذلك الثقل وسبب ذلك التنغيص والتكدير.

وفي موضع آخر يقول:

(١) الدلائل، رضا: ٣٨ - ٣٩، خفاجي: ٩٦، شاعر: ٤٦ - ٤٧.
وانظر كذلك الدلائل، شاعر: ٤٧ - ٤٨، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩.

«ومن سر هذا الباب أنك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في عدة مواضع، ثم ترى لها في بعض ذلك ملاحظة لا تجدها في الباقي، مثال ذلك: أنك تنظر إلى لفظة «الجسر» في قول أبي تمام:

لَا يَطْمَعُ الْمَرْءُ أَنْ يَجْتَابَ لُجَّتَهُ بِالْقَوْلِ مَا لَمْ يَكُنْ جِسْرًا لَهُ الْعَمَلُ

وقوله:

بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْعُظْمَى فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التُّعَبِ

فترى لها في الثاني حسناً لا تراه في الأول، ثم تنظر إليها في قول ربيعة الرقي:

قُولِي نَعَمْ، وَنَعَمْ إِنْ قُلْتَ وَاجِبَةً قَالَتْ عَسَى، وَعَسَى جِسْرٌ إِلَى نَعَمْ

فترى لها لطفًا وخلاصة وحسناً ليس الفضل فيه بقليل^(١).

فهو هنا قد ذكر أن في لفظة «الجسر» في بيت أبي تمام الثاني ملاحظة لا تجدها في الأول، ولكنه لم يعمل سبب تلك الملاحظة، وذكر أن للفتحة «جسر» في بيت ربيعة الرقي لطفًا وحسناً وخلاصة لا نجدها في البيتين السابقين، ولكن ما سبب هذا اللطف، وهذه الخلاصة؟ وما سبب هذا التفوق والتائق للفتحة في البيت الثالث عنها في البيتين الآخرين؟ هذا ما لم يتطرق إليه الشيخ.

وكثيراً ما يكتفي الشيخ بالظواهر النحوية سبباً للجودة أو الرداءة من غير أن يبين الأسرار التي تكمن وراء تلك الظواهر.

انظر إلى تعليقه على قول البحري:

بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَعَى فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيبَا
هُوَ الْمَرْءُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَا تْ عَزْمًا وَشَيْكًا وَرَأْيَا صَلِيْبَا
تَنْقُلُ فِي خُلُقِي سُؤْدِدٍ سَمَاحًا مُرَجًى وَبَاسًا مَهِيْبَا
فَكَالسَّيْفِ إِنْ جِثَّتْهُ صَارِخَا وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِثَّتْهُ مُسْتَشِيْبَا

(١) الدلائل، رضا: ٦٢، خفاجي: ١٢٠ - ١٢١، شاعر: ٧٩/٧٨ وانظر كذلك ٨٥ - ٨٦.

فإذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك، ووجدت لها اهتزازاً في نفسك، فعُدْ فانظر في السبب واستقص في النظر، فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدّم وأخر، وعرف ونكر، وحذف وأضمر، وأعاد وكرر، وتوخى على الجملة وجهاً من الوجوه التي يقتضيها «علم النحو»، فأصاب في ذلك كله، ثم لطف موضع صوابه، وأتى مأتى يُوجب الفضيلة»^(١).

وهكذا اكتفى الشيخ عبد القاهر بإبراز الظواهر النحوية التي كانت سبباً في روعة هذه الأبيات. ويبدو لي أن وراء هذا التعليق السريع معاني عظاماً لو أن الشيخ أظهرها للقارئ لشعر بروعة النظم، وعرف قيمة النحو في ربط المعاني وإبراز الصور.

وكذلك انظر إليه وهو يعلق على قول الشاعر (زياد بن حنظلة التميمي):
 تَمَنَّا لِيَلْقَانَا بِقَوْمٍ تَخَالُ بَيَاضَ لَأَمِهِمُ السُّرَابَا
 فَقَدْ لَأَقَيْتَنَا فَرَأَيْتَ حَرْباً عَوَاناً تَمْنَعُ الشَّيْخَ الشُّرَابَا
 حيث قال:

«انظر إلى موضع «الفاء» في قوله:
 فَقَدْ لَأَقَيْتَنَا فَرَأَيْتَ حَرْباً»^(٢)

وكان الجدير بالشيخ أن يبين الأسرار البلاغية التي تكمن وراء «الفاء»، ويظهر الدور الذي قامت به في ربط أجزاء الصورة واثتلاف النظم، وما نتج عن ذلك من طرب وهزة نفسية.

ونراه كثيراً ما يكتفي بتعليقات النحاة من غير أن يضيف إليها شيئاً جديداً ومن ذلك معظم ما أورده في باب الحذف^(٣).

(١) الدلائل، رضا: ٦٧ - ٦٨، خفاجي: ١٢٦، شاکر: ٨٥.

(٢) الدلائل، رضا: ٧١، خفاجي: ١٢٩، شاکر: ٨٩.

(٣) الدلائل، «انظر باب الحذف»، رضا: ١١٢ - ١٣١، خفاجي: ١٧٨ - ١٩٨، شاکر:

١٤٦ - ١٧٢.

وأحياناً نجد له تعليقات فيها عموم وعدم تحديد، ومن ذلك تعليقه على قول زياد الأعجم حيث قال:

«ومما أتى في هذا الباب مأتى أعجب مما مضى كله قول زياد الأعجم: وَإِنَّا وَمَا تُلْقِي لَنَا إِنْ هَجَوْتَنَا لَكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرَقُ وإنما كان أعجب، لأن عمله أدق وطريقه أغمض، ووجه المشكلة فيه أغرب»^(١) وكثيراً ما يتردد مثل قوله:

«فمن لطيف ذلك ونادره»^(٢)، «ومن اللطيف النادر»^(٣).

وقوله: «ومن جيد الأمثلة»^(٤)، وقوله: «ومن بارع ذلك ونادره»^(٥). وقوله «وإن أردت أن تسمع في هذا المعنى ما تسكن النفس إليه سكون الصادي إلى برِّ الماء فاسمع قوله...»^(٦).

وأحياناً يحيل الشيخ الحكم على ذوق القارئ وإحساسه، فبعد أن عرض عدة أبيات في حذف المبتدأ قال:

«فتأمل الآن هذه الأبيات كلها، واستقرها واحداً واحداً، وأنظر إلى موقعها في نفسك، وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها، ثم فليت النفس عما تجده، وألطف النظر فيما تُجسُّ به، ثم تكلف أن تردَّ ما حذف الشاعر، وأن تخرجه إلى لطفك، وتوقعه في سمعك، فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت، وأن رُبَّ حذفٍ هو قلادة الجيد، وقاعدة التجويد»^(٧).

وكثيراً ما نجده يسرد لنا أبياتاً من غير أن يعلق عليها، ومن ذلك ما نجده

(١) الدلائل، رضا: ٧٦، خفاجي: ١٣٤، شاکر: ٩٦.

(٢) الدلائل، رضا: ١٢٥، خفاجي: ١٩٢، شاکر: ١٦٣.

(٣) الدلائل، رضا: ٣٥٥، خفاجي: ٤٢٥، شاکر: ٤٦٢.

(٤) الدلائل، رضا: ١١٧، خفاجي: ١٨٤، شاکر: ١٥٢.

(٥) الدلائل، رضا: ١٢٢، خفاجي: ١٨٩، شاکر: ١٥٨.

(٦) الدلائل، رضا: ١٤٢، خفاجي: ٢١٠، شاکر: ١٨٤.

(٧) الدلائل، رضا: ١١٦، خفاجي: ١٨٣، شاکر: ١٥١.

في فصل الموازنة الذي عقده في آخر الكتاب، فهو لم يحلل من أصل ستة وخمسين موازنة إلا موازنة واحدة تحليلاً وافياً، واكتفى في موازنة أخرى بالإشارة إلى مكان المزية فقط، فالموازنة التي قام بتحليلها هي تلك التي كانت بين قول النابغة:

إِذَا مَا غَزَا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
جَوَانِحَ قَدْ أُيْقِنَ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَقَى الصَّفَانِ أَوَّلُ غَالِبِ

وبين قول أبي نواس: (المقصود البيت الأخير).

وَإِذَا مَجَّ الْقَنَا عَلَقاً وَتَرَأَى الْمَوْتَ فِي صُورِهِ
رَاحَ فِي يُنْسِي مُفَاضَّتِهِ أَسَدٌ يَذْمَى شَبَابَ ظُفْرِهِ
تَتَأَيَّى الطَّيْرُ غَدَوَتَهُ ثِقَّةٌ بِالشُّبْعِ مِنْ جَزَرِهِ

قال مظهراً الفرق بين الصورتين:

«ثم إن الأمر ظاهر لمن نظر في أنه نقل المعنى عن صورته التي هو عليها في شعر النابغة إلى صورة أخرى، وذلك أن ههنا معنيين:

أحدهما: أصل، وهو: علمُ الطَّيْرِ بأن الممدوح إذا غَزَا عدوًّا كان الظفرُ لهُ، وكان هو الغالب.

والآخر فرْع، وهو: طَمَعُ الطَّيْرِ في أن تَسْعَ عليها المطاعم من لحوم القتلى، وقد عَمَدَ النابغة إلى «الأصل» الذي هو علم الطَّيْرِ بأن الممدوح يكون الغالب، فذكره صريحاً، وكشف عن وجهه، واعتمد في «الفرع» الذي هو طمعها في لحوم القتلى، وأنها لذلك تحلق فوقه على دلالة الفحوى.

وعكس أبو نواس القصة، فذكر «الفرع» الذي هو طمعها في لحوم القتلى صريحاً، فقال كما ترى:

ثِقَّةٌ بِالشُّبْعِ مِنْ جَزَرِهِ

وعوَّل في «الأصل» الذي هو علمها بأن الظفر يكون للممدوح على

الفحوى، ودلالة الفحوى على علمها أن الظفر يكون للممدوح هي في أن قال:
«مِنْ جَزَرِهِ».

وهي لا تثق بأن شبعها يكون من جَزَرِ الممدوح حتى تعلم أن الظفر يكون
له، أفيكون شيء أظهر من هذا النقل عن صورة إلى صورة^(١).

أما الموازنة الثانية التي اكتفى بالإشارة إلى موضع الحسن تلك التي عقدها
بين قول الخارجي:

أَقَابِلُ الْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ بِيَدِ تُقَرُّ بِأَنَّهَا مَوْلَاتُهُ
مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاءَهُ فِي الصَّفِّ وَاحْتَجْتُ لَهُ فَعَلَاتُهُ
وَتَحَدَّثَ الْأَقْوَامُ أَنَّ صَنَائِعَاءَ غُرِسَتْ لَدَيَّ فَحَنَظَلْتُ نَخْلَاتُهُ

حيث قال معلقاً على البيتين:

«ومن هذا الذي ينظر إلى بيت الخارجي، وبيت أبي تمام، فلا يعلم أن
صورة المعنى في ذلك غير صورته في هذا؟

كيف والخارجي يقول:

وَاحْتَجْتُ لَهُ فَعَلَاتُهُ»

ويقول أبو تمام:

«إِذَنْ لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرِفُهُ عِنْدِي»

ومتى كان احتجّ و«هجا» واحداً في المعنى؟^(٢).

ولقد أخذ بعض النقاد المعاصرين على الشيخ مثل هذه المآخذ ومن هؤلاء
الدكتور أحمد أحمد بدوي الذي عاب على الشيخ وقوفه عند المعاني النحوية من
غير أن يتخطاها إلى معرفة سر جمالها ورأى أنه كان من الواجب عليه أن يقنع

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٥، خفاجي: ٤٥٨، شاكِر: ٥٠٢.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٨٩، خفاجي: ٤٦٢، شاكِر: ٥٠٧.

القارىء بسر النظم في كل ما أورده؛ لأن ذلك هو الأساس الذي بنى عليه الكتاب. يقول:

«وإذا كان لنا ما نأخذه على عبد القاهر، فذلك هو أنه لم يقف عند معاني النحو يبين أسرارها ووجوه جمالها، في معظم ما عرضه من الأمثلة، فإذا كان قد ذكر فيما جاء به من الأمثلة أن النظم هو توخي معاني النحو، فإنه لم يشرح معنى هذا التوخي، ولا سر جماله.

وإذا كان عبد القاهر يريد أن يقنعنا بأن النظم هو توخي معاني النحو، وأن مراتب البلاغة تتفاضل من أجله، فإن واجباً عليه أن يرينا سر جمال النظم، وأن يجعلنا نشعر بحسنه وفضيلته.

أفليت شعري أكانت المسألة من الوضوح عند عبد القاهر إلى درجة لا تحتاج منه إلى شرح ولا تبين؟ مع أن ذلك هو الهدف الذي من أجله أُلّف ذلك الكتاب؟ وكان من الواجب أن يكون موضع العناية والرعاية، ليقنع القارىء بفكرته، أفهل يقتنع منكر الإعجاز بأن نقول له: إن هذه الكلمة مبتدأ وتلك خبر عنها، وهذا فعل، وذلك فاعل له؟^(١).

«وقد أخذ عليه الدكتور محمد زكي العشماوي اعتماده في شرح نظريته على الأبيات والشواهد المبتورة. وفي ذلك يقول:

... ولكن هل استطاع عبد القاهر بدعوته لهذا المنهج أن يستغل كل إمكاناته؟

لا نستطيع، ونحن نجيب على هذا السؤال أن نزعم بأن عبد القاهر قد استفاد من هذا المنهج، بالقدر الذي استفاد منه المحدثون من النقاد المعاصرين...

كما لا ننسى أن الجمال التطبيقي الذي دار فيه عبد القاهر كان محدوداً إلى حد كبير بالأبيات المحدودة، وبالجمال والشواهد المبتورة، ولم يتناول بالتحليل

(١) عبد القاهر الجرجاني، أحمد أحمد بدوي: ١١٦ - ١١٧.

الآثار الفنية الكاملة التي تحتاج إلى ربط العمل الفني بشخصية الفنان، وإنتاجه من ناحية، وشخصية المعاصرين له، وإنتاجهم من ناحية أخرى، ثم ربط هذا كله بالتطور الفني عبر العصور.

لا نستطيع أن نزعم بأن عبد القاهر قد حقق شيئاً من هذا، ولكنه مع ذلك قد وضع الأساس الصالح للمنهج اللغوي الذي كان يستحق لو عني به، وصادف من يدرك قيمته، وأثره في دراسة الأدب ونقده أن تتضافر الجهود في العناية به، وأن يواصل نموه وتطوره حتى يستفاد منه في درس الأدب على نحو أكمل»^(١).

وقد ذهب الدكتور أحمد عبد السيد الصاوي إلى ما ذهب إليه الدكتور محمد زكي العشماوي فقال:

«والملاحظ في منهج عبد القاهر أنه لم يتحدث عن الوحدة بهذا المعنى في نص كامل، وهو ما كنا ننتظره منه، ولكنه اعتمد على إيراد الأبيات المفردة في كل تعليقاته وفحوصه النقدية، وهو بذلك قد ضيق مجال التحليل الفني للنصوص رغم أنه أطول باعاً من غيره محللاً متذوقاً في إطار نظريته في النظم»^(٢).

وقد أخذ الدكتور بدوي طبانة على المنهج التحليلي للشيخ أنه أنكر الدور الجمالي للكلمة المفردة، ولم ير الجمال إلا في التركيب والنظم، قال:

«... ولكن عبد القاهر يذهب مذهباً آخر في البحث البياني، وينظر نظرة لا تعرف إلا الكل نظاماً مستوي الأجزاء كامل الصفات، وتكرر مكان الجزء إنكاراً واضحاً، ويصرح بأن هذا الجزء لا أثر له في بناء العمل الأدبي»^(٣).

وكذلك رأى الدكتور مصطفى ناصف أن الشيخ عبد القاهر قد أغنى الدور الموسيقي للكلمات، وأن فقدان هذا العنصر عند الشيخ ليس أكثر من فقدان

(١) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث: ٣٧٢.

(٢) النقد التحليلي: ٢٤٠.

(٣) البيان العربي: ١٦٩.

رونق خارجي لا يؤثر في روح المعنى وإمكاناته الحقيقية أو الأساس ، ولذا كان بحث عبد القاهر غريباً على آذان المحدثين . وفي ذلك يقول :

«... إن الباحثين يربطون بين نظام الكلمات وموسيقى الشعر، والموسيقى في نظر الباحثين المتقدمين جميعاً، ومن بينهم عبد القاهر، ضرب من التنظيم السار الخالي من الدلالة على الرغم من هذا النشاط العصبي أو الوجداني الذي يصحبه، ومن هنا ظلوا يعتبرونها زينة أو عنصراً خارجياً عن المعنى، وكان المتعة التي يجدها سامع الشعر أو العبارات ذات الوزن، أو الإيقاع لا رصيد لها من المعنى. ولذلك اعتبر تنظيم الكلمات تنظيماً موسيقياً ومعنى هذا التنظيم شيئاً اثنين، وأمكن الفصل بين المعنى والشكل على حد العبارات الحديثة. وكان فقدان الإيقاع أو الموسيقى أو الجمال اللفظي ليس أكثر من فقدان رونق خارجي لا يؤثر في روح المعنى وإمكاناته الحقيقية أو الأساسية. ومن أجل ذلك خُيِّل إلى عبد القاهر أن من الممكن أن يُدرس نظام الكلمات في الشعر بمعزل عن الموسيقى، ومن أجل ذلك يبدو بحث عبد القاهر غريباً على آذان المحدثين أو عقولهم»^(١).

وقد اعتذر الدكتور أحمد عبد السيد الصاوي للشيخ فرأى أنه حقيقة لم يحفل بدراسة موسيقى الوزن والبحور والقوافي «الإيقاع الظاهري» بأكثر من جعله تلاؤم الحروف وسلامة اللفظ مما يثقل على اللسان وجهاً من وجوه الفضيلة بين كلام وكلام؛ وذلك لأنه يرى موسيقى الشعر لا تنبعث من الإيقاع الظاهري وحده، فهناك نغماً عميقاً أكثر فاعلية في إصدار الموسيقى النفسية التي هي محك الصدق الفني عند الشيخ، فالشاعر الصادق فنياً نلمح في شعره تجربته مرتبطة بالوزن؛ لأن الوزن والتجربة يولدان معاً في لحظة واحدة، فالألفاظ تترتب وتتداخل وتتسق وفقاً لحركة النفس فـ«... إنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتاج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ بل تجدها ترتب لك

(١) نظرية المعنى في النقد العربي : ١٤ - ١٥ .

بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق»^{(١)(٢)}.

أما الدكتور محمد زكي العشماوي فرأى أن الشيخ لم ينكر حقيقة دور اللفظ إنكاراً تاماً، ولكنه في صدد دفاعه عن فكرة النظم والصياغة هوت من بين يديه بعض المسائل الهامة، وعلى الأخص مسألة الصوت والوزن، والإيقاع، فهو لم ينس أن الصوت جزء لا يتجزأ من المعنى، فقد أبان عن هذه الحقيقة في الفصول التي حدد بها مفهوم الفصاحة والبلاغة، ولكن الذي يؤخذ على الشيخ أنه في بحثه الطويل، والذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة ومكوناتها الشعرية والمعنوية لم يفسح المجال لدراسة الجانب الصوتي بشكل إيجابي. يقول في ذلك:

«ولكننا على الرغم من اعترازا بهذا الأساس الهام الذي وضعه عبد القاهر لنقد الشعر، وفهم الأدب، والذي التقت فيه فلسفة الفن بفلسفة اللغة، ما نزال نشعر بأن دراسته لوحدة اللغة لم تكن دراسة كاملة تماماً، فقد هوت من بين يديه بعض المسائل الهامة، وعلى الأخص مسألة الصوت والوزن والإيقاع، فقد صرف عبد القاهر كل همه للدفاع عن قضية المعنى وفكرة النظم والصياغة، وأذهله طغيان تيار اللفظية على التفكير النقدي من قبله، فشغله حماسه لإيقاف هذا التيار الجارف عن رؤية بعض ما يتعلق بخصائص اللفظ الصوتية والموسيقية، وأثر هذه الخصائص فيما يحققه الشعر من قيمة ومن أثر.

حقيقة إن عبد القاهر لم ينس أن الصوت والنغم والموسيقى جزء لا يتجزأ من المعنى، فقد أبان عن هذه الحقيقة في الفصول التي حدد بها مفهوم الفصاحة والبلاغة... ولكن الذي نؤاخذ عليه عبد القاهر أنه في بحثه هذا الطويل، والذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة ومكوناتها الشعرية والمعنوية، لم يفسح المجال لدراسة الجانب الصوتي في اللغة ودلالاته على المعنى بشكل إيجابي، فليس من شك

(١) الدلائل، رضا: ٤٤.

(٢) النقد التحليلي: ٣٧٤ - ٣٧٦.

في أن جانباً هاماً من التجربة في الشعر مصدره الصوت والنغم... ولا ينبغي أن نكتفي في منهج لغوي كهذا بالإشارة إلى هذا الجانب مجرد إشارة بل إن الموقف كان يحتم على عبد القاهر أن يكشف علاقة الأصوات باللغة ووظيفتها في أداء المعنى، وعلى الأخص أنه متهم لفرط حماسه وغيرته على تأكيد الوحدة بين اللفظ والمعنى، بإغفاله جانب اللفظ وإنكاره لقيّمته من حيث هو صوت مسموع. ومع إيماننا بأن اللفظ المفرد مجرد أداة اصطلاحية أو إشارة أو صوت، وأنه يحتمل مئات المعاني، ومن ثم فلا معنى له، ومع إيماننا بأن اللفظ المفرد لا يكتسب قيمته الصوتية أو الشعورية إلا إذا جاء في شكل سياق إلا أننا لا نذهب إلى إنكار قيمته الصوتية في الشعر جملة، كما أننا لا ينبغي أن نكتفي بمجرد الإشارة إلى أن الصوت جزء من المعنى بل ينبغي أن نحدد طبيعة العلاقات الإيجابية بين الأصوات ومعانيها^(١).

ويبدو لي أن الشيخ عبد القاهر لم ينكر دور اللفظ إنكاراً تاماً - كما ذهب الدكتور بدوي طبانة - ولم يكن تركه الحديث عن اللفظ غفلة منه وإهمالاً، وإنما انصرف عنه لأسباب منها: أن دور اللفظ عند الشيخ أمر مسلم به ولا يشك فيه شاك، يقول في ذلك:

«واعلم أنا لا نأبى أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلاً فيما يوجب الفضيلة، وأن تكون مما يؤكد أمر الإعجاز، وإنما الذي ننكره ونُقِيلُ^(٢) رأي من يذهب إليه أن يجعله معجزاً به وحده، ويجعله الأصل والعمدة»^(٣).

وقد ذكر في الأسرار السهولة والعذوبة، قال:

«إذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعراً أو يستجيد نثراً، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول: حلو رشيق، وحسن أنيق، وعذب

(١) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث: ٣٢٩ - ٣٣٣.

(٢) قِيلَ رأيه: قَبَّحَهُ وَخَطَّأَهُ. اللسان «فيل»: ٥٣٤/١١.

(٣) الدلائل، رضا: ٤٠١، خفاجي: ٤٥٥، شاكر: ٥٢٢.

سائغ، وخلوب رائع، فاعلم أنه ليس ينبثق عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف، وإلى ظاهر الوضع اللغوي، بل أمر يقع من المرء في فؤاده، وفضل يقترحه العقل من زناده»^(١).

ولعل الشيخ رأى أن العلماء الذين سبقوه أو عاصروه قد اهتموا بشأن اللفظ ودوره الجمالي بالقدر الذي يخدم فكرته، فهذا ابن سنان الخفاجي قد اهتم بالصوت والمقطع واللفظة المفردة، وما لها من صفات ومظاهر جمالية، وألف في ذلك كتابه «سر الفصاحة»، فكان في ذلك غنى للشيخ عن التكرار الذي قد يصرفه عن تحقيق فكرة النظم والصياغة التي بنى عليها كتابه الدلائل.

ومما أخذ على الشيخ أنه كان يميل في منهجه إلى طريقة المتكلمين والفلاسفة، وأن في أسلوبه وُعورة أحالت الكتاب إلى ضرب من الألغاز، وسأتعرض هنا إلى أسلوبه عامة في الكتاب ثم أرى هل سار على نفس الأسلوب والنهج عند تحليله الشواهد؟ أو أنه استطاع أن يجعل القارئ يتذوق تحليلاته في سهولة ويسر؟.

ذكر الدكتور عبد القادر حسين في كتابه «أثر النحاة في البحث البلاغي» أنه مما يؤخذ على الشيخ عبد القاهر كثرة استطراده في غير موجب وميله الدائم إلى طريقة المتكلمين التي تعتمد على الجدل العقلي، والقياس، وأن كثيراً من تحليلاته تنبع من عقل فلسفي يهتم بالفلسفة اللغوية أكثر من اهتمامه بالفلسفة الجمالية.

يقول الدكتور:

«... ولا يرفع عنه هذا الوزر ما قد يقال أنه كان بصدد توطيد نظريته في النظم، وبنائها على أسس من النحو، ولو كان هذا عذراً مقبولاً لكان من الأجدى تغيير الأمثلة والشواهد مع مراعاة الهدف في تأسيس النظرية، ثم إنه كثيراً ما يستطرد في غير موجب... ثم لاحظ ميله - كشأن المتكلمين - إلى الجدل

(١) الأسرار - هـ، ريتز - ٤.

العقلي، والقياس المنطقي، وإحداث أمثلة مصنوعة ليقرب بها الفكرة في بناء النظم، وهو حين يقيم الفروق بين خبر وآخر من أمثلته المصنوعة، كقولك زيد منطلق - وزيد المنطلق - والمنطلق زيد نراها فروقاً عقلية تنبع من عقل فلسفي يهتم بالفلسفة اللغوية أكثر من اهتمامه بالفلسفة الجمالية التي يركز عليها النظم ويطول عماده»^(١).

وكذلك رأى الدكتور مهدي السامرائي أن الشيخ عبد القاهر يلجأ إلى طريقة المتكلمين في الجدل عند التعليل أو البرهنة.
قال:

«يلجأ الإمام عبد القاهر في إثبات النظم للمعاني دون الألفاظ إلى التعليل والبرهنة على طريقة المتكلمين في الجدل»^(٢).

ورأى الدكتور مصطفى ناصف أن أسلوب عبد القاهر ذو جمل طويلة متداخلة جعلته يخفق في إدراك عمود اللغة الفصيحة. قال:

«ويدل أسلوب عبد القاهر الجرجاني على مدى ما يعانيه مؤلف عميق الثقافة. فأسلوبه ذو الجمل الطويلة المتداخلة يصور مدى الكلفة التي يتجشّمها مثقفو تلك العصور، ومدى إخفاقهم في إحراز عمود اللغة الفصيحة»^(٣).

وعلى عكس ذلك ذهب الأستاذ محمد خلف الله أحمد إذ رأى أن أسلوب عبد القاهر قائم على الاستقراء الذوقي، وعلى التحليل العلمي الدقيق من جهة، وأسلوبه يكاد يقرب من أسلوب الكتابة في العصر الحديث قال:

«وأظهر ما يميز أسلوب المؤلف فيهما منهجه الواضح القائم على الاستقراء الذوقي الشامل من جهة، وعلى التحليل العلمي من جهة أخرى حتى لتكاد بحوثة

(١) أثر النحاة في البحث البلاغي: ٤٠٠.

(٢) تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية: ١٦١.

(٣) نظرية المعنى في النقد العربي: ٢٠.

فيهما تقرب - في دقتها وتسلسل مراحلها - من أسلوب العصر الحاضر في بحوثه العلمية»^(١).

وهذا الرأي غير مسلم به في جملة كتابات الشيخ.

ولقد بالغ الدكتور أحمد بدوي حين وصف أسلوب الشيخ بالوضوح والسهولة في جملته.

يقول في رده على رأي بعض الدارسين الذين رأوا في أسلوب عبد القاهر وعورة أحالت كتبه إلى ضرب من الألغاز. قال:

«إن مثل هذه الدراسة تُحيل أمامنا عبد القاهر مزيحاً من الألغاز مع أنه رجل واضح تمام الوضوح، ويعني في كتبه بأن يكون واضحاً لا التواء في أسلوبه ولا غموض»^(٢).

وذهب الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي إلى أن منهج الشيخ في بحوثه البلاغية هو المنهج الأدبي المحض الذي يعتمد على التدقيق والتحليل والدرس. يقول:

«فإن لعبد القاهر منهجاً خاصاً في بحوث البلاغة ودراستها، وهو المنهج الأدبي المحض الذي يعرض فيه الرجل على القارئ الأساليب العربية ويحللها، ويدرسها دراسة فهم وتدقيق ونقد، ويستنبط منها ما يشاء من القواعد والأصول. وعبد القاهر في ذلك يسير وراء الجاحظ إمام العربية والأدب، وشيخ البيان العربي المتوفى عام (٢٢٥ هـ)، وإن كان عصر الجاحظ لم يحوجه إلى وضع قواعد لأصول البيان، كتلك القواعد التي وضعها عبد القاهر»^(٣). وبعد أن يمتدح طريقته في الكتابة القائمة على التدقيق والتحليل يعود فيعترض على طريقته في عرض الأفكار:

(١) من الوجهة النفسية: ١٠٠.

(٢) عبد القاهر، أحمد بدوي: ٤١٥.

(٣) عبد القاهر والبلاغة العربية: ١٣٨.

«ولقد أساء عبد القاهر عرض أفكاره في كتابه الأسرار وكذلك في الدلائل، فخرج تأليفه مشوهاً مضطرباً معاداً مكروراً»^(١).

واعترض الدكتور أحمد بدوي على هذا الرأي، ورأى أن منهج الشيخ لا يمت بصلة إلى الجاحظ، ولا إلى منهجه، فكتاب الدلائل يدور كله حول نظرية واحدة يعرضها، ويشرحها، ويبرهن عليها ويرد الشبهة عنها.

وكتاب الأسرار قد بُوب تبويباً دقيقاً، فهو يناقش تحت كل باب مسائله المختلفة من غير استطراد إلا ما ندر، فهو بعيد عن منهج الجاحظ الذي يعتمد على الاستطراد، والحشد الذي لا تحليل فيه إلا نادراً.

قال في تعليقه على رأي الدكتور محمد خفاجي:

«ويرى المؤلف أن عبد القاهر في ذلك يسير وراء الجاحظ إمام العربية والأدب وشيخ البيان العربي المتوفى عام (٢٢٥ هـ)، ولست أدري كيف يسير عبد القاهر وراء الجاحظ، وكتابه لا يمتان بصلة إلى الجاحظ، ولا إلى منهجه، فكتاب «الدلائل» يدور كله حول نظرية واحدة يعرضها ويشرحها، ويبرهن عليها، ويرد الشبه عنها، وكتاب «الأسرار» مبوب أبواباً دقيقة يناقش تحت كل باب مسائله المختلفة، لا يتجاوزها، ولا يستطرده إلا نادراً جداً، فأين ذلك من منهج الاستطراد والحشد الذي لا تحليل فيه إلا نادراً، وهو منهج الجاحظ»^(٢).

ولي وقفة بسيطة أقفها مع الدكتور أحمد بدوي أناقش فيها رفضه لرأي الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي. وهذا لا يعني موافقتي التامة، وتأييدي المطلق لما ذهب إليه الدكتور خفاجي، إنما رأيت أنه محق في بعض ما ذهب إليه، وأنه لا وجه لرفض رأيه جملة وتفصيلاً كما فعل الدكتور أحمد بدوي. الذي سوف نراه في موضع آخر من كتابه يعود فيؤيد الدكتور خفاجي في بعض ما ذهب إليه ويتخذ كراي خاص له في كتاب الدلائل..

(١) المرجع السابق: ٤٠.

(٢) عبد القاهر، أحمد بدوي: ٤١٠.

فالأوجه التي لا أوافق الدكتور خفاجي عليها هو قوله بأن أسلوب عبد القاهر أدبي محض. وفي هذا الرأي تعميم واضح.

نعم إن أسلوب الشيخ أدبي لاعتماده على الذوق والتحليل الأدبي، ولكنه في نفس الوقت جدلي لاعتماده على المناقشة والبرهنة، واستنباط القواعد والأصول. فكلمة محض لا مكان لها هنا، وخاصة أن الدكتور قرر أن الشيخ كان يحلل ويدرس وينقد ويستنبط القواعد والأصول.

أما ما ذهب إليه من أن الشيخ سار على منهج الجاحظ، فعبارته هنا مطلقة، فهو لم يوضح هل سار على منهج الجاحظ واحتذاه بحذافيره. أو أنه انتهج بعض طرائقه؟ وهل انتهجها في كلا الكتابين أو في أحدهما؟

فإن كان يقصد أنه أخذ منه بعض منهجه في الكتابة كالتكرار، وبسط الفكرة، فأنا أؤيده فيما يذهب إليه، وإن كان يقصد أنه طبق منهج الجاحظ جملة، ولم يخرج عنه فأنا لست معه فيما رآه، لأن الشيخ كان يحلل ويناقش ويتذوق ويستنبط القواعد والأصول. وليس هذا نهج الجاحظ.

ونرى الدكتور أحمد بدوي يعود فيسلم في موضع آخر من كتابه بأن من منهج الشيخ في الدلائل التكرير والاستطراد. وهذا من أسلوب الجاحظ ؟! قال:

«... يبدو في كتاب الدلائل التكرار، وعدم تركيز الأفكار، وعدم التقسيم المحكم للأبواب غالباً، وإنما هي أفكار ترد فيسجلها، وربما يكون قد سبق له شرح بعض هذه الأفكار، أو شرح مثيلاً لها، وكان ينبغي ضم اللاحق إلى سابقه أو زيادة في شرح ما سبق له أن شرحه»^(١).

ولقد ربط بعض الباحثين المنهج العام لأسلوب الشيخ بمنهجه في تحليل الشواهد، فرأى الدكتور مصطفى ناصف أن الشيخ أحال الشعر إلى ما يشبه التعبيرات المنطقية. قال:

(١) عبد القاهر الجرجاني: ٢٩٨.

«أحال عبد القاهر الشعر إلى ما يشبه التعبيرات المنطقية، وفي التعبير المنطقي يكون للوضوح والتحقيق منزلة العليا، ومقاييس التعبير الشعري تجافي - بداهة - مقاييس التعبير المنطقي، ولكن لغة الشعر لم تكن في نظر الباحثين متميزة تميزاً جوهرياً من لغة المنطق أو الجدل، ومن أجل ذلك يلتبس وضوح اللغة في الشعر بوضوح التعبيرات الجدلية أو المنطقية»^(١).

وكذلك رأى أن الشواهد التي استخدمها الشيخ لبيان أهمية المعنى لم تؤدِّ الغرض فكل نشاط الكلمات في دلائل الإعجاز لا ينتهي - على أية حال - إلى مبدأ تعدد المعاني، والسبب في ذلك أن السياق ليس له فاعلية، واللغة ليست مبدعة لمعناها والشاعر ليس مبدعاً.

قال:

«للمعنى في دلائل الإعجاز إتجاه ثابت معلوم، ولذلك يدعي المؤلف إمكان التعبير التام عنه، ووضوح الشعر بداهة لا يخلو من تظليل أبداً، وليس هناك إتجاه واحد في معظم الأحيان، ولكن كل نشاط الكلمات في دلائل الإعجاز لا ينتهي - على أية حال - إلى مبدأ تعدد المعاني والتباس بعضها ببعض، وسبب هذا واضح، فالسياق ليست له فاعلية، واللغة ليست مبدعة لمعناها، والشاعر ليس مبدعاً بالمعنى الدقيق»^(٢).

ثم يذكر أن الناظر في شواهد الدلائل يلحظ شغف الشيخ بفكرة المدح بحيث أصبح المعنى قاصراً على خدمته، فالمدح عنده هو بنية اللغة، وبنية النحو، وبنية الشعر، وبناء المعنى على فكرة المدح لا يمكن أن يعطي النتائج المطلوبة.

قال:

«وإذا أنت قرأت دلائل الإعجاز، وما ورد فيه من شعر، فستجد الشغف

(١) نظرية المعنى في النقد العربي: ٤٩ - ٥٠.

(٢) المرجع السابق: ٥٠.

الشديد بفكرة المديح، كل معنى في النص يكشف على أنه أسلوب في المدح، وأسلوب في الذم، ويصبح المدح هو بنية اللغة، وبنية النحو، إلى جانب كونه بنية الشعر، وكل ما أراده عبد القاهر من تجديد النحو هو أن يتسع صدره لمزيد من التماس هذه الفكرة في أساليب التعبير المألوفة فضلاً على الشعر، وتصبح كل شؤون المعنى في خدمة المدح: خلق نموذج واضح، واستيعاب الكثير من الصفات، وتحقيق هذه الصفات تحقيقاً لا يترك مجالاً كبيراً للشك.

كل أولئك يشغل الناقد كما شغل الشاعر، وهذا واضح، فلم يكن من المنتظر في مثل هذا الجو أن يتضح شيء بجانب فكرة المديح مجانية صريحة حادة، والغريب أننا لا نلتفت إذا قرأنا النحو وفلسفة اللغة التي تتناثر في بعض المؤلفات إلى هذه الظاهرة الهامة، فقد زيفت صورة اللغة تزييفاً شديداً، وجرى الباحثون عن معاني اللغة ونحوها في نفس الأفق الذي جرى فيه النقد.

كل شيء عدا المديح الصرف من الممكن أن يؤول إليه بعد وقت قصير أو طويل.

هذا هو المبدأ الذي يطبقه النقد والمدافعون عن النحو، والمعنيون بشؤون اللغة، والمعنى على الإجمال^(١).

إن نظرة الدكتور مصطفى ناصف هذه فيها عموم، فالشيخ لم يقتصر على المديح ولم يبين تحليلاته عليه فقط. بل نجد هناك أبياتاً في الغزل، وأبياتاً في الوصف، وأبياتاً في الرثاء، ولقد عالج كل أغراض الشعر مع تفاوت في النسبة.

ثم إن نظرة الدكتور هذه نابعة من شغفه بفكرة الرمزية في الشعر، ومناداته بأن يكون التحليل منصباً على الناحية الرمزية. قال:

«يجب أن نعتد على مفهوم الرمز من أجل دحض فكرة الأغراض، ودحض السخافات المتعلقة بوحدة القصيدة بدلاً من أن يدرس الشعر العربي دراسة أغراض علينا أن ندرسه دراسة رموز»^(٢).

(١) نظرية المعنى في النقد العربي: ٥٩ - ٦٠.

(٢) نظرية المعنى في النقد العربي: ١٣١.

ويبدو لي أن تحليل الشعر تحليلاً رمزياً كما يطالب الدكتور مصطفى ناصف، يحيل الشعر ضرباً من الألفاظ، ويجعل فيه نوعاً من الانفصالية، فيفصل الشعر عن عاطفة الشاعر ومراده، مع إبعاد القصيدة عن الجو الذي قيلت فيه، وتصبح النظرة إلى النص معتمدة على نظرة الناقد وشعوره الذاتي نحو النص مع إهمال ذاتية الشاعر، فبدلاً من أن نجد صورة الشاعر مرسومة في شعره، نجد صورة الناقد.

وعلى عكس رأي الدكتور مصطفى ناصف ذهب الدكتور محمد زكي العشماوي إذ أنه رأى أن اللغة عند الشيخ أوثق اتصالاً بالشعر منها بالمنطق. قال:

«والذي يؤكد أن اللغة عند عبد القاهر أوثق اتصالاً بالشعر منها بالمنطق، وأن النحو عنده أكثر ارتباطاً بعلم المعاني والبلاغة منه بالقواعد المنطقية الجامدة التي لا تسمح بأي دور دلالي ثانوي، يؤكد لنا ذلك عناية عبد القاهر بالشعر، واهتمامه به، ودفاعه عنه في الفصل الذي عقده في أول كتابه «دلائل الإعجاز»، واعتقاده أنه الوسيلة إلى بيان أسباب البلاغة والفصاحة، وأنه الطريق إلى بيان إعجاز القرآن»^(١).

ولقد أيدى الدكتور أحمد مطلوب، ورأى أن نظرة الدكتور محمد العشماوي تقترب من بلاغة عبد القاهر ونقده، فهو قد اعتمد على القواعد والأصول، ولكنه لم ينس النزعة الأدبية، والذوق في تحليله، ونظرته إلى الشعر، قال بعد أن ذكر رأي الدكتور العشماوي:

«وفي هذا الرأي اقتراب من بلاغة عبد القاهر، ونقده؛ لأنه اعتمد على القواعد والأصول، ولكنه لم ينس النزعة الأدبية، والذوق في تحليله ونظرته إلى الشعر، وإن كان في «دلائل الإعجاز» أكثر ارتباطاً بالنزعة العلمية؛ لأنه كان يجادل في مسألة الإعجاز، وهي قضية تعتمد على الحجة والمنطق إلى جانب الذوق والإدراك العميق»^(٢).

(١) قضايا النقد الأدبي والبلاغة: ٣٠٦.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، أحمد مطلوب: ٢٤٢.

صحيح أن الشيخ عبد القاهر يطالب بالتعليل والبرهنة، ولكن مطالبته هذه لا تعني أن منهجه معتمد على المنطق، فيبدو لي أن منهجه في تحليل النصوص وأسلوبه في كتابتها بعيد عن المنطق والفلسفة العلمية الجافة. فقط يمكن اعتبار مطالبته بالتعليل والبرهنة هي الطريقة المنطقية، أما كيفية التعليل وكيفية البرهنة، وتناول النص، فهو يعتمد فيها على الذوق والإحساس المرهف.

ورأى الدكتور أحمد مطلوب أنه وإن رأى البعض أن في منهج الشيخ التحليلي بعض القصور إلا أنه في معظم نصوصه يقف محلاً ناقداً مقلباً النص على وجوهه المختلفة باحثاً فيه عن مزاياه، وخصائصه، وعلل مرجع هذا القصور إلى وضوح النص عند الشيخ إلى جانب إيمانه بأن بعض النصوص لا يمكن أن تدرك إلا بالذوق، والتأمل وإجالة الفكر. قال:

«وليس هناك أكثر مما ذكر من الأمثلة وتحليلها، والوقوف على جمالها، وأسرار نظمها، وإذا كان قد قصّر أحياناً، فليس مرجع ذلك إلى وضوحها عنده فحسب، وإنما يرجع بعض قصوره إلى أن منها ما لا يدرك إلا بالذوق، ولا يوقف على حسنها، وميزتها إلا بالتأمل، وإحالة الفكر، وإعادة النظر»^(١).

ومهما قيل عن منهج الشيخ. ومهما يقال، فإن هذه المآخذ اليسيرة التي أخذت عليه لا تغض من مكانته في شيء، ولا تقلل من أهمية نظريته في النظم، فهو عالم ذواقة استطاع بعمق فكره، وسعة ثقافته، ورهافة حسه، وسلامة ذوقه أن يصل إلى كثير من التحليلات البارعة، ويقف على كثير من الأسرار البلاغية المخبوءة في باطن التراكيب.

وفي كتابه الدلائل أمثلة على ذلك، انظر إلى عمق ذوقه عند تحليله لقول الشاعر (المعذل الليثي):

هُم يُفْرِشُونَ اللَّبَدَ كُلَّ طِمْرَةٍ وَأَجْرَدَ سَبَّاحٍ يَبْدُ الْمُغَالِبَا

حيث قال:

(١) عبد القاهر الجرجاني: ٨٣.

لم يرد أن يدعي لهم هذه الصفة دعوى من يفردهم بها، وينص عليهم فيها حتى كأنه يُعرّض بقوم آخرين، فينفي أن يكونوا أصحابها هذا محال، وإنما أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل، وأنهم يقتعدون الجياد منها، وأن ذلك دأبهم من غير أن يعرّض لنفيه عن غيرهم، إلا أنه بدأ بذكرهم لينبه السامع لهم، ويُعلّم بدياً قصده إليهم بما في نفسه من الصفة^(١).

هذا واحد من أمثلة كثيرة لا يسمح لي المقام بإيرادها خشية الإطالة والتكرار؛ لأنها مثبتة في ثنايا البحث.

وقد ضمن الشيخ كتابه الدلائل كثيراً من آرائه النقدية القيمة التي تظهر في تحليلاته للشواهد، وقد تأثر بها المتأخرون تأثراً واضحاً، فضمنوها كتبهم، وكانوا كثيراً ما ينقلونها نقلاً يكاد يكون حرفياً، وفي القليل النادر كانوا يشيرون إلى هذا النقل. وسأظهر في هذا المبحث تأثر السكاكي والقزويني بشواهد الشيخ، وأكتفي بهما لأنهما الرافدان اللذان سقيا كل من جاء بعد الشيخ.

فالناظر في كتاب «الدلائل» وكتاب «المفتاح» و«الإيضاح» لا بد أن يلاحظ ذلك التأثير الشديد بشواهد الشيخ، ففي موضوع «الخبر» ذكر السكاكي «أربعة» شواهد أخذ ثلاثة منها من الشيخ، أما القزويني فلم يذكر غير شواهد الشيخ، وهي:

بَكْرًا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَاجِرِ إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبَكِيرِ

وقد ذكر السكاكي والقزويني قصة أبي عمرو بن العلاء، وخلف الأحمر مع بشار، واختلافهم في البيت^(٢)، ورحج الدكتور «أحمد مطلوب»، أن هذه القصة على الرغم من اشتهاها في كتب الأدب، - وخاصة الأغاني - أخذها السكاكي عن الدلائل لأنه ذكرها في نفس موضع الشيخ. قال:

«ومع أن كتب الأدب، ولا سيما كتاب «الأغاني» قد ذكرت هذه القصة في

(١) الدلائل، رضا: ١٠٠، خفاجي: ١٦٥ - ١٦٦، شاعر: ١٢٩.

(٢) الدلائل، رضا: ٢٧٢، المفتاح: ٧٥، الإيضاح: ٩٥.

أخبار بشار بن برد إلا أننا نرجح أن السكاكي نقلها عن الجرجاني، وذلك لأنه استشهد بها في الموضوع الذي استشهد بها الجرجاني نفسه^(١).

الشاهد الثاني:

فَغَنُّهَا وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْحُدَاءُ^(٢)

ونسبه الشيخ لبعض العرب، وأخذ القزويني نفس عبارته:

«وقول بعض العرب».

والبيت الثالث:

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضاً رُمَحَهُ إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحٌ^(٣)

ويتضح في هذا الشاهد نقل القزويني لتحليل الشيخ نقلاً يكاد يكون حرفياً، انظر إلى قول الشيخ:

«يقول: إن مجيئه هكذا مدلاً بنفسه وبشجاعته قد وضع رمحه عرضاً دليل على إعجاب شديد، وعلى اعتقاد منه أنه لا يقوم له أحد حتى كان ليس مع أحد منّا رمح يدفعه به، وكأنّا كُلُّنَا عُزْلٌ»^(٤).

ثم تأمل قول القزويني:

«إن مجيئه هكذا مدلاً بشجاعته قد وضع رمحه عرضاً دليل على إعجاب شديد منه، واعتقاد أنه لا يقوم إليه من بني عمه أحد كأنهم كلهم عُزْلٌ ليس مع أحد منهم رمح»^(٥).

وفي موضوع «حذف المسند إليه» ذكر الشيخ خمسة عشر شاهداً أخذ

(١) البلاغة عند السكاكي: ٢١٤.

(٢) الدلائل، شاعر: ٢٧٣، ٣١٦، المفتاح: ٧٥، الإيضاح: ٩٤/١.

(٣) الدلائل، شاعر: ٣٢٦، المفتاح: ٧٥، الإيضاح: ٩٥/١.

(٤) الدلائل، شاعر: ٣٢٦.

(٥) الإيضاح: ٩٥.

السكاكي ثلاثة منها فقط وأضاف شاهداً رابعاً من اختياره، أما القزويني، فقد أخذ شواهد الشيخ الثلاثة، وأخذ الشاهد الرابع من السكاكي، ولم يصف جديداً. فالشواهد التي أخذها:

١ - قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ غَلِيلٌ سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ^(١)

وهذا البيت ذكره الشيخ في باب الفصل والوصل، ونقله السكاكي والقزويني إلى «حذف المسند إليه».

٢ - سَرِيعٌ إِلَى آبِنِ الْعَمِّ يَلْطُمُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِيِ النَّدَى بِسَرِيعٍ حَرِيصٌ عَلَى الدُّنْيَا مُضِيعٌ لِدِينِهِ وَلَيْسَ لِمَا فِي بَيْتِهِ بِمُضِيعٍ^(٢)

ونسب الشيخ هذا الشاهد «للأقيشر»، أما السكاكي والقزويني فذكراه من غير نسبة.

٣ - سَأَشْكُرُ عَمْرًا إِنْ تَرَاخَتْ مَيِّتِي أَيْادِي لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ فَتَى غَيْرَ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مُظْهَرِ الشُّكْوَى إِذَا النُّعْلُ زُلَّتْ^(٣)

وفي موضع «حذف مفعول المشيئة» أخذ السكاكي عن الشيخ شاهدين، هما:

وَأِنْ شِئْتُ لَمْ تُرْقَلْ وَإِنْ شِئْتُ أُرْقَلْتُ مَخَافَةَ مَلَوِيٍّ مِنَ الْقَدِّ مُحْصَدٍ^(٤) وقوله:

لَوْ شِئْتُ عُدْتُ بِلَادَ نَجْدٍ عَوْدَةً فَحَلَلْتُ بَيْنَ عَقِيقِهِ وَزُرُودِهِ^(٥) وكذلك أخذهما القزويني، وأخذ أيضاً:

لَوْ شِئْتُ لَمْ تُفْسِدْ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ كَرَمًا وَلَمْ تَهْدِمِ مَآثِرَ خَالِدٍ^(٦)

(١) الدلائل، شاعر: ٢٣٨، المفتاح: ٧٦، الإيضاح: ١٠٩/١.

(٢) الدلائل، شاعر: ١٥٠، المفتاح: ٧٦، الإيضاح: ١١١/١.

(٣) الدلائل، شاعر: ١٤٩، المفتاح: ٧٦، الإيضاح: ١٠٩/١، ١١٠.

(٤) الدلائل، شاعر: ١٦٦، المفتاح: ١٠٠.

(٥) المفتاح: ١٠٠، الدلائل، شاعر: ١٦٦.

(٦) الدلائل، شاعر: ١٦٣، الإيضاح: ١٩٩.

وقوله:

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ^(١)

وأخذ غيرها كذلك، فقد ذكر الشيخ في هذا الحذف ثلاثة عشر شاهداً^(٢)،
أخذ منها القزويني عشرة^(٣).

وعلق على نفس الأبيات التي علق عليها الشيخ مع تحوير بسيط في
الأسلوب، ولم يحاول التعليق على ما تركه الشيخ.

ومن ذلك أخذه تحليل الشيخ لقول الجوهري:
فَلَمْ يَبْقَ مِنِّي الشُّوقُ غَيْرَ تَفَكُّرِي فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي بَكَيْتُ تَفَكُّراً^(٤)

قال الشيخ:

«وذلك أنه لم يرد أن يقول: «ولو شئت أن أبكي تفكراً بكيت كذلك، ...
ولكنه أراد أن يقول: قد أفناني النحول، فلم يبق مني وفي غير خواطر تجول،
حتى لو شئت بكاء فمریت شؤني، وعصرت عيني ليسيل منها دمع لم أجده،
ولخرج بدل الدمع التَّفَكُّر»^(٥).

وهذا ما نقله القزويني، فقال:

«... لم يرد أن يقول: فلو شئت أن أبكي تفكراً بكيت تفكراً، ولكنه أراد
أن يقول: أفناني النحول، فلم يبق مني وفي غير خواطر تجول، حتى لو شئت
البكا، فمریت جفوني، وعصرت عيني ليسيل منها دمع لم أجده، ولخرج منها
بدل الدمع التفكر...»^(٦)

(١) الدلائل، شاکر: ١٦٤، الإيضاح: ١٩٩.

(٢) الدلائل، شاکر: ١٦٣ - ١٧١.

(٣) الإيضاح: ١٩٦/١ - ٢٠١.

(٤) المصدر السابق: ١٩٩/١.

(٥) الدلائل، شاکر: ١٦٧.

(٦) الإيضاح: ٢٠٠/١.

وقد علق الشيخ على قول البحرى:
 قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّوْ دُدَ وَالْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلًا^(١)
 فاختصر الخطيب تعليقه وزاد عليه بأن ذكر أن الحذف هنا إظهار لكمال
 العناية بوقوعه على المحذوف^(٢).

وفي موضوع «الفروق في الخبر»، ذكر الشيخ أربعة وعشرين شاهداً^(٣) أخذ
 منها صاحب المفتاح سبعة، ولم يضيف من اختياره شيئاً، وأخذ صاحب الإيضاح
 أربعة عشر شاهداً، وزاد عليها من اختياره اثني عشر شاهداً^(٤)، وذكر الشواهد
 بنفس رواية الشيخ، وأخذ عنه نفس تعليقاته على الآيات.

وفي فصل «الفصل والوصل»، ذكر الشيخ عشرة شواهد^(٥)، أخذ منها
 صاحب المفتاح سبعة^(٦)، وصاحب الإيضاح تسعة^(٧) وأضاف من اختياره أربعة
 شواهد، وأخذ تعليقات الشيخ من غير أن يضيف جديداً، فأخذ تعليقه على قول
 أبي تمام:

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النُّوَى صَبِرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ
 حيث قال:

«إذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين، ومرارة النوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر»^(٨).

وانظر إلى قول الشيخ لترى مدى التأثير والأخذ:

«وذلك لأنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى، ولا تعلق

(١) الدلائل، شاعر: ١٦٨.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) الدلائل، شاعر: ٢٠٣ - ٢١٤.

(٤) الإيضاح: ٢٦٩/١ - ٢٧٨.

(٥) الدلائل، شاعر: ٢٢٥ - ٢٣٩.

(٦) المفتاح: ١١٤ - ١١٨.

(٧) الإيضاح: ٢٤٧/١ - ٢٥٩.

(٨) الإيضاح: ٢٤٧/١.

لأحدهما بالآخر، وليس يقتضي الحديث بهذا الحديث بذاك^(١).

وقد خالف السكاكي الشيخ في قول الشاعر:
مَلَكْتُهُ حَبْلِي وَلَكِنَّهُ أَلْقَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي
وَقَالَ إِنِّي فِي الْهَوَى كَاذِبٌ أَنْتَقَمَ اللَّهُ مِنْ الْكَاذِبِ
فجعله من أمثلة الانقطاع للاختلاف خبراً وطلباً^(٢).

وحمله الشيخ على الاستئناف^(٣).

وذكر القزويني رأي كل من السكاكي والشيخ من غير أن يُدلي هو بدلوه.

وذكر الشيخ قول الشاعر:
رَعِمَ الْعَوَازِلُ أَنْ نَاقَةَ جُنْدَبٍ بِجُنُوبِ خَبْتِ عُرَيْثٍ وَأَجْمَتِ
من غير نسبة، ونسبه الخطيب إلى جندب بن عمار.

وأخذ تعليق الشيخ عليه، قال الشيخ:

«وقد زاد هذا أمر القطع والاستئناف، وتقدير الجواب تأكيداً بأن وضع الظاهر موضع المضمّر، فقال: «كذب العواذل»، ولم يقل كذب، وذلك أنه لما أعاد، وذكر «العواذل» ظاهراً كان ذلك أبين، وأقوى، لكونه كلاماً مستأنفاً من حيث وضعه وضعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله، وأتى به مأتى ما ليس قبله كلام^(٤)».

وانظر إلى تعليق صاحب الإيضاح:

«وقد زاد هنا أمر الاستئناف تأكيداً بأن وضع الظاهر موضع المضمّر من

(١) الدلائل، شاکر: ٢٢٥.

(٢) المفتاح: ١١٧.

(٣) الدلائل، شاکر: ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٤) الدلائل، شاکر: ٢٣٦.

حيث وضعه وضعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله، وأتى به مأتى ما ليس قبله كلاماً^(١).

فالأخذ لا شك واضح بين.

وفي موضوع القصر ذكر الشيخ ثلاثة عشر شاهداً^(٢) أخذ عنه صاحب المفتاح ستة^(٣)، وأخذ صاحب الإيضاح تسعة^(٤).

وقد نسب الشيخ منها قول الشاعر:

لَوْ خَيْرَ الْمُنْبَرِ فُرْسَانَهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسًا^(٥)

للسيد الحميري. ونقل صاحب المفتاح البيت وأغفل النسبة، ونقله في الإيضاح بنسبته.

وذكر الشيخ قوله:

قَدْ عَلِمْتُ سَلَمَى وَجَارَاتِهَا مَا قَطَرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا

من غير نسبة، وكذلك المفتاح، ونسبه في الإيضاح إلى عمرو بن معدي كرب، وكذلك ذكر الشيخ، قوله:

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَا طِعُ أَخْنَى مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ

من غير نسبة، ونسبه في الإيضاح لأبي الطيب، ولم يرد البيت في المفتاح.

وفي هذه الأبيات لم يصرح القزويني بالأخذ إلا في ثلاثة أبيات حيث قال: - بعد أن أخذ كثيراً من أبيات الشيخ -:

(١) الإيضاح: ٢٥٨/١.

(٢) الدلائل، شاکر: ٣٢٨ - ٣٥٧.

(٣) المفتاح: ١٢٦ - ١٣٢.

(٤) الإيضاح: ٢١٦/١ - ٢٢٥.

(٥) الدلائل، شاکر: ٣٤٤، المفتاح: ١٣٠، الإيضاح: ٢٢٥/١.

«قال الشيخ عبد القاهر: ومثال ذلك من الشعر قوله:
أَنَا لَمْ أُرْزَقْ مَحَبَّتَهَا إِنَّمَا لِلْعَبْدِ مَا رُزِقَا
فإنه تعريض بأنه قد علم أنه لا مطمع له في وصلها، فيش من أن يكون
منها إسعاف به، وقوله:

وإنما يعذر العشاق من عشقا البيت
ما أنت بالسبب الضعيف وإنما نجح الأمور بقوة الأسباب
وطريقته هذه في التصريح تارة باسم عبد القاهر، وإخفائه تارة أخرى، تشعر
بأنه لم يأخذ عن الشيخ إلا ما أشار إليه. وما لم يشر إليه فكأنه من جهده
الخاص.

وفي فصل المجاز الحكمي ذكر الشيخ أربعة عشر شاهداً^(٢) أخذ منها
صاحب المفتاح أربعة شواهد^(٣)، وأخذ منها صاحب الإيضاح أربعة^(٤) أيضاً.

وقد نسب الشيخ قول الشاعر:
وَصَيَّرْنِي هَوَاكَ وَبِي لَحَيْنِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ
لابن البواب، وأغفل السكاكي، والخطيب هذه النسبة، وقد أغفل الشيخ
والسكاكي نسبة قول الشاعر:
يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتُهُ نَظْرًا
ونسبه الخطيب لأبي نواس.

وفي فصل الكناية ذكر الشيخ ستة عشر شاهداً^(٥) وذكر صاحب المفتاح في

(١) الإيضاح: ٢٢٢/١.

(٢) الدلائل، شاعر: ٢٩٣ - ٣٠٣.

(٣) المفتاح: ١٦٦ - ١٦٨.

(٤) الإيضاح: ٩٨/١ - ١٠٧.

(٥) الدلائل، شاعر: ٦٦ - ٧٩.

هذا الفصل أربعة عشر شاهداً أخذ اثني عشر منها من الشيخ^(١)، وأخذ القزويني إحدى عشر شاهداً^(٢).

وفي معظم هذه الشواهد كان ينقل عن الشيخ نقلاً يكاد يكون حرفياً انظر إلى تعليقه على قول أبي الطيب:

«إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَاطِعُ» (م) أَحْنَى مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ

«لم يرد أن يعلم كافوراً أنه بمنزلة الوالد؛ ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام، ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم ليبيني عليه استدعاء ما يوجبه»^(٣) وقارنه بقول الشيخ:

«لم يرد أن يعلم كافوراً أنه والد، ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام، ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم ليبيني عليه استدعاء ما يوجبه كونه بمنزلة الوالد»^(٤).

وهكذا يتضح لنا اتكاء صاحب المفتاح، وصاحب الإيضاح على شواهد الشيخ، فمعظم شواهدهما - في علم المعاني - مأخوذ عن شواهد الشيخ في الدلائل، وما أوردته من أخذهما لم أقصد من ورائه الإحصاء العددي الدقيق، فهناك أبيات لم أذكرها كأبيات الاستعارة، والتشبيه والتقديم والتأخير، والفصاحة والبلاغة. وغير ذلك وقد تعمدت إيراد أخذ القزويني لتعليقات الشيخ؛ لأنني وجدته أكثر نقلاً من الآخر، فالسكاكي وإن كان يعتمد على الشيخ وينقل عنه إلا أنه كان يضيف أحياناً بعض الملامح البلاغية زيادة على ما أورده الشيخ، وكان نقله للتعليقات فيه بعض التحوير، وبعض الاختصار، وإن كان لا يخرج في جملته عن قول الشيخ.

(١) المفتاح: ١٧١ - ١٧٤.

(٢) الإيضاح: ٤٥٧/٢ - ٤٦٧.

(٣) الإيضاح: ٢٢٠/١.

(٤) الدلائل، شاعر: ٣٣٠.

أما القزويني فكان أخذه صريحاً، ونقله في معظمه يكاد يكون حرفياً، وقد صرح هو في مقدمة كتابه الإيضاح أنه اعتمد على كلام الشيخ وكلام السكاكي . ولكن اعتماده على الشيخ يكاد يكون اعتماداً كلياً وحرفياً - وخاصة في علم المعاني - كما أوضحت . قال في مقدمة كتاب الإيضاح :

«... فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها ترجمته بـ «الإيضاح» وجعلته على ترتيب مختصري الذي سميته تلخيص المفتاح، وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له، فأوضحت مواضعه المشككة، وفصلت معانيه المجملة، وعمدت إلى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه «مفتاح العلوم»، وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - في كتابيه: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما فاستخرجت زبدة ذلك كله، وهذبته ورتبته، حتى استقر كل شيء منها في محله، وأضفت إلى ذلك ما أدى إليه فكري، ولم أجده لغيري...»^(١).

وكذلك نستطيع أن نقول إن بلاغة السكاكي التي اعتمد عليها القزويني أيضاً، ما هي إلا بلاغة عبد القاهر الجرجاني، ومدرسة السكاكي ليست إلا امتداداً لمدرسة الجرجاني، فبلاغة عبد القاهر لم تصل إلى المتأخرين بطريق مباشر، وإنما أوصلها إليهم السكاكي في كتابه «مفتاح العلوم»، وفي ذلك يقول الأستاذ عبد المتعال الصعيدي، وقد أصاب المحز:

«ولكن مدرسة عبد القاهر لم تصل إلى المتأخرين بطريق مباشر، وإنما أوصلها إليهم السكاكي في كتابه «مفتاح العلوم»، وأسلوبه فيه دون أسلوب عبد القاهر، والخفاجي؛ لأنه لم يكن أديباً مثلهما، وإنما كان رجل علم، وفلسفة، ومنطق، فسارت بهذا مدرسة عبد القاهر في طريق بعيد عن طريقته، وصارت كتب البلاغة عند المتأخرين لا تعنى إلا بتقرير القواعد، وما يتصل بهذا من الجدل العلمي حتى ضاعت فيها ملكة النقد الأدبي، وأصبحت دراستها لا

(١) الإيضاح: ٧٠/١ - ٧١.

ثمرة فيها؛ لأنها لا تربي في دارسها ملكة الإنشاء، ولا تدربهم على أساليب النقد»^(١).

وقال الدكتور أحمد مطلوب في كتابه «البلاغة عند السكاكي»:

«ويمكن القول بعد كل ما ذكرنا إن بلاغة السكاكي لم تكن إلا بلاغة عبد القاهر الجرجاني، وإن افترق عنه في التبويب، وحصر مسائلها، وضبط أصولها، وفصولها، ولم يقف السكاكي عند هذه المتابعة، والأخذ وإنما نراه يتابع عبد القاهر في الدعوة إلى الذوق، وتحكيمه في القضايا الأدبية، وإن كان لم يطبق ما دعا إليه»^(٢).

وقد أوضح الدكتور أحمد مطلوب مدى تأثير السكاكي ببلاغة عبد القاهر، وأخذه عنه^(٣).

ومن آراء الشيخ النقدية القيمة موقفه من قضية الطبع والصناعة.

فمن خلال تحليلاتي لشواهد في فصل «وصف الشعر والإدلال به» ظهر لي أنه استشهد في هذا الفصل باثنين وعشرين شاهداً كلها تصور ما يكابده الشاعر، ويقاسيه من صعوبات، وما يركبه من مشاق أثناء العملية الشعرية.

وجعل أربعة منها لأبي تمام، وسبعة منها للبحتري، فجمع بين زعيم الطبع، وزعيم الصناعة تحت مذهب واحد. مع أن الذي عُرِف عن البحتري أنه «أعرابي الشعر مطبوع»^(٤)، والذي عُرِف عن أبي تمام أنه يذهب إلى حزنونة اللفظ مع التصنيع المحكم^(٥).

(١) مقدمة سر الفصاحة للأستاذ عبد المتعال الصعيدي: ي.

(٢) البلاغة عند السكاكي: ٢٣٣.

(٣) ينظر المرجع السابق: ٢٠٧ - ٢٣٣، عبد القاهر الجرجاني، أحمد مطلوب: ٣١٠ - ٣١٧.

(٤) الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد -: ١٢.

(٥) العمدة: ١٣٠/١.

ولكن الأبيات التي ساقها الشيخ للبحثري، تظهر حب البحثري، وميله إلى وشي القصائد ونمنمتها، فهو القائل:

ثَنَاءٌ كَانَ الرُّوضُ مِنْهُ مُنَوَّرًا ضُحَىٌّ وَكَأَنَّ الْوَشْيَ مِنْهُ مُنَمَّمًا^(١)

وقال أيضاً:

إِلَيْكَ الْقَوَافِي نَازِعَاتٍ قَوَاصِدًا يُسَيِّرُ ضَاحِي وَشِيهَا وَيُنَمِّمُ^(٢)

وصوره الشيخ، وهو يختار ألفاظه، ويتتقيا كما يُتَقَى التبر:

بِمَنْقُوشَةٍ نَقَشَ الدَّنَائِرُ يُتَقَى لَهَا اللَّفْظُ مُخْتَارًا كَمَا يُتَقَى التَّبَرُ^(٣)

والبحثري صانع شعر حاذق في صناعته، محكم لها إحكام داود في السرد:

سَوَائِرُ شِعْرِ جَامِعٍ بَدَدَ الْعُلَى تَعْلَقَنَّ مَنْ قَبْلِي وَأَتَعَبَنَّ مَنْ بَعْدِي

يُقَدَّرُ فِيهَا صَانِعٌ مُتَعَمِّلٌ لِإِحْكَامِهَا تَقْدِيرَ دَاوُدَ فِي السَّرْدِ^(٤)

وهو يسهر ليله متملماً يتخلل الكلام:

تَاللَّهِ يَسْهَرُ فِي مَدِيحِكَ لَيْلُهُ مُتَمَلِّمًا وَتَنَامُ دُونَ ثَوَابِهِ

يَقْطَظَانِ يَنْتَخِلُ الْكَلَامَ كَأَنَّهُ جَيْشٌ لَدَيْهِ يُرِيدُ أَنْ يَلْقَى بِهِ^(٥)

وهو يستعمل البديع والحجج التي تخرس الألد:

وَبَدِيعٍ كَأَنَّهُ الزُّهْرُ الضَّاحِكُ (م) فِي رَوْنِقِ السَّرْبِيعِ الْجَدِيدِ

حُجَجٌ تُخْرِسُ الْأَلْدَ بِأَلْفَا طِ فُرَادَى كَالْجَوْهَرِ الْمَعْدُودِ^(٦)

والأبيات التي أوردها الشيخ لأبي تمام تسيير في نفس خط البحثري، وتلتقي معه في نفس المذهب.

(١) الدلائل، شاكر: ٥١٦.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق: ٥١٧.

(٤) الدلائل، شاكر: ٥١٧.

(٥) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٦) المصدر السابق: ٥١٨.

فأبو تمام يؤلف نظمه، ويحكم تأليفه كالعقد من الدر والمرجان يؤلف بينهما بالشذر، وشعره أيضاً كالبرد المنمنم وشبه:

حَذَاءُ تَمْلَأُ كُلَّ أُذُنٍ حِكْمَةً وَيَلَاغَةُ وَتُدِيرُ كُلَّ وَرِيدٍ^(١)

وأبو تمام لا يخرج شعره للوجود إلا بعد أن يتمهل في روض المعاني العجيب:

إِلَيْكَ أَرْحَنَا عَازِبَ الشُّعْرِ بَعْدَمَا تَمَهَّلَ فِي رَوْضِ الْمَعَانِي الْعَجَائِبِ
غَرَائِبُ لَاقَتْ فِي فَنَائِكَ أُنْسَهَا مِنَ الْمَجْدِ فَهِيَ الْآنَ غَيْرُ غَرَائِبٍ^(٢)

ويبدو لي أن الذي حدا بالشيخ إلى جعلهما يلتقيان في نفس الخط، ويجتمعان على نفس المذهب، هو مفهوم الشيخ للشعر من أنه صناعة، ونحت، وصل، وألوان، وأن الطبع عنده لا ينافي الصنعة، فالصنعة التي يقصدها الشيخ ليست الصنعة المتكلفة كصنعة أصحاب البديع من أمثال أبي تمام، ومن حدا حذوه، فإن كان أورد أبياتاً لأبي تمام في كيفية صناعة الشعر، وترددت عنده كلمة الصنعة، فهو لا يقصد منها الصنعة المتعملة المتكلفة التي تجبر الألفاظ وتكرهها، وإنما الصنعة التي يقصدها الشيخ هي تلك اللطائف التي يلجأ إليها الشاعر لإبراز المعنى وتوضيحه، والتي تكسب الشعر رونقاً وطلاوة، وهي كذلك اختيار الألفاظ وتنقيحها، وترتيب الفكرة وتنظيمها، وتعانق التراكيب وتراحمها.

فالشاعر له أن يبحث عن معانيه، ويسهر ليله متملماً في استخراجها، وفي الملاءمة بينها حتى تنهمر عليه، وتثال رهواً، ثم تخرج غراً واضحات يراها السمع، وتشتاق إليها كل الأعضاء، كما قال أبو تمام:

كَشَفْتُ قَنَاعَ الشُّعْرِ عَنْ حُرٍّ وَجْهِهِ وَطَيَّرْتُهُ عَنْ وَكْرِهِ وَهُوَ وَاقِعٌ
بَغْرٍ يَرَاهَا مَنْ يَرَاهَا بِسَمْعِهِ وَيَذْنُو إِلَيْهَا ذُو الْحِجَى وَهُوَ شَاسِعٌ
يَوَدُّ وَدَاداً أَنَّ أَعْضَاءَ جِسْمِهِ إِذَا أُنْشِدَتْ شَوْقاً إِلَيْهَا مَسَامِعُ^(٣)

(١) المصدر السابق: ٥١٥.

(٢) الدلائل، شاعر: ٥١٦.

(٣) الدلائل، شاعر: ٥١٤ - ٥١٥.

ويمكن أن ندرك موقف الشيخ من قضية الطبع والصناعة إذا وقفنا على مفهومه للتأليف والنظم عامة، وعلمنا أن التأليف عنده صناعة وتحبير وتفويف ونقش، وكل ما يقصد به التصوير^(١)، والصانع الحاذق هو الذي يعلم كل خيط من الإبرسيم الذي في الديباج، وكل قطعة من القطع المنجور في الباب المقطع، وكل آجرة من الأجر الذي في البناء البديع.

ثم ربط الشيخ الصناعة بالطبع في عملية النظم والتأليف حين أوضح أن النظم لا يتم إلا بترتيب المعاني في النفس، انظر مثلاً إلى موقفه من السجع والتجنيس - اللذين هما من أدوات الصناعة - حيث ذكر أن ما جاء منهما متكلفاً تمجه النفس فليس من الصناعة في شيء، أما ما جاء عفو الخاطر صادراً عن طبع وسجية، فهذا ما نادى به الشيخ واستحسنه.

والتأليف المعقد الذي يحوج السامع إلى فكر زائد على المقدار الذي يجب في مثله، والذي يجعل الكلام في قالب خشن، أمر مذموم عند الشيخ، ولا يدخل في صناعته، لأنه ينافي الطبع. قال الشيخ في بيان سبب سوء التأليف:

«... أن الفساد والخلل كانا من أن تعاطى الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب، وصنع في تقديم، أو تأخير، أو حذف وإضمام، أو غير ذلك مما ليس له أن يصنعه، وما لا يسوغ، ولا يصح على أصول هذا العلم»^(٢).

وقال أيضاً:

«وأما التعقيد، فإنما كان مذموماً لأجل أن اللفظ لم يرتب الترتيب الذي بمثله تحصل الدلالة على الغرض حتى احتاج السامع إلى أن يطلب المعنى بالحيلة، ويسعى إليه من غير الطريق، كقوله:

وَلَدَا أَسْمُ اغْطِيَةِ الْغُيُونِ جَفُونُهَا مِنْ إِنَّهَا عَمَلَ السُّيُوفِ عَوَامِلُ

وإنما ذم هذا الجنس لأنه أحوجك إلى فكر زائد على المقدار الذي يجب

(١) المصدر السابق: ٥٠.

(٢) الدلائل، شاکر: ٨٤.

في مثله، وكذلك بسوء الدلالة، وأودع المعنى لك في قالب غير مستوٍ ولا مملّس، بل خشين مُضَرَّس، حتى إذا رُمّت إخراجُه منه عسر عليك، وإذا خرج خرج مشوّه الصورة ناقص الحُسن^(١).

وعلى هذا الأساس سار الشيخ في نقده للتأليف الشعري. فهو لا يعيب الشعر الذي يحتاج إلى إعمال فكر، وإنما يعيب ما تعتمد فيه صاحبه وعورة المسلك، وإعثار الفكر. قال:

«والمعقد من الشعر والكلام لم يذم لأنه مما تقع حاجة فيه إلى الفكر على الجملة بل لأن صاحبه يعثر فكرك في متصرفه، ويشيك طريقك إلى المعنى، ويوعر مذهبك نحوه، بل ربّما قسم فكرك، وشعب ظنّك، حتى لا تدري من أين تتوصل وكيف تطلب»^(٢).

ومما يظهر - أيضاً - مذهبه في الطبع والصنعة تفسيره لقولهم:

«هذا ينحت من صخر، وذاك يغرف من بحر».

فليس النحت عنده دليل الصنعة، وليس الغرف من البحر دليل الطبع.

وهذان الوصفان «النحت - الغرف» ليسا وصفاً للشعر ذاته بل هما وصف لحال الشاعر عند قوله الشعر. قال:

«إذا قلت: «هَذَا يَنْحِتُ مِنْ صَخْرٍ، وَذَاكَ يَغْرِفُ مِنْ بَحْرٍ»، لم تكن شبّهت قيل الشعر بالنحت والغرف، ولكن تكون قد شبّهت هذا في صعوبة قول الشعر عليه، وفي احتياجه إلى أن يكُدَّ نفسه بمن يَنْحِتُ من الصخر، وشبّهت الآخر في سهولة قوله عليه، وفي أنه يناله عفواً، بمن يغرف من بحر.

يبين ذلك: أن ليس الشبه بوصفٍ يرجع إلى «النحت» و«الغرف» من حيث هما نحتٌ وغرفٌ، ولكن الشبه من حيث كان يَشُقُّ على هذا ويسهل على ذاك.

(١) الأسرار، - هـ، ريتز: ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) المصدر السابق: ١٣٥.

وإذا كان كذلك، كان المعنى على تشبيه الذي يحتاج إلى أن يكد النفس بالذي يَنْحِتُ الصَّخر، والذي يسهل عليه ويأتيه عفواً بالذي يغرف من بحر، لا على تشبيه قول الشعر في نفسه من حيث هو قول شعر وتأليف كلام وإقامة وزن وقافية، بالنحت والغرف، هذا محال.

ثم إن المزية التي تجدها لترك التصريح بالتشبيه، وأنت لم تقل: «هو كمن يَنْحِتُ من صخر»، ليست لأنك لَمَّا قلت: «هو ينحت من صخر» جعلته أشبه بالنَّاحِت من الصَّخر، ولكن بأن جعلت شَبَه النَّاحِت من الصخر له أثبت. فأعرفه»^(١).

وعنده أن من المحال أن يكون البيت من غير صنعة أشعر من البيت ذي الصنعة.

«فمحال أن يكون البيت - بزيادة تقع في مجرد الإغراق من دون صنعة تكون في تلك الزيادة - أشعر من البيت ذي الصنعة»^(٢).

وللشيخ عبد القاهر نظرات نقدية تكشف عن ذوقه وخلقه النقدي، ومن ذلك رأيه في بعض كبار الشعراء، وقد أشار الدكتور أحمد مطلوب إلى بعض هذه الآراء، فذكر أنه يميل إلى البحري، ولذا يستشهد بأبياته في مواطن الاستحسان، وهو لا يميل إلى أبي تمام فيستشهد بشعره في مواطن التعقيد. قال:

«ولعبد القاهر آراء في بعض الشعراء الكبار، ويتضح من كتابيه أنه لا يميل إلى أبي تمام، ولذلك يستشهد بشعره في المواضع التي يكون فيها صنعة، أو تكلف، وتعقيد، ويذكر أنه لا ييالي بتحسين ظاهر اللفظ في كثير من الأحيان...، بينما يميل إلى البحري، ويستشهد بشعره في المواطن الجميلة والتصرف الحسن في نظم العبارات»^(٣).

(١) الدلائل، شاکر: ٥٦٦.

(٢) المصدر السابق: ٥٦٤.

(٣) عبد القاهر الجرجاني، أحمد مطلوب: ٢٢١ - ٢٢٢.

ومن خلال دراستي لشواهد الدلائل وتحليلها، وجدت أن في قول الدكتور أحمد مطلوب نوعاً من العموم يُشعر بعدم نزاهة الشيخ في نقده، وميله مع هواه. والذي ظهر لي أن الشيخ كان ناقداً نزاهياً، وهو يميل إلى أبي تمام والمتنبي، وإن كان ذوقه يعجب بالبحري أكثر، ولكنه ليس هو الإعجاب الذي يجعله يميل، ويجور في حكمه على الآخرين - كما صور الدكتور أحمد مطلوب - فمن الصحيح أنه كان يستشهد لأبي تمام في مواقف التكلف بآياته المتكلفة، كاستشهاده:

ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّمَاحَةُ وَالتَّوْتُ فِيهِ الظُّنُونُ أَمْذَهَبُ أَمْ مُذْهَبُ^(١)
على الجنس المتكلف:

وكاستشهاده على فساد النظم بقوله:
ثَانِيهِ فِي كِبِدِ السَّمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ كَأَثْنَيْنِ ثَانٍ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ
وقوله:

يَدِي لَمْ يَشَأْ رَهْنُ لَمْ يَذُقْ جُرْعاً مِنْ رَاحَتِكَ دَرَى مَا الصَّابُ وَالْعَسَلُ^(٢)
فعدد الأبيات التي استشهد بها على سوء نظم أبي تمام، وتكلفه تسعة أبيات^(٣)، ولكنه كثيراً ما كان يستشهد له بأبيات في مواطن استحسان. انظر إلى عبارات الاستحسان التي كان يطلقها على أبيات أبي تمام، من مثل قوله:

«ومما له مأخذ لطيف في هذا الباب قول أبي تمام:
لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ تَقُولَ وَتَفْعَلَا وَنَذْكُرُ بَعْضَ الْفَضْلِ مِنْكَ وَتُفْضِلَا^(٤)»

(١) الدلائل، شاکر: ٥٢٣، وانظر: ص ١١٩١ من البحث.

(٢) الدلائل، شاکر: ٨٤.

(٣) انظر: الدلائل، شاکر: ٤٧، ٧٨، ٥٨، ٦٠، ٢٢٥.

(٤) الدلائل، شاکر: ٢٢٧.

وقوله في فصل من باب اللفظ والنظم «وليس لِشُعْبِ هذا الأصل وفروعه، وأمثله، وصوره، وطرقه، ومسالكه حدٌّ ونهاية، ومن لطيف ذلك ونادره قول أبي تمام:

أَبَيْنَ فَمَا يَزُرُّنَ سِوَى كَرِيمٍ وَحَسْبُكَ أَنْ يَزُرْنَ أَبَا سَعِيدٍ
ومثله، وإن لم يبلغ مبلغه، قول الآخر: «...»^(١).

وقوله فيما تفعله صنعة الشاعر في الصورة والمعنى واحد:

«ثم إن أردت مثلاً في ذلك، فإنَّ من أحسن شيء فيه ما صنع أبو تمام في بيت أبي نخيلة قال في مسلمة بن عبد الملك:

وَأُنْبَهَتْ لِي ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلاً وَلَكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضٍ
فعمد أبو تمام إلى هذا البيت الأخير، فقال:

لَقَدْ زِدْتَ أَوْضَاجِي أَمْتِدَاداً وَلَمْ أَكُنْ بَهِيمًا وَلَا أَرْضِي مِنَ الْأَرْضِ مَجْهَلًا
وَلَكِنْ أَيْادٍ صَادَفْتَنِي جِسَامُهَا أَغْرَ فَأَوْفَتْ بِي أَغْرٌ مُحَجَّلًا»^(٢)

ومواطن رضاء الشيخ عن أبيات أبي تمام كثيرة في الكتاب^(٣).

أضف إلى ذلك أن الشيخ كان يستحسن صنعة أبي تمام، فقد ذكر له في فصل وصف الشعر، والإدلال به، أربعة أبيات.

أما موقفه من البحري، فكان بلا شك معجباً به حيث قال:

«وانك لا تكاد تجد شاعراً يعطيك في المعاني الدقيقة من التسهيل والتقريب، ورد البعيد الغريب إلى المألوف القريب، ما يُعطي البحري، ويبلغ في هذا الباب مبلغه، فإنه ليروض لك المهرَ الأرنَ رياضة الماهر حتى يُعَيِّنَ من تحتك إعناق القارح المذلل، ويتزع من شماس الصعب الجامح، حتى يلين لك

(١) الدلائل، شاعر: ٣١٣.

(٢) المصدر السابق: ٤٨٤.

(٣) انظر: الدلائل، شاعر: ١٤، ١٠٤، ١٣٩، ٣١٣، ٣٧١، ٤٨٤، ٤٩٥، ٥٠١، ٥١٠.

لين المنقاد الطيع، ثم لا يمكن ادعاء أن جميع شعره في قلة الحاجة إلى الفكر والغنى عن فضل النظر»^(١).

وفي الدلائل كان يستشهد بمعظم أبياته في مواقع الاستسحان، فلم أقف له إلا على موضع واحد - غير باب الموازنة - عاب فيه البحري، وهو قوله: نَاهَضْتُهُمْ وَالْبَارِقَاتُ كَأَنَّهَا شُعْلٌ عَلَى أَيْدِيهِمْ تَتَلَهَّبُ^(٢) حيث قال:

«فإن هذا التشبيه لا يبلغ مبلغ ما يُعرف مع الإطلاق، كمعرفتنا إذا قال: «رأيت أسداً»، أنه يريد الشجاعة، وإذا قال: «لقيت شمساً ويدراً» أنه يريد الحسن، ولا يقوى تلك القوة، فأعرفه»^(٣).

أما موقفه من المتنبي فكان شبيهاً بموقفه من أبي تمام، فقد استحسّن له أبياتاً^(٤)، وعاب عليه أخرى^(٥)، ومما استحسّنه له قوله: وَقَيِّدْتُ نَفْسِي فِي ذَارِكٍ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيِّدًا تَقَيِّدًا^(٦) كما استحسّن قوله:

غَضَبَ الدُّهْرَ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهَا فَبَنَاهَا فِي وَجَنَةِ الدُّهْرِ خَالًا^(٧) ومما عابه عليه قوله:

عَجَبًا لَهُ حَفِظَ الْعِنَانَ بِأَنْمُلٍ مَا حَفِظَهَا الْأَشْيَاءُ مِنْ عَادَاتِهَا^(٨)

(١) الأسرار، - هـ، ريت - ١٣٤.

(٢) الدلائل، شاکر: ٣٠٠.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) انظر: الدلائل، شاکر:

١٠٣، ١٢٥، ١٣٨، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٨، ٢٤٤، ٣٠٢، ٤٢٣، ٤٣٤، ٤٣٦.

٥٥٦.

(٥) الدلائل، شاکر: ٤٨ - ٨٣ - ٥٥٢.

(٦) المصدر السابق: ١٠٥ - ٤٩٠.

(٧) الدلائل، شاکر: ١٠٣.

(٨) المصدر السابق: ٥٥١.

ومما أحب أن أشير إليه أن الشيخ استشهد للمتنبى بسبعة وخمسين شاهداً،
وللبحتري بثمانية وأربعين شاهداً، ولأبي تمام بخمسة وأربعين شاهداً.
وقد عقد الشيخ فصلاً كبيراً للموازنة، وكان لهؤلاء الشعراء الثلاثة النصيب
الأكبر فيها.

وقسمه قسمين:

قسم أنت ترى الشاعر قد أتى بالمعنى غفلاً ساذجاً، وترى الآخر قد أخرجه
في صورة تروق وتعجب.

وكان عدد الموازنات في هذا القسم سبعة وثلاثين موازنة.

والملاحظ أن الشيخ حين عقد الموازنات لم يصرح أي البيتين الغفل،
وأيهما صاحب الصنعة.

ولكن من خلال تحليلاتي للأبيات ظهر لي كأنه يريد بالبيت الأول البيت
الغفل، والبيت الثاني هو الذي تكون فيه الصنعة.

وإذا سلمنا بهذا الأمر نخرج منه بنتيجة، وهي أن الإمام عبد القاهر حين
فاضل بين الشعراء الثلاثة «البحتري - أبي تمام - المتنبى» كان تارة يفضل
البحتري على أبي تمام، وتارة يفضل أبا تمام على البحتري، وأحياناً كان يفضل
المتنبى عليهما، أو يفضلهما على المتنبى.

وأكثر الموازنات التي عقدها كانت للمتنبى، فقد أورد في القسم الأول
سبعة وثلاثين موازنة، خص المتنبى منها باثنين وعشرين موازنة، وأورد للبحتري
سبع عشرة موازنة، ولأبي تمام ثلاث عشرة موازنة.

وقد عقد اثنتي عشرة موازنة بين المتنبى والبحتري، فضل في سبعة منها
البحتري على المتنبى، وعقد خمس موازنات بين المتنبى، وأبي تمام فضل في
ثلاثة منها أبا تمام.

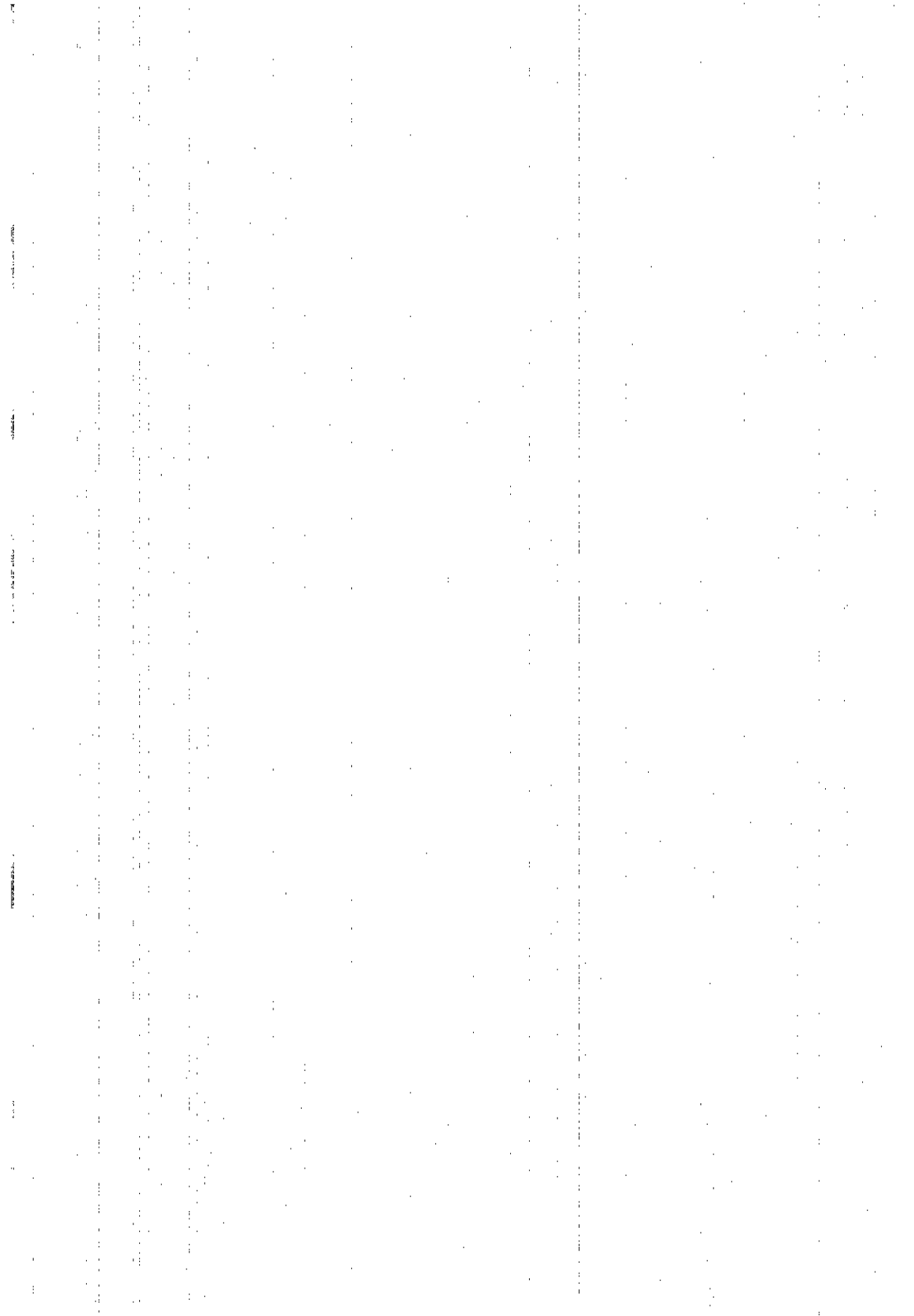
وعقد ثلاث موازنات بين البحتري وأبي تمام فضل في اثنين منها البحتري.

وفي القسم الثاني من الموازنة، وهو: ما أنت ترى فيه في كل واحد من
البيتين صنعة وتصويراً وأستاذية على الجملة، عقد خمس عشرة موازنة، خص
المتنبي بسبعة أبيات منها، وأبا تمام بستة، ومن العجيب أنه أورد للبحتري اثنين
فقط؟!

ولما كان الشيخ عبد القاهر ينوه كثيراً في كتبه بالذوق والأريحية في مجال
النقد رأيت أن أفرد الكلام على الذوق بفصل خاص.

الفصل الثالث

قضية الذوق



قضية الذوق:

من خلال دراستي للشواهد الشعرية في كتاب «الدلائل» ووقوفي على تحليلات الشيخ وتعليقاته، ظهر لي ميل الشيخ كثيراً إلى الأريحية والذوق، فأحببت أن أعالج هذه القضية معالجة تبدأ من بيان معنى الذوق في اللغة، والذوق عند البلاغيين وصلة المعنى اللغوي بالمعنى البياني، ثم بيان مكانة الذوق عند نقادنا العرب - قبل الشيخ عبد القاهر - ثم توضيح ما الذوق الذي يعترف به الشيخ والذي يمكن اتخاذه مقياساً جمالياً في تقويم النص الأدبي؟ ثم ما جهود الشيخ في تربية الذوق؟ وأخيراً ما حظ الشيخ في تطبيقاته من موضوعية الذوق التي ينادي بها؟.

الذوق في اللغة: مصدر ذاق الشيء يذوقه ذوقاً، وذواقاً، ومذاقاً، ومنه أيضاً ذُقت الطعام وتذوقته شيئاً بعد شيء، وهو مر المذاق، وما ذقت اليوم ذواقاً هذا على الحقيقة، ومن المجاز: ذُقت فلاناً وذُقت ما عنده، وتقول ذقت الناس وأكلتهم، وزنتهم وكلتهم فما استطبت طعومهم، ولا استرجحت حلومهم، وهو حسن الذوق للشعر إذا كان مطبوعاً عليه.

والذوق يكون فيما يكره ويحمد. قال تعالى:

﴿فَإِذْ ذُقْتُمْ آلَ لُوطٍ لِّسَانَ الْجُرُوعِ وَالْخَوْفِ﴾^(١).

(١) سورة النحل: الآية: ١١٢.

أي ابتلاها بسوء ما خبرت من عقاب الجوع والخوف، ويقال: ذُق هذه القوس أي انزع فيها لتخبر لينها من شدتها.

قال الشماخ:

فَذَاقَ فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ جَانِباً كَفَى وَلَهَا أَنْ يُغْرِقَ النَّبْلَ حَاجِزُ^(١)

أي لها حاجز يمنع من إغراق أي منها لين وشدة.

وذقت القوس إذا جذبت وترها لتنظر ما شدتها^(٢).

ومن هذا المعنى اللغوي ينبع معنى الذوق في الأدب والنقد، فكما أن الذوق في الأصل هو إدراك طعم الأشياء حسيّاً باللسان، فإنه يعني في اصطلاح البلاغيين معالجة الأشياء فنياً بالنفس للتعرف على ما فيها من جمال، فهو بإيجاز القوة التي يقدر بها الأدب من حيث هو فن^(٣).

قال ابن خلدون في تعريفه:

«اعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان، ومعناها: حصول ملكة البلاغة للسان، وقد مر تفسير البلاغة، وأنها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه، بخواص تقع للتراكيب في إفادة ذلك، فالتكلم بلسان العرب والبلغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب، وأنحاء مخاطباتهم، وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده، فإذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه أمر التركيب، حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التي للعرب، وإن سمع تركيباً غير جار على ذلك المنحى مجه، ونبا عنه سمعه بأدنى فكر بل وبغير فكر إلا بما استفاده

(١) ديوان الشماخ: ١٩٠، ورواية الديوان: «وذاق» بدلاً من فذاق، و«السهم» بدلاً من «النبل».

(٢) انظر: أساس البلاغة «ذوق»: ١٤٧، اللسان «ذوق»: ١١١/١٠ - ١١٢.

(٣) النقد الأدبي الحديث، أحمد زكي: ٧٧.

من حصول هذه الملكة فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كلها طبيعية وجبلة لذلك المحل»^(١) وقال أيضاً:

«استعير لهذه الملكة عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان وإنما هو موضوع لإدراك الطعوم لكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل لإدراك الطعوم استعير لها اسمه وأيضاً فهو وجداني اللسان كما أن الطعوم محسوسة له فقيل له ذوق»^(٢).

فابن خلدون يرى أن الذوق أمر يمكن اكتسابه من مخالطة كلام العرب وكثرة تكريره على السمع ولا يمكن أن يحصل بمعرفة القوانين العلمية التي استنبطها أهل صناعة اللسان.

ونظرة ابن خلدون هذه مغايرة لنظرة الشيخ الذي يرى أن الذوق استعداد فطري يجب تعهده وتثقيفه بالمعرفة والدرس وممارسة كلام العرب. وستعرض لهذه القضية فيما بعد.

وبعد هذا التعريف الوجيز للذوق أقول إن الاعتراف بالذوق مقياساً جمالياً منهج علمي فالذاتية قائمة ولن تزول إلا بزوال الشخص نفسه، ولذا لا يمكن تجاهلها وإنكارها، لأن ذلك يؤول إلى جموحها، ومن ثم إفساد العمل النقدي، فهذا العنصر الشخصي الذي نحاول إبعاده سيعاند ويكابر ويتسلل في خبث إلى أعمالنا ويعمل غير خاضع لقاعده^(٣) إذا «محو العنصر الذاتي محو تاماً أمر غير مرغوب فيه ولا هو ممكن، والتأثرية أساس عملنا، وإذا كنّا نرفض أن نعتد باستجاباتنا الخاصة، فإننا لا نفعل ذلك إلا لكي نسجل استجابات الغير، وهذه الأخيرة، وإن تكن موضوعية بالنسبة إلينا فهي شخصية بالنسبة للمؤلف الذي نريد معرفته»^(٤).

(١) مقدمة ابن خلدون: ٤٩٣.

(٢) المصدر السابق: ٤٩٤.

(٣) النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور: ٤٠٤، في الميزان الجديد: ١٥٨، - نقلاً عن لانسون -.

(٤) المرجع السابق: ٤٠٢.

فاستخدام الذاتية في نقد العمل الأدبي لا يطيح بقيمة النقد ولا ينقص من قدر الناقد بل على العكس يجعله أكثر موضوعية؛ لأن الاعتراف بالذاتية في العمل الأدبي وإخضاع النفوس لموضوع الدراسة من قواعد المنهج العلمي الموضوعي فـ«إذا كانت أولى قواعد المنهج العلمي هو إخضاع نفوسنا لموضوع دراستنا لكي ننظم وسائل المعرفة وفقاً لطبيعة الشيء الذي نريد معرفته، فإننا نكون أكثر تمثيلاً مع الروح العلمية بإقرارنا بوجود التأثيرية في دراستنا وتنظيم الدور الذي تلعبه فيها»^(١).

ولكن ما هي الذاتية أو ما هو الذوق المعترف به والذي يمكن اتخاذه مقياساً جمالياً؟ يقول الشيخ عبد القاهر:

«وجملة الأمر أنك لن تعلم في شيء من الصناعات علماً تُمرُّ فيه وتحلي حتى تكون ممن يعرف الخطأ فيها من الصواب، ويفصل بين الإساءة والإحسان، بل حتى تفاضل بين الإحسان والإحسان، وتعرف طبقات المحسنين وإذا كان هذا هكذا، علمت أنه لا يكفي في علم «الفصاحة» أن تنصب لها قياساً ما، وأن تصفها وصفاً مجملاً، وتقول فيها قولاً مُرسلاً، بل لا تكون من معرفتها في شيء حتى تفصل القول وتُحصّل، وتضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم، وتعدّها واحدةً واحدةً، وتسمّيها شيئاً شيئاً، وتكون معرفتك معرفة الصنع الحاذق الذي يعلم علم كل خيط من الإبريسم الذي في الديباج، وكل قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطّع، وكل أجرّة من الأجر الذي في البناء البديع»^(٢).

ويقول أيضاً:

«وجملة ما أردت أن أبينه لك: أنه لا بد لكل كلام: تستحسنه، ولفظ تستجيده، من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة وأن يكون لنا

(١) المرجع السابق: ٤٠٤، وانظر كذلك في الميزان الجديد: ١٥٨.

(٢) الدلائل، رضا: ٣٠ - ٣١، خفاجي: ٨٨، شاکر: ٣٧.

إلى العبارة عن ذاك سبيل، وعلى صحة ما ادعيناؤه من ذلك دليل»^(١).

ويقول في موضع آخر:

«فإذا رأيتك قد ارتحت واهتزت واستحسنيت، فانظر إلى حركات الأريحية ممّ كانت؟ وعند ماذا ظهرت؟»^(٢).

ويقول أيضاً:

«واعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعاً من السامع، ولا يجد لديه قبولاً حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة، وحتى يكون ممن تحدّثه نفسه بأنّ لما يوميء إليه من الحُسن واللفظ أصلاً، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام، فيجد الأريحية تارة، ويعرى منها أخرى، وحتى إذا عَجَبته عجب، وإذا نُبّهته لموضع المزية انتبه»^(٣).

ونخرج من دراسة هذه النصوص بأن الذوق المعترف به هو الذوق الصادر عن ناقد ذي ذكاء لمّاح، وإحساس مرهف، والمتمتع بثقافة واسعة تعينه على إيجاد العلل المعقولة، والبراهين المقبولة لكل كلام يستحسنه، وكل لفظ يستهجنه، فييجاد العلة وإقناع النفس والعقل بالأسباب يجعل من ذلك الذوق ذوقاً موضوعياً يمكن استخدامه كوسيلة مشروعة للمعرفة.

«والشيء الأساسي هو أن لا أتخذ من نفسي محوراً، وأن لا أجعل لمشاعري الخاصة ذوقي أو معتقداتي قيمة مطلقة»^(٤) وأن أعرف مع احتفاظي به كيف أميزه وأقدره وأراجعه وأحدّه، فهذه شروط أربعة لاستخدامه^(٥).

«إننا إذ نتحدث عن الذوق لا نعني به الأثر النفسي السريع الذي يتركه في

(١) الدلائل، رضا: ٣٣، خفاجي: ٩١، شاکر: ٤١.

(٢) الدلائل، رضا: ٦٧، خفاجي: ١٢٥، شاکر: ٨٥.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٢٥، خفاجي: ٢٩٥، شاکر: ٢٩١.

(٤) النقد المنهجي عند العرب: ٤٠٣.

(٥) المرجع السابق: ٤٠٤.

نفوسنا بيت من الشعر، أو المتعة الوقتية الخاطفة التي تعقب قراءتنا لقصيدة من القصائد، وإلا لكان مثلنا في هذه الحالة مثل الذي يشغله الهيكل العام عن رؤية التفاصيل الدالة الموحية، ولكان حكمنا على الأثر الفني حكماً فجاً غير صادر عن تأمل، وإنما نعني بكلمة الذوق الأدبي تلك الموهبة الإنسانية التي أنضجتها رواسب الأجيال السابقة وتيارات الثقافات المعاصرة والتي امتزجت جميعها فكانت هذا الشيء المسمى بحاسة التمييز أو التذوق الأدبي، الذي ليس مجرد تأثرية خرقاء، كما أنه ليس إحساساً أرعن، ولا هو لذة فحسب، والذين يتصورون أن الذوق الأدبي هو مجرد اللذة التي تشيع في النفس عند قراءة الآثار الفنية قوم غابت عنهم الحقيقة^(١).

والتعويل على الذوق في إصدار الأحكام النقدية أمر ظهر في نقدنا العربي منذ العصر الجاهلي، ففي هذا العصر لم يخلُ النقد من الأحكام المعللة، وإن كانت تغلب عليه الذاتية، فمن ذلك ما يروى من أن حسان أنشد النابغة الذبياني في سوق عكاظ قوله:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا
وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنِي مُحَرَّقٍ فَأَكْرِمُ بِنَا خَالًا وَأَكْرِمُ بِنَا ابْنَمَا^(٢)

فقال النابغة:

أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك^(٣).

وهذه التعليقات وإن حُسبت من الموضوعية إنما هي في حقيقتها موضوعية جزئية إذ أنه ليس فيها في الواقع شيء من الإحاطة والشمول أو المحاولة الجادة

(١) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد زكي العشماوي: ٤٢٣، - نقلًا عن: ت. س. اليوت -.

(٢) ديوانه: ٢٢٠ - ٢٢١ مع اختلاف ترتيب البيتين.

(٣) الموشح: ٥٤ - ٥٥.

للتنقيب في زوايا الأثر الأدبي، والتعمق في دراسته^(١).

وإذا ما تقدمنا قليلاً إلى عصر النبوة، وعصر الخلفاء الراشدين نلاحظ أن هناك آراء نقدية يمكن أن تُعد أولى خُطى الموضوعية من ذلك قول عمر بن الخطاب في زهير أنه أشعر الشعراء، فحين سُئل عن السبب قال:

«كان لا يُعازل في الكلام، وكان يتجنب وحشي الشعر، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه»^(٢).

ويرى الدكتور بدوي طبانة أن كلمة عمر يمكن أن تُعد أول بارقة في النقد وأول أساس للنظر في الأدب نظرة موضوعية، ولولا الإيجاز الملحوظ فيها وهو ما عُرف في أسلوب عمر رضي الله عنه، وأسلوب عصره لا يمكن أن يقال إن تلك العبارة أشبه شيء بكلام المختصين من النقاد^(٣).

ويبدو لي أن الإيجاز في كلمة عمر بن الخطاب لا يخرجها عن كلام المختصين من النقاد؛ لأن العربي كان يمتاز في ذلك الوقت بذكاءٍ حاد، وسرعة بديهة، وإحاطة باللغة، فكانت تكفيه الإشارة إلى موطن الحسن أو القبح ليعرف العلة والمراد.

وعلى الرغم من وجود مثل هذه التعليقات لا يمكن أن نقول إن الذوق الموضوعي قد ظهر بنفس مفهومه عند الشيخ عبد القاهر؛ لأن هذه التعليقات كانت في جملتها تعليقات عامة غير متعمقة في أعماق النص الأدبي.

وإذا أسرعنا الخطى إلى العصر الأموي والعصر العباسي حيث اتسعت دائرة الفتوحات الإسلامية، والتي نتج عنها اختلاط العرب بالأمم الأخرى، ومن ثم تأثيرهم بثقافات تلك الأمم وتراثها.

في هذا العصر كثر الرواة والنحاة واللغويون، وكان لأولئك العلماء فضل

(١) دراسات في نقد الأدب العربي «من الجاهلية إلى غاية القرن الثالث»: ٧٧ - ٧٨.

(٢) الأغاني: ٢٨٩/١٠.

(٣) دراسات في نقد الأدب العربي: ٩٩ - ١٠٠.

كبير في صيانة اللغة وحياطتها من عوامل الضعف والتفكك، فجمعوا اللغة وآدابها وتاريخها، ووضعوا قواعد نحوها، وصرفها، وكانت نشأة هذه العلوم في اللسان العربي عاملاً مهماً في اتساع مجال النقد الأدبي.

وهنا نريد أن نقف قليلاً، ونستعرض آراء بعض النقاد الذين سبقوا الشيخ عبد القاهر لنرى مدى اهتمامهم بالذوق، وهل توصلوا إلى الذوق الموضوعي أو أن الفضل في استخدام الموضوعية مقياساً للحكم يرجع إلى الشيخ عبد القاهر؟ وأول ناقد نقف عنده هو ابن سلام الجمحي (٢٣١ هـ) الذي فطن إلى ضرورة تثقيف الذوق وتدريبه فقال:

«وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر العلم والصناعات: منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان. من ذلك اللؤلؤ والياقوت، لا تعرفه بصفة ولا وزن، دون المعاينة ممن يُبصره، ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم، لا تُعرف جودتهما بلون ولا مَس، ولا طراز ولا وَسْم ولا صفة، ويعرفه الناقد عند المعاينة، فيعرف بَهْرَجها، وزائفها، وستوقها، ومُفرَغها^(١)، ومنه البصر بغريب النخل، والبصر بأنواع المتاع وضروبه واختلاف بلاده مع تشابه لونه ومَسّه وذَرَعه، حتى يضاف كل صِنْف إلى بلده الذي خرج منه، وكذلك بَصَرُ الرقيق... ويقال للرجال والمرأة، في القراءة والغناء: إنه لندِي الحلق، طُلُّ الصوت، طويل النفس، مصيبٌ لِلْحَن، ويوصف الآخر بهذه الصفة، وبينهما بَوْنٌ بعيدٌ، يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له، بلا صفة يُنتهى إليها، ولا علم يُوقف عليه، وإن كثرة المدارس لتُعَلِّي على العلم به. فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به»^(٢).

فكل ما توصل إليه ابن سلام هو إقراره باستخدام الذوق المدرب المثقف في تقييم الأثر الأدبي إلا أن الذوق المدرب عنده هو الذي يستطيع أن يشعر

(١) البهرج: الرديء من الفضة، فيظل ويرد، والستوق: إذا كان من ثلاث طبقات يرد وي طرح، المفرغ: المصمتة المصبوب في قالب ليس بمضروب.

(٢) طبقات فحول الشعراء: ٥/١، ٦.

بمواطن الحسن والقبح بلا صفة يُنتهى إليها، ولا علم يوقف عليه، فعبارته هذه تكشف مفهومه للذوق وأنه ما زال في طور الذاتية.

وإلى مثل هذا ذهب القاضي الجرجاني (٣٦٦ هـ) الذي اهتم اهتماماً بالغاً بشأن الذوق، ورأى أن الذوق المعترف به في تقييم النصوص هو الذوق المثقف البعيد عن العصبية والهوى، وأشار إلى أن هذا الإحساس قد لا تجد له سبباً، وكل ما تستطيعه هو أن تحيله على باطن تُحصّله الضمائر وفي ذلك يقول:

«وهذا أمر تُستخبر به النفوس المهذّبة وتستشهد عليه الأذهان المثقفة، وإنما الكلام أصوات محلّها من الأسماع محلّ النواظر من الأبصار، وأنت قد ترى الصورة تستكمل شرائط الحسن، وتستوفي أوصاف الكمال، وتذهب في الأنفس كل مذهب، وتقف من التمام بكل طريق، ثم تجد أخرى دونها في انتظام المحاسن والثام الخلقة، وتناصف الأجزاء، وتقابل الأقسام، وهي أحظى بالحلاوة، وأدنى إلى القبول، وأعلق بالنفس، وأسرع ممازجة للقلب ثم لا تعلم، وإن قاسيت واعتبرت ونظرت وفكرت لهذه المزية سبباً ولما خُصّت به مُقتَضياً.

ولو قيل لك: كيف صارت هذه الصورة، وهي مقصورة عن الأولى في الإحكام والصنعة، وفي الترتيب والصيغة، وفيما يجمع أوصاف الكمال، وينتظم أسباب الاختيار أحلى وأرشق وأحظى وأوقع؟ لأقمت السائل مقام المتعنت المتجانف، ورددته ردّ المستبهم الجاهل، وكان أقصى ما في وسعك، وغاية ما عندك أن تقول: موقعه في القلب اللطيف، وهو بالطبع أليق، ولم تَعْدِم مع هذه الحال معارضاً يقول لك: فما عبت من هذه الأخرى؟ وأي وجه عدل بك عنها؟ ألم يجتمع لها كيت وكيت!! وتتكامل فيها ذبه وذيه!! وهل للطاعن إليها طريق! وهل فيها لغازم مغمز يحاجك بظاهر تُجسّه النواظر، وأنت تحيله على باطن تُحصّله الضمائر!«^(١).

وهكذا نرى أن ابن سلام، والقاضي الجرجاني قد اهتما بأمر الذوق، وقدا

(١) الوساطة: ٤١٢.

للقائد الأدوات النقدية التي تمكنه من ذلك الذوق، والتي منها: العلم والثقافة والدربة والممارسة، ولكن لم يتعد ذوقهما الذاتية في الحكم.

أما الأملدي (٣٧٠ هـ)، فكان أكثر تمشياً مع الروح العلمية، فقد أدرك أن الذوق ضربان:

— ذوق يمكن تعليقه.

— وذوق حتمي تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة.

وهذا الأخير يُسمح به لذوي الخبرة والدربة والثقافة الواسعة عند أمثال الأملدي.

يقول الأملدي:

«وأنا أذكر... في هذا الجزء المعاني التي يتفق فيها الطائيان، فأوازن بين معنى ومعنى، وأقول: أيهما أشعر في ذلك المعنى بعينه، فلا تطالبني أن أتعدي هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندي على الإطلاق، فإني غير فاعل ذلك؛ لأنك إن قلدتني لم تحصل لك الفائدة بالتقليد، وإن طالبت بالعلل والأسباب التي أوجبت التفضيل، فقد أخبرتك فيما تقدم بما أحاط به علمي، من نعت مذهبيهما، وذكر مساويهما في سرقة معاني الناس وانتحالها... فإني أوقع الكلام على جميع ذلك وعلى سائر أغراضهما ومعانيهما في الأشعار التي أرتبها في الأبواب، وأنص على الجيد، وأفضله على الرديء، وأبين الرديء وأرذله، وأذكر من علل الجميع ما ينتهي إليه التلخيص، وتحيط به العبارة، ويبقى ما لا يمكن إخراجه إلى البيان، ولا إظهاره إلى الاحتجاج، وهي علة ما لا يُعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الممارسة، وبهذا يَفْضَلُ أهل الحذاقة بكل علم وصناعة مَنْ سواهم ممن نقصت قريحته، وقلت دُرْبَتَهُ، بعد أن يكون هناك طبع فيه يَقْبَلُ لتلك الطباع وامتزاج بها، وإلا فلا يتم ذلك، ثم أَكَلُكَ بعد ذلك إلى اختيارك، وما تقضي عليه فطنتك وتميزك، فينبغي أن تُنْعِمَ النظر فيما يرد عليك، ولن ينفع بالنظر إلى مَنْ يُحَسِّنُ أن يتأمل، ومن إذا تأمل علم، ومن إذا علم أنصف... ألا ترى أنه قد يكون فرسان سليمين من كل عيب، موجوداً فيهما سائر علامات العتق

والجودة والنجابة، ويكون أحدهما أفضل من الآخر بفرق لا يعلمه إلا أهل الخبرة والدربة الطويلة، وكذلك الجاريتان البارعتان في الجمال، المتقاربتان في الوصف، السليمتان من كل عيب قد يفرق بينهما العالمُ بأمر الرقيق، حتى يجعل بينهما في الثمن فضلاً كبيراً، فإذا قيل له وللنَّحَّاس: من أين فضَّلت أنت هذه الجارية على أختها؟ ومن أين فضَّلت أنت هذا الفرس على صاحبه؟ لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما، وإنما يعرفه كل واحد منهما بطبعه وكثرة دُرْبته، وطول ملابسته، فكذلك الشعر: قد يتقارب البيتان الجيدان النادران، فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود إن كان معناه واحداً وأيهما أجود في معناه إن كان معناه مختلفاً^(١).

ثم ذكر أن ابن سلام وأبا علي دعبل بن علي الخزاعي قد سبقاه في بيان أن من الذوق ما لا يمكن تعليله. وأورد بعد ذلك كلمة إسحاق الموصلي المشهورة حين قال له المعتصم: أخبرني عن معرفة النغم وبينها لي، فأطلق عبارته:

«إن من الأشياء أشياء تحيط بها المعرفة، ولا تؤديها الصفة»^(٢).

ثم أعقب ذلك برواية قيل فيها لخلف الأحمر إنك لا تزال ترد الشيء من الشعر، وتقول هو رديء، والناس يستحسنونه فقال:

إذا قال لك الصيرفي إن هذا الدرهم زائف فاجهد جَهْدَكَ أن تنفقه، فإنه لا ينفعك قولٌ غيره: إنه جيد»^(٣).

فعنده أن الخير بالشعر، المعروف بكثرة النظر والارتياض فيه إذا أصدر رأيه من غير تعليل لا يحق لأحد أن يطالبه بإيجاد العلة.

يقول في ذلك:

(١) الموازنة: - محمد محيي الدين عبد الحميد: - ٣٧٢ - ٣٧٤.

(٢) المصدر السابق: ٣٧٤.

(٣) الموازنة: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد: - ٣٧٢ - ٣٧٤.

«فمن سبيل من عرف بكثرة النظر في الشعر والارتياض فيه، وطول الملاسة له أن يُقضى له بالعلم بالشعر، والمعرفة بأغراضه، وأن يسلم له الحكم فيه، ويقبل منه ما يقول؛ ويعمل على ما يمثله، ولا ينازع في شيء من ذلك إذا كان من الواجب أن يسلم لأهل كل صناعة صناعتهم، ولا يخاصمهم فيها، ولا ينازعهم إلا من كان مثلهم نظراً في الخبرة، وطول الدربة والملاسة»^(١).

أما الخطابي فلم يرض من المعرفة بظاهر السمة دون البحث عن باطن العلة، ولم يقنع في الأمر بأوائل البرهان حتى يستشهد لها دلائل الامتحان. يقول:

«وزعم آخرون أن إعجازه من جهة البلاغة، وهم الأكثرون من علماء أهل النظر وفي كفيته يعرض لهم الإشكال، ويصعب عليهم منه الانفصال، ووجدت كافة أهل هذه المقالة قد جروا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد، وضرب من غلبة الظن دون التحقيق له، وإحاطة العلم به، ولذلك صاروا إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختص بها القرآن، الفائقة في وصفها سائر البلاغات، وعن المعنى الذي يتميز به عن وصفها سائر البلاغات، وعن المعنى الذي يتميز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة، قالوا إنه لا يمكننا تصويره، ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم به مباينة القرآن غيره من الكلام، وإنما يعرفه العالمون به عند سماعه ضرباً من المعرفة لا يمكن تحديده، وأحاولوا على سائر أجناس الكلام الذي يقع منه التفاضل فتقع في نفوس العلماء به عند سماعه معرفة ذلك، ويتميز في أفهامهم قبيل الفاضل من المفضول منه»^(٢).

ثم يذكر أنهم قالوا:

«وقد يخفى سببه عند البحث، ويظهر أثره في النفس حتى لا يلتبس على ذوي العلم والمعرفة به»^(٣).

(١) الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد - : ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٢) بيان إعجاز القرآن «ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن»: ٢٤.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

وقالوا أيضاً:

«وقد توجد لبعض الكلام عذوبة في السمع وهشاشة في النفس لا توجد مثلها لغيره منه، والكلامان معاً فصيحان، ثم لا يوقف لشيء من ذلك على علة»^(١).

ولم يقنع الخطابي بهذه الأقوال وردها قائلاً:

«وهذا لا يقنع في مثل هذا العلم، ولا يشفي من داء الجهل به، وإنما هو إشكال أحيل به على إبهام»^(٢).

وقال أيضاً:

«فأما من لم يرض من المعرفة بظاهر السمة دون البحث عن باطن العلة، ولم يقنع في الأمر بأوائل البرهان حتى يستشهد لها دلائل الامتحان، فإنه يقول إن الذي يوجد لهذا الكلام من العذوبة في حس السامع، والهشاشة في نفسه، وما يتحلى به من الرونق والبهجة التي يبين بها سائر الكلام حتى يكون له هذا الصنيع في القلوب، والتأثير في النفوس، فتصطلح من أجله الألسن على أنه كلام لا يشبهه كلام، وتَحَصَّرُ الأقوال عن معارضته، وتنقطع به الأطماع عنها، أمر لا بد له من سبب، بوجوده يجب له هذا الحكم، وبحصوله يستحق هذا الوصف، وقد استقرينا أوصافه الخارجة عنه، وأسبابه النابتة منه، فلم نجد شيئاً منها يثبت على النظر، أو يستقيم في القياس، ويطرد على المعايير، فوجب أن يكون ذلك المعنى مطلوباً من ذاته، ومستقصى من جهة نفسه: فدل النظر وشاهد العبر على أن السبب له، والعلة فيه أن أجناس الكلام مختلفة...»^(٣).

فهو إذاً يرفض مسألة التذوق الذاتي رفضاً باتاً حتى وإن كانت من خبير، وبخاصة في قضية إعجاز القرآن، ففيها لا بد من معرفة العلة ووجوب إظهارها حتى يثبت بها الإعجاز.

(١) بيان أعجاز القرآن «ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٢٤.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق: ٢٥ - ٢٦.

وبعد استعراض هذه الآراء النقدية في مسألة الذوق، والسابقة للشيخ عبد القاهر يتبين لنا أنها تلتقي في أوجه وتختلف في أخرى، فجميعها اعترف بالذوق مقياساً جمالياً مع وجوب الدربة والممارسة، والتثقيف. إلا أنه يتضح من كلام ابن سلام والقاضي الجرجاني اعترافهما بالذوق الذاتي، فهما لم يتطرقا إلى أمر التعليل.

وعلى عكسهما ذهب الخطابي، فهو لم يعترف بالذاتية مطلقاً في العمل الأدبي، فبعد بذلك عن الموضوعية أيضاً؛ لأن الموضوعية - كما ذكرت سابقاً - الاعتراف بالذاتية بشرط التعليل.

أما الأمدي فقد كان وسطاً بين الفريقين، فقد تنبه إلى أن هناك أموراً يمكن تعليلها، وأموراً يمكن تعليلها، وأموراً لا يمكن فيها التعليل.

وبهذا يقرب الشيخ عبد القاهر من الأمدي إلا أن هناك فروقاً بين الرأيين يتبين منها أن رأي الشيخ كان أكثر نضوجاً، وأقرب إلى الروح العلمية الحديثة، فموقف الأمدي من الذوق الموضوعي كان موقف المعترف بوجوده، أما الشيخ فقد نادى بوجود التعليل لكل أمر نستحسنه وكل أمر نستقبحه فهو إذاً يطالب باتخاذ الذوق الموضوعي منهجاً عاماً في كل عملية نقدية.

والأمدي سمح للناقد الخبير بحرية التذوق المطلقة، أما الشيخ فقد حد من هذه الحرية، وضيق دائرتها؛ لأن الاعتماد على هذه الذاتية يصيب الناقد بالخمول والكسل.

فصحيح أن هناك أموراً لا يمكن أن نقف لها على علة، ولكن ليس معنى هذا التهاون والتكاسل، واتخاذ ذلك وسيلة لليأس. بل الواجب اتخاذ ما نعرف وسيلة إلى ما لا نعرفه، وأن نبذل في سبيل تلك المعرفة كل جهدنا وطاقاتنا. وفي ذلك يقول الشيخ:

«واعلم أنه ليس إذا لم تُمكن معرفة الكل، وجب ترك النظر في الكل، وأن تعرف العلة والسبب فيما يمكنك معرفة ذلك فيه، وإن قل فتجعله شاهداً

فيما لم تعرف أخرى من أن تسد باب المعرفة على نفسك، وتأخذها عن الفهم والفهم، وتعودها الكسل والهويناء^(١).

ولم يقف الشيخ عند هذا الحد بل كتب في آخر «الدلائل» فصلاً هو بمثابة وثيقة نقدية علمية لا غنى لكل ناقد عن درسها بل حفظها، فبعد أن أوضح أن إدراك البلاغة لا يكون إلا بالذوق والإحساس النفسي المرهف، شرع في وضع الأسس التي تربي ذلك الذوق، وتجعله أداة مشروعة للمعرفة، وهذه الأسس تجعل الناقد بصيراً بنفسه قبل أن يخوض ميدان النقد العصيب.

وأول ما نلاحظه في هذا الفصل أن الشيخ لا يؤمن إلا بالذوق الفطري الذي هذبته الدربة والممارسة، فعملية الذوق عنده عملية نفسية يدرك بها الأمور الخفية والمعاني الروحانية، من عدمها عدم الإحساس والشعور بالقيمة الجمالية للأدب، وبالتالي فقد اللذة الفنية التي تعقب هذا الإحساس.

والذوق أمر لا يمكن قسر النفس عليه، وإجبارها على امتلاكه والتحلي به.

قال الشيخ :

«ولسنا نستطيع في كشف الشبهة في هذا عنهم، وتصوير الذي هو الحق عندهم، ما استطعناه في نفس النظم، لأننا ملكنا في ذلك أن نضطرهم إلى أن يعلموا صحة ما نقول. وليس الأمر في هذا كذلك، فليس الداء فيه بالهين، ولا هو بحيث إذا رُمّت العلاج منه وجدت الإمكان فيه مع كُلِّ أحد مُسْعِفاً، والسعي مُنْجِهاً، لأن المزايا التي تحتاج أن تُعَلِّمهم مكانها، وتُصَوِّر لهم شأنها، أمورٌ خفية، ومعانٍ روحانية، أنت لا تستطيع أن تُنبِّه السامع لها، وتحدث لها علماً بها حتى يكون مهيباً لإدراكها، وتكون فيه طبيعة قابلة لها، ويكون له ذوقٌ وقريحة يجد لهما في نفسه إحساساً بأن من شأن هذه الوجوه والفروق أن تعرّض فيها المزية على الجملة، ومن إذا تصفّح الكلام، وتدبر الشعر، فرّق بين موقع شيء منها وشيء^(٢)».

(١) الدلائل، رضا: ٢٢٦، خفاجي: ٢٩٥ - ٢٩٦، شاکر: ٢٩٢.

(٢) الدلائل، رضا: ٤١٩ - ٤٢٠، خفاجي: ٤٩٨، شاکر: ٥٤٧.

فإذا أدركنا أن الذوق فطري وجب على الخائض في ميدان النقد أن يكون صريحاً مع نفسه فيختبرها ويتفحصها، ويتأكد تأكيداً تاماً من تسلحه بالملكة الذوقية، وأن لا يخدع نفسه، ويدّعي ما لا يملكه فإنّ مغبة ذلك عظيمة، لأن الملكة الذوقية أمر لا يتمتع به إلا قلة من الناس.

وفي ذلك يقول الشيخ :

«والبلاء والداء العياء أن هذا الإحساس قليل في الناس، حتى إنه ليكون أن يقع للرجل الشيء، من هذه الفروق والوجوه في شعرٍ يقوله أو رسالةٍ يكتبها، الموقع الحسن، ثم لا يعلم أنه قد أحسن، فأما الجهل بمكان الإساءة فلا تعدّمه فلست تملك إذاً من أمرك شيئاً حتى تظفر بمن له طبعٌ إذا قدحته وري، وقلب إذا أريته رأى، فأما وصاحبك من لا يرى ما تُريه، ولا يهتدي للذي تهديه، فانت رامٍ في غير مرمى، ومعنٌ نفسك في غير جدوى، وكما لا تقيم الشعر في نفس من لا ذوق له، كذلك لا تفهم هذا الشأن من لم يؤت الآلة التي بها يفهم، إلا أنه إنما يكون البلاء إذا ظن العادم لها أنه أوتيها، وأنه يُمّن يكمل للحكم، ويصحّ منه القضاء، فجعل يقول القول لو علم غبّه لاستحى منه. فأما الذي يُحسّ بالنقص من نفسه ويعلم أنه قد عديم علماً قد أوتيّه من سواه، فانت منه في راحة، وهو رجل عاقلٌ قد حماه عقله أن يعدّو طوره، وأن يتكلف ما ليس بأهل له»^(١).

ويلفتنا الشيخ إلى أن عملية التذوق عملية نقدية صعبة؛ لأنها لا تخضع كبقية العلوم لقاعدة ثابتة مطردة، فالناقد قد يقف أمام الأثر الأدبي وقتاً طويلاً يقلب جميع وجوهه، وجوانبه حتى إذا ظن أنه قد حصل على مبتغاه وتوصل إلى مرماه تراءت له خواطر ونظرات تضطره إلى إعادة النظر وتقليب الأمر مرة أخرى، فالعملية النقدية عملية تحتاج إلى جهد وصبر وأناة، وطول معاودة، وفي هذا تحذير لمن يزج بنفسه في ميدان النقد من غير أن يخبر أدواته.

(١) الدلائل، رضا: ٤٢١-٤٢٢، خفاجي: ٥٠٠-٥٠١، شاکر: ٥٤٩.

يقول الشيخ :

«ولم يكن الأمر على هذه الجملة إلا لأنه ليس في أصناف العلوم الخفية، والأمور الغامضة الدقيقة، أعجب طريقاً في الخفاء من هذا، وإنك لتتعب في الشيء نفسك، وتكد فيه فكرك، وتجهد فيه كل جهدك حتى إذا قلت قد قتلته علماً، وأحكمته فهماً، كنت بالذي لا يزال يتراءى لك فيه من شبهة، ويعرض فيه من شك كما قال أبو نواس:

أَلَا لَا أَرَى مِثْلَ امْتِرَائِي فِي رَسْمٍ تَغْصُ بِهِ عَيْنِي وَيَلْفِظُهُ وَهْمِي
أَتَتْ صُورُ الْأَشْيَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَظَنِّي كَلَّا ظَنٍّ وَعِلْمِي كَلَّا عِلْمٍ^(١)

وكثيراً ما يذكرنا الشيخ بوعورة هذا المسلك وخطورة هذا الطريق؛ لأن فيه منعطفات ودقائق تخفى على كبار العلماء. يقول:

«واعلم أن لم تَضِقِ العبارة ولم يَقْصُرِ اللفظ، ولم يَنْغَلِقِ الكلام في هذا الباب، إلا لأنه قد تناهى في الغموض والخفاء إلى أقصى الغايات، وأنك لا ترى أغرب مذهباً، وأعجب طريقاً، وأحرى بأن تضطرب فيه الآراء، منه.

وما قولك في شيء قد بلغ من أمره أن يُدَّعى على كبار العلماء أنهم لن يعلموه ولم يفطنوا له؟ فقد ترى أن البحثري قال حين سُئِلَ عن مسلم وأبي نواس: أيهما أشعر؟ فقال: أبو نواس. فقل: فإن أبا العباس ثعلباً لا يُوافِقُكَ على هذا، فقال: ليس هذا من شأن ثعلب، وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله إنما يعلم ذلك من دُفِعَ في مَسَلِكِ طريق الشعر إلى مضايقه، وانتهى إلى ضروراته»^(٢).

ويقول في موضع آخر:

«واعلم أن مما أغمض الطريق إلى معرفة ما نحن بصدده أن هاهنا فروقاً خفية تَجْهَلُهَا العامة وكثير من الخاصة، ليس أنهم يجهلون بها في موضع،

(١) الدلائل، رضا: ٤٢٣، خفاجي: ٥٠٢، شاکر: ٥٥٣.

(٢) الدلائل، رضا: ٢١٠، خفاجي: ٢٧٩ - ٢٨٠، شاکر: ٢٧١.

ويعرفونها في آخر. بل لا يدرون أنها هي، ولا يعلمونها في جملة ولا تفصيل»^(١).

وناقدنا الكبير عبد القاهر حريص على تربية الثقة في نفس الناقد. والثقة أمر ضروري لا بد أن يتسلح به كل ناقد حتى تكون له شخصيته المستقلة، ومن هذا المنطلق نرى الشيخ عبد القاهر يكره التقليد والاتباع من غير نظر وتدبر، فهو يهيب بالناقد أن يستقل برأيه، وأن لا ينخدع بالأراء التي تدور حوله من غير تأمل وفحص، وإن كانت صادرة من كبار العلماء. يقول الشيخ:

«ومن ذلك أنك ترى من العلماء من قد تأول في الشيء تأويلاً وقضى فيه بأمر، فمعتقده اتباعاً له، ولا ترتاب أنه على ما قضى وتأول، وتبقى على ذلك الاعتقاد الزمان الطويل، ثم يلوح لك ما تعلم به أن الأمر على خلاف ما قدّر...»^(٢).

وكما أن ميدان النقد عند الشيخ قائم على الإحساس الفني الدقيق والقريحة النفاذة، فإنه يحتاج أيضاً إلى معرفة واسعة، وإلمام شامل بمختلف العلوم. يقول الشيخ:

«واعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعاً من السامع، ولا يجد لديه قبولاً، حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة»^(٣).

ولذا نجده في فاتحة الكتاب يبين مكانة العلم، ويرفع من شأنه؛ لأنه سبيل لكل شرف، وهو ذروة كل مفخرة وسنامها، ومظهر كل محمودة ومفتاحها. والإحساس إن لم يتعهد صاحبه بالرعاية، والعناية عن طريق العلم

(١) الدلائل، رضا: ٢٤٢، خفاجي: ٣١٥، شاکر: ٣١٥.

(٢) الدلائل، رضا: ٤٢٥، خفاجي: ٥٠٣، شاکر: ٥٥٣.

(٣) الدلائل، رضا: ٢٢٥، خفاجي: ٢٩٥، شاکر: ٢٩١.

والمعرفة، والدربة والممارسة إحساس هش لا يلبث أن يضيع في ثنايا النفس، ويعدمه صاحبه.

وأجل أنواع المعارف التي يوصي الشيخ بالاطلاع عليها «الشعر» و«النحو» وقد عقد في أول الكتاب فصلين كبيرين يبين فيهما فضيلة كل من العلمين، فالشعر عنده هو جامع ثمر العقول والألباب وفيه تجتمع الآداب، وتظهر المعاني الشريفة، وهو وثيقة تاريخية نعرف بها آثار الماضين مخلدة في الباقيين، وهو باختصار معقد العلوم والآداب.

يقول الشيخ:

«وَيَعْدُ فَكَيْفَ وَضَعَ مِنَ الشُّعْرِ عِنْدَكَ وَكَسَبَهُ الْمَقْتَ مِنْكَ أَنْكَ وَجَدْتَ فِيهِ الْبَاطِلَ، وَالْكَذِبَ، وَبَعْضَ مَا لَا يَحْسُنُ، وَلَمْ يَرْفَعْهُ فِي نَفْسِكَ، وَلَمْ يُوجِبْ لَهُ الْمَحَبَّةَ مِنْ قَلْبِكَ، أَنْ كَانَ فِيهِ الْحَقُّ وَالصَّدْقُ وَالْحِكْمَةُ، وَفَصْلُ الْخُطَابِ، وَأَنْ كَانَ مَجْنَى ثَمَرِ الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ، وَمَجْتَمَعُ فِرْقِ الْآدَابِ، وَالَّذِي قَيَّدَ عَلَى النَّاسِ الْمَعَانِي الشَّرِيفَةَ، وَأَفَادَهُمُ الْفَوَائِدَ الْجَلِيلَةَ، وَتَرَسَّلَ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْغَابِرِ، يَنْقُلُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ إِلَى الْوَلَدِ عَنِ الْوَالِدِ، وَيُوَدِّيْ دَائِعَ الشَّرَفِ عَنِ الْغَائِبِ إِلَى الشَّاهِدِ، حَتَّى تَرَى بِهِ آثَارَ الْمَاضِينَ مُخَلَّدَةً فِي الْبَاقِينَ، وَعُقُولَ الْأَوَّلِينَ، مُرَدُّةً فِي الْآخِرِينَ»^(١).

أما علم النحو فلا يمكن للمتذوق أن يدرك المعنى ويحس به حتى يكون من أهل المعرفة والدراية بعلم النحو، فالألفاظ تكون مغلقة على معانيها، ولا يمكن فهمهما حتى يكون الإعراب هو فاتحها، وهو مقياساً لا يمكن للمتذوق أن يغفل عنه أو يتجاهله، فبه يتبين نقصان الكلام ورُجحانه، وهو المقياس الذي تتم به معرفة سقيم الكلام من صحيحه.

يقول الشيخ:

«وَأَمَّا زُهْدُهُمْ فِي النَّحْوِ وَاحْتِقَارُهُمْ لَهُ، وَإِصْغَارُهُمْ أَمْرَهُ وَتَهَاوُنُهُمْ بِهِ،

(١) الدلائل، رضا: ١٢، خفاجي: ٦٨، شاكر: ١٥.

فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدّم، وأشبه بأن يكون صدّاً عن كتاب الله وعن معرفة معانيه ذاك لأنهم لا يجدون بُدّاً من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه، إذ كان قد عُلم أن الألفاظ مُغلّقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورُجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يُرجح إليه...»^(١).

والمتذوق الفذ عند الشيخ عبد القاهر هو الذي لا يصيخ سمعه لنداءات المثبتين فلا بد أن يتحلّى بهمة عالية متينة لا يَهْذُها اليأس، فهو إن لم يدرك العلة في موقف «ما» فليس هذا معناه ترك التذوق، والانصراف عن البحث، فعدم معرفة الكلام لا يوجب ترك النظر في الكل، فهذا الترك يعود النفس على الكسل والهويني، ويدعو الشيخ الناقد المتذوق إلى التغلغل في أعماق النص الأدبي، ويحذره من الوقوف على ظاهر النص، فالذوق السليم لا يقنع إلا بالنظرة الشاملة التي تحيط بجميع جوانب النص، فيجب عليه ألا يقنع بوجود استعارة أو كناية. مثال ذلك أن تنظر إلى قول ابن المعتز:

وَإِنِّي عَلَى إِشْفَاقٍ عَيْنِي مِنَ الْعِدَى لَتَجْمَحُ مِنِّي نَظْرَةٌ ثُمَّ أَطْرُقُ

فترى أن هذه الطلاوة، وهذا الظرف إنما هو لأن جعل «النظر يجمع وليس هو لذلك بل لأن قال في أول البيت و «إِنِّي» حتى دخل اللام في قوله «لتجمع» ثم قوله: «مَنِّي» ثم لأن قال «نَظْرَةٌ»، ولم يقل «النَّظَر» مثلاً ثم لمكان «ثم» في قوله: «ثم أطرق»، وللطيفة أخرى نَصَرَتْ هذه اللطائف، وهي اعتراضه بين اسم «إن» وخبرها بقوله: «على إشفاق عيني من العدى»^(٢).

والشيخ عبد القاهر يربي في نفس المتذوق سعة الصدر وطول الأناة، فينبهه إلى أنَّ المزية والحسن قد لا تتكشف للمتذوق إلا عند آخر حرف في الأثر

(١) الدلائل، رضا: ٢٣، خفاجي: ٨٠، شاکر: ٢٨.

(٢) الدلائل، رضا: ٧٧ - ٧٨، خفاجي: ١٣٦، شاکر: ٩٨ - ٩٩.

الأدبي، فعليه أن يتحلى بالصبر، وأن يستكمل النص ليدرك العلاقات بين الألفاظ، ومن ثم يتكشف له وجه الحسن أو القبح.

وينبه كذلك إلى أن بعض النصوص يظهر فيها وجه الحسن من أول بيت في القصيدة.

والمتذوق قد يضطر أحياناً إلى تلفية ديوان بأكمله، فلا يجد فيه إلا عدة أبيات تقضي بالاستاذية لقائلها.

يقول الشيخ:

«واعلم أن من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن كالأجزاء من الصَّبْغِ تتلاحق، وينضم بعضها إلى بعض حتى تكثر في العين، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه، ولا تقضي له بالحقق والأستاذية وسعة الدُّرْعِ وشدة المُنَّةِ، حتى تستوفي القطعة، وتأتي على عدة أبيات، وذلك ما كان من الشعر في طبقة ما أنشدتك من أبيات البحري.

ومنه ما أنت ترى الحسن يهجم عليك منه دَفْعَةً، ويأتيك منه ما يملأ العين ضَرْبَةً حتى تعرف من البيت الواحد مكان الرجل من الفضل، وموضعه من الحِذْقِ، وتشهد له بفضل المُنَّةِ وطول الباع...»^(١).

ثم يقول:

«ثم إنك تحتاج إلى أن تستقري عدة قصائد، بل أن تَقْلِي ديواناً من الشعر حتى تجمع منه عدة أبيات»^(٢).

والمتذوق الناجح في رأي الشيخ هو الذي يقف على النص وهو على درجة إحساس واحدة، فلا يقف على بعضه وهو في نشاط حسي عال، ويقف على بعضه الآخر وقد أصابه الفتور الحسي من جراء كِدِّ ذهني أو تعب جسمي أو نفسي.

(١) الدلائل، رضا: ٧٠، خفاجي: ١٢٩، شاعر: ٨٨.

(٢) الدلائل، رضا: ٧١، خفاجي: ١٢٩، شاعر: ٨٩.

وفي ذلك يقول الشيخ :

«واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت: أن تتحد اجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشد ارتباط ثان منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع يمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك»^(١).

وقد وضع الشيخ عبد القاهر بين يدي الناقد المتذوق بعض العناصر الجمالية التي يستطيع من خلالها إدراك الجمال الفني في النص الأدبي ومن تلك العناصر:

ضرورة تأمل النص، فكل تقويم موضوعي للعمل الفني لا يقوم بنفسه عند عبد القاهر، وإنما يعتمد إلى حد كبير على عملية «التأمل» التي يلح ناقدنا عليها - وباطراد في صدر نصوصه - طريقاً إلى فهم الجمال وسمة من سمات الاستجابة الجمالية عنده. رابطاً بينها وبين البصيرة مرة، وبينها وبين العقل مرة أخرى، وبينها وبين الخيال والاستقصاء مع الثاني والمراجعة والصبر مرة ثالثة. فالتأمل عنده وظيفة من وظائف الفكر، فهو لا يقصد به تقليب الشيء والنظر فيه من وجوهه المختلفة بل هو يقصد إلى التفكير الجديد في نص أو فكرة شعرية انتهى الفكر من تشكيلها، ثم النظر في علاقات الأجزاء بعضها ببعض، ثم علاقتها بالذات نفسها، وبعد هذه العملية التأملية يتولد الانفعال الجمالي، وتحل المتعة الجمالية، ويكون الأنس، ويكون الاستحسان والظرف، وتكون الأريحية^(٢).

على الناقد الماهر ملاحظة وحدة الصورة، وتلاحم أجزائها في النص الأدبي فالأديب البارع عند الشيخ هو الذي يحاول فرض ضرب من الوحدة على ما في موضوعه من تعدد في الأشكال، أو الحركات، أو الصور، وحين يوجد

(١) الدلائل، رضا: ٧٣، خفاجي: ١٣٢، شاکر: ٩٣.

(٢) مفهوم الجمال عند عبد القاهر الجرجاني: ٣٦ - ٤٠.

الفنان عناصر موضوعه المؤتلف منها والمختلف، فإنه يخلع على عمله الفني إيقاعاً خاصاً يحمل إحساساً معيناً^(١).

يقول الشيخ عبد القاهر:

«واعلم أن من الكلام ما أنت تعلم إذا تدبرته أن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية حتى انتظم، بل ترى سبيله في ضم بعضه إلى بعض سبيل من عمد إلى لال فخرطها في سلك، لا ينبغي أكثر من أن يمنحها التفرق وكنم نضد أشياء بعضها على بعض، لا يريد من نضده ذلك أن تجيء له منه هيئة أو صورة، بل ليس إلا أن تكون مجموعة في رأي العين»^(٢).

وعلى هذا الأساس استجاد قول بشار:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافِنَا لَيْلَ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

حيث ارتبط التشبيه فيه بما يقتضيه النظم، ومعاني النحو. قال الشيخ: «فبيت بشار إذا تأملته وَجَدْتَهُ كَالْحَلَقَةِ الْمَفْرَغَةِ لَا تَقْبَلُ التَّقْسِيمَ، وَرَأَيْتَهُ قَدْ صَنَعَ فِي الْكَلِمِ الَّتِي فِيهِ مَا يَصْنَعُهُ الصَّانِعُ حَتَّى يَأْخُذَ كِسْراً مِنَ الذَّهَبِ فَيُذَيِّبُهَا ثُمَّ يَصُبُّهَا فِي قَالِبٍ، وَيُخْرِجُهَا لَكَ سِوَاراً، أَوْ خَلْخَالاً، وَإِنْ أَنْتَ حَاوَلْتَ قَطَعَ بَعْضُ أَلْفَاظِ الْبَيْتِ عَنْ بَعْضٍ كُنْتَ كَمَنْ يَكْسِرُ الْحَلَقَةَ وَيَقْصِمُ السَّوَارَ... وَالْبَيْتُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ كَلَامٌ وَاحِدٌ... فَانْظُرْ مَا تَقُولُ فِي اتِّحَادِ هَذِهِ الْكَلِمِ الَّتِي هِيَ أَجْزَاءُ الْبَيْتِ، أَتَقُولُ: إِنْ أَلْفَاظُهَا اتَّحَدَتْ فَصَارَتْ لَفْظَةً وَاحِدَةً؟ أَمْ تَقُولُ إِنْ مَعَانِيهَا اتَّحَدَتْ فَصَارَتْ أَلْفَاظُهَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّهَا لَفْظَةٌ وَاحِدَةً؟ فَإِنْ كُنْتَ لَا تَشْكُ أَنْ الْإِتِّحَادَ الَّذِي تَرَاهُ هُوَ فِي الْمَعْنَى إِذْ كَانَ مِنْ فُسَادِ الْعَقْلِ وَمِنْ الذَّهَابِ فِي الْخَبْلِ أَنْ يَتَوَهَّمُ مَتَوَهَّمُ أَنْ أَلْفَاظُهَا يَنْدَمِجُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ حَتَّى تَصِيرَ لَفْظَةً وَاحِدَةً، فَقَدْ أَرَادَ ذَلِكَ إِنْ لَمْ تُكَابِرْ عَقْلَكَ أَنْ «النَّظْمُ» يَكُونُ فِي مَعْنَى الْكَلِمِ دُونَ أَلْفَاظُهَا، وَأَنْ نَظْمُهَا هُوَ تَوْخِي مَعْنَى النُّحُو فِيهَا... وَإِذَا نَظَرْنَا لَمْ نَجِدْهَا اتَّحَدَتْ إِلَّا بِأَنْ جَعَلَ «مُثَارَ النَّقْعِ» اسْمَ «كَانَ» وَجَعَلَ الظَّرْفُ هُوَ «فَوْقَ رُؤُوسِنَا» مَعْمُولاً

(١) المرجع السابق: ٥٩.

(٢) الدلائل، شاکر: ٩٦ - ٩٧.

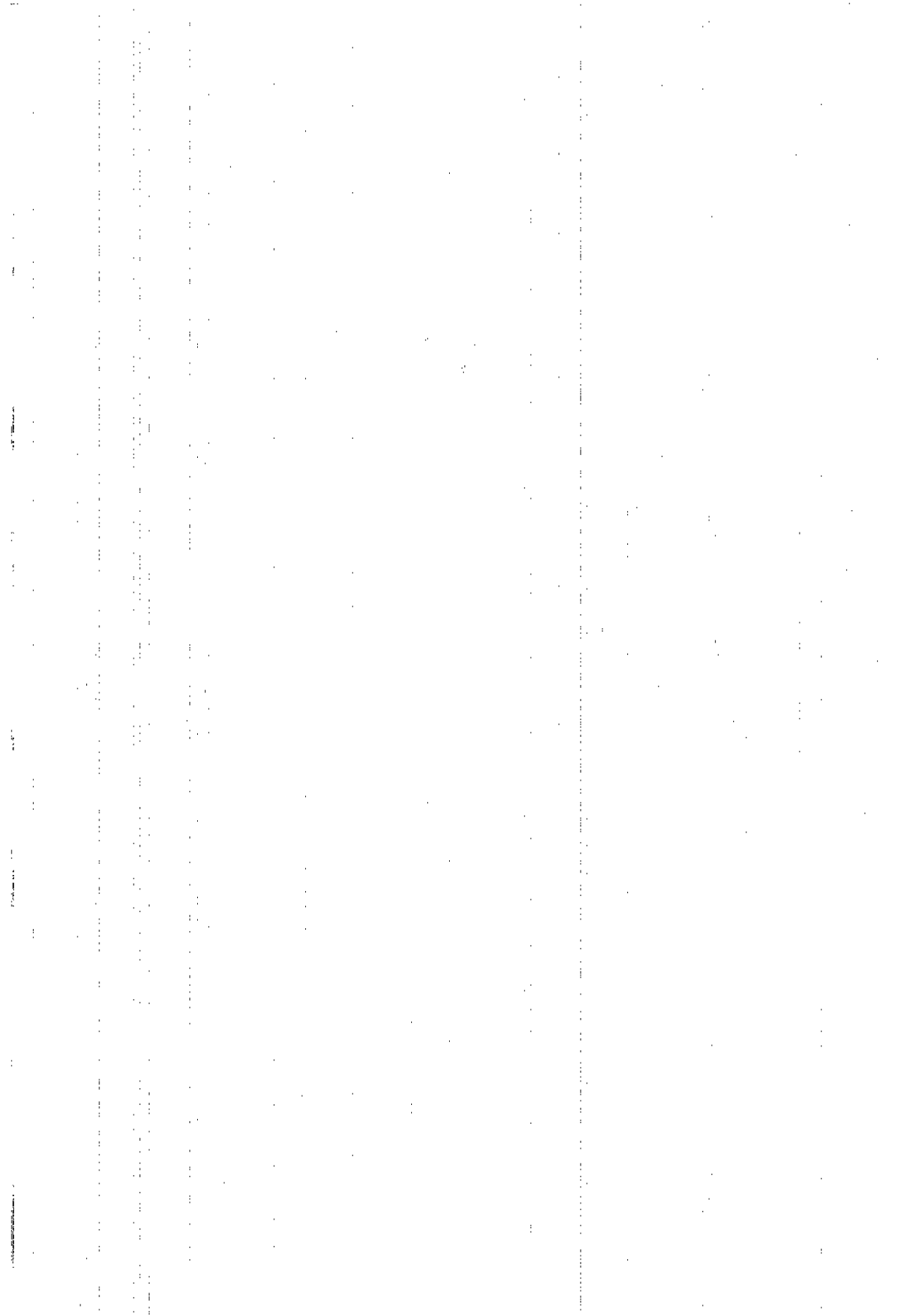
«لمثار» ومعلقاً به، وأشرك «الأسياف» في «كأن» بعطفه لها على «مثار» ثم بأن قال:

«ليل تهاوى كواكبه» فاتى بالليل، نكرة، وجعل جملة قوله: «تهاوى كواكبه» له صفة ثم جعل مجموع «ليل تهاوى كواكبه» خبراً «لكأن» فانظر هل ترى شيئاً كان الاتحاد به غير ما عددناه؟ وهل تعرف له مُوجِباً سواه؟^(١).

وأخيراً هذه هي القواعد النقدية القيمة التي وضعها الناقد المتذوق الشيخ عبد القاهر والتي تعد - وبحق - أحدث ما وصل إليه النقد العربي قديماً وحديثاً بل والنقد الغربي المعاصر - أيضاً -.

(١) الدلائل، شاكراً: ٤١٤ - ٤١٥.

الخاتمة



الخاتمة

أحمد الله تعالى وأشكر له توفيقه لي في اختيار هذا البحث الذي هذب فكري، وأثار لي دروباً كثيرة كانت مظلمة في جوانب نفسي.

فالعيش في رحاب فكر الشيخ عبد القاهر أمر ممتع حقاً، ويعود بالفضل العظيم على صاحبه.

فالشيخ عبد القاهر علم من أعلام الفكر العربي، وقطب من أقطابه استطاع بجهوده العظيمة الجبارة أن يكشف للعالم الماضي والحاضر عن عمق العقلية العربية، وأصالة فكرها وارتقائه.

ولأهمية هذه الشخصية ومكانتها العلمية قامت حولها كثير من الدراسات البلاغية والنقدية واللغوية والنحوية، وبعد أن اطلعت على كثير من هذه الدراسات رأيتُ أن هناك جانباً مهماً لا بد من العناية به ودراسته دراسة مستفيضة تظهر فكر الشيخ وتوضحه، وهذا الجانب هو دراسة شواهد الشيخ، وقد حاولت القيام بهذه الدراسة على قدر جهدي وعلمي، واقتصرت فيها على الشواهد الشعرية في كتاب الدلائل لأنها أكثر الشواهد التي اهتم بها الشيخ.

وبعد أن انتهيت بفضل الله ومنته من هذه الدراسة الممتعة سجلت بعض النتائج التي ظهرت أو أظهرتها في هذا البحث:

ترك الشيخ عبد القاهر للنقاد أروع طريقة تمكنهم من التذوق السليم والنقد الهادف البناء. تلك هي فكرة النظم التي بنى عليها كتابه «الدلائل» والتي تعد حقيقة منهجاً تحليلياً رائعاً في نقد الآثار الأدبية وإن لم يكن هو مبتكر هذه

النظرية وإنما يعتبر صاحبها لأنه وسع مدلولها ومدّ آفاقها، وبسط القول فيها، وقعد لها القواعد، واستنبط لها الأصول، ودعمها بالشواهد.

فنظرية الشيخ تدعو النقاد إلى عدم الوقوف عند حدود اللفظ، بل على الناقد البصير أن ينظر في العلاقات اللغوية التي تربط بين هذه الألفاظ، فاللغة عنده ليست مجموعة ألفاظ إنما هي مجموعة من العلاقات فالقول الأكثر واقعية هو أن نقول بأن الشيخ هو واضح أسس المنهج التحليلي لا أن نقول بأنه واضح أساس علم المعاني.

اعتمد الشيخ في إثبات فكرة النظم على الشواهد الشعرية اعتماداً كبيراً أكثر من اعتماده على آي القرآن، فقد بلغ عدد الشواهد القرآنية الواردة في كتاب الدلائل ما يقرب من مائة وواحد وخمسين شاهداً قرآنياً، وعدد الشواهد الشعرية «اثنان وثمانون وثلاثمائة» وقد أهمل البلاغة النبوية إهمالاً يكاد يكون تاماً فقد ذكر ما يقرب من ثلاثة عشر حديثاً - في اعتقاده - كلها في فصل الكلام في الشعر «أما ما استخدمه منها في تعقيد نظريته وشرحها فكان حديثاً واحداً فقط ذكره في باب اللفظ والنظم عند حديثه عن استعمال «كل».

وهذا بلا شك تقصير من الشيخ، فلا بأس في أن يستعين بالشواهد الشعرية في توضيح الفكرة أما أن يتخذها هي الأساس فهذا أمر لا يُعذر فيه؛ لأن طبيعة القرآن وطبيعة أسلوبه لا تماثل الشعر ولا تدانيه، فهو في الدرجة المتناهية من البلاغة فلو أن الشيخ أولى آي القرآن عنايته، وأسس عليه نظريته لوجدت في ذلك طريقاً أخصب وارتقت ارتقاءً أسمى وأعلى، ولأنت بدقائق وأسرار لم يتوقعها الشيخ عبد القاهر نفسه، وكانت دليلاً أقوى على إعجاز القرآن ولأظهرت سمو نظمه إلى الحد المتناهي الذي يثبت به.

لم يحكم الشيخ على كثير من الشواهد التي ساقها بجودة ولا برداءة، ومنها ما حكم عليه بأحد هذين ولكن لم يبين سر حكمه، ومنها ما حكم عليه وبين سر الحكم مكتفياً بإبراز الظواهر النحوية في النص الشعري من غير إظهار للسر البلاغي لهذه الظواهر؛ إلا أنه عند تحليله لشواهد حذف المفعول أظهر أسراراً

ولطائف بلاغية لهذا الحذف جعلها أصلاً فيه، وقاعدة ضابطة له فكان كريم العطاء فيه، فرأى أن له لطائف أكثر من لطائف حذف المسند إليه وما يظهر بسببه من الرونق أعجب.

وعند عرضه لشواهد هذه الفصل كان يقف أمامها وقفة الخبير ويحللها تحليل الذواق الفطن، ولم يكتفِ بوضع نظرتة هو، بل جعل باب التذوق مفتوحاً لكل صاحب حس مرهف، فقال عند الكلام عن حذف المفعول:

«وليس لنتائج هذا الحذف أعني حذف المفعول نهاية فإنه طريق إلى ضروب من الصنعة، وإلى لطائف لا تحصى».

وقد وضع الشيخ لحذف المفعول لطائف عديدة هي نتائج اجتهاده الذهني وكده العلمي وعطائه الروحي، فلم يتعرض لها من سبقه - فيما يبدو - وعنه أخذ من لحقه، ولم يزيدوا عليها الشيء الكثير فمن اللطائف التي ذكرها لهذا الحذف:

١ - إن ذكر الفعل وفي النفس مفعول مخصوص منسي ومخفي، فيه إيهام أن معنى الكلام القصد إلى الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل دون تعرض لمفعول ليحصل له معنى شريف وغرض خاص.

٢ - إن في حذف المفعول تتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل وتخلص له وتنصرف بجملتها وكما هي إليه.

٣ - البيان بعد الإيهام كما في فعل المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة.

٤ - دفع أن يتوهم السامع في أول الأمر إرادة شيء غير المراد.

٥ - يكون الحذف من الأول؛ لأنه أريد ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه إظهاراً لكمال العناية بوقوعه عليه.

٦ - القصد إلى التعميم في المفعول والامتناع عن أن يقصره السامع على ما يذكره معه دون غيره مع الاختصار.

٧ - الإضمار على شريطة التفسير ففي حذفه ابتعاد عن العبث.

هذا ما أورده الشيخ من أسرار حذف المفعول. ويظهر أن كل ما زاده عليه المتأخرون أنهم تناولوا الموضوع بطريقة علمية من تنظيم وتقسيم وتفصيل وطريقة تعبير، وزاد بعضهم أن الحذف يكون:

١ - لرعاية الفاصلة.

٢ - لاستهجان ذكره.

ومن اللطائف التي توصل إليها الشيخ - أيضاً - مواقع «إن» وأسرارها.

نحى الشيخ بمنهجه التحليلي منحىً جديداً فبين أثر النفس والتأمل الباطني في دراسة الأثر الأدبي. قال: - بعد أن عرض عدة أبيات في حذف المبتدأ:-

«فتأمل الآن هذه الأبيات كلها واستقرها واحداً واحداً، وانظر إلى موقعها في نفسك وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها، ثم فليت النفس عما تجد، وألطف النظر فيما تُحسُّ به ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر، وأن تخرجه إلى لفظك وتوقعه في سمعك، فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت وأن رُبَّ حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد»^(١).

وقال في موضع آخر «إنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر».

وقال أيضاً:

«فتجد لها»^(٢) من الثقل على النفس ومن التغيص والتكدير أضعاف ما وجدت

(١) الدلائل رضا: ١١٦، خفاجي: ١٨٣، شاکر: ١٥١.

(٢) يقصد كلمة الأخدع في بيت الحماسة والبحري وأبي تمام.

هناك من الروح المخفة والإيناس والبهجة»^(١).

ومثل هذه التعبيرات التي تحيل على النفس كثيرة في تحليلاته.

لم يهتم الشيخ بالوحدة الفنية في دراسة النص الشعري، فمعظم الشواهد التي استشهد بها كانت أبياتاً محدودة أو مبتورة فضيق بذلك المجال التطبيقي.

لم ينكر الشيخ ولم يغفل الدور الجمالي للكلمة المفردة في منهجه التحليلي وإنما انصرف عنه لأسباب منها:

إن دور اللفظ عنده أمر مسلم به ولا يشك فيه شاك كما أنه رأى أن العلماء الذين سبقوه أو عاصروه قد اهتموا بشأن اللفظ ودوره الجمالي بالقدر الذي يخدم فكرته، فهذا ابن سنان الخفاجي قد اهتم بالصوت والمقطع واللفظة المفردة فكان في ذلك غنى للشيخ عن التكرار الذي قد يصرفه عن تحقيق فكرة النظم التي بنى عليها كتابه «الدلائل».

إن الشواهد الشعرية التي أتى بها الشيخ كانت مختلفة الأغراض فمنها ما كان في المدح، ومنها ما كان في الغزل، والوصف والرثاء والفخر أي أنه عالج كل أغراض الشعر مع تفاوت في النسبة.

ظهر لي من خلال دراستي لشواهد الشيخ أنه كان يميل إلى ثلاثة شعراء: أبو تمام والمتنبي والبحتري، وإن كان ذوقه يُعجب بالبحتري أكثر ولكنه ليس الإعجاب الذي يجعله يميل ويجور في حكمه على الآخرين كما ذكر بعضهم.

اتكأ علماء البلاغة المتأخرون على معظم شواهد الشيخ الشعرية فضمنوها كتبهم، فالناظر في كتاب «الدلائل» وكتاب «المفتاح» و«الإيضاح» لا بد أن يلاحظ ذلك التأثير الشديد بشواهد الشيخ.

عني الشيخ في كتابه الدلائل بالناحية النقدية عناية تجعله من أوائل نقاد الأدب العربي. فقد استطاع من خلال تحليلاته وتوجيهاته القيمة تربية الذوق

(١) الدلائل رضا: ٤٦ خفاجي: ٩٦، شاکر: ٤٧.

البلاغي عند الناقد، فطالب باتخاذ الذوق الموضوعي منهجاً عاماً في كل عملية نقدية فالاعتماد على الذاتية يصيب الناقد بالخمول والكسل فصحيح أن هناك أموراً لا يمكن أن نقف لها على علة، ولكن ليس معنى هذا التهاون والتكاسل واتخاذ ذلك وسيلة لليأس بل الواجب اتخاذ ما نعرف وسيلة إلى ما لا نعرفه، وأن نبذل في سبيل ذلك كل طاقاتنا.

إن الذوق الذي يعترف به الشيخ هو الذوق الفطري الذي هذبه الدربة والممارسة، فعملية الذوق عنده عملية نفسية يدرك بها الأمور الخفية، والمعاني الروحانية من عدمها عدم الإحساس والشعور بالقيمة الجمالية للأدب، وبالتالي فقد اللذة الفنية التي تعقب هذا الإحساس فالذوق أمر لا يمكن قسر النفس عليه وإجبارها على امتلاكه والتحلي به.

نادى الشيخ بموضوعية الذوق، وأنه لا بد لكل كلام نستحسنه ولفظ نستجيده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة، وعلة معقولة وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذاك سبيل، وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل^(١) إلا أنه لم يلتزم بهذه الموضوعية في كثير من تحليلاته واعتمد على الذوق والأريحية.

ونبه إلى أن العملية النقدية تحتاج إلى جهد وصبر وأناة وطول معاودة، وفي هذا تحذير لمن يزج بنفسه في ميدان النقد من غير أن يخبر أدواته.

رأى الشيخ أن الثقة بالنفس أمر ضروري لا بد أن يتسلح به كل ناقد حتى تكون له شخصيته المستقلة، فهو يهيب بالناقد أن يستقل برأيه وأن لا ينخدع بالأراء التي تدور حوله دون تأمل وفحص وإن كانت صادرة من كبار العلماء.

رأى الشيخ أن ميدان النقد يحتاج مع الإحساس الفني الدقيق إلى معرفة واسعة وإلمام شامل بمختلف العلوم.

إن المتذوق الفذ عند الشيخ هو الذي لا يصيخ سمعة لنداءات المشبطين، فلا بد أن يتحلى بهمة عالية لا يشبها اليأس، فهو إن لم يدرك العلة في موقف

(١) الدلائل رضا: ٣٣، خفاجي: ٩١، شاكرو: ٤١.

(ما) فليس معنى هذا ترك التذوق والانصراف عن البحث، فعدم معرفة بعض أسرار الكلام لا يوجب ترك النظر في الكل.

يطالب الشيخ الناقد بالتغلغل في أعماق النص الأدبي، ويحذره من الوقوف على ظاهر النص، فالتذوق السليم لا يقنع إلا بالنظرة الشاملة التي تحيط بجميع جوانب النص، فالمزينة والحسن ربما لا تتكشف للمتذوق إلا عند آخر حرف في الأثر الأدبي.

ونبه الشيخ إلى أن بعض النصوص قد يظهر فيها الحسن من أول بيت في القصيدة، وأحياناً يضطر الناقد إلى تلفية ديوان بأكمله فلا يجد فيه إلا عدة أبيات تقضي لقائلها بالأستاذية.

هذه بعض آراء الشيخ النقدية التي تعد - ويحق - صحيفة نقدية لا بد لكل ناقد أن يلم بها.

وأخيراً إذا كان لي في ختام هذا البحث أن أتقدم ببعض الاقتراحات، والتوصيات التي ظهرت لي من خلال بحثي هذا، فإني أوصي أولاً المشتغل بهذا العلم ألا يبتعد عن أمور دينه فيكون عالماً في البلاغة والنقد جاهلاً في الدين فإن كان كذلك لم يجز ثمار هذا العلم وضاع جهده هباء، فهذا العلم الجليل إنما هو وسيلة يتوصل بها إلى معرفة أمور الدين، وليس هو غاية في ذاته فمن اتخذه غاية فقد شارق النهاية.

كما توصي الباحثة بأن تُكسى البلاغة والنقد ثوباً جديداً براقاً؛ وذلك بتطبيق منهج الشيخ التحليلي في الدراسات البلاغية والنقدية وتعميمه وتدريب الطلاب على التذوق والتحليل، والابتعاد عن الطرق الجافة التي تضطر الطالب إلى الحفظ وترديد المصطلحات دون وعي وفهم، فيفقد بذلك القدرة على التأمل والتذوق الموضوعي، ويحس بالضجر والملل، وينفر بالتالي من دراسة هذا العلم الجليل فيفوته بذلك متعة إدراك الإعجاز القرآني وتذوق حلاوته، وطلاوته.

وهذا بالفعل ما أصاب بلاغتنا ونقدنا العربيين اليوم حيث عقم الحس الذوقي عند الطلاب نتيجة للطرق الجافة التي تدرس بها البلاغة والنقد.

وتتوحد الباحثة أن تكون آي القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة هي الأساس الأول في الدراسات البلاغية، ولا يعني هذا التقليل من قيمة الشواهد الشعرية فلا شك أن لها دورها في تربية الذوق البلاغي والتقدي عند الفرد، ويمكن استخدامها توطئة لشرح بعض الأفكار البلاغية التي ترد في الآيات - أعني أن تكون آي القرآن والأحاديث النبوية هي الأساس الأول -.

وتدعو رؤاد الأدب والبلاغة والنقد إلى تذوق وتأمل الأدب العربي قديمه وحديثه رغبة في استخلاص شواهد بلاغية جديدة، وهذا لا يعني الاستغناء عن شواهد البلاغيين السابقين فهي الأساس بلا شك ولكن المقصد هو عدم الاعتماد الكلي على هذه الشواهد، بل لا بد من التنوع والتجديد الذي يناسب روح العصر.

وأخيراً أقول إنه لا غنى لكل فرد مسلم واعٍ عن دراسة البلاغة العربية دراسة فهم وتذوق وإدراك، فيها يدرك سر إعجاز القرآن الكريم الذي هو منهج الحياة، وأسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لخدمة كتابه الكريم وأن يمن علينا بالأجر والثواب وأن ينفع برسالتي هذه طلاب العلم، وأن يتقبلها خالصة لوجهه الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل.

الفهارس الفنية

- ١ — فهرس الآيات.
- ٢ — فهرس الأحاديث.
- ٣ — فهرس الأمثال.
- ٤ — فهرس المصطلحات البلاغية.
- ٥ — فهرس أبيات المدخل.
- ٦ — فهرس الأشعار الشواهد.
- ٧ — فهرس الأشعار غير الشواهد.
- ٨ — فهرس الشعراء.
- ٩ — فهرس الأعلام.
- ١٠ — فهرس اللغة.
- ١١ — فهرس الأديان والملل.
- ١٢ — فهرس الحيوانات.
- ١٣ — فهرس المآكل والمشارب.
- ١٤ — فهرس الأماكن والبقاع.
- ١٥ — فهرس القبائل.
- ١٦ — فهرس الدول.
- ١٧ — فهرس الوقائع.
- ١٨ — فهرس المصادر والمراجع.
- ١٩ — فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
-------	-------	--------

(سورة البقرة)

﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾	٢٠	٥٤
﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾	٢٣٨	٩٦٥
﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾	٧١	٦٩١
﴿فما ربحت تجارتهم﴾	١٦	٨٥٥
﴿قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾	٢٦٠	١٠٥٥
﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾	٩٨	٩٦٤
﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾	٩٣	١٢٦٤
﴿والله لا يحب كل كفار أثيم﴾	٢٧٦	٧٠٢
﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾	٢٣	١٢٥٤
﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾	٢١٦	٩٤٨
﴿ومن لم يطعمه فإنه مني﴾	٢٤٩	٤٤٢

(سورة آل عمران)

﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾	١٨	٥١
﴿كل نفس ذائقة الموت﴾	١٨٥	٨٤٦

(سورة النساء)

﴿أو جاؤكم حصرت صدورهم﴾	٩٠	٢٣٥
﴿ولا تقولوا ثلاثة انتهوا﴾	١٧١	٨٥٠

(سورة المائدة)

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من

آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم

ولا هم يحزنون ﴿

٦٩ ١٠١

﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾

٣٥ ١٢٧٢

(سورة الأنعام)

﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾

٣٨ ١٣٤

﴿ولتصني إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾

١١٣ ١١٠

(سورة التوبة)

﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾

٤٠ ٢٣٠

﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾

١١٨ ٢٧٠

﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله﴾

٣٠ ٨٤٨

(سورة هود)

﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾

٢٦ ٦٨٥

﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا

١٣ ١٢٥٤

من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾

(سورة يوسف)

﴿خلصوا نجياً﴾

٨٠ ١٢٦٤

﴿ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم﴾

٣١ ٨٧٥

﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾

٥٣ ٦٨٦

(سورة الرعد)

﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾

١٩ ٨٢٦

(سورة الحجر)

﴿فاصدع بما تؤمر﴾

٩٤ ١٢٦٤

(سورة النحل)

﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾

١١٢ ١٣٣١-٢٠٨

﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾

١٠٣ ٧٥٨

(سورة الإسراء)

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا

٨٨ ١٢٥٣

القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾

		(سورة الكهف)
٤٠	٣٤٢ - ٣٤٤	﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا﴾
		(سورة مريم)
٢٤	١٢٦٤	﴿جعل ربك تحتك سرياً﴾
٢	٣٢٧	﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾
		(سورة النور)
٤٠	٦٩٠	﴿إذا أخرج يده لم يكد يراها﴾
		﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري﴾
٣٥	٧٩	(سورة الفرقان)
١٩	٢٦٠	﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾
		(سورة الشعراء)
١٩٥	١٢٧١	﴿بلسان عربي مبين﴾
		﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾
١٩٣	١٢٥٣	بلسان عربي مبين﴾
		(سورة لقمان)
١٨	٧٠٢	﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾
		(سورة السجدة)
١ - ٢	٥٣٦	﴿الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه﴾
		(سورة سبأ)
١١	١١٧٩	﴿أن اعمل سابغات وقدر في السرد﴾
		(سورة يس)
٤٠	٨٤٨	﴿ولا الليل سابق النهار﴾
		(سورة ص)
١٦	١٢٦٤	﴿عجل لنا قطناً﴾
		(سورة الزمر)
٩	٤٤٨	﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾

١٢٧١	٣	(سورة الزخرف)	﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾
١٤٤	٤٩	(سورة الطور)	﴿ومن الليل فسبحه﴾
١٢٦٤	١٣	(سورة القمر)	﴿ذات الواح ودرر﴾
٩٦٤	٦٨	(سورة الرحمن)	﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾
١٠٥٣	١٠	(سورة الجمعة)	﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾
١١٠	٤	(سورة التحريم)	﴿فقد صغت قلوبكما﴾
٧٠٣	١٠	(سورة القلم)	﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾
١٢٧٢	٣٧	(سورة المearج)	﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾
٣٣٤	٦	(سورة المزمل)	﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطناً وأقوم قبلاً﴾
٤٢٥	٢٥	(سورة الانشقاق)	﴿لهم أجر غير ممنون﴾
٨٢٦	٢٢-٢١	(سورة الغاشية)	﴿إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾
٩٤٣	٤	(سورة الشرح)	﴿ورفعنا لك ذكرك﴾
٦٣٣	٢ - ١	(سورة قريش)	﴿لإيلاف قريش إيلافهم﴾
١٠٩٢	٤	(سورة الفلق)	﴿ومن شر التفائات في العقد﴾

		(سورة العلق)	
١٦	٥		﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾
		(سورة المؤمنون)	
٣٧٤	١٤		﴿أحسن الخالقين﴾

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث
١٢٧٧	«أقصر الصلاة»
١٠٧٤	«أكثرُوا من ذكر هادم اللذات»
١٠٥٤	«زُرْ غِبًّا تَزِدُّ حَبًّا»
١٠٣٩	«العَيْنُ تَزْنِي»
٢٧٣	«فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ»
١٢٣	«لَا يَسْبُ أَحَدُكُمْ الدَّهْرَ»

فهرس الأمثال

الصفحة	المثل
٣٦٢	١ - أتعلمني بضب أنا حرشته
٧١٩	٢ - أغبرت جمادي
٤٩٥	٣ - رمية من غير رام
٩٤٧	٤ - حرّاً أخاف على جاني كماؤ لا قُرّاً
١٢٩	٥ - كفى بالسلامة داء

فهرس المصطلحات البلاغية

الاعتراض: ٢٩٢، ٢٨٦
 الاقتضاب: ٦١٩
 الالتفات: ٧٥٦، ٤٤١، ٢٩٣، ٢٩٢، ٢٦٠
 ١١١١
 الإلمام: ٦١٩
 الانسجام: ٢٦٥، ٢٦٤
 الإنشاء: ٣٤٦
 الإيجاز: ٤٥٩، ٤١٠، ٣٣٤، ٢٩٥، ٢٦٩
 ٥٦٦، ٩٨٥، ٩٨٣، ٩٨٢، ١٠٣٠
 ١٠٥١، ١٠٧٥، ١٠٨٧، ١١٩٣
 ١٢١٧، ١٢٥٤، ١٢٥٧، ١٢٨١، ١٣٣٧
 الإيماء: ١٤٥، ١٦١، ٧٦٨، ٧٧١، ٧٧٣، ٧٧٤
 البديع: ٢٩٢، ٢٨٩، ٢٧٧، ٤٠، ٣٤
 ٢٩٣، ٣٠٢، ٣٢٥، ٣٥٢، ٧٢٧، ٨٩٨
 ٩٥١، ١٠٨٨، ١٢٦٨، ١٣٢٠، ١٣٢١
 براعة الاستهلال: ٢٢٥
 البيان بعد الإيهام: ٤٩٦، ٤٦٥، ٤٨٧، ١٣٥٩
 بلاغة: ٢٧، ٤١، ٤٤، ٤٦، ١٤٧، ١٤٨
 ٢٠٢، ٢١٣، ٢٤٥، ٣٠٥، ٦٠٣
 ٦٥٠، ٦٦٩، ٦٧٠، ٧٠٩، ٧٤٢
 ٧٤٤، ٧٦٤، ٧٧٢، ٨٣٣، ٨٤٢
 ٨٥٣، ٨٦٥، ٨٧٦، ٨٧٠، ٨٨٩
 ٨٩٢، ٨٩٥، ٩٠٨، ٩١٩، ٩٥٢
 ٩٦٥، ١٠٨١، ١٠٩٤، ١١٣٧
 ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٨١، ١١٨٣

الاستعارة: ١١٦، ١١٤، ٤٤، ٤٣، ٣٠
 ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٩
 ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٦
 ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢
 ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢
 ١٨٣، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٧
 ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥
 ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٤١، ٣٠٥
 ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٣٤
 ٣٣٥، ٣٥٠، ٣٦٣، ٦٦٧، ٦٦٩، ٦٧٧
 ٧١١، ٧٢٢، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧
 ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣١، ٧٥٧، ٨٥٣، ٨٧٠
 ٨٧١، ٨٧٤، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠
 ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٥، ٨٨٩، ٨٩٠
 ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٥، ٨٩٩، ٩٠٢
 ٩٠٤، ٩٠٦، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩٤٢، ٩٥٢
 ٩٠٤٣، ١٠٤٧، ١٠٦٢، ١١٠٢
 ١١٠٣، ١١٢١، ١١٣٨، ١٢٢٢
 ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٥٧
 ١٢٦٤، ١٢٦٦، ١٢٦٨، ١٣١٦، ١٣٥٠
 الإضمار: ٣٧٣، ٣٧٢، ٢٦٣، ٢٤٢، ٢٣٧
 ٤٠٥، ٤٤٥، ١٢٣١، ١٢٩٠، ١٣١٣
 ١٣٢١
 الإطناب: ٢٧٤
 المضمّر: ١٣٦٠، ٦٢٩، ٤٥٦

التصريح: ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٧٦، ٤٦٨، ٥٦١،

٧٦١، ٧٦٢، ٧٨٥، ٨٧١، ٩٥٥، ٩٦١،

١٠٤٣، ١١١١، ١٢٤٠، ١٣١٥، ١٣٢٣،

التضمن: ١١٣، ٢٠٩، ٢٨٧، ٤٠٠، ١٢٥٧،

التعريض: ١٦١، ٧٦٨، ٧٩٥، ٨٢٧، ٨٢٨،

٨٣٠، ٩١٤، ١٢٣٨، ١٣١٥،

التعريف: ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٧٠، ٣٥٥،

٣٥٦، ٤١٤، ٤١٦، ٥١١، ٥١٢، ٥١٦،

٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٣١،

٥٣٢، ٥٣٥، ٥٧٩، ٥٣٩، ٥٤١، ٥٤٢،

٦٥٥، ٧٦١، ٧٦٢، ٨٠٦، ٨٧٧،

١٢١٣، ١٢٦٨، ١٢٩٠،

التعقيد: ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٥،

٢٢٦، ٢٧٧، ٣٠٤، ١٢٦٥، ١٣٢١،

التعقيد المعنوي: ٢١٧، ٦٧٧،

التعقيد اللفظي: ٢١٣، ٢١٨، ٢٢١،

التقديم والتأخير: ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٣٧،

٢٤٢، ٢٤٣، ٢٩٣، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١،

٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥،

٣٥٦، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧،

٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٧، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٨٧،

٤٩٢، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٩،

٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦٣، ٥٦٥، ٥٧١، ٥٨٠،

٦٩٣، ٧١٤، ٧٢٤، ٧٢٥، ٨٠٥، ٨٢٦،

٨٤٥، ٩٣٣، ٩٨٧، ٩٩٠، ٩٩٤، ٩٩٥،

٩٩٧، ١٠٠٨، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٤٠،

١٠٥٠، ١٠٥٩، ١٠٦٢، ١٠٦٩،

١٠٧٢، ١٠٨١، ١٠٨٣، ١١٠٥،

١١٠٨، ١١١٥، ١١٢٤، ١١٢٥،

١١٤٤، ١١٥٣، ١١٦٣، ١١٦٦،

١٢١١، ١٢٢٢، ١٢٢٨، ١٢٢٩،

١٢٣١، ١٢٥٤، ١٢٥٦، ١٢٥٧،

١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦٢،

١٢٦٥، ١٢٦٨، ١٢٧٢، ١٢٧٣،

١٢٧٥، ١٢٧٧، ١٢٨١، ١٢٨٥،

١٢٨٧، ١٢٩٠، ١٢٩٧، ١٢٩٩،

١٣٠١، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣١٦،

١٣١٧، ١٣١٨، ١٣٣٢، ١٣٤٢،

١٣٤٥، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦١،

١٣٦٣، ١٣٦٤،

تتابع الإضافات: ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣١،

١١٤٤

التجريد: ٥٩٢، ٧٢١، ١١٥٣،

التشبيه: ٤٤، ٧٩، ١٦٤، ١٩٥، ١٩٦،

١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧،

٢٠٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٦٤،

٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٧٦، ٢٩٧، ٢٩٨،

٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤،

٣٠٧، ٣٠٨، ٣٢٤، ٣٤٦، ٦٩٣، ٧٢٢،

٧٢٥، ٧٢٦، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٥، ٧٦٦،

٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٥٣، ٨٥٨،

٨٦٩، ٨٧٠، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٧،

٨٨٨، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٦، ٨٩٩،

٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩١٤، ٩١٦، ١٠١٦،

١٠١٧، ١٠٧٢، ١٠٩٢، ١١٣٧،

١١٣٨، ١١٤٠، ١١٦٢، ١١٦٣،

١١٧٢، ١١٧٤، ١٢٠٦، ١٢٠٧،

١٢٠٨، ١٢١٢، ١٢١٦، ١٢٢٩،

١٢٣٠، ١٢٣٤، ١٢٥٧، ١٢٦٨،

١٣١٦، ١٣٢٣، ١٣٢٦، ١٣٤٣، ١٣٥٣،

١٠٢٦، ١٠١٧، ١٠٠٨، ٩٧٢، ٧٩٠
١١٥٨، ١١٣٤، ١١٠٥، ١٠٣٥
١٢٦٨، ١٢١٣، ١٢١٢، ١٤٠٤، ١١٧١

التوكيد: ١١٢، ١٧٩، ١٨٥، ٢٤٤، ٢٥١،
٢٧١، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩٥،
٢٩٧، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٧٢،
٣٧٣، ٣٧٧، ٥٥١، ٥٨٣، ٦٠٢، ٦٠٤،
٦١٧، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٩، ٦٧٤، ٦٨١،
٦٨٢، ٦٩٣، ٧١٠، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٣٠،
٧٦٢، ٧٩٢، ٧٩٣، ٨٢٦، ٩٢٩، ٩٤٣،
٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٨٣، ٩٨٥،
٩٨٦، ٩٩٠، ٩٩٤، ٩٩٦، ٩٩٧،
١٠٠٠، ١٠٠٧، ١٠١٢، ١٠٢١،
١٠٢٧، ١٠٣٤، ١٠٤٠، ١٠٤٣،
١٠٤٧، ١٠٥٥، ١٠٥٩، ١٠٦٩،
١٠٧٠، ١٠٧٢، ١٠٧٧، ١٠٨١،
١٠٩٤، ١٠٩٧، ١١٠٥، ١١٠٦،
١١٠٨، ١١١١، ١١١٥، ١١٢٤،
١١٤١، ١١٤٤، ١١٥٢، ١١٥٣،
١١٥٥، ١١٥٨، ١١٦٦، ١١٧١،
١١٨٠، ١١٨١، ١٢١٨، ١٢٢٨

الجمع مع التقسيم: ٢٩١

الجناس: ٢١٦، ٣٥٢، ١١٨٧، ١١٨٩،
١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣،
١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩،
١٢٥٧، ١٢٦٨، ١٣٢١، ١٣٢٤

الحذف: ٢٤٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٤،
٢٦٠، ٢٦٩، ٢٩٣، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩،
٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٦، ٤٠٩، ٤١٠،
٤١٣، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٨، ٤٣٣

١١٦٩، ١١٧٥، ١٢٧٦، ١٢١٢،
١٢١٣، ١٢١٧، ١٢٢٠، ١٢٦٨،
١٣٢١، ١٣١٦، ١٢٩٠

التقرير: ٢٧١، ٢٩٥، ٣١٨، ٣٤٢، ٣٤٣،
٣٤٤، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧١، ٤٦٦،
٥١٩، ٥٣٦، ٦٢٧، ٧٨٥، ٧٦٢،
٧٩٢، ٨٨٩، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧،
١٠٧٠، ١١٨٠، ١١٨٣

التقسيم: ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٠٩،
التقوي: ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٧١،
٣٧٣، ٣٧٧، ٣٨١، ٣٨٧، ٣٩٣، ٦٠٣،
التقييد: ٣٣٥، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٦، ٥١٧،
٥٤٤، ٨٠٣، ٩٦٣، ١٠٣٠، ١٠٤٧،
١٠٧٢، ١١٠٩، ١١٦٣، ١١٧٠،
١١٢٤، ١١٢٥، ٩٦٣، ١٠٣٠، ١٠٧٢،
١٢١٧، ١٢١٨

التكرار: ٢٤٣، ٢٨٩، ٥٠٧، ٥٦٠، ٧٨٩،
٩٧٥، ١٠١٦، ١٠٤٧، ١٠٨٠، ١١٥٨،
١١٩١، ١٢٣٤، ١٢٩٠، ١٢٩٩،
١٣٠٣، ١٣٠٨، ١٣٦١

التلازم: ١٣٧، ١٣٨، ١٤٧، ١٤٨، ١٢٥٧، ١٢٩٦،
التلميح: ٢٦٦، ٢٦٧، ٧٩٩، ٤١٠، ٥٩٤،
٦٧٥، ٧٩٨، ١٠٩٢، ١٢١٧

التلويح: ١٦١، ٧٤٠، ٧٦٨،
التمثيل: ٢٠٥، ٣٥١، ٦٦٧، ٦٦٩،
٧١١، ٧٢٢، ٩١٥، ٩٨٥

التنافر: ١١٥، ١١٦، ١٢٢، ١٣٦، ١٣٧،
١٣٨، ١٤٠، ١٤٧

التنكير: ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٥،
٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٩، ٥١١، ٧٨٩

السج: ١١٨٧، ١١٩٠، ١١٩٧، ١١٩٨،

١٣٢١، ١٢٦٨، ١١٩٩

السلخ: ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٥١، ١٠١٠، ١٠١١،

الطباق: ٢٨٩، ٩٦٩، ٩٩٩، ١٠٥١،

١١١١، ١١٦٠

علم البيان: ٣٧، ٢٢٥، ١٢٨٧، ١٣٣١،

علم المعاني: ٩٥١، ١٢٨٦، ١٢٨٧،

١٢٩٧، ١٣٠٦، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣٥٨،

الفصاحة: ١٤٥، ١٤٦، ١٥٩، ٢١٧، ٣٢٧،

٦٧٧، ٧٢٧، ٧٥٧، ٨٣٣، ٨٥٣، ٨٦٣،

٨٦٤، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٧٠، ٨٩٢، ٩٠٨،

٩٠٩، ٩٥٢، ٩٥٦، ٩٦٥، ١١٣٧،

١١٦٢، ١١٨٧، ١٢٥٧، ١٢٥٩،

١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٥،

١٢٦٩، ١٢٧٣، ١٢٩٧، ١٢٩٩،

١٣٠٠، ١٣٠٦، ١٣١٦، ١٣٣١، ١٣٣٤،

الفصل والوصل: ٢٦٣، ٢٦٤، ٣٤٦، ٥٥٥،

٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٤، ٦١٨، ٦٢٩، ٦٣٤،

٩٧٢، ١٠١٥، ١٠٥٩، ١٠٩٧، ١٠٨١،

١١٠٥، ١١٠٦، ١١١٥، ١١٢٥، ١٣١٢،

القصر، الحصر، الاختصاص: ٣١٦، ٤٠٧،

٤٤٩، ٤٥٠، ٤٦٨، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢،

٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٤٤، ٥٥٢، ٧٤٦،

٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٩، ٧٧٤،

٧٨٣، ٨٠١، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨١٨،

٨١٩، ٨٢٣، ٨٢٥، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠،

٩١٨، ٩٩٧، ١٠٢١، ١١٠٨، ١١١٥،

١١٢٥، ١١٥٧، ١١٧٢، ١١٧٥، ١٣١٤،

القطع والاستئناف: ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٦،

٢٧٥، ٢٧٦، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤٠٨،

٤٣٥، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣،

٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٢، ٤٥٧،

٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٧٠، ٤٧٢،

٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨١، ٤٨٣، ٤٨٥، ٤٨٦،

٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤،

٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠،

٤٨١، ٥٦٧، ٥٦٩، ٥٧٩، ٥٩٠، ٥٩٢،

٥٩٤، ٥٩٧، ٥٩٩، ٦٠١، ٦٠٣، ٦٠٦،

٦٣١، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٧٦، ٦٩٣، ٦٩٧،

٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٧، ٧٣٩، ٧٤١، ٧٦٦،

٧٦٩، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١،

٨٤٨، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧٦،

٩٦١، ٩٧٢، ١٠٢١، ١٠٣٢، ١٠٤٠،

١٠٤٣، ١٠٦٣، ١٠٩١، ١١٢١،

١١٢٥، ١١٦٢، ١١٧٢، ١١٧٣،

١١٧٨، ١١٨٣، ١١٩٣، ١٢١٢،

١٢١٥، ١٢١٧، ١٢٢٢، ١٢٦٨،

١٢٨١، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٣٠٩،

١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣٢١،

١٣٥٨، ١٣٦٠

حسن الابتداء: ٢٢٥

حسن البيان: ١٢٥٧

حسن الخروج: ٦١٨، ٦١٩

الخروج على خلاف مقتضى الظاهر: ٨٦٩، ٨٤٢،

الذكر: ٤٦٨، ٤٨٢، ٤٨٣، ١١٤٨، ١٢٦٨،

ذكر الخاص بعد العام: ٩٦٥

رد أعجاز الكلام على ما تقدمها: ٤٣٧،

١١٢٢، ١١٣١

الرمز: ١٢٦، ١٦١، ٧٦٨، ١٠٢٦، ١٠٣٤،

١٠٠٨، ١٠٤٣

٧٢١، ٧٢٠، ٧١٩، ٧١٤، ٧١٣، ٧١٠
٧٦٥، ٧٤٦، ٧٣٤، ٧٣٣، ٧٢٤، ٧٢٢
٩٠٨، ٨٨٦، ٨٧٥، ٨٥٤، ٨٨٢، ٧٦٧
١١٣٨، ١١٣٧، ١٠٦٣، ٩٤٣، ٩٠٩
١٣١٥، ١٢٦٨، ١١٧٣، ١١٣٩

تأكيد المدح بما يشبه الذم: ٩٨٧

المزاوجة: ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠،
٢٨٢، ٢٨١

المساواة: ١٠٢٠

المغالطة: ٣٨٧، ٣٦٢

المقابلة: ٢٨٥، ٢٩٢، ٣٠٣، ٩٥١،
١١٢١، ١٠٤١

النظم: ٧، ٣٢، ١٣٥، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٧،

٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٢،

٢٢٣، ٢٢٦، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٣،

٢٤٧، ٢٤٨، ٢٧٧، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٨٦،

٢٦٩، ٢٩٧، ٣١٥، ٣١٦، ٣٣٥، ٣٣٩،

٣٣٦، ٣٣٩، ٣٣٤، ٣٤٠، ٣٨١، ٦٥٠،

٦٦٦، ٨٣٥، ٨٣٨، ٨٤٠، ٨٤١، ٩١٤،

٩١٥، ٩١٧، ٩٥٢، ٩٥٣، ١١٤٣،

١١٤٧، ١١٤٩، ١١٦٥، ١١٧٥،

١٢٠٨، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٨،

١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٥، ١٢٦٦،

١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٣،

١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٨٢،

١٢٨٦، ١٢٩٠، ١٢٩٤، ١٢٩٥،

١٢٩٧، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠٧،

١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥،

١٣٣٢، ١٣٣٤، ١٣٤٥، ١٣٥١، ١٣٥٣،

١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٦١

٤٠٩، ٤١٠، ٤١٣، ٤١٦، ٦١٨، ٦٢٩،
٦٣٠، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٩،
٦٣٤، ٦٣٠، ١٠٢٧، ١١٧٨، ١٣١٣،

الكناية: ٢٦٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩١، ٤٢٩،

٤٤٩، ٤٥٣، ٤٥٩، ٤٨٦، ٤٨٧، ٥٦١،

٥٥٩، ٦٣٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٩، ٦٧٤،

٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٩، ٦٧٢، ٦٩٧، ٧٠٥،

٧٢٠، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧،

٧٤٨، ٧٥٠، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٥، ٧٥٧،

٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤،

٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧١،

٧٧٣، ٧٧٥، ٨٥٣، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٨٠،

٩١٤، ٩٥٩، ٩٧٣، ٩٩٦، ١٠٠٩، ١١٠٢،

١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٤٣، ١١٣٧، ١٢٣٨،

١٢٦٨، ١٣١٥، ١٣٥٠

اللف والنشر: ١٢٣٢

المبالغة: ٢٢٣، ٢٨٦، ٣١٤، ٣٢٦، ٣٢٩،

٣٣٣، ٤٣٥، ٤٥٠، ٤٨٤، ٤٩٠، ٥٠٤،

٥١٣، ٥١٧، ٦٤٠، ٥٤٤، ٥٧٣، ٥٨٢،

٥٩٢، ٧٠٠، ٧٣٥، ٧٣٩، ٧٥٦، ٧٥٧،

٧٨٣، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١٦،

٨٣٢، ٨٤٢، ٨٤٥، ٨٤٨، ٨٦٩، ٨٧٥،

٨٧٦، ٨٨٠، ٨٨٢، ٨٨٦، ٨٩٠، ٩٥٥،

١٠٧٢، ١٠٥٩، ١١٠٨، ١١١١،

١١١٨، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٥١،

١١٥٣، ١١٦٩، ١١٧١، ١١٧٢،

١١٧٨، ١١٨٣، ١٢٣٢، ١٢٤٨، ١٢٥٧،

المجاز: ٤٠، ٤٣، ١٥٧، ١٥٨، ٢٠٣،

٢٧١، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٣٣، ٤٠١، ٥٦٠،

٥٧١، ٦٥٧، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٩،

فهرس أبيات المدخل

٨٢	الكامل	كعب بن مالك	١ - وَلْيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَابِ
٩٤	الكامل	مطروود بن كعب الخزاعي	٢ - هَلَّا نَزَلَتْ بِسَالٍ عَبْدُ الدَّارِ
٨٨	السريع	الأعشى	٣ - السَّاقِضِ الْأَوْتَارِ وَالْوَاتِرِ
٩٦	الطويل	النابعة الجعدي	٤ - وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا
٧٧	الكامل	أبو تمام	٥ - مَثَلًا مِنَ الْمِشْكَاةِ وَالنُّبْرَاسِ
٩٢	الطويل	قيس بن معدان	٦ - مِنْ الْأَرْضِ إِلَّا أَنْتَ لِلذُّلِّ عَارِفٌ
٩٨	الوافر	بشر بن أبي خازم الأسدي	٧ - بُغَاةٌ مَا بَقِيْنَا فِي شِقَاقِ
١٠٠	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	٨ - وَلَوْ قِيلَ هَاتُوا حَقُّوْا لَمْ يُحَقِّقُوا
٨٤	الطويل	أبو طالب	٩ - ثِمَالُ الْبِتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
٨٦	الطويل	أبو طالب	١٠ - لَكَلَّتِيسُنْ أَشْيَافُنَا بِالْأَتَامِلِ
٩٨	البسيط	كعب بن زهير	١١ - مُبِيتَمٌ إِنْ رَهَا لَمْ يُفَدَّ مَغْلُولُ
٧٣	الكامل	-	١٢ - وَغَدَا لِيَغْيِرَكَ كَفُّهَا وَالْمِنْصَمُ
٩٠	الكامل	غريض اليهودي	١٣ - يَوْمًا فَتُذْرِكُهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ نَمَى
٧٦	الطويل	عمارة بن الوليد	١٤ - خُرُوجِي مِنْهَا سَالِمًا غَيْرَ غَارِمِ

فهرس الأبيات الشواهد

- ١ - (٤٤) وَمُنْحَطٌ أُنْصَحَ لَهُ اغْتِلَاؤُ سليمان بن داود القضاعي الوافر ٢٨٤
- ٢ - (٣٤٣) تَخَيَّرُ فِي الْأَبْوَةِ مَا تَشَاءُ عبدالله بن مصعب الوافر ١١٢٦
- ٣ - (٨٣) وَمِنْ حَسَبِ الْعَمِيرَةِ حَيْثُ شَاءُوا أبو البرج قاسم بن حنبل الوافر ٤١١
- ٤ - (٣٢١) لِيُصَحِّحَنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ لييد أو عمر بن قمينة الكامل ١٠٥٠
- ٥ - (٢٣٦) بِهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ عبيدالله بن قيس الرقيات الخفيف ٨٠٧
- ٦ - (١٤٥) وَلَقَدْ كَانَ وَلَا يُدْعَى لِابْنِ مسكين الدارمي الرمل ٥٨١
- ٧ - (٣٠٠) وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْشِئُ الْعِزَّ طَيْبُ الممتني الطويل ٩٨٤
- ٨ - (٣٢٦) بَغِيضًا تَنَائِي أَوْ حَبِيبًا تُقَرِّبُ الممتني الطويل ١٠٦٨
- ٩ - (٧٤) إِذَا مَا بَنُوا نَفْسٍ دَنَوْا فَتَصَوُّوْا النابغة الجعدي الطويل ٣٨١
- ١٠ - (٦٨) عَلَى وَجْهِهِ مِنَ اللَّمَاءِ سَبَائِبُ الأخنس بن شهاب الطويل ٣٦٣
- ١١ - (٣٤٥) وَلَوْ سَكَتُوا أَكُنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ نصيب الطويل ١١٣٤
- ١٢ - (١٣٧) تَقُومُ عَلَيْهَا فِي بَدَنِكَ قَضِيبُ واثلة بن خليفة السدوسي الطويل ٥٦٤
- ١٣ - (٣٤٣) تَسْتَقِي مِنْهُ وَتَسْتَحِبُّ أبو نواس المديد ١١٢٥
- ١٤ - (٨١) وَلَا يُرَى مِثْلُهَا عَجَمٌ وَلَا عَرَبُ ذو الرمة البسيط ٤٠٣
- ١٥ - (٢٠٢) شَعَلَ عَلَى أَيْمَانِهِمْ تَنَلَّهَبُ البحري الكامل ٧٣١
- ١٦ - (٣٧٠) فِيهِ الظُّنُونُ أَمْنَعُ أَمْ مُذْهَبُ أبو تمام الكامل ١١٩١
- ١٧ - (١٥١) دَخَلُوا السَّمَاءَ دَخَلَتْهَا لَا أُحْجَبُ خالد بن يزيد بن معاوية الكامل ٥٩٥
- ١٨ - (٣٢٨) أَمَلًا وَيَأْمُلُ مَا اشْتَهَى الْمَكْدُوبُ نافع بن لقيط الكامل ١٠٧٦
- ١٩ - (٣٩٦) كَرَامَتُهَا وَالْفَقَى ذَاهِبُ حزاز بن عمرو المتقارب ١٢٤٦
- ٢٠ - (٢٠٩) دُفُوعُ الصَّلَاحِ وَالْحَسَبُ يزيد بن الحكم المنسرح ٧٤٩
- ٢١ - (١٠٤) عَقَائِلُ مِزَبٍ أَوْ تَقْنَصُ رِزْنًا البحري الطويل ٤٧٧

١١٢٧	الطويل	بشار	٢٢ - (٣٤٣) مَوَايَ وَلَوْ خُيِّرْتُ كُنْتُ الْمَهْلِكَا
٦٠٧	الطويل	سعد بن ناشب المازني	٢٣ - (١٥٨) عَلَيَّ قَضَاءُ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبَا
٩٠١	المديد	ابن المعتز	٢٤ - (٢٧٣) لِحُجْنَةِ الْحُسَيْنِ عُلْبَا
٢٠٩			
١٠٣٨	البيسط	المتني	٢٥ - (٣١٧) وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبَا إِذَا طُلِبَا
١٠٧٠	البيسط	المتني	٢٦ - (٣٢٧) مَظْلُومَةُ الرَّيْقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرْبَا
٢٥٤ - ٢٥٥	الوافر	زياد بن حنظلة التميمي	٢٧ - (٣٤) تَحَالُ بَيَاضُ لَأَمِهِمُ السَّرَابَا
١١٥٤	الوافر	الفرزدق	٢٨ - (٣٥٣) وَمَسْقَطُ قَرْزِهَا مِنْ حَيْثُ عَابَا
٢٤١	المقارب	البحري	٢٩ - (٣٢) فَمَا إِنْ رَأَيْتَا لِفَتْحِ ضَرْبَا
٩٦٨	الطويل	أبو تمام	٣٠ - (٢٩٥) إِلَيْنَا وَلَكِنْ عُدْرُهُ عُدْرُ مُذْنِبِ
٥٢٤	الطويل	حجية بن المضرب	٣١ - (١٢١) يُجَبِّكَ إِنْ تَنَضَّبَ إِلَى السِّيفِ يَنْقُصِ
٧٢٣	الطويل	البحري	٣٢ - (٢٠٠) عَلَى أَرْوَسِ الْأَقْرَانِ خُمْسُ سَحَابِ
٩٧٤	الطويل	البحري	٣٣ - (٢٩٧) عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الزِّيَّ زِيَّ مُحَارِبِ
١٢٤٥	الطويل	البحري	٣٤ - (٣٩٥) لَيْسَلُكُمَا فِرْدَا سُلَيْكِ الْمَقَابِ
١١٦٧	الطويل	أبو تمام	٣٥ - (٣٦١) تَمَهَّلْ فِي رَوْضِ الْمَعَانِي الْعَجَائِبِ
٦٧٠	الطويل	النابعة الذبياني	٣٦ - (٣٧٨) تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
١٠٨٢	الطويل	النابعة الذبياني	٣٧ - (٣٣٠) عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
٩٩٢	الطويل	البحري	٣٨ - (٣٠٣) أَطَاعَ لَهَا الْعَاصُونَ فِي بَلَدِ الْغَرْبِ
١٩١	البيسط	أبو تمام	٣٩ - (٢٣) تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ
٥٤٠	البيسط	المتني	٤٠ - (١٢٨) مِنْ أَنْ أَكُونَ مُجِبًّا غَيْرَ مَحْبُوبِ
١٠٩٦	الوافر	البحري	٤١ - (٣٣٣) وَمَنْ لِي أَنْ أُمْتَحَ بِالْمَعِيبِ
٩٨٣	الكامل	البحري	٤٢ - (٣٠٠) أَرْضُ يُنَالُ بِهَا كَرِيمَ الْمَطْلَبِ
١٠٤٣	الكامل	أبو تمام	٤٣ - (٣١٩) مِنْ خِذْرِهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُحْجَبِ
		الباخري، أبو محمد بن	٤٤ - (٢٤٦) تَجَحُّ الْأُمُورُ بِقُوَّةِ الْأَسْبَابِ
٨٢٩	الكامل	أحمد بن سلمان	
٣٣٠	الكامل	أبو تمام	٤٥ - (٦٠) وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الْجِلْبَابِ
٨٥٥	الكامل	أبو تمام	٤٦ - (٢٥٧) قَرَأْتُ بِهِ الْوَرْهَاءَ شَطَرَ كِتَابِ

٦٥٧	الكامل	أبو ذؤاب الأسدي	٤٧ - (١٧٢) بِعَيْنَيْهِ بِنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ
٩٤٩	الكامل	أحمد بن أبي فتن	٤٨ - (٢٨٩) فَافْتَصَرَ نَاطِرُهُ مِنَ الْقَلْبِ
٩٤٩	السريع	إبراهيم بن المهدي	٤٩ - (٢٨٩) فِي جَسَدٍ مِنْ لَوْلَاءِ رَطْبٍ
٧٤٩	المنسرح	يزيد بن الحكم	٥٠ - (٢٠٩) مَجْدٌ، وَفَضْلُ الصَّلَاحِ وَالْحَسَبِ
٦٣٤	السريع	اليزيدي (يحيى بن المبارك)	٥١ - (١٦٥) أَلْقَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِي
٨٩٤	السريع	أبو نواس	٥٢ - (٢٧١) وَتَلَطَّمُ الْوَرْدَ بِمُغَابٍ
٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٩، ٩٠٠			
٧٣٦	المقارب	النايفة الجمدي	٥٣ - (٢٠٤) خِلَالَتْهُ كَأْسِي مَرْحَبٍ
٣٠٥	الطويل	بشار	٥٤ - (٥١) وَأَسْبَاغَنَا لَيْلُ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
١٢٠٧، ٥٨			
٥٢٦	الطويل	بشار	٥٥ - (١٢٢) أَرَبْتُ وَإِنْ عَائِبَتُهُ لَأَنْ جَانِبُهُ
١٠٣٦	الطويل	أبو تمام	٥٦ - (٣١٦) مَهَابِعُهُ الْمُثَلَّى وَمَحَّتْ لَوَاجِبُهُ
٢١٢	الطويل	الفرزدق	٥٧ - (٢٦) أَبُو أُمِّو حَيٍّ أَبَوْهُ يُقَارِبُهُ
٨٦٧	الطويل	الفرزدق	٥٨ - (٢٦٣) يَدَاكَ يَدَيَّ لَيْتَ فَإِنَّكَ غَالِبُهُ
١١٥٢	المنسرح	بشار	٥٩ - (٣٥١) يَغْرِفُ مِنْ شِعْرِهِ وَمِنْ خُطْبِهِ
٣٨٥	السريع	المتنبي	٦٠ - (٧٥) وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ مِنْ غَرْبِهِ
١١٧٩	الكامل	البحري	٦١ - (٣٦٧) مُتَمَلِّمًا وَتَنَامُ دُونَ ثَوَابِهِ
١١٠٩	المقارب	ابن المعتز	٦٢ - (٣٣٨) يَزِدُّ فِي نُهَاهَا وَالْبَابِهَا
٧٦٢	الطويل	الشنفري	٦٣ - (٢١٧) إِذَا مَا بُيُوتٌ بِالْمَلَامَةِ حُلَّتْ
٤٥٦	الطويل	طفيل الغنوي	٦٤ - (٩٧) بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَرَلَّتْ
٤٥٠	الطويل	عمرو بن معدي كرب	٦٥ - (٩٥) نَطَفْتُ وَلَكِنَّ الرَّمَاحَ أَجْرَتْ
٢٨٥	الطويل	كثير	٦٦ - (٤٥) تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ
٤٢٥	الطويل	محمد بن سعد الكاتب	٦٧ - (٨٧) أَبَادِي لَمْ تُمَتَّنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ
٦٢٨	الكامل	جندب	٦٨ - (١٦٣) بِجُنُوبِ خَبْتٍ عُرِيَتْ وَأَجَمَّتْ
١١١٩	الكامل	الكندي	٦٩ - (٣٤١) فَهُمُ الذَّرَى وَجَمَاجِمُ الْهَامَاتِ
١٠٧٨	الكامل	عامر بن حِطَّان	٧٠ - (٣٢٩) يَسِيدُ تُقْرِ بِأَنْهَا مَوْلَانُ
١٢٢٢	الكامل	المتنبي	٧١ - (٣٨٤) مَا حِفْظُهَا الْأَشْيَاءَ مِنْ عَادَاتِهَا

٢٦٧	الخفيف	أبو دؤاد الأيادي	٧٢ - (٣٨) أَخُوذِي دُو مَبِعَوِ إِضْرِبُجْ
٥٧٤			
١٢٢٦	البيط	البحري	٧٣ - (٣٨٦) وَحَاكَ مَا حَاكَ مِنْ وَشِيٍّ وَدِيْبَاجٍ
١٨١	الوافر	ابن المعتز	٧٤ - (١٨) يَكْدُ السَّوْعَدَ بِالسَّحْجِجِ
٧٤٣	الكامل	زياد الأعجم	٧٥ - (٢٠٧) فِي قُبُو ضُرَيْتَ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجِ
٧٩٧	السرير	حُجَلْ بِن نَضْلَةَ	٧٦ - (٢٣٣) إِنْ بَنِي عَمَّكَ فِيهِمْ رِمَاحُ
٦٨٨	الطويل	ذو الرمة	٧٧ - (١٨٥) وَمَوْتُ الْهَوَى فِي الْقَلْبِ مَنِي الْمُبْرُحِ
١١٥٧	الطويل	عقال بن هشام القيني	٧٨ - (٣٥٥) بِهَا خَطِلَ الرِّمَاحُ أَوْ كَانَ يَمْرُحُ
١١٥٦	الطويل	ابن ميادة	٧٩ - (٣٥٤) فَأَضْبَحَ فِيهِ دُو الرِّوَايَةِ يَسْبَحُ
١٥٤		المضرب عقبة بن كعب	٨٠ - (١١) (١٩٥) وَسَالَتْ بِأَغْنَاكِ الْمُطَيُّ الْأَبَاطِحُ
٧١٠		أو كثير عزة أو يزيد بن الطثرية	
١٨٤	الطويل	الأغر	٨١ - (٢٠) بِتَفْمِيكَ إِلَّا أَنَّ مَا طَاحَ طَائِحُ
١٠٤٨	الطويل	كثير	٨٢ - (٣٢٠) ظَوَاهِرُ جَلْدِي وَهُوَ فِي الْقَلْبِ جَارُحُ
٣٢٦	الطويل	ابن المعتز	٨٣ - (٥٨) عِثَاقُ دَنَائِيرِ الْوُجُوهِ مِلَاحُ
١٢١٨	الكامل	أبو نواس	٨٤ - (٣٨١) وَعَدَوْتُ لِلذَّاتِ مُطَرِّحَا
١٠٩٠	الخفيف	أبو العتاهية	٨٥ - (٣٣١) كَانَ مُسْتَغْلِقَا عَلَى الْمُدَاحِ
٥٢٠	الطويل	ابن الرومي	٨٦ - (١١٨) وَلَكِنَّهُ بِالْمَجْدِ وَالْحَمْدِ مُفْرَدُ
١٠٩٩	الطويل	ابن الرومي	٨٧ - (٣٣٤) تَلَفْتُ مَلْهُوْفٍ وَتَشْتَاقُهُ الْغَدُ
١١٢٣	الطويل	المتنبي	٨٨ - (٣٤٢) وَمَنْ عَادَ الْإِحْسَانَ وَالصَّنْفِجَ غَامِدُ
٦٠٤	الطويل	الفَرَزْدَقُ	٨٩ - (١٥٦) بَنِي حَوَالِي الْأَسْوَدِ الْحَوَارِدُ
١٠٢٤	الطويل	أبو تمام	٩٠ - (٣١٢) سَجِيَّةُ نَفْسٍ كُلِّ غَايِبَةٍ هِنْدُ
٥١٧	الطويل	حسان	٩١ - (١١٦) بَنُو بِنْتٍ مَحْزُومٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ
٨١٢	الطويل	الحطيئة	٩٢ - (٢٣٧) وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدُ
٥٥٧	الطويل	بشار	٩٣ - (١٣٥) خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَيَّ سَوَادُ
٩٨٩	الطويل	بشار	٩٤ - (٣٠٢) إِلَى أَنْ تَرَى ضَوْءَ الصَّبَاحِ وَسَادُ
١٢٣٠	الطويل	ابن الرومي	٩٥ - (٣٨٨) وَجَلِمَ كَجَلِمِ السَّبَبِ وَالسَّبَبِ مُغْمَدُ
٦٧٩	الطويل	أبو عطاء السندي	٩٦ - (١٨٢) عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعِهَا لَجْمُودُ

٥٨٣	الوافر	مالك بن رُفيع	٩٧ - (١٤٦) فَأَيِّنَ أَحَبُّهُمْ لَأَحَبِّدُ
٤٤٣	الكامل	معاوية بن مالك	٩٨ - (٩٣) حَقًّا تَنَاوَبَ مَالَنَا وَوُفُودُ
٣٢٨	المنسرح	الخالدي	٩٩ - (٥٩) وَهُوَ عَلَى أَنْ يَزِيدَ مُجْتَهِدُ
٦٧٣	الطويل	العباس بن الأحنف	١٠٠ - (١٨٠) وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لَتَجْمُدَا
٣٣٤	الطويل	المتنبي	١٠١ - (٦١) وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَبْدًا تَقِيدَا
٩٦٣			
٥٢٣	الكامل	ابن الرومي	١٠٢ - (١٢٠) أَرْجُو الثَّوَابَ بِهَا لَدَيْهِ عَدَا
٤٠٧	الكامل	عمرو بن معد يكرب	١٠٣ - (٨٢) لَمْ مَسَاوِلُ كَسِبًا وَنَهْدَا
٢٩٤	البيسط	-	١٠٤ - (٤٨) ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيهِ دَائِمًا أَبَدًا
٧٧٤	الطويل	-	١٠٥ - (٢٢٤) تَبَدَّلْنَا ذُلًّا بِعِزٍّ مُؤَبَّدِ
١٢١٤	الطويل	البحثري	١٠٦ - (٣٧٩) وَقَالَتْ: نُجُومٌ لَوْ طَلَعْنَ بِأَسْعَدِ
١٠٥٢	الطويل	أبو تمام	١٠٧ - (٣٢٢) لِدَيْبِاجَتِيهِ فَاعْتَرَبَ تَتَجَدَّدِ
٦٤٩	الطويل	الحطينة	١٠٨ - (١٧٠) تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ
٤٧٠	الطويل	طرفة	١٠٩ - (١٠٢) مَخَافَةَ مَلُوءِي مِنَ الْقَدِّ مُخَصِّدِ
٨٤٤	الطويل	الفرزدق	١١٠ - (٢٥٣) بَشُوهُمْ أَبْنَاءَ الرِّجَالِ الْآبَاعِدِ
٧٦٨	الطويل	البحثري	١١١ - (٢٢٠) وَجُدْتَ وَقُلْنَا اعْتَلَّ غُضْرُ مِنَ الْمَجْدِ
٩٦٥			
١١٧٦	الطويل	البحثري	١١٢ - (٣٦٦) وَلَمْ يَذَرْ مَا يَقْدَارُ حُلِّيٍّ وَلَا عَقْدِي
١٤١	الطويل	أبو تمام	١١٣ - (٩) مَعِي وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَخِدي
١٠٨٠			
١٠٧٩	الطويل	أبو تمام	١١٤ - (٣٢٩) إِذَنْ لَهْجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي
٦٩٩	الطويل	دعبل	١١٥ - (١٨٩) رَمْتَنِي وَكُلُّ عِنْدَنَا لَيْسَ بِالْمُكْدِي
٧٠٣	البيسط		١١٦ - (١٩١) مَا كُلُّ رَأْيِ الْفَتَى يَدْعُو إِلَى رَشْدِ
٥٩١	البيسط	أرطاة بن سُهَيْبَة	١١٧ - (١٤٩) (٢١٤) نَسَسَ السَّلَاحَ وَتَعَرَّفَ جَبْهَةَ الْأَسَدِ
٨٦٩			
٥٥٢	البيسط	البحثري	١١٨ - (١٣٤) وَجُدْتَ حَتَّى كَانَ الْغَيْثَ لَمْ يَجِدِ
٥٥٤			

١١٩	٣٠٧	قَدْ بُغِدِمُ الْغَيْرُ مِنْ دُعْرِ عَلَى الْأَسَدِ	أبو تمام	البيط	١٠٠٣
١٢٠	٣٧	مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ذَنْبٌ إِلَى أَحَدٍ	أبو حفص الشطرنجي	البيط	٢٦٥
١٢١	٣٩٦	مِثْلَ الرُّجَاةِ لَمْ تَكْحَلْ مِنَ الرَّمْدِ	النابعة		١٢٤٦
١٢٢	٢٧٠	وَزَدًا وَعُضْتُ عَلَى الْعَنَابِ بِالْبَرْدِ	الرواء الممشقي	البيط	٨٨٨
					٨٩٢، ٨٩٠
١٢٣	٣٧٤	مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ الصَّادِي	القطامي	البيط	١٢٠٣
١٢٤	٣٣٣	أَعَجِبْ بِشَيْءٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مَوْدُودِ	بشار، مسلم	البيط	١٠٩٥
١٢٥	٣٠٣	أَلْقَى إِلَيْهِ الْأَقَاصِي بِالْمَقَالِيدِ	مسلم بن الوليد	البيط	٩٩٢
١٢٦	٧٨	وَتَشَحَّبُ عِنْدَهُ بَيْضُ الْأَيْدِي	أبو تمام	الوافر	٣٩١
١٢٧	١٣٣	هَبَاتُكَ أَنْ يُلْقَبَ بِالْجَوَادِ	المتني	الوافر	٥٥٠
					٥٥٢
١٢٨	٣٩٤	وَفِيهَا قَيْتُ يَوْمٍ لِلْفُرَادِ	المتني	الوافر	١٢٤٣
١٢٩	٢٢١	وَحَسْبُكَ أَنْ يَزْنَ أبا سَعِيدِ	أبو تمام	الوافر	٧٧٠
١٣٠	٩٩	كَرَمًا وَلَمْ تَهْدِمِ مَائِرَ خَالِدِ	البحري	الكامل	٤٦٤
١٣١	٣٥٧	وَلَاغَةً وَتُدِيرُ كُلَّ وَرِيدِ	أبو تمام	الكامل	١١٦٠
١٣٢	١٣٢	أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدِ	أبو نواس	السريع	٥٤٦
					٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٨٦٦
١٣٣	٣٤٤	رِقٌّ قَيَا بَرَدَهَا عَلَى كَيْدِي	إبراهيم بن العباس الصولي المنسرح		١١٣٢
١٣٤	٢٨٨	أَرْهَبُ نَوَى السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ	ليد	المنسرح	٩٤٥
١٣٥	٣٦٨	كَأَمْرٍ أَنَّهُ نِظَامُ فَرِيدِ	البحري	الخفيف	١١٨١
١٣٦	٣٢٠	بُ تَشْقَى الْقُلُوبَ قَبْلَ الْجُلُودِ	المتني	الخفيف	١٠٤٧
١٣٧	٢٣٥	طِغْ أَحْسَى مِنْ وَاصِلِ الْأَوَّلَادِ	المتني	الخفيف	٨٠٦
١٣٨	٣٢٢	بَ تَكُونُ كَالثُّوبِ اسْتَجْدَهُ	-	الكامل	١٠٥٢
١٣٩	١٠٥	فَحَلَلْتُ بَيْنَ عَقِيقِهِ وَزُرُودِهِ	البحري	الكامل	٤٨٠
١٤٠	٢٢٥	كَتَائِبَ يَاسٍ، كَرَّهَا وَطَرَادَهَا	إبراهيم بن هرمة، إبراهيم بن العباس	الطويل	٧٧٦
١٤١	٣٤٨	حَتَّى أَقْوَمَ مَبْلَهَا وَمِسَادَهَا	عدي بن الرقاع	الكامل	١١٤٥

١٤٢ (٢٩٢)	شَوْقًا إِلَى مَنْ بَيْتُ يَرْقُدُهَا	المتنبى	المنسرح	٩٥٨
١٤٣ (٨٤)	إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسْرَكَمَا جَهَرُ	أُسَيْد بن عتقاء الفزاري	الطويل	٤١٤
١٤٤ (٣٢٣)	أَكُهُ عِنْدَكَ مَحْقُورٌ صَغِيرُ	الخرمى	الرملى	١٠٥٦
١٤٥ (٣٩٠)	أَمْرٌ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ	خالد بن صفوان	الطويل	١٢٣٣
١٤٦ (١١٧)	وَفِي سَائِرِ الدَّهْرِ الْعُبُوثُ الْمَوَاطِرُ	-	الطويل	٥١٩
١٤٧ (٨٥)	فِرَاعِي، وَالْقَى بِاسْتَوْ مَنْ أَفَاخِرُ	موسى بن جابر الحنفي	الطويل	٤١٧
١٤٨ (٧)	وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبِيرُ	نُسَب إلى الجن	الرجز	١٣٥
١٤٩ (٤٢)	أَصَاحَتْ إِلَى الرَّاحِي فُلُجٌ بِهَا الْهَجْرُ	البحري	الطويل	٢٧٨
١٥٠ (٣١٤)	لِنَاشِيهِمْ مِنْ حَيْثُ يُؤْتَنَفُ الْعُمُرُ	البحري	الطويل	١٠٣١
١٥١ (٣٦٥)	لَهَا اللَّفْظُ مَخْتَارًا كَمَا يُنْتَقَى التَّيْرُ	البحري	الطويل	١١٧٥
١٥٢ (٣٠٦)	أَسَاءَ قَبِي سُوءِ الْقَضَاءِ لِي الْعُدْرُ	أبو تمام	الطويل	١٠٠١
١٥٣ (٣٣٥)	فَلَيْسَ يُؤَدِّي شُكْرُهَا الذَّنْبُ وَالنُّسْرُ	أبو تمام	الطويل	١١٠٠
١٥٤ (٣٣٧)	بَنُوهَا لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُذْرُ	المتنبى	الطويل	١١٠٦
١٥٥ (٣٩١)	إِلَيْكَ، وَأَهْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالِدَّهْرُ	المتنبى	الطويل	١٢٣٥
١٥٦ (٣٧)	وَسُلْطَ أَعْدَاءُ وَعَابَ نَصِيرُ	إبراهيم بن العباس	الطويل	٢٤٥ - ٢٤٦
١٥٧ (٢١٦)	وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ	أبو نواس	الطويل	٧٦٠
١٥٨ (١٤)	نَفْسِي فِدَاؤُكَ مَا دَنَيْتَنِي فَأَعْتَلِرُ	-	البسيط	١٧١
١٥٩ (٣٠٦)	كَأَنْتَ دُنُوِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَلِرُ	البحري	البسيط	١٠٠١
١٦٠ (٣٦٣)	عَلَيْكَ أَتَجْمُهُ بِالْمَدْحِ تَنْتَشِرُ	البحري	البسيط	١١٧٢
١٦١ (٢٧٦)	وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأْسَ التَّعَسَةِ السَّهَرُ	أبو دهل	البسيط	٩٠٥
١٦٢ (٢٠٣)	فَلِأَمَّا هِيَ إِبْهَالٌ وَإِدْبَارُ	الخنساء	البسيط	٧٣٢
١٦٣ (١٥٤)	مُتَبَسِّمِينَ وَفِيهِمْ اسْتَبْشَارُ	-	الكامل	٦٠٢
١٦٤ (٥٠)	لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِيهِ نَهَارُ	الفرزدق	الكامل	٣٠٠
١٦٥ (٨٩)	تَشْكُو إِلَيَّ صَبَابَةً لَصَبُورُ	جميل	الكامل	٤٣٤
١٦٦ (٦٤)	أَطْنِينَ أَجْنَحَةَ الذَّبَابِ يَضِيرُ	ابن أبي عينة	الكامل	٣٤٩
١٦٧ (١٨٦)	سَقَاهُنَّ مُرْتَجِزٌ بَاكِرُ	-	المقارِب	٦٩٢

٣٥٣	المقارب	المتنبى	١٦٨- (٦٥) وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا
١١٤٢	الطويل	تميم بن مقبل	١٦٩- (٣٤٧) لَهَا قَائِلًا بَعْدِي أَطْبَقُ وَأَشْعِرَا
		جميل بن معمر،	١٧٠- (١٢٥) وَجَدِّي يَا حَجَّاجَ قَارِسُ شَمْرًا
٥٣٠	الطويل	حري بن نهشل	
٤٨١	الطويل	الجوهري	١٧١- (١٠٦) فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي بَكَيتُ تَفَكَّرَا
٤٢٠	الطويل	أبو خُزابة	١٧٢- (٨٦) وَلَا عُرِفَ إِلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَذْبَرَا
٧١٢	الوافر	أبو نواس	١٧٣- (١٩٧) إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرَا
٧١٥، ٧١٣			
٢٧٢	السريع	عبد الصمد بن المعدل	١٧٤- (٤٠) تَبْكِي عَلَيْهِ مُقَلَّةٌ عَبْرَى
٥١١	المقارب	الأعشى	١٧٥- (١١٤) إِمَّا مَخَاضًا وَإِمَّا عِشَارًا
٧٥٩	المقارب	الكميت بن زيد	١٧٦- (٢١٥) حِ وَالْمُكْرَمَاتِ مَعَا حَيْثُ صَارَا
٦٦٠	الطويل	مروان بن أبي حفصة	١٧٧- (١٧٣) بِجَبِيدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ
٧٢٠	الطويل	مجنون ليلي العامرية	١٧٨- (١٩٩) بِأَسْحَجِ مِنْ قَالِ الضُّحَى قَلْبِي الضُّفْرِ
٩٠٧	الطويل	الحَكَم بن قَتَر	١٧٩- (٢٧٧) لِي الْيَأْسُ مِنْهَا لَمْ يَقُمْ بِالْهَوَى ضَبْرِي
٥٨٨	الطويل	عكرشة العبسي	١٨٠- (١٤٨) مِنَ الدَّهْرِ أَسْبَابُ جَزَيْنَ عَلَى قَدْرِ
١٨٢	الطويل	ابن المعتز	١٨١- (١٩) فَتَخَصَّصِ الْأَمَالَ وَالْيَأْسُ فِي صَدْرِي
١٦٥	البسيط	سُيَّع بن الخطيم	١٨٢- (١٢) أَنْصَارُهُ يَوْجُوهُ كَالدُّنَانِيرِ
٩٤٤	الكامل	سهم بن حنظلة	١٨٣- (٢٨٨) لَمْ يَتَكْنِي وَلَقِيتُ مَا لَمْ أَخْذِرِ
١٧٦	الكامل	ثعلبة بن صُعير	١٨٤- (١٦) تَقْلِدِي عُيُونُهُمْ بِهَنْتِ هَاتِرِ
١٦٩	الكامل	يزيد بن مسلمة بن عبد الملك	١٨٥- (١٣) إِهْمَالُهُ وَكَذَاكَ كُلُّ مُخَاطِرِ
٢٢٧	الكامل	أبو تمام	١٨٦- (٣٠) كَأَثْنَيْنِ ثَانٍ إِذْ هَمَا فِي الْعَارِ
٣٧٤	الكامل	زهير	١٨٧- (٧١) ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي
١١٣٠	الكامل	أبو العتاهية	١٨٨- (٣٤٤) عَنِّي بِخَفَّتِهِ عَلَى ظَهْرِي
٥٦٥	الكامل	المسيب بن علس	١٨٩- (١٣٨) وَرَفِيقُهُ بِالْغَيْبِ لَا يَنْدِرِي
٣٢٣	المجث	ابن المعتز	١٩٠- (٥٦) وَخَالَ وَجْهَ النَّهَارِ
٦٨٣	الخفيف	بشار	١٩١- (١٨٣) إِنَّ ذَاكَ التَّجَاجُ فِي التَّبْكِيرِ
٩٨٨	المقارب	خالد الكاتب	١٩٢- (٣٠٢) وَلَيْلُ الْمُحِبِّ بِلَا آخِرِ

١٠٠٤	الطويل	البحري	١٩٣- (٣٠٧) إِلَى أَهْرَبِ الشُّدْقَيْنِ تَدْمَى أَظْفَرَهَا
		شبيب بن البرصاء،	١٩٤- (٢١٠) رَجَزْتُ كِلَابِي أَنْ يَهْرَ عَقُورَهَا
		عوف بن الأحوص،	
٧٥٠	الطويل	أوشريح بن الأحوص	
٩٢٠	الطويل	الفرزدق	١٩٥- (٢٨٠) بِخَيْرٍ وَقَدْ أَغْيَا رُبِعَا كِبَارَهَا
٩٢٣			
٦٧٢	المديد	أبو نواس	١٩٦- (١٧٩) قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ
١٠٨٣	المديد	أبو نواس	١٩٧- (٣٣٠) وَتَرَأَى الْمَوْتَ فِي صُورِهِ
٣٢٤	الخفيف	-	١٩٨- (٥٧) أَنْتَ وَاللَّهِ تَلَجَّةٌ فِي خِيَارِهِ
٧٥٤	المقارِب	نصيب	١٩٩- (٢١٢) وَعَبِيرِهِمْ مِنْ غُلَامِهِرَةِ
٩٥٢	البيط	-	٢٠٠- (٢٩٠) واجلس فَإِنَّكَ أَنْتَ الْإِكْلُ اللَّائِسُ
٩٢٦	الطويل	أبو نواس	٢٠١- (٢٨٢) بِشَرْقِي سَابِاطِ الدُّيَارِ الْبَسَاسِ
١٠٩٨	المنسرح	أبو تمام	٢٠٢- (٣٣٤) وَيُكْشِرُ الْوَجْدَ نَحْوَهُ الْأَمْسُ
٨٢٢	السريع	السيد الحميري	٢٠٣- (٢٤٢) مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسًا
٧٩٣	الطويل	محمد بن وهيب	٢٠٤- (٢٣٢) وَصَبْرًا عَلَى اسْتِذْوَارِ دُنْيَا يَأْنِسَاسِ
٩٣٥	البيط	الحطيفة	٢٠٥- (٢٩٠) وَأَقْعَدُ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
٩٥٢، ٩٣٧			(٢٨٥)
١٠٣٩	الكامل	البحري	٢٠٦- (٣١٧) شُغِلَ الْخَلِيُّ نَثْتُ بِصَنْفَةِ مُؤَرِّسِ
٧٩١	السريع	أبو نواس	٢٠٧- (٢٣١) إِنْ غَشَى نَفْسُكَ فِي الْيَاسِ
٩٦٣	الطويل	المتبي	٢٠٨- (٢٩٤) وَمَنْ قَوْفَهَا وَالْيَاسُ وَالْكَرْمُ الْمَحْضُ
٤٤٠	السريع	بكر بن النطاح	٢٠٩- (٩٢) وَنُظْهِرُ الْإِبْرَامَ وَالشُّقْفَا
٩٣٩	الطويل	أبو نُحَيْلَةَ	٢١٠- (٢٨٧) وَيَا جَبَلَ الدُّنْيَا وَيَا وَاحِدَ الْأَرْضِ
٩٢٧	الطويل	أبو خراش الهذلي	٢١١- (٢٨٢) سَوَى أَنَّهُ قَدْ سُلِّ مِنْ مَاجِدٍ مَحْضِ
٦٧٨	السريع	حِطَّانُ بْنُ الْمُعَلَّى	٢١٢- (١٨١) أَضْحَكُنِي الدُّغْرُ بِمَا بُرْضِي
١٠٤٢	الخفيف	أبو تمام	٢١٣- (٣١٨) تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ التَّقَاضِي
١٠٣٢	الطويل	البحري	٢١٤- (٣١٥) لِيَنْفِضِي فَإِنَّ الْكَفَّ لَا السَّيْفَ تَقْطَعُ
٤٦٦	الطويل	الخُرَيْمِي	٢١٥- (١٠٠) عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةَ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

٢١٦- (٣٢٥)	فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذِلُّ وَيَخْضَعُ	المتنبي	الطويل	١٠٦٤
٢١٧- (٣٩٥)	وَبِالْجَنِّ فِيهِ مَا دَرَّتْ كَيْفَ تَرْجِعُ	المتنبي	الطويل	١٢٤٤
٢١٨- (٣٢٦)	عَلَيَّ ذَلَالٌ وَاجِبٌ لِمُفْجِعُ	مُضَرَّس بن ربيعي	الطويل	١٠٦٧
٢١٩- (٢٨٣)	تَمَكَّنَ رَضْوَى وَأَظْمَأُ مُتَالِعُ	البحري	الطويل	٩٣٠
٢٢٠- (٣٥٦)	وَطَبِيرُهُ عَن وَكْرِهِ وَهُوَ وَاقِعُ	أبو تمام	الطويل	١١٥٩
٢٢١- (٣٦٠)	فِيمَا أَحَبَّ لِسَانَ حَائِكُ صَنَعُ	حسان	البيسط	١١٦٦
٢٢٢- (٤٧)	أَوْحَاوُلُوا الثُّغَمَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا	حسان	البيسط	٢٨٩
٢٢٣- (٧٧)	عَبْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَلِعُ	المتنبي	البيسط	٣٨٩
٢٢٤- (٣٣٢)	أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ	منصور النمري	البيسط	١٠٩٣
٢٢٥- (٣٧٨)	وَلَوْ أَنَّ دَجَلَةَ لِي عَلَيْنِكَ دُمُوعُ	البحري	الكامل	١٢١٢
٢٢٦- (١)	وَجَعْتُ مِنَ الْإِضْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْذَعَا	الصمة القشيري	الطويل	١٠٥
٢٢٧- (٢٣٠)	يَا لَيْتَ أَيَّامَ الصُّبَا زَوَّاجِعَا	العجاج	رجز	٧٨٩
٢٢٨- (٣٠٥)	عُلِفْتُ مَمْنُوعًا مَمْنُوعَا	ابن الرومي	الكامل	٩٩٨
٢٢٩- (٣٢٥)	لِلَّذِي تَهْوَى مُطِيعَا	بعض المحدثين	الرمز	١٠٦٥
٢٣٠- (٢)	وَأَعْتَقْتُ مِنْ رِقِّ الْمَطَامِعِ أَخْذَعِي	البحري	الطويل	١١١
٢٣١- (٩٠)	وَلَيْمَنَ إِلَى دَائِعِي التَّدَى بِسَرِيعِ	الأقشير	الطويل	٤٣٦
٢٣٢- (٣٨٩)	وَفِي جَبَاءٍ وَخَبِيرٍ غَيْرِ مَمْنُوعِ	دعبل	البيسط	١٢٣٢
٢٣٣- (٣٤٣)	عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطُّبَاعِ	أبو تمام	الوافر	١١٢٧
٢٣٤- (٩٤)	أَنْ يَرَى مُبْهِصِرٌ وَيَسْمَعُ وَاعِ	البحري	الخفيف	٤٤٧
٢٣٥- (٤٣)	تَذَكَّرْتَ الْقُرْبَى فَقَاضَتْ دُمُوعُهَا	البحري	الطويل	٢٧٩
٢٣٦- (٣٠٨)	أَخَفُ مِنْ رَدِّ قَلْبٍ حِينَ يَنْصَرِفُ	العباس بن الأحف	البيسط	١٠٠٧
٢٣٧- (١٦٤)	لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَافُ	مساور بن هند	الوافر	٦٣٠
٢٣٨- (٣١٩)	خَالِقُ أَنْ لَا يُكِنِّهَا سَدَفُ	قيس بن الخطيم	المنسرح	١٠٤٤
٢٣٩- (٣٠٩)	كَانَتْ فَحَارًا لِمَنْ يَغْفُوهُ مَوْتَنَفَا	أبو تمام	البيسط	١٠١٠
٢٤٠- (٩٨)	فَهَجَرَانَهَا يُبْلِي وَلُقْيَانَهَا يَشْفِي	البحري	الطويل	٤٦١
٢٤١- (٥٣)	لَتَجْمَعُ مِنِّي نَظْرَةً ثُمَّ أُطْرِقُ	ابن المعتز	الطويل	٣١٤

٥٠٢	الطويل	الأعشى	٢٤٢- (١١١) إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تَحَرَّقُ
١٠١٣	الطويل	جرير	٢٤٣- (٣١٠) بِأَنَّهُمْ أَغْدَاءٌ وَهُمْ صَدِيقُ
٤٩٩	البيط	النضر بن جؤية	٢٤٤- (١١٠) لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ
٨٢٧	المديد	العباس بن الأحف	٢٤٥- (٢٤٤) إِنَّمَا لِلْعَبِيدِ مَا رَزَقَا
٨٢٨	البيط	الباخرزي	٢٤٦- (٢٤٥) وَإِنَّمَا يَعْذِرُ الْعُشَّاقُ مَنْ عَشِقَا
٦٤٠ - ٦٣٩	الوافر	المتنبي	٢٤٧- (١٦٧) عَفَاهُ مَنْ خَدَا بِهِمْ وَسَاقَا
١١٠٤	الوافر	المتنبي	٢٤٨- (٣٣٦) تَلَاكِي فِي جُحُومٍ مَا تَلَاكِي
٣١٢	الطويل	زياد الأعجم	٢٤٩- (٣٧٦) (٥٢) لَكَالْبَحْرِ مَهْمَا يَلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرِقُ
١٢٠٧			
٥٦٨	الطويل	سلامة بن جندل	٢٥٠- (١٣٩) إِلَى جَعْفَرٍ سِرْبَالُهُ لَمْ يَمُرَّقِ
١٠١٤	الطويل	أبو نواس	٢٥١- (٣١٠) لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي نِيَابِ صَدِيقِ
١٢١٦	البيط	أبو نواس	٢٥٢- (٣٨٠) كَأَنَّ الْكَرَى نَائِشَتِي الْمُسْقِي وَالسَّاقِي
٧٣٨	الوافر	ذو الخرق الطهوي	٢٥٣- (٢٠٥) وَمَا هِيَ وَبِبَ غَيْرِكَ بِالْعِنَاقِ
١٢١١	الكامل	محمد بن أحمد المكي	٢٥٤- (٣٧٧) نَظَرُ وَتَسْلِيمٌ عَلَى الطَّرِيقِ
٧٨٣	المديد	أم السليك بن السلكة	٢٥٥- (٢٢٨) عَنْ جَوَابِي شَفَلَكُ
١١٣	المنرح	أبو تمام	٢٥٦- (٣) أَضْجَجْتَ هَذَا الْآثَامَ مِنْ خُرْقِكَ
١٢٢٧	الطويل	أبو تمام	٢٥٧- (٣٨٧) خَلَّتْ جَبَّ حَزْمٌ لَهُ وَهُوَ خَائِكُ
٨٤٣	الخفيف	أبو تمام	٢٥٨- (٢٥٢) نَمْ وَإِنْ لَمْ أَنَمْ كَرَايَ كَرَاكَا
٥٧٥	المقارب	عبدالله بن همام السلولي	٢٥٩- (١٤٣) نَجَوْتُ وَأَزْهَيْتُهُمْ مَالِكَا
٨٨٤	الطويل	تابط شراً	٢٦٠- (٢٦٨) نَوَاجِذُ أَفْوَاهِ الْمَنَائَا الصَّوَاكِ
٢٦٠	الطويل	ابن الدمينه	٢٦١- (٣٦) فَأَفْرَحَ أَمْ صَبَّرْتَنِي فِي شِمَالِكِ
٨٢٤	الرمل	ليد	٢٦٢- (٢٤٣) إِنَّمَا يَخْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ
١٠٧٣	الرمل	ليد	٢٦٣- (٣٢٨) إِنَّ صَدَقَ النَّفْسِ يُزْرِي بِالْأَمَلِ
٦٦٣	السريع	مطرف بن عبدالله	٢٦٤- (١٧٥) وَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرُّجَالِ
٦٩٧	الطويل	إبراهيم بن كنيف	٢٦٥- (١٨٨) وَلَا لَأَمْرِي بِعَمَّا قَضَى اللَّهُ مَرْحَلُ
١٠١٨	الطويل	كثير	٢٦٦- (٣١١) أَبِينَا وَقُلْنَا الْحَاجِيَّةُ أَوَّلُ

٢٦٧- (٣٤٩)	إِذَا مَا تَوَى كَعْبٌ وَقَوَزَ جَذُولُ	كعب بن زهير	الطويل	١١٤٨
٢٦٨- (٣٢٧)	بَخْسَنَّاكَ حَطًّا أَنْتَ أَبْهَى وَأَجْمَلُ	المتنبي	الطويل	١٠٧١
٢٦٩- (٣٤٠)	يَفِيضُ وَصَوَّبَ الْمُزَيْنُ إِنْ رَاحَ يَهْطِلُ	البحري	الطويل	١١١٦
٢٧٠- (٣٠٨)	إِلَيْهِ يَوْجُو أَحْرَ الدَّغْرِ تَقْبِلُ	معن بن أوس	الطويل	١٠٠٦
٢٧١- (٢٥١)	وَأَزْيِي الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِ عَوَائِلُ	أبو تمام	الطويل	٨٣٩
٢٧٢- (٢٩٦)	وَقَدْ لَقِحتْ حَرْبٌ فَإِنَّكَ نَازِلُ	المتنبي	الطويل	٩٧٠
٢٧٣- (٣٠٤)	لَقَدْ رَثَ حَتَّى كَادَ يَنْصَرِمُ الْحَبْلُ	أبو علي البصير	الطويل	٩٩٥
٢٧٤- (٢٢)	بِالْقَوْلِ مَا لَمْ يَكُنْ جِسْرًا لَهُ الْعَمَلُ	أبو تمام	البيط	١٨٩
٢٧٥- (٣١)	مِنْ رَاخَتَيْكَ ذَرَى مَا الصَّابُ وَالْعَسَلُ	-	البيط	٢٣٢
٢٧٦- (٧٩)	وَهَاجَ أَهْوَاؤُكَ الْمَكْثُورَةَ الطَّلُلُ	عمر بن أبي ربيعة	البيط	٣٧٦- ٣٩٨
٢٧٧- (١٥٢)	وَاللَّيْلُ قَدْ مَرَّتْ عَنْهُ السَّرَائِلُ	خندج بن خندج المري	البيط	٥٩٦
٢٧٨- (٣٩)	لَكَ لَمَّا ضَاقَتِ الْحَبِلُ	ابن البواب	الوافر	٢٧٠
٢٧٩- (١٩٦)	لِحَيْنِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ	ابن البواب	الوافر	٧١٢
٢٨١- (٣٤٦)	صَنَعَ اللِّسَانُ بِهِنَّ لَا أَتَنَحَّلُ	أبو حية النميري	الكامل	١١٤١
٢٨٢- (١٩٤)	ضَرَبَ تَطِيرُ لَهُ السَّوَاعِدُ أَرْعَلُ	الفردق	الكامل	٧٠٨
٢٨٣- (٢٨٣)	تَهْلَآنَ ذُو الْهَضَبَاتِ هَلْ يَتَحَلَّلُ	الفردق	الكامل	٩٣٢
٢٨٤- (٢٧)	مِنْ أَنَّهَا عَمَلَ السُّيُوفِ عَوَائِلُ	المتنبي	الكامل	٢١٩-
٢٨٥- (٢٨)	وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَائِلُ	المتنبي	الكامل	٢٢٢
٢٨٦- (٣٣٩)	مَا دُونَ أَعْمَادِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا	المتنبي	المنسرح	١١١٤
٢٨٧- (١٦٦)	سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُسْرُنٌ طَوِيلُ	المتنبي	الخفيف	٦٣٦
٢٨٨- (٣٥٠)	فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوِيلًا	بشار	الطويل	١١٥٠
٢٨٩- (١٦١)	وَنَذْكُرُ بَعْضَ الْفَضْلِ مِنْكَ وَتَفْضِيلًا	أبو تمام	الطويل	٦٢٢
٢٩٠- (٢٨٧)	بِهَيْمًا وَلَا أَرْضِي مِنَ الْأَرْضِ مِنْجَهلاً	أبو تمام	الطويل	٩٤٠
٢٩١- (٢١٨)	عَلَيْنَا فَأَعْيَى النَّاسُ أَنْ يَتَحَوَّلَا	حسان	الطويل	٧٦٥
٢٩٢- (٨٠)	كَمَا عَرَفْتُ بِجَفْنِ الصَّبِيلِ الْحَلَلَا	عمر بن أبي ربيعة	البيط	٤٠١

٢٩٣- (١٣٦)	فِي رَأْسِ عُمْدَانَ دَاراً مِنْكَ مَخْلَلاً	أمية بن أبي الصلت	البيط	٥٦١
٢٩٤- (٣٠٤)	فَلَوْ قَرَعْتَ لَكُنْتَ الدَّهْرَ مَبْدُولاً	محمد بن بشير	البيط	٩٩٥
٢٩٥- (٢٨٤)	أَجْبُهُ الْمُسَانِدَ وَالْمُحَالَ	ذو الرمة	الوافر	٩٣٤
٢٩٦- (١٦٩)	تَهَيَّبَنِي فَمَا جَانِي أَعْتَبَالاً	المتنبي	الوافر	٦٤٤
٢٩٧- (٢٠٦)	وَفَاحَتْ عُنْبَرًا وَرَثَتْ عَزَالاً	المتنبي	الوافر	٧٤
٢٩٨- (١١٥)	رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الْحَسَنَ الْجَمِيلَ	الخنساء	الوافر	٥١٥
٢٩٩- (١٠٨)	لَيْسَ مَا أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَالاً	ذو الرمة	الكامل	٤٨٧
٣٠٠- (٢٢٩)	وَأَنَّ فِي النَّفْسِ إِنْ مَضَوْا مَهَلًا	الأعشى	المنسرح	٧٨٦
٣٠١- (١٠٧)	دُودٌ وَالْمَجْدُ وَالْمَكَارِمُ مِثْلًا	البحري	الخفيف	٤٨٥
٣٠٢- (١٣٠)	نَعْتُهُ تَغْلُو وَالضَّرْبُ أَعْلَى وَأَعْلَى	المتنبي	الخفيف	٥٤٣
٣٠٣- (٥٥)	فَبَنَاهَا فِي وَجْهَةِ الدَّهْرِ خَالاً	المتنبي	الخفيف	٣٢٠
٣٠٤- (٢٥٤)	وَلَا ذَاكِرِ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا	أبو الأسود الدؤلي	المتقارب	٨٤٦
٣٠٥- (٢٥)	وَأَزْدَتْ أَعْجَازًا وَتَاءً بِكُلِّ كِلٍ	امرؤ القيس	الطويل	١٩٦
(٢٨٦) (٢٤٩)		١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٣، ٨٣٥، ٩٣٨		
٣٠٦- (٩١)	يُحَاوِلُهُ قَبْلَ اعْتِرَاضِ الشَّوَاغِلِ	عبدالله بن الزبير	الطويل	٤٣٨
(٤٩)-	لَدَى وَكْرِهَا الْمُنَابُ وَالْحَصْفُ الْبَالِي	امرؤ القيس	الطويل	٢٩٦
٣٠٨- (٦٢)	وَمَسْتُونَةُ زُرُقٍ كَأَنِّيَابِ أَعْوَالِ	امرؤ القيس	الطويل	٣٤١
٣٠٩- (٢٣٤)	يُدَانِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي	الفرزدق	الطويل	٨٠٣
(٢٤٠)		٨١٩		
٣١٠- (٢٩٣)	قَوْدًا لَكَانَ نَدَى كَفَيْكَ مِنْ عُقْلِي	البحري	البيط	٩٦٢
٣١١- (٣٤٠)	وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْهَظْلِ	المتنبي	البيط	١١١٧
٣١٢- (١٧٦)	جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ	ابن هرمة	الوافر	٦٦٥
٣١٣- (٣٢٤)	إِلَى أَهْلِ السَّوَابِلِ وَالْفُضُولِ	البحري	الوافر	٧٤٧
٣١٤- (٢٩٨)	إِذَا اخْتَجَّ السَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ	المتنبي	الوافر	٩٧٧

٩٧٨			٣١٥- (٣٣٢) وَكُنْتُ لَهُ بِمُجْتَمَعِ السُّبُولِ
١٠٩٣	الوافر	أبو وجزة	٣١٦- (١٦٢) صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمَرَنِي لَا تَنْجَلِي
٦٢٤	الكامل		٣١٧- (٢١٩) فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ
٧٦٦	الكامل	البحري	٣١٨- (٣٠٥) فَلَوْ أَنَّهَا بُذِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلْ
٩٩٧	الكامل	البحري	٣١٩- (٣١٦) غَيْرَ الْجَوَادِ وَجَادَ غَيْرَ الْمُفْضِلِ
١٠٣٥	الكامل	البحري	٣٢٠- (٣١١) مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
١٠١٩	الكامل	أبو تمام	٣٢١- (٢٩١) لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُفْضِلِ
٩٥٣	الكامل	حسان	٣٢٢- (١٦٨) عَفَا مِنْ بَغْدِ أَخْوَالِ
٦٤٢	الهنز	الوليد بن يزيد	٣٢٣- (٢٦٥) أَبْشَاعٍ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجْلِ
٦٦٨	المنسرح	ابن هرمة	(١٧٧)
٨٧١			٣٢٤- (٢٦٦) فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الْجَمَالِ
٨٧٣	الخفيف	المتنبي	٣٢٥- (٨) بَعْدَهَا بِالْأَمَالِ جِدُّ بَخِيلِ
١٣٩	الخفيف	محمد بن يسير	٣٢٦- (٢٢٣) فَسَقَى وَجُوهَ بَنِي حَنْبَلِ
٧٧٢	المتقارب	زُهَيْر بن عروة السكب	٣٢٧- (٢٦١) وَتَأَبَّى الطُّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ
٨٦٣	المتقارب	المتنبي	٣٢٨- (٣٣٥) فَأَنْتَ بِإِحْسَانِكَ الشَّامِلِ
١١٠١	المتقارب	المتنبي	٣٢٩- (٣٣٩) لَجَادَ بِهَا فَلَيْتَنِي اللَّهُ سَائِلُهُ
١١١١	الطويل	بكر بن النطاح	٣٣٠- (٣١٣) فَحَارَلْتُ وَرَدَ الثَّيْلُ عِنْدَ اخْتِفَالِهِ
١٠٢٧	الطويل	البحري	٣٣١- (٣٧٥) نَبِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنْهُمْ
٨٩٩	السريع	المرقش الأكبر	
١٢٠٤			٣٣٢- (٣٦٤) يُسَيِّرُ صَاحِبِي وَشِبْهًا وَيُتَمِّمُ
١١٧٤	الطويل	البحري	٣٣٣- (٣٠١) وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يُنْجِمُ
٩٨٦	الطويل	المتنبي	٣٣٤- (٢١٣) يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ
٧٥٦	الطويل	ابن هرمة	٣٣٥- (٢٤٢) غَدَا الْعَوْرُ مِنْهُ وَهُوَ فِي السَّيْفِ حَاكِمُ
١١٢١	الطويل	أبو تمام	٣٣٦- (٢٤٨) أَجَدْتُ لِعَزْوٍ إِنَّمَا أَنْتَ حَالِمُ
٨٣١	الطويل	قس بن حصن	٣٣٧- (٢٦٩) وَفِي أُذُنِ الْجَوَزَاءِ مِنْهُ زَمَارُ
٨٨٦	الطويل	المتنبي	٣٣٨- (٣٤١) وَهَنْ لِمَا يَأْخُذَنَّ مِنْكَ عَوَارِمُ
١١١٩	الطويل	المتنبي	

٣٣٩	(٦٣)	زِيَارَتُهُ إِنْسِي إِذْنُ لَلْنَبِيِّمُ	عمارة بن عقيل	الطويل	٣٤٦
٣٤٠	(١٤٠)	وَجَدْتُهُ حَاضِرًا الْجُودَ وَالْكَرَمُ	الأخطل	البيط	٥٧٠
٣٤١	(١٤١)	يَوْمَ قُدَيْدِيَمَةَ الْجُوزَاءِ مَسْمُومُ	علقمة بن عبدة	البيط	٥٧١
٣٤٢	(٢٨٣)	فَلِذَا أَبَانَ قَدْ رَسَا وَلَسَلَمُ	أبو تمام	الكامل	٩٣١
٣٤٣	(١١٢)	بَعَثُوا إِلَى عَرِيقَهُمْ يَتَوَسَّمُ	طريف بن تميم العنبري	الكامل	٥٠٥
٣٤٤	(١٥٩)	صَبْرٌ وَأَنْ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمُ	أبو تمام	الكامل	٦١٥
٣٤٥	(٣٨٢)	وَعَابَتِ الْجُوزَاءُ وَالْمِرَزْمُ	إسماعيل بن يسار	السريع	١٢١٩
٣٤٦	(١٥٧)	بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَغْظِيمُ	ابن الرومي	السريع	٦٠٦
٣٤٧	(٣١٤)	لَا صَفْرُ عَاذِرٍ وَلَا هَرَمُ	المتني	المنسرح	١٠٣٠
٣٤٨	(٣٢٣)	أَنَّهُمْ أَعْمُوا وَمَا عَلِمُوا	المتني	المنسرح	١٠٥٨
٣٤٩	(٢٩٧)	بِ كَأَنَّ الْقِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ	المتني	الخفيف	٩٧٣
٣٥٠	(٣٦٢)	هِيَ الْأَنْجُمُ افْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجَمًا	البحري	الطويل	١١٦٩
٣٥١	(١٠٣)	أَوْ الزُّرْقِي مِنْ تَفْلِيثٍ أَوْ يَلْمَلَمًا	حميد بن ثور	الطويل	٤٧٥
٣٥٢	(٧٠)	شَجِيحَانِ مَا اسْطَاعَا عَلَيْهِ كِلَاهُمَا	عمرة الخثعمية	الطويل	٣٦٩
٣٥٣	(٢٩٦)	شَبَابٌ يَوْمَ لِقَاءِ الْبَيْضِ مَا نَدِمَا	البحري	البيط	٩٧١
٣٥٤	(٣٦٩)	لَمَّا تَخَرَّمَ أَهْلُ الْأَرْضِ مُخْتَرِمًا	أبو تمام	البيط	١١٨٧
٣٥٥	(٩٦)	تَرَكْتُ ضَمِيرَ قَلْبِي مُسْتَهَامًا	جرير	الوافر	٤٥٤
٣٥٦	(١٩٨)	وَعَمِي مَالِكٌ وَضَعَ السُّهَامَا	حاجز بن عوف الأزدي	الوافر	٧١٨
٣٥٧	(٢٩٥)	أَعْطَاكَ مُعْتَذِرًا كَمَنْ قَدْ أَجْرَمَا	المتني	الكامل	٩٦٧
٣٥٨	(٣١٨)	إِذْ لَا تُرِيدُ لِمَا أُرِيدُ مُتَرَجِمًا	المتني	الكامل	١٠٤١
٣٥٩	(٧٣)	قَدْ أَغْتَدِي وَالطُّيَرُ لَمْ تَكَلِّمْ	-	رجز	٣٨٠
٣٦٠	(٢٥٦)	(١٩٢) عَلَاطًا وَلَا مَخْبُوطَةً فِي الْمَلَاغِمِ	الفرزدق	الطويل	٧٠٤
٣٦١	(١٠٩)	وَسُورَةُ أَيَّامٍ حَزَزْنَ إِلَى الْعَظَمِ	البحري	الطويل	٤٨٩
٣٦٢	(٣٨٣)	تَغْصُ بِهِ عَيْنِي وَيَلْقُظُهُ وَهَمِي	أبو نواس	الطويل	١٢٢٠
٣٦٣	(٢٤)	قَالَتْ: عَسَى وَعَسَى جِسْرٌ إِلَى نَعَمِ	ربيعه الرقي	البيط	١٩٢

٤٦٩	البيسط	ابن شبرمة	٣٦٤- (١٠١) أَوْ كَاتِبٍ طَارِفَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ
١٢٢٤	البيسط	المتنبي	٣٦٥- (٣٨٥) شَكَوَى الْجَرِيحَ إِلَى الْغُرَبَانِ وَالرَّحِمِ
٧٧١	الوافر	-	٣٦٦- (٢٢٢) وَمَسْلَمَةٌ بَيْنَ عَمْرُو مِنْ تَمِيمٍ
٥٩٢	الوافر	أعشى همدان	٣٦٧- (١٥٠) وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ فِي نَعِيمٍ
٩٧٩	الوافر	أبو تمام	٣٦٨- (٢٩٩) لِمُخْتَبِرٍ عَلَى شَرَفِ الْقَدِيمِ
١٠٩٠	الكامل	أبو تمام	٣٦٩- (٣٣١) يَنْفُثُنْ فِي عَقْدِ اللِّسَانِ الْمُفْحَمِ
٦٥٢	الكامل	الحارث بن ولة	٣٧٠- (١٧١) فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
٩٧٦	الكامل	أبو تمام	٣٧١- (٢٩٨) مِنْ غَيْرِهِ أَبْغَيْتَ وَلَا أَعْلَامِ
١١٠٩	الكامل	علي بن جبلة	٣٧٢- (٣٣٨) رَذْنُهُ فِي عِظَّتِي وَفِي إِفْهَامِي
٦٦٣	الخفيف	-	٣٧٣- (١٧٤) رِ وَمَا فِيكَ آلَةُ الْحُكَّامِ
٢٢٤	الطويل	المتنبي	٣٧٤- (٢٩) بِأَنْ تُسْعِدَا وَالذَّمْعَ أَشْفَاهُ سَاجِمُهُ
٩٦٠	الكامل	البحري	٣٧٥- (٢٩٢) ضِلْدَيْنِ أَسْهَرَهُ لَهَا وَتَسَامُهُ
١٥٤	الكامل	ليبد	٣٧٦- (٢٨١) إِذْ أَصْبَحْتَ بِبَيْدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا
٩٠٣ ، ٨٧٦			(١٠) (٢٦٧) (٢٧٤)
٩٢٥	الطويل	البحري	٣٧٧- (٢٨١) كِرَامُ بَنِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ كَرِيمُهَا
٩٢٤	الطويل	البعيث	٣٧٨- (٢٨١) وَأَنْتَ إِذَا عُدْتُ كُلِّيبَ لَيْمُهَا
٩٢١	الطويل	البعيث	٣٧٩- (٢٨٠) بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا كُلِّيبًا قَدِيمُهَا
٩٢٣			
١٠٠٨	الطويل	أمية بن أبي الصلت	٣٨٠- (٣٠٩) بِخَيْرٍ وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ
٧٠١	البيسط	المتنبي	٣٨١- (١٩٠) تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ
١١٦٤	الكامل	أبو تمام	٣٨٢- (٣٥٨) سِمْطَانِ فِيهَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ
٥٢٧	الكامل	ابن أبي عينة	٣٨٣- (١٢٣) أَبَدَا وَمَا هُوَ كَائِنٌ سَيَكُونُ
١٢٣٧	هزج	الفند الزماني	٣٨٤- (٣٩٢) عَدَا وَاللَّيْتُ غَضَبَانُ
٦٢٠	البيسط	الفضل بن العباس	٣٨٥- (١٦٠) وَأَنْ نَكْفُفَ الْأَدَى عَنْكُمْ وَتَوُذُّونَا
٢٥٧	البيسط	العباس بن الأحنف	٣٨٦- (٣٥) ثُمَّ الْفُقُولُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَ
		عبد الشارق بن عبد العزى	٣٨٧- (١٥٣) وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدْ انْحَتَمْنَا
٥٩٩	الوافر	سلمة بن الحجاج	

١١٥٤	الوافر	أبو شريح العمير	٣٨٨- (٣٥٢) قَوَافِي تُعْجِبُ الْمُتَمَثِّلِينَ
٣٦٧	الهزج	عروة بن أذينة	٣٨٩- (٦٩) فَأَيْنَ تَقُولُهَا أَيْنَا
٨١٩	الهزج	ذو الإصبع العدواني	٣٩٠- (٢٤١) إِنَّمَا نَفْسُ لِي إِيَّانَا
٨١٦	السريع	عمرو بن معد يكرب	٣٩١- (٢٣٩) مَا قَطَرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا
٥٢١	الطويل	-	٣٩٢- (١١٩) إِذَا لَمْ تُكَارِمْ نِي صُرُوفُ زَمَانِي
١٣١	الطويل	المتنبي	٣٩٣- (٦) لَعَوَّهَ شَيْءٌ عَنِ الدَّوْرَانِ
١٠٢٣	الطويل	المتنبي	٣٩٤- (٣١٢) شَيْبٌ وَأَوْقَى مَنْ تَرَى أَخَوَانِ
٧٥٨	البيط	زهير بن أبي سلمى	٣٩٥- (٢١٤) وَحَيْثُمَا يَكُ أَمْرٌ صَالِحٌ تَكُنْ
٩٨١	البيط	المتنبي	٣٩٦- (٢٩٩) جَدِّي الْخَصِيبُ عَرَفْنَا الْعِرْقَ بِالْفُصْنِ
٩٨١	البيط	المتنبي	٣٩٧- (٢٩٩) يَخْلُو مِنْ الِهَمِّ أَخْلَاقَهُمْ مِنَ الْفِطَنِ
١٠٦٠			(٣٢٤)
١١٠٣	البيط	أبو تمام	٣٩٨- (٣٣٦) لَصِيقُ رُوحِي وَدَانٍ لَيْسَ بِالدَّانِي
٧٨٠	البيط	سلمى بن ربيعة	٣٩٩- (٢٢) وَخَبَبُ الْبَازِلِ الْأُمُونِ
١٧٤	الوافر	سوار بن المضرب	٤٠٠- (١٥) نَحِيمٌ لَا يَرُوعُ الثُّرْبَ وَإِنْ
٩٢١	الوافر	الفرزدق	٤٠١- (٢٠٠) تَنَحَّلَهَا ابْنُ حَمْرَاءِ الْحِجَانِ
٩٩٠	الوافر	أبو تمام	٤٠٢- (٣٠٣) أَطَارَ قُلُوبَ أَهْلِ الْمَغْرِبَيْنِ
٢٧٤	الكمال	جرير	٤٠٣- (٤١) إِذْ لَا نَسِيعُ زَمَانَنَا بِزَمَانِ
٥٤١	الكمال	المتنبي	٤٠٤- (١٢٩) هَنِيْجَاءُ غَيْرُ الطُّغْنِ فِي الْمَيْدَانِ
٥٧٧	الكمال	شمر بن عمرو الحنفي	٤٠٥- (١٤٤) فَمَضَيْتُ ثَمَّتْ قُلْتُ لَا يَعْنِينِي
٧٨٢	الخفيف	-	٤٠٦- (٢٢٧) لَزَنَانٌ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ
١١٩٤	الخفيف	أبو الفتح البستي	٤٠٧- (٣٧٢) أَوْ دَعَانِي أُمْتُ يَمَا أَوْدَعَانِي
١١٠٦	الرمل	أبو هفان	٤٠٨- (٣٣٧) مَا لَهُ إِلَّا أَيْسَنُ يَحْيَى حَسَنَهُ
٨١٥	الكمال	البحري	٤٠٩- (٣٠١) (٢٣٨) حَتَّى يُسَلِّمَهَا إِلَيْهِ عِدَاهُ
٩٨٦			
٩٤٧	الكمال	البحري	٤١٠- (٢٨٨) فِيمَا أَرَتْ لَرَجَوْتُ مَا أَخْشَاهُ
٣٨٥	السريع	المتنبي	٤١١- (٧٥) وَيَسْتَرِدُّ الدُّمْعَ مِنْ عَرِيهِ

٣٨٨	السرّيع	المتنبى	يَسْوَكَ يَا فَرْدَا بِلَا مُشْبِهِ	٤١٢- (٧٦)
٣٥٩	الطويل	المعذل بن عبدالله الليثي	وَأَجْرَدَ سَبَاحٍ يَبْذُ الْمُعَالِيَا	٤١٣- (٦٧)
٣٦٠				
١٢٠٠	الطويل	الفرزدق	أَعَتْ مِنْ الْجَانِي عَلَيْهَا هَجَائِيَا	٤١٤- (٣٧٣)
١٢٧	الطويل	أبو حية النميري	تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمْلُ التَّقَاضِيَا	٤١٥- (٥)
١٠٣٣	الطويل	المتنبى	فَسَيْفُكَ فِي كَفِّ تَزِيلِ التَّسَاوِيَا	٤١٦- (٣١٥)
١٠٢٨	الطويل	المتنبى	وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقْلَ السَّوَاقِيَا	٤١٧- (٣١٣)
٨٦٠	الوافر	أبو تمام	مُرْتَبَةً وَمُسَبَّ أَبْنُ الْخَصِي	٤١٨- (٢٦٠)
٨٦٢				
٤٣١	البسيط	جميل	دَيْنِي وَقَاعِلَةً خَيْرًا فَأَجْزِيهَا	٤١٩- (٨٨)
٥٢٩	الطويل	أبو العتاهية	يَرُوقُ وَيَضْفُو إِنْ كَدِرَتْ عَلَيْهِ	٤٢٠- (١٢٤)
(الألف المقصورة)				
١٢٤	الطويل	عمر بن أبي ربيعة	إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالْدُمَى	٤٢١- (٤)
٢٨٨	الطويل	البحري	عَلَى الْأَضْعَفِ الْمُؤْمُونِ عَادِيَةُ الْأَقْوَى	٤٢٢- (٤٦)
٩٠٣	رجز	-	سَقَنَهُ كَفُّ اللَّيْلِ أَكْؤُسَ الْكَرَى	٤٢٣- (٢٧٥)
١١٩٣	رجز	-	حَتَّى نَجَا مِنْ خَوْفِهِ وَمَا نَجَا	٤٢٤- (٣٧١)
(الأرجاز)				
٦٠٢	رجز	-	تَغْرِفُهُ الْأَرْسَانُ وَالْدَّلَاءُ	٤٢٥- (١٥٥)
٦٨٦	رجز	-	إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْحُدَاءُ	٤٢٦- (١٨٤)
٣١٨	رجز	-	وَالْبَيْنُ مَخْجُورٌ عَلَى عُرَابِهِ	٤٢٧- (٥٤)
١٨٦	رجز	بشار	حَمَلْتُهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي	٤٢٨- (٢١)
١٧٩	رجز	ابن المعتز	وَأَذِنَ الصُّبْحُ لَنَا فِي الْإِبْصَارِ	٤٢٩- (١٧)
٦٩٤	رجز	أبو النجم	عَلَيَّ ذَنْبًا كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعْ	٤٣٠- (١٨٧)
٨٤٩	رجز	خطام المجاشعي	ظَرَفَ عَجُوزٍ فِيهِ ثُنْتَانَا حَنْظَلٍ	٤٣١- (٢٥٥)
١٢٣٩	رجز	الناطقة الذبياني	وَعَلَّمْتُهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا	٤٣٢- (٣٩٣)
٩٠٨	رجز	رؤبة	فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى هَمِّي	٤٣٣- (٢٧٨)
١٠٥١	رجز	أبو العتاهية	تُذِبِرُ فِي إِقْبَالِهَا أَيَّامُهُ	٤٣٤- (٣٢١)

٧٢٩	رجز	بعض العرب	٤٣٥- (٢٠١) فَإِنْ فِي أَيْمَانِنَا نِيرَانَا
٥٤٥	رجز	امرأة من بني عقيل	٤٣٦- (١٣١) وَحَاتِمُ الطَّائِفِ وَمَهَابُ الْمِثْبِ
		(صدور أبيات ذكر تمامها)	
٥٣٨	الوافر	المتنبي	٤٣٧- (١٢٧) أَلَسْتُ أَبْنَ الْأَلَى سَعِدُوا وَسَادُوا
٥٣٤	الوافر	جرير	٤٣٨- (١٢٦) أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا
١٢٤٧	الكامل	المتنبي	٤٣٩- (٣٩٧) حَنِقَ عَلَى بَدْرِ اللَّجِينِ
٨٣٦	الطويل	امرؤ القيس	٤٤٠- (٢٥٠) فَمَا تَبَكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
٨٥٧			(٢٥٨)
٧٥٢	المنسرح	ابن هرمة	٤٤١- (٢١١) لَا أُمْتِعُ الْعُرْدَ بِالْفِصَالِ
٧٠١	البسيط	المتنبي	٤٤٢- (١٩٠) مَا كُلُّ مَا يَتَمَتَّى الْمَرْءُ يُذَرِّكُهُ
٣٧٨	الرمل	طرفة	٤٤٣- (٧٢) نَحْنُ فِي الْمَشَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى
٥٠٩	الطويل	جرير	٤٤٤- (١١٣) وَلَيْسَ لِمِصْبِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ
٣٥٧	الطويل	المتنبي	٤٤٥- (٦٦) وَمَا أَنَا وَخِدي قُلْتُ ذَا الشُّعْرُ كُلُّهُ
٥٨٥	الطويل	أبو الأسود	٤٤٦- (١٤٧) يُصِيبُ وَمَا يَنْدِي

فهرس الأشعار غير الشواهد

قافية الهمزة المضمومة

٤١٢	أبو البرج القاسم بن حنبل	جفاء
٤١٢	أبو البرج القاسم بن حنبل	أضاءوا
٤١٢	أبو البرج القاسم بن حنبل	العماء
٤١٢	أبو البرج القاسم بن حنبل	الفتاء
٤١٢	أبو البرج القاسم بن حنبل	البناء
٤١٢	أبو البرج القاسم بن حنبل	السماء
١١١٢	أبو الطيب	استجذاء
١١١٢	أبو الطيب	إعطاء
٨٠٩	عبيد الله بن قيس الرقيات	فالبطحاء
٨٠٩	عبيد الله بن قيس الرقيات	العماء
٨٠٩	عبيد الله بن قيس الرقيات	كبرياء
٨٠٩	عبيد الله بن قيس الرقيات	الالتقاء
١٣٠	ليبد أبو عمر بن قمينة	الامساء
١٣٠	ليبد أو عمر بن قمينة	داء

قافية الهمزة المكسورة

٩٥٦	أبو نواس	ثوائي
١٠٨	أبو نواس	قرناني
١٠٨	أبو نواس	ورائي
٣١١	أبو نواس	سمائها

قافية الباء المضمومة

٢٢٤	ابن الجويرية	الثياب
١٠٣٦	أبو تمام	مواهبه

١٠٣٦	أبو تمام	طالبه
١٠٣٧	أبو تمام	نوائيه
١٠٣٧	أبو تمام	تجاويزه
١٠٣٧	أبو تمام	جنايته
١١٩١	أبو تمام	وأعذب
١١٩١	أبو تمام	يطيب
١١٩١	أبو تمام	تشرّب
١١٩١	أبو تمام	مذهب
١١٩١	أبو تمام	كوكب
١١٢٦	أبو نواس	وينشعب
١١٢٦	أبو نواس	منتقب
١١٢٦	أبو نواس	ما تهب
٣٦٤	الأخمس بن شهاب	كاتب
٣٦٥	الأخمس بن شهاب	الزرائب
٣٦٥	الأخمس بن شهاب	شواذب
٣٦٥	الأخمس بن شهاب	أشائب
٣٦٥	الأخمس بن شهاب	الكواكب
٣٦٥	الأخمس بن شهاب	تضارب
٣٦٥	الأخمس بن شهاب	وجانب
٣٦٥	الأخمس بن شهاب	الذوائب
٧٣١	البحثري	الأشنب
٧٣١	البحثري	ويضرب
٧٣١	البحثري	ومكذب
٧٢٧	البحثري	وترسب
٩٨٢	البحثري	نسبه
٣٠٦	بشار	يعاينه
٣٠٦	بشار	ثعالينه

٣٠٦	بشار	ذائبه
٣٠٦	بشار	مثاليه
٣٠٧	بشار	سبائيه
٣٠٧	بشار	هاربه
٣٠٨	بشار	يصاحبه
٥٢٧	بشار	يعاتبه
٥٣١	جميل بن معمر - حري بن نهشل	أجرب
١٢٤٦	حزاز بن عمرو	الراغب
٤٠٤	ذو الرمة	سرب
٤٠٥	ذو الرمة	ترب
٤٠٥	ذو الرمة	مُحْتَطَبُ
٤٠٥	ذو الرمة	قشب
٤٠٥	ذو الرمة	الحقَب
٤٠٥	ذو الرمة	لَبَبُ
٤٠٥	ذو الرمة	والهَدَبُ
١١٠	الشريف الرضي	نهب
١١٠	الشريف الرضي	الركب
١١١	الشريف الرضي	القلب
٨١٠	عبيد الله بن قيس الرقيات	الذَّهَبُ
٢٨٧	عروة بن أذينة	سحائبها
٨٦٨	الفرزدق	غالبه
٨٦٨	الفرزدق	يعاتبه
٨٦٨	الفرزدق	شاربه
٨٦٨	الفرزدق	جانبه
٨٦٨	الفرزدق	طالبه
٨٦٨	الفرزدق	أطاييه
٨٦٨	الفرزدق	جوانبه

٨٦٨	الفرزدق	مضاربه
٩٨٤	المتني	أعجب
٩٨٥	المتني	مُغْرِبُ
٩٨٥	المتني	أَعْدَبُ
١٠٦٨	المتني	أعجب
١٠٦٨	المتني	وَعْرَبُ
١٠٢٥	محمد بن سوار	وزينب
١٠٢٥	محمد بن سوار	ما أَتَطَلَّبُ
١٠٣٥	محمد بن سوار	مُغْرِبُ
٣٨٣	النايفة الجعدي	أَجْرَبُ
٣٨٣	النايفة الجعدي	مَحْلَبُ
٣٨٣	النايفة الجعدي	تَقَطَّبُ
٣٨٣	النايفة الجعدي	مَلْعَبُ
١٠٧٦	نافع بن لقيط	ضريب
١٠٧٦	نافع بن لقيط	المطلوب
١٠٧٦	نافع بن لقيط	خطوب
١١٣٥	نصيب	قارب
١١٣٥	نصيب	طالب
١١٣٦	نصيب	راكب
١١٣٦	نصيب	يقارب
١١٣٦	نصيب	المطالب
١١٣٦	نصيب	الكواكب
٥٦٤	واثلة بن خليفة السدوسي	تذوب
٥٦٤	واثلة بن خليفة السدوسي	تشيب
٥٦٤	واثلة بن خليفة السدوسي	عيوب
٧٤٩	يزيد بن الحكم	مُحْتَسَبُ
٧٥٠	يزيد بن الحكم	العَرَبُ

قرب	الآخر	١٠٦٩
	قافية الباء المفتوحة	
أَذَنَّا	ابن الرومي	١١٠٧
أَعْتَبَا	ابن الرومي	١١٠٧
أَوْصَابَا	ابن المعتز	٩٠٢
سَحَابَا	ابن المعتز	٩٠٢
عَابَا	ابن المعتز	٩٠٢
رَكُوبَا	أبو تمام	١١٩ - ١٢٠
الطُروِيَا	البحثري	٢٤٢
المَشِيِيَا	البحثري	٢٤٢
غَرِيِيَا	البحثري	٢٤٢
نَصِيِيَا	البحثري	٢٤٢
تَأَوَّيَا	البحثري	٤٧٧
المُجَرَّيَا	البحثري	٤٧٧
وَمِخْلَبَا	البحثري	٤٧٧
تَأَشَبَا	البحثري	٤٧٧
مَعَشَبَا	البحثري	٤٧٧
مُذْهَبَا	البحثري	٤٧٧
مُخَضَّبَا	البحثري	٤٧٨
وَأَطْرَبَا	بشار	١١٢٧
أُنْكَبَا	بشار	١١٢٧
المُعَيَّيَا	بشار	١١٢٧
الثَوَابَا	جرير	٥٣٤
غَضَابَا	جرير	٥٣٨ - ٥٤٩
كَلَابَا	جرير	٥٣٨
التَهَابَا	زياد بن حنظلة	٢٥٥
العتَابَا	زياد بن حنظلة	٢٥٥

٦٠٨	سعد بن ناشب	حاجبا
٦٠٨	سعد بن ناشب	طالبا
٦٠٨	سعد بن ناشب	صاحببا
١٠٧٤	سعد بن ناشب	جانبا
١١٥٤	الفرزدق	انتسابا
١١٥٥	الفرزدق	نابا
١١٥٥	الفرزدق	جوابا
١١٥٥	الفرزدق	لهابا
٧٢٧	القتال الكلابي	المُتَّجِبَا
٧٢٧	القتال الكلابي	يتحلبا
٣٠٩	المتنبي	كواكبا
٥٣٩	المتنبي	حيبا
٥٣٩	المتنبي	ليبا
٥٣٩	المتنبي	اللهيبا
٥٣٩	المتنبي	ديببا
٥٣٩	المتنبي	طيبا
١٠٣٨	المتنبي	ولا كَرَبَا
١٠٧٠ ، ١٠٣٨	المتنبي	طُئْبَا
١٠٣٨	المتنبي	ضربا
١٠٣٨	المتنبي	مقتربا
٨٩٩	الناشئ	عَنَابَا
٨٩٩	الناشئ	حسابا
٨٩٨	قول الآخر	خضابا
٨٩٩	قول الآخر	عنابا

قافية الباء المكسورة

٩٥	ابن الرومي	الندوب
١٠٧٤	ابن زبابة	الكاذب

١١١٠	ابن المعتز	بها
١١١٠	ابن المعتز	إلا بها
١١١٠	ابن المعتز	بابها
١١١٠	ابن المعتز	بأصلها
١١١٠	أبو تمام	أشيب
١٩١	أبو تمام	اللعب
١٩١	أبو تمام	والحسب
١٩١	أبو تمام	منقضب
١٩١	أبو تمام	النسب
٨٥٥ ، ٣٣٠	أبو تمام	عتابي
٨٥٥ ، ٣٣١	أبو تمام	ورباب
٣٣١	أبو تمام	الأحقاب
٣٣١	أبو تمام	الأسلاب
٣٣١	أبو تمام	شباب
٣٣١	أبو تمام	الخطاب
٨٥٥	أبو تمام	آل شهاب
٨٥٥	أبو تمام	خضابي
٩٦٨	أبو تمام	بمُصحبِي
٩٦٨	أبو تمام	المهذب
٩٦٨	أبو تمام	خلب
٩٦٩	أبو تمام	مجدب
٩٦٩	أبو تمام	المذنب
١٠٤٤	أبو تمام	المعجب
١٠٤٤	أبو تمام	فالعليب
١٠٤٤	أبو تمام	بطيب
١٠٤٤	أبو تمام	الربوب
١٠٤٤	أبو تمام	لم تُنسب

١١٦٧	أبو تمام	غرائب
١١٦٨	أبو تمام	الذواهب
١١٦٨	أبو تمام	بسحائب
١١٦٨	أبو تمام	السواكب
١١٦٨	أبو تمام	غائب
١١٦٨	أبو تمام	المذاهب
١١٦٨	أبو تمام	مواهبي
١٢١٧	أبو تمام	قاطب
١٠٠٢	أبو حنشل الفزاري	الذنوب
٦٥٨	أبو ذؤاب	بن كلاب
٦٥٨	أبو ذؤاب	الأجلاب
٦٥٨	أبو ذؤاب	قرضاب
٦٥٨	أبو ذؤاب	معشاب
٩٠٠، ٨٩٦، ٨٩٥	أبو نواس	أتراب
٨٩٥	أبو نواس	بالباب
٨٩٥	أبو نواس	حُجَّاب
٨٩٥	أبو نواس	دَابي
٩٥٠	أحمد بن أبي فتن	الحُب
٩٥٠	أحمد بن أبي فتن	الخُطْب
٩٥٠	أحمد بن أبي فتن	الذُّنْب
٤٧٣	امرؤ القيس	مهذَّب
٤٧٣	امرؤ القيس	متحلَّب
٩٧٥	البحري	لواعب
٩٧٥	البحري	المغارِب
٩٧٥	البحري	فالأخاشِب
٩٧٥	البحري	المقانب
٩٧٥	البحري	حيائب

٩٨٤	البحثري	متأوب
٩٨٤	البحثري	أشنب
٩٨٤	البحثري	تخضب
٩٨٤	البحثري	بالمضرب
٩٨٤	البحثري	بالمغرب
٩٩٢	البحثري	ما يُصبي
٩٩٢	البحثري	الضرب
٩٩٢	البحثري	حزب
٩٩٤	البحثري	المغار
١٠١١	البحثري	الموهوب
١٠٩٦	البحثري	حيب
١٠٩٧	البحثري	وخيبي
١٠٩٧	البحثري	الضروب
١٠٩٧	البحثري	الغريب
١٠٩٧	البحثري	بالمشيب
١٢٤٥	البحثري	محارب
١٢٤٥	البحثري	جائب
١١٥٢	بشار	طله
١١٥٢	بشار	لهة
١١٥٢	بشار	رهبة
١١٥٢	بشار	كذبة
١١٥٢	بشار	سبة
١١٨٠	بشار	شهابه
١١٨٠	بشار	بعتابه
١١٨٠	بشار	وسبابه
٥٢٥	حجة بن المضرب	التنقب
٥٢٥	حجة بن المضرب	مشرب

٥٢٥	حجّية بن المضرب	مَرْكَبٍ
١١٢١	الطرماح	الطلبِ
٨٣	عبد الله بن الزبيري	الأحقابِ
٨٣	عبد الله بن الزبيري	الأطنابِ
١٨٩	العلوي الكوفي	القلوبِ
١٨٩	العلوي الكوفي	الجيوبِ
٣٤٧	عمارة بن عقيل	عائبِ
٣٤٧	عمارة بن عقيل	الحاجبِ
١٢٧٢	عترة	وتخصّصِي
٨٣	كعب بن مالك	الوهّابِ
٨٣	كعب بن مالك	الأثوابِ
٨٣	كعب بن مالك	الأحزابِ
٨٣	كعب بن مالك	الألبابِ
٣٨٦	المتبي	قلبه
٣٨٦	المتبي	كُتِبِه
٣٨٦	المتبي	سَحِه
٣٨٦	المتبي	ثَلِه
٣٨٦	المتبي	ربه
٣٨٨ ، ٣٨٦	المتبي	بلا مشبه
٣٨٨	المتبي	في طه
٧٣٧	الناطقة الجعدي	ولم تَنْصَبِ
٧٣٧	الناطقة الجعدي	ثعلبِ
٧٣٧	الناطقة الجعدي	أدأبِ
٢٠٢ ، ٢٠٢	الناطقة الديباني	الكواكبِ
١٠٨٢ ، ٦٧١		
٦٧١ ، ٢٠٢	الناطقة الديباني	بآبِ
٦٧١	الناطقة الديباني	عقاربِ

١٠٨٢	النابعة الذبياني	غالب
١٠٨٢	النابعة الذبياني	أشائب
١٠٨٣	النابعة الذبياني	كاذب
١٠٨٣	النابعة الذبياني	الدوارب
١٠٨٣	النابعة الذبياني	المَرائب
١٠٨٣	النابعة الذبياني	الكواثب
٤٤٢	يحيى بن نوفل	الهرَب
٤٤٢	يحيى بن نوفل	الخُطَب
٦٣٥	اليزيدي	العائب
٦٣٥	اليزيدي	بالهارب
٣١٨	بعض العرب	عُرايه
١١٠	بعض العرب	جوابه
١١٠	بعض العرب	آدائه
١١٠	بعض العرب	أدرى به

قافية الباء الساكنة

٥٨١	مسكين الدارمي	العرب
٥٨١	مسكين الدارمي	بضْب
٥٨١	مسكين الدارمي	الجَرَب
٥٨١	مسكين الدارمي	كَذَب
٥٨٢	مسكين الدارمي	للصُّخْب
٥٨٢	مسكين الدارمي	يُنْتَهَب

قافية التاء المضمومة

٥٦٠	الأبيوردي	بُرْأْنُهَا
١٠٧٩	رجل من الخوارج	جهلائُهُ
١٠٧٩	رجل من الخوارج	ولائُهُ
١٠٧٩	رجل من الخوارج	آلائُهُ

قافية التاء المكسورة

٤٥٧	طفيل الغنوي	عما تَجَلَّتْ
٤٥٧	طفيل الغنوي	وأهَلَّتْ
٤٥١	عمرو بن معدي كرب	ذَوَّتْ
٤٥١	عمرو بن معدي كرب	فازبَارَتْ
٤٥١	عمرو بن معدي كرب	ابْدَعَرَّتْ
٤٥١	عمرو بن معدي كرب	وَقَرَّتْ
٢٨٥	كثير	حَلَّتْ
٢٨٥	كثير	وَجَلَّتْ
٢٨٥	كثير	مَلَّتْ
٢٨٥	كثير	فَاطَمَانَتْ
٢٨٦	كثير	اسْتَهَلَّتْ
٤٢٧	محمد بن سعيد الكاتب	حتى تَجَلَّتْ
٤٢٧	محمد بن سعيد الكاتب	اكْفَهَرَّتْ
١٢٢٢	المتنبي	موصوفاتها
١٢٢٢	المتنبي	أوقاتها
١٢٢٢	المتنبي	ميماتها

قافية التاء المفتوحة

٢٩١	أبو تمام	أثلاثًا
-----	----------	---------

قافية التاء المكسورة

٢٩١	نصيب	العابث
-----	------	--------

قافية الجيم المضمومة

٩٨٢	ابن الرومي	يخرُجُ
٢٦٨	أبو دواد الأيادي	عوجُ
٢٦٨	أبو دواد الأيادي	يهيجُ
١٦٨	أبو داود الأيادي	شجيجُ

قافية الجيم المكسورة

١٨١	ابن المعتز	السيح
١٢٢٦	البحري	الراجي
١٢٢٦	البحري	ثجاج
١٢٢٦	البحري	ولبهاج
١٢٢٧	البحري	وإدلاجي
٥٣٤	جرير	الحجاج
٥٣٤	جرير	الأزواج
٧٤٤	زياد الأعجم	تَشْنَج
٧٤٤	زياد الأعجم	المتحرّج
٧٤٤	زياد الأعجم	لم يُزَنَج

قافية الحاء المضومة

٧٩٩	أبو ثمامة	الزحامُ
٦٧٢	أبو نواس	المديحُ
٦٨٨	ذو الرمة	ويربُحُ
٦٨٨	ذو الرمة	يبرُحُ
٦٨٩	ذو الرمة	وينصَحُ
٦٨٩	ذو الرمة	يَنزَحُ
٦٨٩	ذو الرمة	تفرَحُ
١٥٤	كثير أو غيره	ما صَحُ
١٥٦ ، ١٥٦	كثير أو غيره	ماسحُ
١٥٦	كثير أو غيره	رائحُ
١٥٦	كثير أو غيره	قرائحُ
١٥٦	كثير أو غيره	وبارحُ
١٠٤٩	كثير أو غيره	ورائحُ
١٠٤٩	كثير أو غيره	النوازحُ
١٠٤٩	كثير	الصفائحُ

٧١٧	كشاجم	والفرحُ
٧١٧	كشاجم	مقترح
١٢٤٧	المتني	الشيخُ
١٢٤٧	المتني	مصبوحُ
١٢٤٧	المتني	شحيحُ

قافية الحاء المفتوحة

٧٩٨	ابن الوردی	لمحهُ
٧٩٩	ابن الوردی	رُمحهُ
٧٩٨	أبو جعفر الأندلسي	صبحهُ
٧٩٨	أبو جعفر الأندلسي	رُمحهُ
٢١٨	أبو نواس	ما جَرَحَا
١٢١٨	أبو نواس	صبحَا

قافية الحاء المكسورة

٣٢٧	ابن المعتز	بصباح
٥٣٥	جرير	بالرَّواحِ
٥٣٥	جرير	ارتياحِ
٥٣٥	جرير	امتداحي
٥٣٥	جرير	جَنَاحي
٥٣٥	جرير	رَدَاحِ
٥٣٥	جرير	بمستباح

قافية الحاء الساكنة

٧٩٦	حُجل بن نضلة	سلاح
-----	--------------	------

قافية الدال المضمومة

١٢٣٠	٥٢٠	ابن الرومي	تتجددُ
	٥٢٠	ابن الرومي	يُوحَدُ
	٥٢٠	ابن الرومي	سُودُ

٥٢٠	ابن الرومي	لا يُحَدِّدُ
٥٢٠	ابن الرومي	وَأَنْجَدُ
١٠٩٩	ابن الرومي	أَحْمَدُ
١٠٩٩	ابن الرومي	يُجَدِّدُ
١٠٩٩	ابن الرومي	سَرْمَدُ
١٢٣٠	ابن الرومي	وَيُعَبِّدُ
١٢٣١	ابن الرومي	يُعَبِّدُ
١١٧١	أبو تمام	سَعُودُ
١١٧١	أبو تمام	جَدِيدُ
٦٨٠	أبو العطاء السندي	وَحْدُودُ
٦٨٠	أبو العطاء السندي	وَفُودُ
٦٨١	أبو العطاء السندي	بَعِيدُ
٥٥٨	بشار	جَوَادُ
٥٥٨	بشار	سَيِّدَادُ
٥٥٨	بشار	بِلَادُ
٥٥٨	بشار	عِمَادُ
٩٨٩	بشار	صِفَادُ
٥٥٧	بشار	سَوَادُ
٥١٨	حسان	الْوَعْدُ
٥١٨	حسان	الْقُرْدُ
٥١٨	حسان	الْمَجْدُ
٨١٣	الحطيفة	نَجْدُ
٨١٣	الحطيفة	جَلْدُ
٨١٣	الحطيفة	الْجَهْدُ
٨١٣	الحطيفة	وَلَاكْدُوا
٨١٣	الحطيفة	وَالْجَدُّ
٣٢٩	الخالدي	الصَمْدُ

٣٢٩	الخالدي	يُفْتَقِدُ
٣٢٩	الخالدي	جُدُّ
٣٢٩	الخالدي	مطرْدُ
٣٢٩	الخالدي	أَعْتَمَدُ
٣٠٩	الطرماح	وَيَغْمَدُ
٦٠٥	الفرزدق	الْأَبَاعُدُ
١١٣٦	الفرزدق	العبيدُ
٢٨١	كثير عزة	تَجْمَدُ
٧١٧	كشاجم	البلادُ
٧١٧	كشاجم	المُعَادُ
٥٨٤	مالك بن ربيع	الأسودُ
٥٨٤	مالك بن ربيع	ثَمُودُ
٥٨٤	مالك بن ربيع	يَعُودُ
٥٨٤	مالك بن ربيع	الْبَعِيدُ
٤٤٤	معوذ الحكماء	هَجُودُ
٤٤٤	معوذ الحكماء	نَسُودُ
٤٤٤	معوذ الحكماء	نُعُودُ
٤٤٤	معوذ الحكماء	نَكِيدُ
٤٤٤	معوذ الحكماء	مَكْدُودُ
٤٤٤	معوذ الحكماء	مُورُودُ
٥٥٠	المتنبي	فَرْدُ
١٠٢٤	المتنبي	هَنْدُ
١٠٢٤	المتنبي	الْوَجْدُ
١٠٢٤	المتنبي	رَدُّ
١٠٢٤	المتنبي	تَبْدُو
١٠٢٤	المتنبي	فَجْدُ
١٠٢٤	المتنبي	لُدُّ

١٠٢٥	المتنبى	عهد
٩٥٩	المتنبى	خرَّدَهَا
٩٥٩	المتنبى	تُرْشِدُهَا
٩٥٩	المتنبى	أَبْعَدُهَا
٩٥٩	المتنبى	بَنَجْدُهَا
١١٢٣	المتنبى	لَمَاجِدُ
١١٢٣	المتنبى	الْقَصَائِدُ
١١٢٣	المتنبى	وَاحِدُ
١١٢٣	المتنبى	نَاقِدُ

قافية الدال المفتوحة

٥٢٣	ابن الرومي	نَكَدَا
٥٢٣	ابن الرومي	أَبَدَا
٥٢٣	ابن الرومي	الْحَسَدَا
٥٢٣	ابن الرومي	انْفَرَدَا
١٠٣٩	ابن المعتز	حَدَا
١١٧١	أبو تمام	وَقْصِيدَا
٥٧٣	الأعشى	المَقَالِيدَا
١١٤٦	عدي بن الرقاع	أَبْلَادَهَا
١١٤٦	عدي بن الرقاع	وَطَرَادَهَا
١١٤٦	عدي بن الرقاع	شِدَادَهَا
١١٤٦	عدي بن الرقاع	سَدَادَهَا
١١٤٦	عدي بن الرقاع	أَزْدَادَهَا
٤٠٨	عمرو بن معدى كرب	عَبْدَا
٤٠٨	عمرو بن معدى كرب	بَرْدَا
٤٠٨	عمرو بن معدى كرب	مَجْدَا
٤٠٨	عمرو بن معدى كرب	عَلْنَدَى
٤٠٨	عمرو بن معدى كرب	قَدَا

٤٠٨	عمرو بن معدي كرب	استعدا
٤٠٩	عمرو بن معدي كرب	شدًا
٤٠٩	عمرو بن معدي كرب	تبدى
٤٠٩	عمرو بن معدي كرب	جدًا
٣٣٤	المتني	العدا
٣٣٤	المتني	عسجدًا
٣٣٤	المتني	موعدا

قافية الدال المكسورة

١١٣٢	إبراهيم بن العباس الصولي	رصد
١١٣٣	إبراهيم بن العباس الصولي	أعد
١١٣٣	إبراهيم بن العباس الصولي	إذا قعد
١٤٣	ابن أبي طاهر	وحدي
٤٦٣	ابن الدمينه	الوجد
٤٦٣	ابن الدمينه	البعد
١١٣٢	أبو الأسد الدينوري	الأبد
١١٦١	أبو تمام	فزرو
١١٦٢	أبو تمام	كنود
١١٦٢	أبو تمام	حقود
١٤٢	أبو تمام	من بُرد
١٤٢	أبو تمام	نجد
١٠٨٠	أبو تمام	الغمد
١٠٨٠	أبو تمام	بعدي
١٠٨٠	أبو تمام	وحدي
١٤٢	أبو تمام	عندي
١٤٢	أبو تمام	تُعدي
١٤٢	أبو تمام	المجد
١٤٢	أبو تمام	العبد

١٤٢	أبو تمام	الورد
٣٩٢	أبو تمام	وباد
٣٩٢	أبو تمام	الجياد
٣٩٢	أبو تمام	عادي
٣٩٣	أبو تمام	زياد
٣٩٣	أبو تمام	مصاد
٣٩٣	أبو تمام	الإصا
٣٩٣	أبو تمام	المُرادي
٣٩٣	أبو تمام	لا يُصادي
٧٧٠	أبو تمام	الصيد
٧٧٠	أبو تمام	الرقود
٧٧٠	أبو تمام	البعيد
٧٧٠	أبو تمام	وجود
٧٧٠	أبو تمام	البنود
١٠٠٤	أبو تمام	العدد
١٠٠٤	أبو تمام	يدي
١٠٥٣	أبو تمام	مرق
١٠٥٣	أبو تمام	مشر
١٠٥٣	أبو تمام	بسرمد
١٠٨٠	أبو تمام	الغم
١٠٨٠	أبو تمام	بعدي
١٠٨٠	أبو تمام	وحدي
٥٤٧	أبو نواس	الحاشد
٥٤٧	أبو نواس	بالواجد
٥٤٧	أبو نواس	ولا ناشد
٨٩٧	الأسود بن يعفر	الفرصاد
٨٩٧	الأسود بن يعفر	غواذي

٤٦٥	المتباعد	البحثري
٤٦٥	آمد	البحثري
٤٦٥	الجاحد	البحثري
٤٦٥	مساعد	البحثري
٤٨١	ورعوده	البحثري
٤٨١	غيد	البحثري
٥٥٣	ولأفند	البحثري
٥٥٣	يد	البحثري
٥٥٣	فالجند	البحثري
٥٥٣	البرد	البحثري
٩٦٥ ، ٧٦٨	أو تبدي	البحثري
٩٦٥ ، ٧٦٨	وحد	البحثري
٩٦٥ ، ٧٦٨ ، ٧٦٧	تُردي	البحثري
١١٧٧	حد	البحثري
١١٧٧	تجدي	البحثري
١١٧٨	رندي	البحثري
١١٨١	البريد	البحثري
١١٨١	وعقيد	البحثري
١١٨١	الجديد	البحثري
١١٨١	المستعيد	البحثري
١١٨١	المعدود	البحثري
١١٨٢	ليد	البحثري
١١٨٢	التعقيد	البحثري
١١٨٢	البعيد	البحثري
١١٨٢	السود	البحثري
١١٨٣	بالمحمود	البحثري
١١٨٣	عبد الحميد	البحثري

١١٨٣	البحثري	جديد
١٢١٤	البحثري	تَوَجُّدٍ
١٢١٤	البحثري	الصَّدي
١٢١٥	البحثري	مُبْعِدِي
١٨٦	بشار	الورد
١٨٦	بشار	لما يؤدي
١٨٧	بشار	الضميد
١٨٧	بشار	بعدي
١٨٧	بشار	للعيد
١٨٧	بشار	الرَّد
١٨٨	بشار	القَصْد
١٨٨	بشار	التعدي
١٨٨	بشار	الفند
١٨٨	بشار	زُهدي
١٠٨٠	أبو تمام	الغمد
١٠٨٠	أبو تمام	بُعْدِي
١٠٨٠	أبو تمام	وحدِي
٦٤٩	الحطينة	المتجرد
٦٥٠	الحطينة	وتغتدي
٦٥٠	الحطينة	مُخَلِّد
٦٥٠	الحطينة	المُهَيِّد
٦٥٠	الحطينة	الغدي
٧٠٠	دعبل	مِنَ البُعْد
٧٠٠	دعبل	على عَمْد
٨٩٨	ديك الجن	بيدي
٨٩٨	ديك الجن	بالبرْد
٨٩٨	ديك الجن	بالجَلْد

٤٧١	طرفة	الْيَدِ
٤٧١	طرفة	مُصَمِّدٍ
٤٧١	طرفة	تَزْدِدُ
٤٧١	طرفة	الْحَفِيدِ
٤٧٢	طرفة	وافتدي
١٢٠٣	القطامي	الطادي
١٢٠٣	القطامي	بادي
١٢٠٣	القطامي	إفنادٍ
٥٥٠	القيراطي	فاسدٍ
٥٥٠	القيراطي	واحدٍ
٥٥٠	القيراطي	واحدٍ
١٠٦٦	كثير	صادٍ
١٠٦٦	كثير	جَلَادٍ
١٠٦٦	كثير	فؤادي
٥٥١	المتني	بالتنادٍ
٥٥١	المتني	العبادِ
٨٠٦	المتني	الحَسَادِ
٨٠٦	المتني	الآسَادِ
٨٠٦	المتني	الفسادِ
٨٠٧	المتني	المُعَوِّدِ
١٠٤٨	المتني	الخدودِ
١٠٤٨	المتني	عقودِ
١٠٤٨	المتني	التوحيدِ
١٢٤٣	المتني	للقراءِ
١٢٤٣	المتني	الايادي
١٢٤٣	المتني	كالمزادِ
١٢٤٣	المتني	النجادِ

٩٩٣	مسلم بن الوليد	الرَّعَادِيد
٩٩٣	مسلم بن الوليد	الْقَوْدِ
٩٩٣	مسلم بن الوليد	مجاهيد
٩٩٣	مسلم بن الوليد	صنديد
٩٩٣	مسلم بن الوليد	وتشديد
٩٩٣	مسلم بن الوليد	مناجيد
٨٨٨	الوأواء الدمشقي	بالبرْد
٨٨٩	الوأواء الدمشقي	قَوْدِ
٨٨٩	الوأواء الدمشقي	أحد
٨٨٩	الوأواء الدمشقي	الرصد
٦٥٥	رجل من العرب	لم تُرِدْ
٦٥٦	رجل من العرب	وَلَدِي
٤٦٤	أحدهم	ولا البُعْدِ

قافية الراء المضمومة

٣٥٠	ابن أبي عينة	نور
٣٥٠	ابن أبي عينة	جدير
٣٥٠	ابن أبي عينة	والمنصور
٣٥٠	ابن أبي عينة	المشكور
٣١١	ابن المعتز	شرار
٩٦٩	ابن المعذل	معتذر
١٠٠١	أبو تمام	العذر
١٠٠١	أبو تمام	الهجر
١٠٠١	أبو تمام	القفر
١٠٠١	أبو تمام	القَمَر
١٠٠١	أبو تمام	القَقَر
١٠٠١	أبو تمام	الامر
١٠٠١	أبو تمام	أعتذر

١٠٠٢	أبو تمام	حجر
١٠٠٢	أبو تمام	يُغْتَفَرُ
١٠٠٢	أبو تمام	تَمَر
١٠٠٢	أبو تمام	ما شعروا
١١٠٠	أبو تمام	وِثْر
١١٠١	أبو تمام	والفِزْرُ
١١٠٧	أبو تمام	القَدْرُ
١١٠٧	أبو نواس	الدَّهْرُ
١٠٠٤	البحثري	أبا عِرْه
١٠٠٤	البحثري	جرائره
١٠٠٤	البحثري	زاجره
١٠٠٤	البحثري	ناظره
١٠٠٤	البحثري	يجاروه
١٠٠٤	البحثري	عاذره
٩٠٦	أبو دهبيل الجمحي	عيسر
٩٠٦	أبو دهبيل الجمحي	حجر
٩٠٦	أبو دهبيل الجمحي	الذَّكْرُ
٩٠٦	أبو دهبيل الجمحي	مؤتجر
٩٠٦	أبو دهبيل الجمحي	الثَّغَرُ
١٠٦٦	أبو فراس الحمداني	الكِبَرُ
٢٧٨	البحثري	نَزْرُ
٢٧٨	البحثري	عُزْرُ
٢٧٨	البحثري	السَّحْرُ
٢٧٨	البحثري	الخمر
١١٧٦ ، ١٠٣١	البحثري	قدر
١٠٣١	البحثري	شُكْرُ
١٠٣١	البحثري	الشَّغْرُ

١١٧٣	البحترى	حجرُ
١١٧٣	البحترى	خبرُ
١١٧٣	البحترى	الحبرُ
١١٧٣	البحترى	تفتخرُ
١١٧٦	البحترى	العمُرُ
١١٧٦	البحترى	يكرُ
١١٧٦	البحترى	الكفرُ
١١٧٦	البحترى	شهرُ
١١٧٦	البحترى	فخرُ
٩٥٦	حاتم الطائي	هريرها
٤٣٤	جميل بثينه	يسيرُ
٤٣٤	جميل بثينه	منثورُ
٤٣٤	جميل بثينه	ممكورُ
٤٣٤	جميل بثينه	يسيرُ
٤٣٤	جميل بثينه	بكورُ
٤٣٤	جميل بثينه	توقيرُ
٤٣٤	جميل بثينه	صورُ
٤٦٤	جميل بثينه	تنظرُ
٩٨٨	خالد الكاتب	آخرُ
١٠٥٧	الخريمي	حافرُ
١٠٥٧	الخريمي	لشاكُرُ
٧٣٢	الخريمي	الدَّارُ
٧٣٣	الخريمي	واسرارُ
٧٣٣	الخريمي	واسرارُ
٧٣٣	الخريمي	وتسجارُ
٧٣٣	الخريمي	وامرازُ
١٠٦١	ذو الأصبع العدواني	بصيرُ

٢٠٥	ذو الرمة	الفجرُ
٧٥١	عوف بن الأحوص	ومستورها
٧٥١	عوف بن الأحوص	يستعيرها
١٠٦٢	قابوس بن وشمكير	خطرُ
١٠٦٢	قابوس بن وشمكير	الدُّرُ
١٠٦٢	قابوس بن وشمكير	الضررُ
١٠٦٢	قابوس بن وشمكير	القمرُ
٣٠١	الفرزدق	الأسطارُ
٣٠١	الفرزدق	نوازُ
٣٠١ ، ٣٠١	الفرزدق	عِذارُ
٣٠١ ، ٣٠١	الفرزدق	تِجارُ
٩٢٠	الفرزدق	يعارُها
٩٢٠	الفرزدق	جَارُها
٩٢١	الفرزدق	حمارُها
١٠٦٦	المؤمل بن أميل	فنعتذرُ
٣٥٧	المتنبي	شِعْرُ
٣٥٧	المتنبي	الصَّبْرُ
٣٥٧	المتنبي	الحِبرُ
٣٥٧	المتنبي	الرُّهْرُ
٣٥٧	المتنبي	النَّسْرُ
٣٥٧	المتنبي	كَبْرُ
٣٥٧	المتنبي	والشعرُ
٣٥٨	المتنبي	البِشْرُ
٣٥٨	المتنبي	القَدْرُ
٣٥٨	المتنبي	عُدْرُ
١٢٣٥	المتنبي	جمْرُ
١٢٣٥	المتنبي	

١٤٧، ١٣٥، ١٣٥

٣١١

٦٩٢

٦٩٢

المتنبي

المتنبي

لم أعثر على قائله

لم أعثر على قائله

قبر

المبانيير

زاجر

الجابر

قافية الراء المفتوحة

٤٣٠

٤٣٠

٥١٢

٥١٢

٥١٢

٥١٢

٤٢٢

٤٢٢

٤٢٢

٤٢٢

٤٢٢

٤٢٢

٩٨١

٧١٢

٧١٢

٧١٢

٧١٣

٧١٣

٧١٣

٧١٣

٧١٣

٧١٣

إبراهيم بن العباس الصولي

إبراهيم بن العباس الصولي

الأعشي

الأعشي

الأعشي

الأعشي

أبو حزاب

أبو حزاب

أبو حزاب

أبو حزاب

أبو حزاب

أبو حزاب

أبو القاسم الزاهي

أبو نواس

أبو نواس

أبو نواس

أبو نواس

أبو نواس

أبو نواس

أبو نواس

أبو نواس

أبو نواس

ما قدرا

ما أقترا

نزارا

الزُّبَارا

احمراراً

الشُّعَارَا

أخضرا

وأدبرا

ضُمرا

أعذرا

أقمرا

يُعَيِّرَا

جآذرا

والمطرا

ذِكْرَا

قَمَرَا

عَطْرَا

قطرا

طُرْرَا

الْحَوْرَا

وَعْرَا

انتهرا

١١٤٣	تميم بن مقبل	تيسرا
١١٤٣	تميم بن مقبل	المشهر
١١٤٣	تميم بن مقبل	فَقْتَرَا
١١٤٣	تميم بن مقبل	أَتَعَدَرَا
١١٤٣	تميم بن مقبل	وَأَسْهَرَا
٥٣١	جميل بن معمر	سَيَّرَا
٥٣١	جميل بن معمر	يَتَغَيَّرَا
٥٣١	جميل بن معمر	أَبْصَرَا
٤٨٢	الجوهري	أَخْضَرَا
٤٨٢	الجوهري	تَهَجَّرَا
٤٨٢	الجوهري	فِي الثَّرَا
٣٠٥	الشمخ	نَقَّرَا
٩٢٤	الفرزدق	كَبَّرَا
٣٥٣	المتني	اِخْتَصَرَا
٣٥٣	المتني	اِعْتَدَرَا
٣٥٣	المتني	غَرَارَا
٣٥٣	المتني	اِخْتِيَارَا
٣٥٤	المتني	ضَارَا
٣٥٤	المتني	دَارَا
٣٥٤	المتني	الْبَحَارَا
٥٥٠	المتني	مَوْخَرَا
٩٦	النايفة الجعدي	يَكْدَرَا
٩٦	النايفة الجعدي	أَصْدَرَا
٩٧	النايفة الجعدي	أَوْدَرَا
٩٧	النايفة الجعدي	نَيَّرَا
٩٧	النايفة الجعدي	وَتَنَفَّرَا
٩٧	النايفة الجعدي	تَعَفَّرَا

٩٧	النابعة الجعدي	أخضرا
٩٧	النابعة الجعدي	المدمرا
٩٧	النابعة الجعدي	مفخرا
٧٥٤	نصيب	عامرة
٧٥٤	نصيب	الماطرة
٧٥٤	نصيب	سائرة

قافية الراء المكسورة

٨٨	الأعشي	حاجر
٨٩	الأعشي	الفاجر
٨٩	الأعشي	الثائر
٨٩	الأعشي	عامر
١٨٢	الأعشي	الهجر
١٨٣	الأعشي	أمري
١٨٣	الأعشي	الذهر
١٨٣	ابن المعتز	الصبر
٣٢٣	ابن المعتز	النجار
٣٢٣	ابن المعتز	الجواري
٣٢٣	ابن المعتز	الجواري
٣٢٣	ابن المعتز	ولسار
٣٢٣	ابن المعتز	تماري
٣٢٣	ابن المعتز	قار
٢٢٨	أبو تمام	حذار
٢٢٨	أبو تمام	بيسار
٢٢٨	أبو تمام	بصدار
٢٢٨	أبو تمام	الآبار
٢٢٨	أبو تمام	خوار
٢٢٨	أبو تمام	قدار

٢٢٨	أبو تمام	مَازِيَّارِ
٢٢٩	أبو تمام	الأخبارِ
١١٣٠	أبو العتاهية	قدري
١١٣٠	أبو العتاهية	صدري
١١٣١	أبو العتاهية	العُدْرِ
١١٣١	أبو العتاهية	الشكرِ
١١٣١	أبو العتاهية	الفقرِ
١١٣١	أبو العتاهية	الصِّدْرِ
٨٨	الأعشي	حاجرِ
٨٩	الأعشي	الفاجرِ
٨٩	الأعشي	الثائرِ
٨٩	الأعشي	عامرِ
١٨٢	الأعشي	الهجرِ
١٨٣	الأعشي	أمري
١٨٣	الأعشي	الدَّهرِ
٦٨٣	بشار	نورِ
٦٨٣	بشار	التقديرِ
١٧٧	ثعلبة بن صغير	باكرِ
١٧٧	ثعلبة بن صغير	بناظرِ
١٧٧	ثعلبة بن صغير	النَّاطِرِ
١٧٧	ثعلبة بن صغير	الجاهلِ
١٧٧	ثعلبة بن صغير	للزائرِ
٩٨٨	خالد الكاتب	ناظري
٩٨٩	خالد الكاتب	الساھرِ
٩٨٨	خالد الكاتب	آخرِ
١٠٢٥	ديك الجن	لا تدري
١٠٢٥	ديك الجن	العُدْرِ

٣٧٦	زهير بن أبي سلمى	دهر
٣٧٦	زهير بن أبي سلمى	للذكر
٣٧٦	زهير بن أبي سلمى	الآمر
٣٧٦	زهير بن أبي سلمى	أجر
٣٧٦	زهير بن أبي سلمى	عُثْر
٣٧٦	زهير بن أبي سلمى	دُخِر
١٦٦	سبيع بن الخطيم أو غيره	مكفور
١٦٦	سبيع بن الخطيم أو غيره	الحور
١٦٦	سبيع بن الخطيم أو غيره	العبر
٩٢٣	عقال بن هاشم	بأشرار
٥٨٩	عكرشه العبسي	القطر
٥٨٩	عكرشه العبسي	الشمر
٥٨٩	عكرشه العبسي	الزهر
٥٨٩	عكرشه العبسي	من عمري
٥٨٩	عكرشه العبسي	دُكِر
٩٤٤	علي بن الجهم	قذري
٩٤٤	علي بن الجهم	الشعر
٤٥٤	قيصة بن النضراني	شعري
٥٦٦	المسيب بن علس	بالهجر
٥٦٦	المسيب بن علس	البخر
٥٦٦	المسيب بن علس	والنجر
٥٦٦	المسيب بن علس	الآمر
٥٦٦	المسيب بن علس	البخر
٥٦٦	المسيب بن علس	شهر
٥٦٧	المسيب بن علس	تجري
٥٦٧	المسيب بن علس	الجفر
٥٦٧	المسيب بن علس	تشري

٤٤٢	يحيى بن نوفل	السريـر
٤٤٢	يحيى بن نوفل	ضـريـر
٣٨٦	يحيى بن نوفل	نار
٧٢١	مجنون ليلي العامرية	سُفـر
٧٢١	مجنون ليلي العامرية	ولا صفر

قافية الراء السّاكنة

١٨٠	ابن المعتز	كالقاز
١٨٠	ابن المعتز	كالأسواز
١٨٠	ابن المعتز	ذي أسطاز
٤١٩	ابن مقبل	للجُزُز
٤١٤ ، ٤١٥	أسيد بن عتقاء الفزاري	البَصـر
٤١٥	أسيد بن عتقاء الفزاري	حَضـر
٤١٥	أسيد بن عتقاء الفزاري	شكر
٤١٥	أسيد بن عتقاء الفزاري	واتزر
٤١٥	أسيد بن عتقاء الفزاري	القَمـر
٤١٥	أسيد بن عتقاء الفزاري	لا تنصر
١٠٥٧	الخريمي	لا يستيـر
١٠٥٧	الخريمي	حسيـر
٣٧٩	طرفة بن العبد	مستعـر
٣٧٩	طرفة بن العبد	قُطـر
٣٧٩	طرفة بن العبد	الصُنـبر
٣٧٩	طرفة بن العبد	للمحتَضـر

قافية الزاي المكسورة

١٠٦١	عبيد الله بن طاهر	المُمَيـر
	قافية السين المضمومة	
١٠٩٨	أبو تمام	الوعس
١٠٩٨	أبو تمام	النحس

١٠٩٩	أبو تمام	حرس
٩٢٧	أبو نواس	ودارس
٩٢٧	أبو نواس	ويابس
٩٢٧	أبو نواس	لحابس
٩٢٧	أبو نواس	خامس

قافية السبن المفتوحة

٨٢٢	السيد الحميري	الدارسا
٨٢٢	السيد الحميري	نافسا
٨٢٢	السيد الحميري	لايسا
٨٢٢	السيد الحميري	ولا يابسا

قافية السين المكسورة

٧٨	أبو تمام	الأدارس
٧٨	أبو تمام	ونحاس
٧٨	أبو تمام	إياس
٧٩	أبو تمام	والباس
٧٩	أبو تمام	أبا العباس
٧٩	أبو تمام	الإقباس
٧٩٢	أبو نواس	إفلاس
٧٩٢	أبو نواس	الرأس
٧٩٢	أبو نواس	الثاس
٧٩٢	أبو نواس	بالفاس
١٢٢١	أبو نواس	الأحرس
١٢٢١	أبو نواس	الأنفس
١٠٤٠	البحثري	الأثس
١٠٤٠	البحثري	الأشوس
١٠٤٠	البحثري	للأنفس
١٠٤٠	البحثري	يونس

٩٣٦	الحطينة	أرماس
٩٣٦	الحطينة	أضراس
٩٣٦	الحطينة	قنعاس
٧٩٣	محمد بن وهيب	النَّاس
٧٩٣	محمد بن وهيب	مع الياس
٩٥٢ ، ٩٣٧	محمد بن وهيب	اللابس
١٠٤٢	محمد بن وهيب	أمسي
١٠٤٢	محمد بن وهيب	نقسي

قافية الضاد المضمومة

٩٦٤	المتني	الغمض
٩٦٤	المتني	بعض

قافية الضاد المفتوحة

١٠٠٣	أبو تمام	عَرَضَا
٤٤٠	بكر بن النطاح	بعضا
٤٤٠	بكر بن النطاح	أرضا

قافية الضاد المكسورة

١٠٤٢	أبو تمام	بالأغراض
١٠٤٢	أبو تمام	الإنباض
٩٢٨	أبو خراش الهذلي	بعض
٩٢٨	أبو خراش الهذلي	الأرض
٩٢٩	أبو خراش الهذلي	ما يمضي
٩٢٩	أبو خراش الهذلي	والخفض
٩٣٩	أبو نخيله	يقضي
٩٣٩	أبو نخيله	بعض
٦٧٨	خطاب بن المعلّى	بعض
٦٧٨	خطاب بن المعلّى	العرض

٦٧٨	خطّاب بن المعلّى	الأرض
	قافية الطاء المكسورة	
٩٠٠	أبو نواس	بتخاليط
	قافية العين المضمومة	
١١٥٩	أبو تمام	جازعُ
١١٥٩	أبو تمام	ضارعُ
٢٨٠	البحثري	وولوعُها
٢٨٠	البحثري	دُروُعُها
٢٨٠ ، ٢٨٠	البحثري	تطيُعُها
٢٨٠	البحثري	قطوعُها
٢٨٠	البحثري	ردوعُها
٩٣١	البحثري	هواجعُ
٩٣١	البحثري	فواقُعُ
٩٣١	البحثري	متراجعُ
٩٣١	البحثري	ساطعُ
٩٣١	البحثري	خاشعُ
١٠٣٢	البحثري	ينقعُ
١٠٣٣	البحثري	خَرَوُعُ
١٠٣٣	البحثري	مجدعُ
١٢١٢	البحثري	بقيعُ
١٢١٣	البحثري	والتوديعُ
١٢١٣	البحثري	بديعُ
١١٦٧ ، ٢٩١	حسان	تتبعُ
٢٩١	حسان	شرعوا
٢٩١	حسان	مارقعوا
٢٩١	حسان	تبعُ
١١٦٧	حسان	الشيّعُ

١١٦٧	حسان	أو شمعوا
٤٦٧	الخريمي	فيدعُ
٤٦٧	الخريمي	مولعُ
٤٦٧	الخريمي	تسكعُ
٤٦٧	الخريمي	يلمعُ
٣٦٨	حميد بن ثور	لموجعُ
١٠٨٥	حميد بن ثور	صانعُ
٢٦٩	الزبرقان	البيعُ
	الزبرقان	اقترعوا
٢٩٣	المتني	ومرتبعُ
٢٩٣	المتني	مازرعوا
٣٩٠	المتني	ينعُ
٣٩٠	المتني	طبعُ
١٢٤٤ ، ١٠٦٤	المتني	أشبعُ
١٠٦٤	المتني	ما أنجعُ
١٠٦٤	المتني	مرقعُ
١٢٤٤	المتني	أوسعُ
١٢٤٤	المتني	مضبعُ
١٠٦٧	مضر بن ربيعي	لممتعُ
١٠٦٧	مضر بن ربيعي	أجزعُ
١٠٦٧	مضر بن ربيعي	وأمنعُ
١٠٦٧	مضر بن ربيعي	إصبعُ
١٠٩٣	منصور النمري	يرتجعُ
١٠٩٣	منصور النمري	طبعُ
١٠٩٣	منصور النمري	قمعُ
١٠٩٤	منصور النمري	يتضعُ
٩٣٧	الآخر	وتشبعوا

٩٣٧ الآخر فتقنعوا

قافية العين المفتوحة

٩٩٨	ابن الرومي	الدُّمُوعَا
٩٩٨	ابن الرومي	وجوعَا
٩٩٨	ابن الرومي	الطلُّوعَا
٩٩٨	ابن الرومي	منيَعَا
٢٧٦	الخضري	صدوعَا
١٠٦	الصمة القشيري	وشعباكما معَا
١٠٧	الصمة القشيري	نُزَّعَا
١٠٦	الصمة القشيري	الموضَّعَا
١٠٦	الصمة القشيري	ورُجَّعَا
١٠٧	الصمة القشيري	أسبلنا معَا
١٠٧	الصمة القشيري	أن تصدَّعَا
١٠٧	• الصمة القشيري	قُطَّعَا
١٠٧	الصمة القشيري	فننقَّعَا
١٠٧	الصمة القشيري	تطلَّعَا
١٠٧	الصمة القشيري	وأسمعا
١٠٧	الصمة القشيري	يودَّعَا

قافية العين المكسورة

١١٢٨	أبو تمام	القناعِ
١١٢٨	أبو تمام	يفاعِ
١١٢٨	أبو تمام	والتلاعِ
١١٢٨	أبو تمام	المصاعِ
٦٩٥	أبو النجم	الأصلعِ
٦٩٥	أبو النجم	قنزعِ
٦٩٥	أبو النجم	أسرعي
٦٩٥	أبو النجم	فانزعي

٦٩٥	أبو النجم	اطلعي
٦٩٥	أبو النجم	فارجعي
٤٤٧	البحثري	نزاعي
٤٤٧	البحثري	أقلاعي
٤٤٧	البحثري	الشعاع
٤٤٧	البحثري	واستماع
٤٤٧	البحثري	تباع

قافية الفاء المضمومة

١٠٠٧	العباس بن الأحنف	فما وقفوا
١٠٤٥	قيس بن الخطيم	وقفوا
١٠٤٥	قيس بن الخطيم	ولا قَصَفُ
١٠٤٥	قيس بن الخطيم	تَرْفُ
١٠٤٦	قيس بن الخطيم	تنَعَرُ
٩٢	قيس بن معدان	تحالفُ
٩٣	قيس بن معدان	صارِفُ
٦٣١	المساور بن هند	وخافوا
٦٦٧	المساور بن هند	أطوفُ

قافية الفاء المفتوحة

١٠١١	أبو تمام	يَكْفَا
١٠١١	أبو تمام	سَرَفَا
١٠١١	أبو تمام	حَلَفَا

قافية الفاء المكسورة

٤٦١	البحثري	الطرف
٤٦١	البحثري	الرصف
٤٦١	البحثري	تُصَفَى
٤٦٢	البحثري	أُخْفَى

٧٥ ، ٩٤	مطروود بن كعب الخزاعي	آل عبد مناف
٩٤	مطروود بن كعب الخزاعي	لعبد مناف
٩٥	مطروود بن كعب الخزاعي	إقراڤ
٩٥	مطروود بن كعب الخزاعي	كالكافي
٦٩٦	مطروود بن كعب الخزاعي	فقڤ

قافية القاف المضمومة

٣١٥	ابن المعتز	معتق
٣١٥	ابن المعتز	يخفق
٣١٥	ابن المعتز	تفرق
٣١٥	ابن المعتز	تطلق
٤٨٦	الأعشي	والمحلّق
٤٨٧	الأعشي	معشوق
٤٨٧	الأعشي	خيفق
٤٨٧	الأعشي	موفق
٤٨٧	الأعشي	نتفرق
٨٤ ، ١٠٢	أبو الأسود الدؤلي	وتسرق
١٠٣	أبو الأسود الدؤلي	سرق
١٠٣	أبو الأسود الدؤلي	مصدق
١٠٣	أبو الأسود الدؤلي	يرزق
٤٨٣	جؤيه بن النضر	حزن
٥٠٠	جؤيه بن النضر	تستبق
٥٠٠	جؤيه بن النضر	تستبق
٥٠٠	جؤيه بن النضر	ينمرق
٥٠٠	جؤيه بن النضر	نرتزق
١١٣٧	حاجب بن زرارة	أخرق
١١٣٧	حاجب بن زرارة	فتنطق
١١٣٧	حاجب بن زرارة	معلق

١٠١٤	جزير	علوق
١٠١٤	جزير	خفوق
١٠١٤	جزير	طليق
١٠١٤	جزير	ونوق
١٠٤٩	جميل بن معمر	وثيق
١٠٤٩	جميل بن معمر	خروق
٣٨٩	الممزق العبدى	يارق

قافية القاف المفتوحة

٨٢٧	العباس بن الأحنف	قلقا
٨٢٧	العباس بن الأحنف	الحدقا
٨٢٧	العباس بن الأحنف	الطرقا
٨٢٧	العباس بن الأحنف	فاحترقا
١١٠٤ ، ٦٣٩	المتنبى	شاقا
٦٣٩	المتنبى	ماتلاقى
٦٣٩	المتنبى	ما أطاقا

قافية القاف المكسورة

١١٠٥	ابن المعتز	لم نلتقى
١٠١٥	أبو العتاهية	صدقي
١٠١٤	أبو نواس	رقيق
١٠١٤	أبو نواس	عزيق
١٠١٤	أبو نواس	سحيق
١٢١٧	أبو نواس	أشواق
١٠٠	بشر بن أبي خازم	بياقي
١٠٠	بشر بن أبي خازم	في الوثاق
٧٣٩	ذو الخرق الطهوي	باللحاق
٧٣٩	ذو الخرق الطهوي	عاق
٧٣٩	ذو الخرق الطهوي	بساقي

٧٣٩	ذو الخرق الطهوي	ذو عَفَاقٍ
٣١٣	زياد الأعجم	للمعترَقِ
٣١٣	زياد الأعجم	وَأَنْتَقَى
٣١٣	زياد الأعجم	يَغْرِقِ
٥٦٨	سلامة بن جندل	فَمُطْرِقِ
٦٩	سلامة بن جندل	نُغَتِّي
٦٩	سلامة بن جندل	وَتَحْلِقِ
٦٩	سلامة بن جندل	مُطَلَّقِ
٦٩	سلامة بن جندل	المُفَتِّقِ
١٢١١	شمروخ	الْحَدَقِ
١٢١١	شمروخ	بِالْفَرَقِ
١٢١١	شمروخ	مَلَقِ
قافية القاف الساكنة		
٥٦٩	مسكين الدارمي	نُطِقْ
٤٤١		ما لم أُطِقْ
٤٤١		خُلِقْ
قافية الكاف المضومة		
١٢٢٧	أبو تمام	حَالِكُ
١٢٢٧	أبو تمام	وَدَرَانِكُ
١٢٢٨	أبو تمام	الْمَالِكُ
قافية الكاف المفتوحة		
٥٧٦	ابن همام السلولي	هَالِكَا
٥٧٦	ابن همام السلولي	تَارِكَا
٥٧٦	ابن همام السلولي	لَأَعْدَايَكَا
٥٨٦	أبو الأسود الدؤلي	مُتَالِكَا
٥٨٦	أبو الأسود الدؤلي	بِشِمَالِكَا
٥٨٦	أبو الأسود الدؤلي	نَعَالِكَا
٥٨٦	أبو الأسود الدؤلي	بِذَلِكَا

٥٨٧	أبو الأسود الدؤلي	كَذَلِكَا
٨٤٣	أبو تمام	كَذَاكَ
٨٤٣	أبو تمام	فِدَاكَ
٨٤٣	أبو تمام	وَمُكْرَاكَ
٨٤٣	أبو تمام	مُقْلَتَاكَ
٨٤٣	أبو تمام	لَا أَرَاكَ
٥٨٧	فرات بن حيان	خَالِكََا
٥٨٧	فرات بن حيان	كَذَالِكََا
١٢٣٥	المتنبي	مَعَانِيكََا
١١٢٣	مسلم بن الوليد	رَجَاكَ

قافية الكاف المكسورة

٢٦١	ابن الدمينه	زِيَالِكِ
٢٦١	ابن الدمينه	نَوَالِكِ
٤٦٣ ، ٢٦١	ابن الدمينه	بِيَالِكِ
٢٦١	ابن الدمينه	وَصَالِكِ
٢٦١	ابن الدمينه	هَالِكِ
٢٦١	ابن الدمينه	اِحْتِمَالِكِ
٢٦٢	ابن الدمينه	مَا بَدَالِكِ
٢٦٢	ابن الدمينه	مِنْ جَمَالِكِ
٨٨٤	تأبط شرا	مَالِكِ
٨٨٤	تأبط شرا	فَاتِكِ
٨٨٥	تأبط شرا	بَاتِكِ
٨٨٥	تأبط شرا	الشَوَابِكِ
٨٨٥	تأبط شرا	المَبَارِكِ
٥٨٧	حسان	هَالِكِ

قافية الكاف الساكنة

١١٤	أبو تمام	وَرَقَكِ
-----	----------	----------

١١٤	أبو تمام	طَلَقَكَ
١١٤	أبو تمام	في حَلَقِكَ
١١٤	أبو تمام	شَقَقَكَ
١١٤	أبو تمام	على خَلَقِكَ
٧٨٤	أم السليك	فَهَلَكَ
٧٨٤	أم السليك	أَحَلَكَ
٧٨٤	أم السليك	أَمَلَكَ
٧٨٤	أم السليك	سَأَلَكَ

قافية اللام المضمومة

٦٩٨	إبراهيم بن كنيف	مَعُولُ
٦٩٨	إبراهيم بن كنيف	التَّذَلُّلُ
٦٩٨	إبراهيم بن كنيف	وَأَجْمَلُ
٦٩٨	إبراهيم بن كنيف	تَفَعَّلُ
٦٩٨	إبراهيم بن كنيف	يَجْمَلُ
٢٣٢ ، ١٩٠	أبو تمام	الْخَطْلُ
١٩٠	أبو تمام	مَتَّصِلُ
١٩٠	أبو تمام	الدُّبْلُ
١٩٠	أبو تمام	الْأَجْلُ
٢٣٢	أبو تمام	نَفَّلُ
٢٣٢	أبو تمام	وَالْجِبْلُ
٢٣٢	أبو تمام	الْهَظْلُ
١١٤١	أبو حية النميري	وَتُسَهِّلُ
١١٤١	أبو حية النميري	لَا تَقْبَلُ
١١١٦	البحثري	مَنْزَلُ
١١١٦	البحثري	يَسْأَلُ
١١١٦	البحثري	يُؤَمِّلُ
١١١٦	البحثري	وَيَفْضَلُ

١١١٦	البحري	يتقبلُ
١١١٧	البحري	يتهللُ
١١١٢	بكر بن النطاح	ساحلُهُ
١١١٢	بكر بن النطاح	أناملُهُ
١١١٢	بكر بن النطاح	عاذِلُهُ
٤٦٣ ، ١٩٤	جميل بثينه	بلابلُهُ
٤٦٣ ، ١٩٤	جميل بثينه	أملُهُ
٤٦٣ ، ١٩٥	جميل بثينه	وأوائِلُهُ
٥٩٧	حندج بن جندج المُرِّي	موصولُ
٥٩٧	حندج بن جندج المُرِّي	وتحجيلُ
٥٩٧	حندج بن جندج المُرِّي	مقتولُ
٥٩٧	حندج بن جندج المُرِّي	مشكولُ
٥٩٧	حندج بن جندج المُرِّي	القناديلُ
٦٤٢ ، ٦٤١	الشياني	الرَّحْلُ
٦٤٢ ، ٦٤١	الشياني	جَمَلُ
٦٤١	الشياني	الإبلُ
٦٤١	الشياني	جهلوا
٦٤١	الشياني	احتملوا
٢٠٥	طفيل الغنوي	الرحلُ
٣٩٨	عمر بن أبي ربيعة	خَضِلُ
٧٠٨	الفرزدق	أطولُ
٧٠٨	الفرزدق	ينقلُ
٧٠٨	الفرزدق	تجعلُ
٧٠٩	الفرزدق	المشعلُ
٧٠٩	الفرزدق	لا تُرَحَلُ
٧٠٩	الفرزدق	جَحْفَلُ
٩٣٢	الفرزدق	أطولُ

٩٣٢	الفرزدق	ما نجهلُ
٩٣٢	الفرزدق	المُخَوَّلُ
١٠١٩	كثير	يَتَبَدَّلُ
١٠١٩	كثير	حُقِّلُ
١٠١٩	كثير	أَوْصَلَ
٩٨	كعب بن زهير	مكحورُ
٩٨	كعب بن زهير	معلولُ
٩٨	كعب بن زهير	مشمولُ
٩٨	كعب بن زهير	مسلولُ
٩٨	كعب بن زهير	زولوا
٩٨	كعب بن زهير	معاذيلُ
٩٨	كعب بن زهير	تهليلُ
٩٩	كعب بن زهير	سراييلُ
١١٤٨	كعب بن زهير	ما يتمثلُ
١١٤٩	كعب بن زهير	وأجملُ
١١٤٩	كعب بن زهير	وتكحلُ
١١٤٩	كعب بن زهير	ويعملُ
١١٤٩	كعب بن زهير	ما أنتخلُ
٧٤٨	الكميت	الفُصْلُ
١١٤٩	الكميت	جروا
	المتني	أواهلُ
٢٠٠ ، ٢١٩	المتني	غوافلُ
٢١٩	المتني	حيائلُ
٢١٩	المتني	خلاخلُ
٢٢٣	المتني	الباطلُ
٢٢٣	المتني	أناملُ
٩٧٠	المتني	يشاغلُ

٩٧٠	المتنبى	وابل
٩٧٠	المتنبى	قائل
١١١٤	المتنبى	الإبل
١١١٤	المتنبى	يا رجل
١١١٤	المتنبى	مئل
١١١٤	المتنبى	ما اعتقلوا
٣١١	مسلم بن الوليد	والأسل
١٠٠٦	معن بن أوس	أول
١٠٠٦	معن بن أوس	أفعل
١٠٠٦	معن بن أوس	أنحوّل
١٣٠	النمر بن توبل	يُفَعِّل
١٣٠	النمر بن توبل	ويُحَمِّل
١٠٧١		وأبسل

قافية اللام المفتوحة

٨٤٧	أبو الأسود الدؤلي	خليلاً
٨٤٧	أبو الأسود الدؤلي	فتيلاً
٨٤٧	أبو الأسود الدؤلي	بخيلاً
٨٤٧	أبو الأسود الدؤلي	جميلاً
٨٤٧	أبو الأسود الدؤلي	قليلاً
٨٤٧	أبو الأسود الدؤلي	طويلاً
٦٢٣	أبو تمام	سلسلاً
٦٢٣	أبو تمام	معقلاً
٩٤١	أبو تمام	ففضلاً
٩٤١	أبو تمام	المكبلاً
٩٤١	أبو تمام	مؤملاً
٩٤١	أبو تمام	تتطولاً
٧٨٧	الأعشى	الرجلاً

٧٨٧	الأعشي	ما فعلاً
٥٦٢	أمية بن أبي الصلت	أحوالاً
٥٦٢	أمية بن أبي الصلت	قُللاً
٥٦٢	أمية بن أبي الصلت	إسبالاً
٥٦٣	أمية بن أبي الصلت	أبوالاً
٤٣٠	أوس بن حجر	مُقْبِلًا
٤٣٠	أوس بن حجر	أعضلاً
٤٨٥	البحثري	استهلاً
٤٨٥	البحثري	اضمحلاً
٤٨٥	البحثري	فِعْلاً
١٠٦٤	البحثري	يَذْلاً
٢١٤	جرير	الأوعالا
٧٦٥	حسان	أجملاً
٧٦٥	حسان	تأثلاً
٧٦٥	حسان	وأفضلاً
٥١٦	الخنساء	طَوِيلاً
٥١٦	الخنساء	التقويلاً
٥١٦	الخنساء	الجَلِيلًا
٤٨٧	ذو الرمة	احتمالاً
٩٣٤ ، ٤٨٨	ذو الرمة	المُحَالًا
٩٣٤ ، ٤٨٨	ذو الرمة	مثالاً
٩٣٤ ، ٤٨٨	ذو الرمة	احتمالاً
٤٨٨	ذو الرمة	قالا
٤٨٨	ذو الرمة	بِلاَ
٤٨٨	عبد القاهر الجرجاني	الجهالة
٤٨٨	عبد القاهر الجرجاني	الندالة
٤٠١	عمر بن أبي ربيعة	العزلاً

٤٠٢	عمر بن أبي ربيعة	فاشتملا
٤٠٢	عمر بن أبي ربيعة	أملا
٤٠٢	عمر بن أبي ربيعة	ما بُدِلا
٤٠٢	عمر بن أبي ربيعة	فانتحلاً
٤٠٢	عمر بن أبي ربيعة	أو وَبِلا
٢١٨	الفرزدق	جَمَلا
٣٢١	المتنبي	فَلَا لَآ
٩٣٤ ، ٤٨٨	ذو الرمة	افتعالاً
٣٢١	المتنبي	فَالَا
٣٢١	المتنبي	نَوَالَا
٣٢١	المتنبي	الهَلَالَا
٣٢١	المتنبي	مَزِيَالَا
٣٢١	المتنبي	دَلَالَا
٥٤٤	المتنبي	الأَجَلَا
٥٤٤	المتنبي	نصلا
٥٤٤	المتنبي	وَبِلَا
٥٤٤	المتنبي	قَمَهَلَا
٥٤٤	المتنبي	صَلَا
٦٤٤	المتنبي	لا الجَمَالَا
٦٤٤	المتنبي	سَالَا
٧٤٠	المتنبي	لا الجَمَالَا
٧٤١	المتنبي	لَجَالَا
٧٤١	المتنبي	خَيَالَا
٧٤١	المتنبي	الوَصَالَا
٧٤١	المتنبي	اعتدالا
٦٦٨	قافية اللام المكسورة إبراهيم بن هرمة	طللي

٦٦٩	إبراهيم بن هرمة	وَجَلِي
٦٦٩	إبراهيم بن هرمة	ولا إيلي
٦٦٩	إبراهيم بن هرمة	أو جَمَلِي
١٣٠ ، ١٩٦	امرؤ القيس	يَكَلْكَلِي
١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٨٣٥ ، ٩٣٨		
٨٣٧ ، ١٩٧	امرؤ القيس	فحومل
٨٣٧ ، ١٩٧	امرؤ القيس	وشمال
٢٠٢ ، ١٩٩	امرؤ القيس	ليبتلي
١٩٧	امرؤ القيس	بأمثل
١٩٧	امرؤ القيس	بيذبل
١٩٧	امرؤ القيس	جَنْدَلِي
٢٩٦	امرؤ القيس	الخالِي
٢٩٦	امرؤ القيس	شمالِي
٢٩٧	امرؤ القيس	أورالِي
٩٣٨ ، ٢٩٧	امرؤ القيس	المالِي
٣٤١	امرؤ القيس	الخالِي
٣٤١	امرؤ القيس	والبالِي
٣٤١	امرؤ القيس	بِقَتَالِي
٣٤٢	امرؤ القيس	بِنَالِي
٣٤٢	امرؤ القيس	الطالِي
٩٣٨	امرؤ القيس	أمنالِي
١٤٠	ابن يسير	الجليلِي
١٤٠	ابن يسير	ظليل
١٤٠	ابن يسير	خليلِي
١٤٠	ابن يسير	وجميل
١٤١	ابن يسير	دَهْوَلِي
١٠٢٢	أبو البرق	لم تُجْهَلِي

١٠٢٢	أبو البرق	وَلَاوِل
١١٨	أبو تمام	الأذْحَالِ
١١٨	أبو تمام	لِلإِسْهَالِ
١٠٢٠	أبو تمام	أَتَكْلِ
١٠٢٠	أبو تمام	لَمْ أَفْعَلِ
١٠٢٠	أبو تمام	مَنْزِلِ
١١١٨	أبو تمام	الأوّلِ
١٦١	أبو ذؤيب الهذلي	مطافِ
٨١	المتنبي	المثلي
٨٦	أبو طالب	بالأناملِ
٨٦	أبو طالب	حُلاجِلِ
٨٦	أبو طالب	ونناضلِ
٨٦	أبو طالب	والحلانلِ
٨٦	أبو طالب	الصلاصلِ
٨٦	أبو طالب	المتحامِلِ
٨٦	أبو طالب	بالأمانلِ
٨٧	أبو طالب	باسلِ
٧٦٧	البحثري	لَمْ يَفْعَلِ
٧٦٧	البحثري	مُعْجَلِ
٧٦٧	البحثري	بِأَخْبِلِ
٧٦٧	البحثري	الثَّرْلِ
٧٦٧	البحثري	فتنجلي
٩٦٢	البحثري	تَنَلِ
٩٦٢	البحثري	الجبلِ
٩٦٢	البحثري	الطولِ
٩٦٢	البحثري	يَطُلِ
٩٦٢	البحثري	بَخَلِ

٩٦٢	البحثري	أملِي
٩٩٦	البحثري	الأصولِ
٩٩٧	البحثري	يفعل
٩٩٧	البحثري	الضُّلِّلِ
٩٩٨	البحثري	مهِّلِ
١٠٢٨	البحثري	ببالِه
١٠٢٨	البحثري	كحالِه
١٠٢٨	البحثري	انتقالِه
١٠٢٨	البحثري	ومالِه
١٠٢٨	البحثري	والِه
١٠٢٨	البحثري	وارتحالِه
١٠٢٨	البحثري	اشتغالِه
١٠٣٥	البحثري	المتهلِّلِ
١٠٣٥	البحثري	الأعزِلِ
١٠٣٦	البحثري	منزِلِ
١٠٦٠	البحثري	الهمولِ
١٠٦٠	البحثري	مَهُولِ
١٠٦٠	البحثري	الفضيلِ
١١١٤	بشار	باطِلِ
١١١٥	بشار	للسائلِ
٩٥٤	حسان	فحومِلِ
٩٥٤	حسان	المفضِّلِ
٩٥٤	حسان	السلسلِ
٥٢٢	الحطيئة	المقبلِ
٨٥٠	خطام الجاشعي	التكتلِ
١٠٢٢	ديك الجن	الأولِ
١٠٢٢	ديك الجن	لم يؤهلِ

١٠٢٢	ديك الجن	المُقبِل
١٠٢٢	ديك الجن	يؤكَلِي
١٠٢٢	ديك الجن	المستقبل
١٠٢٢	ديك الجن	مُقبِل
٧٧٢	زهير بن عروة	الممخِل
٧٧٣	زهير بن عروة	والأزْمَلِ
٧٧٣	زهير بن عروة	الشمَالِ
٤٣٨	عبد الله بن الزبير	غير فاعِلٍ
٤٣٨	عبد الله بن الزبير	كالمعاوِلِ
٤٣٨	عبد الله بن الزبير	النواضِلِ
٤٣٨	عبد الله بن الزبير	الأرامِلِ
٤٣٨	عبد الله بن الزبير	يحاولِ
٤٣٨	عبد الله بن الزبير	قابلي
٨٠٤	الفرزدق	الحجَلِ
٨٠٤	الفرزدق	شُغِلِ
٨٠٤	الفرزدق	الجَزَلِ
	المتنبى	المثَلِ
٨٦٤	المتنبى	للمعاقلِ
٨٦٤	المتنبى	ناحِلِ
٨٦٤	المتنبى	الزائِلِ
٨٧٣	المتنبى	الهلالِ
٨٧٤	المتنبى	قالِي
٨٧٤	المتنبى	الآجالِ
٩٧٩ ، ٩٧٨	المتنبى	النخيلِ
٩٧٨	المتنبى	قِيلِي
٩٧٨	المتنبى	البعولِ
٩٧٨	المتنبى	الغُلُولِ

١١٠٢	المتنبى	للعاقلي
١١٠٢	المتنبى	للفاخلي
١١٠٢	المتنبى	العاطلي
١١١٧	المتنبى	الإبلي
١١١٧	المتنبى	بالعللي
١١١٧	المتنبى	رَجُلِي
١١١٧	المتنبى	كالكحلي
١١١٧	المتنبى	ولا مَذَلِي
١٠٨٥	مسلم بن الوليد	مرتجلي
١٠٨٥	مسلم بن الوليد	نواهلي
١٠٨٥	مسلم بن الوليد	تقاتل
٦٥٦ ، ٢٨٣	المهلهل	النصالي
٢٨٣	المهلهل	بالصقال
٦٥٦ ، ٢٨٣	المهلهل	لا نبالي
٦٤٢	الوليد بن يزيد	هَطَّالِي
٦٤٣	الوليد بن يزيد	الخالِ
٦٤٣	الوليد بن يزيد	مالي
٦٤٣	الوليد بن يزيد	جريال
٩٣٧		المعالي

قافية اللام الساكنة

١٠٧٣ ، ٨٢٤	ليد	وعجلن
٨٢٤	ليد	ما سأل
٨٢٥	ليد	واجتملن
٨٢٥	ليد	نَزَلن
٨٢٥	ليد	العملن
١٠٧٣	ليد	الكسلن
١٠٧٣	ليد	الأجلن

كل حال

مطرف بن الشخير

٦٦٣

قافية الميم المضمومة

٦٠٦	ابن الرومي	مشائيم
٦٠٦	ابن الرومي	الأقاليم
٦٠٦	ابن الرومي	الخواتيم
١١١٣	ابن الرومي	ينقسم
٧٥٦	ابن هرمة	مُعصم
٧٥٦	ابن هرمة	نُوم
٧٥٦	ابن هرمة	مَطْعَم
٦١٥	أبو تمام	ونعيم
٦١٥	أبو تمام	ورسوم
٦١٦	أبو تمام	تَحُوم
٦١٦	أبو تمام	مقيم
٦١٩	أبو تمام	ذميم
٩٠٠	أبو تمام	مُحَكِّم
٩٣١	أبو تمام	تُحَرِّم
٩٣٢	أبو تمام	الدِّم
٩٣٢	أبو تمام	اللَّهْدِم
١٠٩٠	أبو تمام	المكارم
٣٤٦	أبو نواس	للثيم
٩٩٥	أبو علي البصير	الشغل
٩٩٦	أبو علي البصير	أهل
٩٩٦	أبو علي البصير	العزل
١٢١٩	إسماعيل بن يسار	المرزم
١٢١٩	إسماعيل بن يسار	الأرقم
١٢١٩	إسماعيل بن يسار	أكتم
١٢٢٠	إسماعيل بن يسار	المبرم

١٢٢٠	إسماعيل بن يسار	الفمُّ
٩٣٧	الأعشي	طاعمٌ
٩٣٧	الأعشي	ودراهمٌ
٧٥٦	ابن هرمة	مُعصمٌ
٧٥٦	ابن هرمة	نُومٌ
٧٥٦	ابن هرمة	مَطْعَمٌ
١٩٦	البحثري	مظلمٌ
٩٢٥	البحثري	غِيَوْمُهَا
٩٢٥	البحثري	جَسِيمُهَا
٩٢٥	البحثري	عَلِيمُهَا
٩٢٥	البحثري	وَتَضِيمُهَا
٩٢٥	البحثري	حُلُومُهَا
٩٦٠	البحثري	ظلامه
٩٦٠	البحثري	إلمامه
٩٦٠	البحثري	ضرامه
٩٦٠	البحثري	ومرامه
١١٧٤	البحثري	تنظُمٌ
١١٧٤	البحثري	مضرمٌ
١١٧٤	البحثري	المتهجمٌ
١١٧٤	البحثري	يقدمٌ
١١٧٤	البحثري	تحكمٌ
١١٧٤	البحثري	مقسمٌ
٩٢١	البعيث	جميعُها
٩٢٥ ، ٩٢١	البعيث	لا يرومُها
٩٢١	البعيث	يضيئُها
٩٢٤	البعيث	أميمُها
٩٢٥	البعيث	هزومها

٥٠٥	طريف بن تميم العنبري	يتوسّم
٥٠٦	طريف بن تميم العنبري	مُعَلَّم
٥٠٦	طريف بن تميم العنبري	مُنْتَلَم
٥٠٦	طريف بن تميم العنبري	خَضَم
٥٠٦	طريف بن تميم العنبري	مُحَلَّم
١٠٦٤	العباس بن الأحنف	ظالم
١٠٦٥	العباس بن الأحنف	راغم
١٠٣٩	عبد الله بن الحسن العلوي	الإسلام
٥٧٢	علقمة بن عبدة	مصريّ
٥٧٢	علقمة بن عبدة	موسوم
٥٧٢	علقمة بن عبدة	معموم
٣٤٧	عمارة بن عقيل	كريم
٣٤٨	عمارة بن عقيل	عميم
٣٤٨	عمارة بن عقيل	تميم
٣٤٨	عمارة بن عقيل	بهيم
٨٣١	قس بن حصن	نائم
٨٣١	قس بن حصن	الشكائم
٨٣١	قس بن حصن	دائم
٨٣١	قس بن حصن	اللوائم
٨٣٢	قس بن حصن	سالم
٨٧٧	لييد	فرجامها
٨٧٧	لييد	نيامها
٨٧٧	لييد	إبهاّمها
٨٨٧	المتني	المكارم
٨٨٧	المتني	قوائم
٨٨٧	المتني	العماّم
٨٨٧	المتني	التراجم

٩٧٣	الغمامُ	المتبي
٩٧٤	ظلامُ	المتبي
٩٧٤	اللهامُ	المتبي
٩٧٤	الأقدامُ	المتبي
٩٧٤	أرحامُ	المتبي
٢٢٥	لائمةُ	المتبي
٢٢٥	لا يلائمةُ	المتبي
٩٨٦	متيِّمُ	المتبي
٩٨٦	مُعَلِّمُ	المتبي
٩٨٦	وَجُزُهُمُ	المتبي
١٠١٠	دَامُ	المتبي
١٠٣٠	الْقِدَمُ	المتبي
١٠٥٨ ، ١٠٣١	لا الحُلُمُ	المتبي
١٠٥٨ ، ١٠٣١	كُتُمُوا	المتبي
١٠٣٤	كرامُ	المتبي
١٠٥٨	الحكمُ	المتبي
١٠٨٦	القشاعُ	المتبي
١٠٨٦	القوائمُ	المتبي
١٠٨٦	صوارمه	المتبي
١١١٩	الغمائمُ	المتبي
١١٢٠	راغمُ	المتبي
١١٢٠	الجوازمُ	المتبي
١١٠٢	تمائمُ	المتبي
٧٤	ويكتُمُ	
٧٤	يَتَقَسَّمُ	
٧٤	مُقَسَّمُ	
٧٤	لا تغلُمُ	

قافية الميم المفتوحة

١١١٣	ابن الرومي	أَلِمَا
١١٨٨	أبو تمام	لَمَمَا
١١٨٨	أبو تمام	مَتَقَمَا
١١٨٩	أبو تمام	أَوْ ظَلَمَا
١١٨٩	أبو تمام	مَاسِلَمَا
٩٧١	البحري	زَعَمَا
٩٧١	البحري	وَسَمَا
٩٧١	البحري	اِقْتَحَمَا
٩٧١	البحري	مَعْتَزَمَا
١١٧٠	البحري	مَكْتَمَا
١١٧٠	البحري	تَقْدَمَا
١١٧٠	البحري	يَتَهَضَّمَا
١١٧٠	البحري	فَمَا
٤٥٥	جرير	يَا أُمَامَا
٤٥٥	جرير	اللُّثَامَا
٤٥٥	جرير	وَحَامَا
٤٥٥	جرير	رُكَّامَا
٤٥٥	جرير	يَا حَمَامَا
٧١٨	حاجز بن عوف	الْغُلَامَا
٧١٩	حاجز بن عوف	ظَلَامَا
٧١٩	حاجز بن عوف	الْشَامَا
٧١٩	حاجز بن عوف	تَوَامَا
١٣٠	حميد بن ثور	وَتَسْلَمَا
١٣٠	حميد بن ثور	مَاتِيَمَمَا
٤٧٥	حميد بن ثور	فَأَنْجَمَا
٤٧٥	حميد بن ثور	يَتَكَلَّمَا

٤٧٦	حميد بن ثور	وترنما
٤٧٦	حميد بن ثور	متلوما
٤٧٦	حميد بن ثور	مُقَوِّمًا
٣٦٩ ، ٣١٩	عمره الجشمية	سواهما
٣٧٠	عمره الجشمية	بأباهما
٣٧٠	عمره الجشمية	فدعاهما
٣٧٠	عمره الجشمية	سناهما
٣٧٠	عمره الجشمية	مُنْصَلَاهُمَا
٣٧٠	عمره الجشمية	غَنَاهُما
٩٦٧	المتنبى	أنجما
٩٦٧	المتنبى	مغنما
٩٦٧	المتنبى	وأفحما
٩٦٧	المتنبى	متعظما
١٠٤١	المتنبى	أنجما
١٠٤١	المتنبى	أنعما
١٠٤١	المتنبى	مُسْلَمَا
١٢٣٩	النابعة الذبياني	الأقواما

قافية الميم المكسورة

١٠٩١	أبو تمام	المفَرَمِ
١٠٩١	أبو تمام	يُتَمِّمِ
١٠٩١	أبو تمام	المرزَمِ
٢٨٢	أبو تمام	اللَّقَمِ
٢٨٣	أبو تمام	بدمِ
٩٧٧	أبو تمام	منامِ
٩٧٧	أبو تمام	ذمامِ
٩٧٧	أبو تمام	الحكَّامِ
٩٧٧	أبو تمام	الأسقَّامِ

٩٧٧	أبو تمام	حسام
٩٨٠	أبو تمام	القديم
٩٨٠	أبو تمام	الحميم
٩٨٠	أبو تمام	المستقيم
٩٨٠	أبو تمام	التخوم
٩٨٠	أبو تمام	الأروم
٩٨٠	أبو تمام	للنجوم
١٢٢١	أبو نواس	للحلم
٥٩٢	أعشى همدان	نعيم
٥٩٣	أعشى همدان	حميم
٥٩٣	أعشى همدان	تميم
٥٩٣	أعشى همدان	الأديم
٥٩٣	أعشى همدان	الوشوم
٥٩٤	أعشى همدان	عديم
٥٩٤	أعشى همدان	القديم
٥٩٤	أعشى همدان	كريم
٥٩٤	أعشى همدان	الجسيم
٤٩٠	البحثري	جذم
٤٩٠	البحثري	عُثمى
٤٩٠	البحثري	تزمى
٤٩٠	البحثري	الهدم
٤٩٠	البحثري	النجم
٦٥٢	الحارث بن ولة	عظمى
٦٥٢	الحارث بن ولة	الرغم
٦٥٢	الحارث بن ولة	ينمى
٦٥٢	الحارث بن ولة	الحلم
٧٠٧	رؤبة بن المعجاج	نمى

٧٠٧	رؤبة بن العجاج	عُمَي
٧٠٧	رؤبة بن العجاج	المَحْتَمَّ
٧٠٧	رؤبة بن العجاج	العَمَّ
٧٠٧	رؤبة بن العجاج	الْأُسْطُمُ
١٩٢	ربيعة الرُّقي	مَنْكَمِ
١٩٢	ربيعة الرُّقي	ولا عِلْمِ
١٩٢	ربيعة الرُّقي	لَمْ تَنْمِ
١٩٢	ربيعة الرُّقي	حُلْمِي
١٩٢	ربيعة الرُّقي	الرَّجَمِ
٢٩	عبد القاهر الجرجاني	هائِمِ
٢٩	عبد القاهر الجرجاني	البهائمِ
١١٠٩	علي بن جبلة	الرامي
٩٦٦	علي بن الجهم	الأنامِ
٧٦	عمارة بن الوليد	التنادُمِ
٧٦	عمارة بن الوليد	كالغنائِمِ
١٢٢٤	المتنبى	ولا قَدَمِ
١٢٢٤	المتنبى	كالْحُلْمِ
١٢٢٤	المتنبى	مَبْنَسِمِ
٩٧٤	محمد بن نواس	الأَرْحَامِ
٦٦٢	لم أقف على قائله	الكلامِ
٦٦٢	لم أقف على قائله	الأجسامِ
	قافية الميم الساكنة	
٢٧٦	الأعشى	لا يَلْتَمِ
١٠٦١	الصاحب بن عباد	الْأَمْنِ
١٠٦١	الصاحب بن عباد	الْهَمَمِ
١٠٦١	الصاحب بن عباد	وَعُمَمِ
١٠٦١	الصاحب بن عباد	قُحَمِ

٨٩٩	المرقش الأكبر	عَنَّم
١٢٠٥	المرقش الأكبر	كَلَمَ
١٢٠٥	المرقش الأكبر	يَسْجَمُ
١٢٠٥	المرقش الأكبر	فَاعَتَمَ
١٢٠٥	المرقش الأكبر	مَلَّهَمَ
١٢٠٥	المرقش الأكبر	تَقْلَمَ

قافية النون المضمومة

١١٦٤	أبو تمام	لَتَبِينُ
١١٦٤	أبو تمام	دُونُ
١١٦٤	أبو تمام	التَلْسِينُ
١١٦٥	أبو تمام	سَكُونُ
١١٦٥	أبو تمام	مَوْضُونُ
١١٦٥	أبو تمام	عَوْنُ
١٠٠٩	أمية بن أبي الصلت	يَشِينُ
٢٢٢	سبط ابن التعاويذي	أَجْفَانُ
٥٢٨	عبد الله بن أبي عيينه	قَرِينُ
٥٢٨	عبد الله بن أبي عيينه	يَقِينُ
٥٢٨	عبد الله بن أبي عيينه	مَهِينُ
٥٢٨	عبد الله بن أبي عيينه	مَحْزُونُ
١٢٣٨	الفند الزماني	إِخْوَانُ
١٢٣٨	الفند الزماني	عَرِيَانُ
١٢٣٨	الفند الزماني	دَانُوا
١٢٣٨	الفند الزماني	وَإِقْرَانُ
١٢٣٨	الفند الزماني	مَلَانُ
٧٠١	المتنبي	سَكُنُ
٧٠٢	المتنبي	مَرْتَهَنُ
٧٠٢	المتنبي	وَالْكَفْنُ

دَفُّوْا	المتنبى	٧٠٢
	النون المفتوحة	
لَارْتَدَيْنَا	أبو شريح العمير	١١٥٤
عَنْدَنَا	أبو نواس	٩٥٩
قَتَلَانَا	جرير	
مَاآْنَا	ذو الإصبع العدواني	٨٢٠
إِيَّانَا	ذو الإصبع العدواني	٨٢٠
حُسْنَانَا	ذو الإصبع العدواني	٨٢٠
نَجْرَانَا	ذو الإصبع العدواني	٨٢٠
ضَانَا	ذو الإصبع العدواني	٨٢٠
فَقَدْ كَانَا	العباس بن الأحنف	٢٥٨
جِيحَانَا	العباس بن الأحنف	٢٥٨
الْوَانَا	العباس بن الأحنف	٢٥٨
تَمَنَّانَا	العباس بن الأحنف	٢٥٩
عَلَيْنَا	عبد الشارق بن عبد العزى أو	٦٠٠
قَيْنَا	لسلمة بن الحجاج	٦٠٠
جُؤَيْنَا	لسلمة بن الحجاج	٦٠٠
زَيْنَا	لسلمة بن الحجاج	٦٠٠
سَرَيْنَا	لسلمة بن الحجاج	٦٠٠
اِحْتَوَيْنَا	لسلمة بن الحجاج	٦٠١
عَزَيْنَا	عبيد بن الأبرص	١٢٧٢
تَلَاقَيْنَا	عروة بن أذينة	٣٦٧
تَعَالَيْنَا	عروة بن أذينة	٣٦٧
فَلَاعَيْنَا	عروة بن أذينة	٣٦٧
الرَّيْنَا	عروة بن أذينة	٣٦٧
مَاتَمْنَيْنَا	عروة بن أذينة	٣٦٧
دِيدَنَا	عمرو بن معدي كرب	٨١٧

٨١٧	عمرو بن معدي كرب	بيننا
٦٢١	الفضل بن العباس	مدفونا
٦٢١	الفضل بن العباس	تسيرونا
٦٢١	الفضل بن العباس	لا تُجِبُونَا
٦٢١	الفضل بن العباس	وتقلونا
١٠٢٠	يزيد بن الطثرية	فتمكَّنَا

قافية النون الساكنة

١٠٦٤	أبو نواس	فاستكن
٨١٧	عمرو بن معدي كرب	ذو الثَّوْن
٨١٧	عمرو بن معدي كرب	مجنون
٨١٧	عمرو بن معدي كرب	يموتون

قافية النون المكسورة

٤٦٤	ابن المعلوط	تدان
٤٦٤	ابن المعلوط	عَلَانِي
٩٩١	أبو تمام	العاذلين
٩٩١	أبو تمام	الحجرتين
٩٩١	أبو تمام	الرُّدَيْنِي
٩٩١	أبو تمام	فالموقفين
١١٠٤	أبو تمام	العاني
١١٠٤	أبو تمام	جيرانِي
١١٠٤	أبو تمام	خراسانِ
١١٠٤	أبو تمام	وإعلاني
١١٠٤	أبو تمام	وييني
١١٩٥	أبو الفتح البستي	فراني
١١٩٥	أبو الفتح البستي	زواني
٢٧٤	جرير	تدان
٢٧٥	جرير	هجراني

٢٧٥	جرير	الأردان
٢٧٥	جرير	السكران
٢٧٥	جرير	الأطعان
٢٧٥	جرير	الجيران
٧٥٩	زهير بن أبي سلمى	فالركن
٧٨١	سلمى بن ربيعة التيمي	البطين
٧٨١	سلمى بن ربيعة التيمي	المصون
٧٨١	سلمى بن ربيعة التيمي	الحئون
٧٨١	سلمى بن ربيعة التيمي	ذو فنون
١٧٤	سوار بن المضرب	الغواني
١٧٤	سوار بن المضرب	علاني
١٧٤	سوار بن المضرب	يماني
١٧٤	سوار بن المضرب	الهجان
١٧٤	سوار بن المضرب	صحصان
١٧٥	سوار بن المضرب	رهان
٥٧٨	شمر بن عمرو الحنفي	بالطين
٥٧٨	شمر بن عمرو الحنفي	تبغيني
٥٧٨	شمر بن عمرو الحنفي	يرضيني
٥٧٩	شمر بن عمرو الحنفي	حزين
١٠٧	الصمة القشيري	حوان
١٠٧	الصمة القشيري	المرجان
١٠٧	الصمة القشيري	بالهملان
١٠٦٩	الطرماح	الضغائن
١٠٢٣ ، ١٣٢	المتنبى	القمران
١٠٢٣ ، ١٣٢	المتنبى	ثاني
١٣٢	المتنبى	الثقلان
١٣٢	المتنبى	سنان

١٣٢	المتنبى	بالحدثان
١٣٢	المتنبى	أتانى
٥٤١	المتنبى	الثانى
٥٤٢	المتنبى	كل زمان
٥٤٢	المتنبى	الفتيان
٥٤٢	المتنبى	الأوطان
٥٤٢	المتنبى	الأحزان
١٠٦٠ ، ٩٨١	المتنبى	الظن
٩٨١	المتنبى	الذهن
٩٨١	المتنبى	الهن
١٠٢٣	المتنبى	بعنان
١٠٢٣	المتنبى	حصان
١٠٦٠	المتنبى	بدن
١٠٦٠	المتنبى	بمن
	لم أقف على قائله	وأفانى
	قافية الهاء المضمومة	
٩٤٧ ، ٨١٤	البحترى	اهداه
٨١٤	البحترى	يسقاه
٩٤٧ ، ٨١٤	البحترى	وتراه
٩٨٧ ، ٨١٤	البحترى	بناه
٩٤٧	البحترى	ذكراه
٩٤٧	البحترى	ما تنساه
٩٤٧	البحترى	تغطاه
	قافية الهاء المفتوحة	
٤٣١	جميل	وأرميها
٤٣٢ ، ٤٣٢	جميل	غاذيها
٤٣٢	جميل	فيها

٤١٦	ليلى الأخيلية	فشفاهها
٤١٦	ليلى الأخيلية	ثناها
٢٩١		مواليها
	قافية الهاء المكسورة	
٥٢٩	أبو العتاهية	يديه
	قافية الهاء الساكنة	
٥٧	ابن المعتز	كالية
٥٧	ابن المعتز	غالية
٧٩٧	أبو العتاهية	الساعة
	قافية الياء المفتوحة	
١٢٧ ، ١١١	أبو حية	التقاضيا
١٢٨	أبو حية النميري	اللياليا
١٢٨	أبو حية النميري	زاريا
١٢٨	أبو حية النميري	باقيا
١٢٨	أبو حية النميري	بداليا
١٢٨	أبو حية النميري	ناها
٥١٠	جرير	ماليا
٥١٠	جرير	خاليا
٥١٠	جرير	مكانيا
٥١٠	جرير	وجانيا
٥١٠	جرير	دانيا
٤٥٤ ، ٥٠٦	عبد يغوث بن وقاص	لسانيا
١٢٠٠	الفرزدق	ماليا
١٢٠٠	الفرزدق	القوافيا
١٢٠٠	الفرزدق	ذكائيا
١٢٠٠	الفرزدق	عنانيا

١٢٠١	الفرزدق	بانيا
١٠٣٣ ، ١٠٢٨	المتنبى	أمانيا
١٠٢٩	المتنبى	العواليا
١٠٢٩	المتنبى	ماشيا
١٠٢٩	المتنبى	مآقيا
١٠٣٣	المتنبى	ثانيا
١٠٣٣	المتنبى	وماليا
٣٦٠	المعذل الليثي	جازيا
٣٦٠	المعذل الليثي	لاقيا
٣٦٠	المعذل الليثي	المغاليا
٣٦٠	المعذل الليثي	تناديا
٣٦٠	المعذل الليثي	تحاسيا
٣٧٢		خاليا
١٠٤٢	قول الآخر	تقاضيا

القافية المكسورة

٨٦٠	أبو تمام	بلي
٨٦٠	أبو تمام	الحظي
٨٦١	أبو تمام	خفي
٨٦١	أبو تمام	الوصي
٨٦١	أبو تمام	فري
٨٦١	أبو تمام	القصي
٨٦١	أبو تمام	ولي
١٢٠	أبو تمام	الأبي
٥٤٦	امراة من بني عقيل	وعلي
٥٤٦	امراة من بني عقيل	الدعي
٥٤٦	امراة من بني عقيل	السني
٥٤٦	امراة من بني عقيل	ذكي

الألف المقصورة

٢٨٨	البحري	حزوى
٢٨٨	البحري	القصى
٢٨٨	البحري	رضوى
٢٨٨	البحري	أن يُلوى
٢٨٨	البحري	يزوى
٩٠	سعية بن غريض	فقد جزعى
٩١	سعية بن غريض	فيبتلى
٩١	سعية بن غريض	القوى
٩١	سعية بن غريض	ما أتى
٩١	سعية بن غريض	النوى
١٢٤	عمر بن أبي ربيعة	منى
١٢٤	عمر بن أبي ربيعة	روى
١٢٥	عمر بن أبي ربيعة	مجتلى
١٢٥	عمر بن أبي ربيعة	الحصى
١٢٥	عمر بن أبي ربيعة	ذا هوى

فهرس الشعراء

ابن ميادة: ١١٥٣، ١١٥٦، ١١٥٧،

١١٥٨

ابن همام السلولي: ٥٧٥، ٥٧٧،

ابن الوردى: ٧٩٨

ابن يسير الرياشي: ١٣٩،

أبو الأسد الدينوري: ١١٣٢

أبو الأسود الدؤلي: ١٠٢، ٢٦٩، ٤٢٦،

٥٨٥، ٥٨٦، ٨٤٦، ٨٤٧،

أبو بجيلة: ٨٢٠

أبو البرج الطائي: ٤١٢

أبو البرق: ١٠٢٢

أبو تمام: ٣٨، ٧٧، ١١٣، ١١٤،

١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩،

١٢٠، ١٢١، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣،

١٤٦، ١٨٩، ١٩١، ١٩٣، ٢٢٧،

٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٨٢،

٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٩١،

٣٩٢، ٣٩٤، ٦١٥، ٦١٧، ٦١٨،

٦١٩، ٦٢٢، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢،

٧٩٥، ٨٣٩، ٨٤١، ٨٤٣، ٨٥٥،

٨٥٦، ٨٦٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٤٠،

٩٤١، ٩٤٣، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٦٣،

٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٤، ٩٧٦، ٩٧٩،

٩٨٠، ٩٨٢، ٩٨٨، ٩٩٤، ١٠٠٢،

١٠٠٣، ١٠٠٥، ١٠١٠، ١٠١١،

(حرف الألف)

إبراهيم بن العباس الصولي: ٢٤٥،

٢٤٧، ٢٩٤، ٤٢٦، ٤٣٠، ٧٧٧،

١١٣٢، ١٣٣٣

إبراهيم بن كنيف: ٦٩٧

إبراهيم بن المدبر: ٩٦٢، ٩٦٥

إبراهيم بن المهدي: ٩٤٨، ٩٥٠، ٩٥١،

إبراهيم بن هرمة: ٦٦٥، ٦٦٨، ٧٥٢،

٧٧٧، ٨٧١، ٨٧٢

ابن أبي عيينة: ٣٤٩

ابن البواب: ١٣١٥

ابن الجويرية: ٢٢٤

ابن الدمينية: ١٠٦، ٢٦٠، ٤٦٣

ابن الرومي: ٢٩٤، ٥١٩، ٥٢١، ٥٢٢،

٥٢٣، ٦٠٦، ٦٦٢، ٨٣٠، ٩٢٩،

٩٥٢، ٩٨٢، ٩٩٨، ١٠٩٩،

١١٠٧، ١١١٣، ١٢٣٠، ١٢٣١

ابن زبابة: ١٠٧٤

ابن الطثرية: ١٥٥، ١٦٢، ١٠٢٠

ابن المعتز: ١٧٩، ١٨١، ١٩٢، ١٩٩،

٣١١، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٥، ٨٨٣،

٨٩٦، ٩٠١، ٩٠٢، ١٠٣٩،

١٠٥٣، ١٠٥٤، ١١٠٥، ١١٠٩،

١١٢٢، ١١٩١، ١٣٥٠

ابن المعلوط: ٤٦٤

أبو ذؤيب الهذلي: ١٦١	١٠١٢، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢٢
أبو زيد: ١١٣٢	١٠٢٣، ١٠٢٥، ١٠٣٦، ١٠٤١
أبو شريح العمير: ١١٥٣، ١١٥٤	١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٦
أبو الشيص: ٦٤١	١٠٤٧، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤
أبو طالب «عم الرسول ﷺ»: ٨٤، ٨٥	١٠٥٥، ١٠٧٩، ١٠٨١، ١٠٨٥
٨٧	١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٩٠، ١٠٩١
أبو العتاهية: ٧٩٧، ٨٢٢، ١٠١٥	١٠٩٨، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٣
١٠٥٠، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٥	١١٠٧، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣
١١٣٠	١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٤، ١١٢٧
أبو عطاء السندي: ٦٧٩	١١٢٨، ١١٢٩، ١١٥٩، ١١٦٠
أبو علي البصير: ٩٩٦، ٩٩٥	١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٥، ١١٦٦
أبو الفتح البستي: ١٠٦١، ١١٩٤	١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠
أبو فراس: ١٠٦٦	١١٧١، ١١٨٧، ١١٨٩، ١١٩٠
أبو النجم العجلي: ٦٩٦، ٦٩٥، ٦٩٤	١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٧، ١١٩٨
أبو نخيلة: ٩٣٩، ٩٤٢، ٩٤٣، ١٣٢٥	١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢٢٧
أبو نواس: ١٣٩، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٠	١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٨٨، ١٢٨٩
٦٧٢، ٦٧٣، ٧١٢، ٧١٦، ٧٩١	١٢٩٣، ١٣١٢، ١٣١٨، ١٣١٩
٧٩٢، ٧٩٤، ٨٦٦، ٨٩٢، ٨٩٣	١٣٢٠، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥
٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨	١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٦٠
٩٠٤، ٩٢٩، ٩٥٩، ١٠١٤	١٣٦١
١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠٤٦	أبو ثمامة: ٧٩٩
١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٨٣، ١٠٨٥	أبو حرجة الفزاري: ٨٣٠
١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٩، ١١٠٧	أبو حفص الشطرنجي: ٢٦٥
١١٢٥، ١١٢٩، ١٢١٦، ١٢١٧	أبو حنش الفزاري: ١٠٠٢
١٢١٨، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٩٢	أبو حية النميري: ١٢٧، ١٣٣، ١١٤١
١٣١٥، ١٣٤٧	١١٦٦
أبو هفان: ٩٦٧، ١١٠٦، ١١٠٨	أبو خراش: ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩
أبو وجزة: ١٠٩٢، ١٠٩٤	أبو دلف العجلي: ١٠١٠، ١١٦٨
أبو ياسين: ١٢٩	أبو دهيل الجمحي: ٩٠٥
الأبيوردي: ٥٦٠	أبو ذؤاب الأسدي: ٦٥٦

٤٧٦ ، ٤٧٩ ، ٤٨٤ ، ٤٨٩ ، ٥٥٣ ،

٦٥٣ ، ٧٢٣ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٣١ ،

٧٦٦ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٨١٥ ، ٩٢٥ ،

٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ،

٩٣٤ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٥٠ ، ٩٦٠ ،

٩٦١ ، ٩٦٣ ، ٩٦٦ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ،

٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ،

٩٨٦ ، ٩٩٢ ، ٩٩٤ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ،

١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ،

١٠٠٥ ، ١٠١١ ، ١٠١١ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣١ ،

١٠٣٢ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٤٠ ،

١٠٥٩ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ،

١٠٦٦ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٨ ، ١١١٦ ،

١١١٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧٢ ،

١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٩ ،

١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٣ ، ١٢١٢ ،

١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٨ ،

١٢٢٩ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٨٢ ،

١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٣١٢ ، ١٣١٨ ،

١٣١٩ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ،

١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٣٧ ،

١٣٤٧ ، ١٣٥١ ، ١٣٧٩ ، ١٣٦٠ ،

١٣٦١ ، ١٣٨٠

بشاربرد: ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،

٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٣ ،

٣١٤ ، ٥٢٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩ ، ٦٨٣ ،

٦٨٦ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ،

١٠٧٥ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١١١٤ ،

١١٢٧ ، ١١٢٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ،

١١٥٢ ، ١٢٠٧ ، ١٣٥٣

أحمد بن أبي دؤاد: ٨٢٨

أحمد بن أبي فتن: ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١

الأحوص: ٦٢٠

الأخطل: ٥٧٠

أرطاة بن سهية: ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٨٦٩ ،

٨٧٠

إسماعيل بن يسار: ١٢١٩

الأسود بن يعفر: ٨٩٧ ، ٨٩٨

الأعشى «ميمون قيس»: ٨٧ ، ٨٩ ، ٢٧٦ ،

٥٠٢ ، ٥٠٥ ، ٥١١ ، ٥١٦ ، ٥٣٧ ،

٥٤٤ ، ٥٦٦ ، ٧٨٦ ، ٩٣٧ ، ١١٣٧

أعشى همدان: ٥٩٢

الأغر الشكري: ١٨٤ ، ١٨٩

الأفوه الأودي: ١٠٨٤ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨

الأكيشر: ٤٣٥ ، ١٣١٠

امرؤ القيس: ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،

٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ،

٢٩٩ ، ٣٤١ ، ٤٧٣ ، ٨٣٦ ، ٨٣٨ ،

٩٠٩ ، ٩٣٨ ، ١٢٠٧ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣

أم السليك: ٧٨٤

أمية بن أبي الصلت: ٥٦١ ، ١٠٠٨ ،

١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢

أنس بن أنيس الدؤلي: ١٠٢

أوس بن حجر: ٤٣٠

(حرف الباء)

الباخرزي: ٨٢٩

البيغاء: ٢٢٤

البحثري: ١١١ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ،

١١٩ ، ١٢٢ ، ١٠٢١ ، ١٤٩ ، ٢٤١ ،

٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٤٤٧ ، ٤٦١ ، ٤٦٤ ،

بشر بن أبي خازم الأسدي: ١٠٠، ٢٣١
 البعيث: ٩٢٣، ٩٢٤، ١٢٠٠
 بكر بن النطاح: ٤٣٩، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣
 (حرف التاء)
 تأبط شراً: ٧٨٤، ٨٨٤
 تميم بن مقل: ١١٤٢، ١١٤٣
 (حرف التاء)
 ثعلبة بن صعير: ١٧٥
 (حرف الجيم)
 جؤية بن النضر: ٥٠٠
 الجرمي: ٤٢١
 جرنفش: ١٢٩
 جرير: ٢١٣، ٢٧٤، ٤٥٤، ٥٠٩، ٥١٠ -
 ٥١١، ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٧ ٥٤٩ -
 ٥٧٠، ١٠١٣، ١٠١٦، ١٢٠٠
 جعفران: ١٢٩
 جميل بن معمر: ١٩٤، ٤٣١، ٤٣٤
 ٤٦٣، ٥٣٠، ١٠٤٩
 جندب بن عمار: ٦٢٨، ١٣١٣
 جندل بن المثنى: ٨٤٩
 الجوهري: ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣
 (حرف الحاء)
 حاتم الطائي: ٤٦٥، ٤٦٦، ٩٥٦
 حاجب بن زرارة بن عدس: ١١٣٧
 حاجز بن عوف: ٧١٨، ٧١٩
 الحارث بن ولة: ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣
 حجل بن نضلة: ٧٩٦، ٧٩٨، ٧٩٩
 حجية بن المضرب: ٥٢٤
 حري بن نهشل: ٥٣٠

حرث بن عثاب: ٩٢٣
 حزاز بن عمرو: ١٢٤٥، ١٢٤٦
 حسان بن ثابت: ٨٩، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٥٨٧، ٧٦٥، ٧٨٣، ٩٥٣، ٩٥٥، ١٠٤٤، ١١٥٤
 ١١٦٦، ١١٦٧، ١٣٣٦
 الحطيئة: ٤١١، ٥٠٥، ٦٤٩، ٨١٣، ٨١٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٥٢، ١١٤٧
 الحكم بن قنبر: ٩٠٧
 حمزة بن بيض: ٧٤٩
 حميد بن ثور: ١٣٠، ٤٧٤، ١٠٨٥
 حندج بن حندج المُرِّي: ٥٩٦
 (حرف الخاء)
 الخارجي: ١٢٩٣
 الخالدي، أبو عثمان سعيد بن هاشم:
 ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠
 الخالديان: ٣٢٩
 خالد بن صفوان: ١٢٣٤
 خالد الكاتب: ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠
 خالد بن يزيد بن معاوية: ٥٩٥
 الخريمي: ٤٦٧، ٤٦٨، ١٠٠٨، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٩
 خطام المجاشعي: ٨٤٩
 الخنساء: ٥١٥، ٥١٦، ٧٣٢
 خطّاب بن المعلّى: ٦٧٨
 (حرف الدال)
 داود بن ربيعة الأسدي:
 دجاجة بن عبد قيس: ١٤٣
 درماء بنت سيار بن ععبة الخثعمية: ٣٧٠

دُرْنَى بنت سيار بن حطان: ٣٧٠

درهم بن زيد بن ضبيعة: ١٠٤٥

دريد بن الصمة: ٤٣١

دعبل الخزاعي: ٦٩٩، ٧٩٥، ١٢٣٢،

١٣٤١

دُكين: ٨٤٩

ديك الجن: ٨٩٨، ١٠٢٢، ١٠٢٥

(حرف اللال)

ذو الأصبح العدواني: ٨١٩، ١٠٦١

ذو الخرق الطهوي: ٧٣٨

ذو السرمة: ٢٠٥، ٢٠٦، ٤٠٣، ٤٨٧،

٦٨٨، ٦٩٠، ٩٣٤

(حرف الراء)

رؤبة بن العجاج: ٧٠٦، ٧٩٠: ربعة

الرقبي: ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٢٨٩

ربعة بن عبيد القعني: ٦٥٦

رجل من بني سلول: ٥٧٨

(حرف الزاي)

الزبرقان بن بدر: ٢٩٠، ٢٩٢، ٩٣٥،

٩٣٦، ١١٦٧

زُفر بن هاشم بن سنان: ٤١٢

زهير بن أبي سلمى

١٦٢، ٢١٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٧٥٨،

١٠٠٥، ١١٤٧، ١٢٦٥، ١٣٣٧

زهير بن جناب: ٩٠

زهير بن عروة بن جلهمة: ٧٧٢

زياد الأعجم: ٣١١، ٧٤٣، ٧٤٤،

٧٥٩، ٧٦٤، ١١١١، ١٢٠٧،

١٢٩١

زياد بن حنظلة التميمي: ٢٥٤، ٢٥٥،

١٢٩٠

زياد بن زيد: ١١٤٧

زيد بن عمرو بن نفيل: ٩٠

(حرف السين)

سبط ابن التعاويذي: ٢٢١، ٢٢٢

سبيع بن الخطيم: ١٦٥

السري الرقاء: ٢٢٤

سعد بن ناشب المازني: ٦٠٨، ١٠٧٤

سعية بن غريض: ٩٠

سفيان بن الحارث: ٥٨٧

سلمة بن الحجاج الجهني: ٦٠٠

سلمى بن ربيعة التيمي: ٧٨٠

سلمى الهذلية: ٨٤٩

سليمان بن داود القضاعي: ٢٨٤

سليم بن سلام الكوفي المغني: ٢٧٠

سهم بن حنظلة: ٩٤٥

سوار بن المضرب: ١٧٣

سلامة بن جندل: ٥٦٨

السيد الحميري: ٨٢١، ٨٢٣، ٨٩٨،

١٣١٤

(حرف الشين)

شبيب بن البرصاء: ٥٩١ - ٧٥٠

شداد بن إبراهيم الجزري: ١١٩٤

شريح بن الأحوص: ٧٥٠

شعيث بن عبد الله: ٩٢٣

الشمخ بن ضرار: ٣٠٥، ١٣٣٢

الشمز بن عمرو الحنفي: ٥٧٨

شمروخ: ١٢١١

شمسويه البصري: ١١٩٤

الشنفري «عمرو بن مالك»: ٦٥٣، ٧٦٢،

(حرف الصاد)

الصاحب بن عباد: ١٠٦١

الصمة القشيري: ١٠٦، ١٠٨، ١٢١، ١٤٩، ١٢١

(حرف الطاء)

الطائي: ١٠٥٤

الطاهر البصري: ١١٩٤

طرفة بن العبد: ٣٧٨، ٤٧٠، ١٢٠٥

الطرماح: ٣٠٩، ١١٢١

طريح الثقفي: ١٠٥٧

طريف بن تميم العنبري: ٥٠٦، ٥٠٧

طفيل الغنوي: ٢٠٥، ٢٠٦، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٥٧

الطَّمَاح العقيلي: ٤٧٥

(حرف العين)

عامر بن حطان: ١٠٧٧

عامر بن الطفيل: ٨٨، ٦٩٧، ٩٤٦

عامر المجنون الجرمي «مَذْرَج الرياح»: ٩٠

العباس بن الأحنف: ٢٥٧، ٦٧٣

٦٧٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ١٠٠٧

١٠٦٤، ١٠٦٥

عبد الرحمن بن حسان:

عبد الرحمن بن سويد المري: ١٠٥٠

عبد الشارق بن عبد العزيز الجهني: ٦٠٠

عبد الصمد بن المعدل: ٢٧٢، ٩٦٩

٩٩٩

عبد الله بن أبي عيينة: ٣٤٩، ٣٥٠

٥٢٨

عبد الله بن الزبيري: ٩٤

عبد الله بن الزبير: ٤٢٦، ٤٣٧

عبد الله بن شبرمة:

عبد الله بن مصعب: ١١٢٦، ١١٣٠

عبد يغوث بن وقاص الحارثي: ٤٥٣

عبيد بن الأبرص: ١٢٧٢

عبيد الله بن قيس الرقيات: ٨٠٨، ٨١٠، ٨١١

العجاج: ٧٩٠، ٧٩١

عدي بن الرقاع: ١١٤٤، ١١٤٦، ١١٤٧

عروة بن أذينة: ٢٨٧، ٣٦٧

عروة بن جلهمة المازني: ٧٧٢

عقال بن هاشم: ٩٢٣

عقال بن هشام: ١١٥٧

عقبة بن ربيعة: ١٨٧

عقبة بن كعب بن زهير: ١٥٥

عكرشة العبسي: ٥٨٨

علقمة الفحل: ٥٧٢

العلوي الكوفي: ١٨٩

علي بن جبلة: ١١٠٩، ١١١٠

علي بن الجهم: ٩٤٤، ٩٦٦

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر: ١٠٦١

عمارة بن عقيل: ٣٤٧، ٤٠٤

عمارة بن الوليد: ٧٥، ٧٦

عمر بن أبي ربيعة: ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦

١٣٢، ١٣٣، ٣٩٩، ٤٠١

عمر بن قميئة: ١٠٥٠

عمران بن حطان: ١٠٧٧، ١٠٧٨

عمرة الجشمية:

عمرو بن معدي كرب: ٤٠٧، ٤٠٨

قيس بن الخطيم: ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦

قيس بن ذريح: ١٠٦
قيس بن معدان الكلبي: ٩٢
قيس بن مكشوح: ٨١٦

(حرف الكاف)

كثير عزة: ١٥٥، ١٥٦، ١٦٣، ٢٨٥، ٢٨٧، ١٠١٩، ١٠١٨، ١٠٢٠، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٦٦

كثير بن عبد الرحمن: ١١٤٦
كشاجم: ٧١٧

كعب بن زهير: ٩٧، ١٥٥، ١١٤٨، ١١٤٩

كعب بن مالك: ٨١، ٨٢، ٨٣، الكميث: ٧٤٨، ٧٦٠، ١١٤٩، الكندي: ١١١٩، ١١٢١

(حرف اللام)

لبيد: ٨٨، ١٦٢، ٧٢٨، ٨٢٣، ٨٧٦، ٨٨٢، ٨٨٣، ٩٠٣، ٩٤٥، ٩٤٦، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٧٣، ١٠٧٥، ١٠٧٧

لقيط بن زرار: ٩٣
ليلي الأخيلية: ٤١٦

(حرف الميم)

المؤمن بن أميل: ١٠٦٦
مالك بن أسماء:
مالك بن ربيع: ٥٨٣
مالك بن الرب: ١٧٤
ماني الموسوس: ٢٧٢

٤٥٠، ٤٥٩، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ١٣١٤

عميرة بن جابر الحنفي: ٥٧٨
عمير بن الحباب: ١١٥٤
عترة بن شداد: ١٢٧٢
عوج بن حزام الطائي: ٤٠١
عوف بن الأحوص: ٧٥١
عويف القوافي: ٨٣٠
عينة بن شهاب: ٣٦٤

(حرف الغين)

غريض اليهودي: ٩٠، ٩١

(حرف الفاء)

فرات بن حيان:

الفرزدق: ٢١٢، ٣٠٠، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٥٠٩، ٥٧٠، ٦٠٤، ٧٠٤، ٧٠٨، ٧٠٩، ٨٠٣، ٨٢٠، ٨٤٥، ٨٥٥، ٨٦٧، ٩٢٠، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٥٤، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٧

فُرعان بن الأعرف: ٨٦٧

الفند الزماني: ١٢٣٧، ١٢٣٨

(حرف القاف)

قابوس بن وشمكير: ١٠٦١
قيصة بن النصراني: ٤٥٤
القتال الكلاني: ٧٢٧
قس بن حصن: ٨٣٠
القطامي: ١٢٠٢، ١٢٠٤
القيراطي «إبراهيم بن عبد الله»: ٥٥٠

محرز بن المكبر: ١٦٥
 محمد بن أحمد بن سلمان: ٨٢٩
 محمد بن بشير: ٩٩٥
 محمد بن سعيد الكاتب: ٤٢٦
 محمد بن سوار: ١٠٢٥
 محمد بن نواس: ٩٧٤
 محمد بن وهيب: ٧٩٣
 محمد الزيدي: ٢٧٠
 المرار الفقعي: ٤٣٠
 المرقش الأصغر: ١٢٠٥
 المرقش الأكبر: ٨٩٩، ١٢٠٥
 مرة الجعدي: ٤١١
 مروان بن أبي حفصة: ٦٦١
 مساور بن هند: ٦٣٠
 مسكين الدارمي: ٥٨٢، ٥٨١
 مسلم بن الوليد: ٣١٠، ٩٠٧، ٩٩٢
 ٩٩٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧
 ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١١٠١، ١١٢٢
 ١٣٤٧
 المسيب بن علس: ٥٦٦
 المضرب، عقبة بن كعب: ١٥٤
 مضر بن ربيعي: ١٠٦٦، ١٠٦٧
 مطرف بن جعونة الضبي: ١٨٤
 مطرف بن عبد الله: ٦٦٣
 مطرود بن كعب الخزاعي: ٩٤، ٩٥
 المعذل بن عبد الله الليثي: ٣٦٠، ٣٦١
 ١٣٠٧
 معن بن أوس: ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧
 معود الحكماء: ٤٤٣
 منازل بن فرعان بن الأعرف: ٨٦٧

المتنبي: ١١١، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤
 ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٩٣
 ٣١١، ٣٢٠، ٣٣٤، ٣٥٣، ٣٥٧
 ٣٨٨، ٣٨٩، ٤٦٢، ٥٠٢، ٥٣٨
 ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٣، ٥٥٠، ٥٥١
 ٥٦٩، ٥٦٩، ٦٤٤، ٧١٦، ٧٤٠
 ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٧٣
 ٨٧٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٩٠١، ٩٥٨
 ٩٥٩، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٥
 ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١
 ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٧
 ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٤
 ٩٨٥، ٩٨٦، ١٠١٠، ١٠٢٣
 ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٣٠
 ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٨
 ١٠٤١، ١٠٤٣، ١٠٤٦، ١٠٤٧
 ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥٨، ١٠٥٩
 ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٣، ١٠٦٥
 ١٠٦٦، ١٠٦٨، ١٠٧٠، ١٠٨٧
 ١٠٩٠، ١١٠١، ١١٠٣، ١١٠٥
 ١١٠٦، ١١٠٨، ١١١٠، ١١١٢
 ١١١٣، ١١١٤، ١١١٧، ١١١٨
 ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٣
 ١١٢٤، ١١٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤
 ١٢٣٥، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥
 ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٣١٦، ١٣٢٤
 ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٦١
 المتنخل الهذلي: ٤٢٩
 مجنون ليلى العامرية: ١٠٦، ٢٣٢
 ٧٢١، ٨٩٩

(حرف الواو)

الوآء الدمشقي: ٢٢٤، ٨٨٩، ٨٩١،
٨٩٢، ٩٠٢

واثلة بن خليفة السدوسي: ٥٦٤

ورقة بن نوفل: ٩٠

الوليد بن يزيد: ٦٤٢، ٦٤٣

(حرف الياء)

اليزيدي «أبو محمد يحيى بن المبارك»:
٦٣٣، ٦٣٤

يزيد بن حاتم بن قبيصة: ٤٨٣

يزيد بن الحكم: ٧٤٨

يزيد بن حمار: ١٠٥٨

يزيد بن مسلمة بن عبد الملك: ١٥٣،

١٦٨، ١٧٠

يزيد بن معاوية: ٨٢١

يزيد بن مفرغ الحميري: ٨٢١

يحيى بن نوفل: ٤٤٢

منصور النمري: ٣١٠، ١٠٩٣، ١٠٩٤

المهلل بن أبي ربيعة: ٢٨٢، ٢٨٣

موسى بن جابر الحنفي: ٤١٧

(حرف النون)

النابعة الجمدي: ٩٦، ٩٧، ٧٣٦، ٧٥٦،
١٠٥٠

النابعة الذبياني: ٢٠١، ٢٠٢، ٢٣٦،

٣٩٣، ٦٧٠، ٦٧١، ١٠٨٢،

١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦،

١٠٨٩، ١٢٣٩، ١٢٩٢، ١٣٣٦

الناشيء: ٨٩٩

نافع بن لقيط: ١٠٧٦، ١٠٧٧

نافع بن نفيح: ١٠٧٦

النامي:

نُصيب: ٧٥٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦،

١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩

النضر بن جؤية:

النمر بن تولب: ١٣٠، ١٠٥٠

فهرس الأعلام

ابن الأنباري: ٨٤٤، ١٢٧١
 ابن بري: ٤١٤
 ابن تيمية: ١٢٥٨
 ابن ثوبة: ١١٧٧
 ابن جابر الأندلسي: ٧٩٩
 ابن جني: ٢٣، ٢٤، ٥٧، ١٣٦، ١٥٥،
 ١٦١، ٢١٤، ٣٩٩، ٥٤٥، ٦٠٠،
 ٦٩٤، ٧٣٠، ٧٣٥، ٨٤٨، ٨٧٥،
 ٨٧٦
 ابن الحاجب: ٧٨، ٩٣٥
 ابن حبان: ٥٨٥
 ابن حبش: ٩٧٨
 ابن حجة الحموي: ٢٩٣، ٢٩٢
 ابن خلدون: ٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣
 ابن خلكان: ٥، ٢٢، ٧٨، ٤٢٧، ٨٩٨
 ابن دريد: ٤٤، ٤١٢
 ابن ذكوان: ٤٢٨
 ابن رشيقي: ٥٣، ٥٧، ١٣٨، ١٤٠،
 ٢٠٥، ٢١٦، ٢٨٧، ١٤٠، ٢١٦،
 ٣٠٢، ٦١٩، ٣٠٩، ٧١٢، ٨٩٤،
 ٨٩٩، ٩٤٤، ٩٦٤، ١١٧٠،
 ١١٩٦، ١١٩٥
 ابن الزبير: ٤٣٨، ٥٣٤
 ابن الزيات: ٣٩٢، ١١٣٨
 ابن السبكي: ١٤٤، ٢١٠، ٣٢٥، ٦٣٦،

(حرف الألف)

أبان بن الوليد بن مالك الزبيدي: ٧٥٩-٧٦٠
 أبا الحسين: ١٣١٢
 إبراهيم عليه السلام: ٥٦١، ١٠٥٥
 إبراهيم بن الأشتر: ٥٧٦، ١١٥٤
 إبراهيم بن سهل: ١٠٣٥، ١٢١٢
 إبراهيم بن المدبر: ٦٣٤، ٧٦٨، ٩٦٥
 إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي:
 ٢١٣
 إبراهيم النخعي: ١١٨٧، ١١٨٨
 أبرهة الحبشي: ٤٣٨
 ابن أبي الأصبع: ٣٣٢، ٣٣٣، ٥٣٥،
 ٥٤٩، ٧٣٥، ٨٩٢، ٩٢٧، ١١٣٣
 ابن أبي دواد: ٥٣٥
 ابن أبي طاهر: ١٤٣، ٦٠٦
 ابن أبي عون: ٦٧٨، ١٠٥٣
 ابن الأثير: ١٢١، ١٢٢، ١٣٨، ٢٠١،
 ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٧، ٢٨٣،
 ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٤٠، ٥٤٩، ٦٦٠،
 ٧٢٨، ٨٩٢، ٩٥١، ١٠١٠،
 ١٠١١، ١٠١٦، ١٠٨٣، ١٠٨٧،
 ١١٦٢، ١١٩٠
 ابن إسحاق: ٩٤
 ابن الأشعث: ٥٩٢، ٧٠٠
 ابن الأعرابي: ٨٢١، ١٠٧٥

٣٧٥ ، ٦٧٢ ، ٧٨٨ ، ٩١٤ ، ٩٣٨ ،
١٠٥٧ ، ١٠٧٥ ، ١١٣٦ ، ١٢٠٥

ابن القزاز : ١٠٧

ابن القطاع : ٢٢٧ ، ٨٦٣

ابن كثير : ١٣٦

ابن مالك : ٦٠ ، ٨٠٦ ، ٩٥٥

ابن معصوم المدني : ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٦٤ ،
١٠٧٤ ، ١١٩٦

ابن مناذر : ٩٠٠

ابن ناشرة : ٤٢٠

ابن نايقا : ٢١٧

ابن وكيع : ٨١ ، ٢٠٥ ، ٢٩٨ ، ٩٥٦ ،
٩٦٩ ، ٩٨٢ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٥

ابن هبيرة : ٣٠٦ ، ٤٢٦ ، ٤٦٩ ، ٦٨٠ ،
٦٨١

ابن هشام : ٤٠٠ ، ٥٣٣ ، ٨٤٥

ابن همام السلولي : ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧

ابن الهيثم : ٣٢٦

ابن يحيى : ٧٧٥

ابن يعقوب : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٤٤٩ ، ٦١٧ ،
٦٣٢ ، ٦٧٥ ، ٧١٥ ، ٧٢٥ ، ٧٤٥

٧٦٧

ابن يعيش : ٧٨٩

ابن المعلوط : ٤٦٤

أبو أحمد بن عبيد الله البحراني : ١٢٣٥

أبو أحمد العسكري : ٥٣٧ ، ١١٣٧

أبو إسحاق القيرواني : ٣٠٠ ، ١٢٢١

أبو الأسد الدينوري : ١١٣٢

أبو الأسود الدؤلي : ٢٦٩

أبو أمية بن المغيرة : ٧٥ ، ٥٨٥

٣٢٧ ، ٣٨٧ ، ٦٢٦ ، ٧٢٥ ، ٧٤٥ ،
٦٧٧

ابن سعد : ٥٨٦

ابن السكيت : ١٠٩

ابن سلام الجحامي : ٨٥ ، ١٠٠ ، ٢١٣ ،

٣٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٧٧ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨ ،

٥٧٥ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٨٠٨ ، ٩٢٣ ،

١٢٠٢ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤١

ابن سنان الخفاجي : ١٢٠ ، ١٣٨ ، ١٤١ ،

١٤٣ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،

٧٥٨ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨٧٥ ، ٨٩١ ،

١٢٩٩ ، ١٣٦١

ابن سينا : ٤٢ ، ٤٣

ابن شاعر الكتبي : ٢٠ ، ٢٧

ابن الشجري : ٣٠٩ ، ٨٢١ ، ١٠٩٦ ،
١١٥٣

ابن طارق : ٤٦٩

ابن طباطبا : ١٦١ ، ٢١٥ ، ٦٠٠ ، ٩١٣ ،
١٠٥٠ ، ١٢٠٣ ، ٩٣٨

ابن طولون : ١٢١٤ ، ١٢٢٦

ابن عباس : ١٢٧١ ، ١٢٧٢

ابن عبد البر : ٥٣٧ ، ٦٠٠ ، ١٠١٥

ابن عبد ربه : ١٢٨ ، ٢١٥

ابن عتيك : ٥٨٠

ابن عساكر : ٥٤٧

ابن عصفور : ٨٠٥

ابن عتقاء الفزاري : ٤٢٩

ابن العميد : ١٤٥

ابن فورجة : ٥٢٥

ابن قتيبة : ٤٧ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ٣٠٣ ،

أبو أيوب أحمد بن عمران: ١٢٢٢
 أبو برزة الأعرابي: ٧٩٨
 أبو بكر بن الأنباري: ٨٨، ١٢٧١
 أبو بكر الخوارزمي: ٣٢٦، ٩٨٥
 أبو بكر بن السراج: ٦٠٩
 أبو بكر الصديق: ٩٥، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٥٥، ٤٦٠ - ٤٦١
 أبو بكر الصولي: ١٠٨٦
 أبو بكر بن كلاب: ٨٣٧
 أبو بكر محمد بن الرائق: ٦٣٥
 أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي: ١٢٥٨
 أبو جعفر محمد بن موسى المنجم: ١١٤٦
 أبو جعفر النحاس: ٥٩، ٦٠، ٤٠١
 أبو جعفر المنصور: ٣٤٩
 أبو جعفر بن نهيك: ١٠٢٨
 أبو حرب (المبرقع اليماني): ٩٩٢
 أبو الحسن الحضرمي: ٢٦
 أبو الحسن الأخفش: ٥٥٩
 أبو الحسن عبد الجبار الأسدي آبادي: ٤٧، ٤٨، ١٢٦٠
 أبو الحسن «علي بن زيد»: ٨٢٩
 أبو الحسن علي بن عيسى الرماني: ١٢٥٦
 أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي: ٢١
 أبو الحكم البخترى: ٦٩٠
 أبو دلف العجلي: ٥٠٦، ١١٠٩، ١١١٢
 أبو رافع اليهودي: ٥٨٠
 أبو رياش: ٤١٤، ١٠٧٥
 أبو زبيد: ٤٧٩، ١١٣٢
 أبو زيد: ٥٤٥
 أبو سعد المخزومي: ٧٩٥
 أبو سعيد السيرافي: ٥٩، ٦٠
 أبو سعيد «محمد بن يوسف الشغري»: ٧٢٣، ٧٧٠، ١٠٥٣، ١٢٢٧
 ١٢٤٥
 أبو سفيان بن الحارث: ٥١٧، ٥٨٧
 أبو سفيان بن حرب: ٨٩، ٩٠، ١٣٦
 أبو سليمان الخطابي: ٤٧، ١٢٥٧
 أبو سلام الحبشي: ٥٨٥
 أبو صالح «عبد الله بن محمد بن يزداد»: ٩٨٣
 أبو الصقر «إسماعيل بن بلبل»: ٤٨٩
 ١١٧٧
 أبو طالب: ٨٤، ٨٥
 أبو عبادة: ١٢٣٥
 أبو عبد الله البلنسي: ٢٦
 أبو عبد الله «محمد بن عبد الله القاضي»: ٩٨١، ١٠٦٠
 أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي: ١٢٥٥
 أبو عبيدة: ٤٧٤، ٥٤٧، ٧٠١، ٧٠٨
 أبو علي بن رُشدِين: ٨٦٣
 أبو علي الفارسي: ٢٤، ٢٨٦، ٧٣٠
 ٧٢٥، ٨٠٤، ٨٤٣، ٨٤٤
 أبو عمرو الشيباني: ٦٣١، ٦٦٤
 أبو عمرو بن العلاء: ٥٢، ٥٣، ٤٠٤
 ٥٣٧، ٦٣١، ٩٢٣، ١٣٠٨

أبو أيوب أحمد بن عمران: ١٢٢٢
 أبو برزة الأعرابي: ٧٩٨
 أبو بكر بن الأنباري: ٨٨، ١٢٧١
 أبو بكر الخوارزمي: ٣٢٦، ٩٨٥
 أبو بكر بن السراج: ٦٠٩
 أبو بكر الصديق: ٩٥، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٥٥، ٤٦٠ - ٤٦١
 أبو بكر الصولي: ١٠٨٦
 أبو بكر بن كلاب: ٨٣٧
 أبو بكر محمد بن الرائق: ٦٣٥
 أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي: ١٢٥٨
 أبو جعفر محمد بن موسى المنجم: ١١٤٦
 أبو جعفر النحاس: ٥٩، ٦٠، ٤٠١
 أبو جعفر المنصور: ٣٤٩
 أبو جعفر بن نهيك: ١٠٢٨
 أبو حرب (المبرقع اليماني): ٩٩٢
 أبو الحسن الحضرمي: ٢٦
 أبو الحسن الأخفش: ٥٥٩
 أبو الحسن عبد الجبار الأسدي آبادي: ٤٧، ٤٨، ١٢٦٠
 أبو الحسن «علي بن زيد»: ٨٢٩
 أبو الحسن علي بن عيسى الرماني: ١٢٥٦
 أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي: ٢١
 أبو الحكم البخترى: ٦٩٠
 أبو دلف العجلي: ٥٠٦، ١١٠٩، ١١١٢
 أبو رافع اليهودي: ٥٨٠

١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ،
 ١٢٩٣ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ،
 أحمد أحمد فشل : ٣٥
 أحمد أحمد بن أبي دؤاد : ٣٩٢ ، ١٠٤٢ ،
 ١١٢٢ ، ١١٦١ ، ١١٨٠ ،
 أحمد بن حنبل : ١٢٣ ، ٣٩٢ ، ١٠٣٩ ،
 أحمد بن دينار بن عبد الله : ٩٩٢
 أحمد الشريشي : ٢٦
 أحمد بن عبد الله بن الأنطاكي : ٢١٩ ،
 ٢٢٣
 أحمد بن عبد الله المهابذي الضرير :
 ٢٤ ، ٣٢
 أحمد عبد السيد الصاوي : ٣٢ ، ٢٥٧ ،
 ٤٣٥ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ،
 ١٢٩٥ ، ١٢٩٦
 أحمد بن عبد الوهاب : ٧١٦
 أحمد بن المأمون بن هارون الرشيد : ٧٨
 أحمد بن محمد بن بسطام : ٩٦٠
 أحمد بن محمد بن ثوبة : ١١٧٧
 أحمد بن محمد شاکر : ١٧٦
 أحمد بن المدبر : ١٢١٤
 أحمد بن المعتصم : ٧٨
 أحمد بن يوسف : ١٣٩
 أحمد المري : ٩٨١
 أحمد مصطفى «طاش كبرى زاده» : ٢٥
 أحمد مطلوب : ٢٣ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ،
 ١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ،
 ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٢٣ ،
 ١٣٢٤
 أحمد بن جندل : ٥٦٨

أبو عون الحرمازي : ٧٩١
 أبو عيسى بن صاعد «ذو الوزارتين» :
 ٢٨٨ ، ٩٤٧ ، ٩٨٦
 أبو العلاء : ٤١٩ ، ٤٢٠
 أبو الفرج الأصفهاني : ٥٥٧ ، ٥٨٦ ،
 ٧٤٩ ، ٧٩٥
 أبو فروة : ٥٤٧
 أبو الفضل ابن العميد : ١٤٣ ، ١٢٣١
 أبو القاسم الزجاجي : ٨٠٥ ، ٨٦٣
 أبو مارد : ٥٠٧
 أبو مرحب : ٧٣٦ ، ٧٣٧
 أبو مسلم الخرساني : ٣٢٤
 أبو نصر الباهلي : ٤٠٣
 أبو نعيم الأصبهان : ١١١٣
 أبو هريرة : ٩٢ ، ١٢٣ ، ١٢٧٧
 أبو هلال العسكري : ١١٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ،
 ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٤٦٨ ، ٧١٥ ، ٧٢٨ ،
 ٧٥٣ ، ٨١١ ، ٧٧٩ ، ٨١١ ، ٨٩٣ ،
 ٨٩٧ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩٢٢ ، ٩٥١ ،
 ٩٥٢ ، ٩٧٥ ، ٩٩٩ ، ١٠١٥ ،
 ١٠٢٠ ، ١٠٤٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٨٦ ،
 ١١١٣ ، ١١٣٢ ، ١١٨٩ ، ١٢٠٣ ،
 ١٢٠٦ ، ١٢٢٨
 أبو ياسين : ١٢٩
 أبو يعلى : ٧٩١
 الأبيوردي : ٥٦٠
 إحسان عباس : ١٢٨٣
 أحمد بن إبراهيم بن محمد الشجري ، أبو
 نصر : ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٦
 أحمد أحمد بدوي : ٧٢٨ - ٧٢٩ ، ٩١٧ ،

أم البنين بنت عمرو: ٤٤٤
 أم جندب: ٤٧٣، ٥٧٢
 أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن
 الحكم: ٦٤٢
 أم حوران:
 أم الخيار «زوجة أبي النجم»: ٦٩٤، ٦٩٦
 الأمدي «أبو القاسم الحسن بن بشر»:
 ٢٤، ٣٨، ٤٧، ١١٧، ١٦٥، ٢٠٠،
 ٢٠٧، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٣، ٧٩٦،
 ٨١١، ٩١٣، ٩٨٠، ٩٩٨، ١٠٠٤،
 ١٠١١، ١٠٢٠، ١٠٤٦، ١١٢٢،
 ١١٨٩، ١١٩٢، ١٢١٥، ١٢١٦،
 ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٣٤٠، ١٣٤٤
 امرأة من بني عقيل: ٥٤٥
 أم سلمة: ٥٨٥
 أم طالب «ابنة أبو طالب»: ٨٤
 أم عمر بنت مروان بن الحاكم: ١٢٦
 أم عمرو (زوجة عمارة بن الوليد): ٧٦
 أم يزيد بن عبد الملك «عاتكة بنت يزيد»:
 ٦٤٢
 أمين الخولي: ٤٣، ٤٤، ٤٥
 أنس بن أنيس الدولي: ١٠٢
 الأنطاكي «صاحب تزيين الأسواق»:
 ١٠٢٢
 أنوشروان: ٢١
 أوس بن حارثة الطائي: ١٠٠
 إياس بن معاوية: ٧٩، ٧٥٩
 (حرف الباء)
 بابك الخرمي: ٢٢٨، ٢٢٩، ٥٥٣،
 ٩٩١، ١١٨٧

الأحنف بن قيس: ٧٩
 الإخشيد: ١٢٢٤
 الأخفش: ٣٧٤، ٥٥
 أريد: ٩٤٥، ٩٤٦
 أرسطو: ٤١، ٤٣، ٤٦
 أساتكين: ١٠٩٦
 أسامة بن منقذ: ١٠٢٠
 إسحاق بن إبراهيم المصعبي: ٦٥١،
 ٧٣١، ٩٩١، ١١٨٨
 إسحاق بن أيوب: ١٠٣١، ١٠٩٦
 إسحاق بن عيسى: ٨٤
 إسحاق بن كنداج: ١٠٣١، ١٢٢٦
 إسحاق الموصلي: ١٣٤١
 إسحاق اليزيدي: ٦٣٤
 إسماعيل عليه السلام: ٥٦١
 إسماعيل باشا البغدادي: ٢٨
 إسماعيل بن سبكتكن: ٢١
 إسماعيل بن شهاب: ١١٨٠
 إسماعيل اليزيدي: ٦٣٤
 الأسود الغندجاني: ٩٣
 الأصمعي: ٣٨، ٥٣، ٥٦، ٣٠٨،
 ٥٣٧، ٦٨٥، ٩٠٧، ٩٦٧، ١١٤٧،
 ١٢٠٥
 الأعلم الشتمري: ٥٩
 الأعور بن كروس: ٩٧٣
 الأفشين: ٢٢٨
 إياس بن معاوية: ٧٩
 إياس بن مضر: ٥١٠
 أمامة «قرصانة بنت الحارث بن عوف
 المرّي» «البرصاء»: ٥٩١

بلا ل بن أبي بردة: ٤٨٧، ٧٤٩، ٦٠٨، ٩٣٤

(حرف التاء)

التبريزي: ٧٣، ١٠٥، ٢٣٥، ٢٣٦، ٤٢١، ٦٥٥، ٨٨٦، ١٠٦٧، ١١٩٢

الترمذي: ٤٨٧

تغلب بن داود «أبو وائل»: ٨٦٤، ١١٠٢

تميم بن خزيمة: ٣٤٧

توفيق القليل: ٣٣

(حرف التاء)

الشعالبي: ١٨٩، ٢٨٧، ٣٠٩، ٣٢٩

٤٨٢، ٨٢٩، ٨٩٢، ٨٩٩، ٩٨٥

١٠٢٠، ١٠٥٠، ١٠٧٥، ١٠٩٦

ثعلب: ٥٦، ٣٧٦، ١٣٤٧

ثعلبة بن عوف بن مالك بن ضبيعة:

١٢٠٥

(حرف الجيم)

الجاحظ: ٢٤، ٤٦، ٩٦، ١٣٦، ١٤٠

١٤٧، ١٨٤، ٣٤٩، ٥٠٥، ٥٤٧

٦٦٤، ١٠٧٥، ١١٠٩، ١١٣٧

١١٣٨، ١١٣٩، ١١٥٣، ١١٩٣

١٢٣٧، ١٢٥٥، ١٣٠١، ١٣٠٢

١٣٠٣

جبرائيل جبور: ١٢٥، ١٢٦

جيرة بنت وحشي بن الطفيل: ١٠٨

الجراح بن عبد الله الحكمي: ٥٤٧

جرنقش: ١٢٩

جعفر بن ثوبة: ١١٧٧

جعفران: ١٢٩

جفنة: ٩٥٤ - ٩٥٥

الباخري: ٨٢٨

الباقلاني: ٢٠، ٤٧، ١١٩، ١٣٧

١٤٣، ١٥٩، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥

٣٠١، ٣٠٨، ٦٦٠، ٩٩٩، ١١٣٧

١٢٥٨، ١٢٧٢، ١٢٨٢، ١٢٨٣

١٢٨٤

باكباك: ١١٧٧

بثينة بنت حبا بن ثعلبة: ٤٣١، ٤٣٤

١٠٤٩

بجير بن زهير: ٩٩

بحير بن عبد الله بن سلمة: ٥٦٩

بدر بن عمار: ٦٤٤، ٧٤٠، ٩٧٣

١١١٤

البدرابي زهران: ٧٨٨

بدوي طبانة: ١٢٨٦، ١٢٩٥، ١٣٣٧

البرامكة: ٤٦٧، ٥٥٨، ٧٧٤

البرقوقي: ١٣٥

البيزار: ٩٨٨

بشر بن مروان: ٥٧٠

البصري: ١٥٥، ٤١١

البطلبيوسي: ٣٠٥

البغدادي «إسماعيل باشا»: ٦٧، ٤٠٦

البغدادي «عبد القادر بن عمر»: ٤٣

٦٠، ٦١، ١٦٦، ٦٩٧، ٧٣٤

٨٤٢، ١٠٦٧

بغض بن عامر: ٦٥٠، ٩٣٥، ٩٣٦

البكري: ١٠٧، ٩٤٤، ١٠٠٨، ١٢٣٧

١٠٧٥

بكير بن الأخنس الثقفي: ٣٦٤

بنت رياح بن خالد الجرمي: ٤٤٤

حسان: ٨٩٥
 جندب بن عمار: ٦٢٨
 جهمة: ٦٩٢
 الجوهري «إسماعيل بن حماد»: ٢٣٢
 (حرف الحاء)
 حاتم الطائي: ٧٨
 حاجي بابا الطوسي: ٢٥
 حاجي خليفة: ٢٥
 الحارث بن عبد الله بن بكر: ٧١٨
 الحارث بن عوف: ٣٧٥
 حارثة بن بدر الغداني: ١٠٢
 الحاكم «أبو عبد الله بن البيهقي»: ٣٨٧، ١٧٥، ٤١٦، ٥٩٣، ٥٩٢، ٥٨٦، ٥٣٤، ٤١٦، ٧٤٩، ٧٥٤، ٨١٩، ١٠١٣، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨
 حجر بن عمرو الكندي: ٤٥
 حذيفة بن بدر:
 حرب بن أمية: ١٣٦، ١٣٨
 الحرث الأعرج بن أبي شمر الغساني:
 حزام بن جابر: ٧٦٣
 الحسن بن أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب: ١٠٣١
 الحسن البصري: ٥٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥
 الحسن بن رجاء: ٧٩٥
 الحسن بن سهل بن أبي الضحّاك: ٧٩٣، ١١٠٩
 الحسن بن علي بن حمدان: ٤٦٢
 الحسن بن وهب: ٨٦٠، ١٠٩٨، ١١٩١
 الحسين بن حسن الأنطس: ٣٥٠

حسين بن شهاب الدين العاملي: ٦٤
 الحسين بن علي: ٥٧٥
 الحصري القيرواني: ٨١٤، ٦١٩
 الحصين بن أبي الحر العنبري:
 ٥٨٦
 حفصة «أم المؤمنين»: ٩٣
 حفني محمد شرف: ٣٧
 الحكيم: ١٠٦٠
 حمادي صمود: ٣٥، ٤٤
 حمد بن إبراهيم بن خطاب الخطابي
 البستي: ١٢٥٧
 حمصبة بن شرحيل: ٥٠٦، ٥٠٧
 حميد الطوسي: ٧٢٣، ٩٧٤
 حندج بن حندج المري: ٥٩٦
 حنظلة الأكرمين: ٤٢٠، ٤٢١
 الحوفزان بن شريك: ٦٨٠
 حيا بنت عمرو بن عامر: ٤٤٣
 (حرف الخاء)
 خالد بن أصمغ النبّهاني: ٤٦٤، ٤٦٥
 خالد بن برمك: ٥٥٧، ٥٥٨
 خالد بن جبلة الباهلي: ٥٥٧
 خالد بن صفوان: ١٢٣٤
 خالد بن عبد الله القسري: ٥٨٨
 خالد بن عتاب: ٥٩٣، ٥٩٤
 خالد القسري: ٤٤٢، ٧٥٩
 خالد بن الوليد: ٢٥٥، ٥٨٦
 خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني: ٣٤٧، ١١٦١
 خالد بن يزيد بن قبيصة بن المهلب:
 ٣٥٠

خالد بن يزيد بن معاوية: ٥٩٥

الخيصي: ٨٤٥

خديجة أم المؤمنين: ٩٣

خراش بن أبي خراش: ٩٢٨

خريم بن عمارة: ٤٦٧

خريم بن عمرو بن الحارث: ٤٦٧

الخضر بن أحمد: ١٠٣١

الخطابي: ٢٠١، ١٢٧٢، ١٢٨٢،

١٣٤٤، ١٣٤٢

الخطيب القزويني: ١٣٨، ١٤١، ١٤٤،

٣٤٦، ٤٤٩، ٤٥٣، ٤٨٣، ٦٣٢،

٦٣٣، ٦٦٠، ٦٨٥، ٧١٤، ٧٥٥،

٧٥٧، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٤، ٧٩١،

٨٨٢، ١١٣٨، ١٣٠٨، ١٣٠٩،

١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣،

١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧

خفاف بن لهيعة: ٩٦٨

خلف الأحمر: ٦٨٦، ١٣٠٨، ١٣٤١

الخليل بن أحمد: ٧٨٠

الخوانساري: ٢٣

خولة:

الخولي: ٤٥

(حرف الدال)

داود بن يزيد المهلب: ٩٩٣

داود سلوم: ٣٣

درة «محبوبة بكر بن النطاح»: ٤٤٠،

٤٤٣

درويش الجندي: ٣٢

الدسوقي: ١٤٤، ١٤٥، ٤٤٩، ٧٢٦،

٦٧٥

دينار بن عبد الله: ٩٩٢

(حرف الذال)

ذؤاب بن ربيعة: ٦٥٨

الذهبي:

ذو اليمينين «طاهر بن الحسين»: ٥٢٨

ذو اليدين: ١٢٧٧

(حرف الراء)

الراغب الأصبهاني: ٧٨٩

رافع بن هرثمة: ٩٧١

الرباب بنت أنيف الكلية:

الربيع بن زياد: ٧٤

الربيع بن عتبة:

ربيع بن محمد بن منصور الكوفي «غفيف

الدين»: ٦٠

ربيعة بن أمية بن أبي الصلت: ٥٦١

رستم: ٨١٧

رشأ: ٣٢٩

الرماني: ١٣٧، ١٢٨١

روح بن حاتم: ٩٩٣

روح بن زنباع: ٣٠٠

رثيا: ٨١٥

(حرف الزاي)

الزبير بن بكار: ٩٥

الزبير بن العوام: ٥٢٥

الزجاج «أبو إسحاق»: ٧٨٣، ١١٣٧

الزركشي: ٥٥

الزركلي: ٢٥

زريق: ٥٥٣

زفر بن هاشم بن سنان: ٤١٢

الزمخشري (جار الله) أبو القاسم: ٣٧،

٥٤، ٥٥، ٥٩، ٢٠٨، ٢٦٠، ٨٧٦

زعة بن الأسود: ٧٥

زياد بن أبيه: ٥٧٥، ٥٧٥، ٥٨١

زيد بن ثابت: ٧٧

زيد بن حارثة: ٧٧

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي

طالب: ٤٥٥

زيد الفوارس الضبي «زيد بن حصين»:

١٦٦

زيد بن محمد المهلي: ٦٨٩

زينب «زوجة حجة بن المضرب»: ٥٢٥

(حرف السين)

سارية بن زعيم: ١٠٢

سُعدى: ٩٨٩

سعد بن أبي وقاص: ٨١٧

سعد الدين التفتازاني: ٦٩٥، ٧٠٢

سعد بن زيد مائة: ١١٠١

سعد بن ناشب المازني: ٦٠٨

سعيد بن مسعدة: ٧٨٣

السفاح: ٥٥٨

سفيان بن الحارث: ٥٨٧

سفيان بن عيينة: ٨٩٦

السكاكي: ٢٠٨، ٢١٧، ٢٦٤، ٣٥٦،

٣٧٤، ٦٢٥، ٦٣٦، ٦٦٧، ٧١٤،

٧٤٩، ٧٦١، ٧٦٨، ٧٧١، ٧٧٤،

٨٢٦، ٨٤٢، ٨٨٢، ١٣٠٨،

١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١٣، ١٣١٥،

١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨

سلم بن قتيبة: ٦٨٣

سلمة بن الحجاج: ٦٠٠

سلمة بن ذهل: ١٠٧٥

سلمى: ٤٠٦، ٨١٧، ٨١٨

سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن

عثمان بن عفان: ٦٤٣

السليك بن سلكة: ٧٨٤

سليم بن سلام الكوفي: ٢٧٠

سُلَيْمى: ٣٦٧، ٣٦٨

سليمان بن حبيب: ٨٢٢

سليمان بن الحكيم: ١٨٧

سليمان بن رزين: ١١٠٣

سليمان بن عبد الملك: ١١٣٥

سليمان بن وهب: ١١٠٣

سماك بن حرب: ٧٨٦

سمرة بن جندب: ٥٨٦

سمية: ٤٤٣

سُمير بن زيد: ١٠٤٥

سهية بنت زامل بن مروان: ٥٩٠

سودة «أم المؤمنين»: ٩٣

سلامة ذي فائش: ٧٨٦

سيبويه: ٢٤، ٤٦، ٥٥، ٣٩٩، ٤٠٠،

٤٠١، ٤٠٥، ٧٨٩، ٧٩٠، ٨٠٥

السيد البطلوسي: ٢٦، ١٦٦

السيد حجاب: ٣٢

السيرافي «أبو سعيد»: ٣٩٨، ٣٩٩،

٤٠٠، ٤٠١، ٨١٦، ٨١٨

سيف الدولة «أبو الحسين علي بن عبد الله

المدوي»: ١٣١، ٢٢٤، ٣٣٤،

٣٨٩، ٥٤١، ٥٤٣، ٦٣٩، ٧٠١،

الصفدي: ٣٠٣، ٩٨٩
 صفراء «امرأة شبيب بها بشار»: ١١٢٧
 صواب «وقيل حرز - وقيل ضرار - زوجة
 الموفق بالله»: ١٠٩٩
 الصولي: ٤١٢، ٦٧١، ٩٣٢، ٩٩٤
 ١١٧٧، ١١٤٦، ١٠٨٦، ١٠٢٠، ١٠٠٢
 الصيرفي: ٩٩٢
 (حرف الطاء)
 طالب «ابن أبو طالب»: ٨٤
 الطاهر بن عاشور: ٣٠٧، ٣١٠، ٥٥٧، ٥٥٨
 طريف: ٥٠٧، ٤٤٠
 طريفة: ٥٠٠، ٥٠٦
 طغربك: ٢١
 طفيل الخيل: ٤٤٣
 طلحة بن عبيد الله: ٥٨٥
 طه حسين: ٤١
 طهية بنت عبد شمس: ٧٠٨
 طيبة بنت العجاج المجاشعي: ٦٠٤
 (حرف العين)
 عائشة «أم المؤمنين» رضي الله عنها: ٩١، ٩٣، ٥٨٥
 عائشة بنت طلحة: ١٢٦، ١٠١٩، ١٠٢١
 عاتكة بنت معاوية: ٩٠٥
 عاتكة بنت يزيد بن معاوية: ٦٤٢
 العامرية بنت غطيف بن هبيرة: ١٠٨
 عامر بن بشر بن براء:
 عامر بن شماس بن لأي: ٤١٧
 عامر بن الطفيل: ٨٨
 عامر بن عبد قيس الزاهد: ٥٨٦

٧١٧، ٨٦٤، ٨٨٧، ٩٦٣، ٩٦٤
 ٩٧٠، ٩٧٧، ٩٨٦، ١٠٢٩
 ١١٠٢، ١١١٧، ١١١٩، ١١٢٣
 سيف بن ذي يزن: ٥٦٢
 السيوطي: ٢٧، ٦٠، ١٢٧١
 (حرف الشين)
 شجاع (أم المتوكل على الله): ٢٨٠
 الشافعي:
 شبيب العقيلي: ١٣١، ٥٩١، ١٠٢٣
 شداد بن عمار: ٥٨٥
 شرحبيل «أخو بني ربيعة»: ٥٠٧
 شرحبيل «الملك بن الحارث بن عمرو بن
 حجر»: ١٠٠٢
 الشريف الرضي: ١١٠
 الشريف المرتضى: ٢٨٧، ٦٦١، ٨٤٢
 ٨٩٩، ١٢١٥
 الشعبي: ٢٠٢
 شكري عياد: ٤٥
 شمر بن عمرو الحنفي: ٥٧٨
 شوقي ضيف: ٣٣، ٨٩٣، ٩٠٠، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩
 (حرف الصاد)
 صاحب بن عباد: ٢٣، ١٤٣، ١٤٥
 ٣٠٤، ٣٢٥، ٤٨١، ١٠٦١، ١٢٣١
 صاعد بن مخلد: ٥٢٠، ٨١٥، ٩٨٦، ١٢٣٠
 الصيَّان: ٥٣٢
 صخر بن عمرو بن الحارث: ٥١٥، ٥١٦، ٧٣٢
 صدر الأفاضل: ٤٨٣

العباس بن جعفر بن محمد الأشعث:

٧٠٠

العباس بن عبيد الله: ٦٧٢، ١٠٨٤،

١٠٨٦

عبد الله بن أبي إسحاق: ٥٢

عبد الله بن أبي سعد: ٧٩٥

عبد الله بن جدعان: ١٠٠٩

عبد الله بن جشم: ١٠٤٥

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: ١٠٠٥

عبد الله بن الحسين العكبري: ٥٩

عبد الله بن الحشرج: ٧٤٣، ٧٤٥ - ٧٤٦

عبد الله بن دينار بن عبد الله: ٩٩٢

عبد الله بن الزبير: ٥٧٥، ٥٨٤، ٩٠٥،

١٠١٣، ١٠٧٨

عبد الله بن شبرمة: ٥٣، ٤٦٩، ٦٩٠،

٦٩١، ٨١٤

عبد الله بن طاهر: ٩٧٠، ١٠٣٦

عبد الله بن عباس: ١٠٠٥

عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان: ١٢٤٥

عبد الله بن فروخ: ٥٨٥

عبد الله بن محمد بن يزيد الواسطي:

٤٦، ١٠٩٧، ١٢٥٥

عبد الله بن الهيثم: ١٠٩٧

عبد الله اليزيدي: ٦٣٤

عبد الجبار الأسود آبادي: ٤٧، ١٢٦٠

عبد الرحمن بن حسان: ١١٤٢

عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث:

٥٩٢

عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني: ٩٤٢

عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي: ٨٧٣

عبد الرحمن بن محمد الأشعث: ٧٥٤

عبد الرحيم بن أحمد العباسي: ٦٢،

١١٩٦

عبد السلام هارون: ١٢٤، ١٣٥، ١٥٥،

١٧٦، ٢١٢، ٣١٤، ٥٢٢، ٦٦٤،

٧٨٣، ٨٤٩، ٨٦٧، ٨٢٨، ٨٤٩،

١١٥٤

عبد الشارق بن عبد العزى: ٦٠٠

عبد العزيز عبد المعطي عرفة: ٣٢

عبد العزيز بن مروان: ٧٥٣

عبد العزيز الميمني: ٢٨، ١٢٣٤

عبد الفتاح لاشين: ٣٢

عبد القادر حسين: ٣٣، ٤٨، ٤٩،

١٢٩٩

عبد القاهر الجرجاني: ١٠، ١١، ١٢،

١٣، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤،

٢٨، ٢٩، ٣٠، ٤٣، ٨٧، ١١٨،

١٢١، ١٢٦، ١٣٣، ١٣٥، ١٤٦،

١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٧٢، ١٧٨،

٢١١، ٢٣٦، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٥٣،

٢٥٦، ٢٧٠، ٢٧٧، ٢٩٥، ٢٩٧،

٣٠١، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣٢٧،

٣٣٩، ٣٥٥، ٣٧٢، ٣٩٧، ٤٠٠،

٤٠٤، ٤٠٥، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٤٦،

٤٤٧، ٤٤٨، ٤٦٢، ٤٩٣، ٤٩٦،

٥٠٥، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٣، ٥٢٧،

٥٤١، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٦٤،

٥٧٤، ٥٧٦، ٥٨٠، ٦٣٧، ٦٨٣،

٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٨، ٧٠٩، ٧٢٠،

٧٣٤، ٧٣٥، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٤،

عبد المنعم عوض الجرجاوي: ٦١

عبد الهادي العدل: ٢٢٠، ٢٢١، ٢٣٠،

٢٣٣، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٨٥

عبيد الله بن الحصين العنبري: ٥٨٦

عبيد الله بن زياد بن أبيه: ٥٧٥، ٨٢٢،

١١٥٤

عبيد الله بن سليمان: ١١٧٧

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر: ٦٠٦،

١٠٦١

عبيد الله بن عمر العدوي:

عبيد الله بن يحيى بن خاقان: ٤٨٠

عتبة بن أبي عاصم: ٩٨٠

عتبة بن الحارث بن شهاب: ٦٥٧، ٦٥٨،

عثمان بن حيان: ٥٩١

عثمان بن خريم: ٤٦٧

عثمان بن عفان: ٨١، ٥٤٧، ٥٨٥،

٥٨٦، ٦٦١، ١١٤٢

عثمان موافي: ٣٤

عروة بن الزبير: ١٢١٩

عروة بن مرة: ٩٢٨، ٩٢٩

عزة «محبوبة كثير»: ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧،

١٠١٩

عزير: ٨٤٨

عصام بن شهيرة الجرمي: ١٢٣٩، ١٢٤٠،

عضد الدولة بن بويه: ٣٥٧، ٣٨٥، ٣٨٩،

عطارد بن حاجب: ٢٩٠

عفيف عبد الرحمن:

عقبة بن جعفر الخزامي: ٦٤١

عقبة بن سلم: ١٨٧

عقيل بن أبي طالب: ٨٤

٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٥٠، ٧٥١،

٧٥٥، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٩، ٧٧٠،

٧٨٧، ٧٨٨، ٨١٢، ٨٢٦، ٨٧٦،

٨٨٠، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٧، ٩١٨،

٩٢٠، ١٠٥٥، ١٠٨٨، ١١٠٠،

١١٢٨، ١١٤٠، ١١٨٩، ١١٩٦،

١٢٠٨، ١٢١٣، ١٢٢١، ١٢٢٤،

١٢٣١، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦،

١٢٦١، ١٢٦٣، ١٢٦٦، ١٢٦٩،

١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٧،

١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٤، ١٢٨٥،

١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٩٠، ١٢٩٤،

١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨،

١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢،

١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦،

١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٤،

١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨،

١٣٢٣، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٣١،

١٣٣٤، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٤٤،

١٣٤٨، ١٣٥٠، ١٣٥٢، ١٣٥٣،

١٣٥٤، ١٣٥٧

عبد القيس بن أقصى: ٣١٢

عبد المتعال الصعدي: ١٣١٧

عبد المطلب بن هاشم: ٩٤، ١١٥،

١٣٥

عبد الملك بن مروان: ٨٢، ٣٠٠،

٥٣٤، ٥٦٤، ٥٣٧، ٨١٠، ٨١١،

٩٤٥، ١٠١٣، ١٠١٩، ١١٨٨،

١٢١٩

عبد الملك بن المهلب: ٥٤٦

عكرشة العبسي: ٥٨٨

العكبري: ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦،

٢٢٧، ٣٢٢، ٣٥٣، ٥٤٤، ٥٤٥،

٥٥١، ٦٤١، ٧٠٢، ٧١٧، ٨٨٨،

٩٥٩، ٩٨٧، ١٠٢٣، ١٠٢٩،

١٠٦٥، ١١٠٢، ١١٠٥، ١١٠٧،

١١٢٠، ١٢٢٥، ١٢٣٦

عكرمة: ١٢٧١

علقمة أحد بني قريع: ٦٥٠

علقمة بن علاثة: ٨٨، ٨٩

علي بن إبراهيم التنوخي: ٥٥١، ١٠٣٠،

١٠٥٨

علي بن أبي زيد الفصيح: ٢٤

علي بن أبي طالب: ٨٤، ٧٤، ١٠٢،

٢٦٩

علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي: ٣٥٧،

١١٠٦

علي بن أحمد المرّي: ٩٧٣، ١٠٦٤،

١٢٤٤

علي بن حمزة بن عمارة: ٣٢٤

علي بن عبد الله الحمداني: ٢٢٤

علي بن عيسى الرمانى: ٢٩، ٤٦،

١٢٥٦

علي بن محمد بن جعفر: ٣٠٥

علي محمد حسن العماري: ١٦، ٣٧،

٤٠، ٣٩

علي بن مر الأرمني: ١٠٠١، ١١٧٣،

علي بن مكرم التميمي: ٥٣٨، ٥٣٩،

علي بن هارون: ٩٥٠

علي بن يحيى: ١٠٢٨

عُلَيَّة «أخت الرشيد»: ٢٦٥

عمران بن حصين: ٥٨٥

عمران بن عصام الفري: ٧٥٤

عمر بن الخطاب: ٧٦، ٧٧، ٨٨، ٩٣،

١٠٢، ١٣٠، ٣٢١، ٥٢٥، ٥٨٥،

٦٢٨، ٨١٧، ٨٦٨، ٩٢٣، ٩٣٥،

١٠٠٥، ١٢٦٤، ١٣٣٧

عمر بن شبة: ٨٩٦

عمر بن طوق التغلبي: ١٠٤٤

عمر بن عبد العزيز: ١٢٣، ١٢٥،

عمرة الجمحية: ٩٠٥

عمرو بن إبان: ٤٢٧، ٤٢٨،

عمرو بن أمية بن أبي الصلت:

عمرو بن الحارث الأصغر: ٦٧٠،

١٠٨٢

عمرو بن الحارث الغساني: ٩٥٤

عمرو بن الحرث بن همام: ١٠٧٥

عمرو بن ذكوان: ٤٢٧، ٤٢٨،

عمرو بن سعد بن العاص: ٤٢٧، ٤٢٨،

عمرو بن كميل: ٤٢٧، ٤٢٨،

عمرو بن الليث الصفار: ٩٧١

عمرو بن معدي كرب: ٧٨

العميدي: ٦٤١، ٦٦٢، ١٠٢٥، ١١١٢،

عميرة بن جابر الحنفي: ٥٧٨

عميلة الفزاري: ٤١٥

عويمر الهذلي: ٤٢٩

العيني: ٦٠، ٨٤٥، ٨٤٦

غزالة «زوجة صالح بن مسرح»: ٥٩٣

الغانمي: ٢٠٧

الغندجاني: ٧٣٦، ٨١٦

(حرف الفاء)

فاتك : ١٢٢٤

الفارعة بنت همام الثقفي : ١٠١٣

فاطمة بنت مروان بن عبد الملك : ١٢٥
فاطمة بنت المنذر :

الفتح بن خاقان : ١١١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ،

٢٧٨ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٩٣٠ ،

٩٤٩ ، ١٠٢٨ ، ١٠٥٩ ، ١١٧٠ ،

١١٧٤

فخر الدين الخوارزمي : ٦٢

الفخر الرازي : ٥١٧ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٨٨١

الفراء : ٧٩٠

فردناندي سوسير : ١٢٨٥

فراس بن عبد الله القشيري : ٥٦٩

فراث بن حيان : ٥٨٧

الفرز «أحد جند أبودلف» :

الفريرة بنت خالد بن حبيش : ٢٩٠

الفضل بن الربيع : ٢٧٠ ، ٥٤٧

الفضل بن العباس عتبة بن أبي لهب :
٦٢٠

(حرف القاف)

القاسم بن أمية بن أبي الصلت :

القاسم بن عبيد الله : ٥٢٣

القاضي الجرجاني : ٢٢ ، ٢٨ ، ٤٧ ،

١٣٣ ، ١٤٢ ، ١٥٥ ، ١٦٢ ، ٢١٦ ،

٢٢١ ، ٢٣٣ ، ٩٠٥ ، ٩١٣ ، ١٠١٠ ،

١٠١٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٦٩ ، ١٠٨٦ ،

١٠٩٠ ، ١١١٢ ، ١١١٤ ، ١١٢٩ ،

١١٩٢ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٤

قتيلة وهب : ٨٠٨

القحطبي : ٥١٩

قدامة بن جعفر : ١٥٩ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ،

٨١١

قراطيس «أم الواثق بالله» : ٩٧٦

القزويني : ٦٣٢ ، ٧٥٢ ، ٧٥٥ ، ١٣٠٨ ،

١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٣ ،

١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧

قُصي : ٨٢

قطري بن الفجاءة : ١٠٧٨

الققعاق : ٨٨

قعناب بن عتاب الرياحي : ٥٦٩

القفطي : ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨

القيراطي : ٥٥٠

قيس بن عاصم المنقري : ٤٠٣

قيس بن معدي كرب : ٥١٢ ، ٥٦٦

قيصر : ٥٦٢

(حرف الكاف)

كافور الإخشيدي : ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،

٥٤٠ ، ٧٠١ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٩٨٤ ،

١٠٢٣ ، ١٠٢٨ ، ١٠٦٨ ، ١٣١٦

الكاهن بن هارون بن عمران : ٩٠

كراعة :

كرز بن وبرة : ٤٦٩

الكرماني : ٨٤٥

الكسائي : ٧٩٠ ، ٩٥٥

كسرى : ٥٦٢ ، ١١٣٧

الكلبي «عثمان بن عبد الله» : ٤٢٢

كمال الدين المدرس : ٢٦

الكندي : ٨٠

كيسان (مولى عثمان بن عفان) : ٥٤٧

(حرف اللام)

لبطة بن الفرزدق: ٨٦٧

لييد: ٤٤٣

ليلى بنت حلوان: ٥١٠

ليلى بنت عامر: ٤٤٣

(حرف الميم)

المأمون: ٥٢٨، ٥٣٠

مارية بنت ظالم: ٦٧٠

مازيار: ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠

مالك بن أسماء: ٥٠٠

مالك بن أنس:

مالك بن جعفر:

مالك بن ذهل: ٧١٨

مالك بن ربيع: ٥٨٣

مالك بن سلامان: ٧١٨

مالك بن طوق: ٣٣٠، ٨٥٥، ٩٣١، ١٠٤٤

مالك النخعي: ١١٨٧، ١١٨٨

المأمون: ١٣٩، ٣٩٢، ٥٢٨، ٥٣٠

٥٤٧، ٥٥٣، ٦٣٤، ٦٩٩، ٧٣١

٧٩٣، ٩٦٠، ٩٩٢، ١٠١٠

١٠٣٦، ١١٠٤، ١١٠٩، ١٢١٤

مارية بنت حجر الغسانية:

مبارك بن أبي حمزة:

المبرد: ٢٤ - ٤٥، ٢١٤، ٢١٥، ٢٩٨

٢٩٩، ٥٣٦، ٥٨٥، ٦٧٥، ٧٠٦

١١٣٦

المتوكل على الله: ١١١، ١٧٩، ٢٨٠

٤٦١، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٨٠، ٦٢٣

٧٢٣، ٧٣٠، ٩٤٩، ٩٦٦، ٩٧٥

١٠٢٨، ١١١٦، ١١٨٠، ١٢١١

١٢١٤

المحلق بن خثم: ٥٠٢، ٥٠٣

محمد أبو موسى: ٢١٨، ٢٤٩، ٤٠٦

٤١٠، ٤١٣، ٦١٨، ٩٩٩، ١٢٨٢

محمد بن أبي بكر الصديق: ٧٧

محمد بن أبي الساج: ١٢٢٦

محمد بن أبي العباس: ١٨٧

محمد بن أحمد الداعي: ٢٦

محمد بن أحمد اللخمي: ٥٩

محمد الأمين: ٢٧٠، ٧٠٠

محمد بن جعفر: ٧٧

محمد بن حاطب: ٧٧

محمد بن الحسن الإستراباذي:

محمد بن الحسين الفارسي:

محمد بن حميد الطوسي: ٥٥٣، ١١٢٨

محمد بن دواد بن الجراح: ٨٢٩

محمد بن السيد بن أنس: ٥٥٣

محمد بن سرين: ١٢٧٧

محمد بن طلحة بن عبيد الله: ٧٧

أبو بكر محمد بن الطبيب الباقلائي: ١٢٥٨

محمد بن عبد الله الإسكافي: ٥٩

محمد بن عبد الله بن طاهر: ١١١٦

محمد بن عبد الله الخشاب: ٢٦

محمد بن عبد الملك الزيات: ٢٤٦

٢٤٧، ٢٥٠، ٦٢٣، ٨٤٠، ٩٤١

١١٣٢، ١١٨٣

محمد بن عبيد الله العلوي المشطب:

٩٥٨

محمد بن علي بن عبد الله الخزاعي:

٦٤١

محمد بن علي «الملقب بمبرمان»: ٥٩
محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب:
٩٩٧، ٧٦٦

محمد بن علي الشلوين: ٥٩
محمد بن علي المراغي: ٦٠
محمد بن محمد بن مروان بن أبي
موسى: ٧٩٥

محمد بن الهيثم بن شبانة: ١١٤، ٦١٥،
١٠٢٤، ١٠٩١

محمد بن وهيب: ٧٩٥
محمد بن يحيى:

محمد بن يزيد: ٤٦٧، ١٠٠٣
الواسطي: ١٢٥٥

محمد بن يوسف الثغري: ٧٢٣، ٩٧٤،
١٢٢٧

محمد حسن آل ياسين: ٢٦، ٤٢٥
محمد خلف الله أحمد: ٣٣، ٣٦، ٤٣،
١٣٠٠

محمد ذهني بن محمد رشيد: ٦٦
محمد رشيد رضا: ١٧٤

محمد زغلون سلام: ١٢٥٥، ١٢٥٦
محمد زكي العشماوي: ٣٣، ١٧١،
٢٥١، ٢٥٦، ١٢٩٤، ١٢٩٥،
١٣٠٦، ١٢٩٧

محمد عبد المنعم خفاجي: ٣١، ٣٧،
٤٦، ١٤٤، ١٥٥، ١٧٦، ٣٨٥،
٤٢٦، ٦٣٤، ٦٦٣، ٦٦٥، ٦٦٢،
٦٦٣، ٧٠٣، ٧٢١، ٧٨٦، ٧٨٩،
٨٣٠، ٩٠٤، ١٣٠١، ١٣٠٢،
١٣١٧، ١٣٠٣

محمد علي الغرناطي: ٢٦

محمد غنيمي هلال: ٣٤، ٢٦١

محمد قطة العدوي: ٦١

محمد محيي الدين عبد الحميد: ٦٣،
١٤١، ١٤٢، ١٩١

محمد مندور: ٣٣، ٣٥، ٢٥١، ٢٤٨،
١٢٨٥

محمد نايل: ٣٢

محمد اليزيدي: ٢٧٠

محمود محمد شاكر: ١٣٣، ١٣٤،

١٤٧، ١٤٩، ١٨١، ٢٩٤، ٣٠٢،

٣٠٣، ٣١٨، ٤٣٢، ٤٤٣، ٥٠٠،

٦٢٥، ٧٤٤، ٧٧٠، ٧٧٤، ٧٨٦،

١٢٤٧

مر بن علي: ١٠٠٢

المرتضى: ٢٨٧، ٨٤٢

مرة بن هيرة: ١٠٦

مرداس بن شماس بن لأي:

المرزباني: ١٥٥، ٢٠٠، ٢١٣، ٢١٥،

٣٠٢، ٣٤٧، ٤١١، ٤٤٣، ٥١٩،

٦٢٠، ٦٧١، ٧٥٦، ٧٩٧، ٨٢٩،

٩٣٢، ٩٤٨، ١٠٦٧، ١٠٧٥، ١٠٨٨،

١١٤٦، ١٢١٧، ١٢٣٤، ١٢٣٥،

المرزوقي: ١٠٨، ١٦٦، ٢٣٤، ٢٣٥،

٣٦٠، ٤١١، ٤٠٧، ٤٢٩، ٥٨٨،

٦١٨، ٦٠٠، ٦٥٢، ٥٩٨، ٦٥٥،

٦٧٧، ٧٩٩، ٩٠٦، ١٠٠٦،

١٠٧٤، ١١٣٠، ١١٩٢

مروان بن أبي حفصة: ٦٦١

مروان بن الحكم: ٦٦١

مروان بن محمد بن مروان: ٣٠٦،
٦٨٣، ٥٢٦

مروة:

مزاحم بن فاتك: ٢٩٩

مسافر بن أبي عمرو: ٧٥

مساور بن عبد الحميد الشاري: ١٠٣١

مساور بن محمد الرومي: ١٢٤٧

مساور بن هند العبسي: ٦٣٠

المستعين بالله: ٤٨٠، ٩٨٣

مسعود بن مالك الجرمي:

مسلم «أبو الحسين بن الحجاج»: ١٢٣،
٥٨٥

مسلم بن عبد الرحمن الباهلي: ٥٥٧

مسلمة بن عبد الملك: ١٦٩، ٢٠١،
٩٣٩، ١٣٢٥

مسلمة بن هشام بن عبد الملك: ٩٣٩

المسيح عليه السلام: ٩٨٦، ١٠٨٤،
مسيمة: ١٢٦٢

مصطفى ناصف: ٣٢، ٣٤، ١٢٧٣،
١٢٩٥، ١٣٠٠، ١٣٠٣، ١٣٠٥،
١٣٠٦

مصعب بن الزبير: ٥٣٥، ٥٨٤، ٨٠٧،
٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١٢، ١٠٧٨،
١١٨٨

مطرف بن عبد الله بن الشخير: ٦٦٣،
٧٤٩

معاذ بن جبل: ٩٣١

معاوية بن أبي سفيان: ١٣٦، ٩٠٥، ١٠٠٥،
المعتز بالله: ٤٨٥، ٨٦٠، ١١٠٤،
١١١٦

المعتصم بالله «محمد بن هارون الرشيد»:
١٧٩، ١٩٠، ٢٢٨، ٢٣٢، ٦٩٩،
٩٧٦، ٩٨٨، ٩٩١، ٩٩٥، ١٣٤١،
١١٨٨

المعتضد: ٥١٩، ٥٢٣، ٩٧١، ١٠٩٩،
المعتمد: ٤٨٠، ٤٩٠، ٩٦٢، ١٠٢٨،
١١٠٤، ١٢٢٦

معدان بن المضرب: ٥٢٥

المغيث بن علي بن بشر العجلي:
١٠٣٨، ١٠٧٠

المغيرة: ٥١٧

المقتني «الخليفة»:

المكتفي: ٥٢٣

مكنونة: ٢٦٥

المنتصر: ٢٨٠

المنذر بن ماء السماء: ٥٧٨

المنذر بن المضرب: ٥٢٥

المنذر بن ولة: ٦٥١

المنصور «أبو جعفر»: ١٨٧، ٤٦٩،
٥٤٧، ٥٥٨، ٦٨٠، ٦٨٣، ٧٠٠

المهتدي بالله: ٨٦٠، ٩٢٥، ١١٠٤

المهدي: ٥٥٨، ٦٣٤، ٦٦١، ٧٥٣،
١٠٦٦، ١١٢٦، ١١٥٢

مهدي بن أصرم: ١١٢٨

مهدي السامرائي: ٣٤، ٤٨، ١٣٠٠

المهلب بن أبي صفرة: ٣٦٠، ٣٦١،
٥٦٤، ٧٤٩

موسى بن إبراهيم الرافقي: ١٤٢، ١٠٨٠

موسى بن بغا: ١٢٢٦

موسى بن عامر: ٤٦٧

١٢١٤ ، ١١٨٠
 الواحددي: ٢٢٦ ، ١٠٣٤ ، ١١٢٠ ،
 ١٢٣٦
 الواسطي: ٢٧ ، ١٢٥٥
 وردة بنت قتادة: ٣٧٨
 الوليد بن عبد الملك: ٢٠١ ، ٢٠٣
 الوليد بن مسلم: ٤٦٧
 الوليد بن يزيد: ٦٤٢ ، ١٠٥٧
 وليد قصاب: ٣٤
 وليد محمد مراد: ٣٢
 وهب بن أمية بن أبي الصلت: ٥٦١
 (حرف الياء)
 ياقوت الحموي: ٢٢
 يحيى الجبوري: ٤٢٦
 يحيى بن زيد: ١١٢٧
 يحيى بن علي: ١١٤٦
 يحيى بن عمر: ١١١٦
 يحيى بن نوفل: ٤٤٢
 اليزيدي: ١٠٧ ، ١٠٨ ، ٦٣٣
 يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبي العاص:
 ٧٤٨
 يزيد بن دينار بن عبد الله: ٩٩٢
 يزيد بن عبد الملك: ٤٥٥
 يزيد بن عمر بن هيرة: ٣٠٦ ، ٦٨٣
 يزيد بن معاوية بن أبي سفيان: ٥٧٥ ،
 ٥٧٦
 يزيد بن منصور: ٦٣٤
 يزيد بن المهلب: ٢٤٥ ، ٤٦٩ ، ٧٤٩
 يسار «راعي الزبرقان بن بدر»: ٩٣٦
 يقطن بن موسى: ٧٠٠

الموافق بالله: ٢٨٨ ، ٤٨٩ ، ٩٧١ ، ١١٠٤
 مية بنت طلبة: ٤٠٣ ، ٤٠٥
 (حرف النون)
 ناصر بن سعد الرشيد:
 نافع بن الأزرق: ١٢٧١
 نجدة بن عويمر: ١٢٧١
 النعمان بن المنذر: ٨٩٧ ، ١٢٤٠
 نعيم بن مسعود: ٥٨٦
 النمري: ٤١٨ ، ٤١٩ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦
 النهاس بن ربيعة العتكي: ٣٦٠ ، ٣٦١
 النوار: ٣٠٣
 نوري حمودي القيسي: ٨٩٧
 نوفل بن بشر: ١٠٠
 النويري: ٤١١ ، ٤٨٦ ، ١١٩٥
 (حرف الهاء)
 الهادي: ١١٢٦
 هارون بن علي بن يحيى المنجم: ٥٤٩
 هارون بن موسى القرطبي: ٥٩
 هارون الرشيد: ٥٤٧ ، ٥٥٨ ، ٦٣٤
 ٦٦١ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ١٠١٠ ، ١٠٩٣
 هدبة بن الخشرم: ٤٣١
 هرم بن سنان: ٣٧٥ ، ٧٥٨
 هشام بن عبد الملك: ٢١٣ ، ٤٥٥
 هند الهنود «زوجة أكل المرار»: ٦٧١
 هنيدة بنت صعصعة: ١٢٠٠
 هوذة أحد بني قريع: ٦٥٠
 هشيم بن هارون بن المعمر: ١٠٩٦
 (حرف الواو)
 الواثق بالله: ٢٤٦ ، ٢٨٠ ، ٣٤٧ ، ٦٢٣
 ٦٩٩ ، ٧٣١ ، ٩٦٠ ، ٩٧٦ ، ١١٦٤

يوسف بن أبي سعيد: ٤٦٤

يوسف بن عمر: ٤٨٧

يوسف بن عمر الثقفي: ٥٨٨ ، ٧٥٩

يوسف بن محمد: ١٠٠٤

يونس بن بقا: ١٠٤٠

فهرس اللغة

أحدب: ٣٢١	ابتكاراً: ٥١٢
أحدج: ٩٣٦	ابذعرت: ٤٥١
أحد: ٤٧١	الإبساس: ٧٩٣
أحذاكها: ١١٦٤	أبضعت: ١٠٣١
أحلاب: ٣٦٥	أبلغ: ٩٩٣
أجم: ٧٧٣، ٤٣٤	أبله: ٨٤٧
أحوذي: ٢٦٧	أبيرق: ٤٨٩
أحوى: ٩٢١	أترج: ٩٧٧
أحوية: ٤٠٥	أتنحل: ١١٤١
أخبط: ٥٥٨	أنهم: ٦٩٩
أخترط: ٧٠٣، ٧٠١	أنلاب: ٨١٣
الأخدع: ١١١، ١٠٥	الأجاري: ٨١٣
الآدب: ٣٧٨	اجتمل: ٨٢٥
الأدحال: ١١٨	أجر: ٣٧٦
أدم العشار: ٥١٢	الأجراع: ١٠٩٨
أذاع المعصرات: ٣٩٨	أجرت: ٤٥٠
أذريونها: ٥٧	أجزاع: ٤٧٤
أذيل: ١٣٩	أجرد: ٣٥٩
أراح: ١١٦٧، ٦٧٠	أجش: ٦١٥ - ٦١٩
آرامه: ٩٦٠	أجمت: ٦٢٨
أرث: ٣٩٣	أحاح: ٦٠٠
أرسفن: ١١٤	أحاجيك: ١٠٣٢
أرعل: ٧٠٨	أحتى: ١٠٤٦
الأرقم: ١٢١٩	احتفاله: ١٠٢٧
أروع: ٤٧١، ١٠٩٨	أحدان: ٣٧٦

إغساء الظلام : ١٧٥	أروغ : ٧٣٧
الأغن : ٩٨	أزئي : ٨٣٩
أغوال : ٣٤١	أزبأرت : ٤٥١
الإفتاء : ٦٠٢	أزدر عنه : ٤٢٢
اقتضاب : ٦١٩	الأزمل : ٧٧٣
أقحوان : ٤٧٧	أساة : ٤١١
إقواء : ٤٣٨	استدرك : ٦٢٧
أقوين : ٣٧٦	الأسد : ٩٤٦
اكتن : ١١٤	الأسجح : ٧٢١
الأكوار : ١٢١٦	الأسطار : ٣٠١
الفاحم الجعد : ٦٩٢ ، ٦٩٩	الأسطم : ٧٠٧
إلف وإلاف : ٦٣٠	الأسوق : ١٢٤
ألفت : ٩٤٠	الآسي : ٩٢٥ ،
ألكني : ١٢٢٨	أسى : ١٠٢٤
ألوى : ٢٧٨	أشائب : ٣٦٥
الألوك : ٨٢٥	اشترته : ٨٤٠
إلمامة : ٩٦٠	الأشترين : ١١٨٧
أمرعت : ٩٢١	أشنب : ٩٨٤
أم النجوم : ٨٨٥	أشوى : ٥٠٩
الأمون : ٧٨٠	اقتادت : ١١٦٩
أميمها : ٩٢٥	أقصدت : ٤٣١
أنبأ : ١٩١	أصاغت : ٢٧٨
أنبعت : ٩٣٩	اصطلما : ١١٨٨
انتشرت : ١١٨٧	الإصغاء : ١٠٩
أنجاب : ٤٧٥	إضريح : ٢٦٨
أنجال : ٤٧٥	الإطراد : ٣٢٥
أنجما : ٤٧٥ ، ٩٦٧	أعجازاً : ١٩٦
أتى : ١٠٣٨	أعلم : ٤٧١
إنسية : ١١٦٥	أعلاج : ٤٤٢
أنصار : ١٧٩	أغر : ٩٤٠

بُغَام : ٧٣٨
 بَكُور : ٤٣٤
 بَنَات نَعَش : ٣٨١
 الْبَهْرَج : ١٣٣٨
 بِهِمًا : ٩٤٠
 الْبُو : ٧٣٣
 بِيض الْيَادِي : ٣٩١
 تَاتَالَه : ٨٧٧
 تَانُق : ١٧١
 تَشِيَة : ١٠٦٨
 تَبَلَت : ٧٦٣
 تَتَجَه : ٣٧٦
 تَجْمَع : ٣١٤
 تَحَامِل حَادَث : ٤٨٩
 تَحْزِيَه : ١٠٩٣
 التَّخْصِير : ١١٦٥
 تَخُونَهَا : ٤٠٥
 تَرَات : ١١١٩
 تَرَادَفَت : ٧٠٩
 تَرَب : ٤٠٥
 تَرْحَة : ٤٧٦
 تَرْقَل : ٤٧٠
 تَرْئِم : ٤٧٦
 تَرْنُو : ٤٣١
 تَزِيد : ١١٦١
 تَسَاعَفْنَا : ٤٠٣
 تَشْحَب : ٣٩١
 تَصْفَق : ٣٨٣
 تَصُوبُوا : ٣٨٢
 تَطْرُق : ١٢٤٥

أُنْف : ٤٩١
 أَهْرَت : ١٠٠٤
 الْأَوْتَار : ٨٨
 أَوْدَعَانِي : ١١٩٤
 أَوْضَاحِي : ٩٤٠
 أَوْسَاقَه : ٦٦١
 الْإِيْمَاض : ١٠٤٢
 الْأَيْن : ١١٤٩
 أَوْرَال : ٢٩٧
 بَارَح : ٤٠٥
 الْبَازِل : ٧٨٠ ، ٣٨٣
 الْبَازِي : ٥٥٧
 بَاكِر : ٦٩٢
 بَتَات : ١٧٧
 الْبِث : ٧٣٧
 الْبَدَد : ١١٧٦
 الْبَدَر : ١٢٤٧
 الْبَدَن مِنْ الدَّرُوع : ٤٠٨
 الْبَدِيهَة : ٨٠
 بَذِي عَرَكِينَ : ٩٣٦
 بَرَحَاتْهَا : ٢٢٨
 بَرَقَة : ٤٧١
 الْبَرَم : ٣٦٧
 بَرُود : ١١٦١
 الْبَرِين : ١٠١٤
 بُزَاتْهَا : ٥٦٠
 الْبَسَابِس : ٩٢٦
 الْبُشْر : ١٠٧
 الْبَطْحَاء : ٨٠٩
 الْبَطِين : ٧٨١

جأواء: ٣٦٥	تعشوا: ٦٤٩
اللجاج: ١٨١	تغيق: ٧١٨
جِذَم: ٤٩٠	تغترق: ١٠٤٥
جرثومة: ١٩١	تفري: ٣٧٤
جرداً: ١٠٢٩	التقسيم: ٢٩١
الجَرَخ: ١٠٢٤	تقطب: ٣٨٣
جربال: ٦٤٣	التكتل: ٨٥٠
الجزع: ٦٦٨	تكركره: ٧٧٣
الجمعفر: ٦٢٣	التلسين: ١١٦٥
الجَفر: ١١٦٤	التلاع: ٩٢١
الجَفلى: ٣٧٨	التلعة: ٦٢٣
الجفن: ٤٠١	التلفت: ١٠٩
جفونها: ٢١٩	تمطى: ١٩٦
الجلل: ٢٧٠	تمنن: ٤٢٥
جمات الرُّكي: ١٠٤٩	تنائي: ١٠٦٨
جمعُ: ٩٩١	تنجلي: ٦٢٤
الجميل: ٨٢٤	تنجيم الدين: ٧٤٩
جميعها: ٩٢١	تنخلها: ٩٢٤
الجُنُب: ٩٣٦	تنخلها: ٩٢٤
جنعدل: ٨٥٠	تنصَّب: ٧٣٧
الجنى: ٨٣٩	تنغرف: ١٠٤٦
الجنوب: ٧٧٣	التومة: ٨٩٧
الجوابي:	الثغر: ٣٢٠، ٢١٩
جَوُّ السَّرَاة: ٤٦٩	ثمال اليتامى: ٨٤
حائك: ١٢٢٧	الثمام: ٧١٩
حاص: ٨٨٤	الشمذ: ٥٩١ - ٧٧٦
الحجر: ٣٧٦	ثوا: ٩٩٠، ١١٤٨
الحجرتان: ٩٩١	الجوابي: ٩٥٤
الحدث: ٣٢٠	الجؤجؤ: ١٨٠
الحدثان: ١٣٢	الجأذر: ٨٩١، ٣٢٦، ٢١٩

خِرْق: ٧٠٩
 خرقك: ١١٣
 الخروج: ١٠٣٣
 خروق: ٧٠٤
 خصاصة: ٥٧٨
 خضل: ٣٩٨
 خطاراً: ٦٤٣
 خَطَبْتُ: ١١٢٧
 خَفَضَ: ٨١٥
 الخَفَضَ: ٩٢٩
 الخفيدو: ٤٧٢
 خُلِبَ: ٩٦٩
 خلبت: ٤٥٤
 خلّة: ١٠١٨
 الخلا: ٤٠١
 الخلق: ٣٧٤
 خلقها ممكور: ٤٣٤
 الخلي: ١٠٣٩
 الخليط: ١٠٤٥
 خنِيف: ٥١٠
 خود: ٤٣٢
 خوط بان: ٧٤٠
 خلّالته: ٧٣٦
 خِزَان: ٢٩٧
 الخيف: ٩٩١
 داسع: ٤٣٨
 الدجى: ٣١٨
 الدُرّ: ١١٦٠
 الدرائك: ١٢٢٧
 الدرب: ٣٢١

الحدج: ٢١٨
 الحذاء: ١١٦٠
 حرّى: ٢٧٢
 الحرجات: ١١٨
 الحرجف: ١٠٩٨
 الحرّس: ١٢٢٧، ١٠٩٩
 حزن: ١١٨٢
 الحزن والجند: ٥٥٣
 حزن: ٤٨٩
 الحشف: ٢٩٦
 الحشو: ٣٣٢
 الحضرمية: ١١٦٤
 حقائب: ١١٣٤
 حلقاً: ٤٠٧
 حثان: ٦٤٢
 حنبل: ٣٠١
 الحمى: ١٠٨
 حوام: ٢٦٨
 حوذاناً: ٤٧٨
 الحيازيم: ٨١٧
 حيران: ٣٩٨
 الخاتلات: ٢١٩
 خاط: ٨٨٤
 خبا: ١١٧٨
 خيب: ٧٨٠
 خبت: ٦٢٨
 خدال: ١٢٤
 خردها: ٩٥٩
 خذيت: ١٢٦٧
 الخرق: ٥٧٩

الرَّخْم: ١٢٢٤	الدَّعْس: ١٠٩٨
رِدُّ: ١٠٢٤	الدَّعْص: ٩٩٨
رداح: ٥٣٥	الدملج: ٢١٩
الرُّزُّ: ٩٩١	دُمُوج: ٢٦٧
رزه: ٧٣٧	دهم: ٥٣٥
رزته: ٩٢٨	الدوارج: ٤٠٥
رئيس الحمى: ٦٨٠	ديباجته: ١٠٥٢
الرشاء: ٦٠٣	ذات الأصايد: ٣٩٣
الرعايد: ٩٩٣	ذات أوشال: ١١٣٥
الرَّق: ٣٦٤	وذبابه: ١١٧٩
رَقْص: ٣٦٤	دُخْر: ٣٧٦
رُكُوب: ٦٣٠	ذراك: ٩٦٣
ركوباً: ١٢٠	دُكَاء: ١٠٤٦
رماماً: ٤٥٥	ذكائياً: ١٢٠٠
الرَّمِيل: ٤٧٨	الذمام: ٩٧٣
الرَّنق: ١٠٢٧	الذَّهل: ١٣٩
الرواح: ٥٧٧، ٥٨٨	ذهلية: ٨٤٠
الرَّوَايا: ٨٦	ذهول: ١٣٩
الرود: ١١٦١	ذوق: ١٣٣٢
رَوى: ١٢٤	ذومعة: ٢٦٧
رويتين: ٣٠١	الرائدات: ٣٦٥
رَيَّاً: ٤٣٢	الراح: ٣٢٦
رَيْدأً: ١٠٠٤	رَيْمَتْ: ٣٨٣
ريض: ١١٤١	الرَّئِم: ٣٨٣
الرَّيْط: ٧٨١	الراووق: ٣٨٣
ريمان: ٥٧٨	ربرب: ٤٧٧
الزرابي: ١٢٢٧	ربع: ٣٩٨
زرافين: ١٨١	ربعية: ١٠٤٤
الرُّرق: ٤٠٥	الربيلة: ٩٢٩
زروده: ٤٨٠	الرَّجْم: ١٩٢

سرعاتها: ٣٦٥	زُحف: ٩٣٢
السقم: ٨٧٣	زعم: ٦١٥
السلخ: ١٠١١	زلت: ٦١٧
السلع: ٣٤٧	الزماح: ١١٢٨، ٩٦٢
السلهب: ٢٦٧	الزمنمة: ٨٨٧
السليط: ٥١٢	زُموا: ٧٤٠
سليك: ١٢٤٥	زوامل: ٦٦٠
السّماك: ٩٤٦	زواني: ١١٩٥
السّميدع: ٨٧	الزّيّارا: ٥١٢
سنخه: ١١٧٩	الزيم: ٨١٨
سودت: ١٢٣٩	حيازيم: ٨١٧
السّورة: ٨١٣	السبابط: ٩٢٦
السلافة: ٨٩٧	سار: ٣٩٨
السياج: ١٨١	ساق حُرّ: ٤٧٦، ٤٨١
سيمياء: ٤١٤	سامى: ٤٧١
شاقتك: ٣٧٩	سبّاح: ٣٥٩
شائم بارق: ٨١٥	السيط: ٤٠٥
الشّؤبوب: ٦٦٩	سبل العهاد: ٣٨٢، ٣٩٢
شارق: ٤٧٨	سبورة حده: ١١٢٨
شام البرق: ٨١٥، ٩٦٨	السّثوق: ١٣٣٨
الشبا: ٢٨١	السجحاء: ٥٦٦
الشتيت: ٩٨٤	السّحت: ٣٩١
شجيج: ٢٦٨	سحيق: ٦٤٣
الشذ: ١٧٦	السخلّة: ٩٨١
الشربة: ٢٩٧	سخينة: ٨٢
الشرحب: ٢٦٧	السديف: ٣٧٩
الشرعة: ٧٨١	السدف: ١٠٤٤
شعث: ٩٠	السراة: ٢٦٧
الشكيم: ١٦٩	سربالّه: ٥٦٨
الشمأل: ٧٧٣	السرد: ١١٧٧

ضموز: ٦٦٩	الشمول: ٩٧٨
طأطأ: ٢٩٦	الشنب: ٩٨٤
الطاعم: ٩٣٥	الشوايك: ٨٨٥
الطباع والطبيعة: ٨٦٣	شواجر: ٢٨٠
الطرب: ٧٣٧	شواذب: ٣٦٥
الطرة: ١٢٣٣	شواة الأفاعي: ٧٢١
الطرر: ٧١٣	شيجان: ٨٨٥
الطروق: ٨١٣	الصاب: ٢٣٢
طلة رَّيَّاه: ٨١٥	الصانع: ١١٦٤
الطلع: ٩٧٨	الصادي: ١٢٠٣
طُلُولهم: ٦١٥	صافية: ١١٤٩
طِمْرَة: ٣٥٩	الصَّير: ٦١٥
طُنْباً: ١٠٣٨	الصحصحان: ١٧٤
الطُول: ٩٦٢	صَدَقَة: ١٠٣٩
الظُّنر: ١٧٦، ٧٣٣	الصَّر: ١٠٩٨
الظلع: ٧١٩	صِرمة: ٤٧٧
الظَّلْم: ١٠٣٢	صفا: ١٠٩
الظُّنُون: ٣٧٦	صَفِيج: ٤٧١
عائم: ٧٦	الصنبر: ٣٧٩
عَاجُوا: ١١٣٤	الصهباء: ٣٨٣
العارض البرد: ٥٥٣	الصوب: ١١٦٨، ٣٨٥
العارض الهتن: ٩٨١	الصلاصل: ٧٧٣، ٨٦
عارضة: ٨٢٥	صيدح: ٤٨٨
عازب: ٦٧٠، ١١٦٧	الصيقل: ٤٠١
عافقه: ٧٣٩	ضبعها: ٤٧٢
عاق: ٧٣٩	ضبيية: ١١٠٠
العبيط: ٤٧٨	الضجر: ١١١٧
عتاق: ٣٢٦	ضرائب: ٢٤١
عجزاء: ٤٣٢	صَرَباً: ١٠٣٨
عجول: ٧٣٣	الضفر: ٧٢٠

العوالي : ١٠٢٩

عوداً : ١٢٠

العوذ : ٦٦٨

عون : ١١٦٥

الغائط : ٧٨١

غاض : ٢٧٩

لغامز : ١٣٠

غب الأمر : ١١٧٢

غُثر : ٣٧٦

غراء : ٤٣٤

الغرائر : ٦٦١

غرب : ٣٨٥

الغرة : ٩٤٠

غرضن : ٥٦٠

غطارفة : ٥٨٩

غلق الرهن : ١٢٤

الغلة : ١٢٠٣

الغلاب : ٨٢

غمرة : ٦١٣

الغمز : ١٣٠

الغيل : ١١٨

الفاحم : ٦٩٩

فاضت : ٢٧٩

فتحاء : ٢٩٦

الفتى : ٨٢٤

الفراني : ١١٩٤

فرجة : ١٢٠

الفرصاد : ٨٩٧

الفزر : ١١٠١

فلتات : ١٢١٤

العَر :

عروض : ١١٤١

غريان النجي : ٨٦٨

العُريب : ١١٢٢

العزون : ١٢٧٢

عسوف : ٦٤٣

عشاراً : ٥١١

العصم : ٢١٤

عصمة للأراميل : ٨٤

عطفة : ١٠٣٩

العُقر : ٦٧٢

عقائل سرب : ٤٧٧

العقد : ٤٠٥

العُقل : ٩٦٢

عقورها : ٧٥٠

علاطاً : ٧٠٤

علك القرس : ١٦٩

علندي : ٤٠٨

العلوق : ٥١٢

العناب : ٢٩٦

عناجيج : ٤٢٢

عناقاً : ٧٣٨

العنان : ١٦٩

عنسي : ١٢٤٣

العنقاء : ٨٦٠

الغنم : ١٢٠٤

العنوان : ٣٦٤

العوارض : ٩٨

العواذل : ٦٢٤

العواسل : ٨٤٠

قف : ٢٦٨	قُلَّالًا : ٥٦٢
القُقَّان : ٧٥٩	قُلٌّ : ١٢١٧
قلوصة : ١٠٤٩	القُنْد : ٥٥٣
القليب : ٦٠٣	القوت : ١١١٩
القمران : ١٣٢	قَوْز : ١١٤٨
قنأت : ٨٩٧	قَيْل : ١٢٩٨
قناتي : ١٣٠	القار : ٣٨٣
القنة : ٣٧٦	قانيت : ٢٣٢
قنعاس : ٩٣٦	قنار : ٣٧١
قواء : ٣٩٨	قُبٌّ : ٣٦٥
قودأ : ٩٦٢	قُتود : ٥٧١
قواصد : ١٠٢٨	القد : ٤٥٧ ، ٤٧٣
القور : ٥٩١	قِدْحَاك : ٣٩٣
قوسى : ٩٢٨	قديديمة : ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٤
قيت : ١٢٤٣	القذى : ١٧٦ ، ٣٨٣
الكِبَّة : ٨٩	القذال : ٢٦٨
الكُحَيْل : ٧٠٩	القربوس : ١٦٩
الكذجات : ١١٨	قَرَّت : ١١٦٨ ، ١١٨٧
كربا : ١٠٣٨	القُرد : ٥١٨
الكرى : ٨٨٥	القراد : ١٢٤٣
الكرينة : ٨٧٧	قرطوق : ٨٩٧
الكرهية : ١٠٣٣	قُرن : ٨٨٤
الكلب : ٤١١	القُرى : ٣٧٩
كلكل : ١٩٧	القشاعم : ١٠٨٦
كنفا : ٣١٨	قُشْب : ٤٠٥
الكُور : ٢٠٥ ، ٤٧١	قصرأ : ١٢٥
كيد الفيل : ٤٣٨	القصد : ١٠١١
اللبات : ٤٠٥	القَصَف : ١٠٤٥
لبانة : ٢٦٢	قُطر : ٣٧٩
اللبب : ٤٠٥	قطر الفارس : ٨١٦

محصد: ٤٧٠
 مخاضاً: ٥١١
 مخايله: ٥٩٦
 مخبوبة: ٧٠٤
 مختوماً: ١١٨٧
 مخدر: ٤٧٧
 مخروث: ٤٧١
 مخضلاً: ٤٨٢
 مخلطاً: ٣٢١
 مخلق: ١٠٥٢
 المذل: ١٩٠، ٢٣٢
 مذمة: ٩٣٦
 مراده: ٤٧١
 مرة: ١٧٧
 مرتجز: ٦٩٢
 مرتفقاً: ٥٦١
 المرخ: ١١٧٨
 المرزم: ١٢١٩
 مرقال الضحى: ٧٢١
 المروط: ١٢٤
 المزوجة: ٢٧٧
 مزيالاً: ٣٢١
 المساند: ٩٤٣، ٤٨٨
 المستراد: ١١٠٤
 مسموم: ٥٧١، ٥٧٢
 المستفات: ١٧٤
 مسنونة زرق: ٣٤١
 مشبوح الذراع: ١١٢٢
 المشتاة: ٣٧٨
 المشرفي: ٣٤١

لبد: ٣٥٩
 لج الأمر: ٢٧٨، ٦٢٨
 لجته: ١٨٩
 لجين: ١٢٤٧
 لحا الله: ٤٠٢
 ليد: ١٧٦
 لعاب الأفاعي: ٨٣٩
 لفت وجهه: ١٠٩
 لقي: ٩٢١
 لقوة: ٢٩٦
 اللوى: ٨٣٧
 لمتي: ١٠٩٧
 لواحب: ١٠٣٦
 ليتا: ١٠٥، ١٢٠
 مؤتقاً: ١٠١٠
 مارن: ٤٧١
 مآكمها: ١٢٤
 مالك: ١٢٢٨
 مبتلة: ٤٣٢
 المبسين: ٣٨٣
 المترعة: ٣٧٩
 المثقف: ١١٤٥
 المثلوج: ٩٢٩
 مثلثة سمر: ٧٢١
 المجن: ١٠٠٦
 المجهل: ٩٤٠
 المحتتم: ٧٠٧
 المحتضر: ٣٧٩
 محجلاً: ٩٤١
 محدود الذريعة: ٨٦٠

مَنَادَهَا : ١١٤٥	مَصَابِيهَا : ١٩٧
الْمَتَاب : ٦٧٢	المصاع : ١١٢٨
مَتْنُص : ١١٢٣	مَصْطَبِحاً : ١٢١٨
مَنْضَى : ٤٤٠	مُصَمَّد : ٤٧١
مُنْعَب : ٤٧٣	مضمرة الحشاء : ٤٣٤
الْمُنَوِّقَة : ١٧٤	المطافل : ١٦١
منهل : ٩٨	المطالي : ٥١٠
مَهَايِعِه : ١٠٣٦	المعزاء : ٤٠٩
المهبيج : ٩٢٩	المُعَلَّى : ٤١١
مَهْذِب : ٤٧٣	معلول : ٩٨
مُهِرَة : ١١٦١	معمود : ٩٩٣
مَهْلًا : ٧٨٦	معين : ١١٦٤
موتِر : ٨٧٧	المغاليا : ٣٥٩
المور : ٤٠٥	المغانيا : ١٢٨
الموضوعون : ١١٦٥	مغضوض : ١١٢
نَاء : ١٩٧	المفحم : ١٠٩٠
نار القرى : ٥٠٢	المفرغ : ١٣٣٨
ناظراه : ١١٩٤	مفضضا : ٤٧٧ - ٤٧٨
نَبَأ : ٢٤٦	المقانب : ١٢٤٥
نَبَاض : ٤٧١	مقرورين : ٥٠٢
النَّبِيع : ١٠٣٣	المكدى : ٦٩٩
النشأ : ٢٢٣	مكسال : ٤٣٢
النجا : ١١٩٣	مكناات : ١٢١٤
النجاء : ٢٤٦ - ٤٧٢	الملاغم : ٧٠٤
النجار : ١٠٣٣ ، ٥٦٦	مُلْتَا : ٧٧٣
النَّجْد : ٥٨١ ، ٥٩١	المُلْت : ١٢٢٦
نحابه : ٤٦٧ ، ٤٨٣	ملل : ٦٦٨
نجاه : ١٨٢	مللمم : ٤٧١
النزل : ٨٢٥	مللممة : ٥٣٥
النشر : ١٢٠٤	الممحل : ٧٧٢

نصبة الكلام: ٤٧٨
 الطاسي: ٩٢٥
 نكسي: ٥٧٢، ٥٧٩
 نهذا: ٤٠٧
 نؤى: ٤٠٥
 نوافر: ٢١٩
 نويته: ٥١٢
 الثور: ١١٥٠
 الثوك: ٥٨٧
 هاتر: ١٧٦
 هارشت: ٤٥١
 الهتن: ٩٨١
 الهدب: ٤٠٥
 هر: ٣٧٩
 هزومها: ٩٢٥
 الهلباج: ٩٩٢
 الهلاك: ٨٤
 هيدب: ٦٨٤، ٦٩٢
 هيفاء: ٤٣٢
 الواتر: ٨٨
 واسط: ٤٧١
 الوتر: ٢٨٠، ١١٠١
 وجأت: ٦٦٠
 وحشية: ١١٦٥
 وزد: ٣٧٦، ٤٢٢
 ورید: ١١٦٠
 الوسيلة: ١٢٧٢
 وشاح: ٦٩٩
 وشيكاً: ٢٤٢
 وضبح البيض: ٣٦٥

وطف: ٩٢٥
 الوعس: ١٠٩٨
 وقر: ٩٣٦
 الوقر: ١٠١٠
 ويب: ٧٣٨
 لا يباء: ١٢٤
 لا أمت: ١١٥٠
 لا عدا: ٨٠٦
 لا يحز: ٩٠
 يذ: ٣٥٩
 يريح: ٦٨٨
 ييص: ٤٧٨
 يتقبل: ١١١٦
 يتمثل: ١١٤٨
 يجشمها: ٧٨١
 يخالجن: ١٠١٤
 يخذن: ١٧٥
 يدا: ١٧٧
 يدهنوا: ٢٢٨
 يسفني: ٥٧١
 يسوى: ١٢٦٣
 يصبحن: ٣٦٥
 يصطليانها: ٥٠٢
 يعبد: ١٢٣١
 يغفوه: ١٠١٠
 يغبقن: ٣٦٥
 يفري فريي: ٨٦١
 اليفاع: ٥٠٢
 يفحصن: ٤٠٩
 يفرشون: ٣٦٠

ينقح : ١٠٣٢
ينكني : ٩٤٤
ينهني : ٥٨٣

يوتنف : ١٠٣١
يتحل : ١١٧٩
يتقر : ٣٧٨
ينخدع : ٣٩٠ ، ٣٨٩

فهرس الأديان والملل

الصابنة: ١٠١،	إسلام: ٤٠٧، ٤٧٤، ٥١٥، ٥١٧،
العلويون: ٢١٨، ٦٦١، ٩٧٣،	٥٢٥، ٥٧٥، ٩٢٧، ٩٣٥، ٩٤٥،
المالكية: ١٢٥٨،	١٠٠٥، ١٠٠٤، ١٠٤٤، ١١٣٧،
المبيضة: ٣٥٠،	١١٤٢، ١١٤٥،
المجوس: ٥٥٨،	الأشاعرة: ١٢٥٨،
المحمرة: ٩٩١،	الثنوية: ٣٥٠،
المعتزلة: ١٢٥٥، ١٢٥٦،	الحنيفية: ٥٦١،
النصرانية: ١٠١، ٢٨٨، ٤١٧، ٥٢٥،	الخرمية: ١١٨٨،
٥٦٥،	الخوارج: ٥٧٩، ١٠٧٧، ١٠٧٨،
اليهودية: ٦٦١،	الشيعة: ٦٨٠، ١١٠٩،

فهرس الحيوانات

١٢٤٥ ، ٧١٨ ، ٥٣٥	أباعر: ٤١٧ ، ٤١٩
دجاج: ٨٧٧	الإبسل: ٤١٩ ، ٤٧٧ ، ٥٣٥ ، ٦٦٢
ديك: ٣٠٤ ، ٨٩٨	١٢٦٧ ، ١٢٤٦ ، ١١٦١
ذئب: ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١	أتن: ٤٥١
١١٠٣	الأرنب: ٢٩٧
الذباب: ٣٤٩	الأسد: ١٥٧ ، ٤٠٣ ، ٤٧٧ ، ٦٠٤
الرَّخْم: ١٢٢٤ ، ١٢٢٥	٦٠٥ ، ٨٦٩ ، ٨٧٤ ، ٨٨٠ ، ٨٨١
الرشاء: ١٢٤٧	٨٨٢ ، ٨٩٠ ، ٩٤٦ ، ٩٤٨ ، ١٠٠٣
السباع: ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣	١٢٢٧ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٤
السبع: ٨٨٣ ، ١٢٣٧	أغوال: ٣٤١
السعالى:	أفاعى: ٧٢١ ، ٨٣٩ ، ٨٤١
السجحاء: ٥٦٦	البازى: ١٨٠ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠
شاة: ٣٠٤ ، ٤١٥	٦٠٩ ، ٥٦١
الطير: ٢٦٨ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨	البعير: ٣٠٤ ، ٦٦٢ ، ٩٦٢ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٧
٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣١٠ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦	البقر الوحشى: ٢١٩ ، ٤٧٧
٨٧٣ ، ١١٦٠	ثعالب: ٢٩٧ ، ٣٠٦ ، ١١٠١
الظبية الطيبة: ٨٨٢	ثور وحشى: ٣٠٩
العقاب: ٢٩٦ ، ٢٩٨	الجآذر: ٢١٩ ، ٣٢٦
العناق «أنثى المعز»: ٧٣٨	جمل: ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٤١٩ ، ٨٢٤
العنسن: ١٢٤٣	٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥
العنقاء: ٨٦٠ ، ٨٦٢	٨٧٦ ، ١٢٦٩
العرى: ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥	حمامار: ١٣٨ ، ٣٠٦
الغريان: ١٣٨ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠	حية: ١٢٩ ، ١٢٧
١٢٢٤ ، ١٢٢٥	خزان: ٢٩٧
الغزال: ٧٣٨ ، ٩٠١ ، ١٢٢٧	خيل: ٩٧ ، ٢٨٩ ، ٢٦٧ ، ٣٦٥ ، ٤١٥

الفراشة: ١٠٠٥

الفرس: ١٣٨، ١٦١، ١٦٢، ١٧٠،

١٧١، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٥٣٥،

٩٦٢، ١١٠٠

القراد: ١٢٤٣، ٥١٨

القروم: ١٢٦٧

القمري: ١٣٨

الكبش: ٣٦٣، ٣٦٦

الكلب: ١٨١، ٣٠٤، ٣٧٦، ٧٤٧، ٧٤٨،

٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦

الليث: ١٢٣٧

الماعز: ١١٠١

النساق: ١٧٤، ١٥٧، ٢١٩، ٦٦٠،

٦٦١، ٦٦٨، ٧٣٥، ٧٩٥، ١٢٤٣،

١٢٦٩

النعام: ١٥٧

النسور: ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٣

هجان: ١٢٤٦

فهرس المآكل والمشارب

شحم: ٢٥٥	البطيخ: ٨٨٩
العسل: ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٨٣٩	تمر: ٨٢، ٢٣٥
٨٤٠	التوت: ٨٩٧
العُباب: ٢٩٦، ٢٩٧، ٨٨٨، ٨٩٢	الحشف: ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٩
٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٦، ٨٩٩، ٩٠٠	الحنظل: ٨٤٩، ٨٥٠، (حنظلتان)،
٩٠٢، ٩٠٣	٨٥١، ٨٥٠
العنب: ٨٩٧	الخمير: ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٨، ٨٩٧
الفرصاد: ٨٩٧	خياره: ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٦
لبن: ٨٢	دقيق: ٨٢
لحم: ٣١٣	السخينة: ٨٢
	سمن: ٨٢

فهرس الأماكن والبقاع

البطحاء: ٨٠٩
برقة نهمد: ٤٧١
برقة الروحان: ٢٧٦ - ٢٧٤
البريص: ٩٥٤
الباخرز: ٨٢٩
البصرة: ١٣٩، ١٨٧، ٢٤٦، ٢٥٧،
٣٠١، ٤٨٧، ٥١٠، ٥٤٧، ٥٥٧،
٥٧٠، ٥٧٦، ٥٨٦، ٦٠٨، ٦٨٣،
٧٠٦، ٧٤٩، ٨٤٦، ٨٧٧، ٨٩٦،
٩٦٧، ١١٠٦
بغداد: ٢٥٧، ٢٥٨، ٣٥٧، ٥١٩،
٥٢٨، ٥٤٧، ٦٠٦، ٦٣٤، ٦٦١،
٧٣١، ٩٤٩، ٩٦٢، ٩٦٦، ٩٦٧،
١١٠٦، ١١١٦
البلخ: ٥٥٧، ٥٥٨، ٩٩٣
البلد: ٣٢٩، ٣٢٩، ١٢٢٦
البلقاء: ٥١٠
بلقرن: ٤٨٠
بلاد الجبل: ١٠٦٢
بيت لهيا: ٩٧٨
بيشة: ٤٧٤
تبالة: ٨١٩
تبوك: ٦٣٠
تثليث: ٤٧٤
تركيا:

أبان: ٩٣١
أبها:
الأبواء: ١٢١٤
أذربيجان: ١١٨٧
أريد: ١٢١٤
أرثد: ١٢١٤
الأردن: ١٢١٤
أرمينيا: ٤٦٤، ٧٢٤، ٩٧٥
استانبول: ٦٦
الأشتر: ١١٨٧
أصبهان: ٣٢٤، ٥٩٢، ١١٨٨
أفريقية: ٩٩٣، ١٢٢٦
الأندلس: ٨٢٩
أنطاكية: ٢٢٤، ٣٥٧، ٥٣٩، ٩٧٨،
٩٨١، ١٠٧٠
أنقرة: ١٩٦
الأمواز: ١٠٢، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٧،
٥٤٧
أود: ٨٣٨
باب الشمالية: ١٢٢٦
الباحة: ٤٨٠
البحرين: ١٨٧، ٣٧٨، ٩٣٠
بلد: ٥٦١
بردى: ٩٥٤
بريدة: ٩٣٠

حيدر آباد: ٦٤	ترمذ: ٥٥٧
الحيدور: ٩٥٤	تهامة: ٤٧٤، ٤٨٠، ٨٨٤، ٩٠٦،
الحيرة: ٣٩٣، ٢٩٠	١٠٤٤
خازر: ٥٧٦	توضح: ٨٣٧
خراسان: ٢١، ٧٤، ٢٥٧، ٢٥٨،	الجابية: ٩٥٤
٢٥٩، ٥٢٨، ٥٤٧، ٥٧٦، ٧٠٠،	جاسم:
٧٤٣، ٩٦٦، ٩٧١، ١٠٣٦	الجامعين: ٣٢٩
خرشنة: ١١٢٣	جبل الأحيدب «الأحدب»: ٣٢١
خرمة: ٢٢٨	جبل البشر: ١٠٩
خَضْم: ٥٠٩	جبل الحارث والحويرث: ٢٥٨
خميس مشيط: ٤٧٥	جبل طيء: ٧٨
الخنديق: ٦٢٨، ٨٣٨	جرجان: ٢١، ٢٤، ٣١٠، ٩٧١، ١٠٦٢
خوزستان: ٢٤٦	جرش: ٩٧٣
خينج: ١١٨٩	الجريب: ٢٩٧
خيبر: ٦٩٢	الجزيرة: ٥٢٨، ٥٦٢، ٧٢٣، ٩٧٥
دجلة: ٩٨٦، ١٢٢٦	جوسويقة: ٥١٠، ١٢٠٠
الدخول: ٨٣٧، ٨٣٨	الجولان: ٩٥٤
الديرند: ٥٩٧	جيحان: ٢٥٨، ٩٧٨
دمشق: ٧٧، ١٣١، ٢٢٤، ٣٣١، ٥٣٩،	الحبشة: ٩٣، ٥٦٢
٥٤٧، ٥٧٥، ٨٨٩، ٩٥٤، ٩٧٣،	الحجاز: ١١٣٥
٩٧٨، ٩٧٨، ١١٤٥، ١٢١٤	الحدالي: ١٠٦٨
الدهناء: ٤٧٥، ١٢٠٠	حران: ٩٨٦
دياربكر: ٩٨٦	حصن الأبلق: ٩١
ديار بني ربيعة: ١٠٣١	حضر موت: ٢٣٢
ديار بني عبس: ٤٨٠	حلب: ٢٢٤، ٧٩٨، ٩٦٦، ١٢٤٧
ديار بني كلب: ١٠٦٨	الحمى: ١٠٧، ٨٣٨
ديار بني يربوع: ٤٨٠	حمص: ١٣١، ٨٩٨، ١٠٨٠
ذات أوشال: ١١٣٥	حنبل: ٣٠١
ذات عرق: ١٢٥	حوران: ٨٨، ٩٥٤
الرَّجَام:	حومل: ٨٣٨

١٠٦٨ ، ٩٨٦ ، ٩٧٨ ، ٩٧٥ ، ٨٩٨
 الشربة : ٩٣١ ، ٢٩٧ ، ٢٧٥
 شط عثمان : ٧٤٩
 شهرباذ : ١٢٢٦
 شهران : ٤٧٥
 الصَّمَّان : ١٢٠٠ ، ٤٩٣
 صنعاء : ٥٦٢
 صُول : ٥٩٨ ، ٥٩٧
 ضرية : ٨٧٧ ، ٨٣٨
 الطائف : ٩٣١ ، ١٢٥
 طبرستان : ١٠٦٢ ، ١٠٣٦ ، ٩٧١ ، ٢١
 طبرية : ١٢١٤ ، ٩٧٣ ، ٦٤٤ ، ٥٥١
 طخارستان : ١٨٦
 طساسيج بابل : ١١٧٧
 طوس : ٥٤٧
 الظهران : ٩٣٠
 العتيق : ٦٢٨
 عدنة : ٩٣١ ، ٢٩١
 العذيب : ٦٢٨
 العراق : ٥٦٤ ، ٥٤٧ ، ٥٣٥ ، ٥٢٨
 ١٠٧٨ ، ١٠١٣ ، ٩٨٦ ، ٧٥٩
 عرفة : ٩٩١
 عسير : ٤٨٠ ، ٤٧٥
 العقيق : ٤٨٠
 عقيقي تمرة : ٤٨٠
 عقيق بني عامر : ٤٨٠
 عقيق البياض : ٤٨٠
 عقيق بني عقيل : ٤٨٠
 عقيق غامد : ٤٨٠
 عقيق نجد : ٤٨٠

الرحبة : ٣٣١
 رضوى : ٩٣٠
 الرقة : ٥٧٨ ، ١٩٢
 الركن : ٧٥٩
 الرملة : ٧١٧
 رهبي : ٥١٠
 الروم : ٥٤١ ، ٣٩٠ ، ٣٢١ ، ٢٢٤ ، ٥٦٢ ، ٩٦٠ ، ٩٧٠ ، ٩٧٨ ، ٩٨٦
 ١٢٢٤ ، ١١٨٨
 الروم الشرقية : ١٩٠
 الري : ١٠٣٦ ، ٦ ، ٥ ، ٤
 الزبداني : ٩٥٤
 الزُّرق : ٤٧٥ - ٤٧٤ ، ٤٥٨
 زمخشري : ٥٤
 سامراء : ٩٩٥ ، ٩٧٦ ، ٩٦٢ ، ١٩٠ ، ١٢٢٦ ، ١٢١٤ ، ١١٨٨
 السبخة : ٨٣٨
 سجستان : ٤٢١
 شَرْق : ١٠٢
 سَلْع : ٨٣٨
 سَلْغوس : ٩٦٠
 صُميساط : ٣٢٠
 السند : ٩٩٣ ، ٥٦٤
 السواد : ١١٠١ ، ١٠٣٦
 السود : ٩٣٠
 سوريا : ١٢٣٥
 سوق عكاظ : ٦٥٨ ، ٥٠٧
 الشام : ٣٠٠ ، ٢٠٤ ، ١٠٨٠ ، ٨٨ ، ٤٣١ ، ٤٥٥ ، ٥١٠ ، ٥٣٤ ، ٥٥١
 ٥٧٠ ، ٥٧٥ ، ٥٧٨ ، ٥٨٥ ، ٨٣٧

الكرخ: ١٠١٠
 كرمان: ١٠٣٦، ٧٤٣
 الكوفة: ٤٣٧، ٤٥٥، ٤٨٠، ٥٢٩،
 ٥٧٠، ٥٧٥، ٥٧٨، ٥٩٢، ٥٩٣،
 ٦١٧، ٦٤٢، ٦٨٩، ٧٥٩، ٨٣١،
 ١٠١٣، ١١١٦
 اللوى: ٨٣٧
 لينة: ٣٠١
 اللاذقية: ٥٥١
 مامبذان: ١١٨٨
 متالع: ٩٣٠، ٩٣١
 المدائن: ٥٩٣
 المدينة: ٢٩٠، ٥١٧، ٦٢٨، ٨٣٨،
 ٩٣٠، ١٠٩٢، ١١٢٦، ١١٣٥،
 ١٢١٤
 مدينة السلام: ٦٩٢، ١١٠٩
 مرج الصفير: ٩٥٤
 مرعش: ٣٢٠
 مرو: ٦٣٤، ١٠٣٦
 المروث: ٩٢١
 مزدلفة: ٩٩١
 مستورة: ١١٣٥، ١١٣٦
 مشرفي: ٣٤١
 مصر: ٦٣، ١٣١، ٣٨٩، ٤٣١، ٥٣٤،
 ٧٠١، ٩٦٢، ٩٦٨، ٩٩٣، ١٠٠٢،
 ١١٠٠، ١١٠٤، ١٢٢٤، ١٢٢٦
 المصيصة: ٩٧٨
 معرة النعمان: ١٣١، ٧٩٨
 المغرب: ٥٢٨، ١٢١٤
 منيج: ١١١، ٧٩٨

عكاظ: ٥٠٣، ٥٠٥
 عليب: ٩٠٦، ١٠٤٤
 عمان: ٣٧٨
 عماية: ٢٤١
 عمورية: ١٩١
 غطفان: ٣٧٥، ١٠٧٦
 عُرب: ١٠٦٨
 غزنة: ٢١
 غمدان: ٥٦٢
 غول: ٨٧٧
 فارس: ٨٧، ٢٤٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٧٤٣،
 ١٢١٩
 الفرات: ٣٣١، ٩٨٦
 فلسطين: ٧١٧، ٩٩٢، ١٢٢٤
 الفيوم: ١٢٢٤
 القادسية: ٦٢٨
 القاهرة: ٥٥٠
 قرآن: ١١٨٧
 قرى: ٨١٩
 القسطنطينية: ٧٢٤
 القصر: ٣٢٩
 قصر غمدان: ٥٦٢
 القصيم: ٩٣٠
 القنّان: ٩٣٠
 قندايل: ٥٦٤
 قنوا: ٩٥٤
 قلعة الحدث: ٣٢٠، ٣٢١
 كداء: ٨٠٩
 كدي: ٨٠٩
 الكرّج: ٤٤٠

المقراة: ٨٣٨

مكة: ٨٨، ٩٥، ٩٨، ١٢٥، ٤٧٥،

٥١٧، ٥٢٨، ٥٧٥، ٦٢٨، ٨٠٩،

٨٧٧، ٨٩٦، ٩٠٥، ٩٣٠، ٩٣١،

١٠٤٤، ١٠٤٩، ١١٣٥، ١٢١٤

ملطية: ٢٢٩، ٣٢٠، ١١٢٣

منحنى: ٦٩٢

منفوحة: ٨٧

منى: ١٢٤، ١٢٦، ٨٧٧، ٩٩١

مهرجا نقذق: ١١٨٨

الموصل: ٥٢٨، ٥٥٣، ٥٥٨، ٥٧٦،

٩٨٦، ١٠٣١، ١٠٩٦

الموقفين: ٩٩١

ميافارقين: ٩٨٦

نجد: ٧٨، ٩٧، ١٠٨، ١٩٦، ٢٩٧،

٣٧٨، ٦٩٢، ٩٣٠، ١٠٦٨

نصيبين: ٩٦٠

نهاوند: ١١٨٧

النهر: ٣٢١

نهر جيحون: ١٨٦

نهر نيزك: ٤٧٧

نيسابور: ٢٢، ٤٨١، ١٠٣٦

همدان: ١١٨٧، ١١٨٨

الهند: ١٠٣٤

وادي الرمة: ٢٩٧، ٩٣٠، ٩٣١

وادي القرى: ٤٣١

واسط: ٢٢٤، ٦٨٠، ١٠١٣

ودان: ٧٥٣، ١١٣٥

يذبل: ٢١٤

يلملم: ٤٧٥، ٤٥٩، ٩٣١

اليمامة: ٨٧، ٢٥٧، ٢٧٤، ٥٦٥،

٨٣٨، ١١٢٦

اليمن: ٧٧، ٧٨، ١٩٦، ٣٠١، ٤٣٨،

٤٨٠، ٥٦٢، ٦٢٨، ٦٧٢، ٨١٩،

٩٠٦، ٩٣١

ينبع: ٩٣٠

فهرس القبائل والدول والوقائع

بنو تميم: ٣٤٧، ٥٠٦، ٥٤٩، ٧٠١،
٦٠٨، ٧٣٩، ٧٧١، ٧٧٢، ٩٢١،
٩٣٥، ١٠٧٤، ١١٣٧، ١٢٠٠
بنو تميم بن مرة: ١٢١٩
بنو ثعلبة: ٨٣٧، ١٠٠٢
بنو جحجي: ١٠٤٥
بنو جريد: ٩٣١
بنو جشم: ٢٨٢
بنو جعفر: ٤٤٣، ٤٥٦، ٨٧٧
بنو جعفر بن كلاب:
بنو جراح: ٣٩٣
بنو جمع بن لؤي: ٩٠٥
بنو الحارث بن ثعلبة: ٩٣١
بنو الحارث: ٨١٩
بنو الحُدَّان: ٨٢٢
بنو الحرث بن ربيعة: ٧٦٢
بنو حماد: ٩٣٩
بنو حنيل: ٧٧٢، ٧٧٤
بنو حنظلة: ٥١٠، ١٢٠٠
بنو حنيفة: ١٢٣٨
بنو خثعم: ٧٨٤
بنو خطمة: ١٠٤٥
بنو دارم: ٩٢٨
بنو ذهل: ٦٥١
بنو ربيع بن الحرث بن عمرو بن

آل بدر: ١٠٠
آل حرب: ٨٢٢
الآزد: ٣٦١، ٧٨١
الأسد: ١٠٠، ٧١٨
آل الزبير: ١٢١٩
آل سليمان:
آل شماس: ٦٥٠
آل ضرار: ١٦٦
آل طلحة: ٧٦٦، ٧٦٧
آل عبد الوهاب الثقفي: ٨٩٥
آل مروان: ٢٦٥
الآزد: ٣٦١، ٧١٨
الأكراد اليعقوبية: ١٢٢٦
الأوس: ١٠٤٥
بنو أبو بكر بن كلاب: ٦٥٦
بنو أسد: ١٣٩، ١٥٥، ٥٠١، ٥١٥،
٦٣١، ٦٥٦، ٦٥٨، ٧٦٠، ٩٤٥،
١٠٧٦
بنو الأسمر:
بنو أشرس: ٨١٣
بنو أمية: ٢١٨، ٣٦٠، ٥٧٠، ٦٨٠،
١١٤٥، ١٢١٩
بنو بدر: ٣٩٣
بنو بكر بن وائل: ٢١٥، ٦٠٨، ١٢٣٧
بنو تغلب: ٢٨٠، ١١٥٤، ١٢٠٥

كعب بن سعد: ٩٢٠

بنو ربيعة: ٥١٤، ١٠٩٦، ١٠٩٧

بنو ربيعة بن حنظلة: ٤٠٢

بنو رفاعه: ١٦٥

بنو الروبة: ٣٠١

بنو زيان: ٨٧٧

بنو زبيد: ٧٨، ٤٥٨، ٨١٧

بنو الزهراء: ٥٨٩

بنو زيد بن الغوث: ٧٥٩

بنو زيد: ١٠٤٥

بنو سعد: ٧٣٨، ٨١٣، ١٠٩٢

بنو ساعدة: ٧٣٨

بنو سلول: ٥٧٨، ٩٤٦

بنو سليم: ٥١٥، ٨٣٧

بنو سلامان: ٧١٨، ٧٦٣

بنو شمش: ٨٣١

بنو شيبان: ١٠٥٨

بنو شيبه: ٩٤٥

بنو ضبيعة: ٥٦٦

بنو ضبة: ١٦٦

بنو ضمرة: ٧٥٣

بنو الظليم: ٤٢١

بنو عامر: ٨٨، ٨٩، ٢٦٠، ٤٨٠، ٥٦٦

بنو العباس: ٢٦٥، ٥٥٨، ٨٢٢

١٠٦٦، ١٠٩٩

بنو عبد الكريم الطائيين: ٩٨٠

بنو عبد مناف: ٩٤، ١٢٤٥

بنو عيس: ٦٣٠

بنو عبيد: ٤٢٢

بنو عجل ن لجيم: ١٠١٠

بنو عمرو بن عبد: ٧٩٦

بنو العجلان: ١١٤٢

بنو عدي: ٦٢٣، ٨١٣

بنو عذرة: ٤٣١

بنو عقيل: ٤١٨

بنو عمرو: ٤٢١

بنو عمرو بن عوف: ١٠٤٥

بنو عنبر: ٤١٧، ٥٠٩

بنو عميلة: ٩٣٠

بنو فزارة: ٨٣١، ٩٣١

بنو فقعمس: ١٠٧٦، ١٠٦٧، ٥٠١

بنو ققيم: ٧١٨، ٩٢٤

بنو فهم: ٨٨٤

بنو قشير: ٧٣٦

بنو قريع: ٦٥٠

بنو قريظة: ٥٨٦

بنو قيس: ٤٢١

بنو قيس بن ثعلبة:

بنو قرد: ٩٢٧

بنو القين: ٨٨٤

بنو كعب بن لؤي: ٨٠٩

بنو كلب: ٦٢٨، ١٠٦٨، ١١٥٤

بنو كليب: ٩٢١، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٦

٩٦٦

بنو كنانة: ٧٥٣

بنو لجيم: ١٠١٠

بنو لؤي: ٩٦٦

بنو معاوية: ٥٢٤

بنو مازن: ٧٧٢، ٧٧٣

بنو مجاشع: ٨٠٣

ذبيان: ١٠٠٢
 ربيعة: ١٠٩٦، ١٠٩٧
 ربيعاً: ١٠٩٦
 الزنج: ١٢٢٦
 طيء: ١٠٠، ٤٦٤، ٦١٧، ٩٢٣
 عبس: ٦٣٠، ١٠٠٢
 العجم: ١٢١٩
 عدنان: ٣٦
 عدي: ٩٢، ٩٤
 عدي تميم: ٩٣
 العرب: ٤٠، ٥٨، ٨٠، ٨٢، ٨٥، ٨٧،
 ٨٥، ١٣٦، ١٨٦، ٢٦٩، ٣٤١،
 ٣٩٣، ٤٠٤، ٤١٧، ٥٦١، ٥٦٢،
 ٦٢٠، ٧٥٣، ٧٦٠، ٨١٢، ٨١٤،
 ٨٣٧، ٨٥٤، ٨٧٥، ٨٨٤، ٩٣٧،
 ١٠٧٥، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣،
 ١٣٣٧، ١٢٦٤، ١٢٦٩، ١٢٧٠،
 ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٨١، ١٢١٩،
 ١٢٥٣، ١٢٦١، ١٢٦٣
 العلويون: ٢١٨، ٥٥١، ٩٧٣
 غامد: ٤٨٠
 الغسانيون: ٦٧١
 غطفان: ١٩٦ - ٤٦٧، ١٠٠٢
 القُرس: ٨٧، ٢٤٦، ٨١٧
 فزارة: ٦٣٠
 فهر:
 قحطان: ٧٦٠
 قريش: ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٩٣، ٩٤،
 ١٣٦، ٥٧٦، ٦٣٠، ٨٠٩، ٩٠٥
 قيس: ٨٧، ٤٥٦ - ٤٦٧

بنو مرة بن عيلة: ٨٦٨
 بنو محمد بن بني عمرو من حرب:
 ١١٣٦
 بنو مخزوم: ٧١٨
 بنو مخلد: ٢٨٨
 بنو مروان: ٥٦٤
 بنو مصاد: ٣٩٣
 بنو مُليح: ١٥٥
 بنو منقر:
 بنو نبهان: ١٠٠، ٤٦٤، ٩٢٣
 بنو نصر بن قعين: ٦٥٦، ٦٥٨
 بنو نمير: ١٠٦٨
 بنو نهشل:
 بنو هاشم: ٧٦٠، ٨٢٢، ٩٢٥، ٩٢٦
 بنو هلال: ٧١٩، ٩٢٨
 بنو والبة: ٩٣١
 بنو يربوع: ١٨٧، ٤٢١، ٦٥٦، ٨٣٧
 الترك: ١٢٦٣، ١٢٦٤
 تميم: ٣٦٨، ١١٣٧، ٩٢٠ (بن تميم)
 تيم: ٩٢، ٩٣، ٩٤، ١٠٧٥
 تيم تيم: ٩٣
 تيم قريش: ١٢١٩
 بنو ثعلبة: ٨٧
 ثقيف: ٧٤٩، ٥٦١
 ثماله: ٩٢٨
 جرم: ٤٠٧
 جهينة: ٩٣٠
 حذاق حذاق: ٢٦٧
 الخزر: ١٢٢٦
 الخزرج: ١٠٤٥

الدول

الدولة الأموية: ١٠٦، ١٨٦، ٤٣٧،

٤٥٥، ٥٥٧، ٥٨٨، ٥٩٢، ٦٦٦،

٦٨٣، ٦٨٦، ٧٠٦، ٧٥٧، ٨٣١،

١٠٦٦، ١١١٩، ١١٥٣، ١١٥٧،

١٣٣٧

دولة الروم: ٩٦٠

الدولة الزيارية: ٢١

السلجقة: ٢١

الدولة العباسية: ٢١، ١٨٦، ٥٥٧،

٥٥٨، ٦٦٦، ٦٨٣، ٧٠٦، ٧٩٣،

٨٢٢ (بني العباس) ٩٧٥ (العباسيون)

١٠٣١، ١٠٦٦، ١٠٩٣، ١١٥٣،

١١٥٧، ١٢١٩، ١٢٢٦، ١٣٣٧

كلب بن وبرة: ٣٩٣

كنانة بلقين: ٩٢٣

مذحج: ٨١٣

مراد: ٥١٢

مضر: ٧٦٠

معد: ٥٣

نهد: ٤٠٧

الهاشميون: ٧٦٠

هوزان:

هوازن: ٧٤٣

الوقائع

يوم الثورة: ٨١	حرب البسوس: ١٢٣٧
يوم جيلة: ٩٣	حرب بكر وتغلب: ١٢٣٧
يوم الحَقَر: ١٠٠٢	يوم الثلاثاء الأول والثاني: ١١٥٤
يوم الجمل: ٥٨٦، ١١٨٨	حرب جرم ونهد: ٤٠٧
يوم الحشاك: ١١٥٤	حرب داحس والغبراء: ٦٣٠
يوم الخندق: ٨٢، ٥٨٦	حرب ذي قار: ١٠٥٨
يوم خو: ٦٥٦، ٦٥٨	حرب سُمير: ١٠٤٥
يوم خيزج: ١١٨٩	حرب الفجار: ١٣٦
يوم داج: ٧١٢	فتح اصطخر: ٣١٢
يوم ذي علق: ٩٤٥	فتح الطائف: ٧٤٥
يوم عين أباغ: ٥٧٨	فتح عمورية: ١٩١
يوم قُرَى: ٨١٩	فتح مكة: ٥٠٠
يوم الكلاب: ١٠٠٢	موقعة صفين: ١٠٢، ١١٨٨
يوم اللوى: ٨٣٧	موقعة القادسية: ٥١٥، ٦٢٨، ٨١٧
يوم ماكسين: ١١٥٤	موقعة اليرموك: ١١٨٨
يوم مبايض: ٥٠٦	وقعة الفيل: ٤٣٨
يوم المروت: ٥٦٩	وقعة حنين: ٥١٧
يوم الهباءة: ١٠٠٢	يوم الأبيرق: ٤٨٩
يوم واسط: ٢٢٤، ٦٨٠	يوم بدر: ٨٧
يوم الوقيط: ٦٠٨	يوم الثرثار الأول: ١١٥٤
يوم دار: ٦٦١	يوم الثرثار الثاني: ١١٥٤

فهرس المصادر والمراجع

المخطوطات:

- ١ - شرح أبيات الإيضاح: فخر الدين الخوارزمي، المكتبة الأزهرية، رقم (٤٣) بلاغة.
- ٢ - شرح أبيات الإيضاح: فخر الدين الخوارزمي، مكتبة فيض الله - ملت -، إستانبول، رقم (١٨١٦).
- ٣ - شرح شواهد كتاب في البلاغة: مخطوط (ق ١ - ١٢) رقم (١٣٠٥)، جامعة أم القرى.
- ٤ - شواهد المطول المسمى بعقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر: حسين بن شهاب الدين العاملي، المكتبة الأزهرية، تحت رقم (٢٥٤٦ - ١١٥٤)، القاهرة.
- ٥ - قضية اللفظ والمعنى: الدكتور علي محمد حسن العماري، مخطوط بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر: ١١١ - ١١٢، القاهرة.
- ٦ - منتهى الطلب من أشعار العرب: جمع محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، المكتبة السليمانية، لآله لي رقم (١٩٤١).

حرف الألف

- ٧ - الإبانة عن سرقات المتنبي: أبو سعد العميدي، تقديم وتحقيق: إبراهيم الدسوقي البساطي، (الطبعة بدون)، ذخائر العرب (٣١)، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.
- ٨ - ابن الرومي، حياته من شعره: عباس محمود العقاد، الطبعة السادسة، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، القاهرة، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

- ٩ - أبو تمام، حياته وحياة شعره: نجيب محمد البهيبي، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، دار الفكر، مصر، القاهرة، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- ١٠ - أبو الفتح البستي، حياته وشعره: محمد مرسي الخولي، الطبعة الأولى، دار الأندلس للطباعة والنشر، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ١١ - أبيات الاستشهاد «نوادير المخطوطات»: ابن فارس، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، القاهرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- ١٢ - الإتيقان في علوم القرآن: جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، الطبعة الرابعة، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، القاهرة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ١٣ - آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا القزويني. (الطبعة بدون)، دار صادر، بيروت، (التاريخ بدون).
- ١٤ - أثر القرآن في تطور النقد العربي: محمد زغلول سلام، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- ١٥ - أثر النحاة في البحث البلاغي: عبد القاهر حسين، (الطبعة بدون)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- ١٦ - أحسن ما سمعت من الشر والنظم: أبو منصور الثعالبي، الطبعة الثانية، المطبعة والمكتبة المحمودية، مصر، القاهرة، (التاريخ بدون).
- ١٧ - أخبار أبي تمام: أبو بكر الصولي، حققه: خليل محمود عساكر، محمد عبده عزام، (الطبعة بدون)، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ١٨ - أخبار البحتري: أبو بكر الصولي حققها، وعلق عليها: صالح الأشر، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- ١٩ - أخبار الحمقى والمغفلين: أبو الفرج بن الجوزي، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

- ٢٠ - أخبار القضاة: محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع. (الطبعة بدون)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ٢١ - أخبار النحويين البصريين ومراتبهم: أبو سعيد السيرافي، تحقيق: طه محمد الزيني، محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.
- ٢٢ - الاختيارين: الأخفش، تحقيق: فخر الدين قباوة، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ٢٣ - أدب الكاتب: محمد بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (الطبعة بدون)، دار المطبوعات العربية، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ٢٤ - أدب الكتاب: أبو بكر الصولي. نسخه وعني بتصحيحه وتعليق حواشيه: محمد بهجة الأثري، ونظر فيه: السيد محمود شكري الألوسي، (الطبعة بدون)، دار الباز للطباعة والنشر، (التاريخ بدون).
- ٢٥ - الأذكياء: أبو الفرج بن الجوزي، (الطبعة بدون)، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، (التاريخ بدون).
- ٢٦ - آراء الجاحظ البلاغية وتأثيرها في البلاغيين العرب: أحمد أحمد فشل، (الطبعة بدون)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الإسكندرية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٢٧ - أراجيز العرب: محمد توفيق البكري، الطبعة الأولى (الناشر بدون)، ١٣١٣ هـ - ١٨٩٣ م.
- ٢٨ - الإرشاد الشافي على متن الكافي في علمي العروض والقوافي: أبو العباس أحمد القنائي، الطبعة الثانية، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، القاهرة، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م.
- ٢٩ - الأزمنة والأمكنة: أبو علي المرزوقي الأصفهاني، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣٢ هـ - ١٩١٢ م.

- ٣٠ - أساس البلاغة: جار الله الزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، (الطبعة بدون)، دار المعرفة للطبعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٣١ - أساليب بلاغية: الفصاحة - البلاغة - المعاني: أحمد مطلوب، الطبعة الأولى، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٣٢ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: علي محمد الجاوي (الطبعة بدون)، مكتبة نهضة، مصر ومطبتها، الفجالة، مصر، (التاريخ بدون).
- ٣٣ - أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الثالثة، مكتبة القاهرة، مصر، القاهرة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٣٤ - أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: هـ، ريتز، الطبعة الثالثة، دار المسيرة، بيروت، لبنان ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٣٥ - أسد الغابة: أبو الحسن علي الجزري، (الطبعة بدون)، دار الفكر العربي، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- ٣٦ - أسس النقد الأدبي عند العرب: أحمد أحمد بدوي، (الطبعة بدون)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٣٧ - أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام «نوادير المخطوطات»: محمد بن حبيب، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، القاهرة، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- ٣٨ - الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي، راجعه وقدم له: فايز ترحيني، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ٣٩ - الأشباه والنظائر، الخالدين حققه: محمد يوسف، (الطبعة بدون)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، القاهرة، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م.
- ٤٠ - الاشتقاق: أبو بكر محمد بن دريد، تحقيق: عبد السلام هارون، (الطبعة بدون)، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة (التاريخ بدون).
- ٤١ - أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق: أبو بكر الصولي، الطبعة

- الثانية، عني بنشره ج. هيورث. دن، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٤٢ - أشعار الشعراء الستة الجاهليين: اختيار الأعلام الششمري، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت لبنان، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ٤٣ - الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني. (الطبعة بدون)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ٤٤ - الأصمعيات: أبو سعيد الأصمعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، دار المعارف، مصر، القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
- ٤٥ - إصلاح المنطق: ابن السكيت، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون. (الطبعة بدون)، دار المعارف، مصر، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- ٤٦ - الإعجاز والإيجاز: أبو منصور الثعالبي، الطبعة الثانية، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- ٤٧ - الإعجاز البلاغي «دراسة تحليلية لتراث أهل العلم»: محمد محمد أبو موسى، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، مصر، القاهرة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٤٨ - إعجاز القرآن: أبو بكر الباقلائي، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الرابعة، «ذخائر العرب»، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- ٤٩ - إعراب ثلاثين سورة من القرآن: ابن خالوية. (الطبعة بدون)، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الهند، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر ١٣٦٠ هـ - ١٩٤٠ م.
- ٥٠ - الأعرابيات: خليل مردم بك، وقف على طبعه وشرح حواشيه: عدنان مردم بك، وأحمد الجندي، (الطبعة بدون)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، المطبعة الهاشمية دمشق، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
- ٥١ - الأعلام: خير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

- ٥٢ - الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
- ٥٣ - الإفصاح «في شرح أبيات مشكلة الإعراب»: أبو نصر الحسن الفارقي، حققه وقدم له سعيد الأفغاني، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٥٤ - الاقتراح في علم أصول النحو: جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد صبحي فرات، (الطبعة بدون)، مطبعة كلية الآداب، استانبول، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- ٥٥ - الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: لابن السيد البطليوسي، (الطبعة بدون)، دار الجبل، بيروت، لبنان، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- ٥٦ - الإكمال في رفع الارتياح عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: الحافظ ابن ماکولا، اعتنى بتصحيحه: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، (الطبعة بدون)، الناشر: محمد أمين دمج، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).
- ٥٧ - ألف باء: أبو الحجاج يوسف البلوي، (الطبعة بدون)، عالم الكتب، بيروت، (التاريخ بدون).
- ٥٨ - ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه «نوادير المخطوطات»: محمد بن حبيب، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، القاهرة، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- ٥٩ - الأمالي: أبو عبد الله محمد بن المبارك الزبيدي، (الطبعة بدون)، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المثنى، القاهرة، (التاريخ بدون).
- ٦٠ - الأمالي: أبو علي القالي، (الطبعة بدون)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ٦١ - الأمالي: يحيى بن الحسين الشجري، (الطبعة بدون)، عالم الكتب، بيروت، (التاريخ بدون).
- ٦٢ - الأمالي الشجرية: أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي المعروف بابن الشجري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).

٦٣ - الأسالي في المشكلات القرآنية والحكم والأحاديث النبوية: أبو القاسم عبد الرحمن الزجاج، (الطبعة بدون)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).

٦٤ - أسالي المرتضى: «غَرَرُ الفوائد ودُرَرُ القلائد»: المرتضى علي بن الحسين العلوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م.

٦٥ - الامتاع والمؤانسة: أبو حيان التوحيدي، (الطبعة بدون)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).

٦٦ - الأمثال: أبو عكرمة الضبي. تحقيق: رمضان عبد التواب، (الطبعة بدون)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

٦٧ - أنباء نجباء الأبناء: أبو عبد الله بن ظفر الصقلي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٦٨ - إنباه الرواة على أنباه النحاة: جمال الدين القفطى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٦٩ - الأنساب للسمعاني: أبو سعد بن محمد السمعاني، الطبعة الثانية، الناشر: محمد أمين دمج، بيروت، لبنان ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٧٠ - إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروفة بالسيرة الحلبية: علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، (الطبعة بدون)، مطبعة الإستقامة، القاهرة، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م.

٧١ - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: كمال الدين الأنباري، الطبعة الرابعة، مطبعة السعادة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.

٧٢ - أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم المدني، حققه: شاعر هادي شكر، الطبعة الأولى، مطبعة النعمان، النجف، العراق، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

٧٣ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

٧٤ - الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الخامسة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٧٥ - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الفنون عن أسامي الكتب والفنون: إسماعيل باشا البغدادي، (الطبعة بدون)، دار الفكر، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

حرف الباء

٧٦ - بديع القرآن: ابن أبي الإصبع، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، الطبعة الثانية، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، (التاريخ بدون).

٧٧ - البلاغة عند السكاكي: أحمد مطلوب، الطبعة الأولى، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

حرف التاء

٧٨ - تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية: مهدي السامرائي، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

٧٩ - تاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي، (الطبعة بدون)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).

٨٠ - تاريخ ابن خلدون: (الطبعة بدون) مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٨١ - تاريخ الأمم والملوك: ابن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار سويدان، بيروت، لبنان، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

٨٢ - تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، (الطبعة بدون)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان (التاريخ بدون).

٨٣ - تاريخ الثقات: أحمد بن عبد الله العجلي، الطبعة الأولى، ابن حجر العسقلاني،

وثق أصوله: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٨٤ - تاريخ جرجان: السهمي، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٨٥ - تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، جمال الدين القفطي. (الطبعة بدون)، مكتبة المثنى، بغداد، مؤسسة الخانجي، مصر، (التاريخ بدون).

٨٦ - تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (الطبعة بدون)، (مكان النشر بدون)، (تاريخ النشر بدون).

٨٧ - تاريخ دولة آل سلجوق: عماد الدين الأصفهاني، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٨٨ - تاريخ النقد الأدبي عند العرب: إحسان عباس، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

٨٩ - تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب، (الطبعة بدون)، دار صادر، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).

٩٠ - تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الثانية، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٩١ - تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر، وبيان إعجاز القرآن: ابن أبي الإصبع، (الطبعة بدون)، (مكان النشر بدون)، (التاريخ بدون).

٩٢ - تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه، للفيروزبادي، «نوادير المخطوطات»، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، القاهرة، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.

٩٣ - التذكرة السعدية في الأشعار العربية: محمد العبيدي، تحقيق: عبد الله الجبوري (الطبعة بدون)، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

- ٩٤ - التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر: عبد الفتاح لاشين، (الطبعة بدون)، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٩٥ - تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني: عبد العزيز عبد المعطي عرفة، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية، مصر، القاهرة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٩٦ - تزيين الأسواق: داود الأنطاكي، الطبعة الأولى، المطبعة الأزهرية المصرية، مصر، القاهرة، ١٣٠٨ هـ - ١٨٨٨ م.
- ٩٧ - التشبيهات، ابن أبي عون: (الطبعة بدون)، (الناشر بدون)، (مكان النشر بدون)، (التاريخ بدون).
- ٩٨ - التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، (الطبعة بدون)، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٩٩ - تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي: اختصار أبي المرشد المعري، تحقيق: مجاهد الصواف، محسن عجيل، (الطبعة بدون)، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ١٠٠ - تفسير غريب القرآن: ابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، (الطبعة بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ١٠١ - التفكير البلاغي عند العرب: «أسسه وتطوره إلى القرن السادس»: حمادي صمود، (الطبعة بدون)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ١٠٢ - تقريب التهذيب: أحمد بن حجر العسقلاني، حققه: عبد الوهاب عبد اللطيف، (الطبعة الثانية)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- ١٠٣ - التكملة والذيل والصلة: الحسن بن محمد الصغاني، حققه: عبد العليم الطحاوي، عبد الحميد حسن، (الطبعة بدون)، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- ١٠٤ - التلخيص في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، ضبطه: عبد الرحمن البرقوقي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٤ م.

١٠٥ - التمثيل والمحاضرة: أبو منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الفتاح الحلوي، (الطبعة بدون)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

١٠٦ - التنبيه والإشراف: المسعودي، (الطبعة بدون)، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٤ م.

١٠٧ - تنزيل الآيات على الشواهد من الآيات: محب الدين أفندي، (الطبعة بدون)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

٨٠١ - تهذيب تاريخ دمشق الكبير: ابن عساكر. هذبه ورتبه: عبد القاهر بدران، (الطبعة الثانية)، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

١٠٩ - تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد، الهند، ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٥ م.

حرف الثاء

١١٠ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: أبو منصور الثعالبي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الطبعة بدون)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مصر، القاهرة، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

١١١ - ثلاثة كتب في الأضداد: أضداد الأصمعي، (الطبعة بدون)، نشرها أوغست هفتر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (التاريخ بدون).

حرف الجيم

١١٢ - جامع البيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، الطبعة الأولى، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

١١٣ - الجليس الصالح الكافي: معافي بن زكريا النهرواني، تحقيق: محمد مرسى الخولي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

١١٤ - جمع الجواهر في الملح والنوادر: أبو إسحاق القيرواني، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م.

١١٥ - الجمل في النحو: أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: علي توفيق الحمد، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، أربد، الأردن، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

١١٦ - جمهرة أشعار العرب: أبو زيد القرشي، (الطبعة بدون)، دار بيروت، بيروت، لبنان ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

١١٧ - جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

١١٨ - جمهرة أنساب العرب: أبو محمد بن حزم الأندلسي، راجعه: لجنة من العلماء، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

١١٩ - جمهرة اللغة: ابن دريد، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٥ م.

حرف الحاء

١٢٠ - حاشية العلامة الدسوقي - شروح التلخيص -، الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ١٣١٧ هـ - ١٨٨٧ م.

١٢١ - حاشية العلامة الشيخ مخلوف المنياوي على شرح حلية اللهب المصون للشيخ أحمد الدمنهوري، على الرسالة الجلييلة الموسومة بالجواهر المكنون في المعاني والبيان والبديع: لعبد الرحمن الأخضر، (الطبعة بدون)، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، (التاريخ بدون).

١٢٢ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصفهاني، (الطبعة بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).

١٢٣ - حلية اللب المصون بشرح الجواهر المكنون - على هامش حاشية المنياوي: أحمد الدمنهوري، (الطبعة الأولى)، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء (التاريخ بدون).

١٢٤ - الحماسة: أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحيم

عسيلان، (الطبعة بدون)، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

١٢٥ - الحماسة: أبو عبادة البحتري، اعتنى بضبطه وتدوينه: الأب لويس شيخو اليسوعي، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

١٢٦ - الحماسة البصرية: البصري، (الطبعة بدون)، عالم الكتب، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).

١٢٧ - الحماسة الشجرية: أبو السعادات ابن الشجري، (الطبعة بدون)، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدرآباد الدكن، الهند، ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٥ م.

١٢٨ - حياة الحيوان الكبرى: الدميري، الطبعة الثانية، منشورات الرضى، طهران، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي (التاريخ بدون)،

١٢٩ - الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

حرف الخاء

١٣٠ - خاص الخاص: أبو منصور الثعالبي، (الطبعة بدون)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

١٣١ - خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي، (الطبعة بدون)، مطبعة بولاق، مصر، ١٢٨٣ هـ - ١٨٥٣ م.

١٣٢ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، (الطبعة بدون)، مكتبة الخانجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

١٣٣ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي. (الطبعة بدون)، دار صادر، بيروت، (التاريخ بدون).

١٣٤ - الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، حققه: محمد علي النجار، الطبعة الثامنة، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (الطبعة بدون).

١٣٥ - خصائص التراكيب «دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني»: محمد أبو موسى، الطبعة الثانية، مكتبة وهبه، مصر، القاهرة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

١٣٦ - الخيل: أبو عبيده معمر بن المثنى، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد الدكن الهند، ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٨ م.

حرف الدال

١٣٧ - دائرة المعارف الإسلامية: يصدرها باللغة العربية أحمد الشنتاوي، (الطبعة بدون)، دار المعرفة بيروت، لبنان ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٣ م.

١٣٨ - دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتمثيل - التقديم والتأخير: عبد الهادي العدل، ضبطه عبد السلام أبو النجا سرحان، (الطبعة بدون)، دار الفكر الحديث للطبع والنشر، (مكان النشر بدون)، (التاريخ بدون).

١٣٩ - دراسات في النقد الأدبي: وليد قصاب، الطبعة الأولى، دار العلوم، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

١٤٠ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني، (الطبعة بدون)، دار الجيل، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

١٤١ - الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع في العلوم العربية: أحمد الشنيطي، الطبعة الثامنة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

١٤٢ - دمية القصر وعصرة أهل العصر: أبو الحسن الباخري، تحقيق: سامي مكي العاني، الطبعة الثانية، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١٤٣ - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رشيد رضا، (الطبعة بدون) دار المعرفة، بيروت، لبنان ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

١٤٤ - دلالات التراكيب - دراسة بلاغية: محمد أبو موسى. الطبعة الأولى، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

١٤٥ - ديوان إبراهيم بن العباس الصولي - الطرائف الأدبية - : عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

١٤٦ - ديوان إبراهيم بن هرمة: تحقيق: محمد جبار المعيد، (الطبعة بدون)، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

١٤٧ - ديوان ابن الدمينية: صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تحقيق: أحمد راتب الفناخ، مكتبة دار العروبة، القاهرة، مطبعة المدني، مصر، ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م.

١٤٨ - ديوان ابن الرومي: أبو الحسن علي بن العباس بن جريح، تحقيق: حسين نصار، سيدة حامد، منير المدني، (الطبعة بدون)، وزارة الثقافة الهيئة المصرية العامة للكتاب مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب، مصر، القاهرة، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

١٤٩ - ديوان ابن المعتز: تحقيق: كرم البستاني، (الطبعة بدون)، دار صادر بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

١٥٠ - ديوان ابن مقبل: حققته: عزة حسن، (الطبعة بدون)، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

١٥١ - ديوان أبي الأسود الدؤلي: تحقيق: محمد حسن آل ياسين، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة، بغداد، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

١٥٢ - ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: تحقيق: محمد عبده عزام، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.

١٥٣ - ديوان أبي تمام: شرح وتعليق: شاهين عطية، مراجعة: بولس الموصلي، (الطبعة بدون)، دار صعب، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).

١٥٤ - ديوان أبي دهبيل الجمحي: أبو عمرو الشيباني، تحقيق: عبد العظيم عبد المحسن، الطبعة الأولى، مطبعة القضاء في النجف، العراق، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.

- ١٥٥ - ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره: صنعة: عبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ١٥٦ - ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان: طبعه وصححه: مصطفى السقا - إبراهيم الأبياري - عبد الحفيظ شليبي دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- ١٥٧ - ديوان أبي النجم العجلي: صنعه وشرحه: علاء الدين أغا، (الطبعة بدون)، النادي الأدبي المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ١٥٨ - ديوان أبي نواس: حققه وضبطه وشرحه: أحمد عبد المجيد الغزالي، (الطبعة بدون)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ١٥٩ - ديوان الأبيوردي: تحقيق: عمر الأسعد، (الطبعة بدون)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- ١٦٠ - ديوان الأخطل: تحقيق: فخر الدين قباوة، الطبعة الثانية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ١٦١ - ديوان الأدب: إبراهيم الفارابي، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة إبراهيم أنيس، الطبعة الأولى، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٩٤ هـ - ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٤ م - ١٩٧٥ م.
- ١٦٣ - ديوان الأسود بن يعفر: صنعة: نوري حمودي القيسي، (الطبعة بدون)، سلسلة كتب التراث، وزارة الثقافة والإعلام، (التاريخ بدون).
- ١٦٣ - ديوان أشعار الأمير أبي العباس. «ذخائر العرب»: دراسة وتحقيق: محمد بديع شريف، (الطبعة بدون)، دار المعارف، مصر، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- ١٦٤ - ديوان الأعشى: (الطبعة بدون)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ١٦٥ - ديوان الأعشى الكبير «ميمون قيس»: شرح وتعليق: محمد محمد حسين، الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ١٦٦ - ديوان أعشى همدان وأخباره: تحقيق: حسن عيسى أبو ياسين، الطبعة الأولى، دار العلوم للطباعة والنشر، (مكان النشر بدون) ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- ١٦٧ - ديوان الأفوه الأودي - الطرافف الأدبية - : عبد العزيز الميمني (الطبعة بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (التاريخ النشر بدون).
- ١٦٨ - ديوان أوس بن حجر: الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ١٦٩ - ديوان البحري: تحقيق: حسن كامل الصيرفي، (الطبعة بدون)، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
- ١٧٠ - ديوان البحري: تحقيق كرم البستاني، (الطبعة بدون)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ١٧١ - ديوان بشار بن برد: جمع وتحقيق وشرح: محمد الطاهر بن عاشور، (الطبعة بدون)، الشركة التونسية للتوزيع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.
- ١٧٢ - ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي: حققته: عزة حسن، (الطبعة بدون)، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م.
- ١٧٣ - ديوان تابط شراً وأخباره: جمع وتحقيق: علي ذو الفقار شاكر، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، (مكان النشر بدون)، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ١٧٤ - ديوان جميل بثينة: تحقيق: بطرس البستاني، (الطبعة بدون)، دار صادر، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ١٧٥ - ديوان حاتم الطائي: (الطبعة بدون)، دار صادر بيروت، لبنان، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ١٧٦ - ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: (الطبعة بدون)، دار صادر، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ١٧٧ - ديوان الحطيئة، رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي، وأبي عمرو الشيباني: (الطبعة بدون)، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

- ١٧٨ - ديوان حميد بن ثور: تحقيق: عبدالعزيز الميمني، (الطبعة بدون)، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- ١٧٩ - ديوان خالد الكاتب: تحقيق ودراسة: يونس أحمد السامرائي، الطبعة الأولى، مطبعة دار الرسالة - ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد: ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ١٨٠ - ديوان الخالدين: أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدي. جمعه وحققه: سامي الدهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- ١٨١ - ديوان الخريمي: أبو يعقوب إسحاق بن قوهي، جمعه وحققه: علي جواد الطاهر، محمد جبار المعبيد، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
- ١٨٢ - ديوان الخنساء: (الطبعة بدون)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ١٨٣ - ديوان الخنساء: تحقيق: كرم البستاني، (الطبعة بدون)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ١٨٤ - ديوان ديك الجن: حققه: أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري، (الطبعة بدون)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ١٨٥ - ديوان ذي الإصبع العدواني: جمعه وحققه: عبد الوهاب الدليمي، (الطبعة بدون)، مطبعة الجمهور، الموصل، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- ١٨٦ - ديوان ذي الرمة «غيلان بن عقبة»: شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، رواية الإمام أبي العباس ثعلب، حققه وقدم له: عبد القدوس أبو صالح، الطبعة الأولى، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ١٨٧ - ديوان رؤية بن العجاج «مجموع أشعار العرب»: مراجعة: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد البروسي، (الطبعة الثانية)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

١٨٨ - ديوان الراعي النميري: جمعه وحققه: راينهرت فايرت، (الطبعة بدون)، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، لبنان، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

١٨٩ - ديوان سبط ابن التعاويذي: اعتنى بنسخه وتصحيحه: د.س مرجليوث، (الطبعة بدون)، دار صادر - بيروت، لبنان، مطبعة المقتطف، مصر، ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٣ م.

١٩٠ - ديوان السري الرفاء: (الطبعة بدون)، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٥ م.

١٩١ - ديوان سلامة بن جندل: تحقيق: محمد بن الحسن الأحول، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٩٢ - ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره: صنعة: يحيى بن مدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق: عادل سليمان جمال، (الطبعة بدون)، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١٩٣ - ديوان شعر الخوارج: جمع وتحقيق: إحسان عباس، الطبعة الرابعة، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

١٩٤ - ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني: حققه صلاح الدين الهادي، (الطبعة بدون)، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

١٩٥ - ديوان الصبابة - على هامش تزيين الأسواق -: شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة المغربي، (الطبعة بدون)، المطبعة الأزهرية، مصر، ١٣٠٨ هـ - ١٨٨٨ م.

١٩٦ - ديوان طفيل الغنوي: تحقيق: محمد بن عبد القادر أحمد، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

١٩٧ - ديوان عامرين الطفيل: رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، (الطبعة بدون)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.

١٩٨ - ديوان العباس بن الأحنف: كرم البستاني، (الطبعة بدون)، دار صادر بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

- ١٩٩ - ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: تحقيق: وشرح محمد يوسف نجم، (الطبعة بدون)، دار صادر، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ٢٠٠ - ديوان العجاج: رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، عني بتحقيقه: عزة حسن، (الطبعة بدون)، مكتبة دار الشرق، بيروت، لبنان، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
- ٢٠١ - ديوان علقمة الفحل - بشرح الأعلام الشتمري -: حققه: لطفي الصفال، درية الخطيب، راجعه: فخر الدين قباوة، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، حلب، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- ٢٠٢ - ديوان علي بن الجهم: تحقيق: خليل مردم بك، الطبعة الثانية، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ٢٠٣ - ديوان عمر بن أبي ربيعة: (الطبعة بدون)، دار صادر، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ٢٠٤ - ديوان عمرو بن معدى كرب: صنعة هاشم الطعان، (الطبعة بدون)، وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة كتب التراث، (مكان النشر بدون)، (التاريخ بدون).
- ٢٠٥ - ديوان عنترة: كرم البستاني، (الطبعة بدون)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٢٠٦ - ديوان الفرزدق: كرم البستاني، (الطبعة بدون)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٢٠٧ - ديوان قيس بن الخطيب: تحقيق: ناصر الدين الأسد، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
- ٢٠٨ - ديوان كثير عزة: حققه: إحسان عباس، (الطبعة بدون)، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
- ٢٠٩ - ديوان كشاجم: (الطبعة بدون)، المطبعة الأنسية، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ٢١٠ - ديوان كعب بن مالك الأنصاري: تحقيق: سامي مكّي العاني، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة، بغداد، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

٢١١ - ديوان مجنون ليلي : جمع وتحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (الطبعة بدون)، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة والنشر، مصر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٢١٢ - ديوان مسكين الدارمي: جمعه وحققه: خليل إبراهيم العطية، عبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، مطبعة دار البصري، بغداد، ساعدت نقابة المعلمين المركزية على نشره، بغداد، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

٢١٣ - ديوان المعاني: أبو هلال العسكري، (الطبعة بدون)، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٢ م.

٢١٤ - ديوان النابغة الذبياني: تحقيق وشرح كرم البستاني، (الطبعة بدون)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٢١٥ - ديوان الهذليين: (الطبعة بدون)، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.

٢١٦ - ديوان الوأواء دمشقي: حققه: سامي الدهان، (الطبعة بدون)، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م.

٢١٧ - ديوان يزيد بن مفرغ الحميري: جمعه وحققه: عبد القدوس أبو صالح، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ١٠٤٢ هـ - ١٩٨٢ م.

حرف حرف الذال

٢١٨ - الذخائر والبصائر: أبو حيان التوحيدي، حققه وعلق عليه: أحمد أمين والسيد أحمد صقر، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م.

٢١٩ - ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم: أبو الحسن الدارقطني، دراسة وتحقيق، بوران الضناوي، كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٢٢٠ - ذيل الأمالي والنوادر: أبو علي القالي، (الطبعة بدون)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

٢٢١ - ذيل اللآلي - ضمن سمط اللآلي -: أبو عبيد البكري، الطبعة الثانية، دار الحديث للطباعة والنشر، (المكان بدون) ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

حرف الراء

- ٢٢٢ - رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والاجتماع: محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، القاهرة، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٥ م.
- ٢٢٣ - رسائل الثعالبي: أبو منصور الثعالبي، (الطبعة بدون)، دار صعب، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ٢٢٤ - رسائل الجاحظ: تحقيق: عبد السلام هارون، (الطبعة بدون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، (التاريخ بدون).
- ٢٢٥ - الرسالة الشافية: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.
- ٢٢٦ - رسالة الغفران: أبو العلاء المعري، تحقيق: عائشة بنت الشاطي، الطبعة السادسة، دار المعارف، مصر، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- ٢٢٧ - رسالة في أعجاز أبيات تغني في التمثيل عن صدورها - نوادر المخطوطات -: المبرد الطبعة المبردة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- ٢٢٨ - الرسالة المصرية - نوادر المخطوطات -: أمية بن عبد العزيز، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- ٢٢٩ - رغبة الأمل من كتاب الكامل: سيد بن علي المرصفي، الطبعة الثانية، مكتبة دار البيان، بغداد، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- ٢٣٠ - الروض الأنف: السهيلي، (الطبعة بدون)، قدم له وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، (التاريخ بدون).
- ٢٣١ - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: مير محمد باقر الموسوي الخوانساري، (الطبعة بدون)، اسماعيليان (مكان النشر بدون) ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

٢٣٢ - ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا: شهاب الدين الخفاجي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، الطبعة الأولى، عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م.

حرف الزاي

٢٣٣ - زهر الآداب وثمر الألباب: أبو إسحاق القيرواني، ضبطه وشرحه زكي مبارك: حققه وزاد في ضبطه: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، دار الجيل، بيروت، لبنان ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.

٢٣٤ - الزهرة: أبو بكر الأصبهاني حققه: إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

حرف السين

٢٣٥ - سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب: أبو فوز السويدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٢٣٦ - سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، (الطبعة بدون)، مكتبة ومطبعة على صبيح وأولاده، مصر، القاهرة، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

٢٣٧ - السرقات الأدبية: بدوي طبانة، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، لبنان ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

٢٣٨ - سمط اللآلي في شرح أمالي القالي وذيل اللآلي: أبو عبيد البكري الأوني، تحقيق: عبد العزيز الميمني، الطبعة الثانية، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٢٣٩ - سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: عبد الملك بن حسين العصامي المكي، (الطبعة بدون)، المطبعة السلفية، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.

٢٤٠ - سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، أشرف على تحقيق الكتاب: شعيب الأرناؤوط، حسين الأسد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٢٤١ - السيرة النبوية، ابن هشام: قدم لها وعلق عليها: طه عبد الرؤوف سعد،
(الطبعة بدون)، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٣٩١ هـ -
١٩٧١ م.

حرف الشين

٢٤٢ - شاعرات العرب: عبد البديع صقر، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، (مكان
النشر بدون)، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

٢٤٣ - الشاعر الخارجي الطرمّاح بن حكيم الطائي: عزمي الصالحي أشرف على إعداد
البحث الأستاذ محمود غناوي الزهيري، (الطبعة بدون)، مطبعة الاقتصاد،
بغداد، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.

٢٤٤ - شخصيات كتاب الأغاني: داود سلوم ونوري حمودي القيسي، مطبوعات
المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٢٤٥ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي، (الطبعة بدون)، دار
الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

٢٤٦ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة
الخامسة عشرة، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، القاهرة، ١٣٨٦ هـ -
١٩٦٦ م.

٢٤٧ - شرح أبيات سيويه: ابن السيرافي، حققه وقدم له: محمد علي سلطاني،
(الطبعة بدون)، دار المأمون للتراث، (مكان النشر بدون)، ١٣٩٩ هـ -
١٩٧٩ م.

٢٤٨ - شرح أبيات سيويه: أبو جعفر النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، الطبعة
الأولى، مطبعة الغرى الحديثة، النجف العراف، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

٢٤٩ - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: (الطبعة بدون)، دار إحياء الكتب
العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، القاهرة، (التاريخ بدون).

٢٥٠ - شرح أدب الكاتب للجواليقي: قدم له الأستاذ: مصطفى صادق الرافعي،
(الطبعة بدون)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).

- ٢٥١ - شرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهرى، (الطبعة بدون)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، القاهرة، (الطبعة بدون).
- ٢٥٢ - شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور الأشبيلي، تحقيق: صاحب أبو جناح، (الطبعة بدون)، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ٢٥٣ - شرح ديوان أبي تمام: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، مصر، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
- ٢٥٤ - شرح ديوان أبي العتاهية: أبو إسحاق العنزي، (الطبعة بدون)، دار صعب، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).
- ٢٥٥ - شرح ديوان امرئ القيس، ومعه أخبار المراقشه وأشعارهم في الجاهلية والإسلام: حسن السندوبي، الطبعة الثالثة، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الإستقامة، القاهرة، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م.
- ٢٥٦ - شرح ديوان أمية بن أبي الصلت: قدم له وعلق حواشيه: سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، (الطبعة بدون)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ٢٥٧ - شرح ديوان جرير: محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، مضافاً إليه تفسيرات العالم اللغوي أبي جعفر بن حبيب، (الطبعة بدون)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٣ م.
- ٢٥٨ - شرح ديوان جميل بثينة: قدم له وعلق حواشيه: سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، (الطبعة بدون)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ٢٥٩ - شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: ضبط الديوان وصححه: عبد الرحمن البرقوقي، (الطبعة بدون)، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.
- ٢٦٠ - شرح ديوان الحماسة: الخطيب التبريزي، (الطبعة بدون)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

٢٦١ - شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، الطبعة الثانية، نشره: أحمد أمين - عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

٢٦٢ - شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: تحقيق: أحمد طلعت، الطبعة الأولى، دار كرم، دمشق، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

٢٦٣ - شرح ديوان صريع الغواني «مسلم بن الوليد»: عني بتحقيقه: سامي الدهان، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، القاهرة، (التاريخ بدون).

٢٦٤ - شرح ديوان طرفة بن العبد: قدم له وعلق حواشيه: سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب (الطبعة بدون)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

٢٦٥ - شرح ديوان علقمة، طرفة، عنترة: تحقيق وشرح نخبة من الأدباء، (الطبعة بدون)، دار الفكر العربي للجميع (مكان النشر بدون)، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

٢٦٦ - شرح ديوان كعب بن زهير: صنعه الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، (الطبعة بدون)، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.

٢٦٧ - شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: قدم له وشرحه: إبراهيم جزيبي، (الطبعة بدون)، منشورات دار القاموس الحديث، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد.

٢٦٨ - شرح ديوان لبيد بن ربيعة: حققه وقدم له: إحسان عباس، الطبعة الثانية، مطبعة حكومة الكويت، التراث العربي، سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٤ م.

٢٦٩ - شرح سعد الدين التفتازاني - شروح التلخيص -. الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ١٣١٧ هـ - ١٨٩٧ م.

٢٧٠ - شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين الاسترابادي، مع شرح شواهد، عبد القادر البغدادي، (الطبعة بدون)، حققهما: محمد نور الحسن ومحمد الزقزاق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٢٧١ - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: جمال الدين بن هشام، الطبعة الحادية عشرة، المكتبة التجارية، مصر، القاهرة، دار الاتحاد العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

٢٧٢ - شرح الشواهد الكبرى للعيني - ضمن شرح الأشموني -: (الطبعة بدون)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، القاهرة، (التاريخ بدون).

٢٧٣ - شرح شواهد المغني: جلال الدين السيوطي. وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان، (الطبعة بدون)، منشورات دار مكتبة الحياة، «لجنة التراث العربي»، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

٢٧٤ - شرح الشيخ عبد المنعم عوض الجرجاوي على شواهد ابن عقيل لألفية الإمام ابن مالك: الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، القاهرة، ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٥ م.

٢٧٥ - شرح قصيدة كعب بن زهير: جمال الدين الأنصاري، مراجعة وتحقيق: محمود حسن أبو ناجي، الطبعة الثانية، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٢٧٦ - شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع: صفي الدين الحلبي، تحقيق: نسيب نشاوي، (الطبعة بدون)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٢٧٧ - شرح الكافية الشافية: جمال الدين بن مالك، حققه وقدم له: عبد المنعم هريدي، (الطبعة بدون)، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، دار المأمون للتراث الإسلامي، دمشق، (التاريخ بدون).

٢٧٨ - شرح ما يقع فيه التصحيف والنحريف: أبو أحمد العسكري، تحقيق: عبد العزيز أحمد، (الطبعة الأولى) مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، القاهرة، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.

٢٧٩ - شرح مشكل شعر المتنبي: علي بن سيده، تحقيق: محمد رضوان الدايه، (الطبعة بدون)، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

- ٢٨٠ - شرح مشكلات ديوان أبي تمام: أحمد بن محمد المرزوقي، تحقيق: عبد الله الجربوع، الطبعة الأولى، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٢٨١ - شرح المضمون به على غير أهله، للبيدي، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٣١ هـ - ١٩١١ م.
- ٢٨٢ - شرح المعلقات السبع: أبو عبد الله الحسين الزوزني، روجعت وصححت بمعرفة لجنة من الأدباء، (الطبعة الثانية)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٢٨٣ - شرح المفصل: يعيش بن علي بن يعيش، (الطبعة بدون)، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، (التاريخ بدون).
- ٢٨٤ - شرح مقامات الحريري: أبو العباس أحمد الشريشي، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٢٨٥ - شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (الطبعة الثانية)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
- ٢٨٦ - شعراء النصرانية: لويس شيخو، الطبعة الثالثة، منشورات دار المشرق، بيروت، لبنان ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ٢٨٧ - شعر إبراهيم بن المدبر - شعراء عباسيون -: يونس أحمد السامرائي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ٢٨٨ - شعر أبي حية النميري: جمع وتحقيق: رحيم صخي التويلي، مجلة المورد، المجلد الأول، العدد الأول، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- ٢٨٩ - شعر ابن ميادة: جمع وتحقيق: حنا جميل حداد. راجعه: قدري الحكيم، (الطبعة بدون)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دار المعارف للطباعة، دمشق، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٢٩٠ - شعر أحمد بن أبي فتن - شعراء عباسيون -: يونس أحمد السامرائي، الطبعة الأولى، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- ٢٩١ - شعر أروطاة بن سهيبة: جمع وتحقيق: صالح محمد خلف، مجلة المورد، المجلد الأول، العدد الأول، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- ٢٩٢ - شعر بكر بن النطاح «شعراء مقلون»: صنعة: حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت لبنان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٢٩٣ - شعر خفاف بن ندية السلمي: جمعه وحققه: نوري حمودي القيسي، (الطبعة بدون)، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
- ٢٩٤ - شعر دعبل بن علي الخزاعي: صنعة عبد الكريم الأشتري، الطبعة الثانية، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٢٩٥ - شعر ربيعة الرقي: جمعه وحققه وقدم له: يوسف حسين بكار، (الطبعة بدون)، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، بغداد، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٢٩٦ - شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهم: دراسة وتحقيق: سعود عبد الجابر، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ٢٩٧ - شرح شعر زهير بن أبي سلمى: صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق: فخر الدين قباوة، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ٢٩٨ - شعر زهير بن أبي سلمى: صنعة الأعلام الشتيري، تحقيق: فخر الدين قباوة، الطبعة الثالثة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٢٩٩ - شعر زياد الأعجم: جمع وتحقيق ودراسة: يوسف حسين بكار، الطبعة الأولى، دار السيرة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٣٠٠ - شعر طريح بن إسماعيل الثقفي: دراسة وجمع وتحقيق: بدر أحمد ضيف، (الطبعة بدون)، دار المعرفة الجامعية، مصر، الاسكندرية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- ٣٠١ - شعر عبد الله بن الزبير الأسدي: جمع وتحقيق: يحيى الجبوري، (الطبعة بدون)، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
- ٣٠٢ - شعر عروة بن أذينة: يحيى الجبوري، الطبعة الثانية، دار العلم، الكويت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ٣٠٣ - شعر علي بن جبلة «العكوك» - ذخائر العرب -: جمعه: حسين عطوان، (الطبعة بدون)، دار المعارف، مصر، (التاريخ بدون).
- ٣٠٤ - شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي: جمعه وحققه: مطاع الطرابيشي، (الطبعة بدون)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
- ٣٠٥ - شعر الكميت بن زيد الأسدي: جمع وتقديم: داود سلوم، (الطبعة بدون)، مكتبة الأندلس، مطبعة النعمان، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- ٣٠٦ - شعر معن بن أوس المزني: جمعه وحققه: عمر محمد سليمان القطان، الطبعة الأولى، دار العلم للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، جدة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٣٠٧ - شعر منصور النمري: جمعه وحققه: الطيب العشاش، (الطبعة بدون)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ٣٠٨ - شعر النابغة الجعدي: تحقيق: عبد العزيز رباح، الطبعة الأولى، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- ٣٠٩ - شعر نصيب بن رباح: جمع: داود سلوم، (الطبعة بدون)، مكتبة الأندلس، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد، (التاريخ بدون).
- ٣١٠ - شعر النمر بن تولب - شعراء إسلاميون -: نوري حمودي القيسي، الطبعة الثانية، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، (مكان النشر بدون) ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٣١١ - الشعر والشعراء لابن قتيبة: تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الثالثة، دار التراث العربي للطباعة، القاهرة، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٧ م.

٣١٢ - شعر الوليد بن يزيد: جمعه وحققه: حسين عطوان، الطبعة الأولى، مكتبة الأقصى، نشر بمساعدة جامعة الأردن، عمان، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٣١٣ - شعر يزيد بن الطثرية: دراسة وجمع وتحقيق: ناصر بن سعد الرشيد، الطبعة الأولى، دار مكة للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٣١٤ - الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية: طاش كبري زاده، (الطبعة بدون)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٣١٥ - الشهاب في الشيب والشباب: الشريف المرتضى، الطبعة الأولى، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٢ م.

٣١٦ - شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح: جمال الدين بن مالك، تحقيق: محمود فؤاد عبد الباقي، (الطبعة بدون)، عالم الكتب، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).

حرف الصاد

٣١٧ - الصاحبي: أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر، (الطبعة بدون)، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، القاهرة، (التاريخ بدون).

٣١٨ - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: القلقشندي، (الطبعة بدون)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.

٣١٩ - الصبح المنبي عن حثية المتنبي - ذخائر العرب -: مصطفى السقا ومحمد شتا وعبد زادة عبده. (الطبعة بدون)، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.

٣٢٠ - الصراح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٣٢١ - صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج، (الطبعة بدون)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

٣٢٢ - صفة الصفوة: جمال الدين أبي الفرج الأصفهاني، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٣٢٣ - الصناعتين: الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري، حققه: مفيد قميحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

حرف الطاء

٣٢٤ - طبقات الحنابلة: القاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، (الطبعة بدون)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

٣٢٥ - طبقات الشافعية: ابن قاضي شهبة، صححه الحافظ عبد العليم خان، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٣٢٦ - طبقات الشافعية: جمال الدين الأسنوي، تحقيق: عبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، مطبعة الإرشاد، رئاسة ديوان الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي، بغداد، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.

٣٢٧ - طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين السبكي، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

٣٢٨ - طبقات الشعراء - ذخائر العرب -: ابن المعتز، تحقيق: عبد الستار فراج، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، القاهرة، (التاريخ بدون).

٣٢٩ - طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، (الطبعة بدون)، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

٣٣٠ - الطبقات الكبرى: ابن سعد، (الطبعة بدون)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

٣٣١ - طبقات المفسرين: شمس الدين الداودي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٣٣٢ - طبقات النحويين واللغويين: أبو بكر الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الطبعة بدون)، دار المعارف، مصر، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٣٣٣ - الطراز «المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز»: يحيى بن حمزة العلوي، (الطبعة بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

حرف العين

٣٣٤ - عالم اللغة: عبد القاهر الجرجاني المفتن في العربية ونحوها. البدرابي زهران، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٣٣٥ - عبث الوليد في الكلام على شعر أبي عبادة الوليد بن عبيد البحر: أبو العلاء المعري، تحقيق: ناديا علي الدولة، (الطبعة بدون)، الشركة المتحدة للتوزيع (مكان النشر بدون)، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

٣٣٦ - عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية: أحمد أحمد بدوي، (الطبعة بدون)، مكتبة مصر، الفجالة، القاهرة (التاريخ بدون).

٣٣٧ - عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده: أحمد مطلوب، الطبعة الأولى، وكالة المطبوعات الكويت، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٣٣٨ - عبد القاهر الجرجاني والبلاغة العربية: محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، المطبعة المنيرية بالأزهر، مكتبة الحرم الحسيني، مصر، القاهرة، ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م.

٣٣٩ - العبر في خبر من غبر: الحافظ الذهبي، حققه: أبو هاجر محمد زغلول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٣٤٠ - العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب: شرح وتحقيق: ناصيف اليازجي، (الطبعة بدون)، دار العراق للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.

٣٤١ - عروس الأفراح - شروح التلخيص -: ابن السبكي، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، ١٣١٧ هـ - ١٨٩٧ م.

٣٤٢ - العفو والاعتذار: أبو الحسن محمد بن عمران العبدوي، حققه: عبد القدوس أبو صالح، (الطبعة بدون)، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

- ٣٤٣ - العقد الفريد: ابن عبد ربه، تحقيق: محمد سعيد العريان، (الطبعة بدون)، دار الفكر، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ٣٤٤ - العقد الفريد: ابن عبد ربه، تحقيق: مفيد قميحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ٣٤٥ - العققة والبررة - نوادر المخطوطات -: أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، القاهرة، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- ٣٤٦ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- ٣٤٧ - عمر بن أبي ربيعة: جبرائيل جبور، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٣٤٨ - العوامل المائة النحوية في أصول العربية: شرح الشيخ خالد الأزهرى، تحقيق: البدرأوي زهران، الطبعة الأولى، دار المعارف، مصر، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٣٤٩ - عيار الشعر: محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي: شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ٣٥٠ - عيون الأثر: ابن سيد الناس، (الطبعة بدون)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ٣٥١ - عيون الأخبار: ابن قتيبة، (الطبعة بدون)، المؤسسة المصرية العامة، مصر، القاهرة، ١٣٨٣ هـ - ١٩٨٣ م.

حرف الغين

- ٣٥٢ - غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين ابن الجزري، الطبعة الثانية، غني بنشره: ج، برجستراسر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٣٥٣- غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات: علي بن ظافر الأزدي المصري، تحقيق: محمد زغلول سلام ومصطفى الجويني، (الطبعة بدون)، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.

٣٥٤- الغيث المسجم في شرح لامية العجم: الصفدي الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٣٥٥- الفاخر: أبو طالب الكوفي، الطبعة الثانية، دار الفرجاني، مصر، القاهرة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

حرف الفاء

٣٥٦- الفاضل: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: تحقيق: عبد العزيز الميمني، الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.

٣٥٧- فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل: محمد قطة العدوي، على هامش شواهد ابن عقيل للجرجاني -: الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، القاهرة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٥ م.

٣٥٨- فتوح البلدان: البلاذري، إشراف لجنة تحقيق التراث، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٣٥٩- الفخري في الآداب السلطانية: ابن طباطبا العلوي، (الطبعة بدون)، دار صادر، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).

٣٦٠- فرحة الأديب «في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيويه»: الأسود الغندجاني، حققه: محمد علي سلطاني، دار النبراس، دمشق، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٣٦١- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد البكري، حققه وقدم له: عبد المجيد عابدين وإحسان عابدين، الطبعة الأولى، مطبوعات جامعة الخرطوم، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م.

٣٦٢- فصيح ثعلب: أبو العباس ثعلب، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، المطبعة النموذجية، (مكان النشر بدون)، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م.

٣٦٣ - فقه اللغة وسر العربية: أبو منصور الثعالبي، (الطبعة بدون)، (الناشر بدون)،
(مكان النشر بدون)، (التاريخ بدون).

٣٦٤ - الفلك الدائر على المثل السائر لابن الأثير، قدم له وحققه وعلق عليه:
أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الطبعة الأولى، مكتبة نهضة مصر ومطبتها،
١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م.

٣٦٥ - الفن ومذاهبه في الشعر العربي: شوقي ضيف، الطبعة التاسعة، دار المعارف،
مصر، القاهرة، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.

٣٦٦ - الفهرست: ابن النديم، (الطبعة بدون)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت،
لبنان، (التاريخ بدون).

٣٦٧ - فوات الوفيات والذيل عليها: محمد بن شاکر الکتبی، تحقیق: إحسان عباس،
(الطبعة بدون)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٣٦٨ - في الشعر: أرسطو طاليس، نقل أبي بشر بن متى، (الطبعة بدون)، دار الكاتب
العربي، مصر، القاهرة، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

٣٦٩ - في الميزان الجديد: محمد مندور، (الطبعة بدون)، دار نهضة مصر للطبع
والنشر، الفجالة، القاهرة، (التاريخ بدون).

حرف القاف

٣٧٠ - القاموس المحيط: الفيروزبادي، (الطبعة بدون)، دار الجيل، المؤسسة العربية
للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).

٣٧١ - قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث: محمد زكي العشماوي، الطبعة
الثالثة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٣٧٣ - القوافي: أبو يعلى التنوخي، تقديم وتحقيق: عمر الأسعد - محيي الدين
رمضان، الطبعة الأولى، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٨٩ هـ -
١٩٦٩ م.

٣٧٣ - القول الجيد في شرح أبيات التلخيص وشرحه وحاشية السيد، محمد ذهني،
(الطبعة بدون)، مطبعة باب عالي شركة كتب خانة، ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٤ م.

حرف الكاف

٣٧٤ - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: الإمام الذهبي، الطبعة الأولى، راجعه: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٣٧٥ - الكامل في التاريخ: أبو الحسن ابن الأثير، (الطبعة بدون)، دار الفكر، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).

٣٧٦ - كتاب الأمثال: ابن سلام، حققه وعلق عليه وقدم له: عبد المجيد قطامش، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٣٧٧ - كتاب الثقات: محمد بن حبان البستي، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الهند، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٣٧٨ - الكتاب: سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

٣٧٩ - كتاب كنى الشعراء ومن غلبت كنيته على اسمه - نوادر المخطوطات، محمد بن حبيب، عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، القاهرة، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٣٨٠ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله الزمخشري، أفتاب، طهران.

٣٨١ - كشف الظنون: حاجي خليفة، (الطبعة بدون)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٣٨٢ - الكشكول: بهاء الدين العاملي، تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي، (الطبعة بدون)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، (التاريخ بدون).

حرف اللام

٣٨٣ - لباب الآداب: أسامة بن منقذ. (الطبعة بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٣٨٤ - اللزوميات: أبو العلاء المعري، (الطبعة بدون)، دار صادر، بيروت، لبنان،
(التاريخ بدون).

٣٨٥ - لسان العرب: جمال الدين ابن منظور، (الطبعة بدون)، دار صادر بيروت،
لبنان، (التاريخ بدون).

٣٨٦ - لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني، الطبعة الثانية، مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

٣٨٧ - اللمع في العربية: أبو الفتح ابن جني، تحقيق: حامد المؤمن، الطبعة الثانية،
عالم الكتب، مكتب النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

حرف الميم

٣٨٨ - المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة: أبو الفتح ابن جني، (الطبعة
بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

٣٨٩ - المتنبي: محمود محمد شاكر، (الطبعة بدون)، مطبعة المدني، القاهرة،
١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

٣٩٠ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ابن الأثير: قدم له وحققه وعلق عليه:
أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الطبعة الأولى، مكتبة نهضة مصر ومطبتها،
١٣٧٩ - ١٩٥٩ م.

٣٩١ - المحاسن والأضداد: الجاحظ، حققه: فوزي عطوي، (الطبعة بدون)، دار
صعب، بيروت، لبنان ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

٣٩٢ - المحاسن والمساوىء: إبراهيم البيهقي، (الطبعة بدون)، دار صادر، بيروت،
لبنان، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

٣٩٣ - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: أبو القاسم حسين بن محمد
الراغب الأصبهاني، (الطبعة بدون)، (الناشر بدون)، (مكان النشر بدون)،
(التاريخ بدون).

٣٩٤ - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: الراغب الأصبهاني، هذبه
واختصره: إبراهيم زيدان، (الطبعة بدون)، دار الآثار بيروت، لبنان، (التاريخ
بدون).

٣٩٥ - محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية - الدولة العباسية - : محمد الخضري بك،
(الطبعة بدون)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر: ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

٣٩٦ - المحبر: أبو جعفر بن حبيب، رواية أبي سعيد السكري، (الطبعة بدون)، دار
الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

٣٩٧ - المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن
جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، (الطبعة بدون)، الجمهورية العربية
المتحدة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي،
القاهرة، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

٣٩٨ - المحمدون من الشعراء وأشعارهم: جمال الدين القفطي، تحقيق: رياض
عبد الحميد مراد، (الطبعة بدون)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، مطبعة
الحجاز، ودمشق، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٣٩٩ - مجاز القرآن: أبي عبيدة معمر بن المثنى، علق عليه محمد فؤاد سزكين،
(الطبعة بدون)، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م.

٤٠٠ - مجالس ثعلب: أبو العباس ثعلب، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة
الرابعة، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٤٠١ - مجالس العلماء: أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة
الثانية، مكتبة الخانجي، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٤٠٢ - مجمع الأمثال: الميداني، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة
الثالثة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٤٠٣ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت،
لبنان، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٤٠٤ - مجموعة المعاني، مجهول المؤلف، الطبعة الأولى، مطبعة الجوائب،
القسطنطينية، ١٣٠١ هـ - ١٨٨١ م.

٤٠٥ - مختار الأغاني: ابن منظور، الطبعة الأولى، أشرف على طبعه: زهير
الشاويش، المكتب الإسلامي، (مكان النشر بدون)، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.

٤٠٦ - مختارات البارودي من شعر بني أمية وبني العباس: محمود سامي البارودي، الطبعة الأولى، المكتبة الجامعة، المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٤٠٧ - مختارات شعراء العرب: ابن الشجري، تحقيق: نعمان طه، الطبعة الأولى، دار التوفيقية، مصر، القاهرة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٤٠٨ - مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، عني بترتيبه: محمود خاطر، راجعته لجنة من علماء العربية، (الطبعة بدون)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٤٠٩ - المختار من شعر بشار، اختيار الخالدين، أبو طاهر إسماعيل بن أحمد، حققه: محمد بدر الدين العلوي، (الطبعة بدون)، مطبعة الاعتماد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (مكان النشر بدون)، (تاريخ النشر بدون).

٤١٠ - المختار من شعر المتنبي والبحري وأبي تمام: عبد القاهر الجرجاني - الطرائف الأدبية - عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

٤١١ - المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده: (الطبعة بدون)، دار الفكر، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).

٤١٢ - المخلاة: بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الطبعة الأولى، المطبعة الأدبية، مصر، القاهرة، ١٣١٧ هـ - ١٨٩٧ م.

٤١٣ - المخلاة: بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، نسقه وفهرسه ووضع هوامشه: محمد خليل الباشا، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٤١٤ - مراتب النحويين: أبو الطيب اللغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

٤١٥ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: أبو محمد عبد الله اليافعي، الطبعة الثانية، دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد الدكن، الهند، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

٤١٦ - مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: صفى الدين البغدادي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م.

٤١٧ - مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن المسعودي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (الطبعة بدون)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٤١٨ - المزهري في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، (الطبعة بدون)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، القاهرة (التاريخ بدون).

٤١٩ - المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، (الطبعة بدون)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

٤٢٠ - المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين الأبهسي، الطبعة الأخيرة، مصطفى البابي الحلبي، مصر، القاهرة، ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م.

٤٢١ - مسند الإمام أحمد بن حنبل: الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ - ١٩٨٧ م.

٤٢٢ - مسند الشهاب: أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، حققه: حمدي السلفي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٤٢٣ - مشاهير علماء الأمصار: محمد بن حبان البستي، عني بتصحيحه: م، فلا يشهر، (الطبعة بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

٤٢٤ - مصابيح السنة: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: يوسف المرعشلي وجمال حمدي الذهبي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٤٢٥ - مصارع العشاق: أبو محمد جعفر السراج، ضبطه: أحمد يوسف نجاتي، أحمد

مرسي مشالي، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، القاهرة،
١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.

٤٢٦ - المصباح المنير: أحمد المقرئ الفيومي. صححه مصطفى السقا، (الطبعة
بدون)، دار الفكر، بيروت، (التاريخ بدون).

٤٢٧ - المصون في الأدب: أبو أحمد بن عبد الله العسكري، تحقيق: عبد السلام
هارون، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، دار الرفاعي، المملكة
العربية السعودية، الرياض، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٤٢٨ - المطول على التلخيص: سعد الدين التفتازاني، صححه: عثمان أفندي،
(الطبعة بدون)، مطبعة أحمد كامل، صحاف قريبي يوسف ضيا، تركيا،
١٣٣٠ هـ - ١٩١٠ م.

٤٢٩ - المعارف: ابن قتيبة، حققه: ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، دار المعارف،
مصر، القاهرة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٤٣٠ - معاني أبيات الحماسة: أبو عبد الله النمري، تحقيق: عبد الله عبد الرحيم
عسيلان، الطبعة الأولى، مطبعة المدني، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٤٣١ - معاني القرآن: الأخفش الأوسط، حققه: فائز فارس، الطبعة الثانية، (الناشر
بدون)، الكويت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٤٣٢ - المعاني الكبير في أبيات الحماسة: أبو محمد بن قتيبة، الطبعة الأولى، مطبعة
مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد الدكن، الهند، ١٣٦٨ هـ -
١٩٤٨ م.

٤٣٣ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: عبد الرحيم بن أحمد العباسي، حققه
وعلق حواشيه وصنع فهرسه: محمد محيي الدين عبد الحميد، (الطبعة
بدون)، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م.

٤٣٤ - معجم الأدباء: ياقوت الحموي، الطبعة الثانية، دار الفكر للطباعة والنشر،
بيروت، لبنان، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٤٣٥ - معجم الألفاظ المعربة: آدي شير، (الطبعة بدون)، مكتبة لبنان، بيروت،
١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

- ٤٣٦ - معجم البلدان: ياقوت الحموي، (الطبعة بدون)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٤٣٧ - المعجم الجغرافي للبلاد السعودية: حمد الجاسر، (الطبعة بدون)، دار اليمامة، المملكة العربية السعودية، الرياض، (التاريخ بدون).
- ٤٣٨ - معجم الشعراء: أبو عبيد الله المرزباني، صححه: ف كرنكو، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ٤٣٩ - معجم الشعراء الجاهلين والمخضرمين: عفيف عبد الرحمن، (الطبعة بدون)، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٤٤٠ - معجم شعراء الحماسة: عبد الله بن عبد الرحيم العسيلان، (الطبعة بدون)، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٤٤١ - معجم الشعراء في لسان العرب: ياسين الأيوبي، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ٤٤٢ - معجم شواهد العربية: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- ٤٤٣ - معجم شواهد النحو الشعرية: حنا جميل حداد، الطبعة الأولى، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ٤٤٤ - المعجم الصغير: أبو القاسم الطبراني، (الطبعة بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٤٤٥ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: عبد الله البكري، حققه: مصطفى السقا، (الطبعة بدون)، عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٤ م.
- ٤٤٦ - معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، (الطبعة بدون)، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).
- ٤٤٧ - معجم المعالم الجغرافية السيرة النبوية: عاتق البلادي، الطبعة الأولى، دار مكة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية مكة المكرمة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

- ٤٤٨ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، (الطبعة بدون)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٤ م.
- ٤٤٩ - معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، (الطبعة بدون)، دار الكتب العلمية، إيران قم. (التاريخ بدون).
- ٤٥٠ - المعمرون والوصايا: أبو حاتم السجستاني، تحقيق: عبد المنعم عامر، (الطبعة بدون)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.
- ٤٥١ - المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار، تحقيق: محمد الخضير، محمود محمد قاسم، (الطبعة بدون)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، القاهرة، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
- ٤٥٢ - مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام الأنصاري، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد، (الطبعة بدون)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ٤٥٣ - مفتاح السعادة: طاش كبري زاده، الطبعة الثانية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- ٤٥٤ - مفتاح العلوم: أبو يعقوب السكاكي، (الطبعة بدون)، دار الباز، المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة (التاريخ بدون).
- ٤٥٥ - المفضليات: المفضل الضبي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
- ٤٥٦ - مفهوم الجمال عند عبد القاهر الجرجاني: أحمد عبد السيد الصاوي، الطبعة الأولى، (الناشر بدون)، (مكان النشر بدون)، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ٤٥٧ - مقاتل الطالبين: أبو فرج الأصفهاني، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، (الطبعة بدون)، دار المعرفة، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).
- ٤٥٨ - مقالات في تاريخ النقد: د. داود سلوم، (الطبعة بدون)، منشورات وزارة

الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٤٥٩ - المقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجاني، (الطبعة بدون)، تحقيق: كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية (التاريخ بدون).

٤٦٠ - المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمه، (الطبعة بدون)، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٤٦١ - المقرب: ابن عصفور، تحقيق: أحمد الجواري وعبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.

٤٦٢ - المقصور والممدود: أبو زكريا الفراء، حققه: ماجد الذهبي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة (مكان النشر بدون) ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٤٦٣ - الممتع في صنعة الشعر: عبد الكريم النهشلي القيرواني، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، مراجعة: نعيم زرزور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٤٦٤ - المنازل والديار: أسامة بن منقذ، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، (مكان النشر بدون)، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.

٤٦٥ - مناهج تحديد - في النحو والبلاغة والتفسير والأدب: أمين الخولي، الطبعة الأولى، دار المعرفة، (مكان النشر بدون)، ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

٤٦٦ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: أبو الفرج ابن الجوزي، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الهند، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٧ م.

٤٦٧ - المنصف في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي ومشكل شعره: أبو محمد بن وكيع التنيسي، علق عليه: محمد رضوان الدايه، دار قتيبة، (مكان النشر بدون)، (تاريخ النشر بدون).

- ٤٦٨ - من الضائع من معجم الشعراء، المرزباني: تحقيق: إبراهيم السامرائي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ٤٦٩ - من غاب عنه المطرب: الثعالبي، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٤٧٠ - من قضايا الشعر والنثر في النقد القديم: عثمان موافي، (الطبعة بدون)، مؤسسة الثقافة الجامعية، مصر، الإسكندرية، (التاريخ بدون).
- ٤٧١ - من قضايا النقد والبلاغة: توفيق الفيل، (الطبعة بدون)، مكتبة نهضة الشرق (مكان النشر بدون)، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٤٧٢ - من نسب إلى أمه من الشعراء - نوارد المخطوطات -: محمد بن حبيب، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (التاريخ بدون).
- ٤٧٣ - من الوجهة النفسية في دراسة الأدب والنقد: محمد خلف الله أحمد، الطبعة الثالثة، دار العلوم للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ٤٧٤ - المؤلف والمختلف: الحسن بن بشر الأمدي، صححه: ف: كرنكو، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ٤٧٥ - الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري: أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الرابعة، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٤٠٢ - ١٩٨٢ م.
- ٤٧٦ - الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري: أبو القاسم الحسن الأمدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (الطبعة بدون)، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان (التاريخ بدون).
- ٤٧٧ - مواهب الفتاح - شروح التلخيص -: ابن يعقوب، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، ١٣١٧ هـ - ١٨٩٧ م.
- ٤٧٨ - الموسوعة العربية الميسرة: إشراف محمد شفيق غربال، (الطبعة بدون)، دار الشعب، مصر، القاهرة، (التاريخ بدون).

٤٧٩ - الموشى (الظرف والظرفاء): أبو الطيب محمد الوشاء، تحقيق كمال مصطفى، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م.

٤٨٠ - الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء: أبو عبد الله محمد المرزباني، وقف على طبعه واستخراج فهارسه: محب الدين الخطيب، الطبعة الثانية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.

٤٨١ - ميزان الاعتدال: أبو عبد الله محمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاري، (الطبعة بدون)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

حرف النون

٤٨٢ - نثار الأزهار في الليل والنهار: جمال الدين ابن منظور، الطبعة الأولى، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٢٩٨ هـ - ١٨٧٨ م.

٤٨٣ - نثر الدر: أبو سعد منصور الآبي، تحقيق: محمد علي قرنه، مراجعة: علي محمد البجاري، (الطبعة بدون)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، (التاريخ بدون).

٤٨٤ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين بن تفرج بردي، (الطبعة بدون)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، القاهرة، (التاريخ بدون).

٤٨٥ - نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: محمد الطنطاوي، تعليق: عبد العظيم الشناوي ومحمد عبد الرحمن الكردي، الطبعة الثانية، مطبعة السعادة، (مكان النشر بدون)، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.

٤٨٦ - نصوص ضائعة من الوزراء والكتاب: محمد بن عبدوس الجهشيار، جمعها وعلق عليها: ميخائي عواد، (الطبعة بدون)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

٤٨٧ - نظام الغريب: عيسى بن إبراهيم الربيعي، المستخرجه وصححه، بولس برونله، الطبعة الأولى، المطبعة الهندية، مصر، (التاريخ بدون).

٤٨٨ - نظرية المعنى في النقد العربي: مصطفى ناصف، الطبعة الثانية، دار الأندلس، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

- ٤٨٩ - نظرية النقد وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني: وليد محمد مراد، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق سوريا، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٤٩٠ - نقائض جرير والفرزدق: (الطبعة بدون)، دار صادر، بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).
- ٤٩١ - النقد الأدبي الحديث، أصوله، واتجاهاته: أحمد كمال زكي، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ٤٩٢ - النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال، (الطبعة بدون)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، (التاريخ النشر بدون).
- ٤٩٣ - النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني: أحمد عبد السيد الصاوي، الطبعة الثانية، دار بور سعيد للطباعة، مصر، الاسكندرية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- ٤٩٤ - نقد الشعر: أبو فرج قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٤٩٥ - النقد المنهجي عند العرب: محمد مندور، (الطبعة بدون)، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- ٤٩٦ - نقد النثر: أبو جعفر قدامة بن جعفر، (الطبعة بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ٤٩٧ - النكت في إعجاز القرآن - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن -: الرمانى، تحقيق: محمد خالف الله أحمد، محمد زغلول سلام، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م.
- ٤٩٨ - نكت الهميان في نكت العميان: صلاح الدين الصفدي، (الطبعة بدون)، المطبعة الجمالية، مصر، القاهرة، ١٣٢٩ هـ - ١٩٠٩ م.
- ٤٩٩ - نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين النويري، (الطبعة بدون)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، القاهرة، (التاريخ بدون).

٥٥٠ - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: محمد بن عمر الرازي، (الطبعة بدون)،
مطبعة الآداب والمؤيد، مصر، القاهرة، ١٣١٧ هـ - ١٨٩٧ م.

٥٠١ - النوادر في اللغة: أبو زيد الأنصاري، (الطبعة بدون)، دار الكتاب العربي،
بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

٥٠٢ - نونية خالد بن صفوان القناص «القصيدة التاسعة» - الطوائف الأدبية -:
عبد العزيز الميمني، (الطبعة بدون)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
١٣٥٧ هـ - ١٩٣٧ م.

حرف الهاء

٥٠٣ - هدية العارفين أسماء المؤلفين، وآثار المصنفين من كشف الظنون: إسماعيل
باشا البغدادي، (الطبعة بدون)، دار الفكر، (مكان النشر بدون) ١٤٠٢ هـ -
١٩٨٢ م.

٥٠٤ - همع الهوامع شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، غني بتصحيحه:
محمد بدر الدين النعساني، (الطبعة بدون)، دار المعرفة للطباعة والنشر،
بيروت، لبنان، (التاريخ بدون).

حرف الواو

٥٠٥ - الوحشيات «الحماسة الصغرى»: البحتري، حققه: عبد العزيز الميمني، وزاده:
محمود محمد شاكر، (الطبعة بدون)، دار المعارف، مصر، القاهرة،
١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.

٥٠٦ - الورقة: أبو عبد الله محمد بن داود الجراح، تحقيق: عبد الوهاب عزام،
عبد الستار فراج، (الطبعة بدون)، دار المعارف، مصر (التاريخ بدون).

٥٠٧ - الوزراء والكتاب: أبو عبد الله الجشهياري، حققه: مصطفى السقا وإبراهيم
الأيباري وعبد الحفيظ شلبي، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،
مصر، القاهرة، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٧ م.

٥٠٨ - الوساطة بين المتنبي وخصومه: علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد
أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، (الطبعة بدون)، طبع بمطبعة عيسى
البابي الحلبي وشركاه، مصر، القاهرة، (التاريخ بدون).

٥٠٩ - وفيات الأعيان: أبو العباس بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، (الطبعة بدون)، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

حرف الياء

٥١٠ - يتيمة الدهر: الثعالبي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الثانية، دار الفكر بيروت، لبنان، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

فَهْرَسْتُ الْمَوْضُوعَاتِ

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩
التمهيد	١٧
أ - دراسة موجزة عن الإمام عبد القاهر	١٩ - ٣٥
ب - دراسة موجزة عن كتاب دلائل الإعجاز	٣٦ - ٤٩
ج - معنى كلمة شاهد في اللغة والاصطلاح	٥٠ - ٥٨
د - بعض الدراسات التي قامت حول الشواهد قديمها وحديثها	٥٩ - ٦٧
الباب الأول:	
شواهد دلائل الإعجاز	٦٩
الفصل الأول:	
أ - أبيات المدخل	٧٣
الكلام في الشعر	٧٣ - ٩٩
الكلام في النحو	١٠٠ - ١٠٤
ب - شواهد تحقيق القول في الفصاحة والبلاغة	١٠٥ - ١٥٠
الفصل الثاني:	
أ - شواهد الكناية والاستعارة والتمثيل	١٥٣ - ٢١٠
ب - شواهد القول في نظم الكلام ومكان النحو منه	٢١١ - ٢٣٧
الفصل الثالث:	
أ - مزية النظم في مراعاة النحو	٢٤١ - ٢٥٢
ب - مزية النظم بحسب المعاني والأغراض	٢٥٣ - ٢٧٦
ج - النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع	٢٧٧ - ٣٣٥
الفصل الرابع:	
مواضع التقديم والتأخير	٣٣٩
أ - التقديم والتأخير مع الاستفهام	٣٤١ - ٣٥٢

ب - التقديم والتأخير مع النفي ٣٥٣ - ٣٥٨

ج - التقديم والتأخير في الخبر المثبت ٣٥٩ - ٣٨٤

د - مواضع التقديم والتأخير - مثل وغير ٣٨٥ - ٣٩٤

الفصل الخامس:

شواهد القول في الحذف ٣٩٧

أ - حذف المبتدأ ٣٩٨ - ٤٤٥

ب - حذف المفعول به ٤٤٦ - ٤٩٦

الفصل السادس:

شواهد الفروق في الخبر ٤٩٧

أ - الاسم والفعل في الإثبات ٤٩٩ - ٥٠٨

ب - القصر في التعريف ٥٠٩ - ٥١٤

ج - نكت أخرى في التعريف ٥١٥ - ٥٥٤

الفصل السابع:

شواهد الفروق في الحال ٥٥٥ - ٦١١

الفصل الثامن:

شواهد الفصل والوصل ٦١٣ - ٦٤٦

الفصل التاسع:

شواهد باب اللفظ والنظم ٦٤٧

أ - شواهد أمور شتى في أمر اللفظ والنظم ٦٤٩ - ٦٦٤

ب - شواهد الكناية والاستعارة والتمثيل ٦٦٥ - ٦٨٢

ج - شواهد إن ومواقعها ٦٨٣ - ٦٨٧

د - شواهد كاد ٦٨٨ - ٦٩٣

هـ - شواهد كل ٦٩٤ - ٧٠٣

و - شواهد المجاز الحكمي ٧٠٤ - ٧٤٢

ز - شواهد الكناية ٧٤٣ - ٧٧٩

ح - عود إلى شواهد إن ومواقعها ٧٨٠ - ٧٩٩

الفصل العاشر:

شواهد القصر والاختصاص ٨٠١

أ - إنما ومواقعها ٨٠٣ - ٨٢٣

٨٣٢ - ٨٢٣	ب - ما وإلا
٨٣٢ - ٨٢٣	ج - عود إلى مباحث إنما
	الفصل الحادي عشر:
٨٥٢ - ٨٣٥	أ - شواهد - فصل من باب اللفظ والنظم
٨٥٣	ب - شواهد تحرير القول في: الإعجاز والفصاحة والبلاغة
٨٥٦ - ٨٥٤	أ - الإعجاز بنظم الكلام لا بالكلم
٨٥٩ - ٨٥٧	ب - عدم تعلق الفكر بمعاني الكلم مجردة من معاني النحو
٨٦٢ - ٨٦٠	ج - فصل آخر في أن الفصاحة والبلاغة للمعاني
٨٦٦ - ٨٦٣	د - فصل آخر في كشف شبهة أخرى للقائلين بأن الفصاحة للألفاظ
٨٧٠ - ٨٦٧	هـ - دلالة مراتب التشبيه على أن الفصاحة والبلاغة للمعاني
٨٧٢ - ٨٧١	و - فصاحة الكناية
٩٠٩ - ٨٧٣	ز - فصاحة الاستعارة
	الفصل الثاني عشر:
٩٥٧ - ٩١١	شواهد الأخذ والسرقة
١٠٧٢ - ٩٥٨	أ - الموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المتعدد
١١٣٩ - ١٠٧٣	ب - الموازنة بين الشعرين والإجادة فيهما من الجانبين
١١٨٤ - ١١٤٠	ج - وصف الشعر والإدلال به
	الفصل الثالث عشر:
١١٩٩ - ١١٨٧	أ - عود إلى الاحتجاج على بطلان مذهب اللفظ
١١٨٧	ذم السجع والتجنيس المتكلف لأن الفصاحة تتبع المعنى
١٢٠٠	ب - شواهد الخبر وما يتحقق به الإسناد
	الفصل الرابع عشر:
١٢٤٠ - ١٢٠٩	شواهد إدراك البلاغة بالذوق وإحساس النفس
	الفصل الخامس عشر:
١٢٤٨ - ١٢٤١	فصول ملحقة بالكتاب
	الباب الثاني:
١٢٤٩	قضايا بلاغية ونقدية في الكتاب
	الفصل الأول:
١٢٧٧ - ١٢٥١	قضية الإعجاز وصلة هذه الشواهد بها

الفصل الثاني:

قضية النقد الأدبي وأثر عبد القاهر فيها ١٢٧٩ - ١٣٢٨

الفصل الثالث:

قضية الذوق ١٣٢٩ - ١٣٥٤

الخاتمة ١٣٥٧ - ١٣٦٤

الفهارس الفنية: ١٣٦٥

١ - فهرس الآيات ١٣٦٧

٢ - فهرس الأحاديث ١٣٧٢

٣ - فهرس الأمثال ١٣٧٣

٤ - فهرس المصطلحات البلاغية ١٣٧٤

٥ - فهرس أبيات المدخل ١٣٧٩

٦ - فهرس الأشعار الشواهد ١٣٨٠

٧ - فهرس الأشعار غير الشواهد ١٣٩٩

٨ - فهرس الشعراء ١٤٦٨

٩ - فهرس الأعلام ١٤٧٧

١٠ - فهرس اللغة ١٤٩٦

١١ - فهرس الأديان والملل ١٥١٠

١٢ - فهرس الحيوانات ١٥١١

١٣ - فهرس المآكل والمشارب ١٥١٣

١٤ - فهرس الأماكن والبقاع ١٥١٤

١٥ - فهرس القبائل ١٥١٩

١٦ - فهرس الدول ١٥٢٢

١٧ - فهرس الوقائع ١٥٢٣

١٨ - فهرس المصادر والمراجع ١٥٢٤

١٩ - فهرس الموضوعات ١٥٧٤